RAĞIP P.
Ka. Nu.
59

سورة الرعد ١	سورة ابراهيم ١٩
سورة الحجر ٣٥	سورة النحل ٤٥
سورة الاسرا ٧٧	سورة الكهف ١٤٢
سورة مريم ١٩٨	سورة طه ٢٣١
سورة الانبياء ٢٦١	سورة الحج ٢٨٧
سورة المؤمنون ٣٠٧	سورة النور ٣٢١
سورة الفرقان ٣٤٤	سورة الشعرا ٣٦٣
سورة النمل ٣٨٢	سورة القصص ٤٠٧
سورة العنكبوت ٤٢٣	تمت الفهرست على بالك

وكم اهلكنا من قرن ٢٢٣
هم احسن اثاثا ورئيا
في محل النصب صفة لكم
وفيه بحث وتفصيل حقق

من الرعد
الى اخر القصص

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANELİĞİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 48/3

RAGIP P.
Ka. Nu.
59

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقفي عبده

٦٠

البحر المحيط
المشتهر بتفسير ابي حيان

٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ۝ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ۝

سورة الرعد

مفردات ۝ العمد اسم جمع ومن اطلق عليه جمعا فلكونه يفهم منه ما يفهم من الجمع وفي الاساطين
قال الشاعر ۝ وحليس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد ۝ والمفرد عماد وعمد كاهاب
وقيل عمود وعمد كاديم وادم وقضيم وقضم والعماد والعمود ما يعمد به يقال عمدت الحائط اعمده عمدا
اذا دعمته فاعتمد الحائط على العماد اي امسك به ويقال فلان عمدة قومه اذا كانوا يعتمدونه فيما يحزبهم وجمع
عماد على عمد بضمتين كشهاب وشهب وعمود على عمد ايضا كرسول ورسل وزبور وزبر وهذا في الكثرة وجمعا في
القلة على اعمدة ۝ الصنو الفرع يجمعه وآخر اصل واحد واصله المثل ومنه قيل للعم صنو وجمعه في لغة الحجاز صنوان
بكسر الصاد كقنو وقنوان وبضمها في لغة تميم وقيس كذئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع
لا جمع تكسير لانه ليس من ابنيته ۝ الجديد ضد الخلق والبالي ويقال ثوب جديد اي كما فرغ من عمله وهو فعيل
بمعنى مفعول كانه كما قطع من النسج ۝ المثلة العقوبة وتجمع بالالف والتاء كسمرة وسمرات ولغة الحجاز مثلة بفتح الميم
وسكون الثاء ولغة تميم بضم الميم وسكون الثاء وسميت العقوبة بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها او لانها من المثال بمعنى القصاص يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته او لانها لعظم
نكالها يضرب بها المثل ۝ السارب اسم فاعل من سرب اي تصرف كيف شا قال الشاعر ۝ اني سربت وكنت غير سروب
وتقرب الاحلام غير قريب ۝ وقال الآخر ۝ وكل اناس قاربوا قيد فحلهم ۝ ونحن خلعنا قيده فهو سارب ۝ اي فهو متصرف
كيف شا لا يدفع عن جهة بفتح بعزة قومه ۝ المحال القوة والاهلاك قال الاعشى ۝ فرع نبع يهتز في غصن المجد
عظيم الندى شديد المحال ۝ وقال عبد المطلب ۝ لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ۝ ويقال محل الرجل
بالرجل مكر به فاخذه بسعاية شديدة والمماحلة المكايدة والماكرة ومنه تمحل لكذا اي تكلف سعيا لحيلة
واجتهد فيه وقال ابو زيد المحال النقمة وقال ابن عرفة المحال الجدال ماحل عن امره اي جادل وقال القتيبي اي شدة
المكيدة واصله من الحيلة جعل ميمه كميم مكان واصله من الكون ثم يقال تمكنت وغلطه الازهري في زيادة الميم قال
ولو كان مفعلا لظهرت الواو مثل مزود ومحول ومحور وما هو مثالها ۝ وجاء ابن ۝ الكف عضو معروف وجمعه
في القلة اكف كصك واصك وفي الكثرة كفوف كصكوك واصله مصدر كف ظل الشيء ما يظهر من خياله في النور
ويميله الضوء ۝ الزبد قال ابو الحجاج الاعلم هو ما يطرحه الوادي اذا جاش ماؤه فاضطربت امواجه وقال ابن عطية
هو ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما يرمي به ضفتيه من الحباب الملتبك وقال ابن عيسى الزبد وضر الغليان
وخبثه قال الشاعر ۝ فما الفرات اذا هب الرياح له ترمي غواربه العبرين بالزبد ۝ الجفاء اسم لما يجفاه السيل
اي يرمي به يقال جفأت القدر بزبدها وجفأ السيل بزبده واجفأ واجفل وقال ابن الانباري جفاء اي متفرقا ۝
من جفأت الريح الغيم اذا قطعته وجفأت الرجل صرعته ويقال جفأ الوادي واجفأ اذا نشف ۝

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم
بلقاء ربكم توقنون ۝ هذه السورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وابن جبير وعن عطاء الا قوله ويقول
الذين كفروا لست مرسلا وعن غيره الا قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق ومدنية في قول الكلبي ۝
ومقاتل وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا نزلتا بمكة وهما ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الى آخرهما وعن ابن
عباس الا قوله ولا يزال الذين كفروا الى آخر الآية وعن قتادة مكية الا قوله ولا يزال الذين كفروا الآية حكاه المهدوي
وقيل السورة مدنية حكاه القاضي منذر بن سعيد البلوطي ومكي بن ابي طالب قال الزمخشري تلك اشارة الى آيات السورة

والمراد

والمراد بالكتاب السورة اي تلك آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها وقال ابن عطية من قال حروف اوائل السور مثال لحروف
المعجم قال الاشارة هنا بتلك هي الى حروف المعجم ويصح على هذا ان يكون الكتاب يراد به القرآن ويصح ان يراد به التوراة
والانجيل والمر على هذا ابتداء وتلك ابتداء ثان وآيات خبر الثاني والجملة خبر الاول انتهى ويكون الرابط اسم الاشارة وهو
تلك وقيل الاشارة بتلك الى ما قص عليه من انباء الرسل المشار اليها بقوله تلك من انباء الغيب والذي قاله ويصح
ان يراد به التوراة والانجيل هو قريب من قول مجاهد وقتادة فالاشارة بتلك الى جميع كتب الله المنزلة ويكون المعنى تلك
الآيات التي قصصت عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي انزلته قبل هذا الكتاب الذي انزلته اليك والظاهر ان قوله
والذي مبتدأ والحق خبره ومن ربك متعلق بانزل واجاز الحوفي ان يكون من ربك الخبر والحق خبر مبتدأ محذوف وهو
خبر بعد خبر او كلاهما خبر واحد انتهى وهو اعراب متكلف واجاز الحوفي ايضا ان يكون والذي في موضع رفع عطفا
على آيات واجاز هو وابن عطية ان يكون والذي في موضع خفض على مذهب الاعرابين فيكون الحق خبر مبتدأ محذوف
اي هو الحق ويكون والذي مما عطف فيه الوصف على الوصف وهما لشيء واحد كما تقول جاءني الظريف والعاقل
وانت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر ۝ الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ۝ واجاز
الحوفي ان يكون الحق صفة للذي يعني اذا جعلت والذي معطوفا على آيات واكثر الناس قيل كفار مكة لا يصدقون
ان القرآن منزل من عند الله وقيل المراد به اليهود والنصارى والاولى انه عام فلما ذكر انتفاء الايمان عن اكثر الناس
ذكر عقبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجب الى الايمان مما يتفكر فيه العاقل ويشاهده من عظيم
القدرة وبديع الصنع والجلالة مبتدأ والذي هو الخبر بدليل قوله تعالى هو الذي مد الارض ويجوز ان يكون
صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر ويفسره ما تقدمه من ذكر الآيات قاله الزمخشري وقرأ الجمهور
عمد بفتحتين وقرأ ابو حيوة ويحيى بن وثاب بضمتين وبغير عمد في موضع الحال اي خالية عن عمد والضمير في ترونها
عائد الى السموات اي تشاهدون السموات خالية عن عمد واحتمال هذا الوجه ان يكون ترونها كلاما مستانفا
واحتمل ان يكون جملة حالية اي رفعها مرئية لكم بغير عمد وهي حال مقدرة لانه حين رفعها لم تكن مخلوقين وقيل الضمير
في ترونها عائد على عمد اي بغير عمد مرئية فترونها صفة للعمد ويدل على كونه صفة لعمد قراءة ابي ترونه
فعاد الضمير مذكرا على لفظ عمد اذ هو جمع قال ابن عطية اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة
كرسول ورسل انتهى وهذا وهم وصوابه بضم الحرفين لان الثالث هو حرف الاعراب فلا يعتبر ضمه في كيفية الجمع
وهذا التخريج يحتمل وجهين احدهما انها لها عمد ولا ترى تلك العمد وهذا ذهب اليه مجاهد وقتادة وقال ابن
عباس وما يدريك انها بعمد لا ترى وحكى بعضهم ان العمد جبل قاف المحيط بالارض والسما عليه كالقبة والوجه
الثاني ان يكون نفي العمد والمقصود نفي الرؤية عن العمد فلا عمد ولا رؤية اي لا عمد لها فترى والجمهور على ان السموات
لا عمد لها البتة ولو كان لها عمد لاحتاجت تلك العمد الى عمد ويتسلسل الامر فالظاهر انها ممسكة بالقدرة الالهية
الا ترى الى قوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ونحو هذا من الآيات وقال ابو عبد الله الرازي
العماد ما يعتمد عليه وهذه الاجسام واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى فعمدها قدرة الله فلها عماد
في الحقيقة الا ان تلك العمد امساك الله تعالى وحفظه وتدبيره وابقاؤه اياها في الجو العالي وانتم لا ترون ذلك
التدبير ولا تعرفون كيفية الامساك انتهى وعن ابن عباس ليست من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها
والابعد من ذهب الى ان ترونها خبر في اللفظ ومعناه الامر اي روها وانظروا هل لها عمد وتقدم تفسير ثم استوى
على العرش قال ابن عطية ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لان الاستوا على العرش قبل رفع السموات وفي الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض انتهى قوله تعالى وسخر

الشمس والقمر اي ذللهما لما يريد منهما وقيل لمنافع العباد وعبر بالجريان عن السير لانه يعني سرعة وكل مضافه في التقدير والظاهر ان المحذوف موضع الشمس والقمر اي كلهما يجري الى اجل مسمى وقال ابن عطيه والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب ولذلك قال وكل يجري الى اجل مسمى اي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من المسخر وكل يقتضي الاضافه ظاهره او مقدره انتهى وشرح كل شي بقوله اي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من ذكر جريانهما الى اجل مسمى وعزير ان يقول على زعمه الكواكب في ضمن ذكرهما اي كل منهما ومما هو في معناهما الى اجل مسمى قال ابن عباس منازل الشمس والقمر هي الحدود التي لا تتعداها قدر لكل منهما اجل يتم ااخاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطو وقيل الاجل المسمى هو يوم القيامه فعنده ينقطع الجريان والتسيير كما قال تعالى اذا الشمس كورت وقال وجمع الشمس والقمر ومعنى تدبير الامر انفاده وابرامه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام اذ التدبير انما هو النظر في ادبار الامور وعواقبها وذلك من صفات البشر والامر امر ملكوته وربوبيته وهو عام في جميع الامور من ايجاد واعدام واحيا وامانه وانزال وحي وبعثة رسل وتكليف وغير ذلك وقال مجاهد يدبر الامر بقضيه وحده ويفصل الايات جعلها فصولا مبينة مميزا بعضها من بعض والايات هنا دلالاته وعلاماته في سمواته على وحدانيته او ايات الكتب المنزله وايات القران اقوال وقرا النخعي وابو زيد وابان بن تغلب عن قتادة ندبر الامر نفصل بالنون فيهما وكذا قال ابو عمرو الداني عن الحسن فيهما ووافق في نفصل بالنون الخفاف وعبد الواحد عن ابي عمرو وهبيرة عن حفص وقال صاحب اللوامح جا عن الحسن والاعمش نفصل بالنون فقط وقال المهدوي لم يختلف في يدبر ويفصل كما قال وقد تقدمت قراة ابان ونقل الداني عن الحسن والذي تقتضيه الفصاحه انهما ليس الجملتين. استيناف اخبار عن الله تعالى وقيل يدبر حال من الضمير في وسخر ويفصل حال من الضمير في يدبر والخطاب في لعلكم للكفره وتوقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه. قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لما قدر الدلايل السماويه اردفها بتقدير الدلايل الارضيه ومد الارض بسطها طولا وعرضا ليمكن التصرف فيها والاستقرار عليها قيل مدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقيل كانت مجتمعة عند بيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا قال ابن عطيه وقوله مد الارض يقتضي انها بسيطه لا كره وهذا هو ظاهر الشريعة قال ابو عبد الله الرازي ثبت بالدليل ان الارض كره ولا ينافي ذلك قوله مد الارض وذلك ان الارض جسم عظيم والكره اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى الا ترى انه قال والجبال اوتادا مع ان العالم والناس يستقرون عليها فكذلك هنا وايضا انما ذكر مد الارض ليستدل به على وجود الصانع فتاويل مد الارض انه جعلها بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقصان امر جايز ممكن في نفسه فالاختصاص بذلك المقدار المعين لا بد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهذا يحمل الاستدلال على وجود الصانع انتهى ملخصا وقال ابو بكر الاصم المد البسط الى ما لا يرى منتهاه فالمعنى جعل حجم الارض حجما لا يقع البصر على منتهاها فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هي الان عليه لما كمل الانتفاع به وهذا الذي ذكره من انها لو كانت اصغر الى حد غير مسلم لان المنتفع به من الارض هو المعمور والمعمور اقل من غير المعمور بكثير فلو اراد تعالى ان يجعلها مقدار المعمور المنتفع به لم يكن ذلك ممتنعا فتحصل في قوله مد الارض ثلاثة اقوال بسطها بعد ان كانت مجتمعة واختصاصها بمقدار معين وجعلها حجما كبيرا لا يرى منتهاه والرواسي الثوابت ومنه قول الشاعر ● به خالدات ما يرمن وهامد ● واشعث ارسته الوليدة بالفهر ● والمعنى جبالا رواسي وفواعل الوصف لا يطرد الا في الاناث الا ان جمع التكسير من المذكر الذي لا يعقل يجري مجرى الاناث وايضا فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحايط وحوايط وكاهل وكواهل وقيل رواسي جمع راسيه والها للمبالغه وهو وصف الجبل كانت الارض مضطربه

فثقلها الله تعالى بالجبال في احيازها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم قيل من جهة ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبال في بعض جوانبها دون بعض لا بد ان يكون بتخليق قادر حكيم ومن جهة ما يحصل فيها من المعادن الجوهريه والرخاميه ومنها كالنفط والكبريت يكون الجبل واحدا في الطبع وتاثير الشمس واحد دليل على ان ذلك بتقدير قاهر قادر متعالي عن مشابهة الممكنات ومن جهة تولد الانهار منها قيل وذلك لان الجبل جسم صلب ويتصاعد بخار من قعر الارض اليه ويحتبس هناك فلا يزال يتكامل فيه فيحصل بسببه مياه كثيره فلقوتها تشق وتخرج وتسيل على وجه الارض ولهذا في اكثر الامر اذا ذكر الله تعالى الجبال ذكر الانهار كهذه الايه وكقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا وقوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وقال المفسرون الانهار المياه الجاريه في الارض وقال الكرماني مسيل الما وتقدم الكلام في الانهار في اوايل البقره والظاهر ان قوله ومن كل الثمرات متعلق بجعل ولما ذكر الانهار ذكر ما ينشا عنها من الثمرات والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين يعني انه حين مد الارض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت وقيل اراد بالزوجين هنا الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفه وقال ابن عطيه ان الايه تقتضي ان كل ثمرة موجود فيها زوجان فان اتفق ان يوجد من ثمره اكثر من زوجين فغير ضار في معنى الايه وقال الكرماني الزوج واحد والزوج اثنان ولهذا قيد ليعلم ان المراد بالزوج هنا الفرد لا التثنيه فيكون اربعا وخص اثنين بالذكر وان كان من اجناس الثمار ما يزيد على ذلك لانه الاقل اذ لا نوع تنقص اصنافه عن اثنين انتهى ويقال ان في كل ثمرة ذكرا وانثى واشار الى ذلك الفرا وقال ابو عبد الله الرازي لما خلق تعالى العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل زوج من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم ان المراد النوع او الشخص فلما قال اثنين علمنا انه اول ما خلق من كل زوجين اثنين لا اقل ولا ازيد فالشجر والزرع كبني ادم حصل منهم كثرة وابتداوهم من زوجين اثنين بالشخص وهم ادم وحوى والاستدلال بخلق الثمرات على ما ذكر تعالى من جهة ربو الحبة في الارض ونشو اعلاها واسفلها من الشق الاعلى الشجرة الصاعد من الاسفل العروق الغايصة وطبيعة تلك الحبة واحدة وتاثيرات الطبايع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم يخرج من الاعلا ما يذهب صعدا في الهوى ومن الاسفل ما يغوص في الثرى ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك بتقدير قادر حكيم ثم تلك الشجرة يكون بعضها خشبا وبعضها نورا وبعضها ثمرا ثم تلك الثمرة يحصل فيها اجسام مختلفة الطبايع فذلك بتقدير القادر الحكيم انتهى وفيه تلخيص وقيل تم الكلام عند قوله ومن كل الثمرات فيكون معطوفا على ما قبله من عطف المفردات ويتعلق بقوله وجعل فيها رواسي فالمعنى انه جعل في الارض من كل ذكر وانثى اثنين وقيل الزوج الشمس والقمر وقيل الليل والنهار يغشي الليل النهار تقدم تفسير هذه الجملة وقراتها في الاعراف وخص المتفكرين لان ما احتوت عليه هذه الايات من الصنع العجيب لا يدرك الا بالتفكر. قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ● قطع جمع قطعة وهي الجزء ومتجاورات متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض قال ابن عباس ومجاهد وابو العاليه والضحاك ارض طيبة وارض سبخة تنبت هذه وهذه الى جنبها لا تنبت وقال ابن قتيبة وقتاده يعني القرى المتجاوره وقيل متجاورات في المكان مختلفة في الصفة صلبة الى رخوه وسبخة الى مرة وملحة الى جيدة وصالحة للزرع لا للشجر وعكسها مع انتظام جميعها في الارضيه وقيل في الكلام حذف معطوف اي وغير متجاورات والمتجاورات المدن وما كان عامرا وغير المتجاورات الصحاري وما كان غير عامر قال ابن عطيه والذي يظهر من وصفه لها بالتجاور انما هو من تربة واحدة ونوع واحد وموضع

العبر في هذا ابين لانها مع اتفاقها في الترب والما يفضل القدرة والارادة بعض اكلها على بعض كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم حين سُيل عن هذه الاية فقال الدقل والفارسي والحلو والحامض وقال ابن عطية ايضا وقيد
منها في هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك في الاكل اغرب وفي بعض المصاحف قطعا
متجاورات بالنصب على جعل وقرا الجمهور وجنات بالرفع وقرا الحسن بالنصب باضمار فعل وقيل عطفا على رواسي
وقال الزمخشري بالعطف على زوجين اثنين او بالجر على كل الثمرات انتهى والاولى اضمار فعل لبعد ما بين المتعاطفين في هذه
التخاريج والفصل بينهما بجمل كثيرة وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع في الجميع على
مراعاة قطع وقال ابن عطية عطفا على اعناب وليست عبارة محررة ايضا لان فيها ما ليس بعطف وهو قوله
صنوان قال وجعل الجنة من الاعناب من رفع الزرع والجنة حقيقة انما هي الارض التي فيها الاعناب وفي ذلك
تجوز ومنه قول الشاعر ○ كان عيني في غربي مقتلة ○ من النواضح تسقي جنة سحقا ○ اي نخيل جنة اذ لا يوصف
بالسحق الا النخل ومن خفض الزرع والنخيل جعل الجنات من مجموع ذلك لا من الزرع وحده لانه لا يقال للمزرعة جنة الا اذا خالطها
شجرات وقرا الجمهور صنوان بكسر الصاد فيهما وابن مصرف والسلمي وزيد بن علي بضمها والحسن وقتادة بفتحها
وبالفتح هو اسم للجمع كالسعدان وقرا عاصم وابن عامر وزيد بن علي يسقى بالياء اي يسقى ما ذكر وباقي السبعة بالتاء
وهي قراءة الحسن وابي جعفر واهل مكة انثوا لعود الضمير على ما تقدم ولقوله ونفضل بالنون وحمزة
والكسائي بالياء وابن محيصن بالياء في يسقى وفي نفضل وقرا يحيى بن يعمر وابو حيوة والحلبي عن عبد الوارث ويفضل
بالياء وفتح الضاد بعضها بالرفع قال ابو حاتم وجدته كذا في مصحف يحيى بن يعمر وهو اول من نقط المصاحف
وتقدم في سورة البقرة خلاف القرا في ضم كاف الاكل وسكونها والاكل بضم الهمزة الماكول كالنقض بمعنى
المنقوض وبفتحها المصدر وظاهر من تفسير اكثر المفسرين للصنوان ان يكون قوله صنوان صفة لقوله ونخيل
ومن فسر منهم بالمثل جعله وصفا لجميع ما تقدم اي اشكال وغير اشكال قيل ونظير هذه الكلمة قنو وقنوان
ولا يوجد لهما ثالث ونص على الصنوان لانها بمثابة التجاور في القطع وظهر فيها مزية اختلاف الاكل ومعنى
بماء واحد مطرا او ما بحرا او ما نهرا او ما عينا او ما شيء لا يسيل على وجه الارض وخص التفضيل في الاكل وان
كانت متفاضلة في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات الاخرى الى تفاوتها في الاشكال والالوان
والروايح والمنافع وما يجري مجرى ذلك قيل نبه تعالى في هذه الاية على قدرته وحكمته وانه المدبر للاشيا
كلها وذلك ان الشجر تخرج اغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تتاخر عنه ولا تتقدم ثم يتصعد الما في ذلك
الوقت علوا وليس من طبعه الا التسفل ثم يتفرق ذلك الما في الورق والاغصان والثمر كل بقسطه وبقدر
ما فيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والما واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبر دبره وحكمة
لا يشبه المخلوق قال الراجز ○

○ والارض فيها عبرة للمعتبر ○ تخبر عن فعل مليك مقتدر ○ تسقى بماء واحد اشجارها ○ ○
ونقعة واحدة قرارها ○ والشمس والهوى ليس يختلف ○ واكلها مختلف لا يأتلف ○
لو ان ذا من عمل الطبايع ○ او انه صنعة غير صانع ○ لم يختلف وكان شيئا واحدا ○ ○
هل يشبه الاولاد الا الوالدا ○ الشمس والهوى يا معاند ○ والما والتراب شي واحد ○
فما الذي اوجب ذا التفاضلا ○ الا حكيم لم يرده باطلا ○ وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى
لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة فسطحها فصارت قطعا متجاورة فنزل عليها ما واحد من السما فتخرج
هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخا وملحا وخبثا وكذلك الناس خلقوا من ادم فنزلت عليهم من السما تذكرة

فرقت

فرقت قلوب وخشعت قلوب وقست قلوب ولهت قلوب وقال الحسن ما جالس احد القران الا قام عنه بزيادة او نقصان
قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية
ان في ذلك قال ابن عباس في اختلاف الالوان والروايح والطعوم لايات لحججا ودلالات لقوم يعقلون يعلمون الادلة
فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه الاية ناشيا في غاية الوضوح من
مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتفضيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الاية التي قبلها فان
الاستدلال بها يحتاج الى تامل ومزيد نظر جا ختمها بقوله لقوم يتفكرون قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم
أإذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ○ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
وان ربك لشديد العقاب ○ لما اقام الدلايل على عظيم قدرته بما اودعه من الغرايب في ملكوته التي لا يقدر
عليها سواه عجب الرسول عليه السلام من انكار المشركين وحدانيته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فقال وان
تعجب قال ابن عباس وان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب وقيل وان تعجب يا محمد
من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعد ما عرفوا الدلايل الدالة على التوحيد فهذا اعجب وقال الزمخشري
وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشا ما عدد عليك
من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شي عليه وايسر فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب انتهى
وليس مدلول اللفظ ما ذكر لانه جعل متعلق عجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث وجواب الشرط
هو قولهم في انكار البعث فاتحد الجزا والشرط اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم
في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم أإذا متنا الاية وكان المعنى الذي ينبغي ان
يتعجب منه هو انكار البعث لانه تعالى هو المخترع للاشيا ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الصرف كان
قادرا على الاعادة كما قال تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي هين عليه وقال ابن عطية
هذه الاية توبيخ للكفرة اي ان تعجب يا محمد من جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم اهل لذلك وعجب وغريب انكر
فلو بهم العود بعد كونهم ترابا ان خلقا جديدا ويحتمل اللفظ منزعا اخر اي ان كنت تريد عجبا فهلم فان من اعجب العجب
قولهم انتهى واختلف القرا في الاستفهامين اذا اجتمعا في احد عشر موضعا هنا موضع وكذا في المؤمنون وفي
العنكبوت وفي النمل وفي السجدة وفي الواقعة وفي والنازعات وفي بني اسرائيل موضعان وكذا في الصافات
فقرا نافع والكسائي بجعل الاول استفهاما والثاني خبرا الا في العنكبوت والنمل بعكس نافع وجمع الكسائي
بين الاستفهامين في العنكبوت واما في النمل فعلى اصله الا انه زاد نونا فقرا اننا لمخرجون وقرا ابن عامر بجعل الاول
خبرا والثاني استفهاما الا في النمل والنازعات فعكس وزاد في النمل نونا كالكسائي والا في الواقعة فقراها
باستفهامين وهي قراءة باقي السبعة في هذا الباب الا ابن كثير وحفصا قرا في العنكبوت بالخبر في الاول وبالاستفهام
في الثاني وهم على اصولهم في اجتماع الهمزتين من تخفيف وتحقيق وفصل بين الهمزتين وتركه وقوله فعجب هو خبر مقدم
ولا بد فيه من تقدير صفة لانه لا يتمكن المعنى بمطلق فلا بد من قيد وتقديره والله اعلم فعجب اي عجب او
فعجب غريب واذا قدرناه موصوفا جاز ان يعرب مبتدا لانه نكرة فيها مسوغ الابتدا وهو الوصف وقد
وقع موقع الابتدا ولا يضر كون الخبر معرفة وذلك كما اجاز سيبويه في كم مالك المسوغ الابتدا به وهو استفهام
وفي نحو اقصد رجلا خير منه ابوه لمسوغ الابتدا ايضا وهو كونه عاملا فيما بعده وقال ابو البقا وقيل عجب
بمعنى معجب قال فعلى هذا يجوز ان يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذي اجازه لا يجوز لانه لا يلزم من كون الشي

بمعنى الشيء ان يكون حكمه في العمل كحكمه فعجب بمعنى اعجب لا يعمل الا ترى ان فعلا كذبح وفعلا كقبض وفعلة كغرفة
هي بمعنى مفعول ولا يعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض ماله ولا برجل غرفة ماؤه بمعنى مذبوح
كبشه ومقبوض ماله ومغروف ماؤه فقد نصوا على ان هذه تنوب في الدلالة لا العمل عن المفعول وقد حصر
النحويون ما يعمل عمل الفاعل وليس منها المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل والظاهر ان ابذا معمول لقولهم محكي
به وقال الزمخشري ابذا متنا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع به لانه من قولهم انتهى وهذا اعراب متكلف
وعدول عن الظاهر واذا متمحضة للظرف وليس فيها معنى الشرط فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل
عليه الجملة الثانية وتقديره انبعث او انحشر واولئك اشارة الى قائلي تلك المقالة وهي تقرير مصمم على انكار
البعث فلذلك حكم عليهم بالكفر اذ عجزوا قدرة الله عن اعادة ما انشا واخترع ابتدا ولما حكم عليهم بالكفر في الدنيا
ذكر ما يؤولون اليه في الاخرة على سبيل الوعيد وابرز ذلك في جملة مستقلة مشارا اليهم والظاهر ان الاغلال
تكون حقيقة في اعناقهم في الاخرة كما قال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل وقيل يحتمل ان يكون مجازا اي هم
مغلولون عن الايمان فتجري اذ ذاك مجرى الطبع والختم على القلوب كما قال تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا وكما قال
الشاعر ● لهم عن الرشد اغلال واقياد ● وقيل الاغلال هنا عبارة عن اعمالهم الفاسدة في اعناقهم كالاغلال
ثم ذكر ما يستقرون عليه في الاخرة وابرز ذلك في جملة مستقلة مشارا اليهم ردا عليهم ما انكروه من البعث اذ
لا يكونون اصحاب النار الا بعد الحشر ولما كانوا امنوا قد حن بالعذاب ان اصروا على الكفر وكانوا مكذبين بما انذروا به
من العذاب سالوا واستعجلوا في الطلب بايتاء العذاب وذلك على سبيل الاستهزا كما قالوا فامطر علينا ●
حجارة وقالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا قال ابن عباس السيئة العذاب والحسنة العافية وقال
قتادة بالشر قبل الخير وقيل بالبلا والعقوبة قبل الرخا والعافية وهذه الاقوال متقاربة وقد خلت من قبلهم المثلات
اي يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بنظرائهم من مكذبي الرسل في الامم السالفة وهذا يدل على سخف عقولهم اذ يستعجلون
بالعذاب والحالة هذه فلو انه لم يسبق تعذيب امثالهم لكانوا ربما يكون لهم عذر ولكنهم لا يعتبرون فيستهزؤن ●
قال ابن عباس المثلات العقوبات المستاصلات كمثلة قطع الانف والاذن ونحوهما وقال السدي النقمات وقال قتادة
وقايع الله الفاضحة كمسخ القردة والخنازير وقال مجاهد الامثال المضروبة وقرا الجمهور بفتح الميم وضم الثاء ومجاهد
والاعمش بفتحهما وقرا عيسى بن عمر وفي رواية الاعمش وابو بكر بضمهما وابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء وابن مصرف
بفتح الميم وسكون الثاء وانه لذو مغفرة للناس على ظلمهم ترجية للغفران وعلى ظلمهم في موضع الحال والمعنى انه يغفر
لهم مع ظلمهم انفسهم باكتساب الذنوب اي ظالمين انفسهم قال ابن عباس ليس في القران اية ارجى من هذه وقال الطبري
يغفر لهم في الاخرة وقال القاسم بن يحيى وقوم يغفر لهم الظلم السالف بتوبتهم في المستانف وقيل يغفر السيئات الصغيرة
لمجتنب الكباير وقيل يغفر لهم بستره وامهاله فلا يعجل لهم العذاب مع تعجيلهم بالمعصية قال ابن عطية والظاهر من معنى
المغفرة هنا هو ستره في الدنيا وامهاله للكفرة الا ترى التيسير في لفظ مغفرة وانها منكرة مقللة وليس فيها مبالغة
كما في قوله تعالى واني لغفار لمن تاب ولحظ الاية يعطي هذا الا ترى حكمه عليهم بالنار ثم قال ويستعجلونك فلما ذكر
سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فاخبر بسيرته في الامم وانه يمهل مع ظلم الكفر انتهى وشديد العقاب
تخويف وارتقاب بعد ترجية وقال سعيد ابن المسيب لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
عفو الله ومغفرته لما هنا احدا عيش ولولا عقابه لاتكل كل احد وفي حديث اخر ان العبد لو علم قدر عفو الله
لما امسك عن ذنب ولو علم قدر عقوبته لقمع نفسه في عبادته عز وجل قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ● عن ابن عباس لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده

على

على صدره فقال انا المنذر واوما بيده الى منكب علي فقال انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي وقال
القشيري نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ابن ابي طالب والذين كفروا مشركو العرب او من انكر نبوته من
مشركيهم والكفار ولم يعتدوا بالايات الخارقة المنزلة كانشقاق القمر وانقياد الشجر وانقلاب العصا ثعبانا ونبع
الما من بين الاصابع وامثال هذه فاقترحوا عنادا ايات كالمذكورة في سبحان وفي الفرقان كالتفجير للينبوع
والرقي في السما والملك والكنز فقال تعالى لنبيه عليه السلام انما انت منذر تخوفهم من سوء العاقبة وناصح
كغيرك من الرسل وليس لك الاتيان بما اقترحوا اذ قد اتى بايات مثل الحصى والايات كلها متماثلة في صحة الدعوة
لا تفاوت فيها فالاقتراح انما هو عناد ولم يجر الله العادة باظهار الايات المقترحة الا للامة التي ختم تعذيبها
واستيصالها وهاد يحتمل ان يكون قد عطف على منذر وفصل بينهما بقوله لكل قوم لاجل الفاصلة فيكون
من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فالتقدير منذر وهاد لكل قوم وبه قال عكرمة وابو الضحى كانه اخذ
ولكل قوم هاد على العموم فمعناه داع الى الهدى كما قال بعثت الى الاسود والاحمر فان اخذت هاد على خصوص
فلكل قوم مخصوص اي ولكل قوم قابلين للهداية هاد وقيل ولكل امة سلفت هاد اي نبي يدعوهم
والقصد فليس امرك ببدع ولا منكر وبه قال مجاهد وابن زيد والزجاج قال نبي يدعوهم بما يعطى من الايات
لا بما يتحكمون فيه من الاقتراحات ونبههم الزمخشري فقال هاد من الانبيا يهديهم الى الدين ويدعوهم الى
الله تعالى بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبيا شرعا واحدا في ايات مخصوصة وقالت فرقة الهادي
في هذه الاية هو الله تعالى روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وهاد على هذا مخترع للارشاد
قال ابن عطية والالفاظ تتعلق بهذا المعنى وتعرف ان الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع وقال الزمخشري
في هذا القول وجه اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون فلا يهمنك ذلك
انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان بالالجا والذي يثبته بالالجا هو الله تعالى انتهى
ودل كلامه اخرا على الاعتزال وقال في معنى القول الذي تبع فيه مجاهدا وابن زيد ما نصه ولقد دل بما اردفه
من ذكر ايات علمه وتقديره الاشيا وعلى قضايا حكمته ان اعطا كل منذر ايات امر مدبر بالعلم النافذ ●
مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى المقترح خيرا ومصلحة لاجابهم اليه وقال الزمخشري ايضا في
معنى ان الهادي هو الله تعالى اي بالالجا على زعمه ما نصه واما هذا الوجه الثاني فقد دل به على ان من هو
قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره انتهى ●
وقالت فرقة الهادي علي ابن ابي طالب وان صح ما روي عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الاية فانما
جعل الرسول عليه السلام علي ابن ابي طالب مثالا من علما الامة وهداتها الى الدين فكانه قال انت يا علي
هذا وصفك ليدخل في ذلك ابو بكر وعمر وعثمان وسائر علما الصحابة ثم كذلك العلما كل عصر فيكون المعنى
على هذا انما انت يا محمد منذر ولكل قوم في القديم والحديث دعاة هداة الى الخير وقال ابو العالية الهادي
العمل وقال علي ابن عيسى ولكل قوم سابق سبقهم الى الهدى وهذا يرجع الى ان الهادي هو النبي الذي لا [illegible] القوم
لانه لا يسبق الى الهدى الا الانبيا وليتبعه القوم وقيل هاد قايد الى الخير او الى الشر قال تعالى في الخير وهدوا الى
الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد وقال في الشر فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابو صالح ووقف ابن
كثير على هاد وواق حيث وقعا وعلى وال هنا وباق في النحل باثبات اليا وباقي السبعة بحذفها وفي الاقناع
لابي جعفر ابن الباذش عن ابن مجاهد الوقف على جميع الباب لابن كثير باليا وهذا لا يعرفه المكيون وفيه عن ابي
يعقوب الازرق عن ورش انه خير في الوقف في جميع الباب بين ان يقف باليا وبين ان يقف بحذفها والباب هو

كل معدود عن ميمون غير منصرف **قوله تعالى** الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده
بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد
الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال مناسبة هذه الآية لما قبلها هو ما نبه عليه الزمخشري من
أنه تعالى لما طلب الكفار أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم آية وكم آية ترك تلك ردف ذلك بذكر آيات علمه
الباهرة وقدرته النافذة وحكمته البليغة وأن ما أنزل عليه من الآيات كافية لمن يبصر فلا يقترح آية
غيرها وأن نزول الآيات إنما هو على ما يقدره تعالى وقيل مناسبة ذلك أنه لما تقدم إنكارهم البعث لتفرق الأجزاء
واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهيأ الامتياز بينها نبه على إحاطة علمه وأن من كان عالما بجميع المعلومات
هو قادر على إعادة ما أنشأ وقيل مناسبة ذلك أنهم لما استعجلوا بالسيئة نبه على علمه بجميع المعلومات وأنه إنما
أنزل العذاب بحسب ما يعلم كونه مصلحة قال ابن عطية نص في هذه المثال المنبهة على قدرة الله تعالى القاضية
بتجويز البعث فمن ذلك لواحد من الجنس التي هي مفاتح الغيب يعني التي لا يعلمها إلا هو وهي ما تحمله الإناث من الأجنة
من كل نوع من الحيوان وهذه البداءة تبين أنه لا يتعذر على القادر عليها الإعادة والله يعلم كلام مستأنف مبتدأ
وخبر ومن فسر الهادي بالله جاز أن يكون الله خبر مبتدأ محذوف أي هو الله ثم ابتدأ إخبارا عنه فقال يعلم
ويعلم هنا متعدية إلى واحد لأنه لا يراد هنا النسبة إنما المراد تعلق العلم بالمفردات وما جوزوا أن تكون
بمعنى الذي والعائد عليها في صلاتها محذوف ويكون تغيض متعديا وأن تكون مصدرية فيكون تغيض
وتزداد لازمين وسماع تعديتهما ولزومهما ثابت من كلام العرب وأن تكون استفهامية مبتدأ وتحمل خبره ويعلم
معلقة والجملة في موضع المفعول وتحمل هنا من حمل البطن لا من الحمل على الظهر وفي مصحف أبي ما تحمل كل أنثى
وما تضع وتحمل على التفسير لأنها زيادة لم تثبت في سواد المصحف قال ابن عباس تغيض تنقص من الخلقة
وتزداد تتم وقال مجاهد غيض الرحم أن يهريق دما على الحمل فيضعف الولد في البطن ويشحب فإذا بقي الولد
في بطنها بعد تسعة أشهر مدة تحمل فيها من جسمه وصحته ما نقص بهراقة الدم انتهى كلام ابن عباس وقال
عكرمة تغيض بظهور الحيض في الحمل وتزداد بدم النفاس بعد الوضع وقال قتادة الغيض السقط والزيادة
البقاء فوق تسعة أشهر وقال الضحاك غيض الرحم أن تسقط المرأة الولد والزيادة أن تضعه لمدة كاملة تامة
وعن الضحاك أيضا الغيض النقص من تسعة أشهر والازدياد إلى سنتين وقيل من عدد الأولاد فقد تحمل واحدا
وقد تحمل أكثر وقال الجمهور غيض الرحم الدم على الحمل قال الزمخشري إن كانت موصولة يعني ما فالمعنى أنه يعلم
ما تحمل من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من
الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام تنقصه وما تزداده أي تأخذه زائدا تقول أخذت
منه حقي وازددت منه كذا ومنه وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه
الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة
في بطن أمه ومنه جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فإنه يكون أقل من تسعة أشهر وما
زاد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى الأربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك وقيل إن الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية
فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها فلا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله
ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعل غير

متعد

متعد ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن تقع الثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن يزيد على تسعة أشهر
وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام انتهى وهو جمع ما قاله المفسرون مفرقا
وبمقدار بقدر ويطلق المقدار على القدر وعلى ما يقدر به الشيء والظاهر عموم قوله وكل شيء عنده بمقدار
أي بحد لا يتجاوزه ولا ينقص عنه وقال ابن عباس وكل شيء من الثواب والعقاب عنده بمقدار أي بقدر الطاعة
والمعصية وقال الضحاك من الغيض والازدياد وقال قتادة من الرزق والأجل وقيل صحة الجنين ومرضه وموته
وحياته ورزقه وأجله والأحسن حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على التخصيص لأنه لا دليل عليه والمراد
من العندية العلم أي هو تعالى عالم بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في
تلك المعلومات وقيل المراد بالعندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت بعينه وحالة معينة بمشيئته
الأزلية وإرادته السرمدية ولما ذكر أنه عالم بأشياء خفية لا يعلمها إلا هو وكانت أشياء جزئية
من خفايا علمه ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء فعلمه تعالى متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنه
وقيل الغائب المعدوم والشاهد الموجود وقيل ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر للحس وقرأ زيد بن علي
عالم الغيب بالنصب الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر
عن صفات المحدثين وتعالى عنها وأثبت ابن كثير وأبو عمرو في رواية ياء المتعال وقفا ووصلا وهو الكثير في
لسان العرب وحذفها الباقون وقفا ووصلا لأنها كذلك رسمت في الخط واستشهد سيبويه بحذفها في
الفواصل وفي القوافي وأجاز غيره حذفها مطلقا ووجه حذفها مع أنها تحذف مع التنوين وإن تعاقب
التنوين فحذفت مع المعاقب إجراء له مجرى المعاقب ولما ذكر تعالى أنه عالم الغيب والشهادة على العموم ذكر تعالى
تعلق علمه بشيء خاص من أحوال المكلفين فقال تعالى سواء منكم من أسر القول الآية والمعنى سواء في علمه المسر القول
والجاهر به لا يخفى عليه شيء من أقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا بمعنى مستو وهو
لا يثنى في أشهر اللغات وحكى أبو زيد تثنيته فتقول هما سواءان وقيل هو على حذف أي سواء منكم
سر من أسر القول وجهر من جهر به وأعربوا سواء خبر مبتدأ ومن أسر والمعطوف عليه مبتدأ وجوزوا أن يكون
سواء مبتدأ لأنه موصوف بقوله منكم ومن المعطوف الخبر وكذا أعرب سيبويه قول العرب سواء عليه الخير والشر
وقول ابن عطية إن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة لا يصح وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر
وقال مجاهد مستخف بالمعاصي وتفسير الأخفش وقطرب المستخفي هنا بالظاهر وإن كان موجودا في اللغة ينبو عنه
اقترانه بالليل واقتران السارب بالنهار وتقابل الوصفان في قوله ومن هو مستخف إذ قابل من أسر القول وفي
قوله وسارب بالنهار إذ قابل ومن جهر به والمعنى والله أعلم أنه تعالى محيط علمه بأقوال المكلفين وأفعالهم لا يعزب عنه
شيء من ذلك وظاهر التقسيم يقتضي تكرار من لكنه حذف للعلم به إذ قد تقدم قوله من أسر القول ومن جهر به
لكن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين وأجازه الكوفيون ويجوز أن يكون وسارب معطوفا على من لا على مستخف فيصح
التقسيم كأنه قيل سواء شخص هو مستخف بالليل وشخص هو سارب بالنهار ويجوز أن يكون معطوفا على مستخف
وأريد بمن اثنان وحمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو هو وعلى لفظ من في إفراد هو والمعنى سواء اللذان هما
مستخف بالليل والسارب بالنهار هو رجل واحد يستخفي بالليل ويسرب بالنهار ليري تصرفه في الناس قال ابن عطية
فهذا قسم واحد جعل الله نهاره راحته والمعنى هذا والذي أمره كله واحد بريء من الريب سواء في اطلاع الله تعالى
على الكل ويؤيد هذا التأويل عطف السارب دون تكرار من ولا يأتي حذفها إلا في الشعر وتحتمل الآية أن تتضمن
ثلاثة أصناف فالذي يسر طرف والذي يجهر طرف مضاد للأول والثالث متوسط متلون يعصي بالليل

مستخفيا ويظهرا لبراءة بالنهار انتهى وقيل ومن هو مستخف بالليل بظلمته يريد اخفى عمله فيه كما قال الادرهم
وسواد الليل يشفع لي • وقال وكم لظلام الليل عندك من يد • والظاهر عود الضمير في له على من كانه قيل
لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات وقال ابن عباس هو عائد على من في قوله ومن هو مستخف وكذلك
باقي الضماير التي في الاية قال ابن عطية والمعقبات على هذا حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه قال والاية
على هذا في الرؤسا الكافرين واختار هذا القول الطبري وهو قول عكرمة وجماعة وقال الضحاك هو السلطان
المحترس من امر الله المشرك وذكر الماوردي ان الكلمة على هذا التاويل نفي تقديره لا يحفظونه من امر الله انتهى
وحذف لا لا في جواب قسم بعيد قال المهدوي ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من امر الله على ظنه
وزعمه وقيل الضمير في له عائد على الله تعالى اي لله تعالى معقبات ملايكة من بين يدي العبد ومن خلفه ٥
والمعقبات على هذا الملايكة الحفظة على العباد واعمالهم والحفظة لهم ايضا وروي فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهو قول مجاهد والنخعي وقيل الضمير في له عائد على الرسول وان لم يجر له ذكر قريب وقد جرى ذكره في قوله ويقولون
لولا انزل عليه اية من ربه والمعنى ان الله تعالى جعل لنبيه حفظة من متمردي الجن والانس قال ابن زيد الاية في النبي صلى الله
عليه وسلم ونزلت في حفظ الله تعالى له من اربد بن قيس وعامر بن الطفيل في القصة التي سنشير اليها بعد في ذكر الصواعق
والقول الاول في عود الضمير هو الاولى والذي ينبغي ان يحمل عليه وعليه يفسر ونقول لما تقدم ان من اسر القول ومن
جهر به ومن استخفى بالليل ومن سرب بالنهار مستو في علم الله لا يخفى عليه من احوالهم شي ذكر ايضا ان لذلك المذكور
معقبات وهم جماعة من الملايكة تعتقب في حفظه وكلاءته ومعقب وزنه مفعل من عقب الرجل اذا جاء على عقب
الاخر لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه وقال الزمخشري والاصل معتقبات
فادغمت التاء في القاف كقوله تعالى وجا المعذرون يعني المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به انتهى
وهذا وهم فاحش لا تدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمة ولا من كلمتين وقد نص التصريفيون على ان القاف
والكاف كل منهما يدغم في الاخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما واما تشبيهه بقوله وجا المعذرون فلا
يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقد تقدم في براءة توجيهه وانه لا يتعين ذلك فيه واما قوله ويجوز معقبات بكسر
العين فهذا لا يجوز لانه بناه على اصله في ادغام التاء في القاف وقد ذكرنا ان ذلك وهم فاحش والمعقبات
جمع معقبة فقيل الهاء في معقبة للمبالغة فيكون كرجل نسابة وقيل جمع معقبة وهي الجماعة التي تاتي بعد الاخرى جمعت
باعتبار كثرة الجماعات ومعقبة ليست جمع معقب كما ذكر الطبري وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات والتبس الامر
كما ذكر لان ذلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات انما هما كضاربة وضاربات قاله ابن عطية وينبغي ان يتاول
كلام الطبري على انه اراد بقوله جمع معقب انه اطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب وان كان اصله ان يطلق
على مونث وارد من حيث انه جمع جموع التكسير للعاقل يجوز ان يعامل معاملة المفردة المونثة في الاخبار وفي عود الضمير
لقوله العلما قايلة كذا وقولهم الرجال واعضادها وتشبيه الطبري ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا
من حيث صناعة النحويين فبين ان معقبة من حيث يريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع وان معقبات من حيث استعمل
جمعا لمعقبة المستعمل للجموع كرجالات الذي هو جمع رجال وقرا عبيد الله بن زياد على المنبر له المعاقيب وهي قراءة
ابي وابراهيم وقال الزمخشري وقري له معاقيب قال ابو الفتح هو تكسير معقب بسكون العين وكسر القاف كمطعم
ومطاعيم ومقدم ومقاديم وكان معقبا جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة
في معاقبة وقال الزمخشري جمع معقب ومعقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير وقري له
معاقب من اعقب وقرى ابي من بين يديه ورقيب من خلفه وقرا ابن عباس ورقبا من خلفه وذكر عنه

ابو

عنه ابو حاتم لانه قرا له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه وينبغي حمل هذه القراآت على التفسير لا انها
قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون والظاهر ان قوله من امر الله متعلق بقوله يحفظونه
فقيل من للسبب كقولك كسوته من عري ويكون معناها ومعنى الباء سواء كانه قيل يحفظونه بامر الله وباذنه
فحفظهم اياه متسبب عن امر الله لهم بذلك قال ابن جريج يحفظون عليه عمله فحذف المضاف وقال قتادة
يكتبون اقواله وافعاله وقراءة علي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد يحفظونه بامر الله
تؤيد تاويل السببية في من وهذا التاويل قال الزمخشري يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم
بحفظه وقال ابن عطية وقال قتادة معنى من امر الله اي بامر الله اي يحفظونه بما امر الله وهذا تحكم في
التاويل انتهى وليس بتحكم وورود من للسببية ثابت من لسان العرب وقيل يحفظونه من باس الله ونقمته
كقولك حرست زيدا من الاسد ومعنى ذلك اذا اذنب العبد ان الله لهم في ذهابهم ان يمهله رجا ان يتوب عليه وينيب كقوله
قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن ويصير معنى الكلام الى التضمين اي يدعون له بالحفظ من نقمات الله تعالى
رجا توبته ومن جعل المعقبات الحرس وجعلها في رؤسا الكفار فيحفظونه معناه في زعمه وتوهمه
من قدر الله ويدفعون قضاءه في ظنه وذلك لجهالته بالله تعالى ويكون ذلك على معنى التهكم به وحقيقة
التهكم هو ان يخبر بشي ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف وفي الحقيقة هو منتف ولذلك حمل بعضهم
يحفظونه على انه مراد به لا يحفظونه فحذف لا وعلى هذا التاويل في من يكون متعلقه كما ذكرنا فيحفظونه
وهي في موضع نصب وقال الفرا وجماعة في الكلام تقديم وتاخير اي له معقبات من امر الله يحفظونه
من بين يديه ومن خلفه وروي هذا عن مجاهد والنخعي وابن جريج فيكون من امر الله في موضع رفع لانه
صفة لمرفوع ويتعلق اذ ذاك بمحذوف اي كاينة من امر الله تعالى ولا يحتاج في هذا المعنى الى تقدير تقديم
وتاخير بل وصفت المعقبات بثلاث صفات احدها من بين يديه ومن خلفه اي كاينة من بين يديه
والثانية يحفظونه اي حافظات له والثالثة كونها من امر الله وان جعلنا من امر الله بين يديه ومن
خلفه يتعلق بقوله يحفظونه فيكون اذ ذاك معقبات وصفت بصفتين احدهما يحفظونه من بين يديه
ومن خلفه والثانية قوله من امر الله اي كاينة من امر الله غاية ما في ذلك انه بدي بالوصف بالجملة
قبل وصف بالجار والمجرور وذلك سايغ جيد فصيح وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة في الحفظ
اكد فلذلك قدم الوصف بها وذكر ابو عبد الله الرازي في الملايكة الموكلين علينا وفي الكتبة منهم كلاما من
اقوال المنجمين واصحاب الطلسمات ونابر ستماية حكما الاسلام يوقف على ذلك من تفسيره ولما ذكر تعالى
احاطة علمه بخفايا الاشيا وجلاياها وان الملايكة تتعقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم وكان
الصادر منهم خيرا او شرا ذكر تعالى ان ما خولهم فيه من النعم واسبغ عليهم من الاحسان لا يزيله عنهم الى
الانتقام منهم الا بكفرهم تلك النعم واهمال الامر بالطاعة واستبدالها بالمعصية فكان في ذكر ذلك تنبيه
على لزوم الطاعة وتحذير لوبال المعصية والظاهر انه لا يقع تغيير النعم بقوم حتى يقع تغيير منهم
بالمعاصي قال ابن عطية وهذا الموضع مؤول لانه صح الخبر بما قررت الشريعة من اخذ العامة بذنوب
الخاصة وبالعكس ومنه واتقوا فتنة الاية وسؤالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث في اشيا كثيرة فمعنى الاية حتى يقع تغيير اما منهم واما من الناظر لهم او ممن هو منهم بسبب
كما غير الله بالمنهزمين يوم احد بسبب تغيير الرماة ما بانفسهم الى غير هذا من امثلة الشريعة فليس معنى
الاية انه ليس ينزل باحد عقوبة الا بان يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير وكما ايضا مصايب

من يد الله تعالى بها امر المصاب فتلك ليست تغييرا انتهى وفي الحديث اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه
يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقيل هذا يرجع الى قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة فبين تعالى انه لا ينزل
بهم عذاب الاستيصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر والمعاصي لان علم الله تعالى ان فيهم من يؤمن او في
عقبه من يؤمن فانه تعالى لا ينزل بهم عذاب الاستيصال وما موصولة صلتها بقوم وكذا ما بانفسهم وفيما
ابهام لا ينبغي ان يراد بها الانبياء في الكلام فاعتقاد محذوف يتبين به المعنى والتقدير لا يغير ما بقوم
من نعمة وخير الى الضد ذلك حتى يغيروا اما بانفسهم من طاعته الى تولي معصيته والسوء يجمع كل ما يسوء
من مرض وضر وعذاب وغير ذلك من البلاء ولما كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة اقتصر على قوله سوءا
والآفات سوء والجراد اذا اراد الله شيئا منها فلا مرد له فذكر السوء مبالغة في التخويف وقال السدي من
وال من ملجا وقال الزمخشري ممن يلي امرهم ويدفع عنهم وقيل من ناصر يمنع من عذابه **قوله تعالى** هو
الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال
لما خوف تعالى العباد بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له اتبعه بما يشتمل على امور دالة على قدرة
الله تعالى وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه وتقدم الكلام في البرق والرعد والصواعق
والسحاب في البقرة قال ابن عباس والحسن خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقال قتادة خوفا للمسافر
من اذى المطر وطمعا للمقيم في نفعه وقريب منه ما ذكره الزجاج وهو خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر له
وطمعا لمن يرجو الانتفاع به وذكر الماوردي خوفا من العقاب وطمعا في الثواب وعن ابن عباس وعنه
انه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر غالبا وذلك من باب اطلاق الشيء مجازا على ما يقاربه غالبا قال الحوفي خوفا
وطمعا مصدران في موضع الحال من ضمير الخطاب وجوز الزمخشري اي خائفين وطامعين فالمعنى
الخوف والطمع وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب ■ شعر ■
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ■ يرجى الحيا منه ويخشى الصواعق ■ وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر
كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر انتهى
وقوله الاول في تفسير الخوف والطمع هو قول ابن عباس والحسن الذي تقدم وقوله كاهل مصر ليس كما ذكر
بل ينتفعون بالمطر في كثير من اوقات نمو الزرع فانه به ينمو ويجود بل يمر على الزرع اوقات يتضرر
وينقص نموه بامتناع المطر واجاز الزمخشري ان يكونا منصوبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف
وطمع او على ذا خوف وطمع وقال ابو البقاء خوفا وطمعا مفعول من اجله وقال الزمخشري لا يصح ان يكونا
مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع
او على معنى اخافة واطماعا انتهى وانما لم يكونا على ظاهرهما بفعل فاعل الفعل المعلل لان الارادة فعل الله
والخوف والطمع فعل للمخاطبين فلم يتحد الفاعل في الفعل والمصدر وهو الذي ذكره الزمخشري من شرط
اتحاد الفاعل فيهما ليس مجمعا عليه بل من النحويين من لا يشترط ذلك وهو مذهب ابن خروف والسحاب اسم
جنس يذكر ويؤنث ويفرد ويجمع كما قال والنخل باسقات ولذلك جمع في قوله الثقال وعنى بالماء وهو جمع
ثقيلة قال مجاهد وقتادة معناه تحمل الماء والعرب تصفها بذلك قال قيس ابن الخطيم ■ شعر ■
فما روضة من رياض القطا ■ كان المصابيح حوذانها ■ باحسن منها ولا مزنة ■ دلوح تكشف ادجانها ■ والدلوح

الثقله

الثقله والظاهر اسناد التسبيح الى الرعد فان كان مما يصح منه التسبيح فهو اسناد حقيقي وان كان مما لا يصح منه
فهو اسناد مجازي وتنكيره في قوله فيه ظلمات ورعد وبرق ينبغي ان يكون علما للملك وقال ابن الانباري الاخبار عن
الصوت بالتسبيح مجاز كما يقول القائل قد غمني كلامك وقال الزمخشري ويسبح سامعوا الرعد من العباد
الراجين للمطر حامدين له اي يصيحون بسبحان الله والحمد لله وفي الحديث سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن
علي سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم
انتهى وقال ابن عطيه وقيل في الرعد انه ريح يختنق بين السحاب روي ذلك عن ابن عباس وهذا عندي لا يصح
لان هذا نزعات الطبيعيين وغيرهم من الملاحدة وقال ابو عبد الله الرازي اعلم ان المحققين من الحكماء يذكرون
ان هذه الآثار العلوية انما تتم بقوى روحانية فلكية والسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره
وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية وهذا عين ما قلناه ان الرعد اسم لملك من الملائكة يسبح الله
تعالى فهذا الذي قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون من الحكماء فكيف يليق بالعاقل الانكار
وهذا الرجل غرضه جريان ما ينتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة وان يكون ذلك بدا وقد تقدمت
اقوال المفسرين في الرعد في البقرة فلم يجمعوا على ان الرعد اسم للملك وعلى تقدير ان يكون اسما للملك فلا يلزم
ان يكون ذلك الملك يدبر السحاب ولا يحتج اذ لا يستفاد مثل هذا الا من النبي المشهود له بالعصمة لا
من الفلاسفة الضلال والظاهر عود الضمير في قوله من خيفته على الله تعالى كما عاد عليه في قوله بحمده
ومعنى من خيفته من هيبته واجلاله وقيل يعود على الرعد والملائكة اعوانه جعل الله له ذلك
فهم خائفون خاضعون طائعون له والرعد وان كان مندرجا تحت لفظ الملائكة فهو تعميم بعد تخصيص
انتهى هو قول ضعيف ومن مفعول فيصيب وهو من باب الاعمال اعمل فيه الثاني اذ يرسل يطلب من
ويصيب يطلبه ولو اعمل الاول لكان التركيب ويرسل الصواعق فيصيب بها على من يشاء لكن جاء على الكثير
في لسان العرب المختار عند البصريين وهو اعمال الثاني ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته وفي الخبر
ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الى جبار من العرب ليسلم فقال اخبرني عن الهك محمد امن لؤلؤ هو ام
من ذهب فنزلت عليه صاعقة ونزلت الاية فيه وقال مجاهد ناظر يهودي الرسول صلى الله عليه
فبينما هو كذلك نزلت صاعقة فاخذت قحف راسه فنزلت الاية فيه وقال ابن جريج سبب نزولها قصة اربد
ابن ربيعة وعامر ابن الطفيل وذكر قصتهما المشهورة مضمونها ان عامرا توعد الرسول عليه السلام اراد
لو بحبه الى ما طلب والله داربه دام الغناب به فعصمه الله تعالى واصاب عامرا بغدة فمات غريبا واربد
بصاعقة فقتله ولاخيه لبيد فيه عدة مراث منها قوله ■ اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك والاسد
فجعني البرق والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد ■ وهذه الصفات الاربع التي وصلت لها التي تدل
على القدرة الباهرة والتصرف التام في العالم العلوي والسفلي فالمتصف بها ينبغي ان لا يجادل فيه وان
يعتقد ما هو عليه من الصفات العلية والضمير في وهم عائد على الكفار المكذبين للرسول عليه السلام
المنكرين الآيات يجادلون في قدرة الله على البعث واعادة الخلق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم وفي وحدانيته
باتخاذ الشركاء والانداد وبنسبة التوالد اليه بقوله الملائكة بنات الله تعالى والمعنى انه عز وجل متصف
بهذه الاوصاف ومع ذلك رتبوا عليها غير مقتضاها من المجادلة فيه وفي اوصافه تعالى وكان من
مقتضاها التسليم لما جاءت به الانبياء وقيل ثم يجادلون حال من مفعول يشاء اي فيصيب بها من يشاء

في حال جدالهم كما جرى لليهودي ولذلك الجبار ولاربد وهو شديد المحال جملة حالية من الجلالة وقرأ
الجمهور المحال بكسر الميم فعن ابن عباس المحال العداوة وعنه الحقد وعن علي الاخذ وعن مجاهد القوة
وعن وهب الغضب وعن الحسن الهلاك بالمحل وهو القحط وقرأ الضحاك والاعرج المحال بفتح الميم فعن ابن عباس
الحول وعن عبيد الحيلة يقال المحال والمحالة وهي الحيلة ومنه قول العرب في مثل المرء يعجز لا المحالة
قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جا فساعد الله
اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد غاية كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز
غيره الا ترى الى قولهم نقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه والضمير في له عائد على
الله تعالى ودعوة الحق قال ابن عباس دعوة الحق لا اله الا الله وما كان من الشريعة في معناها وقال علي بن
ابي طالب دعوة الحق التوحيد وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه دعوة الحق وقيل دعوة الحق دعاؤه عند
الخوف فانه لا يدعى فيه الا هو كما قال ضل من تدعون الا اياه قال الماوردي وهو اشبه بسياق الاية
وقيل دعوة الطلب الحق اي مرجو الاجابة ودعا غير الله لا يجاب قال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان تضاف
الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة
للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي
سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوته ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعا لما في دعوته
من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز
وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله تعالى وكل دعا اليه دعوة
الحق هذا الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا يظهر لان ما آله الى تقدير لله دعوة الله كما تقول
لزيد دعوة زيد وهذا التركيب لا يصح والذي يظهر ان هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى
الموصوف الصفة كقوله ولدار الاخرة على احد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم
باطلة والمعنى ان الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى وكان
جدالهم في اثبات آلهة معه ذكر تعالى ان له الدعوة الحق اي من يدعو له فدعوته هي الحق بخلاف اصنامهم التي جادلوا
في الله لاجلها فان الدعا وها باطل لا يحصل منه شيء فقال والذين يدعون قال الزمخشري والالهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء
من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا
يقدر ان يجيب دعاه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه
فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه انتهى فالضمير في يدعون عائد على الكفار والعائد على الذين
محذوف اي يدعونهم ويؤيده قراءة من قرأ بالتاء في تدعون وهي قراءة اليزيدي عن ابي عمرو وقيل والذين
اي الكفار الذين يدعون ومفعول يدعون محذوف اي يدعون الاصنام والعائد على الذين الواو في يدعون
والواو في لا يستجيبون عائد في هذا القول على محذوف مفعول يدعون المحذوف وعلى القول الاول على
الذين قال ابن عباس كالناظر الى خياله في الما يريد تناوله فكذا المحتاج يحيل اليه في المحتاج اليه حال الاحتياج اليه
وقال الضحاك كمن يبسط يديه الى الما ليصل اليه بلا اغتراف وقال ابو عبيدة اي كالقابض على الماء ليس على شيء
قال والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بالقابض على الماء وانشد شعر

٩

فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد وقال الاخر واني واياكم وشوقا اليكم كقابض ماء
لم تسعه انامله وقيل شبه الكفار في دعائهم لاصنامهم عند ضرورتهم برجل عطشان لا يقدر على الماء جالس
على شفير بير يدعو الما ليبل غلته فلا هو يبلغ قعر البير الى الما ولا الما يرتفع اليه لانه جماد لا يحس بعطشه
ودعاه وكذلك ما يدعو الكفار من الاوثان جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم
انتهى والكاف في موضع نصب اي مثل استجابة واستجابة مضافة في التقدير الى باسط وهي اضافة المصدر
الى المفعول وفاعل المصدر محذوف تقديره كاجابة الماء من بسط كفيه اليه فلا حذف الطاهر في قوله الى الماء
ولو كان ملفوظا به لعاد الضمير اليه فكان يكون التركيب كفيه اليه هذا الذي يقدر من كلام الزمخشري
في هذا التشبيه وتبعه ابو البقا وقال ابن عطيه ومعنى الكلام الذين يدعونهم الكفار في حوائجهم
ومنافعهم لا يجيبون ثم مثل تعالى مثالا لاجابتهم بالذي يبسط كفيه الى الماء ويشير اليه بالاقبال نحو لا يبلغ
فاه ابدا فكذلك اجابة هولا والانتفاع بهم لا يقع انتهى وفاعل ليبلغ ضمير الما وليبلغ متعلق بباسط
وما هو اي وما الما ببالغه اي ببالغ الغم ويجوز ان يكون هو ضمير الغم والها في ببالغه للما لا الغم ببالغ الماء
لان كلا منهما لا يبلغ الاخر على هذه الحال وقرئ كباسط كفيه بتنوين باسط وما دعا الكافرين الا في
ضلال اي في حيرة او في اضمحلال لانه لا يجدي شيئا ولا يفيد فقد ضاع لله الدعا منهم كما ضل المدعون
قال تعالى اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا قال الزمخشري الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان
دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم وقال ابن عباس اصوات الكافرين محجوبة عن الله تعالى
فلا يسمع دعاهم قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي
الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
قل الله خالق كل شي وهو الواحد القهار ان كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد فهو على عمومها بانقيادهم
الى ما اراده تعالى بهم شاوا او ابوا وانقياد له تعالى ظلالهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلص
والفي والزوال وان كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه
الواضع فيكون عاما مخصوصا اذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين
وبالكره عن سجود من ضمه السيف الى الاسلام كما قال قتادة فيسجد كرها واما نفاقا او يكون الكره اول
حاله فيستمر عليه الصفة وان صح ايمانه بعد وقيل طوعا لا يثقل عليه السجود وكرها يثقل عليه لان
التزام التكاليف مشقة وقيل من طالت مدة اسلامه فالف السجود وكرها من بدا بالاسلام الى ان يالف
السجود قاله ابن الانباري وقيل هو عام على تقدير كون السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وذلك بان
يكون يسجد صيغته صيغة الخبر ومدلوله امرا ويكون معناه يجب ان يسجد له كل من في السموات والارض
فعبر عن الوجوب بالوقوع والذي يظهر ان مساق هذه الاية انما هو ان العالم كله مقهور لله تعالى خاضع
لما اراد منه مقصور على مشيئته لا يكون منه الا ما قدر تعالى فالذين تعبدونهم كائنا ما كانوا داخلون
تحت القهر ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال في السجود والظلال ليست اشخاصا يتصور منها السجود
بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما اراد اذ هي من العالم فالعالم جواهره
واعراضه داخله تحت ارادته كما قال تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شي يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل
سجدا لله وهم داخرون وكون الظلال يراد بها الاشخاص كما قال بعضهم ضعيف لا ضعفه قوله

اي وما

بل

الا ترى انه تعالى جعل الظلال عقولا تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى خاطبت وخوطبت لان الجبل
يمكن ان يكون له عقل بشرط تقدير الحياة واما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به فانما معنى سجود الظلال
ميلها من جانب الى جانب كما اراد تعالى وقال الفراء الظل مصدر يعني في الاصل ثم اطلق على الخيال الذي يظهر
للجرم وطوله بسبب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها فهو منقاد لله في طوله وقصره وميله
من جانب الى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما وتقدم شرح
الغدو والاصال في اخر الاعراف روي ان الكافر اذا سجد لصنمه كان ظله يسجد لله حينئذ وقرا ابو
مجلز والايصال قال ابن جني هو مصدر آصل اي دخل في الاصيل كما تقول اصبح اي دخل في الاصباح ولما
كان السؤال عن امر واضح لا يمكن ان يدفع منه احد كان جوابه من السائل فكان السبق اليه افصح في
الاحتجاج عليهم واسرع في قطعهم من انتظار الجواب منهم اذ لا جواب الا هذا الذي وقعت المبادرة
اليه كما قال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وبعيد ما قاله مكي من انهم جهلوا الجواب فطلبوه
من جهة السائل فاعلمهم به السائل لانه قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فاذا كانوا مقرين بان منشئ السموات والارض ومخترعهما هو الله تعالى فكيف يقال بانهم جهلوا الجواب
فطلبوه من السائل وقال الزمخشري قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب
السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره
تقريرا عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي
ان كفوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه وقال الكرماني قل يا محمد
للكفار من رب السموات والارض استفهام تقرير واستنطاق بانهم يقولون الله فاذا قالوها قل الله اي
هو كما قلتم وقيل فان اجابوك والا فقل الله اذ لا جواب غير هذا انتهى وهو تلخيص القولين اللذين قالهما
الزمخشري وقال البغوي روي انه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا اجب انت فامره الله تعالى ●
فقال قل الله انتهى واستفهم بقوله قل افاتخذتم على سبيل التوبيخ والانكار اي بعد ان علمتم انه تعالى
هو رب السموات والارض فتتخذون من دونه اولياء وتتركونه فجعلتم ما كان يكون سببا للتوحيد من علمكم
واقراركم سببا للاشراك ثم وصف تلك الاولياء بصفة العجز وهي كونها لا تملك لانفسها لا نفعا ولا ضرا ومن
هذه المثابة فكيف يملك لهم نفعا او ضرا ثم مثل بذلك حالة الكافر والمؤمن بحالة الكفر والايمان
وابرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يبادر المخاطب الى الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله قل هل
يستوي الاعمى والبصير ثم انتقل الى الاستفهام عن الوصفين الغائبين بالكافر وهو الظلمات وبالمؤمن
وهو النور وتقدم الكلام في جمع الظلمات وافراد النور في سورة البقرة وقرا الاخوان وابو بكر ام
هل يستوي بالياء والجمهور بالتاء وام في قوله ام هل منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل
هل تستوي وهل وان نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر
اهل رأونا بوادي القف ذي الاكم ● واذا جامعتها مع التصريح بها فالان تجامعها مع ام المتضمنة
لها اولى وهل بعد ام المنقطعة يجوز ان يؤتى بها لشبهها بالادوات الاسمية التي للاستفهام في عدم
الاصالة فيه كقوله ام من يملك السمع والابصار ويجوز ان لا يؤتى بها بعد ام المنقطعة لان ام تتضمنها
فلم يكونوا ليجمعوا بين ام والهمزة لذلك وقال الشاعر في عدم الاتيان بهل بعد ام والاتيان بها ●

هل

● هل ما علمت وما استودعت مكتوم ● ام حبلها اذ نأتك اليوم مصروم ● ام هل كبير بكى لم يقض عبرته ● اثر الاحبة يوم
البين مشكوم ● ثم انتقل عن خطابهم الى الاخبار عنهم غائبا اعراضا عنهم وتنبيها على توبيخهم في جعل شركائه
وتعجيبا منهم وانكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام التهكم بهم لانه معلوم بالضرورة ان هذه الاصنام
وما اتخذوها من دون الله اولياء وجعلوهم شركاء لا يقدر على خلق ذرة ولا ايجاد شيء البتة والمعنى ان هؤلاء
الشركاء لم يخلقوا شيئا حتى يستحقوا العبادة وجعلتم شركاء لله اي جعلوا لله شركاء موصوفين بالخلق مثل
خلق الله فتشابه ذلك الخلق عليهم فيعبدونهم ومعلوم انهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فكيف يشركونهم
بالعبادة افمن يخلق كمن لا يخلق ثم امره تعالى فقال قل الله خالق كل شيء اي موجد الاشياء كلها معبوداتهم وغيرها
وهم ايضا مقرون بذلك ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاحتمل ان يكون قوله وهو
الواحد القهار داخلا تحت الامر بقل فيكون قد امر ان يخبر بانه تعالى الواحد المتفرد بالوحدانية القهار الذي
جميع الاشياء تحت قدرته وقهره واحتمل ان يكون استئنافا اخبارا منه تعالى بهذين الوصفين الوحدانية
والقهر فهو تعالى لا يغالب وما سواه مقهور مربوب له عز وجل قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله
كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب
الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ● قال الزمخشري هذا مثل ضربه
الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق
واهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي
ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس
الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى اثاره في العيون
والابار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه
الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد
الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب وقال ابن عطية صدر هذه الاية تنبيه على قدرة الله تعالى واقامة
الحجة على الكفرة به فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثالا للحق والباطل والايمان والكفر والشك في الشرع
واليقين به انتهى وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للقران والقلوب والحق والباطل فالماء مثل القران
لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والاودية مثل القلوب ومعنى بقدرها على سعة القلوب
وضيقها فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه فظهرت ثمرته وادرك تأويله ومعناه ومنها
دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات والزبد مثل الشكوك والشبه وانكار الكافرين انه كلام الله
ودفعهم اياه والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا وهو قوله صلى الله
عليه وسلم مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا وكانت منها طائفة اجادب
فامسكت الماء فانتفع الناس به فسقوا وزرعوا وكانت منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك
مثل ما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي ارسلت به وقال ابن عطية
وروي عن ابن عباس انه قال قوله تعالى انزل من السماء ماء يريد به الشرع والدين فسالت اودية يريد
القلوب اي اخذ النبيل بحظه والبليد بحظه وهذا قول لا يصح والله اعلم عن ابن عباس لانه ينحو الى

عقب تعالى بهذا المثل مثل الاعمى والبصير
والظلمات والنور زيادة في البيان
والظهور

اقوال اصحاب الرموز وقد تمسك به الغزالي واهل تلك الطريقة ولا توجيه لاخراج اللفظ عن مفهوم كلام
العرب بغير علة تدعو الى ذلك والله الموفق للصواب وان صح ذلك القول عن ابن عباس فانما قصد ان قوله
تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل معناه الحق الذي يتقرر في القلوب والباطل الذي يعتريها ايضا معنى
والما المطر وتكرا اودية لان المطر انما يدل على طريق المناوبة فتسيل بعض الاودية دون بعض معنى بقدرها
اي على قدر صغرها وكبرها او بما قدرها من الماء بسبب نفع الممطور عليهم لا ضررهم الا تري الى قوله و
واما ما ينفع الناس فالمطر مثل الجون صونا من خالص الضرر وقرا الجمهور بقدرها بفتح الدال وقرا الاشهب
العقيلي وزيد بن علي وابو عمرو في رواية بسكونها وقال الحوفي بقدرها متعلق بسالت وقال ابو البقا
بقدر صفة لاودية وعرف السيل لانه عني به ما فهم من الفعل والذي يتضمنه الفعل من المصدر
موكدا فاذا اعاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة ولذلك يضمر اذا عاد ما دل عليه الفعل
من المصدر نحو من كذب كان شرا له اي كان الكذب ولو جا هنا مضمرا لكان جائزا عائدا على المصدر
المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جا افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر ورابيا منتفخا عاليا على
وجه السيل ومنه الربوة ومما يوقدون اي ومن الاشيا التي يوقدون عليها وهي الذهب والفضة
والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما يوقد عليه وله زبد وقرا حمزة والكسائي وحفص
وابن محيصن ومجاهد وطلحة ويحيى واهل الكوفة يوقدون بالياء على الغيبة اي يوقد الناس وقرا باقي السبعة
والحسن وابو جعفر والاعرج وشيبة بالتاء على الخطاب وعليه متعلق بيوقدون وفي النار قال ابو علي
والحوفي متعلق بيوقدون وقال ابو علي قد يوقد على كل شي وليس في النار كقوله فاوقد لي يا هامان على الطين وقال
مكي وغيره في النار متعلق بمحذوف تقديره كائنا او ثابتا ومنعوا تعليقه لقولهم يوقدون لانهم زعموا
انه لا يوقد على شي الا وهو في النار وتعليق حرف الجر بيوقدون يتضمن تخصيص حال من حال اخرى انتهى
ولو قلنا انه لا يوقد على شي الا وهو في النار لجاز ان يكون متعلقا بيوقدون ويكون ذلك على سبيل التوكيد كما
قالوا في قوله يطير بجناحيه وانتصب ابتغا على انه مفعول من اجله وشروط المفعول من اجله موجودة فيه
وقال الحوفي هو مصدر في موضع الحال اي مبتغين حلية وفي ذكر متعلق ابتغا تنبيه على منفعة ما يوقدون
عليه والحلية ما يعمل للنسا مما يتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس
وما اشبههما من الالات التي هي قوام العيش كالاواني والمساحي والات الحرب وقطاعات الاشجار والسكك
وغير ذلك وزبد مرفوع بالابتدا وخبره في قوله ومما يوقدون ومن الظاهر انها للتبعيض لان ذلك
الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن واجاز الزمخشري ان تكون من لابتدا الغاية اي ومنه ينشا
زبد مثل زبد الما والمماثلة في كونهما يتولدان من الاوساخ والاكدار والحق والباطل على حذف مضاف اي
مثل الحق والباطل شبه الحق بما يخلص من جوهر هذه المعادن من الاكدار والخبث ودوام الانتفاع بها وشبه الباطل
بالزبد المجتمع من الخبث والاكدار ولا بقا له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما ينتفع به من الزبد فبدا بالزبد
اذ هو المتاخر في قوله زبدا رابيا وفي قوله زبد مثله وكون الباطل كناية عنه وهو متاخر وهي
طريقة فصيحة يبدا في التقسيم بما ذكر اخرا كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم والبداءة بالسابق فصيحة مثل قوله فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا وكانه والله اعلم
بدا في التفصيل بما هو اهم في الذكر وانتصب جفاء على الحال اي مضمحلا متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء
له والزبد يراد به ما سبق من ما احتمله السيل ومما خرج من خبث المعادن وافرد الزبد ولم يثن وان تقدم

بدان

زبدان لاشتراكهما في مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك وقرا رؤبة جفالا باللام بدل الهمزة
من قولهم جفلت الريح السحاب اذا حملته وفرقته وعن ابي حاتم لا يقرا بقراة رؤبة لانه كان ياكل الفار يعني انه كان
اعرابيا جافيا وعن ابي حاتم ايضا لا تعتبر قراة الاعراب في القران واما ما ينفع الناس اي من الماء الخالص من الغثا
ومن الجوهر المعدني الخالص من الخبث فيمكث في الارض لانتفاع الناس به والكاف في موضع نصب اي مثل ذلك الضرب
لمثل الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر انه لما ضرب مثال الحق والباطل انتقل الى ما لاهل الحق من الثواب
ولاهل الباطل من العقاب فقال للذين استجابوا لربهم الحسنى اي الذين دعاهم الله على لسان رسوله فاجابوا
الى ما دعاهم اليه من اتباع دينه الحالة الحسنى وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمة الله تعالى
ودخول الجنة في الاخرة والحسنى مبتدا وخبره في قوله للذين والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره ما بعده وغاير
بين جملتي الابتدا لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور من الاعتنا والاهتمام وعلى راي الزمخشري من الاختصاص
اي لهولا الحسنى لا لغيرهم وكان قراة شيوخنا يقفون على قوله الامثال ويبتدئون للذين وعلى هذا فهو
اعراب الحوفي الحسنى مبتدا والذين خبره وقاله ابن عطيه وغيره من السلف قال ابن عباس جزا الحسنى وهي لا اله الا
الله وقال مجاهد الحياة الحسنى هي الطيبة وقيل الجنة لانها في نهاية الحسن وقيل المكافاة اضعافا وعلق الزمخشري
للذين بقوله يضرب فقال للذين استجابوا متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين
استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا ذكر ما اعد لغير المستجيبين انتهى والتفسير الاول اولى لانه
فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب امثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما ولانه
فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب
ولان تقدير الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة ومقابلها ليس نفي الاستجابة مطلقا انما
مقابلها نفي الاستجابة الحسنى والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقا ولانه على قوله يكون قوله لو ان لهم
ما في الارض جميعا كلاما مفلتا مما قبله او كالمفلت اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين والكافرين
لو ان لهم ما في الارض فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت وايضا فيوهم الاشتراك في الضمير
وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما وايضا فقد جا هذا التركيب وتقدم تفسير مثل قوله لو ان لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وسو الحساب قال ابن عباس ان لا تقبل حسنة منهم ولا تغفر
سيئة لهم وقال النخعي وشهر وفرقد ان يحاسب على ذنوبه كلها ويواخذ بها من غير ان تغفر له شي وقال ابو
الجوزا المناقشة وقيل التوبيخ عند الحساب والتقريع وتقدم تفسير مثل وماواهم جهنم وبئس المهاد المفرد
القارعة الرزية التي تقرع قلب صاحبها اي تضربه بشدة كالقتل والاسر والنهب وكشف الحريم وقال الشاعر
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض ابت عيدانه ان تكسرا اي ضربنا بقوة وقال الزجاج القارعة في
اللغة النازلة الشديدة تنزل بامر عظيم المحو الازالة محوت الخط اذا ذهبت به ومحا المطر رسم الدار
اذهبه وازاله ويقال في مضارعه يمحو ويمحا لان عينه حرف حلق والاثبات ضد المحو قوله تعالى افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سو الحساب والذين صبروا ابتغا وجه ربهم
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام

عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال ابن عباس نزلت أفمن يعلم في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر بن الخطاب وأبي
جهل وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل قرأ زيد بن علي ومن بالواو بدل الفاء إنما أنزل مبنيا للفاعل ولما
ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن من الثواب وما للكافر من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء
وأنكر ذلك فقال أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي ليسا مستويين لأن العالم بالشيء بصير به
والجاهل به كالأعمى والمراد عمى البصيرة ولذلك قابله بالعلم والهمزة للاستفهام المراد به الإنكار أن تقع شبهة
بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أن ما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم
يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز ثم ذكر أنه لا يتذكر بالموعظة وضرب
الأمثال إلا أصحاب العقول والفاء للعطف وقدمت همزة الاستفهام لأنه صدر الكلام والتقدير فأمن
يعلم وتبعدها أن يكون فعل محذوف بين الهمزة والفاء والفاء عاطفة ما بعدها على ذلك الفعل كما قدره الزمخشري
في قوله أفلم يسيروا وقوله أفلا يعقلون وجوزوا في الذين أن يكون بدلا من أولوا وصفة لمن من قوله
أفمن يعلم وأن ينتصب بأعني ومبتدأ خبره أولئك لهم عقبى الدار لقوله والذين ينقضون ثم قال أولئك
لهم اللعنة والظاهر عموم العهد وقيل هو خاص وقال السدي ما عهد إليهم في القرآن وقال قتادة في الأول
وهو قوله ألست بربكم قاله الوائلي وقال القفال ما في جبلتهم وعقولهم من دلائل التوحيد والنبوات وقيل في
الكتب المتقدمة والقرآن وقيل المأخوذ على ألسنة الرسل وقيل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والظاهر إضافة العهد إلى الفاعل أي بما عهد الله والظاهر أن قوله ولا ينقضون الميثاق
جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لأن العهد هو الميثاق ويلزم من إيفاء العهد انتفاء نقضه
وقال الزمخشري وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله تعالى
وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد تعميم بعد تخصيص انتهى فأضاف العهد إلى المفعول
وفرق بين الجملتين بكون الثانية تعميما بعد تخصيص إذ أخذ الميثاق عاما بينهم وبين الله تعالى وبين العباد
وقال ابن عطية بعهد الله اسم للجنس أي بجميع عهود الله وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل في
هذه الألفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون الميثاق أي إذا اعتقدوا في
طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة وتقدم إليه أي عبادة في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع
وعشرين آية ويحتمل أن يشير إلى ميثاق معين وهو الذي أخذه الله تعالى على ظهر أبيهم آدم عليه السلام انتهى
وقال ابن العربي من أعظم المواثيق في الذكر أن لا يسأل سواه وذكر قصة أبي حمزة الخراساني ووقوعه
في البئر ومرور الناس عليه وتغطيتهم البئر وهو لا يسألهم أن يخرجوه إلى أن جاء من أخرجه بغير سؤال
ولم ير من أخرجه وهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل قال ابن العربي هذا رجل عاهد الله فوجد
الوفاء على التمام فاقتدوا به وقد أنكر أبو الفرج ابن الجوزي فعل أبي حمزة هذا وبين خطأه وأن التوكل
لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال وذكر أن سفيان الثوري وغيره قالوا لو أن إنسانا جاع حتى مات
ولم يسأل دخل النار ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف بأبي حمزة الجاهل وما أمر الله به أن يوصل ظاهره
العموم في كل ما أمر به في كتابه وعلى لسان نبيه وقال الحسن المراد به صلة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالإيمان وقال نحوه ابن جبير وقال قتادة الرحم وقيل صلة الإيمان بالعمل وقيل صلة قرابة الإسلام
بإفشاء السلام وعيادة المرضى وشهود الجنائز ومراعاة حق الجيران والرفقاء والأصحاب والخدم وقيل
نصرة

نصرة المؤمنين وأمر يتعدى إلى اثنين بحرف جر وهو به والأول محذوف تقديره ما أمرهم الله به وأن يوصل في
موضع جر بدل من الضمير أي بوصله ويخشون ربهم أي وعيده كله ويخافون سوء الحساب أي استقصاءه
فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وقيل يخشون ربهم بقطع ما أمر بوصله وقيل في قطع الرحم وقيل في جميع المعاصي
وقيل فيما أمرهم بوصله وصبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف
وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبل بلفظ المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون
وما عطف عليهما على سبيل التفنن في الفصاحة لأن المبتدأ هنا في معنى الشرط بالماضي كالمضارع في اسم
الشرط فلذلك جاء اشبهه ولذلك قال النحويون إذا وقع الماضي صلة أو صفة لنكرة عامة احتمل أن يراد
به المضي وأن يراد به الاستقبال فمن المراد بالمضي به في الصلة الذين قال لهم الناس ومن المراد به
الاستقبال إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ويظهر أيضا أن اختصاص هذه الصلة بالماضي وتلك
بالمضارع أن تلك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها
على تلك الصلتين وما عطف عليهما لأن حصول تلك الصلات إنما هي مترتبة على حصول الصبر وتقدمه
عليها ولذلك لم تأت صلة في القرآن إلا بصيغة الماضي إذ هو شرط في حصول التكاليف وإيقاعها والله
أعلم وانتصب ابتغاء قيل على أنه مصدر في موضع الحال والأولى أن يكون مفعولا لأجله أي أن صبرهم
هو لابتغاء وجه الله خالصا لا لرجاء أن يقال ما أصبره ولا لمخافة أن يعاب بالجزع أو تشمت به الأعداء كما
قال * وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع * ولأن الجزع لا طائل تحته أو يعلم أنه
لا مرد لما فات ولا لما وقع والظاهر في معنى الوجه هنا جهة الله أي الجهة التي تقصد عنده تعالى
بالحسنات لتقع عليها المثوبة كما تقول خرج زيد لوجه كذا ونبه على هاتين الخصلتين لعبادة البدنية
والعبادة المالية إذ هما عمود الدين والصبر عليهما أعظم صبر لتكرر الصلاة ولتعلق النفوس بحب المال
ونبه على حالتي الإنفاق فالسر أفضل حالات إنفاق التطوع كما جاء في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم
لا ظل إلا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها والعلانية أفضل حالات إنفاق الفروض لأن الإظهار
فيها أفضل وقال الزمخشري مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله انتهى وهذا
على طريق المعتزلة وللسلف هنا أقوال متقاربة قال ابن عباس صبروا على أمر الله وقال أبو عمران الجوني
صبروا على دينهم وقال عطاء صبروا على الرزايا والمصائب وقال ابن زيد صبروا على الطاعة وعن المعصية
ويدرؤون يدفعون قال ابن زيد الشر بالخير وقال قتادة ردوا عليهم معروفا كقوله وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وقال القتبي إذا سفه عليهم
حلموا وقال ابن جبير يدفعون المنكر بالمعروف وقال ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أنابوا
ليدفعوا عن أنفسهم بالتوبة معرة الذنب وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الضحاك عنه وقيل يدفعون
بلا إله إلا الله شركهم وقيل بالسلام غوائل الناس وقيل من رأى منه مكروها بالتي هي أحسن وقيل بالصالح
من العمل السيئ من العمل ويؤيده ما روي في الحديث أن معاذا قال أوصني يا رسول الله فقال إذا عملت سيئة
فاعمل إلى جنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وقيل العذاب بالصدقة وقيل إذا هموا بالسيئة
فكروا ورجعوا عنها واستغفروا وهذه الأقوال كلها على سبيل المثال وبالجملة لا يكافئون الشر بالشر كما
قال الشاعر * يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا * وهذا بخلاف خلق الجاهلية
كما قال * جزيت منى يظلم بها بظلمه * سريعا وإن لا يبد بالظلم يظلم * وروي أن هذه الآية نزلت في الأنصار

ثم هي عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه الصفات وعقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان
تكون عاقبة الدنيا وموضع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار ويحتمل ان يراد عقبى دار الاخرة لدار
الدنيا اي العقبى الحسنة في الدار الاخرة هي لهم ويحتمل ان تكون جنات خبر ابتدا محذوف وقرا الجمهور جنات
والنخعي جنة بالافراد وروى عن ابن كثير وابي عمرو يدخلونها مبنيا للمفعول وقرا ابن ابي عبلة ومن صلح بضم
اللام والجمهور بفتحها وهو افصح وقرا عيسى الثقفي ذريتهم بالتوحيد والجمهور بالجمع وقرا ابن يعمر فنعم بفتح
النون وكسر العين وهي الاصل كما قال الراجز ٥ نعم الساعون في اليوم الشطر ٥ وقرا ابن وثاب فنعم بفتح
النون وسكون العين وهي اكثر استعمالا قال مجاهد وغيره ومن صلح اي عمل صالحا وامن وهذا يدل على ان مجرد النسب
من الصالح لا ينفع انما ينفع الاعمال الصالحة وقيل يحتمل قوله ومن صلح اي لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه
وقال ابن عباس هذا الصلاح هو الايمان بالله وبالرسول وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة
والظاهر ان ومن معطوف على الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول وقيل يجوز ان يكون مفعولا
معه اي يدخلونها مع من صلح ويشمل قوله من اباىهم ابوي كل واحد والده ووالدته وغلب الذكور على الاناث
فكانه قيل ومن صلح من ابايهم وامهاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب اي بالتحف والهدايا من
الله تعالى تكرمة لهم قال ابو بكر الوراق من ثمانية اعمال تفضي الى ثمانية ابواب الجنة من عملها دخلها من اي
باب شا وقال الاصم نحو هذا قال من كل باب باب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر ولابي عبد الله الرازي كلام
عجيب في الملائكة ذكر ان الملائكة طوايف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد اذا راض نفسه بانواع
الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة ولكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي
يختص بتلك الصفة مزيد اختصاص فعند الموت اذا اشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الارواح
السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة فيفيض عليها من ملايكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر
الا في مقام الصبر ومن ملايكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلى الا في مقام الشكر وهكذا القول في جميع المراتب
انتهى وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب ولا جاءت به الانبيا فهو كلام مطرح لا يلتفت اليه المسلمون قال
ابن عطيه وحكى الطبري في صفة دخول الملائكة احاديث لم نطول بها لضعف اسانيدها انتهى وارتفع سلام
على الابتدا وعليكم الخبر والجملة محكية بقول محذوف اي يقولون سلام عليكم والظاهر ان قوله سلام عليكم
تحية الملائكة لهم ويكون بما صبرتم خبر مبتدا محذوف اي هذا الثواب بسبب صبركم في الدنيا على المشاق
او تكون الباء بمعنى بدل اي بدل صبركم ما احتملتم من مشاق الصبر هذه اللذاذ والنعم وقيل سلام جمع سلامة
اي انما سلمكم الله من اهوال يوم القيمة بصبركم في الدنيا وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق بسلام اي
يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم والمخصوص بالمدح محذوف اي فنعم عقبى الدار الجنة من جهنم والدار تحتمل
الدنيا وتحتمل الاخرة وقالت فرقة المعنى ان عقبوا الجنة من جهنم قال ابن عطيه وهذا التاويل مبني على حديث
ورد وهو ان كل رجل في الجنة فقد كان له مقعد معروف في النار فصرفه الله عنه الى النعيم فيعرض عليه
ويقال له هذا مكان مقعدك فبدلك الله منه الجنة بايمانك وطاعتك وصبرك انتهى ولما كان الصبر هو
الذي تنشا عنه تلك الطاعات السابقة ذكرت الملائكة ان النعيم السرمدي انما هو حاصل بسبب الصبر
ولم يات التركيب بالايفا بالعهد ولا بغير ذلك قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اوليك لهم اللعنة ولهم سو الدار الله يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع قال مقاتل نزلت في الذين ينقضون

في اهل الكتاب وقال ابن عباس نزلت الله يبسط في مشركي مكة ولما ذكر تعالى حال السعدا وما ترتب لهم
من الامور السنية الشريفة ذكر حال الاشقيا وما ترتب لهم من الامور المخزية وتقدم تفسير الذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض في اوايل البقرة وترتب للسعدا
هنالك التصريح بعقبى الدار وهي الجنة واكرام الملايكة لهم بالسلام وذلك غاية القرب والتانيس وهنا
ترتب للاشقيا الابعاد من رحمة الله وسو الدار اي الدار السو وهي النار وسو عاقبة الدار وتكون دار
الدنيا ولما كان كثير من الاشقيا قد فتح عليهم نعم الدنيا ولذاتها اخبر تعالى انه هو الذي يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر وان الكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المومن ليعظم اجره ويبسط للكافر
املا لازدياد اثامه ويقدر مقابل يبسط وهو التضييق من قوله ومن قدر عليه رزقه وعليه يحمل
فظن ان لن نقدر عليه وقول ذلك الذي احرق وذري في البحر لين قدر الله علي اي لين ضيق وقيل يقدر يعطي
بقدر الكفاية وقرا زيد بن علي ويقدر بضم الدال حيث وقع والضمير في وفرحوا عايد على الذين ينقضون
وهو استيناف اخبار عن جهلهم بما اوتوا من بسط الدنيا عليهم وفرحوا فرح بطر واشر لا فرح سرور
بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة بفضل الله به واستجهلهم
لهذا الفرح اذ هو فرح بما يزول عن قريب وينقضي ويبعد قول من ذهب الى انه معطوف على صلات الذين
ينقضون اي ويفسدون في الارض وفرحوا بالحيوة الدنيا وان في الكلام تقديما وتاخيرا ومتاع معناه
ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى كما قال الشاعر ٥ تمتع يا مشعث ان شيا سبقت به الممات هو المتاع ٥
وقال الاخر ٥ انت نعم المتاع لو كنت تبقى ٥ غير ان لا بقا للانسان ٥ وقال الاخر ٥ تمتع من الدنيا فانك فان
قال الزمخشري خفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي
ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك انتهى وهذا معنى قول الحسن قال الحسن علم الله تعالى بنيته ان
الحياة الدنيا في جنب ما اعد الله لاوليايه في الاخرة نزر يسير يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من
تميرات او شربة سويق او نحو ذلك وقال ابن عباس زاد كزاد الراعي وقال مجاهد قليل ذاهب من متع
النهار اذا ارتفع فلا بد له من زوال قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان
الله يضل من يشا ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب الذين
امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب ٥ نزلت ويقول الذين كفروا في مشركي مكة طلبوا مثل ايات
الانبيا والملتمس لذلك هو عبد الله بن ابي امية واصحابه رد تعالى على مقترحي الايات من كفار قريش كسقوط
السما عليهم كسفا وقولهم سير علينا الاخشبين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا كالاردن واحي لنا
قصيا واسلافنا ولم تجر عادة الله في الاتيان بالايات المقترحة الا اذا اراد هلاك مقترحها فرد عليهم
بان نزول الاية لا يقتضي ضرورة ايمانكم وهداكم لان الامر بيد الله يضل من يشا ويهدي من يشا وقال
الزمخشري فان قلت كيف يطابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشا قلت
هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يوتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها
وجعلوه كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم
وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشا من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا
سبيل الى اهتدايهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم وقال ابو علي الجبائي يضل

من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له على كفره ويهدي إليه من أناب أي إلى جنته من أناب والهدى تعلقه
بالمؤمن هو الثواب لأنه يستحقه على إيمانه وذلك يدل على أنه إنما يضل عن الثواب بالعقاب لا عن الدين بالكفر
على ما ذهب إليه من خالفنا انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير في إليه قالوا عائد على القرآن وعلى الرسول
والظاهر أنه عائد على الله على حذف مضاف أي إلى دينه وشرعه وأناب أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة
الخير والذين آمنوا بدل من من أناب واطمئنان القلوب سكونها بعد الاضطراب من خشيته وذكر الله ذكر
رحمته ومغفرته أو ذكر دلائله على وحدانيته المزيلة لقلق الشبه أو تطمئن بالقرآن لأنه أعظم المعجزات
تسكن به القلوب وتنتبه ثم ذكر الحض على ذكر الله وأنه به تحصل الطمأنينة ثم عيانا في الإيمان والمعنى أنه
بذكره تعالى تطمئن القلوب لا بالآيات المقترحة بل ربما كفر بعدها فنزل العذاب كما سلف في بعض الأمم
وجوزوا في الذين أن يكون بدلا من القلوب على حذف مضاف أي قلوب الذين وأن يكون خبر
مبتدأ محذوف أي هم الذين وأن يكون مبتدأ خبره ما بعده وطوبى فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا
لضمة ما قبلها كما قلبت في موسر واختلفوا في مدلولها فقال أبو الحسن الهنائي هي جمع طيبة كما قالوا
في جمع كيسة كوسى وصيقة صوقى وفعلى ليست من ألفاظ الجموع فلعله يعني أنها اسم جمع وقال الجمهور
هي مفرد مصدر كبشرى وسقيا ورجعى وعقبى واختلف القائلون بهذا في معناها فقال الضحاك العوفي
غبطة لهم وعنه أيضا أصبت خيرا وقال عكرمة نعمى لهم وقال ابن عباس فرح وقرة عين وقال قتادة
حسنى لهم وقال النخعي خير لهم وعنه أيضا كرامة لهم وعن سميط بن عجلان دوام الخير وهذه أقوال
متقاربة والمعنى العيش الطيب لهم وعن ابن عباس وابن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وقيل بلغة الهند
وقال أبو هريرة وابن عباس أيضا ومغيث بن سمي وعبيد بن عمير ووهب بن منبه هي شجرة في الجنة وروي
مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عتبة بن عبد السلمي أنه قال وقد سأله أعرابي
يا رسول الله أفي الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى وذكر الحديث قال القرطبي والصحيح أنها شجرة للحديث
المرفوع حديث عتبة وهو صحيح على ما ذكره السهيلي وذكره أبو عمر في التمهيد وذكره الثعلبي وطوبى
مبتدأ وخبره لهم فإن كانت علما لشجرة في الجنة فلا كلام في جواز الابتداء بها وإن كانت نكرة فمسوغ
الابتداء بها ما ذهب إليه سيبويه من أنه ذهب بها مذهب الدعاء كقولهم سلام عليك إلا أنه التزم فيه
الرفع على الابتداء فلا يدخل عليه نواسخه هكذا قال ابن مالك ويرده أنه قرئ وحسن مآب بالنصب
قرأه كذلك عيسى الثقفي وخرج ذلك ثعلب على أنه معطوف على طوبى وأنها في موضع نصب وحسن
مآب معطوف عليها قال ثعلب وطوبى على هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرجه صاحب اللوامح على
النداء قال بتقدير يا طوبى لهم ويا حسن مآب فحسن معطوف على المنادى المضاف في هذه القراءة فهذا
نداء للتحنن والتشويق كما قال يا أسفى على الفوت والندبة انتهى ونعني بقوله معطوف على المنادى
المضاف أن طوبى مضاف للضمير واللام مقحمة كما اقتحمت في قوله يا بؤس للحرب ضرارا لأقوام وقول الآخر
يا بؤس للحرب التي ولذلك سقط التنوين من بؤس وكأنه قيل يا طوباهم وحسن مآب أي ما أطيبهم
وأحسن مآبهم كما تقول يا طيبها ليلة أي ما أطيبها ليلة وقرأ بكرة الأعرابي طيبي بكسر الطاء
لتسلم الياء من القلب وإن كان وزنها فعلى كما كسروا في بيض لتسلم الياء وإن كان وزنها فعلا بضم وقال
الزمخشري أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك
وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب يدلك على محلها واللام في لهم للبيان مثلها
في

في سقيا لك ونوى وحسن مآب بفتح النون ورفع مآب فحسن فعل ماض أصله حسن نقلت ضمة سينه
إلى الحاء وهذا جائز في فعل إذا كان للمدح أو الذم كما قالوا حسن ذا أدبا **قوله تعالى** كذلك أرسلناك في أمة
قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو
عليه توكلت وإليه متاب قال قتادة وابن جريج ومقاتل لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب
بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو وما نعرف الرحمن إلا مسيلمة فنزلت وقيل سمع أبو جهل الرسول صلى الله عليه وسلم
يقول يا رحمن فقال إن محمدا ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت ذكره هنا علي بن أحمد النيسابوري
وعن ابن عباس لما قيل لكفار قريش اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت قال الزمخشري مثل ذلك الإرسال
أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات انتهى ولم يتقدم إرسال
يشار إليه بذلك إلا إن كان يفهم من المعنى فيمكن ذلك وقال الحسن كما أرسلنا الرسل أرسلناك فذلك
إشارة إلى إرسال الرسل وقيل الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه
من أناب كما أنفذ الله هذا كذلك أرسلناك وقال ابن عطية والذي يظهر لي أن المعنى كما أجرينا العادة
بأن الله يضل ويهدي لا بالآيات المقترحة فلذلك فعلنا في هذه الأمة أرسلناك إليهم بوحي لا بآيات
مقترحة فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء انتهى وقال الحوفي الكاف للتشبيه في موضع نصب أي
كفعلنا الهداية والإضلال والإشارة بذلك إلى ما وصف به نفسه من أن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقال أبو البقاء كذلك التقدير الأمر كذلك وقد خلت من قبلها أمم أي تقدمتها أمم كثيرة والمعنى
أرسلت فيهم رسل فكذلك أرسلناك ودل هذا الحذف على أن الذي تقتضيه المعنى على أن الإشارة
بذلك إلى إرساله تعالى الرسل كما قال الحسن ولتتلوا أي لتقرأ عليهم الكتاب المنزل عليك ومعنى الإرسال
هي الإبلاغ للدين الذي أتى به الرسول وهم يكفرون أي وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة
والظاهر أن الضمير في قوله وهم عائد على أمة المرسل إليهم الرسول عاد على المعنى إذ لو عاد على اللفظ
لكان التركيب وهي تكفر والمعنى أرسلناك إليهم وهم يدينون دين الكفر فهدى الله بك من أراد هدايته
وقيل يعود على الذين قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه وقيل يعود على أمة وعلى أمم والمعنى الإخبار بأن
الأمم السابقة الرسل إليهم والأمة التي أرسلنا إليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر
فيكون في ذلك تسلية للرسول إذ أمته مثل الأمم السابقة ونبه على الوصف الموجب لإرسال الرسول
وهو الرحمة الموجبة لشكر الله تعالى على نعامه عليهم ببعثة الرسول والإيمان به قل هو
أي الرحمن الذي كفروا به هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وجميع
أموري وإليه مرجعي فيثيبني على مجاهدتكم **قوله تعالى** ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت
به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا
يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب
قال ابن عباس ومجاهد وجبير وغيرهما أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير جبلي مكة فقد ضيقا
علينا واجعل لنا أرضا قطعا غراسا وأحي لنا آباءنا وأجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت معلمة أنهم لا يؤمنون
ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالى جملة إرساله وهي تلاوة ما أوحاه إليه ذكر تعظيم هذا الوحي وأنه
لو كان قرآنا تسير به الجبال عن مقارها أو تقطع به الأرض حتى تتزايل قطعا قطعا أو تكلم به الموتى

فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا
القرآن على جبل الآية فجواب لو محذوف وهو ما قدرناه وحذف جواب لو لدلالة المعنى عليه جائز نحو
قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ولو ترى إذ وقفوا على النار وقال الشاعر شعر
وجدك لو شيء أتانا رسوله ◦ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ◦ وقيل تقديره لما آمنوا به كقوله تعالى
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا قاله الزجاج
وقال الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما
اعتراض وعلى قول الفراء يترتب جواب لو لا أن يكون لما آمنوا لأن قوله وهم يكفرون بالرحمن ليس جوابا
وإنما هو دليل على الجواب وقيل معنى قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا ويترتب على تقدير
الجواب المحذوف لما آمنوا قوله بل لله الأمر جميعا أي الإيمان والكفر إنما يخلقهما الله تعالى ويريدهما
وأما على تقدير لكان هذا القرآن فيحتاج إلى تضمين وهو أن يقدر لكان هذا القرآن الذي أوحينا
إليك المطلوب فيه إيمانهم وما تضمنه من التكاليف ثم قال بل لله الأمر جميعا أي الإيمان والكفر بيده
يخلقهما فيمن يشاء وقال الزمخشري بل لله الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو
قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى
الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بني التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو
يشاء الله مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى انتهى وهو على طريقة الاعتزال واليأس
القنوط من الشيء وهو هنا في قول الأكثرين بمعنى العلم كأنه قيل أفلم يعلم الذين آمنوا قال القاسم بن معن
هي لغة هوازن وقال الكلبي هي لغة حي من النخع وأنشدوا على ذلك لسحيم بن وثيل الرياحي ◦ شعر
أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ◦ ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ◦ وقال رباح بن عدي ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه
وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا ◦ وقال آخر حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا ◦ غضفا دواجن قافلا أعصامها ◦
أي حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وأنكر الفراء أن يكون يئس بمعنى علم وزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب
يقول يئست بمعنى علمت انتهى وقد حفظ غيره هذا القاسم بن معن من ثقات الكوفيين وأجلائهم نقل أنها لغة
هوازن وابن الكلبي نقل أنها لغة لحي من النخع ومن حفظ حجة على من لم يحفظ وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى
العلم لتضمنه معناه لأن اليائس من الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى
الترك وحمل جماعة هنا اليأس على المعروف فيه في اللغة وهو القنوط من الشيء وتأولوا ذلك فقال الكسائي
المعنى أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان الكفار من قريش المعاندين لله ولرسوله وذلك أنهم لما سألوا هذه الآيات
اشتاق المؤمنون إليها وأحبوا نزولها ليؤمن هؤلاء الذين علم الله منهم أنهم لا يؤمنون فقال أفلم ييأس
الذين آمنوا من إيمانهم وقال الفراء وقع الله للمؤمنين أن لو يشاء هدى الناس جميعا فقال أفلم ييأسوا علما ◦
يقول آيسهم مضمرا كما تقول في الكلام يئست منك أن لا تفلح كأنه قال علمه علما قال فيئست بمعنى علمت
وإن لم يكن قد سمع فإنه يتوجه إلى ذلك بالتأويل وقال أبو العباس أفلم ييأسوا بعلمهم أن لا هداية إلا أن
بالمشيئة وإيضاح ذلك بتقدير الإعراب أن يكون أن لو يشاء الله متعلقا بآمنوا أي أفلم يقنط عن إيمان هؤلاء
الكفرة الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم إلى الإيمان أو الجنة وقال ابن عطية ويحتمل
أن يكون اليأس في هذه الآية على بابه وذلك أنه لما أبعد إيمانهم في قوله ولو أن قرآنا الآية على التأويلين
في المحذوف المقدر قال في هذه أفلم ييأس المؤمنون من إيمان هؤلاء الكفرة علما منهم أن لو يشاء الله لهدى

الناس

الناس جميعا انتهى هذا قول الفراء الذي ذكرناه وقال الزمخشري ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أو لم
يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم انتهى هذا قول أبي
العباس ويحتمل عندي وجه آخر غير ما ذكروه وهو أن الكلام تام عند قوله أفلم ييأس الذين آمنوا وهو
تقرير أي قد يئس المؤمنون من إيمان هؤلاء المعاندين وأن لو يشاء جواب قسم محذوف أي وأقسم لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا ويدل على إضمار هذا القسم وجود أن مع لو كقول الشاعر ◦ ◦ ◦
أما والله أن لو كنت حرا ◦ وما بالحر أنت ولا العتيق ◦ وقول الآخر ◦ فأقسم أن لو التقينا وأنتم ◦
لكان لنا يوم من الشر مظلم ◦ وقد ذكر النحويون أن أن تأتي بعد القسم وجعلها ابن عصفور رابطة للقسم بالجملة
المقسم عليها وأما على تأويل الجمهور فأن عندهم هي المخففة من الثقيلة أي أنه لو يشاء الله وقرأ علي وابن
عباس قال الزمخشري وجماعة من الصحابة والتابعين وقال غيره عكرمة وابن أبي مليكة والجحدري وعلي
بن الحسين وابنه زيد وأبو يزيد المدني وعلي بن بذيمة وعبد الله بن يزيد أفلم يتبين من تبينت
كذا إذا عرفته وتدل هذه القراءة على معنى أفلم ييأس هنا معنى فلم يعلم كما تظافرت النقول المخالفة
لبعض العرب وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله أفلم ييأس كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري بل هي قراءة
مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست مخالفة للسواد إذ كتبوا ييئس بغير صورة الهمزة
وهذه كقراءة فتبينوا وفتثبتوا وكلتاهما في السبعة وأما قول من قال إنما كتبه الكاتب وهو ناعس
فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد وقال الزمخشري هذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان
متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه
خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية انتهى
وقال الفراء لا يتلى إلا كما أنزل أفلم ييأس انتهى والكفار عام في جميع الكفار وهذا الأمر مستمر
فيهم إلى يوم القيامة قاله الحسن وابن السائب أو هو ظاهر اللفظ وقال ابن عطية الكفار قريش
والعرب لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وقال مقاتل
والزمخشري كفار مكة قال الزمخشري تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية
تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو
تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها
حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة انتهى وقال الحسن حال الكفرة هكذا هو أبدا ووعد الله قيام
الساعة والظاهر أن الضمير في تحل عائد على قارعة قاله الحسن وقالت فرقة التاء للخطاب والضمير
للرسول أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية وعزاه الطبري إلى ابن عباس رضي الله
عنهما ومجاهد وقتادة وقال عكرمة ويكون وعد الله فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك وقاله ابن عباس
ومقاتل وقرأ مجاهد وابن جبير أو يحل بالياء على الغيبة واحتمل أن يكون عائدا على معنى القارعة راعى فيه
التذكير لأنها بمعنى البلاء أو يكون الهاء في قارعة للمبالغة فذكر واحتمل أن يكون عائدا على الرسول أي أو يحل
الرسول قريبا وقرآ أيضا من ديارهم على الجمع وقال ابن عباس القارعة العذاب من السما وقال عكرمة السرايا
والطلائع وفي قوله ولقد استهزئ الآية تسلية للرسول عليه السلام وإنحاء للكفار من تقدم من الرسل
وأن المستهزئين يملي لهم أي يمهلون ثم يؤخذون وتنبيه على أن حال من استهزئ بك وإن أمهل حال أولئك

في اخذهم ووعيد لمن يبني قوله فكيف كان عقاب استفهام معناه التعجب مما حل بهم وفي ضمنه وعيد معاصري
الرسول عليه السلام من الكفار **قوله تعالى** أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل
سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل
ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ۝
من موصولة صلتها ما بعدها وهي مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر
ولا تنفع كما حذف من قوله أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه تقديره كالقاسي قلبه
الذي هو في ظلمة ودل عليه قوله وجعلوا لله شركاء كما دل على القاسي قوله فويل للقاسية قلوبهم
ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله أفمن يخلق كمن
لا يخلق أفمن يعلم ثم قال كمن هو أعمى والظاهر أن قوله وجعلوا لله شركاء استئناف إخبار عن سوء صنيعهم
وكونهم أشركوا مع الله ما لا يصلح للألوهية نعى عليهم هذا الفعل القبيح هذا والباري تعالى هو المطلع
بأحوال النفوس جليها وخفيها ونبه على بعض حالاتها وهو الكسب ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشر
وما يترتب على الكسب من الجزاء وعبر بقائم عن الإحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها وقال الزمخشري ويجوز
أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا
له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء انتهى وفي هذا التوجيه إقامة الظاهر مقام المضمر
في قوله وجعلوا لله أي وجعلوا له ومع حذف الخبر عن المقابل وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلا وفي تفسير
أبي عبد الله الرازي قال السيد صاحب حل العقد الواو في قوله وجعلوا واو الحال والتقدير أفمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت موجود والحال أنهم جعلوا له شركاء ثم أقيم الظاهر وهو لله مقام المضمر تقريرا
للإلهية وتصريحا بها كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلي انتهى وقال ابن عطية أفمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تضر ولا تنفع هذا تأويل وتظاهر أن القول
مرتبط بقوله وجعلوا لله شركاء كأن المعنى أفمن له القدرة والوحدانية ويجعل له شريك أهل أن ينتقم
ويعاقب أم لا وأبعد من ذهب إلى أن قوله أفمن هو قائم المراد به الملائكة الموكلون ببني آدم
حكاه القرطبي عن الضحاك والخبر أيضا محذوف تقديره كغيره من المخلوقين وأبعد أيضا من ذهب إلى
أن قوله وجعلوا معطوف على استهزئ أي استهزؤوا وجعلوا ثم أمره تعالى أن يقول لهم سموهم
أي اذكروهم بأسمائهم والمعنى أنهم ليسوا ممن يذكر ولا يسمى إنما يذكر ويسمى من هو ينفع ويضر
وهذا مثل من يذكر لك أن شخصا يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك فتقول لذاكره سمه حتى
أبين لك زيفه وأنه ليس كما تذكر وقريب من هذا قول من قال في قوله قل سموهم إنما يقال ذلك في
الشيء المستحقر الذي يبلغ في الحقارة إلى أن لا يذكر ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال له سمه إن
شئت أي هو أخس من أن يذكر ويسمى ولكن إن شئت أن تضع له اسما فافعل فكأنه قال سموهم بالآلهة
على جهة التهديد والمعنى سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فإنها في الحقارة بحيث لا
تستحق أن يلتفت العاقل إليها وقيل سموهم بما خلقوا وصنعوا وأماتوا وأحيوا لتصح الشركة وقيل طالبهم
بالحجة على أنها آلهة وقيل صفوهم وانظروا هل يستحقون الإلهية وقال الزمخشري جعلتم له شركاء
فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم وقيل هذا تهديد كما تقول لمن تهدده على شرط الجزم سم الجزم بعد
هذا وأم في قوله أم تنبئونه منقطعة وهو استفهام توبيخ قال الزمخشري بل أتنبئونه بشركاء لا

يعلمهم

يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن
يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض انتهى وجعل الفاعل في قوله بما لا يعلم
عائدا على الله والعائد على ما محذوف أي بما لا يعلمه الله وكنا قد خرجنا تلك الآية على الفاعل في قوله بما لا يعلم
عائد على ما وقررنا ذلك هناك وهو يتقرر هنا أيضا أي أتنبئون الله بشركة الأصنام التي لا تتصف
بعلم ألبتة وذكر نفي العلم في الأرض إذ الأرض هي مقر تلك الأصنام فإذا انتفى علمها في المقر التي هي فيه فانتفاؤه
في السموات أجرى وقرأ الحسن أتنبئونه من أنبأ وقيل المراد تعتدون على أن تعلموه أمرا تعلمونه أنتم وهو لا
يعلمه وخص الأرض بنفي الشركاء وإن لم يكن له شركاء ألبتة لأنهم ادعوا أن لله شركاء في الأرض لا في غيرها
والظاهر في أم من قوله أم بظاهر أنها منقطعة أيضا أي بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن
يكون لذلك حقيقة أي أنكم تنطقون بتلك الأسماء وتسمونها آلهة ولا حقيقة لها إذ أنتم تعلمون أنها
لا تتصف بشيء من أوصاف الإله كقوله ما تعبدون من دونه إلا أسماء وقال مجاهد أم بظاهر من
القول بظن من القول وقال أبو علي أم بظاهر من القول تخبرون وقال الضحاك بكذب من القول وقال
قتادة بباطل من القول لا باطن له من الحقيقة ومنه قول الشاعر ۝ أعيرتنا ألبانها ولحومها ۝
وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر ۝ أي باطل وقيل أم متصلة والتقدير أم تنبئونه بظاهر من القول
لا حقيقة له لقوله ذلك قولهم بأفواههم ثم قال بعد هذا الحجاج على وجه التحقير لما هم عليه بل زين
للذين كفروا مكرهم وقال الواحدي لما ذكر الدلائل على فساد عقولهم قال دع ذلك الدليل لا فائدة لأنهم لا
ينتفعون به لأنه زين لهم مكرهم وقرأ مجاهد بل زين على البناء للفاعل مكرهم بالنصب والجمهور زين
على البناء للمفعول مكرهم بالرفع أي كيدهم للإسلام بشركهم وما قصدوا بأفواههم أفعالهم من مناقضة
الشرع وقرأ الكوفيون وصدوا هنا وفي المؤمن وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول فالقول متعد وقرأ
باقي السبعة بفتحها فاحتمل التعدي واللزوم أي صدوا أنفسهم أو غيرهم وقرأ ابن وثاب وصدوا
بكسر الصاد وهي كقراءة ردت إلينا بكسر الراء في الرواية الكسائي لابن يعمر وصد بالكسر لغة في الضم
أجراه مجرى الحرف نحو قيل فإن ما في المؤمن وبالكسر لابن وثاب انتهى وقرأ ابن أبي إسحاق وصد بالتنوين
عطفا على مكرهم قال الزمخشري ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي فما له من هاد
فما له من أحد يقدر على هدايته انتهى وهو على طريقة الاعتزال والعذاب في الدنيا هو ما يصيبهم
بسبب كفرهم من القتل والأسر والنهب والذلة والجدب والبلايا في أجسامهم وغير ذلك مما يمتحن به
الكافر وكان عذاب الآخرة أشق عليه لأنه احتراق بالنار دائما كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ومن واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم ولما ذكر ما أعد للكفار في الآخرة
ذكر ما أعد للمؤمنين فقال مثل الجنة التي صفتها في غرابة المثل وارتفع مثل على الابتداء في مذهب
س والخبر محذوف أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الأنهار تفسير لذلك المثل وتقول
مثلت الشيء إذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل لها فهو كقوله ولله المثل الأعلى أي الصفة
العليا وأنكر أبو علي أن يكون مثل بمعنى صفة قال وإنما معناه الشبه وقال الفراء أي صفتها الجنة التي تجري
من تحتها الأنهار ونحو هذا موجود في كلام العرب انتهى ولا يمكن حذف الهاء فيما فسر المعنى ولم
يذكر الإعراب وتأول قوم على أن المثل مقحم وأن التقدير الجنة التي وعد المتقون تجري
وإقحام الأسماء لا يجوز وحكوا عن الفراء أن العرب تقحم كثيرا المثل والمثل وخرج على ذلك ليس كمثله

شيء اي كهو شيء وقال غيره المثل الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسم وهذا ايضا لا يصح ان يكون تجري خبرا عن
الصفة وانما يتاول تجري على اسقاط ان ورفع الفعل والتقدير ان تجري اي جريان الانهار وقال
الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد انتهى وقال ابو علي
لا يصح ما قال الزجاج لا على معنى الصفة ولا على معنى التشبيه لان الجنة التي قدرها جثة ولا تكون الصفة
ولان التشبيه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة جثة فلا تكون المماثلة وقرا
علي وابن مسعود مثال الجنة على الجمع اي صفاتها وفي اللوامح عن السلمي امثال الجنة جمع ومعناه صفات
الجنة وذلك لانها صفات مختلفة فلذلك جمع نحو الحلوم والاشتغال والاكلها ابو كل فيها ومعنى دوامه
انه لا ينقطع ابدا كما قال تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ابرهيم التيمي اي لذاته دائمة لا تنزاد بجوع
ولا يمل من شبع وظلها اي دائمة البقا والراحة لا تنسخه شمس ولا يميل البرد كما في الدنيا تلك اي تلك
الجنة عاقبة الذين اتقوا الشرك **قوله تعالى** والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب
وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق
نزلت في مؤمني اهل الكتاب ذكره الماوردي واختاره الزمخشري فقال من اسلم من اليهود كعبد الله
ابن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان
وثلاثون من الحبشة ومن الاحزاب يعني من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم
غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حرفوه
وبدلوه انتهى وعن ابن عباس وابن زيد في مؤمني اليهود كعبد الله بن سلام واصحابه وعن قتادة
في اصحاب الرسول عليه السلام مدحهم الله تعالى بانهم يسرون بما انزل اليك من امر الدين
وعن مجاهد والحسن وقتادة ان المراد باهل الكتاب جميعهم يفرحون بما انزل من القران اذ فيه
تصديق كتبهم وثنا على انبيائهم واحبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى وضعف
هذا القول بان همهم به اكثر من فرحهم فلا يعتد بفرحهم وايضا فان اليهود والنصارى ينكرون
بعضه وقد فرق تعالى بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين اتيناهم الكتاب والاحزاب قال مجاهد
هم اليهود والنصارى والمجوس وقالت فرقة هم احزاب الجاهلية من العرب وقال مقاتل الاحزاب بنوا
امية وبنوا المغيرة وآل ابي طلحة ولما كان ما انزل اليه يتضمن عبادة الله ونفي الشريك امر بجواب
المنكرين فقيل له قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم لبعض القران الذي انزل انكار
لعبادة الله وتوحيده وانتم تدعون وجوب العبادة ونفي الشريك اليه ادعو اي الى شرعه ودينه
واليه مرجعي عند البعث يوم القيامة او اليه مرجعي في جميع احوالي في الدنيا والاخرة وقرا ابو
خليد عن نافع ولا اشرك بالرفع على القطع اي وانا لا اشرك به وجوز ان يكون حالا اي ان اعبد الله
غير مشرك به وكذلك اي مثل انزالنا اليك الكتاب على الانبياء قبلك لان قوله والذين اتيناهم الكتاب
يتضمن انزاله تعالى الكتاب هذا الذي انزلناه هو بلسان العرب كالكتب السابقة بلسان من نزلت
عليه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم واراد بالحكم انه يفصل بين الحق والباطل

وعكرمة

وعكرمة وقال ابن عطية وقوله وكذلك المعنى كما يسرنا هولاء للفرح وهولاء لانكار البعض كذلك انزلناه حكما عربيا
انتهى وانتصب حكما على الحال من ضمير النصب في انزلناه والضمير عائد على القران والحكم ما تضمنه القران من المعاني
ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبه اليها ولئن اتبعت الخطاب لغير الرسول لانه صلى الله عليه وسلم
معصوم من اتباع اهوائهم وقال الزمخشري هذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات
في الدين والتصلب فيه ان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شدة الشكيمة بمكان **قوله تعالى** ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب واما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب • قال الكلبي عيرت اليهود الرسول
عليه السلام وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النسا والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن
النسا فنزلت هذه الاية قيل وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فرد الله عليهم بان الرسل قبله
كانوا ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح
تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب فيه على العباد اي يفرض عليهم ما يريده تعالى •
وقوله لكل اجل كتاب لفظ عام في الاشيا التي لها اجال لانه ليس منها شيء الا وله اجل في بدايته وفي خاتمته
وذلك الاجل معلوم مكتوب محصور وقال الضحاك والفرا المعنى لكل كتاب اجل ولا يجوز ادعا القلب الا في ضرورة
الشعر واما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعا القلب هنا لا يصح المعنى عليه اذ ثم اشيا
كتبها الله ازلية كالجنة ونعيم اهلها لا اجل له والظاهر ان المحو عبارة عن نسخ من الشرائع والاحكام
والاثبات عبارة عن دوامها وتقررها وبقائها اي يمحو ما يشا محوه ويثبت ما يشا اثباته وقيل هذا
عام في الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ونسب هذا الى عمر وابن مسعود وابي وائل والضحاك وابن
جريج وكعب الاحبار والكلبي وروي عن عمر وابن مسعود وابي وائل في دعائهم ما معناه ان كنت كتبتني في اهل
السعادة فاثبتني فيهم او في الاشقيا فامحني منهم وان صح هذا عنهم فينبغي ان يتاول على ان المعنى ان كنت
اشقيتنا بالمعصية فامحها عنا بالمغفرة ومعلوم ان الشقاوة والسعادة والرزق والخلق والاجل لا يتغير
شيء منها وقال ابن عباس يمحو الله ما يشا من امور عباده الا السعادة والشقاوة والاجال فانه لا محو فيها
وقال الحسن وفرقة هي اجال بني ادم تكتب في ليلة القدر وقيل في ليلة نصف شعبان اجال الموتى فتمحى ناس
من ديوان الاحيا ويثبتون في ديوان الموتى وقال قيس ابن عباد في العاشر من رجب يمحو به ما يشا ويثبت
وقال ابن عباس والضحاك يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتب كل قول
وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض
الخلايق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها وقال الزمخشري
يمحو الله ما يشا ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ
والكلام في نحو هذا واسع المجال انتهى هو قول قتادة وابن جبير وابن زيد قالوا يمحو الله ما يشا من
الفرائض والشرائع فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا فلا ينسخه وقال مجاهد يحكم الله امر السنة في رمضان
فيمحو ما يشا ويثبت ما يشا الا الحياة والموت والسعادة والشقاوة وقال الكلبي يمحو من الرزق ويزيد
فيه وقال ابن جبير ايضا يغفر ما يشا من ذنوب عباده ويترك ما يشا فلا يغفره وقال عكرمة يمحو يعني بالتوبة
جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله

سيئاتهم حسنات وقيل ينسي الحفظة من الذنوب ولا ينسى وقال الحسن يمحو الله ما يشاء من جاء أجله ويثبت من
لم يأت أجله وقال السدي يمحو يعني القمر ويثبت يعني الشمس بيانه فمحونا آية الليل الآية وقال ابن عباس أيضا
إن لله لوحا محفوظا وذكر وصفه في كتاب التحبير ثم قال الله تعالى فيه في كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة
يثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء وقال الربيع هذا في الأرواح حالة النوم يقبضها عند النوم إذا أراد موته فجأة
أمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية
وقال علي بن أبي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون لقوله ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون ويثبت ما يشاء
منها لقوله ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين فيمحو قرنا ويثبت قرنا وقال ابن عباس يمحو من يثبت الرجل على صلاح له
ويعمل بالطاعة الزمن الطويل ختمه بالمعصية ويثبت عكسه وقيل يمحو الدنيا ويثبت الآخرة وفي الحديث
عن أبي الدرداء أنه تعالى يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر ما في الكتاب الذي لا ينظر فيه
أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقال الغزنوي ما في اللوح خرج عن الغيب لإحاطة بعض الملائكة
فيحتمل التبديل وإحاطة الخلق بجميع علم الله تعالى محال وما في علمه تعالى من تقدير الأشياء لا يبدل انتهى وقيل
غير ذلك مما يطول نقله وقد استدلت الرافضة بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت على أن البداء
جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الأمر خلاف ما اعتقده وهذا باطل لأن علمه تعالى
من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا وأما الآية فقد
احتملت تلك التأويلات المتقدمة فليست نصا فيما ادعوه ولو كانت نصا وجب تأويله وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو وعاصم ويثبت مخففا من أثبت وباقي السبعة مثقلا من ثبت وأما قوله أم الكتاب فقال
ابن عباس أم الكتاب الذكر وقال أيضا هو وكعب هو علم ما هو خالق وما خلقه عاملون وقالت فرقة الحلال
والحرام وهو قول الحسن وقال الزمخشري أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه انتهى
وما جرى مجرى الأصل للشيء تسميه العرب أما كقولهم أم الرأس للدماغ وأم القرى مكة وقال
ابن عطية وأصوب ما يفسر به أم الكتاب أنه ديوان الأمور المحدثة التي قد سبق في القضاء أن
تبدل وتمحى وتثبت وقال نحوه قتادة وتقدم الكلام على قوله وإما نرينك بعض الذي نعدهم
أو نتوفينك في سورة يونس وادعى الزمخشري أن جواب الشرط الأول محذوف وكلام ابن عطية
فيها نون التوكيد وقال الزمخشري وإما نرينك وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم
من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا
عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم انتهى وقال الحوفي
وجزم فإنما عليك البلاغ جواب الشرط والذي تقدم شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط
فأما كونه جوابا للشرط الأول فليس بظاهر لأنه لا يترتب عليه إذ يصير المعنى وإما نرينك بعض ما نعدهم
من العذاب فإنما عليك البلاغ وأما كونه جوابا للشرط الثاني وهو أو نتوفينك فكذلك لأنه
يصير التقدير إن ما نتوفينك فإنما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته عليه
السلام لأن التكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج إلى تأويل وهو أن يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب
أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم وإما نرينك بعض الذي نعدهم به
من العذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك إذ أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان
حلوله بهم فاحتمال أن يقع ذلك في حياتك واحتمال أن يقع بعد وفاتك أو نتوفينك أي وإن نتوفينك

قبل

قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب إذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فإنما عليك البلاغ
لا حلول العذاب بهم إذ ذاك راجع إلي وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم آياتك وكفرهم بما جئت به **قوله تعالى**
أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر
الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ۝ الضمير في أولم يروا عائد على الذين ۝
وعدوا وفي ذلك اتعاظ لمن اتعظ أي ينبهوا على أن ينظروا نقص الأرض من أطرافها وأنا نأتي بمعنى بالأمر والقدرة
كقوله فأتى الله بنيانهم والأرض أرض الكفار المذكورين ويعني ننقصها من أطرافها للمسلمين من جوانبها
كان المسلمون يغزون من حوالي أرض الكفار مما يلي المدينة ويغلبون على جوانب أرض مكة والأطراف الجوانب
وقيل الطرف من كل شيء خياره ومنه قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه العلوم أودية في أي واد
أخذت منه خسرت فخذوا من كل شيء طرفا يعني خيارا قاله ابن عطية والذي يظهر أن معنى طرفا ۝
جانبا وبعضا كأنه أشار إلى أن الإنسان يكون مشاركا في أطراف من العلوم لأنه لا يمكنه استيعاب
جميعها ولم يشر إلى أنه يستغرق زمانه في علم واحد وقال ابن عباس والضحاك نأتي أرض هؤلاء نفتح
عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم أن يمكنك منهم وهذا
التفسير لا يتأتى إلا أن قدرت نزول هذه الآية بالمدينة وقيل الأرض اسم جنس والانتقاص من
الأطراف بتخريب العمران الذي يحله الله تعالى بالكفرة وروي هذا عن ابن عباس أيضا ومجاهد وعنهما
أيضا الانتقاص هو بموت البشر وهلاك الثمرات ونقص البركة وعن ابن عباس أيضا موت أشرافها
وكبرائها وذهاب الصلحاء والأخيار فعلى هذا الأطراف هنا الأشراف وقال ابن الأعرابي الطرف والطرف
الرجل الكريم وعن عطاء بن أبي رباح ذهاب فقهائها وخيار أهلها وعن مجاهد موت الفقهاء والعلماء
وقال عكرمة والشعبي هو نقص الأنفس وقيل هلاك من أهلك من الأمم قبل قريش وهلاك أرضهم بعدهم
والمناسب من هذه الأقوال هو الأول ولم يذكر الزمخشري إلا ما هو قريب منه قال ننقص الأرض
أرض الكفر ننقصها من أطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام
وذلك من آيات الغلبة والنصرة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون
والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك
من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها
بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ويتجه قول من قال النقص موت الأشراف والعلماء والأخيار وتقرير
أولم يروا أنا نحدث في الدنيا من الاختلافات خرابا بعد عمارة وموتا بعد حياة وذلا بعد عز
ونقصا بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الأمر عليهم
ويصيرون ذليلين بعد أن كانوا قاهرين وقرأ الضحاك ننقصها مثقلا من نقص عداه بالتضعيف
من نقص اللازم والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي بالرد والإبطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد ۝ طلب المعقب حقه المظلوم ۝
والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس وقيل يتعقب أحكامه
أي ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا والجملة من قوله لا معقب لحكمه في موضع الحال أي نافذا حكمه
وهو سريع الحساب تقدم الكلام على مثل هذه الجملة ثم أخبر تعالى أن الأمم السابقة كان يصدر

منهم المكر بانبيائهم كما فعلت قريش وان ذلك عادة المكذبين للرسل كمكر ابرهيم عليه السلام نمرود وبموسى
عليه السلام فرعون وبعيسى اليهود وجعل تعالى مكرهم كلا مكر اذ اضاف المكر كله له تعالى ومعنى مكره
عز وجل عقوبته اياهم سماها مكرا اذ كانت ناشئة عن المكر وذلك على سبيل المقابلة كقوله تعالى الله
يستهزئ بهم ثم فسر تعالى فلله المكر بقوله يعلم ما تكسب كل نفس والمعنى يجازي كل نفس بما كسبت ثم
هدد الكافر بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار اذ ياتيه العذاب من حيث هو في غفلة عنه فحينئذ
يعلم لمن هي العاقبة المحمودة وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر مبنيا للمفعول من اعلم اي وسيخبر وقرا
الحرميان وابو عمرو الكافر على الافراد والمراد به الجنس وباقي السبعة الكفار جمع تكسير وابن مسعود
الكافرون جمع سلامة وابي الذين كفروا وفسر عطا الكافر بالمستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم
ثمانية وعشرون وقال ابن عباس يريد بالكافر ابا جهل وينبغي ان يحمل تفسيره وتفسير عطا على التمثيل
لان الاخبار بعلم الكافر لمن عقبى الدار معنى يعم جميع الكفار ولما قال الكفار لست مرسلا اي انما انت مدع
بما ليس لك امره تعالى ان يكتفي بشهادة الله بينهم اذ قد اظهر على يديه من الادلة على رسالته ما في
بعضها كفاية لمن وفق ثم اردف شهادة الله بشهادة من عنده علم الكتاب والكتاب هنا القران
والمعنى ان من عرف ما الف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفائت لقدر البشر يشهد بذلك ●
وقيل الكتاب التوراة والانجيل والذي عنده علم الكتاب من اسلم من علمايهم لانهم يشهدون بنعته عليه
السلام في كتبهم قال قتادة كعبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي وقال مجاهد يريد
عبد الله بن سلام خاصة وهذان القولان لا يستقيمان الا ان تكون الاية مدنية والجمهور على انها
مكية وقال محمد ابن الحنفية والباقر هو علي بن ابي طالب وقيل جبريل والكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو الله
تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وقال ابن عطية ويعترض هذا القول بان فيه
عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وانما تعطف الصفات بعضها على بعض انتهى وليس ذلك
كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لان من لا يوصف بها ولا بشي من الموصولات الا بالذي والتي
وفروعهما وذو وذات الطائيتين وقوله وانما تعطف الصفات بعضها على بعض ليس على اطلاقه بل له
شرط وهو ان تختلف مدلولاتها وعنى ابن عطية لا يقول مررت بزيد والعالم على الاسم وهو علم
لم يلحظ منه معنى صفة وكذلك الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر
قوله بالله الذي يستحق العبادة حتى يكون من عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة على
الاسم ومن في قراءة الجمهور في موضع خفض عطفا على لفظ الله او في موضع رفع عطفا على موضع
الله اذ هو في مذهب من جعل الباء زائدة فاعل بكفى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون في موضع رفع ●
بالابتدا والخبر محذوف تقديره اعدل وامضى قولا ونحو هذا مما يدل عليه لفظ شهيدا
ويراد بذلك الله تعالى وقرئ ومن بدخول الباء على من عطفا على بالله وقرا علي وابي وابن عباس
وعكرمة وابن جبير وعبد الرحمن بن ابي بكرة والضحاك وسالم بن عبد الله بن عمر وابن ابي اسحاق
ومجاهد والحكم والاعمش ومن عنده علم الكتاب ~~بالابتدا والجار والمجرور~~ بجعل من حرف جر
وجر ما بعده به وارتفاع علم بالابتدا والجار والمجرور في موضع الخبر وقرا علي ايضا وابن
السميفع والحسن بخلاف عنه ومن عنده بجعل من حرف جر وعلم الكتاب مبنيا للمفعول

والضمير

والضمير في عنده في هذه القراءات الثلاث عائد على الله تعالى وقال الزمخشري في القراءة التي وقع فيها
عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه
الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول
بالذي استقر في الدار اخوه انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري ليس على وجه التحتم لان الظرف و
الجار والمجرور اذا وقعا صلتين او حالين او خبرين اما في الاصل واما في الناسخ او تقدمهما اداة نفي
او استفهام جاز فيما بعدهما من الاسم الظاهر ان يرتفع على الفاعل وهو الاجود وجاز ان يكون ●
ذلك المرفوع مبتدا والظرف او الجار والمجرور في موضع خبره والجملة من المبتدا والخبر صلة او صفة
او حال او خبر وهذا مبني على اسم الفاعل فكما جاز ذلك في اسم الفاعل وان كان الاحسن اعماله
في الاسم الظاهر فكذلك يجوز فيما ناب عنه من ظرف ومجرور وقد نص سيبويه على اجازة ذلك في
نحو مررت برجل حسن وجهه فاجاز حسن وجهه على رفع حسن على انه خبر مقدم وهكذا تلقفنا هذه
المسئلة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض النشاة في النحو ان اسم الفاعل اذا اعتمد على شي مما ذكرناه
يتحتم اعماله في الظاهر وليس كذلك وقد اعرب الحوفي عنده علم الكتاب مبتدا وخبرا في صلة
من وقال ابو البقا ويجوز ان يكون خبرا يعني عنده والمبتدا علم الكتاب انتهى ومن قرا ومن عنده
على انه حرف جر فالكتاب في قراءته هو القران والمعنى ان الله تعالى من جهة فضله واحسانه علم
الكتاب وعلم الكتاب على القران تبين اي علمت معانيه وكونه اعظم المعجزات الباقي على مر الاعصار
فليس يبلغ العبد بعلوم القران انما ذلك من احسان الله تعالى اليه وتوفيقه على كونه معجزا وتوفيقه
لادراك ذلك ● سورة ابرهيم عليه الصلاة والسلام ● بسم الله الرحمن الرحيم ● الر كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات
وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد ● الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ● هذه السورة مكية كلها في قول
الجمهور وعن ابن عباس وقتادة هي مكية الا من قوله الم تر الى الذين بدلوا الى قوله الى النار وارتباط
اول هذه السورة باخر السورة قبلها واضح جدا لانه ذكر فيها ولو ان قرانا ثم وكذلك انزلناه حكما
عربيا ثم ومن عنده علم الكتاب فناسب هنا قوله الر كتاب انزلناه اليك وايضا فانهم لما قالوا على
سبيل الاقتراح وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وقيل له قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من
اناب ● الر كتاب انزلناه اليك كانه قيل اولم يكفهم من الايات كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من
الظلمات هي الضلال الى النور وهو الهدى وجوزوا في اعراب الر ان يكون في موضع رفع بالابتدا
وكتاب الخبر وفي موضع رفع على خبر مبتدا محذوف تقديره اي هذه الر وفي موضع نصب على تقدير
الزم او اقرا الر وكتاب انزلناه اليك جملة مفسرة في هذين الاعرابين وكتاب مبتدا وسوغ الابتدا
به كونه موصوفا في التقدير اي كتاب اي كتاب عظيم انزلناه اليك وجوزوا ان يكون كتاب
خبر مبتدا محذوف تقديره هذا كتاب وانزلناه جملة في موضع الصفة وفي قوله انزلناه واسناد
الانزال اليه بنون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله اليك واسناد الاخراج اليه عليه السلام تنويه عظيم
وتشريف له عليه السلام من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بانزاله تعالى وباخراجه عليه السلام
اذ هو الداعي والمنذر وان كان في الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى والناس عام اذ هو ●

منعوث الى الخلق كلهم والظلمات والنور مستعاران للكفر والايمان ولما ذكر علة انزال الكتاب وهي قوله لتخرج الناس
قال باذن ربهم اي ذلك الاخراج بتسهيل ما يحكم الناظر في مصالحهم اذ هم عبيده فناسب ذكر الرب هنا تنبيها
على منة المالك وكونه ناظرا في حال عبيده وباذن ظاهره التعلق بقوله لتخرج وجوز ابو البقا ان يكون
باذن ربهم في موضع الحال قال اي ماذونا لك وقال الزمخشري باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل الحجاب وذلك بما يمنحهم من اللطف والتوفيق انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر
قوله الى صراط بدل من قوله الى النور ولا يضر هذا الفصل بين المبدل منه والبدل لان باذن معمول
للعامل في المبدل منه وهو لتخرج واجاز الزمخشري ان يكون الى صراط على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي
نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقرئ ليخرج مضارع خرج بالياء منقوطتين من تحت والناس رفع به ولما
كان قوله الى النور فيه ابهام ما اوضحه بقوله الى صراط ولما تقدم شيان احدهما اسناد انزال هذا الكتاب اليه
والثاني اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة المتضمنة
للقدرة والغلبة وذلك من جهة انزال الكتاب وصفة الحمد المتضمنة استحقاقه للحمد من حيث الاخراج من الظلمات
الى النور اذ الهداية الى الايمان هي النعمة التي يجب على العبد الحمد عليها والشكر وتقدمت صفة العزيز لما
لتقدم ما دل عليها وتليها صفة الحميد لتقدم ما دل عليها وقرا نافع وابن عامر الله بالرفع وقيل مبتدا محذوف
اي هو الله وهذا الاعراب امكن لظهور تعلقه بما قبله وتعلقه على التقدير الاول وقرا باقي السبعة
والاصمعي عن نافع بالجر على البدل في قول ابن عطية والحوفي وابي البقا وعلى عطف البيان في قول
الزمخشري قال لانه جرى مجرى الاسما الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما
غلب النجم على الثريا انتهى وهذا التعليل لا يتم الا على تقدير ان يكون اصله الاله ثم نقلت الحركة الى لام
التعريف وحذفت الهمزة والتزم فيه النقل والحذف ومادته ادخال الهمزة واللام والهاء وقد تقدمت الاقوال
في هذا اللفظ في البسملة اول الحمد وقال الاستاذ ابو الحسن ابن عصفور لا تقدم صفة على موصوف الا
حيث سمع وذلك قليل وللعرب فيما وجد من ذلك وجهان احدهما ان تقدم الصفة وتبقيها على ما كانت
عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان احدهما اعرابه نعتا مقدما والثاني ان يجعل ما بعد الصفة بدلا
والوجه الثاني ان تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى فعلى هذا الذي ذكره ابن عصفور
يجوز ان يكون العزيز الحميد يعربان صفتين متقدمتين ويعرب لفظ الله موصوفا متاخرا ومما جا فيه
تقديم ما لو تاخر لكان صفة وتاخير ما لو تقدم لكان موصوفا • قال الشاعر
• والمومن العايذات الطير يمسحها • ركبان مكة بين الغيل والسعد • فلو جا على الكثير لكان
التركيب والمومن الطير العايذات وارتفع ويل على الابتدا وللكافرين خبره لما تقدم ذكر الظلمات دعا
بالهلكة على من لم يخرج منها ومن عذاب شديد في موضع الصفة لويل ولا يضر الفصل بالخبر بين
الصفة والموصوف ولا يجوز ان يكون متعلقا لانه مصدر ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به
بالخبر ويظهر من كلام الزمخشري انه ليس في موضع الصفة قال فان قلت لان المعنى انهم يولولون من
عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا انتهى وظاهره يدل على
تقديره عاملا يتعلقون به من عذاب شديد ويحتمل هذا العذاب ان يكون واقعا بهم في الدنيا او واقعا
بهم في الاخرة والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشي على غيره
كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر ويجوز ان يكون استفعل بمعنى افعل

كاستجاب

كاستجاب واجاب ولما ضمن معنى الايثار عدي بعلى وجوزوا في اعراب الذين ان يكون مبتدا خبره اوليك في ضلال
بعيد وان يكون معطوفا على الذم اما خبر مبتدا محذوف اي هم الذين واما منصوبا باضمار فعل تقديره اذم
وان يكون بدلا وان يكون صفة للكافرين ونص على هذا الوجه الاخير الحوفي والزمخشري وابو البقا وهو
لا يجوز لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد سوا كان من
عذاب شديد في موضع الصفة لويل او متعلقا بفعل محذوف اي يضجون ويقولون من عذاب شديد
ونظيره اذا كان صفة ان تقول الدار لزيد الحسنة وقرا الحسن ويصدون مضارع اصد الداخل
عليه همزة النقل من صد اللازم صدودا وتقدم الكلام على قوله ويبغونها عوجا في ال عمران وعلى صفة
الضلال بالبعد قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشا
ويهدي من يشا وهو العزيز الحكيم • ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى
النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور • سبب نزولها ان قريشا قالوا ما
بال الكتب كلها اعجمية وهذا عربي فنزلت وشان تعالى قصة موسى انه ارسله الى قومه بلسانه
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور كما ارسلك لتخرج الناس من الظلمات الى النور والظاهر ان قوله وما
ارسلنا من رسول العموم فيندرج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان كانت الدعوة عامة للناس كلهم
او اندرج في اتباعه ذلك الرسول من ليس من قومه كان من لم يكن لغته لغة ذلك النبي موقوفا على تعلم
تلك اللغة حتى يفهمها او ان يرجع في تفسيرها الى من يعلمها وقيل في الكلام حذف تقديره وما ارسلنا
من رسول قبلك الا بلسان قومه وانت ارسلناك للناس كافة بلسان قومك وقومك يترجمون
لغيرهم بالسنتهم ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرا ابو السمال وابو الجوزا وابو عمران الجوني
بلسن باسكان السين قالوا هو كالريش والرياش وقال صاحب اللوامح واللسن خاص باللغة واللسان
قد يقع على العضو وعلى الكلام وقال ابن عطية مثل ذلك قال اللسان في هذه الاية يراد به اللغة ويقال
لسن ولسان في اللغة فاما العضو فلا يقال فيه لسن وقرا ابو رجا وابو المتوكل والجحدري بلسن بضم
اللام والسين وهو جمع لسان كعماد وعمد وقرئ ايضا بضم اللام وسكون السين كرسل ورسل والضمير
في قومه عايد على رسول اي قوم ذلك الرسول وقال الضحاك والضمير في قومه عايد على محمد
صلى الله عليه وسلم قال والكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه قال الزمخشري
وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيودي الى ان الله انزل التورية من السما بالعربية
ليبين للعرب وهذا معنى فاسد انتهى وقال الكلبي جميع الكتب اتت الى جبريل بالعربية وامره تعالى ان
ياتي رسول كل قوم بلغتهم واورد الزمخشري هنا سوالا وابن عطية انظره في كتابيهما وتنوق
قامت الحجة على البشر بادعان الفصحا الذين يظن بهم القدرة على المعارضة واقرارهم بالعجز كما قامت
باذعان السحرة لموسى والاطبا لعيسى عليهما السلام وبين تعالى العلة في كون من ارسل من الرسل بلغة
قومه وهي التبيين لهم ثم ذكر تعالى انه يضل من يشا اضلاله ويهدي من يشا هدايته فليس على ذلك
الرسول الا التبليغ والتبيين ولم يكلف ان يهدي بل ذلك بيد الله على ما سبق به قضاؤه وهو العزيز
الذي لا يغالب الحكيم الواضع الاشيا على ما اقتضته ارادته وحكمته وقال الزمخشري والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز
فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف انتهى وهو على طريقة

والجمهور على تفسير قوله بآياتنا أنها التسع الآيات التي أجراها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام وقيل يجوز
أن يراد بها آيات التوراة والتقدير كما أرسلناك يا محمد بالقرآن بلسان عربي هو آياتنا كذلك أرسلناه
موسى بالتوراة بلسان قومه وأن أخرج يحتمل أن تكون مفسرة وأن تكون مصدرية ويضعف
زعم من زعم الغلط أنها وهي قوله قومك خصوصا لرسالته إلى قومه بخلاف لتخرج الناس والظاهر أن
أن قومه هم بنو إسرائيل وقيل القبط فإن كانوا القبط فالظلمات هنا الكفر والنور الإيمان وإن كانوا
بني إسرائيل وقلنا إنهم كلهم كانوا مؤمنين فالظلمات ذل العبودية والنور العزة بالدين وظهور أمر الله
وإن كانوا أشياعا متفرقين في الدين قوم مع القبط في عبادة فرعون وقوم على غير شيء فالظلمات الكفر
والنور الإيمان قيل وكان موسى عليه السلام مبعوثا إلى القبط وبني إسرائيل وقيل إلى القبط بالأمر
بوحدانية الله تعالى وأن لا يشرك به والإيمان بموسى وأنه نبي من عند الله وإلى بني إسرائيل بالتكليف
وبفروع شريعته إذ كانوا مؤمنين ويحتمل قوله وذكرهم أن يكون أمرا مستأنفا وأن يكون معطوفا
على أن أخرج فيكون في حيز أن وأيام الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نعم الله عليهم ودفاعه
من فوقها ومنه قول الشاعر ٥ وأيام لنا غر طوال ٥ عصينا الملك فيها أن ندينا ٥ وعن ابن عباس
أيضا ومقاتل وابن زيد وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ويقال فلان عالم بأيام العرب أي وقائعها
وحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار وغيرها وروي نحوه عن مالك قال بلاؤه قال الشاعر
وأيامنا مشهورة في عدونا ٥ أي وقائعنا وعن ابن عباس أيضا نعماؤه وبلاؤه واختاره الطبري فنعماؤه
بتظليله عليهم الغمام وإنزال المن والسلوى وفلق البحر ٥ وبلاؤه باستعباد فرعون لهم وتذبيح أبنائهم
وإهلاك القرون قبلهم وفي حديث أبي في قصة موسى والخضر بينما موسى عليه السلام في قومه
يذكرهم بأيام الله وأيام الله بلاؤه ونعماؤه واختار الطبري هذا القول الأخير ولفظة الأيام تعم
المعنيين لأن التذكير يقع بالوجهين جميعا وفي هذه اللفظة تعظيم الكوائن المذكر بها وعبر عنها
بالظرف الذي وقعت فيه وكثيرا ما يقع الإسناد إلى الظروف وفي الحقيقة الإسناد لغيرها كقوله
بل مكر الليل والنهار ومن ذلك قولهم يوم عبوس ويوم عصيب ويوم بسام والحقيقة وصف ما وقع
فيه من شدة أو سرور والإشارة بقوله إن في ذلك إلى التذكير بأيام الله وصبار وشكور صفتا
مبالغة وهما مشعرتان بأن أيام الله المراد بها بلاؤه ونعماؤه أي صبار على بلائه شكور على نعمائه
فإذا سمع ما أنزل الله من البلاء على الأمم أو بما أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه
بلاء ومن الشكر إذا أصابته نعماء وخص الصبار والشكور لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه
ويتعظان به وقيل أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه لأن الصبر والشكر من سجايا أهل الإيمان قوله تعالى
وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٥ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم
ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ٥ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد
لما تقدم أمره تعالى لموسى عليه السلام بالتذكير بأيام الله ذكرهم بما أنعم تعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون
وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقم الله وتقدم إعراب إذ في نحو هذا التركيب في قوله اذكروا
نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء وتفسير نظير هذه الآية إلا أن هنا ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو
وفي الأعراف يقتلون بحيث لم يؤت بالواو وجعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث أتى بها دل على

المغايرة

المغايرة وأن سوم سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره وحيث جاء يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح
ولغيره من أنواع القتل وقرأ ابن محيصن ويذبحون مضارع ذبح ثلاثيا وقرأ زيد بن علي كذلك إلا أنه حذف
الواو وتقدم شرح تأذن وتلقيه بالقسم في قوله في الأعراف وإذ تأذن ربك ليبعثن واحتمل إذ أن تكون
منصوبا باذكروا وأن تكون معطوفا على إذ أنجاكم لأن هذا الإعلام بالمزيد على الشكر من نعمه تعالى ٥
والظاهر أن متعلق الشكر هو الإنعام أي لئن شكرتم إنعامي وقاله الحسن والربيع قال الحسن لأزيدنكم
من طاعتي وقال الربيع لأزيدنكم من فضلي وقال ابن عباس أي لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم في الثواب
وكأنه راعى ظاهر المقابلة في قوله ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وظاهر الكفر المراد به الشرك
فلذلك فسر الشكر بالتوحيد والطاعة وغيره قال ولئن كفرتم أي نعمتي فلم تشكروها رتب العذاب
الشديد على كفران نعمه تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وجاء
التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخير أسند إليه تعالى وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن
نسبته إليه فقال لأزيدنكم فنسب الزيادة إليه وقال إن عذابي لشديد ولم يأت التركيب لأعذبنكم
وخرج لأزيدنكم بالمفعول وهنا لم يذكر وإن كان المعنى عليه أي إن عذابي لكم لشديد وقرأ عبد الله
وإذ قال ربكم كأنه فسر قوله تأذن لأنه بمعنى أذن أي أعلم وأعلم يكون بالقول ثم نبه موسى عليه
السلام قومه على أن الباري تعالى وإن أوعد بالعذاب الشديد على الكفر هو غير مفتقر إلى شكركم
لأنه تعالى هو الغني عن شكركم الحميد المستوجب الحمد على ما أسبغ من نعمه وإن لم يحمده الحامدون فنفع
شكركم إنما هو عائد إليكم وأنتم خطاب لقومه ومن في الأرض يعني الناس كلهم لأن من كان
في العالم العلوي هم الملائكة لا يدخلون في من في الأرض وجواب إن تكفروا محذوف لدلالة المعنى ٥
التقدير فإنما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغنى المطلق والحمد سواء كفروا أم شكروا
وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم وتعظيم الله تعالى وكذلك في ذكر هذين الصفتين قوله تعالى ألم
يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب
قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى
قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ٥ الظاهر
أن هذا من خطاب موسى عليه السلام لقومه وقيل ابتداء خطاب من الله تعالى لهذه الأمة وخبر قوم
نوح وعاد وثمود قد قصه الله تعالى في كتابه وتقدم في الأعراف وهود والهمزة في ألم للتقرير
والتوبيخ والظاهر أن والذين في موضع خفض عطفا على ما قبله إما على الذين وإما على قوم نوح وعاد
وثمود قال الزمخشري والجملة من قوله لا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم
إلا الله انتهى وليست جملة اعتراض لأن جملة الاعتراض تكون بين جزأين يطلب أحدهما الآخر وقال
أبو البقاء تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من بعدهم فإن عني من الضمير المجرور في بعدهم فلا يجوز لأنه
حال مما جر بالإضافة وليس له محل إعراب من رفع أو نصب وإن عني من الضمير المستقر في الجار والمجرور النائب
عن العامل فممكن وقال أبو البقاء أيضا ويجوز أن يكون مستأنفا وكذلك جاءتهم وأجاز الزمخشري وتبعه
أبو البقاء أن يكون والذين مبتدأ وخبره لا يعلمهم إلا الله وقال الزمخشري والجملة من المبتدأ والخبر وقعت
اعتراضا انتهى وليست باعتراض لأنها لم تقع بين جزأين أحدهما يطلب الآخر والضمير في جاءتهم عائد على

الذين من قبلكم والجملة تفسيرية للنبا والظاهر ان الايدي هي الجوارح وان الضمير في ايديهم وفي افواههم
عائد على الذين جاءتهم الرسل قال ابن مسعود وابن زيد جعلوا ايديهم الى ايدي انفسهم في افواه انفسهم ليعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل وقرا ابن زيد عضوا عليكم الانامل من الغيظ والعض بسبب مشهور من البشر قال الشاعر
لو ان سلمى ابصرت تخددي • ودقة في عظم ساقي ويدي • وبعد اهلي وجفاء عودي • عض من الوجد باطراف اليد •
وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال ابو صالح لما قال لهم رسول الله
انا رسول الله اليكم اشاروا باصابعهم الى افواههم ان اسكت تكذيبا لقوله وردا له واستبشاعا لما
جاء به وقيل ردوا ايديهم في افواههم ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه وقيل اشاروا بايديهم
الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جواب لكم ليس عندنا غيره اقناطا
لهم من التصديق وقيل الضميران عائدان على الرسل قاله مقاتل قال اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على
افواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم وقال الحسن وغيره جعلوا ايدي انفسهم في افواه الرسل
ردا لقولهم وهذا اشنع في الرد واذهب في الاستطالة على الرسل والنيل منهم فعلى هذا الضمير في
ايديهم عائد على الكفار وفي افواههم عائد على الرسل وقيل المراد هنا بالايدي النعم جمع يد المراد بها
النعمة اي ردوا نعم الانبيا التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والايات
في افواه الانبيا لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت
منه على طريق المثل وقيل الضمير في افواههم على هذا القول عائد على الكفار وفي بمعنى البا اي بافواههم
والمعنى كذبوهم بافواههم وفي بمعنى البا يقال جلست في البيت وبالبيت وقال الفرا قد وجدنا من
العرب من يجعل في موضع البا فيقول ادخلك الله الجنة وفي الجنة وانشد قول الشاعر ○
وارغب فيها عن لقيط ورهطه • ولكنني عن سنبس لست ارغب • يريد ارغب بها وقال ابو عبيدة
هذا ضرب مثل اي لم يومنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرسول اذا سكت عن الجواب وامسك رد يده
في فيه وقال الاخفش ايضا وقال القتيبي لم نسمع احدا من العرب يقول رد يده في فيه اذا ترك ما امر به
انتهى ومن سمع حجة على من لم يسمع هذا ابو عبيدة والاخفش نقلا ذلك عن العرب فعلى ما قاله ابو عبيدة
يكون ذلك في مجاز التمثيل كان الممسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده على فيه وقد رد الطبري
قول ابي عبيدة وقال انهم قد اجابوا بالتكذيب لانهم قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به ولا يرد ما قاله
الطبري لانه يريد ابو عبيدة انهم امسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي تقتضيه مجي الرسل
بالبينات وهو الاعتراف بالايمان والتصديق للرسل قال ابن عطية ويحتمل ان يتجوز في لفظة
الايدي اي انهم ردوا قوتهم ومدافعتهم ومكافحتهم فيما قالوا بافواههم من التكذيب فكان
المعنى ردوا جميع مدافعتهم في افواههم اي في اقوالهم وعبر عن جميع المدافعة بالايدي اذ الايدي
موضع اشد المدافعة والمراده انتهى ما ردوا اولا الى الكفر وهو التكذيب المحض ثم اخبروا بانهم
في شك وهو التردد كانهم نظروا بعض نظر اقتضى ان انتقلوا من التكذيب المحض الى التردد او هما
قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب والكفر وطائفة شكت والشك في مثل ما جاءت به
الرسل كفر وقرا طلحة مما تدعونا بادغام نون الرفع في الضمير كما يدغم في نون الوقاية في مثل
اتحاجوني والمعنى مما تدعوننا اليه من الايمان بالله ومريب صفة لشك ودخلت همزة الاستفهام
الذي معناه الانكار على الظرف الذي هو خبر عن المبتدا لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك

فيه

فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه وقدر مضاف فقيل افي الهية الله وقيل افي وحدانيته
ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي ان لا يقع فيه شك البتة وهو كونه منشئ العالم وموجده فقال فاطر
السموات والارض وفاطر صفة لله ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدا فيجوز ان
تقول في الدار زيد الحسنة وان كان اصل التركيب في الدار الحسنة زيد وقرا زيد بن علي فاطر نصبا
على المدح ولما ذكر انه موجد العالم ونبه على الوصف الذي لا يناسب ان يكون معه فيه شك ذكر ما هو
عليه من اللطف بهم والاحسان اليهم فقال يدعوكم ليغفر لكم اي يدعوكم الى الايمان كما قال تعالى
اذ تدعون الى الايمان او يدعوكم لاجل المغفرة نحو دعوته لينصرني قال الشاعر ○
دعوت لما نابني مسورا • فلبى فلبي يدي مسور • ومن ذنوبكم ذهب ابو عبيدة والاخفش الى
زيادة من اي ليغفر لكم ذنوبكم وجمهور البصريين لا يجيزون زيادتها في الواجب ولا اذا جرت المعرفة
المعرفة والتبعيض يصح فيها اذ المغفور هو ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم
وبطريق اخر يصح التبعيض وهو ان الاسلام يجب ما قبله ويبقى ما يستانف بعد الايمان من الذنوب
مسكوتا عنه فهو في المشية والوعد انما هو بغفران ما تقدم لا بغفران ما يستانف وقال
الزمخشري ما معناه ان الاستغفار في الكافرين انما جاء من ذنوبكم وفي المومنين ذنوبكم وكان ذلك
للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين انتهى ويقال ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى
مشترك اذ الكافر اذا امن والمومن اذا تاب مشتركان في الغفران وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب
في الكافر الذي امن هو موجود في المومن الذي تاب وقال ابو عبد الله الرازي ما قول صاحب الكشاف
المراد تمييز خطاب المومن من خطاب الكافر فهو من باب لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة
الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا وقال الى اجل مسمى اي الى وقت قد بيناه
وبينا مقداره ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت انتهى وهذا بنا على القول بالاجلين
وهو مذهب المعتزلة وتقدم الكلام في طرف من هذا في سورة الاعراف في قوله ولكل امة
اجل وقيل هنا يوخركم الى اجل مسمى قبل الموت فلا يعاجلكم بالعذاب ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا
وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا قال الزمخشري ولو ارسل الله الى البشر رسلا
لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة انتهى هذا على مذهب المعتزلة في تفضيل الملائكة على
من سواهم وقال ابن عطية في قولهم استبعاد بعثة البشر وقال بعض الناس من الالاد والحالية ذهبوا
مذهب البراهمة او من يقول من الفلاسفة ان الاجناس لا يقع فيها هذا التباين وظاهر كلامهم لا
يقتضي الحصر عمموا هذا الاغماض ويدل على ما ذكرنا انهم طلبوا منهم حجة ويحتمل ان طلبهم منهم
السلطان انما هو على جهة التعجيز اي بعثتكم محال والا فاتوا بسلطان مبين اي انكم لا تفعلون ذلك
ابدا فيقوى بهذا الاحتمال منحاهم الى مذهب الفلاسفة انتهى والذي يظهر ان طلبهم السلطان
المبين وقد اتتهم الرسل بالبينات انما هو على سبيل التعنت والاقتراح والا فما اتوا به من الدلائل
والايات كاف لمن استبصر ورجحهم فقلدوا اباهم فيما كانوا عليه من الضلال الا ترى الى قولهم لما ذكروا انهم
مماثلوهم قالوا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا اي ليس مقصودكم الا ان نكون لكم
اتباعا ونترك ما نشانا عليه من دين ابائنا وقرا طلحة ان تصدونا بتشديد النون جعل ان المخففة
من الثقيلة وقدر فصلا بينها وبين الفعل وكان الاصل انه تصدوننا فادغم نون الرفع في الضمير

والاولى ان تكون ان البيانية التي تنصب المضارع لكنه هنا لم تعملها بل الغاها كما الغاها من قرا لمن اراد ان يتم الرضاعة برفع يتم حملاً على ما المصدرية اختها قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ سلموا لهم انهم بشر مثلهم في البشرية وحدها واما ما سوى ذلك من الاوصاف التي اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعاً منهم ونسبوا ذلك الى الله ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن ابرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده والمعنى يمن بالنبوة على من يشاء تنبيته ومعنى باذن الله بتسويغه وارادته اى الاية التي اقترحتموها ليس لنا الاتيان بها ولا هي في استطاعتنا ولذلك كان التركيب وما كان لنا وانما ذلك امر متعلق بالمشية وليتوكل امر منهم للمومنين بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصداً اولياً وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قولهم وما لنا الا نتوكل على الله معناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل على الله وقد هدانا فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه هو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين والامر الاول وهو قوله فليتوكل المومنون لاستحداث التوكل والثاني الثبات على ما استحدثوا من توكلهم ولنصبرن جواب قسم ويدل على سبقوا ما يجب فيه الصبر وهو الاذى وما مصدرية وجوزوا ان تكون بمعنى الذي والضمير محذوف اي ما اذيتموناه وكان اصله به فهل حذف به او الباء ووصل الفعل الى الضمير قولان وقرا الحسن بكسر لام الامر في فليتوكل وهو الاصل ولاحد الامرين اقسموا على انه لا بد من اخراجهم او عودهم في ملتهم كانهم قالوا ليكونن احد هذين وتقدير او هنا بمعنى حتى او بمعنى الا ان قول من لم ينعم النظر فيما بعدها لانه لا يصح تركيب حتى ولا تركيب الا ان مع قوله لتعودن بخلاف لالزمنك او تقضيني حقي والعود هنا بمعنى الصيرورة او يكون خطاباً للرسل ومن امنوا بهم وغلب حكم من امنوا بهم لانهم كانوا قبل ذلك في ملتهم فيصح ابقا لتعودن على المعهود منها او لانه ينسبونهم كانوا في ملتهم واما الرسل عليهم السلام فلم يكونوا في ملتهم قط او يكون المعنى في عودهم الى ملتهم سكوتهم عنهم وكونهم اغفالا عنهم لا يطالبونهم بالايمان بالله وما جاءت به الرسل وقرا ابو حيوة ليهلكن الظالمين وليسكننكم بيا الغيبة اعتبارا بقوله فاوحى اليهم ربهم اذ لفظه لفظ الغائب وجا ولنسكننكم بضمير الخطاب تشريفا لهم بالخطاب ولم يات بضمير الغيبة كما في قوله فاوحى اليهم ربهم فلما اقسموا على اخراج الرسل والعودة في ملتهم اقسم تعالى على اهلاكهم واي اخراج اعظم من الاهلاك بحيث لا يكون لهم عودة اليها ابدا وعلى اسكان الرسل ومن امن بهم وذرياتهم ارضهم وتلك المقسمين على اخراج الرسل قال ابن عطية وخص الظالمين من الذين كفروا اذ جايز ان يومن من الكفرة الذين قالوا ذلك ناس وانما توعد بالاهلاك من خلص للظلم وقال غيره اراد بالظالمين المشركين قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم والاشارة بذلك الى توريث

الارض

الارض الانبيا ومن امن منهم بعد اهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام يحتمل المصدر والمكان وقال الفرا ومقامي مصدر اضيف الى الفاعل اى قيامي عليه بالحفظ لاعماله ومراقبتي اياه لقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال الزجاج وقوفه بين يدي للحساب وهو موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة كقوله ولمن خاف مقام ربه او على اقحام المقام اى لمن خافني والظاهر ان الضمير في واستفتحوا عائد على الانبيا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح ويجوز ان يكون من الفتاحة وهي الحكومة اي استحكموا الله طلبوا منه القضا بينهم واستنصار الرسل في القران كثير كقول نوح فافتح بيني وبينهم فتحا وقول لوط رب نجني واهلي مما يعملون وقول شعيب ربنا افتح بيننا وقول موسى ربنا انك اتيت الاية وقال ابن زيد الضمير عائد على الكفار اي واستفتح الكفار على نحو ما قالت قريش عجل لنا قطنا وقول ابي جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة وكانهم لما قوي تكذيبهم واذاهم ولم يعاجلوا بالعقوبة ظنوا ان ما جا به باطل فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزا كقول قوم نوح فاتنا بما تعدنا وقوم شعيب فاسقط علينا كسفا وعاد وما نحن بمعذبين وبعض قريش فامطر علينا حجارة وقيل الضمير عائد على الفريقين الانبيا ومكذبيهم لانهم كانوا كلهم سالوا ان ينصر الحق ويبطل الباطل ويقوي عود الضمير على الرسل خاصة قراة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا بكسر التا امرا للرسل معطوفا على ليهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم ليهلكن وقال لهم استفتحوا اي اطلبوا النصر وسالوه من ربكم وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه وتعالى ذلك وانه خيب رجا كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ما اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم انتهى وخاب معطوف على محذوف تقديره فنصروا وظفروا وخاب كل جبار عنيد وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط بمعنى المخالط وعلى قول من جعل الضمير عائدا على الكفار كان وخاب عطفا على واستفتحوا من ورائه قال ابو عبيدة وابن الانباري اي من بعد وقال الشاعر

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وليس ورا الله للمرء مذهب

وقال ابو عبيدة ايضا وقطرب والطبري وجماعة من ورائه اي من امامه وهو معنى قول الزمخشري من بين يديه وانشد

عسى الكرب الذي امسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف وقال الشاعر

اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

وقال اخر

اليس ورائي ان تراخت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

بيان ضده

ووراء من الاضداد قاله ابو عبيدة والازهري وقيل ليس من الاضداد وقال ثعلب اسم لما توارى عنك سوا كان امامك ام خلفك وقيل بمعنى من خلفه اي في طلبه كما تقول الامر من ورائك اي سوف ياتيك ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى فيها ويسقى او معطوف على العامل في من ورائه وهو واقع موقع الصفة وارتفاع جهنم على الفاعلية والظاهر ارادة حقيقة الما الصديد قال ابن عطية هو نعت لما كما تقول هذا خاتم حديد وليس بما الجنة لما كان الما في العرف عندنا يعني اطلق عليه ما وقيل هو نعت على اسقاط اداة التشبيه كما تقول مررت برجل اسد التقدير مثل صديد فعلى هذا ليس ما يشبه بالصديد وقال الزمخشري صديد عطف بيان لما قال ويسقى من ما فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد انتهى والبصريون لا يجيزون

عطف البيان في النكرات وأجازه الكوفيون وتبعهم الفارسي فأعرب زيتونة عطف بيان لشجرة
مباركة فعلى رأي البصريين لا يجوز أن يكون قوله صديد عطف بيان وقال الحوفي صديد نعت لماء قال
مجاهد وقتادة والضحاك هو ما يسيل من أجساد أهل النار وقال محمد بن كعب والربيع هو غسالة أهل
النار في النار هو ما يسيل من فروج الزناة والزواني وقيل صديد بمعنى مصدود عنه أي لكراهته
يصد عنه فيكون مأخوذا من الصد وذكر ابن المبارك من حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى
وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد
أي ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة والظاهر هنا انتفاء مقاربة إساغته إياه وإذا
انتفت انتفت الإساغة فيكون كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها والحديث جاء
بأنه يشربه فإن صح الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل أن يشربه ثم شربه كما جاء في قوله
وما كادوا يفعلون قبل الذبح ويتجرع تفعل ويحتمل هنا وجوها أن يكون للمطاوعة أي جرعه فتجرع
كقولك علمته فتعلم وأن يكون للتكلف نحو تحلم وأن يكون لمواصلة العمل في مهلة نحو تفهم أي يأخذ
شيئا فشيئا وأن يكون موافقا للمجرد أي يجرعه كما تقول عدا الشيء وتعداه ويتجرعه صفة لماء أو
حال من ضمير ويسقى واستئناف ويأتيه الموت أي أسبابه والظاهر أن قوله من كل مكان معناه
من الجهات الست وذلك لتقطيع ما يصيبه من الآلام وقال إبراهيم التيمي من كل مكان من جسده حتى
من أطراف شعره وقيل حتى من إبهام رجليه والظاهر أن هذا في الآخرة وقال الأخفش أراد البلايا
التي تصيب الكافر في الدنيا سماها موتا وهذا بعيد لأن سياق الكلام يدل على أن أحوال الكافر
في جهنم وقوله وما هو بميت لتطاول شدائد الموت وامتداد سكراته ومن ورائه الخلاف
في ورائه كالخلاف في من ورائه جهنم وقال الزمخشري ومن بين يديه عذاب غليظ أي في كل
وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في
الأجساد انتهى وقيل الضمير في من ورائه يعود على العذاب المتقدم لا على كل جبار ○ المفردات
الرماد معروف وقال ابن عيسى هو جسم يسحقه الإحراق سحق الغبار ويجمع على رمد في الكثرة وأرمدة
في القلة وشذ جمعه على أفعلاء قالوا أرمداء ورماد رمدد إذا صار هباء أرق ما يكون الجزع
عدم احتمال الشدة وهو نقيض الصبر قال الشاعر ○ جزعت ولم أجزع من البين مجزعا ○
وعزيت قلبا بالكواعب مولعا ○ المصرخ المغيث قال الشاعر ○ فلا تجزعوا إني لكم غير مصرخ
وليس لكم عندي غناء ولا نصر ○ والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخا وصراخا وصرخة قال
سلامة بن جندل ○ كنا إذا ما أتانا صارخ فزع ○ كان الصراخ له قرع الظنابيب ○ واصطرخ
بمعنى صرخ وتصرخ تكلف الصراخ واستصرخ استغاث يقال استصرخني فأصرخته والصريخ
مصدر كالنزيع ويوصف به المغيث والمستغيث من الأضداد الفرع الغصن من الشجرة ويطلق على
ما يتولد من الشيء والفرع الشعر يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء لمن كثر شعره ○ قال وفرع يغشى
المتن أسود فاحم ○ اجتث الشيء اقتلعه وجث الشيء قلعه والجثة شخص الإنسان قاعدا أو قائما
وقال لقيط الإيادي هو الجلاء الذي يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا ○ البوار
الهلاك قال الشاعر ○ فلم أر مثلهم أبطال حرب ○ غداة الحرب إذ خيف البوار ○ قوله تعالى

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال
البعيد ○ ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند سيبويه فيما يتلى عليكم أو يقص والمثل مستعار للصفة
التي فيها غرابة وأعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال كأنه قيل كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد كما تقول
صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول وقال ابن عطية ومذهب الكسائي والفراء أنه على إلغاء المثل وأن
المعنى الذين كفروا أعمالهم كرماد وقال الحوفي مثل رفع بالابتداء وأعمالهم بدل من مثل بدل الاشتمال كما قال الزباء
ما للجمال مشيها رويدا ○ أجندلا يحملن أم حديدا ○ وكرماد الخبر وقال الزمخشري أو يكون أعمالهم بدلا من
مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر وقال ابن عطية وقيل هو ابتداء وأعمالهم ابتداء ثان وكرماد
خبر للثاني والجملة خبر الأول وهذا عندي أرجح الأقوال وكأنك قلت المتحصل في النفس للذين كفروا هذه
الجملة المذكورة وهي أعمالهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد الذي تذروه الريح وتفرقه بشدتها
حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شيء انتهى وهذا القول الذي رجحه ابن عطية قاله الحوفي وهو لا يجوز
لأن الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الأول التي هو مثل عارية من رابط وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم
من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك
شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به وكونها
لوجهه تعالى برماد طيرته الريح العاصف وقرأ نافع وأبو جعفر الرياح على الجمع والجمهور على الإفراد
ووصف اليوم بقوله عاصف وإن كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم ماطر وليل نائم وقال
الهروي التقدير في يوم عاصف الريح فحذف لتقدم ذكره كما قال ○ إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف ○
يريد كاسف الشمس وقيل عاصف من صفة الريح إلا أنه لما جاء بعد اليوم اتبع إعرابه كما قيل جحر ضب خرب
يعني أنه خفض على الجوار وقرأ ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن أبي بكر عن الحسن في يوم عاصف على إضافة
اليوم لعاصف وهو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه تقديره في يوم ريح عاصف وتقدم
تفسير العصوف في يونس في قوله جاءتها ريح عاصف وعلى قول من أجاز إضافة الموصوف إلى صفته يجوز
أن يكون هذه القراءة منها لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء أي لا يرون له أثرا من ثواب
كما لا يقدر من الرماد المطير بالريح على شيء وقيل لا يقدرون من ثواب ما كسبوا فهو على حذف مضاف
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم
المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وفي الصحيح أيضا أن الكافر
ليطعم بحسناته في الدنيا أعمل الله منها ذلك إشارة إلى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا والبعيد
الذي تعمق فيه صاحبه وأبعد عن طريق النجاة أو البعيد عن الحق أو الثواب وفي البقرة لا يقدرون
مما كسبوا على شيء من التفنن في الفصاحة والمغايرة في التقديم والتأخير والمعنى واحد قوله تعالى
ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ○
وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله
من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ○ قرأ السلمي ألم
تر بسكون الراء ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف وتوجيه آخر وهو أن ترى حذفت العرب ألفها
في قولهم قام القوم ولو تر ما زيد كما حذفت يا لا أبالي في لا أبال فلما دخل الجازم تخيل أن الراء هي آخر
الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا لا أبالي لم أبل تخيلوا اللام آخر الكلمة والرؤية هنا بمعنى العلم فهي من رؤ

القلب وقرأ الاخوان خالق اسم فاعل والارض بالخفض وقرأ باقي السبعة خلق فعلا ماضيا والارض بالنصب ومعنى
بالحق قال الزمخشري بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقال ابن عطية بالحق اي
بما يحق من جهة مصالح عباده وانفاذ سابق قضائه وليدل عليه وعلى قدرته وقيل بقوله وكلامه وقيل
بالحق وكلامه حال اي محقا والظاهر ان قوله يذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار
ويأت بخلق جديد يحتمل ان يكون المعنى ان يشأ يعدمكم ايها الناس ويأت بناس آخرين من جنسكم آدميين
ويحتمل من غير جنسكم والاول قول جمهور المفسرين وتقدم نحو هذين الاحتمالين للمفسرين في قوله في النسا
ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وبينا في ذلك انه لا يحتمل الا الوجه الاول وما ذلك اي وما
اذهابكم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه لانه تعالى هو القادر على ما يشأ وقال الزمخشري
لانه قادر بالذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف
تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال بقوله القادر لانهم يثبتون القادرية وينفون القدرة ولتشبيه فعله تعالى بفعل العبد
في قوله كتحريك اصبعك وعندنا ان تحريك اصبعنا ليس الا بقدرة الله وان ما نسب الينا من القدرة
ليس مؤثرا في ايجاد شيء وقال الزمخشري ايضا وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم
خطئهم في الكفر بالله تعالى لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة
وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزا انتهى وبرزوا اي ظهروا من
قبورهم الى جزا الله وحسابه وقال الزمخشري معنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز
انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان
يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية وقال ابن عطية وبرزوا معناه
صاروا بالبراز وهي الارض المتسعة فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة وقال ابو عبد الله الرازي تاويل الحكما
ان النفس اذا فارقت الجسد فكانه زال الغطا وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواه وذلك هو
البروز لله تعالى انتهى وهذا الرجل كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لاهل الشرايع في تفسير
كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب والعرب لا تفهم شيئا من كلام اهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغز والاحاجي
ويسميهم هذا الرجل حكما وهم من اجهل الكفرة بالله تعالى وبانبيائه والضمير في برزوا عائد على الخلق
المحاسبين وعبر بلفظ الماضي لصدق المخبر به فكانه قد وقع وقرا زيد بن علي وبرزوا مبنيا
للمفعول وبتشديد الرا فقال الضعفا الاتباع والعوام وكتب بواو في المصحف قبل الهمزة على لفظ من يفخم
الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علموا بني اسرائيل الذين استكبروا هم روساوهم وقادتهم
استغووا الضعفا واستتبعوهم واستكبروا تكبروا واظهروا تعظيم انفسهم او استكبروا عن اتباع
الرسل وعبادة الله تعالى وتبعا يحتمل ان يكون اسم جمع لتابع كخادم وخدم وغايب وغيب ويحتمل ان يكون
مصدرا كقوله عدل ورضى وقيل انتم مغنون استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد
علموا انهم لن يغنوا والمعنى انا تبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما امرتمونا وما اغنيتم عنا شيئا
ولذلك لما حاجوهم لو هدانا الله لهديناكم اجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والجاوا الهداية الى
الله تعالى وهو كلام حق في نفسه وقال الزمخشري من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل
انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا

بعض

بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله انتهى وهذان التوجيهان اللذان وجههما الزمخشري
في من في المكانين يقتضي اولهما التقديم في قوله من شيء على قوله من عذاب الله لانه جعل من شيء هو المبين
بقوله من عذاب الله ومن التبيينية يتقدم عليها ما تبينه ولا يتاخر والتوجيه الثاني هو بعض شيء هو
بعض العذاب يقتضي ان يكون بدلا فيكون بدل عام من خاص لان شيء اعم من قوله من عذاب الله وان
عنى بشيء شيئا من العذاب فيؤول المعنى الى ما قدره وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لان بعضية
الشيء مطلقة فلا يكون لها بعض ونص الحوفي وابو البقا على ان من في قوله من شيء زائدة قال الحوفي من
عذاب الله متعلق بمغنون ومن في شيء لاستغراق الجنس زائدة للتوكيد وقال ابو البقا ومن زائدة
اي شيئا كائنا من عذاب الله ويكون محمولا على المعنى تقديره هل تمنعون عنا شيئا ويجوز ان يكون شيء
واقعا موقع المصدر اي غنى فيكون من عذاب الله متعلقا بمغنون انتهى وسوغ الزيادة كون الخبر في
سياق الاستفهام فكان الاستفهام دخل عليه وباشره وصارت الزيادة كالزيادة في تركيب فهل
تغنون وقال الزمخشري اجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم
ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شا الله ما
اشركنا ولا اباؤنا ولو شا الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه
في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
ويحسبون انهم على شيء انتهى وحكى ابو عبد الله الرازي عن الزمخشري انهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه
ويدل عليه قوله تعالى يوم يبعثهم الله حكاية عن المنافقين قال ابو عبد الله واعلم ان المعتزلة لا يجوزون
صدور الذنب على اهل القيامة فكان هذا القول منه مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه وقال
الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان
قال ابو عبد الله الرازي وذكر القاضي هذا الوجه وزيفه بان قال لا يجوز حمل هذا على اللطف لان ذلك
قد فعله الله وقيل لو خلصنا الله من العذاب وهدانا الى طريق الجنة لهديناكم وقال الزمخشري في وسط هذا
القول لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما
سلكنا بكم طريق الهلكة انتهى وقيل ويدل على ان المراد بالهدى الهدى الى طريق الجنة انه هو الذي
التمسوه وطلبوه فوجب ان يكون المراد وقال ابن عباس لو ارشدنا الله لارشدناكم والظاهر ان
قوله سوا علينا اجزعنا ام صبرنا الى اخره داخل تحت قول المستكبرين وجاءت جملة بلا واو عطف كان
كل جملة انشئت مستقلة غير معطوفة وان كانت مرتبطا بعضها ببعض من جهة المعنى لان سؤالهم
هل انتم مغنون عنا انما كان لجزعهم مما هم فيه فقالوا لهم ذلك سوا بينهم وبينهم في ذلك
لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع
كما لا فايدة في الصبر ولما قالوا لو هدانا الله اتبعوا ذلك بالاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي
من منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا وقيل سوا علينا من كلام الضعفا والذين استكبروا والتقدير قالوا
جميعا سوا علينا يخبرون عن حالهم وتقدير الكلام في مثل هذه التسوية في اول البقرة والظاهر ان
هذه المحاورة بين الضعفا والروسا هي في موضع العرض وقت البروز بين يدي الله عز وجل وعن محمد
ابن كعب وابن زيد ان قولهم سوا علينا اجزعنا ام صبرنا بعد صبرهم على النار خمسماية عام
وبعد جزعهم مثلها قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم

فاطعتموني وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ● مناسبة هذه الاية لما قبلها
انه ذكر محاورة الاتباع لروسايهم الكفرة فذكر محاورة الشيطان واتباعه من الانس وذلك لاشتراك الروسا
والشياطين في التلبس بالضلال والشيطان هنا ابليس وهو راس الشياطين وفي حديث الشفاعة من حديث
عقبة ابن عامر ان الكافرين يقولون وجد المومنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس
الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد المومنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم
فيثور من مجلسه انتن ريح شمه احد ويقول عند ذلك ان الله وعدكم الاية وعن الحسن يقف ابليس خطيبا
في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلايق جميعا فيقول ان الله وعدكم وعد الحق يعني البعث والجنة والنار
وثواب المطيع وعقاب العاصي فصدقكم وعده ووعدتكم الا بعث ولا ثواب ولا جنة ولا نار ولا
عقاب فاخلفتكم قضي الامر تعين قوم للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف وعليه يدل حديث
الشفاعة او بعد حصول اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويدل عليه ما ذكرنا عن الحسن وهو
تاويل الطبري وقيل قضي الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب وصار الفريقان الى مقريهما ووعد
الحق يحتمل ان يكون من اضافة الموصوف الى صفته اي الوعد الحق وان يكون الحق صفة الله اي وعده وان يكون
الحق الشي الثابت هو البعث والجزا على الاعمال اي فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم
والا ان دعوتكم الظاهر انه استثنا منقطع لان دعاه اياهم الى الضلالة ووسوسته ليس من جنس السلطان
وهو الحجة البينة قيل ويحتمل ان يريد بالسلطان الغلبة والتسليط والقدرة اي ما اضطررتكم ولا
خوفتكم بقوة مني بل عرضت عليكم شيا فاتى رايكم عليه وقيل هو استثنا متصل لان القدرة على حمل الانسان
على الشي تارة تكون بالقهر من الحامل وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه وذلك بالقا الوسواس اليه فهذا
نوع من انواع التسليط قيل وظاهر هذا الكلام يدل على ان الشيطان لا قدرة له على صرع الانسان
وتعويج اعضايه وجوارحه وازالة عقله فلا تلوموني وقري فلا يلوموني بالبا على الغيبة وهو
التفات بين به ما اتيتموه من الضلال ولوموا انفسكم في سو نظركم واستجابتكم لدعاي من غير
بينة ولا حجة وقال الزمخشري ولوموا انفسكم حيث اغتررتم واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم اذ دعاكم هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس
من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا
انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه انتهى هو على طريقة المعتزلة ما انا بمصرخكم
قال ابن عباس بنافعكم وقال ابن جبير بمنقذكم وقال الربيع بمنجيكم وقال مجاهد بمغيثكم وكلها اقوال متقاربة
وقرا يحيى ابن وثاب والاعمش وحمزة بمصرخي بكسر اليا وطعن كثير من النحاة في هذه القراة قال الفرا
لعلها من وهم القرا فانه قل من سلم منهم من الوهم ولعله ظن ان البا في بمصرخي خافضة للفظ
كله واليا للمتكلم خارجة من ذلك وقال ابو عبيد نراهم غلطوا ظنوا ان البا تكسر لما بعدها وقال
الاخفش ما سمعت هذا من احد من العرب ولا من احد من النحويين وقال الزجاج هذه القراة عند جميع
النحويين رديه مرذوله ولا وجه لها الا وجه ضعيف وقال النحاس صار هذا اجماعا ولا يجوز ان
يحمل كتاب الله على الشذوذ وقال الزمخشري هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول ●
قال لها هل لك يا تا في ● قالت له ما انت بالمرضي ● وكانه قدر يا الاضافة ساكنة وقبلها يا ساكنة
فحركها

فحركها بالكسر لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها
الف نحو عصاي فما بالها وقبلها يا فان قلت جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس صحيح حسن ولكن الاستعمال المستفيض
الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات انتهى اما قوله واستشهدوا لها ببيت مجهول
فقد ذكر غيره انه للاغلب العجلي وهي لغة باقية في افواه كثير من الناس الى اليوم يقول القايل ما في افعل
كذا بكسر اليا واما التقدير الذي قاله فهو توجيه الفرا ذكره عنه الزجاج واما قوله في غضون كلامه
حيث قبلها الف فلا اعلم حيث تضاف الى الجملة المصدرة بالظرف نحو قعد زيد حيث اما عمرو من بكر
فيحتاج هذا التركيب الى سماع واما قوله لان يا الاضافة الى الجر قد روي سكون اليا بعد الالف وقرا
بذلك القرا نحو محياي وما ذهب اليه من ذكرنا من النحاة لا ينبغي ان يلتفت اليه واقتفى اثارهم فيها الخلف
فلا يجوز ان يقال فيها انها خطا او قبيحة او رديه وقد نقل جماعة من اهل اللغة انها لغة لكنه قل
استعمالها ونص قطرب على انها لغة في بني يربوع وقال القاسم ابن معن وهو من روسا النحويين ●
الكوفيين هي صواب وسال حسين الجعفي ابا عمرو ابن العلا وذكر تلحين اهل النحو فقال هي جايزة وقال
ايضا لا تبالي الى اسفل حركتها ام الى فوق وعنه انه قال هي بالخفض حسنة وعنه ايضا انه قال
هي جايزة وليست عند الاعراب بذاك ولا التفات الى انكار ابي حاتم على ابي عمرو تحسينها فابو عمرو
امام لغة وامام نحو وامام قراة وعربي صريح وقد اجازها وحسنها وقد رووا بيت النابغة
على الي نعمة لنا بعد نعمة ● لوالده ليست بذات عقارب ● بخفض اليا بما على وما في بما اشركتمون مصدرية
ومن قبل متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله انا برا
منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقال ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقيل ما موصولة بمعنى
الذي والتقدير كفرت بالصنم الذي اشركتمونيه فحذف العايد وقيل من قبل متعلق بكفرت وما بمعنى الذي
اي كفرت حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول اشركت زيدا فاذا ادخلت
همزة النقل قلت اشركت زيدا عمرا اي جعلته له شريكا الا ان في هذا القول اطلاق ما على الله تعالى وما
الاصح فيها انها لا تطلق على احاد من يعلم وقال الزمخشري ونحو ما هذه يعني في اطلاقها على الله ما في قولهم
سبحان ما سخركن لنا انتهى ومن منع ذلك جعل سبحان علما على معنى التسبيح كما جعل علما برة علما للمبرة وما
مصدرية ظرفية ويكون ذلك من ابليس اقرارا على نفسه بكفره الاقدم اي خطيتي قبل خطيتكم فلا اصراخ
عندي ان الظالمين لهم عذاب اليم ● الظاهر انه من تمام كلام ابليس حكى الله عنه ما سيقوله في ذلك الوقت
ليكون تنبيها للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعداد لما لا بد منه وان يتصوروا في انفسهم ذلك
المقام الذي لا بد منه يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقيل هو من كلام
الخزنة يوم ذاك وقيل من كلام الله تعالى ولابي عبد الله الرازي كلام هنا في الشيطان والملايكة
يوقف عليه من تفسيره قوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ● لما جمع الفريقين في قوله وبرزوا لله جميعا ذكر شيا من احوال
الكفار ذكر مال اليه امر المومنين من ادخالهم الجنة وقرا الجمهور وادخل ماضيا مبنيا للمفعول وقرا الحسن
وعمرو ابن عبيد وادخل بهمزة المتكلم مضارع ادخل اي وادخل انا وعلى قراة الجمهور يحتمل ان يكون الفاعل الملايكة
والظاهر تعلق باذن ربهم بادخل وقال الزمخشري فان قلت بم يتعلق يعني باذن ربهم في القراة الاخرى ●

وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم
بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم بمعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم انتهى وظاهر كلامه ان
باذن ربهم معمول لقوله تحيتهم ولذلك قال يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لان
فيه تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل عليه وهو غير جائز وقال ابو الفضل عبد الرحمن ابن احمد
الرازي الحسن ادخل برفع اللام على الاستقبال باخبار الله تعالى عن نفسه فيصير بذلك باذن ربهم [الطف]
لهم واحفى عليهم وتقدم تفسير تحيتهم فيها سلام في سورة يونس قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما توتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء
تقدم الكلام في ضرب مع المثل في اوايل البقرة فكان يغني ذلك عن الكلام فيه هنا لان المفسرين ابدوا
هنا تقديرات واعرب الحوفي والمهدوي وابو البقا مثلا مفعولا بضرب وكلمة بدل من مثلا واعرابهم
هذا تفريع على ان ضرب مع المثل لا يتعدى الا الى مفعول واحد وقال ابن عطية واجازه الزمخشري
مثلا مفعول بضرب وكلمة مفعول اول تفريعا على انها مع المثل تتعدى الى اثنين لانها بمعنى جعل وعلى
هذا يكون كشجرة خبر مبتدا محذوف اي جعل كلمة طيبة مثلا هي اي الكلمة كشجرة طيبة وعلى البدل يكون
كشجرة نعتا للكلمة واجاز الزمخشري وبدا به ان يكون كلمة نصبا بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس انتهى
وفيه تكلف اضمار لا ضرورة تدعو اليه وقرا شاذا كلمة طيبة بالرفع قال ابو البقا على الابتدا وكشجرة
خبره انتهى ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير هو اي المثل كلمة طيبة كشجرة وشجرة نعت لكلمة
والكلمة الطيبة هي لا اله الا الله قال ابن عباس او الايمان قاله مجاهد وابن جريج او المومن نفسه قاله
ابن عطية العوفي والربيع او جميع طاعاته او القران قاله الاصم او دعوة الاسلام قاله ابن بحر او الثنا
على الله او التسبيح والتنزيه والشجرة الطيبة المومن قاله ابن عباس او جوزة الهند قاله علي وابن عباس
او شجرة في الجنة قاله ابن عباس ايضا او النخلة وعليه اكثر المتاولين وهو قول ابن مسعود وابن عباس
وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد وجا ذلك نصا من حديث ابن عمر مما خرجه الدارقطني عنه
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الاية فقال اتدرون ما هي فوقع في نفسي انها النخلة
الحديث وقال ابو العالية اتيت انس بن مالك فجي بطبق عليه رطب فقال انس كل يا ابا العالية فانها
الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع بسر فتلا هذه
الاية وفي الترمذي من حديث انس نحو هذا وقال الزمخشري كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة
التين والعنب والرمان وغير ذلك انتهى وقد شبه الرسول عليه السلام المومن الذي يقرا القران
بالاترجة ولا يبعد ان يشبه ايضا بشجرتها اصلها ثابت اي في الارض ضارب بعروقه فيها وقرا
انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها اجرى الصفة على الشجرة لفظا وان كانت في الحقيقة للسببي
وقرا الجماعة فيها اسناد الثبوت الى السببي لفظا ومعنى وفيها حسن التقسيم اذ جا اصلها ثابت وفرعها
في السما يريد بالفرع اعلاها وراسها وان كان المشبه به ذا فروع فيكون من باب الاكتفا بلفظ
الجنس ومعنى في السما جهة العلو والصعود لا المظلة وفي الحديث خلق الله ادم طوله ستون ذراعا في

شبهت

شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكلمة اصلها ثابت في قلوب اهل الايمان وما يصدر عنها من الافعال
الزكية والاعمال الصالحة هو فرعها يصعد الى السما الى الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها ووصف هذه الشجرة باربعة اوصاف الاول قوله
طيبة اي كريمة المنبت والاصل في الشجرة لذيذة المطعم قال الشاعر طيبوا الباة سهل ولهم سبل ان بت
في وحشر وعر اي ساحتهم طيبة سهلة الثاني رسوخ اصلها وذلك يدل على تمكنها وان الرياح
لا تقصفها فهي بطيئة الفنا وما كان كذلك فالحصول الفرح بوجدانه والثالث هو فرعها وذلك يدل
على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها وعلى بعدها عن عفونات الارض وعلى صفايها من الشوايب الرابع
ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الاوقات والحين في اللغة قطعة من الزمان قال الشاعر
تناذرها الراقون من سو سمها تطلقه حينا وحينا تراجع والمعنى تعطي جناها كل وقت وقته الله لها
وقال ابن مجاهد وابن عباس وعكرمة والحين اي كل سنة وكذلك قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والحكم وحماد وجماعة من الفقها من حلف ان لا يفعل شيا حينا فانه لا يفعله سنة واستشهدوا
بهذه الاية وقيل ثمانية اشهر قاله علي ومجاهد وقيل ستة اشهر وهي مدة بقا الثمر عليها وقال
ابن المسيب الحين شهران لان النخلة تدوم مثمرة شهران وقيل لا تتعطل من ثمر تحمل في كل شهر وهي شجرة
جوز الهند وقال ابن عباس ايضا والضحاك والربيع كل حين اي كل غدوة وعشية ومتى اريد جناها وتخرج على
انها شجرة في الجنة والتذكر المرجو بضرب المثل هو التفهم والتصور للمعاني المدركة بالعقل فمتى ابرزت
مشتبهة بالمحسوسات لم ينازع فيها الحس والخيال والوهم وانطبق المعقول على المحسوس فحصل الفهم
والوصول الى المطلوب والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر على قول الجمهور وقال مسرور الكذب وقال ابن بحر
دعوة الكفر وما يعزى اليه الكافر وقيل كل كلام لا يرضاه الله تعالى وقرا ابي وضرب الله مثلا كلمة
خبيثة وقري ومثل كلمة بنصب مثل عطفا على كلمة طيبة والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل قاله الاكثرون
ابن عباس ومجاهد وانس بن مالك ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج وفرقه شجرة
الثوم وقيل شجرة الكشوث هي شجرة لا ورق لها ولا اصل قال وهي الكشوث فلا اصل ولا ثمر قال ابن عطية
ويرد على هذه الاقوال ان هذه كلها من النجم وليست من الشجر والله تعالى انما مثل بالشجر ولا تسمى
هذه شجرة الا بتجوز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة وقيل الطحلبة وقيل
الكماة وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر وعن ابن عباس هي الكافر وعنه ايضا شجرة لم تخلق على الارض وقال
ابن عطية والظاهر عندي ان التشبيه وقع بشجرة غير معينة اذا وجدت فيها هذه الاوصاف
هو ان تكون كالعضاة او شجرة السموم ونحوها اذا اجتثت اي قلعت جثتها بنزع الاصول وبقيت
في غاية الوهي والضعف فتقلبها اقل ريح فالكافر يرى ان بيده شيا وهو لا يستقر ولا يغني عنه
كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد الجاهل انها شي نافع وهي خبيثة الجنا غير باقية انتهى واجتثت من
فوق الارض مقابل لقوله اصلها ثابت اي لم يتمكن لها اصل ولا عرق في الارض وانما هي نابتة على وجه
الارض ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بهذه الشجرة القول الذي لم
يعضد بحجة فهو لا يثبت بل يضمحل عن قريب لبطلانه والقول الثابت هو الذي ثبت بالحجة والبرهان
في قلب صاحبه وتمكن فيه واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا كونهم لو فتنوا عن دينهم
في الدنيا لثبتوا عليه وما زلوا كما جرى لاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير والذين كشطت لحومهم

بامثال المدينة كما ثبت جرجيس وشمعون وبلال حين كان يعذب بالرمضا وهو يقول احد احد وتثبيتهم في الاخرة
كونهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر والذين
امنوا عام من لدن ادم الى يوم القيمة وقال طاوس وقتادة وجمهور من العلما ان تثبيتهم في الدنيا هو مدة
حياة الانسان وفي الاخرة هو وقت سؤاله في قبره ورجح هذا القول الطبري وقال البرا بن عازب وجماعة
في الحيوة الدنيا هو وقت سؤاله في قبره ورواه البرا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الاخرة هو يوم القيمة
عند العرض وقيل معنى تثبيتهم في الحياة الدنيا وفي الاخرة هو تثبيته حياته على الايمان وحشره عليه وقيل
التثبيت في الدنيا الفتح والنصر وفي الاخرة الجنة والثواب وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث
البرا من تلاوته عند اقعاد المؤمن في قبره وسئل وتشهد شهادة الاخلاص قوله تعالى يثبت الله
الذين امنوا لا يظهر منه يعني ان الحيوة الدنيا هي حياة الانسان وان الاخرة في القبر ولان الحيوة
الدنيا هي في القبر وان الاخرة هي يوم القيمة بل اللفظ محتمل ومعنى يثبت يديمهم عليه ويمنعهم
من الزلل ومنه قول عبد الله بن رواحه • فثبت الله ما اتاك من حسن • تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
والظاهر ان بالقول الثابت متعلق بقوله يثبت وقيل متعلق بامنوا وسؤال العبد في قبره معتقد
اهل السنة ويضل الله الظالمين اي الكافرين لمقابلتهم المؤمنين واضلالهم في الدنيا كونهم لا
لا يثبتون في مواقف الفتن وتزول اقدامهم وهي الحيرة التي تلحقهم اذ لم يتمسكوا بحجة وفي الاخرة
هو اضطرابهم في جوابهم ولما تقدم تشبيه الكلمة الطيبة على تشبيه الكلمة الخبيثة تقدم في
هذا الكلام من نسبت اليه الكلمة الطيبة وتلاه من نسبت اليه الكلمة الخبيثة ولما ذكر تعالى ما فعل بكل
واحد من القسمين ذكر انه لا يكل اعتراض فيما خص به كل واحد منهما اذ ذاك راجع الى مشيئته تعالى
ان الله يفعل ما يشا لا يسئل عما يفعل وقال الزمخشري ويفعل الله ما يشا اي توجبه الحكمة لان
مشيئة الله تعالى تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم
ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال **قوله تعالى** الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم
يصلونها وبيس القرار • وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار •
لما ذكر حال المؤمنين وهداهم وحال الكافرين واضلالهم ذكر ما هو السبب في اضلالهم والذين بدلوا الظاهر
انه عام في جميع المشركين قاله الحسن بدلوا نعمة الايمان الكفر وقال مجاهد هم اهل مكة انعم الله
تعالى عليهم ببعثة رسوله لامتهم يعلمهم امر دينهم وشرفهم به واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته
فوضعوا مكان شكر هذه النعمة كفرا وسال ابن عباس عمر عنهم فقال هم الافجران من قريش اخوالي
اي بني مخزوم واستوصلوا ببدر واعمامك اي بني امية ومتعوا الى حين وعن علي نحو من ذلك وقال
قتادة هم قادة المشركين يوم بدر وعن علي هم قريش الذين تحزبوا يوم بدر وعنه انهم قريش جماعة من
الصحابة والتابعين وعن علي ايضا هم منافقو قريش انعم عليهم باظهار نعم الاسلام بان صان
دماهم واموالهم وذراريهم ثم عادوا الى الكفر وعن ابن عباس في جبلة بن الايهم ولا يريد انها نزلت
فيه لان نزول الاية قبل قصته وقصته كانت في خلافة عمر وانما يريد ابن عباس انها تخص
من فعل فعل جبلة الى يوم القيمة • ونعمة الله على حذف مضاف اي بدلوا شكر نعمة الله كقوله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم كانه وجب عليهم الشكر فوضعوا مكانه كفرا وجعلوا

مكان

مكان شكرهم التكذيب قال الزمخشري ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة بالكفر حاصلا لهم الكفر
بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة والسعة لايلافهم الرحلتين
فكفروا نعمته فضربهم الله بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم
انتهى ونعمة الله هو المفعول الثاني لانه هو الذي يدخل عليه حرف الجر اي بنعمة الله وكفرا هو المفعول
الاول كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اي بسيئاتهم حسنات فالمنصوب هو الحاصل والمجرور
بالبا او المنصوب على اسقاطها هو الذاهب على هذا لسان العرب وهو على خلاف ما يفهمه العوام
وكثير ممن ينتمي الى العلم وقد اوضحنا هذه المسئلة في قوله في البقرة ومن يتبدل الكفر بالايمان
واذا قدرت مضافا محذوفا وهو شكر نعمة الله فهو الذي دخلت عليه البا ثم حذفت فاذا لم يقدر
مضاف محذوف فالبا دخلت على نعمة ثم حذفت • واحلوا قومهم اي من تابعهم على الكفر وزعم الحوفي
وابو البقا ان كفرا هو مفعول ثان لبدلوا وليس بصحيح لان بدل من اخوات اختار فالذي يباشره
حرف الجر هو المفعول الثاني والذي يصل اليه الفعل بنفسه لا بواسطة حرف الجر هو المفعول الاول
واعرب الحوفي وابو البقا جهنم بدلا من دار البوار والزمخشري عطف بيان فعلى هذا يكون الاحلال
في الاخرة ودار البوار هي جهنم وقاله ابن زيد وقيل عن علي يوم بدر وعن عطا بن يسار نزلت في
قتلى بدر فيكون دار البوار اي الهلاك في الدنيا كقليب بدر وغيره من المواضع التي قتلوا فيها
وعلى هذا اعرب ابن عطية وابو البقا جهنم منصوبا على الاشتغال اي يصلون جهنم يصلونها ويؤيد
هذا التاويل قراة ابن ابي عبلة جهنم بالرفع على انه يحتمل ان يكون جهنم مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف
وهذا التاويل اولى لان النصب على الاشتغال مرجوح من حيث انه لم يتقدم ما يرجحه ولا ما يكون
مساويا وجمهور القرا على النصب ولم يكونوا ليقرؤا بغير الراجح او المساوي اذ زيد ضربته افصح من
زيدا ضربته فكذلك كان ارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف في قراة ابن ابي عبلة راجحا وعلى تاويل الاشتغال
يكون يصلونها لا موضع له من الاعراب وعلى التاويل الاول يجوز ان يكون حالا من جهنم او حالا من دار
البوار وحالا من قومهم والمخصوص بالذم محذوف وتقديره وبيس القرار هي اي جهنم وجعلوا لله
اندادا اي زادوا الى كفر نعمته اي صيروا له اندادا وهي الاصنام التي اتخذوها الهة من دون
الله تعالى وقرى ابن كثير وابو عمرو ليضلوا هنا وليضل في الحج ولقمان والزمر بفتح اليا وباقي السبعة
بضمها والظاهر ان اللام لام الصيرورة والمال لما كانت نتيجة جعل الانداد الهة الله الضلال
او الاضلال جرى مجرى لام العلة في قولك جئتك لتكرمني على طريقة التشبيه وقيل قراة الفتح لا
تحتمل الا ان تكون اللام لام العاقبة واما بالضم فتحتمل العاقبة والعلة والضم الامر بالتمتع امر تهديد
ووعيد على حد قوله اعملوا ما شئتم قال الزمخشري تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع
بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان
يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من
الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك
قليلا انك من اصحاب النار انتهى ومصيركم مصدر صار التامة بمعنى رجع وخبر ان هو قوله الى النار ولا
يقال هنا صار بمعنى انتقل ولذلك تعدت بالى اي فان انتقالكم الى النار لانه تبقى ان بلا خبر ولا ينبغي

يدعي صفة فيكون التقدير فان مصيركم الى النار واقع لا محالة او كائن لان حرف الجر في مثل هذا التركيب قلما
واكثر ما يحذف اذا كان اسم ان نكرة والخبر جار ومجرور وقد اجاز الحوفي ان يكون الى النار متعلق بمصيركم فعلى هذا يكون
الخبر محذوفا قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ۝ الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ۝ لما ذكر تعالى حال
الكفار وكفرهم نعمة وجعلهم له اندادا وتهددهم امر المؤمنين بلزوم الطاعة والتيقظ لانفسهم والتزام
عمودي الاسلام الصلاة والزكاة قبل مجي يوم القيمة ومعمول قل محذوف تقديره اقيموا الصلاة تقيموا يقيموا
مجزوم على جواب الامر وهو قول الاخفش والمازني ورد بانه لا يلزم من القول ان يقيموا ورد هذا الرد بانه
امر المؤمنين بالاقامة لا الكافرين والمؤمنون متى امرهم الرسول بشي فعلوه لا محالة قال ابن عطية ويحتمل ان يكون
تقيموا جواب الامر الذي تعطينا معناه قوله قل وذلك ان تجعل قل في هذه الاية بمعنى بلغ واد الشريعة يقيموا
الشريعة انتهى هذا قريب مما قبله الا ان فيما قبله معمول القول اقيموا وفي هذا الشريعة على تقدير بلغ الشريعة
وذهب الكسائي والزجاج وجماعة الى ان معمول قل هو قوله يقيموا وهو امر مجزوم بلام الامر محذوفة
على حد قول الشاعر ۝ محمد تفد نفسك كل نفس ۝ انشده س الا انه قال ان هذا لا يجوز الا في الشعر ۝
وقال الزمخشري في هذا القول وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا
الصلاة وينفقوا ابتدا بحذف اللام لم يجز انتهى وذهب المبرد الى ان التقدير قل لهم اقيموا يقيموا ۝
المصرح به جواب اقيموا المحذوف قيل وهو فاسد لوجهين احدهما ان جواب الشرط يخالف الشرط اما في
الفعل او في الفاعل او فيهما فاما اذا كان مثله فيهما فهو خطا كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه
ان تقيموا تقيموا والوجه الثاني ان الامر المقدر للمواجهة وتقيموا على لفظ الغيبة وهو خطا اذا كان
الفاعل واحدا وقيل التقدير ان تقل لهم اقيموا يقيموا قاله س فيما حكاه ابن عطية وقال الفرا جواب الامر
معه شرط مقدر تقول اطع الله يدخلك الجنة اي ان تطعه يدخلك الجنة ورد ابن عطية هذا القول قبله ان
الشرط في هذا مقدر بعد فعل الامر وفي الذي قبله الامر مضمن معنى الشرط وقيل هو مضارع بلفظ
الخبر صرف عن لفظ الامر والمعنى اقيموا قاله ابو علي وفرقة ورد بانه لو كان مضارعا بلفظ الخبر
ومعناه الامر لبقي على اعرابه بالنون كقوله هل ادلكم على تجارة ثم قال تؤمنون والمعنى امنوا واعتل
ابو علي لذلك بانه لما كان بمعنى الامر بني يعني على حذف النون لان المراد اقيموا هذا كما بني الاسم المتمكن
في النداء كقولك يا زيد يعني على الضمة لما شبه بقبل وبعد انتهى ومتعلق القول الملفوظ به او المقدر في
هذه التخاريج هو الامر بالاقامة والانفاق الا في قول ابن عطية فمتعلقه الشريعة فهو احد ما ادعى فقدر
قل بمعنى بلغ واد الشريعة قال ابن عطية ويظهر ان القول هو الاية التي بعد اعني قوله الله الذي خلق
السموات والارض انتهى وهذا الذي ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله تعالى الله الاية تفكيك
للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلتا من القول ومعموله او يكون جوابا
فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب ان يكون جوابا لان قوله الله الذي خلق السموات والارض لا يستدعي
اقامة الصلاة والانفاق الا بتقدير بعيد جدا واحتمل الصلاة ان يراد بها العموم اي كل صلاة فرض
وتطوع وان يراد بها الخمس وبذلك فسرها ابن عباس وفسر الانفاق بزكاة الاموال ونقدم اعراب

سرا

سرا وعلانية وشرحهما في اخر البقرة وقال ابو عبيدة البيع هنا البدل والخلال المخالة وهو مصدر من خاللت
خلالا ومخالة وهي المصاحبة انتهى يعني بالبدل المقابل لشي قال امرؤ القيس صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ۝
ولست بمقلي الخلال ولا قال ۝ وقال الاخفش الخلال جمع خلة وتقدم الخلاف في قراة لا بيع فيه ولا خلال بالفتح
او بالرفع في البقرة والمراد بهذا اليوم يوم القيمة قال الزمخشري فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف
اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا
لياخذوا امثاله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه
الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص
فبعثوا عليه لياخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما
ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى انتهى
ولما اطال تعالى الكلام في وصف احوال السعدا والاشقيا وكان حصول السعادة بمعرفة الله تعالى
وصفاته والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفه بالدلايل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته
فقال الله الذي خلق السموات والارض ذكر عشرة انواع من الدلايل فذكرا ولا ابداعه وانشاءه
السموات والارض ثم اعقبه بباقي الدلايل واتى بها في جمل مستقلة ليدل وينبه على كل جملة منها
مستقلة في الدلالة ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتدا والذي
والله خبره قال ابن عطية ومن اخبر بهذه الجملة وتقررت في نفسه امن وصلى وانفق انتهى يشير الى
ما تقدم من قوله ان معمول قل هو الله تعالى الذي خلق السموات والارض الاية فكانه يقول ليقيموا الصلاة
جواب لقوله قل لعبادي الذين امنوا الله الذي خلق السموات والارض والظاهر ان مفعول اخرج هو رزقا
لكم ومن للتبعيض ولما تقدم على النكرة كان في موضع الحال ويكون المعنى ان الرزق هو بعض جنى الاشجار
ويخرج منها ما ليس برزق كالمجرد للمضرات ويجوز ان يكون من لبيان الجنس قاله ابن عطية والزمخشري ۝
وكانه قال فاخرج به رزقا لكم هو الثمرات انتهى وهذا ليس بجيد لان من التي لبيان الجنس انما تاتي بعد
المبهم الذي تبينه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا
على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق وقيل من زايدة وهذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها
واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الاخفش والفلك هنا جمع فلك ولذلك قال الزمخشري ومعنى بامره
راجع الى الامر القائم بالذات وقال الزمخشري لقوله كن وانطوى في تسخير الفلك تسخير البحار وتسخير الرياح
واما تسخير الانهار فبجريانها وتفجيرها للانتفاع بها وانتصب دائبين على الحال والمعنى يدابان في سيرهما
وانارتهما واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وعن مقاتل ابن حيان يرفعه الى ابن
عباس انه قال معناه دائبين في طاعة الله قال ابن عطية وهذا قول ان كان يراد به ان الطاعة
انقياد منهما في التسخير فذلك موجود في قوله سخر وان كان يراد انها طاعة مقصودة كطاعة العبادة
من البشر فهذا جيد والله اعلم انتهى وتسخير الليل والنهار كونهما يتعاقبان خلفة للمنام والمعاش
وقال المتكلمون تسخير الليل والنهار مجاز لانهما عرضان والاعراض لا تسخر ولما ذكر تعالى تلك النعم العظيمة
ذكر انه لم يقتصر عليها فقال واتاكم من كل ما سالتموه والخطاب للجنس من البشر اي ان الانسان قد اوتي
من كل ما شانه ان يسال وينتفع به ولا يطرد هذا في كل واحد واحد من الناس وانما تفرقت هذه النعم
في البشر فيقال بحسب هذا للجميع اوتيتم كذا على جهة التقرير للنعمة وقرا ابن عباس والضحاك والحسن

ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع في رواية من كلٍّ بالتنوين اي من كل هذه
المخلوقات المذكورات وما موصولة مفعول ثان اي ما شانه ان يسأل بمعنى يطلب الانتفاع به وقيل ما نافية
والمفعول الثاني هو من كل لقوله واوتيت من كل شيء اي غير سائليه اخبر بسبوغ نعمته عليهم بما لم يسألوه من
النعم ولم يعرض لما سألوه والجملة المنفية في موضع نصب على الحال هذا القول بدا به الزمخشري وثنى به ابن
عطية فقال انه تفسير الضحاك وهذا التفسير يظهر انه منافٍ لقراءة الجمهور من كل ما سألتموه بالاضافة
لان في تلك القراءة على ذلك التخريج تكون ما نافية فيكونون لم يسألوه وفي هذه القراءة يكونون قد سألوه
وما بمعنى الذي واجيز ان تكون مصدرية وتكون المصدر بمعنى المفعول ولما اجاز الزمخشري بظهور الثاني
بين هذه القراءة وبين تلك على تقدير ان ما نافية قال ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك
ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال فتأول سألتموه
بقوله ما احتجتم اليه والضمير في سألتموه ان كانت ما مصدرية عائد على الله تعالى ويكون المصدر يراد به
المسئول وان كانت موصولة بمعنى الذي عاد عليها والتقدير من كل الذي سألتموه اياه ولا يجوز ان يكون
عائدا على الله بالرابط للصلة بالموصول محذوف لانك ان قدرته متصلا فيكون التقدير ما سألتموهوه
فلا يجوز او منفصلا فتكون التقدير ما سألتموه اياه فالمنفصل لا يجوز حذفه والنعمة هنا قال الواحدي اسم
اقيم مقام المصدر يقال انعم انعاما ونعمة اقيم الاسم مقام الانعام كقولك انفقت انفاقا ونفقة
ولذلك لم يجمع لانه في معنى المصدر انتهى الذي يظهر ان النعمة هو المنعم به وانه اسم جنس لا يراد به
الواحد بل يراد به الجمع كانه قيل وان تعدوا نعم الله ومعنى لا تحصوها لا تطيقوا عدها هذا اذا ارادوا
ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله وقال ابو الدرداء من لم ير نعمة الله
عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه والمراد بالانسان هنا الجنس اي توجد فيه هذه
الخلال وهي الظلم والكفر يظلم النعمة باغفال شكرها ويكفرها يجحدها وقيل ظلوم في الشدة يشكو
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وفي النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والفرق
بين الختمين ان هنا تقدم قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وبعده وجعلوا لله اندادا فكان ذلك
نصا على ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك بجعل الانداد ناسب ان يختم بذم من
وقع ذلك منه فجاء ان الانسان لظلوم كفار واما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات واطنب فيها وقال
افمن يخلق كمن لا يخلق اي من اوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق ولا على شيء منه
ذكر من تفضلاته اتصافه بالغفران والرحمة تحريضا على الرجوع اليه وان هاتين الصفتين هو متصف بهما
كما هو متصف بالخلق ففي ذلك اطماع لمن امن به وانتقل من عبادة المخلوق الى عبادة الخالق انه يغفر له
السابق ويرحمه وايضا فانه لما ذكر انه تعالى هو المتفضل بالنعم على الانسان ذكر ما حصل من المنعم
ومن جنس المنعم عليه فحصل من المنعم ما يناسبه حال عطائه وهو الغفران والرحمة اذ لولاهما لما
انعم عليه وحصل من المنعم عليه ما يناسبه حالة الانعام عليه وهو الظلم والكفران فكانه قيل ان
صدر من الانسان ظلم فانه غفور او كفران نعمة فانه رحيم لعلمه بعجز الانسان وقصوره ودعوى ان
هذه الاية منسوخة باية النحل لا يلتفت اليها ونقل ذلك السخاوي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم **المفردات**
جنب مخففا واجنب رباعيا لغة نجد وجنب مشددا لغة الحجاز والمعنى منع واصله من الجانب الهوي
الهبوط بسرعة قال الشاعر • واذا رميت به الفجاج رايته • يهوي مخارمها هوي الاجدل • شخص البصر

احد

احد النظر ولم يستقر في مكانه • المهطع المسرع في مشيه • قال الشاعر • بمهطع سرح كأن عنانه • في راس جذع
من اوال مشذب • وقال عمران بن حطان • اذا دعانا فاهطعنا لدعوته • داع سميع فلفونا وساقونا • وقال
ابو عبيدة قد يكون الاهطاع الاسراع وادامة النظر • المقنع هو الرافع راسه المقبل ببصره على ما بين يديه
قاله ابن عرفة والقتبي • وقال الشاعر • يباكرن العضاه بمقنعات • نواجذهن كالحدأ الوقيع •
يصف الابل بالاقناع عند رعيها اعالي الشجر ويقال اقنع راسه نكسه وطأطأه فهو من الاضداد قال المبرد
وكونه بمعنى رفع اعرف في اللغة انتهى وقيل منه قنع الرجل اذا رضي كأنه رفع راسه عن السؤال وفم مقنع
معطوفة اسنانه الى داخل ورجل مقنع بالتشديد يغطى عليه ببيضة • الراس معروف ويجمع في القلة •
على ارؤس • الطرف العين قال الشاعر • واغض طرفي ما بدت لي جارتي • حتى يواري جارتي مأواها •
ويقال طرف الرجل طبق جفنه على الآخر وسمي الجفن طرفا لانه يكون فيه ذلك • الهوى ما بين السماء والارض
وهو الخلاء الذي لم تشغله الاجرام الكثيفة واستعير للجبان فقيل قلب فلان هواء وقال الشاعر •
كأن الرحل منها فوق صعل • من الظلمان جؤجؤه هواء • المقرن المشدود في القرن وهو الحبل • الصفد
الغل والقيد يقال صفده صفدا قيده والاسم الصفد وفي التكثير صفده مشددا قال عمرو • وابناء
الملوك مصفدينا • واصفده اعطاه وقيل صفد واصفد معا في القيد والاعطاء • قال الشاعر
فلم اعرض ابيت اللعن بالصفد • اي بالعطاء وسمي العطاء صفدا لانه يقيد ويعبد • السربال القميص يقال
سربلته فتسربل • القطران ما تحلب من شجر الابل فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وهو
امثل الاشياء اشتعالا ويقال فيه قطران بوزن سكران وقطران بوزن سرحان **قوله تعالى**
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام • رب انهن اضللن كثيرا من
الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم • مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى
لما ذكر التعجيب من الذين بدلوا نعمت الله كفرا وجعلوا لله اندادا وهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين
اتخذوا الهة من دون الله وكان من نعمة الله عليهم اسكانهم حرمه اردف ذلك بذكر اصلهم
ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وانه دعى الله تعالى ان يجعل مكة امنة ودعا بان يجنب بنيه
عبادة الاصنام وانه اسكنهم وذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي اشرف العبادات وهي الصلاة
لينظروا في دين ابيهم وانه مخالف لما ارتكبوه من عبادة الاصنام فيزدجروا ويرجعوا عنها وتقدم الكلام على
قوله هنا هذا البلد معرفا وفي البقرة هذا بلدا منكرا وقال الزمخشري هنا سال في الاول ان يجعله
من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا انتهى ودعا ابراهيم ولا انما هو معين على طاعة الله تعالى
وهو كون محل العابد امنا لا يخاف فيه اذ يتمكن فيه من عبادة الله تعالى ودعا بان يجنب هو وبنوه عبادة
الاصنام ومعنى واجنبني وبني ادمني واياهم على اجتناب عبادة الاصنام واراد بقوله وبني اولاده
من صلبه الاقرباء واجابه الله تعالى بجعل الحرم امنا ولم يعبد احد من بنيه الاقرباء لصلبه صنما وقال سفيان
ابن عيينة وقد سئل كيف عبدت العرب الاصنام قال ما عبد احد من ولد اسماعيل صنما وكانوا [illegible] انما
كانت لهم حجارة ينصبونها ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمعنى البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار انتهى قال ابن عطية وهذا الدعاء من الخليل يقتضي افراط خوفه على نفسه
ومن حصل في رتبته فكيف يخاف ان يعبد صنما لكن هذه الاية ينبغي ان يقتدى بها في الخوف وطلب

الحالية وكرر النداء استعطافًا لربه تعالى وذكر سبب طلبه ان يجنب هو وبنوه عبادة الاصنام بقوله
انهن اضللن كثيرًا من الناس اذ قد شاهد اباه وقومه يعبدون الاصنام ومعنى اضللن كن سببًا لاضلال
كثير من الناس والمعنى انهم ضلوا بعبادتهن كما تقول فتنتهم الدنيا اي افتتنوا بها واغتروا بسببها وقرأ
الجحدري وعيسى الثقفي واجنبني من اجنب وانث الاصنام لانه جمع ما لا يعقل يخبر عنه اخبار المؤنث كما
تقول الاجذاع انكسرن والاخبار عنهم اخبار جمع العاقل المذكر بالواو مجاز نحو قوله وقد اضلوا كثيرا
فمن تبعني اي على ديني وما انا عليه فانه مني جعله بعضه لفرط الاختصاص به وملابسته له كقوله من
غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين تنبيها على تعظيم الغش بحيث هو يسلبه لغاش الايمان والمعنى ان
الغش ليس من اوصاف اهل الايمان ومن عصاني هذا فيه طباق معنوي لان التبعية طاعة فقوله
فانك غفور رحيم قال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك وقال الزمخشري تغفر لي ما سلف من عصياني
اذا بدت له الطاعة فيه واستحدث الطاعة لي وقال ابن عطية ومن عصاني ظاهره بالكفر لمعادلة قوله
فمن تبعني فانه مني واذا كان كذلك فقوله فانك غفور رحيم معناه حين يؤمنوا لانه اراد ان الله يغفر
لكل كافر لكنه حمله على حسن العبارة ما كان يأخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب
صلى الله عليه وسلم كذا قال عيسى نبي الله عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم • قوله تعالى
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون • كرر النداء رغبة في الاجابة
واظهارا للتذلل والالتجاء الى الله تعالى واتى بضمير جماعة المتكلمين لانه تقدم ذكره وذكر بنيه
في قوله واجنبني وبني ومن ذريتي هو اسمعيل ومن ولد منه وذلك ان هاجر لما ولدت اسمعيل غارت
منها سارة فروي انه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء في يوم واحد من الشام الى بطن مكة
فنزل وترك ابنه وامته هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى فلما
ولى دعا بما في ضمن هذه الاية واما كيفية بقاء هاجر وما جرى لها ولاسمعيل هناك ففي كتاب البخاري
والسير وغيرهم ومن للتبعيض لان اسحاق كان بالشام والوادي ما بين الجبلين وليس من شرطه ان يكون
فيه ما وانما قال غير ذي زرع لانه كان علم ان الله لا يضيع هاجر وابنها في ذلك الوادي وانه يرزقهما
الما وانما نظر النظر البعيد فقال غير ذي زرع ولو لم يعلم ذلك من الله تعالى لقال غير ذي ما على ما
كانت عليه حال الوادي عند ذلك قاله ابن عطية وقد يقال ان انتفا كونه ذا زرع مستلزم
لانتفا الما وقال الزمخشري بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه زرع قط كقوله قرانا عربيا بلغ
غير ذي عوج يعني لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير انتهى واستعمل قط وهي ظرف
لا تستعمل الا مع الماضي معمولا لقوله لا يكون وليس هو ماضيا وهو مكان ابدا الذي يستعمل مع غير
الماضي من المستقبلات والظاهر ان قوله عند بيتك المحرم يقتضي وجود البيت حالة الدعاء وسبقه
قبله وتقدم الكلام في البيت ومتى وضع في البقرة وآل عمران ووصف بالمحرم لكونه حرم على الطوفان
اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او لكونه لم يزل عزيزا ممنعا من الجبابرة او لكونه
محترما لا يحل انتهاكه وليقيموا متعلق باسكنت وربنا دعا معترض والمعنى انه لا يخلو هذا البيت المعظم من
العبادة وقيل هي لام الامر دعا لهم باقامة الصلاة وقال ابو الفرج ابن الجوزي اللام متعلقة بقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلاة انتهى وهذا بعيد جدا وخص الصلاة دون سائر العبادات
لانها

لانها افضلها او لانها سبب لكل خير وتوله ليقيموا بضمير الجمع دلالة على ان الله اعلمه بان هذا الطفل يعقب
هنالك ويكون له نسل وافئدة جمع فؤاد وهي القلوب سمي القلب فؤادا لانفاده ماخوذا من فاد ومنه المفاد
وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم وقال مورج السدوسي الافئدة القطع من الناس بلغة قريش واليه
ذهب ابن بحر قال مجاهد لو قال ابرهيم افئدة الناس لازدحمت على البيت فارس والروم وقال ابن جبير
لحجه اليهود والنصارى والظاهر ان من للتبعيض اذا التقدير افئدة من افئدة الناس قال الزمخشري ويجوز
ان يكون من للابتدا كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما يكون المضاف اليه
في هذا التمثيل لتنكيرا فيه لانها في الاية نكرة لتناول بعض الافئدة انتهى ولا يظهر كونها للابتداء
الغاية لانه ليس لنا فعل يبتدا فيه لغاية ينتهي اليها اذ لا يصح ابتدا جعل الافئدة من الناس وانما الظاهر
انه من التبعيض وقرا هشام افئيدة بيا بعد الهمزة نص عليه الحلواني عنه وخرج ذلك على الاشباع ولما كان
الاشباع لا يكون الا في ضرورة الشعر حمل بعض العلما هذه القراءة على ان هشاما قرا بتسهيل الهمزة كاليا
فعبر الراوي عنها باليا فظن من اخطا فهمه انها بيا بعد الهمزة والمراد بيا عوضا من الهمزة قال فيكون هذا
التحريف من جنس التحريف المنسوب الى من روى عن ابي عمرو بارئكم ويامركم ونحوه باسكان حركة الاعراب
وانما كان ذلك اختلاسا قال ابو عمرو الداني الحافظ ما ذكره صاحب هذا القول لا يعتمد عليه لان النقلة
عن هشام وابي عمرو كانوا من اعلم الناس بالقراآت ووجوهها وليس يفضي بهم الجهل الى ان يعتقد فيهم
مثل هذا وقرئ افدة على وزن فعلة فاحتمل ان يكون اسم فاعل الحذف من افد اي دنا وقرب وعجل اي جماعة
افدة او جماعات فدة وان يكون ذلك جمع فؤاد ويكون من باب القلب وصار بالقلب افئدة فابدل الهمزة
الساكنة الفا كما قالوا في ارآم آرام فوزنه اعفلة وقرئ افدة على وزن فعلة فاحتمل ان يكون جمع
وذلك بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الفا وان كان تسهيلها بين بين هو الوجه وان يكون
اسم فاعل من افد كما تقول فرح فهو فرح وقرات ام الهيثم افودة بالواو المكسورة بدل الهمزة قال
صاحب اللوامح وهو جمع وفد والقراءة حسنة لكني لا اعرف هذه المراة بل ذكرها ابو حاتم انتهى ابدل
الهمزة في فؤاد بعد الضمة كما ابدلت في جون ثم جمع فاقرها في الجمع اقرارها في المفرد او هو جمع وفد
كما قال صاحب اللوامح وقلب اذ الاصل اوفدة وجمع فعل على افعلة شاذ نحو نجد وانجدة ووهي واوهية
وام الهيثم امراة نقل عنها شي من لغات العرب وقرا زيد بن علي افادة على وزن اشارة ويظهر ان
الهمزة بدل من الواو المكسورة كما قالوا اشاح في وشاح فالوزن فعالة اي فاجعل ذوي وفادة ويجوز
ان يكون مصدرا فادافادة اوذوي افادة وهم الناس الذين يفتدون وينتفع بهم وقرا الجمهور
تهوي اليهم اي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ولما ضمن تهوي معنى تميل عداه بالى واصله
ان يتعدى باللام قال • حتى اذا ما هوت كف الوليد لها • طارت وفي كفه من ريشها بتك • ومثال
ما في الاية قول الشاعر • تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مؤمن الجن ككفارها • وقرا مسلمة بن
عبد الله تهوى بضم التا مبنيا للمفعول من هوى المنقولة بهمزة التعدية من هوي اللازمة كانه
قيل يسرع بها اليهم وقرا علي ابن ابي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد
تهوى مضارع هوى بمعنى احب ولما ضمن معنى النزوع والميل عدي بالى وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا ما فيه شي منها بان يجيء اليهم من البلاد لقوله يجبى اليه ثمرات كل شي وروي عن مسلم ابن محمد الطائفي
ان الله لما دعا صلى الله عليه بان يرزق سكان مكة الثمرات بعث الله جبريل فاقتلع بجناحه قطعة من فلسطين

وقيل من الاردن فجا بها وطاف حول البيت بها اسبوعا ووضعها قرب مكة فهي الطائف وبهذه القصة سميت
وهي موضع نقيف وبها اشجار وثمرات وروي نحو منه عن ابن عباس لعلهم يشكرون قال الزمخشري نعمته فان
يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ما لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوة
ابرهيم عليه السلام فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنه ثم فضله في وجود انواع الثمار
فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي
يريكها الله تعالى بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجب **قوله تعالى** ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى
على الله من شي في الارض ولا في السما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعا
رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاي ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم
يقوم الحساب ٥ كرر النداء للتضرع والالتجا ولا يظهر تفاوت بين اضافة رب الى يا المتكلم وبين
اضافته الى جمع المتكلم وما نخفي وما نعلن عام في ما يخفونه وما يعلنونه وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع
بيننا من الفرقة وما نعلن من البكا والدعا وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن مما جرى بينه وبين
هاجر عند الوداع حين قالت له الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت لا نخشى تركتنا
الى كاف والظاهر ان قوله وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما من كلام ابرهيم لاكتناف ما قبله
وما بعده بكلام ابرهيم لما ذكر انه تعالى علم ما يخفى هو ومن كنى عنه عمم جميع الاشيا وانها غير خافية
عنه تعالى وقيل وما يخفى الاية من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله تعالى وكذلك
يفعلون والظاهر ان هذه الجمل التي تكلم بها ابرهيم عليه السلام لم تقع منه في زمان واحد وانما
حكى الله عنه بما وقع منه في ازمان مختلفة يدل على ذلك ان اسحاق لم يكن موجودا حالة دعائه اذ ترك
هاجر والطفل بمكة والظاهر ان حمده الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود اسحاق وعلى الكبر
يدل على مطلق الكبر ولم يتعرض لتعيين المدة التي وهب له فيها ولداه وروي انه ولد له اسمعيل وهو
ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحاق
لتسعين وعن ابن جبير لم يولد له الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة فيه بهبة
الولد اعظم من حيث ان الكبر مظنة الياس من الولد فان مجي الشي بعد الياس احلى في النفس وابهج لها
وعلى الكبر في موضع الحال كانه قال وانا كبير وعلى على بابها من الاستعلا لكنه مجاز اذ الكبر معنى لا جرم
يكون وكانه لما اسن وكبر صار مستعليا على الكبر وقال الزمخشري على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله
اني على ما ترين من كبري ٥ اعلم من حيث تؤكل الكتف ٥ وكنى بسميع الدعا عن الاجابة والتقبل وكان
قد دعا الله ان يهبه ولدا بقوله رب هب لي من الصالحين فحمد الله على ما وهبه من الولد واكرمه
به من اجابة دعائه والظاهر اضافة سميع الى المفعول وهو من اضافة المثال الذي على وزن فعيل الى
المفعول فيكون اضافة من نصب ويكون ذلك حجة على اعمال فعيل الذي للمبالغة في المفعول على ما
ذهب اليه سيبويه وقد خالفه في ذلك جمهور البصريين وخالف الكوفيين فيه وفي اعمال باقي الخمسة الامثلة
فعول وفعال ومفعال وفعل وهذا مذكور في علم النحو ويمكن ان يقال في هذا ليس ذلك اضافة
من نصب فيلزم جواز اعماله بل هي اضافة كاضافة اسم الفاعل في نحو هذا ضارب زيد امس فقال
الزمخشري ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعا الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد

سمع

سماع الله انتهى وهو بعيد لاستلزامه ان يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية ولا يجوز
ذلك الا عند ابي علي الفارسي حيث لا يكون لبس واما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر انه من باب اضافة المثال
للمفعول لا من اضافته الى الفاعل وانما اجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذا علم ان له عبيدا ظالمين
ودعاؤه بان يجعله مقيم الصلاة وهو مقيمها انما يريد بذلك الديمومة ومن ذريتي من للتبعيض
لانه اعلم ان من ذريته من يكون كافرا او من يهمل اقامتها وان كان مؤمنا وقرا طلحة والاعمش دعا ربنا
بغير يا وقرا ابن كثير وابو عمرو بيا ساكنة في الوصل واثبتها بعضهم في الوقف وروى ورش عن نافع اثباتها
في الوصل والظاهر ان ابرهيم سال المغفرة لابويه الكافرين وكانت امه مؤمنة وكان والده لم يياس
من ايمانه ولم يتبين له انه عدو الله وهذا يتمشى اذا قلنا ان هذه الادعية كانت في اوقات مختلفة
فجمع هنا اشيا مما كان دعا بها فقيل اراد امه ونوحا عليه السلام وقيل ادم وحوى والاظهر القول الاول وقد
جا نصا دعاؤه لابيه بالمغفرة في قوله واغفر لابي انه كان من الضالين قال الزمخشري فان قلت كيف جاز له ان يستغفر
لابويه وكانا كافرين قلت هذا من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف انتهى وهو في هذا
موافق لاهل السنة مخالف لمذهب الاعتزال وقرا الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي والحسن وابن يعمر والزهري
والنخعي ولولدي بغير الف وبفتح اللام يعني اسمعيل واسحاق وانكر عاصم الجحدري هذه القراة وقال ان في مصحف
ابي بن كعب ولابوي وعن يحيى بن يعمر ولولدي بضم الواو وسكون اللام فاحتمل ان يكون جمع ولد كاسد في اسد
ويكون قد دعا لذريته وان يكون لغة في الولد قال الشاعر ٥ فليت زيادا كان في بطن امه ٥ وليت زيادا كان ولد حمار ٥
كما قالوا العدم والعدم وقرا ابن جبير ولوالدي باسكان اليا على الافراد لقوله واغفر لابي ويقوم الحساب
مجاز عن وقوعه وثبوته كما يقال قامت الحرب على ساق او على حذف مضاف اي اهل الحساب كما قال تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين **قوله تعالى** ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هوا ٥ الخطاب بقوله ولا تحسبن للسامع الذي
يمكن منه حسبان مثل هذه الجملة لصفات الله تعالى لا للرسول عليه السلام فانه مستحيل ذلك في حقه وفي هذه
الاية وعيد عظيم للظالمين وتسلية للمظلومين وقرا طلحة ولا تحسب بغير نون التوكيد وكذا فلا تحسب
الله مخلف وعده والمراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شي
وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز
ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملونه ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير
وقرا السلمي والحسن والاعرج والمفضل عن عاصم وعباس بن الفضل وهارون العتكي ويونس بن حبيب عن
ابي عمرو نؤخرهم بنون العظمة والجمهور بالياء اي يؤخرهم الله مهطعين مسرعين قاله ابن جبير وقتادة ٥
وذلك بذلة واستكانة كاسراع الاسير والخائف وقال ابو العباس وابو الضحى شدة النظر من
غير ان يطرفوا وقال ابن زيد غير رافعي رؤوسهم وقال مجاهد مديمي النظر وقال الاخفش مقبلين
للاصغا وانشد ٥ بدجلة دارهم ولقد اراهم ٥ بدجلة مهطعين الى السماع ٥ وقال الحسن مقنعي رؤوسهم
وجوه الناس يومئذ الى السما لا ينظر احد الى احد انتهى وقال ابن جريج هوا صفر من الخير خاوية
منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد خربة خاوية ليس فيها خير
ولا عقل وقال سفيان خالية الا من فزع ذلك اليوم كقوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي من هم موسى
وهو التشبيه محض لانها ليست بهوا حقيقة ويحتمل ان يكون التشبيه في فراغها من الرجا والطمع في

الرحمة فهي منحرفة مشبهة للهوي في تفرغه واخلائه وان يكون في اضطرابها وجيشانها في الصدور وانها تجي وتذهب وتبلغ على ما روي حناجرهم فهي في ذلك كالهوي الذي هو ابدًا في اضطراب وحصول هذه الصفات الخمس للظالمين قيل عند المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله يوم يقوم الحساب وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وقيل عند ذهاب السعدا الي الجنة والاشقيا الي النار **قوله تعالى**

وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الي اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال • هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويوم منصوب على انه مفعول ثاني لانذر ولا يصح ان يكون ظرفا لان ذلك اليوم ليس بزمان للانذار وهذا اليوم هو يوم القيمة والمعنى وانذر الناس الظالمين وبين ذلك فيقول الذين ظلموا لان المؤمنين يبشرون ولا ينذرون وقيل اليوم يوم • هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقا الملائكة بلا بشري كقوله لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق ومعني اخرنا الي اجل قريب الرد الي الدنيا قاله الضحاك اذا الامهال الي امد وحد من الزمان قريب قاله السدي اي لنتدارك ما فرطوا من اجابة الدعوة واتباع الرسل اولم تكونوا هو على اضمار القول • والظاهر ان التقدير فيقال لهم والقايل الملائكة او الله تعالى يوبخون بذلك ويذكرون مقالتهم في انكار البعث واقسامهم على ذلك كما قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ومعني ما لكم من زوال من الارض بعد الموت اي لا نبعث من القبور وقال محمد بن كعب ان هذا القول يكون منهم وهم في النار ويرد عليهم اولم تكونوا ومعناه التوبيخ والتقريع وقال الزمخشري اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرًا واشرًا ولما استولي عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدًا واملوا بعيدًا • وما لكم جواب القسم وانما جا بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفنا وقيل لا تنتقلون الي دار اخري انتهي فجعل الزمخشري اولم تكونوا محكيا بقولهم وهو مخالف لما قدمنا من انه يقال لهم ذلك لتوقيفهم لا يزولون بالموت والفنا الذين يجيد لانهم مقرون بالموت والفنا وقوله وقيل هو قول مجاهد • وسكنتم ان كان من السكون فالمعنى انهم قروا فيها واطمانوا طيبي النفوس سايرين سير من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الظالمون قبلهم وان كان من السكني فان السكني من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كما يقال اقام في الدار وقربها ولكنه لما اطلق على سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبواها وتبين لكم بالخبر وبالمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام وقرا الجمهور وتبين فعلا ماضيا • وفاعله مضمر يدل عليه الكلام اي وتبين لكم هو اي حالهم ولا يجوز ان يكون الفاعل كيف لان كيف انما ياتي اسم استفهام او شرط وكلاهما لا يعمل فيه ما قبله الا ما روي شاذا من دخول على علي كيف في قولهم كيف تبيع الاحمرين والي في قولهم انظر الي كيف تصنع وانما كيف هنا سوال عن حال في موضع نصب بفعلنا • وقرا السلمي فيما حكي عنه ابو عمرو الداني ونبين بضم النون ورفع النون الاخيرة مضارع بين وحكاها صاحب اللوامح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك على اضمار ونحن نبين والجملة حالية وقال المهدوي عن السلمي انه قرا كذلك الا انه جزم النون عطفا على اولم تكونوا اي ولم نبين فهو مشارك في التقرير وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم **قوله تعالى**

وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال • الي اخر السورة الظاهر

ان الضمير في مكروا عايد على المخاطبين في قوله اولم تكونوا اقسمتم اي مكروا بالشرك بالله وتكذيب الرسل وقيل الضمير عايد على قوم الرسول كقوله وانذر الناس اي وقد مكر قومك يا محمد وهو الذي في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ومعني مكرهم اي المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم والظاهر ان هذا اخبار من الله تعالى لنبيه بما صدر منهم في الدنيا وانه ليس مقولا في الاخرة وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون مما يقال يوم القيمة للظلمة الذين سكنوا في منازلهم وعند الله مكرهم اي علمه بمكرهم فهو مطلع عليه فلا ينفذ لهم فيه قصدا ولا يبلغهم فيه املا او جزا مكرهم وهو عذابه لهم والظاهر اضافة مكر وهو المصدر الي الفاعل كما هو مضاف في الاول اليه كانه قيل وعند الله ما مكروا اي مكرهم وقال الزمخشري او يكون مضافا الي المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابه الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهي وهذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو اذ قد يمكر بهم والمحفوظ ان مكر لا يتعدي الي المفعول به بنفسه قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وتقول زيد ممكور به ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا وقرا الجمهور وان كان بالنون وقرا عمر وعلي وابي وسلمة بن عبد الرحمن وابو اسحاق السبيعي وزيد بن علي وان كاد بالدال مكان النون لتزول بفتح اللام الاولي ورفع الثانيه وروي كذلك عن ابن عباس وقرا ابن عباس ومجاهد وابن وثاب والكسايي كذلك الا انهم قروا وان كان بالنون فعلي هاتين القراتين تكون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وذلك على مذهب البصريين واما على مذهب الكوفيين فان نافية واللام بمعني الا فمن قرا كاد بالدال فالمعنى انه تقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال وعلى قراة كان بالنون يكون زوال الجبال قد وقع ويكون في ذلك تعظيم مكرهم وشدته اي هو بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن اماكنها ويحتمل ان يكون معنى لتزول ليقرب زوالها فيصير المعنى كمعني قراة كاد ويويد هذا التاويل ذكره ابو حاتم من ان في قراة ابي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال وينبغي ان تحمل هذه القراة على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف المجمع عليه وقرا الجمهور وباقي السبعة وان كان بالنون مكرهم لتزول بكسر اللام ونصب الاخيرة وروت هذه القراة عن علي واختلف في تخريجها فعن الحسن وجماعة ان ان نافية وكان تامة والمعني وتحقير مكرهم وانه ما كان لتزول منه الشرايع والنبوات واقدار الله التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها ويويد هذا التاويل ما روي عن ابن مسعود انه قرا وما كان مكرهم لتزول منه الجبال لكن هذا التاويل وما روي عن ابن مسعود من قراة وما بالنفي يعارض ما تقدم من القراات لان فيها تعظيم مكرهم وفي هذا تحقيره ويحتمل على تقدير انها نافية ان يكون كان ناقصة واللام لام الجحود وخبر كان على الخلاف الذي بين البصريين والكوفيين اهو محذوف او هو الفعل الذي دخلت عليه اللام وعلى ان ان نافية وكان ناقصة واللام في لتزول متعلقة بفعل في موضع خبر كان خرجه الحوفي وقال الزمخشري وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتتابع في الشدة بضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوي لازالة الجبال معدا لذلك وقال ابن عطية ويحتمل عندي هذه القراة ان يكون معني تعظيم مكرهم اي وان كان شديدا انما يفعل ليذهب به عظام الامور انتهي وعلى تخريج هذين يكون ان هي المخففة من الثقيلة وكان هي الناقصة وعلى هذا التخريج تتفق معاني القراات او تتقارب وعلى تخريج النفي تتعارض كما ذكرنا وقري لتزول بفتح اللام الاولي ونصب الثانية وذلك على لغة من فتح لام كي والذي يظهر ان زوال الجبال مجاز ضرب مثلا لمكر قريش وعظمه والجبال لا تزول وهذا من باب الغلو والايغال والمبالغة في ذم مكرهم واما ما روي ان جلالا زال بحلف امراة اتهمها زوجها وكان ذلك

الجبل من حلف عليه كاذبا مات فحملها الحلف فكرت ان رمت نفسها من الدابة وكانت وعدت من لهمت به ان يكون في المكان الذي اهبطت فيه من الدابة فاركبها زوجها وذلك الرجل وحلفت لهما ما مسها غيرهما فنزلت سالمة واصبح الجبل قد اندك وكانت المراة من عدنان وما روي من قصة النمرود او بخت نصر واتخاذ الانسر وصعود عليها الى قرب السما في قصة طويلة وما تاول بعضهم انه عبر بالجبال عن الاسلام والقران لثبوته ورسوخه وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه من قولهم هذا سحر هذا شعر هذا افك فاقوال يبعد حملها على ظاهر اللفظ وبعيد جدا قصة الانسر والنهي عن الحسبان كهو في قوله ولا تحسبن الله غافلا والمراد بالحسبان على الامر المحقق هنا كما قال الشاعر فلا تحسبن اني اضل منيتي ❊ فكل امرئ كاس الحمام يذوق ❊ وهذا الوعد هو قوله تعالى انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ❊ وقرا الجمهور باضافة مخلف الى وعده ونصب رسله وتخلف في اعرابه فقال الجمهور العكبري وقطرب والحوفي والزمخشري وابن عطيه وابو البقا انه مما اضيف فيه اسم الفاعل الى المفعول الثاني كقولهم هذا معطي درهم زيدا لما كان متعديا الى اثنين جازت اضافته الى كل واحد منهما فينتصب ما تاخر وانشد بعضهم نظيرا له قول الشاعر ترى الثور فيها مدخل الظل راسه ❊ وسائره باد الى الشمس اجمع ❊ وقال ابو البقا هو قريب من قولهم ❊ يا سارق الليلة اهل الدار ❊ وقال الفطن وقطرب لما تعدى الفعل اليهما جميعا لم يبال بالتقديم والتاخير ❊ وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ❊ ثم قال رسله ليوذن انه لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته انتهى وهو جواب على طريقة الاعتزال في ان وعد الله واقع لا محالة فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز ان يغفر له اصلا ومذهب اهل السنة ان كل ما وعد من العذاب للعصاة المومنين هو مشروط انفاذه بالمشية وقيل مخلف هنا متعد الى واحد كقوله لا يخلف الميعاد فانتصب وعده بمخلف وانتصب رسله بوعده اذ هو مصدر ينحل بحرف مصدري والفعل كانه قال مخلف ما وعد رسله وما مصدرية لا بمعنى الذي ❊ وقرات فرقة مخلف وعده رسله بنصب وعده واضافة مخلف الى رسله ففصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول وهو كقراة قتل اولادهم شركايهم ونقدم الكلام عليه مشبعا في الانعام وهذه القراة تويد اعراب الجمهور في القراة الاولى وانه مما تعدى فيه مخلف الى مفعولين ان الله عزيز لا يمتنع عليه شي ولا يغالب ذو انتقام من الكفرة لا يعفو عنهم والتبديل يكون في الذات الى تزول ذات وتجي اخرى ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم ❊ بجنتيهم جنتين ويكون في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما فالذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل الى شكل واختلفوا في التبديل هنا هو في الذات او في الصفات فقال ابن عباس تمد كما يمد الاديم وتزال عنها جبالها واكامها واشجارها وجميع ما فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السموات بتكوير شمسها وانتثار كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها وقال ابن مسعود تبدل الارض بارض كالفضة نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة وقال علي تبدل الارض من فضة والجنة من ذهب وقال محمد بن كعب وابن جبير هي ارض من خبز ياكل منها المومنون من تحت اقدامهم وجا هذا مرفوعا وقيل تصير نارا والجنة من ورايها ترى اكوابها وكواعبها وقال ابي تصير السموات جنانا وقيل تبدلها من طيها وقيل مرة كالمهل ومرة وردة كالدهان قاله ابن الانباري وقيل بانشقاقها فلا تظل وفي الحديث ان الله يبدل هذه الارض بارض عفرا بيضا كانها قرصة نقي

وفي كتاب الزمخشري وعن علي تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضا كالصحايف وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد ❊ وما الناس بالناس الذين عهدتهم ❊ ولا الدار بالدار التي كنت تعلم ❊ قال ابن عطيه وسمعت من ابي رضي الله عنه روي ان التبديل يقع في الارض ولكن تبدل لكل فريق بما تقتضيه حالة فالمومن يكونون على خبز ياكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكونون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار وكله واقع تحت قدرة الله وفي الحديث المومنون وقت التبديل في ظل العرش ❊ وفيه انهم ذلك الوقت على الصراط وقال ابو عبد الله الرازي المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين انتهى وكلامه هذا يدل على ان الجنة والنار غير مخلوقتين وظاهر القران والحديث انهما قد خلقتا وصح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع عليهما ولا يمكن ان يطلع عليهما حقيقة الا بعد خلقهما وبرزوا اي ظهروا الابوار يجزيهم ولا حصن وانتصاب يوم على انه بدل من يوم ياتيهم قاله الزمخشري او معمول لمخلف وعده وان وما بعدها اعتراض قاله الحوفي وقال ابو البقا لا يجوز ان يكون ظرفا لمخلف ولا لوعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها ولكن جوزان يلحق من معنى الكلام ما يعمل في الظرف اي لا يخلف وعده يوم تبدل فاذا كان ان وما بعدها اعتراضا لم يبال انه فصل بين العامل والمعمول ومعمولا لانتقام قاله الزمخشري والحوفي وابو البقا او لاذكر قاله ابو البقا وقرى نبدل بالنون الارض بالنصب والسموات معطوف على الارض وثم محذوف اي غير السموات حذف لدلالة ما قبله عليه ❊ والظاهر استيناف وبرزوا وقال ابو البقا يجوز ان يكون حالا من الارض وقد معه مراده ومعنى لله الحكم الله او لموعوده من الجنة والنار وقرا زيد بن علي وبرزوا بضم البا وكسر الرا مشددة جعله مبنيا للمفعول على سبيل التكثير بالنسبة الى العالم وكثرتهم لا بالنسبة الى تكرير الفعل وجي بهذين الوصفين وهما الواحد هو الواحد الذي لا يشركه احد في الوهيته ونبه به على ان الهتهم في ذلك اليوم لا تنفع والقهار هو الغالب لكل شي وهذا نظير قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ يوم اذ تبدل وبرزوا مقرنين مشدودين في القرن اي مقرون بعضهم مع بعض في القيود والاغلال او مع شياطينهم كل كافر مع شيطانه في غل او تقرن ايديهم الى ارجلهم مغللين والظاهر تعلق في الاصفاد بقوله مقرنين اي مقرونون في الاصفاد ويجوز ان يكون في موضع الصفة لمقرنين وفي موضع الحال فيتعلق بمحذوف كانه قيل مستقرين في الاصفاد وقال الحسن ما في جهنم واد ولا مغارة ولا قيد ولا سلسلة الا اسم صاحبه عليه مكتوب وقرا علي وابو هريرة وابن عباس وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن بخلاف عنه وسنان بن سلمة بن المحبق وزيد بن علي وقتادة وابو صالح والكلبي وعيسى الهمداني وعمرو بن فايد وعمرو بن عبيد من قطر بفتح القاف وكسر الطا وتنوين الرا ان اسم فاعل من اني صفة لقطر قيل وهو القصدير وقيل هو النحاس وعن عمر رضي الله عنه انه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس ❊ الاني الذائب الحار الذي قد تناهى حره قال الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره وقال ابن عباس اي ان يعذبوا به بعض حان تعذيبهم به وقال الزمخشري ومن شانه ان القطران ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاوه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش والنتن

الريح وعلى التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهده
من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه
ونسأله التوفيق لما ينجينا من عذابه انتهى وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب من قطر آن بفتح القاف واسكان
الطاء منونا وفي شعر ابي النجم قال لبسته القطران والمسوحا • وقرأ الجمهور وتغشى وجوههم بالنصب وقرئ
بالرفع والاول على نحو قوله والليل اذا يغشى فهو على حقيقة الغشيان والثاني على التجوز جعل ورود الوجوه على
النار غشيانا وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى وخص الوجوه هنا وفي قوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب
ويوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك
قال تطلع على الافئدة وليجزي متعلق بمحذوف تقديره يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس اي مجرمة بما كسبت
او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم قاله الزمخشري
ويظهر ايضا تعلقه بقوله وبرزوا اي الخلق كلهم ويكون كل نفس عاما اي مطيعة ومجرمة والجملة من
قوله وترى معترضة وقال ابن عطية اللام متعلقة بفعل مضمر تقديره فعل هذا او انفذ هذا العقاب
على المجرمين ليجزي في ذلك المجزي على الاساءة انتهى والاشارة بهذا الى ما ذكره تعالى من قوله ولا تحسبن الله
غافلا الى قوله سريع الحساب وقيل الاشارة الى القرآن وقيل الى السورة ومعنى بلاغ كفاية في الوعظ
والتذكير ولينذروا قال الماوردي الواو زائدة وعن المبرد هو عطف مفرد على مفرد اي هذا بلاغ وانذار
انتهى وهو تفسير معنى لا تفسير اعراب انتهى وقيل هو محمول على المعنى اي ليبلغوا ولينذروا وقيل اللام
لام الامر قال بعضهم وهو حسن لولا قوله وليذكر فانه منصوب لا غير ولا يخدش ذلك اذ يكون وليذكر
ليس معطوفا على الامر بل يضمر له فعل يتعلق به وقال ابن عطية المعنى هذا بلاغ للناس وهو لينذروا به
انتهى فجعله في موضع رفع خبرا لهو المحذوفة وقال الزمخشري ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا
ولينذروا به بهذا البلاغ انتهى وقرأ مجاهد وحميد بتاء مضمومة وكسر الذال كان الانذار للمخاطبين
والبلاغ للعموم وقرأ يحيى بن عمارة الذارع عن ابيه واحمد بن يزيد بن اسيد السلمي ولينذروا بفتح الياء
والذال مضارع نذر بالشيء اذا علم به فاستعد له قالوا ولم يعرف لهذا الفعل مصدر فهو مثل عسى
وغيره مما استعمل من الافعال ولم يعرف له اصل وليعلموا لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر
فيتوصلون الى توحيد الله وافراده بالعبادة اذ الخشية اصل الخير وليذكر اي يتيقظ ويراجع نفسه
بما سمع من المواعظ واسند التذكر والاتعاظ الى من له لب لانهم هم الذين يجدي فيهم التذكر وقيل هي في ابي
بكر الصديق وناسخ محكم هذه السورة مفتتحها وكثيرا ما جاء هذا في سور القرآن حتى ان بعضهم
زعم ان قوله ولينذروا به معطوف على قوله لتخرج الناس • المفردات من اول الحجر ربّ حرف جر لا
اسم خلافا للكوفيين والاخفش في احد قوليه وابن الطراوة ومعناها في المشهور التقليل لا التكثير خلافا
لزاعمه ونسبه الى س ولمن قال لا يفيد تقليلا ولا تكثيرا بل هي حرف اثبات ودعوى ابي عبد الله الرازي
الاتفاق على انها موضوعة للتقليل باطلة وقول الزجاج ان رب للكثرة ضد ما يعرفه اهل اللغة
ليس بصحيح وفيها لغات واحكامها كثيرة ذكرت في النحو ولم يقع في القرآن الا في هذه السورة على كثرة
وقوعها في لسان العرب • ذر امر استغنى غالبا عن ماضيه بترك وفي الحديث ذروا الحبشة
ما وذرتكم • لوما حرف تحضيض فيليها الفعل ظاهرا او مضمرا وحرف امتناع لوجود فيليها الاسم
مبتدأ على مذهب البصريين ومنه قول الشاعر • لوما الحياء ولوما الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

وقال

وقال بعضهم الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استولى على الشيء واستولى وخاللته وخالمته فهو خلي
وخلمي اي صديقي وقال الزمخشري لو ركبت مع لا ولما لمعنيين واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض انتهى
والذي اختاره البساطة فيهما لا التركيب وان ما ليست بدلا من لا • سلك الخيط في الابرة واسلكها ادخله
فيها ونظمه قال الشاعر • حتى اذا اسلكوهم في قتائدة • شلا كما تطرد الجمالة الشردا • وقال اخر •
وكنت لزاز خصمك لم اعرد • وقد سلكوك في يوم عصيب • الشهاب شعلة النار ويطلق على الكوكب
لبريقه شبه بالنار وقال ابو تمام • والعلم في شهب الارماح لامعة • بين الخميسين لا في السبعة الشهب •
اللواقح الظاهر انها جمع لاقح اي ذوات لقاح كلابن وتامر وذلك ان الريح تمر على الماء ثم تمر على السحاب
والشجر فيكون فيها لقاح قاله الفراء وقال الازهري حوامل تحمل السحاب وتصرفه وناقة لاقح ونوق
لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها وقال زهير • اذا لقحت حرب عوان مضرة • ضروس تهر الناس انيابها عصل •
وقال ابو عبيدة اي ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بالقاء الماء وقال • ومختبط مما تطيح الطوائح •
اي المطاوح جمع مطيحة • الصلصال قال ابو عبيدة الطين اذا خلط بالرمل وجف وقال ابو الهيثم الصلصال
صوت اللجام وما اشبهه وهو مثل القعقعة في الثوب وقيل التراب المدقق وصلصل الرمل صوت وصلصال
بمعنى مصلصل كالقضقاض اي المقضقض وهو فيه كثير ويكون هذا النوع من المضعف مصدرا كقوله
زلزل زلزالا بالفتح وزلزالا بالكسر ووزنه عند البصريين فعلال فمكنا جميع المضاعف وفيه كلها
اصول لا فعفع خلافا للفراء وكثير من النحويين ولا فعفل خلافا لبعض البصريين وبعض الكوفيين ولا ان
اصله فعل بتشديد العين ابدل من الثاني حرف من جنس الحرف الاول خلافا لبعض الكوفيين ويبنى على هذه
الاقوال وزن صلصال • الحمأ طين اسود منتن واحده حمأة بتحريك الميم قاله الليث ووهم في ذلك
وقالوا لا نعرف في كلام العرب الحمأة الا ساكنة الميم قاله ابو عبيدة والاكثرون كما قال ابو الاسود •
يجئك بملئها طورا وطورا • يجيء بحمأة وقليل ماء • وعلى هذا لا يكون حمأ بينه وبين مفرده تاء التأنيث
لاختلاف الوزن • السموم افراط الحر يدخل في المسام حتى يقتل من نار او شمس او ريح وقيل السموم بالليل
والحرور بالنهار • سورة الحجر بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون • هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه
تعالى ذكر في آخر السورة قبلها اشياء من احوال القيامة من تبديل السموات والارض واحوال الكفار في ذلك
اليوم وان ما اتى به على حسب التبليغ والانذار ابتدأ في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس
واحوال الكفرة وودادتهم لو كانوا مسلمين قال مجاهد وقتادة الكتاب هنا ما نزل من الكتب قبل القرآن
فعلى قولهما يكون تلك اشارة الى آيات الكتاب قال ابن عطية ويحتمل ان يراد بالكتاب القرآن وعطف الصفة
عليه ولم يذكر الزمخشري الا ان تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات قال والكتاب والقرآن
المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن كأنه
قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في الشأن والظاهر ان ما في ربما مهيئة وذلك انها من حيث هي حرف
جر لا يليها الا الاسماء فجيء بما مهيئة لمجيء الفعل بعدها وجوزوا في ما ان تكون نكرة موصوفة ورب
جارة لها والعائد من جملة الصفة محذوف تقديره رب شيء يوده الذين كفروا ولو كانوا مسلمين
بدل من ما على ان لو مصدرية وعلى القول الاول تكون في موضع نصب على المفعول ليود ومن لا يرى ان

لو تأتي مصدرية جعل مفعول ليود محذوفا ولو كانوا مسلمين حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجواب لو محذوف
أي ربما يود الذين كفروا الإسلام لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وخلصوا من العذاب ولما كانت رب عند الأكثرين
لا تدخل على مستقبل تأولوا يود في معنى ود ولما كان المستقبل في أخبار الله لتحقق وقوعه كالماضي فكأنه قيل
ود وليس ذلك بلازم بل قد تدخل على المستقبل لكنه قليل بالنسبة إلى دخولها على الماضي ومما وردت فيه
للمستقبل قول سليم القشيري ◦ ومعتصم بالجبن من خشية الردى ◦ سيردي وغاز مشفق سيؤوب ◦ رب
وقالت هند ◦ يا رب قائلة غدا ◦ يا لهف أم معاوية ◦ وقول جحدر ◦ فإن أهلك فرب فتى سيبكي ◦ علي
مهذب رخص البنان ◦ في عدة أبيات وقول أبي عبد الله الرازي إنهم اتفقوا على أن كلمة رب مختصة
بالدخول على الماضي لا يصح فعلى هذا لا يكون يود محتاجا إلى تأويل وأما من تأول ذلك على إضمار كان أي
ربما كان يود فقوله ضعيف وليس هذا من مواضع إضمار كان ولما كان عند الزمخشري وغيره أن رب ◦
للتقليل احتاجوا إلى تأويل مجيء رب هنا وطول الزمخشري في تأويل ذلك ومن قال إنها للتكثير فالتكثير فيها
هنا ظاهر لأن ودادتهم ذلك كثيرة ومن قال إن التقليل والتكثير إنما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع رب قال دل
سياق الكلام على الكثرة وقيل يدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن كانت منهم إفاقة في بعض
الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل وقرأ عاصم ونافع ربما بتخفيف الباء وباقي السبعة بتشديدها
وعن أبي عمرو الوجهان وقرأ طلحة بن مصرف وزيد بن علي ربتما بزيادة تا ومتى يودون ذلك فقيل في
الدنيا فقال الضحاك عند معاينة الموت وقال ابن مسعود هم كفار قريش ودوا ذلك في يوم بدر حين
رأوا الغلبة للمسلمين وقيل حين حل بهم ما حل من غلبة المسلمين أرضهم وأموالهم ونساءهم ودوا ذلك
قبل أن يحل بهم ما حل وقيل ودوا ذلك في الآخرة إذا أخرج عصاة المسلمين من النار قاله ابن عباس وأنس
ابن مالك ومجاهد وعطا وأبو العالية وابن هيثم ورواه أبو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ◦
وقرأ الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الآية وقيل حين يشفع الرسول ويشفع حتى يقول من كان من
المسلمين فليدخل الجنة رواه ابن عباس وقيل إذا عاينوا القيامة ذكره الزجاج وقيل عند كل حالة يعذب
فيها الكافر ويسلم المؤمن ذكره ابن الأنباري ثم أمر تعالى نبيه بأن يتركهم وهو أمر وعيد لهم وتهديد
أي ليسوا ممن يرعوي عما هو فيه من الكفر والتكذيب ولا ممن ينفعهم النصيحة والتذكير فهم إنما حظهم
حظ البهائم من الأكل والتمتع بالحياة الدنيا والأمل في تحصيلها هو الذي يلهيهم ويشغلهم عن
الإيمان بالله ورسوله وفي قوله يأكلوا ويتمتعوا إشارة إلى أن التلذذ والتمتع والتنعم وعدم
الاستعداد للموت والتأهب له ليس من أخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة وعن بعض العلماء
التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين وقال الحسن ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل والجزم في يأكلوا وما عطف
عليه جوابا للأمر وظاهره أنه أمر بتركهم قتالهم وتخلية سبيلهم وبمهادنتهم وموادعتهم ولذلك ترتب
ذلك أن يكون جوابا لأنهم لو شغلهم بالقتال ومصالتة السيوف وإيقاع الحرب ما هنأهم أكل ولا تمتع
ويدل على ذلك أن السورة مكية وإذا جعلت ذرهم أمرا بترك نصيحتهم وشغل باله بهم فلا
يترتب عليه الجواب لأنهم يأكلون ويتمتعون سواء ترك نصيحتهم أو لم يتركها فسوف يعلمون تهديد ووعيد
أي فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وما يؤولون إليه في الدنيا من الذل والقتل والسبي وفي الآخرة من
العذاب السرمدي ولما توعدهم بما يحل بهم أردف ذلك بما يشعر بهلاكهم وأنه لا يستبطأ ◦
فإن له أجلا لا يتعداه والمعنى من أهل قرية كافرين أن المراد بالهلاك هلاك الاستئصال للمكذبي

الرسل

الرسل أبلغ في الزجر وقيل المراد الإهلاك بالموت والواو في قوله ولها واو الحال وقال بعضهم مقحمة أي لها
وليس بشيء وقرأ ابن أبي عبلة بإسقاطها وقال الزمخشري الجملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا
تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق
الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب انتهى ووافقه على ذلك
أبو البقاء فقال الجملة نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا إلا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا
في البقرة في قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري وتبعه فيه
أبو البقاء لا نعلم أحدا قاله من النحويين وهو مبني على أن ما بعد إلا يجوز أن يكون صفة وقد منعوا ذلك
قال الأخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بإلا ثم قال ونحو ما جاءني رجل إلا راكب تقديره إلا رجل
راكب وفيه قبح بجعلك الصفة كالاسم وقال أبو علي الفارسي تقول ما مررت بأحد إلا قائما فقائما حال
من أحد ولا يجوز إلا قائم لأن إلا لا تعترض بين الصفة والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر ما ذهب إليه
الزمخشري من قوله في نحو ما مررت بأحد إلا زيد خير منه أن الجملة بعد إلا صفة لأحد أنه مذهب
لم يعرف لبصري ولا كوفي فلا يلتفت إليه وأبطل ابن مالك قول الزمخشري أن الواو توسطت لتأكيد
لصوق الصفة بالموصوف وقال القاضي منذر بن سعيد هذه الواو هي التي تعطي أن الحالة التي بعدها
في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو ومنه قوله تعالى حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها انتهى
والظاهر أن الكتاب المعلوم هو الأجل الذي كتب في اللوح وبين ويدل على ذلك ما بعده وقيل مكتوب فيه أعمارهم
وأعمالهم وآجالهم وآثار ملاكهم وذكر الماوردي كتاب معلوم أي فرض محتوم ومن زائدة تفيد استغراق
الجنس أي ما تسبق أمة وأنث أجلها على لفظ أمة وجمع وذكر في وما يستأخرون حملا على المعنى وحذف
عنه لدلالة الكلام عليه قوله تعالى وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة
إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ◦ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون ◦ قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أمية والنضر بن الحارث ونوفل بن خويلد والوليد بن
المغيرة وقرأ زيد بن علي نزل عليه الذكر ماضيا مخففا مبنيا للفاعل وقرأ يا أيها الذي ألقي إليه الذكر
وينبغي أن تجعل هذه القراءة تفسيرا لأنها مخالفة لسواد المصحف وهذا الوصف بأنه هو الذي
نزل عليه الذكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لأنهم لا يقرون بتنزيل الذكر عليه وينسبونه
إلى الجنون إذ لو كان مؤمنا برسالته لما أخبر عنه بالجنون ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة
شاهدين بصدقك وبصحة دعواك وإنذارك كما قال لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو
معاقبين على تكذيبك كما كانت تأتي الأمم المكذبة وقرأ الحرميان والعربيان ما تنزل مضارع تنزل
أي ما تتنزل الملائكة بالرفع وقرأ أبو بكر ويحيى بن وثاب ما تنزل بضم التاء وفتح النون والزاي الملائكة
بالرفع وقرأ الأخوان وحفص وابن مصرف ما ننزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي
الملائكة بالنصب وقرأ زيد بن علي ما نزل ماضيا ◦ مخففا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع والحق هنا العذاب
قاله الحسن أو الرسالة قاله مجاهد أو قبض الأرواح عند الموت قاله ابن السائب أو القرآن ذكره
الماوردي وقال الزمخشري إلا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم
ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار وقال ابن عطية
والظاهر أن معناه كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده لا على اقتراح كافر

ولا باختيار معترض ثم ذكر عادة الله في الامم من انه لم يأتهم باية اقتراح الا ومعها العذاب في اثرها ان لم يؤمنوا فكان
الكلام ما ننزل الملائكة الا بالحق واجب لا باقتراحكم وايضا لو نزلت لم تنظروا بعد ذلك بالعذاب اي تؤخروا
المعنى وهذا لا يكون اذ كان في علم الله ان منهم من يؤمن ويلد من يؤمن وقال الزمخشري واذن جواب وجزاء
لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ولما قالوا على
سبيل الاستهزاء يا ايها الذي نزل عليه الذكر رد عليه بانه هو المنزل عليه فليس من قبله ولا من قبل جبريل الجليل
هو تعالى الذي بعث جبريل الى رسوله واكد ذلك بقوله انا نحن بتحول ان بلفظ نحن ونحن مبتدا او تاكيد لاسم
ان ثم قال وانا له لحافظون اي حافظون له من الشياطين وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه فلا تأتيه زيادة
ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل حفظها بل قال ان
الربانيين والاحبار استحفظوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل على انه من عنده تعالى اذ
لو كان من قول البشر لتطرق اليه ما تطرق من قول البشر قال الحسن حفظه بابقائه بعينه الى يوم القيامة
وقيل بحفظه في قلوب من اراد بهم خيرا حتى لو غير احد نقطة لقال له الصبيان كذبت وصوابه كذا ولم
يتفق هذا الشيء من الكتب سواه وعلى هذا فالظاهر ان الضمير في له عائد على الذكر لانه المصرح به في الاية
وهو قول الاكثر مجاهد وقتادة وغيرهما وقالت فرقة الضمير في له عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي يحفظه من اذاكم ويحوطه من مكركم كما قال تعالى والله يعصمك من الناس وفي ضمن هذه الاية
التبشير بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظهر الله به الدين قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون • كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون
به وقد خلت سنة الاولين • ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا
بل نحن قوم مسحورون • لما ذكر تعالى استهزاء الكفار به عليه السلام ونسبته الى الجنون واقتراح نزول
الملائكة سلاه الله تعالى بان من ارسل من قبلك كان ديدن المرسل اليهم مثل ديدن هولاء معك وتقدم
تفسير الشيع في اواخر الانعام ومفعول ارسلنا محذوف اي رسلا من قبلك وقال الفراء في شيع الاولين
هو من اضافة الشيء الى صفته كقوله حق اليقين وبجانب الغربي اي الشيع الموصوف اي في شيع الامم الاولين
والاولون هم الاقدمون وقال الزمخشري وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع
الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال انتهى وهذا الذي ذكره هو قول الاكثر من ان
ما تخلص المضارع للحال وتعينه له وذهب غيره الى ان ما يكثر دخولها على المضارع مرادا به الحال وتدخل
عليه مرادا به الاستقبال وانشد على ذلك قول ابي ذويب الهذلي • اودى بني واودعوني حسرة •
عند الرقاد وعبرة ما تقلع • وقول الاعشى يمدح الرسول عليه السلام • له نافلات ما يغب نوالها •
وليس عطاء اليوم مانعه غدا • وقال تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي
والضمير في نسلكه عائد على الذكر قاله الزمخشري قال والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه
نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت
بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية
ومحل قوله لا يؤمنون النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه انتهى وما ذهب
اليه من ان الضمير عائد على الذكر ذكره الغزنوي عن الحسن قال الحسن معناه نسلك الذكر انه الحجة
وقال ابن عطية الضمير في نسلكه عائد على الاستهزاء والشرك ونحوه وهو قول الحسن وقتادة •

وابن جريج وابن زيد ويكون الضمير في به يعود ايضا على ذلك بعينه ويكون الباء للسببية اي لا يؤمنون
بسبب شركهم واستهزائهم ويكون قوله لا يؤمنون به في موضع الحال ويحتمل ان يكون الضمير في نسلكه
عائدا على الذكر المحفوظ المتقدم الذكر وهو القران اي مكذبا به مردودا مستهزءا به يدخله في قلوب
المجرمين ويكون الضمير في به عائدا عليه ويحتمل ان يكون الضمير في نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير
في به يعود على القران فيختلف على هذا عود الضميرين انتهى وروى ابن جريج عن مجاهد نسلكه التكذيب
فعلى هذا تكون الباء في به للسبب والذي يظهر عوده الى الاستهزاء المفهوم من قوله يستهزءون والباء
في به للسبب والمجرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم الرسول الى الايمان ولا يؤمنون ان كان
اخبارا مستانفا فهو من العام المراد به الخصوص فيمن ختم عليه اذ قد امن عالم ممن كذب الرسول عليه
السلام وقد خلت سنة الاولين في تكذيبهم رسلهم او في اهلاكهم حين كذبوا رسلهم واستهزءوا بهم •
وهو تهديد لمشركي قريش والضمير في عليهم عائد على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم عن الايمان
حتى ينكروا ما هو محسوس مشاهد بالاعين مماس بالاجساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب المبالغة
التامة في انكار الحق والظاهر ان الضمير في فظلوا عائد على من عاد عليه في قوله عليهم اي لو فتح لهم باب
من السما وجعل لهم معراج يصعدون فيه لقالوا هو شيء نتخيله لا حقيقة له وقد سحرنا بذلك
وجاء لفظ فظلوا مشعرا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا على ان ظل ياتي بمعنى صار
ايضا وعن ابن عباس ان الضمير في فظلوا يعود على الملائكة لقولهم لو ما تاتينا بالملائكة اي لو راوا
الملائكة تصعد وتتصرف في باب مفتوح من السما لما امنوا وقرأ الاعمش وابو حيوة يعرجون بكسر
الراء وهو لغة هذيل في العروج بمعنى الصعود وجاء لفظ انما مشعرا بالحصر كانه قال ليس ذلك الا
تسكيرا للابصار وقرأ الحسن ومجاهد وابن كثير سكرت بتخفيف الكاف مبنيا للمفعول وقرأ باقي
السبعة بشدها مبنيا للمفعول وقرأ الزهري بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنية للفاعل شبهوا
رؤية ابصارهم برؤية السكران لقلة تصوره ما يراه فاما قراءة التشديد فعن ابن عباس وقتادة
منعت عن رؤية الحقيقة من السكر بكسر السين وهو الشد والحبس وعن الضحاك شدت وعن حذعة
وعن مجاهد حبست وعن الكلبي عميت وعن ابي عمرو غطيت وعن ابي قتادة ايضا اخذت وعن ابي عبيد
غشيت واما قراءة التخفيف فقيل بالتشديد الا انه للتكثير والتخفيف يؤدي عن معناه وقيل معنى
التشديد اخذت ومعنى التخفيف سحرت والمشهور ان سكر لا يتعدى قال ابو علي ويجوز ان يكون سمع
متعديا في البصر وحكى ابو عبيد عن ابي عبيدة انه يقال سكرت ابصارهم اذا غشيتها سمادير
حتى لا يبصروا وقيل التشديد من سكر الما والتخفيف من سكر الشراب وتقول العرب سكرت الريح تسكر سكرا
اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله اولا وسكر الرجل من الشراب سكرا اذا تغيرت حاله وركد ولم
ينفذ فيما كان للانسان ان ينفذ فيه ومن هذا المعنى سكران لا يبت اي لا يقطع امرا وتقول العرب سكرت
في مجاري الما اذا طمست وصرفت الما فلم ينفذ لوجهه فان كان من سكر الشراب او من سكر الريح فالتضعيف
للتعدية او من سكر مجاري الما فللتكثير لان مخففه متعد واما سكرت بالتخفيف فان كان من سكر الما
ففعله متعد او من سكر الشراب والريح فيكون من باب وجع زيد ووجعه غيره فتقول سكر الرجل وسكره غيره
وسكرت الريح وسكرها غيرها كما جا سعد زيد وسعده غيره وحمل الزمخشري في هذا فقال وسكرت
حيرت او حبست من السكر او من السكر وقرئ بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر عن الجري انتهى وقرأ ابان

ابن ثعلب سحرت ابصارنا وتجي قوله بل نحن قوم مسحورون انتقالا الى درجة عظمى من سحر العقل وينبغي ان يجعل هذه القراءة
تفسيرا معنى لا تلاوة لمخالفتها سواد المصحف وجا جواب ولو قوله تعالوا اي انهم يشاهدون ما يشاهدون ولكنهم
في دونه المحسوس ويكتمون يقولون ما لا يعتقدون مواطاة على العناد ودفع الحجة وايثارا ومكابرة للغلبة كما قال
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا **قوله تعالى** ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها
من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين لما ذكر تعالى حال منكري النبوة وكانت مفرعة
على التوحيد ذكر الايات السماوية وبدا بها ثم اتبعها بالدلائل الارضية وقال ابن عطية لما ذكر تعالى انهم
لو راوا الاية المذكورة في السماء لعاندوا فيها عقب ذلك بهذه الاية كانه قال وان في السماء العبر المنصوبة
عبر عن هذه المذكورة وكفرهم واعراضهم عنها اصرار منهم وعتو انتهى والظاهر ان جعلنا بمعنى خلقنا
وفي السماء متعلق بجعلنا ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيكون في السماء المفعول الثاني فيتعلق بمحذوف والبروج
جمع برج وتقدم شرحه لغة قال الحسن وقتادة هي النجوم وقال ابو صالح الكواكب السيارة وقال علي
ابن عيسى اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدي والدلو والحوت وهي منازل الشمس والقمر وقال ابن عطية هي قصور في السماء فيها الحرس وهي المذكورة
في قوله ملئت حرسا شديدا وشهبا وقيل الفلك اثنا عشر برجا كل برج ميلان ونصف فالظاهر ان
الضمير في وزيناها عائد على البروج لانها المحدث عنها والاقرب في اللفظ وقيل على السماء وهو قول
الجمهور وخص بالناظرين لانها من المحسوسات التي لا تدرك الا بنظر العين ويجوز ان يكون من نظر القلب
لما فيها من الزينة المعنوية وهو ما فيها من حسن الحكم وبدائع الصنع وغرائب القدرة والضمير في
وحفظناها عائد على السماء وكذلك قال الجمهور ان الضمير في وزيناها عائد على السماء حتى لا تختلف
الضمائر وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشياطين تقرب من السماء افواجا فيتفرد المارد منها فيستمع فيرمى بالشهاب فيقول لاصحابه وهو
يلتهب انه الامر كذا وكذا فتزيد الشياطين في ذلك ويلقون الى الكهنة فيزيدون على الكلمة مائة كلمة
ونحو هذا الحديث وقال ابن عباس ان الشهب تجرح وتؤذي ولا تقتل وقال الحسن تقتل وفي الاحاديث ما
يدل على ان الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت الاسلام وحفظت السماء حفظا تاما وعن
ابن عباس كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد
محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها والظاهر ان قوله الا من استرق استثنا متصل والمعنى
فانها لا تحفظ منه ذكره الزهراوي وغيره والمعنى انه سمع من خبرها شيئا والقاه الى الشياطين وقيل
هو استثنا منقطع والمعنى لكن من استرق السمع فاتبعه شهاب لم تحفظ منه وعلى كلا التقديرين فمن في موضع نصب وقال الحوفي من بدل
من كل شيطان وكذا قال ابو البقاء على البدل اي ممن استرق السمع وهذا الاعراب غير سائغ لان ما قبله
موجب فلا يمكن التفريغ فلا يكون بدلا لكنه يجوز الا من استرق نعتا على خلاف في ذلك وقال ابو البقاء ويجوز
ان يكون من في موضع رفع على الابتدا وفاتبعه الخبر وجاز دخول الفا من اجل ان من بمعنى الذي او شرط
انتهى والاستراق افتعال من السرقة وهي اخذ الشي بخفية وهو ان يخطف الكلام خطفة يسيرة
والسمع المسموع ومعنى مبين ظاهر للمبصرين **قوله تعالى** والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل شي موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شي الا عندنا
خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم

له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين وان ربك
هو يحشرهم انه حكيم عليم مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها قال الحسن اخذ الله طينة
فقال لها انبسطي فانبسطت وقيل بسطت من تحت الكعبة ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية
كان النصب على الاشتغال ارجح من الرفع على الابتدا فلذلك نصب والارض والرواسي الجبال وفي الحديث
ان الارض كانت تتكفا باهلها كما تتكفا السفينة فثبتها الله بالجبال ومن في من كل للتبعيض وعند
الاخفش هي زائدة اي كل شي والظاهر ان الضمير في فيها عائد على الارض المحدود وقيل يعود الى الجبال
وقيل عليها وعلى الارض معا قال ابن عباس وابن جبير موزون مقدر بقدر وقال الزمخشري قريبا منه قال وزن
بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيها زيادة ولا نقصان وقال ابن عطية قال الجمهور معناه
بقدر محرر بقصد وارادة فالوزن على هذا مستعار وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة
وغير ذلك مما يوزن وقال قتادة موزون مقسوم وقال مجاهد معدود وقال الزمخشري او له وزن
وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وبسطه غيره فقال ماله منزلة كما تقول ليس له وزن اي قدر ومنزلة
ويقال هذا كلام موزون اي منظوم غير منتثر فعلى هذا اي انبتنا فيها ما يوزن من الجواهر والمعادن
والحيوان وقال تعالى وانبتها نباتا حسنا والمقصود بالانبات الانشا والايجاد وقرا الاعرج وخارجة
عن نافع معايش بالهمز قال ابن عطية والوجه ترك الهمز وعلل ذلك بما هو معروف في النحو وقال الزمخشري
معايش بيا صريحة بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح اليا فيها خطا والصواب الهمز او اخراج اليا بين بين
وتقدم تفسير المعايش في الاعراف والظاهر ان من لمن يعقل ويراد به العيال والمماليك والخدم الذين
يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم وقال معناه الفرا ويدخل
معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالانعام والدواب وما بتلك الصفة مما الله رازقه وقد سبق الى
ظنهم انهم الرازقون وقال بمعناه الزجاج وقال مجاهد الدواب والانعام والبهائم وقيل الوحوش
والسباع والطير فعلى هذين القولين يكون من لما لا يعقل والظاهر ان من في موضع جر عطفا على
الضمير المجرور في لكم وهو مذهب الكوفيين والاخفش ويونس وقد استدللنا على صحة هذا المذهب
في البقرة في قوله وكفر به والمسجد الحرام وقال الزجاج من منصوب بفعل محذوف تقديره و
واعشنا من لستم اي امما غيركم لان المعنى اعشناكم وقيل عطفا على معايش اي جعلنا لكم من لستم
برازقين من العبيد والصناع قيل والحيوان وقيل عطفا على محل لكم وقيل من مبتدا خبره محذوف لدلالة
المعنى عليه اي ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش وهذا لا باس به وقد اجاز واصل بيئة يدا
وغيره بالرفع على الابتدا اي عمرو ضربته فحذف الخبر لدلالة ما قبله عليه وتقدم شرح الخزائن
وان نافية ومن زائدة والظاهر ان المعنى وما من شي ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده
وتكوينه والانعام به فتكون الخزائن هي ما تحفظ فيها الاشيا مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم
الى المعقول وقال قوم المراد الخزائن حقيقة وهي التي تحفظ فيها الاشيا فان للريح مكانا وللمطر مكانا
ولكل مكان ملك وحفظه فاذا امر الله باخراج شي اخرجته الحفظة وقيل المراد بالشي هنا المطر قاله
ابن جريج وقرا الاعمش وما نرسله مكان ننزله والارسال اعم وهي قراءة تفسير معنى لا انها
لفظ قران لمخالفتها سواد المصحف وعن ابن عباس والحكم ابن عتيبة انه ليس عام اكثر مطرا من عام
ولكن الله ينزله في مواضع دون مواضع ولواقح جمع لاقح يقال ريح لاقح جائيات بخير من انشا سحاب

ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير بل للتي هي ريح عقيم او ملاقح حاملات للمطر وفي صحيح البخاري لواقح ملاقح ملقحة
وقال عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة فتقم الارض قمًا ثم المثيرة فتثير السحاب ثم المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث
اللواقح فتلقح الشجر ومن قرأ بافراد الريح فعلى تأويل الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم
البيض وسقى واسقى قد يكونان بمعنى واحد وقال ابو عبيدة من سقى الشفة سقى فقط والارض والثمار اسقى
وللداعي للارض وغيرها بالسقيا اسقى فقط وقال الازهري العرب تقول لكل ما كان من بطون الانعام
ومن السما او نهر يجري اسقيته اي جعلته شربًا له وجعلت له منه مسقى فاذا كان للشفة قالوا سقى
ولم يقولوا اسقى وقال ابو علي سقيته حتى روي واسقيته نهرًا جعلته شربًا له وجا الضميران هنا منفصلا
بعد ضمير متصل كما تقدم في قوله انلزمكموها وتقدم مذهب س فيه وجوب الانفصال وما انتم له
بخازنين اي بقادرين عليه حين احتاجكم اليه وقال سفيان بخازنين اي بمانعين المطر نحن نخرجه من العدم
الصرف الى الحياة ونميت بزوال حياته ونحن الوارثون الباقون بعد فنا الخلق والمستقدمين قال ابن عباس
والضحاك الاموات والمستأخرين الاحيا وقال قتادة وعكرمة وغيرهما المستقدمين في الخلق والمستأخرين
الذين لم يخلقوا بعد وقال مجاهد المستقدمين من الامم والمستأخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن وقتادة ايضا في الطاعة والخير والمستأخرين بالمعصية والشر وقال ابن جبير في صفوف الحرب
والمستأخرين فيها وقيل من قتل في الجهاد والمستأخرين من لم يقتل وقيل في صفوف الصلاة والمستأخرين بسبب
النسا وقال قتادة ايضا السابقين الى الاسلام والمتقاعسين عنه والاولى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا
على الحصر والمعنى انه تعالى محيط علمه بمن تقدم ومن تأخر وباحوالهم ثم اعلم تعالى انه يحشرهم وقرأ
الاعمش يحشرهم بكسر الشين وقال ابن عباس ومروان بن الحكم وابو الجوزا كانت تصلي ورا الرسول امرأة
جميلة فبعض يتقدم لئلا تفتنه وبعض يتأخر ليسرق النظر اليها في الصلاة فنزلت الاية فيهم وفصل
هذه الاية بهاتين الصفتين من الحكمة والعلم في غاية المناسبة ● قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من صلصال من حما مسنون الى قوله لكل باب منهم جزء مقسوم لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو
الحشر يوم القيامة اليها يصيرون فيه نبههم على مبتدا اصلهم ادم وما جرى لعدوه ابليس من المحاورة
وتقدم شي من هذه القصة في اوايل البقرة عقب ذكر الاماتة والاحيا والرجوع اليه تعالى وفي الاعراف
بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفي الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما اعد
من الجنة والنار لخلقه فجيب ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم وقصته مع عدوه ابليس ليحذرهم من
كيده ولينظروا ما جرى له معه حتى اخرجه من الجنة مقر السعادة والراحة الى الارض مقر التكليف والبعث
فيتحذروا من كيده ومن حما قال الحوفي بدل من صلصال باعادة الجار وقال ابو البقا من حما في موضع
جر صفة لصلصال وقال ابن عباس المسنون الطين ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبًا الا وهو
رطب فكني عن المصبوب بوصفه لانه موضوع له وقال مجاهد وقتادة ومعمر المنتن قال الزمخشري
سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا وقال غيره من سن
الما اذا تغير ولا يصح لاختلاف المادتين وقيل مصبوب من سننت الما والتراب اذا صببته شيئا بعد
شي فكان المعنى افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في امثلتها قال الزمخشري
وحق مسنون بمعنى مصور اي يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر انتهى وقيل المسنون المصور من سنة الوجه

وهي

وهي صورته قال الشاعر ● تريك سنة وجه غير مقرفة ● وقيل المسنون المنسوب اي تنسب اليه ذريته
والجان هو ابو الجن قاله ابن عباس قال الزمخشري والجان للجن كادم للناس وقال الحسن وقتادة هو ابليس خلق
قبل ادم وقال ابن بحر هو اسم لجنس الجن كالانسان والمراد به ادم ومن قبل اي من قبل خلق الانسان وقرأ الحسن وعمرو بن
عبيد والجأن بالهمز والسموم قال ابن عباس الريح الحارة التي تقتل وعنه نار لا دخان لها منها تكون الصواعق ●
وقال الحسن نار دونها حجاب وعن ابن عباس نفس النار وعنه لهب النار وقيل نار الله لهب السموم وقيل اضاف
الموصوف الى صفته اي النار السموم وسويته اكملت خلقه والتسوية عبارة عن الاتقان وجعل
اجزائه مستوية فيما خلقت ● ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحياة فيه ولا نفخ هناك ولا منفوخ حقيقة
وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واضاف الروح اليه تعالى على سبيل التشريف نحو بيت الله وناقة الله
او الملك اذ هو المتصرف في الانشا للروح والموجها حيث يشا فقعوا له اي اسقطوا على الارض وحرف
الجر محذوف من ان اي ما لك في ان لا تكون واي داع دعاك الى اباك عن السجود ولا يسجد اللام لام
الجحود والمعنى لا يناسب حالي السجود له وفي البقرة نبه على العلة المانعة له وهي الاستكبار
اي راى نفسه اكبر من ان يسجد وفي الاعراف صرح بجهة الاستكبار وهي الخيرية او ادعا الافضلية
باد فا المادة المخلوق كل منهما منها ومنا نبه على مادة ادم وحده وهنا فاخرج منها وفي الاعراف
فاهبط منها وتقدم ذكر الخلاف فيما يعود عليه ضمير منها وقد تقدمت مباحث وشرح في سورة
البقرة والاعراف اعادها المفسرون هنا ونحن نحيل على ما تقدم الا ما له خصوصية بهذه السورة
فنحن نذكره ونقول وضرب يوم الدين غاية للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم واما
ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا
جا ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد ويوم
وقت النفخة الاولى حين تموت الخلايق ووصف بالمعلوم اما لانفراد الله تعالى بعلمه كما قال انما
علمها عند ربي ان الله عنده علم الساعة او لانه معلوم فنا العالم فيه فيكون قد عبر بيوم الدين
ويوم يبعثون بما كان قريبًا من ذلك اليوم قال الزمخشري ومعنى اغوايه اياه تسبيبه لغيه
بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض
للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله تعالى ولكن ابليس اختار الابا والاستكبار فهلك والله تعالى
بري من غيه ومن ارادته والرضى به انتهى وهو طريقة المعتزلة والضمير في لهم عايد على غير مذكور
علما بغيهم من الكلام وهو ذرية ادم ولذلك قال في الاية الاخرى لئن اخرتني الى يوم القيامة
لاحتنكن ذريته الا قليلًا والتزيين تحسين المعاصي لهم ووسوسته لهم حتى يقعوا فيها في الارض اي في
الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال
لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده اقدر او اراد لاجعلن مكان
التزيين عندهم الارض ولازينها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا
وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه ● يجح في عراقيبها نصلي ● قاله
الزمخشري والاعتراض لاستثنا العليل من الكثير ● اذ المخلصون بالنسبة الى الغاوين قليل واستثناهم
ابليس لانه علم ان تزيينه لا يؤثر فيهم وفيه دليل على جلالة هذا الوصف وانه افضل ما اتصف
به الطائع وقرأ الكوفيون ونافع والحسن والاعرج بفتح اللام ومعناه الا من اخلصته للطاعة انت

فلا يؤثر فيه تزيينى وقرأ نافع في السبعة والجمهور بكسرها اي الا من اخلص العمل لله ولم يشرك فيه غيره ولا رآى به

والفاعل الله تعالى اي فاخلصه الله والاشارة بهذا الى ما تضمنه المخلصين من المصدر اي الاخلاص الذي يكون في عبادي

موصل الى صراط مستقيم لا يسلكه احد فيضل او يزل لان من اصطفيته او اخلص لي العمل لا سبيل لك عليه وقيل لما قسم

ابليس ذرية آدم الى غاو ومخلص قال تعالى هذا امر الى مصيره اليّ ووصفه بالاستقامة اي هو حق وصيرورة قسمهم

الى هذين القسمين ليست لك والعرب تقول طريقك في هذا الامر على فلان اي اليه يصير النظر في امرك وقال

الزمخشري هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم

لغوايته انتهى فجعل هذا اشارة الى انتفاء تزيينه واغوائه وكونه ليس له عليهم سلطان فكأنه

احتمل الاشارة الى ما استثناه ابليس والى ما قرره تعالى بقوله ان عبادي وتضمن كلامه مذهب المعتزلة

وقال صاحب اللوامح اي هذا صراط عهدة استقامته علي واني حفظه اي حفظه علي وهو مستقيم

غير معوج وقال الحسن معنى علي اليّ وقيل علي كانه من مر عليه مر علي اي علي رضواني وكرامتي وقرأ الضحاك

وابراهيم وابو رجاء وابن سيرين ومجاهد وقتادة وقيس بن عباد وحميد وعمرو بن ميمون وعمارة بن

ابي حفصه وابو شرف مولى عدي ويعقوب علي مستقيم اي عال مرتفع لارتفاع شانه وهذه

القراة تؤكد ان الاشارة الى الاخلاص وهو اقرب اليه والاضافة في قوله ان عبادي اضافة تشريف

اي المختصين بعبادتي وعلى هذا لا يكون قوله الا من اتبعك استثناء متصلا لان من اتبعه لم يندرج في قوله

ان عبادي وان كان اريد بعبادي عموم الخلق فيكون الا من اتبعك استثناء من عموم ويكون فيه دلالة

على استثناء الاكثر وبقاء المستثنى منه اقل وهي مسئلة النحاة مختلفون فيها فاجاز ذلك الكوفيون وتبعهم

من اصحابنا الاستاذ ابو الحسن ابن خروف ودلائل ذلك مسطرة في كتب النحو والذي يظهر ان ابليس

لما استثنى العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة في قوله ان عبادي اي عبادي المخلصين الذين ذكرتهم

ليس لك عليهم سلطان ومن في من الغاوين لبيان الجنس اي الذين هم الغاوون وقال الجبائي هذه

الاية تدل على بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وازالة عقولهم كما

تقوله العامه وربما نسبوا ذلك الى السحر قال وذلك خلاف ما نص الله تعالى عليه ولموعدهم مكان

وعدا جتماعهم والضمير للغاوين وقال ابن عطيه واجمعين تاكيد وفيه معنى الحال انتهى وهذا جنوح

لمذهب من يزعم ان اجمعين تدل على اتحاد الوقت والصحيح ان مدلوله مدلول كلهم والظاهر ان جهنم

واحدة ولها سبعة ابواب وقيل ابواب لنار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود

والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين

وقرأ ابن القعقاع جزّ بتشديد الزاي من غير همز ووجهه انه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي

ثم وقف بالتشديد نحو هذا فرج ثم اجرى الوصل مجرى الوقف واختلف عن الزهري ففي كتاب ابن

عطيه وقرأ ابن شهاب بضم الزاي ولعله تصحيف من الناسخ لاني وجدت في التحرير وقرأ ابن وثاب

بضمتين منونا فيهما وقرأ الزهري بتشديد الزاي دون همز وهي قراءة ابن القعقاع وان فرقة قرأت

بالتشديد منهم ابن القعقاع وفي كتاب الزمخشري واللوامح انه قرأ بالتشديد وفي اللوامح هو

وابو جعفر

المفردات

السرج سرر وكلب وبعض تميم تفتح الراء وكذا كل مضاعف فعيل

النصب التعب القنوط اتم الياس يقال قنط يقنط بفتحها وقنط بفتح النون يقنط بكسرها

وبضمها العضح والفضيحة مصدر لفضح يفضح اذا اتى من امر الانسان ما يلزمه به العار

ويقال

ويقال فضح الصبح اذا تبين للناس قال الشاعر ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

التوسم تفعل من الوسم وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها يقال توسمت فيه الخير اذا رأيت ميسم

ذلك وقال عبد الله بن رواحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم اني توسمت فيك الخير اجمعه والله

والله يعلم اني ثابت البصر وقال الآخر توسمته لما ان رأيت مهابة عليه وقلت المرء من آل هاشم واتسم

الرجل جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل طلب كلأ الوسمي وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من

فرقك الى قدمك واصل التوسم التثبت والتفكر ماخوذ من الوسم وهو التاثير بحديدة في جلد

البعير او غيره الايكة الشجرة الملتفة واحدة ايك قال الشاعر تجلو بقادمتي حمامة ايكة

بردا اسف لثاته بالاثمد الخفض مقابل الرفع وهو كناية عن الالانه والرفق عضين جمع عضة

واصلها الواو والهاء يقال عضيت الشيء تعضية فرقته وكل فرقة عضة فاصله عضوة وقيل العضه

في لغة قريش السحر يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة قال الشاعر اعوذ بربي من النافثات

في عقد العاضه المعضه وفي الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة وفسر بالساحر والساحرة

فاصله الهاء وقيل من العضه يقال عضهه عضهة وعضيهة رماه بالبهتان قال الكسائي العضه الكذب

والبهتان وجمعها عضون وذهب الفراء الى ان عضين من العضاه وهي شجرة تؤذي تخرج كالشوك ومن

يلزم الياء ويجعل الاعراب في النون فيقول عضينك كما قالوا سنينك وهي كثيرة في تميم واسد الصدع

الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فانصدع اي شققته فانشق وقال مورج اصدع

افصل وقال ابن الاعرابي اقصد قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين

ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ

عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم لما ذكر تعالى ما اعد لاهل النار ذكر ما اعد

لاهل الجنة ليظهر تفاوت ما بين الفريقين ولما كان حال المؤمنين معتنى به اخبر انهم في جنات وعيون

جعل ما يستقرون فيه في الاخرة كانهم مستقرون فيه في الدنيا ولذلك ادخلوها على قراة الامر لان من استقر

في الشيء لا يقال له ادخل فيه وجاء حال الغاوين موعودا به في قوله لموعدهم لانهم لم يدخلوها والعيون

جمع عين وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين وباقي السبعة بكسرها وقرأ الحسن

ادخلوها ماضيا مبنيا للمفعول من الادخال وقرأ يعقوب في رواية رويس كذلك وبضم التنوين وعنه

فتحه وما بعده من على تقدير ادخلوها اياهم من الادخال امر الملائكة بادخال المتقين الجنة وسقط

الهمزة في القراءتين وقرأ الجمهور ادخلوها امر بالدخول فعلى قراءتي الامر ثم محذوف اي يقال لهم او يقال

للملائكة وبسلام في موضع نصب على الحال واحتمل ان يكون المعنى مصحوبين بالسلامة وان يكون المعنى

مسلما عليكم اي محيون كما حكى عن الملائكة انهم يدخلون على اهل الجنة يقولون سلام عليكم ونزعنا

ما في صدورهم من غل تقدم شرحه في الاعراف قيل وانتصب اخوانا على الحال وهي حال من الضمير والحال

من المضاف اليه اذا لم يكن معمولا لما اضيف على سبيل الرفع او النصب تندر فلذلك قال بعضهم انه

اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه كهذا لان الصدور بعض ما اضيفت اليه وكالجزء كقوله واتبع ملة

ابراهيم حنيفا جاءت الحال من المضاف وقد قررنا ان ذلك لا يجوز وما استدلوا به مؤول على تاويل غير ما ذكروا

فتاويله هنا انه منصوب على المدح والتقدير امدح اخوانا لما لم يمكن ان يكون نعتا للضمير قطع من

اعرابه نصبا على المدح وقد ذكر ابو البقا انه حال من الضمير في الظرف في قوله في جنات وان يكون حالا

من الفاعل في ادخلوها او من الضمير في آمنين ومعنى اخوانا ذوو تواصل ووداد وعلى سرر متقابلين حال
والقعود على السرير دليل على الرفعة والكرامة التامة كما قال يكونون في هذا البحر ملوكا على الاسرة او
مثل الملوك على الاسرة وعن ابن عباس على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر وقال قتادة متقابلين
متساوين في التواصل والتزاور وعن مجاهد لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تدور بهم الاسرة حيثما داروا
فيكونون في جميع احوالهم متقابلين انتهى ولما كانت الدنيا محل تعب بما يقاسي فيها من طلب المعيشة
ومعاناة التكاليف الضرورية لحياة الدنيا وحياة الآخرة ومعاشرة الاضداد وعروض الآفات والاسقام
ومحل انتقال منها الى دار الجزاء بخوف امرها عند المؤمن لا محل اقامة اخبر تعالى بانتفاء ذلك في الجنة
بقوله لا يمسهم فيها نصب واذا انتفى المس انتفت لديمومته وكذا انتفى الاخراج بحصول الكائن في بمخرجين
وقيل للثواب اربع شرائط ان يكون منافع واليه الاشارة بقوله في جنات وعيون مقرونة بالتعظيم
واليه الاشارة بقوله ادخلوها بسلام آمنين خالصة عن مضار الثواب لروحانية كالحقد والحسد
والغل والجسمانية كالاعياء والنصب واليه الاشارة بقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل الى قوله لا
يمسهم فيها نصب دائمة واليه الاشارة بقوله وما هم منها بمخرجين وعن علي ابن الحسين ان قوله ونزعنا الآية
نزلت في ابي بكر وعمر والغل غل الجاهلية وقيل كانت بين بني تيم وعدي وهاشم اضغان فلما اسلموا
تحابوا ولما تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة اكد تعالى تنبيه الناس وتقرير ذلك وتمكينه في النفس
بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ان المتقين
وتعديد بما لهذين الوصفين العظيمين اللذين وصف بهما نفسه وجاء قوله وان عذابي في غاية اللطف
اذ لم يقل على وجه المقابلة واني المعذب المؤلم كل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة وسدت ان مسد
مفعولي نبئ ان قلنا انها تعدت الى ثلاثة ومسد واحد ان قلنا انها تعدت الى اثنين وعن ابن عباس
غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وفي قوله نبئ الآية ترجيح جهة الخير من جهة امره تعالى رسوله
عليه السلام بهذا التبليغ فكانه اشهاد على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة وكونه اضاف العباد اليه
فهو تشريف لهم وتاكيد اسم ان بقوله انا وادخال ال على هاتين الصفتين وكونهما جاءا بصيغة المبالغة ه
والبداءة بالصفة السارة اولا وهي الغفران واتباعها بالصفة التي نشا عنها الغفران وهي الرحمة
وفي الحديث لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه وفي الحديث
عن ابن المبارك باسناده الى الرسول صلى الله عليه وسلم طلع من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن
نضحك فقال الا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال جاءني جبريل يقول
الله لم تقنط عبادي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم • قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم • قال ابشرتموني على ان
مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون • ولما ذكر تعالى ما اعد للعاصين من النار وللطائعين من الجنة ذكر العرب باحوال من يعرفونه
ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليزدجروا عن كفرهم وليعتبروا بما حل
بغيرهم فبدأ بذكر جدهم الاعلى ابرهيم عليه السلام وما جرى لقوم ابن اخيه لوط عليه السلام
ثم بذكر اصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم باصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام وقرأ
ابو حيوة ونبيهم بابدال الهمزة يا وضيف ابرهيم هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط

واضيفوا

واضيفوا الى ابرهيم وانما كانوا اضيافا لانهم في صورة من كان ينزل به من الاضياف اذ كان لا ينزل به
احد الا اضافه وكان يكنى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب من كل جهة باب لئلا يفوته احد ه
والضيف صلة المصدر فالافصح ان لا يثنى ولا يجمع للمثنى والمجموع ولا حاجة الى تكلف اضمار كما قاله النحاس
وغيره من تقدير اصحاب ضيف وسلاما مقتطع من جملة محكية بقالوا فليس منصوبا به والتقدير سلمت سلاما
من السلامة او سلمنا سلاما من التحية وقيل سلاما نعت لمصدر محذوف تقديره فقالوا قولا سلاما وتصريحه
هنا بانه وجل منهم كان بعد تقريبه اليهم ما اضافهم به وهو العجل الحنيذ وامتناعهم من الاكل وفي سورة هود
انه اوجس في نفسه خيفة فيمكن ان هذا التصريح كان بعد ايجاس الخيفة ويحتمل ان يكون القول هنا مجازا ه
فانه ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار كالمصرح به القائل وقرأ الجمهور لا توجل مبنيا للفاعل وقرأ الحسن
بضم التاء مبنيا للمفعول من الايجال وقرئ لا تاجل بابدال الواو الفا كما قالوا تابة في توبة وقرئ الحسن لا
تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك بمثابة الآمن ه
المبشر فلا توجل والمبشر به هو اسحاق وذلك بعد ان ولد له اسمعيل وشب بشروه بامرين احدهما انه ذكر
والثاني وصفه بالعلم على سبيل المبالغة فقيل النبوة كقوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا وقيل عليم بالدين
وقرأ الاعرج بشرتموني بغير همزة الاستفهام وعلى ان مسني الكبر في موضع الحال وقرأ ابن محيصن الكبر
بضم الكاف وسكون الباء واستنكر ابرهيم عليه السلام ان يولد له مع الكبر وفبم تبشرون تاكيد استبعاد
وتعجب وكانه لم يعلم انهم ملائكة رسل الله اليه فلذلك استفهم واستنكر ان يولد له ولو علم انهم
رسل الله ما تعجب ولا استنكر ولا سيما قد راى من ايات الله عيانا كيف احيا الموتى قال الزمخشري ه
كانه قال فباي اعجوبة تبشرون او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء
تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا
يكون امله للبشر ان لا يكون اصله لتبشروني ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني
بالولد والبشارة به لا طريق لها في العادة انتهى وكانه قال اعلي وصفي بالكبر ام على انه اراد الشباب
وقيل لما استطاب البشارة اعاد السؤال ويضعف هذا قولهم له بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين وقرأ
الحسن تبشروني بنون مشددة وياء المتكلم ادغم نون الرفع في نون الوقاية وابن كثير بشدها مكسورة
دون ياء ونافع بكسرها مخففة وغلطه ابو حاتم وقال هذا يكون في الشعر اضطرارا وخرجت على انه حذف
نون الوقاية وكسر نون الرفع للياء ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها فقالوا هو مثل • يسوء الغاليات اذا فليني •
وقول الآخر لا اباك تخوفيني • وقرأ باقي السبعة بفتح النون وهي علامة الرفع قال الحسن فبم تبشرون على
وجه الاحتقار وقلة المبالاة بالمبشرات لمضي العمر واستيلاء الكبر وقال مجاهد عجب من كبره وكبر امراته
وتقدم ذكر سنه وقت البشارة وبالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بالطريقة التي هي حق وهي قول
الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرأ ابن وثاب وطلحة
والاعمش وروي عن ابي عمرو من القنطين من قنط يقنط وقرأ النحويان والاعمش ومن يقنط وفي الروم
والزمر بكسر النون وباقي السبعة بفتحها وزيد بن علي والاشهب بضمها وهو استفهام في ضمنه النفي
ولذلك دخلت الا في قوله الا الضالون وقولهم له فلا تكن من القانطين نهي والنهي عن الشيء لا يدل
على تلبس المنهي عنه به ولا بمقاربته وقوله ومن يقنط رد عليهم وان المحاورة في البشارة لا يدل على
القنوط بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة وفي ذلك اشارة الى ان هبة الولد على الكبر من رحمة

الله

اذ يشتد عضد والده به ويوازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه علمه ودينه **قوله تعالى** قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا انها لمن
الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك
بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين لما بشروه بالولد راجعوه في ذلك علما انهم ملائكة
الله ورسله فاستفهم بقوله فما خطبكم والخطب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد فاضافه اليهم
من حيث انهم حاملوه الى اولئك القوم المعذبين ونكر قوما وصفتهم تقليلا لهم واستهانة بهم وهم قوم
لوط اهل مدينة سدوم والمعنى ارسلنا بالهلاك والا آل لوط يحتمل ان يكون استثناء من الضمير المستكن
في مجرمين والتقدير اجرموا كلهم الا آل لوط فيكون استثناء متصلا والمعنى الا آل لوط فانهم لم يجرموا ويكون حكم
الارسال منسحبا على قوم مجرمين وعلى آل لوط لاهلاك هؤلاء وانجاء هؤلاء والظاهر انه استثناء منقطع
لان آل لوط لم يندرج في قوله قوم مجرمين الا على عموم البدل لان وصف الاجرام منتف عن آل لوط
ولا على عموم الشمول لتنكير قوم مجرمين ولانتفاء وصف الاجرام عن آل لوط واذا كان استثناء منقطعا
فهو مما يجب فيه النصب لانه من الاستثناء الذي لا يمكن توجه العامل على المستثنى فيه لانهم لم
يرسلوا اليهم اصلا وانما ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ويكون قوله انا لمنجوهم جرى مجرى خبر لكن
في اتصاله بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون وقد زعم بعض النحويين في الاستثناء المنقطع المقدر بلكن
اذا لم يكن بعده ما يصح ان يكون خبرا ان الخبر محذوف وانه في موضع رفع لجريان الا وتقديرها بلكن
قال الزمخشري فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير
المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان
يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة
وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل
لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء انتهى
ولما استسلف الزمخشري ان الا امراته مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم لم يجز ان يكون استثناء من
استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه باحد وجهين احدهما انه لما كان الضمير
في لمنجوهم عائدا على آل لوط وقد استثني منه المراة صار كانه مستثنى من آل لوط لان المضمر هو الظاهر في
المعنى والوجه الآخر ان قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم
فجاء قوله انا لمنجوهم اجمعين تاكيدا لمعنى الاستثناء اذ المعنى الا آل لوط فلم يرسل عليهم بالعذاب ونجاتهم
مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم والا
زيدا لم يقم فهذه الجملة تاكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا والحكم السابق على المستثنى
منه فالا امراته على هذا التقرير الذي قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جيء به للتاسيس
اولى من الاستثناء مما جيء به للتاكيد وقرا الاخوان لمنجوهم بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد وكذلك
وقرا ابو بكر قدرنا بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد وكسرت انها اجرى الفعل التقدير مجرى العلم
اما لكونه بمعناه واما لترتبه عليه واسندوا التقدير اليهم ولم يقولوا قدر الله لانهم هم المامورون
باهلاكهم كما يقول من يلوذ بالملك ومن هو متصرف باوامره امرنا بكذا والآمر هو الملك وقال الزمخشري

لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم انتهى فادرج مذهب الاعتزال في تفضيل
الملائكة في غضون كلامه ووصف قوم بمنكرون لانه نكرهم نفسه ونفر منهم وخاف ان يطرقوه
بشر وبل اضراب عن قول محذوف اي ما جئنا بشيء تخافه بل جئناك بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون
فيه اي يشكون في وقوعه او يجادلونك فيه تكذيبا لك بما وعدتهم عن الله ويحتمل ان يكون نكرهم لكونهم
ليسوا بمعروفين في هذا القطر فخاف الهجوم منهم عليه او ان يتعرض اليهم احد من قومه اذ كانوا في صورة
شباب حسان مرد واتيناك بالحق اي باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بحلوله بهم
وتقدم الخلاف في القراءة في فاسر وروى صاحب الاقليد فسر من السير وحكاها ابن عطية وصاحب اللوامح
عن اليماني وحكى القاضي منذر بن سعيد ان فرقة قرات بقطع بفتح الطاء وتقدم الكلام في القطع وفي
الالتفات في سورة هود وخطب الزمخشري هنا فقال فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم
عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا
فلم يكن بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن
خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من
الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير
الهارب الذي تقدم سربه ويفوت به وحيث تؤمرون قال ابن عباس الشام وقيل زغر وقيل موضع
نجاة غير معروف وقيل مصر وقيل الى ارض الخليل بمكان يقال له اليقين وحيث على بابها من انها ظرف مكان
وادعاء انها تكون ظرف زمان من حيث انه ليس في الآية امر الا قوله فاسر باهلك بقطع من الليل ثم
قيل له حيث تؤمرون ضعيف ولفظ تؤمرون يدل على خلاف ذلك اذ كان يكون التركيب من حيث امرتم وحيث
من الظروف المكانية المبهمة ولذلك يتعدى اليها الفعل وهو امضوا بنفسه تقول قعدت حيث قعد زيد وجاء
في الشعر دخول في عليها قال الشاعر فاصبح في حيث التقينا شريدهم طليق ومكتوف اليدين ومزعف
ولما ضمن قضينا معنى اوحينا تعدت تعديتها بالى اي واوحينا الى لوط مقضيا مبتوتا والاشارة
بذلك الى ما وعد تعالى من اهلاك قومه وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو في موضع نصب
على البدل من ذلك قاله الاخفش او على اسقاط الباء اي بانه قاله الفراء وجوزهما الحوفي
وان دابر هؤلاء مقطوع كناية عن الاستئصال وتقدم تفسير مثله في قوله فقطع دابر القوم
الذين ظلموا ومصبحين داخلين في الصباح وهو حال من الضمير المستكن في مقطوع على المعنى ولذلك
وليس للجمعه وقدره الفراء وابو عبيد اذا كانوا مصبحين كما تقول انت راكبا احسن منك ماشيا فان
كان تفسير معنى فصحيح وان اراد الاعراب فلا ضرورة تدعو الى هذا التقدير وقرا الاعمش وزيد بن علي ان
دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا معنى وحينا فكان المعنى اعلمنا علق الفعل فكسر ان او لما كان القضاء بمعنى
الايحاء معناه القول كسر ان ويؤيده قراءة عبد الله وقلنا ان دابر وهي قراءة تفسير لا قراءة لمخالفتها السواد
والمدينة سدوم وهي التي ضرب بقاضيها المثل في الجور **قوله تعالى** وجاء اهل المدينة يستبشرون
قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي
ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين
استبشارهم فرحهم بالاضياف الذين وردوا على لوط عليه السلام والظاهر ان هذا المجيء ومحاورته

مع قومه في خوا اضيافه وعرضه بناته عليهم كان ذلك كله قبل اعلامه بهلاك قومه وعلمه بانهم رسل الله ٥
ولذلك سماهم ضيفا ان خاف الفضيحة لاجل تعاطيهم ما لا يجوز من الفعل القبيح وقد جاد للعربيّا هكذا في
هود والواو لا ترتب قال ابن عطيه ويحتمل ان يكون المجيء والمحاوره بعد علمه بهلاكهم وجاوز تلك المحاوره
على جهة التكتم عنهم والاملا لهم والتربص بهم انتهى ونهاهم عن فضحهم اياه لان من اسا الى ضيفه او
جاره فقد اسا اليه ولا تخزون الخزي وهو الاذلال او من الخزايه وهو الاستحيا وفي قولهم اولم ننهك دليل
على تقدم نهيهم اياه عن ان يضيف او يجير احدا او يدفع عنه او يمنع بينهم وبينه فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان هو عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينه وبين من تعرض له فاوعدوه بانه ان لم ينته
اخرجوه وتقدم الكلام في قوله بناتي ومعنى الاضافه في هود وان كنتم فاعلين شك في قبولهم
لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضا الشهوه فيما احل الله
دون ما حرم واللام في لعمرك لام الابتدا والكاف خطاب للوط عليه السلام والتعديد قالت الملايكة
للوط لعمرك وكنى عن الضلال والغفلة بالسكره اي تحيرهم في غفلتهم وضلالتهم منعتهم عن ادراك الصواب
الذي يشير به من ترك البنين الى البنات وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الجمهور
ابن عباس وابو الجوزا وغيرهما اقسم تعالى بحياته تكريما له والعمر بفتح العين وضمها البقا والزموا
الفتح القسم ويجوز حذف اللام وبذلك قرا ابن عباس وعمرك وقال ابو الهيثم لعمرك لدينك الذي
تعمر وانشد ٥ ايها المنكح الثريا سهيلا ٥ عمرك الله كيف يلتقيان ٥ اي عبادتك الله وقال ابن الاعرابي
عمرت ربي اي عبدته وفلان عامر لربه اي عابد قال ويقال تركت فلانا يعمر ربه اي يعبده فعلى
هذا لعمرك لعبادتك وقال الزجاج الزموا الفتح القسم لانه اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري
ولعمرك فلزموا الاخف وارتفاعه بالابتدا والخبر محذوف اي ما اقسم به وقال بعض اصحاب المعاني
لا يجوز ان يضاف الى الله لانه لا يقال لله تعالى عمر انما يقال هو ازلي وكانه توهم ان العمر لا يقال
الا فيما له انقطاع وليس كذلك العمر والعمر البقا قال الشاعر ٥ اذا رضيت علي بنو قشير ٥
لعمر الله اعجبني رضاها ٥ وقال الاعشى ٥ ولعمر من جعل الشهور علامة ٥ فبين منها نقصها وكمالها
وكره النخعي ان يقال لعمري لانه حلف بحياة المقسم وقال النابغه ٥ لعمري وما عمري علي بهين ٥
والضمير في سكرتهم عايد على قوم لوط وقال الطبري لقريش وهذا مروي عن ابن عباس قال
ما خلق الله نفسا اكرم على الله من محمد قال له وحياتك انهم اي قومك من قريش لفي سكرتهم اي في
ضلالهم وجهلهم يعمهون يترددون قال ابن عطيه هذا بعيد لانقطاعه مما قبله وما بعده وقرا
الاشهب سكرتهم بغير تا وابو عمرو في رواية الجهضمي انهم بفتح همزة انهم والصيحه صيحة الهلاك ٥
وقيل صوت جبريل وقال ابن عطيه هي صيحة الوحشة وليست كصيحة ثمود مشرقين داخلين في الشروق
وهو بزوغ الشمس وقيل اول العذاب كان عند الصبح واستمر الى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند
ذلك والضمير في عاليها سافلها عايد على المدينة المتقدمة الذكر وقال الزمخشري لقرى قوم
لوط ولم يتقدم لفظ القرى وقال مقاتل وابن زيد للمتوسمين للمتفكرين وقال الضحاك للناظرين قال
الشاعر ٥ او كلما وردت عكاظ قبيله ٥ بعثوا الي عريفهم يتوسم ٥ وقال ابو عبيده للمتبصرين وقال
قتادة للمعتبرين وروى نهشل عن ابن عباس للمتوسمين قال لاهل الصلاح والخير والضمير في وانها
عايد على المدينة المهلكه اي انها لبطريق ظاهر بين للمعتبر قاله مجاهد وقتاده وابن زيد ويحتمل

ان

ان يعود على الايات ويحتمل ان يعود على الحجارة وقوله لبسبيل اي ممر ثابت وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تندرس
وهو تنبيه لقريش وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقيل عايد على الصيحة اي وان الصيحة لبمرصد لمن يعمل عملهم لقوله
وما هي من الظالمين ببعيد وقيل مقيم معلوم وقيل معتبر دايما السلوك وقال ابن عباس هلاك دايم ان في ذلك اي في صنعنا
بقوم لوط لعلامة ودليلا لمن امن بالله قوله تعالى فان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين
هم قوم شعيب والايكة التي اضيفوا اليها كانت شجر الدوم وقيل المقل وقيل السدر وقيل الايكه اسم الناحيه فيكون علما
ويقويه قراءة من قرا في الشعرا وص ليكة ممنوع الصرف كفروا فسلط الله عليهم الحر واهلكوا بعذاب الظله ويأتي
ذلك مستوفى ان شا الله تعالى وان عند البصريين هي المخففه من الثقيلة وعند الفرا نافيه واللام بمعنى الا وتقدم
نظيره للنحو وان كانت لكبيره في البقره والظاهر قول الجمهور من ان الضمير في وانهما عايد على قريتي قوم لوط
وقوم شعيب اي انهما على ممر السابله وقيل يعود على لوط وشعيب اي وانهما لبامام مبين اي بطريق من الحق واضح
والامام الطريق وقيل وانهما اي الخبر بهلاك قوم لوط واصحاب الايكة لفي مكتوب مبين اي اللوح المحفوظ ٥
قاله مورج والامام الكتاب بلغة حمير وقيل يعود على اصحاب الايكة ومدين لانه مرسل اليهم فدل ذكر احدهما
على الاخر فعاد الضمير اليهما قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين ٥
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ٥ اصحاب الحجر
ثمود قوم صالح عليه السلام والحجر ارض بين الحجاز والشام وتقدمت قصته في الاعراف مستوفاة والمرسلين ٥
يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل
الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولا ثم زجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها وفي بعض طرقه قال هولا قوم صالح اهلكهم الله الا
رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل من هو يا رسول الله قال ابو رغال والد ثقيف
واتيناهم اياتنا قيل انزل اليهم ايات من كتاب الله وقيل يراد نصب الادلة فاعرضوا عنها وقيل كان في الناقة
ايات خروجها من الصخرة ودنو نتاجها عند خروجها وعظمها حتى لم تشبهها ناقة وكثرة لبنها
حتى يكفيهم جميعا وقيل كانت له عليه السلام ايات غير الناقة وقرا الجمهور ينحتون بكسر الحا وقرا الحسن
وابو حيوة بفتحها ووصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول
ونحوها في الحجارة وامنين قيل من الانهدام وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لاغترارهم بطول
الاعمار وقيل من نقب اللصوص ومن الاعدا وقيل من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه قال ابن
عطيه واصح ما يظهر في ذلك انهم كانوا يامنون عواقب الاخره فكانوا لا يعملون بحسبها بل كانوا يعملون
بحسب الامن منها ومصبحين داخلين في الصباح والظاهر ان ما في قوله فما اغنى نافيه ويحتمل الاستفهام
المراد منه التعجب وما في ما كانوا يحتمل ان تكون مصدرية والظاهر انها بمعنى الذي والضمير محذوف
اي يكسبونه من البيوت الوثيقة والاموال والعدد بل خروا جاثمين هلكى قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الى اخر السوره الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق لم نخلق شيا من ذلك عبثا ولا اهمالا
بل ليطيع من طاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشاة الاخره بمبدا النشاة الاولى ولذلك نبه
من يتنبه بقوله وان الساعة لاتية فيجازى من طاع ومن عصى ثم امر نبيه بالصفح وذلك يقتضي المهادنه
وهي منسوخة باية السيف قاله قتاده او اظهار الحلم عنهم والاغضا لهم ولما ذكر تعالى خلق السموات والارض

وما بينهما قال ان ربك هو الخلاق اي بصفة المبالغة لكثرة ما خلق او الخلاق من شا لما شا من سعادة او
شقاوة وقال الزمخشري الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو عليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم او
ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد تقدم ان الصفح يوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح
وقرا زيد بن علي والجحدري والاعمش ومالك ابن دينار هو الخالق وكذا في مصحف ابي وعثمان من المثاني
والمثاني جمع مثناة والمثنى كل شي يثنى اي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشي ثنيا اي عطفته وضممت اليه اخر ومنه
يقال لركبتي الدابة ومرفقيه مثاني لانه يثنى بالفخذ والعضد ومثاني الوادي معاطفه فقوله سبعا
من المثاني مفهوم سبعة اشيا من جنس الاشيا التي تثنى وهذا مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل
وقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومجاهد وابن جبير السبع هنا هي السبع الطوال البقرة وال عمران
والنسا والمائدة والانعام والاعراف والانفال وبراة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وسميت الطول مثاني لان الحدود والفرايض والامثال ثنيت فيها قاله ابن عباس وعلى قوله من لبيان الجنس وقيل
السابعة سورة يونس قاله ابن جبير وقيل براة وحدها قاله ابو مالك والمثاني على قول هولا وابن عباس
في قوله المتقدم القران كما قال تعالى كتابا متشابها مثاني وسمي بذلك لان القصص والاخبار تثنى فيه وتردد
وقيل السبع الحواميم وسبع صحايف وهي الاسباع وقيل السبع هي المعاني التي انزلت في القران امر ونهي وبشارة
وانذار وضرب امثال وتعداد النعم والاخبار عن الامم قاله زياد ابن ابي مريم وقال عمر وعلي وابن مسعود
وابن عباس ايضا والحسن وابو العالية وابن ابي مليكة وعبيد ابن عمير وجماعة السبع هنا هي ايات الحمد
قال ابن عباس هي سبع منها بسم الله الرحمن الرحيم وقال غيرهم سبع دون البسملة وقال ابو العالية لقد نزلت
هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شي ولا ينبغي ان يعدل عن هذا القول بل لا يجوز العدول عنه
لما في حديث ابي وفي اخره هي السبع المثاني وحديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انها السبع المثاني
وام القران وفاتحة الكتاب وسميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها يثنى بها على الله تعالى جوزه
الزجاج قال ابن عطية وفي هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى ولا نظر في ذلك لانها جمع مثنى
بضم الميم مفعل من اثنى رباعيا اي مقر على الله تعالى اي فيها ثنا على الله تعالى وقال ابن عباس لان
الله استثناها لهذه الامة ولم يعطها لغيرها وقال نحوه ابن ابي مليكة وعلى هذا التفسير الوارد
في الحديث تكون من لبيان الجنس كانه قيل التي هي المثاني وكذا في قول من جعلها اسباع القران او سبع المعاني
واما من جعلها السبع الطوال او ال حميم فمن للتبعيض وكذا في قول من جعل سبعا الفاتحة والمثاني القران
قال الزمخشري ويجوز ان يكون كتب الله تعالى كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة
ويكون القران بعضها وقرا الجمهور والقران العظيم بالنصب فان عنى بالسبع الفاتحة او السبع الطوال
لكان ذلك من عطف العام على الخاص وصار الخاص مذكورا مرتين احداهما بجهة الخصوص والاخرى بجهة
العموم او لان ما دون الفاتحة او السبع الطول يطلق عليه لفظ القران اذ هو اسم يقع على بعض الشي
كما يقع على كله وان عنى الاسباع فهو من باب عطف الشي على نفسه من حيث المعنى ولقد اتيناك ما يقال
له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثنا او التثنية والعظم وقرات فرقة
والقران العظيم بالخفض عطفا على المثاني والعطف بمن ذهب الى ان الواو مقحمة والتقدير سبعا من المثاني
القران العظيم ولما ذكر تعالى ما انعم على رسوله من ايتايه ما اتاه نهاه وقد قلنا ان النهي لا يقتضي
الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه الى شي من متاع الدنيا وهذا وان كان خطابا للرسول صلى الله

عليه وسلم فالمعنى نهي امته عن ذلك لان من اوتي القران شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن
الاشتغال بزهرة الدنيا ومد العين للشي انما هو لاستحسانه وايثاره قال ابن عباس اي لا تتمن ما فضلنا به
احدا من متاع الدنيا ازواجا منهم اي رجالا مع نسايهم او امثالا في النعم واصنافا من اليهود والمشركين
اقوال ونهاه تعالى عن الحزن عليهم ان لم يومنوا وكان كثير الشفقة على من بعث اليه وادا ان يومن بالله كلهم فكان
يلحقه الحزن عليهم فنهاه تعالى عن الحزن على من لم يومن وامره بخفض جناحه لمن امن وهي كناية عن التلطف والرفق
واصله ان الطاير اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه والجناحان من ابن ادم جانباه
ثم امره ان يبلغ انه هو النذير الكاشف لكم ما جيت به اليكم من تعذيبكم ان لم تومنوا وانزال نقم الله المخوفة
بكم والكاف قال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل
ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل
كانوا يستهزون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة ال عمران لي ويجوز ان يراد
بالقران ما يقرونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض
والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع
قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم
والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود
وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان
ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزون القران الى شعر
وسحر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في
كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاصي
ابن وايل والاسود ابن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام
والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن
الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما
هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على
المومنين انتهى اما الوجه الاول وهو تعلق كما باتيناك فذكره ابو البقا على تقدير وهو ان يكون في موضع
نعت لمصدر محذوف تقديره اتيناك سبعا من المثاني ايتا كما انزلنا او انزالا كما انزلنا لان اتيناك بمعنى
انزلنا عليك واما قوله ان المقتسمين هم اهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفي عن ابن عباس
واما قوله اقتسموا القران فهو قول ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير واما قوله اقتسموه فقال
بعضهم سورة البقرة لي الى اخره فقاله عكرمة وقال السدي هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث
والوليد والعاصي والحارث بن قيس ذكروا القران فمن قايل البعوض لي ومن قايل النمل لي ومن قايل الذباب لي
وقايل العنكبوت لي استهزا فاهلكهم الله جميعهم واما قوله ان القران عبارة عما يقرونه من كتبهم الى اخره
فقاله مجاهد واما قوله ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
فلا يجوز ان يكون منصوبا بالنذير كما ذكر لانه موصوف بالمبين ولا يجوز ان يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول

على مذهب البصريين لا يجوز هذا عليم شجاع عالم النحو فتفصل بين عليم وعالم بقوله شجاع وأجاز ذلك الكوفيون وهي مسألة خلافية تذكر دلائلها في علم النحو وأما قوله الذين يجزون القرآن إلى السحر والشعر وأساطير فمروي عن قتادة إلا أنه قال بدل شعر كهانة وأما قوله الذين فتقسموا ما خلا مكة فهو قول ابن السائب وفيه أن الوليد بن المغيرة قال ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم شاعر وبعضكم غاو وهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير بن أبي أمية وهلال بن عبد الأسود والسائب بن صيفي والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الحجاج وأمية بن خلف وأوس بن المغيرة تقاسموا على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعا وأما قوله الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا فقول عبد الله بن زيد وقال ابن عطية والكاف من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل إني أنا النذير عذابا كالذي أنزلنا على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لأن كما ليس مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله تعالى فينفصل الكلام وإنما يترتب هذا القول بأن يقدر أن الله تعالى قال له أنذر عذابا كما والذي أقول في هذا المعنى وقل إني أنا النذير المبين كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيرا وهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب أما قوله وهو عندي غير صحيح إلى آخره فقد استعذر بعضهم عن ذلك فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره أنا النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وإن كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا وإن كان الملك هو الآمر وأما قوله والذي أقول في هذا المعنى إلى آخره فكلام مثبج ولعله من الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم وقال أبو البقاء وقيل التقدير متعناهم تمتيعا كما أنزلنا والمعنى نعمنا بعضهم كما عذبنا بعضهم وقيل التقدير إنذارا مثل ما أنزلنا فيكون وصفا لمصدر وقيل هو وصف لمفعول تقديره لنسألنهم أجمعين مثل ما أنزلنا انتهى وقيل الكاف زائدة التقدير أنا النذير المبين ما أنزلناه على المقتسمين هذه أقوال وتوجيهات متكلفة والذي يظهر لي أنه تعالى لما أمره بأن لا يحزن على من لم يؤمن وأمره بخفض جناحه للمؤمنين أمره أن يعلم المؤمنين وغيرهم أنه هو النذير المبين لئلا يظن المؤمنون أنه لما أمر عليه السلام بخفض جناحه لهم خرجوا من عهدة النذارة فأمره تعالى بأن يقول لهم إني أنا النذير المبين لكم ولغيركم كما قال تعالى إنما أنت منذر من يخشاها وتكون الكاف نعتا لمصدر محذوف تقديره وقل قولا مثل ما أنزلنا على المقتسمين أنك نذير لهم فالقول للمؤمنين في النذارة كالقول للكفار المقتسمين لئلا يظن إنذارك للكفار مخالفا لإنذار المؤمنين بل أنت في وصف النذارة لهم بمنزلة واحدة تنذر المؤمن كما تنذر الكافر قال تعالى نذير وبشير لقوم يؤمنون والظاهر أن الذين صفة للمقتسمين وجوزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف وجوزوا أن ينتصب على الذم ونقل تجويز الزمخشري له أن يكون مفعولا بالنذير فوربك أقسم تعالى بذاته وربوبيته مضافا إلى رسوله على جهة التشريف والضمير في لنسألنهم يظهر عوده على المقتسمين وهو وعيد من سؤال تقريع ويقال إنه يعود على الجميع من كافر ومؤمن إذ قد تقدم ذكرهما والسؤال عام للخلق وجوزوا أن يكون المسؤول كناية عن الجزاء وعما كانوا يعملون عام في جميع الأعمال وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين وقال ابن عباس يقال لهم لم عملتم كذا قال أنس وابن عمر ومجاهد السؤال عن لا إله إلا الله وذكره الزهراوي عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت ذلك فيكون

المعنى

المعنى الوفاء بلا إله إلا الله والصدق لمقالها كما قال الحسن ليس الإيمان بالتحلي ولا الدين بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال وقال ابن عباس فاصدع بما تؤمر امضه وقال الكلبي أجهر به وأظهره من الصديع وهو الفجر قال الشاعر كأن بياض غرته صديع ۝ وقال السدي تكلم بما تؤمر وقال ابن زيد أعلن بالتبليغ وقال ابن جريج أجهر القول في الدعاء إلى الإيمان وقال أبو عبيدة عن رؤبة ما في القرآن أغرب من قوله فاصدع بما تؤمر وما في بما بمعنى الذي والمفعول الثاني تقديره بما تؤمره وكان أصله تؤمر به من الشرائع فحذف الحرف فتعدى الفعل إليه وقال الأخفش ما موصولة والتقدير فاصدع بما تؤمر بصدعه فحذف المضاف ثم الجار ثم الضمير وقال الزمخشري ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول انتهى وهذا ينبني على مذهب من يجوز أن كون المصدر يراد به أن والفعل المبني للمفعول والصحيح أن ذلك لا يجوز وأعرض عن المشركين من آيات المهادنات التي نسختها آية السيف قاله ابن عباس ثم أخبره تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائب أصابتهم لم يسع فيها عليه السلام ولا تكلف لها مشقة قال عروة وابن جبير هم خمسة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب أبو زمعة والأسود بن عبد يغوث ومن بني خزاعة الحارث بن الطلاطلة قال أبو بكر الهذلي قلت للزهري إن ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال ابن جبير هو الحارث ابن غيطلة وقال عكرمة هو الحارث بن قيس فقال الزهري صدقا إنه غيطلة وأبوه قيس وذكر الشعبي في المستهزئين هبار بن الأسود وذلك وهم لأن هبارا أسلم يوم الفتح ورحل إلى المدينة وعن ابن عباس أن المستهزئين كانوا ثمانية وفي رواية مكان الحارث بن قيس عدي بن قيس وقال الشعبي وابن أبي بزة كانوا سبعة فذكر الوليد والحارث بن عدي والأسود والأسود وبعكك بن الحارث ابن السباق وكذا قال مقاتل إلا أنه قال مكان الحارث ابن عدي الحارث بن قيس السهمي وذكر المفسرون والمؤرخون أن جبريل عليه السلام أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه منهم سهم فمنعه الكبر أن يطامن لنزعه فأصاب عرقا في عقبه قال قتادة ومقسم وهو الأكحل فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاصي فدخلت فيه شوكة وقيل ضربته حية فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات وأومى إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وهلك وأشار إلى أنف الحارث ابن قيس فامتخط قيحا فمات وقيل أصابته سموم فاسود حتى صار كأنه حبشي فأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا الباب في وجهه فصار يطوف في شعاب مكة حتى مات وفي بعض ما أصاب هؤلاء اختلاف والله أعلم وقال مقاتل أصاب الأسود وبعككا الذبيلة والآخر ذات الجنب فمات ۝ فسوف يعلمون وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم الآلهة مع الله في الآخرة كما جوزوا في الدنيا وكنى بالصدر عن القلب لأنه محله وجعل سبب الضيق ما يقولون وهو ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن فيما جاء به ثم أمره تعالى بتنزيهه عما نسبوا إليه من اتخاذ الشريك معه مصحوبا بحمده والثناء على ما أسدى إليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم فهذا في المعتقد والفعل القلبي وأمره بكونه من الساجدين والمراد والله أعلم من المصلين فكنى بالسجود عن الصلاة وهي أشرف أفعال الجسد وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقادا وهو فعل القلب وقولا وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة أمره تعالى بما يقابل ذلك من التنزيه لله تعالى ومن السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد ثم أمره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع أنواع ما يتقرب به إليه تعالى وهذه الأوامر معناها دم على كذا لأنه صلى الله عليه وسلم ما زال متلبسا بها أي دم على التسبيح والسجود والعبادة والجمهور على أن المراد باليقين الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وهو تفسير ابن عمر ومجاهد وقتادة والحسن وابن زيد ومنه قوله عليه السلام في عثمان بن مظعون

عند موته انما هو فقد ذاتي اليقين ويروى فقد جاءه اليقين وليس اليقين من اسما الموت وانما العلم به يقين
لا يمتري فيه عاقل فسمي يقينا تجوزا اي يأتيك الامر اليقين علمه ووقوعه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى حتى
يأتيك اليقين في النصر الذي وعدته انتهى وقاله ابن بحر قال اليقين النصر على الكافرين انتهى وحكمة التغيية
باليقين وهو الموت انه يقتضي ديمومة العبادة ما دام حيا بخلاف الاقتصار على الامر بالعبادة من غير تغيية لانه
يكون مطلقا فيكون مطيعا بالمرة الواحدة والمقصود ان لا يفارق العبادة حتى تموت والله اعلم • **مفردات**
اوايل سورة النحل • النطفة القطرة من الما نطف راسه ماء اي قطر • الدف اسم لما يدفأ به اي يسخن وتقول
العرب في يوم ما ذو دفي اذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد دفؤ الرجل دفأ ودفاء وجمع الدف ادفا ورجل
دفآن وامراة دفأى وللدفئة الابل الكثيرة الاوبار لادفا بعضها بعضا بانفاسها وقد تشدد وعن الاصمعي
المدفئة الكثيرة الاوبار والشحوم وقال الجوهري الدف نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها • البغل
معروف ولعمرو بن بحر الجاحظ كتاب البغال • الحمار معروف يجمع في القلة على احمرة وفي الكثرة على حمر وهو العير
وعلى حمير • الطري فعيل من طرو يطرو طراوة مثل سرو يسرو سراوة وقال الفرا طري يطرى طرا وطراوة
مثل شقي يشقى شقا وشقاوة • المخر شق الما يمينا وشمالا يقال مخر الما الارض وقال الفرا صوت جري الفلك
بالرياح وقيل الصوت الذي يكون من هبوب الريح اذا اشتدت وقد يكون من السفينة ونحوها اذا تحركت
ودار • السقف معروف ويجمع على سقوف وهو القياس وعلى سقف وسقف وفعل فعل محفوظان
في فعل وليس سا فيستبين فيه **سورة النحل** بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما
يشركون الى قوله ولو شا لهداكم اجمعين • قال الحسن وعطا وعكرمة وجابر هي كلها مكية وقال ابن
عباس الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله باحسن
ما كانوا يعملون وقيل الا ثلاث آيات وان عاقبتم الآية نزلت في المدينة في شان التمثيل بحمزة وقتلى احد
وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا وقيل من اولها الى قوله يشركون مدني
وما سواه مكي وعن قتادة عكس هذا ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما قال فوربك لنسألنهم اجمعين كان
ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيمة وسوالهم عما اجرموه في دار الدنيا فقيل اتى امر الله وهو يوم القيامة
على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالامر نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكفار وقال
الزمخشري كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا
بالوعد انتهى وهذا الثاني قاله ابن جريج قال الامر هنا ما وعد الله نبيه من النصر والظفر باعدائه
وانتقامه منهم بالقتل والسبي ونهب الاموال والاستيلا على منازلهم وديارهم وقال الضحاك الامر هنا
مصدر امره والمراد به فرايضه واحكامه وقيل وهذا فيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة استعجل
فرايض من قبل ان تفرض عليهم وقال الحسن وابن جريج ايضا الامر عقاب الله لمن اقام على الشرك وتكذيب
الرسول عليه السلام واستعجال العذاب منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم وقريب من هذا القول
قول الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم وقيل الامر بعض اشراط الساعة واتى اما باق على معناه
من المضي والمعنى اتى امر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا وقيل اتى امر الله اتت مباديه وامارته وقيل
عبر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه وفي ذلك وعيد للكفار وقرا الجمهور تستعجلوه بالتاء
على الخطاب وهو خطاب للمؤمنين او خطاب للكفار على معنى قل لهم فلا تستعجلوه وقال تعالى يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها وقرا ابن جبير بالياء عائدا على الكفار والظاهر عود الضمير في فلا تستعجلوه على الامر لانه

هو

هو المحدث عنه وقيل يعود على الله تعالى اي فلا تستعجلوا الله بالعذاب او باتيان يوم القيمة كقوله ويستعجلونك
بالعذاب وقرا حمزة والكسائي تشركون بتا الخطاب وباقي السبعة والاعرج وابو جعفر وابن نصاح وابو
رجا والحسن باليا وقرا عيسى الاولى بالتا من فوق والثانية باليا وباليا من تحت معا الاعمش وابو العالية وطلحة
وابو عبد الرحمن وابن وثاب والجحدري وما يحتمل ان يكون بمعنى الذي ومصدرية وانفصل قرانه عن ما ذكر كون
باستعجالهم لان استعجالهم استهزا وتكذيب وذلك من الشرك وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل مخففا وباقي
السبعة مشددا وزيد بن علي والاعمش وابو بكر تنزل مشددا مبنيا للمفعول الملايكة بالرفع والجحدري
كذلك الا انه خفف والحسن وابو العالية والاعرج والمفضل عن عاصم ويعقوب بفتح التا مشددا مبنيا
للفاعل وقرا ابن ابي عبلة ننزل بنون العظمة والتشديد وقتادة بالنون والتخفيف قال ابن عطية
وفيهما شذوذ كثير انتهى وشذوذ هذا ان ما قبله وما بعده ضمير غيبة ووجهه انه التفات والملايكة
هنا جبريل وحده قاله الجمهور او الملايكة المشار اليهم بقوله والنازعات غرقا وقال ابن عباس الروح
الوحي ينزل به الملايكة على الانبيا ونظيره يلقي الروح من امره على من يشا من عباده وقال الربيع ابن انس هو
القران ومنه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال مجاهد المراد بالروح ارواح الخلق لا ينزل ملك الا
ومعه روح وقال الحسن وقتادة الروح الرحمة وقال الزجاج ما معناه الروح الهداية لانها تحيي بها القلوب
كما تحيي الابدان بالارواح وقيل الروح جبريل وقيل عليه نزل به الروح الامين ويكون الباء للحال اي ملتبسة
بالروح وقيل بمعنى مع وقيل الروح حفظة على الملايكة كما الملايكة حفظة علينا لا نراهم وقال مجاهد ايضا
الروح اسم ملك ومنه يوم يقوم الروح والملايكة صفا وعن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله
كصور ابن ادم لا ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم وقال نحوه ابن جريج قال ابن عطية وهذا قول
ضعيف لم يأت به سند وقال الزمخشري بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما
يقوم في الدين مقام الروح في الجسد انتهى ومن للتبعيض او لبيان الجنس ومن يشا هم الانبيا عليهم السلام
وان مصدرية وهي التي من شانها ان تنصب المضارع وصلت بالامر كما وصلت في قولهم كتبت اليه
بان قم وهو بدل من الروح او على اسقاط الخافض بان انذروا فيجري الخلاف فيه اهو في موضع نصب
او في موضع خفض وقال الزمخشري وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بان انذروا
اي بان الشان اقول لكم انذروا انه لا اله الا انا انتهى فجعلها المخففة من الثقيلة واضمر اسمها وهو ضمير
الشان وقدر اضمار القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهي اقول ولا حاجة الى هذا التكلف مع سهولة
كونها الثنائية التي من شانها نصب المضارع وجوز ابن عطية وابو البقا وصاحب الغنيان ان تكون
ان مفسرة فلا موضع لها من الاعراب وذلك لما في التنزيل بالوحي من معنى القول اي اعلموا الناس من نذرت
بكذا اذا اعلمته قال الزمخشري والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون انتهى لما
جعل ان هي التي حذف منها ضمير الشان قدر هذا التقدير وهو يقول لهم اعلموا وقرئ لينذر رواية
وحسن لفظ الانذار هنا وان لم يكن في اللفظ ما فيه خوف من حيث كان المنذرون كافرين بالوهيته وفي
ضمن انذارهم مكان تخويف وفي ضمن الاخبار بالوحدانية نهي عما كانوا عليه ووعيد وتخويف من عبادة الاوثان
ومعنى فاتقون اي اتقوا عقابي باتخاذكم الها غيري وجات الحكاية على المعنى في قوله الا انا ولو جاءت على
اللفظ لكان لا اله الا الله وكلاهما سايغ وحكاية المعنى ابلغ اذ فيها نسبة الحكم الى ضمير المتكلم المنزل للملايكة
ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض ه

مقرون بانه تعالى موجدها وبالجزائي بالواجب للالوهية وذلك انه دال على صفات يحق لمن كانت له ان يخلق ويخترع
وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة بخلاف شركائهم التي لا يحصل لها شي من ذلك وقرأ الاعمش فتعالى بزيادة فا وجاءت
هذه الجملة منبهة على تنزيه الله تعالى موجد هذا العالم العلوي والعالم السفلي عن ان يتخذ معه شريك في
العبادة ولما ذكر ما دل على وحدانيته من خلق العالم العلوي والارض وهو استدلال بالخارج ذكر الاستدلال من
نفس الانسان فذكر انشاءه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فكان بحقه والواجب عليه ان يطيع وينقاد لامر الله
والخصيم من صفات المبالغة من خصم بمعنى اختصم او بمعنى مخاصم كالخليط والجليس والمبين الظاهر الخصومة
او المظهرها والظاهر ان سياق هذين الوصفين سياق ذم لما تقدم من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وقوله
ان انذروا الاية ولتكرير قوله تعالى عما يشركون وفي جدال ولم ير الانسان الاية وقال بل هم قوم خصمون
وعني بهم مخاصمتهم لانبياء الله واوليائه بالحجج الداحضة واكثر ما ذكر الانسان في القرآن في معرض الذم او
مردفا بالذم وقيل المراد بالانسان هنا ابي بن خلف الجمحي وقال قوم سيق الوصفين سياق المدح لانه
تعالى قواه على منازعة الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجمادية وهو كونه نطفة
الى الحالة العالية الشريفة وهي حالة النطق والابانة واذا هنا للمفاجاة وبعد خلقه من النطفة لم يقع له
المفاجاة بالمخاطبة الا بعد احوال تطرا فيها فتلك الاحوال محذوفة وتقع المفاجاة بعدها وقال ابو عبد الله
الرازي اعلم ان اشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان ثم ذكر الانسان وانه مركب من بدن
ونفس في كلام كثير من يوقف عليه في تفسيره ولا نسلم ما ذكره من ان الافلاك والكواكب اشرف من
الانسان ولما ذكر خلق الله الانسان ذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته فذكر اولا اكثرها منافع والزمها
لمن نزل القرآن بلغتهم وذلك الانعام وتقدم شرح الانعام في الانعام والاظهر ان يكون لكم فيها دفء
استيناف لذكر ما ينتفع به من جهتها ودفء مبتدأ وخبره لكم ويتعلق فيها بما في لكم من معنى الاستقرار
وجوز ابو البقا ان يكون حالا من دفء اذ لو تاخر لكان صفة وجوز ايضا ان يكون لكم حالا من دفء وفيها
الخبر وهذا لا يجوز لان الحال اذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة باسرها لا يجوز قائما
في الدار زيد فان تاخرت الحال عن الجملة جازت بلا خلاف او توسطت فاجاز ذلك الاخفش ومنعه
الجمهور واجاز ايضا ان يرتفع دفء بلكم او بفيها والجملة كلها حال من الضمير المنصوب انتهى ولا تسمى
جملة لان التقدير خلقها لكم فيها دفء او خلقها لكم كائنا فيها دفء وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة
وجوزوا ان يكون لكم متعلقا بخلقها وفيها دفء استيناف لذكر منافع الانعام ويؤيد كون لكم فيها دفء
يظهر فيه الاستيناف مقابلته بقوله ولكم فيها جمال فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية
وقال ابن عباس الدفء نسل كل شي وذكره الاموي عن لغة بعض العرب والظاهر ان نصب والانعام على
الاشتغال وحسن النصب كون جملة فعلية تقدمت ويؤيد ذلك قراءته في الشاذ برفع الانعام وقال
الزمخشري وابن عطية يجوز ان يكون الانعام قد عطف على الانسان وعلى هذا يكون لكم استيناف او
متعلق بخلقها وقرأ الزهري وابو جعفر دف بضم الفا وشدها وتنوينها ووجهه انه نقل الحركة من الهمزة
الى الفا بعد حذفها ثم شدد الفا اجراء للوصل مجرى الوقف اذ يجوز تشديدها في الوقف وقرأ زيد
ابن علي دف بنقل الحركة وحذف الهمزة دون تشديد الفا وقال صاحب اللوامح الزهري دف بضم الفا
من غير همز والفا محركة بحركة الهمزة المحذوفة ومنهم من يعوض من هذه الهمزة فيشدد الفا وهو احد
وجهي حمزة بن حبيب وقفا وقال مجاهد ومنافع الركوب والحمل والالبان والسمن والنضح عليها وغير ذلك

وافرد

وافرد منفعة الاكل بالذكر كما افرد منفعة الدفء لانهما من اعظم المنافع وقال الزمخشري فان قلت تقديم
الظرف في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده
الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه انتهى وما قاله بناه على ان تقديم الظرف او المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا
عليه ذلك في قوله اياك نعبد والظاهر ان من للتبعيض كقولك اكلت من الرغيف وقال الزمخشري ويحتمل
ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تاكلون منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون
نتاجها والبانها وجلودها انتهى فعلى هذا يكون التبعيض مجازا او يكون من للسبب والجمال مصدر جمل بضم
الميم والرجل جميل والمراة جميلة وجملاء عن الكسائي وانشد • فهي جملاء كبدر طالع • بذت الخلق جميعا بالجمال
ويطلق الجمال ويراد به التجمل كانه مصدر على اسقاط الزوائد والجمال يكون في الصورة بحسن التركيب
يدركه البصر ويلقيه في القلب فيتعلق به النفس من غير معرفة وفي الاخلاق باشتمالها على الصفات
المحمودة كالعلم والحلم والعفة وفي الافعال بوجودها ملايمة لمصالح الخلق وطلب المنفعة اليهم وصرف
الشر عنهم والجمال الذي لنا في الانعام هو خارج عن هذه الانواع الثلاثة والمعنى ان لنا فيها
جمالا وعظمة عند الناس باقتنائها ودلالتها على سعادة الانسان في الدنيا وكونه فيها من اهل
السعة فمن تعالى وله المنة بالتجمل بها كما من بالانتفاع الضروري لان التجمل بها من اغراض اصحاب
المواشي ومفاخر اهلها والعرب تفتخر بذلك الا ترى الى قوله • لعمري لقوم قد نرى امس فيهم
مرابط للامهار والعكر الدثر • احب الينا من اناس بقنية • يروح على اثارهم شاتهم الثمر • العكرة
من الابل ما بين الخمسين الى السبعين والجمع عكر • والدثر الكثير ونفى الاراح الماشية ردها بالعشي من
المرعى وسرحها اخرجها سرحا وسروحا اخرجها غدوة الى المرعى وسرحت هي يكون متعديا ولازما
واكثر ما يكون ذلك ايام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلا وخرجوا للنجعة وقدم الاراحة على السرح
لان الجمال فيها اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير بخلاف وقت سرحها
وان كانت في الوقتين تزين الافنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء فتانس اهلها وتفرح اربابها وتجلهم في
اعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة لقوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقوله تعالى
زين للناس حب الشهوات ثم قال تعالى والانعام والحرث • وقرا عكرمة والضحاك والجحدري
حينا بالتنوين فيهما وفك الاضافة وجعلوا الجملتين صفتين حذف منهما العايد كقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزي ويكون العامل في حينا على هذا اما المبتدا لانه في معنى التجمل واما خبره بما فيه من معنى
الاستقرار والاثقال الامتعة واحدها ثقل وقيل الاجسام لقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
اي اجساد بني ادم وقوله الى بلد لا يراد به معين اي الى بلد بعيد توجهتم اليه لاغراضكم
وقيل المراد به معين وهو مكة قاله ابن عباس وعكرمة والربيع ابن انس وقيل مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم وقيل مصر وينبغي حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على المراد اذ المنة لا تختص بالحمل
اليها ولم تكونوا بالغيه صفة للبلد ويحتمل ان يكون التقدير بها وذلك تنبيه على بعد البلد وانه
مع الاستعانة بها تحمل الاثقال لا يصلون اليه الا بالمشقة او يكون التقدير لم تكونوا بالغيه
بانفسكم دونها الا بالمشقة مثل ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم وقرأ الجمهور بشق بكسر الشين وقرأ مجاهد
والاعرج وابو جعفر وعمرو بن ميمون وابن ارقم بفتحها ورويت عن نافع وابي عمرو وهما مصدران •

معناهما المشقه وقيل الشق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويعني به المشقه وقال الشاعر في الكسر ٭ وذي ابل يجشمها له اخي نصب من شقها ودؤب ٭ اي من شقها وشق الشيء نصفه وعلى هذا حمله الفرا
هنا اي بذهاب نصف الانفس كانها قد ذابت تعبا ونصبا كما تقول لا تقدر على كذا الا بذهاب جل نفسك
وبقطعة من كبدك ونحو هذا من المجاز ويقال اخذت شق الشاة اي نصفها والشق الجانب والاخ الشقيق وشق
اسم كاهن وناسب الامتنان بهذه النعمة من حملها الاثقال الختم بصفة الرافة والرحمة لانه من رافته تيسير
هذه المصالح وتسخير الانعام لكم ولما ذكر تعالى منته بالانعام ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع
الحيوان التي ليست بضرورية وقرا الجمهور والخيل وما عطف عليه بالنصب عطفا على والانعام وقرا ابن ابي
عبلة بالرفع ولما كان الركوب اعظم منافعها اقتصر عليه ولا يدل ذلك على انه لا يجوز اكل لحم الخيل خلافا لمن
استدل بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام ووصل الفعل الى الركوب بوساطة الحرف وكلاهما مفعول
من اجله لان التقدير خلقها والركوب صفات المخلوق لهم ذلك فانتفى شرط النصب وهو اتحاد الفاعل
فعدي باللام والزينة من وصف الخالق فاتحد الفاعل فوصل الفعل اليه بنفسه وقال ابن عطيه وزينة
نصب باضمار فعل تقديره وجعلنا ها زينة وروى قتادة عن ابن عباس لتركبوها زينة بغير واو وقال صاحب
اللوامح والزينة مصدر اقيم مقام الاسم وانتصابه على الحال من الضمير في خلقها او من لتركبوها وقال
الزمخشري اي وخلقها زينة لتركبوها او بجعلها زينة حالا من هما وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال وقال
ابن عطيه والنصب حينئذ على الحال من الها في تركبوها والظاهر نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى فقال
الجمهور المعنى ما لا تعلمون من الادميين الحيوانات والجمادات التي خلقها كلها لمنافعكم فاخبرنا بان له من
الخلائق ما لا علم لنا به لنزداد دلالة على قدرته بالاخبار وان طوي عنا علمه لحكمة له في طيه وما
خلق تعالى من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمه بشر وقال قتادة ما لا تعلمون اصل حدوثه كالسوس في النبات
والدود في الفواكه وقال ابن بحر لا تعلمون كيف يخلقه وقال مقاتل هو ما اعد الله لاوليائه في الجنه مما
لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال الطبري وزاد بعد في الجنه وفي النار لاهلها
والبلاغي بالمعنى وروت تفاسير فيما لا تعلمون في الحديث وعن ابن عباس ووهب بن منبه والشعبي
الله اعلم بصحتها ويقال لما ذكر الحيوان الذي ينتفع به انتفاعا ضروريا وغير ضروري اعقب بذكر الحيوان
الذي لا ينتفع به غالبا على سبيل الاجمال اذ تفاصيله خارج عن الاحصاء والعد والقصد مصدر يوصف
به يقال سبيل قصد وقاصد اذا كان مستقيما كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل
عنه والسبيل هنا مفرد اللفظ وقيل مفرد المدلول وال فيه للعهد وهي سبيل الشرع وليست للجنس اذ
لو كانت له لم يكن منها جائر والمعنى وعلى الله تبيين طريق الهدى وذلك بنصب الادله وبعثة الرسل
وقال ابن عطيه ويحتمل ان يكون المعنى ان من سلك الطريق القاصد فعلى الله ورحمته ونعمته طريقه ٭
والى ذلك مصيره وعلى ان ال للعهد يكون الضمير في قوله ومنها جائر عائدا على السبيل التي تضمنها معنى
الاية كانه قيل ومن السبيل جائر فاعاد عليها وان لم يجر لها ذكر لان مقابلها يدل عليها قال ابن عطيه
ويحتمل ان يعود منها على سبيل الشرع ويكون من للتبعيض والمراد فرق الضلالة من امة محمد صلى الله
عليه وسلم كانه قال ومن بنيات الطرق في هذه السبيل ومن شعبها وقيل ال في السبيل للجنس
وانقسمت الى مستقيم وهو طريق الحق والى جائر وهو طريق الباطل والجائر العادل عن الاستقامة والهداية
كما قال ٭ يحرنها اللاح طورا ويهتدي ٭ وكما قال الاخر ٭ ومن الطرايق جائر وهدى ٭ قصد السبيل ومنه ذو دخل

ثم

قسم الطرايق الى جائر والى هدى والذي دخل وهو الفساد وقال الزمخشري ومعنى قوله وعلى الله قصد
السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه اقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب
الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان كما تزعم المجبرة
لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن
القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء انتهى وهو تفسير على طريقة
الاعتزال وقيل الضمير في ومنها يعود على الخلايق اي ومن الخلايق جائر عن الحق ويؤيده قراءة علي ومنكم
جائر وكذا هي في مصحف عبد الله وقراءة علي فمنكم جائر بالفاء قال ابن عباس هم اهل الملل المختلفة وقيل
اليهود والنصارى والمجوس ولو شاء لهداكم لخلق فيكم الهداية فلم يضل احد منكم وهي مشية الاختيار وقال
الزجاج لو شاء لفرض عليكم اية تضطركم الى الاهتداء والايمان قال ابن عطيه وهذا قول سوء لاهل البدع
الذين يرون ان الله لا يخلق افعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى ولم يعرف
ابن عطيه ان الزجاج معتزلي فلذلك تاول عليه انه لم يحصل وانه وقع منه من غير قصد وقال ابو
علي لو شاء لهداكم الى الثواب او الى الجنة بغير استحقاق وقال ابن زيد لو شاء لهداكم لمحض قصد السبيل دون الجائر
ومفعول شاء محذوف لدلالة لهداكم اي ولو شاء هدايتكم لهداكم قوله تعالى هو الذي انزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ٭ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون ٭ مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما امتن بايجادهم بعد العدم وايجاد ما ينتفعون
به من الانعام وغيرها من الركوب ذكر ما انعم به عليهم من انزال الماء الذي هو قوام حياتهم وحياة
الحيوان وما يتولد عنه من اقواتهم واقوات الزرع وما عطف عليه فذكر منها الاغلب ثم عمم
بقوله ومن كل الثمرات ثم اتبع ذلك بخلق الليل الذي هو سكن لهم والنهار الذي هو معاش ثم بالنيرين
اللذين جعلهما الله تعالى مؤثرين بارادته في اصلاح ما يحتاجون اليه ثم بما ذرا في الارض والظاهر ان
لكم في موضع الصفة لما قبله فيتعلق بمحذوف ومن تبعيض شراب به اي ماء كائنا لكم منه شراب ويجوز ان
يتعلق بانزل ويجوز ان يكون استئنافا وشراب مبتدا لما ذكر انزال الماء اخذ في تقسيمه والشراب هو
المشروب والتبعيض في منه ظاهر واما في ومنه شجر فمجاز لما كان الشجر انباته بسقيه بالماء جعل الشجر
من الماء كما قال ٭ اسنمة الابال في ربابه ٭ اي في سحاب المطر وقال ابن الانباري هو على حذف مضاف
اما قبل الضمير اي ومن جهته او سقيه شجر واما قبل شجر اي شرب شجر كقوله واشربوا في قلوبهم العجل
اي حبه والشجر هنا كل ما تنبته الارض قاله الزجاج وقال الراجز ٭ نطعمها اللحم اذا عز الشجر ٭ فسمى
الكلا شجرا وقال ابن قتيبة الشجر هنا الكلا وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجرة فانها سحت يعني الكلا
ويقال اسام الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت بنفسها فهي سائمة وسوام رعت حيث شاءت
قال الزجاج من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الارض علامات وقرا زيد بن علي تسيمون بفتح
التاء فان سمع متعديا كان هو واسام بمعنى واحد فان كان لازما فتاويله على حذف مضاف تسيمون
اي تسيم مواشيكم لما ذكر ومنه شجر اخذ في ذكر غالب ما ينتفع به من الشجر ان كان المراد من قوله
ومنه شجر العموم فان كان المراد الكلا فهو استئناف اخبار بما هو مادة لما قبله يعني النبات وابتداء الله فهو ٭

مبنوت وهذا قياسه منبت وقيل يقال نبت الشجر لازما وانشد الفرا ◦ رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ◦
قطينا بها حتى اذا انبت البقل ◦ اي نبت وكان الاصمعي يابى انبت بمعنى نبت وقرا ابو بكر ننبت بنون العظمة
وقرا الزهري ننبت بالتشديد قيل للتكثير والتكرير والذي يظهر انه تضعيف التعدية وقرا ابي ينبت من
نبت ورفع الزرع وما عطف عليه وخص الاربعة بالذكر لانها اشرف ما ينبت واجمعه للمنافع وبدا بالزرع
لانه قوت اكثر العالم ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه وهي ضرورية مع منفعة اكله
والايتدام به وبدهنه والاطلا بدهنه ثم بالنخل لان ثمرته من اطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد ثم
بالاعناب لانها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات اي بعضها من التي للتبعيض لان كل الثمرات لا تكون
الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ولما ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل
اعقبه بقوله ويخلق ما لا تعلمون كذلك هنا ذكر الانواع المنتفع بها من النبات ثم قال ومن كل الثمرات
تنبيها على ان تفصيل القول في اجناسها وانواعها وصفاتها ومنافعها مما لا يكاد يحصر كما ان تفصيل
ما خلق من باقي الحيوان لا يكاد يحصر وختم تعالى ذلك بقوله لاية لقوم يتفكرون لان النظر في
ذلك يحتاج الى فضل تامل واستعمال فكر الا ترى ان الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض ومر عليها
مقدار من الزمان معين لحقها من نداوة الارض ما تنتفخ به فينشق اعلاها فتصعد منه شجرة الى
الهوى وسفلها تغوص منه في عمق الارض شجرة اخرى وهي العروق ثم ينمو الاعلى ويقوى ويخرج الاوراق
والازهار والاكمام والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الطبائع والطعوم والالوان والروائح
والاشكال والمنافع وذلك بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى وقرا الجمهور والشمس وما بعده منصوبا
وانتصب مسخرات على انها حال مؤكدة ان كان مسخرات اسم مفعول وهو اعراب الجمهور وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك
سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره انتهى وقرا ابن عامر والشمس وما بعده بالرفع
على الابتدا والخبر وحفص والنجوم مسخرات برفعهما وهاتان القراءتان يبعدان قول الزمخشري
ان مسخرات بمعنى تسخيرات وقرا ابن مسعود والاعمش وابن مصرف والرياح مسخرات في موضع
والنجوم معطوف على ما قبله وقال الاخفش والنجوم منصوب على اضمار فعل تقديره وجعل النجوم
مسخرات فاضمر الفعل وعلى هذا الاعراب لا يكون مسخرات حالا مؤكدة بل مفعولا ثانيا لجعل ان كان
جعل المقدر بمعنى صير وحالا مبينة ان كان بمعنى خلق وتقدم شرح تسخير هذه النيرات في الاعراف
وجمع الايات هنا وذكر العقول وافرد فيما قبل وذكر التفكر لان فيما قبله استدلالا لانبات الما وهو
واحد وان كثرت انواع النبات والاستدلال هنا متعدد ولان الاثار العلوية اظهر دلالة
على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبريا والعظمة وما ذرا معطوف على الليل والنهار يعني ما
خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه من البياض والسواد وغير ذلك وقيل مختلفا
الوانه اصنافه كما تقول هذه الوان من التمر ومن الطعام وقيل المراد به المعادن ان في ذلك لاية فيما
ذرا على هذه الحال من اختلاف الالوان او ان في ذلك اي اختلاف الالوان وختم هذا بقوله يذكرون
ومعناه الاعتبار والاتعاظ كان علمهم بذلك سابق طرا عليه النسيان فقيل يذكرون اي يتذكرون
ما نسوا من تسخير هذه المكونات في الارض قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا ◦
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ◦

والقى

والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون ◦ وعلامات وبالنجم هم يهتدون
لما ذكر تعالى الاستدلال بما ذرا في الارض ذكر ما امتن به من تسخير البحر ومعنى تسخيره كونه يتمكن
الناس من الانتفاع به للركوب في المصالح وللغوص في استخراج ما فيه وللاصطياد لما فيه والبحر جنس
يشمل الملح والعذب وبدا اولا من منافعه بما هو الاهم وهو الاكل ومنه على حذف مضاف اي لتاكلوا
من حيوانه طريا ثم ثنى بما يتزين به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهو
اللبس وفيه منافع غير اللبس فاللحم الطري من الملح والعذب والحلية من الملح وقيل ان العذب يخرج
منه لؤلؤ لا يلبس الا قليلا وانما يتداوى به وقيل ان في الزمرد بحريا فاما لتاكلوا فعام في النسا والرجال
واما تلبسونها فخاص بالنسا والمعنى يلبسها نساؤكم واسند اللبس الى الذكور لان النسا انما يتزين بالحلية من
اجل رجالهن فكانها زينتهم ولباسهم ولما ذكر تعالى نعمة الاكل منه والاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف الفلك فيه
فيه مواخر اي شاقة فيه او ذات صوت تشق الما لحمل الامتعة والاقوات للتجارة وغيرها واسند الرؤية
الى المخاطب المفرد فقال وترى وجعلها جملة معترضة بين التعليلين تعليل الاستخراج وتعليل الابتغا لذلك
عدل عن جمع المخاطب والظاهر عطف ولتبتغوا على التعليل قبله كما اشرنا اليه واجاز ابن الانباري ان يكون
معطوفا على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا وان يكون على اضمار فعل اي ولتبتغوا ذلك لتبتغوا
والفضل هنا حصول الارباح بالتجارة والوصول الى البلاد الشاسعة وفي هذا دليل على جواز ركوب البحر
لعلكم تشكرون على ما منحكم من هذه النعم قيل خلق الله تعالى الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر
احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وعطف وانهارا على رواسي
ومعنى القى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وقوله وجعل فيها رواسي من فوقها
وقال والقيت عليك محبة مني اي جعلت وقال ابن عطية الهي قال المتاولون القى بمعنى خلق وجعل
وهي عندي اخص من خلق وجعل وذلك ان القى تقتضي ان الله اوجد الجبال ليس من الارض لكن من قدرته
واختراعه ويؤيد هذا النظر ما روي في القصص عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تعالى لما خلق
الارض جعلت تمور الى اخر الكلام السابق وهو ايضا مروي عن وهب بن منبه وقال ابن عطية ايضا وتو
وانهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل وخلق انهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على
خصوص القى ولو كانت القى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى واي اجماع في هذا وقد حكي عن
المتاولين ان القى بمعنى خلق وجعل قال الزمخشري وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا
ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وقال ابو البقا اي وشق انهارا وعلامات اي وضع
علامات ويجوز ان يعطف على رواسي وقال ابو عبد الله الرازي ثبت في العلوم العقلية ان اكثر الانهار انما
تتفجر منابعها في الجبال فلهذا السبب اتبع ذكرها بتفجير الانهار وسبلا طرقا الى المقاصد لعلكم تهتدون
بالسبل الى مقاصدكم هذا هو الظاهر ويبعد تعلقه بما بعد وقال تعالى وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
وقيل تهتدون اي بالنظر في دلالة هذه المصنوعات على صانعها فهو من الهداية الى الحق ودين الله
وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك قاله الزمخشري وهو
معنى قول ابن عباس وقال ابو عبد الله الرازي ورأيت جماعة يعرفون الطرقات بشم التراب وقال
ابن عطية ينبغي للعلامة صورة يعلم بها ما يراد من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقال ابن عطية
وعلامات نصب كالمصدر اي فعل هذه الاشيا لعلكم تعتبرون بها وعلامات اي عبرة واعلاما في كل سلوك

فقد يهتدي بالجبال وبالانهار وبالسبل انتهى وقال ابن الكلبي العلامات الجبال وقال النخعي ومجاهد النجوم والعرب ماء تسترث به العلامات الفاحيا من طوال رقاق كالحيات في الوانها وحركاتها تسمى بالعلامات وذلك في بحر الهند الذي يسار اليه من اليمن فاذا ظهرت كانت علامة للوصول لبلاد الهند وامارة للنجاة وقرا الجمهور وبالنجم على انه اسم جنس ويؤيد ذلك قراءة ابن وثاب بالنجم بضم النون والجيم وقرا الحسن بضم النون وفي اللوامح الحسن النجم بضمتين وابن وثاب بضمة واحدة وجاء كذلك عن ابي هشام الرفاعي ولا اشك في انه يذكره عن اصحاب عاصم انتهى وذلك الجمع كسقف وسقف ورهن ورهن وجعله مما جمع على فعل اولى من حمله على انه اراد النجوم فحذف الواو الا ان ابن عصفور ذكر ان قولهم النجم من ضرورة الشعر وانشد ان الذي قضى بذا قاض حكم ان ترد الماء اذا غاب النجم قال يريد النجوم مثل قوله حتى اذا ابتلت حلاقيم الحلق يريد الحلوق والتسكين قيل تخفيف وقيل لغة وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقال الفراء المراد الجدي والفرقدان انتهى قيل والجدي هو السابع من بنات نعش الصغرى والفرقدان الاولان منها وليس بالجدي الذي هو المنزلة وتعظيم بعضهم فيقول جدي وفي الحديث عن ابن عباس انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وبالنجم فقال هو الجدي ولو صح هذا لم يعدل احد عنه وقال ابن عباس ما علينا فلنكن به يهتدون في بركم وبحركم وقيل هو القطب الذي لا يجري وقيل هو الثريا وقال الشاعر اذا طلب الجوزاء والنجم طالع فكل مخاضات الفرات معابر وقال الاخر حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود اي منه ملوي ومنه محصود وذلك انما يكون عند طلوع الثريا وهم ضمير غيبة خرج من الخطاب الى الغيبة كان الضمير التفت به الى قريش اذ كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم وقدم المجرور رعيا لما يتعلق به اعتناء ولاجل الفاصلة والزمخشري على عادته قال كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون

قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين

ذكر تعالى التباين بين من يخلق وهو الباري عز وجل وبين من لا يخلق وهي الاصنام ومن عبد ممن يعقل فجدير بالعبادة من له الانشاء دون غيره وجيء بمن في الثاني لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل ولا يعقل او لاعتقاد الكفار ان لها تاثيرا وافعالا فعوملت معاملة اولي العلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او لتخصيصه بمن يعلم فاذا وقعت البينونة بين الخالق وبين غير الخالق من اولي العلم فكيف بمن لا يعلم البتة كقوله الهم ارجل يمشون بها اي ان الهتهم منحطة عن حال من له ارجل لان من له هذه حي وتلك اموات فكيف يصح ان تعبد لا ان من له رجل يصح ان تعبد قال الزمخشري فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله تعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميتها باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق انتهى وتمم بقوله افلا تذكرون اي مثل هذا لا ينبغي ان تقع فيه الغفلة والنعمة يراد بها النعم لا نعمة واحدة يدل على ذلك وان تعدوا وقوله لا تحصوها اذ يتاتى العد والاحصاء في الواحد والمعنى لا تحصوا عدتها لانها لكثرتها خرجت عن احصائكم لها وانتفاء احصائها يقتضي انتفاء القيام بحقها من الشكر ولما ذكر نعما سابقة اخبر ان جميع نعمه لا تطيقون عدها واتبع ذلك بقوله ان الله

لغفور

لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعم ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ولما كان الانسان غير قادر على اداء شكر النعمة وان له حالة يعرض فيها منه كفرانها قال في عقب الاية التي في ابراهيم ان الانسان لظلوم كفار اي لظلوم بترك الشكر كفار للنعمة وفي هذه الاية ذكر الغفران والرحمة لطفا به وايذانا في التجاوز عنه واخبر تعالى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون وضمنه الوعيد لهم والاخبار بعلمه تعالى وفيه التنبيه على نفي هذه الصفة الشريفة عن الهتهم وقرا الجمهور بالتاء من فوق في تسرون وتعلنون وتدعون وهي قراءة مجاهد والاعرج وشيبة وابي جعفر وهبيرة عن عاصم على معنى قل لهم وقرا عاصم في مشهوره يدعون بالياء من تحت وبالتاء في السابقتين وقرا الاعمش واصحاب عبد الله الذي تبدون وما تكتمون وتدعون بالتاء من فوق في الثلاثة وقرا طلحة ما تخفون وما تعلنون وتدعون بالتاء من فوق وهاتان القراءتان مخالفتان لسواد المصحف والمشهور ما روي عن الاعمش وغيره فوجب حملها على التفسير لا على انها قران ولما اظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نص على ان الهتهم لا تخلق وعلى انها مخلوقة واخبر انها اموات واكد ذلك بقوله غير احياء ثم نفى عنهم الشعور الذي يكون للبهائم فضلا عن العلم الذي يتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو للعاقل عومل غيره معاملته لكونها عبدت واعتقدت فيها الالوهية وقرا محمد اليماني يدعون بضم الياء وفتح العين مبنيا للمفعول والظاهر ان قوله يخلقون اي الله انشاهم واخترعهم وقال الزمخشري ووجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على ذلك فهم اعجز من عبدتهم انتهى واموات خبر مبتدا محذوف اي هم اموات ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر والظاهر ان هذه كلها مما حدث به الاصنام ويكون بعثهم اعادتها بعد فنائها الا ترى الى قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل معنى بعثها اثارتها كما تقول بعثت النائم من نومه اذا نبهته كانه وصفهم بغاية الجمود اي وان طلبتهم بالتحريك وحركتهم لم يشعروا بذلك ونفى عنهم الحياة لان من الاموات ما لا يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الاصنام من الحجارة والخشب فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وقيل والذين تدعون هم الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم واموات لا بد لهم من الموت وغير احياء اي غير باق حياتهم وما يشعرون اي لا علم لهم بوقت بعثهم وجوزوا في قراءة والذين يدعون بالياء ان يكون اموات خبرا لقوله به الكفار الذين ضمير هم في يدعون شبههم بالاموات غير الاحياء من حيث هم ضلال غير مهتدين وما يعقل عابد عليهم والبعث الحشر من قبورهم وقيل في هذا التقدير وعيد اي ايان يبعثون الى التعذيب وقيل الضمير في وما يشعرون للاصنام وفي يبعثون لعبدتها اي لا تشعر الاصنام متى تبعث عبدتها وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم وتلخص من هذه الاقوال ان يكون الاخبار بتلك الجمل كلها عن المدعوين الهة اما الاصنام واما الملائكة او يكون من قوله اموات الى اخره اخبارا عن الكفار او يكون وما يشعرون ايان يبعثون فقط اخبارا عن الكفار او يكون وما يشعرون اخبارا عن المدعوين ويبعثون اخبارا عن الداعين العابدين وقرا ابو عبد الرحمن ايان بكسر الهمزة وهي لغة قومه سليم والظاهر ان قوله ايان معمول ليبعثون والجملة في موضع نصب بيشعرون لانه معلق اذ معناه العلم والمعنى انه نفى عنهم علم ما انفرد بعلمه الحي القيوم وهو وقت البعث اذ المراد به البعث الحشر الى الاخرة وقيل تم الكلام عند قوله وما يشعرون وايان يبعثون ظرف لقوله الهكم اله واحد اخبر عن يوم القيامة ان الاله فيه واحد انتهى ولا يصح هذا القول ان ايان اذ ذاك تخرج عما استقر فيها من

كونها ظرفًا إمّا استفهامًا وإمّا شرطًا وفي هذا التقدير ظرفًا بمعنى وقت مضافًا للجملة بعدها معمولًا لقوله
واحد كقولك يوم يقوم زيد قائم وفي قوله أيّان يبعثون دلالة على أنه لا بدّ من البعث وأنه من لوازم
التكليف ولما ذكر تعالى ما اتصفت به آلهتهم مباينًا في الإلهية أخبر تعالى أنه إله العالم وأنه واحد لا يتعدد
ولا يتجزأ وأن الذين لا يؤمنون بالجزاء بعد وضوح بطلان أن تكون الألوهية لغيره بل له وحده هم مستمرون
على شركهم منكرون وحدانيته مستكبرون عن الإقرار بها لاعتقادهم الألوهية لأصنامهم وتكبرهم في
الوجود ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة مبالغة في نسبة الكفر إليهم إذ عدم التصديق بالجزاء في الآخرة يتضمن
التكذيب بالله تعالى وبالبعث إذ من آمن بالبعث يستحيل أن يكذب الله عز وجل وقيل مستكبرون عن الإيمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه وقال العلماء كل ذنب يمكن التستر به وإخفاؤه إلا التكبر فإنه فسق يلزمه
الإعلان وفي الحديث الصحيح أن المستكبرين يجيئون يوم القيامة أمثال الذر تطؤهم الناس بأقدامهم أو كما
قال صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام في لا جرم في هود وقرأ عيسى الثقفي إن بكسر الهمزة على الاستئناف
والقطع مما قبله وقال بعض أصحابنا وقد يغني لا جرم عن لفظ القسم تقول لا جرم لآتينك فعلى هذا يكون
لقوله إن الله بكسر الهمزة تعلق بلا جرم ولا يكون استئنافًا وقد قال بعض الأعراب لمن حاز الخارجي لا جرم
والله لأفارقنك أبدًا ففي كلامه تعلقها بالقسم وفي قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد وتنبيه على المجازاة
وقال يحيى بن سلام والنقاش المراد هنا بما يسرون تشاورهم في دار الندوة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم
انتهى ولا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين يأخذ كل واحد بقسطه **قوله تعالى** وإذا قيل لهم ما
ذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير
علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم
قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا
السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين قيل سبب نزول هذه الآية وإذا قيل لهم الآية أن النضر بن الحارث سافر عن مكة إلى الحيرة وكان
قد اتخذ كتب التواريخ والأمثال ككليلة ودمنة وأخبار اسفنديار ورستم فجاء إلى مكة فكان يقول إنما يحدث
محمد بأساطير الأولين وحديثي أجمل من حديثه وماذا كله استفهام مفعول بأنزل وما مبتدأ وخبره ذا
بمعنى الذي وعائده في أنزل محذوف أي أي شيء الذي أنزله وأجاز الزمخشري أن يكون ماذا مرفوعًا
بالابتداء قال بمعنى أي شيء أنزله ربكم وهذا لا يجوز عند البصريين إلا في ضرورة الشعر والضمير في لهم عائد
على كفار قريش وماذا أنزل ليس معمولًا لقيل على مذهب البصريين لأنه جملة والجملة لا تقع موقع المفعول
الذي لم يسم فاعله كما لا تقع موقع الفاعل وقرئ شاذًا أساطير بالنصب على معنى ذكرتم أساطير أو أنزل
أساطير على سبيل التهكم والسخرية لأن التصديق بالإنزال ينافي أساطير وهم يعتقدون أنه ما نزل شيء
ولا أن ثم منزل وبني قيل للمفعول فاحتمل أن يكون القائل بعضهم لبعض واحتمل أن يكون المؤمنون قالوا
لهم ذلك على سبيل الامتحان وقيل قائل ذلك الذين تقاسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج ماذا أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين وقرأ الجمهور برفع أساطير
فاحتمل أن يكون التقدير المذكور أساطير والمنزل أساطير جعلوه منزلًا على سبيل الاستهزاء وإن كانوا لا
يؤمنون بذلك واللام في ليحملوا لام الأمر على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم ولام التعليل من غير أن
يكون

يكون غرضًا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر وهي التي يعبر عنها بلام العاقبة لأنهم لم يقصدوا بقولهم أساطير الأولين
أن يحملوا الأوزار ولما قال ابن عطية إنه يحتمل أن تكون لام العاقبة قال ويحتمل أن يكون صريح لام كي على معنى قدّر هذا لكذا
وهي لام التعليل لكنه لم يعلقها بقوله قالوا إنما أضمر فعلًا آخر وهو قدّر هذا وكاملة حال أي لا ينقص منها شيء ومن
للتبعيض فالمعنى أنه يحمل من وزر كل من أضل أي بعض وزر من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان
هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر وقال الأخفش من زائدة أي وأوزار الذين يضلونهم والمعنى
ومثل أوزار الذين يضلونهم كقوله فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة المراد ومثل وزر والمعنى أن الرئيس
إذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى إن ذلك العقاب يكون مساويًا للعقاب كل من اقتدى به في ذلك وقال الواحدي
ليست من للتبعيض لأنه يستلزم تخفيف الأوزار عن الأتباع وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير أن ينقص من
أوزارهم شيئًا لكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الأتباع انتهى ولا تتقدر من التي لبيان الجنس حتى هذا التقدير
الذي قدره الواحدي وإنما تتقدر الأوزار التي هي أوزار الذين يضلونهم فيؤول من حيث المعنى إلى قول الأخفش
وإن اختلفا في التقدير وبغير علم قال الزمخشري حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وقال غيره حال
من الفاعل وهو أولى إذ هو المحدث عنه المسند إليه الإضلال على جهة الفاعلية والمعنى أنهم يقدمون على هذا
الإضلال جهلًا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال ثم أخبر تعالى عن سوء ما يتحملونه للآخرة
وتقدم الكلام في إعراب مثل ساء ما يزرون فأتى الله أي أمره وعذابه والبنيان قيل حقيقة قال ابن عباس
وغيره الذين من قبلهم نمرود بنى صرحًا ليصعد منه إلى السماء وأفرط في علوه وطوله في السماء فرسخين على ما
حكى النقاش وقال كعب الأحبار وقال ابن عباس ووهب طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلاثة آلاف
فبعث الله عليه ريحًا فهدمته وخر سقفه عليه وعلى أتباعه وقيل هدمه جبريل عليه السلام بجناحه وألقى أعلاه
في البحر والجعف من أسفله وقال ابن الكلبي المراد المقتسمون المذكورون في سورة الحجر وقيل الذين من قبلهم بخت نصر
وأصحابه وقال الضحاك قرى قوم لوط وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم من كفر من الأمم المتقدمة ومكر
ونزلت به عقوبة من الله تعالى ويكون فأتى الله بنيانهم إلى آخره تمثيلًا والمعنى أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها
الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كقوم بنوا بنيانًا وعمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين
بأن تضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جبًا وقع فيه منكبًا ومن في من
القواعد لابتداء الغاية أي أتى أمر الله من جهة القواعد وقالت فرقة المراد بقوله فخر عليهم السقف من
فوقهم جاءهم العذاب من قبل السماء التي هي فوقهم وقاله ابن عباس وقيل المعنى أحبط الله أعمالهم فكانوا
بمنزلة من سقط بنيانه قاله ابن عطية وهذا يتجه إلى اللغز ومعنى قوله من فوقهم رفع الاحتمال الذي في
قوله فخر عليهم السقف فإنك تقول انهدم على فلان بناؤه وهو ليس تحته كما تقول انفسد عليه وقوله
من فوقهم ألزم أنهم كانوا تحته انتهى هذا الذي قاله ابن الأعرابي قال يعلمك أنهم كانوا حالين تحته
والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط إذا كان يملكه وإن لم يكن وقع عليه
فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذي في كلام العرب فقال من فوقهم أي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا
فأتاهم العذاب قال ابن عباس يعني البعوضة التي أهلك بها نمرود وقيل من حيث لا يشعرون من حيث ظنوا
أنهم في أمان وقرأ الجمهور بنيانهم وقرأت فرقة بنيتهم وقرأ جعفر بيتهم والضحاك بيوتهم وقرأ
الجمهور السقف مفردًا والأعرج السقف بضمتين وزيد بن علي ومجاهد بضم السين فقط وتقدم توجيه
مثل هذا في الرهن في البقرة وقرأت فرقة السقف بفتح السين وضم القاف وهي لغة في السقف ولعل

ولعل السقف مخفف منه ولغاته كثيرا استعمله كما قالوا في رجل رجل هي لغة تميمية ولما ذكر تعالى ما حل بهم في دار
الدنيا ذكر ما يحل بهم في الاخرة ويخزيهم يعم جميع المكاره التي تحل بهم ويقتضي ذلك ادخالهم النار كقوله ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته كل الاهانة وجمع بين الاهانة بالفعل والاهانة بالقول بالتقريع ٥
والتوبيخ في قوله يخزيهم ويقول اين شركاي اضاف تعالى الشركا اليه والاضافة تكون بادنى ملابسة والمعنى
شركاي في زعمكم اذ اضاف على الاستهزا وقرا الجمهور شركاي ممدودا مهموزا مفتوح اليا وفرقة كذلك تسكنها
فتسقط في الدرج لالتقا الساكنين والبزي عن ابن كثير بخلاف عنه مقصورا وفتح اليا هنا خاصة وروي عنه
ترك الهمز في القصص والعمل على الهمز فيه وقصر الممدود ذكروا انه من ضرورة الشعر ولا ينبغي ذلك لثبوته
في هذه القراة فيجوز قليلا في الكلام والمشاقة المعاداة والمخاصمة للمومنين وقرا الجمهور تشاقون بفتح النون
وقرا نافع بكسرها وروي عن الحسن ولا يلتفت الى تضعيف ابي حاتم من القراة وقرات فرقة بتشديدها
ادغم نون الرفع في نون الوقاية والذين اوتوا العلم عام فيمن اوتي العلم من الانبيا وعلما اممهم الذين
كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم وقيل هم الملايكة وقاله
ابن عباس وقال مقاتل الحفظة من الملايكة وقيل من حضر الموقف من ملك وانسي وغير ذلك وقال يحيى
ابن سلام هم المومنون انتهى ويقول اهل العلم ذلك شماتة بالكفار وتسميعا لهم وفي ذلك اعظام
للعلم اذ يقول ذلك الايمة الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم تقدم تفسيره في سورة النسا
والظاهر ان الذين صفة للكافرين فيكون ذلك داخلا في المقول فان كان القول يوم القيمة فيكون
تتوفاهم حكاية حال ماضيا وان كان القول في الدنيا اي لما اخبر تعالى انه يخزيهم يوم القيمة ويقول
لهم ما يقول قال اهل العلم اذا اخزاهم الله ذلك ان الخزي اليوم الذي اخبر الله انه يخزيهم فيه فيكون تتوفاهم
على بابها ويشمل من حيث المعنى من توفته ومن تتوفاه ويجوز ان يكون الذين خبر مبتدا محذوف فانه يكون
منصوبا على الذم فاحتمل ان يكون مقولا لاهل العلم واحتمل ان يكون غير مقول بل من اخبار الله تعالى وقال
ابن عطية ويحتمل ان يكون الذين مرفوعا بالابتدا منقطعا مما قبله وخبره في قوله فالقوا السلم وزيدت
الفا في الخبر وقد يجي مثل هذا انتهى وهذا لا يجوز الا على مذهب الاخفش فانه يجيز زيد فقام
اي قام ولا يتوهم ان الفا هي الداخلة في خبر المبتدا اذا كان موصولا وضمن معنى الشرط لانه لا يجوز دخولها ٥
في مثل هذا الفعل مع صريح اداة الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه وقرا حمزة والاعمش يتوفاهم بالياء من
اسفل في الموضعين وقري بادغام التا المضارعة في التا بعدها وفي مصحف عبد الله بتا واحدة في الموضعين
والسلم هنا الاستسلام قاله الاخفش والخضوع قاله المبرد اي انقادوا واستسلموا حين عاينوا الموت قد نزل
بهم وقيل في القيامة انقادوا واجابوا بما كانوا على خلافه في الدنيا من الشقاق والكبر والظاهر عطف
فالقوا على تتوفاهم واجاز ابو البقا ان يكون معطوفا على قوله الذين وان يكون مستانفا وقيل تم الكلام
عند قوله ظالمي انفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية حال المشركين يوم القيمة فعلى هذا يكون قوله فالقوا السلم
الى قوله فالقوا جملة اعتراضية بين الاخبار باحوال الكفار ما كنا نعمل من سو هو على اضمار القول اي يقولون
ونعمل السو اما ان يكون صريح كذب والله ربنا ما كنا مشركين فقال تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم واما ان يكون
عند انفسنا اي لو كان الكفر عند انفسنا سوا ما عملناه ويترجح الوجه الاول لرد عليهم بلى اذ لو كان
على حسب اعتقادهم لما كان الجواب بلى لانه يصح على الوجه الثاني ان يرد عليهم بلى والمعنى انكم كذبتم في
اعتقادكم انه ليس بسو بل كنتم تعتقدون انه سو لانكم تبينتم الحق وعرفتموه وكفرتم لقولهم فلما جاءهم

ما عرفوا كفروا به وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا والظاهر ان هذا السياق كله مع اهل العلم والكفار
فان اهل العلم هم الذين ردوا اخبارهم بنفي عمل السو ويجوز ان يكون الرد من الملايكة هم الامرون لهم بالدخول في النار
يسوقونهم اليها وقيل الخزنة والظاهر الابواب حقيقة وقيل المراد الدركات وقيل الاصناف كما يقال فلان ينظر في باب
من العلم اي صنف وابعد من قال المراد بذلك عذاب القبر مستدلا لان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
ولما كذبوهم في دعواهم اخبر انه العالم باعمالهم فهو المجازي عليها ثم امرهم بالدخول واللام في فلبيس للتاكيد
ولا تدخل على الماضي المتصرف ودخلت على الجامد لبعده عن الافعال وقربه من الاسما والمخصوص بالذم محذوف
اي فلبيس مثوى المتكبرين هي اي جهنم ووصفهم بالتكبر دليل على استحقاقهم صحبة النار وذلك اشارة الى قوله
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ٥ خسف المكان يخسف خسوفا ذهب وخسفه الله تعالى ذهبه في الارض
ودربه دخوبا تصاغر وفعل ما يومر شبا اذا بي قال ابن عطية تواضع قال ذو الرمة ٥ فلم يبق الا داخر في
مخيس ومنجحر في غير ارضك في حجر ٥ قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاوون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون ٥ تقدم اعراب ماذا انزل الا انه اذا كانت ذا موصولة لم يكن الجواب على وفق السوال
لكون ماذا مبتدا وخبر والجواب نصب وهو جايز لكن المطابقة في الاعراب احسن وقرا الجمهور خيرا له
بالنصب اي انزل خيرا قال الزمخشري فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر
وجواب الجاحد يعني ان هولا لما سيلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا
للانزال فقالوا خيرا واولايك عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في
شي انتهى وقرا زيد بن علي خير بالرفع اي المنزل خير فتطابق هذه القراة تاويل من جعل ذا موصولة
ولا تطابق من جعل ماذا منصوبة لاختلافهما في الاعراب وان كان الاختلاف جايزا كما ذكرنا وروي ان احيا العرب كانوا
يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف
وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه
فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا والظاهر
ان قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخير الذي انزل الله في الوحي ان من احسن في الدنيا بالطاعة
فله حسنة في الدنيا ونعيم في الاخرة بدخول الجنة وقال الزمخشري للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا
حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه انتهى وقالت فرقة هو
ابتدا كلام من الله تعالى مقطوع مما قبله وهو بالمعنى وعد متصل بذكر احسان المتقين في مقالتهم ٥
ومعنى حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير منها ولما ذكر حال الكفار في الدنيا
والاخرة ذكر حال المومنين في الدارين والظاهر ان المخصوص بالمدح هو جنات عدن وقال الزمخشري
ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف انتهى
وقاله ابن عطية وقبلهما الزجاج وابن الانباري وجوزوا ان يكون جنات عدن مبتدا والخبر يدخلونها
وقرا زيد بن ثابت وابو عبد الرحمن جنات عدن بالنصب على الاشتغال اي يدخلون جنات عدن
يدخلونها وهذه القراة تقوي اعراب جنات عدن بالرفع انه مبتدا ويدخلونها الخبر وقرا زيد
ابن علي ولنعمت دار بتا مضمومة ودار مخفوض بالاضافة فيكون نعمت مبتدا وجنات الخبر وقرا السلمي

يدخلونها بتا الخطاب وقرأ اسمعيل بن جعفر عن نافع يدخلونها بالياء على الغيبة والفعل مبني للمفعول
ورويت عن أبي جعفر وشيبة تجري قال ابن عطية في موضع الحال وقال الحوفي في موضع نعت لجنات انتهى وكان
ابن عطية لحظ كون جنات عدن معرفة والحوفي لحظ كونه نكرة وذلك على الخلاف في عدن هل هي علم
او نكرة بمعنى اقامة والكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف اي جزاء مثل جزاء الذين احسنوا يجزي
الله المتقين وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى انهم صالحوا الاحوال مستعدون للموت والطيب الذي
لا خبث فيه ومنه طبتم فادخلوها خالدين وقال ابو معاذ طيبين طاهرين من الشرك بالكلمة الطيبة
وقيل طيبين سهلة وفاتهم لا صعوبة فيها ولا الم بخلاف ما تقبض روح الكافر والمخلط وقيل طيبة نفوسهم
بالرجوع الى الله تعالى وقيل زاكية افعالهم واقوالهم وقيل صالحين وقال الزمخشري طاهرين من ظلم انفسهم
بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم ويقولون نصب على الحال من الملائكة وتسليم الملائكة
عليهم بشارة من الله تعالى وفي هذا المعنى احاديث صحاح وقولهم هذا للمتقين هو وقت قبض ارواحهم
قاله ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد والاكثرون جعلوا التبشير بالجنة دخولا مجازا وقال مقاتل
والحسن عند دخول الجنة وهو قول الخزنة الجنة لهم في الاخرة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
فعلى هذا القول يكون يقولون حالا مقدرة ولا يكون القول وقت التوفي وعلى هذا يحتمل ان يكون الذين
مبتدأ والخبر يقولون والمعنى يقولون لهم سلام عليكم ويدل لهذا القول قوله ادخلوا الجنة ووقت التوفي
لا يقال لهم ادخلوا الجنة فالتوفي هنا توفي الملائكة لهم وقت الحشر وقوله بما كنتم تعملون ظاهره
في دخول الجنة بالعمل الصالح **قوله تعالى** هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه
من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى
لما ذكر طعن الكفار في القران بقولهم اساطير الاولين ثم اتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم بوعد
من وصف القران بالخيرية بين ان اولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم الا ان تاتيهم الملائكة
بالتهديد او امر الله بعذاب الاستئصال وقرأ حمزة والكسائي ياتيهم بالياء وهي قراءة ابن وثاب
وطلحة والاعمش وباقي السبعة بالتاء على تانيث الجمع واتيان الملائكة لقبض الارواح وهم ظالمو
انفسهم وامر ربك لعذاب المستاصل او القيامة والكاف في موضع نصب اي مثل فعلهم في انتظار الملائكة
او امر الله فعل الكفار الذين تقدموهم وقيل مثل فعلهم في الكفر والديمومة عليه فعل متقدموهم من الكفار
وقيل فعل هنا كناية عن اغترارهم كانه قيل مثل اغترارهم باستبطائهم العذاب اغتر الذين من قبلهم
والظاهر القول الاول لدلالة هل ينظرون عليه وما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بكفرهم وتكذيبهم الذي اوجب لهم العذاب في الدنيا والاخرة وقوله فاصابهم معطوف على قوله
فعل الذين وما ظلمهم اعتراض وسيئات عقوبات كفرهم وحاق بهم احاط بهم جزاء استهزائهم وقال الذين
اشركوا تقدم تفسير مثل هذه الاية في اخر الانعام فاغنى عن الكلام في هذا وقال الزمخشري هنا نعى
انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا
لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال
الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي

بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم
عليه انتهى وهو على طريقة الاعتزال وهذا القول صادر ممن اقر بوجود الباري تعالى وهم الاكثرون
او ممن لا يقول بوجوده فعلى تقدير ان الرب الذي يعبده محمد ويصفه بالعلم والقدرة يعلم حالنا
هذا جدال من اي الصنفين كان ليس فيه استهزاء وقال الزجاج قالوا ذلك على سبيل الهزء من الطائفة
التي تنكر الا له او اثبات الحجة من مذهب خصمها مستهزئة في ذلك **قوله تعالى** ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين قال الزمخشري ولقد امد ابطال قدر السوء
ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله
واجتناب الشر الذي هو الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم
من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي
منه خير فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فانه لا يقدر الشر ولا
يشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار وهو على طريقة الاعتزال انتهى ولما قال فهل على الرسل الا البلاغ
المبين بين ذلك هنا بانه بعث الرسل بعبادته وتجنب عبادة غيره فمنهم من اعتبر اي هداه الله تعالى
ومنهم من اعرض وكفر ثم احالهم في معرفة ذلك على السير في الارض واستقراء الامم والوقوف
على عذاب الكافرين المكذبين ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم واعلمه انه من حتم تعالى عليه بالضلالة
لا يجدي فيه الحرص على هدايته وقرا النخعي وان بزيادة واو وهو والحسن وابو حيوة تحرص بفتح الراء
مضارع حرص بكسرها وهي لغة وقرا الجمهور بالكسر مضارع حرص بالفتح وهي لغة الحجاز وقرا الحرميان
والعربيان والحسن والاعرج ومجاهد وشيبة وشبل ومزاحم الخراساني والعطاردي وابن سيرين
لا يهدى مبنيا للمفعول ومن مفعول لم يسم فاعله والفاعل في يضل ضمير الله والعائد على من
محذوف تقديره من يضله الله وقرا الكوفيون وابن مسعود وابن المسيب وجماعة يهدي
مبنيا للفاعل والظاهر ان في يهدي ضميرا يعود على الله ومن مفعول وعلى ما حكى الفراء ان هدى
بمعنى اهتدى يكون لازما والفاعل من اي لا يهتدي من اضله الله تعالى وقرات فرقة يهدي
بضم الياء وكسر الدال قال ابن عطية وهي ضعيفة واذا ثبت ان هدى لازم بمعنى اهتدى لم تكن
ضعيفة لانه ادخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لا يجعل مهتديا من اضله وفي مصحف ابي لا هادي
لمن اضل وقال الزمخشري وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وقرئ يضل بفتح الياء وقال
ايضا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمان قريش وفرقة انهم من قسم من حقت عليه الضلالة
وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل
القبائح التي لا تجوز عليه انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير في لهم عائد على من والضمير في
واقسموا عائد على كفار قريش وعن ابي العالية نزلت في رجل من المسلمين تقاضى دينا على رجل من المشركين
فكان فيما يتكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث

الله من يموت بلى رد عليهم ما نفوه واكده بالقسم والتقدير بلى يبعثه وانتصب وعدا وحقا على انهما مصدران
موكدان لما دل عليه بلى من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه وقال الحوفي حقا نعت لوعدا وقال وقرا الضحاك
بلى وعد وحق والتقدير بعثهم وعد عليه حق وحق صفة لوعد وقال الزمخشري واقسموا بالله معطوف
على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم
على مشية الله تعالى وانكارهم البعث مقسمين عليه وبين ان الوفا بهذا الموعد حق واجب عليه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شي لا ثواب عامل
ولا غيره من مواجب الحكمة انتهى وهو على طريقة الاعتزال واكثر الناس هم الكفار المكذبون بالبعث وما
قول الشيعة ان الاشارة بهذه الاية لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه وان الله سيبعثه في الدنيا ثم
فسخافة من القول والقول بالرجعة باطل افترا على الله تعالى على عادتهم ورده ابن عباس وغيره و
ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى اي يبعثهم ليبين لهم كما يقول الرجل لمن ضرب احدا افتقول لي
زيدا ويعود الضمير في يبعثهم المقدر وفي لهم على معنى من في قوله من يموت وهو شامل للمومنين
والكفار والذي اختلفوا فيه هو الحق وانهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا من جعل الهة مع الله تعالى
وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما امروا به وبين لهم انه دين الله فكذبوا به وكذبوا في
نسبة اشيا الى الله تعالى وقال الزمخشري انهم كذبوا في قولهم لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي
وفي قولهم لا يبعث الله من يموت انتهى وفي قوله دسيسة الاعتزال وقيل يتعلق ليبين بقوله ولقد
بعثنا في كل امة رسولا اي ليظهر لهم اختلافهم وان الكفار كانوا على ضلالة من قبل بعث الرسول كاذبون
في رد ما يجي به الرسل عليهم السلام **قوله تعالى** انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ۝
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۝ لما تقدم انكارهم البعث واكدوا ذلك بالحلف بالله الذي اوجدهم
ورد عليهم تعالى بقوله بلى وذكر حكمته وعدم بذلك اوضح انه تعالى متى تعلقت ارادته بوجود شي
اوجده وقد اقروا بانه تعالى خالق هذا العالم سماه وارضه وانه في ايجاده ذلك لم يتوقف على سبق
مادة ولا آلة فكما قدر على الايجاد ابتدا وجب ان يكون قادرا على الاعادة وتقدم تفسير قوله تعالى
كن فيكون في البقرة فاغنى عن اعادته والظاهر ان اللام في لشي وفي له للتبليغ كقولك قلت لزيد
قم وقال الزجاج هي لام السبب اي لاجل ايجاد شي وكذلك له اي لاجله قال ابن عطية وما في الفاظ
هذه الاية من معنى الاستقبال والاستيناف انما هو راجع الى المراد لا الى الارادة وذلك ان الاشيا المرادة
المكونة في وجودها استيناف واستقبال لا في ارادة ذلك ولا في الامر به لان ذينك قديمان
فمن اجل المراد عبر باذا ونقول واما قوله لشي فيحتمل وجهين احدهما انه لما كان وجوده حتما جاز ان يسمى
شيا وهو في حالة عدم والثاني ان قوله لشي تنبيه على الامثلة التي ينظر فيها وان ما كان موجودا
كان مرادا وقيل له كن فكان فصار مثالا لما يتاخر من الامور بما تقدم وفي هذا مخلص من تسمية
المعدوم شيا انتهى وفيه بعض تلخيص وقال اذا اردناه منزل منزلة مراد ولكنه اتى بهذه الالفاظ
المستانفة بحسب ان الموجودات تجي وتظهر شيا بعد شي فكانه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا
الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم وقوله ليعلم الله الذين امنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم ما اراده الله
تعالى في الازل وعلمه وقوله ان نقول بدل ينزل منزلة المصدر فكانه قال قولنا ولكن ان مع الفعل

تعطي

تعطي استيناقا ليس في المصدر في اغلب امرها وقد يجي في مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الاية وكقوله
تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره وغير ذلك انتهى وقوله ولكن ان مع الفعل يعني المضارع
وقوله في اغلب امرها ليس بجيد بل تدل على المستقبل في جميع امورها واما قوله فقد تجي الى اخره فلم يفهم
ذلك من دلالة ان وانما ذلك من نسبة قيام السما والارض بامر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون
الماضي في حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شي قديرا فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن
الماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه
عن ذلك الزمن والذين هاجروا قال قتادة نزلت في مهاجري اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
داود ابن ابي هند في ابي جندل ابن سهيل ابن عمرو وعن ابن عباس في صهيب وبلال وخباب ابن الارت
واضرابهم عذبهم المشركون بمكة فبواهم الله تعالى المدينة وعلى هذا الاختلاف في السبب يتنزل المراد
بقوله والذين هاجروا قال ابن عطية لما ذكر الله تعالى كفار مكة الذين اقسموا ان الله لا يبعث من
يموت ورد على قولهم ذكر مومني مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا الى ارض الحبشة هذا قول
الجمهور وهو الصحيح في سبب الاية لان هجرة المدينة ما كان الا بعد وقت نزول الاية انتهى والذين
والذين هاجروا عموم في المهاجرين كاينا ما كانوا فيشمل اولهم واخرهم وقرا الجمهور لنبوئنهم والظاهر
انتصاب حسنة على انه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل اي تبوئة حسنة وقيل انتصاب حسنة
على المصدر على غير الصدر لان معنى لنبوئنهم في الدنيا لنحسنن اليهم فحسنة في معنى احسانا وقال ابو
البقا حسنة مفعول ثان لنبوئنهم لان معناه لنعطينهم ويجوز ان يكون صفة لمحذوف اي دارا
حسنة انتهى وقال الحسن والشعبي وقتادة دارا حسنة وهي المدينة وقيل التقدير منزلة حسنة
وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموا وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقال مجاهد الرزق
الحسن وقال الضحاك النصر على عدوهم وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات
وقيل ما بقي لهم فيها من الثنا وما صار فيها لاولادهم من الشرف وقيل الحسنة كل شي مستحسن ناله
المهاجرون وقرا علي وعبد الله ونعيم ابن ميسرة والربيع ابن خثيم لنثوينهم بالثا المثلثة مضارع
اثوى المنقول بهمزة التعدية من ثوى بالمكان اقام فيه وانتصب حسنة على تقدير اثواة
حسنة او على نزع الخافض اي في حسنة اي دار حسنة او منزلة حسنة ودل هذا الاخبار الموكد بالقسم
على عظيم محل الهجرة لانه بسببها ظهرت قوة الاسلام كما ان بنصرة الانصار قويت شوكته وفي الله
دليل على اخلاص العمل لله تعالى ومن هاجر لغير الله فهجرته لما هاجر اليه وفي الاخبار عن الذين بجملة
القسم المحذوف وفيه الدال عليها الجملة المقسم عليها دليل على صحة وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا
خلافا لثعلب واجاز ابو البقا ان يكون الذين منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنبوئنهم وهو لا
يجوز لانه لا يفسر الا ما يجوز له ان يعمل ولا يجوز زيدا لاضربن فلا يجوز زيدا لاضربنه وعن عمر رضي
الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا
وما ادخر لك في الاخرة اكبر ۝ ولاجر الاخرة اي ولاجر الدار الاخرة اكبر اي اكبر ان يعلمه احد قبل
مشاهدته كما قال واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ۝ والضمير في يعلمون عايد على الكفار اي لو
كانوا يعلمون ان الله يجمع لهولاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم وقيل يعود على المومنين
اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا على هم الذين او اعني الذين صبروا

على العذاب وعلى مفارقة الوطن لا سيما حرم الله المحبوب لكل قلب مؤمن فكيف لمن كان مسقط رأسه وعلى بذل
الروح في ذات الله تعالى واحتمال الغربة في دار لم ينشأ بها وناس لم يألفهم أجانب عنهم في النسب **قوله تعالى**
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض
أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم
لرؤوف رحيم نزلت في مشركي مكة أنكروا نبوة الرسول عليه السلام وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله
بشرا فهلا بعث إلينا ملكا وتقدم تفسير هذه الجملة في آخر يوسف والمعنى يوحي إليهم على ألسنة الملائكة وقرأ
الجمهور يوحى بالياء وفتح الحاء وقرأت فرقة بالياء وكسرها وعبد الله والسلمي وطلحة وحفص بالنون وكسرها وأهل
الذكر اليهود والنصارى قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وعن مجاهد أيضا اليهود والذكر التوراة لقوله
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وعنه عبد الله بن سلام وسلمان وقال الأعمش وابن عيينة من أسلم من
اليهود والنصارى وقال الزجاج عام فيمن يعزى إلى علم وقال أبو جعفر وابن زيد أهل القرآن ويضعف
هذا القول وقول من قال من أسلم من الفريقين لأنه لا حجة على الكفار في أخبار المؤمنين لأنهم مكذبون
لهم قال ابن عطية والأظهر بمحرر اليهود والنصارى الذين لم يسلموا وهم في هذه الآية النازلة إنما
يخبرون من الرسل من البشر وإخبارهم حجة على هؤلاء فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم ولا يتهمون بشهادة
لنا لأنهم مدافعون في صدر ملة محمد عليه السلام وهذا هو كسر حجتهم ومذهبهم لأنا افتقرنا إلى شهادة
هؤلاء بل الحق واضح في نفسه وقد أرسلت قريش إلى يهود يثرب يسألونهم ويستندون إليهم انتهى
والأجود أن يتعلق قوله بالبينات بمضمر يدل عليه ما قبله كأنه قيل بم أرسلوا قال أرسلناهم بالبينات
والزبر فيكون على كلامين قاله الزمخشري وابن عطية وهما وقد يتعلق بقوله وما أرسلنا وهذا منه
وجهان أحدهما أن النية فيه التقديم قبل أداة الاستثناء والتقدير وما أرسلنا من قبلك بالبينات
والزبر إلا رجالا حتى لا يكون ما بعد إلا معمولين متأخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبلها وهذا
حكاه ابن عطية عن فرقة والوجه الثاني أن لا ينوي به التقديم بل وقعا بعد إلا في نية الحصر وهذا
قاله الحوفي والزمخشري وبدأ به قال يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما
أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط
انتهى وقال أبو البقاء وفيه ضعف لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إذا تم الكلام على إلا وما يليها إلا
أنه قد جاء في الشعر قال الشاعر نبئتهم عذبوا بالنار جارهم ولا يعذب إلا الله بالنار انتهى وهذا
الذي أجازه الحوفي والزمخشري لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لأنهم لا يجيزون أن يقع بعد إلا
إلا مستثنى أو مستثنى منه أو تابعا وما ظن في غير الثلاثة معمولا لما قبله إلا قدر له عامل وأجاز الكسائي
أن يقع معمولا لما قبلها منصوب نحو ما ضرب إلا زيد عمرا ووافقه ابن الأنباري والأخفش في الظرف
والجار والحال فالقول الذي قاله الحوفي والزمخشري يتمشى على مذهب الكسائي والأخفش ودلائل
هذه المذاهب مذكورة في علم النحو وأجاز الزمخشري أن يكون صفة لرجالا أي رجالا ملتبسين بالبينات
فيتعلق بمحذوف وهذا وجه شائع لأنه في موضع صفة لما بعد إلا فوصف رجالا إلا يوحي إليهم وبذلك أنه
في بالبينات كما تقول ما أكرمت إلا رجلا مسلما ملتبسا بالخير وأجاز أيضا أن يتعلق بلا يعلمون قال على أن
الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فاسألوا أهل الذكر

اعتراض على الوجوه المتقدمة يعني من التي ذكر غير الوجه الأخير وأنزلنا إليك الذكر هو القرآن وقيل له ذكر لأنه
موعظة وتنبيه للغافلين وقيل الذكر العلم لتبين ما نزل إليهم من المشكل والمتشابه لأن النص والظاهر لا يحتاجان
إلى بيان وقال الزمخشري مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا وقال ابن عطية لتبين بسردك
نص القرآن ما نزل إليهم ويحتمل أن يريد بتفسيرك المجمل وشرحك ما أجمل وأشكل فيدخل في هذا ما بينته
السنة من أمر الشريعة انتهى وهذا قول مجاهد انتهى ولعلهم يتفكرون أي وإرادة أن يصغوا
إلى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا والسيئات نعت لمصدر محذوف أي المكرات السيئات قاله الزمخشري
أو مفعول بمكروا على تضمين مكروا فعلوا وعملوا والسيئات على هذا معاصي الكفر وغيره قال قتادة
أو مفعول بأمن ويعني به العقوبات التي تسوءهم ذكره ابن عطية وعلى هذا الأخير يكون أن يخسف
بدلا من السيئات وعلى القولين فله مفعول بأمن والذين مكروا في قول الأكثرين هم أهل مكة مكروا
بالرسول صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد هو نمرود والخسف بلع الأرض المخسوف به وقعودها به
إلى سفل وذكر النقاش أنه وقع الخسف في هذه الأمة بقوم الأرض كما فعل بقارون وذكر لنا أن أخلاطا
من بلاد الروم خسف بها وحين أحس أهلها بذلك فر أكثرهم وأن بعض التجار ممن كان يرد إليها
رأى ذلك من بعيد فرجع بتجارته من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا شعور لهم بمجيء العذاب منها
كما فعل بقوم لوط في تقلبهم في أسفارهم قاله قتادة أو في منامهم وروي هذا وما قبله عن ابن عباس
وقال الضحاك وابن جريج ومقاتل في ليلهم ونهارهم أي حالة ذهابهم ومجيئهم فيهما وقيل في
تقلبهم في مكرهم وحيلهم بما خذهم قبل تمام ذلك وقال الزجاج جميع ما يتقلبون فيه فما هم
بسابقين الله ولا فائتينه والأخذ هنا الإهلاك كقوله فكلا أخذنا بذنبه وعلى تخوف على تنقص
قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال ابن قتيبة يقال تخوفته إذا تنقصته وأخذت من ماله
وجسمه وقال الهيثم بن عدي هو التنقص بلغة أزد شنوءة وفي حديث لعمر رضي الله عنه أنه
سأل عن التخوف فأجابه شيخ بأنه التنقص في لغة هذيل وأنشد قول أبي كبير الهذلي تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن وهذا التخويف بمعنى التنقص قيل من أعماله وقيل
بأخذ واحدا بعد واحد وروي عن ابن عباس وقال الزجاج بنقص ثمارهم وأموالهم حتى يهلكهم
وقيل على تخوف على تخوف أن يعاقبهم أو يتجاوز عنهم قاله قتادة وقال الزمخشري على تخوف متخوفين
وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف
قوله من حيث لا يشعرون انتهى وقال الضحاك يأخذ قرية فتخاف القرية الأخرى وقال ابن عمر على تخوف
ضد البغتة أي على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله أو إن
ربكم لرؤوف رحيم لأن في ذلك مهلة وامتدادا وقت فيمكن فيه التلافي وقال الليث بن سعد على تخوف
على عجل وقيل على تقريع بما قدموه وهذا مروي عن ابن عباس ولما كان تعالى قادرا على هذه الأمور
ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرأفة والرحمة **قوله تعالى** أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء
يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض
من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون لما ذكر تعالى
قدرته على تعذيب الماكرين وإهلاكهم بأنواع من الأخذ ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم
وخضوعه ضد حال الماكرين لينبههم على أنه ينبغي بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره

وقرأ السلمي والأعرج والأخوان أولم تروا بالتاء على الخطاب إما على العموم للخلق استؤنف به الإخبار وإما على معنى قل لهم إذ كان تخاطبا خاصا وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واحتمل أيضا أن يعود الضمير على الذين مكروا فاحتمل أن يكون إخبارا عن المكلفين والأول أظهر لتقدم ذكرهم وقرأ أبو عمرو وعيسى ويعقوب تتفيأ بالتاء على التأنيث وباقي السبعة بالياء وقرأ الجمهور ظلاله جمع ظل وقرأ عيسى ظلله جمع ظلة كحلة وحلل والرؤية هنا رؤية القلب التي يقع بها الاعتبار ولكنها بوساطة رؤية العين قيل والاستفهام هنا معناه التوبيخ قيل ويجوز أن يكون معناه التعجب والتقدير تعجبوا من اتخاذهم مع الله شريكا وقد رأوا هذه المصنوعات التي أظهرت عجائب قدرته وغرائب صنعته مع علمهم بأن الأصنام التي اتخذوها شركاء لا تقدر على شيء البتة والجملة من قوله تتفيأ في موضع الصفة قاله الحوفي وهو ظاهر قول ابن عطية وقاله الزمخشري قال ابن عطية من شيء لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله تتفيأ ظلاله لأن ذلك صفة لما عرض للعبرة في جميع الأشخاص التي لها ظل وقال الزمخشري وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء تتفيأ ظلاله وقال غيره هو لإبهام المعنى من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم وقوله تتفيأ ظلاله إخبار عن قوله من شيء ليس بوصف له وهذا الإخبار يدل على ذلك الوصف المحذوف الذي هو له ظل وتتفيأ تتفعل من الفيء وهو الرجوع يقال فاء الظل يفيء فيئا رجع وعاد بعدما نسخه ضياء الشمس وفاء إذا عدي فبالهمزة كقوله ما أفاء الله على رسوله أو بالتضعيف نحو فيأ الله الظل فتفيأ وتفيأ من باب المطاوعة وهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعديا قال • طلبت ربيع ربيعة الممهي وتفيأت ظلاله ممدودا • ويحتاج ذلك إلى نقله من كلام العرب متعديا قال الأزهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقال الشاعر • فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق • وقال امرؤ القيس • تيممت العين التي عند ضارج • يفيء عليها الظل عرمضها طام • وعن رؤبة ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وذلك أن الشمس من طلوعها إلى وقت الزوال يتسع الظل فإذا زالت رجع ولا يزال ينمو إلى أن تغيب والمشهور أن الفيء لا يكون إلا بعد الزوال والاعتبار في هذه الآية من أول النهار إلى آخره فمعنى تتفيأ تنتقل وتميل وأضاف الظلال وهي جمع إلى ضمير مفرد لأنه ضمير ما وهو جمع من حيث المعنى لقوله لتستووا على ظهوره وقال صاحب اللوامح في قراءة عيسى ظلله والظلة الغيم وهو جسم وبالكسر الفيء وهو عرض فرأى العامة قراءة عيسى أن التفيؤ الذي هو الرجوع بالأجسام أولى وأما في العامة فعلى الاستعارة انتهى قالوا في قوله عن اليمين والشمائل بحثان أحدهما ما المراد بذلك والثاني ما الحكمة في إفراد اليمين وجمع الشمائل أما الأول فقالوا يمين الفلك هو المشرق وشماله هو المغرب وخص هذان الاسمان بهذين الجانبين لأن أقوى جانبي الإنسان يمينه ومنه تظهر الحركة الفلكية اليومية آخذة من المشرق إلى المغرب لا جرم كان المشرق يمين الفلك تقع الظلال إلى الجانب الغربي فإن انحدرت من وسط الفلك عن الجانب الغربي وقعت الظلال في الجانب الشرقي فهذا المراد من تفيؤ الظلال من اليمين إلى الشمال وقيل البلدة التي عرضها أقل من مقدار الميل تكون الشمس في الصيف عن يمين البلد فتقع الظلال عن يمينهم وقال الزمخشري المعنى أولم يروا إلى ما خلق من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب انتهى وقال ابن عطية والمقصود العبرة في هذه الآية هو كل جرم له ظل

كالجبال

والشجر وغير ذلك والذي يترتب فيه أيمان وشمائل إنما هو البشر فقط لكن ذكر الأيمان والشمائل هنا على جهة الاستعارة لغير البشر تقديرا ذا يمين وشمال وتقدره بمستقبل أي جهة شئت ثم تنظر إلى ظله فتراه يميل إما إلى جهة اليمين وإما إلى جهة الشمال وذلك في كل أقطار الدنيا فهذا يعم ألفاظ الآية وفيه تجوز واتساع ومن ذهب إلى أن اليمين من غدوة إلى الزوال ويكون من الزوال إلى المغيب عن الشمال وهو قول قتادة وابن جريج فإنما يترتب فيما قدره مستقبل الجنوب انتهى وأما الثاني فقال الزمخشري واليمين بمعنى الأيمان جمعه وهو مفرد بمعنى الجمع فطابق الشمائل من حيث المعنى كما قال ويولون الدبر يريد الأدبار وقال الفراء كأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال وإذا جمع ذهب إلى كلها لأن قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع فعبر عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل إذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة وأما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع وقال الكرماني يحتمل أن يراد بالشمائل الشمال والقدام والخلف لأن الظل يفيء من الجهات كلها فبدئ باليمين لأن ابتداء التفيؤ منها وتيمنا بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين اليمين والشمال من التضاد ونزول القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف وقيل وحد اليمين وجمع الشمائل لأن الابتداء عن اليمين ثم ينقبض شيئا فشيئا حالا بعد حال فهو بمعنى الجمع فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد بتعدد الحالات وقال ابن عطية وما قال بعض الناس من أن اليمين أول وقعة للظل بعد الزوال ثم الآخر إلى الغروب هي عن الشمائل وأفرد اليمين فتخليط من القول ومبطل من جهات وقال ابن عباس إذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا فقبض إليه الظل فعلى هذا فأول دورة الشمس بالظل عن يمين مستقبل الجنوب ثم يبدأ الانحراف فهو عن الشمائل لأنه حركات كثيرة وظلال منقطعة فهي شمائل كثيرة فكان الظل عن اليمين متصلا واحدا عاما لكل شيء انتهى وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتامي المعروف بابن الضائع أفرد وجمع بالنظر إلى الغايتين لأن ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه إلا اليسير فكأنه في جهة واحدة وهو بالعشي على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان في الآية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لأن سجدا جمع فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معا وتلك الغاية في الإعجاز انتهى والظاهر حمل الظلال على حقيقتها وعلى ذلك وقع كلام أكثر المفسرين وقالوا إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك فإذا ارتفعت كان على يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك فإذا دنا للغروب كان عن يسارك وقالت فرقة الظلال هنا الأشخاص وهي المرادة نفسها والعرب تخبر أحيانا عن الأشخاص بالظلال ومنه قول عبدة بن الطبيب • إذا نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل • فإنما نصبت الأخبية ومنه قول الشاعر • يتبع أفياء الظلال عشية • أي أفياء الأشخاص وقال ابن عطية وهذا كله محتمل غير صريح وإن كان أبو علي قرره انتهى والظاهر أن السجود هنا عبارة عن الانقياد وجريانها على ما أراد الله تعالى من ميلان تلك الظلال ودورانها كما يقال للمشير برأسه إلى الأرض على جهة الخضوع ساجد قال الزمخشري سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن

في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى ان الظلال منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها لا تمتنع انتهى قال الزمخشري بين الحالين جعل سجدا حالا من الظلال وهم داخرون حالا من الضمير في ظلاله واجاز ابو البقاء ان يكون وهم داخرون حالا من الضمير في سجدا وان يكون حالا ثانية من الظلال كما تقول جاء زيد راكبا وهو ضاحك فيجوز ان يكون وهو ضاحك حالا من الضمير في راكبا ويجوز ان يكون حالا من زيد وهذا الثاني عند الجمهور والحال في الحالين هو تتفيؤ وعن متعلقة به وقاله الحوفي وقيل في موضع الحال وقاله ابو البقاء وقيل عن اسم اي جانب اليمين فيكون اذ ذاك منصوبا على الظرف واما ما اجازه الزمخشري من ان قوله وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله فعلى مذهب الجمهور لا يجوز وهي مسئلة جاءني غلام هند ضاحكة ومن ذهب الى انه اذا كان المضاف جزءا او كالجزء جاز فقد يجيء هنا ويقول الظلال وان لم يكن جزءا من الاجرام فهي كالجزء لان وجودها ناشئ عن وجودها وذهبت فرقة الى ان السجود هنا حقيقة قال الضحاك اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبل القبلة من نبت وشجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت وقال مجاهد انما تسجد الظلال دون الاشخاص وعنه ايضا اذا زالت الشمس سجد كل شيء وقال الحسن اما ظلك فيسجد لله واما انت فلا تسجد له وقيل لما كانت الظلال لاصقة بالارض واقعة عليها على هيئة الساجد وصفت بالسجود وكون السجود يراد به الحقيقة وهو الوقوع على الارض على سبيل العبادة وقصدها يبعد اذ يستدعي ذلك الحياة والعلم والقصد بالعبادة وخص الظل بالذكر لانه سريع التغير والتغير يقتضي مغيرا عزيزا ومدبرا له ولما كان سجود الظلال في غاية الظهور بدا به ثم انتقل الى سجود ما في السموات والارض ومن دابة يجوز ان يكون بيانا لما في الطرفين ويكون من في السموات خلق يدبون ويجوز ان يكون بيانا لما في الارض ولهذا قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض وعطف والملائكة على ما في السموات وما في الارض وهم مندرجون في عموم ما تشريفا لهم وتكريما ويجوز ان يراد بهم الحفظة التي في الارض وبما في السموات ملائكتهن فلم يدخلوا في العموم وقيل بين تعالى في اية الظلال ان الجمادات باسرها منقادة لله وبين ان اشرف الموجودات وهم الملائكة واخسها وهي الدواب منقادة لله تعالى ودل ذلك على ان الجميع منقاد لله تعالى وقيل الدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب فلما ميز الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا انها ليست مما يدب بل هي ارواح محضة مجردة انتهى وهو قول فلسفي ولما كان بين المكلفين وغيرهم قدر مشترك في السجود وهو الانقياد لارادة الله تعالى جمع بينهما فيه وان اختلفا في كيفية السجود وقال الزمخشري فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم انتهى وظاهر السؤال تسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب تخصيص من بالعقلاء وان الصالح للعقلاء وغيرهم ما دون من وهذا ليس بجواب لانه اورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى ان من يغلب بها والجواب لا يغلب بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب والظاهر ان الضمير في قوله يخافون عائد على المنسوب اليهم السجود في ولله يسجد وقاله ابو سليمان الدمشقي وقال ابن السائب ومقاتل يخافون من صفة الملائكة خاصة فيعود الضمير اليهم وقال الكرماني والملائكة موصوفون بالخوف لانهم قادرون على العصيان وان كانوا لا يعصون والفوقية المكانية

مستحيلة

مستحيلة بالنسبة اليه تعالى فان علقته بيخافون كان على حذف مضاف اي يخافون عذابه كائنا من فوقهم لان العذاب انما ينزل من فوق وان علقته بربهم كان حالا منه اي يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفي نسبة الخوف لمن نسب اليه السجود او الملائكة خاصة دليل على تكليف الملائكة كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء مدارون على الوعد والوعيد كما قال تعالى ومنهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقيل الخوف خوف جلالة ومهابة والجملة من يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون ويجوز ان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته وقوله ويفعلون ما يؤمرون اما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة واما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقه اليه انما نعدهم ابن الله تعالى

المفردات وصب الشيء دام قال ابو الاسود الدؤلي • لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه • يوما بذم الدهر اجمع واصبا • وقال حسان • غيرته الريح تسفي به • وهزيم رعده واصب • والعليل وصب لكن المرض لازم له وقيل الوصب التعب وصب الشيء شق ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها • الجؤار رفع الصوت بالدعاء وقال الاعشى يصف راهبا • يداوم من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا • دس الشيء في الشيء اخفاه فيه • الفرث كيف ما يبقى من الماكول في الكرش والمعى • النحل حيوان معروف • الحفدة الاعوان والخدم ومن يسارع في الطاعة حفد يحفد حفودا وحفدا وحفدانا ومنه واليك نسعى ونحفد اي نسارع في الطاعه • قال الشاعر • كلفت مجهودها نوقا يمانية • اذا الحداة على اكسائها حفدوا • ويتعدى فيقال حفدني فهو حافد • قال الشاعر • يحفدون الضيف في ابياتهم • كرما ذلك منهم غير ذل • قال ابو عبيدة وفيه لغة اخرى احفد احفادا وقال الحفد العمل والخدمة وقال الخليل الحفدة عند العرب الخدم وقال الازهري الحفدة اولاد الاولاد وقيل الاختان • وانشد • فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت • لها حفد مما يعد كثير • ولكنها نفس علي ابية • عيوف لاصهار اللئام قذور •

قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون • لما ذكر انقياد ما في السموات وما في الارض لما يريده تعالى منها وكان هو المنفرد بذلك نهى ان يشرك به ودل النهي عن اتخاذ الهين على النهي عن اتخاذ الهة ولما كان الاسم الموضوع للافراد والتثنية قد يتجوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان وقول الشاعر • فان النار بالعودين تذكى • وان الحرب اولها الكلام • اكد الموضوع لهما بالوصف فقيل الهين اثنين وقيل اله واحد وقال الزمخشري الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية انتهى والظاهر ان لا تتخذوا تعدى الى واحد واثنين كما تقدم تاكيد وقيل هو متعد الى مفعولين فقيل تقدم الثاني على الاول وذلك جائز والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين وقيل حذف الثاني للدلالة تقديره معبودا واثنين على هذا القول تاكيد وتقرير منافاة الاثنينية للالهية من وجوه ذكرت في علم اصول الدين ولما نهى عن اتخاذ الهين واستلزم النهي عن اتخاذ الهة اخبر تعالى انه اله واحد كما قال تعالى والهكم اله واحد باداة

للحصر والتاكيد بالوحدة ثم امرهم بان يرهبوه والتفت من الغيبة الى الحضور لانه ابلغ في الرهب وانتصب
اياي بفعل محذوف مقدر التاخير عنه يدل عليه فارهبون وتقديره اياي ارهبوا وقول ابن عطية فاياي
منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا اياي فارهبون ذهول عن قاعدة النحويين انه اذا كان المفعول ضميرا
منفصلا والفعل متعد الى واحد هو الضمير وجب تاخير الفعل كقوله اياك نعبد ولا يجوز ان يتقدم الا في
ضرورة نحو قوله اليك حتى بلغت اياكا ● ثم التفت من التكلم الى ضمير الغيبة فاخبر تعالى ان له ما في
السموات والارض لانه لما كان هو الاله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجودا بايجاده وخلقه
واخبر ان له الدين واصبا قال مجاهد الدين الاخلاص وقال ابن جبير العبادة وقال عكرمة شهادة ان لا اله
الا الله واقامة الحدود والفرائض وقال الزمخشري وابن عطية الطاعة زاد ابن عطية والملك وانشد
في دين عمرو وحالت بيننا فدك ● اي في طاعته وملكه وقال الزمخشري اوله الجزاء دائما سرمدا ابدا
لا يزول يعني الثواب والعقاب وقال ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد
والثوري واصبا دائما قال الزمخشري والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له
على كل منعم عليه وذكر ابن الانباري انه من الوصب ومنه التعب وهو على معنى النسب اي ذا وصب
كما قال اضحى فؤادي به فاتنا ● اي ذا فتون قال الزمخشري اوله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك
سمي تكليفا وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى وله الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه
ام لم يسهل فله الدين وان كان فيه الوصب والوصب شدة التعب وقال الربيع بن انس واصبا خالصا
قال ابن عطية والواو في وله ما في السموات والارض عاطفة على قوله اله واحد ويجوز ان تكون
واو ابتدا انتهى ولا يقال واو ابتدا الا لواو الحال ولا يظهر هنا الحال انما هي عاطفة فاما على الخبر
كما ذكر ولا تكون الجملة في تقدير المفرد لانها معطوفة على الخبر واما على الجملة باسرها التي هي انما
هو اله واحد فيكون من عطف الجمل وانتصب واصبا على الحال والعامل فيها هو ما تعلق به المجرور ●
افغير الله استفهام تضمن التوبيخ والتعجب اي بعدما عرفتم وحدانيته وان ما سواه له ومحتاج اليه
كيف تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضر يقدر عليه ثم اخبر تعالى بان جميع النعم المكتسبة انما هي
من ايجاده واختراعه ففيه اشارة على وجوب الشكر على ما اسدى من النعم الدينية والدنيوية
ونعمه تعالى لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما موصولة وصلتها بكم والعامل
فعل الاستقرار اي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر فمن الله اي فهي من قبل الله وتقييد الفعل
العامل في بكم خاصا كحل ونزل ليس بجيد واجاز الفرا والحوفي ان تكون ما شرطية وحذف فعل
الشرط قال الفرا التقدير وما يكن بكم من نعمة وهذا ضعيف جدا لانه لا يجوز حذفه الا بعد ان وحدها
في باب الاشتغال ومتلوه بلا النافية مدلولا عليه بما قبله نحو قوله ● فطلقها فلست لها بكفو ●
والا يعل مفرقك الحسام ● اي وان لا تطلقها حذف تطلقها لدلالة طلقها عليه وحذفه بعد ان
غير متلوه بلا مختص بالضرورة نحو قوله ● قالت بنات العم يا سلمى وان ● كان فقيرا معدما قالت وان ●
اي وان كان فقيرا معدما واما غير ان من ادوات الشرط فلا يجوز حذفه الا مدلولا عليه في باب
الاشتغال مخصوصا بالضرورة نحو قوله ● اينما الريح تميلها تمل ● التقدير اينما تميلها الريح تميلها
تمل ولما ذكر تعالى ان جميع النعم منه ذكر حالة افتقار العبد اليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع سواه
وهي حالة الضر والضر يشمل كل ما يتضرر به من مرض وفقر وحبس ونهب مال وغير ذلك وقرا

الزهري

الزهري تجرون بحذف الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرا كاشف وفاعل هنا بمعنى فعل واذا الثانية للفجاءة وفي ذلك
دليل على ان اذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لانه لا يعمل ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها ومنكم خطاب
للذين خوطبوا بقوله وما بكم من نعمة اذ بكم خطاب عام والفريق هنا هم المشركون المعتقدون حالة الرجا
ان الهتهم تنفع وتضر وتشفي وعن ابن عباس انها في قوم وعن ابن السائب الكفار ومنكم في موضع الصفة ومن للتبعيض
واجاز الزمخشري ان تكون من للبيان لا للتبعيض قال كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم قال ويجوز ان يكون
فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد انتهى واللام في ليكفروا ان كانت للتعليل كان المعنى
ان اشراكهم بالله سببه كفرهم به اي جحودهم او كفران نعمته وبما اتيناهم من النعم او من كشف الضر
او من القرآن المنزل اليهم وان كانت للصيرورة فالمعنى صار امرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بافعالهم
تلك ان يكفروا بل آل امرهم لذلك الجوار والرغبة الى الكفر بما انعم عليهم او الى الكفر الذي هو جحوده واشراك
به وان كانت للامر فمعناه التهديد والوعيد وقال الزمخشري ليكفروا فتمتعوا يجوز ان يكون من الامر
الوارد في معنى الخذلان والتخلية وقرا ابو العالية فيمتعوا بالياء باثنتين من تحتها مضمومة مبنيا للمفعول
ساكن الميم وهو مضارع متع مخففا وهو معطوف على ليكفروا وحذفت النون اما للنصب عطفا ان
كان ليكفروا منصوبا واما للجزم ان كان مجزوما ان كان عطفا واما للنصب ان كان جواب الامر وعنه
فسوف يعلمون بالياء على الغيبة وقد رواها مكحول الشامي عن ابي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم
والتمتع هنا هو بالحياة الدنيا ومالها الى الزوال قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما
رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ● ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه
على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى
وهو العزيز الحكيم ● الضمير في ويجعلون عائد على الكفار والظاهر انه في يعلمون عائد عليهم وما
هي الاصنام اي الاصنام التي لا يعلم الكفار انها تضر وتنفع او يعلمون في اتخاذها الهة حجة ولا برهانا
وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تشفع ● فهم جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للاصنام
اي الاصنام التي لا تعلم شيئا ولا تشعر به اذ هي جماد لم يقم بها علم البتة والنصيب هو ما جعلوه
لها من الحرث والانعام قبح تعالى فعلهم ذلك وهو ان يفردوا نصيبا مما انعم به تعالى عليهم لجمادات
لا تضر ولا تنفع ولا تشفع وهي تجعل ذلك النصيب لها ثم اقسم تعالى على انه يسالهم عن افترائهم وضلالهم
في اشراكهم مع الله تعالى الهة وانها اهل للتقرب اليها بجعل النصيب لها والسؤال في الاخرة او عند
عذاب القبر او عند القرب من الموت اقوال ولما ذكر تعالى انه يسالهم عن افترائهم ذكر انه مع اتخاذهم
الهة نسبوا الى الله تعالى التوالد وهو مستحيل ونسبوا ذلك اليه فيما لو بين نصوه وتسود وجوههم
من نسبته اليهم ويكرهونه اشد الكراهة وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله ●
سبحانه تنزيه له تعالى عن نسبة الولد اليه ولهم ما يشتهون وهم الذكور ومن الجملة مبتدا وخبر وقال
الزمخشري ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتدا والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي
جعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور انتهى وهذا الذي اجازه من النصب تبع فيه الفرا والحوفي
وقال ابو البقا حكاه وفيه نظر وذهل هؤلاء عن قاعدة في النحو وهو ان الفعل الرافع لضمير الاسم
المتصل لا يتعدى الى ضميره المتصل المنصوب فلا يجوز زيد ضربه تريد ضرب نفسه الا في باب ظن

وأخواتها من الأفعال القلبية وفقد وعدم فيجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وزيد عدمه والضمير المجرور
بالحرف كالمنصوب المتصل فلا يجوز زيد غضب عليه تريد غضب على نفسه فهذا الذي تقرر لا يجوز النصب
إذ يكون التقدير ويجعلون لهم ما يشتهون فالواو ضمير مرفوع ولهم مجرور باللام فهو نظير زيد غضب عليه
وإذا بشر المشهور أن البشارة أول خبر يسر وهنا قد يراد به مطلق الإخبار أو تغير البشرة وهذا القدر
المشترك بين الخبر السار أو المحزن وفي هذا تقبيح لنسبتهم إلى الله المنزه عن الولد البنات وأحدهم أكره الناس
وأنفرهم طبعا عنهن وظل تكون بمعنى صار وبمعنى أقام نهارا على الصفة التي تسند إلى اسمها وتحتمل الوجهين
والأظهر أن يكون بمعنى صار لأن التبشير قد يكون في ليل أو نهار وقد تلحظ الحالة الغالبة وأن أكثر الولادات
تكون بالليل ويتأخر إخبار المولود له إلى النهار وخصوصا بالأنثى فيكون ظلوله على ذلك الوصف طول
النهار واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى قيل إذا قوي الفرح
انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق
الشديد فترى الوجه مشرقا متلألئا وإذا قوي الغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر
قوي في ظاهر الوجه فيربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الأرضية فمن لوازم الفرح استنارة
الوجه وإشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده فلذلك كني عن الفرح بالاستنارة
وعن الغم بالاسوداد وهو كظيم أي ممتلئ القلب حزنا وغما أخبر عما يظهر في وجهه وعما يجنه
في قلبه وكظيم يحتمل أن يكون للمبالغة ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم وتقدم شرح
مكظوم أي مملوء مشدود فاه وروى الأصمعي أن امرأة ولدت بنتا سمتها الذلفاء فهجرها زوجها
فقالت • ما لأبي الذلفاء لا يأتينا • يظل في البيت الذي يلينا • يحرد أن لا نلد البنينا • وإنما نأخذ ما أعطينا
يتوارى يختفي من الناس من سوء التبشير أي الحامل له على التواري هو سوء ما أخبر به وقد كان بعضهم
في الجاهلية يتوارى حالة الطلق فإن أخبر بذكر ابتهج وظهر أو بأنثى حزن وتوارى أياما يدبر فيها ما
يصنع أيمسكه فله حال محذوفة دل عليها المعنى والتقدير منكرا أو مدبرا أيمسكه وذكر الضمير
ملاحظة للفظ ما في قوله من سوء ما بشر به وقرأ الجحدري أيمسكها على هوان أم يدسها بالتأنيث
عودا على قوله بالأنثى أو على معنى ما بشر به ووافقه عيسى على قراءة هوان على وزن فعال وقرأت فرقة
أيمسكه بضمير التذكير أم يدسها بضمير التأنيث وقرأت فرقة على هون بفتح الهاء وقرأ الأعمش على سوء
وهو عندي تفسير لا قراءة لمخالفتها السواد المجمع عليه ومعنى الإمساك حبسه وتربيته والهون
الهوان كما قال عذاب الهون والهون الرفق والذين يمشون على الأرض هونا وفي قوله على هون قولان
أحدهما أنه حال من الفاعل وهو مروي عن ابن عباس قال ابن عباس إنه صفة للأب والمعنى أيمسكها مع رضاه
بهوان نفسه على رغم أنفه وقيل حال من المفعول أي أيمسكها مهانة ذليلة والظاهر من قوله أم يدسه
في التراب أنه يئدها وهو دفنها حية حتى تموت وقيل دسها إخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف
كالمدسوس في التراب والظاهر من قوله ألا ساء ما يحكمون رجوعه إلى قوله ويجعلون لله البنات الآية
أي ساء ما يحكمون في نسبتهم إلى الله ما هو مستكره عندهم بأن عينهم طبعهم بحيث لا يحتملون نسبتهن
إليهم ويئدونهن استنكافا منهن وينسبون إليهم الذكر كما قال ألكم الذكر وله الأنثى وقال ابن عطية
ومعنى الآية يدبر أيمسك هذه الأنثى على هوان يتجلد له أم يئدها فيدفنها حية فهو الدس في
التراب ثم استقبح الله تعالى سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع على الله ألا ساء ما يحكمون

بصفتهم

بصفتهم في بناتهم مثل السوء قيل مثل بمعنى صفة أي صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة
الإناث ووأدهن خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ ولله المثل الأعلى أي الصفة
العليا وهي الغنى عن العالمين والنزاهة عن سمات المحدثين وقيل مثل السوء هو وصفهم الله تعالى بأن له
البنات وسماه مثل السوء لنسبتهم الولد إلى الله تعالى وخصوصا على طريق الأنوثة التي هم يستنكفون
منها وقال ابن عباس مثل السوء النار وقال ابن عطية قالت فرقة مثل بمعنى صفة أي لهؤلاء صفة السوء ولله الوصف
الأعلى وهذا لا يضطر إليه لأنه خروج عن اللفظ بل قوله مثل على بابه وذلك أنهم إذا قالوا إن البنات لله
فقد جعلوا لله مثلا بالبنات من البشر وكثرة البنات مكروه عندهم ذميم فهو المثل السوء الذي أخبر الله
تعالى أنه لهم وليس في البنات فقط بل لما جعلوه هم البنات جعله هو لهم على الإطلاق في كل سوء ولا غاية
أبعد من عذاب النار وقوله ولله المثل الأعلى على الإطلاق أي الكمال المستغني وقال قتادة المثل الأعلى لا إله
إلا الله انتهى وقول قتادة مروي عن ابن عباس وفيما تقدم قوله ويجعلون لله البنات الآية تقدم ما
نسبوا إلى الله وأتى ثانيا بما كان منسوبا لأنفسهم بما هنا بقوله والذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
وأتى بعد ذلك بما يقابل قوله سبحانه من التنزيه وهو قوله ولله المثل الأعلى وهو الوصف المنزه عن
سمات الحدوث والتوالد وهو الوصف الأعلى الذي ليس يشركه فيه غيره وناسب الختم بالعزيز وهو الذي
لا يوجد نظيره الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها **قوله تعالى** ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون
لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله
لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا
عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء
فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون • لما حكى تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه
من الكفر ونسبة التوالد له بين أنه تعالى يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهارا لفضله ورحمته
ويؤاخذ مضارع آخذ والظاهر أنه بمعنى المجرد الذي هو أخذ وقال ابن عطية كان أحد المؤاخذين
يأخذ من الآخر إما بمعصية كما هي في حق الله تعالى أو بإذاية في جهة المخلوقين فيأخذ الآخر من الأول بالمعاقبة
والجزاء انتهى والظاهر عموم الناس وقيل أهل مكة والباء في بظلمهم للسبب وظلمهم كفرهم ومعاصيهم
والضمير في عليها عائد على غير مذكور ودل على أنه الأرض قوله من دابة لأن الدبيب والناس لا يكون
إلا في الأرض فهو كقوله فأثرن به نقعا أي بالمكان لأن والعاديات معلوم أنها لا تعدو إلا في
مكان وكذلك الإثارة والنقع والظاهر عموم من دابة فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع ما يدب على
الأرض حتى الجعلان في جحرها قاله ابن مسعود قال قتادة وقد فعل ذلك سبحانه وتعالى في زمن نوح عليه السلام
وقال السدي ومقاتل إذا قحط المطر لم تبق دابة إلا هلكت وسمع أبو هريرة رجلا يقول إن الظالم لا يضر
إلا نفسه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وهذا نظير واتقوا فتنة الآية وحديث
أنهلك وفينا الصالحون وقال ابن السائب وأجاز الزجاج من دابة من الإنس والجن وقال ابن جريج
من الناس خاصة وقالت فرقة منهم ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم إلى أجل الآية
تقدم تفسير ما يشبهه في الأعراف وما في ما يكرهون لمن يعقل وأريد بها النوع كقوله تعالى فانكحوا
الآية ومعنى ويجعلون يصفونه بذلك ويحكمون به وقال الزمخشري ما يكرهون لأنفسهم من البنات ومن

شركا في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم
اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى انتهى
وقال مجاهد الحسنى قول قريش لنا البنون يعني قالوا لله البنات ولنا البنون وقيل الحسنى الجنة وقوله لا جرم
ان لهم النار والمعنى على هذا يجعلون لله المكروه ويدعون مع ذلك انهم يدخلون الجنة كما تقول انت تعصي الله
وتقول مع ذلك انك تنجو اي هذا البعد مع هذا القول لا يتأتى الا ممن يقول بالبعث وكان فيهم
من يقول به او على تقدير ان كان ما يقولون من البعث صحيحا وان لهم الحسنى بدل من الكذب او على اسقاط
الخوف اي بان لهم وقرا الحسن ومجاهد باختلاف السنتهم باسكان التا وهي لغة تميم لسانا المذكر جمعه
والسن وفي التانيث الالسن كذراع واذرع وقرا معاذ بن جبل وبعض اهل الشام الكذب بضم الكاف
والذال والبا صفة للالسنة جمع كذوب كصبور وصبر وهو مقيس او جمع كاذب كشارف وشرف
ولا ينقاس وعلى هذه القراءة ان لهم مفعول تصف وتقدم الكلام في لا جرم ان وقرا الحسن وعيسى بن
عمران لهم بكسر الهمزة وان جواب قسم اغنت عنه لا جرم وقرا ابن عباس وابن مسعود وابو رجا وشيبة
ونافع واكثر اهل المدينة مفرطون من افرط اي متجاوزون الحد في معاصي الله وباقي السبعة والحسن
والاعرج واصحاب ابن عباس ونافع في رواية بفتح الرا من فرطته الى كذا اي قدمته معجلا بالهمز من
فرط الى كذا تقدم اليه قال القطامي ٭ واستعجلونا وكانوا من صحابتنا ٭ كما تعجل فراط لوراد ٭ ومنه انا فرطكم
على الحوض اي متقدمكم وقال ابن جبير ومجاهد وابن ابي هند مفرطون مخلفون متروكون في النار من افرطت
فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته قال ابو البقا تقول العرب افرطت منهم ناسا اي خلفتهم ونسيتهم
وقرا ابو جعفر مفرطون مشددا من فرط اي مقصرون مضيعون وعنه ايضا فتح الرا وتشديدها
اي مقدمون من فرطته المعدى بالتضعيف من فرط بمعنى تقدم ثم اخبر تعالى بارسال الرسل الى امم من
قبل امتك مقسما على ذلك وتعدد التي تقتضي تحقيق الامر على سبيل التسلية للرسول لما كان يناله بسبب جهالات
قومه ونسبتهم الى الله ما لا يجوز فزين لهم الشيطان اعمالهم من تماديهم على الكفر فهو وليهم اليوم
حكاية حال ماضية اي لا ناصر لهم في حياتهم الا هو وعبر باليوم عن وقت الارسال ومحاورة الرسل
لهم او حكاية حال اتية وهي يوم القيامة وال في اليوم للعهد وهو اليوم المشهود فهو وليهم في ذلك
اليوم اي قرينهم وبئس القرين والظاهر عود الضمير في وليهم الى الامم وقال الزمخشري ويجوز ان يرجع
الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولا لانهم منهم ويجوز ان يكون
على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم انتهى وهذا فيه بعد لاختلاف الضمائر من غير ضرورة
تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف واللام في لتبين لام التعليل والكتاب القران والذي اختلفوا
فيه من الشرك والتوحيد والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدونه من
الاحكام كتحريم البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الاحكام وهدى ورحمة في موضع نصب على انهما
مفعول من اجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيهما لان المنزل هو الله ومنه الهادي والراحم
ودخلت اللام على لتبين لاختلاف الفاعل لان المنزل هو الله والتبيين مسند للمخاطب وهو الرسول
وقول الزمخشري معطوفان على محل لتبين ليس بصحيح لان محله ليس نصبا فيعطف منصوبا عليه الا
ترى انه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل ٭ والله انزل من السما ما قال ابو عبد الله الرازي المقصود
من القران اربعة الالهيات والنبوات والمعاد والقدر والاعظم منها الالهيات فابتدا بذكر

دلائل

دلائلها بالاجرام الفلكية ثم بالانسان ثم بالحيوان ثم بالنبات ثم باحوال البحر والارض ثم عاد الى تقرير
دلائل الالهيات فبدا بذكر الفلكيات انتهى ملخصا وقال ابن عطية لما امر تعالى بتبيين ما اختلف فيه نص على العبر
المؤدية الى بيان امر الربوبية فبدا بنعمة المطر التي هي اعظم العبر وهي ملاك الحياة وهي في غاية الظهور
ولا يختلف فيها عاقل انتهى ونقول لما ذكر انزال الكتاب للتبيين كان القران حياة للارواح وشفا لما في الصدور
من علل العقائد ولذلك ختم بقوله لقوم يؤمنون اي يصدقون والتصديق محل القلب ذكر انزال المطر
الذي هو حياة الاجسام وسبب لبقائها ثم اشار باحيا الارض بعد موتها الى احيا القلوب بالقران كما
قال اومن كان ميتا فاحييناه فكما تصير الارض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب يحيى بالقران
بعد ان كان ميتا بالجهل ولذلك ختم بقوله يسمعون اي يسمعون هذا التشبيه المشار اليه والمعنى
سماع انصاف وتدبر ولملاحظة هذا المعنى والله اعلم لم يختم بلقوم يبصرون وان كان انزال المطر
مما يبصر ويشاهد وقال ابن عطية وقولهم يسمعون يدل على ظهور هذا المعتبر فيه وبيانه لانه لا
يحتاج الى نظر ولا تفكر وانما يحتاج المنبه الى ان يسمع القول فقط **قوله تعالى** وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل ان اتخذي
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ٭ لما ذكر تعالى احيا الارض بعد
ذكر ما ينشا عن المطر وهو حياة الانعام التي هي مالوف العرب بما يتناوله من النبات الناشي عن المطر
ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم وقرا ابن مسعود بخلاف عنه والحسن
وزيد بن علي وابن عامر وابو بكر ونافع واهل المدينة نسقيكم هنا وفي قد افلح بفتح النون مضارع سقى
وباقي السبعة بضمها مضارع اسقى وتقدم الكلام في سقى واسقى في قوله فاسقيناكموه وقرا ابو رجا
يسقيكم بالياء مضمومة والضمير عائد على الله اي يسقيكم الله قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون مسندا
الى النعم وذكر لان النعم مما يذكر ويؤنث ومعناه وان لكم في الانعام نعما يسقيكم اي يجعل
لكم سقيا انتهى وقرات فرقة بالتا مفتوحة منهم ابو جعفر قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى
وضعفها عنده والله اعلم من حيث انث في تسقيكم وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف في ذلك
من هذه الجهة لان التانيث والتذكير باعتبارين وجمع واعاد الضمير مذكرا مراعاة للجنس لانه اذا صح
وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكرا كقولهم هو احسن الفتيان وانبله لانه
يصح هو احسن فتى وان كان هذا لا ينقاس عندنا مما يقتصر فيه على ما قالته العرب وقيل جمع التكسير
فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ومعاملة الجمع فيعود الضمير عليه مفردا كقوله مثل الفراخ نتفت
حواصله وقيل افرد على تقدير المذكور كما يفرد اسم الاشارة بعد الجمع كما قال رؤبة ٭
فيها خطوط من سواد وبلق ٭ كانه في الجلد توليع البهق ٭ فقال كانه وقدر بكان المذكور قاله
الكسائي اي في بطون ما ذكرنا قال المبرد وهذا شائع في القران قال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء
ذكره اي ذكر هذا الشي وقال تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اي هذا الشي الطالع ولا
يكون هذا الا في التانيث المجازي لا يجوز جاريتك ذهب وقالت فرقة الضمير عائد على البعض اذ
الذكور لا البان لها فكان العبرة انما هي في بعض الانعام وقال الزمخشري ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا

ينصرف في الاسما المفرده على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعما في قوله في كل عام نعم تحوونه • يلقحه قوم وينتجونه • فاذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع انتهى واما ما ذكر عن س ففي كتابه في هذا باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل ما نصه واما اجمال وفلوس فانها تنصرف وما اشبهها لانها ضارعت الواحد الا ترى انك تقول اقوال واقاويل واعراب واعاريب وايد واياد فهذه الاحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما يخرج اليه الواحد اذا كسر للجمع واما مفاعل ومفاعيل فلا تكسر فتخرج الجمع الى بنا غير هذا لان هذا البنا هو الغاية فلما ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جميعا لاخرجته الى فعائل كما تقول جدود وجدائد وركوب وركائب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البنا ويقوي ذلك ان بعض العرب يقول اتي للواحد فيضم الالف واما افعال فقد يقع للواحد من العرب من يقول هو الانعام قال جل ثناوه وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وقال ابو الخطاب سمعت العرب يقولون هذا ثوب اكياش انتهى فالذي ذكره س هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وبين افعال وفعول وان كان الجمع ابنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل لا يجمعان وافعال وفعول قد يخرجان الى بنا شبه مفاعل ومفاعيل لشبه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوي شبههما بالمفرد بان بعض العرب قال في اتي اتي بضم الهمزة يعني انه قد جا نادرا فعول من غير المصدر للمفرد بان بعض العرب قد يوقع افعالا للواحد من حيث افرد الضمير فيقول هو الانعام وانما يعني ان ذلك على سبيل المجاز لان الانعام في معنى النعم كما قال الشاعر تركنا الخيل والنعم المفدي • وقلنا للنسا بها اقيمي • ولذلك قال س واما افعال فقد يقع للواحد دليل على انه ليس ذلك بالوضع وقول الزمخشري انه ذكره في الاسما المفرده على افعال تحريف في اللفظ وفهم عن س ما لم يرده ويدل على ما قلناه ان س حين ذكر ابنية الاسما المفرده نص على ان افعالا ليس من ابنيتها قال س في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثه وليس في الكلام افعيل ولا افعول ولا افعال ولا افعيل ولا افعال الا ان يكسر عليه اسما للجميع انتهى فهذا نص منه على ان افعالا لا يكون في الابنية ونسقيكم مما في بطونه للعبرة وقال الزمخشري وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله انتهى قال ابن عباس اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا يبقى فيها واعلاه دما يجري في العروق واوسطه لبنا يجري في الضرع وقال ابن جبير الفرث في اوسط المصارين والدم في اعلاها واللبن بينهما والكبد تقسم الفرث الى الكرش والدم الى العروق واللبن الى الضروع وقال ابو عبد الله الرازي قال المفسرون المراد من قوله من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثه تتولد في موضع واحد فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم في اعلاه واللبن في الوسط وقد دللنا على ان هذا القول على خلاف الحس والتجربة وكان الرازي قد قدم ان الحيوان يذبح فلا يرى في كرشه دم ولا لبن بل الحيوان الغذا اذا تناوله الحيوان وصل الى الكرش وانطبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه كثيفا نزل الى الامعا وصافيا انجذب الى الكبد فينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني مخلوطا بالصفرا والسودا وزيادة المائية فتذهب الصفرا الى المرارة والسودا الى الطحال والما الى الكلية وخالص الدم يذهب الى الاورده وهي العروق النابته من الكبد وبين الضرع

عروق

عروق كثيرة ينصب الدم من تلك العروق الى الضروع وهو لحم رخو ابيض فينقلب من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو الصحيح في كيفية تولد اللبن انتهى ملخصا وقال ايضا واما نحن فنقول المراد من الاية هو ان اللبن انما يتولد من بعض اجزا الدم والدم انما يتولد من الاجزا اللطيفة التي في الفرث وهي الاشيا الماكوله الحاصله في الكرش فاللبن يتولد مما كان حاصلا فيما بين الفرث اولا ثم مما كان حاصلا فيما بين الدم ثانيا انتهى ملخصا ايضا والذي يظهر من لفظ الاية ان اللبن يكون وسيطا بين الفرث والدم والبينيه يحتمل ان يكون باعتبار المكانية حقيقة كما قاله المفسرون وادعى الرازي انه خلاف الحس والمشاهدة ويحتمل ان تكون البينيه مجازية باعتبار تولده من ما حصل في الفرث اولا وتولده من الدم الناشي من لطيف ما كان في الفرث ثانيا كما قرر الرازي ومن الاولى للتبعيض متعلقة بنسقيكم والثانيه لابتدا الغاية متعلقة بنسقيكم وجاز تعلقهما بعامل واحد لاختلاف مدلوليهما ويجوز ان يكون من بين في موضع الحال فيتعلق بمحذوف لانه لو تاخر لكان صفة اي كائنا من بين فرث ودم ويجوز ان يكون من بين فرث بدلا من ما في بطونه وقرات فرقة سيغا بتشديد اليا وعيسى بن عمر سيغا مخففا من سيغ كهين المخفف من هين وليس بفعل لانه كان يكون سوغا والسايغ السهل في الحلق اللذيذ وروي في الحديث ان اللبن لم يشرق به احد قط ولما ذكر تعالى ما من به من بعض منافع الحيوان ذكر ما من به من بعض منافع النبات والظاهر تعلق من ثمرات بتتخذون وكررت من للتاكيد وكان الضمير مفردا رعيا للمحذوف اي ومن عصير ثمرات او على معنى الثمرات وهو الثمر او بتقدير من المذكور وقيل يتعلق بنسقيكم فيكون معطوفا على مما في بطونه او بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم المتقدمة فيكون من عطف الجمل والذي قبله من عطف المفردات اذ اشتركا في العامل وقيل معطوف على الانعام اي ومن ثمرات النخيل والاعناب عبرة ثم بين العبرة بقوله تتخذون وقال الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما وهو لا يجوز على مذهب البصريين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه انتهى وهذا الذي اجازه قاله الحوفي قال اي وان من ثمرات وان شيت بالرفع بالابتدا ومن ثمرات خبره انتهى والسكر في اللغة الخمر قال الشاعر • بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم • اذا جرى فيهم المزا والسكر • وقال الزمخشري سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا • قال الشاعر • وجاونا بهم سكر علينا • فاجلى اليوم والسكران صاحي • وقاله ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وابن ابي ليلى والكلبي وابن جبير وابو ثور والجمهور وهذه الاية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة فهي منسوخة قال الحسن ذكر الله تعالى نعمته في السكر قبل تحريم الخمر وقال ابن عباس هو الخل بلغة الحبشة وقيل العصير الحلو الحلال وسمي سكرا باعتبار ماله اذا ترك وقال ابو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم واختاره الطبري قال والسكر في كلام العرب ما يطعم وانشد ابو عبيدة • جعلت اعراض الكرام سكرا • اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر اذا تنقلت في اعراض الناس فكانه تخمر بها قاله الزمخشري وتبع الزجاج قال فيصف انه يخمر بعيوب الناس وعلى هذه الاقوال لا نسخ وقال الزجاج قول ابي عبيدة لا يصح واهل التفسير على خلافه وقيل السكر ما لا يسكر من الانبذة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر انتهى واذا اريد بالسكر الخمر فقد تقدم ان ذلك منسوخ واذا لم يقل بنسخ فيكون جمع بين العتاب والمنة ويعني العتاب على اتخاذ ما يحرم والمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والرب والزبيب

والنمر وقال الزمخشري ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن انتهى فيكون
من عطف الصفات وظاهر العطف المغايرة ولما كان مفتتح الكلام وان لكم في الانعام لعبرة ناسب الختم بقوله يعقلون
لانه لا يعتبر الا ذوو العقول كما قال ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب وانظر الى الاخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر
والرزق الحسن لما كان اللبن لا يحتاج الى المعالجة من الناس اخبر عن نفسه تعالى بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق
الحسن مما يعالج لم يضفه الى نفسه ولانهما مما يجترح العرب العرب عنهما رضينه ولما ذكر تعالى المنة بالمشروب اللبن
وغيره اتم النعمة بذكر العسل ولما كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب في الناس اكثر من العسل قدم اللبن وغيره عليه
وقدم اللبن على ما بعده لانه المحتاج اليه كثيرا وهو الدليل على الفطرة ولذا اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين عرج به وعرض عليه اللبن والخمر والعسل وجاء ترتيبها في الجنة كهذه الاية قال تعالى وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ففي اخراج اللبن من النعم والسكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل
والاعناب والعسل من النحل دلايل باهرة على الالوهية والقدرة والاختيار والايحا هنا الالهام والالقا في روعها
وتعليمها على وجه هو تعالى اعلم بكيفيته لا سبيل الى الوقوف عليه والنحل جنس واحده نحلة ويونث في لغة
الحجاز ولذلك قال ان اتخذي وقرا ابن وثاب النحل بفتح الحا وان تفسيرية لانه تقدم معنى القول وهو واوحى
او مصدرية اي باتخاذ قال ابو عبد الله الرازي ان ههنا المفسرة لما في الوحي من معنى القول هذا قول جمهور
المفسرين وفيه نظر لان الوحي هنا باجماع منهم هو الالهام وليس في الالهام معنى القول وقال فر تعالى
في انفسها الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر منها بناؤها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية
يعجز عن بنائها ولا يتم ذلك للعقلاء الا بالالات كالمسطرة والبركار ولو بنتها باشكال غير ذلك لضيق تلك
البيوت عنها لبقا فرج لا تسعها ولها امير اكبر جثة منها نافذ الحكم يخدمونه اذا انفرت عن وكرها الى موضع
اخر واراد واعودها الى وكرها ضربوا الطبول والالات الموسيقيا وبواسطة تلك الالحان تعود الى وكرها فلما
امتازت بهذه الخواص العجيبة وليس الا على سبيل الالهام وهي حالة تشبه الوحي لذلك قال تعالى فاوحى ربك الى
النحل ان اتخذي انتهى ملخصا ومن للتبعيض لانها لا تبني في كل جبل وشجر ولا كل ما يعرش ولا في كل مكان منها وقال
ان البيوت هنا عبارة عن الكوى التي تكون في الجبال وفي متجوف الاشجار واما من ما يعرش ابن ادم فالخلايا التي
يصنعها ابن ادم للنحل والكوى التي تكون في الحيطان ولما كان النحل نوعين منه ما مقره في الجبال والغياض ولا يتعهده
احد ومنه ما يكون في بيوت الناس ويتعهد في الخلايا ونحوها شمل الامر باتخاذ البيوت النوعين وقال الزمخشري
ما يدل على ان البيوت ليست الكوى وانما هي ما تبنيه هي فقال اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها
في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش وقال ابن زيد ومما يعرشون الكروم وقال الطبري ما يبنون من السقوف قال ابن عطيه
وهذا منهما تفسير غير متقن انتهى وقرا السلمي وعبيد بن نضلة وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم الراء وباقي السبعة
بكسرها وتقتضي ثم المهلة والتراخي بين الاتخاذ والاكل الذي يتحصل منه العسل فلذلك كان العطف بثم وهو
معطوف على اتخذي وهو امر معطوف على امر وسيأتي الكلام على امر غير المكلف في قوله يا ايها النمل ادخلوا ان شا
الله عز وجل وكل الثمرات عام مخصوص اي المعتاد . لا كلها قال الزمخشري اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها
انتهى فدل قوله اي ابني البيوت انه لا يريد بقوله بيوتا الكوى التي في الجبال ومتجوف الاشجار ولا الخلايا وانما
يراد البيوت المسدسة التي تبنيها وظاهر من في قوله من كل الثمرات انها للتبعيض فتاكل من الاشجار الطيبة
والاوراق العطرة اشيا يولد الله تعالى منها في اجوافها عسلا قال ابن عطيه انما تاكل النوار من الاشجار وقال
ابو عبد الله الرازي ما ملخصه يحدث الله تعالى في الهوى طلا كثيرا يجتمع منه اجزا محسوسة كالترنجبين هو
محسوس

محسوس وقليلا لطيف الاجزا صغيرها وهو الذي الهم الله تعالى النحل التقاطه من الازهار واوراق الاشجار وتغتذي بها
فاذا شبعت التقطت بافواهها شيئا من تلك الاجزا ووضعتها في بيوتها كانها تحاول ان تدخر لنفسها غذاها فالمجتمع
من ذلك هو العسل وعلى هذا القول تكون من لابتدا الغاية لا للتبعيض انتهى وظاهر العطف بالفا في فاسلكي انه
تعقيب للاكل اي اذا اكلت فاسلكي سبل ربك اي طرق ربك الى بيوتك راجعة والسبل اذ ذاك مسالكها في الطيران
وربما اخذت مكانها فانتجعت المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الاول وقيل سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك
في عمل العسل وقيل فاسلكي ما اكلت اي في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك
ومنافذ ماكلك وعلى هذا القول ينتصب سبل ربك على الظرف وعلى ما قبله ينتصب على المفعول به وقيل اذ ذاك بقوله
ثم كلي ثم اقصدي الاكل من الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك وهذا القول والقول الاول اقرب في
المجاز في سبل ربك من القولين اللذين بينهما الا ان كلي بمعنى اقصدي الاكل مجازا واضافة السبل الى رب النحل من حيث انه
تعالى هو خالقها ومالكها والناظر في تهيئة مصالحها ومعايشها وقال مجاهد ذللا لا يتوعر عليها سبيل تسلكه
فعلى هذا ذللا حال من سبل ربك كقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا وقال قتادة اي مطيعة منقادة وقال
ابن زيد يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم فعلى هذا ذللا حال من النحل كقوله وذللناها لهم ثم ذكر تعالى على جهة تعديد
النعمة والتنبيه على المنة ثمرة هذا الاتخاذ والاكل والسلوك وهو قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل وسماه
شرابا لانه مما يشرب كما ذكر ثمرة الانعام وهو سقي اللبن وثمرة النخيل والاعناب وهو اتخاذ السكر والرزق
الحسن وذكر تعالى المقر الذي يخرج منه الشراب وهو بطونها ومن هو مبدا الغاية الاولى والجمهور على انه يخرج
من افواهها ومن هنا مبدا الغاية الاخيرة ولذلك قال بعضهم • تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان ذممت
تقل قي الزنابير • والمجاج والقي لا يكون الا من الفم وروي عن علي رضي الله عنه انه قال في تحقير الدنيا اشرف
لباس ابن ادم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة وعنه ايضا اما العسل فونيم ذباب فظاهر هذا ان العسل
يخرج من غير الفم وقد خفي على الحريصين مخرجه امن الفم ام من اسفل وحكي ان سليمان عليه السلام والاسكندر وارسطاطاليس
صنعوا لها بيوتا من زجاج لينظروا الى الكيفية صنعها وهل يخرج العسل من فيها ام من اسفلها فلم تضع من العسل شيئا حتى
لطخت باطن الزجاج بالطين بحيث يمنع المشاهدة وقال الحسن لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم وجعله
لعابا كالريق الدايم الذي يخرج من ابن ادم وقيل من بطونها من افواهها وسمي الفم بطنا لانه في حكم البطن ولا
مما يبطن ولا يظهر واختلاف الوانه بالبياض والحمرة والصفرة والسواد وذلك لاختلاف طباع النحل ولاختلاف
المراعي وقد يختلف طعمه لاختلاف المرعى كما في الحديث جرست نحله العرفط وقيل الابيض لفتيه شباب النحل والاصفر
لكهولها والاحمر لشيبها والظاهر عود الضمير فيه الى الشراب وهو العسل لانه شفا من جملة الاشفية والادوية
المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه العسل والعسل موجود كثير في اكثر البلدان واما
السكر فمختص به بعض البلاد وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الازمان يجعل في الاشربة والادوية الا العسل
وليس المراد بالناس هنا العموم لان كثيرا من الامراض لا يدخل في دوائها العسل وانما المعنى في الذين ينجع العسل
في امراضهم وتنكير شفا اما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفا اي شفا واما للدلالة على مطلق الشفا اي فيه بعض
الشفا وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والفرا وابن كيسان ان الضمير في فيه عايد على القران اي
في القران شفا للناس قال النحاس وهذا قول حسن اي فيما قصصنا عليكم من الايات والبراهين شفا للناس
قال القاضي ابو بكر ابن العربي اري هذا القول لا يصح نقله عن هولاء ولو صح نقلا لم يصح عقلا فان سياق الكلام
كله للعسل ليس للقران فيه ذكر ولما كان امر النحل عجيبا في بنائها تلك البيوت المسدسة وفي اكلها من انواع

الازهار والاوراق الحامض والمر والضار وفي طواعيتها لامرها ولين مسالكها في التنقل معه فكان النظر في ذلك
يحتاج الى تامل وزيادة تدبر فختم بقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون **قوله تعالى** والله خلقكم ثم يتوفاكم
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير ۝ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سوا افبنعمة الله يجحدون ۝ والله جعل لكم من انفسكم ازواجا
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم
وانتم لا تعلمون ۝ لما ذكر تعالى تلك الايات التي في الانعام والثمرات والنحل ذكر ما نبهنا على قدرته التامة في
انشائنا من العدم واماتتنا ونقلنا في حالة الحيوة من حالة الجهل الى حالة العلم وذلك كله دليل على القدرة
التامة والعلم الواسع ولذلك ختم بقوله عليم قدير وارذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس ويختل
النطق والفكر وخص بالرذيلة لانها حالة لا رجاء بعدها لاصلاح ما فسد بخلاف حال الطفولة فانها حالة تتقدم
فيها الى القوة وادراك الاشيا ولا يتقيد ارذل العمر بسن مخصوص كما روي عن علي رضي الله عنه انه قال خمس
وسبعون سنة وعن قتادة انه تسعون وانما ذلك بحسب انسان انسان فرب ابن خمسين انتهى الى ارذل
العمر ورب ابن مائة لم يرد اليه والظاهر ان من يرد الى ارذل العمر عام فيمن يلحقه الخرف والهرم وقيل هذا في
الكافر لان المسلم لا يزداد بطول عمره الا كرامة على الله تعالى ولذلك قال تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا
الذين امنوا اي لم يردوا الى اسفل سافلين وقال عكرمة من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر واللام في لكي قال
الحوفي هي لام كي دخلت على كي للتوكيد وهي متعلقة بيرد انتهى والذي ذهب اليه محققوا النحاة في مثل لكي
ان كي حرف مصدري اذا دخلت عليها اللام وهي الناصبة كان واللام جارة فينسبك من كي والمضارع بعدها
مصدر مجرور باللام متعلقا فاللام على هذا لم تدخل على كي للتوكيد لاختلاف معناهما واختلاف عملهما لان
اللام مشعرة بالتعليل وكي حرف مصدري واللام جارة وكي ناصبة وقال ابن عطية يشبه ان تكون لام
صيرورة والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشيا الى ان لا يعلم شيئا وهذه عبارة عن قلة علمه لا انه لا يعلم شيئا
البتة وقال الزمخشري ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه
فلا يعلمه ان سيل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه انتهى
وانتصب شيئا اما بالمصدر على مذهب البصريين في اختيار اعمال الثاني للقرب او بيعلم على مذهب الكوفيين في اختيار
اعمال ما سبق للسبق ولما ذكر ما يعرض في الهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفا العلم عن ذكر علمه وقدرته
تعالى اللذان لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث وليت صفة العلم ما جاورها من انتفا العلم وتقدم
ايضا ذكر مناسبة الختم بهذين الوصفين ولما ذكر تعالى خلقنا ثم اماتتنا وتفاوتنا في السن ذكر تفاوتنا
في الرزق وان رزقنا افضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا وربما كان المملوك خيرا من المولى في العقل
والدين والتصرف وان الفاضل في الرزق لا يسا مملوكه فيما رزق فيساويه وكان ينبغي ان يرد
فضل ما رزق عليه ويساويه في المطعم والملبس كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه روي عبده وازاره
مثل ازاره ورداه مثل ردايه من غير تفاوت عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون وعن ابن عباس وقتادة ان الاخبار بقوله فما الذين فضلوا
على سبيل المثل اي ان المفضلين في الرزق لا يصح منهم ان يساهموا مماليكهم فيما اعطوا حتى تستوي
احوالهم فاذا كان هذا في البشر فكيف تنسبون انتم ايها الكفرة الى الله تعالى انه يشرك في الوهيته الاوثان
والاصنام

والاصنام ومن عبد من الملايكة وغيرهم والجميع عبيده وخلقه وعن ابن عباس ان الاية مشيرة الى عيسى بن مريم عليه السلام
وقال المفسرون هذه الاية كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي
سوا فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وعلى
هذا القول يكون فهم فيه سوا جملة اخبار عن تساوي الجميع في ان الله رازقهم وعلى القولين الاخرين يكون الجملة
في موضع جواب النفي كانه قيل فيستووا وقيل هي جملة استفهامية حذف منها الهمزة التقدير افهم فيه سوا اي ليسوا
مستوين في الرزق بل التفضيل واقع لا محالة ثم استفهم عن جحودهم نعمة استفهاما مراكرا واتى بالنعمة الشاملة للرزق
وغيره من النعم التي لا تحصى اي ان من تفضل عليكم بالنشاة اولا ثم بما فيه قوام حياتكم جدير بان تشكروا نعمه ولا تكفروها
وقرا ابو بكر عن عاصم وابو عبد الرحمن والاعرج بخلاف عنه تجحدون بالتا على الخطاب لقوله فضل بعضكم وفي جحد
نعمة الله ولما ذكر تعالى امتنانه بالايجاد ثم بالرزق المفضل فيه ذكر امتنانه بما يقوم بمصالح الانسان مما ياتي به
ويستنصر به ويخدمه واحتمل من انفسكم ان يكون المراد من جنسكم ونوعكم واحتمل ان يكون ذلك باعتبار خلق حوا
من ضلع من اضلاع ادم فنسب الى بني ادم وكلا الاحتمالين مجاز والظاهر عطف حفدة على بنين فيكون الجميع
من الازواج والمعنى غير البنين وقال الحسن هم بنو ابنك وقال ابن عباس والازهري الحفدة هم اولاد الاولاد
وقال ابن عباس ايضا البنون صغار الاولاد والحفدة كبارهم وقال مقاتل بعكسه وقيل البنات لانهن يخدمن
في البيوت اتم خدمة فعلى هذا القول خص البنين بالذكران لانه جمع مذكر كما قال المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا فانما الزينة في الذكور وعن ابن عباس هم اولاد الزوجة من غير الزوج التي هي في عصمته وقيل
وحفدة منصوب بجعل مضمرا وليسوا داخلين في كونهم من الازواج وقال ابن مسعود وعلقمة وابو الضحى وابراهيم
ابن جبير الاصهار وهم قرابة الزوجة كابيها واخيها وقال مجاهد هم الانصار والاعوان والخدم وقالت
فرقة الحفدة هم البنون اي جامعون بين البنوة والخدمة فهو من عطف الصفات لموصوف واحد قال ابن عطية
ما معناه هذه الاقوال مبنية على ان كل احد جعل له من زوجه بنين وحفدة وهذا انما هو في الغالب وعظم
الناس ويحتمل عندي ان قوله من ازواجكم انما هو على العموم والاشتراك اي من ازواج البشر جعل الله منهم
البنين ومنهم جعل الخدمة وهكذا رتبت الاية النعمة التي تشمل العالم ويستقيم لفظ الحفدة على مجراها في اللغة
اذ البشر بجملتهم لا يستغني احد منهم عن خدمة انتهى وفي قوله تعالى من انفسكم ازواجا دلالة على كذب
العرب في اعتقادها ان الادمي قد يتزوج من الجن ويباضعها حكوا ذلك عن عمرو بن هند انه تزوج سعلاة
ومن في من الطيبات للتبعيض لان كل الطيبات في الجنة والذي في الدنيا انموذج منها والظاهر ان الطيبات
هنا المستلذات لا الحلال لان المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع ولما ذكر تعالى ما امتن به من جعل الازواج
وما ينتفع به من جهتهن ذكر منته بالرزق والطيبات عام في النبات والثمار والحبوب والاشربة ومن
الحيوان وقيل الطيبات الغنائم وقيل ما اتى من غير نصب وقال مقاتل الباطل الشيطان ونعمة الله محمد صلى الله
عليه وسلم وقال الكلبي طاعة الشيطان في الحلال والحرام وقيل ما يرجى من شفاعة الاصنام وبركتها وقال الزمخشري
افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا
اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شي معلوم مستيقن وبنعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة
فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول
لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما وبنعمة الله ما احل لهم انتهى وقرا الجمهور يؤمنون بالياء
وهو توقيف للرسول عليه السلام على ايمانهم بالباطل ويندرج في التوقيف المعطوف بعدها وقرا السلمي بالتا وروي

عن عاصم وهو خطاب للكفار وتقريع لهم والجملة بعد ذلك مجرد اخبار عنهم فالظاهر انه لا يندرج في التقريع ويعبدون
استئناف اخبار عن حالهم في عبادة الاصنام وفي ذلك تبيين لقوله افبالباطل يؤمنون نعي عليهم فساد نظرهم في عبادة
ما لا يمكن ان يقع منه ما سعى عابده في تحصيله منه وهو الرزق ولا هو في استطاعته شيء ولا ان يكون شيء من الرزق
في ملكهم ونفي اولا قدرتها على ان تحاول ذلك وما لا يملك عام في جميع من عبد من دون الله من ملك وادمي وغير ذلك
واجازوا في شيئا انتصابه بقوله رزقا اجاز ذلك ابو علي وغيره ورد عليه ابن الطراوة بان الرزق هو المرزوق
كالرعي والطحن والمصدر هو الرزق بفتح الراء كالرعي والطحن ورد على ابن الطراوة بان الرزق بالكسر يكون ايضا
مصدرا وسمع ذلك فيه فصح ان يعمل في المفعول به والمعنى ما لا يملك لهم ان يرزق من السموات والارض شيئا
ومن السموات متعلق اذ ذاك بالمصدر وقال ابن عطية بعد ان ذكر اعمال المصدر منونا والمصدر يعمل مضافا
باتفاق لانه في تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الالف واللام لانه قد توغل في حال الاسماء وبعد عن
الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الالف واللام في قوله ضعيف النكاية
اعداءه البيت وقوله لحقت فلم انكل عن الضرب مسمعا انتهى اما قوله يعمل مضافا بالاتفاق ان عنى من البصريين
فصحيح وان عنى من النحويين فغير صحيح لان بعض النحويين ذهب الى انه وان اضيف لا يعمل فان نصب ما بعده
او رفعه انما هو على اضمار الفعل المدلول عليه بالمصدر واما قوله لانه في تقدير الانفصال فليس كذلك لانه
لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك ابو القاسم بن برهان وابو الحسين
ابن الطراوة ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر بالمضاف وتوكيده بالمعرفة واما قوله فلا يعمل الى اخره
فقد ناقض في قوله اخيرا وقد جاء عاملا مع الالف واللام واما كونه لا يعمل مع الالف واللام فهو مذهب منقول
عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز اعماله قال س وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا
تكون الالف واللام بمنزلة التنوين واذا كان رزقا يراد به المرزوق فقالوا انتصب شيئا على انه بدل من
رزقا كانه قيل ما لا يملك لهم من السموات والارض شيئا وهذا البدل ليس جاريا على جهة البيان لانه اعم من
رزق ولا على جهة التوكيد لانه لعمومه ليس مرادفا فينبغي ان لا يجوز اذ لا يخلو البدل من احد نوعيه هذين
اما البيان واما التوكيد واجازوا ايضا ان يكون مصدرا اي شيئا من الملك كقوله ولا تضرونه شيئا اي
شيئا من الضرر وعلى هذين الاعرابين يتعلق من السموات بقوله لا يملك او يكون في موضع الصفة لرزق
فيتعلق بمحذوف ومن السموات رزقا يعني به المطر واطلق عليه رزق لانه عنه ينشا الرزق والارض يعني
الشجر والثمر والزرع والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما الحمل على معناها لانه يراد بها الهتهم بعد ما
اعاد على اللفظ في قوله ما لا يملك فافرد وجاز ان يكون داخلا في صلة ما وجاز ان لا يكون داخلا بل اخبار
عنهم بانتفاء الاستطاعة اصلا لانهم موات واما قول الزمخشري انه يراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة
التوكيد فليس كما ذكر لان نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة وقال ابن عباس ولا يستطيعون ان يرزقوا انفسهم
وجوز الزمخشري وابن عطية ان يعود الضمير على ما عاد عليه في قوله ويعبدون وهم الكفار اي ولا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به قاله الزمخشري
وقال ابن عطية لا يستطيعون ذلك ببرهان يظهرونه وحجة يثبتونها انتهى ونهى تعالى عن ضرب الامثال
لله وضرب الامثال تمثيلها والمعنى هنا تمثيل الاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا
بحال وقصة بقصة من قولهم هذا ضرب هذا اي مثل والضرب النوع تقول الحيوان على ضروب اي انواع
وهذا من ضرب واحد اي من نوع واحد وقال ابن عباس معناه لا تشبهوا بي خلقي انتهى وقال ان الله يعلم
انتم

انتم العلم لنفسه والمعنى انه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والاشراك به وعبر عن الجزاء بالعلم وانتم لا تعلمون كنه ما اقدمتم
عليه ولا وبال عاقبته فعدم علمكم بذلك جركم وجراكم وهو كالتعليل للنهي عن الاشراك قال الزمخشري ويجوز ان يراد
ان الله يعلم كيف نضرب الامثال وانتم لا تعلمون انتهى وقال ابن السايب فالله يعلم يضرب المثل وانتم لا تعلمون ذلك
وقال مقاتل يعلم انه ليس له شريك وانتم لا تعلمون ذلك وقيل يعلم خطا ما تضربون من الامثال وانتم لا تعلمون
صواب ذلك من خطايه **المفردات** الكل الثقيل وقد يسمى اليتيم كلا لانه ثقل على من يكفله وقال الشاعر
اكول لمال الكل قبل شبابه ٭ اذا كان عظم الكل غير شديد ٭ والكل ايضا الذي لا ولد له ولا والد والكل ايضا
والجمع كلول اللمح النظر بسرعة لمحه لمحا ولمحانا الجو مسافة ما بين السماء والارض وقيل هو ما يلي الارض في سمت
العلو واللوح والسكاك ابعد منه الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع والظعن الهودج
ايضا الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز قاله اهل اللغة في قوله ومن اصوافها الاية الاثاث قال المفضل
متاع البيت كالفرش والاكسية وقال الفراء لا واحد له من لفظه كما ان المتاع لا واحد له من لفظه ولو جمعت
لقلت اثثة في القليل واثث في الكثير وقال ابو زيد واحده اثاثة وقال الخليل اصله من قولهم اث النبات
والشعر فهو اثيث اذا كثر قال امرؤ القيس وفرع يغشي المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل
الكن ما حفظ ومنع من الريح والمطر وغير ذلك وهو من الجبال الغار استعتب الرجل بمعنى اعتبته اي ازلت عنه
ما يعتب عليه ويلام والاسم العتبى وجاءت استفعل بمعنى افعل نحو استدنيته وادنيته **قوله تعالى**
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ٭ وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما
يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ٭ ولله غيب السموات والارض وما
امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير ٭ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ٭ الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ٭ مناسبة ضرب هذا المثل انه تعالى لما بين ضلالهم في اشراكهم
بالله غيره وهو لا يجلب نفعا ولا ضرا لنفسه ولا لعابده ضرب لهم مثلا قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف
وحر غني يتصرف فيما اتاه الله فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في
الانسانية فكيف تشركون بالله وتسوون به غيره من هو مخلوق له مقهور بقدرته من ادمي وغيره مع تباين
الاوصاف وان موجد الوجود لا يمكن ان يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل ان يشبه به غيره قال مجاهد
هذا مثل لله تعالى وللاصنام وقال قتادة للمؤمن والكافر فالكافر العبد المملوك لا ينتفع بعبادته في الاخرة
ومن رزقناه المؤمن وقال ابن جبير مثل للبخيل والسخي انتهى ولما كان لفظ عبد قد يطلق على الحر خصص بمملوك
ولما كان المملوك قد يكون له تصرف وقدرة كالماذون له والمكاتب خصص بقوله لا يقدر على شيء من التصرف
في المال لانه لا يقدر على اشياء من حركاته كالقيام والقعود والاكل والشرب والنوم وغير ذلك والظاهر كون
ومن موصولة اي والذي رزقناه وذلك لعطفها على المعرفة وما عطف على المعرفة معرفة وقال ابو البقا موصوفة قال
الزمخشري الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة وقال الحوفي
من بمعنى الذي ولا يقتضي ضرب المثل تخصيص موصوفين باوصاف متباينة بعينهما بل ما روي في تعيينهما
من انهما عثمان بن عفان وعبد له او انهما ابو بكر الصديق رضي الله عنه وابو جهل لا يصح اسناده وجمع
الضمير في يستوون ولم يثن لسبق اثنين لان من يحتمل ان يراد بها الجمع فيصير اذ ذاك جمع الضمير لا ينظر للمعنى

المملوك والاغنيا في الجمع فكانه قال عبدًا مملوكا والملاك المرزوقون المنفقون ويحتمل ان يراد بعبدًا مملوكا
الجنس فيصلح عود الضمير جمعا عليه وعلى جنس الاغنيا ويحتمل ان يعود على العبيد والاحرار وان لم يجر للجمعين ذكر
لدلالة عبدًا مملوكا ومن رزقناه عليهما قل الحمد لله الظاهر انه خطاب للرسول عليه السلام ويحتمل ان يكون
خطابا لمن رزقه الله امره ان يحمد الله على انعامه بما اعطاه على ذلك لضعيف وقال ابن عطية الحمد لله
شكر على بيان الامر بهذا المثل وعلى اذعان الخصم له كما تقول لمن اذعن لك في حجة وسلم ما تبين انت ملته فتقول
الله اكبر على هذا يكون كذا وكذا فلما قال هل يستوون فكان الخصم قال له لا فقال الحمد لله ظهرت الحجة
انتهى وقيل الحمد لله اي هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه اذ لا نعمة للاصنام عليهم فتحمد عليها انما
الحمد الكامل له لانه المنعم الخالق وقال ابن عباس الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد والظاهر
نفي العلم عن اكثرهم لانهم ولا ان منهم من بان له الحق ورجع اليه واكثر الخلق لان الاكثر هم المشركون وقيل المراد
لفظا العموم اي بل هم لا يعلمون ومتعلق يعلمون محذوف اما الان المعنى نفي العلم عن الاكثر ولم يلحظ متعلقه
واما لانه محذوف بنيت على الاقوال التي سببها قوله الحمد لله وضرب الله مثلا رجلين اي قصة رجلين
قال الزمخشري وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيد على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه
الدينية والدنياوية والتي هي اموات لا تضر ولا تنفع والابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو
كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيث ما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة
او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة
فهو يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم انتهى وقال ابن عباس
احدهما الابكم مثل للكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن وقال قتادة هذا مثل الله تعالى والاصنام فهي الابكم
الذي لا نطق له ولا يقدر على شيء وهو كل على من والاه قريب او صديق كما ان الاصنام تحتاج الى نقل
وتخدم ويتعذب بها ثم لا يأتي من جهتها خير البتة وعن قتادة ايضا وعزم هذا المثل ضربه الله عز
وجل لنفسه وللوثن والابكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى وهذا ليس كذلك
لانه قال مثلا رجلين فلا بد ان يكون مدلول الابكم الموصوف بتلك الصفات ومقابله رجل موصوف بما يقابل تلك
الصفات من النطق والقدرة والكفاية ولكنه حذف المقابل لدلالة مقابله عليه ثم قال هل يستوي ذلك الابكم
الموصوف بتلك الصفات والناطق فنفى ذكر استوائهما ايضا دليل على حذف المقابل فلما كان الابكم هو المبدا
به من الاوصاف وعنه تكون الاوصاف التي بعده قابله في الاستوا بالنطق وثمرته من الامر بالعدل وهو
وفي نفسه على طريقة مستقيمة تحت ما يوجه صدر فيه الخير ونفع وليس كالذي على احد وقد تقدم
في بداية العقول ان الابكم العاجز لا يكون مساويا في الفضل والشرف الناطق القادر الكامل مع استوائهما
في البشرية فالان يحكم بان الجماد لا يكون مساويا لرب العالمين في المعبودية احرى واولى وكما قلنا في المثل
السابق لا يحتاج الى تعيين المضروب بهما المثل وكذلك هنا فتعيين الآمر بالعدل بعمار او بابي بن خلف
وعثمان بن مظعون او بهاشم ابن عمرو بن الحارث الذي كان يعادي الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصح اسناده
وقرا عبد الله وعلقمة وابن وثاب ومجاهد وطلحة يوجه بهاء واحدة ساكنة مبنيا وفاعله ضمير يعود على مولاه
وضمير المفعول محذوف لدلالة المعنى عليه ويجوز ان يكون ضمير الفاعل عائدا على الابكم ويكون الفعل لازما
ما وجه بمعنى توجه كان المعنى اينما توجه وعن عبد الله ايضا توجهه بهاء التي بنا الخطاب والجمهور بالياء
والهاءين وعن علقمة وابن وثاب وطلحة يوجه بهاء واحدة ساكنة والفعل مبني للمفعول وعن علقمة وطلحة

يوجه

يوجه بكسر الجيم وهاء مضمومة قال صاحب اللوامح فان صح ذلك فان الهاء التي هي لام الفعل محذوفة فرارا من التضعيف
ولان اللفظ به صعب مع التضعيف ولم يرد به الشرط بل امر هو بتعدية اينما هو يوجه وقد حذف منه
ضمير المفعول به فيكون حذف اليا من لا يأت تخفيفا على التخفيف نحو يوم يأت واذا يسر انتهى ولا يخرج اينما عن الشرط
او الاستفهام وقال ابو حيان ثم هذه القراءة ضعيفة لان الجزم لازم انتهى فالذي نوجه عليه هذه القراءة
ان صحت ان اينما شرط ان حملت على اذا الجامع ما اشتركا فيه من الشرطية ثم حذفت اليا من لا يات تخفيفا
او جزمه على توهم انه نطق باينما المهملة معملة كقراءة من قرا انه من يتق ويصبر في احد الوجهين ويكون معنى
يوجه يتوجه فهو فعل لازم لا متعد ثم ذكر تعالى ان لله غيب السموات والارض وهو ما غاب عن العباد وخفي
فيما عنهم علمه والظاهر اتصاله بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اخبر باستيثاره بعلم غيب السموات
والارض بكمال قدرته على الاتيان بالساعة التي ينكرونها في لمحة البصر او اقرب والمعنى بهذا الاخبار
ان الالهة التي تعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان للاله وهما العلم المحيط بالمغيبات والقدرة
البالغة التامة ومن ذكر ان قوله ومن يأمر بالعدل هو الله تعالى ذكر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ان
من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة فبين ذلك بهذه الجملة وقيل
والغيب هنا ما لا يدرك بالحس ولا يفهم بالعقل وقال المفضل ما غاب عن الخلق هو في قبضته لا يعزب عنه
وقيل هو ما في قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية وقال الزمخشري اراد بغيب السموات والارض
يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم فيما كانت الساعة
اتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي في لمح البصر وانما وصف
سرعة القدرة على الاتيان بها اي يقول للشي كن فيكون وقيل هذا تمثيل للقرب كما تقول ما السنة
الا لحظة وقال الزمخشري هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشي الذي تستقربونه كلمح
البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان
اقامة الساعة واماتة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه
ان الله على كل شي قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات وقال
ابن عطية والمعنى على ما قال قتادة وغيره ما تكون الساعة واقامتها في قدرة الله تعالى الا ان
يقول لها كن فلو اتفق ان يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كلمح البصر
او هي اقرب من ذلك واو على ذلك على بابها في الشك وقيل هي للتخيير انتهى والشك والتخيير بعيدان
لان هذا اخبار من الله تعالى عن امر الساعة والشك مستحيل عليه ولان التخيير انما يكون في المحظورات
كقولهم خذ من مالي دينارا او درهما او في التكليفات كاية الكفارات والذي يظهر ان او هنا
للابهام على المخاطب كقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله اتاها امرنا
ليلا او نهارا وهو تعالى قد علم عددهم ومتى ياتيها امره كما علم امر الساعة لكنه ابهم على المخاطب
وكون او هنا للابهام ذكره الزجاج وقال القاضي هذا لا يصح لان اقامة الساعة ليست حال تكليف
حتى يقال انه تعالى ياتي بها في زمان يعني القاضي فيكون الابهام على المخاطب في ذلك الزمان وليس
زمان تكليف والذي نقوله ان الابهام وقع في الخطاب المتقدم على امر الساعة لا وقت الاتيان بها
وليس من شرط الابهام على المخاطب في الاخبار عن شي اتحاد زمان الاخبار وزمان وقوع ذلك الشي الا

تري في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون كيف تاخر زمان الاخبار عن زمان وقوع ذلك الارسال
ووجودهم مائة الف او يزيدون وقال ابو عبد الله الرازي لمح البصر انتقال الجسم بالطرف من اعلى الحدقة
وهي مؤلفة من اجزاء وتلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه اللمح مركب من آنات متعاقبة والله تعالى
قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات فلذلك قال او هو اقرب ولما كان اسرع الاحوال والحوادث
في عقولنا هو لمح البصر ذكره ثم قال او هو اقرب تنبيها على ما ذكرناه وليس المراد طريقة الشك فالمراد
بل هو اقرب انتهى وفيه بعض تلخيص وما ذكره من ان او بمعنى بل هو قول الفراء ولا يصح لان الاضراب على
قسمين كلاهما لا يصح هنا اما احدهما فان يكون ابطالا للاسناد السابق وانه ليس هو المراد وهذا
مستحيل هنا لانه يؤول الى اسناد غير مطابق والثاني ان يكون انتقالا من شيء الى شيء من غير ابطال لذلك
الشيء السابق وهذا مستحيل هنا للتنافي الذي بين الاخبار بكونه مثل لمح البصر في السرعة والاخبار
بالاقربية فلا يمكن صدقهما معا وقال صاحب الغنيان وهذا وان كان بمراد ذلك حقيقة الا ان
المقصود المبالغة على مذهب العرب وارباب النظم وما احسن قول الابلة الشاعر في المعنى • فانت
له البرق وقالت له الريح جميعا وبماما هما • انت تجري معنا • قال ان نطقتما ضحكتما منكما • انا ارتداد
الطرف قد فته • الى المنا سبقا فرانيتما • ولما ذكر الله تعالى امر الساعة وانها كائنة لا محالة فكان
في ذلك دلالة على النشأة الآخرة ونعيمهم وصعبهم بانتفاء العلم ذكر تعالى النشأة الاولى وهي اخراجهم
من بطون امهاتهم غير عالمين شيئا تنبيها على وقوع النشأة الآخرة ثم ذكر تعالى منتانه عليهم بجعل
الحواس التي هي سبب لادراك الاشياء والعلم ولما كانت النشأة الاولى وجعل ما يعلمون به من اعظم النعم
عليهم قال لعلكم تشكرون وتقدم الكلام في امهات في النساء وقرأ حمزة بكسر الهمزة والميم هنا وفي
النور والزمر والنجم والكسائي بكسر الهمزة فيهن والاعمش بحذف الهمزة وكسر الميم وابن ابي ليلى بحذفها
وفتح الميم قال ابو حاتم حذف الهمزة ردي ولكن قراءة ابن ابي ليلى اصوب انتهى وانما كانت اصوب لان
كسر الميم انما هو لاتباعها حركة الهمزة فاذا كانت الهمزة محذوفة زال الاتباع بخلاف قراءة ابن ابي ليلى فانه
اقر الميم على حركتها ولا تعلمون جملة حالية اي غير عالمين وقالوا لا تعلمون شيئا مما اخذ عليكم من الميثاق
في اصلاب ابائكم او شيئا مما قضى عليكم من السعادة او الشقاوة او شيئا من منافعكم والاولى اعط
شيء ولا سيما في سياق النفي وقال وهب يولد المولود خدرا الى سبعة ايام لا يدرك راحة ولا الما
ويحتمل وجعل ان يكون معطوفا على اخرجكم فيكون واحدا في حيز خبر المبتدا ويحتمل ان يكون استئناف اخبار
معطوفا على الجملة الابتدائية كاشفنا فيها والمراد بالسمع والابصار والافئدة احساسها وادراكها فعبر
عن ذلك بالآلة وقال ابو عبد الله الرازي ما معناه انما جمع قلة لانه انما خلق للمعارف الحقيقية اليقينية
واكثر الخلق مشغولون بالافعال البهيمية فكان فؤادهم ليس بفؤاد فلذلك ذكر في جمعه جمع القلة
انتهى ملخصا وهو قول هذياني ولولا جلالة قائله لنسطير في الكتب ما ذكرته وانما يقال في هذا
ما قاله الزمخشري انه من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما
جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجري ذلك المجرى انتهى الا ان دعوى الزمخشري انه لم يجي في جمع شسع الا
شسوع لا غير ليس بصحيح بل حكاه جمع القلة قالوا اشساع فكان ينبغي له ان يقول غلب شسوع وقرأ
ابن عامر وحمزة وطلحة والاعمش وابن هرمز من رواية الخطاب وباقي السبعة بالتاء قال ابن عطية
واختلف عن الحسن وعيسى الثقفي وعاصم وابي عمرو ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والنظر والعقل

والاولان

والاولان مدرك المحسوس والثالث مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فانه اعرف لما يشاهد
به من عظيم المخلوقات على بعدها المتفاوت كمشاهدته النيرات التي في الافلاك وجعلها هنا موضع الاعتبار
والتعجب الحيوان الطاير فان طيرانه في الهوى مع ثقل جسمه مما يتعجب منه ويعتبر به وتضمنت الاية ايضا ذكر
مدرك العقل في كونه لا يسقط اذ ليس تحته ما يدعمه ولا فوقه ما يتعلق به فيعلم بالعقل ان له ممسكا
قادرا على امساكه وهو الله تعالى كما قال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
فانتظم في الاية ذكر مدرك الحس ومدرك العقل ومعنى مسخرات مذللات وبني للمفعول دلالة على ان له
مسخرا وقال ابو عبد الله الرازي هذا دليل على قدرة الله وحكمته فانه تعالى خلق الطاير خلقة معها يمكنه
الطيران اعطاه جناحا يبسطه مرة ويكنه اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران
خلقة لطيفة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا انتهى وكلامه متفرع
من كلام القاضي قال انما اضاف الامساك الى نفسه لانه تعالى هو الذي اعطى الالات التي لاجلها يمكن
الطاير من تلك الافعال فلما كان هو المسبب لذلك صحت هذه الاضافة انتهى والذي نقوله انه كان يمكنه
ان يطير ولو لم يخلق له جناح وانه كان يمكنه خرق الشيء الكثيف وذلك بقدرة الله تعالى وان الممسك له في
جو السماء هو الله تعالى وقد قام الدليل على ان جميع الافعال كلها مخلوقة لله تعالى وقام الدليل على انه تعالى
هو الفاعل المختار فلا نقول انه لولا الجناح ولطف الجو ما امكن الطيران ولا لولا الالات ما امكن وقال
الزمخشري ما يوافق كلاهما قال مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له
ثم احسن اجراء في قوله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله تعالى بقدرته انتهى لايات
جمع ولم يفرد لما في ذلك من الايات خفة الطاير التي جعلها الله فيه لان يقع لها وثقله الذي جعله الله
فيه لان ينزل والفضاء الذي بين الجو والسماء والامساك الذي هو لله تعالى وجمع باعتبار ما في هذه الاية
والتي قبلها وقال لقوم يؤمنون لانهم هم الذين ينتفعون بالاعتبار ولتضمن الاية ان المسخر والممسك
لها هو الله تعالى فهو اخبار منه تعالى بما يصدق به الا المؤمن قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها
اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل
تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين • يعرفون نعمت الله
ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • لما ذكر تعالى ما من به عليهم من خلقهم وما خلق لهم من مدارك العلم ذكر ما
امتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم من الامور الخارجة عن ذواتهم من البيوت التي يسكنونها من الحجر
والمدر والاخشاب وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض وانشد الفراء هذا البيت
جاء الشتاء ولما اتخذ سكنا • يا ويح نفسي من حفر القرابص • وليس السكن بمصدر كما ذهب اليه ابن عطية
وكانه تعالى ذكر اولا ما غالب البيوت عليه من كونها لا تنتقل ليستقل الناس اليها ثم ذكر ثانيا ما من به عليهم
من المتخذ من جلود الانعام وهو ما ينتقل من القباب والخيام والفساطيط التي من الادم وذكر اولا
البيوت على طريقة العموم ثم ذكر بيوت الجلود خصوصا تنبيها على حال اكثر العرب فانهم لانتجاعهم انما بيوتهم
من الجلود والظاهر انه لا يندرج في البيوت التي من جلود الانعام بيوت الشعر وبيوت الصوف والوبر وقال
ابن سلام تندرج لانها ثابتة فيها فهي منها ومعنى تستخفونها تجدونها خفيفة الحمل في الضرب والنقض
والنقل يوم ظعنكم يوم ترحلون تخف عليكم حملها ونقلها ويوم نزولكم وتقيمون في مكان لم تثقل عليكم

ضربها وقيل اراد بالاستخفاف في دفتي السفر والحضر اي من النجعة والاقامة وقرى الحرميان وابو عمرو
ظعنكم بفتح العين وباقي السبعة بسكونها وهما لغتان وليس السكون بتخفيف كما جا في نحو الشعر والشعر
لمكان حرف الحلق والظاهر ان اثاثا مفعول والتقدير وجعل من اصوافها واوبارها واشعارها بيوتا فيكون
ذلك معطوفا على من جلود الانعام كما تقول جعلت لك من الكتان ثيابا ومن اللبن وفي التقدير الاول يكون قد
عطف مجرورا على مجرور ومنصوبا على منصوب كما تقول ضربت في الدار زيدا وفي القصر عمرا ولما لم يكن بلادهم
بلاد قطن وكتان وحرير اقتصر على هذه الثلاثة هنا واندرج في قوله سرابيل تقيكم الحر والمتاع ما يتمتع به
وقال ابن عباس الزينة وقال المفضل المتجر والمعاش وقال الخليل الاثاث والمتاع واحد وجمع بينهما لاختلاف
اللفظين كقوله والفى قولها كذبا ومينا وغيا تعالى ذلك بقوله الى حين وقال ابن عباس الى الموت وقال
مقاتل الى بلى ذلك الشي وقيل الى انقضا حاجتكم منه ولما ذكر تعالى ما من به عليكم مما سبق ذكره وكانت
بلادهم غالبا عليها الحر ذكر امتنانه عليهم بما يقيهم الحر من خلق الاجرام التي لها ظل كالشجر وغيره ما يمنع
من اذى الشمس وقال ابن عباس ومجاهد ظلال الغمام وقال ابن السايب ظلال البيوت وقال قتادة
والزجاج ظلال الشجر وقال ابن قتيبة ظلال الشجر والجبال والاكنان من الجبال هي الغيران والكهوف والبيوت
المنحوتة منها والسرابيل ما لبس على البدن من قميص وقرطق ومجول ودرع وجوشن ونحو ذلك من صوف
وكتان وغيرها واقتصر على ذكر الحر اما لان ما يقي الحر يقي البرد قاله الزجاج او وصف البرد لانه قد تقدم
عليه قاله المبرد او لانه اشق في تلك البلاد والبرد فيها معدوم في الاكثر واذا جاء ان يوقي بالاثاث
فيخلص السرابيل لتوقي الحر فقط قاله عطا الخراساني وهذا في بلاد الحجاز واما في غيرها من بلاد العرب
فيوجد فيها البرد الشديد كما قال متمم اذا القشع من برد الشتا تقعقعا ، وقال الاخر في ليلة من جمادى
ذات اندية ، والسرابيل التي تقي الناس هي الدروع قال كعب بن زهير شم العرانين ابطال لبوسهم من
نسج داود في الهيجا سرابيل ، والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره والباس في الاصل اللغة
الشدة وهنا الحرب وفي الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى تقيكم
اذى الحرب وهو ما يعرض فيها من الجراح الناشية من ضرب السيف والدبوس والرمح والسهم وغير ذلك مما يعد
للحرب كذلك اي مثل ذلك الاتمام للنعمة فيما سبق يتم نعمته في المستقبل وقرا ابن عباس تتم بتا مفتوحة نعمته
بالرفع اسند التمام اليها اتساعا وعنه نعمه جمعا وقرا لعلكم تسلمون بفتح التا واللام من السلامة والخلاص
فكانه تعليل لوقاية السرابيل من اذى الحرب وتسلمون من الشرك واما تسلمون في قراة الجمهور فالمعنى تومنون
او تنقادون لان النظر في نعم الله تعالى يفضي الى الايمان والانقياد وروي ان اعرابيا سمع قوله تعالى والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا الى اخر الايتين فقال عند كل نعمة اللهم نعم فلما سمع لعلكم تسلمون قال اللهم هذا
فلا فنزلت فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان
تتولوا وحذفت التا ويكون جاريا على الخطاب السابق والماضي على الالتفات والفا وما بعدها جواب الشرط
صورة والجواب حقيقة محذوف اي فانت معذور اذا اديت ما وجب عليك فاقيم سبب العذر وهو
البلاغ مقام المسبب لدلالته عليه وقال ابن عطية المعنى ان اعرضوا فلست بقادر على خلق الايمان
في قلوبهم وانما عليك ان تبين وتبلغ امر الله ونهيه انتهى ثم اخبر عنهم على سبيل التقريع والتوبيخ ،
بانهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وعرفانهم للنعم التي عدت عليهم حيث يعترفون بها وانها منه
تعالى وانكارهم لها حيث يعبدون غير الله وجعل ذلك انكارا على سبيل المجاز اذا لم يرتبوا على معرفة نعمه

تعالى

تعالى مقتضاها من عبادته وافراده بالعبادة دون ما نسبوا اليه من الشركا قال قريبا من هذا المعنى مجاهد
وقال السدي النعمة هنا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى يعرفون معجزاته واياب نبوته وينكرون ذلك
بالتكذيب ورجحه الطبري وعن مجاهد ايضا انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا وعن ابن عون اضافتها
الى الاسباب لا الى مسببها عز وجل وحكى صاحب الغنيان يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخا وقيل
انكارهم هي شفاعة الاصنام عند الله وقيل يعرفونها بقلوبهم فيها ثم ينكرونها بترك الشكر عليها وقيل
يعرفونها بقلوبهم ثم ينكرونها بالسنتهم والظاهر ان المراد باكثرهم موضوعه الاصلي وقال الحسن
وكلهم ما من احد يقوم بواجب حق الشكر فجعله من كفران النعمة والظاهر ان الكفر هنا هو مقابل
الايمان وقيل اكثر اهل مكة لان منهم من ابى وقيل معنى الكافرون الجاحدون المعاندون لان فيهم من
كان جاهلا لم يعرف فيعاند وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على انكارهم مستبعد بعد
حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يوذن
للذين كفروا ولا هم يستعتبون ، واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هولا شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ، الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ، ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
وجينا بك شهيدا على هولا ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ،
لما ذكر انكارهم لنعمة الله تعالى ذكر حال القيامة حيث لا ينفع فيها الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم
وانتصب يوم باضمار اذكر قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية وابو البقا وقال الزمخشري او ويوم نبعث
وقعوا فيما وقعوا فيه وقال الطبري هو معطوف على ظرف محذوف العامل فيه ثم ينكرونها اي ينكرونها
اليوم ويوم نبعث اي ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد والشهيد نبي تلك الامة يشهد عليهم بايمانهم
وبكفرهم ومتعلق الاذن محذوف وقيل في الرجوع الى دار الدنيا وقيل في الكلام والاعتذار كما قال
هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون اي بعد شهادة انبيايهم عليهم والا فقبل ذلك تجادل كل
امة عن نفسها وجا كلامهم في ذلك ولكنها مواطن يتكلمون في بعضها ولا ينطقون في بعضها ولا هم ،
يستعتبون اي فزال عنهم العتب وقال قوم معناه لا يسالون ان يرجعوا عن ما كانوا عليه في الدنيا
فهذا استعتاب معناه طلب عتباهم ونحوه قول من قال ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا
ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل قاله الزمخشري وقال الطبري معناه يعطون الرجوع الى الدنيا فيقع
منهم توبة وعمل قال الزمخشري فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبيا
بما هو اطم منه وانهم يمنعون الكلام فلا يوذن لهم في القاء معذرة ولا ادلا بحجة انتهى ولما كانت
حالة العذاب في الدنيا مخالفة لحال الاخرة اذ من راى العذاب في الدنيا رجا ان يوخر عنه وان وقع
فيه ان يخفف عنه اخبر تعالى ان عذاب الاخرة لا يكون فيه تخفيف ولا نظرة والظاهر ان جواب اذا
قوله فلا يخفف وهو على اضمار هو اي فهو لا يخفف لانه لولا تقدير الاضمار لم تدخل الفا لان جواب
اذا اذا كان مضارعا لا يحتاج الى دخول الفا سوا كان موجبا ام منفيا كما قال تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر وتقول اذا جا زيد لا يجي عمرو وقال الحوفي فلا يخفف
جواب اذا وهو العامل في اذا وقد تقدم لنا انما تقدم من ان الجواب في غير اما لا يعمل فيما قبله وبينا ان العامل

في إذا الفعل الذي يليها كما يراد في أدوات الشرط وإن كان ليس قول الجمهور، وجعل الزمخشري جواب إذا محذوفًا
تقال وقد قدر العامل في ويوم نبعث محذوفًا قال ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك فإذا رأوا
العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية
انتهى. والظاهر أن قوله شركاءهم عام في كل من اتخذوه شريكًا لله من صنم ووثن وآدمي وشيطان
وملك فيكذبهم فيه من له عقل منهم فيكون فألقوا عائدًا على من له الكلام ويجوز أن يكون عامًا ينطق
الله تعالى بقدرته الأوثان والأصنام، وإضافة الشركاء إليهم على هذا القول لكونهم هم الذين جعلوهم
شركاء لله تعالى، وقال الحسن شركاءهم الشياطين في الأموال والأولاد كقوله تعالى وشاركهم
الآية، وقيل شركاءهم في الكفر، وعلى القول الأول شركاؤهم في أن اتخذوهم آلهة مع الله تعالى وعبدوهم
أو شركاؤهم من أن جعلوا لهم نصيبًا من أموالهم وأنعامهم، والظاهر أن القول منسوب إليهم حقيقة
وقيل منسوب إلى جوارحهم لأنهم لما أنكروا الإشراك بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أصمت الله ألسنتهم
وأنطق جوارحهم، ومعنى ندعو نعبد، قالوا ذلك رجاء أن يشركوا معهم في العذاب إذ يحصل التأسي أو
اعتذارًا عن كفرهم إذ زين لهم الشيطان ذلك وحملوهم عليه إن كان الشركاء هم الشياطين، وقال
أبو مسلم الأصبهاني قالوا ذلك إحالة هذا الذنب على تلك الأصنام وظنوا أن ذلك ينجيهم من عذاب الله
إذ ينقص من عذابهم بعده، هذا تكذيبهم تلك الأصنام، وقال القاضي هذا بعيد لأن الكفار يعلمون علمًا
ضروريًا في الآخرة أن العذاب سينزل بهم ولا نصرة ولا فدية ولا شفاعة، وتقدم الإخبار بأنهم شركاء
فالإخبار بأنهم كانوا يدعونهم أي يعبدونهم فاحتمل التكذيب أن يكون عائدًا للإخبار الأول أي لستم شركاء
لله في العبادة ولا الإلهية بل هو الله تعالى عن أن يكونوا شركاء له، واحتمل أن يكون عائدًا على الإخبار الثاني
وهو العبادة لما لم يكونوا راضين بالعبادة جعلوا عبادتهم كلا عبادة، أو لما لم يدعوهم إلى العبادة ألا
ترى أن الأصنام والأوثان لا شعور لها بالعبادة فضلًا عن أن تدعو، وأن من عبد من صالحي المؤمنين
والملائكة لم يدع إلى عبادته، وإن كان الشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في إخبارهم بكذب من
عبدهم كما كذب إبليس في قوله إني كفرت بما أشركتمون من قبل، والضمير في فألقوا إلى الله عائد على الذين
أشركوا قاله الأكثرون، والسلم الاستسلام والانقياد لحكم الله تعالى بعد الإباء والاستكبار في الدنيا
فلم يكن لهم إذ ذاك حيلة ولا دفع، وروى يعقوب عن أبي عمرو السلْم بإسكان اللام، وقرأ مجاهد بضم السين
واللام، وقيل الضمير عائد على الذين أشركوا وشركائهم كلهم، قال الكلبي استسلموا منقادين لحكمه، والضمير
في وضلوا عائد على الذين أشركوا خاصة أي وبطل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله شركاء وأنهم
ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم، والظاهر أن الذين مبتدأ وزدناهم الخبر
وقال ابن عطية يحتمل أن يكون قوله الذين بدلًا من الضمير في يفترون وزدناهم فعل مستأنف
إخبار، هم وصدوا عن سبيل الله أي غيرهم زدناهم عذابًا بسبب الصد فوق العذاب الذي ترتب لهم
على الكفر ضاعفوا كفرهم فضاعف الله عقابهم، وهذه الزيادة عن ابن مسعود حيات كأمثال النخل
الطوال وعنجبات كأمثال الفيلة وعقارب كأمثال البغال، وعن ابن عباس أنهار من صفر
مذاب تسيل من تحت العرش يعذبون بها، وعن الزجاج يخرجون من حر النار إلى الزمهرير فيبادرون
من شدة برده إلى النار، وعلل تلك الزيادة بكونهم مفسدين غيرهم وحاملهم على الكفر، وفي كل أمة
فيها حذف في السابق من أنفسهم وأثبته هنا وحذف هنالك في وأثبته هنا والمعنى في كلاهما أنه

يبعث

يبعث نبيًا الأمم منهم فهو خطاب في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم والإشارة بهؤلاء إلى أمته، وقال
ابن عطية ويجوز أن يبعث الله تعالى شهداء من الصالحين مع الرسل، وقد قال بعض الصحابة إذا رأيت أحدًا على معصية
فانهه فإن أطاعك وإلا كنت عليه شهيدًا يوم القيامة، وكان الشهيد من أنفسهم لأنه كان للجن رسل منهم
في الدنيا من أنفسهم، وقال الأصم أبو بكر الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الإنسان حتى تشهد عليه
لأنه قال في صفة الشهيد من أنفسهم، وهذا بعيد لمقابلته بقوله وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء، ومقتضى الكلام
أن الشهيد على الأمم أنبياؤهم، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلنا استئناف إخبار وليس داخلًا مع
ما قبله لاختلاف الزمانين، لما ذكر ما شرفه الله به من الشهادة على أمته ذكر ما أنزل عليه مما فيه بيان
كل شيء من أمور الدين ليزيح بذلك عللهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة، والظاهر أن تبيانًا مصدر
جاء على تفعال وإن كان باب المصدر أن يجيء على تفعال بالفتح كالترداد والتطواف، ونظير تبيان في كسر
تائه تلقاء، وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن، وقال ابن عطية تبيانًا اسم وليس بمصدر وهو قول أكثر
النحاة، وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أنه مصدر ولم يجئ على تفعال من المصادر إلا ضربان
وتبيان، قال الزمخشري فإن قلت كيف كان القرآن تبيانًا لكل شيء قلت المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين
حيث كان نصًا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته
وقيل وما ينطق عن الهوى، وحثًا على الإجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين، وقد رضي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس
والاجتهاد مستندة إلى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانًا لكل شيء انتهى، وقوله وقد رضي رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع
لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم في رسالته
في إبطال الرأي والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصه هذا خبر مكذوب موضوع باطل
لم يصح قط، وذكر إسناده إلى البزار صاحب المسند قال سألتم عما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مما
في أيدي العامة ترويه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما مثل أصحابي كمثل النجوم أو كالنجوم
بأيها اقتدوا اهتدوا، وهذا الكلام لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواه عبد الرحيم بن زيد العمي
عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أتى ضعف هذا الحديث من قبل
عبد الرحيم لأن أهل العلم سكتوا عن الرواية لحديثه، والكلام أيضًا منكر ولم يثبت، والنبي صلى الله عليه وسلم
لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه، هذا نص كلام البزار، وقال ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشيء
وقال البخاري هو متروك، ورواه أيضًا حمزة الجزري وحمزة هذا ساقط متروك، وانتصب تبيانًا على الحال ويجوز
أن يكون مفعولًا من أجله، وللمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى هو متعلق بهدى ورحمة، المفردات
النقض ضد الإبرام وهو في الجرم فك أجزائه بعضها من بعض، التوكيد التثبيت ويقال توكيد وتأكيد وهما
لغتان، وزعم الزجاج أن الهمزة بدل من الواو وليس بجيد لأن التصريف جاء في التركيبين فدل على أنهما
أصلان، الغزل معروف وفعله غزل يغزل بكسر الزاي غزلًا، وأطلق المصدر على المغزول، نقد التي ينقد فيني
الأعجمي الذي لا يتكلم بالعربية، قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد

توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون • ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم
يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون • وعن ابن عباس في حديث فيه طول منه أن عثمان بن مظعون كان
جليس النبي صلى الله عليه وسلم وقتاً فقال له عثمان ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة قال وما رأيتني فعلت قال
شخص بصرك إلى السما ثم وضعته على يمينك فتحرفت عني إليه وتركتني فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه
شيئاً يقال لك قال أو فطنت لذلك أتاني رسول الله آنفاً وأنت جالس قلت فما قال لك قال قال لي
إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي فأحببت محمداً صلى
الله عليه وسلم لما ذكر الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وصل به ما يقتضي التكاليف فرضاً
ونفلاً وأخلاقاً وآداباً والعدل فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أدا الأمانات وترك
الظلم والإنصاف وإعطا الحق والإحسان فعل كل مندوب إليه قاله ابن عطية وقال الزمخشري العدل
هو الواجب لأن الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم والإحسان الندب
وإنما علق أمره بهما جميعاً لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب انتهى وفي قوله تحت طاقتهم
نزعة الاعتزال وعن ابن عباس العدل لا إله إلا الله والإحسان أدا الفرايض وعنه أيضاً أن العدل هو
الحق وعن سفيان ابن عيينة أنه استوا السريرة والعلانية في العمل وذكر الماوردي أنه القضا بالحق
قال الله تعالى وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل وقال أبو سليمان العدل في لسان العرب الإنصاف وقيل
خلع الأنداد وقيل العدل في الأفعال والإحسان في الأقوال وإيتاء ذي القربى هو صلة الرحم وهو مندرج
تحت الإحسان لكنه نبه عليه اهتماماً به وحضاً على الإحسان إليه والفحشا الزنا أو ما شنعته ظاهرة
من المعاصي وفاعلها أبداً مستتر بها أو القبيح من فعل أو قول أو البخل أو موجب الحد في الدنيا والعذاب في
الآخرة أو مجاوزة حد من حدود الله أقوال أولها لابن عباس والمنكر الشرك عن مقاتل أو ما وعد عليه بالنار
عن ابن السايب أو مخالفة السريرة العلانية عن ابن عيينة أو ما لا يوجب الحد في الدنيا لكن العذاب في
الآخرة أو ما تنكره العقول أقوال وظاهره أنه أعم من الفحشا لاشتماله على المعاصي والرذايل والبغي التطاول
بالظلم والسعاية فيه هو داخل في المنكر ونبه عليه اهتماماً باجتنابه وجمع في المأمور به والمنهي عنه
بين ما يجب ويندب وما يحرم ويكره لاشتراك ذلك في قدر مشترك وهو الطلب في الأمر والترك في
النهي وقال أبو عبد الله الرازي أمر بثلاثة ونهى عن ثلاثة فالعدل التوسط بين الإفراط والتفريط وذلك
في العقائد وأعمال الرعاة وقال ابن عباس العدل لا إله إلا الله وهو إثبات لإله الواحد فليس تعطيلاً
محضاً ولا إثباتاً أكثر من إله وإثبات كونه عالماً قادراً وأحد الصفات فليس نفياً للصفات ولا إثبات
صفة حادثة متغيرة وكون فعل العبد بواسطة قدرته تعالى والداعية التي جعلها فيه فليس جبراً محضاً
ولا استقلالاً بالفعل وكونه تعالى يخرج من النار من دخلها من أهل التوحيد فليس إرجا ولا تخليداً بالمعصية
وأما أعمال الرعاة والتكاليف اللازمة لهم فليس قولاً بأنه لا تكليف ولا قولاً بتعذيب النفس واجتنابها ما
يميل الطبع إليه من أكل الطيب والتزوج وذي النفس من شاهق والقصاص والدية أو العفو فليس تشديداً
في تعيين القصاص كشريعة موسى عليه السلام ولا عفواً حتماً كشريعة عيسى عليه السلام وتجنب الحايض
في اجتناب وطيها فقط فليس اجتناباً مطلقاً كشريعة موسى عليه السلام ولا حل وطيها حال الحيض كشريعة
عيسى عليه السلام والاختتان فليس إبقا القلفة ولا قطعاً للآلة كما ذهب إليه المانوية وقال تعالى

وكذلك

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ولا تجعل يدك مغلولة إلى
عنقك ولا تبسطها كل البسط ومن المشهور قولهم بالعدل قامت السموات والأرض ومعناه أن مقادير العناصر لو
لم تكن متفادة وكان بعضها أزيد لغلب الازدياد وانقلبت الطبايع فالشمس لو قربت من العالم لعظمت السخونة
واحترق ما فيه ولو زاد بعدها لم يستو الحر والبرد وكذا مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها
والإحسان الزيادة على الواجب من الطاعات بحسب الكمية والكيفية والدواعي والصوارف والاستغراق في
شهود مقامات العبودية والربوبية ومن الإحسان الشفقة على الخلق وأصلها صلة الرحم والمنهي عنه
ثلاثة وذلك أنه أودع في النفس البشرية قوى أربعة الشهوانية وهي تحصيل اللذات والغضبية وهي إيصال
الشر والوهمية وهي شيطانية تسعى في الترفع والترؤس على الناس فالفحشا ما نشأ عن القوة الشهوانية
الخارجة عن أدب الشريعة والمنكر ما نشأ عن الغضبية والبغي ما نشأ عن الوهمية انتهى ملخصاً من كلامه عفا
الله عنه ولما أمر تعالى بتلك الثلاث ونهى عن تلك الثلاث قال يعظكم به أي بما ذكر تعالى من أمره ونهيه والمعنى
ينبهكم أحسن تنبيه لعلكم تذكرون أي تتنبهون لما أمرتم به ونهيتم عنه • وعهد الله عام لما عقده
الإنسان والتزمه مما يوافق الشريعة وقال الزمخشري هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله انتهى وكأنه لحظ ما قيل إنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم رواه عن بريدة وقال قتادة ومجاهد فيما كان من تحالف الجاهلية في أمر بمعروف أو نهي عن منكر
وقال ميمون ابن مهران الوفا لمن عاهدته مسلماً كان أو كافراً وإنما العهد لله وقال الأصم الجهاد وما فرض
في الأموال من حق وقيل اليمين بالله ولا تنقضوا العهود الموثقة بالأيمان نهى عن نقضها تهمماً بها بعد
توكيدها أي توثيقها باسم الله وكفالة الله شهادته ومراقبته لأن الكفيل مراع حال المكفول به ولا
تكونوا أي في نقض العهد بعد توكيده بالله كالمرأة الورها التي تبرم فتل غزلها ثم تنقضه نكثاً وهو ما غزل
قبله والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به وقال السدي وعبد الله ابن كثير هي امرأة حمقا كانت بمكة
وعن الكلبي ومقاتل هي من قريش خرقا اسمها ريطة بنت سعد بن تيم تلقب جعرا تتخذ مغزلاً قدر ذراع
وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن وعن مجاهد هذا فعل نسا أهل نجد ينقض إحداهن غزلها ثم تنفشه وتخلطه بالصوف ثم
تغزله وقال ابن الأنباري ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الخرقا من أهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين
والظاهر أن المراد بقوله من بعد قوة أي شدة حدثت من تركيب قوى الغزل ولو قدرناها واحدة القوى لم
تكن تنتقض أنكاثاً والنكث في اللغة الحبل إذا انتقضت قواه وقال مجاهد المعنى من بعد إمرار قوة والدخل
الفساد والدغل جعلوا الأيمان ذريعة إلى الخداع والغدر وذلك أن المحلوف له مطمئن فيمكن الحالف الضرر
بما يريد قالوا ونزلت في العرب كانوا إذا حالفوا قبيلة فجا أكثر منها عدداً حالفوه وغدروا بالتي كانت تحالف
وقيل أن تكونوا أنتم أزيد خيراً فأسند إلى أمة فالمراد المخاطبون وقال ابن عطية الدخل الداخل في الشي لم يكن
منه ودخلاً مفعول من أجله وأن تكون أي بسبب أن تكون وهي أربى مبتدأ وخبر وأجاز الكوفيون أن
تكون هي عماداً يعنون فصلاً فيكون أربى في موضع نصب ولا يجوز ذلك عند البصريين لتنكير أمة والضمير
في به عائد على المصدر المنسبك من أن تكون أي بسبب كون أمة أربى من أمة يختبركم بذلك قال الزمخشري
لينظر أتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة للرسول أم
تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم إنذار وتحذير •

من مخالفة ملة الاسلام انتهى وقيل يعود على الوفا بالعهد وقال ابن جبير وابن الشايب ومقاتل يعود على الكثرة وقال ابن
الانباري لما كان تاتيثها غير حقيقي حمل على معنى التذكير كما حمل الصيحة على الصياح **قوله تعالى** ولو شا الله لجعلكم
امة واحدة ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السو بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله
ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون • هذه المشيئة مشيئة اختيار على مذهب اهل السنة ابتلى الناس بالامر والنهي
ليذهب كل الى ما يتيسر له وذلك لحق الملك لا يسئل عما يفعل ولو شا لكانوا كلهم على طريق واحد اما هدى
واما ضلالة ولكنه قسم فناس للسعادة وناس للشقاوة فخلق الهدى والضلال وتوعد بالسوال عن العمل
وهو سوال توبيخ لا سوال تفهم وسوال التفهم هو المنفي في ايات ومذهب المعتزلة ان هذه المشيئة مشيئة
قسر قال العسكري الى الهداية قادر على ان يجمعكم على الاسلام قهرا فلم يفعل ذلك وخلقكم ليعذب من يشا
على الطاعة معصيته ويثيب من يشا على طاعته ولا يشا شيئا من ذلك الا ان يستحقه ويجوز ان يكون المعنى
انه لو شا خلقكم في الجنة ولكن لم يفعل ذلك ليثيب المطيعين منكم ويعذب العصاة ثم قال ولتسئلن عما
كنتم تعملون يعني سوال المحاسبة والمجازاة وفيه دليل على ان الاضلال في الاية العقاب ولو كان الاضلال
عن الدين لم يكن لسواله اياهم معنى وقال الزمخشري امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجا والاضطرار
وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشا وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم
عليه ويهدي من يشا وهو ان يلطف بمن علم الله انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى
ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق شي من ذلك
وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال له والاهتدا لما اثبت لهم عملا
يسالون عنه انتهى قالوا وكرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا تهمما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه
قال ابن عطية وتردده في معاملات الناس وقال الزمخشري تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه
انتهى وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لان الاول نهي فيه عن الدخول في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة
وهنا نهي عن الدخول في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكانه قال دخلا بينكم لتتوصلوا بها
الى قطع اموال المسلمين وقول لم يتكرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبار بانهم اتخذوا ايمانهم
دخلا معللا بشي خاص وهو ان يكون امة هي اربى من امة وجا النهي بقوله ولا تتخذوا استينافا
انشا عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور في الحلف في المبايعة وقطع الحقوق
المالية وغير ذلك وانتصب فتزل على جواب النهي وهو استعارة لمن كان مستقيما ووقع في امر عظيم
وسقط لان القدم اذا زلت تقلب الانسان من حال خير الى حال شر قال كثير فلما توافينا ثبت وزلت
قال الزمخشري فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها فان قلت لم وحدت القدم ونكرت
قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة انتهى وتقول
الجمع تارة يلحظ فيه المجموع كان الاسناد من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ
فيه المجموع كان الاسناد معتبرا فيه الجمعية واذا لوحظ كل فرد فرد كان الاسناد مطابقا للفظ الجمع
كثيرا فيجمع ما اسند اليه ومطابقا لكل فرد فرد فيفرد كقوله واعتدت لهن متكا افرد متكا لما كان

لوحظ

لوحظ في قوله لهن معنى كل واحدة ولو جا مرادا به الجمعية او على الكثير في الوجه الثاني لجمع المتكا وعلى
هذا ينبغي ان يحمل قول الشاعر • فاني وجدت الضامرين متاعهم يموت ويفنى فارضخي من وعايا •
اي رايت كل ضامر ولذلك افرد الضمير في يموت ويفنى فلما كان المعنى هنا لا يتخذ كل واحد منكم جاء
فتزل قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتذوقوا مراعاة للمجموع او للفظ الجمع على الوجه الكثير اذا قلنا ان الاسناد
لكل فرد فرد فتكون الاية قد تعرضت للنهي عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل
على ذلك بافراد قدم وبجمع الضمير في وتذوقوا بما صددتم اي بصدودكم او بصدكم
غيركم لانهم لو نقضوا الايمان فارتدوا لاتخذ نقضها سنة لغيرهم فيستنون بها وذوق السو في
الدنيا ولكم عذاب عظيم اي في الاخرة والسو ما يسوءهم من قتل ونهب واسر وجلا وغير ذلك مما يسوء
قال ابن عطية وقوله صددتم عن سبيل الله يدل على ان الاية فيمن تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا
فسر الزمخشري قال لانهم اذا نقضوا ايمان البيعة ولا يدل على ذلك بخصوصيته بل نقض الايمان في البيعة
مندرج في العموم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا هذا نهي عن نقض ما بين الله تعالى والعبد لاخذ حطام من
عرض الدنيا قال الزمخشري كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم ما راوا من غلبة قريش
واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول
الله ثمنا قليلا عوضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله
من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم وقال ابن عطية هذه الاية نهي عن الرشا واخذ
الاموال على ترك ما يجب على الاخذ فعله او فعل ما يجب عليه تركه فان هذه هي التي عهد الله الى
عباده فيها وبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرة بان هذه تنفد وتنقضي عن الانسان
وينقضي عنها والتي في الاخرة باقية دائمة ودل قوله ما عند الله باق على ان نعيم الجنة لا ينقطع وفي
ذلك حجة على جهم بن صفوان اذ زعم ان نعيم الجنة منقطع • وقرا عاصم وابن كثير ولنجزين بالنون
وباقي السبعة بالياء وصبروا اي جاهدوا انفسهم على ميثاق الاسلام واذى الكفار ومن المعاصي
وكسب المال بالوجه الذي لا يحل باحسن ما كانوا يعملون قيل من التنفل بالطاعات وكانت احسن لانها
لم تجب عليهم فكان الانسان ياتي بالتنفلات مختارا غير ملزوم بها وقيل ذكر الاحسن ترغيبا في عمله
وان كانت المجازاة على الحسن والاحسن وقيل الاحسن هنا بمعنى الحسن فليس افعل التي للتفضيل والذي
يظهر ان المراد بالاحسن هنا الصبر اي ولنجزين الذين صبروا بصبرهم اي بجزاء صبرهم وجعل الصبر
هنا احسن الاعمال لاحتياج جميع التكاليف اليه كالصبر هو راسها فكان الاحسن لذلك ومن صالحة
للعموم والمذكور فرعهما لكن يتبادر الى الذهن الاقرار والتذكير فعين بالنوعين ليعم الوعد كلاهما
وهو مومن جملة حالية والايمان شرط في العمل الصالح مخصص لقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
او يراد بمثقال ذرة من ايمان كما جا من يخرج من النار من عصاة المومنين والظاهر من قوله فلنحيينه
حياة طيبة ان ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور ويدل عليه قوله ولنجزينهم اجرهم يعني في الاخرة
وقال الحسن ومجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد ذلك في الجنة وقال شريك في القبر وقال علي
ووهب بن منبه وابن عباس والحسن في رواية عنهما هي القناعة وعن ابن عباس ايضا والضحاك
الرزق الحلال وعنه ايضا السعادة وقال عكرمة الطاعة وقال قتادة رزق يوم بيوم وقال اسمعيل

ابن ابي خالد الرزق الطيب والعمل الصالح وقال ابو بكر الوراق حلاوة الطاعة وقيل العافية وقيل الكفاية وقيل الرضا بالقضا
ذكرهما الماوردي وقال الزمخشري يعني المؤمن مع العمل الصالح ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب
عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله عز وجل والفاجر ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا
فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وقال ابن عطية الحياة للصالحين بانبساط نفوسهم ونبلها وقوة رجائهم
والرجاء للنفس امر ملذ وبانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة
وقناعة فذاك كمال والا فالطيب فيما ذكرنا راتب وعاد الضمير في فلنحيينه على لفظ من مفردا وفي ولنجزينهم
على معناها من الجمع جمع وروي عن نافع وليجزينهم بالياء بدل النون التفت من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة ٥
وينبغي ان يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية
وكلتاهما محذوفة ولا يكون من عطف جواب على جواب لتغاير الاسنادين وافضاء الثاني الى اخبار المتكلم عن
نفسه باخبار الغائب وذلك لا يجوز فعلى هذا لا يجوز زيد قلت والله لاضربن هندا ولينفينها يريد
ولينفينها زيد فان جعلته على اضمار قسم ثان جاز اي وقال زيد لينفينها لان لك في هذا التركيب ان
تحكي لفظه وان تحكي على المعنى فمن الاول وليحلفن بالله ان اردنا الا الحسنى ومن الثاني يحلفون بالله ما قالوا
ولو جاء على اللفظ لكان ما قلنا **قوله تعالى** فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له
سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ٥ انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون ٥ قل نزله روح
القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ٥ لما ذكر تعالى وانزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء وذكر اشياء مما بين في الكتاب ثم ذكر قوله من عمل صالحا ذكر ما يصون به القارئ قراءته من
وسوسة الشيطان ونزغه فخاطب السامع بالاستعاذة منه اذا اخذ في القراءة فان كان الخطاب للرسول
لفظا فالمراد امته اذ كانت قراءة القرآن من اجل الاعمال الصالحة كما ورد في الحديث ان ثواب قراءة كل حرف
عشر حسنات والظاهر تعقب الاستعاذة وقد روي ذلك بعض الرواة عن حمزة وروي عن ابن سيرين انه
قال كلما قرأت الفاتحة حين تقول آمين فاستعذ وروي عن ابي هريرة ومالك وداود تعقيبها القراءة
كما روي عن حمزة والجمهور على ترك هذا الظاهر وتأويله بمعنى فاذا اردت القراءة قال الزمخشري لان
الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان بسبب قوي وملابسة ظاهرة
كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله وقال ابن عطية فاذا وصلة
بين الكلامين والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير الاية فاذا اخذت في قراءة القرآن فاستعذ امر
بالاستعاذة فالجمهور على الندب وعن عطاء الوجوب والظاهر طلب الاستعاذة عند القراءة مطلقا والظاهر
ان الشيطان المراد به ابليس واعوانه وقيل عام في كل متمرد عات من جن او انس كما قال شياطين الجن
والانس واختلف في كيفية الاستعاذة والذي صار اليه الجمهور من القراء وغيرهم واختاروه اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم لما روى عبد الله بن مسعود وابو هريرة وجبير بن مطعم عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه استعاذ عند القراءة بهذا اللفظ بعينه ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين
والسلطان هنا التسلط والولاية والمعنى انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من
اتباع خطواته كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكما اخبر تعالى عنه وقال في قصة

اوليائه

اوليائه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل المراد بالسلطان الحجة وظاهر
الاخبار انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقا وقيل ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه وقيل ليس له قدرة
ان يحملهم على ذنب والضمير في به عائد على ربهم وقيل على الشيطان وهو الظاهر لاتفاق الضمائر والمعنى ٥
والذين هم باشراكهم ابليس مشركون بالله او تكون الباء للسببية والامر بالاستعاذة يقتضي انها تصرف
كيد الشيطان كانها متضمنة التوكل على الله تعالى والانقطاع اليه ولما ذكر تعالى انزال الكتاب تبيانا لكل
شيء وامر بالاستعاذة عند قراءته ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لاوليائه المشركين وما يلقيه اليهم
من الاباطيل فالقى اليهم انكار النسخ لما رأوا تبديل آية مكان آية وتقدم الكلام في النسخ في البقرة والظاهر
ان هذا التبديل رفع آية لفظا ومعنى ويجوز ان يكون التبديل لحكم المعنى وابقاء اللفظ ووجد الكفار بذلك
طعنا في الدين وما علموا ان المصالح تختلف بحسب الاوقات والاشخاص وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في
شريعة واحدة واخبر تعالى انه العالم بما ينزل لا انتم وما ينزل مما نقره وما نرفعه فرجع على ذلك الاية
وهو على حسب الحوادث والمصالح وهذه حكمة انزاله شيئا فشيئا وهذه الجملة اعتراض بين الشرط
وجوابه قيل ويحتمل ان يكون حالا وبالغوا في نسبة الافتراء للرسول عليه السلام بلفظ انما وبمواجهة الخطاب
وباسم الفاعل الدال على الثبوت وقال بل اكثرهم لان بعضهم يعلم ويكفر عنادا ومفعول لا يعلمون
محذوف لدلالة المعنى عليه اي لا يعلمون ان الشرائع حكم ومصالح وفي هذه الاية دلالة على وقوع نسخ
القرآن وروح القدس هنا هو جبريل عليه السلام بلا خلاف وتقدم لم سمي روح القدس واضاف الرب
الى كاف الخطاب تشريفا للرسول عليه السلام باختصاص الاضافة واعراضا عنهم اذ لم يضفه اليهم
وبالحق حال اي ملتبسا بالحق سواء كان ناسخا او منسوخا فكله مصحوب بالحق لا يعتريه شيء من الباطل
وليثبت معناه انهم لا يضطربون في شيء منه لكونه نسخ بل النسخ مثبت لهم على ايمانهم لعلمهم انه
جميعه من عند الله لصحة ايمانهم واطمئنان قلوبهم يعلمون انه حكيم وان افعاله كلها صادرة عن حكمة
فهي كلها صواب ودل اختصاص التثبيت بالمسلمين على اتصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم
وتزلزل عقائدهم وضلالهم وقرئ ليثبت مخففا من اثبت قال الزمخشري وهدى وبشرى مفعول
لهما معطوفان على محل ليثبت وتقدم الرد عليه في نحو هذا وهو قوله لتبين لهم الذي اختلفوا فيه
وهدى ورحمة في هذه السورة ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسبك من ان والفعل لانه مجرور
فيكون وهدى وبشرى مجرورين كما تقول جئت لاحسن الى زيد واكرام لخالد اذ التقدير لاحسان
الى زيد واجاز ابو البقاء ان يكون ارتفاع هدى وبشرى على اضمار مبتدا اي هو هدى وبشرى
ولما نسبوه عليه السلام للافتراء وهو الكذب على الله لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا ذلك الافتراء الذي نسبوه
هو من تعليم بشر اياه فليس هو المختلق بل المختلق غيره وهو ناقل عنه وظاهر قولهم انما انت مفتر ان معناه
مختلق الكذب ومفتريا في التعليم من البشر فيحتمل ان يكون قوله مفتر في نسبة ذلك الى الله ويحتمل ان يكونوا
فيه طائفتين طائفة ذهبت الى انه هو المفتري وطائفة انه يتعلم من البشر ونعلم مضارع اللفظ ٥
ومعناه المضي اي ولقد علمنا وجاء اسناد التعليم الى مبهم لم يعين فقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن
الحضرمي وقيل عايش ويعيش وكان صاحب كتب مولى لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وحسن اسلامه
قاله الفراء والزجاج وقيل ابو فكيهة اعجمي مولى لامراة بمكة قيل واسمه يسار وكان يهوديا قاله مقاتل
وابن جبير الا انه لم يقل يهوديا وقال ابن زيد كان رجلا حدادا نصرانيا اسمه يحنس وقال الحصين بن

كان

عبد الله بن مسلم كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر يسار وجبر وكانا يقرآن كتابًا لهما بلسانهم
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما وكان أحدهما يصقل السيوف فقال المشركون
يتعلم منهما فقيل لأحدهما ذلك فقال بل هو يعلمني وقال ابن عباس كان في مكة غلام أعجمي لبعض قريش يقال
له بلعام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه الإسلام فقالت قريش هذا يعلم محمدًا من جهة الأعاجم
وقال الضحاك الإشارة إلى سلمان الفارسي وضعف هذا ابن عطية بأن سلمان إنما أسلم بعد الهجرة وهذه
السورة مكية الآية عليه أنه مدني واللسان هنا اللغة وقرأ الحسن اللسان الذي بتعريف اللسان
بال والذي صفته وقرأ حمزة والكسائي يلحدون من لحد ثلاثيًا وهي قراءة عبد الله بن طلحة والسلمي
والأعمش ومجاهد وقرأ باقي السبعة وابن القعقاع بضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعيًا وهما بمعنى قال
الزمخشري يقال ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه
ثم استعير لكل إمالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه لأنه أمال دينه عن الأديان
كلها لم يمله من دين إلى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين
وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردًا لقولهم وإبطالًا لطعنهم انتهى وظاهر
قول الزمخشري أن اللسان في الموضعين اللغة وقال ابن عطية وهذا إشارة إلى القرآن والتقدير وهذا
سرد لسان أو نطق لسان فهو على حذف مضاف وهذا على أن يجعل اللسان هنا الجارحة واللسان
في كلام العرب اللغة ويحتمل أن يراد في هذه الآية وقال الكرماني المعنى أنتم أفصح الناس وأبلغهم
وأقدرهم على الكلام نظمًا ونثرًا وقد عجزتم وعجز جميع العرب عنه فكيف تنسبونه إلى أعجمي ألكن قال
الزمخشري فإن قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ما محلها قلت لا محل لها لأنها
مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله وإذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله انتهى ويجوز عندي أن يكون جملة حالية فموضعها
نصب وذلك أبلغ في الإنكار عليهم أي يقولون ذلك والحالة هذه أي علمهم بأعجمية هذا البشر
وإبانة عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانًا وهو قد أحسن إليك أي
علمك بإحسانه لك كان يقتضي منعك من شتمه وإنما ذهب الزمخشري إلى الاستئناف ولم يذهب إلى
الحال لأن من مذهبه أن مجيء الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدًا ومجيء
ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرة في كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفراء وأما الله أعلم فقطعًا
قوله فيها لا يصح جملة حالية من ضمير يعود على ذي الحال لأن ذا الحال هو ضمير قالوا وفي هذه الآ
ذو الحال ضمير يقولون والضمير الذي في جملة الحال هو ضمير الفاعل في يلحدون فالجملة وإن عريت
عن الواو ففيها ضمير ذي الحال قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب
أليم ● إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ● من كفر بالله من
بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم ● ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم
الكافرين ● أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ● لا جرم
أنهم في الآخرة هم الخاسرون ● ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن
ربك من بعدها لغفور رحيم ● لما ذكر تعالى نسبتهم الافتراء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه إنما

به

به من عند الله إنما يعلمه بشر كان ذلك تسجيلًا عليهم بانتفاء الإيمان فأخبر تعالى عنهم أنهم لا يهديهم الله
أبدًا إذا كانوا جاحدين لآيات الله وهو ما أتى به الرسول من المعجزات وخصوصًا القرآن فمن بالغ في جحد آيات
الله تعالى سد الله تعالى عليه باب الهداية وذكر تعالى وعيده بالعذاب الأليم لهم ومعنى لا يهديهم
لا يخلق الإيمان في قلوبهم وهذا عام مخصوص فقد اهتدى قوم كفروا بآيات الله وقال الزمخشري لا
يهديهم الله لا يلطف بهم لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب
وهو على طريقة الاعتزال وقال ابن عطية المفهوم من الوجود أن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته
ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخرهما تنبيهًا على فعلهم والتشنيع بخطابهم وذلك كقوله تعالى فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم والمراد ما ذكرناه فكأنه قال إن الذين لم يؤمنوا لم يهدهم الله انتهى وقال القاضي قوي ما
قيل في ذلك لا يهديهم الله إلى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب أليم والمراد أنهم لما تركوا الإيمان
بالله لا يهديهم الله إلى الجنة بل يسوقهم إلى النار وقال العسكري يجوز أن يكون المعنى أنهم إن لم يؤمنوا بهذه
الآيات لم يهتدوا والمراد بقوله لا يهديهم الله أي لا يهتدون وإنما يقال هدى الله فلانًا على الإطلاق
إذا اهتدى هو وأما من لم يقبل الهدى فإنه يقال إن الله هداه فلم يهتد كما قال تعالى فأما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى ثم رد قولهم إنما أنت مفتر بقوله إنما يفتري الكذب أي إنما يليق افتراء الكذب بمن لا
يؤمن لأنه لا يترقب عليه عقابًا ولما كان في كلامهم إنما وهي تقتضي الحصر عند بعضهم جاء الرد عليهم بإنما يفتري الذي
وجاء بلفظ يقتضي التجدد وهو يفتري وعلق الحكم على الوصف المقتضي للافتراء وهو انتفاء الإيمان وختم بقوله وأولئك
هم الكاذبون فاقتضى التوكيد البالغ والحصر بلفظ الإشارة والتأكيد بلفظ هم وإدخال أل على الكاذبون
وبكونه اسم فاعل يقتضي الثبوت والدوام فجاء يفتري يقتضي التجدد وجاء الكاذبون يقتضي الثبوت
والدوام قال الزمخشري وأولئك إشارة إلى قريش هم الكاذبون هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو إلى الذين
لا يؤمنون أي وأولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب
أو أولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون
في قولهم إنما أنت مفتر انتهى والوجه الذي بدأ به بعيد وهو أن وأولئك إشارة إلى قريش والظاهر
أن من شرطية في موضع رفع على الابتداء وهو استئناف إخبار لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب
ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالإيمان ورخص
له في النطق بكلمة الكفر إذا كان قلبه مؤمنًا وذلك مع الإكراه والمعنى إلا من أكره على الكفر تلفظ بكلمة الكفر
وقلبه مطمئن بالإيمان وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعده عليه تقديره من كفر من بعد الإيمان
غير المكرهين فعليهم غضب ويصح أن يكون الاستثناء مما تضمنه جواب الشرط المحذوف أي فعليهم غضب
إلا من أكره فلا غضب عليه ولا عذاب ولكن من شرح وكذا قدره الزمخشري على الجواب قبل الاستثناء في
قوله من جعل من شرطًا وقال ابن عطية وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء وقوله من شرح تخصيص
منه ودخل الاستثناء لإخراج عمار رضي الله عنه وشبهه ودنا من الاستثناء الأول الاستدراك بلكن وقوله
فعليهم خبر عن من الأولى والثانية إذ هو واحد بالمعنى لأن الإخبار في قوله من كفر إنما قصد به الصنف
الشارح بالكفر انتهى وهذا وإن كان كما ذكر فهما جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك
فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الإعراب
وقد ضعفوا مذهب الأخفش في ادعائه أن قوله فسلام لك من أصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب

جواب لاما ولان هذا ومما اذا نا شرط اهما تاتي الاخرى وعلى كون من في موضع رفع على الابتدا يجوز ان تكون
شرطيه كما ذكرنا ويجوز ان تكون موصولة وما بعدها صلتها والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه كما ذكرنا
في حذف جواب الشرط الا ان من الثانية لا يجوز ان تكون شرطا حتى يقدر قبلها مبتدا لان من ولكن
فيتعين اذ ذاك ان تكون من شرطية فان قدر مبتدا بعد لكن جاز ان تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدا
المقدر كقوله ولكن متى يسترفد القوم ارفد اي ولكن انا متى يسترفد القوم ارفد وكذلك تقدير
هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا اي منهم واجاز الحوفي والزمخشري ان تكون من بدلا من الذين لا يؤمنون
بين الكاذبون ولم يجز الزجاج الا ان يكون بدلا من الكاذبون لانه راي الكلام الى اخر الاستثناء عينا لا مر
تعلقه بما قبله واجاز الزمخشري ان يكون بدلا من اوليك فاذا كان بدلا من الذين لا يؤمنون فيكون
قوله واوليك هم الكاذبون جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر
بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافترا واذا كان بدلا من الكاذبون
فالتقدير واوليك هم من كفر بالله من بعد ايمانه واذا كان بدلا من اوليك فالتقدير ومن كفر بالله
من بعد ايمانه وهم الكاذبون وهذه الاوجه الثلاثة عندي ضعيفه لان الاول يقتضي انه
لا يفتري الكذب الا من كفر بالله من بعد ايمانه والوجود يقتضي ان من يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن
وسوا كان ممن كفر بعد الايمان او كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الاكثرون المفترون
الكذب واما الثاني فيؤول المعنى الى ذلك اذ التقدير واوليك اي الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من
بعد ايمانه والذين لا يؤمنون هم المفترون واما الثالث فكذلك اذ التقدير ان المشار اليهم
هم من كفر بالله من بعد ايمانه مخبرا عنهم بانهم الكاذبون وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب على
الذم انتهى وهذا ايضا بعيد والذي يقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا يرتبط
بما قبلها من حيث الاعراب بل من حيث المعنى والمناسبة وفي قوله الا من اكره دليل على ان فعل المكره
لا يترتب عليه شي واذا كان قد سومح بكلمة الكفر او فعل ما يؤدي اليه فالمسامحة بغيره من المعاصي
اولى وقد تكلموا في كيفية الاكراه المبيح لذلك وفي تفصيل الاشيا التي يقع الاكراه فيها وذلك كله
مذكور في كتب الفقه والمكرهون على الكفر المعذبون على الاسلام خباب وصهيب وبلال وعمار
وابواه ياسر وسمية وسالم وجبر عذبوا فاجابهم عمار وجبر باللفظ فخلي سبيلهما وتمادى الباقون
على الاسلام فقتل ياسر وسمية وهما اول قتيل في الاسلام وعذب بلال وهو يقول احد احد وعذب
خباب بالنار فما اطفاها الا ودك ظهره وجمع الضمير في عليهم على معنى وافرد في شرح على لفظ من
والظاهر ان ذلك اشارة الى ما استحقوه من الغضب والعذاب اي كاين لهم بسبب استحبابهم الدنيا
على الاخرة وقال الزمخشري واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم انتهى وهي نزعة اعتزالية والضمير
في بانهم عايد على من في من شرح ولما فعلوا فعل من استحب الرسو ذلك وان كانوا غير مصدقين بالاخرة
لكن من حيث اعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب وقوله استحبوا هو تكسبهم ملو العقاب
وان الله لا يهدي اشارة الى اختراع الله الكفر في قلوبهم فجمعت الاية بين الكسب والاختراع وهذا عقيدة
اهل السنة وقيل ذلك اشارة الى الارتداد والاقدام على الكفر لانهم رجحوا الدنيا على الاخرة ولانه
تعالى ما هداهم الى الايمان وتقدم الكلام على الطبع على القلوب والسمع والابصار والختم عليها واوليك
هم الغافلون قال ابن عباس عن ما يراد بهم في الاخرة وقال الزمخشري الكاملون في الغفلة الذين لا

احد

احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها فلما كان الانسان
ليكتسب بالطاعة سعادة الاخرة فعمل على عكس ذلك من المعاصي والكفر وحين عظم خسرانه فقيل فيهم
هم الخاسرون لا جرم هم ومن اخسر ممن اتصف بتلك الاوصاف السابقة من كينونة غضب الله عليهم
والعذاب الاليم واستحباب الدنيا وانتفا هداية الله لهم والاخبار بالطبع وبغفلتهم ولما ذكر تعالى حال
من كفر بعد الايمان وحال من اكره ذكر حال من هاجر بعدما فتن قال ابن عطيه ومدني الاية مدنية
ولا اعلم في ذلك خلافا وقال ابن عباس نزلت فكتب بها المسلمون الى من كان اسلم بمكة ان الله
قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فادركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل فعلى هذا السبب يكون
يكون جهادهم مع الرسول على الاسلام وروي انهم خرجوا واتبعوا وجاهدوا متبعيهم فقتل من قتل ونجا من نجا
فنزلت حينئذ يعني بالجهاد جهادهم لمتبعيهم وقال ابن اسحاق نزلت في عمار وعياش ابن ابي ربيعة
والوليد ابن الوليد قال ابن عطيه وذكر عمار في هذا غير قويم فانه ارفع من طبقة هولا وانما هولا
من باب من شرح بالكفر صدرا فتح الله لهم باب التوبة في اخر الاية وقال عكرمة والحسن نزلت في شان
عبدالله ابن ابي سرح واشباهه فكانه يقول من بعدما فتنهم الشيطان وقال الزمخشري ثم ان ربك دلالة
على تباعد حال هولا من حال اوليك وهم عمار واصحابه والذين عند الزمخشري في موضع خبر ان قال ومعنى
ان ربك لهم انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون
محميا منفوعا غير مضرور انتهى وقوله منفوعا اسم مفعول من نفع وهو قياسه لانه متعد ثلاثي وزعم
الاهوازي النحوي انه لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفوع وقفت له عليه في شرحه موجز
الرماني وقال ابو البقا خبر ان الاولى قوله ان ربك لغفور وان الثانيه واسمها تكرير للتوكيد انتهى واذا
كانت ان الثانيه واسمها تكريرا للتوكيد كما ذكرنا فالذي تقتضيه صناعة العربيه ان يكون خبر ان
الاولى هو قوله لغفور ويكون للذين متعلقا بقوله لغفور رحيم على الاعمال لان ان ربك الثانيه
لا يكون لها طالب لما بعدها من حيث الاعراب كما انك اذا قلت قام قام زيد فزيد مرفوع بقام الاولى
لان الثانيه ذكرت على سبيل التوكيد للاولى وقيل للاخير لان الاولى في اللفظ لان خبر الثانية اغنى عنه
انتهى هذا ليس بجيد لانه الغى حكم الاولى وجعل الحكم للثانية وهو عكس ما تقدم ولا يجوز وقيل
للذين متعلق بمحذوف على جهة البيان كانه قيل اعني للذين اي الغفران للذين وقرا الجمهور فتنوا مبنيا
للمفعول اي بالعذاب والاكراه على كلمة الكفر وقرا ابن عامر فتنوا مبنيا للفاعل والظاهر ان الضمير
عايد على الذين هاجروا فالمعنى فتنوا انفسهم بما اعطوا المشركين من القول كما فعل عمار ولما كانوا
صابرين على الاسلام وعذبوا بسبب ذلك صار ذلك كانهم هم المعذبون انفسهم ويجوز ان يكون عايدا
على المشركين اي من بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه والضمير في من بعدها عايد على المصادر
المفهومه من الافعال السابقه اي من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصبر وقال ابن عطيه والضمير في بعدها
عايد على الفتنة او الهجرة او التوبة والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح قوله تعالى يوم تاتي كل
نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة
مطمينة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل

لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ۝ يوم منصوب على الظرف وناصبه رحيم
او على المفعول به وناصبه اذكروا الظاهر عموم كل نفس فيجادل المؤمن والكافر وجداله بالكذب والجحد فيشهد
عليه الرسل والجوارح فحينئذ لا ينطقون وقالت فرقة الجدال قول كل احد من الانبيا نفسي نفسي قال ابن عطية
وهذا ليس بجدال ولا احتجاج انما هو مجرد رغبة واختار الزمخشري هذا القول وركبه مع ما قبله فقال
كانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة الاعتذار
عنها كقولهم هؤلا اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك ويقال لعين الشي وذاته نفسه وفي نقيضه
غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها وقال ابن عطية اي كل ذي نفس
تحاجج العقل على الصافانيه المذكور وقالت العلامة ونفس الاولى هي النفس المعروفة والثانية
هي بمعنى البدن كما تقول نفس الشي وعينه اي ذاته وقال العسكري الانسان يسمى نفسا تقول
العرب ما جاني الا نفس واحد اي انسان واحد والنفس في الحقيقة لا تاتي لا لحاضي الشي الذي
يعيش به الانسان فان قلت لم لم يتعد الفعل الى الضمير لا الى لفظ النفس قلت منع من ذلك ان الفعل
اذا لم يكن من باب ظن وفقد لا يتعدى فعل ظاهر فاعله ولا مضمره الى مضمره المتصل فلذلك لم يجي
التركيب تجادل عنها ولذلك لا يجوز ضربتها هند ولا هند ضربتها وانما تقول ضربت نفسها هند
وضربت هند نفسها ما عملت اي جزا ما عملت من احسان او اساءة وانث لفظ يوم ياتي والضمير في تجادل
وفي عن نفسها وفي توفى وفي عملت حملا على معنى كل ولو روعي اللفظ لذكر وقال الشاعر ۝
جادت عليها كل عين ثرة ۝ فتركن كل حديقة كالدرهم ۝ فانث على المعنى وما ذكر عن ابن عباس
ان الجدال هنا هو جدال الجسد للروح والروح للجسد لا يظهر قال يقول الجسد رب الروح
بامرك به نطق لساني وابصرت عيني ومشت رجلي فيقول الروح انت كسبت وعصيت لا انا وانت
كنت الحامل وانا المحمول فيقول الله اضرب لكما مثل اعمى حمل مقعدا الى بستان فاصابا من ثماره فالعذاب
عليهما وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة ان القرية المضروب بها المثل مكة كانت لا
تغزى ولا يغار عليها والارزاق تجلب اليها وانعم الله عليها بالرسول فكفرت فاصابها السنون
والخوف وسراياه وسرايا الرسول وغزواته ضربت مثلا لغيرها مما ياتي بعدها وهذا وان كانت
الاية مدنية فان كانت مكية فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب ويؤيد كونها مكة
قوله ولقد جاهم رسول منهم فكذبوه ويجوز ان يكون قرية من قرى الاولين وعن حفصة انها
المدينة وقال ابن عطية يتوجه عندي انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا لمكة على معنى
التحذير لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة وقال الزمخشري يجوز ان يراد قرية مقدرة
على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة ۝
انذارا من مثل عاقبتها انتهى ولا يجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لا بد من وجودها
لقوله ولقد جاهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون كانت امنة ابتداء
لصفة الامن لانه لا يقيم خائف والاطمينان زيادة في الامن فلا يزعجها خوف ياتيها
رزقها اقواتها واسعة من جميع جهاتها لا يتعذر منها جهة والانعم جمع نعمة كشدة واشد وقال
قطرب جمع نعم بمعنى النعيم يقال هذه ايام طعم ونعم انتهى فيكون كبؤس وابؤس وقال الزمخشري
جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتا كدرع وادرع وقال بعضهم ثلاثة ليس لها نظير الامن والصحة

والكفاية وقال ابو عبد الله الرازي امنة اشارة الى الامن مطمئنة اشارة الى الصحة لان هوا ذلك المكان لما كان
ملائما لامزجتهم اطمانوا اليه واستقروا ياتيها رزقها السبب في ذلك دعوة ابرهيم عليه السلام فاجعل
افيدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات وقال الانعم جمع قلة ولم يات بنعم الله وذلك انه قصد
التنبيه بالادنى على الاعلى بمعنى ان كفران النعم القليلة اوجب العذاب فكفران الكثيرة اولى بايجابه
قال ابن عطية ولما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى ۝ اذا ما الضجيع ثنى جيدها ۝
تثنت عليه فكانت لباسا ۝ ونحو قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ۝ ومنه قول الشاعر ۝
وقد لبست بعد الزبير مجاشع ۝ ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما ۝ كان العار لما باشرهم ولصق بهم
جعلهم لبسوه وقوله فاذاقها نظير قوله ذق انك انت العزيز الكريم ۝ ونظيره قول الشاعر ۝ دونك
ما جنيته فاحس وذق ۝ وقال الزمخشري فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم
مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس
والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما
اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع
الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم
ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه
ها هنا ونحوه قول كثير ۝ غمر الردا اذا تبسم ضاحكا ۝ غلقت لضحكته رقاب المال ۝ استعار الردا
للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردا لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال لا صفة الردا نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ۝
ينازعني ردائي عبد عمرو ۝ رويدك يا اخا عمرو بن بكر ۝ لي الشطر الذي ملكت يميني ۝ ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه
فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الردا اذا تبسم ضاحكا انتهى
وهو كلام حسن ولما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق قابلهما بالجوع الناشي عن انقطاع الرزق
وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتاخر وهو اتيان الرزق كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم واما قوله فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا فجا على اللف فقدم ما بدا به
وهما طريقان وقرا الجمهور والخوف بالجر عطفا على الجوع وروى العباس عن ابي عمرو والخوف
بالنصب عطفا على لباس قاله صاحب اللوامح ويجوز ان يكون نصبه باضمار فعل وقال الزمخشري يجوز
ان يكون على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرا عبد الله
فاذاقها الله الخوف والجوع ولا يذكر لباس والذي قوله ان هذا تفسير للمعنى لا قراءة لان الذي
المنقول عنه مستفيضا على لباس مثل ما في سواد المصحف وفي مصحف ابي بن كعب لباس الخوف
والجوع بدا بما يقابل ما بدا به في قوله كانت امنة وهذا عندي مما كان في مصحفه قبل
ان يجمعوا ما في سواد المصحف الموجود الان شرقا وغربا وكذلك المستفيض عن ابي في القراءة
انما هو كقراءة الجماعة بما كانوا يصنعون من كفران نعم الله تعالى ومنها تكذيب الرسول النبي صلى الله عليه وسلم
والضمير في بما كانوا يصنعون عائدا على المحذوف في قوله وضرب الله مثلا قرية اي اهل

قرية اعاد الضمير اولا على لفظ قرية ثم على المضاف المحذوف اعني قوله فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون وقال الط
ان الضمير في ولقد جاءهم عائد على ما عاد عليه في قوله بما كانوا يصنعون وقال ابن عطية يحتمل ان يكون الضمير
في جاءهم لاهل تلك المدينة ويكون هذا مما جرى فيها كمدينة شعيب وغيرها ويحتمل ان يكون لاهل مكة
وقال ابو عبد الله الرازي لما ذكر المثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم يعني من انفسهم يعرفونه
باصله ونسبه ولما وعظ تعالى بضرب المثل وصل هذا الامر للمؤمنين بالفاء فامر المؤمنين باكل ما
رزقهم وشكر نعمته ليباينوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله ولما تقدم فكفرت بانعم الله جاء هنا ه
واشكروا نعمة الله وفي البقرة يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم بذكر من كفر نعمته فقال واشكروا لله
ولما امرهم بالاكل مما رزقهم عدد عليهم محرماته ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم دون اتباع
ما شرع الله على لسان انبيائه ولما جاء في البقرة ذكر ما حرم اثر قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وقوله انما حرم
الاية تقدم تفسير مثلها في البقرة قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم
ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
لما بين تعالى ما حرم بالغ في تاكيد ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرم كالبحيرة والسائبة وفيما احل كالميتة
والدم وذكر تعالى تحريم هؤلاء الاربع في سورة الانعام وهي من السور المكيات باداة الحصر وكذا
كذلك في سورة البقرة والمائدة بقوله احلت لكم الاية واجمعوا على ان المراد مما يتلى عليكم قوله حرمت
عليكم الاية وهما مدنيتان فكان هذا التحريم لهذه الاربع مشرعا ثابتا في اول مكة واخرها واول المدينة
واخرها فنهى تعالى ان يحرموا ويحلوا من عند انفسهم ويفتروا بذلك على الله حيث ينسبون ذلك اليه
وقرا الجمهور الكذب بفتح الكاف والباء وكسر الذال وجوزوا فيما في هذه القراءة ان تكون بمعنى الذي ه
والعائد محذوف تقديره للذي تصفه السنتكم وانتصب الكذب على انه معمول لتقولوا اي ولا تقولوا
الكذب للذي تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي وهذا
حلال وهذا حرام بدل من الكذب او على اضمار فعل اي فتقولوا هذا الحلال وهذا حرام بدل من الكذب
او على اضمار فعل اي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام واجاز الحوفي وابو البقاء ان يكون انتصاب الكذب على انه
بدل من الضمير المحذوف العائد على ما كما تقول جاءني الذي ضربت اخاك اي ضربته اخاك واجاز
ابو البقاء ان يكون منصوبا باضمار اعني وقال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصب الكذب على المفعول
اي لوصف السنتكم الكذب ومعمول ولا تقولوا الجملة من قوله هذا حلال وهذا حرام والمعنى ولا تحلوا
ولا تحرموا لاجل قول تنطق به السنتكم كذبا لا لحجة وبينة وهذا معنى بديع جعل قولهم كانه عين
الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهه
يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرا الحسن وابن يعمر وطلحة والاعرج وابن ابي اسحاق وابن عبيد ه
ونعيم ابن ابي ميسرة بجر الباء وخرج على ان يكون بدلا من ما والمعنى للذي تصفه السنتكم الكذب
واجاز الزمخشري وغيره ان يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية قال الزمخشري كانه قيل لوصفها
الكذب بمعنى الكاذب لقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة انتهى
وهذا عندي لا يجوز وذلك انهم نصوا على ان المصدرية لا ينعت لمصدرها المنسبك منها ومن الفعل

ولا

ولا يوجد من كلامهم يعجبني ان قمت الربيع بريد قيامك لسيبويه ولا اعجبت من ان تخرج السريع اي من خروجك
السريع وحكم باقي الحروف المصدرية حكمان فلا يوجد من كلامهم وصف المصدر المنسبك من ان ولا من ما
ولا من كي بخلاف صريح المصدر فانه يجوز ان ينعت وليس لكل مقدر حكم المنطوق به وانما يتبع في ذلك ما
تكلمت به العرب وقرا معاذ وابن ابي عبلة وبعض اهل الشام الكذب بضم الثلاثة صفة للالسنة جمع
كذوب قال صاحب اللوامح او جمع كاذب وكذاب انتهى فيكون كشارف وشرف او مثل كتاب وكتب ه
من القراءة صاحب اللوامح لمسلمة ابن محارب وقال ابن عطية وقرا مسلمة ابن محارب الكذب بفتح الباء
على انه جمع كذاب ككتب في جمع كتاب وقال صاحب اللوامح وجاء عن يعقوب الكذب بضمتين والنصب فاما
الضمتان فلانه جمع كذاب وهو مصدر ومثله كتاب وكتب وقال الزمخشري بالنصب على الشتم او
بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني انتهى والخطاب على قول الجمهور
بقوله ولا تقولوا للكفار في شان ما احلوا وما حرموا من امور الجاهلية وعلى ذلك الزمخشري وابن عطيه
وقال العسكري الخطاب للمكلفين كلهم اي لا تسموا ما لم ياتكم حظره ولا اباحته عن الله ورسوله حلالا
ولا حراما فتكونوا كاذبين على الله في اخباركم بانه حلله وحرمه انتهى وهذا هو الظاهر لانه خطاب
معطوف على خطاب وهو فكلوا انما حرم عليكم فهو شامل لجميع المكلفين واللام في لتفتروا الامر
التعليل التي لا تتضمن معنى الغرض قاله الزمخشري وهي التي تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة قبل ذلك
الافترا ما كان غرضا لهم والظاهر انها لام التعليل وانهم قصدوا الافترا كما قالوا وجدنا عليها اباءنا
والله امرنا بها ولا يكون ذلك على سبيل التوكيد لما تقدم لتضمنه الكذب لان هذا التعليل فيه التنبيه
على من افتروه عليه وهو الله تعالى وقال الواحدي لتفتروا على الله الكذب بدل من قوله لما تصف
السنتكم الكذب لان وصفهم الكذب هو افترا على الله ففسر وصفهم بالافترا على الله انتهى وهو على
تقدير ما مصدرية واما اذا كانت بمعنى الذي فاللام في لما ليست للتعليل فيبدل منها ما يقتضي التعليل
بل اللام متعلقة بلا تقولوا على حد تعلقها على قولك لا تقولوا لما احل الله هذا حرام اي لا تسموا الحلال
حراما وكما تقول لا تقل لزيد عمرو اي لا تطلق على زيد هذا الاسم والظاهر انهم افتروا على الله
حقيقة هو ظاهر الافترا الوارد في اي القران وقال ابن عطيه ويحتمل ان يريد انه كان شرعهم ه
لاتباعهم سننا لا يرضاها الله تعالى افترا عليه لان من شرع امرا فكانه قال لتابعيه هذا هو
الحق وهذا مراد الله ثم اخبر تعالى عن الذين يفترون على الله الكذب بانتفاء الفلاح والفلاح الظفر
بما يؤمل فتارة يكون في البقاء كما قال الشاعر ه والمسي والصبح لا فلاح معه ه وتارة في نجح الساعي كما
قال عبيد ابن الابرص فلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب وارتفع متاع على انه خبر
مبتدا محذوف فقدره الزمخشري منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة م
وعقابها عظيم وقال ابن عطية عيشهم في الدنيا وقال العسكري يجوز ان يكون المتاع هنا ما
حللوه لانفسهم مما حرمه الله تعالى وقال ابو البقاء بقاؤهم متاع قليل وقال الحوفي متاع قليل
ابتدا وخبر انتهى ولا يصح الا بتقدير الصفة اي متاعهم قليل ولما بين تعالى ما يحل وما يحرم لاهل
الاسلام اتبعه بما كان خص به اليهود محالا على ما تقدم ذكره في سورة الانعام وهذا يدل على ان
سورة الانعام نزلت قبل هذه السورة اذ لا يصح الحوالة الا بذلك وتعلق من قبل بقصصنا وهو
الظاهر وقيل بحرمنا والمحذوف الذي في من قبل تقديره من قبل تحريمنا على اهل ملتك والسوء هنا الك

ابن عباس الشرك قبل المعرفة بالله انتهى فالسوء ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية وغيرهما والكلام في للذين
عملوا وما يتعلق به تقدم نظيره في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا فاغنى عن اعادته وقال قوم بجهالة بتعمد
وقال ابن عطية ليست هنا ضد العلم بل تعدي الطور وركوب الرأس ومنه او اجهل او يجهل علي ومنه قول الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا والتي هي ضد العلم تصحب هذه كثيرا ولكن يخرج منها
المتعمد وهو الاكثر وقل ما يوجد في العصاة من لم يتقدم له علم بحظر المعصية التي يواقع انتهى ملخصا
وقال الزمخشري بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله عز وجل وبعقابه اي
غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم وقال سفيان بجهالة ان يلتذ بهواه ولا يبالي
بمعصية مولاه • وقال الضحاك باغترار الجاهل عن المال وقال العسكري ليس المعنى انه يغفر لمن يعمل
السوء بجهالة ولا يغفر لمن عمله بغير جهالة بل المراد ان جميع من تاب فهذا سبيله وانما خص من يعمل السوء
بجهالة لان اكثر من ياتي الذنوب ياتيها بقلة فكر في عاقبة او عند غلبة شهوة او في جهالة شباب
فذكر الاكثر على عادة العرب في مثل ذلك والاشارة بذلك الى عمل السوء واصلحوا استمروا على
الاقلاع عن تلك المعصية وقيل اصلحوا امنوا واطاعوا والضمير في من بعدها عائد على المصادر
المفهومة من الافعال السابقة اي من بعد عمل السوء والتوبة والاصلاح وقيل يعود على الجهالة وقيل على
السوء على معنى المعصية **قوله تعالى** ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين •
شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وءاتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن
الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين • انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • لما ابطل تعالى مذاهب
المشركين في هذه السورة من اثبات الشركاء لله تعالى والطعن في نبوة رسول الله وتحليل ما حرموه وتحريم
ما احل وكانوا مفتخرين بجدهم ابرهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه مقرين بحسن طريقته
ووجوب الاقتداء به ذكره في اخر السورة واوضح منهاجه وما كان عليه من توحيد الله تعالى
ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا على الاقتداء به وايضا فلما جرى ذكر اليهود بين طريقة
ابرهيم عليه السلام ليظهر الفرق بين حاله وحالهم وحال قريش وقال مجاهد سمي امة لانفراده
بالايمان في وقته مدة ما وفي البخاري انه قال لسارة ليس على الارض اليوم مؤمن غيري وغيرك
والامة لفظ مشترك بين معان كثيرة منها الجمع من الناس الكثير ثم يشبه به الرجل العالم او الملك
او المنفرد بطريقة وحده عن الناس فسمي امة قال ابن مسعود والفرا وابن قتيبة وقال ابن عباس
كان عنده من الخير ما كان عند امة ومن هنا اخذ الحسن بن هانئ قوله • وليس لله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد • وعن ابن مسعود انه معلم الخير والطائق هو وعمر ذلك على معاذ فقال كان
امة قانتا وقال ابن الانباري هذا مثل قول العرب فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون بالتانيث
التناهي في المعنى الموصوف به وقيل الامة الامام الذي يقتدى به من ام يؤم والمفعول قد يبنى
للكثرة على فعلة وتقدم تفسير القانت والحنيف شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع
ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم
الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم وءاتيناه
في الدنيا حسنة قال قتادة حببه الله الى كل الخلق فكل اهل الاديان يتقولونه اليهود والنصارى

والمسلمين

والمسلمين وخصوصا كفار قريش فان فخرهم انما هو به وذلك باجابة دعوته واجعل لي لسان صدق في
الاخرين وقيل الحسنة قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وقال ابن عباس الذكر الحسن وقال الحسن النبوة
وقال مجاهد لسان صدق وقال قتادة القبول وعنه تنويه الله بذكره وقيل الاولاد الابرار على الكبر وقيل
المال يصرفه في الخير والبر وانه لمن الصالحين تقدم الكلام على هذه الجملة في البقرة ولما وصف ابرهيم
عليه السلام بتلك الاوصاف الشريفة امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتبع ملته وهذا الامر من جملة
الحسنة التي اتاها الله تعالى ابرهيم في الدنيا قال ابن فورك وامر الفاضل باتباع المفضول لما كان
سابقا الى قول الصواب والعمل به وقال الزمخشري ثم اوحينا في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلام من
الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد
هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها انتهى وان تفسيرية او في موضع
المفعول واتباع ملته قال قتادة في الاسلام وعنه ايضا جميع ملته الا ما امر بتركه وعن عمرو بن
العاصي مناسك الحج وقال القرطبي الصحيح عقائد الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا وقيل في التبري من الاوثان وقال قوم كان على شريعة ابرهيم وليس له شرع ينفرد به وانما
المقصود من بعثته احيا شرع ابرهيم قال ابو عبد الله الرازي وهذا القول ضعيف لانه وصف
ابرهيم في هذه الاية بانه ما كان من المشركين فلما قال اتبع ملة ابرهيم كان المراد ذلك فان قيل النبي صلى
الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا
له فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها قلت
يحتمل ان يكون المراد متابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهي ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة
وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة في القران انتهى ولا يحتاج
الى هذا لان المعتقد الذي تقتضيه دلائل العقول لا يمتنع ان يوحى ليتظافر المعقول والمنقول على
على اعتقاده الا ترى الى قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فليس اعتقاد الوحدانية بمجرد
اللفظ فقط وانما تظافر المنقول عن الله تعالى في ذلك مع دليل العقل وكذلك هنا اخبر تعالى ان
ابرهيم لم يكن مشركا وامر الرسول باتباعه في ذلك وان كان انتفاء الشرك ليس مستندا الى مجرد الوحي
بل الدليل العقلي والدليل الشرعي تظافرا على ذلك وقال ابن عطية قال مكي ولا يكون يعني حنيفا حالا
من ابرهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد يعمل فيها حروف الخفض اذا عملت في ذي الحال
كقولك مررت بزيد قائما انتهى اما ما حكي عن مكي وتعليله امتناع ذلك لكونه مضافا اليه فليس على
الاطلاق هذا التعليل لانه اذا كان المضاف اليه في محل رفع او نصب جازت الحال منه نحو يعجبني قيام زيد
مسرعا وشرب السويق ملتوتا وقال بعض النحاة ويجوز ايضا ذلك اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه
كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا او كالجزء منه كقوله ملة ابرهيم حنيفا وقد بينا
الصحيح في ذلك فيما كتبناه على التسهيل وعلى الالفية لابن مالك واما قول ابن عطية في رده على مكي بقوله
وليس كما قال لان الحال الى اخره فقول بعيد عن قول اهل الصنعة لان الباء في بزيد ليست هي العاملة
في قائما وانما العامل في الحال مررت والباء وان عملت الجر في زيد فان زيدا في موضع نصب بمررت
ولذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذي كان مجرورا بالحرف ولما

أمر الله رسوله باتباع ملة إبراهيم وكان الرسول عليه السلام قد اختار يوم الجمعة فدل ذلك على أنه كان
في شرع إبراهيم عليه السلام تبين أن يوم السبت لم يكن تعظيمه واتخاذه للعبادة من شرع إبراهيم
ولا دينه والسبت مصدر وبه سمي اليوم وتقدم الكلام في هذا اللفظ في الأعراف وقال الزمخشري
سبتت اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه والذين
فيه هم اليهود أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة
واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي
كفرت بأنعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين
ربقة طاعته فإن قلت فما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعا محلين أو محرمين قلت معناه أنه يجازيهم جزاء
اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن
يجعلوا في الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله
فيه من خلق السموات والأرض إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا هو اختلافهم في السبت لأن
بعضهم اختاروه وبعضهم اختار الجمعة فأذن الله تعالى في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه
فأطاع الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله
دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل
السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه انتهى وهو كلام ملفق من كلام المفسرين قبله
وقال الكرماني في عدي جعل بعلى لأن اليوم صار عليهم لا لهم لارتكابهم المعاصي فيه انتهى ولهذا ادعا
الزمخشري إنما جعل وبال السبت وقال الحسن جعل السبت لعنة عليهم بأن جعل منهم القردة وقال
ابن عباس إن الله سبحانه قال ذروا الأعمال في يوم الجمعة وتفرغوا فيه لعبادتي فقالوا نريد
السبت لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض فهو أولى بالراحة وقرأ أبو حيوة جعل بفتح الجيم
والعين مبنيا للفاعل وعن ابن مسعود والأعمش أنهما قرآ إنما أنزلنا السبت وهي تفسير معنى لا قراءة
لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ولما استفاض عن الأعمش وابن مسعود أنهما قرآ كالجماعة **قوله**
تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين • وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون • أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع
المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع وعن ابن عباس الحكمة القرآن
وعنه الفقه وقيل النبوة وقيل ما يمنع من الفساد من آيات ربك المرغبة والمرهبة والموعظة
الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس وعنه أيضا مواعظ الأدب الجميل الذي يعرفونه وقال ابن
جرير هي العبر المعدودة في هذه السورة وقال ابن عيسى الحكمة المعروفة بمراتب الأفعال والموعظة
الحسنة أن تخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة وقال الزمخشري إلى سبيل ربك الإسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى
عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي
هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة

ولا

ولا تعنيف وقال ابن عطية الموعظة الحسنة التخويف والترجية والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه وتجعله
بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا وقالت فرقة هذه الآية منسوخة بآية القتال وقالت فرقة هي
محكمة وإن عاقبتم أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد
ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتب السير وذهب النحاس إلى أنها مكية والمعنى متصل بما قبلها اتصالا
حسنا لأنها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازى على فعله ولكن ما
روى الجمهور أثبت انتهى وذهبت فرقة منهم ابن سيرين ومجاهد إلى أنها نزلت فيمن أصيب بظلامة أن لا
ينال من ظالمه إذا تمكن إلا مثل ظلامته لا يتعداها إلى غيرها وسمى المجازاة على الذنب معاقبة لأجل
المقابلة والمعنى فإن صنع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله وهو عكس ومكروا ومكر الله المجاز في الثاني وفي
فإن عاقبتم في الأول وقرأ ابن سيرين وإن عقبتم فعقبوا بتشديد القافين أي وإن قفيتم بالانتصار
فقفوا بمثل ما فعل بكم والظاهر عود الضمير إلى المصدر الدال عليه الفعل مسندا للإضافة إليهم أي لصبركم
وللصابرين أي لكم أيها المخاطبون فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بصبرهم على الشدائد
وبصبرهم على المعاقبة وقيل يعود إلى جنس الصبر ويراد بالصابرين جنسهم فكأنه قيل والصبر خير للصابرين
فيندرج صبر المخاطبين في الصبر ويندرجون هم في الصابرين ونحوه فمن عفا وأصلح وأن تعفوا أقرب
للتقوى ولما خير المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول صلى الله عليه وسلم في الذي
هو خير وهو الصبر فأمره وحكم بالصبر ومعنى بالله بتوفيقه وتيسيره وإرادته والضمير في عليهم
يعود على الكفار وكذلك في يمكرون كما قال فلا تأس على القوم الكافرين وقيل يعود على القتلى الممثل بهم
حمزة ومن مثل به يوم أحد وقرأ الجمهور في ضيق بفتح الضاد وقرأ ابن كثير بكسرها ورويت عن نافع
ولا يصح عنه فهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين وقال أبو عبيدة بفتح الضاد مخفف
من ضيق أي ولا تك في أمر ضيق كلين في لين وقال أبو علي الصواب أن يكون الضيق لغة في الضيق لأنه إن
كان مخففا من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك
والصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك والصفة إنما
تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكا فإنما تخصص الإنسان
فلو قلت رأيت باردا لم يحسن وبابه مثل سيبويه وضيق لا يخصص الموصوف وقال ابن عباس وابن زيد
إنما في هذه الآيات من الأمر بالصبر منسوخ ومعنى المعية هنا بالنصر والتأييد والإعانة والله أعلم

مفردات الإسرى جاس يجوس جوسا وجوسانا تردد في الغارة قاله الليث وقال أبو عبيدة
جاسوا فتشوا هل بقي أحد لم يقتل وقال الزجاج قتلوا قال حسان • ومنا الذي لاقى بسيف محمد •
فجاس به الأعداء عرض العساكر • وقال قطرب نزلوا قال الشاعر • فجسنا ديارهم عنوة •
وأبنا بسادتهم موثقينا • وقيل داسوا ومنه الجوس أي جسنا الليل بالمطي • وقال أبو زيد الجوس
والحوس والعوس والهوس الطواف بالليل فالجوس والحوس طلب الشيء باستقصاء • حظر الشيء منعه •

سورة الإسرى

بسم الله الرحمن الرحيم • سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا
حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير • وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا
من دوني وكيلا • ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا • سبب نزولها ذكر رسول الله صلى الله

عليه وسلم لقريش الاسرى به وتكذيبهم له فانزل الله ذلك تصديقا له وهذه السورة مكية قال صاحب
الغنيان باجماع الا ايتين وان كادوا ليفتنونك وان كادوا ليستفزونك وقيل الا اربع هاتان وقوله
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقوله وقل رب ادخلني مدخل صدق وزاد مقاتل قوله تعالى ان
الذين اوتوا العلم من قبله الاية وقال قتادة الا ثمان ايات نزلت بالمدينة وهي من قوله وان كادوا
ليفتنونك الى اخرهن ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها انه تعالى لما امره بالصبر ونهاه
عن الحزن عليهم وان يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير
ذلك مما رموه به اعقب ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام
على سبحان في البقرة وزعم الزمخشري انه علم للتسبيح كعثمان للرجل وقال ابن عطية ولم ينصرف
لان في اخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا انتهى ويعني بان فالله اعلم انه
اذا لم يضف كقوله سبحان من علقمة الفاخر واما اذا اضيف فلو فرضنا انه علم لنزع تنكيره ثم يضاف
وصار اذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية واسرى بمعنى سرى وليست الهمزة فيه للتعدية وعديا
بالبا ولا يلزم من تعديته بالبا المشاركة بالفعل بل المعنى جعله يسري لان السري يدل على الانتقال كمشى وجرى
وهو مستحيل على الله تعالى كقوله لذهب بسمعهم اي لاذهب سمعهم فاسرى وسرى على هذا كسقى واسقى
اذ كانا بمعنى واحد ولذلك قال المفسرون معناه سرى بعبده وقال ابن عطية ويظهر ان اسرى
تعداه بالهمزة الى مفعول محذوف تقديره اسرى الملائكة بعبده لانه يقلق ان يسند اسرى وهو
بمعنى سرى الى الله تعالى اذ هو فعل يعطي النقلة كمشى وجرى واحضر وانتقل فلا يحسن اسناد شي من هذا
ونحن نجد عنه مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشي من هذا النحو كقوله في الحديث اتيته سعيا
واتيته هرولة حمل ذلك بالتاويل على الوجه المخلص من نفي الحوادث واسرى في هذه الاية تخرج فصيحة
كما ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق في مثل هذه اللفظة فانه الزم للنقلة من اتيته واتى الله بنيانهم
انتهى وانما احتاج ابن عطية الى هذه الدعوى اعتقاده انه اذا كان اسرى بمعنى سرى لزم من كون
البا للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول وهذا شي ذهب اليه المبرد فاذا قلت قمت بزيد لزم منه
قيامك وقيام زيد عنده وهذا ليس كذلك التبست عنده با التعدية بباء الحال فباء الحال تلزم فيه
المشاركة اذ المعنى قمت ملتبسا بزيد وبا التعدية مرادفة للهمزة فقمت بزيد والبا للتعدية
كقولك اقمت زيدا ولا يلزم من اقامتك هو ان تقوم انت قال ابن عطية ويحتمل ان يكون اسرى بمعنى
سرى على حذف مضاف كنحو قوله تعالى ذهب الله بنورهم يعني ان يكون التقدير اسرت ملائكته
بعبده فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذا مبني على اعتقاده انه يلزم المشاركة والبا
للتعدية وايضا تواردا القراء في فاسر بقطع الهمزة ووصلها يقتضي انهما بمعنى واحد الا ترى ان
قوله فاسر باهلك وان اسر بعبادي قرئ بالقطع والوصل ويبعد مع القطع تقدير مفعول
محذوف اذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف والظاهر ان هذا الاسرى كان
بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه وحين قص ذلك على ام هاني قالت له لا تحدث الناس بها
فيكذبوك ولو كان مناما ما استنكر ذلك وهذا قول جمهور اهل العلم وهو الذي ينبغي ان يعتقد
وحديث الاسرى مروي في المسانيد عن الصحابة في كل اقطار الاسلام وذكر انه رواه عشرون من
الصحابة قيل وما روي عن عايشة ومعوية انه كان مناما فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكن في ذلك
حجة

حجة لانهما لم يشاهدا ذلك لصغر عايشة وكفر معاوية اذ ذاك ولانهما لم يسندا ذلك الى الرسول عليه السلام
ولا حدثا به عنه وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها وقوله بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابو القسم سليمان الانصاري لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة
في المعارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يارب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل فيه سبحان
الذي اسرى بعبده الاية انتهى وعنه قولوا عبد الله ورسوله وعنه انما انا عبد الله وهذه
اضافة تشريف واختصاص قال الشاعر ٭ لا تدعني الا بيا عبدها ٭ لانه اشرف اسمائي ٭ وقال العلما لو كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة وانتصب ليلا على الظرف ومعلوم ان
السرى لا يكون الا بالليل ولكنه ذكر على سبيل التوكيد وقيل يعني في جوف الليل فلم يكن ادلاجا ولا ادلاجا وقال
الزمخشري اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرى وانه اسري به في بعض الليل من مكة
الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله
وحذيفة من الليل اي بعض الليل لقوله ومن الليل فتهجد به على الامر بالقيام في بعض الليل انتهى والظاهر
ان قوله من المسجد الحرام هو المسجد المحيط بالكعبة بعينه وهو قول انس وقيل من الحجر وقيل من بين زمزم والمقام
وقيل في شعب ابي طالب وقيل من بيت ام هاني وقيل من سقف بيته عليه السلام وعلى هذه الاقوال الثلاثة
يكون اطلق المسجد الحرام على مكة وقال قتادة ومقاتل قبل الهجرة بعام وقالت عايشة بعام ونصف في رجب
وقيل في سبع عشرة من ربيع الاول والرسول عليه السلام ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين
يوما وعن ابن شهاب بعد المبعث بسبعة اعوام وعن الحربي ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة
والمتفق انه كان قبل بيعة العقبة وبعد شق الصحيفة ووقع لشريك ابن ابي نمر في الصحيح ان ذلك كان
قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان ذلك وهم من شريك وحكى الزمخشري عن انس والحسن انه كان قبل
المبعث وقال ابو بكر محمد بن علي بن القسم الرعيني في تاريخه اسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى
السما قبل مبعثه بثمانية عشر شهرا ويروى انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري به
ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت
ام هاني بثوبه فقال ما لك فقالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج اليه ابو جهل
فاخبره رسول الله بحديث الاسرى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق
وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال
ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر
الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال اخر
وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين
وقد عرج به الى السما في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السما
من العجايب وانه لقي الانبيا وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وهذا على قول من قال ان هذه الليلة هي ليلة
المعراج وهو قول ابن مسعود وجماعة وذهب بعضهم الى ان ليلة المعراج هي غير ليلة الاسرى والمسجد
الاقصى مسجد بيت المقدس وسمي الاقصى لانه كان في ذلك الوقت اقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة قالت

ابن عطية ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد اظهار العجب في
الاسرى الى هذا البعد في بعض ليلة انتهى ولفظ الى تقتضي انه انتهى الاسرى به الى حد ذلك المسجد ولا يدل
من حيث الوضع على دخوله والذي باركنا حوله صفة مدح لازالة اشتراك عارض وبركته بما خص به من
مجامع الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه وبواديه والدنياوية
من كثرة الاشجار والانهار وطيب الارض وفي الحديث انه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص
فلسطين بالتقديس وقرا الجمهور لنريه بالنون وهو التفات من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم وقراءة الحسن
ليريه بالياء فيكون الالتفات في اياتنا وهذه روية عين والايات التي اريها هي العجائب التي اخبر بها الناس
واسراؤه من مكة وعروجه الى السما ووصفه الانبيا واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح وقال
ابن عطية ويحتمل ان يريد ليري محمدا للناس اية اي يكون النبي صلى الله عليه وسلم اية في ان يصنع الله ببشر
هذا الصنع فتكون الرويا على هذا روية قلب قال الزمخشري انه السميع لاقوال محمد البصير بافعاله
العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وقال ابن عطية وعيد من الله للكفار على تكذيبهم
محمدا صلى الله عليه وسلم في امر الاسرا فهي اشارة لطيفة بليغة الى ذلك اي هو السميع لما تقولون
البصير بافعالكم انتهى ولما ذكر تشريف الرسول عليه السلام بالاسرا واراءته الايات ذكر تشريف
موسى عليه السلام بايتائه التوراة واتينا معطوف على الجملة السابقة من تنزيه الله تعالى وبراءته
من السوء ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر او غيره وقال ابن عطية عطف على قوله واتينا على ما
في قوله اسرى بعبده من تقدير الخبر كانه قال اسرينا بعبدنا واريناه اياتنا واتينا وقال
العكبري واتينا معطوف على اسرى انتهى وفيه بعد فالكتاب هنا التوراة والظاهر عود الضمير من
وجعلناه على الكتاب ويحتمل ان يعود على موسى ويجوز ان تكون ان تفسيرية ولا نهي وان تكون مصدرية
تعليلا اي لان لا يتخذوا ولا نفي ولا يجوز ان تكون ان زايدة ولا يتخذوا معمولا لقول محذوف خلافا
لمجوز ذلك اذ ليس من مواضع زيادة ان وقرا ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وابو رجا وابو عمرو من
السبعة يتخذوا بالياء على الغيبة وباقي السبعة بتا الخطاب والوكيل فعيل من التوكل اي متوكلا عليه
وقال الزمخشري ربا تكلون اليه اموركم وقال ابن جرير حفيظا لكم سواي وقال ابو الفرج ابن الجوزي قيل للرب
وكيل لكفايته وقيامه بشوون عباده لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط امر الوكيل انتهى وانتصب
ذرية على النداء اي يا ذرية او على البدل من وكيلا او على المفعول الثاني لتتخذوا ووكيلا في معنى الجمع اي
لا تتخذوا وكلاء ذرية او على اضمار اعني وقرات فرقة ذرية بالرفع وخرج على ان يكون بدلا من الضمير
في يتخذوا على قراءة من قرا بالغيبة وقال ابن عطية ولا يجوز في القراءة بالتا لانك لا تبدل من ضمير
مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى وما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب
يحتاج الى تفصيل وذلك انه ان كان في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان في بدل
شي من شي لعين واحدة وكان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم يفد
التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك في
كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك في شرح التسهيل وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة
التي نجاهم بها من الغرق وقرا زيد بن ثابت وابان بن عثمان وزيد بن علي ومجاهد في رواية
بكسر ذال الذرية وقرا مجاهد ايضا بفتحها وعن زيد بن ثابت ذرية بفتح الذال وتخفيف الرا

وتشديد

وتشديد اليا على وزن فعيلة كمطيه والظاهر ان الضمير في انه عايد على نوح قال سلمان الفارسي كان
يحمد الله على طعامه وقال ابرهيم شكره اذا اكل قال بسم الله فاذا فرغ قال الحمد لله وقال قتادة كان اذا لبس
ثوبا قال بسم الله فاذا نزعه قال الحمد لله وقيل الضمير في انه عايد الى موسى انتهى ونبه على الشكر لانه
يستلزم التوحيد اذ النعم التي يجب الشكر عليها هي من عند الله تعالى فكانه قيل كونوا موحدين شاكرين لنعم الله
مقتدين بنوح عليه السلام الذي انتم ذرية من حمل معه قوله تعالى و قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جا وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جا وعد الاخرة ليسووا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم
عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قضى يتعدى بنفسه الى مفعول كقوله فلما قضى موسى الاجل
والماضي هنا معنى الايحا اي الانفاذ تعدى بالى اي واوحينا او وانفذنا الى بني اسرائيل في القضا
المحتوم المبتوت وعن ابن عباس معناه اعلمناهم وعنه ايضا قضينا عليهم وعنه ايضا كتبنا واللام
في لتفسدن جواب قسم فاما ان يقدر محذوفا ويكون متعلق القضا محذوفا تقديره وقضينا الى بني اسرائيل
بفسادهم في الارض وعلوهم ثم اقسم على وقوع ذلك وانه كاين لا محالة فحذف متعلق قضينا
واتى بمنصوب القسم المحذوف ويجوز ان يكون قضينا اجري مجرى القسم المحذوف ولتفسدن
جوابه كقولهم قضى الله لافعلن وقرا ابو العالية وابن جبير في الكتب على الجمع والجمهور على الافراد
فاحتمل ان يريد به الجنس والظاهر ان يريد التوريه وقرا ابن عباس ونصر بن علي وجابر بن
زيد لتفسدن بضم التا وفتح السين مبنيا للمفعول اي يفسدكم غيركم وقيل من الاضلال وقيل
من الغلبة وقرا عيسى لتفسدن بفتح التا وضم السين اي فسدتم بانفسكم بارتكاب المعاصي
مرتين والاولى قتل زكريا عليه السلام قاله السدي عن اشياخه وقاله ابن مسعود وابن عباس
وذلك انه لما مات حديقه ملكهم تنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا ولا يستمعون من زكريا عليه السلام
فقال الله له قم في قومك اوح على لسانك فلما فرغ مما اوحى الله عليه اليه عدوا عليه ليقتلوه
فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا
المنشار في وسطها حتى قطعوه في وسطها وقيل سبب قتل زكريا انهم اتهموه بمريم قيل قالوا حين
حملت مريم ضيع بنت سيدنا حتى زنت فقطعوه بالمنشار في الشجرة وقيل شعيبا قاله ابن اسحاق وان
زكريا مات موتا ولم يقتل وان الذي دخل الشجرة وقطع نصفين بالمنشار هو شعيبا وكان قبل زكريا
وقصد قتل عيسى بن مريم وكان شعيبا قبل زكريا وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والاخرة قيل يحيى بن
زكريا وقصد قتل عيسى عليه السلام اعلم الله تعالى بني اسرائيل في التوراة انه سيقع منهم عصيان
وكفر لنعم الله تعالى في الرسل وفي الكتب وغير ذلك وانه سيرسل عليهم امة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم
ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم الاولى من الظهور فتقع منهم المعاصي وكفر
النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم فيبعث الله عليهم امة اخرى تخرب ديارهم وتقتلهم
وتجليهم جلاء مبرحا ودل الوجود بعد ذلك على هذا الامر كله قيل وكان بين اخر الاولى والثانية
مايتا سنة وعشر سنين ملكا موطدا ثابتا وقيل سبعون سنة وقال الكلبي لتعصن في الارض لتعد

ولتعلن أي تطغون وتعظمون وقرأ زيد بن علي علياً كبيراً في الموضعين بكسر العين واللام والياء المشددة وقرأ الجمهور علواً والفصيح في فعول المصدر التصحيح كقوله وعتوا عتواً كبيراً بخلاف الجمع فإن الإعلال فيه هو المقيس وشذ التصحيح فيه نحو بهو وبهو خلافاً للفراء إذ جعل ذلك قياساً فإذا جاء وعد أولاهما أي وعد أولاهما لأن الوعد قد سبق بذلك والموعود هو العذاب وقال الزمخشري معناه وعد عقاب أولاهما وقيل الوعد بمعنى الوعيد وقيل بمعنى الموعد الذي يراد به الوقت والضمير في أولاهما عائد على المرتين وقرأ الجمهور عباداً وقرأ الحسن وزيد بن علي عبيداً قال ابن عباس وقتادة غزاهم جالوت من أهل الجزيرة وقال ابن جبير غزاهم سنجاريب وجنوده ملك بابل وقيل بخت نصر وروي أنه دخل قبل في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك فاطلع من جور بني إسرائيل على ما لم يعلمه الفرس لأنه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه يخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك وقيل هم العمالقة وكانوا كفاراً وقيل كان المبعوثون قوماً مؤمنين بعثهم الله تعالى وأمرهم بغزو بني إسرائيل والبعث هنا الإرسال والتسليط وقال الزمخشري معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله تعالى أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم انتهى وفي قوله خلينا بينهم وبين ما فعلوا دسيسة الاعتزال وقال ابن عطية يحتمل أن يكون الله تعالى أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمرهم بغزو بني إسرائيل فيكون البعث بأمر ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقي في نفس الملك الذي غزاهم انتهى أولي بأس شديد أي قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم وعُددهم وقرأ الجمهور فجاسوا بالجيم وقرأ أبو السمال وطلحة فحاسوا بالحاء المهملة وقرئ فتجوسوا على وزن تكسروا بالجيم وقرأ الحسن خلل الديار واحداً وجمع على خلال كجبل وجبال ويجوز أن يكون خلال مفرداً كالخلل وهو وسط الديار وما بينها والجمهور على أنه في البعثة الأولى خرب بيت المقدس ووقع القتل فيهم والجلاء والأسر وعن ابن عباس ومجاهد أنه جيش غزا وجاس الغازون خلال الديار ولم يكن قتل ولا قتال في بني إسرائيل إنما حدث عنهم الجيوش والضمير في وكان عائداً على وعد أولاهما قال الزمخشري وكان وعد العقاب وعداً لا بد أن يفعل انتهى وقيل يعود على الجيوش ثم رددنا لكم الكرة عليهم هذا إخبار من الله لبني إسرائيل في التوراة وجعل رددنا موضع نرد إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضي والكرة الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حتى تابوا ورجعوا عن الفساد وملكوا بيت المقدس قيل الكرة قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وذكر في سبب ذلك أن ملكاً غزا أهل بابل وكان بخت نصر قتل من بني إسرائيل أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وبقي بقيتهم عنده ببابل في الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امرأة من بني إسرائيل فطلبت منه أن يرد بني إسرائيل إلى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الأنبياء ورجعوا إلى أحسن ما كانوا وقيل الكرة هي تقوية طالوت حتى حارب جالوت ونصر داود وقتل جالوت وقال قتادة كانوا أكثر شيء في زمان داود عليه السلام وانتصب نفيراً على التمييز فقيل النفير والنافر واحد وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته

قاله

قاله أبو مسلم وقال الزجاج يجوز أن يكون جمع نفر ككلب وكليب وعبد وعبيد وهم المجتمعون للمسير إلى الأعداء وقيل النفير مصدر أي أكثر خروجاً إلى الغزو كما في قول الشاعر: فأكرم بقحطان من والد * وحمير أكرم بقوم نفيرا ويروى وبالحميريين أكرم نفيرا والمفضل عليه محذوف قدره الزمخشري وأكثر نفيراً مما كنتم وقدره غيره وأكثر نفيراً من الأعداء إن أحسنتم أي أطعتم الله كان ثواب الطاعة لأنفسكم وإن أسأتم بمعصيته كان عقاب الإساءة لأنفسكم لا يتعدى الإحسان والإساءة إلى غيركم وجواب وإن أسأتم قوله فلها على حذف مبتدأ محذوف وظاهره تقديره فالإساءة لها قال الكرماني فلها باللام ازدواجاً انتهى يعني أنه قابل قوله لأنفسكم بقوله فلها وقال الطبري اللام بمعنى إلى أي فإليها ترجع الإساءة وقيل اللام بمعنى على أي فعليها كما في قوله فخر صريعاً لليدين وللفم فإذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة في إفسادكم وعلوكم وجواب إذا محذوف يدل عليه جواب إذا الأولى تقديره بعثناهم عليكم وإفسادهم في ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وسبب قتله فيما روي عن ابن عباس وغيره أن ملكاً أراد أن يتزوج بمن لا يجوز له نكاحها فنهاه يحيى بن زكريا وكان لتلك المرأة حاجة كل يوم عند الملك تقضيها فألقت أمها إليها أن تسأله في ذبح يحيى بن زكريا بسبب ما كان منعه من تزوج ابنتها فسألته ذلك ودافعها فألحت عليه فدعى بطست فذبحه فندرت قطرة على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بخت نصر فألقي في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين ألفاً وقال السهيلي لا يصح أن يكون المبعوث في المرة الآخرة بخت نصر لأن قتل يحيى بعد رفع عيسى وبخت نصر كان قبل عيسى بزمن طويل وقبل الموت عليهم الإسكندر وبين الإسكندر وعيسى نحو من ثلاثمائة سنة ولكنه إن أريد بالمرة الآخرة حين قتلوا شعيا فكان بخت نصر إذ ذاك حياً فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس وأتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها وروي عن عبد الله بن الزبير أن الذي غزاهم آخراً ملك اسمه خردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكريا قائد له فسكن الدم وقيل قتله ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له لاحب وقال الربيع بن أنس كان يحيى قد أعطي حسناً وجمالاً فراودته امرأة الملك عن نفسه فأبى فقالت لابنتها سلي أباك رأس يحيى فأعطاها ما سألت ليسوؤوا وقرأ الجمهور ليسوؤوا بلام كي وبالغيبة وضمير الجمع الغائب على المبعوثين وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الإفراد والفاعل المضمر عائد على الله تعالى أو على الوعد أو على البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله تعالى وقرأ أبي لنسوءن بلام الأمر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخراً وعن علي أيضاً لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة وهي لام القسم ودخلت لام الأمر في قراءة أبي على المتكلم كقوله ولنحمل خطاياكم وجواب إذا هو الجملة الأمرية على تقدير الفاء وفي مصحف أبي ليسيء بياء مضمومة بغير واو وفي مصحف ليسوء وجمع على الإفراد والظاهر أنه أريد بالوجوه الحقيقة لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ففي الفرح يظهر الإسفار والإشراق وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة ويحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه فإنهم ساؤوهم بالقتل والنهب والسبي فحصلت الإساءة للذوات كلها أو عن ساداتهم وكبرائهم بالوجوه ومنه قولهم في الخطاب يا وجه العرب واللام في وليدخلوا لام كي معطوفاً على ما قبلها من لام كي ومن قرأ بلام الأمر أو بلام القسم جاز أن يكون وليدخلوا وما بعده لام أمر وجاز أن يكون لام كي أي وبعثناهم ليدخلوا المسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه أول مرة أي بالسيف والقهر والغلبة والإذلال

وهذا يبعد قول من ذهب الى ان اولي المومنين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب وتقدم الكلام في اول من
في سورة التوبة وليتبروا ليهلكوا وقال قطرب يهدموا قال الشاعر • فما الناس الا عاملان • فعامل متبر
ما يبني واخر رافع • والظاهر ان ما مفعول به ليتبروا اي ليهلكوا ما غلبوا عليه من الاقطار ويحتمل ان يكون ما
ظرفية اي مدة استعلائهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم عن المعاصي وهذه
الترجية ليست لرجوع دولة وانما هي من باب ترحم المطيع منهم وكان من الطاعة ان يتبعوا عيسى ومحمدا عليهما
السلام فلم يفعلوا وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فاعاد الله عليهم
النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا عليه السلام فهم يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منه
في عذاب الى يوم القيمة انتهى ومعنى عدنا في الدنيا الى العقوبة وقال واذ تاذن ربك ليبعثن
عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ثم ذكر ما اعد لهم في الاخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا
والحصير السجن وقال لبيد • ومقامة غلب الرجال كانهم • جن لدى باب الحصير قيام • وقال الحسن
يعني فراشا وعنه ايضا هو ماخوذ من الحصر والذي يظهر انها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم
فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مونث كما تقول رحيمة وعليمة
ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر به اي ذات انفطار • قوله تعالى • ان هذا القران
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا • وان الذين لا يومنون
بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما • ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا • وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا • وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا
يلقاه منشورا • اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى • وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا • لما
ذكر تعالى من اختصه بالاسراء وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتاه التوراة وهو موسى عليه السلام وانها
هدى لبني اسرائيل وذكر ما قضى عليهم فيها من التسليط عليهم بذنوبهم فان ذلك رادع من عقل
عن معاصي الله وذكر ما شرف الله به رسوله من القران الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب الهي وانه يهدي
للطريقة او الحالة التي هي اقوم وقال الضحاك والكلبي والفراء التي هي اقوم هي شهادة التوحيد وقال
مقاتل الاوامر والنواهي واقوم هنا افعل التفضيل على قول الزجاج اذ قدر اقوم الحالات وقدره
غيره اقوم مما عداها او من كل حال والذي يظهر من حيث المعنى ان اقوم هنا لا يراد بها التفضيل
اذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد اليها القران وطريقة غيرها فتفضلت هذه عليها وانما
المعنى التي هي قيمة مستقيمة كما قال وذلك دين القيمة وفيها كتب قيمة اي مستقيمة الطريقة قائمة
بما يحتاج اليه من امر الدين وقال الزمخشري للتي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة وايما
قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من
فخامة تفقد مع ايضاحه انتهى ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات قيد في الايمان الكامل الذي
العمل هو كمال الايمان لينبه على الحالة الكاملة ليتحلى بها المومن والمومن المفرط في عمله له بايمانه
حظ في عمل الصالحات والاجر الكبير الجنة وقال الزمخشري فان قلت كيف ذكر المومنين الابرار والكفار

ولم

ولم يذكر الفساق قلت كان الناس حينئذ اما مومن تقي
واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك انتهى وهذه مكابرة بل قد وقع في زمان
الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض المومنين هنات
وسقطات بعضها مذكور في القران وبعضها مذكور
في الحديث الصحيح الثابت وان الذين لا يومنون بالاخرة
عطف على قوله ان لهم اجرا كبيرا فبشروا بفوزهم
بالجنة وبكينونة العذاب الاليم لاعدائهم الكفار اذ في
علم المومنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم فهما يكونان
بشارتان وفيه وعيد شديد للكفار قال الزمخشري
رضي الله عنه ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يومنون
انتهى فلا يكون اذ ذاك داخلا تحت البشارة وفي قوله
وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
دليل على ان من امن بالاخرة لا يعد له عذاب
اليم وانه ليس عمل الصالحات شرطا في نجاته
٤ من العذاب • وقرا الجمهور ويبشر مشددا مضارع
بشر المشدد وقرا عبد الله وطلحة وابن وثاب
والاخوان ويبشر مضارع بشر المخفف ومعنى اعتدنا
اعددنا وهيانا وهذه الاية جاءت عقب ذكر احوال
ك اليهود وانهم كانوا ممن لا يومن بالاخرة لان اكثرهم لا يقولون
بالثواب والعقاب الجسماني وبعضهم قال لن تمسنا
النار الا اياما معدودات فلم يومنوا بالاخرة حقيقة
الايمان بها • ويدع الانسان قال ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد وقتادة نزلت ذامة لما يفعله الناس من
الدعاء على اموالهم وابنائهم في اوقات الغضب والضجر
ومناسبتها لما قبلها ان بعض من لا يومن بالاخرة كان
يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الاخرة
كقول النضر فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم الاية وكذلك ويدع بغيره اي على حسب
الشيء والانسان هنا ليس واحدا معينا والمعنى
ان في طباع الانسان انه اذا ضجر وغضب دعا على
نفسه واهله وماله بالشر ان يصيبه كما يدعو بالخير
مطلب ان يصيبه ثم ذكر سبحانه وتعالى ان ذلك من عدم
تثبته وقلة صبره وعن سلمان الفارسي وابن عباس رضي
الله عنهما اشارة الى ادم عليه الصلاة والسلام لما نفخ الروح في راسه

والبصر فلما رأى مشي الروح في بدنه قبل ساقه الجنة
نفسه فذهب يمشي مستعجلا فلم يقدر والمعنى
دوا عجلة موروثة من ابيكم انتهى وهذا القول شو
يشبه عند الفاظ الآية وقالت فرقة هذه الآية ذم
لمعرفة قريش الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وكان الاولى لهم ان يقولوا فاهدنا اليه وارحمنا
وقالت فرقة هي معاتبة للناس على انهم اذا نالهم شر
وضر دعوا وألحوا في الدعاء واستعجلوا الفرج
مثل الدعاء الذي كان يجب ان يدعو في حالة الخير فهي
وما لنا في بالشر بالخير على هذا بمعنى في والمعنى في ذلك
ان المدعو به ليس الشر والخير وترادعا هذا ان تكون
حالتاه في الشر والخير مستويا وفي رواية اي ان تكون
حالتاه في الشر والخير مستويا وينبغي في الدعاء والتضرع
لله عز وجل والرغبة والذكر وينبغي عن هذا المعنى
قوله دعاءه اذ هو مصدر تشبيهي يقتضي وجوده وفي هذا
التولد شبه دعاءه في حالة الشر بدعائه مفقودا وكان ينبغي
ان يوجد في حالة الخير وقيل المعنى ويدعو الانسان في
طلب المحرم كما يدعو في طلب المباح وجعلنا الليل والنهار
آيتين لما ذكر سبحانه وتعالى القرآن وانه هاد الى الطريقة
المستقيمة ذكر ما انعم به مما لم يكمل الانتفاع الا به وما دل
على توحيده من عجائب العالم العلوي وايضا لما ذكر حالة
الانسان وانتقاله من حال الى حال ذكر ان كل هذا
العالم كذلك في الانتقال لا يثبت على حال واحد فنور
عقيب ظلمة وظلمة عقيب نور وازدياد نور وانتقاص
والظاهر ان الليل والنهار مفعولان اول وان جعل بمعنى
صير وآيتين مفعول ثان المفعولين ويكونان في
انفسهما آيتين لانهما علامتان للنظر والعبرة ويكون
الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا
الآية التي هي النهار مبصرة وقيل هو على حذف مضاف فقدره
بعضهم وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين وقدره بعضهم
وجعلنا ذوي الليل والنهار اي صاحبي الليل والنهار وعلى
كلا التقديرين يراد به الشمس والقمر ويظهر ان آيتين
هو المفعول الاول والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول

الثاني

الثاني اي وجعلنا في الليل والنهار آيتين وقال الكرماني
رضي الله عنه ليس جعل هنا بمعنى صير لان ذلك
يقتضي حالة تقدمت نقل الشيء عنها الى حالة اخرى
ولا بمعنى سمى وحكم ولانه لا يقال لكل واحد منهما
وادعان من حيث لا يعلم وتنقصان احدهما بزيادة الاخر
وضوء النهار وظلمة الليل فمحونا آية الليل اذا قلنا
ان الليل والنهار هما المجعولان آيتين فمحو آية الليل
عبارة عن السواد الذي يكون فيه بل خلق اسود من اول
حاله ولا يقتضي الفاء تعقيبا بطلها وهذا كما تقول
تعنيت داري فبدات بالاس واذا قلنا ان الآيتين
هما الشمس والقمر فقيل محو القمر كونه لم يجعل له
نورا وقيل محوه طلوعه صغيرا ثم ينتقص حتى يستسر
وقيل محوه نقصه عن ما كان خلق عليه من الاضاءة
وانه جعل نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك
فمحا من نور القمر حتى صار على جزء واحد وجعل ما محى
منه زائدا في نور الشمس وهذا مروي عن علي وابن
عباس رضي الله عنهما اجمعين وقال ابن عيسى رضي الله عنه
جعلناها لا تبصر المرئيات فيها كما لا يبصر ما محي من
الكتاب قال وهذا من البلاغة الحسنة جدا وقال
الزمخشري رضي الله عنه فمحونا آية الليل اي جعلنا
الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان منه شيء
كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا
اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية
الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع ه
الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا
الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء انتهى ونسبة
الابصار الى آية النهار على سبيل المجاز كما تقول ليل قائم
ونهار صائم اي يقام فيه ويصام فيه فالمعنى يبصر فيها
وقيل بمعنى مبصرة مضيئة وقيل هو من باب افعل والمراد
به غيره كقولهم اجبن الرجل اذا كان
اهله جبناء واضعف اذا كان دوابه ضعافا فابصرت
الآية اذا كان اهلها اصحابها بصراء وقرأ قتادة
وعلي بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر
اقيم مقام الاسم وكثر مثل ذلك في صفات الامكنة
كقولهم ارض مسبعة ومكان مضبة وعلى المحو والابصا ر

بابتغاء الفضل وعلم عدد السنين والحساب ووجه
التعليل بالابتغاء لما فيه من آية النهار وتأخير
التعليل بالعلم عن آية الليل وجاء في قوله عز وجل ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله القرآن بتعليل المتقدم ثم تعليل التأخير
بالغاية المتأخرة وبما طويت أن نقدم الكلام عليهما ومعنى
لتبتغوا أي لتتوصلوا إلى استبانة أعمالكم وتصرفاتكم
أي تصرفكم في معايشكم والحساب للشهور والأيام والساعات
ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة آية الليل ومن
جهة آية النهار وكل شيء مما تفتقرون إليه في دينكم
ودنياكم فصلناه أي بيناه تبيينا غير ملتبس والظاهر
أن نصب وكل شيء على الاشتغال وكان ذلك أرجح من الرفع
لسبق الجملة الفعلية في قوله وجعلنا الليل والنهار
آيتين فانعدم من ذهب إلى أن وكل شيء معطوف
على قوله والحساب والطائر قال ابن عباس رضي الله عنهما
ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب في هذه الآية
بما تعرف إذ كان من عادتها التيمن والتشاؤم بالطير
في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء
وحيوان الفلاة وسمت ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد أن
تلك الطيرة قاضية بما يلقى الإنسان من خير وشر فأخبرهم
الله سبحانه وتعالى في أوجز لفظ وأبلغ إشارة أن جميع ما يلقى
الإنسان من خير وشر قد سبق به القضاء وألزم حظه
وعمله ومكسبه في عنقه فعبر عن الحظ والعمل إذ هما
متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة رضي الله
عنهما بحسب معتقد العرب في التطير وقولهم في الأمور على
الطائر الميمون وبأسعد طائر ومنه ما طار في المحاصة
والسهم ومنه فطار لنا من القادمين عثمان بن مظعون
أي كان ذلك حظنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما وكل إنسان
ألزمناه طائره أي عمله وعن السدي رضي الله عنه كتابه
الذي يطير إليه وعن أبي عبيدة رضي الله عنه الطائر
عند العرب الحظ وهو الذي تسميه الفرس البخت بفتح الباء وسكون
الخاء وعن الحسن رضي الله عنه قال الله تعالى يا ابن آدم إني
قد بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك
وخص العنق لأنه محل الزينة والشين فإن كان خيرا
زانه كما يزين الطوق والحلي وإن كان شرا شانه كالغل

في الرقبة

في الرقبة وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء طيره بلا ألف ومع
سكون الياء وقرئ في عنقه بسكون النون وقرأ الجمهور
ومنهم أبو جعفر رضي الله عنه ونخرج بنون مضارع
أخرج كتابا بالنصب وعن أبي جعفر أيضا ويخرج بالياء
مبنيا للمفعول كتابا أي ويخرج الطائر كتابا وعنه أيضا
كتاب بالرفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله وقرأ
الحسن وابن محيصن ومجاهد ويخرج بفتح الياء وضم
الراء أي طائره كتابا إلا الحسن فقرأ كتاب على أنه فاعل
يخرج وقرأت فرقة ويخرج بضم الياء وكسر الراء أي
ويخرج الله وقرأ الجمهور يلقاه بفتح الياء وسكون
اللام وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والجحدري والحسن
بخلف عنه يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف منشورا
غير مطوي لتمكنه من قراءته ويلقاه ومنشورا صفتان
لكتاب ويجوز أن يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه
اقرأ كتابك معمول لقول محذوف أي يقال له
يوم القيامة اقرأ كتابك وقال قتادة رضي الله عنه يقرأ
في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقال الزمخشري
وغيره وبنفسك فاعل كفى انتهى وهذا مذهب
الجمهور والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه أنه
إذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى قال الشاعر
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
وقال آخر
ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا
وقيل فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء أي كفى هو أي الاكتفاء
بنفسك وقيل كفى اسم فعل بمعنى اكتف والفاعل مضمر
يعود على المخاطب وعلى هذين القولين لا تكون الباء زائدة
وإذا فرعنا على قول الجمهور أن بنفسك هو فاعل كفى فكان القياس
أن تدخل تاء التأنيث لتأنيث الفاعل فكان يكون التركيب
كفت بنفسك كما تلحق مع زيادة من في الفاعل إذا كان
مؤنثا كقوله تعالى فما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها وقوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ولا يحفظ
جاء التأنيث في كفى إذا كان الفاعل مؤنثا مجرورا بالباء
والظاهر أن المراد بنفسك ذاتك أي كفى بك وقال
مقاتل رضي الله عنه يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه إذا نكر
وقال أبو عبيدة رضي الله عنه أي ما أشد كفايتك عاملت بما

علمت

علمت واليوم منصوب بكفى وعليك متعلق بحسيبا ومعنى
حسيبا حاكما عليك بعملك قال الحسن رضي الله عنه قال
يا ابن ادم لقد انصفك الله وجعلك حسيب نفسك وقال
الكلبي رضي الله عنه محاسبا يعني فعيل بمعنى مفاعل كجليس
وخليط وقيل حاسبا كضريب القداح اي ضاربها وصريم
بمعنى صارم يعني انه مبالغة كرحيم وحفيظ وذكر
حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان
الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال وكانه قيل
كفى بنفسك رجلا حسيبا وقال ابن الانباري رضي الله عنه
وانما قال حسيبا والنفس مؤنثة لانه يعني بالنفس هنا
الشخص او لانه لا علامة للتانيث في لفظ النفس فشبهت
بالسماء والارض قال الله عز وجل السماء منفطر به
وقال الشاعر ولا ارض ابقل ابقالها من اهتدى
الاية قالت فرقة نزلت الاشارة في الاهتداء الى ابي سلمة
ابن عبد الاسد وفي الضلال الى الوليد بن المغيرة
وقيل نزلت في الوليد هذا قال يا اهل مكة اكفروا بمحمد واثمكم
علي وتقدم تفسير ولا تزر وازرة وزر اخرى في سورة
الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ... انتفاء
التعذيب ببعثة الرسول والمعنى حتى نبعث رسولا فيكذب
ولا يؤمن بما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى وانتفاء
التعذيب اعم من ان يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من
العذاب او في الاخرة بالنار فهو يشملهما ويدل على
الشمول قوله في الهلاك في الدنيا بعد هذه الاية واذا اردنا
وفي اخرى فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وايات كثيرة
نصت فيها على الهلاك في الدنيا بانواع من العذاب حين كذبت
الرسل وقوله في عذاب الاخرة كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير وكلما تدل
على عموم ان ... الانبياء فيعم المتقين وقوله وان من امة
الا خلا فيها نذير وذهب الجمهور الى ان هذا في حكم الدنيا اي
ان الله سبحانه وتعالى لا يهلك امة بعذاب الا من بعد الرسالة
اليهم والانذار وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت
الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها
يعرف الله عز وجل وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه
واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكونهم
لذلك الاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف

الرسل

الرسل

والعمل

والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول صلى
عليه الصلاة والسلام من جملة التنبيه على النظر والايقاظ
من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا انك
قد بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل انتهى
وقال مقاتل رضي الله عنه المعنى وما كنا مستاصلين
في الدنيا اذا اقتضته الحكمة الالهية حتى نبعث رسولا
اقامة للحجة عليهم وقطعا للعذر منهم كما فعلنا بعاد
وثمود والمؤتفكات وغيرها قوله تعالى واذا اردنا ان
نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم
يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد
هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها اخر
فتقعد مذموما مخذولا لما ذكر سبحانه وتعالى انه
لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك
علة اهلاكهم وهي مخالفة امر الرسول صلى الله عليه وسلم
والتمادي على الفساد وقال الزمخشري رضي الله عنه
واذا اردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا
قليل انتهى فتاول اردنا على معنى دنو وقت اهلاكهم
وذلك على قاعدة الاعتزال وقرا الجمهور امرنا وفي
هذه القراءة قولان احدهما يعني الاول منهما وهو الظاهر
انه من الامر الذي هو ضد النهي واختلف في متعلقه
فذهب الاكثرون منهم ابن عباس وجبير رضي الله عنهما
الى ان التقدير امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا
وذهب الزمخشري رضي الله عنه الى ان التقدير امرناهم
بالفسق ففسقوا ورد على من قال ان التقدير امرناهم
بالطاعة فقال اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر
مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا
وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب
عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع
الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه

وابن جبير

وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من
الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على
الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا
الفسوق والعصيان فلما فسقوا حق عليها القول وهي
كلمة العذاب فدمرهم أي أهلكهم إهلاكا **فإن قلت** هلا
زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا **قلت**
لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف ما الدليل
قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا
يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام و
أمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة
ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم
الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل
أمري لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما
يناقض الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى
يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام
فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر
فلم يكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع
ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول **فإن قلت**
هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما
يأمر بالقسط والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير
ففسقوا **قلت** لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه
فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعي إضمار خلافه فكان صرف
الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله
استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء
لأحسن إليك ولو شاء لأساء إليك تريد لو شاء الإحسان
ولو شاء الإساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت و
قلت قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من
أهل الإحسان أو من أهل الإساءة فاترك الظاهر المنطوق
به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على
سداد انتهى أقول أما ما ارتكبه من المجاز وهو أن أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول وقوله إن أمرنا مترفيها
صببنا عليهم النعمة صبا فيبعد ذلك جدا وأما قوله
وأقدرهم على الخير والشر إلى آخره فمذهب المعتزلة
وقوله لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز بتعليل لا يصح فيما نحن

بسبيله

بسبيله بل نقيض ما يدل على حذفه وقوله فكيف بحذف
ما الدليل قائم على نقيضه إلى قوله علم الغيب فنقول
حذف الشيء تارة يكون لدلالة ما بعده عليه ومنه
ما مثل به في قوله أمرته فقام وأمرته فقرأ
وتارة يكون لدلالة خلافه وضده أو نقيضه ومن ذلك
قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
قالوا تقديره ما سكن وما تحرك وقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر قالوا في معنى ذلك يعني تقيكم الحر والبرد

وقول الشاعر

وما أدري إذا يممت أرضا ۞ أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذي أنا أبتغيه ۞ أم الشر الذي هو يبتغيني

تقديره أريد الخير وأجتنب الشر وتقول أمرته
فلم يحسن فليس المعنى أمرته بعدم الإحسان فلم يحسن
بل المعنى أمرته بالإحسان فلم يحسن وهذه الآية من هذا
القبيل تدل على حذف الفسق بإثبات نقيضه
ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير
وكذلك أمرته فأساء إلي ليس المعنى أمرته بالإساءة
فأساء إلي إنما يفهم منه أمرته بالإحسان فأساء إلي
وقوله ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني فنقول بل يلزم
وقوله لأن ذلك مناف أي لأن العصيان مناف
وهو كلام صحيح وقوله فكان المأمور به غير مدلول عليه ولا
منوي هذا لا نسلم بل هو مدلول عليه ومنوي لا بدلالة
الموافق بل بدلالة المناقض كما بيناه وأما قوله لأن
من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به هذا
أيضا لا نسلم وقوله في جواب السؤال لأن قوله
ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعي خلافه
أي إضمار خلافه قلنا نعم ندعي إضمار خلافه ودل على
ذلك نقيضه وقوله ونظير أمر أي شاء في أن مفعوله
استفاض فيه الحذف **قلت** ليس نظيره لأن مفعول أمر
لم يستفض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه بل لا يكاد
يستعمل مثل شاء محذوفا مفعوله لدلالة ما بعده عليه
وأكثر استعماله مثبت المفعول لانتفاء الدلالة على حذفه قال
الله سبحانه وتعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء وقال عز وجل في آية
أخرى أمر ألا تعبدوا إلا إياه وقال تعالى في آية أخرى أم
تأمرهم أحلامهم بهذا وقال تعالى في آية أخرى قل أمر ربي بالقسط

وقال تعالى في آية أخرى أنسجد لما تأمرنا إلى وجه وقال تعالى
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا. وقال الشاعر
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به. وقال أبو عبد
الله الرازي رضي الله عنه ولقائل أن يقول كما أن قوله
أمرته فعصاني يدل على أن المأمور به شيء غير الفسق
لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضد المأمور به أي بضده فكونه
فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه معصية ينافي كونها
مأمورا بها فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به
ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور فلا أدري لم أصر
صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت أن الحق
ما ذكرناه وهو أن المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي
الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك عنادا وأقدموا
على الفسق انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم. القول الثاني
أن معنى أمرنا كثرنا أي كثرنا مترفيها يقال أمر الله
القوم أي كثرهم حكاه أبو حاتم عن أبي زيد رضي الله عنه
وقال الواحدي رضي الله تعالى عنه العرب تقول أمر
القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم انتهى وقال أي جعلناهم أمراء
أبو علي الفارسي رضي الله عنه الجيد في أمرنا أن تكون
بمعنى كثرنا واستدل أبو عبيدة رضي الله عنه على صحة هذه
اللغة بما جاء في الحديث خير المال للمسلم سكة مأبورة
ومهرة مأمورة أي كثيرة النسل يقال أمر الله المهرة
أي كثر نسلها وولدها ومن أنكر أمر الله القوم بمعنى كثرهم
لم يلتفت إليه لثبوت ذلك لغة ويكون مما لزم وتعدى
بالحركة المختلفة إذ يقال أمر القوم أي كثروا وأمرهم
كثرهم وهو من باب المطاوعة أمرهم الله فأمروا كقولك
شتر الله عينه فشترت وجدع الله أنفه فجدع وثلم
سنه فثلمت. وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر وعكرمة
أمرنا بكسر الميم وحكاها النحاس وصاحب اللوامح عن ابن عباس
رضي الله عنهما ورد الفراء هذه القراءة لا يلتفت إليه إذ نقل
أنها لغة كفتح الميم ومعناها كثرنا حكاه أبو حاتم عن أبي زيد
يقال أمر الله ماله وأمره أي كثره بكسر الميم وفتحها
وقرأ علي بن أبي طالب وابن إسحاق رضي الله عنهما وفي رواية
وابن أبي إسحاق وأبو رجاء وعيسى بن عمر وسلام وعبد الله
ابن أبي يزيد والكلبي آمرنا بالمد وجاء كذلك عن ابن عباس
والحسن وقتادة وأبي العالية وابن هرمز وعاصم وابن كثير

وأبي عمرو

وأبي عمرو ونافع وهو اختيار يعقوب ومعناه كثرنا يقال آمر الله
القوم وآمرهم الله فيتعدى بالهمزة. وقرأ ابن عباس وأبو
عثمان النهدي والسدي وزيد بن علي وأبو العالية أمّرنا
بتشديد الميم. وروي ذلك أيضا عن علي والحسن والباقر
وعاصم وأبي عمرو وعدي أمرنا بالتضعيف والمعنى أيضا
كثرنا وقد يكون أمّرنا بالتشديد بمعنى وليناهم وصيرناهم
أمراء. واللازم من ذلك أمر فلان إذا صار أميرا أي ولي
الأمر وفي رواية أي إذا ولي الأمر. وقال أبو علي الفارسي
لا وجه لكون أمّرنا من الإمارة التي الولاية والحكم
لأن رئاستهم لا تكون إلا لواحد بعد واحد والإهلاك إنما
يكون في مدة واحد منهم. وقال أبو علي رضي الله عنه
لا يلزم ما ذكرنا لا نسلم أن الأمير هو الملك بل كل من يأمر
وينهى ويؤتمر به. والعرب تسمي أميرا كل من يؤتمر به وإن لم
يكن ملكا وليس لنا أن نذر أريد به الملك فلا يلزم ما قاله
لأن القرية إذا أهلكت على مترفيها ثم فسق ثم آخر ففسق
ثم كذلك ثم كثر الفساد وتوالى الكفر ونزل بهم
على الآخر من ملوكهم. ووردت في السور الثلاث قراءات وقد تعلق به
أي بحصر في قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها أي بتشديد الميم من أمّرنا فأقول
في التوحيد ما أصح هذه الكناية والقول الذي حق عليهم هو
وعيد الله الذي قاله رسولهم. وقيل القول هؤلاء فلان
وهؤلاء في النار ولا أبالي والتدمير الإهلاك مع طمس الأثر
وهدم البناء. وكم في موضع نصب على المفعول بأهلكنا أي كثيرا
من القرون أهلكناهم ومن القرون بيان لكم وتمييز
له كما يميز العدد بالجنس والقرون هم عاد وثمود وغيرهم
ويعني ما هنا هلاك هنا الإهلاك بالعذاب وفي ذلك تهديد
ووعيد لمشركي مكة. وقال تعالى من بعد نوح ولم يقل من
بعد آدم لأن نوحا أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه
أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهي الاستئصال بالطوفان
وتقدم القول في عمر القرن. ومن الأولى للتبيين
والثانية لابتداء الغاية وتعلقا بأهلكنا
لاختلاف معنييهما. وقال الحوفي من بعد نوح من الثانية
بدل من الأولى انتهى وهذا ليس بجيد. وقال ابن عطية
رضي الله عنه هذه الآية تقضي في قوله وكفى بربك إنما هي
الأغلب في مدح الأمر انتهى وبذنوب عباده تنبيه على

علم ان الذنوب هي اسباب الهلكة وخبيرا بصيرا تنبيه على انه عالم
بها فيعاقب عليها وتعلق بذنوب بخبيرا او بصيرا وقال
الحوفي رضي الله عنه يتعلق بكفى انتهى وهذا وهم والعاجلة هي
الدنيا ومعنى ارادتها ايثارها على الآخرة ولا بد من تقدير
حذف دل عليه المقابلة في قوله ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ولا بد من تقدير
حذف دل عليه المقابل في قوله ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا فالتقدير من
كان يريد العاجلة وسعى لها سعيها وهو كافر وقيل المراد من
كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر
للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه الصلاة
والسلام من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب
وقيل نزلت في المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة
لا للثواب وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته
الى ما هاجر اليه وقال عليه الصلاة والسلام من طلب الدنيا بعمل
الآخرة فما له في الآخرة من نصيب. ومن شرط وجوابه عجلنا
له فيها ما نشاء فقيد المعجل بمشيئته اي ما نشاء تعجيله ولمن
نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل لان الضمير في له عائد
على من الشرطية وهي في معنى الجمع كما قال وكم حاصل هنا على
اللفظ لا على المعنى فقيد المعجل بارادته فليس من يريد العاجلة
يحصل له ما يريده الا ترى ان كثيرا من الناس يختارون
الدنيا ولا يحصل لهم منها الا ما قسمه الله لهم وكثير منهم
يتمنون الشيء اليسير فلا يحصل لهم ويجمع عليهم بذلك شقاء
الدنيا والآخرة وقرأ الجمهور ما نشاء بالنون وروى عن
نافع رضي الله عنه ما يشاء بالياء فقيل الضمير في يشاء يعود
على الله عز وجل وهو من باب الالتفات فقراءة النون والياء
سواء وقيل يجوز ان يعود على من العائد عليه الضمير في له
وليس ذلك عاما بل لا يكون له ما يشاء الا احاد اراد الله لهم
ذلك والظاهر ان الضمير في لمن نريد يعود الى من مع تقدير مضاف
محذوف يدل عليه ما قبله اي لمن نريد تعجيله له اي تعجيل
ما يشاء قال ابو اسحاق الفزاري رضي الله عنه المعنى لمن نريد
هلكته وما قاله لا تدل عليه لفظ في الآية وجعلنا بمعنى
صيرنا والمفعول الاول جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما

مبتدا

مبتداء وخبر فيستقل جهنم للكافر كما قال هؤلاء للنار ولا
ابالي وهؤلاء للجنة ولا ابالي ويصلاها حال من جهنم وقال
ابو البقاء او حال من الضمير الذي في له وقال صاحب
الغنيان مفعول جعلنا الثاني محذوف تقديره
مصيرا وجزاء وفي رواية تقدير المصير او الجزاء انتهى.
ومذموما اشارة الى الاهانة ومدحورا اشارة الى البعد
والطرد من رحمة الله عز وجل ومن اراد الآخرة اي ثواب
الآخرة بان يؤثرها ويؤثرها على الدنيا ويعقد ارادته بها
وسعى فيما كلف من الاعمال والاقوال لها سعيها اي
السعي المعد للنجاة فيها وهو مؤمن هو الشرط الاعظم
في النجاة فلا تنفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي
الحقيقة هو الناشئ عنه ارادة الآخرة والسعي للنجاة
فيها وحصول الثواب. وعن بعض المتقدمين من لم يكن
معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة
وعمل مصيب وتلا هذه الآية المتقدمة. فاولئك
اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف وراعى معنى
من فلذلك كان بلفظ الجمع والله تعالى يشكرهم على طاعتهم
وهو سبحانه وتعالى هو المشكور على ما اعطى من العقل
وانزال الكتب وايضاح الدلائل وهو المستحق للشكر
حقيقة ومعنى شكره تعالى المطيع الاثناء عليه وثوابه
على طاعته وانتصب كلا بنمد والامداد المواصلة
بالشيء والمعنى كل واحد من الفريقين نمد كذا
قدره الزمخشري رضي الله عنه واعربوا هؤلاء بدلا
من كلا ولا يصح ان يكون بدلا من كل على تقدير كل واحد
لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي ان يكون
التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة
التفصيل والظاهر ان هذا الامداد هو في الرزق في دار
الدنيا وهو قول الحسن وقتادة رضي الله تعالى عنهما
اي ان الله عز وجل يرزق في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين
ومريدي الآخرة المؤمنين ويمد الجميع بالرزق وانما يقع
التفاوت في الآخرة ويدل على هذا التأويل وما كان
عطاء ربك محظورا اي ان رزقه سبحانه وتعالى لا يضيق
عن مؤمن ولا كافر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معنى
من عطاء ربك من الطاعات لمريدي الآخرة ومن المعا صي
لمريدي العاجلة فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد

من خير أو شر وينبغي لفظ العطاء على الإرفاد بالطاعات والظاهر
أن انظر بصرية لأن التفاوت في الدنيا مشاهد وكيف
في موضع نصب بعد حذف حرف الجر لأن نظر يتعدى به
فانظر هنا معلقة ولما كان النظر مفضيا ومسببا إلى العلم
جاز أن تعلق ويجوز أن يكون انظر من نظر الفكر والأكثر هنا
في تعليقه إذ هو فعل قلبي والتفضيل هنا عبارة عن
الطاعات المؤدية إلى الجنة والمفضل عليهم الكفار وهم
كأنه قيل انظر كيف تفضيل فريق على فريق وعلى التأويل
الأول كأنه قيل في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين ومن
الكافرين والمفضلون في الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا بحذو
تفضيل من درجات الدنيا ومن تفضيل الدنيا وروي
أن قوما من الأشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله
عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق ذلك على أبي سفيان
فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا
يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف
التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد
الله لهم في الجنة أكثر • وقرئ أكثر بالثاء المثلثة وقال
ابن عطية رضي الله عنه وقوله أكبر درجات ليس في اللفظ
من أي شيء لكنه في المعنى ولا بد أكبر درجات من كل ما نضيفا
بالوجود أو بالفرض ورأى بعض العلماء أن هذه الدرجات
والتفضيل إنما هو فيما بين المؤمنين وأسند الطبري رضي
الله عنه في ذلك حديثا نصه إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم
درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها وقد رضي الله
الجميع فما يغبط أحد أحدا. فالخطاب في لا تجعل للسامع
غير الرسول عليه الصلاة والسلام وقال الطبري وغيره
الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الخلق انتهى •
وقوله تعالى فتقعد قال الزمخشري رضي الله عنه
هو على حد قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة
بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه
من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة
ممن جعلته شريكا له انتهى وما ذهب إليه من استعمال قوله
فتقعد بمعنى فتصير لا يجوز عند أصحابنا وقعد عندهم
بمعنى صار مقصورة على المثل • وذهب الفراء إلى أنه يطرد
جعل قعد بمعنى صار وجعل من ذلك قول الراجز •
لا يقنع الجارية الخضاب • ولا الوشاحان ولا الجلباب •

من دون

• من دون أن تلتقي الأركاب • ويقعد الأير له لعاب •
وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة إلا قضاها بمعنى صار
قال الزمخشري رضي الله عنه أخذ في الآية بقول الفراء رضي
الله عنه والقعود هنا بمعنى المكث أي فتمكث في الناس مذموما
مخذولا كما تقول لمن سأل عن حال شخص هو قاعد في أسوإ
حاله ومعناه ماكث ومقيم وسواء كان قائما أم جالسا وقد
يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن
يقعد حائرا متفكرا وعبر بغالب حاله وهو القعود وقيل
معنى فتقعد فتعجز والعرب تقول ما أقعدك عن
المكارم والذم هنا لاحق من الله سبحانه وتعالى ومن ذوي
العقول في أن يكون الإنسان يجعل عودا أو حجرا أفضل من
نفسه ويخصه بالكرامة وينسب إليه الألوهية ويشركه مع الله
الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه والخذلان في هذا يكون
بإسلام الله عز وجل ولا يكفل له بنصره والمخذول الذي لا ينصره
من يحب أن ينصره وانتصب مذموما مخذولا على الحال
وعند الفراء والزمخشري على أنه خبر لتقعد • كلا اسم
مثنى معنى اتفاقا مفرد لفظا عند البصريين على وزن فعل
كمعى ولامه ألف منقلبة عن واو عند الأكثرين لفظا
عند الكوفيين وتبعهم السهيلي رضي الله عنه والألف للتثنية
لا أصل ولامه لام محذوفة عند السهيلي ولا نص عن الكوفيين
فيها ويحتمل أن تكون موضوعة على حرفين على أصل مذهبهم
ولا تنفك عن الإضافة وإن أضيف إلى مظهر فالألف ثابتة
مطلقا في مشهور اللغات وكذا إن أضيف لمضمر لمثنى
أو إلى مضمر فالمشهور قلب الألف ياء نصبا وجرا والذي
تضاف إليه مثنى أو ما في معناه وجاء التفريق في الشعر
مضافا لظاهر وحفظ الكوفيون كلاي وكلاك قاما وتستعمل
تابعا توكيدا ومبتدأ ومنصوبا ومجرورا ويخبر عنه
إخبار المفرد فصيحا وبالمثنى وأخبار المثنى قليلا وربما
وجب • أف اسم فعل بمعنى أتضجر ولم يأت اسم فعل
بمعنى المضارع إلا قليلا نحو أف وأوه بمعنى أتوجع وكان
قياسه أن لا يبنى لأنه لم يقع موقع المبني وذكر الرماني في
كتاب الجلالة أن في أف لغات تقارب الأربعين ونحن نسرد
مضبوطة كما رأيناها وهي أُفَ أُفِ أُفُ أُفٍ أُفٌ أُفًا
أُفَّ أُفِّ أُفُّ أُفًّا أُفٍّ أُفٌّ أُفّ أُفْ أُفْ
أُفِّي بغير إمالة أُفِّي بالإمالة المحضة أُفِّي بالإمالة بين بين

المفردات

ها

أُفِّي أُفُّوه أُفَّةٌ أُفْءٍ أُفَّاهُ وبه فهذه اثنان وعشرون
مع الهمزة المضمومة. إِفْ إِفٌّ إِفِّ إِفُّ إِفَّ إِفٍّ
إِفًّا إِفِّي إِفَّا إِفّ بالإمالة أَفِّي فهذه
إحدى عشرة مع الهمزة المكسورة. أَفٌّ أَفَّ أَفْ أَفِّ أَفٍّ
أَفٌّ آفٌّ آفِّي وذكر ابن عطية أُفَّاه بهاء السكت وهي
تمام الأربعين. **النهر** الزجر بصياح وإغلاظ قال
العسكري رضي الله عنه وأصله الظهور ومنه النهر والانهار
وانهر الدم أي أظهره وأساله وانهر الرجل أي أظهر له الإهانة
بنحو الزجر والطرد وقال ابن عطية رضي الله عنه الانتهار
إظهار الغضب في الصوت واللفظ وقال الزمخشري
رضي الله عنه النهي والنهر والنهم أخوات. **التبذير** معناه الإسراف
قاله أبو عبيدة رضي الله عنه يعني في النفقة وأصله التفريق
ومنه قد سمي البذر بذرا لأنه يتفرق في المزرعة انتهى

وقال الشاعر

ترائب يستضيء الحلي فيها كجمر النار بُذّر بالظلام
وتروى بددا أي فرق. **المحسور** قال الفراء رضي الله عنه
تقول العرب هذا البعير محسور أي إذا انقطع سيره وحسرت
الدابة سيرتها حتى انقطع سيرها ويقال حسير ففعيل
بمعنى مفعول ويجمع على حسرى **قال الشاعر**
بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب
القسطاس بضم القاف وكسرها وبالسين الأولى وبالصاد
قال مؤرج السدوسي هو الميزان بلغة الروم وتأتي أقوال
المفسرين فيه إن شاء الله سبحانه وتعالى. **المرح** هو شدة
الفرح يقال مرح يمرح مرحا. **الطول** هو ضد
القصر ومنه الطول خلاف العرض. **الحطام** ما تكسر
اليبس عن أبي عبيدة. **الرفات** قال الفراء هو التراب وهو
معناه يجيء الذي قد بولغ في دقه حتى تفتت وبفعال
رفت الشيء كسره يرفته بالكسر والرفات الأجزاء المتفتتة
من كل شيء يتكسر وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات
والرضاض والجذاذ. **قوله عز وجل** وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما
أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين
فإنه كان للأوابين غفورا. **قراءة** الجمهور وقضى فعلا ماضيا

من القضاء وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل رضي الله تعالى
عنهم أجمعين وقضاء ربك مصدرا بقضى مرفوعا
على الابتداء وأن لا تعبدوا الخبر وفي مصحف ابن
مسعود وأبي رضي الله عنهما ووصى ربك وهي قراءة
ابن مسعود وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وكذا قرأها
ابن عباس وابن جبير والنخعي وميمون بن مهران من التوصية
وقرأ بعضهم وأوصى من الإيصاء وينبغي أن يحمل ذلك
كله على التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر
هو وقضى وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم
في أسانيد القراء السبعة وقضى هنا قال ابن عباس وبه
قال الحسن وقتادة رضي الله تعالى عنهما بمعنى أمر وقال
ابن مسعود رضي الله عنه وقضى بمعنى وصى وبه قال أصحابه
أيضا كما هو المشهور عنهم كذلك وقال ابن مسعود وأصحابه
بمعنى وصى وقيل أوجب وألزم وحكم وقيل بمعنى أحكم
وقال ابن عطية رضي الله عنه وأقول إن المعنى
وقضى ربك أي أمرك أن لا تعبدوا إلا إياه وليس في
هذه الألفاظ كلها إلا الأمر بالاقتصار على عبادة الله عز وجل
فذلك هو المقضي لا نفس العبادة والمقضي هنا هو الأمر
انتهى كأنه لما رأى أن يترك قضى على مشهور موضوعها بمعنى
قدر يجعل متعلقه الأمر بالعبادة لا العبادة لأنه قدر
لا يستقيم أن يقضي شيئا بمعنى أن يقدره إلا ويقع والذي
فهم المفسرون غير أن متعلق قضى هو أن لا تعبدوا إلا
إياه وسواء كانت أن تفسيرية أم مصدرية وقال
أبو البقاء رضي الله عنه ويجوز أن يكون في موضع نصب
أي ألزم ربك عبادته ولا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول
إلا على مفعول تعبدوا فلزم أن يكون منفيا أو منهيا
والخطاب بقوله لا تعبدوا عام للخلق وقال ابن
عطية رضي الله عنه ويحتمل أن يكون لقضى على مشهورها
في الكلام ويكون الضمير في تعبدوا للمؤمنين من الناس
إلى يوم القيامة انتهى وقال الحوفي رضي الله عنه الباء
متعلقة بقضى ويجوز أن تكون متعلقة بفعل محذوف وف
تقديره وأوصى بالوالدين إحسانا وإحسانا مصدر أي
أي بأن يحسنوا إحسانا وقال ابن عطية رضي الله عنه قوله
وبالوالدين إحسانا عطف على أن الأولى أي أمر الله أن لا تعبدوا
إلا إياه وأن تحسنوا بالوالدين إحسانا وعلى هذا الاحتمال الذي

قرائة ابن مسعود واصحابه وكذا قراءة ابن عباس رضي
الله عنهما وقرأ بذلك ابن جبير والنخعي وميمون بن مهران
اي من المتوجبة وقرأ بعضهم ووصى من الايصاء
وينبغي ان يحمل ذلك على التفسير لانها قراءة مخالفة
لسواد المصحف والمتواتر هو وقضى ربك وهذا
هو المتواتر المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهما وكذا روي ايضا عن جماعة كثيرين في اسانيد القراء
السبعة وقضى هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة
بمعنى امر وقال ابن مسعود واصحابه بمعنى وصى وقيل
اوجب والزم وحكم وقيل بمعنى احكم قال ابن عطية ولكن
مسعود وابن عباس وغيرهما والاصح في ذلك ان المعنى وقضى
ربك امره ان لا تعبدوا الا اياه وليس في هذه الالفاظ
كلها الا امر ما لا اقتصار على طاعة الله عز وجل اي على
عبادته وذلك هو المقتضي لا نفس العبادة والمعنى
هنا هو الامر انتهى كلامه وامر ان يشرك فقضى على مشهور
موضوعها بمعنى قدر يجعل متعلقه الامر بالعبادة
لا العبادة نفسها لانه لا يستقيم ان يقضي شيئا وذلك
بمعنى انه امر ان يقدر اي بمعنى ان يقدر الا ويقع
والذي نحم المفسرون غيرهم ان متعلق وقضى هو ان لا تعبدوا
وسواء كانت ان تفسيرية ام مصدرية وقال ابو البقا
رضي الله عنه وسواء اي ويجوز ان تكون في موضع نصب اي
الزم ربك عبادته ولا اياه انتهى وهذا وهم لدخول
ان لا على تعبدوا المفعول تعبدوا فلزم ان يكون منفيا
او منهيا والخطاب بقوله ان لا تعبدوا عام للخلق
وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان يكون وقضى
على مشهورها في الكلام ويكون الضمير في تعبدوا
للمؤمنين من الناس الى يوم القيامة انتهى وقال
الحوفي رضي الله عنه الباء متعلقة بقضى ويجوز ان
تكون متعلقة بفعل محذوف تقديره واوصى بالوالدين
احسانا عطف على الاولى اي امر الله ان لا تعبدوا
الا اياه وان تحسنوا بالوالدين احسانا وعلى هذا الاحتمال
الذي ذكرناه يكون قوله وبالوالدين احسانا منقطعا
من الاول كانه اخبرهم بقضاء الله سبحانه وتعالى ثم
امرهم بالاحسان الى الوالدين وقال الزمخشري رضي الله عنه
لا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر

لا يتقدم

لا يتقدم عليه صلته وقال الواحدي رضي الله عنه في كتابه
البسيط ان الباء معناها في قوله وبالوالدين احسانا هي
من صلة الاحسان اليهم وقدمت عليه كما تقول بزيد
فامرر انتهى واحسن واساء يتعديان بالى وبالباء
وقال الله عز وجل مخبرا عن قصة يوسف عليه الصلاة
والسلام وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم
من البدو قال الشاعر

اسيئي بنا او احسني لا ملومة

وكانه ضمن معنى احسن لطف وفي روايته فكانه ضمن
احسن معنى لطف فتعدى بالباء واحسانا ان كان ذلك
مصدرا بدلا من اللفظ بالفعل ولا يجوز تقديم متعلقه عليه
وان كان هو بمعنى احسنوا فيكون بدلا من اللفظ بالفعل
نحو ضربا زيدا فيجوز تقديم معموله عليه والذي يختاره
ان يكون ان حرف تفسير ولا تعبدوا نهي واحسانا مصدر
بمعنى الامر عطف ما معناه امر على نهي كما عطف في قوله

يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقد اعتنى سبحانه وتعالى بالامر بالاحسان الى الوالدين
حيث قرنه بقوله لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
وبتقديمهما اعتناء بهما على قوله احسانا ومناسبة اقتران
بر الوالدين باقرار الله سبحانه وتعالى بالعبادة من حيث
انه سبحانه وتعالى هو الموجد حقيقة والوالدان هما
وساطة اي هما واسطة في انشائه وهو سبحانه وتعالى
هو المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه
وقال الزمخشري رضي الله عنه اما هي ان الشرطية زيدت
عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة
في الفعل ولو افردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن
زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه انتهى وهذا هو
المنقول في هذا المعنى المتقدم انتهى وهذا الذي قد
ذكر مخالف لمذهب س لان مذهبه انه يجوز ان يجمع
اما ونون التوكيد وان ياتي بان وحدها وبنون التو
وان ياتي باما وحدها دون نون التوكيد وقال س
رضي الله عنه في هذه المسالة وان شئت لم تقحم النون كما
انك ان شئت لم تجي بما يعني مع النون وعدمها وعندك
ظرف معمول ليبلغن ومعنى العندية هنا انهما يكونان
عنده في بيته وكنفه لا كافل لهما غيره لكبرهما وعجزهما

اي

وقد اعتنى سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين حيث قرن ذلك
بتوحيده أن لا تعبدوا إلا إياه وقيد بهما اعتناء بهما على توحيده
إحسانا وشكرا لتبر الوالدين بإفراده عز وجل بالعبادة من حيث
إنه تعالى هو الموجد حقيقة والوالدان وساطة في إنشائه وهو عز
وجل المنعم بإيجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه كما تقدم
الكلام على ذلك وقال الزمخشري رضي الله عنه إما هي الشرطية
زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في
الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيدا
يكرمك ولكن إما تكرمنه انتهى وهذا الذي قرره مخالف
لمذهب س لأن مذهبه أنه يجوز أن يجمع بين إما ونون التوكيد
وأن يأتي بإن وحدها ونون التوكيد وأن يأتي بإما وحدها
دون نون التوكيد وقال س في هذه المسألة وإن شئت قلت
إنه لم يحتم النون كما أنك إن شئت لم تجئ بما يعني يجيء مع النون ومع
عدمها وعندك ظرف معمول ليبلغن ومعنى العندية هنا أنهما
يكونان عنده في بيته وفي كنفه لكلالهما فلا ملجأ لهما غيره لكبرهما وعجزهما
وكونهما كلا عليه وأحدهما فاعل يبلغن وأو كلاهما هو
معطوف على أحدهما وقرأ الجمهور يبلغن بنون التوكيد الشديدة
والفعل مسند إلى أحدهما وروي عن ابن ذكوان بالنون
الخفيفة وقرأ الأخوان إما يبلغان بألف التثنية ونون التوكيد
المشددة وهي قراءة السلمي وابن وثاب وطلحة والأعمش
والجحدري فقيل الألف علامة تثنية لا ضمير على لغة من
يقول قد أكلوني البراغيث وأحدهما فاعل وأو كلاهما عطف عليه
وهذا لا يجوز لأن شرط الفاعل في اللغة الذي قد لحقته
علامة التثنية أن يكون مسندا لمثنى أو مفرق بالعطف
بالواو نحو قاما أخواك أو قاما زيد وعمرو على خلاف
في هذا الأخير هل يجوز أو لا يجوز والصحيح جوازه وذلك
أن أحدهما ليس مثنى ولا هو مفرق بالعطف بالواو مع
مفرد وقيل الألف ضمير الوالدين وأحدهما بدل من
الضمير وكلاهما عطف على أحدهما والمعطوف على البدل
بدل قال الزمخشري رضي الله عنه **فإن قلت**
لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا
فما لك زعمت أنه بدل **قلت** قد قال
بعض التعويض لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا
للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله فافهم
ذلك **فإن قلت** ما المانع لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت

قلت لو أريد

قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما
قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا
مثل الأول وقال ابن عطية رضي الله تعالى عنه وعلى
هذه القراءة الثانية يعني يبلغان بتشديد النون
يكون قوله أحدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل
مقسم **كقول الشاعر**

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

انتهى ويلزم من قوله أن يكون كلاهما معطوفا على أحدهما
وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل
لأنه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا وإذا جعلت
أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون إلا بدل بعض من كل
وإذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من
كل لأن كلاهما مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون
بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لأن
المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما
فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه وأما قول ابن عطية
رضي الله عنه وهذا البدل يسمى بدل مبدأ وبدل المقسم
كقول الشاعر المتقدم وكنت كذي رجلين إلى آخره يعني
البيت المتقدم ذكره فليس هو من باب بدل التقسيم لأن
شرط ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لا يصدق
المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما يصدق عليه الضمير
وهو المبدل منه فليس من المقسم في شيء مما ذكر ونقل عن أبي
علي أن كلاهما توكيد وهذا لا يتأتى إلا بأن تعرب أحدهما
بدل بعض من كل ويضمر بعده فعل رافع الضمير
ويكون كلاهما توكيدا لذلك الضمير والتقدير هنا
أو يبلغا كلاهما وفيه حذف المؤكد وقد أجازه س وكذا
أجازه الخليل رضي الله عنه قال مررت بزيد وأتاني
أخوه أنفسهما بالرفع والنصب الرفع على تقدير هما صاحباي
أنفسهما والنصب على تقدير أعنيهما أنفسهما إلا أن المنقول
عن أبي علي وابن جني والأخفش وتلميذه أنه لا يجوز حذف
المؤكد وإقامة المؤكد مكانه أي مقامه والذي يختار
أن يكون أحدهما بدلا من الضمير وكلاهما مرفوع بفعل
محذوف تقديره أو يبلغ كلاهما فيكون من عطف الجمل لا من
عطف المفردات ويصير المعنى إن يبلغ أحد الوالدين أو يبلغ
كلاهما عندك الكبر وجواب الشرط فلا تقل لهما أف وتقدم

مدلول لفظ أف في المفردات واللغات التي فيها وإذا كان قد نهيا أن
يستثقلهما بهذه اللفظة الدالة على الضجر والتبرم بهما
فالنهي عن ما هو أشد كالشتم والضرب بطريق الأولى وليست
دلالتها على أنواع الأذى دلالة لفظية خلافا لمن ذهب
إلى ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما أف كلمة كراهية بالغ سبحانه
وتعالى في الوصية بالوالدين واستعمال وطاءة الخلق ولين
الجانب والاحتمال حتى لا تقول لهما عند الضجر هذه الكلمة
فضلا عما يزيد عليها قال القرطبي قال علماؤنا رضي الله
تعالى عنهم وإنما صار قول أف للأبوين أردأ شيء لأنه رفضهما
رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية الله عز وجل
وأف كلمة مقولة لكل شيء مرفوض ولذلك قال إبراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من
دون الله أفلا تعقلون أي رفض لكم ولهذه الأصنام معكم.
انتهى وقرأ الحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة وعيسى
ونافع وحفص أف بالكسر والتشديد والتنوين وقرأ أبو عمرو
وحمزة والكسائي وأبو بكر كذلك بغير تنوين وقرأ ابن
كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير تنوين وحكى هارون
قراءة بالرفع والتنوين وقرأ أبو السماك أف بضم الفاء
من غير تنوين. وقرأ زيد بن علي أفا بالنصب والتنوين
والتشديد وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أف بسكون
الفاء وتخفيفها فهذه سبع قراءات من اللغات التي حكيت
في أف وقال مجاهد رضي الله عنه ومعنى قوله تعالى فلا تقل
لهما أف أن معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخ والكبر الغائط
والبول اللذين رأياه منك في حال الصغر فلا تقذرهما
وتقول أف ولا تمسك بطرف أنفك انتهى والآية أعم من ذلك
ولما نهاه سبحانه وتعالى أن يقول لهما ما مدلوله التضجر منهما
ارتقى إلى النهي عن ما هو من حيث الوضع أشد من أف وهو نهرهما
وإن كان النهي عن نهرهما دلت عليه النهي عن قول أف لأنه إذا نهي عن
الأدنى كان ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الأولى والمعنى ولا تزجرهما
عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول أف ونهرهما
قولا كريما أي جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ قال
ابن المسيب رضي الله عنه قول العبد المذنب للسيد الفظ
وقيل قولا كريما أي جميلا كما يقتضيه حسن الأدب وقال
عمر رضي الله عنه هو أن تقول يا أبتاه يا أماه إنه كما خاطب
إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لأبيه يا أبت مع كفره ولا

تدعوهما

ولا تدعوهما بأسمائهما لأنه من الجفاء وسوء الأدب ولا بأس به في
غير وجههما كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا
• ولما نهاه الله سبحانه وتعالى عن القول المؤذي لهما وكان
يستلزم ذلك الأمر بالقول الطيب أمره تعالى بأن يقول
لهما القول الطيب الشامل للحسن وأن يكون قوله دالا على
التعظيم لهما والتبجيل • وقال عطاء رضي الله عنه تتكلم
معهما بشرط أن لا ترفع إليهما بصرك ولا تشد إليهما نظرك
لأن ذلك يأبى القول الكريم • وقال الزجاج قولا سهلا
سلسا لا شراسة فيه ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع
معهما بقوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
• وقال القفال رضي الله عنه في تقريره وجهان
• أحدهما أن الطائر إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه
أي رحاه عليه وستره ووقاه به فخفض الجناح كناية عن حسن
التدبير وكأنه يقول للولد اكفل والديك بأن تضمهما إلى
نفسك كما فعلا بك ذلك حين كنت صغيرا أي في حال
صغرك • الثاني أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع
نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران ضم جناحه وفي رواية
وإذا أراد ترك الطيران وعدم الارتفاع وفي رواية وترك
الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل
التواضع من هذا الوجه • وقال ابن عطية رضي الله عنه
فيه استعارة أي اقطع وفي رواية اقطعهما جانب الذل منك
ودمث لهما نفسك وخلقك وبولغ بذكر الذل هنا ولم
يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وذلك بسبب عظم الحق انتهى وبسبب شرف المأمور فإنه
لا ينبغي نسبة الذل إليه • وقال الزمخشري رضي الله عنه
• فإن قلت ما معنى جناح الذل • قلت فيه وجهان
أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال تعالى
واخفض جناحك للمؤمنين أي ألن جانبك فأضافه إلى
الذل أو الذل نفسه أو الذلي كما أضيف حاتم إلى الجود
على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثاني
أن يجعل لذله أو لذله جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال
يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى
والمعنى أنه جعل اللين ذلا واستعار له جناحا ثم رشح هذا
المجاز بأن أمر بخفضه وحكي أن أبا تمام لما نظم قوله
لا تسقني ماء الملام فإنني • صب قد استعذبت ماء بكائي

ماء

جاءه رجل بقصعته فقال له اعطني شيئا من مآء الملام فقال له
حتى تاتيني بريشة من جناح الذل. وجناح الانسان جانباه
فالمعنى واخفض لهما جانبك ولا ترفعه كفعل المتكبر عليهما
وقال بعض المتاخرين فاحسن.
اراشوا جناحي ثم بلوه بالندى. فلم استطع من ارضهم طيرانا.
وقرا الجمهور من الذل بضم الذال. وقرا ابن عباس وعروة
وابن جبير والجحدري وابن وثاب بكسر الذال وذلك على الاستعارة
في الناس لان ذلك يستعمل في الدواب في ضد الصعوبة كما ان
الذل بالضم في ضد العز من الناس ومن الظاهر انها
للسببية اي الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما اذ
صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقرا اليهما حالة
الصغر. قال ابو السعود رضي الله عنه من الرحمة اي من اجل اليهما
رحمتك بهما فمن متعلقة باخفض ويجوز ان يكون حالا من
جناح وقال ابن عطية رضي الله عنه من الرحمة هنا لبيان الجنس
اي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بان
يكون ذلك استعمالا ويصح ان يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى
. ثم امره تعالى بان يدعو الله لهما بان يرحمهما رحمة الباقية
اذ رحمته عليهما لا بقاء لها فاحرى بنيه على العلة الموجبة للاحسان
اليهما والشفقة بهما واسترحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له
صغيرا وتلك الحالة مما تزيده اشفاقا ورحمة لهما اذ هي
تذكير بحالة احسانهما اليه وقت ان لا يقدر على الاحسان
لنفسه. وقال قتادة رضي الله عنه نسخ الله من هذه الاية هذا
اللفظ يعني وقل رب ارحمهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل هي مخصوصة في حق المشركين
وقيل لا نسخ ولا تخصيص لانه له ان يدعو الله لوالديه الكافرين
بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول
الايمان والظاهر ان الكاف في قوله كما للتعليل اي رب
ارحمهما لتربيتهما لي صغيرا وجزاء على احسانهما الي حالة
الصغر والافتقار. وقال الحوفي رضي الله عنه الكاف في موضع
نصب نعت لمصدر محذوف تقديره رحمة مثل تربيتي
صغيرا وقال ابو البقاء كما نعت لمصدر محذوف اي رحمة
مثل رحمتهما وسرد الزمخشري وغيره احاديث واخبارا
وآثارا كثيرة في بر الوالدين يوقف عليها في كتبهم ولما نهى سبحانه
وتعالى عن عبادة غيره وامر بالاحسان الى الوالدين ولا سيما
عند الكبر وكان الانسان ربما تظاهر بعبادة واحسان الى

والديه

والديه دون عقد ضميره على ذلك رياء وسمعة اخبر تعالى
انه اعلم بما انطوت عليه الضمائر من قصد عبادة الله
والبر بالوالدين ثم قال ان تكونوا صالحين اي ذوي صلاح
ثم فرط منكم تقصير في عبادة او بر وانتم الى الخير فانه غفور
لما فرط من هفواتكم والظاهر ان هذا عام لكل من فرطت
منه جناية ثم تاب منها ويندرج فيه من جنى على
ابويه ثم تاب من جنايته وقال ابن جبير يعني البادرة البادرة
تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير. قوله
تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا
تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان
لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده ه
خبيرا بصيرا. لما امر سبحانه وتعالى ببر الوالدين امر بصلة
القرابة. قال الحسن رضي الله عنه نزلت في قرابة الرسول
عليه الصلاة والسلام. والظاهر انه خطاب لمن خوطب بقوله
اما يبلغن عندك الكبر. والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم
وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه
وقال بنحوه ابن عباس والحسن وعكرمة وغيرهم رضي الله عنهم
اجمعين. والظاهر ان الحق هنا مجمل وان ذا القربى عام
في ذي القرابة فيرجع في تبيين الحق في تخصيص ذي القرابة
الى السنة وعن ابي حنيفة رضي الله عنه ان القرابة اذا كانوا
محارم فقراء عاجزين عن الكسب وفي رواية عاجزين عن
الكسب وهو موسر حقهم ان ينفق عليهم وعند امامنا
الشافعي رضي الله عنه انه ينفق على الولد والوالدين فحسب على
ما تقرر في كتب الفقه ونهى سبحانه وتعالى عن التبذير
وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها
في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فنهى الله تعالى
عن ذلك اي عن النفقة في غير وجوه البر والخير وما يقرب
الى الله عز وجل. وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى
عنهما التبذير انفاق المال في غير حق. وقال مجاهد رضي
الله تعالى عنه لو انفق ماله كله في حق ما كان مبذرا. وذكر
الماوردي رضي الله عنه ان التبذير الاسراف المتلف للمال.
وقد احتج بهذه الاية على الحجر على المبذر فيجب على الامام منعه

منه بالحجر والحيلولة بينه وبين ماله الا بمقدار نفقة مثله
وابو حنيفة رضي الله عنه لا يرى الحجر للتبذير وان كان متهتكا
عنه. وقال القرطبي يحجر عليه ان بذله في تعاطي الشهوات
وخيف عليه النفاد فان انفق وحفظ الاصل فليس هو
بمبذر واخوة الشياطين كونهم قرناءهم في الدنيا وفي
النار في الاخرة وقيل ان هذه الاخوة على ان التبذير
هو في معصية الله عز وجل او كونهم يطيعونهم فيما يامرونهم به
من الاسراف في الدنيا وقرأ الحسن والضحاك اخوان
الشيطان على الافراد وكذا ثبت في مصحف انس رضي الله عنه
وذكر كفر الشيطان لربه ليحذر ولا يطاع لانه لا يدعو الى خير
كما قال سبحانه وتعالى في اية اخرى انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير. واما تعرضن قيل نزلت في ناس
من مزينة استحملوا الرسول فقال لا اجد ما احملكم عليه
فبكوا. وقيل نزلت في بلال وصهيب وسالم وخباب سالوه
ما لا يجد فاعرض عنهم. وروي انه عليه الصلاة والسلام
كان بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل
قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق
المنتظر وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة رضي الله
عنهم. وقال ابن زيد رضي الله عنه الرحمة الاجر والثواب
وانما نزلت الاية في قوم كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيابى ان يعطيهم لانه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد
فكان عليه فكان صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم. رغبة في الاجر
في منعهم كيلا يعينهم على فسادهم فامره الله تعالى ان يقول
لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم والاصلاح
انتهى. من كلام ابن عطية رضي الله عنه. وقال الزمخشري رضي
الله عنه وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل
حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم
والاصلاح انتهى ذلك من كلام ابن عطية اي فقل لهم قولا
ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك. وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل
وسكت حياء ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم
تنفعهم وترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض
بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض
بوجهه انتهى. والذي يظهر انه سبحانه وتعالى لما امر
بايتاء ذي القربى ومن ذكر معه ونهاه عن التبذير

قال

قال وان يكن منك اعراض عنهم فالضمير عائد عليهم وعلل
الاعراض بطلب الرحمة وهي كناية عن الرزق والسعة
وطلب ذلك ناشئ عن فقدان ما تجود به وما تعطيه من
سالك فكان المعنى وان تعرضن عنهم لاعسار لك
فوضع المسبب وهو ابتغاء الرحمة موضع السبب وهو
الاعسار. واجاز الزمخشري رضي الله عنه ان يكون ابتغاء
رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو متعلق به وقدم عليه
اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم
وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله
التي ترجوها برحمتك عليهم انتهى وما اجازه لا يجوز لان ما بعد
فاء الجواب لا يعمل فيما قبله لا يجوز في قولك ان يقم
فاضرب خالدا ان تقول ان خالدا يقم فاضرب وهذا
منصوص عليه فان حذفت الفاء في مثل ان يقم يضرب
خالدا فمذهب سيبويه والكسائي الجواز فتقول ان يقم خالدا
يضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا
نحو ان تفعل يفعل زيد يفعل فلا يجوز تقديم زيد على
ان يكون مرفوعا بيفعل هذه واجاز سيبويه ان يكون مرفوعا
بفعل يفسره يفعل كانك قلت ان يفعل زيد
يفعل ومنع ذلك الكسائي والفراء. وقال ابن جبير رضي الله
عنه الضمير في عنهم عائد على المشركين والمعنى واما
تعرضن عنهم لتكذيبهم اياك ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
اي نصرك عليهم او هداية من الله لهم وعلى هذا فالقول
الميسور المداراة لهم باللسان قال ابو سليمان الدمشقي
رضي الله عنه وقيل يكون لا رعا فيقعد بما يسوؤهم من
المتعدي تقول يسرت لك كذا اذا اعددته قال الزمخشري
رضي الله عنه يقال يسر الامر فهو ميسور مثل سعد
ونحس فهو مفعول انتهى ولمعنى هذه الاية اشار الشاعر
في القصيدة التي تسمى بالتيمية في قوله
ليكن لديك لسائل فرج ان لم يكن فليحسن الرد
في قال احسن
ان لم تكن ورق يوما اجود بها للسائلين فاني لين العود
لا يعدم السائلون الخير من خلقي اما نوالي واما حسن مردود
قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الاية قيل
نزلت في اعطائه صلى الله عليه وسلم للسائل قميصه ولم يكن له غيره

ويؤيده

صح
المراد بالورق
يعني الفضة

ومعنى محسورا وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة مثل
ذلك فا العباس بن مرداس خمسين ثم كملها له مائة فنزلت
تلك الاية وهذه استعارة تمثيلية استعير فيها المحسوس للمعقول
وذلك ان البخل معنى قائم بالانسان يمنعه من التصرف في
ماله فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد الى العنق فامتنع
من تصرفه في يده واجالتها حيث يريد ولان اليد بها يكون
الاخذ والاعطاء واستعير بسط اليد لاذهاب المال
وذلك ان قبض اليد يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها
وطابق في الاستعارة بين قبض اليد وبسطها من حيث المعنى
لان جعل اليد مغلولة هو كناية عن قبضها وغلها ابلغ في
القبض وقد طابق بينهما ابو تمام رضي الله عنه فقال في المعتصم
تعود بسط الكف حتى لو انه . ثناها لقبض لم تجبه انامله
وقال الزمخشري رضي الله عنه هذا تمثيل لمنع الشحيح
واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
وبين الاقتار انتهى والظاهر انه مراد بالخطاب الامة
والرسول صلى الله عليه وسلم واما هو عليه الصلاة والسلام كان
لا يدخر شيئا لغد وكذلك من كان واثقا بالله حق الوثوق
كابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله وقال
ابن جرير الطبري وغيره المعنى لا تمسك عن النفقة فيما امرتك
من الحق ولا تبسطها فيما نهيتك عنه وروي عن جابر
رضي الله عنه كل البسط بالقصاد فتقعد خاليا للمنتسبين
باعتبار الحالين فالملوم راجع لقوله ولا تجعل يدك كما قال
الشاعر صح
ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم
والمحسور راجع لقوله ولا تبسطها وكانه قيل فتلام
وتحسر ثم سلاه بقوله عما كان يلحقه من الاضاقة بان
ذلك ليس بهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن
لان بسط الرزق وتضييقه انما ذلك بمشيئته والذي
لا يعلم في ذلك من المصلحة لعباده او يكون المعنى ان القبض
والبسط من مشيئة الله عز وجل واما انتم فعليكم الاقتصاد
وختم ذلك بقوله خبيرا وهو العلم بالخفيات من الامور
وبصيرا اي بمصالح عباده حيث يبسط لقوم ويضيق على
قوله عز وجل
قوم اخرين . ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم
ان قتلهم كان خطئا كبيرا لما بين سبحانه وتعالى انه هو المتكفل
بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اتبعه

اتبعه بالنهي عن قتل الاولاد وتقدم تفسير نظير هذه الاية
والفرق في بين خشية املاق ومن املاق وبين قوله تعالى
نحن نرزقهم ونرزقكم وقرا الاعمش وابن وثاب
ولا تقتلوا بالتضعيف مع تشديد التاء وقرى خشية
بكسر الخاء وقرا الجمهور خطئا بكسر الخاء وسكون الطاء وقرا
ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد وهي قراءة طلحة وشبل
والاعمش ويحيى وخالد بن الياس وقتادة والحسن و
والاعرج بخلاف عنهما كما نقل عنه وقال النحاس رضي الله
عنه لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا
وقال الفارسي هي مصدر من خاطا يخاطي وان كنا لم نجد
لنا خاطي خطاء ولكن وجدنا تخاطا وهو مطاوع خاطا فد
عليه فمنه قول الشاعر
تخاطات النبل احشاءه . واخر يومي فلم يعجل
وقول الاخر في كماة
تخاطاه القنا من حيث حزته . وخرطومه في منقع الماء راسب
فكان هولاء الذين يقتلون اولادهم يخاطئون الحق والعدل
وقرا ابن ذكوان رضي الله عنه خطأ على وزن نبأ وقراءة
الحسن رضي الله عنه خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر
من اخطا كالعطاء من اعطى قاله ابن جني وقال ابو حاتم
هي غلط غير جائز ولا يعرف هذا في اللغة وعنه ايضا
خطا كهوى خفف الهمزة فانقلبت الفا وذهبت
لالتقائهما وقرا ابو رجاء والزهري كذلك الا انهما كسرا
الخاء فصار مثل ربا وكلاهما من خطئ في الدين وخطئ
واخطا في الراي لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام
الاخر وحكي عن ابن عامر خطا بالفتح والكسر مع اسكان
الطاء وهو مصدر ثلاثي من خطي بالكسر . قوله تعالى ولا
تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم لا
بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان
مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذ لك
خير واحسن تاويلا لما نهى سبحانه وتعالى عن قتل الاولاد
نهى عن التسبب في ايجاده من الطريق غير المشروعة فنهى عن
قربان الزنا ويستلزم ذلك النهي عن الزنا لان الزنا اكثر
فيه النفس وعدم الخبر وتميز لغير الضرورة وهكذا نقله الحلبي لك

ومن المد قول الشاعر وهو الفرزدق
أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه • ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا
ويروى ايضاً من قوله ابا خالد وقال آخر
كانت فريضة ما تقول كما • كان الزناء فريضة الرجم
وكان يعني لم يزل اي لم يزل فاحشة اي معصية "فاحشة"
اي قبيحة زائدة في القبح وساء سبيلا اي وبئس طريقا
طريقه لانها سبيل تؤدي الى النار وقال ابن عطية رضي الله عنه (اي طريقه)
وسبيلا نصب على التمييز مثلا والتقدير وساء سبيله سبيلا
انتهى فاذا كان سبيله كذلك نصب سبيلا نصبا على التمييز فانما هو
تمييز للمضمر المستكن في ساء وهو من المضمر الذي يفسره
ما بعده والمخصوص بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا
يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لانه اذ ذاك لا يكون فاعله
ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز وينبغي التقدير ايضا
عاريا عن المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله تعالى
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في اواخر سورة الانعام
قال الضحاك رضي الله عنه وهذه اول اية نزلت من القرآن
في شأن القتل انتهى ولما نهى عن قتل الاولاد وعن الزنا لايجادهم
من الطريق غير المشروعة نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص
الى العام قال والظاهر ان هذه كلها منهيات مستقلة ليست
مندرجة تحت قوله تعالى وقضى ربك كما اندرج الا تعبدوا
والانتصاب مظلوما على الحال من الضمير المستكن في قتل والمعنى
انه قتل بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو الطالب بدمه شرعا
وعند ابي حنيفة واصحابه اندراج من يرث من الرجال والنساء
والصبيان في الولي على قدر مواريثهم لان الولي عندهم هو الوارث
الوارث هنا وقال الامام مالك رضي الله عنه ليس للنساء شيء
من القصاص وانما القصاص للرجال وعن ابن المسيب رضي الله
عنه وكذا عن الحسن وقتادة وعكرمة والحكم ابن عتيبة ليس الى
النساء شيء من العفو عن الدم والسلطان التسلط على القاتل
في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه القصاص قاله الزمخشري
رضي الله عنه وقال ابن عطية رضي الله عنه والسلطان
الحجة والملك الذي جعل اليه من التخيير في قبول الدية او في
العفو قاله ابن عباس والضحاك رضي الله عنهما وقال قتادة
رضي الله عنه السلطان القود وفي كتاب التحرير السلطان
العفو والولاية وقال ابن عباس رضي الله عنهما السلطان
يعني البينة في طلب القود وقال الحسن رضي الله عنه هو القود وقال
مجاهد

وقال مجاهد هو الحجة وقال ابن زيد هو الوالي اي والياً
ينصفه في حقه والظاهر عود الضمير في قوله فلا يسرف على
الولي والمراد المنهي عنه ان يقتل غير القاتل قاله ابن عباس
والحسن رضي الله عنهما او يقتل اثنين بواحد قاله ابن جبير
رضي الله عنه او اشرف من الذي قتل قاله ابن زيد رضي الله
عنه او يمثل قاله قتادة او يتولى هو قتل القاتل بنفسه
دون السلطان ذكره الزجاج رضي الله عنه وقال ابو عبد
الله الرازي رضي الله عنه السلطنة مجملة يفسرها كتب
عليكم القصاص لانه ويدل عليه انه مخير بين القصاص
وبين الدية وقوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من قتل قتيلا
فاهله بين خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية
يعني فلا يسرف في القتل لا يقدم على استيفاء القتل ويكتفي
باخذ الدية او يميل الى العفو ولفظة في محمولة على
الباء اي فلا يصير مسرفا بسبب اقدامه على القتل ويكون
معناه الترغيب في العفو كما قال سبحانه وتعالى وان
تعفوا اقرب للتقوى انتهى ملخصا ولو سلم ان في بمعنى
الباء لم يكن صحيح المعنى لان من قتل بحق قاتل مورثه لا يصير
مسرفا بقتله وانما الظاهر والله اعلم النهي عن ما كانت الجاهلية (الجاهلية)
تفعله من قتل الجماعة بالواحد وقتل غير القاتل والمثلة
ومكافأة الذي يقتل لمن قتله كما قال مهلهل
حين قتل بجير ابن الحارث ابن عباد • بؤ بشسع نعل كليب
وابعد من ذهب الى ان الضمير في قوله فلا يسرف في القتل انه
كان منصورا للنفس عائد على الولي وانما يعود على القاتل الدال عليه
ومن قتل اي لا يسرف في القتل بعدوانا وظلما فيقتل من
ليس له قتله وقرأ الجمهور فلا يسرف بياء الغيبة انتهى
وقرأ الاخوان وزيد ابن علي وحذيفة وابن
وثاب والاعمش ومجاهد بخلاف وجماعة وفي نسخة
من تفسير ابن عطية وابن عامر وهو بتاء الخطاب
والظاهر انه على خطاب الولي فالضمير له وقال الطبري (صلى الله عليه وسلم)
رضي الله عنه الخطاب للرسول والائمة من بعده اي فلا
تقتلوا غير القاتل انتهى قال ابن عطية وقرأ ابو مسلم
السراج صاحب الدعوة العباسية وقال الزمخشري رضي الله
عنه قرأ ابو مسلم صاحب الدولة وقال صاحب كتاب اللوامح ابو مسلم (العجلي)

نولي صاحب الدولة ولا يسرف في القتل بضم الفاء على الخبر
ومعناه النهي وقد يأتي الأمر والنهي بلفظ الخبر وقال
ابن عطية رضي الله عنه في الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر
وفي قراءة أبي فلا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول كان منصورا
انتهى يريد عليه ولا تقتلوا الا أن في حمل قوله انه ولي
المقتول على التفسير لا على القراءة لمخالفته السواد ولأن
المستفيض عنه انه كان منصورا كقراءة الجماعة والضمير
في انه عائد على الولي لتسلط السلطان ونصره اياه بأن
أوجب له القصاص فلا يستزد منه على ذلك أو نصره
بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق وقيل
يعود الضمير على المقتول نصره الله حيث أوجب القصاص
بقتله في الدنيا ونصره بالثواب في الآخرة قال ابن عطية
رضي الله عنه وهذا القول هو أرجح الأقوال لأنه المظلوم ولفظة
النصر تقارن أبدا الظلم كقوله عليه الصلاة والسلام
ونصر المظلوم وإبرار القسم وكقوله صلى الله عليه وسلم
انصر أخاك ظالما أو مظلوما الى كثير من الأمثلة وقيل
على القتل وقال أبو عبيد على القاتل لأنه اذا قتل في دار
الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر وهذا
ضعيف بعيد القصد وقال الزمخشري رحمه الله تعالى وانما
نعني أن الكناية عن الضمير أي أن يكون الضمير في انه الذي
يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور في
ايجاب القصاص على المسرف انتهى وهذا بعيد جدا
ه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده لما
نهى عن اتلاف النفوس نهى عن اتلاف الأموال أي عن أخذ المال
كما قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم
ولما كان اليتيم ضعيفا عن أن يدفع عن ماله لصغره نص على
النهي عن قربان ماله وتقدم تفسير هذه الآية في
أواخر سورة الأنعام. وأوفوا بالعهد عام في كل ما عقده
الانسان بينه وبين ربه أو بينه وبين آدمي في طاعة ان
العهد كان مسئولا ظاهره أن العهد هو المسئول من
المعاهد أن يفي به ولا يضيعه أو يكون من باب التخييل
كأنه يقال للعهد يوم القيامة لم نكثت وقيل لكأنه
ذات من الذوات تشبيها له لم نكثت دلالة على المطالبة بنكثه

والإلزام

والإلزام ما يترتب على نكثه كما جاء في قوله تعالى واذا الموءودة
سئلت بأي ذنب قتلت فيمن قرأ بسكون اللام وكسر التاء
التي هي للخطاب وقيل على حذف مضاف وقيل هو على حذف
مضاف أي ان ذا العهد كان مسئولا عنه ان لم يف به
ثم أمر سبحانه وتعالى بإيفاء الكيل وبالوزن المستقيم
وذلك مما يرجع الى المعاملة بالأموال. وفي قوله وأوفوا الكيل اذا
كلتم دلالة على ان الكيل على البائع لأنه لا يقال ذلك للمشتري ي
وقال الحسن رضي الله عنه القسطاس هو القبان وهو القسطون ن
ويقال القرسطون وقال مجاهد رضي الله عنه القسطاس
هو العدل لا أنه آلة وقرأ الاخوان وحفص بكسر القاف
وباقي السبعة بضمها وهما لغتان وقرأت فرقة بالإبدال
من السين الأولى صادا قال ابن عطية رضي الله عنه واللفظة
للمبالغة من القسط انتهى ولا يجوز ان يكون من القسط لاختلاف ف
المادتين بينهما لأن القسط مادته ق س ط وذلك مادته
ق س ط س الا ان اعتقد زيادة السين آخرا كسين قدموس
وضغبوس وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين
المقيسة والتقييد بقوله اذا كلتم أي وقت كيلكم على
سبيل التأكيد وان لا يتأخر الايفاء بأن يكيل به بنقصان
ثم يوفيه بعد فلا يتأخر الايفاء عن وقت الكيل ذلك
خير أي الايفاء والوزن لأن فيه تطييب النفوس بالاتسام
بالعدل والايصال للحق وأحسن تأويلا أي عاقبة اذ لا يبقى
على الموفي ولا على الوازن تبعة لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو من
المآل وهو المرجع كما قال خير مردا أو خير عقبا خير
أملا وانما كانت عاقبته أحسن لأنه اشتهر بالاحتراز
عن التطفيف فعول عليه في المعاملات ومالت اليه القلوب
قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحا
انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا
تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا
لما أمر سبحانه وتعالى بثلاثة أشياء الايفاء بالعهد والايفاء
بالكيل والوزن بالقسطاس أتبع ذلك بثلاثة منهية ولا
تقف والمشي والجعل ومعنى ولا تقف لا تتبع ما لا
تعلم لك به من قول أو فعل أي لا تقل ما لا تعلم وأنت
تعمل بما لا تعلم ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لأنه اتباع

بما لا يعلم صحته وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه لا ترم
أحدا بما لا تعلم وقال قتادة رضي الله عنه لا تقل رأيت
ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال
الإمام محمد ابن الحنفية رضي الله عنه لا تشهد بالزور وقال
ابن عطية رضي الله عنه ولا تقف لكنها لفظة تستعمل
في القذف وأصله العضه انتهى وفي الحديث من قفا مؤمنا بما
ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج
وقال في الحديث أيضا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا
أمنا ولا ننتفي من أبينا ومنه قول النابغة الجعدي
ومثل الدمى شم العرانين ساكن . بهن الحياء لا يشعن التقافيا
وقال الكميت
فلا أرمي البريء بغير ذنب . ولا أقفو الحواصن إن قفينا
وحاصل هذه الآية نهي عن اتباع ما لا يكون معلوما وهذه قضية
كلية يندرج تحتها أنواع فكل من القائلين حمل على واحد من تلك
الأنواع قال الزمخشري رضي الله عنه وقد استدل به مبطل الاجتهاد
الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع
غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به انتهى وقرأ الجمهور
ولا تقف بحذف الواو والجزم مضارع قفا وقرأ زيد
ابن علي رضي الله عنه ولا تقفوا بإثبات الواو كما قال
هجوت زبان ثم جئت معتذرا . من هجو زبان لم تهجو ولم تدع
وإثبات الواو والياء والألف مع الجازم لغة لبعض العرب
وضرورة لغيرهم وقرأ معاذ القارئ رضي الله عنه ولا تقف
مثل تقل أي بفتح التاء وضم القاف من قاف يقوف
تقول العرب قفت أثره وقفوت أثره وهما لغتان
لوجود التصاريف فيهما كجبذ وجذب وقاع الجمل الناقة
وقعاها إذا ركبها وليس قاف مقلوبا من قفا كما جوزه صاحب
كتاب اللوامح وقرأ الجراح العقيلي والفواد بفتح الفاء
والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب
القلب مع الفتح وهي لغة في الفؤاد أنكرها أبو حاتم وغيره
وبه لا يتعلق بعلم لأنه لا يتقدم معمول المصدر عليه وقال
الحوفي يتعلق بما تعلق به لك وهو الاستقرار وهو لا يظهر
وفي قوله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد دليل على أن العلوم
مستفادة من الحواس ومن العقول وجاء هذا على الترتيب
العرفي في البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفؤاد
وأولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وهو اسم إشارة للجمع

المذكر والمؤنث

المذكر والمؤنث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية أنه جمع
يختص بالعاقل فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد
بأولئك لأنها حواس لها إدراك وجعلها في هذه الآية
مسؤولة فهي حالة من يعقل ولذلك عبر عنها بأولئك
وقد قال سيبويه رضي الله عنه في قوله تعالى في قصة
يوسف عليه الصلاة والسلام والشمس والقمر رأيتهم لي
ساجدين إنما قال رأيتهم في نجوم لأنه لما وصفها
بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل
وحكى الزجاج رضي الله عنه أن العرب تعبر عمن
يعقل وعمن لا يعقل بأولئك وأنشد هو والطبري
رضي الله تعالى عنهما أجمعين
ذم المنازل بعد منزلة اللوى . والعيش بعد أولئك الأيام
وأما حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأمر يوقف عنده وأما
البيت فالرواية فيه الأقوام انتهى وليس ما تخيله صحيحا
والنحاة ينشدونه بعد أولئك الأيام ولم يكونوا لينشدوا
إلا ما رووه وإطلاق أولاء وأولئك وأولاك على ما لا
يعقل لا نعلم خلافا فيه وكل مبتدأ والجملة خبره واسم
كان عائد على كل وكذا الضمير في مسؤولا والضمير في عنه
عائد على ما من قوله ما ليس لك به علم فيكون المعنى
إن كل واحد من السمع والبصر والفؤاد يسأل عما لا
علم له به أي عن انتفائه قال لا علم لي به ويقربه هو الظاهر
وقال الزجاج رضي الله عنه معناه أنه يستشهد بها
كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال القرطبي رضي الله عنه
في أحكامه يسأل الفؤاد عما اعتقده والسمع عما سمعه
والبصر عما أبصره وقال ابن عطية رضي الله عنه إن الله عز
وجل يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا
علم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية
الخزي والعياذ بالله سبحانه وتعالى وقيل الضمير في كان وفي
مسؤولا عائد على القافي ما ليس له به علم والضمير في عنه
عائد إلى كل فيكون ذلك من الالتفات إذ لو كان على الخطاب
لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسؤولا وقال
الزمخشري رضي الله عنه وقوله كان عنه مسؤولا في موضع
الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه
مسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم

بقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت
ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك
العزم عليه انتهى. وهذا الذي ذهب اليه من ان عنه
في موضع الرفع بالفاعلية ويعني به انه مفعول لم يسم
فاعله لا يجوز لان الجار والمجرور وما يقام مقام
الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطها
جار مجرى الفاعل فكما ان الفاعل لا يجوز تقديمه
فكذلك ما جرى مجراه واقيم مقامه فاذا قلت غضبت
على زيد فلا يجوز ان تقول على زيد غضبت بخلاف قولك
غضبت على زيد فيجوز ان تقول على زيد غضبت
وقد حكى الاتفاق من النحويين على انه لا يجوز تقديم
الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل ذكر
ذلك ابو جعفر النحاس في المقنع من تاليفه فليس عنه مسؤولا
كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في عنه مسؤولا
وتاخره في المغضوب عليهم وقول الزمخشري رضي الله عنه
ولم نظرت ما لا يحل لك اسقط الى وهو لا يجوز الا ان جا
في ضرورة شعر لان نظر يتعدى بالى فكان اذ تركيب لم
ولم نظرت الى ما لم يحل لك كما قال انظر اليه فعداه
بالى وانتصب مرحا على الحال اي مرحا كما تقول جاء زيد
ركضا اي راكضا او على حذف مضاف اي ذا مرح واجاز
بعضهم ان يكون مفعولا من اجله اي ولا تمش في الارض
للمرح ولا يظهر ذلك وتقدم ان المرح هو السرور وقيل
الاغتباط بالراحة والفرح وكانه ضمن معنى الاختيال
لان غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال
ولذلك علل بقوله انك لن تخرق الارض. وقرات
وقرئ فيما حكى يعقوب رضي الله عنه مرحا بكسر الراء وهو حال
اي لا تمش متكبرا مختالا قال مجاهد رضي الله عنه لن
تخرق بمشيك على عقبيك كبرا وتيها ولن تبلغ الجبال
بالمشي على صدور قدميك تفاخرا وطولا وتاويله
ان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ فيكون ذلك وصلة الى
الى الاختيال وقال الزجاج رضي الله عنه لا تمش في الارض
مختالا فخورا ونظيره وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا واقصد في مشيك ولا تمش مرحا ان الله لا يحب
كل مختال فخور وقال الزمخشري رضي الله عنه لن تخرق الارض
اي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك باقدامك عليها

ولن تبلغ

ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وفيه تهكم بالمختال. وقرا
الجراح الاعرابي لن تخرق بضم الراء وقال ابو حاتم رضي الله
عنه لا تعرف هذه اللغة وقيل اشير بذلك الى ان الانسان نسان
محصور بين جمادين ضعيف عن التاثير فيهما بالخرق
وبلوغ الطول ومن كانت هذه المثابة لا يليق به التكبر
وقال الشاعر
ولا تمش فوق الارض الا تواضعا فكم تحتها قوم هم منك ارفع
والاجود انتصاب قوله طولا على التمييز اي لن يبلغ
طولك الجبال وقال الحوفي طولا نصب على الحال
والعامل في الحال تبلغ ويجوز ان يكون العامل تخرق
وطولا بمعنى متطاولا انتهى وتبعه طول بمعنى متطاولا ولن
وقال ابو البقاء رضي الله عنه طولا مصدر في موضع الحال
الحال من الفاعل او المفعول ويجوز ان يكون تمييزا
ومفعولا له ومصدرا من معنى تبلغ انتهى وقرا الحرميان ن
وابو عمرو وابو جعفر والاعرج سيئة بالنصب والتانيث
وقرا باقي السبعة والحسن ومسروق سيئه بضم الهمزة
مضافا لها المذكر الغائب وقرا عبد الله سيئاته
بالجمع مضافا للهاء وعنه ايضا سيئات بغير هاء وعنه
ايضا كان خبيثه. فاما القراءة الاولى فالظاهر ان
ذلك اشارة الى مصدري النهيين السابقين وهما
قفو ما ليس له به علم والمشي في الارض مرحا وقيل اشارة ن
الى جميع المناهي المذكورة فيما تقدم في هذه السورة ايضا
وسيئة خبر كان وانث على معنى سيئه فذكره
قال الزمخشري رضي الله عنه السيئة في حكم الاسماء بمنزلة
الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار
تانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا
الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة
فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ولا مؤنث انتهى
ولا يتخرج حسنى وفضل ذكر مكروها على لفظ كل وحق روا
في مكروها ان يكون خبرا ثانيا لكان على مذهب من
يجيز تعداد الاخبار لكان وان يكون بدلا من سيئة
والابدال بالمشتق ضعيف وان يكون حالا من الضمير
المستكن في الظرف قبله والظرف في موضع الصفة كما تقدم
قيل ويجوز ان يكون نعتا لسيئة لما كان تانيثها مجازا ينا

جاز ان يوصف بمذكر وضعّف هذا بأن جواز ذلك انما هو
في الاسناد الى المؤنث المجازي اذا تقدم اما اذا تأخر واسند
الى ضميرها فهو قبيح تقول ابقل الارض ابقالها والارض
ابقل فقبيح واما من قرا سيئه بالتذكير والاضافة
فسيئه اسم كان ومكروها الخبر ولما تقدم من الخصال
ما هو سيّئ وما هو حسن اشير بذلك الى المجموع وافرد
سيئه وهو المنهي عنه فالحكم عليه بالكراهة من قوله
لا تجعل الى آخر المنهيات واما قراءة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه فتتخرج على ان تكون مما اخبر فيه عن الجمع اخبار
الواحد المذكر وهو قليل جدا كما ينشد نحو قوله ا دفنا
فان الحوادث اودى بها لعلا اجتنب الحدثان يكاد الحوادث
وكذلك هذا ايضا كان ما سبق مكان سيئاته ذلك اي
اشارة الى جميع انواع التكاليف من قوله عز وجل لا تجعل
مع الله الها آخر الى قوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا
وهي اربعة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها امر
وبعضها نهي بدأها بقوله لا تجعل مع الله الها آخر واختتم
الآيات بقوله ولا تجعل بذلك منقولة الى سنقده وقال
مما اوحى لان ذلك بعض مما اوحى اليه اذا اوحي اليه بتكاليف
اخر ومما اوحى خبر عن ذلك ومن الحكمة يجوز ان يكون
متعلقا باوحى ويجوز ان يكون بدلا من ما وان يكون
حالا من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما وكانت هذه
التكاليف حكمة لان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع
الطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والعقول
تدل على صحتها وهي شرائع في جميع الاديان لا تقبل النسخ
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الآيات كانت
في الواح موسى عليه الصلاة والسلام اولها لا تجعل مع الله
الها آخر قال الله عز وجل وكتبنا له في الالواح من كل شيء
موعظة وتفصيلا لكل شيء وكرر تعالى النهي عن الشرك
ففي النهي الاول فتقعد مذموما مخذولا وفي الثاني فتلقى
في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين مذموم وملوم
ان كونه مذموما ان يذكر ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح
منكر وكونه ملوما ان يقال له بعد الفعل وذمه لم فعلت
كذا وما حملك عليه وما استفدت منه الا الحاق الضرر
بنفسك فاول الامر الذم وآخره اللوم والفرق

بين

بين مخذول ومدحور ان المخذول هو المتروك اعانته
ونصره والمفوض الى نفسه والمدحور المطرود المبعد
على سبيل الاهانة له والاستخفاف به فاول الامر الخذلان
وآخره الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان يكون
في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة ولذلك
جاء في الآية الثانية فتلقى في جهنم والخطاب بالنهي في هذه
الآيات للسامع غير الرسول صلى الله عليه وسلم وقال
الزمخشري رضي الله عنه ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها
وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة
وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وعلومه
وان بذّ فيها الحكماء وحكّ بيافوخه السماء وما اغنت
عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من
النعم. قوله عز وجل افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ
من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا
في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه
آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه
وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم انه كان حليما غفورا. لما نبه سبحانه وتعالى
على فساد من اثبت شريكا ونظيرا نبه على فساد
طريقة من اثبت لله ولدا والاستفهام معناه الانكار
والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد ان الملائكة بنات الله عز وجل
ومعنى افاصفاكم اي آثركم وخصكم وهذا كما قال في
آية اخرى ألربك البنات ولكم البنون وقال تعالى في آية
اخرى ألكم الذكر وله الانثى وهذا خلاف الحكمة وما
عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون
بأجود الاشياء واصفاها من الشوب وانقاها تصرفا
ويكون اردأها وادناها للسادات ومعنى عظيما مبالغا
في المنكر والقبح حيث اضفتم اليه الاولاد ثم جئتم فضلتم
عليه تعالى انفسكم فجعلتم له ما تكرهون ثم نسبتم الملائكة
الذين هم من اشرف ما خلق الى الانوثة ومعنى
صرفنا نوعنا من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال
والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى جهة ثم صار
كناية عن التبيين لانه تبيينا وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد
الراء فقيل لم يجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا

ومحكما ومتشابها وامرا ونهيا وناسخا ومنسوخا واخبارا
وامثالا مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال
ومفعول صرفنا على هذا المعنى محذوف وهي هذه الاشيا
اي صرفنا الامثال والعبر والحكم والاحكام والاعلام
وقيل المعنى لم ينزله مرة واحدة بل نجوما اي منجما على عدد
الوقايع وعلى حسبها ومعناه اكررنا نزول جبريل عليه الصلاة
والسلام والمفعول محذوف اي صرفنا جبريل
عليه الصلاة والسلام وقيل ان في زائدة اي صرفنا
هذا القرآن كما قال واصلح لي في ذريتي وهذا قول ضعيف
تضعيف جدا لان في لا تزاد ابدا وقال الزمخشري رضي
الله عنه يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله
البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا
القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه
مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل
ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل
فترك الضمير لانه معلوم انتهى فجعل التصريف خاصا بما دلت
عليه الاية قبله وجعل مفعول صرفنا اما القول في
هذا المعنى او المعنى وهو الضمير الذي قدره في صرفناه وغيره
جعل التصريف عاما في الاشياء فقدر ما يشمل ما سبق وما قبله
وبعده وقرا الحسن رضي الله عنه بتخفيف الرا فقال صاحب
كتاب اللوامح هو بمعنى العامة يعني بالعامة قراءة الجمهور وذلك
لان فعل وفعّل ربما تعاقبا على معنى واحد وقال ابن
عطية على معنى صرفنا فيه الناس الى الهدى بالدعا الى الله
وقرا الجمهور ليذكروا اي ليتذكروا من التذكر وادغمت التاء
في الذال وقرا الاخوان وطلحة وابن وثاب والاعمش
رضي الله عنهما ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف من الذكر
او الذكر اي ليتعظوا ويعتبروا وينظروا فيما يحتج به
عليهم ويطمئنوا اليه وما يزيدهم اي التصريف الا نفورا
اي تباعدا ونفارا عن الحق كما قال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم
وقال سبحانه وتعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر
مستنفرة فرت من قسورة والنفور من اوصاف الدواب
الشديدة الشماس ولما ذكر تعالى نسبة الولد اليهم ورد عليهم
في ذلك ذكر قولهم ان الله تعالى معه آلهة ورد عليهم وقرا ابن
كثير وحفص عما يقولون بالياء من تحت والجمهور بالتاء
والمعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي الى مغالبته وافساد ملكه لانهم

شركاءه كما يفعل الملوك مع بعضهم بعضا وفي رواية كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض وقال هذا المعنى ومثله ابن
جبير وابو علي الفارسي والنقاش والمتكلمون ابو منصور
وغيره وعلى هذا تكون الاية بيانا للتمانع كما في قوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وسياتي تفسيرها ان شاء الله (اي غير الله)
سبحانه وتعالى. وقال قتادة رضي الله عنهما معناه لابتغوا
الى التقرب الى ذي العرش والزلفى لديه وكانوا يقولون ان
الاصنام تقربهم الى الله عز وجل فاذا علموا انها تحتاج الى الله عز
وجل فقد بطل كونها آلهة ويكون كقوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب والكاف من كما
في المصنعتين اي في موضع نصب فقال الحوفي رضي الله عنه
متعلقة بما تعلقت به مع وهو الاستقرار ومعه خبر كان و (قال)
ابو البقاء رضي الله عنه كونا كما تقولون وقال الزمخشري رضي
الله عنه واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب
عن مقالة المشركين وجزاء للو انتهى وعطف
وتعالى على قوله سبحانه لانه اسم قام مقام المصدر
الذي هو في معنى الفعل اي براءة الله وتنزيهه (اي تنزيهه)
وقدسته وجميع ما يتعلق به وقد اتى على سبيل
الاعمال اذ يجوز ان يتعلق به عن كما في قوله
سبحان ربك رب العزة عما يصفون والتعالي في حقه
سبحانه وتعالى هو بالمكانة لا بالمكان انتهى فافهم
ذلك. وقرا الاخوان عما تقولون بالتاء من فوق
وباقي السبعة بالياء من تحت وانتصب علوا على انه
مصدر على غير المصدر اي تعاليا ووصف كبيرا
مبالغة في معنى البراءة والبعد عما لا يليق به (ووصفوه)
وعما وصفوه به لان المنافاة بين الواجب لذاته
والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغني
والمحتاج منافاة لا تقبل الزيادة. وتسبح له
السموات والارض ومن فيهن من ملك وانس وجن
وغير ذلك مما لا يعلمه غيره عز وجل حمله بعضهم على
النطق بالتسبيح حقيقة وان ما لا حياة فيه ولا نمو
يحدث الله سبحانه وتعالى له نطقا وهذا هو ظاهر
اللفظ. ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال
بعضهم ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة
وبه قال عكرمة ومجاهد وغيرهما وقال بعضهم الشجرة (تسبح)

والاسطوانة لا تسبح. وسئل الحسن رضي الله عنه عن الخوان أيسبح
فقال رضي الله عنه قد كان يسبح مرة يشير الى انه حين
كان شجرة كان يسبح وحين صار خوانا مدهونا صار جمادا
لا يسبح. وقيل التسبيح المنسوب لما لا يعقل مجاز ومعناه
انها تسبح بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته
وحكمته وكماله فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عز
وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها ويكون قوله ولكن
لا تفقهون تسبيحهم خطابا للمشركين وهم وان كانوا معترفين
بالخالق انه الله تعالى لكنهم لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا
ولم يتفكروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت
خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا
الدلالة على الخالق فيكون التسبيح المسند الى السموات
والارض ومن فيهن على سبيل المجاز قدرا مشتركا بين
الجميع وان كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من
ملك وانس وجان والمجاز نسبته الى السموات والارض
على المجاز ونسبته الى الملائكة والثقلين على الحقيقة
لئلا يكون جمعا بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد
وقال ابن عطية رضي الله عنه ثم اعاد على السموات والارض
ضمير من يعقل لما اسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح
انتهى. ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه يخيل
ان هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما
قد تخيل بل هن يكون ضمير الجمع المؤنث مطلقا انتهى
والله اعلم. وقرأ الاخوان وحفص رضي الله عنهم
اجمعين تسبح بالتاء من فوق وباقي القراء السبعة بالياء
من تحت وفي بعض المصاحف سبحت له السموات السبع
بلفظ الماضي وبتاء التأنيث وهي قراءة عبد الله والاعمش
وطلحة بن مصرف. انه كان حليما حيث لم يعاجلكم
بالعقوبة على سوء نظركم. غفورا ان رجعتم ووحدتم
الله عز وجل. قوله عز وجل واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما
يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا

ائنا لمبعوثون

ائنا لمبعوثون خلقا جديدا. نزلت واذا قرأت القرآن
في ابي سفيان والنضر وابي جهل وام جميل امرأة ابي لهب
كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
القرآن فحجب الله تعالى ابصارهم اذا قرأ فكانوا يمرون
به ولا يرونه قاله الكلبي رضي الله عنه. وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما نزلت في امرأة ابي لهب دخلت منزل
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وبيدها فهر والرسول صلى الله
عليه وسلم جالس عنده فقالت هجاني صاحبك فقال
لها ما هو بشاعر فقالت قد قال في جيدها حبل من مسد
وما يدريه ما في جيدي فقال لابي بكر سلها هل
ترى غيرك. فقالت مجنونا لم يزل يشير بي عنها وسألها فما
لاد [illegible] ولي ما ارى غيرك فانصرفت ولم تر الرسول صلى
الله عليه وسلم. وقيل نزلت في قوم من بني عبد الدار كانوا
يؤذونه في الليل اذا صلى وجهر بالقراءة فحال الله عز وجل
بينهم وبين اذاهم اياه. ولما تقدم الكلام في تقرير
الالوهية جاء بعده تقرير النبوة وذكر شيء من احوال
الكفرة في انكارها وانكار المعاد والمعنى من ذلك
اذا شرعت في القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة
بل المعنى على انك اذا التبست بقراءة القرآن ولا يراد هنا
بالقرآن جميعه بل ما ينطلق عليه الاسم فانك تقول
لمن يقرأ شيئا من القرآن هذا يقرأ القرآن. والظاهر
ان القرآن هنا هو ما قرئ من القرآن اي شيء كان منه
وقيل المراد به ثلاث آيات كالسور اللطيفة كسورة الاخلاص
والكوثر وسورة النصر ما اسم بهما معينة وهي في النحل وهي قوله
تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم الى الغافلون وفي الكهف
ومن اظلم الى اذا ابدا وفي الجاثية افرأيت من اتخذ الهه
هواه الى افلا تذكرون. وعن كعب الاحبار رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستتر بهذه الآيات الثلاث
وعن ابن سيرين رضي الله عنه انه [illegible] من جانب البيت
وعن بعضهم انه اسر زمانا ثم اهتدى الى قراءتها فخرج
لا يبصره الكفار وهم يتطلبونه عشي بهم ثيابه. قال
القرطبي رضي الله عنه ويزاد الى هذه الآي اول سورة يس
الى قوله عز وجل فاغشيناهم فهم لا يبصرون. فان في السيرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين نام علي على فراشه خرج ينثر التراب
على رؤوس الكفار فلا يرونه وهو يتلو هذه الآيات من يس [illegible] والله

ولم يبق احد من الكفار الا وضع على رأسه ترابا والظاهر
ان المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين ابصار الذين لا يؤمنون
بالآخرة كما يريد تبيين النزول وقال قتادة والزجاج
وجماعة ما معناه جعلنا بين فهم ما تقرأ وبينهم حجابا
فلا يفقهون تلاوتك ولا ما النعت فالمعنى في من بعض
الآية بعدها والظاهر اقرار امستورا على موضوعه ان م
من كونه اسم مفعول اي مستورا عن اعين الكفار
فلا يرونه او لا يبصرونه او مستورا به الرسول عليه
الصلاة والسلام عن رؤيتهم ونسبت الستر اليه لما كان
مستورا به فاما المبرد رضي الله تعالى عنه ويقول
معناه ذا ستر واستر كما جاء في صيغة لابن وتامر
اي ذو لبن وذو تمر وقالوا رجل مرطوب اي ذو
رطوبة ولا يقال رطبته ومكان مهول اي ذو هول
ويقال ايضا هذه جارية مغنوجة ولا يقال غنجت
المكان ولا غنجت الجارية وقال الاخفش وجماعة مستورا
اي ساترا واسم الفاعل قد يجي بلفظ المفعول كما قالوا
مشؤوم وميمون يريدون شائم ويامن وقيل
مستورا وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر
ورد بان المبالغة انما تكون باسم الفاعل وتكون
من اللفظ الاول ايضا وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا تقدم تفسيره في اوائل
سورة الانعام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
قيل دخل ملأ من قريش على ابي طالب يزورونه
فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر
بالتوحيد ثم قال يا معشر قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا
انتم تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا
فنزلت هذه الآية والظاهر ان الآية نزلت في شأن
الفارين عند ورود ذكر القرآن وهو وارد في توحيد الله حتى
وحده والمعنى اذا جاءت مواضع التوحيد فر الكفار انكارا
له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها وقال الزمخشري
رضي الله عنه وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد
يعد وعدا وعدة وحده من باب رجع عوده على
بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد
مسد الحال اوسد الحال اصله يحد وحده بمعنى
واحدا انتهى وما ذهب اليه من ان وحده مصدر ساد مسد واحدا

الحال

الحال خلاف مذهب س رضي الله عنه ووحده عند س
ليس هو بمصدر بل هو اسم وقع موقع المصدر الموضوع
موضع الحال فوحده عنده موضوع موضع ايحاد وايحاد
موضوع موضع موحد وذهب يونس رضي الله عنه الى ان
وحده منصوب على الظرف وذهب قوم الى انه مصدر
لا فعل له وقوم الى انه مصدر لاوحد على حذف الزيادة
وقوم الى انه مصدر لوحد كما ذهب اليه الزمخشري
رضي الله عنه وجميع هذه الاقوال مذكورة في كتب النحويين
واذا ذكرت وحده بعد فاعل ومفعول نحو ضربت
زيدا وحده فمذهب س انه حال من الفاعل
اي موحدا له بالضرب ومذهب المبرد انه يجوز
ان يكون حالا من المفعول فعلى مذهب س يكون هنا
التقدير واذا ذكرت ربك موحدا له بالذكر وعلى
مذهب ابي العباس رضي الله عنه يجوز ان يكون التقدير
موحدا بالذكر ونفورا حال جمع نافر كقاعد وقعود
او مصدر على غير المصدر اي لفظ ولوا لان معنى ولوا
نفروا والظاهر عود الضمير في ولوا على الكفار المتقدم
ذكرهم وقالت طائفة وفي رواية وقالت فرقة
هو ضمير الشياطين لانهم يفرون من القرآن دل على ذلك
المعنى وان لم يجر لهم ذكر وقال ابو الجوزاء اوس بن
عبد الله رضي الله عنه ليس شيء اطرد للشيطان من القلب
من ذكر لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا قوله عز
وجل واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم
نفورا الآية وقال علي ابن الحسين رضي الله عنهما انه
هي البسملة نحن اعلم بما يستمعون به اي بالاستخفاف
الذي يستمعون به والهزء بك وبالقرآن واللغو كان
صلى الله عليه وسلم اذا قرأ شيئا من القرآن قام رجلان من
بني عبد الدار عن يمينه ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبما متعلق
باعلم وما كان في معنى العلم والجهل وان كان متعديا
لمفعول بنفسه فانه اذا كان في باب افعل في التعجب
وفي افعل التفضيل يتعدى بالباء تقول ما اعلم زيدا
بكذا وما اجهله بكذا وهو اعلم بكذا واجهل بكذا بخلاف
ساير الافعال المتعدية لمفعول بنفسه فانه يتعدى في
افعل في التعجب وافعل التفضيل باللام تقول ما اضرب زيدا لعمرو

وزيد ما ضرب لعمرو ومن بكر وبه قال الزمخشري في موضع الحال
كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون
نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما به
يتناجون به فيما بينهم اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون
اذ بدل من اذ هم انتهى وقال الحوفي لم يقل يستمعونه
ولا يستمعونك لما كان الغرض ليس الاخبار عن الاستماع
فقط وكان مضمنا ان الاستماع كان على طريق الهزء بان
يقولوا مجنون او مسحور جاء الاستماع بالباء والى
ليعلم ان الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا
المقصد اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى فاذ الاولى تتعلق
بما تعلقت به يستمعون به وكذا اذ هم نجوى لما
تريد لك لان المعنى نحن اعلم بالذي يستمعون به اليك والى
قراءتك وكلامك انما يستمعون لسقطك وتتبع عيبك
والتماس ما يطعنون به عليك يعني في زعمهم ولهذا ذكرها
تعديته بالباء والى انتهى وقال ابن النقار رضي الله عنه
يستمعون به قيل الباء هنا بمعنى اللام واذ ظرف ليستمعون
الاولى والنجوى مصدر ويجوز ان يكون جمع نجي كقتيل
وقتلى واذ بدل من اذ الاولى او التقدير اذكر وقيل التقدير
اذكر اذ يقول وقال ابن عطية رضي الله عنه الضمير في به
عائد على ما وهو بمعنى الذي والمراد الاستخفاف
والاعراض فكانه قال نحن اعلم بالاستخفاف والاعراض
فكانه قال نحن اعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون
به اي هو ملازمهم ففضح الله بهذه الاية سرهم والعامل
في اذ الاولى وفي المعطوف يستمعون الاولى انتهى تناجوا
فقال النضر ما افهم ما تقول وقال ابو سفيان اري بعضه
حقا وقال ابو جهل لعنه الله تعالى هو مجنون وقال ابن
ابي كاهن وقال حويطب هو شاعر وقال بعضهم هذا
القران الذي ياتي به هو من اساطير الاولين وبعضهم قال انما يعلمه
بشر وروي ايضا ان تناجيهم كان عند عتبة دعا اشراف
قريش الى الطعام فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرا عليهم شيئا من القران ودعاهم الى الله عز وجل فتناجوا
يقولون ساحر مجنون وتظاهروا ان مسحورا من السحر
اي خبل عقله السحر وقال مجاهد مخدوعا نحو فانى
تسحرون اي تخدعون وقال ابو عبيدة رضي الله عنه
في معنى قوله مسحورا معناه ان له سحرا اي رئة فهو لا يستغني

عن الطعام

عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس هو بملك فتقول العرب
للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل وشرب من ادمي
او غيره مسحور قال بعضهم
ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
اي نغذى ونعلل ونسحر قال لبيد
فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر
قال ابن قتيبة رضي الله عنه لا ادري ما الذي حمل ابا
عبيدة على هذا التفسير المستكره مع ان السلف الصالح رضي
الله تعالى عنهم فسروه بالوجوه الواضحة وقال ابن عطية
رضي الله عنه الاية التي بعد هذا تقوي ان اللفظة من
السحر بكسر السين لان في قولهم ضرب مثل واما على انها من السحر
الذي هو من الرئة ومن التغذي وان تكون الاشارة
الى انه بشر فهم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقية
له والامثال تقدم ما قالوه في تناجيهم وكما تقدم
على جهة التسلية والتنفيس ثم راى الوليد بن المغيرة ان
اقربها للتخييل للطاريء عليهم هو انه ساحر فضلوا في جميع
ذلك ضلال من طلب في تيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو
متحير في امره فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى كما قيل فيه
والنظر المؤدي الى الايمان او سبيلا الى افساد امرك واطفاء
نور الله بضربهم الامثال واتباعهم كل حيلة في جهتك وحكى
الطبري رضي الله عنه انها نزلت في الوليد بن المغيرة و
اصحابه وقالوا ائذا كنا هذا الاستفهام تعجب وانكار
واستبعاد لما ضربوا لك الامثال وقالوا عنه انه مسحور
ذكروا ما استدلوا به على زعمهم على انتفاء ما نسبوه اليه وانهم
استبعدوا انه يعيد ما يصير الانسان رفاتا يعيده الله
اي باذن يحييه الله ويعيده وقدر علمهم ذلك بانه تعالى
هو الذي فطرهم بعد العدم الصرف كما سياتي شرحه
في موضعه قريبا ان شاء الله سبحانه وتعالى في الاية بعد
هذا ومن قرا من القراء اذا وائنا معا او احدهما على صورة
الخبر فلا يريد الخبر حقيقة لان ذلك كان يكون تصديقا
بالبعث والنشاة الاخرة ولكنه حذف همزة الاستفهام
اي لدلالة المعنى وفي الكلام حذف تقديره اذا كنا ترابا
وعظاما نبعث او نعاد وحذف لدلالة ما بعده عليه
وهذا المحذوف هو جواب الشرط عند س رضي الله عنه والذي
تعلق به الاستفهام وانتصب عليه عند يونس وخلقا حال وهو في

المفردات

مصدر اذا طرق على المعمول اي مطاوعا الحديد معروف نغضت
سنه تحركت قال ونغضت من هرم اسنانه تنغض وتنغض
نغضا ونغوضا وانغض راسه حركه يرفع ويخفض قال
بعضهم لما رأته تنغضت لي الرأس وقال الاخفش
انغض نحوي رأسه وأقنعا كأنه يطلب شيئا اطمعا
وقال الفراء رضي الله عنه انغض رأسه حركه الى فوق
والى اسفل وقال ابو الهيثم اذا اخبر بشي يحرك رأسه
انكارا له فقد انغض رأسه وقال ذو الرمة
ظعائن لم تسكن اكناف قرية بسيف ولم تنغض بهن القناطر
حنك الدابة واحتنكها جعل في حنكها الاسفل حبلا
تقودها به واحتنك الجراد الارض اي اذا اكلت نباتها
قال الشاعر
نشكو اليك سنة قد اجحفت جهد الى جهد بنا فاضعفت
واحتنكت اموالنا وجلفت
ومنه ما ذكره رضي الله عنه من قولهم احتنك السنة
اي اكلتهما استفز الرجل استخفه والفز الخفيف واصله
القطع ومنه تفزز الثوب انقطع وكذا قولهم قد
استفزني فلان خدعني حتى وقعت في امر اراده هو
ومنه قولك للعنزة قد فزفزته قال الشاعر
كما استغاث بشي فز غيطلة خاف العيون فلم ينظر به الحشك
الجلبة الصياح قاله ابو عبيدة والفراء رضي الله عنهما
وقال ابو عبيدة جلبت واجلبت وقال الزجاج اجلب على
العدو جمع عليه الخيل وقال ابن السكيت جلبت عليه اي
اعنت عليه وقال ابن الاعرابي رضي الله عنه اجلب على الرجل
اذا توعده الشر وجمع عليه الجمع الفلك معروف الحاصب
اي الريح التي ترمي بالحصباء قاله الفراء رضي الله عنه اي
والحاصب حصب الرمي بالحصباء وهي الحجارة الصغار
وقال الفرزدق
مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور
والحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة تارة مرة وقد اي مرة
يجيء على تير وتارات قال الشاعر
وانسان عيني يحسر الماء تارة فيبدو وتارات يجم فيغرق
القاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقال قصف الشجر
يقصفه قصفا كسره وقال ابو تمام
ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

وقيل

وقيل القاصف هي الريح التي لها قصيف وهو صوت شديد
اي لها صوت شديد لا تمر بشي الا قصفته فكانها هي
تتقصف اي تتكسر قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال الزمخشري رضي
الله عنه لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة
او حديدا فليس قوله كونوا على قولهم كما انه يقول كونوا
حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على
احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم
ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته
بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء
الحي بل هي عمود خلقته الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع
ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم
ابعد شي من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب
البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان
طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال
الحياة او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في نفوسكم
على الخالق احياؤه فانه يحييه ثم قال ذلك وغيره
وقال ابن عطية رضي الله عنه كونوا ان استطعتم هذه الاشياء
الصعبة الممتنعة التأتي لا بد من بعثكم وقوله كونوا
هو الذي يسميه المتكلمون التعجيز وهذا يكون من انواع
افعل وبهذه الآية مثل بعضهم وفي هذا عندي نظر
وانما التعجيز حيث يقتضي بالامر فعل ما لا يقدر عليه
المخاطب كقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت ونحوه واما
هذه الآية فمعناها كونوا بالتوهم والتقدير كذا وكذا الذي فطر
كذلك يعيدكم انتهى وقال مجاهد رضي الله عنه المعنى
كونوا ما شئتم فستعادون وقال النحاس رضي الله عنه هذا
قول حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة وانما المعنى
انهم قد اقروا بخالقهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا
ان تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم
اول مرة انتهى او خلقا مما يكبر في صدوركم في صلابته وزيادة
على قوة الحديد وصلابته ولم يعينه ترك ذلك الى افكارهم
وحض لانها فيما هو اشد من الحديد فقد ادرجه بالقلب ثم ذكر عن

على سبيل الترقي لا أصلب منه ثم لا أصلب من الحديد أي فرضوا
ذواتكم متلبسة بهذه فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم
وقال ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو والحسن وابن جبير
والضحاك الذي يكبر هو الموت أي لو كنتم الموت لأماتكم
ثم أحياكم بقدرته على ذلك كما بدأكم تعودون وهذا
التفسير لا يتم إلا إذا أريد المبالغة لا نفس الأمر فقط
لأن البدن جسم والموت عرض فلا ينقلب الجسم عرضا
ولو فرضنا انقلابه عرضا لم يكن يقبل الحياة لأجل الأضدية
وقال مجاهد رضي الله عنه الذي يكبر هو السموات
والأرض والجبال. ولما ذكر أنهم لو كانوا أصلب شيء وأبعده
من حلول الحياة به كان خلق الحياة فيه ممكنة قالوا من
الذي هو قادر على صيرورة الحياة فينا وإعادتنا فنبههم
سبحانه وتعالى على ما يقتضي الإعادة وهو أن الذي
أنشأكم واخترعكم أول مرة هو الذي يعيدكم والذي
مبتدأ وخبره محذوف التقدير الذي فطركم أول مرة
هو الذي يعيدكم والذي مبتدأ وخبره محذوف كما
تقدم والتقدير أن الذي فطركم أول مرة هو الذي
يعيدكم فيطابق الجواب السؤال ويجوز أن يكون فاعلا
أي يعيدكم الذي فطركم ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف
أي معيدكم الذي فطركم وأول مرة ظرف العامل فيه فطركم
قال ابن الجوزي رضي الله عنه قوله تعالى فسينغضون
أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ويقولون
متى هو أي متى العود ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم
للعود ولكن حيدة وانتقالا لما لا يسأل عنه لأن ما ثبت
إمكانه بالدليل العقلي لا يسأل عن تعيين وقوعه ولكن
أجابهم عن ذلك بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لأن ذلك
مما استأثر سبحانه وتعالى بعلمه واحتمل أن يكون في قوله
عسى إضمار أي عسى هو أي العود واحتمل أن يكون مرفوعها
أن يكون فتكون تامة وقريبا يحتمل أن يكون خبر
كان على أنه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل
أن يكون ظرفا أي زمانا قريبا وعلى هذا التقدير يوم
يدعوكم بدلا من قريبا وقال أبو البقاء رضي الله تعالى عنه
يوم يدعوكم ظرف ليكون ولا يجوز أن يكون ظرفا لاسم كان وإن كان
ضمير المصدر محذوف أو مقدر لأن الضمير لا يعمل انتهى أما كونه
ظرفا ليكون فهذا مبني على جواز عمل كان الناقصة في الظرف

ابن حم

وفيه خلاف

وفيه خلاف وأما قوله لأن الضمير لا يعمل فهو مذهب
البصريين وأما الكوفيون فيجيزون أن يعمل نحو مروري
بزيد حسن وهو بعمرو قبيح يعلقون بعمرو بلفظ هو
أي ومروري بعمرو قبيح والظاهر أن الدعاء حقيقة
أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة
كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال في
آية أخرى يوم ينادي المنادي من مكان قريب الآية
ويقال إن إسرافيل عليه الصلاة والسلام ينادي
أيتها الأجسام البالية والعظام النخرة والأجزاء
المتفرقة عودي كما كنت وروي في الحديث أنه
أنه صلى الله عليه وسلم قال إنكم تدعون يوم القيامة
بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ومعنى
فتستجيبون بحمده أي توافقون الداعي فيما دعاكم إليه
وقال الزمخشري رضي الله عنه الدعاء والاستجابة
كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون انتهى والظاهر أن الخطاب
للكفار إذ الكلام قبل ذلك معهم والضمير لهم وبحمده
حال منهم قال الزمخشري رضي الله عنه وهي مبالغة
في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق
عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني
أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى إنك تلين لين
المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير
رضي الله عنه أنهم يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن
رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك انتهى وذلك
لما ظهر لهم من قدرته وعظمته وجلاله وكبريائه وقيل
معنى بحمده أن الرسول قائل ذلك لا أنهم يكونون بحمده حا
لا منهم فكأنه قال عسى أن تكون الساعة قريبة يوم
يدعون فتقومون بخلاف ما تعتقدون الآن وذلك
بحمد الله على صدق خبري كما تقول لرجل خصمته أو حاورته
في علم قد أخطأت بحمد الله فبحمد الله ليس حالا من فاعل
أخطأت بل المعنى أخطأت والحمد لله وهذا معنى متكلف
يحكى أن الطبري رضي الله عنه وكأن بحمده يكون اعتراضا
إذ معناه والحمد لله ونظيره قول الشاعر
فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع
أي فإني والحمد لله فهذا اعتراض بين اسم إن وخبرها

تعالى

وفي رواية أخرى فحسنوا أسماءكم

رته

يحال ان يحلم اعتراضا بين المتعاطفين وقد وقع في لفظ ابن عطية
حين فسر هذا المعنى قوله عسى ان الساعة قريبة وهو
تركيب لا يجوز لا تقول عسى ان زيدا قائم بخلاف عسى ان
يقوم زيد وعلى ان يكون يجئ حالا من ضمير فتستجيبون
قال المفسرون حمده واحيانا لا ينفعهم الحمد وقال
قتادة رضي الله عنه معناه بطاعته وحمده ومعرفته
وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما
بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب
في ذلك الوقت ويدل عليه قوله تعالى في سورة يس عليه
الصلاة والسلام حين يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا فهذا يدل على لبثهم فيما بين النفختين وقال
الحسن رضي الله عنه تقريب وقت البعث فكانك بالدنيا
ولم تكن وبالاخرة ولم تزل فهذا رجع الى استقلال مدة
اللبث في الدنيا وقال الزمخشري رحمه الله تعالى وتظنون
وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا
وتحسبونها يوما واحدا او بعض يوم وعن قتادة رضي الله
عنه تحاقرت الدنيا في نفوسهم حين عاينوا الاخرة انتهى
وقيل استقلوا لبثهم في عرصة القيامة لانه لما كانت
عاقبة امرهم الدخول في النار راوا كان مضرهم ذلك الى
النار يستقصرون امد لبثهم في برزخ القيامة وقيل ان تم
الكلام عند قوله قل عسى ان يكون قريبا ويوم يدعوكم خطاب
مع المومنين لا مع الكافرين لانهم فيستجيبون بحمده يحمدونه
على احسانه اليهم ولا يليق هذا الا بهم وقيل يحمده المومنون
اختيارا ويحمده الكافرون اضطرارا وهذا يدل على ان الخطاب
للمومن والكافر وهو الذي يدل عليه ما روي عن ابن جبير
رضي الله عنه واذا كان الخطاب للكفار وهو الظاهر فيحتمل
ان يكون الظن على بابه فيكون لما رجعوا الى حالة الحياة
وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن الدنيا الا في زمن قليل
اذ كانوا في ظنهم نايمين ويحتمل ان يكون بمعنى اليقين
من حيث علموا ان ذلك منقض منصرم وانتظاره ان
قوله وتظنون معطوف على فتستجيبون كما قال الحوفي رضي
الله عنه وقال ابو البقاء رضي الله عنه اي وانتم تظنون والجملة
حال انتهى وان هنا نافية وتظنون معلق عن العمل والجملة
بعده في موضع نصب وقل ما ذكر النحويون في ادوات التعليق
ان النافية ويظهر ان انتصاب قليلا على انه نعت لزمان

محذوف

يعني

محذوف اي الا زمانا قليلا لقوله قال لبثنا يوما او بعض
يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي الا لبثا قليلا
ودلالة الفعل على مصدره دلالة قوية. **قوله تعالى**
وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ
بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم
بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك
عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا.
قيل سبب نزول هذه الاية ان سيدنا ومولانا الامام
الاعظم سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة
فسبه عمر رضي الله عنه وهم بقتله فكاد ان يثير فتنة
بسبب ذلك فنزلت تلك الاية وهي منسوخة باية السيف
وارتباطها بما قبلها انه لما تقدم ما نسبه الكفار الى الله
عز وجل من الولد ونفورهم عن كتاب الله عز وجل اذا سمعوه
وايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبته الى انه مسحور
وانكار البعث كان ذلك مدعاة لايذاء المومنين وحملة
لبعض المومنين ايذاهم ومقابلتهم بما عاملوهم فامر الله
سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يوصي المومنين
بالرفق بالكفار والتلطف بهم في القول وان لا يعاملوهم
بمثل افعالهم واقوالهم فعلى هذا يكون المعنى قل لعبادي ي
المومنين يقولوا للمشركين الكلام اي الكلمة التي هي
احسن وقيل المعنى يقولوا اي يقول بعض المومنين
لبعض الكلمة التي هي احسن اي يجل بعضهم بعضا ويعظم يعظم
ولا يصدر منه الا الكلام الطيب والقول الجميل
فيكونوا امثال المشركين في معاملة بعضهم بعضا بالنهب حتى
والسباب والحروب والنهب للاموال والسبي للنساء والذراري
وقيل عبادي هنا المشركون اذ المقصود الدعاء الى الاسلام
فخوطبوا بالخطاب الحسن ليكون ذلك سببا الى قبول الدين
وكانه قيل قل للذين اقروا انهم عبادي يقولوا التي هي احسن
وهو توحيد الله عز وجل وترك عبادة غيره او ليدعوا بما ذا دلا بكر
ثبات كان ذلك من نزغ الشيطان ووسوسته ويحتمل
ما يليقه وقيل عبادي شامل للفريقين المومنين والكافرين
على ما سياتي في تفسير التي هي احسن والذي يظهر ان
لفظة عبادي مضافة الى الله تعالى كثر استعمالها في المومنين في
القران كقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول وادخلي في عبادي

عبادي شرفهم باضافتهم الى الله وقل خطاب للرسول وقولوا امر ومعمول
القول محذوف تقديره قولوا التي هي احسن والجزم به
قولوا ويقولوا به على انه جواب للامر الذي هو قل قاله
الاخفش رضي الله عنه وهو صحيح المعنى على تقدير ان
يكون عبادي يراد بهم المؤمنون لانهم لمسارعتهم لامتثال
امر الله سبحانه وتعالى بنفس ما يقول لهم ذلك قالوا التي
هي احسن وعن س رضي الله عنه انه انجزم على جواب
شرط محذوف اي ان تقل لهم يقولوا فيكون في قوله
حذف معمول القول وحذف الشرط الذي يقولوا جوابه
وقال المبرد رضي الله عنه انجزم جوابا للامر الذي هو
معمول قل اي قولوا التي هي احسن يقولوا وقل
معمول مذكور لا محذوف وهو يقولوا على تقدير لام
الامر وهو محذوف ومن هذا قال الزجاج رضي الله عنه وقيل
يقولوا هو مبني وهو مضارع حل محل المبني الذي
هو فعل الامر مبني والمعنى قل لعبادي قولوا اي
قل لهم يقولوا التي هي احسن قاله المازني رضي
الله عنه وهذه الاقوال كلها جرت في قوله قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا الصلاة وترجيح ما ينبغي ان يرجح مذكور
في علم النحو التي هي احسن قالت فرقة منهم ابن عباس
رضي الله عنهما هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله قال
ابن عطية رضي الله تعالى عنه ويلزم على هذا ان يكون قوله
لعبادي يريد به جميع الخلق لان جميعهم مدعو الى هذا
قول لا اله الا الله محمد رسول الله ويجيء قوله بعد ذلك
ان الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب للمعنى الا على تكره
بان يجعل بينهم بمعنى خلالهم واثناءهم ويجعل النزغ
بمعنى الوسوسة والاضلال وقال الحسن رضي الله تعالى
عنه يرحمك الله يغفر لك وعنه ايضا الامر بامتثال
الاوامر واجتناب المناهي وقيل معناه القول للمؤمن
يرحمك الله وللكافر يهديك الله او هداك الله وقالت
الجمهور هي المحاورة الحسنى بحسب معنى معنى وقال
الزمخشري رضي الله تعالى عنه فسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم
بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني يقولون لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار
وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على
الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بمعنى يلقي بينهم

الفساد

الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة
وقال ابو عبيد [illegible] رضي الله عنه ما ملخصه اذا
اردتم الحجة على المخالف فاذكروها بالطريق الاحسن
وهو ان لا يخلط بالسب كقوله عز وجل ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال
تعالى في اية اخرى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن ويخلط الحجة بالسب للمقابلة بمثله فتتغير
عن حصول المقصود الذي هو اظهار الحجة وتاثيرها ثم نبه
على هذا الطريق بقوله ان الشيطان ينزغ بينهم جامعا
للغرضين اي متى اخرجت الحجة بالايذاء كانت الفتنة
انتهى والله اعلم وقرا طلحة رضي الله عنه قوله عز وجل ان
الشيطان ينزغ بكسر الزاي وقال ابو حاتم رضي الله عنه
ولعلها لغة والقراءة بها بالفتح لا بالكسر وقال صاحب
كتاب اللوامح رضي الله تعالى عنه هي لغة وقال الزمخشري
رضي الله عنه هما لغتان نحو يعرشون ويعرشون انتهى وهو
مثل اي وقال بعضهم ولو مثل بينطح وينطح كان
انسب وبين سبحانه وتعالى سبب النزغ وهي العداوة
القديمة لابيهم ادم عليه الصلاة والسلام بقوله وقوله ثم
لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا
تجد اكثرهم شاكرين الاية وغيرها من الايات الدالة
على تسلطه على الانسان وابتغاء الغوائل المهلكة له وان
الخطاب بقوله ربكم ان كان للمؤمنين فالرحمة الانجاء
من كفار مكة واذاهم والتعذيب هو تسليطهم عليهم
وما ارسلناك عليهم اي على الكفار حافظا وكفيلا وكيلا
فاشتغل انت بالدعوة وانما هدايتهم الى الله عز وجل وقيل
معنى قوله تعالى ان يشا يرحمكم اي يرحمكم بالهداية
الى التوفيق والاعمال الصالحة وان يشا يعذبكم بالخذلان
وان كان الخطاب للكفار فالمعنى يرحمكم الله بالهداية
الى الايمان ويعذبكم اي بان يميتكم على الكفر وذكر ابو
سليمان الدمشقي رضي الله تعالى عنه لما نزلت القحط بالمشركين
قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقال الله تعالى ربكم
اعلم بكم بالذي يؤمن من الذي لا يؤمن ان يشا يرحمكم فيكشف
عنكم القحط اي يكشف القحط عنكم وان يشا يعذبكم فيتركه عليكم
وقال ابن عطية رضي الله عنه هذه الاية تقوي ان الاية التي قبلها
هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك ان قوله ربكم اعلم بكم

مخاطبة للكفار وقيل بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا.
فكأنه امر المؤمنين ان لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم
قال انه اعلم بهم وبرجائهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة
عليكم قاله ابن جريج وغيره انتهى وتقدم من قول
الزمخشري رضي الله عنه ان قوله ربكم اعلم بكم من مقول
المؤمنين للكفار وانه تفسير لقوله التي هي احسن
وقال ابن الانباري رضي الله عنه او دخلت هنا لسعة
الامرين عند الله فلا يرتد عنهما فكانت ملحقة باو المبيحة
في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين يعنون قد وسعنا لك
الامر وقال الكرماني رضي الله عنه او للاضراب ومن
اجل هذا افرد ذكر او ولما ذكر سبحانه وتعالى انه اعلم
بمن خاطبهم بقوله ربكم اعلم بكم انتقل من الخصوص الى
العموم فقال مخاطبا لرسوله عليه افضل الصلاة وازكى
السلام وربك اعلم بمن في السموات والارض ليبين ان
علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من في
السموات والارض باحوالهم ومقاديرهم وما يستاهل
كل واحد منهم وبمن متعلق باعلم كما تعلق بكم قبله
باعلم ولا يدل تعلقه به على اختصاص اعلميته سبحانه
وتعالى بما تعلق به كقولك زيد اعلم بالنحو لا يدل
هذا على انه ليس اعلم بغير النحو من العلوم وقال ابو علي
رضي الله عنه الباء تتعلق بفعل تقديره علم بمن قال
لانه لو علقها باعلم لاقتضى انه ليس باعلم بغير ذلك
وهذا لا يلزم حصوله في هذه اللفظة بل هو سبحانه
وتعالى اعلم بما غاب وما شوهد فان علم لا يتعدى بالباء
انما يتعدى الى واحد بنفسه لا بواسطة حرف الجر ولا يبنى
على ما تقرر في علم النحو ولما كان الكفار قد استبعدوا
نبوة البشر وكذا تفضيل الانبياء على غيرهم اخبر
سبحانه وتعالى بتفضيل بعض الانبياء على بعض وان
اشار الى انه لا يستبعد تفضيل الانبياء على غيرهم
اذ قد وقع التفضيل في هذا الجنس المفضل على الناس
والله اعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو يفضل من
شاء منهم على من شاء اذ هو الحكيم العالم العليم فلا
يصدر شيء الا عن علمه وحكمته وفيه اشارة الى انه
لا يستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وخص داود عليه الصلاة والسلام

بالذكر هنا

بالذكر هنا لانه سبحانه وتعالى قد ذكر في زبور داود عليه
الصلاة والسلام ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
عليهم اجمعين الصلاة والسلام وان امته خير الامم وقال
تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته
وكانت قريش ترجع الى اليهود كثيرا فيما يخبرون به
في كتبهم من نعته وصفته الشريفة فنبه سبحانه
وتعالى على ان زبور داود عليه الصلاة والسلام تضمن
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك اشارة رد على
مكابرة اليهود حيث قالوا لا نبي بعد موسى ولا كتاب
بعد التوراة ونص سبحانه وتعالى هنا على ايتاء داود
الزبور وان كان قد اتاه مع ذلك الملك اشارة الى ان
التفضيل المحض هو بالعلم الذي اتاه اياه والكتاب
الذي انزل عليه كما فضل سيدنا نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم بما اتاه من العلم ومن القرآن
الذي خصه به وتقدم تفسير وآتينا داود زبورا
في اواخر سورة النساء وذكر الخلاف في ضم الزاي وفتحها
وقال الزمخشري رضي الله عنه هنا اي في هذا المحل
فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون **قلت** يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس
وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض
الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض
الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا. **قوله تعالى قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه** فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك
كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك
في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا. **قال** ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه نزلت هذه الآيات في شأن
عبدة الشياطين وهم من خزاعة اسلمت الشياطين وبقوا يعبدونهم

وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي عزير والمسيح وامه وعنه ايضا
وكذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا عن ابن زيد والحسن
في عبدة الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما في عبدة
الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وامه عليهما
الصلاة والسلام انتهى ويكون الذين زعمتم من دونه عاما
غلب فيه من يعقل على ما لا يعقل والمعنى ادعوهم فلا
يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب
ولا ان يحولوه من واحد الى اخر او يبدلوه ايضا
وقراءة الجمهور يدعون بياء الغيبة وقرا ابن مسعود
وقتادة بتاء الخطاب وزيد بن علي رضي الله عنهما بياء
الغيبة مبنيا للمفعول والمعنى يدعونهم الهة او
يدعونهم لكشف ما حل بكم من الضر كما حذف من قوله
قل ادعوا اي ادعوهم لكشف الضر وفي قوله زعمتم
ضمير محذوف عائد على الذين وهو المفعول الاول
والثاني محذوف تقديره زعمتموهم الهة من دون الله تعالى
واولئك مبتدا والذين هم صفته والخبر يبتغون
والوسيلة معناها هاهنا القربة الى الله سبحانه وتعالى
والظاهر ان اولئك اشارة الى المعبودين والواو في يدعون
للعابدين والعائد على الذين منصوب محذوف
اي يدعونهم وقال ابن فورك رضي الله عنه الاشارة
باولئك الى النبيين الذين تقدم ذكرهم في الايات السابقة
والضمير المرفوع في يدعون ويبتغون عائد عليهم اي
عائد على النبيين عليهم الصلاة والسلام والمعنى يدعون
الناس الى الله عز وجل وتنزل المعنى على هذا ان الذين
عظمت منزلتهم وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا الى الله سبحانه
وتعالى فهم احق بالاقتداء بهم فلا تعبدوا غير الله سبحانه
وتعالى وقراءة الجمهور اليهم بضمير الجمع الغائب وقرا
ابن مسعود رضي الله عنه الى ربك بالكاف خطابا للرسول
واختلفوا في اعراب ايهم اقرب وتقديره فقال الحوفي
رضي الله عنه ايهم اقرب ابتداء وخبر والمعنى ينظرون
ايهم اقرب فيتوسلون به ويجوز ان يكون ايهم اقرب
بدلا من الواو في يبتغون انتهى ففي الوجه الاول اضمر
فعل التعليق وايهم اقرب في موضع نصب على اسقاط حرف
الجر لان نظر ان كان بمعنى الفكر تعدى بفي وان كانت

بصرية

بصرية تعدت بالى فالجملة المعلق عنها الفعل
على كلا التقديرين تكون في موضع نصب على اسقاط
حرف الجر مثلا لان نظر ان كان بمعنى الفكر تعدى بفي
فالجملة المعلق عنها الفعل على كلا التقديرين تكون في
موضع نصب على اسقاط حرف الجر كقوله سبحانه وتعالى
في سورة الكهف فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق
منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وفي اضمار
الفعل المعلق نظر والوجه الثاني قاله الزمخشري
رضي الله عنه قال ويكون اي موصولة اي يبتغي من
هو اقرب منهم وازلف وسيلة الى الله عز وجل فكيف
بغير الاقرب انتهى فعلى الوجه يكون اقرب خبر
مبتدا محذوف واحتمل ايهم ان يكون معربا
وهو الوجه وان يكون مبنيا لوجود مسوغ البناء
قال الزمخشري رضي الله عنه او ضمن يبتغون
الوسيلة يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون
اقرب الى الله عز وجل وذلك بالطاعة وازدياد
الخير والصلاح فيكون قد ضمن يبتغون معنى فعل
قلبي وهو يحرصون حتى يصح التعليق ويكون
الجملة الابتدائية في موضع نصب على اسقاط حرف
الجر لان حرص يتعدى بعلى كقوله سبحانه وتعالى
ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم
من ناصرين وقال ابن عطية رضي الله عنه وايهم
ابتداء واقرب خبره والتقدير نظرهم ووكدهم
ايهم اقرب وهذا كما قال الامام الاعظم سيدنا ومولانا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبات الناس يدوكون
ايهم يعطاها اي يتبادرون في طلب القرب فجعل
المحذوف نظرهم ووكدهم وهذا مبتدا فان جعلت
ايهم اقرب في موضع نصب بنظرهم المحذوف بقي المبتدا
الذي هو نظرهم بغير خبر محتاج الى اضمار الخبر وان
جعلت ايهم اقرب هو الخبر فلا يصح لان نظرهم ليس هو
ايهم اقرب وان جعلت التقدير نظرهم في ايهم اقرب
اي كائن او حاصل فلا يصح ذلك لان نظرهم ليس هو
ايهم اقرب وان جعلت التقدير نظرهم في ايهم اقرب
اي كائن او حاصل فلا يصح ذلك لان كائنا وحاصلا ليس
لشيء مما يتعلق به وقال ابو البقاء ايهم مبتدا واقرب

خبره

وهو استفهام في موضع نصب بيدعون ويجوز ان يكون ايهم هنا
بمعنى الذي وهو بدل من الضمير في يدعون والتقدير
الذي هو اقرب ويجوز ان يكون ايهم هنا بمعنى الذي وهو بدل
من الضمير في يدعون والتقدير الذي هو اقرب انتهى يعني
الوجه الاول على يدعون وهو ليس بفعل قلبي وفي
الثاني يفصل بين الصلة ومعمولها بالجملة الحالية ولا يضر
ذلك لانها معمولة للصلة ويرجون رحمته ويخافون
عذابه كغيرهم من عباد الله عز وجل فكيف يزعمون
انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا اي يحذره
كل احد • وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا
وقد قال الزجاج والفراء رضي الله عنهما وان من قرية
ان نافية ومن زائدة في المبتدا لتدل على استغراق
الجنس والجملة بعد الا خبر المبتدا وقيل المراد ههنا
الخصوص والتقدير وان من قرية ظالمة وقال ابن عطية
رضي الله عنه ومن لبيان الجنس انتهى والتي لبيان الجنس على
قول من يثبت لها هذا المعنى هو ان يتقدم قبل ذلك
ما يفهم منه ابهام ما فتاتي من لبيان ما اريد بذلك الذي فيه
ابهام كما في قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وهنا لم يتقدم شيء مبهم فتكون من فيه بيانا له ولعل
قوله لبيان الجنس من الناسخ ويكون موقعها لهي ههنا
لاستغراق الجنس الا ترى انه قال بعد ذلك وقيل المراد
الخصوص انتهى والظاهر ان جميع القرى تهلك قبل يوم
القيامة واهلاكها تخريبها وفناء اهلها كما قال الله عز وجل
قل الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك
في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان
كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال ابن مسعود رضي الله عنه
الظاهر ان جميع القرى تهلك يوم القيامة واهلاكها تخريبها
وفناء وهنا ويقتضي تخريبها هلاك اهلها بالاستئصال او شيئا
فشيئا او تعذيب والمعنى اهلها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة

وقال مقاتل

وقال مقاتل رضي الله تعالى عنه وجدت في كتب ابن
مزاحم وفي رواية وجدت في تحت الضحاك بن مزاحم رضي الله
عنه المكاني في تفسيرها • اما مكة فيخربها الله سبحانه وتعالى
فتخربها الحبشة • وتهلك المدينة المنورة بالجوع • وتهلك
البصرة بالغرق والكوفة بالترك • والجبال بالصواعق
والرواجف • واما خراسان فعذابها ضروب • ثم
ذكرها بلدا بلدا او نحو ذلك عن وهب بن منبه رضي الله
عنه • فذكر فيه ان هلاك الاندلس وخرابها يكون بسنابك
الخيل • واختلاف الجيوش • كان ذلك في الكتاب مسطورا
اي في سابق القضاء او في اللوح المحفوظ اي مكتوبا
اسطارا اسطارا • وما منعنا ان نرسل بالآيات • روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة سألوا ان يجعل لهم
الصفا ذهبا وان ينحي عنهم الجبال فيزرعون • فاقترحوا
ذلك على الرسول عليه الصلاة والسلام • فاوحى الله عز
وجل اليه ان شئت يا محمد فعلت ذلك ولكن ان شئت
ان افعل ذلك لهم فعلته فان تأخروا عاجلتهم بالعقوبة
• وان شئت استأنيت بهم عسى ان اجتبي منهم
مؤمنين فقال بل تستأني بهم يا رب عسى ان تجتبي منهم
مؤمنين فنزلت • والمنع مستعار للترك اي ما تركنا ارسال
الآيات اي ارسال الآيات المقترحة الا تكذيب
الاولين بها وتكذيب الاولين • ليس علة في ارسال
الآيات لقريش فالمعنى الا اتباعهم طريقة تكذيب الاولين
بها فتكذيب الاولين فاعل على حذف المضاف فاذا
فاذا كذبوا بها كما كذب بها الاولون عاجلتهم بعذاب
الاستئصال وقد اقتضت الحكمة ان لا استأصلهم
وقال الزمخشري رضي الله عنه فالمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها
الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك المذكورين
وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من
بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات
التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت اليهم فاهلكوا
واحدة وهي ناقة صالح عليه الصلاة والسلام لان اثار هلاكهم
في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم

ادعوا
بكل
اي يدعو الله ان ينحي عنها ما كانها
ين
انتهى والله اعلم

وقرأ الجمهور ثمود ممنوع الصرف. وقرأها روين اهل
الكوفة ينونون ثمود في كل وجه. وقال ابو حاتم رضي الله عنه
لا ينون العامة والعلماء بالقرآن ثمود في وجه من الوجوه
وفي اربعة مواطن الف مكتوبة ونحن نقرأها بغير
الف انتهى والناقة مبصرة على الحال وهي قراءة الجمهور كما تقدم
وقرأ زيد بن علي مبصرة بالضم مع التنوين اي بالرفع على
اضمار مبتدأ اي هي مبصرة واضاف الابصار
اليها على سبيل المجاز لما كانت يبصرها الناس والتقدير آية
مبصرة. وقرأ قوم بفتح الصاد اسم مفعول اي يبصرها
الناس ويشاهدونها. وقرأ قتادة بفتح الميم والصاد
مفعلة من البصر اي محل ابصار كقوله [illegible]
والكفر مخبثة لنفس المنعم.
وقد اجراها هنا مجرى صفات الامكنة نحو ارض
مسبعة ومكان مضبة. وقالوا ايضا الولد مبخلة مجبنة
فظلموا بها اي كفروا بها بعد توكيد وخذوا هنا كما في
ارض الله الآية. وقيل المعنى انهم جحدوا انها من عند الله
عز وجل. وقيل جعلوا التكذيب بها موضع التصديق.
وهو بمعنى القول المتقدم قبله. والظاهر ان الآيات
الاخيرة غير الآيات الاولى لوحظ في ذلك وقت ومقتضى
الاقتراح وفي هذه وقت غير المقترحة وهي آيات معها
امهال لا معاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة. وقال
الحسن رضي الله عنه والموت الذريع. وفي حديث الكسوف
فافزعوا الى الصلاة. قال ابن عطية رضي الله عنه وآيات
الله المعتبر بها ثلاثة اقسام قسم عام في كل شيء اذ حيثما
وضعت نظرك وجدت آية. وهنا فكرة العلماء
وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوها وهنا فكرة الجهلة
فقط. وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة
وانما يعتبر توهما لما سلف منها انتهى. وهذا القسم
الاخير قال فيه وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير
من الناس يثبت هذا القسم لغير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ويسميه كرامة. وقال الزمخشري رضي
الله تعالى عنه ان اراد بالآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها
الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة اي
كالمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم العذاب وان اراد غيرها
فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن

وغيرها

وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة. وقيل الآيات
التي جعلها الله عز وجل تخويفا لعباده سماوية ككسوف
الشمس وخسوف القمر والرعد والبرق والصواعق والرجوم
وما يجري مجرى ذلك. وارضية وهي الزلازل
والخسف والحروب والنيران التي تظهر في بعض البلاد
البلاد وغور ماء العيون وزيادتها على الحد حتى تكاد
تغرق منها بعض البلاد والارض. ولا سماوية ولا ارضية
الرياح العواصف وما يحدث عنها من قلع الاشجار
وتدمير الديار. وما يسوقه من السموم والرياح
السموم. قوله عز وجل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا.
لما طالبوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالآيات المقترحة
واخبر الله عز وجل ان المصلحة في عدم المجيء بها طعن
الكفار فيه وقالوا لو كان رسولا حقا لاتى بالآيات المقترحة
فبين الله عز وجل انه ينصره ويؤيده وانه احاط بالناس
علما وقدرة. فقيل قد احاط بالناس اي بعلمه فلا يخرج شيء
عن علمه. وقيل بقدرته فقدرته غالبة على كل شيء وعلى
كل شيء. وقيل الاحاطة هنا الاهلاك كقوله عز وجل في آية
الكهف واحيط بثمره. والظاهر ان الناس عام. وقيل المراد
بهم هنا اهل مكة بشره سبحانه وتعالى انه سيغلبهم
ويظهره عليهم كما وعده بذلك. واحاط بمعنى يحيط عبر عن
المستقبل بالماضي لانه واقع لا محالة والوقت الذي
وقعت فيه الاحاطة بهم قيل هو يوم بدر. وقال العسكري
رضي الله عنه هذا خبر غيب قدمه قبل وقته ويجوز ان
يكون ذلك في امر الخندق ومجيء الاحزاب يطلبون ثارهم
ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين
القتال وكان الله قويا عزيزا. وقيل كان يوم بدر. وقيل هو يوم
الفتح. فقيل الاشارة به الى يوم الفتح فانه اليوم الذي احاط
امر الله بالهلاك اهل مكة فيه وامكنه منهم. وقال الطبري
رضي الله عنه احاط بالناس اي في منعك يا محمد وحياطتك
وحفظك فالآية اخبار له بانه محفوظ من الكفرة
آمن ان يقتل او ينال بمكروه عظيم اي فلتبلغ
رسالة ربك ولا تهب احدا من المخلوقين. قال ابن
عطية رضي الله عنه وهذا تأويل بين جار مع اللفظ وقد

روي نحوه عن الحسن والسدي الا انه لا يناسب ما بعده مناسبة
شديدة . ويحتمل ان يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة
له كما قررت لك والله اعلم فان قيل قد اختلف الناس في الرؤيا
فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة
الاسراء من العجائب قال الكفار ان هذا لعجب نخب
الى بيت المقدس شهرين اقبالا وادبارا ويقول محمد جاءه
من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من
ضعفاء المؤمنين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى المسلمين
الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فعلى هذا يحسن ان يكون معنى
قوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي في اضلالهم
وهدايتهم وان كل واحد ميسر لما خلق له اي فلا تهتم
انت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قلنا لك ان الله
محيط بهم مالك لامرهم وهو جعل رؤياك هذه لامرهم
فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت رؤيا في هذا
التاويل ورؤيا اذ هما مصدران من رأى وقال ابن عباس رضي
الله عنه جاز ذلك من اعتقاد من اعتقدها مناما منه
وان كانت الحقيقة غير ذلك انتهى وعن ابن عباس والحسن
ومجاهد وغيرهم هو قصة الاسراء والمعراج عيانا امن به
به الموقنون وكفر به المخذولون وسماه رؤيا لوقوعه في
الليل وسرعة تقضيه كانه منام وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ايضا هو رؤياه ان يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية
فرد فافتتن الناس وهذا مناسب لصدر الاية فان الاحاطة وورود
بمكة اكثر ما كانت وعن سهل بن سعد هي رؤياه بني امية
ينزون على منبره نزو القردة فاهتم لذلك وما استجمع
ضاحكا من يومئذ حتى مات عليه الصلاة والسلام فنزلت
الاية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر انما يجعلها الله
فتنة للناس ويجيء قوله احاط بالناس اي باقداره وان كان
ما قدره الله فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك وقال الحسن
بن علي رضي الله عنه في خطبته في شان بيعته لمعاوية وان ادري
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون وقالت عائشة رضي الله عنها الرؤيا
رؤيا منام قال ابن عطية رضي الله عنه وهذه الاية تقضي تقضي
بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها
انتهى وليس كما قال ابن عطية رحمه الله تعالى فان رؤيا
الانبياء حق ويخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك لا محالة

فيفتنه

فتصير اخبارا وبعد ذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك وقال
صاحب التحرير سالت ابا العباس القرطبي رضي الله عنه عن هذه
الاية فقال رضي الله عنه ذهب المفسرون فيها الى امور غير
ملايمة لسياق اول الاية والصحيح انها رؤية عين اري
يقظة لما اتاه بدرا اراه جبريل عليه الصلاة والسلام
مصارع القوم فاراها الناس وكانت فتنة لقريش فانهم
لما سمعوا اخذوا في الاستهزاء والسخرية بالرسول عليه الصلاة
هو والسلام . والشجرة الملعونة في القران هي ابو جهل لعنه الله
نه تعالى انتهى وقال الزمخشري رضي الله عنه لعل الله سبحانه
وتعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين
ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو
يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا
مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري
في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون
منه اي يستسخرون به استهزاء وقيل راى صلى الله عليه
وسلم في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره الشريف
كما تتداول الصبيان الكرة انتهى والظاهر انه اريد
ت بالشجرة حقيقتها فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الكشوث
المذكورة في قوله كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار وعنه ايضا هي الشجرة التي تلتوي على الشجرة
فتفسدها وقال بعض المفسرين والمراد بالفتنة هنا انهم
ما بال الحشائش تذكر في القران وقال الجمهور المراد بالشجرة
الملعونة في القران هي شجرة الزقوم لما نزل امرها في سورة
كم الصافات وغيرها قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعد
بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل
الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل
لعنه الله تعالى جارية له فاحضرت تمرا وزبدا فقال
لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفاء
من المسلمين قال الزمخشري رضي الله عنه وما انكروا ان
يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر
السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل
اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل
سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
الحمر كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة

لما انكروا ان يخلق شجرة في النار اذ ان تخلق في النار شجرة فلا يحرقها
والمعنى ان الايات انما نرسلها تخويفا للعباد وهؤلاء قد
خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان الا
ما قد اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة
لهم حيث اتخذوه سخرية وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة
الزقوم التي اعدها الله لاهل النار فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم
اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا
طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالتهم بارسال ما قد
يقترحون من الايات انتهى. وقوله بعد الوحي اليك هو
قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر. وقوله تعالى في اية اخرى قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد والظاهر اسناد اللعنة الى
الشجرة واللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم الابعاد
في ابعد مكان من الرحمة اعاذنا الله تعالى من ذلك بحلمه
وكرمه امين. وقيل انها العرب تقول لكل طعام مكروه
ضار ملعون قال الزمخشري رضي الله عنه وقد سالت
بعض العلماء رضي الله عنهم اجمعين عن معنى هذه الاية فقال
نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وقال ابن عباس رضي
الله عنهما الملعونة يريد اكلها ونسبه الزمخشري رضي الله عنه
فقال لعنت حيث لعن اكلوها وطاعموها من الكفرة
والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى انها تلعن حقيقة
اي تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز
انتهى. وقيل انها شبه طلعها برؤوس الشياطين والشياطين
ملعونون نسبت اليها اللعنة وفي رواية نسبت اللعنة اليها
وقال قوم الشجرة هنا مجاز عن واحد وهو ابو جهل
لعنه الله تعالى وقيل هو الشيطان وقيل مجاز عن جماعة
وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ف
لعنهم الله عز وجل وتمنيهم انفسهم كانوا ينتظرون بعثة
الرسول عليه الصلاة والسلام فلما بعثه الله تعالى كفروا به
وقالوا ليس هو الذي كنا ننتظره فثبطوا كثيرا من الناس
بمقالتهم عن الاسلام وقيل بنو امية حتى ان من المفسرين من لا
يعبر عنهم الا بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدما
المعصومة واخذ الاموال من غير حلها وتغيير الدين وتغيير
قواعد الدين وتبديل الاحكام ولعنهم في القران اذ الا لعنة الله على
الظالمين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة

وقراءة

وقراءة الجمهور والشجرة الملعونة عطفا على الرؤيا وهي شجرة الزقوم رجة
في الحضرة وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة
في القران الا فتنة للناس. وقرا زيد بن علي رضي الله عنه
بالرفع والشجرة الملعونة في القران على الابتداء والخبر
محذوف تقديره كذلك اي فتنة والضمير في ونخوفهم
ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا المراد بهم اهل مكة
وقيل المراد بهم ملوك بني امية بعد الخلافة التي قال
النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون عاما
ثم تكون ملكا عضوضا والاول اصوب كما قال فيه
وقرا الاعمش رضي الله تعالى عنه ويخوفهم بياء الغيبة
وقراءة الجمهور كلهم قرؤها بنون العظمة. قوله تعالى واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد
لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت
علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا
قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك نك
واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا.
مناسبة هذه الاية لما قبلها من وجهين احدهما انه
لما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة واقترحوا
عليه الايات المتقدم بيانها في ذلك كبر وحسد هم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله عز وجل من
النبوة والدرجة الرفيعة. ناسب ذكر قصة ادم عليه
الصلاة والسلام وابليس حيث حمله الكبر والحسد على
الامتناع من السجود. والثاني لما ذكر انه لما كان
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا بين ما سبب هذا
الطغيان. وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته الا قليلا
وانتصب طينا على الحال قاله الزجاج رضي الله عنه
وتبعه الحوفي رضي الله عنه فقال اي حال من الهاء في
خلقته المحذوفة والعامل خلقت طينا والزمخشري
كذلك يعني قال مثل ما تقدم ثم قال معناه اي معنى قوله
طينا اما من الموصول والعامل فيه ااسجد على ااسجد له
وهو طين اي اصله من طين او من الراجع اليه من الصلة
على ااسجد لمن كان في وقت خلقه طينا انتهى وهذا تفسير معنى

وقال ابو البقاء رضي الله عنه والعامل فيه خلقت يعني اذا كان
حالا من العائد المحذوف واجاز الحوفي رضي الله عنه ان
يكون نصبا على حذف من التقدير من طين كما صرح به في قوله
وخلقته من طين واجاز الزجاج ايضا وتبعه ابن عطية
رضي الله عنه ان يكون تمييزا ولا يظهر كونه تمييزا وقوله
أأسجد استفهام انكار وبين قوله أأسجد وما قبله كلام محذوف
وكان التقدير فلما امرتك بالسجود لادم قال أأسجد وبين
قوله قال أرأيتك وقال أأسجد جمل قد ذكرت حيث
طولت قصته والكاف في أرأيتك للخطاب وتقدم
الكلام عليها في سورة الانعام ولا تلحق كاف الخطاب هذه الا اذا كانت
بمعنى اخبرني وبهذا المعنى قدرها الحوفي رضي الله عنه
وتبعه الزمخشري رضي الله عنه وهو قول س رضي الله عنه
فيه ولذا قال الزجاج رحمه الله تعالى قال الحوفي رضي الله عنه
وأرأيتك بمعنى عرفني واخبرني وهذا منقول بأرأيتك
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم
كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم
ابتدأ فقال لئن اخرتني وقال ابن عطية رضي الله عنه
والكاف في أرأيتك حرف خطاب ومبالغة في التنبيه
لا موضع لها من الاعراب فهي زائدة ومعنى أرأيت اي
أتأملت ونحوه كأن المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع
لما ينصه عليه بعده وقال س هي بمعنى اخبرني ومثل
بقوله أرأيتك زيدا ابو من هو وقال الزجاج
ولم يمثل وقول س صحيح حيث يكون بعدها استفهام
كمثاله واما في هذه الآية فهي كما قلت وليست التي ذكر
س رضي الله عنه انتهى وما ذهب اليه الحوفي والزمخشري رضي الله
عنهما في أرأيتك هنا هو الصحيح ولذلك قدر الاستفهام
وهو لم كرمته علي فقد انعقد من قوله هذا الذي كرمته
علي لم كرمته علي جملة من مبتدأ وخبر فصار مثل زيد ابو من
هو دخلت عليه أرأيتك فعملت في الاول والجملة الاستفهامية
اي الاستفهامية في موضع الثاني والمستقر في أرأيت بمعنى
اخبرني ان يدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاما
فان صرح به فذلك واضح والا قدر وقد استوفينا
الكلام على ذلك في سورة الانعام وفي شرح التسهيل وقال
الفراء رضي الله عنه هنا الكاف محلها من الاعراب وهو النصب
اي أرأيت نفسك قال وهذا كما تقول اتدريك اخر امرك

فاني صانع

امرك فاني صانع فيه كذا وكذا ثم ابتدأ هذا الذي كرمت
علي الآخر انتهى والرد عليه مذكور في علم النحو وذهبت
ذاهب الى ان هذا مفعول اول لقوله أرأيتك بمعنى اخبرني
والثاني الجملة القسمية بعده لانعقادهما مبتدأ
وخبرا قبل دخول أرأيتك لذهب مذهبا حسنا اذ لا يكون
في الكلام اضمار ويتلخص من هذا الكلام ان الكاف اما في موضع
نصب وهذا ابتدا واما حرف خطاب وهذا مفعول
بأرأيت بمعنى محذوف واما الجملة الاستفهامية او مذكور
وهو الجملة القسمية ومعنى لئن اخرتني اي اخرت مماتي وابقيتني
حيا وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معنى قوله
لاحتنكن اي لاستولين عليهم وبه قال الفراء رضي الله عنه
وقال ابن زيد معناه لاضلنهم وقال الطبري رضي الله عنه
اي لاستأصلنهم وكفر ابليس بجهله صفة العدل من الله
حين لحقته الانفة والكبر وظهر ذلك من قوله أرأيتك
هذا الذي كرمت علي اذ نعرض على انه لا ينبغي ان يكرم بالسجود
من هو خير منه واقسم اللعين لعنه الله تعالى على انه يحتنك
ذرية آدم عليه الصلاة والسلام وعلم ذلك اما بسماعه من
الملائكة وقد اخبرهم الله به اذ استدل على ذلك بقولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او بنظره
وتوسمه في مخايله انه ذو شهوة وعوارض كالغضب
ونحوه ورأى في خلقته مجوفة مختلفة الاجزاء وقال
الحسن رضي الله عنه ظن ذلك لانه وسوس الى آدم عليه الصلاة
والسلام فلم يجد له عزما فظن ذلك بذريته وهذا
ليس بظاهر لان قول ذلك كان قبل وسوسته لآدم في
اكل الشجرة واستثنى القليل لانه علم انه يكون في ذرية
آدم عليه الصلاة والسلام من لا يتسلط عليه كما قال
لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والامر
بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء ولكن المعنى
اذهب لشأنك الذي اخترته وعقبه بذكر ما جره
سوء فعله من جزائه وجزاء اتباعه جهنم ولما تقدم
اسم غائب وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم
ويجوز ان يكون ضميرا لمن على سبيل الالتفات والموفور
المكمل فقوله موفورا مصدر كقوله
ومن يجعل المعروف من دون عرضه . يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
يقول وقرر الحال يفر وفورا وانتصب جزاء على المصدر

والعامل فيه جزاؤكم او يجازون مضمرة او على الحال الموطئة وقيل
تمييز ولا يتعلق واستفزز معطوف على فاذهب في عطف
عليه ما بعده من الامر وكلها تكون بمعنى التهديد كقوله اعملوا
ما شئتم ومن في قوله من استطعت موصولة مفعول له بقوله
واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقال ابو البقاء رضي
الله عنه وقوله من استطعت من استفهام في موضع نصب
باستطعت وهذا ليس بظاهر لان استفزز ومفعول
استطعت محذوف تقديره من استطعت ان تستفزه
والصوت بمعنى الدعاء الى المعصية اي ادعوهم بالدعاء
بصوتك وفي اللغة ايضا انه الدعاء بالصوت الى المعصية
فقال مجاهد رضي الله عنه هو الغناء والمزامير وآلة
اللهو وقال الضحاك رضي الله عنه هو صوت المزامير
وذكر الغزنوي ان آدم عليه الصلاة والسلام اسكن ولد
هابيل اعلى الجبل واسكن ولد قابيل اسفل الجبل وفيهم
بنات حسان فزمر الشيطان فلم يتمالكوا ان انحدروا
وافتتنوا. وقيل الصوت هنا الوسوسة. وقرأ
الحسن رضي الله عنه واجلب بوصل الالف بلا همزة وضم اللام
من جلب ثلاثيا والظاهر ان ابليس لعنه الله تعالى له خيل
ورجالة من الجن جنسه قاله قتادة رضي الله عنه
والخيل تطلق على الافراس حقيقة وعلى اصحابها وهم
الفرسان مجازا ومنه يا خيل الله اركبي والباء في بخيلك
[illegible] وقيل من الآدميين اضيفوا اليه لانخراطهم
في طاعته وكونهم اعوانه على غيرهم قاله مجاهد رضي الله عنه
وقال ابن عطية رضي الله عنه وقوله بخيلك ورجلك
[illegible] بهذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك وابلغ
جهدك انتهى وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه ليس
للشيطان خيل ولا رجل ولا هو مأمور وانما هذا
القول زجر له واستخفاف به كما تقول لمن تريد ان تهدده
اذ تريد تهدده اذهب فاصنع ما شئت واستعن بمن
شئت وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت ما
معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله
قلت هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم
من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من
خيالة ورجالة حتى استأصلهم انتهى وقرأ الجمهور

ورجلك

ورجلك بفتح الراء وسكون الجيم وهو اسم جمع واحده راجل كراكب
وركب وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية وحفص بكسر الجيم
قال صاحب كتاب اللوامح بمعنى الرجال وقال ابن عطية
هي صفة يقال فلان يمشي رجلا بفتح الراء اي غير
راكب ومنه قول الشاعر رجلا الا باء صحاب. وقال
الزمخشري رضي الله عنه وقرئ ورجلك على ان فعلا
بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل
وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس
وندس واخوات لهما كما قيل في ذلك. وقرأ قتادة
وعكرمة ورجالك. وقرئ ورجالك بضم الراء وتشديد
الجيم والمشاركة في الاموال قال الضحاك رضي الله عنه هي ما
كانوا يذبحونه على اسم الصنم وقال قتادة رضي الله عنه هي
البحيرة والسائبة وقيل ما اصيب من مال حرام
وقيل ما جعلوا من اموالهم لغير الله عز وجل وقيل هو ما صرف
في الزنا وشرب الخمور وغير ذلك كالانفاق في الملاهي والشهوات
وغيرها والاولى انه جميع مال اخذ من غير حقه وما
وضع في غير حقه. والمشاركة في الاولاد قال ابن عباس
رضي الله عنهما هي تسميتهم بعبد العزى وعبد اللات
وعبد شمس وعبد الحارث. وعنه ايضا ترغيبهم في الاديان
الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغير ذلك
وعنه ايضا اقدامهم على قتل الاولاد وقال الحسن وقتادة
رضي الله عنهما بأن مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوهم
عن صبغة الاسلام وقال مجاهد رضي الله عنه هي عدم
التسمية عند الجماع فان الجان تنطوي اذ ذاك على ذكر
الرجل اي احليله فيجامع معه وقيل ترغيبهم في القتال
والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفواحش وتحسين
التحسن في الاولاد والاولى انه كل تصرف في الولد يؤدي الى ارتكاب
منكر وقبيح وأما قوله وعدهم فهو الوعد الكاذب كوعده لهم
ان لا بعث ولا نشور ولا حساب وهذه مشاركة في النفوس
وقال الزمخشري رضي الله عنه وعدهم المواعيد الكاذبة
من شفاعة الالهة والكرامة على الله عز وجل بالانساب
الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها اي
بغير توبة والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر
والخروج من النار بعد ان صاروا حمما وايثار العاجل
على الاجل اي ايثار الدنيا على الاخرة انتهى وهو جار على مذهب المعتزلة

كوعدهم اي ايعاده لهم

في انه لا تغفر الذنوب بدون التوبة م

وبانه لا شفاعة في الكبائر وبانه لا يخرج من النار من دخلها
احد امن فاسق ومؤمن وانتصب غرورا وهو مصدر
على انه وصف لمصدر محذوف اي وعدا غرورا على
الوجوه التي في رجل صوم ويحتمل ان يكون مفعولا من
اجله اي وما يعدكم ويمنيكم ما لا يتم وما لا يقع الا لان
تغتروا والاضافة في قوله سبحانه وتعالى في ان عبادي
اضافة تشريف والمعنى المخلصين لكونهم عبادي انهم
لا يصانون الا عن حماقة في مقالهم والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت واقتناء السلطان وقيل ثم صفة محذوفة
اي ان عبادي الصالحين ونفي السلطان وهو الحجة
والاقتدار عن اغوائهم عن الايمان ودل على حذف الصفة
قوله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
وقال الجبائي قوله عبادي عام في المكلفين ولذلك
استثنى منه في الآية من يتبعه في قوله الا من اتبعك من
الغاوين واستدل بهذا على انه لا سبيل له ولا قدرة على
تخبيط العقل وانما قدرته على الوسوسة ولو كان له قدرة على
ذلك لخبط العلماء ليكون ضرره اتم وكفى بالله حافظا
لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان
او وكيلا يتولون امورهم الله فهو حافظهم يتوكلهم عليه
قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل
من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم
حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة
اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم
لا تجدوا لكم علينا به تبيعا لما ذكر سبحانه وتعالى وصف
المشركين في اعتقادهم الهتهم وانها تضر وتنفع وانشأ
ذلك قصة ابليس مع آدم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله
ذكر ما يدل من افعاله على وحدانيته تعالى وانه هو
النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء فذكر احسانه
اليهم بحرا وبرا وانه تعالى يمتن بقدرته بما يريده
وان جاء الفلك سوقها من مكان الى مكان بالريح اللينة
والمجاديف وذلك من رحمته عز وجل بعباده وابتغاء الفضل
طلب التجارة والحج فيه او الغزو والنصرة في البحر الخوف
من الغرق باضطرابه وعصف الريح ومعنى ضل ذهب

عن اوهامكم من تدعونه الهة فتشفع او تنفع او ضل من
تعبدونه الا الله وحده فتفردونه اذ ذاك بالالتجاء اليه
والاعتقاد انه لا يكشف عنكم الضر الا هو ولا ترجون لكشف
الضر غيره ثم ذكر حالهم اذ كشف عنهم من اعراضهم عنه وكفرانهم اي
نعمة التي انعمها عليهم وكذا اكثر انهم نعمة انجائه لهم من
الغرق وجاءت صفة كفور دالة على المبالغة ثم
نجاطبهم بذلك بل جنسه لكن الانسان لطفا بهم
واحالة على الجنس اذ كل واحد لا يكاد يؤدي شكر نعم
الله وقال ابن حاج رضي الله عنه المراد بالانسان هنا
الكافر والظاهر ان الا اياه استثناء منقطع لانه لم
يندرج في قوله من تدعون اذ المعنى ضلت آلهتهم
اي معبوداتهم وهم لا يعبدون الله عز وجل وقيل هو
استثناء متصل وهذا على معنى ضل من يلجؤون
اليه وهم كانوا يلجؤون في بعض امورهم الى معبوداتهم وفي
هذه الحالة لا يلجؤون الا الى الله عز وجل والهمزة في قوله
افامنتم للانكار قال الزمخشري رضي الله عنه والفاء
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم انتهى
وتقدم لنا الكلام معه في دعواه ان الفاء والواو في
مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة
وحرف العطف وان مذهب الجماعة ان لا محذوف هنالك
وان الفاء والواو للعطف على ما قبلها وانه اعتني
بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت
والنية التأخير وان التقدير فأامنتم وقد رجع
الزمخشري رضي الله عنه الى مذهب الجماعة والخطاب
هنا للسابق ذكرهم اي أفامنتم ايها الناجون
المعرضون عن صنع الله الذي نجاكم وانتصب جانبا على
المفعول به بيخسف كقوله تعالى فخسفنا به وبداره
الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان
من المنتصرين والمعنى ان تغيبكم تحت ذلك
وقال الزمخشري ان تقلبه وانتم عليه وقال الحوفي رضي
الله عنه جانب البر منصوب على الظرف ولما كان الخسف
تغييبا في التراب قال جانب البر وهو حال اي يخسف
جانب البر مصحوبا بكم ويجوز ان تكون الباء للسبب اي يخسفه
بسببكم ويكون المعنى هنا جانب البر الذي انتم فيه او
عليه فيحصل بخسفه اهلاككم والا فلا يلزم من خسفه ما

فنتم بالرسبيهم
اهلاككم فان
فتاده ان في ...
محمد

الحاصب الحجارة وقال السدي رضي الله عنه هو ان يرميكم بحجارة
من سجيل والمعنى ان قدرته تعالى بالغة فان كان قد
نجاكم من الغرق وكفرتم نعمته فلا تأمنوا اهلاككم
وانتم في البر اما بما يكون من تحتكم وهو تغوير
الارض بكم او من فوقكم بارسال حاصب عليكم وهو
الغاية في تمكن القدرة بعد البحر واشد حلول احد هذين
بكم من ان تكون امور البحر اليه فتتوكل في صرف ذلك عنكم وام
في قوله ام امنتم منقطعة تقدر ببل والهمزة اي بل امنتم
والضمير في فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف
اي وقتا غير الوقت الاول والباء في بما كفرتم سببية وما
مصدرية اي بسبب كفركم السابق منكم في الوقت الاول
الذي نجاكم فيه او بسبب كفركم الذي هو دابكم دائما والضمير
في به عائد على المصدر الدال عليه فنغرقكم اذ هو اقرب
مذكور وهو نتيجة الارسال وقيل عائد على الارسال وقيل
عائد عليهما معا فيكون كاسم الاشارة والمعنى بما وقع من
الارسال والاغراق والتبيع قال ابن عباس رضي الله عنهما
النصير وقال الفراء رضي الله عنه طالبا بالثار وقال
ابو عبيدة رضي الله عنه هو المطالب وقال الزجاج رضي الله عنه
من يتبع بالانكار ما نزل بكم ونظيره قوله تعالى فسواها
ولا يخاف عقباها وفي الحديث اذا اتبع احدكم على ملي
فليتبع وقال الشماخ

كما لاذ الغريم من التبيع ● ويقال فلان على فلان تبيع
اي مسيطر بحقه مطالب به وانشد ابن عطية رضي الله عنه فقال
غدوا وغدت غزلانهم فكانها ● ضوامن غرم لزهن تبيع
اي مطالب بحقه وقرا ابن كثير وابو عمرو رضي الله عنهما
نخسف او نرسل وان نعيدكم فنرسل فنغرقكم
بنون الخطاب مسند الى الريح والحسن وابو رجاء
تغرقكم بتاء الغيبة وفتح الغين وشد الراء عداه هنا
بالتضعيف والمقري لابي جعفر كذلك الا انه بتاء الخطاب
وحميد بالنون واسكان الغين وادغام القاف في الكاف
وروي عن ابي عمرو وابن محيصن رضي الله عنهما وقرا الجمهور
من الريح بالافراد وابو جعفر من الرياح جمعا والله
اعلم بالصواب ● قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه

بيمينه

بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا الآيات ● لما ذكر
سبحانه وتعالى ما امتن به عليهم من انجائه اياهم في
البحر ومن تنجيتهم من الغرق تمم ذكر المنة بذكر تكرمتهم
ورزقهم وتفضيلهم او لما هددهم بما هددهم به من الخسف
ومن الغرق وانهم كافرون انعمه ذكر ما انعم به عليهم ليتذ كروا
فيشكروا نعمه ويقلعوا عما كانوا فيه من الكفر ويطيعو نه
سبحانه وتعالى وفي ذكر النعم تنبيه على ما هو لشكرها
وكرمنا معدى بالتضعيف من كرم اي جعلناهم
ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة كما تقول ثوب
كريم وفرس كريم اي جامع للمحاسن وليس من كرم
المال وما جاء عن اهل التفسير من تفضيلهم وتكريمهم
وكذا تفضيلهم باشياء ذكروها هو على سبيل التمثيل لا على
الحصر في ذلك كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التفضيل
بالعقل وعن الضحاك رضي الله عنه بالنطق ● وعن عطاء رضي
الله عنه بتعديل القامة وامتدادها ● وعن زيد بن اسلم
رضي الله عنه بالمطاعم واللذات ● وعن يمان رضي الله عنه
بحسن الصورة ● وعن محمد بن كعب رضي الله عنه بجعل
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منهم ● وعن ابن جرير رضي الله عنه
بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له ● وقيل بالخط ●
وقيل باللحية للرجل والذؤابة للمرأة ● وعن ابن عباس
رضي الله عنهما بالاكل باليد وغيره بفمه ● وقيل بتدبير
المعاش والمعاد ● وقيل بخلق الله ادم عليه الصلاة والسلام
بيده ● قال ابن عطية رضي الله عنه وقد ذكر ان من
الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن ادم كجري الفرس وسمعه
وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الاسد وكرم الديك قال
وانما التكريم بالعقل الذي يملك الحيوان كله وبه يعرف والتفضيل
الله عز وجل ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه انتهى وحملناهم
في البر والبحر هذا من تكريمهم ايضا قال ابن عباس
رضي الله عنهما حملناهم في البر على الخيل والبغال والحمير والابل
وحملناهم في البحر على السفن يعني المراكب وقال غيره
يعني معناه حملناهم على اكباد رطبة وعلى اعواد يابسة ومعنى
قوله ورزقناهم من الطيبات قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني
الحلالات او المستلذات ولا يشبع غيره من الحيوان في الرزق تساعد
لانه يكسب المال ويلبس الثياب ويأكل المركب من الاطعمة

بخلاف الحيوان فانه لا يكتسب ولا يلبس ولا يأكل غذاء الا
لحما نيئا او طعاما غير مركب. والظاهر ان كثيرا باق على
حقيقته فقالت طائفة فضلوا على الخلائق كلهم غير جبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم وهذا
عن ابن عباس وعنه ان الانسان ليس افضل من الملك
واختاره ابن حاج وقال ابن عطية رضي الله عنه والحيوان
والجن هو الكثير المفضول والملائكة هم الخارجون
عن الكثير المفضول وقالت فرقة الآية تقتضي تفضيل
الملائكة على الانس من حيث هم المستثنون وقد قال الله سبحانه
وتعالى ولا الملائكة المقربون وهذا غير لازم من الآية بل
التفضيل بين الانس والجن لم يعن له الآية بل يحتمل ان الملائكة
افضل ويحتمل التساوي وانما يصح تفضيل الملائكة من مواضع
اخر من الشرع انتهى وقال الزمخشري رضي الله عنه وعلى كثير
ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة عليهم اجمعين الصلاة والسلام
وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم
ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا
كل شيء وكابروا حتى جسرتهم المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل
الانسان على الملك ثم ذكر تشنيعا اقذع فيه يوقف عليه من
كتابه وقيل فضلناهم على كثير بالغلبة والاستيلاء وقيل
بالثواب والجزاء يوم القيامة وعلى هذين القولين لم تتعرض
الآية للتفضيل المختلف فيه بين الانس والملائكة وقيل المراد
بكثير جماعة وهو اطلاقه على الجميع والعرب تفعل ذلك
وهذا القول لا ينبغي ان يقال هنا لانك لو جعلت جميعا مكان
كثير فقلت على جميع ممن خلقنا لكان نابيا عن الفصاحة
ولا يليق ان يحمل كلام الله الذي هو افصح الكلام عليه ولابي
عبد الله الرازي رضي الله عنه كلام في تكريم ابن آدم وتفضيله
فتشبه كلام الذين تسميهم حكماء يوقف عليه في تفسيره
اذ هو جار على غير طريقة العرب في كلامها ولما ذكر سبحانه وتعالى
انواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر شيئا من احوال الآخرة
فقال يوم ندعوا كل اناس بامامهم. واختلفوا في العامل
في يوم فقيل العامل فيه ما دل عليه قوله متى هو وقيل
فتستجيبون وقيل هو بدل من يوم يدعوكم وهذا قول
في غاية الضعف ولولا انهم ذكروها لضربت عن ذكرها صفحا
وهو في هذه الاقوال ظرف. وقال الحوفي وابن عطية رضي الله عنهما
انتصب على الظرف والعامل فيه اذكر وعلى تقدير اذكر لا يكون

ظرفا

ظرفا بل هو مفعول به وقال ابن عطية ايضا بعد قوله هو
ظرف والعامل فيه اذكر او فعل يدل عليه قوله ولا يظلمون
وحكاه ابو البقاء وقدره ولا يظلمون يوم ندعوا وقال
ابن عطية ايضا رضي الله عنه ويصح ان يعمل فيه وفضلنا
وذلك ان فضل البشر على سائر الحيوان يوم القيامة بين
لانهم المنعمون المكلفون المحاسبون الذين لهم القدر
الا ان هذا يرده ان الكفار يومئذ اخسر من سائر الحيوان
اذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابن عطية
رضي الله عنه ايضا ويصح ان يكون يوما منصوبا على
البناء لما اضيف الى غير متمكن ويكون موضعه رفعا
بالابتداء والخبر في التقسيم الذي اتى بعد في قوله فمن
اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم الى قوله تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا
وقوله منصوبا على البناء كان ينبغي ان يقول مبنيا على
الفتح وقال ايضا في هذا القول المتقدم في ان قوله لما اضيف
الى غير متمكن ليس بجيد لان الذي ينقسم الى متمكن وغير
متمكن هو الاسم لا الفعل وهذا اضيف الى فعل
مضارع ومذهب البصريين انه اذا اضيف الى فعل
مضارع معرب لا يجوز بناؤه فهذا الوجه الذي ذكره هو على
رأي الكوفيين واما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم
عار من رابط لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدأ الا ان قدر
محذوفا فقد يمكن اي فمن اوتي كتابه بيمينه وهو
بعد ذلك تخريج متكلف وقال بعض النحاة العامل
فيه وفضلناهم على تقدير وفضلناهم بالثواب وهذا
القول قريب من قول ابن عطية الذي ذكرناه عنه قبل
وقال ابن الحاج رضي الله عنه هو ظرف لقوله ثم لا تجد لك
وقال الفراء هو معمول لقوله نعيدكم مضمرا اي نعيدكم
يوم ندعوا والاقرب من هذه الاقوال كلها ان يكون منصوبا على
المفعول به باذكر مضمرة. وقرأ الجمهور ندعوا بنون
العظمة ومجاهد يدعوا بالياء اي يدعو الله
والحسن فيما ذكر ابو عمرو الداني يدعى مبنيا للمفعول كل مرفوع
به وفيما ذكر غيره يدعوا بالواو الساكنة وخرج على ابدال
الالف واوا على لغة من يقول افعو في الوقف على افعى واجري
الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع به وعلى ان تكون الواو ضميرا
مفعولا لم يسم فاعله واصله يدعون فحذفت النون كما حذفت في قوله

اثبت اسري وتنبيني تذكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي
اني بنيت ثم تذكرت وكل بدلك من بني او الصحيح وانا سوى
اسم جمع لا واحد له من لفظه والباء في قوله
بامامهم الظاهر انها تتعلق بندعوا اي باسم امامهم وقيل
بمحذوف على انه حال اي مصحوبين بامامهم والامام بما قال
ابن عباس والحسن رضي الله عنهما وكذا قال ابو العالية وبه
قال الربيع بن انس كتابهم الذي فيه اعمالهم وقال الضحاك
وابن زيد رضي الله عنهما هو كتابهم الذي نزل عليهم وقال
قتادة ومجاهد رضي الله عنهما هو نبيهم وقال ابن عطية
رضي الله تعالى عنه والامام يعم هذا كله لانه مما يؤتم به
وقال الزمخشري رضي الله عنه بامامهم بمن ائتموا به
من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال لهم
يوم القيامة يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكذا او
يا اهل كتاب كذا وقيل بادون بكتاب اعمالهم
يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي
قراءة الحسن رضي الله عنه بكتابهم ومن بدع التفاسير
ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم
وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية
حق عيسى عليه الصلاة والسلام وشرف الحسن والحسين
رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري
ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته انتهى وانما يكتفى
ذلك على ما تقرر في الربعة من الصحف التي يؤتاها
المؤمن والكافر والتعبير باليمين دليل على نجاة اخذيه
وخلاص الخالق من النار ان دخلها وبشارة انه لا يخلد فيها
فاولئك جاء جمعا على معنى من اذ قد حمل على اللفظ اولا في
افراده في قوله اوتي كتابه بيمينه وقوله يقرءون كتابهم على
سبيل التلذذ بما لا اطلاع على ما تضمنها من البشارة والانفة
عليها من حيث ايتاءهم اياها باليمين انهم من اهل السعادة
ونجى وزحزح بذلك يعقوب [illegible] الحشر نهارا ومد [illegible]
كتابيه ولم يات هنا قسيم من اوتي كتابه بيمينه وهو من
اوتي كتابه بشماله وان كان قد اتى في غير هذه الاية بل جاء
قسيمه قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى
وذلك من حيث المعنى مقابله لان من اوتي كتابه بيمينه هم
اهل السعادة ومن كان في هذه اعمى هم اهل الشقاوة ولا
يظلمون فتيلا اي لا ينقصون ادنى شيء وتقدم شرح الفتيل

في سورة

في سورة النساء والظاهر ان الاشارة بقوله في هذه الى الدنيا
وقاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وقتادة وابن زيد
رضي الله عنهما اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ايات
الله ودلائل وحدانيته وعبره والايمان بانبيائه عليهم الصلاة
والسلام فهو في الاخرة اعمى اما ان يكون على حذف
مضاف اي اعمى في شان الاخرة واما ان يكون فهو يوم القيامة
اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له
نجح وقال مجاهد رضي الله عنه هو اعمى في الاخرة عن حجته
وقال ابن عباس ايضا ومن كان في هذه النعم يشير الى
نعم التكريم والتفضيل فهو في الاخرة التي لم تر ولم
تعاين اعمى وقيل ومن كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في
الاخرة اعمى واضل سبيلا لانه في الدنيا تقبل توبته وفي
الاخرة لا تقبل وفي الدنيا يهتدي الى التخلص من الافات
وفي الاخرة لا يهتدي الى التخلص منها البتة وقيل فهو في
الاخرة اعمى عن طريق الجنة وقيل المراد به عمى البصر كما قال
تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله
ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا وقيل من كان في الدنيا اعمى عن ابصار الحق
والاهتداء فهو في الاخرة اعمى عن الاعتذار وقال ابن عطية
رضي الله عنه والظاهر عندي ان الاشارة بهذه الى الدنيا
اي من كان في دنياه هذه وقت ادراكه وفهمه اعمى عن النظر
في ايات الله سبحانه وتعالى فهو في يوم القيامة اشد حيرة
واعمى لانه قد باشر الخيبة وراى مخايل العذاب وبهذا
التاويل تكون معادلة للتي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه
واذا جعلنا قوله في الاخرة بمعنى في شان الاخرة
لم تطرد المعادلة بين الايتين وقال الزمخشري رضي
الله عنه والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد
حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا
فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه
وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرا
ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل
تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام
كقوله اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه
واقعة في الطرف معرضة للامالة انتهى وتعليله ترك امالة
اعمى الثاني ماخوذ الزمخشري عن ابي علي رضي الله عنه قال ابو علي

لان الامالة انما تحسن في الاواخر والاعمى ليس كذلك لان تقريره
اعمى من كذا اي ابعد عنه وليس بتام الا في قولنا من كذا فهو
اذن ليس بآخر ويقوي هذا التأويل عطف واضل سبيلا
لان الانسان في الدنيا يمكن ان يؤمن فيتخلص وهو في الآخرة لا يمكنه
ذلك فهو اضل سبيلا واشد حيرة واقرب الى العذاب والاعمى هنا
من عمى القلب لا من عمى البصر لان ذلك يقع فيه التفاضل
لا هذا . قوله عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذي
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون
خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا
تجد لسنتنا تحويلا . الضمير في قوله تعالى وان كادوا وفي
ليفتنونك لقريش وقيل لثقيف وذكروا حكايات مروية
مختلفة وفي بعضها ما لا يصح نسبته الى الرسول عليه الصلاة
والسلام وتوقف على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري
رضي الله عنهما فكذلك قاله صاحب التحرير وغيره ومناسبة
هذه الآية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما عدد نعمه على بني
آدم علمه الصلاة والسلام اتبع ذلك بما هم به الاشقياء
في الدنيا من المكر ومن الخداع والتلبيس على سيد اهل السعادة
المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك وذلك
في ظنهم لا انهم قاربوا ذلك اذ هو عليه الصلاة والسلام معصوم
من ان يقاربوا فتنته عن شيء اوحى الله تعالى اليه
وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم ان يفتري على الله
عز وجل غير ما اوحى الله اليه من تبديل الوعد وعيدا
او الوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى
الله سبحانه وتعالى ما لم ينزل عليه وان هي المخففة من
الثقيلة واللام فيها الجملة الفعلية وهي كادوا لانها من افعال وليتها
المقاربة وانما تدخل على مذهب البصريين من الافعال على
النواسخ الى الاثبات على ما قد تقرر في علم النحو واللام
في ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه وان النافية واذا
حرف جواب وجزاء ويقدر قسم هنا يكون لاتخذوك
جوابا له والتقدير والله اذا اي ان افتتنت وافتريت
لاتخذوك ولا يتخذوك في معنى ليتخذونك كقوله عز
وجل ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا اي ليظلن لان

اذا تقتضي

اذا تقتضي الاستقبال لانها من حيث المعنى جزاء فيقدر
موضعها بأداة الشرط وقال الزمخشري رضي الله عنه
واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا
ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي انتهى وهو تفسير
معنى لان لاتخذوك جواب محذوف وجوابه لو محذوف قال
ابن عطية رضي الله عنه ولولا ان ثبتناك قوله ثبتناك
لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى
خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت
وفي ذلك لطف للمؤمنين اي فالمؤمنين اذا لو قاربت
ت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
اي لاذقناك عذاب القبر وعذاب الآخرة مضاعفين
فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله
اي لضاعفته لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب
عذابان عذاب في الحياة الممات وهو عذاب القبر
وعذاب في الحياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف
يوصف به نحو قوله سبحانه وتعالى فآتهم عذابا ضعفا
من النار اي مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم
اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف
الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة
الممات ة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة
الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب
القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب
الموصل المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد
الموت انتهى وجواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه
لوجود ما قبله فمقاربة الركون لم تقع منه فضلا عن الركون
والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله عز وجل له وقرأ
قتادة وابن ابي اسحاق وابن مصرف تركن بضم الكاف مضارع
ركن بفتحها وانتصب شيئا على المصدر قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والضحاك يريد ضعف عذاب الحياة وضعف
عذاب الممات على معنى ان ما يستحقه غيرك من عقوبة بغيرك
في الدنيا والآخرة كنا نضعفه وذهب ابن الانباري رضي
الله عنه الى ان المعنى لقد كدت تخدع فتنال منك ولكنت الى
نفسك نفسك قولهم بسبب ميلهم اليه مجاذاة او تساهلا كما تقول للرجل كدت اتيك

الآية كادوا الناس يقتلونك بسبب ما فعلت وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان الرسول عليه الصلاة والسلام معصوما
ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن احد منهم الى المشركين
في شيء من احكام الله عز وجل وشرائعه انتهى واللام في لاذقناك
جواب قسم محذوف قبل اذا اي والله ان حصل ركون ليكون
كذا وكذا والقول في لا اذقناك كالقول في لاتخذوك
ولاذقناك وهي لام القسم كما عند النحو وقال الزمخشري
رضي الله عنه وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها
الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على
ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع
منزلته انتهى ومن ذلك قوله تعالى يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين الآية
قال الزمخشري رضي الله عنه وفيه ان ادنى مداهنة للغواة
مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه
ونكاله انتهى وروي انه لما نزلت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين قالت
الحضرمية رضي الله عنه الضمير في قوله وان كادوا لليهود
المدينة ونواحيها كحيي بن اخطب وغيره وذلك انهم قد
ذهبوا الى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه
الارض ليست بارض الانبياء وانما ارض الانبياء الشام
ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان
الله سيحميك كما حمى غيرك من الانبياء فنزلت واخبر تعالى
انه لو خرج من بينهم لم يلبثوا بعده الا قليلا وحكى
النقاش رضي الله عنه انه خرج بسبب قولهم وعسكر بذي
الحليفة واقام ينتظر اصحابه فنزلت هذه الآية فرجع
قال ابن عطية رضي الله عنه وهذا القول ضعيف لم يقع
في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه وذو الحليفة ليس بطريق
الشام من المدينة انتهى وقالت فرقة الضمير
لقريش قاله ابن عباس وقتادة رضي الله تعالى عنهم اجمعين
واستفزازهم هو ما ذهبوا اليه من اخراجه من مكة كما ذهبوا
اليه حصره في الشعب ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية
وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه الى الغار ونفذ عليهم الوعيد
في انهم لم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال الزجاج حكاه الله
استفزازهم ما اجمعوا عليه في دار الندوة من قتله والارض
على هذا الدنيا وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع

منها لانه

يعني ذلك بين

منها لانه تعالى لما اراد استيفاء قريش وان لا يستاصلها
اذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فخرج باذنه
لا بقهر قريش له على الخروج واستيفيت قريش ليسلم
منها ومن اعقابها من اسلم قال ولو اخرجته قريش من
بين اظهرهم لعذبوا وذهب مجاهد رضي الله عنه الى ان
الضمير في يلبثون لجميعهم وقال الحسن رضي الله عنه
ليستفزونك ليفتنونك عن رايك وقال ابن عطية
ليزعجونك ويستخفونك واستدلوا في معنى ذلك شعرا
يطيع سفيه القوم اذ يستفزه ويعصي حليما شيبته الهزاهز
والظاهر ان الآية تدل على مقاربة استفزازه لان يخرج جو
فما وقع الاستفزاز ولا اخراجهم اياه المعلل به ذلك
الاستفزاز فقد جاء في القرآن العظيم وكاين من قرية
هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا
ناصر لهم اي كانوا اشد قوة من اهل قريتك يعني مكة
وفي الحديث بالسين فيها حدثنا اذ يخرجك قومك
قال ويخرجي هم الحديث فدل ذلك على انهم اخرجوه
لكن الاخراج الذي لو علة للاستفزاز لم يقع فلا تعارض
بين الآيات والحديث وقال ابو عبد الله الرازي رضي
الله عنه ما خرج صلى الله عليه وسلم بسبب اخراجهم وانما
خرج بامر الله عز وجل فزال التناقض بينهما انتهى
ولا يلبثون جواب قسم محذوف اي والله ان
استفزوك فخرجت لا يلبثون خلفك الا قليلا
ولذلك لم تعمل فيه اذا لانها توسطت بين قسم مقدر
والفعل فلا يلبثون ليست منصوبة عليه من جهة
الاعراب ويحتمل ان تكون لا يلبثون خبر المبتدا
محذوف يدل عليه المعنى تقديره وهم اذا لا يلبثون ن
فوقعت اذا بين المبتدا وخبره فارتفعت وقراة
ابي واذا لا يلبثوا بحذف النون اعمالا لاذا فنصب
بها على قول الجمهور وبان مضمرة بعدها على قول بعضهم
وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفة النون قال
الزمخشري رضي الله عنه فان قلت ما وجه القراءتين
قلت اما القراءة الشائعة فقد عطفت فيها الفعل على
الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر
كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها
التي هي واذا لا يلبثون عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزو
نك انتهى

وقرأ عطاء الا يكبثون بضم الياء وفتح اللام والثاء مشددة
وقرأ يعقوب كذلك الا انه كسر الباء وقرأ الاخوان وابن
عامر وحفص خلافك وباقي السبعة خلفك والمعنى
واحد قال الشاعر عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب
بينهن حصيرا وهذا هو نص المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله اي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كما هو
مذكور في احد التاويلات وقرأ عطاء بن ابي رباح بعدك
مكان خلفك والاحسن ان يحمل تفسير الخلاف لا قراءة
لانها تخالف سواد المصحف فاذا ان تبين ان خلفك
هنا ليست ظرف مكان وانما تجوز فيها فاستعملت ظرف
زمان بمعنى بعدك وهذه الظروف التي هي قبل وبعد
ونحوهما اطرد اضافتها الى اسماء الاعيان على حذف
مضاف يدل عليه ما قبله في نحو خلفك اي خلف
اخراجك وجاء زيد قبل عمرو اي قبل مجيء عمرو وضحك
بكر بعد خالد اي بعد ضحك خالد وانتصب سنة
على المصدر المؤكد اي سن الله سنة والمعنى ان
كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان
يهلكهم بعد اخراجه وبنا قبلهم ما لا يمكثون بعده
الا قليلا وقال الفراء انتصب سنة على اسقاط ذلك
الخافض لان المعنى كسنة فنصبت بعد حذف الكاف
وعلى هذا لا ينبغي الوقف على قوله الا قليلا قال ابو البقاء رضي الله
عنه سنة منصوب على المصدر اي سننا ذلك سنة من تقدم
من الانبياء ويجوز ان يكون مفعولا به اي اتبع سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا كما قال تعالى في اية
اخرى فبهداهم اقتده انتهى وهذا معنى غير الاول
والمعتزون على الاول وهو المناسب لمعنى الاية منها
ولن تجد لما اجرينا به العادة تحويلا اسند الى ضميره اذ كان جاري
لروف معين وصفته بعتبته ونفى الوجدان هنا
ومنا اشبهه معناه نفي الوجود ان الدلوك الغروب قاله
الفراء وابن قتيبة واستدل الزجاج بقول الشاعر
هذا مقام قدمي رباح غدوة حتى دلكت براح
اي حتى غابت الشمس وبراح اسم الشمس وانشد ابن قتيبة
لذي الرمة مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا ولا بالافلات
الدوالك وقيل الدلوك معناه زوال الشمس نصف
النهار قيل واشتقاقه من الدلك لان الانسان تدلك عينيه

عند النظر

عند النظر اليه وقيل الدلوك الموت وقت الزوال الى الغروب
والغسق سواد الليل وظلمته قال الكسائي رضي الله عنه
غسق الليل غسوقا والغسق الاسم بفتح السين وقال النضر
ابن شميل غسق الليل دخول اوله كما قال الشاعر في ذلك
ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا واصله
من السيلان يقال غسقت العين تغسق غسوقا اذا
هملت بالماء والغاسق معناه السائل وذلك ان الظلمة
تنصب على العالم قال الشاعر
ظلت تجود يداها وهي لاهية حتى اذا جنح الاظلام والغسق
وسأل نافع ابن الازرق سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله
عنه ما الغسق قال الليل بظلمته ويقال غسقت العين
امتلأت دمعا وحكى الفراء رضي الله عنه غسق الليل واغسق
وظلم واظلم ودجى وادجى وغبش واغبش وقال ابو عبيدة
الهاجد النائم والمصلي وقال ابن الاعرابي هجد الرجل
صلى من الليل وهجد نام بالليل وقال الليث تهجد استيقظ
للصلاة وقال ابن برزخ تهجدته ايقظته فعلى ما ذكروا
يكون من الاضداد والمعروف في كلام العرب ان الهاجد جد
هو النائم وقد هجد هجودا اذا نام قال الشاعر في ذلك
الا زارت واهل منى هجود وليت خيالها بمنى يعود
وقال آخر الا طرقتنا والرفاق هجود وقال آخر وركب بجود
[illegible] تجافى زهقت نفسه تزهق زهوقا
ذهبت وزهق الباطل زال واضمحل ولم يثبت قال
الشاعر ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها اقدامه مزالة
لم [illegible] الشاكلة الطريقة والمذهب
الذي جبل عليه قاله الفراء رضي الله عنه وهو ماخوذ
من الشكل يقال لست على شكلي ولا على شاكلتي والشكل
المثل والنظير والشكل بكسر الشين الهيئة يقال جارية
حسنة الشكل الينبوع يفعول من النبع وهو عين تفور
بالماء الكسف القطع واحدها كسفة تقول العرب
كسفت الثوب ونحوه اذا قطعته وكان يزعم الزجاج
رضي الله عنه من ان كسف بمعنى غطى ليس بمعروف في دوا دين
اللغة الا في قراءة الصحو فقال رفقت لي السماء ارقا
قال الشاعر انت الذي كلفتني رقي الدرج على الكلال والمشيب
والعرج خبت النار تخبو اي سكن لهبها وخبت سكن
جمرها وضعف وهمدت طفئت جملة قال الشاعر

امين رب قبيل الصبح ما تحنو ذات آخذت الى عليها المبد الرطب
وقال آخر وسنطو كالبراع او سروح المخدل طوراً يحنو وطوراً يبيد
الثبور الهلاك تعالى تبرا لله البعد وثبورا اهلكه
وقال ابن الزبعرى اذ اجاري الشيطان في سنن الغي
ومن مال ميله مثبور • اللفيف الجماعات من قبائل
شتى مختلطة قد لف بعضها ببعض وقال بعض اهل
اللغة هو من اسماء الجموع لا واحد له من لفظه وقال
الطبري رضي الله عنه هو بمعنى المصدر كقولك لففته
لفا ولفيفا • المكث التطاول في المدة يقال
مكث ومكث اطال الاقامة • الذقن مجمع اللحيين
قال الشاعر فخروا للاذقان بالوجوه تنوشهم • سباع من الطير
العوادي وتنتف • خافت بالكلام اسره بحيث لا يكاد
يسمعه المتكلم وضرب خافت اي لا يسمع له حس
قوله عز وجل أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل
وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد
به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
• ومناسبة قوله تعالى في هذه الاية اقم الصلاة لما قبلها
انه تعالى لما ذكر كيدهم للرسول عليه الصلاة والسلام وما
كانوا يرومون به امره تعالى ان يقبل على شانه من عبادة
ربه وان لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم القول في
الالهيات والمعاد والنبوات فاردف ذلك بالامر
باشرف العبادات والطاعات بعد الايمان وهي الصلاة
وتقدم الكلام في اقامة الصلاة والمواجه بالامر الرسول
عليه الصلاة والسلام واللام في لدلوك قال الواحدي
بمعنى بعد اي بعد دلوك الشمس كما قالوا ذلك في قول متمم
ابن نويرة يرثي اخاه مالكا فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول
اجتماع لم نبت ليلة معا اي بعد طول اجتماع ومنه
قولهم كتبته لثلاث خلون من شهر كذا وقال الواحدي
اللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي
اقامتها لاجل دلوك الشمس قال ابن عطية رضي الله عنه
اقم الصلاة الاية هذه باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات

المفروضة

المفروضة فقال ابن عمر وابن عباس وابو بردة والحسن
والجمهور دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر
وغسق الليل اشارة الى المغرب والعشاء وقرآن الفجر
اريد به صلاة الصبح فالاية على هذا تعم جميع الصلوات
وروى ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتاني جبريل عليه الصلاة والسلام لدلوك
الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وروى جابر رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندي وقد
طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا ابا بكر فهذا
حين دلكت الشمس وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد
ابن اسلم رضي الله عنهم دلوك الشمس غروبها والاشارة
بذلك الى صلاة المغرب وغسق الليل ظلمته فالاشارة
الى العتمة وقرآن الفجر صلاة الصبح ولم تقع اشارة على
هذا التأويل الى الظهر والعصر انتهى وعن علي رضي الله عنه
انه الغروب وقد تتعلق اللام باقم فتكون لام غاية
للاقامة واجاز ابو البقاء ان تكون حالا من الصلاة
اي ممدودة وينتصب وقرآن الفجر صلاة الصبح وخصت
بالقرآن وهو القراءة لانه عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها
وانتصب وقرآنا عطفا على الصلاة وقال الاخفش
رضي الله عنه انتصب باضمار فعل تقديره واثر قرآن
الفجر او وعليك قرآن الفجر انتهى وسميت صلاة الصبح
ببعض ما يقع فيها قال ابن عطية رضي الله عنه سميت
صلاة الصبح قرآنا وهي القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا
وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما
ان القراءة ليست بركن انتهى وقيل اذا فسرنا الدلوك بزوال
الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر وبين العصر اذ
غييت الاقامة بغسق الليل ويكون الغسق وقتا مشتركا
بين المغرب والعشاء وتكون المذكورة ثلاثة اوقات اول
وقت الزوال واول وقت المغرب واول وقت الفجر انتهى
والذي يدل عليه ظاهر اللفظ انه امر باقامة الصلاة
اما من اول الزوال الى الغسق وبقرآن الفجر فيكون المأمور
به الصلاة في وقتين ولا تعرض حدا لاوقات الصلوات الخمس
من هذا الوجه بحسب اللفظ بوجه وقال ابو عبد الله الرازي
في قوله تعالى وقرآن الفجر دلالة على ان الصلاة لا تتم الا
بالقراءة لان الامر على الوجوب ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة الا

في القراءة وحتى قال بعض وقرآن الفجر صلاة الفجر غلط
لانه صرف الكلام عن حقيقته الى المجاز بغير دليل ولانه ولانه
في نسق الصلاة الثلاث من الليل فتهجد به نافلة لك
ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا والمعنى فيه كناية
عن قرآن الفجر المذكور فلم يثبت ان المراد حقيقته
القراءة لامكان التهجد بالقراءة المعتبرة في صلاة الفجر
والكناية التي هي البدل بصلاة الفجر وعلى انه لو صح
ان يكون المراد ما ذكروا كانت دلالته قائمة على وجوب
القراءة في الصلاة لانه لم يجعل القراءة عبارة عن الصلاة
الا وهي من اركانها انتهى وفيه بعض التخصيص والظاهر
ان نسبة ايقاع صلاة الصبح الى اول الوقت لانه
ماخوذ بايقاع قرآن الفجر فكان يقتضي وجوبها اول
طلوع الصبح لكن الاجماع منع من ذلك فبقي الندب
لحق المطلوبية فاذا انتفى وجوبها بقي ندبها واعاد
قرآن الفجر في قوله ان قرآن الفجر ولم يأت مضمرا
فيكون ابلغ على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر
ومعنى مشهودا تشهده ملائكة الليل وحفظة
النهار كما جاء في الحديث انهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة
الصبح وصلاة العصر وهذا هو قول الجماهير من العلماء رضي
الله تعالى عنهم وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة
وقيل من حقه ان تشهده الجماعة الكثيرة قال الزمخشري
رحمه الله تعالى ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول
القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس اي
ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر
اطول الصلوات قراءة انتهى ونص بقوله حثا ان
يكون التقدير وعليك قرآن الفجر او والزم قرآن
الفجر وقال محمد بن سهل بن عسكر مشهودا تشهده الله
وملائكته وذكر حديث ابي الدرداء انه تعالى ينزل في آخر
الليل وله عن عبد الله الرازي كلام في قوله مشهودا على عادته
في تفسير كتاب الله عز وجل على ما لا تفهمه العرب والذي ينبغي
بل لا يعدل عنه الى غيره ما فسره به الرسول عليه الصلاة
والسلام من قوله فيه يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقال
فيه الترمذي حديث حسن صحيح ولما امره تعالى باقامة
الصلاة للوقت المذكور ولم يدل امره تعالى على اختصاصه
بذلك دون امته ذكر ما اختصه به تعالى واوجبه عليه

ومن قيام

من قيام الليل وما هو في امته تطوع فقال تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك اي تهجد بالقرآن في الصلاة نافلة
اي زيادة خصوصية مخصوصا بها انت والتهجد هنا
تفعل بمعنى الازالة والسلوك اي ازل كالتأثم فانه
والتحنث يعنون به ترك الاثم وترك الحنث وسنة
تحنث بغار حراء اي يترك التحنث ويشرح بلازمه وهو
التعبد ومن هنا للتبعيض وقال الحوفي رضي الله عنه
من متعلقة بفعل دل عليه معنى الكلام تقديره واسهر
من الليل بالقرآن قال ويجوز ان يكون التقدير وقم
بعد نومة من الليل وقال ابن عطية رضي الله عنه
ومن هنا للتبعيض والتقدير وقتا من الليل اي
وقم وقتا من الليل وقال الزمخشري رضي الله عنه
ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك
الهجود للصلاة انتهى فان كان تفسير وعليك
بعض الليل تفسير معنى فيقرب وان كان اراد صناعة
النحو فلا غرابة ولا يصح لان المغرى به لا يكون حرفا
وتقدير من ببعض فيه مسامحة لانه ليس مرادفا له
البتة اذ لو كان مرادفه للزم ان تكون اسما ولقائل ان يقول م
اي فلا قائل بذلك الا ترى اجماع النحويين على انها واو مع
حرف وان قدرت به والظاهر ان الضمير في به يعود
على القرآن لتقدمه في الذكر ولا تلحظ الاضافة فيه
ايضا والتقدير فتهجد بالقرآن في الصلاة وقال ابن عطية
والضمير في به عائد على وقت المقدر اي وقم وقتا من
الليل انتهى فتكون الباء ظرفية اي فتهجد فيه وانا تنتصب
نافلة قال الحوفي على الضمير اي نفلت لك واثنا فدام ذاكر
قال ويجوز ان ينتصب نافلة بتهجد اذا ذهبت بذلك
الى معنى صلاة نافلة اي صل نافلة لك قال ابو البقاء
رضي الله عنه فيه وجهان احدهما هو مصدر بمعنى تهجدا اي
تنفل نفلا ونافلة هنا مصدر كالعاقبة والثاني هو
حال اي صلاة نافلة انتهى فهو حال من الضمير
في به ويكون عائدا على القرآن لا على الوقت الذي قدره
ابن عطية وقال ابن الاسود وعلقمة وعبد الرحمن
ابن الاسود والحجاج ابن عمرو التهجد لا يكون الا بعد نومة
وقال الحسن رضي الله عنه هو ما كان بعد العشاء الآخرة جزء
وقال ابن عباس رضي الله عنهما نافلة زيادة لك في الفرض وكان

قيام الليل فرضا عليه صلى الله عليه وسلم

وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان تكون على جهة الندب في
التنفل والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته
كخطابه في اقيموا الصلاة وقال مجاهد والسدي انما هي
نافلة له عليه الصلاة والسلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فاما غيره فنوافله كانت نوافلهم واستغفاره
صلى الله عليه وسلم تنفل من العمل وتشريفا اشرف من
النوافل من امته اي من نوافل امته صلى الله عليه وسلم
لان هذه اعني نوافل امته اما ان يجبر بها فرائضهم واما ان
يحط بها خطيئاتهم وضعف الطبري قول مجاهد ايضا
وتحسن عن قواعد ابن الدرابي رضي الله عنه وقالت
طائفة رضي الله عنهم فخلافه وعطاء لكنه قد كانت
فرضا ثم رخص في تركها ومن حديث زيد بن خالد الجهني
لارمقن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فصلى بالوتر لانه
عشر ركعة وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان الوتر
صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى
عشرة ركعة وعسى تحقيقا في هذا لو هنا في المحبوب
الترجي فقيل هي على بابها في الترجي تقديره لتكن على رجاء
من ان يبعثك وقيل هي بمعنى كي وينبغي ان يكون هذا
تفسير معنى والاجود ان هذه الترجية في الاطماع بمعنى
الوجوب من الله تعالى وهو متعلق من حيث المعنى بقوله
فتهجد وعسى هنا تامة وفاعلها ان يبعثك فربك
فاعل يبعثك ومقاما الظاهر انه معمول ليبعثك
هو مصدر من غير لفظ الفعل لان يبعثك بمعنى يقيمك
تقول اقيم من قبره وبعث من قبره وقال ابن عطية
هو منصوب على الظرف اي في مقام محمود وقيل هو
منصوب على الحال اي ذا مقام وقيل مصدر اي هو مقدر
بفعل محذوف التقدير فتقوم مقاما ولا يجوز ان تكون
عسى هنا ناقصة وتقدم الخبر على الاسم فيكون ربك مرفوع
اسم عسى وان يبعثك الخبر في موضع نصب بها الا في هذا مرفوعا
الاعراب الاخير واما في تبلغه فلا يجوز لان مقاما
منصوب بيبعثك وربك مرفوع بعسى فيلزم هنا
الفصل باجنبي بين ما هو موصول ومعموله اذ هو اي
بين موصول ومعموله وهو لا يجوز وفي تفسير المقام
المحمود اقوال احدها انه الامر الشفاعة العظمى التي يتدافعها
الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي اليه عليه الصلاة

والسلام

والسلام والحديث قد ورد في الصحيحين بذلك وهذه
عدة من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام وهذه الشفاعة
يحمده اهل الجمع كلهم وفي دعائه المشهور وابعثه المقام
المحمود الذي وعدته اتفق الاخبار على ذلك واتفقوا
على ان المراد منه الشفاعة والثاني انه في امر شفاعته
لامته في اخراج جملة منهم من النار وهذه الشفاعة
لا تكون الا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار
وهذه الشفاعة لا يبتدا فيها الا الانبياء عليهم الصلاة و
السلام بل يشفعون ويشفع العلماء وقد روي حديث
هذه الشفاعة وفي اخره حتى لا يبقى في النار الا من حبسه
القران اي وجب عليه الخلود ثم تلى هذه الاية عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا وعن ابي هريرة انه
عليه الصلاة والسلام قال المقام المحمود هو الذي اشفع
فيه لامتي فظاهر هذا الكلام تخصيص شفاعته
لامته وقد تاوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى
التي يحمده بسببها الخلق كلهم على ان المراد لامته ولغيرهم
او يقال ان كل مقام منها محمود والثالث ما رواه
حذيفة يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد
فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا
ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا والرابع قال الزمخشري رضي الله عنه
معنى المقام المحمود الذي يحمده القائم فيه وكل من راه
وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات
انتهى وهذا قول حسن ولذلك نكر مقاما محمودا
فلم يتناول مقاما مخصوصا بل كل مقام محمود صدق
عليه اطلاق اللفظ والخامس ما قالت فرقة منها مجاهد
وقد روي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المقام
المحمود هو ان يجلسه الله معه على العرش وذكر
الطبري رضي الله عنه نحوا من حديث ذكر النقاش عن
ابي داود السجستاني انه قال من انكر هذا الحديث فهو
عندنا متهم وما زال اهل العلم يحدثون بهذا الحديث
قال ابن عطية رضي الله عنه يعني من انكر جوازه على تأويله

وقال ابو عمر ومجاهد ان كان احد الائمة متاولا
الايتان فان ذلك ليس مهجورا عند احد لا نعلم احدا قال
هذا وقال الثاني ينادي لا الي ربها ناظرة قال انما تنتظر
الثواب وليس هو من النظر وقد يؤول قوله معه على
رفع محله وتشريفه على جميع خلقه كقوله ان الذين عند
ربك وقوله ابن لي عندك بيتا وان الله لمع المحسنين
كل ذلك كناية عن المكانة لا عن المكان وقال الواحدي
هذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو
قول رذل موحش فظيع لا يصح مثله عن ابن عباس
رضي الله عنه ونص الكتاب ينادي بفساده من وجوه
الاول ان البعث ضد الاجلاس بعثت البارك و
بعثت الميت اذا اقمته من قبره فتفسير البعث
بالاجلاس تفسير الضد بالضد الثاني لو كان سبحانه
وتعالى جالسا على العرش لكان محدودا متناهيا فكان
يكون محدثا الثالث انه قال مقاما ولم يقل مقعدا
محمودا والمقام موضع القيام لا موضع القعود والرابع
ان الحمقى والجهال يقولون ان اهل الجنة يجلسون كلهم
معه سبحانه وتعالى ويسالهم عن احوالهم الدنيوية
فلا مزية له باجلاسه معه والخامس انه اذا قيل بعث
السلطان فلانا لا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه
انتهى وفيه بعض تلخيص ولما امره سبحانه وتعالى بالقيام
للصلاة وان يتهجد ووعده بعثه مقاما محمودا في الآخرة بالتهجد
امره بان يدعو بما يشمل اموره الدنيوية والاخروية
فقال وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج
صدق قال الطيبي انه عام في جميع موارده ومصادره دنيا
واخرى والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب
المدح كما تقول رجل صدق اذ هو مقابل رجل سوء
وقال ابن عباس والحسن وقتادة هو ادخال خاص وهو
في المدينة واخراج خاص وهو من مكة فيكون المقدم في
الذكر هو المؤخر في الوقوع ومكان الواو هو الاهم فبدئ
به وقال مجاهد وابو صالح ادخلني فيما امرتني به
من اعباء النبوة واداء الشرع واخرجني منه مؤديا لما
كلفته من غير تفريط وقال الزمخشري رضي الله عنه ادخلني
القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من
السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى

بالكرامة

بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على ذكر البعث
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا
من المشركين وقال محمد بن المنكدر رضي الله عنه ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل الاخراج من المدينة
والادخال مكة بالفتح وقيل الادخال في الطاعة والاخراج لاخراج
منها وقيل الادخال في الخير والاخراج من مكة وقيل
الادخال فيما امر به والاخراج عما نهي عنه وقيل
معناه ادخلني في بحار دلائل التوحيد والتنزيه واخرجني
من الاشتغال بالدليل الى معرفة المدلول والتامل
في آثاره محدثاته الى الاستغراق في معرفة الاحد الفرد
الصمد وقال ابو سهل رضي الله عنه حين رجع من تبوك
وقد قال المنافقون ليخرجن الاعز منها الاذل يعني ادخال خال
عز واخراج نصر الى مكة والاحسن في هذه الاقوال كلها
ان تكون على سبيل التمثيل لا على سبيل التعيين ويكون
اللفظ كما ذكرناه يتناول جميع الموارد والمصادر
وقرأ الجمهور مدخل ومخرج بضم الميم في الموضعين
وهو جار قياسا على افعال مصدرا نحو اكرمته مكرما اي
اكراما وقرأ قتادة وابو حيوة وحميد وابراهيم بن ابي
عبلة بفتحهما في الموضعين وقال صاحب اللوامح
وهما مصدران من دخل وخرج لكنه جاء من معنى
ادخلني واخرجني المتقدمين دون لفظهما ومثلهما
انبتكم من الارض نباتا ويجوز ان يكونا اسمي المكان ويكون
انتصابهما على الظرف وقال غيره منصوب بان مصدر بني
على تقدير فعل اي ادخلني فادخل مدخل صدق واخرجني
فاخرج مخرج صدق والسلطان هنا قال الحسن
رضي الله عنه هو التسلط على الكافرين والمنافقين
بالسيف وعلى المنافقين باقامة الحدود وقال قتادة
رضي الله عنه معناه ملكا عزيزا تنصرني به على كل من ناواني
وقال مجاهد حجة بينة وقيل كتابا يحوي الحدود
والاحكام وقيل فتح مكة وقيل في كل عصر سلطانا
ينصر دينك والنصير مبالغة في ناصر وقيل فعيل هنا
بمعنى مفعول اي منصورا وهذه الاقوال كلها محتملة
لقوله سلطانا نصيرا وقد وعده سبحانه وتعالى وعده
ذلك وانجز له في حياته وتممه بعد وفاته قال قتادة
رضي الله عنه والحق القرآن والباطل الشيطان وقال ابن جريج

الجهاد والبناء لملة الشرك وقيل الايمان والكفر وقال مقاتل رضي الله عنه جاء شهادة ان لا اله الا الله وذهبت عبادة الشيطان وهذه الآية نزلت بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وقتل وقت سقوطها لطعنه اياها بالمخصرة حسب ما ذكرنا الاستير وذهوقه اضمحلاله وعدم ثبوته في وقت ما ومن في من القرآن لابتداء الغاية وقيل هي للتبعيض قاله الحوفي رضي الله عنه وانكره لاستلزامه ان بعضه لا شفاء فيه ورد هذا الانكار لان انزاله انما هو مبعض وقيل لبيان الجنس قاله الزمخشري رضي الله عنه وبه قال ابو البقاء وابن عطية رضي الله عنهما اجمعين وقد ذكرنا ان من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متاخرة عنه ايضا وقرا الجمهور قوله تعالى وننزل بالنون ومجاهد بالياء خفيفة ورواها المروزي عن حفص رضي الله عنه وقرا زيد بن علي شفاء ورحمة بالفتح اي ينفعهما معا وتتخرج النصب على الحال وخبر هو قوله للمؤمنين والعامل فيه ما للجار والمجرور من الفعل ونظيره في وجه قراءة من قرا والسموات مطويات بيمينه بنصب مطويات وقول الشاعر رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة ابن حذار وتقديم الحال على العامل فيه من الظرف والمجرور لا يجوز الا عند الاخفش ومن منع جعله منصوبا على اضمار اعني وشفاء قوله من بلاء الكرب والريب كما شفا عن القلب بمعنى المعجزات والامور الدالة على الله المقررة لدينه فصار لعلات القلوب كالشفاء لعلات الاجسام وقيل شفاء بالرقي والتعوذ كما جاء في حديث النبي رقي بالفاتحة من لسعة العقرب واختلفوا في النشرة وهو ان يكتب شيء من اسماء الله عز وجل او من القرآن ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض او يسقاه فاجازه ابن المسيب رضي الله عنه ولم يره مجاهد رضي الله عنه وعن عائشة رضي الله عنها كانت تقرا المعوذتين في اناء ثم تامر ان يصب على المريض وقال ابو عبد الله المازري رضي الله عنه النشرة امر معروف عند اهل التعزيم سميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها الحسن والنخعي رضي الله عنهما وروى ابو داود من حديث جابر ان

عظاه م

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد سئل عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان ويحمل ذلك على ما اذا كانت خارجة عن ما في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنشرة من جنس الطب في غسالة شيء له فضل وقال مالك رضي الله عنه لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله سبحانه وتعالى على اعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين وهذا معناه قبل ان ينزل به شيء من العين اما بعد نزول البلاء فيجوز له ذلك رجاء الفرج والبرء من المرض كالرقى المباح التي وردت السنة بها من العين وغيرها وقال ابن المسيب رضي الله عنه يجوز تعليق العوذة في قصبة او رقعة من كتاب الله عز وجل ويضعه عند الجماع وعند الغائط ورخص الباقر في العوذة تعلق على الصبيان وكان ابن سيرين رضي الله عنه لا يرى باسا بالشيء من القرآن يعلقه الانسان وخسارا الظالمين وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه هو باعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فانه يزداد بالنظر فيه وتدبر معانيه ايمانا قوله عز وجل ويسالونك واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ولما ذكر سبحانه وتعالى تنويع ما انزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وزيادة خسارا للظالمين عرض بما انعم به وما هو من لطائف الشرائع على الانسان ومع ذلك اعرض عنه وبعد بجانبه عنه استهزاء به وتكبرا عن قرب شاطئه وتبدل مكان شكر الانعام كفرها وقرا الجمهور ونأى من النأي وهو البعد وقرا ابن عامر رضي الله عنه وناء فقيل هو مقلوب نأى فمعناه بعد وقيل معناه نهض بجانبه وقال الشاعر حتى اذا ما التأمت مفاصله وناء في شق الشمال كاهله اي نهض متوكئا على شماله وعني بيؤوسا قنوطا من ان ينعم الله عليه والظاهر ان المراد بالانسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس لقوله تعالى

ان الانسان لربه لكنود ان الانسان خلق هلوعا الآية وهو
راجع لجنس الكافر والاعراض يكون بالوجه والنائي يكون
بالجنب اي بجانب العبد ويكون بمعنى التكبر واعراضه
عن الشي والتنائي بالجانب بمعنى العطف او بمعنى الذي
لجانب الاستكبار لانه من عادة المستكبرين انه اي
والشاكلة قال ابن عباس ناحيته وقال مجاهد طبيعته
وقال الضحاك حدته وقال قتادة والحسن نيته وقال
ابن زيد دينه وقال مقاتل خلقته وهذه اقوال متقاربة
وقال الزمخشري على مذهبه الذي يشاكل حاله
في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق
التي تشعبت منه والدليل عليه قوله تعالى فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه لم ار في القرآن آية ارجى من هذه
لا يشاكل بالعبد الا العصيان ولا يشاكل بالرب الا الغفران
وعن عمر رضي الله عنه لم ار آية في القرآن ارجى من التي
فيها غافر الذنب وقابل التوب قدم الغفران قبل قبول
التوبة وعن عثمان رضي الله عنه لم ار آية في القرآن
ارجى من نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وعن سيدنا
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لم ار في القرآن آية ارجى من
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية قال الواحدي
تذاكروا القرآن وعن الفخر الرازي رضي الله عنه لم ار ارجى
من الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون الآية وقال ابو عبد الله الرازي
رضي الله عنه الارواح والنفوس مختلفة بماهيتها فبعضها
مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نور وبعضها
كدرة ظلمانية يظهر فيها من القرآن ضلال ونكال
انتهى وثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال اني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة كمت
وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقال
سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما
تكرهون فاتاه نفر منهم فقالوا يا ابا القاسم ما تقول
في الروح فسكت ثم ماج فامسكت بيدي على جبهته
فعرفت انه ينزل عليه شيء من الوحي فانزل عليه
قوله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي
الآية وروي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن

قتيبة

فسترفقد رأى اول الزمان وعن رجل بلغ شرق
الارض وغربها فان اجاب في ذلك كله او لم يجب في شيء
فهو كذاب وان اجاب عن بعض ذلك وسكت عن بعض
فهو نبي وفي بعض طرق هذا ان فسر الثلاثة فهو
كذاب وان سكت عن الروح فهو نبي فنزل في شان
الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجبا ونزل في شان الذي بلغ الشرق
والغرب ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو
عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء
سببا ونزل في شان الروح قوله تعالى ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من
العلم الا قليلا والظاهر من حديث ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه ان الآية مدنية ومن سؤال قريش
انها مكية والروح على قول الجمهور هنا الروح الذي في الحيوان
وهو اسم جنس وهو الظاهر وقال قتادة رضي الله عنه
المراد بالروح هنا جبريل عليه الصلاة والسلام قال وكان
ابن عباس رضي الله عنهما يكتمه وقيل عيسى عليه الصلاة
والسلام وعن علي رضي الله عنه انه ملك من ملائكة الله سبحانه
وتعالى وذكر من وصفه ما الله اعلم به ولا يصح عن علي رضي الله
عنه وقيل الروح هو القرآن وقد دل عليه الآية قبله والآية
بعده وقيل خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل
الروح جند من جنود الله عز وجل لهم ايد وارجل ياكلون
الطعام ذكره الفخر رضي الله عنه وقال ابو صالح
هم خلق كخلق بني آدم وليسوا من بني آدم لهم ايد وارجل
ولا ينزل ملك من السماء الا ومعه واحد منهم والصحيح
من هذه الاقوال القول الاول والظاهر انهم سألوا
عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية مداخلتها
الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما
مشكل لا يعلمه الا الله عز وجل وقد رايت كتابا
مترجما بكتاب النفخ والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة
وذكر فيه ان الجواب في قوله قل الروح من امر ربي
انما هو للعوام واما الخواص من الخلق فهم عنده يعرفون الخواص
الروح واجمع علماء الاسلام على انها ليست قديمة انتهى
واختلف الناس في الروح بلغ الى سبعين قولا
وكذلك اختلفوا هل الروح النفس ام هو شيء آخر غيرها.

ومعنى من امر ربي اي من فعل ربي كونها باسمه وفي ذلك
دلالة على حدوثها والامر هنا بمعنى الفعل وارد قال
الله سبحانه وتعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله ويحتمل
ان يكون امر واحد الامور وهو اسم جنس لها اي من جملة
واحد
امور الله التي استاثر بها اي بعلمها في قدر ان لم وقيل من
وحي ربي وكلامه ليس من كلام البشر [illegible] على او لـ
من قال ان الروح هو القرآن وقيل من علم ربي كما
تقدم والظاهر ان الخطاب في قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا هو للذين سالوا عن الروح وهم طائفة
من اليهود وقيل اليهود بجملتهم وقيل الناس كلهم قال
ابن عطية رضي الله عنه وهذا هو الصحيح لان قوله
قل الروح انما هو امر بالقول لجميع العالم اذ جميع علومهم محصورة
وعلمه سبحانه وتعالى لا يتناهى وقرا عبد الله ابن مسعود
والاعمش وما اوتوا بضمير الغيبة عائدا على السائلين
ولما ذكر سبحانه وتعالى ما انعم به من تنزيل القرآن ه
على رسوله صلى الله عليه وسلم شفاء ورحمة وقدرته على ذلك ذكر
قدرته على انه لو شاء لذهب بالوحي ولكنه سبحانه
وتعالى لم يشا ذلك والمعنى انا كما نحن قادرون
على انزاله نحن قادرون على اذهابه وقال ابو اسحاق هذا
تقديم [illegible] لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن الحديث
وفي حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه [illegible] يسرى ليلة
فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب ثم قرا عبد
الله رضي الله عنه قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك وقال صاحب كتاب التحرير ويحتمل عندي
عندي
في تاويل الاية وجها غير ما ذكر وهو انه صلى الله عليه وسلم
لما ابطا عليه الوحي لما سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ
منه الغاية فانزل الله تعالى تعديدا لهم هذه الاية ويكون
التقدير ايعز عليك تاخر الوحي فانا لو شئنا ذهبنا
بما اوحينا اليك جملة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وطيب
قلبه الشريف ولزم الادب انتهى والباء في قوله لنذهبن بالذي
للتعدية كالهمزة وتقدم الكلام على ذلك في قوله لذهب
بسمعهم في اول سورة البقرة والكفيل هنا قيل من يحفظ
ما اوحينا اليك وقيل كفيلا باعادته الى الصدور وقيل كفيلا
يضمن لك ان يؤتيك ما اخذ منك وقال الزمخشري
رضي الله عنه والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور

والمصاحف ولم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما
الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده
واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك اي الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد او يكون على
الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب
عن مذهوب به وهذا امتنان من الله عز وجل ببقاء القرآن
محفوظا بعد المنة في تنزيله وتحفيظه انتهى على ذكر
الاستثناء المنقطع خرجه ابن الانباري وابن عطية قال ابن الانباري
ابن الانباري
وابن عطية لكن رحمة من ربك تمنع من ان تسلب القرآن وقال
في زاد المسير المعنى لكن الله رحمك فاثبت ذلك في قلبك وقال
ابن عطية رضي الله عنه المعنى لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك
وتخريج الزمخشري الاول جعله استثناء متصلا جعل رحمته
تعالى مندرجة تحت قوله وكيلا قوله عز وجل قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل فابى اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل
سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا • لما ذكر سبحانه وتعالى انعامه
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبانزال وحيه عليه وذكر
باهر قدرته بانه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن ذكر ما منحه
سبحانه وتعالى من الدليل على نبوته الباقي بقاء الدهر ه
وهو القرآن الذي عجز العالم عن الاتيان بمثله وانه من اكبر
النعم عليه واعظم الفضل الذي [illegible] ذكر الى آخر الدهر
ورفع له قدره به في الدنيا والآخرة واذا كان فصحاء اللسان
الذي نزل به وبلغاؤه وهم عجزوا عن الاتيان بسورة
واحدة مثله فلان يكونوا عجزوا عن ان ياتوا بمثل جميعه
ولو تعاونوا لتعذر ان عليه لا ياتون بمثله ولما كان الجن تفعل
افعالا مستغربة كما حكى الله عز وجل عنهم ذلك في قصة
سيدنا سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام ادرج مع
الانس في التعجيز لكون ذلك ابلغ في التعجيز اي ابلغ في الاعجاز
ويحتمل ان تكون الملائكة مندرجين تحت لفظ الجن لانه
قد يطلق عليهم هذا الاسم

كقوله تعالى في الآية وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وان كان الاكثر
هنا استعماله في غير الملائكة من الاشكال الجن ثم المستترون
عن ابصار الانس ويحتمل ان يكون ذكر الجن هنا لانه عليه الصلاة والسلام
بعث الى الانس والجن فوقع التعجيز للثقلين معا كذلك وروى
ابن عساكر وابن عباس عن ابن مسعود رضي الله عنه ان جماعة من قريش
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئتنا باية غريبة عجيبة غير هذا
القرآن فانا نحن نقدر على ان ناتي بمثله اي على المجيء بمثله فنزلت هذه
الآية ولا يأتون جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة في لئن
اجتمعت وهي الداخلة على الا الشرطية اي على الشرط كقوله لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فالجواب في نحو هذا للقسم
المحذوف لا للشرط ولذلك جاء مرفوعا واما قول الاعشى
لئن منيت بنا عن غب معركة • لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل
فاللام في لئن زائدة وليست موطئة للقسم فلهذا لم يكن
جزم في قوله لا تلفنا وقد احتج بهذا بعض القراء في زعمه انه
اذا اجتمع القسم والشرط وتقدم القسم ولم يسبقهما ذو خبر
انه يجوز ان يكون الجواب هنا للقسم وما ذكره وللشرط ايضا
وهو مذهب البصريين يجعل الجواب للقسم جاء حقيقة وذكر ابن عطية
رضي الله عنه هنا فصلا حسنا في ذكر الاعجاز نقلناه بقصته
قال وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به ما لا
نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه
ضرورة وشاهده وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل
قد حصل العلم قطعيا لكن ليس ذلك في مرتبة واحدة وهذا
كما قد علمت الصحابة رضي الله تعالى عنهم شرع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعماله ومشاهدة علم ضرورة وعلمنا نحن المتواتر
من ذلك بنقل التواتر عنه وعن اصحابه فحصل للجميع القطع
بذلك لكن قد يكون في مرتبتين وفهم اعجاز القرآن ارباب
الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام الا ترى الى فهم الفرزدق
شعر جرير ذي الرمة في قول الفرزدق
علام تلفتين وانت تحتي • وفي قول جرير • تلفتت انها
تحت ابن قين • والا ترى قول الاعرابي عز فحكم فقطع والا
ترى الى استدلال الاخر على البعث بقوله حتى زرتم المقابر فقال
ان الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول ابي عمرو بن
العلاء في شعر الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت ومنه
قول الاعرابي للاصمعي من احوج الكريم الى ان يقسم فهم هذه
ادلة فهما ادركوا بالعجز ونجا لبجاذبهم الى السيف ورضي بالقتال

والنساء

والنساء وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك
بالمعارضة انتهى ما قصدنا عليه من كلامه وكان قد تقدم
قبل ذلك قوله والعجز في معارضة القرآن انما وقع في النظم
وعلة ذلك الاحاطة التي لا يتصف بها الا الله سبحانه وتعالى
والبشر مقصر ضرورة بما الجهل والنسيان والغفلة وانواع
النقص فاذا نظم كلمة يجيء عنه الفضل الى ذكره او قال
الزمخشري رضي الله عنه ولا يأتون جواب قسم محذوف
ولولا اللام الموطئة جاز ان يكون جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم • لان الشرط وقع ماضيا
انتهى يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت
وان اتاه خليل يوم مسألة • فاتاه فعل ماض دخلت عليه
اداة الشرط فهو لفظا للاستقبال وانهم كلامه اي الزمخشري
رضي الله عنه ان تقول وان كان مرفوعا هو جواب الشرط
الذي هو وان اتاه وهذا الذي ذهب اليه هو خلاف مذهب
سيبويه رضي الله عنه وكذا مذهب الكوفيين والمبرد لان مذهب
سيبويه رضي الله عنه في مثل هذا التركيب وهو ان
يكون فعل الشرط ماضيا وبعده مضارع مرفوع ان
ذلك المضارع على نية التقديم وجواب الشرط محذوف
ومذهب الكوفيين والمبرد انه هو الجواب لكنه على
تقدير حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه هو
جواب الشرط وهو الذي قال به الزمخشري رضي الله عنه
والكلام على هذه المذاهب مذكور في كتب النحويين وقال
الزمخشري رضي الله تعالى عنه والعجب من النوابت ومن
زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما
يكون المعجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على
خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه والمحال الذي
لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم
فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجوز ولو قيل
ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة
على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال
فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق عن موضوعها
انتهى وكرر لفظ مثل في قوله لا يأتون بمثله على سبيل
التوكيد والتاكيد والتوضيح وان المراد منهم ان يأتوا بمثله
اذ قد يراد بمثل الشيء في موضع الشيء نفسه فيشمل تكرار
بمثله لم يكن التركيب لا يأتون به رفعا لهذا الاحتمال وادامة

سيبويه رضي الله عنه
سيبويه رضي الله عنه
المطلوب منهم

إن أتى أمثاله لأن يأتي بالقرآن. ولما ذكر سبحانه وتعالى عجز
الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن نبه على فضله تعالى
بما ردده وصرفه من الأمثال. والعبر التي تدل على توحيده
سبحانه وتعالى ومع كثرة ما ردده من الأمثلة والعبر
من النعم لم يكونوا إلا كافرين به وبنعمه وقرأ الجمهور
ولقد صرفنا بتشديد الراء وقرأ الحسن رضي الله عنه
بتخفيفها والظاهر أن مفعول صرفنا محذوف تقديره
فقد صرفنا فيه الآيات والعبر ومن لابتداء الغاية
وقال ابن عطية رضي الله عنه ويجوز أن تكون مؤكدة
زائدة والتقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعني فتكون
مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين
والأخفش لا على مذهب البصريين والظاهر أن المراد بالمثل
هو القول الغريب السائر في الآفاق في القرآن مثلاً من
من الأمثال التي ضربها الله عز وجل وقال الزمخشري من
كل مثل يعني من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه
وقال أبو عبد الله الرازي رضي الله عنه من كل مثل إشارة
إلى التحدي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل القرآن
كالذي هنا وبسورة مثله وبكلام من سورة كقوله تعالى
فليأتوا بحديث مثله ومع ظهور عجزهم أبوا إلا كفوراً انتهى
ملخصاً وقيل من كل مثل أي من الترغيب والترهيب
وأنباء الأولين أي أخبارهم وذكر الجنة والنار وأكثر
الناس قيل من كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المشركين وأهل الكتاب وقيل أهل مكة وهو الظاهر
بدليل ما أتى بعده من قوله وقالوا لن نؤمن لك وتقدم
الخلاف في دخول إلا بعد أبى في سورة براءة وروي في معالم
هذه أخبار مطولة وهي مذكورة في كتب الأحاديث وكتب
السير ملخصها أن صناديد قريش اجتمعوا وسألوا النبي صلى
الله عليه وسلم فلما جاء إليهم جرت بينهم محاورات في دعائه
دينهم وطلب منهم أن يوحدوا ويعبدوا الله تعالى وحده
فأرغبوه بالمال والرياسة والملك فأبى فقال لست أطلب
ذلك فاقترحوا عليه الست آيات التي ذكرها الله عز
وجل هنا ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله سبحانه وتعالى
لما تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فتبين عجزهم
عن ذلك لإعجازه وثبت أنه معجزة أخرى
وبيانه ووضحه فلزمهم العجز وغلبوا أخذوا يتعللون

باقتراح

باقتراح آيات فعل الحائر المبهوت المحجوج فقالوا ما حكاه الله
تعالى عنهم وقرأ تفجر بفتح التاء مخففاً وباقي السبعة
تفجر مشدداً والتضعيف هنا للمبالغة لا للتعدية
وقرأ الأعمش وعبد الله بن مسلم بن يسار من أفجر
رباعياً وهي لغة في فجر والأرض هنا المراد بها مكة أي أرضها
وهي الأرض التي فيها تصرف العالمين ومعاشهم روي
عنهم أنهم قالوا له إن تمنّا جبال مكة فتجري لنا ينبوعاً عنا
حتى يسهل علينا الحرث والزرع وأحي لنا قصياً فإنه
كان صدوقاً يخبرنا عن صدقك اقترحوا لهم أولاً هذه
الآيات ثم اقترحوا أخرى له عليه الصلاة والسلام
أن تكون له جنة من نخيل وعنب وهما كانا
الغالب على بلادهم ومن أعظم ما يقتنون وخلالها أي
وسط تلك الجنة وأثنائها فتسقي ذلك النخل وتلك
الكروم وانتصب خلالها على الظرف أو تسقط وقرأ الجمهور
تسقط بتاء الخطاب مضارع أسقط السماء نصباً وقرأ
مجاهد رضي الله عنه بتاء الغيبة مضارع سقط السماء
رفعاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي كسفاً
بسكون السين وباقي السبعة بفتحها قوله كما زعمت
إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط
عليهم كسفاً من السماء وقيل كما زعمت أن ربك إن شاء
فعل وقيل هو ما في هذه السورة من قوله أفأمنتم أن يخسف
بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً
وقال أبو علي رضي الله عنه معنى قبيلاً معاينة كقوله
تعالى في الآية الكريمة لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ثبتنا
ربنا وقال غيره أيضاً قبيلاً كفيلاً من تقبله بكذا
إذا كفله والقبيل والزعيم والكفيل بمعنى واحد وقال
الزمخشري رضي الله عنه معنى قبيلاً أي كفيلاً بما تقول
شاهداً بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلاً والملائكة
قبيلاً كقوله كنت منه ووالدي بريئاً. وإني وقيار بها لغريب
أي مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا
الملائكة أو نرى ربنا أو المراد به جماعة حالاً من الملائكة
وقرأ الأعرج قبلاً من المقابلة. وقرأ الجمهور
زخرف وعبد الله من ذهب ولا تحمل على أنها قراءة لمخالفة
السواد وإنما هي تفسير للزخرف كما قيل وقال مجاهد
رضي الله عنه كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله

وخص الذهب لأنه من أعظم زخارف الدنيا والله أعلم

من ذهب وقال الزجاج رضي الله عنه الزخرف هو الزينة
وتقدم شرح الزخرف وقوله في السماء على حذف مضاف
اي في معارج السماء والظاهر ان السماء هنا هي المراد
بها المظلة وقيل المراد الى مكان عال وكل ما علا
وارتفع يسمى سماء قال الشاعر
وقد يسمى سماء كل مرتفع • وانما الفضل حيث الشمس والقمر
قيل وقائل هذه هو ابن ابي امية قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم نحن لن نؤمن حتى تضع على السماء
سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي ومعك
بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون
لك ان الامر كما تقول ويحتمل ان يكون مجموع اولئك
الصناديد قالوا ذلك وعلقوا ايمانهم بحصول واحد من
هذه المقترحات • ويحتمل ان يكون كل واحد اقترح
واحدا منها ونسب ذلك للجميع لرضاهم به او يكون
او فيه للتفصيل اي قال كل واحد منهم مقالة مخصوصة
منها وما اكتفوا بالغيبة بالرقي في السماء حتى علقوا ذلك بالغيبة
بان تنزل علينا كتابا نقرؤه • ولما تضمن اقتراحهم
ما هو مستحيل في حق الله عز وجل وهو ان ياتي بالله والملائكة
قبيلا امره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق بجلاله
ومن ان يقترح عليه ما ذكرتم • فقال قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا اي ما كنت الا بشرا رسولا اي من
البشر اليكم لا مقترحا عليه ما قد ذكرتم من الايات
وقال الزمخشري رضي الله عنه وما كانوا يقصدون بهذه
الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا
هذا سحر كما قال سبحانه وتعالى ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس الى اخر الاية وقال عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون الى اخر الاية وحين انكروا
الاية الباقية التي هي القرآن وسائر الايات وليست
بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن ٢٣ انتهى ٣٢
وشق القمر اعظم من شق الارض ونبع الماء من بين اصابعه
الشريفة اعظم من نبع الماء من الحجر • وقرا ابن كثير
وابن عامر قال سبحان ربي على الخبر يعني عليه الصلاة
والسلام من اقتراحاتهم عليه سبحانه وتعالى ونزهه تنزيه
سبحانه وتعالى عن ما جوزوا واعلمه من الاتيان ومن
الانتقال وذلك في حق الله عز وجل مستحيل هل كنت الا

بشرا مثلهم

بشرا مثلهم رسولا او الرسل لا تاتي الا بما يظهره الله تعالى بيديهم
على ايديهم من الايات وليس امرها اليهم وانما ذلك الى
الله سبحانه وتعالى • قوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان ن
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه
كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيا مة
على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدنا هم
سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على
ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون
الا كفورا • الظاهر ان قوله وما منع الناس ان يؤمنوا
اخبار من الله سبحانه وتعالى عن السبب الضعيف الذي
منعهم من الايمان اذ ظهر لهم المعجز وهو استبعاد ان
يبعث الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا
وبعد ان ظهر المعجز فيجب الاقرار والاعتراف برسالته
صلى الله عليه وسلم فقولهم لا بد ان يكون من الملائكة تحكم
فاسد ويظهر من كلام ابن عطية رضي الله عنه ان قوله
وما منع الناس ان يؤمنوا ليس من قول الرسول عليه الصلاة
والسلام قال هذه الاية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي
صلى الله عليه وسلم كانه يقول متعجبا منهم ما شاء الله
كان ما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا هذه
العلة النزرة والاستبعاد الذي لا يستند الى حجة
وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب فيها يقع الا فهام
والتمكن من النظر كما لو كان في الارض ملائكة يسكنونها
مطمئنين لكان الرسول اليهم من الملائكة ليقع الافهام
واما البشر فلو بعث اليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته
ولم تحتمله ابصارهم ولا تجلدت له قلوبهم وانما اراد الله
عز وجل قدر اجري احوالهم على معتادها انتهى وان
يؤمنوا في موضع نصب وان قالوا في موضع رفع واذ ظرف
العامل فيه منع والمراد بقوله الناس هنا كفار قريش
القائلون تلك المقالات السابقة والهدى هو القرآن ن
ومن جاء به وليس المراد مجرد التعويل قولهم الناس عن اعتقاد ايمانهم

والهمزة في ابعث للانكار ورسولا ظاهر انه نعت فيجوز ان
يكون رسولا مفعول بعث وبشرا حالا مقدمة عليه
اي ابعث الله رسولا في حال كونه بشرا وكذلك يجوز في
قوله ملكا رسولا اي لنزلنا عليهم من السماء رسولا في حال كونه
ملكا. وقوله يمشون اي يتصرفون فيها بالمشي ولا يمكن لهم
صعود الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب
علمه بل هم مقيمون في الارض عليهم ما يلزم المطمئنين
من عبادات مخصوصة واحكام لابد من تفصيلها
بالعقل لنزلنا عليهم من جنسهم من يعلمهم ذلك ويلقيه
اليهم. ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان
وتحدى على صدق نبوته بالمعجز الكافي لدعواه امره
سبحانه وتعالى ان يخبرهم بانه تعالى هو الشهيد بينه
وبينهم على تبليغه وما قام به عليه الصلاة والسلام
من اعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه
من الايات على سبيل العناد اردف ذلك بما فيه لمقدرته
وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بخفيات اسرارهم بصيرا
مطلعا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم. والظاهر
ان قوله ومن يهد الله فهو المهتد الى ذلك اخبار من الله
عز وجل وليس ذلك مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم
ويحتمل ان يكون مندرجا تحت ومن باول ويكون قوله
ونحشرهم اخبارا من الله عز وجل وعلى القول الاول يكون
التفاتا اذ خرج بذلك من الغيبة الى التكلم ولما تقدم
دعوة الرسول الى الايمان وتحديه بالمعجز الذي اتاه الله تعالى
والجوابي كفرهم وعنادهم وانهم فيما جاءهم من الهدى
اخبر ان ذلك كله راجع الى مشيئته عز وجل وانه هو
الهادي وهو المضل فسلاه سبحانه وتعالى بذلك
واخبر سبحانه وتعالى على سبيل التهديد لهم والوعيد الصادق
بحالهم وقت حشرهم نوع الشناعة وذلك الزمخشري
رضي الله عنه ومن يهد الله اي ومن يوفقه ويلطف به فهو
المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه
ومن يضلل اي ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء اي
انصارا انتهى وهو على طريقة الاعتزال ومن مفعول
يهد ويضلل وحمل على اللفظ في قوله فهو المهتد
فافرد ملاحظة لسبيل الهدى وهي واحدة فناسب
التوحيد وحمل على المعنى في قوله فلن تجد لهم اولياء

لا على اللفظ

لا على اللفظ ملاحظة لسبل الضلال فانها متشعبة متعددة
فناسب التشعب والتعدد الجمع فهذا من المواضع
التي جاء فيها الحمل على المعنى ابتداء من غير ان يتقدمه
الحمل على اللفظ وهي قليلة في القران. والظاهر ان قوله
على وجوههم حقيقة كما قال تعالى يوم يسحبون في
النار على وجوههم. وقال تعالى في اية اخرى الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم وفي هذا حديث قيل
يا رسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه في الدار الاخرة
فقال له صلى الله عليه وسلم ان الذي امشاه في الدنيا
على رجلين قادر ان يمشيه في الاخرة على وجهه قال قتادة
بلى وعزة ربنا وقيل على وجوههم مجاز يقال للمنصرف عن
امر خائبا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير
ايضا كانما يمشي على وجهه وقيل هو مجاز عن سحبهم على
وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القوم على وجوههم
اذا اسرعوا والظاهر ان قوله عميا وبكما وصما هو حقيقة
وذلك عند قيامهم من قبورهم ثم يرد الله سبحانه وتعالى
اليهم ابصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون
زفيرها وشهيقها وينطقون بما حكي عنهم. وقيل
هي استعارات اما لانهم من الحيرة والذهول يشبهون
اصحاب هذه الصفات واما من حيث لا يرون
ما يسرهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة وقال الزمخشري
رضي الله عنه كما كانوا في دار الدنيا لا يستبصرون ولا
ينطقون بالحق ويتصامون عن سماعه فهم يكونون
في الاخرة كذلك لا يبصرون ما تقر به اعينهم ولا
يسمعون ما يلذ اسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم
كما قال الله عز وجل ومن كان في هذه اعمى فهو في
الاخرة اعمى واضل سبيلا انتهى وهذا اتفق اقوال ابن عباس
ومجاهد والحسن وقتادة والمعنى في ذلك انهم يكونون
عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بحجة صما عما ينفعهم
وقيل عميا عن النظر الى ما جعل الله تعالى لاوليائه
بكما عن مخاطبة الله عز وجل صما عن ما مدح الله عز
وجل به اولياءه وانتصب عميا وما بعده على الحال
والعامل فيها نحشرهم وقد يحصل لهم ذلك حقيقة كما
عند قوله فاخذ احشاؤ وابنهم ولا تكلمون فعلى هذا تكون
حالا مقدرة لان ذلك لم يكن مقارنا لهم وقت الحشر كلما

خبت

قال ابن عباس رضي الله عنهما كلما فرغت من احراقهم فيسكن
ذلك اللهب القائم عليهم قدر ما يعادون ثم يثور
فتلك زيادة السعير فالزيادة تكون في حين هيجها
واما جهنم والعياذ بالله تعالى من حرها امين فانها تكون
على حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا يكون
خبت مجازا عن سكون لهبها مقدار ما يكون اعادتهم
كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله عز
وجل جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها
وتفنيها ثم يعيدها وهكذا الى ما لا نهاية له ولا امد
اي لا انقضاء كذا ثم لانهم كذبوا على الافناء والاعادة
ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم وللازدياد دخل
في الانتقام من الجاحد وقد دلت على ذلك بقوله ذلك
جزاؤهم والاشارة بذلك الى ما تقدم من حشرهم
على تلك الحال وصيرورتهم الى جهنم والعذاب فيها
والآيات تعم القرآن والحجج التي جاء بها الرسول صلى الله عليه
وسلم ونص على انكارهم البعث اذ هو طعن في القدرة
الالهية هذا مع اعترافهم بانه تعالى منشئ العالم
وتحقق عندنا انهم ينكرون الاعادة فصار ذلك تعجيزا
لقدرته تعالى وتقدم الكلام على قوله وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا في هذه السورة
فاغنى عن اعادته ولما انكروا البعث نبههم سبحانه وتعالى
على عظم قدرته وباهر حكمته فقال اولم يروا وهو
استفهام انكار وتوبيخ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الاعادة
واحتجاجا عليهم بانهم قد رأوا قدرة الله تعالى على خلق
هذه الاجرام العظيمة التي هي بعض مخلوقاته فكيف
يقرون بخالق هذا المخلوق العظيم ثم ينكرون
اعادة بعض مخلوقاته بعد ما خلقه وذلك مما لا يحيله العقل
بل هو مما يجوزه اي يجيزه العقل ثم اخبر الصادق
بوقوعه وجبت ثبوته والرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم
ومعنى مثلهم من الانس لانهم ليسوا اشد خلقا منهن كما قال
تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء واذا كان قادرا على انشاء
امثالهم من الانس من العدم الصرف فهو قادر على ان يعيدهم
كما قال عز وجل وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه وعطف قوله وجعل لهم على قوله اولم يروا
لانه استفهام تضمن التقرير والمعنى قد علموا بدليل

يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم

العقل

العقل كيف وكيف • وجعل لهم اي للعالمين ذلك اجلا
لا ريب فيه اي الموت او القيامة وليس هذا الجعل داخلا
في الاستفهام المتضمن التقرير ان كان الاجل القيامة
لانهم منكروها وان كان الاجل الموت فهو اسم جنس و
موقع الجمع فابى الظالمون وهم الواضعون الشيء في
غير موضعه على سبيل الاعتداء الا كفورا اي جحودا
لما اتى به الصادق صلى الله عليه وسلم من توحيد الله
وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة للجزاء وقوله
• قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لا
خشية الانفاق وكان الانسان قتورا او لقد اتينا موسى
تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال
له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني
لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض
فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل
اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا • منا
قوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي لما اخر هذه الآيات
ان المشركين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا فطلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدهم لتكثر
اقواتهم وتتسع عليهم بين سبحانه وتعالى انهم لو ملكوا
خزائن رحمة الله عز وجل لبقوا على بخلهم وشحهم ولما
قدموا على ايصال النفع الى احد وعلى هذا فلا فائدة
في اسعافهم بما طلبوا هذا ما قاله قيل في ارتباط هذه
الآية وقال العسكري رضي الله عنه والذي قد ظهر
لي من نظم الآية ان المناسب لها انه عليه افضل
الصلاة وازكى السلام قد منحه الله اي اعطاه ما لم
يمنحه لاحد من النبوة والرسالة الى الانس والجن فهو
احرص الناس على ايصال الخير وانقاذهم من الضلال
ثابر على ذلك وخاطر بنفسه الشريفة في دعائهم الى الله
عز وجل وتعرض لذلك على القبائل واحياء العرب
سبحانه ذلك لا يطلب منهم اجرا ولا نوالا واقرباؤه
لا يكاد يجيب منهم احد الا الواحد بعد الواحد فقد
لحق في عناده وتعصبه فلا يصل اليه منهم الا الاذى
فنبه سبحانه وتعالى بهذه الآية على سماحته عليه افضل
الصلاة وازكى السلام وبذله ما آتاه الله تعالى وعلى

اقع

مسكتم

سبة

من المناسبة

امتناع ملكوا ذاك ان يصل منهم شي من الخير الى غيرهم فكان
لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله تعالى التي وسعت كل شي
كانوا ابخل من كل احد بها او بلغوا بحيث لا يصل منهم الى احد
شي من النفع او طمعهم الا بقتار وهو الامساك عن
التوسع في النفقة هذا ابلغ ما قيل من الخزائن فيمن
الآية حذف مبينه لتباين ما قبله وما بينه
وسمهم عليه السلام بذلك من حرصهم على نفعهم وقصد
ايصال شي من الخير منهم اليه والمستقر في لو انها
حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ان يليها الفعل
اما ماضيا واما مضارعا كقوله عز وجل لو نشاء
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون او يكون هنا
مضمنا بانه او ان وهنا في قوله تعالى قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي واقعة قد يكون وليها
الاسم فاختلفوا في تخريجه فذهب الحوفي والزمخشري
رضي الله عنهما ومال اليه ابن عطية وابو البقاء وغيرهم
الى انه مرتفع بفعل محذوف يفسره الفعل
الذي بعده فلما حذف ذلك الفعل وهو تملكون
انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك كقوله . وان هو
لم يحمل على النفس ضيمها . التقدير فان لم يحمل فلم
يحمل فانفصل الضمير المستكن في يحمل فصار هو
وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار
انتم وهذا التخريج بناء على ان لو يليها الفعل ظاهرا
ومضمرا في فصيح الكلام وهذا كله يخالف ما قدمناه
من الكلام لكنه على مذهب البصريين فان
الاستاذ ابا الحسن ابن عصفور رضي الله تعالى عنه
لا يلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة
او في نادر كلام مثل ما جاء في المثل من قولهم
لو ذات سوار لطمتني وقال شيخنا الاستاذ ابو الحسن
ابن الصائغ رضي الله تعالى عنه البصريون يصرحون
بامتناع لو زيد قام لا في منه على الفصيح فيجيزونه
شاذا كقولهم لو ذات سوار لطمتني ويلوح عندهم على
فعل مضمر كقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه الاية فهذا
كله من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك ابو الحسن
علي بن فضال المجاشعي على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم

انتم تملكون

انتم تملكون فظاهر هذا التخريج انه حذف كنتم
برمته وبقي انتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف
مع الفعل وذهب شيخنا الاستاذ ابو الحسن ابن
الصائغ رضي الله عنه الى ان حذف كان فانفصل
اسمها الذي كان متصلا بها والتقدير قل لو كنتم تملكون
انتم خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
فلما حذف الفعل انفصل المرفوع وهذا التخريج
حسن اي احسن مما تقدم لان حذف كان بعد
لو معهود في لسان العرب . والرحمة هنا الرزق وسائر
نعمه على خلقه واللام على اذا لامسكتم لتقدم نظيره
في قوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات وخشية مفعول له والظاهر ان الانفاق
على مشهور مدلوله فيكون على حذف مضاف اي
خشية عاقبة الانفاق وهو النفاد . وقال ابو
عبيدة رضي الله عنه انفق . واملق . واعدم . واصرم
بمعنى واحد فيكون المعنى خشية الافتقار
والقتور الممسك البخيل والانسان هنا للجنس
. ولما حكى الله عز وجل عن قريش ما حكى من تعنتهم
في اقتراحهم وعنادهم للرسول عليه الصلاة والسلام
سلاه الله عز وجل بما جرى لموسى عليه الصلاة
والسلام مع فرعون وقومه من قولهم ارنا الله
جهرة اذ قالت قريش او تاتي بالله والملائكة قبيلا
وقالت او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا
عتوا كبيرا فسكن عز وجل قلبه صلى الله عليه وسلم بذكر
هذه الايات ونبه على ان عاقبتهم للدمار والهلاك
كما جرى لفرعون وقومه اذ اهلكهم الله تعالى اي اهلكه
وجميعه . وذكر تسع ايات قال ابن عباس رضي الله عنهما
وبه قال جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
وهي اليد البيضاء . والعصا . والطوفان والجراد
. والقمل . والضفادع والدم . فهذه سبع بالاتفاق
واما الاثنتان الباقيتان فعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما لسانه كان به عقدة فحلها الله عز وجل
والبحر الذي فلق له . وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ايضا . ان الايتان الباقيتان البحر والجبل الذي نتق
عليهم وعنه ايضا هم السنون ونقص الثمرات كما ذكره الله

عز وجل

وقال مجاهد والشعبي وعكرمة وقتادة رضي الله تعالى
عنهم اجمعين وقال الحسن رضي الله تعالى عنه السنون
ونقص الثمرات اية واحدة وعن الحسن رضي الله
عنه وكذا عن وهب ابن منبه رضي الله عنه البحر والطوفان
ارسل الله عليهم واهلكهم وعن ابن جبير رضي الله عنه
الحجر والبحر وعن محمد ابن كعب رضي الله تعالى عنه
النحر والسنون وقيل تسع ايات من الكتاب وذلك
ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا
النبي فقال الاخر لا تقل انه نبي فانه لو سمع كلامك
صارت له اربعة اعين فاتياه فسألاه عن تسع ايات
بينات فقال لهم ان لا تشركوا بالله شيئا وان لا تأكلوا
الربا وان لا تمشوا ببريء الى سلطان ليقتله وان لا
تسحروا ولا احدا من خلق الله عز وجل وان لا تقذفوا المحصنات
وان لا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يهود ان لا تعدوا تعتدوا
في السبت قال فقبلا يده وقالا له نشهد انك نبي
فقال ما منعكما ان تسلما قالا ان داود عليه الصلاة
والسلام دعا الله سبحانه وتعالى ان لا يزال في ذريته نبي
وانا نخاف ان اسلمنا ان يقتلنا اليهود قال ابو عيسى
رضي الله عنه وهذا حديث حسن صحيح وقرأ الجمهور
فاسأل بني اسرائيل وبنو اسرائيل مجرور وقيل معمول
لقول محذوف اي فقلنا سل والظاهر انه خطاب
للرسول محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يسألهم عما اعلمه به
من غيب القصة ثم قال اذ جاءهم يريد آباءهم وادخلهم في
الضمير اذ هم منهم وقال الزمخشري رضي الله تعالى عنه
اي ومعنى الاية سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان
يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل بني اسرائيل على لفظ
الماضي بغير همزة وهي لغة قريش وقيل فسأل يا رسول فسال
الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه
عن الايات لتزداد يقينا وطمأنينة لقلبك قلت
لان الادلة اذا تظافرت كان ذلك اقوى واثبت اه
كقول ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن
قلبي انتهى وهذا القول هو الاول وهو ما اعلمه به من
غيب القصة ولما كان متعلق السؤال محذوفا احتمل
هذه التقديرات والظاهر ان الامر هنا في هذه القصة

بالسؤال لبني اسرائيل هو حقيقة لا مجاز انتهى وقال
ابن عطية رضي الله عنه ما معناه يحتمل ان يكون السؤال
عبارة عن تطلب اخبارهم والنظر في احوالهم وما في
كتبهم نحو قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا جعل النظر والتطلب بمنزلة السؤال ل
وكذلك قال الحسن رضي الله تعالى عنه سؤالك اياهم
نظرك في القرآن والظاهر ان اذ معمولة لآتينا
اي آتيناه حين جاء آباءهم وقال الزمخشري رضي الله
عنه فان قلت بم تعلق قوله اذ جاءهم قلت اما
على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم
حين جاءهم واما على الآخر فآتينا او باضمار اذكر
او يخبرونك انتهى ولا يتأتى تعلقه بقوله فاسأل ولا
بيخبرونك لانه ظرف ماض وقراءة فسأل مروية
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن عباس ايضا رضي الله
عنهما الكلام محذوف وتقديره فسأل موسى فرعون
بني اسرائيل اي طلبهم لينجيهم من العذاب انتهى وعلى
قراءة فسأل يكون التقدير فقلنا له سل بني
اسرائيل اي سل فرعون اطلاق بني اسرائيل وقال
ابو عبد الله الرازي رضي الله عنه فسل بني اسرائيل اعتراض من
في الكلام والتقدير ولقد آتينا موسى تسع ايات
بينات اذ جاء بني اسرائيل فسلهم وليس المطلوب
من سؤال بني اسرائيل ان يستفيد هذا العلم منهم بل
المقصود ان يظهر لعامة اليهود صدق ما ذكره الرسول ل
عليه الصلاة والسلام فيكون هذا السؤال سؤال
استشهاد لا سؤال تطلب انتهى وعلى قراءة فاسأل فسال
يكون التقدير هنا فسأل فرعون بني اسرائيل ويكون المفعول
الاول لسأل محذوفا والثاني هو بنو اسرائيل
وجاز ان يكون من الالتفات لانه لو كان على
فرعون سأل ثم فقال سأل وقال فاعمل الثاني
على ما هو الراجح والظاهر ان قوله مسحورا اسم مفعول
اي قد سحرت بكلامك وهذا الذي مختلط وما تأتي
به غير مستقيم وهذا الخطاب بتاء الخطاب تنقيص
وقال الطبري والفراء هو مفعول بمعنى فاعل مسحور م
ومجنون واعلم مشائم وميامن وقرأ الجمهور لقد
علمت بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون وتبكيته عنه في قو له

انه مسحور اي لقد علمت ان ما جئت به ليس هو من باب
السحر ولا انني قد خدعت في عقلي بل علمت ان ما انزلها
الا الله سبحانه وتعالى وما احسن ما جاء به من الثناء في
انت القائل لفطرت السموات والارض اذ هو لما سأله فرعون
في اول محاورته فقال له وما رب العالمين قال رب
السموات والارض يشهد على تفضيله وانه لا تفرق له في الوجود
فدعواه الربوبية دعوى الجاهل فبكته وداعبه انه يعلم
آيات الله ويعلم من انزلها ولكنه مكابر معاند كقوله عز
وجل وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وخاطبه
بذلك على سبيل التوبيخ اي انت بحال من يعلم هذا وهي من الوضوح
بحيث تعلمها وانت خطابه على جهة اخباره عن علمه وقرأ تعلمها
الامام علي ابن ابي طالب وزيد ابن علي والكسائي رضي الله عنهم
اجمعين قال لقد علمت بضم التاء اي اخبر موسى عليه الصلاة
والسلام عن نفسه انه ليس بمسحور كما وصفه فرعون بل هو يعلم
ان ما انزل هؤلاء الآيات الا الله وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى عليه الصلاة عدو الله
والسلام وهذا القول عن علي لا يصح لانه رواه عنه كلثوم المرادي
وهو مجهول وكيف يصح هذا القول وقراءة الجماعة بالفتح
على خطاب فرعون وما انزل الجملة في موضع نصب علق عنها
علمت ومعنى بصائر اي دلالات على وحدانية الله سبحانه
وتعالى وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى
الآيات التسع وانتصب بصائر على الحال في قول ابن عطية
والحوفي وابي البقاء وقالا انما حال مما قبل الا وهذا لا يصح
الا على مذهب الكسائي والاخفش لانهما يجيزان ما ضرب
هندا الا زيد ضاحكة ومذهب الجمهور انه لا يجوز فان هندا
ورد ما ظاهره ذلك اول على اضمار فعل يدل
عليه ما قبله التقدير ضربها ضاحكة وكذلك يقدرون
هنا انزلها بصائر وعندهم لا يعمل ما قبل الا فيما بعدها
الا ان يكون مستثنى منه او تابعا له وقابل موسى عليه
الصلاة والسلام ظنه بظن فرعون فقال واني لاظنك يا فرعون
مثبورا وشتان ما بين الظنين ظن فرعون ظن باطل
وظن موسى عليه الصلاة والسلام ظن محقق واقع لا محالة لانه
قول صدق ولذلك آل امر فرعون الى الهلاك وكان اولا موسى عليه
الصلاة والسلام يتوقع من شر فرعون اذى كما قال انا نخاف ان
يفرط علينا او ان يطغى فاعتبر ان يقول له قولا لينا فلما قال الله

لا تخف

لا تخف ووثق بحماية الله تعالى له وصال على فرعون صولة المحمي
وقابله من الكلام بما لم يكن يقابله به قبل ذلك ومعنى
قوله مثبورا اي هالكا مهلكا وذلك في قول الحسن ومجاهد
رضي الله عنهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى مثبورا اي
ملعونا ناقصا اي ناقص العقل وذلك مما رواه ميمون
ابن مهران رضي الله عنه وفي قول الضحاك رضي الله عنه
معنى مثبورا اي مسحورا مغلوبا على عقلك وفي رواية
قال له ذلك ردا عليه كما قال له اني لاظنك يا موسى مسحورا
وذلك مع اختلاف اللفظ والفرق بين المسحور وبين
المثبور واضح وعن الفراء رضي الله عنه معنى مثبورا اي
مصروفا عن كل خير اي ومطبوعا على قلبك من قولهم
ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك . وقرأ
ابي وان اخالك يا فرعون لمثبورا وهي ان الخفيفة
واللام الفارقة واستفزازه اياهم لموسى
ولقومه بان يقلعهم من ارض مصر بقتل او جلاء فحاق
بهم مكرهم اي بفرعون وجنوده واغرقهم الله اجمعين اي
اغرقهم لموسى فنبطه اراد ان يخلو ارض مصر منهم فاخلاها
الله منه ومن قومه كما قال الله عز وجل في آية اخرى ولا
يحيق المكر السيء الا باهله . والضمير في من بعده
عائد على فرعون اي من بعد اغراقه . والارض المأمور
بسكناها هي ارض الشام والظاهر ان يكون الامر بذلك
حقيقة على لسان موسى عليه الصلاة والسلام ووعد
الآخرة قيام الساعة . قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق
نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه
لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به او لا تؤمنوا
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان
سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا . الضمير عائد
على قوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله الآية وهكذا طريقة كلام العرب
واسلوبها تاخذ في شيء وتستطرد منه الى شيء آخر ثم
الى آخر ثم الى آخر ثم تعود الى ما ذكرته اولا وقد ابعد
من ذهب الى ان الضمير في انزلناه عائد الى موسى عليه
الصلاة والسلام وجعل منزلا كما قال وانزلنا الحديد فيه
باس شديد ومنافع للناس او عائد الى الآيات التسع وذكر على

وبالحق انزلناه

او عامة اي الوعد المذكور قبله وقال ابو سليمان الدمشقي
رضي الله عنه وبالحق انزلناه اي بالتوحيد وبالحق نزل
اي بالوعد والوعيد والامر والنهي وقال الزهراوي
رضي الله عنه اي انزلناه بالواجب الذي هو المصلحة والسداد
للناس وبالحق نزل اي بالحق في اوامره ونواهيه واخباره
وقال الزمخشري رضي الله عنه يعني ومعنى ذلك
ان القرآن انما نزل الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل
خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من
الملائكة وما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم الا
محفوظا بهم من تخليط الشياطين انتهى وقد يكون قوله
وبالحق نزل توكيدا من حيث المعنى لما يقال اي لما كان ما
يقال انزلته فنزل وانزلته فلم ينزل اذا عرض له مانع
من نزوله جاء وبالحق نزل مزيلا لهذا الاحتمال ومؤكدا
حقيقته وبالحق انزلناه والى معنى التاكيد نحى الطبري رضي
الله عنه وانتصب مبشرا ونذيرا على الحال اي مبشرا لهم
بالجنة ومنذرا من النار ليس لك شيء من اكراههم على الدين
وقرأ الجمهور فرقناه بتخفيف الراء اي بيناه حلاله وحرامه
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن رضي الله عنه
فرقناه بين الحق وبين الباطل وقال الفراء
رضي الله عنه احكمناه وفصلناه كقوله تعالى في الاية
الكريمة الاتية في سورة الدخان ان شاء الله سبحانه وتعالى
انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق
كل امر حكيم وقرأ ابي وعبد الله وابن عباس
وابو رجاء وقتادة والشعبي وحميد وعمرو وابن قايد
وزيد بن علي وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن رضي الله عنهم
اجمعين بخلاف عنه بتشديد الراء اي انزلناه نجما بعد نجم
وفصلناه في النجوم وقال بعض من اختار ذلك لم ينزل
في يوم ولا في يومين ولا في ثلاثة ولا شهر ولا شهرين ولا سنة
ولا سنتين قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين اوله
واخره عشرون سنة هكذا قال الزمخشري عن ابن عباس
رضي الله عنهما وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما اجمعين
انه نزل في ثلاث وعشرين سنة وقيل في خمس وعشرين
هكذا قال الزمخشري رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه في خمس وعشرين سنة وهذا الاختلاف مبني

بخلف

روي عنه ايضا

على الاختلاف

على الاختلاف في سنه عليه الصلاة والسلام وعن الحسن رضي
الله عنه انه نزل في ثمانية عشر سنة قال ابن عطية رضي
الله عنه وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن وقيل معنى
فرقناه بتشديد الراء اي فرقنا اياته بين امر ونهي
وحكم واحكام ومواعظ وامثال وقصص واخبار مغيبات
اتت وتاتي وانتصب قرآنا على اضمار فعل يفسره فرقناه
اي وفرقنا قرآنا فرقناه فهو من باب الاشتغال
وحسن النصب ورجحه على الرفع كونه عطف على جملة فعلية
وهي قوله وما ارسلناك ولا بد من تقدير صفة
لقوله وقرآنا حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لانه
نكرة لا مسوغ لها في الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرآنا
اي قرآن اي عظيما جليلا وعلى انه منصوب باضمار
فعل يفسره الظاهر بعده كذا خرجه الحوفي والزمخشري
وكان ابن عطية رضي الله عنه يقول ان هذه الجملة مكية
وقال ابن عطية رضي الله عنه هو مذهب س رضي الله عنه
وقال الفراء رضي الله عنه هو منصوب بارسلناك اي
ما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا كما تقول رحمة
لان القرآن رحمة وهذا اعراب متكلف واكثر تكلف
منه قول ابن عطية رضي الله عنه ويصح ان يكون معطوفا على
الكاف في ارسلناك من حيث كان ارسال هذا وانزال
هذا المعنى واحدا وقرأ ابي وعبد الله فرقناه بتشديد
الراء اي فرقناه عليك بزيادة عليك ولتقرأه متعلق
بفرقناه والظاهر تعلق على مكث بقوله لتقرأه ولا
يبالي بكون الفعل يتعلق به حرفا جر من جنس واحد لانه
اختلف معنى الحرفين في موضع المفعول به والثاني في موضع
الحال اي متمهلا مترسلا قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج
على مكث اي على ترسل في التلاوة وقيل على مكث اي تطاول
في المدة شيئا بعد شيء وقال الحوفي على مكث بدل من على الناس
وهذا لا يصح لان قوله على مكث هو من صفة الرسول وهو القارئ
او هو من صفات المقروء في المعنى وليس من صفات الناس فيكون
بدلا منهم وقيل يتعلق على مكث بقوله فرقناه ويقال
مكث بضم الميم وفتحها وكسرها وقال ابن عطية رضي الله عنه وقد
اجمع القراء قاطبة على ضم الميم من مكث وقال الحوفي رضي الله عنه
والمكث بالضم والفتح لغتان وقد قرئ بهما وفيه لغة اخرى
كسر الميم ونزلناه تنزيلا اي على حسب الحوادث من الاقوال والافعال

سيبويه

قل آمنوا به او لا تؤمنوا تتضمن هذه الاعراض عنهم وكذا
تتضمن الاحتقار لهم والازدراء بهم وعدم الاكتراث بهم
وبايمانهم وبامتناعهم منه فانهم لم يدخلوا في الايمان ولم
يصدقوا القران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا
منهم وافضل هم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا
ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم
انه النبي العربي الموعود برسالته في كتبهم فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لوعده ولانجازه ما وعد
في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد
ربنا لمفعولا وان الذين اوتوا العلم من قبله يجوز ان يكون
تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد
آمن به من هو خير منكم وان يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية كأنه قيل تسل عن ايمان الجاهلية بايمان
العلماء انتهى من كلام الزمخشري عفي الله عنه وفيه تعرض
للمخص وقال غير واحد قل آمنوا به الآية فيها تحقير للكفار
وفي ضمنه ضرب من التوعد والمعنى انكم لستم بحجة فسواء
علينا آمنتم ام كفرتم وانما ضرر ذلك على انفسكم وانما
الحجة اهل العلم انتهى والظاهر ان الضمير في قل آمنوا
به عائد على القرآن والذين اوتوا العلم هم مؤمنوا اهل
الكتاب وقيل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل
ومن جرى مجراهما فانهما كانا ممن اوتيا العلم واطلعا
على التوراة وان تحنفا ووجدا فيها صفته عليه الصلاة والسلام
وقيل هم جماعة من اهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه وقرئ
عليهم شيء منه اي من القرآن فخشعوا وسجدوا لله وقالوا هذا
وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله تعالى
به واقع لا محالة وجنحوا الى الاسلام هذا الجنوح فنزلت
هذه الآية فيهم وقيل المراد بالذين اوتوا العلم من قبله
مؤمنوا امته عليه وسلم والظاهر ان الضمير في من قبله عائد
على القرآن كما عاد عليه في قوله به ويدل عليه ما قبله
وما بعده وقيل الضميران في به وفي من قبله عائدان على
الرسول عليه الصلاة والسلام واستانف ذكر القرآن في قوله اذا يتلى
عليهم يخرون للاذقان سجدا والظاهر في قوله اذا يتلى عليهم ان
الضمير في يتلى عائد على القرآن وقيل هو عائد على التوراة

وما فيها

وما فيها من تصديق القرآن ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام
والخرور هو السقوط بسرعة ومنه قوله تعالى فخر
عليهم السقف وانتصب سجدا على الحال والسجود
هو وضع الجبهة على الارض وهو غاية الخرور ونهاية الخضوع
واول ما تلقى الارض من حالة الساجد الذقن او عبر
عن الوجوه بالاذقان كما يعبر عن كل الشيء ببعض
ما يلاقيه وقال الشاعر
فخروا لاذقان الوجوه تنوشهم سباع من الطير العوادي وتنتف
وقيل اريد بها حقيقة الاذقان لان ذلك هو غاية التواضع
وكان سجودهم كذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما
المعنى هنا الوجوه وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت
حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه
وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه قال
فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل وجهه
وذقنه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
انتهى وقيل اللام بمعنى على ويقولون سبحان ربنا تنزيها لله سبحانه
وتعالى عما نسبه اليه كفار قريش وغيرهم من انه سبحانه
وتعالى لا يرسل البشر رسلا وانه لا يبعثهم للجزاء
وان هنا هي المخففة من الثقيلة المعنى ان ما وعد به
من ارسال محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام وانزال
القرآن عليه قد فعله وانجزه وتكرر الخرور لاختلاف
حالي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم لاسم
وعن الحالة الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد
ولما كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل
وقت عبر فيها بالاسم ويزيدهم اي ما تلي عليهم خشوعا
اي تواضعا قال عبد الاعلى التيمي رضي الله تعالى
عنه من اوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ان لا يكون ٢
اوتي علما ينفعه لانه تعالى نعت العلماء فقال
عز وجل ان الذين اوتوا العلم الآية وقال ابن عطية
رضي الله عنه ويتوجه في هذه الآية معنى آخر وهو ان
يكون قوله قل آمنوا به او لا تؤمنوا مخلصا للوعيد دون
التحقير والمعنى فستروا ما تجازون به ثم ضرب لهم
المثل على جهة التقريع بمن تقدم من اهل الكتاب اي
ان الناس لم يكونوا كما انتم في الكفر بل كان الذين اوتوا التوراة
والانجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة اذا يتلى عليهم
ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا انتهى وقد تقدمت الاشارة الى

طرف من ذلك والحمد لله رب العالمين

قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: تهجد الرسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهًا واحدًا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن، ما الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى، فنزلت هذه الآية. كذا ذكره صاحب كتاب التحرير. ونقل ابن عطية نحو ذلك عن مكحول. وقال غيره: عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمع المشركون يدعو يا الله يا رحمن فقالوا: كان محمد يدعو إلهًا واحدًا وهو يدعو الآن إلهين اثنين، فنزلت هذه الآية. وقال ميمون بن مهران رضي الله عنه: كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم حتى نزل قوله عز وجل: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فكتبها، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن، فنزلت هذه الآية. وقال الضحاك رضي الله عنه: قال أهل الكتاب للرسول عليه الصلاة والسلام: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فنزلت. ولما تحدى أي أمر بإنزال القرآن أن يكون الله نزله على رسوله وعجزوا عن معارضته، وكان عليه الصلاة والسلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض للآلهة، عدلوا إلى رميه عليه الصلاة والسلام بأن ما نهاهم عنه رجع هو إليه، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ الآية. والظاهر من أسباب نزولها والله أعلم أن الدعاء هنا قوله يا رحمن يا رحيم، أي يا الله يا رحمن، فهو من الدعاء بمعنى النداء، والمعنى إن دعوتم الله فهو اسمه وإن دعوتم الرحمن فهو صفته. وقال الزمخشري رضي الله عنه: والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيدا، ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال: دعوت زيدا. انتهى. ودعوت هذه من الأفعال التي تتعدى إلى اثنين ثانيهما بحرف جر، تقول: دعوت ولدي بزيد، ثم يتسع فيحذف الباء، كما قيل في ذلك، وقال الشاعر في دعا هذه:

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن ... أخاها ولم أرضع لها بلبان

وهي أفعال تتعدى إلى واحد بنفسها وإلى الآخر بحرف الجر بالحفظ

أي بالحفظ لها

أي بالحفظ لها وقد تقتصر فيها على السماع. وعلى ما قاله الزمخشري رضي الله عنه يكون الثاني لقوله ادعوا هو لفظ الجلالة ولفظ الرحمن، وهو الذي دخل عليه الباء ثم حذف، وكان التقدير: ادعوا معبودكم بالله أو ادعوه بالرحمن، ولهذا قال الزمخشري رضي الله عنه: المراد بهما الاسم لا المسمى، وأو هنا للتخيير، يعني ادعوا الله أو ادعوا الرحمن سمّوا بهذا الاسم أو بهذا الاسم واذكروا إما هذا وإما هذا. انتهى. وكذا قال ابن عطية رضي الله عنه: هما اسمان لمسمى واحد، فإن دعوتموه بالله فهو ذاك، وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذاك. وأيًّا هنا شرطية، والتنوين فيه قيل هو عوض من المضاف، وما زائدة مؤكدة، وقيل ما شرط، ودخل هنا شرط على شرط. وقرأ طلحة بن مصرف: أيًّا من تدعوا، فاحتمل أن تكون من زائدة على مذهب الكسائي رضي الله عنه إذ قد ادعى زيادتها في قوله: يا شاة من قنص لمن حلت له. واحتمل أن تكون قد جمع بين أداتي شرط على وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر، وذلك كما قال الشاعر هنا: فأصبحن لا يسألنني عن بما به. وكذلك قد يكون لاختلاف اللفظ. والضمير في قوله فله الأسماء الحسنى عائد على مسمى الاسمين وهو واحد، أي فلمسماهما الأسماء الحسنى. وتقدم الكلام على قوله فله الأسماء الحسنى في سورة الأعراف. وقوله هنا فله هو جواب الشرط، وقيل: وقف على أيًّا، وجعل معناه أي اللفظين دعوتموه أي دعوتم به جاز، ثم استأنف سبحانه وتعالى فقال: ما تدعوه فله الأسماء الحسنى. وهذا لا يصح لأن ما لا تطلق على آحاد أولي العلم، ولأن الشرط قد يقتضي عموما فلا يصح هنا. والصلاة هنا الدعاء، قاله ابن عباس وعائشة وجماعة من الصحابة ومن التابعين رضي الله عنهم أجمعين، آمين، والحمد لله رب العالمين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: أراد قراءة القرآن في الصلاة، فهو على حذف مضاف، أي بقراءة صلاتك، ولا تلتبس بتقدير هذا المضاف لأنه معلوم أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار. وكان عليه الصلاة والسلام يرفع صوته بقراءته فيسبه المشركون ويلغون، فأمر بأن يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركون، وأن لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين.

• والتنبيه بين ذلك أي بين الجهر وبين المخافتة سبيلاً أي
طريقاً وسطاً وتقدم الكلام على معنى ذلك في قوله عوان بين
ذلك وقال ابن عباس ادعا وقال الحسن لا تحسن علانيتها
وتسيء سريتها وعن عائشة رضي الله عنها الصلاة يراد
بها هنا التشهد وقال ابن سيرين رضي الله عنه كان الأعراب
يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك وكان أبو بكر
الصديق رضي الله عنه يسر قراءته وعمر يجهر بها فقيل
لهما في ذلك فقال أبو بكر إنما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي
وقال عمر أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما
نزلت قيل لأبي بكر ارفع أنت قليلاً وقيل لعمر اخفض أنت
قليلاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما المعنى ولا تجهر بصلاة النهار ولا
تخافت بصلاة الليل وقال ابن زيد رضي الله عنه معنى
الآية على ما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الأصوات
أحياناً فيرفع الناس معه أحياناً ويخفض الناس معه أحياناً
فيسكت الناس خلفه انتهى كما يفعل أهل زماننا من رفع
الصوت بالتلحين وطرائق النغم المتخذة للغناء ولما ذكر
تعالى أنه واحد وإن تعددت أسماؤه أمر تعالى أن يحمده
على ما أنعم به عليه مما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء
ووصف نفسه بأنه لم يتخذ ولداً فيعتقد فيه تكثر
بالنوع وكان ذلك رداً على اليهود والنصارى والعرب الذين
عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله والعرب الذين عبدوا
الملائكة واعتقدوا أنهم بنات الله ونفى أولاً الولد خصوصاً
ثم نفى الشريك في ملكه وهو أعم من أن ينسب إليه ولداً
فيعتقد ويشركه في ملكه أو غيره ولما نفى الولد ونفى الشريك
نفى الولي وهو الناصر وهو أعم من أن يكون ولداً أو شريكاً
أو غير شريك ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار
والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون للتفضل
والرحمة لمن والى من صالحي عباده كان النفي لمن يتخذه من
أجل المذلة إذ كان مورد الآية يحتمل هذين الوجهين
فنفى الجهة التي لأجل النقص بخلاف الولد والشريك فإنهما
نفيا على الإطلاق وجاء الوصف الأول بقوله ولم يتخذ ولداً
والمعنى أنه تعالى لم يسم ولم يتخذ أحداً ولداً ولم ينفه
بجهة التوالد لاستحالة ذلك في بداية العقول فلا يتعرض
لنفيه بالمنقول ولذلك جاء ما اتخذ الله من ولد ما اتخذ
صاحبة ولا ولداً قال مجاهد رضي الله عنه في قوله لم يكن له

وليّ من الذل

ولدا

آذان

بداءة

أي طلب

وليٌّ من الذل المعنى لم يحالف أحداً ولا ابتغى نصر أحد
وقال الزمخشري رضي الله عنه ولي من الذل أي ناصر من
الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحداً من أجل
مذلة به ليدفعها بموالاته انتهى وقيل ولم يكن له ولي من
اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس فيكون من الذل صفة
لولي انتهى أي ولي من أهل الذل تعالى عن هذا وما تقدم
يكون من في معنى المفعول بدله وتكون للسببية أو تكون
للتبعيض وقال الزمخشري رضي الله عنه فإن قلت كيف
لاق وصفه سبحانه وتعالى بنفي الولد والشريك والذل بكلمة
التحميد قلت دل أن من هذا وصفه هو الذي يقدر على
إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد والذي تقدره
أن النفي يتسلط من حيث المعنى على المبتدأ أي لا ذات يوجد
في حقه تعالى فيلوي له ولي ينتصر به منه فالذل والولي
الذي يكون اتخاذه بسببه منتفيان وكبره تكبيراً
والتكبير أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال
وأكدها بمصدره تحقيقاً له وإبلاغاً في معناه وابتدئت
هذه السورة بتنزيه الله سبحانه وتعالى وختمت به وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني عبد
المطلب علمه هذه الآية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً

صح وقل الحمد لله رب العالمين

• مفردات أول سورة الكهف •

بخع بنجع بخعاً وبخوعاً هلك من شدة الوجد وأصله
الجهد قاله أبو حنيفة رضي الله عنه وبه قال الفراء رضي الله
عنه وفي حديث عائشة رضي الله عنها ذكرت عمر فقالت
بخع الأرض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك
وقال الكسائي رضي الله عنه بخع الأرض بالزراعة جعلها
ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وقال الليث رضي الله
عنه بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجده وأنشد قول
الفرزدق • ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه • لشيء نحته
عن يديه المقادر • أي نحته بتشديد الحاء خففه قال
أبو عبيدة رضي الله عنه وكان ذو الرمة ينشد الوجد بالرفع
وقال الأصمعي إنما هو الوجد بالنصب انتهى فيكون نصبه
على أنه مفعول من أجله جرزت الأرض بجرزها جرزاً وجرداً أي
ذهب نباتها وبقيت لا شيء عليها أي لا شيء فيها وأرضون
أجراز وقال سنة جرز وسنون أجراز لا مطر فيها وجرز

الأرض الجرز التي لا كلأ فيها

وامرأة جرور اي لكوك قال الشاعر
ان العجوز خبة جروزا . تأكل كل ليلة قفيزا
الكهف النقب المتسع في الجبل فان لم يكن واسعا فهو
غار وقال ابن الانباري رضي الله عنه فحكى بعض اهل
اللغة ان الكهف بمنزلة الغار في الجبل الرقيم فعيل من رقم
اما بمعنى مفعول واما بمعنى فاعل وسيأتي في الاعراف
ان المراد به عند المفسرين ان شاء الله سبحانه وتعالى فاما
قول امية ابن ابي الصلت .
وليس بها الا الرقيم مجاورا . وصيدهم والقوم في الكهف همد
نخي به كلبهم احصى الشيء حفظه وضبطه الشطط هو
الجور تقول في الجور شططا الغلو وقال الفراء رضي الله عنه
اشطط في السوم جاوز القدر وشط المنزل بعد شطوطا
وشط الرجل واشط جار وشطت الجارية شطاطا
وشطاطة طالت تزاور تزوغ وتميل وقال
الاخفش رضي الله عنه تزاور يعني تنقبض انتهى والازور
المثل والازور المايل بعينه الى ناحية وقد يكون في
غير العين قال ابن ابي ربيعة . وجنبي خيفة القوم ازور
وقال عنترة . فازور من وقع القنا بلبانه . وشكى
الي بعبرة وتحمحم . وقال بشر ابن ابي خازم من قصيدة
تؤم بها الحداة مياه نخل . وفيها عن ابانين ازورار
ومنه زار اذا مال لانه وان وردها لم يمل عن الصدق
قرض الشيء قطعه تقول العرب قرضت موضع كذا
اي قطعته وقال ذو الرمة .
الي ظعن يقرضن اجواز مشرف . شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وقال الكوفيون قرضت موضع كذا اذا حاذيته وحكوا
عن العرب قرضته قبلا ودبرا الفجوة المتسع من الجواء
وهو ما يتسع بين الجبلين يقال رحل الجباء وارض
نجواء وجمع الفجوة فجاء الايقاظ المنتبه وجمعه ايقاظ
كعضد واعضاد وثقيل ذكر رجل ورجال ورجل يقظان
وامرأة يقظى الرصاد معروف وسمي به عتبة الوصيد
الفناء تنشر الهاب وقيل العتبة وقيل الباب قال
الشاعر بارض فضاء لا يسد وصيدها . علي ومعروفي
بها غير منكر الورق الفضة المضروبة وغير المضروبة انتهى
السرادق قال ابو منصور الجواليقي هو فارسي معرب واصله
سرادار وهو الدهليز . قال الفرزدق
تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم . تركت لهم قبل الضراب السرادقا

سرادار

ويقال

ويقال هو بيت مسردق اي ذو سرادق ان الذي احاط بهم كبيتو
المهل هو ما اذيب من معادن الارض وجواهرها
وقيل هو دردي الزيت تشوي اللحم اذا انضجه يعني
مرق السوار هو ما جعل في الذراع من ذهب او فضة او من
نحاس او من رصاص او من قصدير او غيرها ويجمع على اسورة
في القلة كحمار واحمرة وعلى جمع فعل في الكثرة كحمار وحمر
الا انه تسكن عينه الا في الشعر فيحرك واساور جمع
اسورة وقال ابو عبيدة رضي الله عنه هو جمع اسوار فيقال
لكل ما في الذراع من الحلي وعن قطرب هو على
حذف الزيادة واصله اساوير كعواميد واعمدة انتهى
وانشد ابن الانباري رضي الله عنه يقول .
والله لولا صبية صغار . كانما وجوههم اقمار
تضمهم من العتيك دار . اخاف ان يصيبهم اقتار
او لاطم ليس له اسوار . لما رآني ملك جبار
ببابه ما وضح النهار .
السندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه
والاستبرق رومي عرب واصله استبره ابدلوا الهاء
قافا قاله ابن قتيبة رضي الله عنه وقيل سمي بالفعل
وهو استفعل من البريق فقطعت همزته وصلته ونقل
الاستبرق اسم للحرير وقال المرقش
تراهن يلبسن المشاعر مرة . واستبرق الديباج طورا لباسها
وقال ابن بحر رضي الله عنه الاستبرق هو الحرير المنسوج
بالذهب الارائك السرر في حجلة فان كان وحده فلا
يسمى اريكة وقال الزجاج رضي الله عنه الارائك الفرش
في الحجال والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك كله والحمد لله .
سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا
من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا انها مكية كلها في قول عن ابن عباس وقتادة رضي
الله عنهم الا قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

اي تارة او مرة

العالمين

على عبده الكتاب

دهم

بالغداة والعشي يريدون وجهه

الآية في دينه وقال مقاتل من اهتم عند الامر اولها
الى جزئه اومن قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
الاثنين فهو نبينا وسبب نزولها ان قريشا بعثت النضر
ابن الحارث وعقبة ابن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة
فقالوا لهما سلاهم عن محمد وعن صفته او صفته
فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم
الانبياء فخرجا حتى اتيا المدينة فسألاهم فقالت
سلوه فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل
متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في
الدهر الاول ما كان من امرهم فانه حديث عجيب اي كان لهم
حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض وبلغ
مغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح فاقبل النضر
وعقبة الى مكة فسألوه فقال غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله
واستمسك عنه الوحي خمسة عشر يوما فارجف كفار قريش
وقالوا ان محمدا قد تركه ربه الذي كان يأتيه من الجن
وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه فشق ذلك عليه فلما
انقضى الاجل جاءه الوحي بجواب الاسئلة وغيرها وروي
في هذا السبب ان اليهود قالت ان اجابكم عن الثلاثة
فليس هو بنبي وان اجاب عن اثنتين وامسك عن واحدة
فهو نبي فانزل الله سورة اهل الكهف وانزل بعد
ذلك ويسألونك عن الروح ومناسبة اول هذه السورة
لاخر ما قبلها انه لما قال وما اوتيتم ... ونزل
وذكر المؤمنين به اهل العلم وانهم اذا يتلى عليهم خشعوا وانه
تدلى امر بالحمد له واثنى وكذا امره تعالى بحمده
على انزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل
الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المؤمنين بان لهم
اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ثم استطرد الى حديث
كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله ... اي
الغيبة في قوله على عبده لما في ذلك من الاضافة المقتضية
تشريفه ولم يجعل له عوجا ... في معنى
القرآن قال العوج في المعاني كالعوج في الاشخاص ونكره
عوجا ليعم جميع انواعه لانها نكرة في سياق النفي والمعنى انه
في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه ولا
حوشية ولا عي في تراكيبه ومعانيه ومبانيه
قيما تاكيدا لما دل عليه الاستقامة ان كان حالا من

مستقيما

مستقيما وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل قيما بمصالح
العباد وشرائع دينهم وامور معاشهم ومعادهم وقيل قيما
على سائر الكتب بتصديقها واختلفوا في هذه
الجملة المنفية فزعم ابن محمد رضي الله عنه انها معطوفة
على انزل فهي داخلة في الصلة ورتب على هذا ان الاحسن
في انتصاب قيما ان ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من
الكتاب لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال
ببعض الصلة وقدره جعله قيما وقال ابن عطية رحمه الله
عنه قيما نصب على الحال من الكتاب فهو بمعنى التقديم
مؤخر في اللفظ متقدم في المعنى اي انزل الكتاب قيما
واعترض بين هذين القولين اي بين الحال وذي الحال
قوله ولم يجعل له عوجا ذكره الطبري عن ابن عباس رضي الله
عنهما ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره
انزله او جعله قيما اما اذا قلنا بان الجملة المنفية هنا
اعتراض بين الكتاب والمتعلق بها فهو جائز وبعضهم
يجعل الاعتراض بين الحال المنفي وصاحبها وقال
المنكرين بعض اهل العلم في الاية تقديم وتاخير كانه
قال الحمد لله الذي انزل القرآن قيما لا عوج فيه ومن
عادة البلغاء ان يقدموا الاهم وقال ابو عبد الله الرازي
رضي الله عنه ولم يجعل له عوجا يدل على كونه كاملا
في ذاته وقوله قيما يدل على كونه مكملا لغيره فثبت
بالبرهان العقلي ان الترتيب الصحيح هو الذي ذكره
الله عز وجل وان ما ذكروه من التقديم والتاخير
فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه وقال الكرماني
رضي الله عنه اذا جعلته حالا وهو الاظهر فليس فيه
تقديم ولا تاخير والصحيح انهما حالان من الكتاب
الاول جملة والثاني مفرد انتهى وهذا على مذهب
من يجوز وقوع حالين من ذي حال واحد بغير عطف
وكثير من اصحابنا على منع ذلك انتهى واختار الاصبهاني
رضي الله عنه وقال هما حالان متواليان والتقدير
غير جاعل له عوجا قيما وقال صاحب حل العقد
يمكن ان يكون قوله قيما بدلا من قوله ولم يجعل له عوجا
اي جعله مستقيما قيما انتهى ويكون بدل مفرد من جملة
خبرية كما قالوا في عرفت زيدا ابو من انه بدل
جملة من مفرد وفيه خلاف وقيل قيما حال من الهاء انتهى

ـه المجرورة في قوله ولم يجعل له عوجًا مؤكدة وقيل مستقلة
لا مؤكدة والظاهر أن الضمير في له عائد على الكتاب وعليه
تتخرج الأعاريب السابقة وزعم قوم أن الضمير
في له عائد على عبده وأن التقدير على عبده وجعله
قيمًا وحفص رضي الله عنه يسكت على قوله عوجًا سكتة
خفيفة ثم يقول قيمًا وفي بعض مصاحف الصحابة
رضي الله تعالى عنهم ولم يجعل له عوجًا لكن جعله قيمًا ويحمل
ذلك على تفسير المعنى لا أنها قراءة وأنذر يتعدى هنا لمفعولين
قال تعالى إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا وحذف هنا المفعول
الأول وصرح بالمنذر به لأنه هو الغرض المسبوق إليه
واقتصر عليه ثم صرح بالمنذرين في قوله حين كرر الإنذار
فقال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا فحذف المنذر
أولًا لدلالة الثاني عليه وحذف المنذر به ثانيًا لدلالة الأول عليه
وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة ولما لم يكرر البشارة
أتى بالمبشر والمبشر به والظاهر أن لينذر متعلقة
بأنزل وقال الحوفي رضي الله عنه يتعلق بقيمًا ومفعول
لينذر المحذوف قدره ابن عطية رضي الله عنه لينذر
العالم وأبو البقاء لينذر العباد أو لينذركم والزمخشري
قدره خاصًا قال وأصله لينذر الذين كفروا بأسًا شديدًا
والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب
وبؤس الرجل بأسًا وبآسة انتهى وكأنه راعى في تقدير
العذاب مقابله وهو ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرًا حسنًا ماكثين فيه أبدًا والبأس الشديد هو
عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب
الدنيا ومعنى من لدنه أي صادرًا من عنده وقرأ أبو بكر رضي
الله عنه بسكون الدال وإشمامها الضم وكسر النون وتقدم الكلام
عليها في أول سورة هود عليه الصلاة والسلام وقرئ ويبشر
ويبشر بالرفع مع التخفيف والجمهور بالنصب عطفًا على
قوله لينذر والأجر الحسن الجنة ولما كنى عن الجنة
بقوله أجرًا حسنًا قال ماكثين فيه أبدًا أي مقيمين فيه
فجعله ظرفًا لإقامتهم ولما كان المكث لا يقتضي التأبيد قال
أبدًا وهو ظرف دال على زمن غير متناه وانتصب ماكثين على
الحال وذو الحال الضمير في لهم والذين نسبوا الولد إلى الله عز
وجل هم بعض اليهود في عزير وبعض النصارى في المسيح
وبعض العرب في الملائكة والضمير في به الظاهر أنه عائد على الولد

المحذوف

قال المهدوي

قال المهدوي رضي الله عنه فتكون الجملة صفة للولد قال
ابن عطية رضي الله عنه وهذا معترض لأنه لا يصفه
إلا القائلون وهم ليس قصدهم أن يصفوه والصواب عندي
أنه نفي مؤتنف أخبر الله عز وجل بجهلهم في ذلك
فلا موضع للجملة من الإعراب ويحتمل أن يعود على الله تعالى
وهذا التأويل أذم لهم وأقضى بالجهل التام عليهم وهو
قول الطبري رضي الله تعالى عنه انتهى والحمد لله رب
٥٦ العالمين انتهى كلامه قيل والمعنى ما لهم بالله من علم فينزهوه
عما لا يليق به أي عما لا يجوز عليه ويحتمل أن يعود
على القول المفهوم من قالوا أي ما لهم بقولهم هذا من علم
فالجملة في موضع الحال أي قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية
ولا نظر في ما لا يجوز وفيما يجوز وفيما يمتنع وقيل يعود
على الاتخاذ المفهوم من اتخذ أي ما لهم بحكمة أن اتخاذ من
علم أن لا يتخذه إلا من هو عاجز مقهور يحتاج إلى معين
يشد به عضده وهذا مستحيل على الله عز وجل قال
الزمخشري رضي الله عنه اتخاذ الله ولدًا في نفسه محال
فكيف قيل ما لهم به من علم ولا لآبائهم قلت معناه ما لهم به من
علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء
إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه في نفسه محال
لا يستقيم تعلق العلم به انتهى وقوله تعالى ولا لآبائهم
معطوف على لهم وهم من تقدم من أسلافهم الذين قد
ذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة وذم من قال ذلك إنما
قاله عن جهل وتقليد وذكر الآباء لأن تلك المقالة
مما أخذوها عنهم وتلقفوها منهم وقرأ الجمهور
كلمة بالنصب والظاهر انتصابها على التمييز وفاعل
كبرت مضمر يعود على المقالة المفهومة من قولهم قالوا اتخذ
الله ولدًا وفي ذلك معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة
والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم
على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيرًا مما يوسوس
الشيطان في القلوب ويحدث به النفس لا يمكن أن يتفوه
به بل يصرف عنه الفكر فكيف بمثل هذا المنكر وسميت كلمة
كما يسمون القصيدة كلمة وقال ابن عطية رضي الله عنه
وهذه المقالة هي قائمة في النفس معنى واحدًا فيحسن
أن تسمى كلمة وقال بعضهم وقرأ الجمهور بنصب كلمة
كما تقول نعم رجلًا زيد وفسر بالكلمة ووصفها بالخروج

فقال بعضهم نصبها على التمييز على حد نعم قولك تعالى
وساءت مرتفقا وقالت فرقة نصبها على الحال
اي كبرت وشنعت فريتهم في اقرارهم بذلك وتحقق
انتهى وضعف قوله كما تقول نعم رجلا زيد فالمخصوص
بالذم محذوف وقال انه حمل تخرج صفة لكلمة ويكون
التقدير كبرت كلمة خارجة من افواههم تلك المقالة
التي فاهوا بها وهي مقالتهم اتخذ الله ولدا والضمير في قوله
كبرت ليس عائدا على ما قبله بل هو مضمر يفسره ما بعده
وهو التمييز على مذهب البصريين ويجوز ان يكون المخصوص
بالذم محذوفا وتخرج صفة له اي كبرت كلمة
كلمة تخرج من افواههم وقال ابو عبيدة رضي الله عنه
نصب على التعجب اي اكبرها كلمة اي من كلمة وقرئ
كبرت بسكون الباء الموحدة وهي في لغة تميم ايضا
وقرا الحسن وابن يعمر وابن محيصن والقواس عن
ابن كثير بالرفع على الفاعلية والنصب ابلغ في المعنى
واقوى وان نافية اي ما يقولون وكذبا نعت لمصدر
محذوف اي يقولون قولا كذبا باطلا. فلعلك باخع
لعل هنا للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور وقد
قال العسكري رحمه الله تعالى عنه فيها هنا هي موضوعة
موضع النهي يعني ان المعنى لا تبخع نفسك وقيل وضعت
موضع الاستفهام تقديره هل انت باخع نفسك
وقال ابن عطية رضي الله عنه وفي ذلك تقرير وتوقيف
بمعنى الانكار عليه اي لا تكن كذلك وقال الزمخشري
رضي الله عنه شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا
به وما تداخله من الاسف والوجد على توليهم برجل
فارقته احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على
آثارهم اي على فقدهم ويبخع نفسه وجدا
عليهم وتلهفا وتحسرا على فراقهم وبعدهم انتهى
وقد تكون لعل للاستفهام وهو قول اكثر الكوفيين
والذي يظهر انها للاشفاق اقرب اي اشفق ومعنى
ذلك ان يبخع الرسول نفسه عليهم لكونهم لم يؤمنوا وقوله
على آثارهم استعارة فصيحة من حيث ان لهم ادبارا
وتباعدا عن الايمان واعراضا عن الشرع فكانهم من فرط
ادبارهم قد بعدوا فهو في ادبارهم يحزن عليهم ومعنى
على آثارهم من بعدهم اي بعد ما يئسوا بايمانهم اي من ايمانهم

او بعد

او بعد موتهم على الكفر يقال مات فلان على اثر فلان اي مات
بعده وقرئ باخع نفسك بالاضافة وقرا الجمهور
باخع بالتنوين نفسك بالنصب قال الزمخشري رضي الله عنه
على الاصل يعني ان اسم الفاعل اذا استوفى شروط العمل
فالاصل ان يعمل وقد اشار الى ذلك سيبويه رضي الله
عنه في كتابه وقال الكسائي رضي الله تعالى عنه
العمل والاضافة سواء وقد ذهبنا الى ان الاضافة
احسن من العمل بما قررناه فيما قيد وصنفناه في علم النحو
وقرئ ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة وفتحها فمن كسر قال
الزمخشري رضي الله عنه هو يعني اسم الفاعل للاستقبال
ومن فتح فللمضي يعني حالة الاضافة اي لان لم
يؤمنوا والاضافة بمعنى الماضي وفي رواية والاشارة بهذا
الحديث الى القرآن قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها واسفا قال مجاهد رضي الله تعالى عنه
يعني جزعا وقال قتادة رضي الله عنه يعني غضبا وعنه
ايضا حزنا وقال السدي رضي الله عنه يعني ندما
وتحسرا وقال الزجاج رضي الله عنه الاسف المبالغة
في الحزن والغضب. وقال المفضل بن سعيد الاسف
هنا الحزن لانه على من لا يملك ولا هو تحت يده الاسف
ولو كان الاسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه
كان غضبا لقوله سبحانه وتعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم
اي اغضبونا قال ابن عطية رضي الله عنه واذا تاملت
هذا في كلام العرب اضطرد انتهى وانتصاب اسفا على
انه مفعول من اجله وعلى انه مصدر في موضع الحال
وارتباط قوله انا جعلنا الآية بما قبلها هو على سبيل التسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه سبحانه وتعالى اخبر انه
خلق ما على الارض من الزينة للابتلاء والاختبار اي الناس
احسن عملا فليسوا كلهم على نمط واحد في الاستقامة
واتباع الرسل بل لا بد ان يكون فيهم من هو احسن
عملا واسوا عملا فلا تحزن ولا تغتم على من فضلت
عليه بانه يكون اسوا عملا ومع كونهم بالكفر ولي الا اقطع
عنهم سواد هذه النعم التي خلقناها وجعلنا
بمعنى خلقنا والظاهر ان ما يراد بها هنا غير العاقل
وانه يراد به العموم فيما لا يعقل وزينة كل شيء بحسبه
وقيل لا يدخل في ذلك ما كان فيه ايذاء من حيوان

فضيلته

وحجر و

ونبات لانه لا زينة فيه ومن قال بالعموم قال فيه زينة
من جهة خلقه وصنعته واحكامه وقيل المراد بما هنا
خصوص من كان يعتقد فضل الاشجار والانهار والكسا
وقيل النبات فالغير من الاختلاف والازهار وقيل الحيوان
المختلف الاشكال والمنافع والافعال وقيل الذهب والفضة
والنحاس والرصاص والياقوت والزبرجد والجوهر والمرجان
وما يجري مجرى ذلك من نفائس الاحجار وقال الزمخشري
رضي الله عنه ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة
لها ولاهلها من زخارف الدنيا ما يستحسن منها وقالت
فرقة اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه
وقيل ما هنا لمن يعقل فعن مجاهد رضي الله عنه هو
الرجال وقال ابن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله
عنهما وروى عكرمة ان الزينة الخلفاء والعلماء والامراء
وانتصب زينة على الحال وعلى المفعول من اجله ان كان
جعلنا بمعنى خلقنا واوجدنا وان كانت بمعنى صيرنا فانتصب
على انه مفعول ثان واللام من قوله لنبلوهم متعلق بجعلنا
والابتلاء معناه الاختبار وهو مجاز وقيل ان النسبة الى الله
مجاز والضمير في قوله لنبلوهم اذا كانت ما لمن يعقل
فهو عائد عليها على المعنى وان لا فهو عائد على ما فهم من سياق
الكلام وهو سكان الارض المكلفون وايهم يحتمل ان
يكون الضمير فيه اعرابا فيكون ايهم مبتدأ واحسن خبره
والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون فيه علق لنبلوهم
اجراها مجرى العلم لان الابتلاء والاختبار سبب للعلم
كما علقوا اسأل وانظر البصرية لانهما سببان للعلم والى ان
الجملة الاستفهامية مبتدأ وخبر كما ذهب ابن الحوفي رضي الله
عنه ويحتمل ان تكون الضمة فيها بناء على مذهب سيبويه
لوجود شرط جواز البناء فيه وهو كونها مضافة
قد حذف صدر صلتها فاحسن خبر مبتدأ محذوف
تقديره هو احسن ويكون ايهم في موضع نصب بدلا من
الضمير في لنبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره
ممن ليس احسن عملا وقال الثوري رضي الله عنه اي احسنهم
عملا ازهدهم في الدنيا وقال ابو عاصم العسقلاني
رضي الله عنه اي اترك لها وقال الزمخشري رضي الله عنه
حسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها وقال ابو بكر غالب
ابن عطية رضي الله عنه احسن العمل اخذ بحق مع الايمان واداء

الفرائض

الفرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه
وقال الكلبي احسن طاعة وقال القاسم ابن محمد رضي الله
عنه هو ما علمنا من الانبياء والعلماء ليبلو الرسل انهم
والمرسل اليهم كلهم ايهم احسن قبوله واجابة وقال
سهل رضي الله عنه اي احسن توكلا على الله فيها وقيل
اصفا قلبا واحسن سمتا وقال ابن اسحاق رضي الله عنه
ايهم اتبع لامري واعمل لطاعتي وانا لجاعلون اي انا
لمصيرون ما عليها مما كان زينة لها او ما عليها مما هو
اعم من ان يكون زينة ومن غيرها صعيدا اي ترابا جرزا
اي لا نبات فيه وهذا اشارة الى التزهيد في الدنيا
والرغبة عنها وتسلية للرسول عليه افضل الصلاة
والسلام عن ما تضمنته ايدي المترفين من زينتها
اذ مآل ذلك كله الى الفناء والاضمحلال وقال الزمخشري
ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض
بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في
ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة
من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو
ذلك انتهى قيل والصعيد ما تصاعد على وجه الارض
وقال مجاهد رضي الله عنه الصعيد الجرز الارض
التي لا نبات لها وقال السدي الاملس المستوي من
الارض وقيل الطريق وفي الحديث اياكم والقعود على
الصعدات قوله عز وجل ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف
فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا
رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم
بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن
نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب
السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
ام هنا هي المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة وقيل للاضراب
عن الكلام الاول بمعنى الانتقال من كلام الى اخر لا بمعنى
الابطال والهمزة للاستفهام وزعم بعض النحويين ان ام
هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر انه خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد رضي الله عنه
لم ينهه عن التعجب وانما ذكر اياتنا كذلك وقال قتادة

لا تتعجب منها فالعجائب في خلق السموات والارض اكثر
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سألوك عن ذلك ثم
ليجعلوه آية لك علامة لصدقك وكذبك وسائر آيات
القرآن اعظم واعجب وادل دليل على صدقك وقال
الطبري رضي الله عنه تقرير له عليه الصلاة والسلام على حسبانه
ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه
اي لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة
فان سائر آيات الله اعظم من قصتهم قال وهو قول ابن
عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحاق وقال الزهراوي
يحتمل معنى آخر وهو ان يكون معنى الآية هل علمت ان اصحاب
الكهف كانوا عجبا بمعنى اثبات انهم عجب ويكون فائدة
تقريره جمع نفسه للامر لان جوابه ان يقول لم احسب
ذلك ولا علمته فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في
هذا التأويل هو في لفظة ام حسبت انتهى وقال غيره
معناه اعلمت اي لم تعلمه حتى اعلمتك وقال الزمخشري
رضي الله عنه ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما
خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله
كأن لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك من قصة
اهل الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة انتهى وقيل
اي ام علمت اي فاعلم انهم كانوا عجبا كما تقول اعلمت
ان فلانا فعل كذا اي قد فعل فاعلمه وقيل الخطاب
للسامع والمراد بهم المشركون اي قد علمتم امر حسبتم الآية
والظن قد يقام مقام العلم فكذلك حسبت بمعنى علمت
والكهف تقدم تفسيره في المرادف وعن انس رضي الله عنه
الكهف الجبل قال القاضي رضي الله عنه وهذا غير مشهور
في اللغة وقال مجاهد رضي الله عنه الفرج بين الجبلين
والظاهر ان اصحاب الكهف والرقيم هم الفتية المذكورون هنا
وعن ابن المسيب رضي الله عنه انهم قوم كان حالهم كحال اصحاب
الكهف فقال الضحاك رضي الله عنه الرقيم بلدة ببلادهم
الروم فيها غار فيه احد وعشرون نفسا اموات كلهم
نيام على هيئة اصحاب الكهف وقيل هم اصحاب الغار
في الحديث عن النعمان ابن بشير انه سمع الرسول عليه الصلاة
والسلام يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر اصابتهم السماء
اي اصابهم مطر شديد فاووا الى الكهف فانحطت صخرة
من الجبل فانطبقت على باب الكهف وذكر الحديث وهو حديث

المتناجر

المتناجر والعفيف وبار ابويه وفيها ادرج وفيه زيادة
الفاظ على ما في الصحيح ومن قال انهم طائفتان قال
اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم
بشي ومن قال بانهم طائفة واحدة اختلفوا في تفسير
الرقيم فعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يدري ما الرقيم
اهو كتاب ام بنيان وعنه ايضا انه كتاب كان عند
فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه الصلاة
والسلام وقيل من دين قبل عيسى عليه الصلاة والسلام
وعن ابن عباس ووهب ابن منبه رضي الله عنهما انه اسم
قريتهم وقيل لوح من ذهب تحت الجدار الذي اقامه
الخضر عليه الصلاة والسلام وقيل كتب فيه اسماؤهم
وقصتهم وسبب خروجهم وقيل هو لوح من رصاص كتب
فيه شأن الفتية ووضع في تابوت من نحاس في فم الكهف
وقيل اي صخرة كتب فيها اسماؤهم وجعلت في سور المدينة
وقيل اسم كلبهم ويتقدم البيت الذي قاله امية ابن
الصلت قاله انس والشعبي وابن جبير وعن الحسن
رضي الله عنه الرقيم هو اسم الجبل الذي به الكهف وعن
عكرمة هو اسم الدواة بالرومية وقيل هو اسم الوادي الذي
فيه الكهف وقيل رقمت الناس حديثهم في الحجر
وعجبا نصب على انه صفة لمحذوف دلت عليه ما قبله
وتقديره آية عجبا وصفت بالمصدر او على تقدير
ذات عجب. واما اسماء فتية اهل الكهف فاعجمية
لا تنضبط بشكل ولا نقط والسند في معرفتها ضعيف
والرواة مختلفون في قصصهم وكيف كان اجتماعهم وخروجهم
ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن الا
ما قص الله تعالى علينا من قصصهم ومن اراد تطلب
ذلك فعليه بالنظر في كتب التفاسير المطولة وقد ذكر
ان اسم الملك الكافر الذي خرجوا في ايامه عن ملته اسمه
دقيوس ويقال دقيانوس انهم كانوا في الروم وقيل كانوا في الشام وان
بالشام كهفا فيه موتى ويزعم مجاوروه انهم اصحاب
الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمونه بالرقيم ومعهم كلب
رمة وبالاندلس في جهة قرية تسمى غرناطة قال
بعضهم وفي الاندلس في جهة غرناطة قرية تعرف قرية
تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة واكثر
قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة

ولم نجد من علم شأنهم ويزعم ناس انهم هم اصحاب الكهف
قال ابن عطية رضي الله عنه كنت قد ... ذات يوم من ذلك
المكان فدخلت عليهم ورأيتهم سنة اربع وخمسمائة وهم
بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي
يسمى الرقيم كانه قصر مخلق قد بقي الان بعض جدرانه
وهو في فلاة من الارض خربة وبأعلى حضرة غرناطة
مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة يقال لها مدينة
دقيوس وجدنا في اثارها غرائب في قبور ونحوها
وانما استسهلت ذكر هذا مع بعده لانه عجب يخلد ٢
ذكره ما شاء الله عز وجل انتهى وحين كنا بالاندلس كان
الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون
في عدهم اذا عدوهم وان معهم كلبا ويرحل الناس الى لوشة
لزيارتهم واما ما ذكرت من مدينة دقيوس التي بقبلي
غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى وشاهدت
فيها حجارة كبارا ويترجح كون اهل الكهف بالاندلس لكثرة
دين النصارى بها حتى انها هي بلاد مملكتهم العظمى ولان
الاخبار بما هو في اقصى مكان من ارض الحجاز اغرب وابعد
من ان يعرفه احد الا بوحي من الله عز وجل . والعامل
في اذ مضمر يعني اذكر مضمرة وقيل عجبا ومعنى اوى اي
جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام ثم دعوا الله عز وجل
ان يؤتيهم رحمة من عنده وفسرها المفسرون بالرزق
وقال ابن عطية رضي الله عنه هي المغفرة والرزق والامن
من الاعداء . والفتية جمع فتى وهي جمع التكسير وجمع
قلة وكذلك كانوا قليلين وعند ابن السراج انه اسم جمع
لا جمع تكسير واعطاء الفتية يشعر بانهم كانوا شبابا لا كهولا
وكذا روي انهم كانوا شبانا من ابناء الاشراف والعظماء
مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب وهم من
الروم اتبعوا دين عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل انهم
كانوا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام واصحابنا الان
الاندلسيون تكثر في الفاظهم تسمية نصارى الاندلس بالروم
في نثرهم ونظمهم ومخاطبة عامتهم فيقولون غزونا الروم
جاءتنا الروم وقل من ينطق بلفظ النصارى ولما دعوا بايتاء
الرحمة وهي تتضمن الرزق وغيره دعوا الله بان يهيئ لهم
من امرهم الذي صاروا اليه من مفارقة دين اهلهم وتوحيد
الله رشدا وهي الاهتداء والديمومة عليه وقال الزمخشري

رضي الله عنه

رضي الله عنه واجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت
منك اسدا . وقرأ ابو جعفر وشيبة والزهري رضي
الله عنهم اجمعين وهيي ويهيي بياءين من
غير همز يعني انه ابدل الهمزة الساكنة ياء وفي كتاب
ابن خالويه الاعشى عن ابي بكر عن عاصم وهيي
لنا ويهيي لكم لا يهمز فيهما انتهى فاحتمل ان يكون ابدل
الهمزة ياء واحتمل ان يكون حذفها فالاول ابدال
قياسي والثاني مختلف فيه ينقاس حذف حرف
المبدل من الهمزة في الامر او في المضارع اذا كان مجزوما
. وقرأ ابو رجاء رشدا بضم الراء واسكان الشين
وقراءة الجمهور رشدا بفتحهما قال ابن عطية رضي الله
عنه وهي ارجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد
وهذا الدعاء منهم كان في امر دنياهم والفاظه
تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة
ورحمتها وينبغي لكل مؤمن ان يجعل دعاءه في امر
دنياه هذه الآية فانها كافية ويحتمل ذكر الرحمة
ان يراد بها امر الآخرة انتهى . فضربنا على آذانهم
استعارة مليحة للانامة المستثقلة التي لا تكاد
تنبههم معها وعبر عن ذلك بالضرب ليدل على قوة
المباشرة واللصوق واللزوم ومنه ضربت عليهم الذلة
وضرب الجزية وضرب البعث . وقال الفرزدق
ضربت عليك العنكبوت بنسجها . وقضى عليك به الكتاب
وقال الاسود بن يعفر . ومن الحوادث لا ابا لك انني
ضربت علي الارض بالاسداد . وقال آخر
ان المروءة والسماحة والندى . في قبة ضربت على ابن الحشرج
استعار للنوم هذه الاداة وصاف لهذا الممدوح وذكر الجارحة
التي هي الآذان اذ هي التي يكون منها السمع لانه لا يستحكم
نوم الا مع تعطل السمع وفي الحديث ذاك رجل بال الشيطان
في اذنه اي استثقل نومه جدا حتى لا يقوم بالليل ابدا
ومفعول ضربنا محذوف اي حجابا من ان تسمع كما يقال
بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة . وانتصب
سنين على الظرف والعامل فيه فضربنا وعددا مصدر
وصف به او منتصب بفعل مضمر اي تعد عددا او
بمعنى اسم المفعول كالقبض والنفض ووصف به قوله سنين
اي سنين معدودة والظاهر في عددا الدلالة على الكثرة

لانه لا يحتاج ان يعد الا ما كثر لا ما قل وقال الزمخشري
رحمه الله تعالى ويحتمل ان يريد القلة لان الكثير قليل
عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى وقال
الحاج رضي الله عنه وهذا تحريف في التشبيه لان لفظ
الاية كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
فهذا تشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوه في الدنيا وذلك
حين مشاهدة العذاب كما قال الشاعر
كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا
ما تمولا ثم بعثناهم اي ايقظناهم من نومهم والبعث
هو التحريك عن سكون اما في الشخص واما في الكلام المبعوث
فيه وان كان المبعوث متحركا لنعلم اي لنظهر
ما علمناه من امرهم وتقدم الكلام في نظير هذا في قوله
لنعلم من يتبع الرسول وفي التحرير وقرا الجمهور لنعلم
بالنون وقرا الزهري رضي الله عنه ليعلم بالياء وفي كتاب
ابن خالويه ليعلم اي الحزبين حكاه الاخفش رضي الله عنه
وفي الكشاف وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه
بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة
كما انه مفعول نعلم انتهى فاما قراءة ليعلم فيظهر
ان ذلك التفات خرج من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة
ويكون معناها ومعنى لنعلم بالنون سواء واما قراءة
ليعلم فيظهر ان المفعول الاول محذوف لدلالة المعنى
عليه والتقدير ليعلم الله الناس اي الحزبين والجملة
من الابتداء والخبر في موضع مفعولي ليعلم الثاني والثالث
وليعلم معلق واما قول صاحب الكشاف فلا يجوز
ما ذكر على مذهب البصريين لان الجملة اذ ذاك تكون في موضع
المفعول الذي لم يسم فاعله وهو قائم مقام الفاعل وعندهم
ان تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل
فكذلك لا تقوم مقام ما ناب عنه وللكوفيين مذهبان
احدهما انه يجوز الاسناد الى الجملة اللفظية مطلقا والثاني
انه لا يجوز الا ان كان مما يصح تعليقه والظاهر ان الحزبين
هما منهم لقوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال
قائل منهم كم لبثتم الاية فكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
علموا ان لبثهم تطاول ويدل على ذلك انه سبحانه وتعالى
بدا بقصتهم مختصرة من قوله ام حسبت الى قوله
امدا ثم قصها عز وجل مطولة مبتدئة من قوله نحن

نقص

لان الكثير قليل عنده صح

نحن نقص الى قوله قل الله اعلم بما لبثوا وقال ابن عطية رضي
الله عنه والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية
اي ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني هم اهل المدينة
الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ
بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين انتهى وقالت
فرقة هما حزبان كافران اختلفا في مدة اهل الكهف
قال السدي انهم من اليهود والنصارى الذين علموا قريشا
السؤال عن اهل الكهف وعن الخضر وعن الروح وكانوا
قد اختلفوا في مدة اقامة اهل الكهف في الكهف وقال
مجاهد ان قوم اهل الكهف كان منهم مؤمنون ومنهم
كافرون واختلفوا في مدة اقامتهم اي لبثهم في الكهف
قاله الفراء رضي الله عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما
الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب واهل
الكهف حزب وقال ابن بحر الحزبان الله والخلق كقوله
أانتم اعلم ام الله وهذه كلها اقوال مضطربة وقال
قتادة رضي الله عنه لم يكن لفريقين علم بلبثهم لا لمؤمنين
ولا لكافرين بدليل قوله قل الله اعلم بما لبثوا وقال
مقاتل كما نقول ان الا شك وعرفت حقيقة اللبث
واحصى جوز الحوفي وابو البقاء ان يكون فعلا ماضيا وما
تكون مصدرية وامدا مفعول به وان يكون هنا
افعل تفضيل وامدا تمييز واختار الزجاج والتبريزي
ان يكون افعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري
وابن عطية ان يكون فعلا ماضيا وما مصدرية وامدا
مفعول به ورجحوا هذا بان احصى اذا كان للمبالغة
كان شاذا من غير الثلاثي وعندهم ان ما اعطاه وما اولاه
للمعروف واعدى من الجرب شاذ لا يقاس عليه ويقول
ابو اسحاق انه قد كثر من الرباعي فيجوز وخلط ابن عطية
رضي الله عنه فادرج فيما بني من الرباعي ما اعطاه للدرهم
وما آتاه للخير وهي اسود من القار وماؤه ابيض من اللبن
وهو لما سواها انسج قال وهذه كلها افعل من الرباعي
انتهى واسود وابيض ليس بناؤهما من الرباعي وفي بناء
افعل للتعجب والتفضيل ثلاثة مذاهب يبنى
منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاءت الفاظ
ولا يبنى منه مطلقا وما ورد منها حمل على الشذوذ وايضا
والتفصيل بين ان تكون الهمزة للنقل فلا يجوز او لغير النقل

الحزب صح

والتبريزي صح

كما اشكل الامر واظلم الليل فيجوز ان تقول ما اشكل هذه
المسألة وما اظلم هذا الليل وهذا هو اختيار ابن عصفور
من اصحابنا وكل من هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو
واذا قلنا بأن احصى اسم للتفضيل جاز ان يكون اي الحزبين
موصولا مبنيا على مذهب س رضي الله عنه لوجود شرط جواز
البناء فيه وهو كون اي مضافة حذف صدر صلتها
والتقدير لنعلم الفريق الذي هو احصى لما لبثوا امدا من
الذين لم يحصوا واذا كان فعلا ماضيا امتنع ذلك
لانه اذ ذاك لم يحذف صدر صلتها لوقوع الفعل صلة
بنفسه على تقدير جعل اي موصولة فلا يجوز بناؤها
لانه قد فات تمام شرطها ولا يتقدر وهو ان يكون حذف
صلتها وقال ايضا فان قلت فما تقول فمن جعله
من افعل التفضيل قلت ليس ذلك بالوجه
السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس
هنا قياس على ما نقدم ونحو هو اعدى من الجرب وافلس
من ابن المذلق وان ذلك لشاذ والقياس على الشاذ في
غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما
ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينتصب
بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه
باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس
فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون
احصى فعلا ثم رجعت اليه في تقديرك واضمارك انتهى ادعواه
الشذوذ هو مذهب ابي علي رضي الله عنه وقد ذكرنا
ان ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من افعل مطلقا وانه
مذهب ابي اسحاق رضي الله عنه وان التفضيل اختار ابن
عصفور وقول غيره والهمزة في احصى ليست للنقل واما
قوله وافعل لا يعمل فليس بصحيح لانه يعمل في التمييز
كما تقول زيد اقطع الناس سيفا وزيد اقطع للهام سيفا
ولم يعربه مفعولا به وامدا تمييز وهكذا اعربه من زعم
ان احصى افعل للتفضيل كما تقول اما ان ينتصب بلبثوا
فلا يسد عليه المعنى لا يكون سديدا كما تقدمت الاشارة
الى ذلك وقد ذهب الطبري رضي الله عنه الى ان نصب امدا
بلبثوا قال ابن عطية رضي الله عنه وهذا غير متجه انتهى
وقد يتجه وذلك ان الامد هو الغاية ويكون عبارة عن

المدة من حيث

سيبويه

صدرها

اثبت

المدة من حيث ان للمدة غاية في احد المدة على الحقيقة
واما ان تكون بمعنى الذي وامدا منتصب على اسقاط
الحرف وتقديره لما لبثوا من امد اي مدة ويصير من
امد تفسيرا لما انبهم في لفظ ما كقوله عز وجل في آية
سورة البقرة ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير
منها او مثلها وقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها ولما اسقط الحرف وصل اليه الفعل واما
قوله فان زعمت اني احصى فنقول لا يحتاج الى هذا الزعم
لانه لقائل ذلك ان يسلك مذهب الكوفيين في
ان افعل التفضيل ينتصب المفعول به فالقوانس عندهم
منصوب باضرب نصب المفعول به واما تأويله نضرب
القوانس كما قال جمهور البصريين ولذلك ذهب بعض
النحويين الى ان قوله اعلم من يضل عن سبيله
مفعوله من بفتح الميم منصوبة باعلم نصب المفعول به
ولو كثر وجود مثل واضرب منا بالسيوف القوانسا لكنا
نقيسه ويكون معناه صحيحا لان افعل التفضيل مضمن
معنى المقدر فيعمل بذلك التضمن الا ترى ان
المعنى نزيد ضربنا بالسيوف القوانس على ضرب غيرنا ولما
ذكر سبحانه وتعالى قوله لنعلم اي الحزبين الى آخره
بالخلاف في امرهم عقبه بانه تعالى بانه الذي يقص
نبأهم على رسوله صلى الله عليه وسلم خبرهم بالحق اي
على وجه الصدق وجاء في لفظ نحن نقص مؤذنا بالقوله لتعظيم
لتعظم التوافق ما في ذلك ثم قال انهم فتية اضافة
الرب لهم اشعار بالتربية والناظر في مصلحة العبد ولم يأت
التركيب آمنوا بنا للاشعار بتلك الربوبية وهي انهم عباده
مربوبون وله مملوكون ثم قال وزدناهم هدى ولم يأت
التركيب وزادهم لما في لفظه نا من العظمة والجلال
وزيادة تعالى لهم هدى هو تثبيتهم للعمل القنا
والانقطاع اليه ومباعدة الناس والزهد في الدنيا كما
تقدم وهذه زيادة في الايمان الذي حصل لهم ولهي كما
التحريض دعاهم ثمرات هداهم وبقيتها وقولان وما حصلت
به الزيادة امتثال المأمور وترك المنهي او انطاق الكلب
لهم بانه هو على ما هم عليه من الايمان او انزال ملك عليهم
التبشير والتثبيت واخبارهم بظهور نبي من العرب
يكون الدين به كله لله وحده فآمنوا به قبل بعثته فهذه

ذلك

كلها اقوال ملخصة من التحرير انتهى

وربطنا على قلوبهم يعني ثبتناها وقويناها على الصبر على
هجرة الوطن والنعيم والفرار بالدين الى غار في مكان قفر
لا انيس به ولا ماء ولا طعام ولمكابدة الفزع وخوف
النفس تشبيه بانتاسب الاعضاء بحبس في شدة النفس
وقوة انفسهم اذ قيل لشبه الربط ومنه فلان رابط الجاش
اذا كانت نفسه لا تنفر عند الفزع والحرب قال الله عز
وجل ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين والعامل في قوله اذ ربطنا حين قاموا
وفي رواية عن الزمخشري رضي الله عنه قال والعامل في اذ
ربطنا اي ربطنا حين قاموا ويحتمل القيام لقيام ان
يكون مقامهم بين يدي الملك الكافر دقيانوس فانه
مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث صلبوا عليه
وخلعوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته ويحتمل
ان يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله عز
وجل ومنابذة الناس كما يقال قام فلان الى كذا اي اذا
اعتزم عليه بغاية الجد وقال الكرماني قاموا على ارجلهم
وقيل قاموا يدعون الناس سرا وقال عطاء رضي الله عنه قاموا
عند قيامهم من النوم طوله وقيل قاموا على ايمانهم وقال صاحب
الغنيان اذ قاموا بين يدي الملك فتحيرت هيئة وتشد
فازع ففزع دقيانوس فنظر بعضهم الى بعض فلم يتمالكوا ان
قالوا ربنا رب السموات والارض وكان قومهم عباد اصنام
وما احسن ما وحدوا الله عز وجل بان ربهم هو موجد
السموات والارض المتصرف فيهما بما يشاء وكيف يشاء وعلى
ما يشاء ثم اكدوا هذا التوحيد بالتبري من اله غيره
بلفظ النفي المستغرق لابد الزمان على توكيد واللام
في لقد لام توكيد واذا حرف جواب وجزاء اي لقد
قلنا ان ندعو من دونه الها قولا شططا اي ذا شطط
وهو التعدي في الجور وشططا نعت لمصدر محذوف
اما على الحذف كما قدرناه واما على الوصف به على جهة
المبالغة وقيل مفعول به بقلنا قال قتادة
رضي الله عنه شططا اي كذبا وقال ابو زيد خطأ انتهى
قوله تعالى هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم
بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
ويهيئ لكم من امركم مرفقا ولما وحدوا الله عز وجل ورفضوا

ما دونه

اي من المصدقين صح

قاموا صح

ما دونه من الالهة اخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم واتهام الحجة
لهم في عبادة غير الله سبحانه وتعالى ثم عظموا جرم من افترى على
الله كذبا وهذه المقالة يحتمل ان قالوها في مقامهم بين
يدي الملك تقبيحا لما هو عليه من عبادة غير الله عز وجل
وتوقيفهم عليه وذلك ابلغ في التبري من عبادة الاصنام
وادخل في غيظ الملك اذ اجترؤوا عليه بذم ما هو عليه
ويحتمل ان قالوا ذلك عند قيامهم للامر الذي عزموا عليه
وهؤلاء مبتدأ وقومنا قال الحوفي خبر واتخذوا في
موضع الحال وقال الزمخشري رضي الله عنه وتبعه ابو البقاء
رضي الله عنه قومنا عطف بيان واتخذوا في موضع الخبر
والضمير في من دونه عائد على الله سبحانه وتعالى ولولا
تحضيض مصحوبة الانكار اذ يستحيل وقوع سلطان
بين ولا يمكن فيه التحضيض الصرف فتحضيضهم على ذلك
على سبيل التعجيز وعفى عليهم الى على اتخاذهم الهة واتخذوا
هنا يحتمل ان يكون بمعنى عملوا لانها اصنام هم نحتوها
وان يكون بمعنى صيروا وفي ما ذكروه دليل على ان الدين
لا يوخذ الا بالحجة والمعنى اذ لم تكن عليها دليل فهي
فاسدة وهي ظلم وافتراء على الله سبحانه وتعالى وكذب
بنسبة شركاء له واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم
لبعض واذ اعتزلتموهم يحتمل مفارقة اوطان قومهم
ومعتقداتهم فهو اعتزال جسماني وقلبي وما معطوف
على المفعول في اعتزلتموهم اي واعتزلتم معبودهم الا الله
استثناء متصل ان كان قومهم يعبدون الله مع الهتهم
لاندراج لفظ الجلالة في قوله وما يعبدون وذكر ابو
نعيم الحافظ عن عطاء الخراساني رضي الله عنه انهم كانوا يعبدون
الله تعالى ويعبدون معه الهة فاعتزلت الفتية عبادة
تلك الالهة ولم يعتزلوا عبادة الله سبحانه وتعالى وقد
ذكر هذا ايضا الفراء رضي الله عنه ومنقطع ان كانوا
لا يعرفون الله تعالى ولا يعبدونه لعدم اندراجه في
معبوداتهم وفي مصحف عبد الله وما يعبدون من دون
الله قال قتادة هذا تفسيرها قال هارون رضي الله عنه
في بعض المصاحف وما يعبدون من دوننا انتهى وما
في مصحف عبد الله فما ذكرناه ونحن اذا اردنا تفسير
المعنى وان هؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون
الله فليس ذلك قرآنا لمخالفته سواد المصحف ولانه

على ذلك صح

المستفيض عن عبد الله رضي الله عنه صح

بل هو معبودهم كما ثبت في السواد وهو ما يعبدون إلا الله
وقيل وما يعبدون إلا الله كلام معترض إخبار من الله عن
الفتية أنهم لم يعبدوا أحدا غير الله تعالى فعلى
هذا ما نافية والاستثناء مفرغ له العامل
فأووا إلى الكهف أي فاجعلوه مأواكم تخفون دينه
وتأوون إليه وقوله معترضة ما كانوا عليه من
الناس كل حين إذ أووا إلى الكهف وقد نبهوا على ما وإليه
نشر رحمة الله عليهم وتهيئة رفقته بهم لأن من
أخرج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان لا تضيعه والمعنى
أنه تعالى سيبسط علينا رحمته ويهيئ لنا ما نرتفق
به في أمر عيشنا قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى
ويهيئ لكم أي يسهل عليكم ما تخافون من الملك
وظلمه ويأتكم باليسر والرفق واللطف وقال
ابن الأنباري رضي الله تعالى عنه المعنى ويهيئ لكم بدلا
من أمركم الصعب مرفقا أي رفقا بكم وتلطفا قال
الكسائي رضي الله تعالى عنه
فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان
أي بدلا من ماء زمزم وقال الزمخشري رضي الله عنه
إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم
لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم وإما أن يخبرهم نبي كان
في عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبيا فالله تعالى في ذلك
والله أعلم وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة
وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر وأبو بكر
في رواية الأعشى والبرجمي والجعفي عنه وأبو عمرو
في رواية هارون بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ ابن أبي
إسحاق وطلحة والأعمش وباقي السبعة بكسر الميم
وفتح الفاء قال الزمخشري رضي الله عنه أي رفقا
بهم لأن جميعا في الأمر الذي يرتفق به وفي الجارحة كما
حكاه الزجاج رضي الله تعالى عنه وكذا قال ثعلب ومكي
ونقل مثل ذلك عن الفراء رضي الله تعالى عنه أنه قال
لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيء إلا كسر الميم
وأنكر الكسائي رحمه الله تعالى أن يكون المرفق من الجارحة
إلا بفتح الميم وكسر الفاء وخالفه أبو حاتم رحمه الله تعالى
وقال المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وقال أبو
زيد رضي الله تعالى عنه هو مصدر كالرفق جاء على مفعل

تنبيه

وقيل هما

وقيل هما لغتان فيما يرتفق به وأما بكسر الميم فمن اليد
وقال بعضهم وأما في اليد بكسر الميم وفتح الفاء
لا غير وقال الفراء رضي الله عنه وفي رواية الحسن
وعن الفراء رضي الله تعالى عنه أن أهل الحجاز يقولون
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت به ويكسرون
الميم في مرفق الإنسان والعرب قد يكسرون الميم
منهما جميعا انتهى وأجاز معاذ رضي الله عنه فتح الميم
والفاء ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن
كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تزاور عن كهفهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا ولملئت منهم رعبا﴾ بيان لحالهم جملة تجد وقد ذكر
عليها ما تقدم والتقدير فأووا إلى الكهف فألقى الله
عليهم النوم واستجاب دعاءهم وأرفقهم في الكهف بما
وقرأ الحرميان وأبو عمرو تزاور بإدغام التاء في الزاي
في الزاي وقرأ الكوفيون والأعمش وطلحة وابن أبي
ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيد وابن سعدان
ومحمد بن عيسى الأصبهاني وأحمد بن جبير الأنطاكي رضي
الله عنهم أجمعين بتخفيف الزاي إذ حذفوا التاء الثانية
وقرأ ابن أبي إسحاق وابن عامر وقتادة وحميد
ويعقوب عن الجحدري تزور كتحمر وقرأ
الجحدري وأبو رجاء وأيوب السختياني وابن أبي عبلة
وجابر وورد أن عن أيوب تزوار كتحمار
وقرأ ابن مسعود وأبو المتوكل تزوئر بهمزة قبل
الراء على قولهم ادهأمت واشعألت بالهمز فيهما فرارا
من التقاء الساكنين والمعنى تروغ وتميل وذات اليمين
جهة يمين الكهف وحقيقته الجهة المسماة باليمين
يعني يمين الداخل إلى الكهف أو يمين الفتية وقوله تعالى
تقرضهم من معنى القطيعة أي تقطعت عن الصور
إليهم وهم في فجوة أي متسع من الكهف وقرأ
الجمهور تقرضهم بالتاء وقرأت طائفة بالياء أي
يقرضهم الكهف قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى أنهم كانوا
لا تصيبهم الشمس البتة وقالت فرقة إن الشمس حتى

بالعشي تنالهم بما لين حرها صلاح لاجسامهم وهكذا المعتقد
مع الشمس تقتضي انه كان لهم باب من جهة الجنوب
وباب من جهة الدبور وهم في زاوية وقال عبد الله
ابن مسلم رضي الله عنه كان باب الكهف ينظر الى بنات
نعش وعلى هذا كان اعلا الكهف مستورا من المطر
قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه كان كهفهم مستقبل
بنات نعش لا تدخله الشمس عند الطلوع ولا عند
الغروب اختار الله لهم مضجعا متسعا في مقناة
لا تدخل فيه الشمس لئلا تصيبهم فيه تؤذيهم وبدونه بهم
كربة الغار وغمومه وقال الزمخشري رضي الله عنه
المعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم حر الشمس البتة
لا في طلوعها ولا في غروبها مع انهم كانوا في مكان واسع
منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله سبحانه
وتعالى يحجبها عنهم انتهى وهو بسط قول ابن عباس رضي
الله عنه وقال ايضا رحمه الله تعالى فعل الشمس كان
آية من آيات الله سبحانه وتعالى دون ان يكون باب
الكهف الى جهة يوجب ذلك وقال الواحدي رضي الله
عنه معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيئا ثم تزول
عنهم سريعا بحيث لا تؤذيهم حرها كالقرض الذي يسترد
والمعنى عنده ان الشمس تميل بالغدوة وتقرضهم
بالعشي اصابة خفيفة انتهى ولو كان من القرض
الذي تعطي ثم تسترد لكان التعبير بالعشي فكان
تكون تقرضهم بالتاء مضمومة لكنه من القطع واما
النقد تقرضهم لم تقطع امر منها شيئا
قيل ولو كانت الشمس لا تصيبهم بمكانهم ايضا لقد
كان يفسد هواه ويتعفن ما فيه فيهلكوا وانما المعنى
انه سبحانه وتعالى دبر امرهم فاسكنهم مسكنا لا تكثر
سقوط الشمس فيه فيحمى ولا تغيب عنه غيبوبة
دائمة فيتعفن والاشارة بذلك الى ما صنعه الله عز
وجل بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة
آية من آياته سبحانه وتعالى يعني ان ما كان في ذلك
السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة
ومن قال انه كان مستقبل بنات نعش بحيث كان له
حاجب من الشمس كانت الاشارة الى ان حديثهم من آيات الله
عز وجل وهو هدايتهم الى توحيد صنعا وتعالى واعراضهم

من بين

من بين عبدة الاوثان وايواهم الى ذلك الكهف وحمايتهم
من عدوهم والقاء الهيبة عليهم وصرف الشمس عنهم يمينا
وشمالا لئلا تفسد اجسامهم وادامة نومهم هذه المدة الطويلة
وصونهم من البلاء اي بكسر الباء الموحدة وصون
ثيابهم عن التمزق ويحتمل على هذا اشارة الى الهداية
قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فلن تجد له وليا مرشدا هو لفظ عام يدخل فيه ما قد
سبق تشبيهم وهم اهل الكهف ومن يضلل عام ايضا
مثل دقيانوس الكافر واصحابه والخطاب في وتحسبهم وفي
وترى الشمس اذا طلعت لمن قدر له انه يطلع عليهم
قيل كانوا مفتحة اعينهم وهم نيام فيحسبهم الناظر
اليهم ايقاظا ينتبهون مستيقظون وهم رقود كما قص
الله تعالى عنهم ذلك قال ابو محمد ابن عطية رضي الله عنه
ويحتمل ان يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان
عليهم وقلة التغيير وذلك ان الغالب على النوام
ان يكون لهم استرخاء وهيئات تقتضي النوم فيحسبه
الرائي يقظان وان كان مسدود العينين ولو صح
فتح اعينهم بسند يقطع العذر كان ابين في ان يحسب
عليهم التيقظ والظاهر ان قوله وتحسبهم ايقاظا وهم
رقود انه اخبار مستانف وليس على تقدير وقيل ان
في الكلام حذف تقديره لو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا والظاهر
ان قوله ونقلبهم خبر مستانف وقيل انما وقع الحسبان
من جهة تقلبهم ولا سيما اذا كان من اليمين الى الشمال
ومن الشمال الى اليمين وفي قراءة الجمهور ونقلبهم بالنون مزيد
اعتناء من الله عز وجل بهم حيث اسند التقليب اليه
تعالى وانه هو الفاعل ذلك وحكى ابن جني رضي الله
عنه انه قرئ ويقلبهم بالياء مسندا الى الله
وقرأ الحسن رضي الله تعالى عنه فيما حكى الاهوازي رحمه
الله تعالى عنه في الاقناع وتقلبهم بتاء مفتوحة ساكنة
القاف مخففة اللام وقرأ الحسن رضي الله عنه فيما حكى
ابن جني وتقلبهم مصدر تقلب منصوبا وقال
هذا انتصب بفعل مقدر كانه قال وترى او تشاهد
تقلبهم وعنه ايضا انه قرأه كذلك الا انه ضم الباء
فهو مصدر مرتفع بالابتداء قاله ابو حاتم رضي الله عنه
وذكر هذه القراءة ابن خالويه عن اليماني رضي الله عنه
وذكر ان عكرمة قرأ وتقلبهم بالتاء باثنتين من فوقها

قلت مخففا فتلى والقاري في تقلبهم في الجهتين ليلا تبلي
الارض ما يليهم وتاكل لحومهم فيتعفنوا اذ انهم ما توا وهذا
فيه بعد فان الله الذي قدر على ان يبقيهم احيا تلك
المدة الطويلة هو قادر على حفظ اجسادهم وثيابهم وعن ابن عباس
رضي الله عنه لو مستهم الشمس لاحرقتهم ولولا التقلب لاكلتهم
الارض انتهى وذات بمعنى صاحبة اي جهة ذات اليمين
وتقلب المصدر وثنا الخلاف في وقت تقلبهم وفي عدد
التقلبات فروي ابن عباس رضي الله عنهما وكذا روي عن
قتادة وعن مجاهد وابن عباس اقوال متقاربة وفي رواية
متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحا وكذلك
لم نتعرض لاسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع او صيد لان ذلك
مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل وانما
يدرك بالسمع فقط والسمع لا يكون في مثل هذا الا عن
الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب الالهية والله اعلم
فان قلت فلاي شي لم يثبت الكلب قبل هذا قلت قال
بعض المفسرين رضي الله تعالى عنهم اجمعين لان التثليث
كان من افعال الملائكة عليهم الصلاة والسلام وهم لا يعتبرون
[illegible] هذا كان الكلب بباب الكهف لان الملائكة
عليهم الصلاة والسلام لا يدخلون بيتا فيه كلب كما ورد
ذلك في الاحاديث الصحيحة انتهى وغير مستحسن ورود
هذا الاختلاف عنها والظاهر ان قوله وكلبهم اريد به
الجنس المعروف وابعد من ذهب الى انه اسد وابعد اي سبع
من ذلك قول من ذهب الى انه رجل طباخ لهم تبعهم
او احدهم تبعه عند ابائه طلبته لهم وحكى ابو عمر
ان اهدي من الفرعنة غلام ثعلب انه قرئ وكالبهم
اسم فاعل من كلا اي ذا حفظ فيحمل على انه الكلب ايضا
لحفظه للانسان قيل ويحتمل ان يراد بالكالي الرجل على
ما روي اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع
رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه
وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم [illegible]
اي صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر اي هو صاحب
لبن وتمر قال الزمخشري رضي الله عنه باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي
واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا
نويت حكاية الحال الماضية وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل
اذا كان في معنى الماضي اجماعا مذهب الكسائي وهشام

ومن اصحابنا

ومن اصحابنا ابو جعفر بن مضاء الى انه يجوز ان يتعدى وحجج
الفريقين مذكورة في علم النحو والوصيد قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما المراد به الباب وعنه ايضا وعن مجاهد
وابن جبير الفناء وعن قتادة رضي الله عنه المراد به الصعيد
والتراب وقيل العتبة وعن ابن جبير رضي الله عنه ايضا
انه التراب كما تقدم والخطاب في لو اطلعت لمن يتوهم
في قوله وترى الشمس اذا طلعت الى اخره وكذا في قوله وتحسبهم ايقاظا
وقرا ابن وثاب والاعمش رضي الله عنهما لو اطلعت
بضم الواو وصلا وقرا الجمهور بكسرها وقد ذكرتها عن
شيبة وابي جعفر ونافع رضي الله عنهم اجمعين وتملية الرعب
لما القى الله تعالى عليهم من الهيبة والجلال فمن رام الاطلاع
عليهم ادركته تلك الهيبة ومعنى لوليت اي لاعرضت عنهم
بوجهك واوليتهم كشحك وانتصب فرارا على المصدر
اما لوليت بحذوفا اي محذوفة واما لوليت لانه بمعنى
لفررت واما مفعول من اجله وانتصب رعبا على انه
مفعول ثان وابعد من ذهب الى انه تمييز منقول من
المفعول كقوله وفجرنا الارض عيونا على مذهب من اجاز
نقل التمييز من المفعول لانك لو سلطت عليه الفعل
ما تعدى اليه تعدى المفعول به بخلاف قوله وفجرنا
الارض عيونا وقيل سبب الرعب طول شعورهم واظفارهم
وصفرة وجوههم وتغبير اطمارهم وقيل الاظلام المكان
ووحشته وليس هذان القولان بشي لانهم لو كانوا بتلك
الصفة انكروا احوالهم ولم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم
ولان الذي بعث الى المدينة لم ينكر الا الطعام والبناء لا الحال له
في نفسه ولانهم كانوا بحالة حسنة بحيث لا يعرف الرائي
بينهم وبين الايقاظ وهم في فجوة تنخرقه الرياح والمكان ن
الذي هيئته الصورة لا يكون موحشا وقرا ابن عباس والحرميان
وابو حيوة بالياء لا بالباء الموحدة وابن ابي عبلة بتشديد
اللام والهمز وقرا باقي السبعة بتخفيف اللام والهمزة
وقرا ابو جعفر وشيبة بتشديد اللام وابدال الياء
من الهمزة وقرا الزهري رضي الله عنه بتخفيف اللام
والابدال وتقدم الخلاف في رعبا في سورة ال عمران
وقرا هنا بضم العين ابو جعفر وعيسى رضي الله عنهما
قوله عز وجل وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم

فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا الكاف للتشبيه والاشارة بذلك تدل الى المذكور من قوله فضربنا على اذانهم اي مثل جعلنا انامتهم هذه المدة الطويلة اية جعلنا بعثهم اية وقال الزجاج رضي الله عنه وقد حسنه الزمخشري رحمه الله فقال وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا اي تذكارا بقدرته على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع بهم اي وما صنعه الله تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله سبحانه وتعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم وكرموا به انتهى وناسب هذا التشبيه قوله تعالى حين ذكر قصتهم اولا بمختصره فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقال ابن عطية رضي الله عنه الاشارة بذلك الى الامر الذي ذكره الله عز وجل في جهتهم والعبرة التي فعلها فيهم واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة لان بعثهم لم يكن لنفس تساؤلهم وظاهره انه تساؤل فقط قال كبيرهم مكسلمينا وقيل صاحب نفقتهم املنيخا وكم سؤال عن العدد والتقدير كم يوما اقمتم نائمين والظاهر صدور [illegible] من السنين وقيل او للتشكيك ان بعضهم قال لبثنا يوما وقال بعضهم بعض يوم والقائل ذلك احس في خاطره طول نومهم ولذلك شك فقال يوما او بعض يوم ولعلهم دخلوا الكهف غدوة او النهار وسقطوا اخر النهار رجحوا انهم هذا مبني على غلبة الظن والقول بالظن الغالب لا يعد كذبا وان عرض لهم الشك في الاخبار ردوا علم لبثهم الى الله عز وجل ثم قالت ان بعضهم رضي الله عنه ربكم اعلم بما لبثتم انكارا عليهم من بعضهم فان الله تعالى اعلم بمدة لبثهم كانهم لما قد علموا بالادلة او بالهام من الله عز وجل ان المدة قد تطاولت او هي متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله عز وجل اخذوا فيما هو اهم لهم من امر يومهم احدهم لما حذر من ناحية الطعام الاهم الحاجة الى الطعام فقالوا فابعثوا احدكم الشاب ولكنهم قد قالوا واحدا وانما يصحبكم ودعوا علم ذلك الى الله عز وجل والمبعوث قيل تمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا فارين دراهم لحاجتهم اي لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا اشاروا

اليها

اليها بقولهم هذه وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر والحسن والاعمش والزيدي ويعقوب في رواية وخلف وابو عبيد وابن سعدان رضي الله عنهم باسكان الراء من ورقكم وقراءة ابي الاشعث وزيد بن علي بكسرها وقرأ ابو رجاء بكسر الواو وسكون الراء وادغام القاف في الكاف وكذا اسماعيل عن ابن محيصن ايضا كذلك الا انه كسر الراء منها ليصح الادغام فيها وقال الزمخشري رضي الله عنه وقرأ ابن كثير رضي الله عنه بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف انتهى وهو مخالف لما نقل الناس عنه وحكى الزجاج رضي الله عنه قراءة بكسر الواو وسكون الراء دون ادغام وقرأ الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه بوارقكم على وزن فاعل جعله اسم جمع كباقر وجامل والمدينة قيل هي مدينتهم التي خرجوا منها فيها وتسمى الان طرسوس وكان اسمها عند خروجهم افسوس وقوله فلينظر يجوز ان يكون من نظر العين ويجوز ان يكون من نظر القلب ايضا ولا يعدى بذلك والجملة في موضع نصب بفلينظر معلق عنها الفعل وايها استفهام مبتدأ وازكى خبره ويجوز ان يكون ايها موصولا مبنيا اي مفعولا لينظر على مذهب سيبويه رضي الله عنه وازكى خبر مبتدأ محذوف وازكى قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء احل ذبيحة واطهر لان عامة بلدهم كانوا كفارا يذبحون للطواغيت وقال ابن جبير رضي الله عنه احل طعاما ما قال الضحاك رضي الله عنه وكان اكثر اموالهم غصوبا وقال مجاهد رضي الله عنه قالوا لا تبتع ان طعاما فيه ظلم وقال عكرمة اكثر وقال قتادة اجود وقال ابن السائب ومقاتل اطيب وقال يمان ابن رئاب ارخص وقيل اكثر بركة وريعا وقيل هو الارز وقيل هو التمر وقيل الزبيب وقيل ان في الكلام حذفا تقديره اي اهلها ازكى طعاما فيكون ضمير المؤنث عائدا على المدينة واذا لم يكن ثم حذف فيكون عائدا على ما يفهم من سياق الكلام كأنه قيل اي المآكل وفي قوله فابعثوا احدكم بورقكم دليل على ان حمل النفقة وما يكون يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله عز وجل دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما في اوعية الناس وقال بعض العلماء وما احسن هذا الشعر يعني سعر اجل الاسباب ان

الهيمان

شد الهيمان. والتوكل على الرحمن. وليتلطف في اختفائه
وتحيله دخولا وخروجا وقال الزمخشري رضي الله عنه
وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة
حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف انه والوجه الثاني
هو الظاهر وقرأ الحسن رضي الله عنه وليتلطف بكسر اللام
مبنيا للمفعول. ولا يشعرن. اي لا يفعل ما يؤدي من
غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم
لانه سبب فيه وقرأ ابو صالح ويزيد بن القعقاع وقتيبة
رضي الله عنهم ولا يشعرن بكم احد ببناء الفعل للفاعل
ورفع احد والضمير في انهم عائد على ما دل عليه المعنى
من كناية ذلك المدينة قيل ويجوز ان يعود على احد لان
لفظه للعموم فيجوز ان يجمع الضمير لقوله فما منكم من احد عنه
حاجزين في حاجزين ضمير جمع عائد على احد وقال
الزمخشري رضي الله عنه الضمير في احد راجع الى الاهل
المقدر في ايها والظهور هنا الاطلاع عليهم والعلم بمكانهم
وقيل العلو والغلبة وقرأ زيد بن علي يظهروا بضم
الياء مبنيا للمفعول والظاهر الرجم بالحجارة وكان الملك قد ع٤
عزم على قتلهم ان ظفر بهم والرجم كان عادة فيما سلف لمن
خالف من الناس اذ هي اشفى ولهم فيها مشاركة وقال
حجاج معناه يا لقوك بالسب وقاله ابن جريج
ايضا او يعيدوكم يدخلوكم فيها مكرهين والاظهر من
العود الى الشيء التلبس به قبل اذ يطلق ويراد به الصيرورة
ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم واذا حرف جزاء وجواب
وجواب وقد تقدم الكلام عليها وكثيرا ما يتضح تقدير
شرط وجزاء. قوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم
ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون
بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا
على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم
احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب
من هذا رشدا. قد ان في هذا الكلام جملا تحذف فقه التقدير
فبعثوا احدهم ونظر ايها ازكى طعاما وتلطف ولم يشعر بهم احدا
فاطلع الله عز وجل اهل المدينة على حالهم وقصة ذهابه الى المدينة

وما جرى له

وما جرى له مع اهلها وحمله الى الملك وادعاءهم عليه انه
اصاب كنزا من كنوز الاقدمين وحمله الى الملك ومن ذهب
معه اليهم مذكور في التفاسير باطول مما هنا والله اعلم
بتفاصيل ذلك تعالى لعزته على الاثر اذا اطلعت عليه
واعثرني غيري ذا اطلعني عليه وتقدم الكلام على هذه
المادة في قوله فان عثر على انهما استحقا اثما ومفعول
اعثرنا محذوف تقديره واعثرنا عليهم اهل مدينتهم و
والكاف في وكذلك للتشبيه والتقدير وكما انمناهم
وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم وقد
يكون الضمير هنا في ليعلموا عائدا على مفعول اعثرنا والذي
ذهب الطبري رضي الله عنه وقال عند الله ليعلموا البعث
لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها بعد المدة المتطاولة
كحال من يموت ثم يبعث ولا ريب فيها اي لا شك ولا
ارتياب في قيامها والمجازاة فيها وكان الذين اعثر الله
عليهم اهل الكهف قد دخلتهم فتنة في امر الحشر وبعث
الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس وكانوا
يستبعدون وقالوا تحشر الارواح فشق على ملكهم
وبقي حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس
المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله عز وجل في
حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فلما بعثهم الله
تعالى وتبين للناس امرهم سر الملك ورجع من كان قد
شك في امر بعث الاجساد الى اليقين والى هذا وقعت
الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم امرهم واذ معمولة
لاعثرنا او ليعلموا وقيل يحتمل ان يعود الضمير في قوله
وليعلموا على اصحاب الكهف اي جعل الله امرهم اية لهم
دالة على بعث الاجساد من القبور وقوله اذ يتنازعون
على هذا التاويل ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم
والتنازع اذ ذاك في امر البناء والمسجد لا في امر القيامة
وقيل التنازع انما هو في ان اطلعوا عليهم فقال بعض
هم اموات وقال بعضهم احياء. وروي ان الملك واهل
المدينة انطلقوا مع تمليخا الى الكهف وابصروهم ثم
قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم والقى
الاحمر الوهاج الملك ثيابه عليهم وامر فجعل لكل واحد تابوت من الذهب

فرأيتم في المنام كأن رهينا للذهب جعلها من الساج وبني عليه
باب الكهف والظاهر أن قوله ربهم أعلم بهم من كلام
المتنازعين داخل تحت القول أي أمروا بالبناء وأجروا
بمضمون هذه الجملة كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا
الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى
حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم ويحتمل أن يكون
من كلام الله سبحانه وتعالى ردا لقول الخائضين في حديثهم
من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والذين
غلبوا قال قتادة هم الولاة وروي أن طائفة ذهبت الى
أن يطمس الكهف عليهم ويتركوا فيه مغيبين فقالت
الطائفة الغالبة لنتخذن عليهم مسجدا أي لنتخذنه
وروي أن التي دعت الى البناء كانت كافرة أرادت بناء بيعة
أو مصنع لكفرهم فمانعهم المؤمنون وبنوا عليهم المسجد
وقرأ الحسن وعيسى الثقفي غلبوا بضم الغين وتشديد
اللام والمعنى أن الطائفة التي أرادت المسجد كانت
تريد أن لا تبني عليهم شيئا ولا تعرض لموضعهم وروي
أن طائفة أخرى مؤمنة أرادت أن لا يطمس الكهف
بالبناء فلما غلبت الأولى على أن يكون بنيان ولا بد قالت
يكون مسجدا فكان وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن الله
عمى على الناس أمرهم وحجبهم عنهم فلذلك دعا الى بناء
البنيان ليكون معلما لهم والظاهر أن الضمير في سيقولون
عائد على من تقدم ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل
ظهورهم عليهم فأخبر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بما كان من اختلاف قومهم في عددهم وكون الضمير عائدا على
ما قلنا ذكره الماوردي رضي الله عنه وقيل يعود على نصارى
نجران تناظروا مع الرسول في عددهم فقالت الملكانية
الجملة الأولى واليعقوبية الجملة الثانية والنسطورية
الجملة الثالثة وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر
في الكشاف أن السيد قال الجملة الأولى وكان يعقوبيا
والعاقب قال الثانية وكان نسطوريا والمسلمون قالوا الثالثة
وأصابوا وعرفوا ذلك بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل
فتكون الضمائر في سيقولون ويقولون عائدا بعضها على
نصارى نجران وبعضها على المؤمنين وعن علي رضي الله عنه

هم سبعة

هم سبعة نفر وهذه أسماؤهم • تمليخا ومكشلينيا
ومشلينيا • هؤلاء أصحاب يمين الملك • وكان عن يساره
مرنوش ودبرنوش • وشاذنوش • وكان يستشير هؤلاء
الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم لما هربوا من
ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير
انتهى وقال ابن عطية رضي الله عنه الضمير في قوله
سيقولون يراد به أهل التوراة من معاصري رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذلك أنهم قد اختلفوا في عدد أهل الكهف
هذا الاختلاف المنصوص انتهى فيك وجاء بسين الاستقبال
لأنه كان في الكلام طي وإدماج والتقدير فإذا أجبتهم
عن سؤالهم وقصصت عليهم قصة أهل الكهف فسلهم
فسلهم عن عددهم فإنهم إذا سألتهم سيقولون وقرأ
ابن محيصن رضي الله عنه سيقولون ثلاث بإدغام الثاء
في التاء وحسن ذلك لقرب مخرجهما وكونهما مهموستين
لأن الساكن الذي قبل الثاء من حروف اللين حسن ذلك
ويقولون لم يأت فيه أيضا بالسين ولا فيما بعده لأنه
معطوف على المستقبل فدخل في الاستقبال أو لأنه
أريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له وقرأ شبل
ابن عباد عن ابن كثير بفتح ميم خمسة وهي لغة كعشرة
وقرأ ابن محيصن رضي الله عنه بكسر الخاء والميم وبإدغام
التاء في السين وعنه أيضا إدغام التنوين في السين
بغير غنة رجما بالغيب أي رميا بالشيء المغيب عنهم
أو ظنا بالغيب من الرجم كأن الإنسان يرمي الموضع المجهول
عنده بظنه المرة بعد المرة يرجم به عسى أن يصيب ومنه
الترجمان وترجمة الكتاب • ومنه قول زهير رضي الله عنه
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم
أي المظنون وأتى هنا بعقب ما تقدم ليدل على أن
قائل تلك المقالتين لم يقولوا ذلك عن علم وإنما قالوا
ذلك على سبيل التخمين والحدس وجاءت المقالة الثالثة
خالية عن هذا القيد مشعرة أنها هي المقالة الصادقة
كما تقدم ذكر ذلك عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وعن رسول الله وعن جبريل عليهما الصلاة والسلام وانتصب رجما
على أنه مصدر لفعل مقدر أي يرجمون بذلك أو
لتضمين سيقولون ويقولون معنى يرجمون أو لكونه مفعولا له
من أجله أي قالوا ذلك لرميهم بالخبر الخفي أو لظنهم ذلك أو الحامل
لهم على هذا القول هو الرجم بالغيب وثامنهم [illegible] الحذف

فإنك إذا

الحدس بسكون الدال

أي الحامل لهم

والجملة بعده صفة اي انهم ثلاثة اشخاص وانما قدرنا اشخاصا
لان رابعهم اسم فاعل اضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم
اي جعلهم اربعة وصيرهم الى هذا العدد فلو قدر ثلاثة
رجال لاحتاج الى ان يقدر ثلاثة رجال اربعة لاختلاف
الجنسين والواو في قوله وثامنهم للعطف على الجملة السابقة
اي يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم فاخبروا اولا انهم
سبعة رجال جزما فهما خبروا اخبارا ثانيا ان ثامنهم
كلبهم بخلاف القولين السابقين فان كل منهما جملة واحدة
وصف المحدث عنهم بصفته ولم يعطف الجملة عليه وقد
ذكر عن ابي بكر بن عياش وعن ابن خالويه انها واو الثمانية
وان قريشا اذا عدوا يقولون ستة سبعة وثمانية تسعة
فتدخل الواو في الثمانية وكونها جملتان معطوف احداهما
على الاخرى يؤذن في تثبيت الاخبار بخلاف ما تقدم
فانه اخبر وابدى موصوف بشي لم يات خبر عن الاخبار
ولذلك جاء فيه رجما بالغيب ولم يجي في هاتين الجملتين
بل مع ... بينهما وفرق وثامنهم كلبهم كانه قيل
اي صاحب كلبهم وزعم بعضهم انهم كانوا ثمانية رجال وهذه
بعده القراءة واول قوله وكلبهم على حذف مضاف
اي وصاحب كلبهم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله وثامنهم
ليس داخلا تحت قولهم بل قولهم هو قوله ويقولون سبعة
ثم اخبر سبحانه وتعالى بعدا على سبيل الاستئناف واذا
كان استئنافا من الله عز وجل دل على انهم ثمانية بالكلب
وذهب الى ذلك الاكثرون من الصحابة والتابعين
وايمة المفسرين وقال الزمخشري رضي الله تعالى عنه فان قلت
فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت
عليها دون الجملتين الاوليين قلت هي الواو التي تدخل صفة
للنكرة كما تدخل على الواو الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك
جاءني رجل ومعه رجل اخر ومررت بزيد وفي يده سيف
ومنه قوله سبحانه وتعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم وفايدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهي الواو
الذي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا عن
ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما قال غيرهم
انتهى وقوله الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على
لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصالها بها لا يعرف هذا

عنده

الا النحويون

الا النحويون بل قرروا انه لا تعطف الصفة التي هي
ليست بجملة على صفة اخرى الا اذا اختلفت المعاني
حتى يكون العطف دالا على المغايرة واما اذا لم تختلف
فلا يجوز العطف هذا في الاسماء المفردة واما الجمل
التي تقع صفة فهي ابعد من ان يجوز ذلك فيها وقد رد
على من ذهب الى ان قول سيبويه رحمه الله عنه وانما
ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل نحو على ان وليس
باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى وان الواو دخلت
في الجملة فان ذلك لشي هو من كلام العرب مررت برجل او
مررت برجال وتاول على تقدير لصفته واما قوله تعالى في
الاية المتقدمة الا ولها كتاب معلوم فالجملة هنا حالية
ويكفي ردا لقول الزمخشري رضي الله عنه انا قد لا نعلم احدا من
علماء النحو ذهب الى ذلك ولما اخبر تعالى عن عدتهم
واضطراب الناس في عددهم امره سبحانه وتعالى ان
يقول قل ربي اعلم بعدتهم اي لا يخبر بعددهم الا من
يعلم حقيقته وهو الله عز وجل ما يعلمهم الا قليل ان
المستثنى في حق الله عز وجل هو الاعلمية وفي حق المستثنى
انما هو العلم ولا تعارض فيه قيل من الملائكة وقيل من العلماء
وعلى انه قليل لا يكون الا باعلام الله عز وجل قال ابن عباس
رضي الله عنهما وانا من القليل ثم نهاه سبحانه وتعالى
عن الجدال فيهم اي في عدتهم والمتراء وسمى مراجعته لهم
مراء على سبيل المقابلة لمماراة اهل الكتاب له في ذلك
وقيده بقوله ظاهرا اي غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما اوحي اليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال
تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وقال ابن زيد مراء ظاهرا
هو قولك لهم ليس كما تقولون ونحو هذا ولم يرد ذكر الحجة
ظاهرة وقال ابن الانباري رضي الله عنه الا جدال
متيقن عالم بحقيقة الخبر والله تعالى القي اليك ما لا يشوبه
باطل وقال ابن بحر يعني ظاهرا انه هذه الاشرعة قال
التبريزي ظاهرا ذاهبة بحجة الخصم واستشهد في ذكر
[illegible] وتلك شكاة ظاهر عنك عارها اي ذاهب
ثم نهاه عز وجل ان يسال احدا من اهل الكتاب عن قصتهم
لا سوال متعنت لانه خلاف ما امرت به من الجدال بالتي
هي احسن ولا سوال مسترشد لانه سبحانه وتعالى
قد ارشدك بما اوحي اليك من قصتهم وغيرها ثم نهاه ان

وا

ابن

لي

تعالى قدم

يخبر بانه يفعل في الزمن المستقبل شيئا الا ويعرف
ذلك بمشيئة الله عز وجل وتقدم في سبب نزول الآية انه عليه الصلاة
والسلام حين سألته قريش عن اهل الكهف والخضر والروح قال
لهم عليه الصلاة والسلام غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله
تعالى فتأخر عنه الوحي مدة خمسة عشر يوما وقيل انقطع
عنه الوحي اربعين يوما والا ان يشاء الله استثناء لا يمكن حمله
على ظاهره لانه يكون داخلا تحت القول فيكون من المقول ولا ينهاه
الله ان يقول اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لانه كلام هو
صحيح في نفسه لا يمكن ان ينهى عنه فاحتيج في تأويل هذا الظاهر
الى تقدير فقال ابن عطية رضي الله عنه في الكلام حذف
يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا ان تقول الا
ان يشاء الله او الا ان تقول ان شاء الله فالمعنى الا ان
تذكر مشيئة الله عز وجل فليس الا ان يشاء الله من القول
الذي نهي عنه وقال الزمخشري رضي الله عنه الا ان يشاء
الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل
كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة
الله دون فعله وذلك مما لا مدخل للنهي فيه وتعلقه بالنهي
على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله
ان تقوله بان يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله
اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال اي الا ملتبسا بمشيئة
الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون الا
ان يشاء الله في معنى كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا
ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا لان
عودهم في ملتهم مما لم يشأ الله عز وجل وهذا نهي تأديب من
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قال ائتوني غدا اخبركم
ولم يستثن انتهى قال ابن عطية رضي الله عنه وقالت فرقة هو
استثناء من قوله ولا تقولن لشيء وحكاه الطبري ورد عليه
وهو من الفساد بحيث كان الواجب ان لا يحكى انتهى وتقدم
تخريج الزمخشري ذلك على ان يكون متعلقا بالنهي وتكلم
المفسرون في هذه الآية في الاستثناء في اليمين وليست الآية
في الايمان والظاهر امره تعالى بذكره اذا عرض له نسيان
ومتعلق النسيان غير متعلق الذكر فقيل المنسي واذكر
ربك اذا تركت بعض ما امرت به وقيل فاذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل قتادة ذلك على اداء
الصلاة المنسية اذا ذكرها اي عند تذكرها وقيل واذكر ربك

بالتسبيح

بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا
في الانبعاث على الاهتمام بها وقيل واذكر مشيئة ربك
اذا فرط منك نسيان لذلك اي اذا نسيت كلمة الاستثناء
ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر قاله ابن جبير رضي الله عنه
قال ولو بعد يوم او شهر او سنة وقال
ابن الانباري رضي الله عنه بعد تقضي النسيان كما تقول
اذكر لعبد الله اذا صلى صاحبك اي اذا قضى الصلاة والا شا
تعول له لاقرب من هذا اي الى الشيء المنسي اي اذكر ربك عند
نسيانه بان تقول عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا
رشدا اي شيئا آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا
وادنى خيرا واعظم منفعة ولعل النسيان كان خيرة قال
الله سبحانه وتعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها
او مثلها قال الزمخشري رضي الله عنه وهذا اشارة الى نبأ
اهل الكهف ومعناه لعل الله ان يؤتيني من البينات والحجج
على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا
من نبأ اصحاب الكهف وقال ابن الانباري رضي الله عنه
عسى ان يعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته
لكم ويعجل لي من جهته الرشاد وقال محمد بن عبد الله الكوفي بعض
المفسرين رضي الله تعالى عنه هي في هذه الآية بالفاظها مما امر ان
يقولها من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثناء
قوله عز وجل ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به
واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا واتل
ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا واصبر نفسك الظاهر ان قوله ولبثوا في كهفهم الآية
اخبار من الله سبحانه وتعالى بمدة لبثهم نياما في الكهف الى
ان اطلع الله عليهم من شاء قال مجاهد وهو بيان ايضا
لمجمل قوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا
تحرر هذا العدد باخبار من الله عز وجل امر نبيه صلى الله عليه
وسلم بان يقول قل الله اعلم بما لبثوا فخبره هذا هو الحق
والصدق الذي لا يدخله ريب لانه عالم غيب السموات والارض
والظاهر ان قوله بما لبثوا اشارة الى المدة السابق ذكرها وقال
بعضهم بما لبثوا اشارة الى المدة التي كانت بعد الاطلاع
عليهم الى مدة الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل لما قال وازدادوا
تسعا كانت النسخة مبهمة في الساعات والايام والشهور

والاعوام

واختلف بنو اسرائيل بحسب ذلك فأمره تعالى برد العلم اليه يعني في
التسع وهذا بعيد لانه اذا سبق عدد مفسر وعطف عليه ما لم
يفسر حمل تفسيره على السابق وحكى النقاش انها ثلاثمائة
عام شمسية ولما كان الخطاب للعرب زيدت التسع اذ حساب
العرب هو بالقمر لاتفاق الحسابين وقال قتادة ومطر الوراق
ولبثوا كان ذلك اخبارا من بني اسرائيل واحتجوا بما في مصحف
عبد الله وقالوا لبثوا وعلى غير قراءة عبد الله يكون معطوفا على
المحكي بقوله سيقولون ثم امر الله نبيه عليه الصلاة والسلام
ان يرد العلم اليه بما لبثوا ردا عليهم وتفنيدا لمقالتهم
قيل هو من قول المتنازعين في امرهم وهو الصحيح كما يقتضيه
سياق الاية ولو دل قل الله اعلم بما لبثوا جعل ذلك من الغيوب
التي هو مختص بها وقراءة الجمهور ثلاثمائة بالتنوين فثلاث
عطيه على البدل وعطف البيان وهل على التفسير والتمييز
وقال الزمخشري رضي الله عنه ويكون عطف بيان لثلاثمائة
وحكى ابو البقاء رضي الله عنه ان قوما اجازوا ان يكون بدلا من
مائة لان مائة في معنى مئات فاما عطف البيان فلا
يجوز على مذهب البصريين واما نصبه على التمييز فالمحفوظ
من لسان العرب المشهور ان مائة لا تفسر الا بمفرد مجرور
وان قوله اذا عاش الفتى مائتين عاما ٭ هذا من ضرورة الشعر
والاسماء فذا تضاف الى ذلك كون سنين جمعا وقرأ
حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والاعمش والحسن وابن ابي
ليلى وخلف وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير
الانطاكي فانه بغير تنوين مضافا الى سنين اوقع الجمع موقع
المفرد وانحى ابو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك وقال
ابو علي الزجاج رضي الله عنه هذه تضاف في المشهور الى المفرد
واحيانا قد تضاف الى الجمع كما قيل بذلك والله اعلم وقرأ
ابي سنة وكذا هي في مصحف عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه
وقرأ الضحاك سنون بالواو والجمع على اضمار هي سنون وقرأ
الحسن وابو عمرو في رواية اللؤلؤي عنه تسعا بفتح التاء
كما قالوا عشر وذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض
وخفي فيهما من احوال اهلهما وجاء بما دل على التعجب من ادراكه
للمسموعات والمبصرات لاجل الدلالة اي للدلالة على ان امره
في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين
لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما
واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقصد

في به عائد

في به عائد الى الله عز وجل وهل هو في موضع رفع او نصب — صح رضي الله عنه
وهل ابصر واسمع امران حقيقة ام امران لفظا معناهما
انشاء التعجب في ذلك من خلاف مقرر في النحو قال ابن عطية
ويحتمل ان يكون المعنى ابصر بدين الله عز وجل واسمع اي
بصر بهدى الله وسمع فترجع الهاء اما على الهدى واما
على الله عز وجل كذا قاله ابن الانباري رضي الله عنه ٭
وقرأ عيسى اسمع به وابصر على الخبر فعلا ماضيا لا على
التعجب اي ابصر عباده بمعرفته واسمعهم والهاء كناية
عن الله عز وجل والضمير في قوله ما لهم قال الزمخشري المراد
بهم اهل السموات واهل الارض من ولي اي من متول لامورهم
ولا يشرك في حكمه اي انفاذ قضائه احدا منهم ويحتمل
يحتمل ان يعود على اصحاب الكهف اي هذه قدرته و — خلده
لم يوالهم غيره بتلطفه بهم ولا يشرك في حكمه احدا قال
ابو البقاء رضي الله عنه يعني ومعنى هذه الاية انه سبحانه
وتعالى لا شريك في حكمه بنفس الحكم ولا في عزه احدا
ويحتمل ان يعود على معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكفار ومشاققيه وتكون الاية اعتراضا بتهديد
قال ابن عطية رضي الله عنه وقيل يحتمل ان يعود على
مؤمني اهل السموات والارض اي لن يتخذ واحد ومنهم
وليا وقيل يعود على المختلفين في مدة لبثهم اي ليس
لهم من دون الله عز وجل من يتولى تدبيرهم فكيف يكونون
اعلم منه او كيف يعلمون من غير اعلامه اياهم وقرأ الجمهور
ولا يشرك بالياء على النفي وقرأ مجاهد رضي الله عنه
بالياء والجزم قال يعقوب رضي الله عنه لا اعرف وجهه
وقرأ ابن عامر والحسن وابو رجاء وقتادة والجحدري
وابو حيوة وزيد وحميد بن الوزير عن يعقوب رضي
الله عنه والجعفي واللؤلؤي عن ابي بكر ولا تشرك
بالتاء والجزم على النهي ولما انزل عليه ما انزل من قصة اهل
الكهف امره بان يقص ويتلو على معاصريه ما اوحي اليه
تعالى من كتابه في قصة اهل الكهف وغيرهم وان ما اوحاه
اليه لا مبدل له ولا مبدل عام في الكلمات على انها
فالتخصيص انما في الاستدلال اي لا مبدل لكلماته لسواه
الا ترى الى قوله واذا بدلنا اية مكان اية واما في كلماته
اي كلماته المتضمنة الخبر لان ما تضمن غير الخبر وقع النسخ
في بعضه وفي امره تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يتلو ما اوحي اليه

واخبار من انه لا مبدل لكلماته اشارة الى تبديل المنافقين عن
في اهل الكهف وتحريف اخبارهم والملتحد الملتجا وقيل
الملتجا الذي تميل اليه وتعدل. قوله عز وجل واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب
وساءت مرتفقا. قال كفار قريش لو ابعدت هؤلاء عن
نفسك لجالسناك وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا و
سلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء وقالوا ان ذلك
ريح جبابهم تؤذينا فنزلت هذه الاية وهي قوله تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة
الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان القائلين
هذه المقالة المتقدمة وهي قولهم للرسول صلى الله عليه
وسلم ان ريح جبابهم تؤذينا هو عيينة ابن حصن والاقرع
وذووهم من المؤلفة فنزلت الاية والاية على هذا مدنية
والاول اصح لان السورة مكية وطعن المؤلفة انما
كان بالمدينة فامره بالاية عليهم بقوله عز وجل واصبر نفسك اي
احبسها وثبتها قال ابو ذؤيب رضي الله عنه وحراميين
فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع
وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان اي حبسه للرمي ومع
تقتضي الصحبة والموافقة والامر بالصبر هنا يظهر
منه كثير اعتناء بهؤلاء الذين امر بالصبر نفسه معهم
وهي ابلغ من الاية التي في سورة الانعام ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية وقال ابن عمر ومجاهد وابراهيم معنى
قوله بالغداة والعشي اشارة الى الصلوات الخمس وقال
قتادة الى صلاة الفجر وصلاة العصر وقد يقال ان ذلك
مراد به العموم اي يدعون ربهم دائما ويكون مثل
قولك ضرب زيد الظهر والبطن تريد بذلك اللفظ
جميع بدنه لا خصوص المدلول بالوضع وتقدم الكلام
على قوله بالغداة والعشي قراءة واعرابا في الانعام ولا تعد

اي لا تصرف

اي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى ابناء الدنيا وعدا ان
متعدية تقول عدا فلان طوره وجاء القوم عدا
زيدا فلذلك قدرنا المفعول محذوفا ليبقى الفعل
على اصله من التعدية وقال الزمخشري رضي الله عنه وانما
عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك
نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم
تعلق به انتهى والله اعلم فان قلت اي غرض في هذا
التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل
عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا. قلت الغرض فيه والله
اعلم اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء
معنى واحد الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك
ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها انتهى
وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما
يذهب اليه عند الضرورة اما اذا امكن اللفظ على مدلوله
الوضعي فانه يكون اولى والله اعلم بذلك كله. وقرا الحسن
رضي الله عنه ولا تعد بضم التاء وكسر الدال من اعدى
وعنه ايضا وعن عيسى والاعمش رضي الله عنهما ولا تعد
قال الزمخشري رضي الله عنه نقلا بالهمزة وبتثقيل الحشو ايضا
ومنه قوله. فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له. الا ان معناه
تعد همك عما ترى انتهى وكذا قال صاحب كتاب
اللوامح قال وهذا اما عديته بالتضعيف كما كان في الاولى
بالهمزة وما ذهبا اليه ليس بجيد بل الهمزة والتكثير في
هذه الكلمة ليس للتعدية وانما ذلك لموافقة افعل وفعل
وفعل للفعل المجرد وانما قلنا ذلك لانه اذا كان مجردا افهم
متعد وقد اقر بذلك الزمخشري رضي الله عنه فانه قال
يقال عداه اذا جاوزه ثم قال وانما عدي بعن للتضمين
ولم تستعمل في التضمين هو حجان ولا يتشعون هذا ضمنوه
تعدو وتعديا بالهمزة او التضعيف فلو عدي بهما وهو متعد
لعدي الى اثنين وهو في هذه القراءة قد اصبح متعديا الى واحد
فدل على انه ليس معدى بهما وقال الزمخشري رضي الله عنه
تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال انتهى وقال صاحب
كتاب اللوامح قد رعيناك فكان ان يكون التركيب تريد
ان ولو قدرنا الكاف فيجيء الحال من المجرور بالاضافة مثل
هذا فيه اشكال لاختلاف العامل في الحال وذي الحال و

اجاز ذلك بعضهم

اذ كان المضاف جزءا او كالجزء وحسن ذلك هنا ان المقصود
نهيه عليه الصلاة والسلام عن الاعراض عنهم والميل الى غيرهم
وانما جيء بقوله عيناك والمقصود هو لانهما بهما تكون
المراعاة للشيء والتلفت له وفي المعنى ولا تنحرف عينك عنهم
الى النظر الى غيرهم وقال الزمخشري رضي الله عنه من اغفلنا
قلبه يعني من جعلنا قلبه غافلا ساهيا لاهيا عن
الذكر اي خذلناه او وجدناه غافلا عنه يعني عن الذكر كقولك
اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو
من باب اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر
ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل
الله عز وجل توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وهذا على
مذهب المعتزلة واثباتا لابطال الاخرين تاويلات منها انه في
وكان معتزليا قال لم نسمه بما نسم به قلوب المؤمنين
مما يتبين به فلاحهم كما قال عز وجل اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وكقولهم بعير غفل اي لم يكن عليه سمة وتقول
ايضا كتاب غفل اي لم يكن عليه اعجام واما اهل السنة
رضي الله تعالى عنهم فيقولون ان الله عز وجل اغفله حقيقة
وخلق الغفلة فيه والغفلة قال الفضيل رضي الله
عنه وفي رواية وقال المفضل اخليناه عن الذكر يعني القران
وقال ابن جريج رضي الله عنه معناه اي معنى قوله عز وجل
اشغلنا قلبه عن ذكرنا اي شغلنا قلبه بالكفر وغلبة الشقاء
والظاهر ان المراد بمن اغفلنا كفار قريش وقيل عيينة
والاقرع والاول اولى لان الاية مكية كما قيل والله اعلم
وقرا عمرو بن فائد وموسى الاسواري وعمرو بن عبيد
اغفلنا بفتح اللام قلبه بضم الباء اسند الاغفال الى القلب
قال ابن جني رضي الله عنه من ظننا غافلين عنه وقال
الزمخشري حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته
غافلا انتهى واتبع هواه في طلب الشهوات وكان امره فرطا
قال قتادة وغيره هدرا ضائعا وقال مقاتل بن حيان
سرفا وقال الفراء متروكا وقال الاخفش يعني مجاوزا
للحد وقيل وروي عن عتبة بن ربيعة ان الحمنا اشرف
الناس وقال ابن بحر الفرط العاجل السريع كما قال تعالى
وكان الانسان عجولا وقيل ندما وقيل باطلا وقال
ابن زيد مخالفا للحق وقال ابن عطية رضي الله عنه
الفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط والتضييع اي امره

الذي

الذي يجب ان يلزم ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف
اي امره وهواه الذي هو سبيله انتهى والحق يجوز ان يكون
خبر مبتدا محذوف تقديره قال ابن عطية رضي الله عنه
هذا الحق اي هذا القران او هذا الاعراض عنكم وترك
الطاعة لكم وصبر النفس مع المؤمنين وقال الزمخشري
رضي الله عنه الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق
وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ هذ
في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر ولفظ
التخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور
بان يتخير ما شاء من النجدين انتهى وهو على طريقة
المعتزلة ويجوز ان يكون مبتدا وخبره من ربكم قال
الضحاك رضي الله عنه هو التوحيد وقال مقاتل رضي
الله عنه هو القران وقال مكي اي الهدى والتوفيق والخذ لان
من عند الله عز وجل يهدي من يشاء فيوفقه فيؤمن
ويضل من يشاء فيخذله فيكفر ليس الي من ذلك شيء وقال
الكرماني رضي الله عنه اي الاسلام والقران وهذا الذي
لفظه لفظ الامر معناه التهديد والوعيد الشديد ولذ لك
عقبه بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا قال معناه
ابن عباس رضي الله عنهما وقال السدي رحمه الله تعالى هو
منسوخ بقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وهذا قول
ضعيف والظاهر ان فاعل شاء عائد على من وعن
ابن عباس رضي الله عنهما من شاء الله له الايمان امن ومن لا
فلا انتهى وحكى ابن عطية رضي الله عنه عن فرقة ان الضمير
في شاء عائد على الله عز وجل وكذا جعلها ان الايمان والكفر
تابعين لمشيئة الله عز وجل انما يعني جاء بصيغة
الامر حتى كانه تحتيم ووقوعه مامور به اي كالمطلوب منه
وقرا ابو السمال قعنب وقل الحق بفتح اللام حيث
وقع قال ابو حاتم رضي الله عنه وذلك رديء في العربية
انتهى وعنه ايضا ضم اللام حيث وقع كانه اتباع لحركة
القاف وقرا ايضا الحق بالنصب قال صاحب كتاب
اللوامح هو على صفة المصدر المقدر لان الفعل يدل على
مصدره وان لم يذكر فنصبه معرفة كنصبه اياه نكرة
وتقديره وقل القول الحق وتعلق من بمضمر على ذلك
مثل هو او جاء والله اعلم وقرا الحسن وكذا قرا عيسى
الثقفي رضي الله عنه بكسر لام الامر ولما تقدم الايمان والكفر

أعقب بما أعدّ لهما فذكر ما أعدّ للكافرين يلي قوله فليكفر
وإني نعدّ لك بما أعدّ للمؤمنين ولم يأت الكلام ههنا
على ذكر الكافرين في سياق ما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم
كانت البداءة بما أعدّ لهم أهمّ وأذكر بما طرّ بيان للعرب
هذه الطريق والأخرى أنه يجب للأول في التقسيم للأولى
في الذكر والثاني للثاني والسرادق قال ابن عباس
رضي الله عنهما حائط من نار يحيط بهم. وحكى أقضى القضاة
الماوردي أنه البحر المحيط بالدنيا وحكى الكلبي رضي الله عنه
أنه عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار وقيل هو دخان
يحوط. وإن يستغيثوا أي يطلبوا الغوث مما حل بهم من
حر النار وشدة هولها أي شدة أخذها وشدة عطشهم
فيها يغاثوا على سبيل التهكم بهم وإلا فليست إغاثة بل
هي زيادة عذاب على ما هم فيه من العذاب. وقد روي
في الحديث أن المهل هو عكر الزيت إذا قرب منه سقطت
فروة وجهه فيه وقال ابن عباس رضي الله عنه هو ماء غليظ
مثل دردي الزيت. وعن مجاهد رضي الله عنه أنه القيح
والدم والصديد الذي يسيل من أهل النار وقيل هو دم أسود
وعن ابن جبير رضي الله عنه هو كل شيء ذائب قد انتهى حره
ذكر ابن الأنباري رضي الله عنه أنه الصديد وعن الحسن رضي الله
عنه أنه الرماد الذي ينفض إذا أخرج من التنور وقيل ضرب
من القطران ويشوي في موضع الصفة لماء أو في موضع
الحال منه لأنه قد وصف فحسن مجيء الحال منه وإنما
اختص بالوجوه لأنها عند شربهم لها تقرب من وجوههم أي
يقرب حره من وجوههم فتسقط لحم وجوههم فيها كما تقدم
في الحديث السابق وقيل عبر بالوجوه عن جميع أبدانهم
والمعنى أنه ينضج به جميع جلودهم وقيل إنه الرماد الذي
ينفض إذا أخرج من التنور وقيل هو ضرب أي نوع من القطران
والمعنى أنه عبر هنا بوجوههم أي لأنه ينضج به جميع جلودهم
كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس
الشراب هو أي الماء الذي يغاثون به والضمير في ساءت
عائد على النار والمرتفق قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
المنزل وقال عطاء رضي الله عنه هو المقر وقال القتيبي
المجلس وقال مجاهد رضي الله عنه المجتمع وأنكر الطبري
أن يعرف لقول مجاهد معنى ولعل ذلك كان من مجاهد

ذهب

أي لكونه

ذهب بها يعني الرفاقة ومنه الرفقة وقال أبو عبيدة
رضي الله عنه يعني به المتكأ وقال الزجاج رضي الله عنه
المتكأ على المرفق وأخذه الزمخشري رضي الله عنه فقال
متكأ من المرفق وهذا للمشاكلة لقوله وحسنت مرتفقا
وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أنه أي لا راحة
لهم وقال ابن الأنباري رضي الله عنه ساءت مطلبا للرفق
لأن من طلب رفقا من جهنم عدمه وقول ابن عطية
قريبا من قول ابن الأنباري قال أبو [illegible] رضي الله تعالى عنه
والأظهر عندي أن يكون المرتفق بمعنى الشيء الذي يطلب
رفقه باتكاء وغيره وقال أبو عبد الله الرازي رضي الله عنه
والمعنى بئس الرفقاء هؤلاء وبئس موضع الترافق النار
قوله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا
لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار
يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا
من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب
وحسنت مرتفقا. لما ذكر سبحانه وتعالى حال أهل الكفر
وما أعد لهم في النار ذكر حال أهل الإيمان وما أعد لهم
في الجنة وخبر إن يحتمل أن يكون الجملة من قوله أولئك
لهم وقوله إنا لا نضيع الجملة كلها اعتراض قال ابن عطية
رضي الله عنه ونحو هذا من الاعتراض. قال الشاعر
إن الخليفة إن الله ألبسه. سربال ملك به ترجى الخواتيم
ولا يتعين في قوله إن الله ألبسه أن يكون اعتراضا لما
في اسم إن وخبرها الذي هو ترجى الخواتيم ويجوز أن
يكون إن الله ألبسه هو الخبر ويحتمل أن يكون الخبر قوله
إنا لا نضيع أجر المحسنين والعائد محذوف تقديره
من أحسن عملا منهم أو على قول من أحسن عملا على مذهب
الأخفش في ربطه الجملة بالاسم إذا كان هو المبتدأ في المعنى
لأن من أحسن عملا هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فكأنه قال إنا لا نضيع أجرهم ويحتمل أن تكون الجملتان
خبرين لأن على مذهب من يقتضي المبتدأ خبرين فصاعدا
من غير شرط أن يكونا أو يكون في معنى خبر واحد وإذا كان
خبر إن قوله إنا لا نضيع كان قوله أولئك استئنافا لإبهام
وهو موضع ما أبهم في قوله إنا لا نضيع وهو قد يكون من
بيان الجزاء وقرأ عيسى الثقفي لا نضيع من ضيع
بالتضعيف وهو ما للتشديد والجمهور من أضاع عدّوه بها

ابن الأنباري
انتهى
بالمنع

فلما ذكر مكان اهل الكفر وهو النار ذكر مكان اهل الايمان وهي جنات
عدن ولما ذكر هناك ما يغاثون به وهو الماء الذي كالمهل ذكر
هنا ما ينعم به اهل الجنة من كون الانهار تجري من تحتهم ثم
ذكر ما انعم به عليهم من التحلية واللباس الذي هو
زينة ظاهرة وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه يحلى كل
واحد ثلاثة اساور سوار من ذهب وسوار من فضة
وسوار من لؤلؤ ويواقيت قال ابن عطية من الاولى للتبعيض (?) ومن
الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكر اساور لابهام
امرها في الحسن انتهى ويحتمل ان تكون من في قوله من ذهب
للتبعيض لا للتبيين وقرا ابان عن عاصم رضي الله تعالى عنه
من اسورة من غير الف وبزيادة هاء وهو جمع سوار وقرا
ايضا ابان عن عاصم وابن ابي حماد عن ابي بكر رضي الله عنه
ويلبسون بكسر الباء وقرا ابن محيصن رضي الله عنه
واستبرق بوصل الالف وفتح القاف حيث وقع وجعله
فعلا ماضيا على وزن استفعل من البريق ويكون استفعل
بمعنى الفعل المجرد الذي هو برق كما تقول قر واستقر
وبفتح القاف ذكره الاهوازي رضي الله عنه في كتاب الاقناع
عن ابن محيصن رضي الله عنه وقال ابن محيصن وحده واستبرق
بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه انتهى فظاهره
انه ليس بفعل ماضيا بل هو اسم ممنوع من الصرف وقال
ابن خالويه جعله استفعل من البريق اي قال ذلك كله
ابن محيصن رحمه الله تعالى فظاهره انه فعل ماض وقد
خالفهما صاحب اللوامح قال ابن محيصن رضي الله عنه استبرق
بوصل الالف في جميع القران فيجوز انه حذف الهمزة
تخفيفا على غير قياس ويجوز انه جعله اي يجوز انه قد
جعله عربيا من برق يبرق بريقا وذلك اذا تلالا الثوب لجدته
فيصار لكنه فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله
معاملة الفعل في وصل الهمزة ومعاملة المتمكنة من الاسماء
في الصرف والتنوين واكثر التفاسير على انها عربية وليس
بمستعرب دخل في كلامهم فاعربوه انتهى ويمكن ان يكون ذلك
المولد من رواتان عنه فتح القاف وصرفها التنوين وقد زاد ابو
الفتح ابن جني رضي الله عنه قراءة فتح القاف وقال هذا
سهو او كالسهو انتهى وانما قال ذلك لانه جعله اسما ومنعه
من الصرف لا يكون لانه غير علم وقد امكن جعله فعلا ماضيا
فلا يكون بهذه القراءة سهوا قال الزمخشري رضي الله عنه

وجمع بين

وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق
وهو ما غلظ منه اي تحسن وتكاثف جمعا بين النوعين
وقدمت التحلية على اللباس لان الحلي في النفس اعظم
والى القلب احب وفي القيمة اغلى وفي العين احلى وبنى
فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله اشعارا بانهم يكرمون
بذلك ولا يتعاطون ذلك بانفسهم كما قال الشاعر
غرائر في كن وصون ونعمة ۞ يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا
واسند اللباس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه
خصوصا لو كان بادي العورة وقد وصف الثياب بالخضرة
لانها احسن الالوان والنفس تنبسط لها اكثر من غيرها من
الالوان وقد روي في ذلك اثر انها تزيد في ضوء البصر
وقال بعض الادباء ۞
اربعة مذهبة لكل هم وحزن ۞ الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن
وخص الاتكاء لانها هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم
وقرا ابن محيصن رضي الله عنه على الارائك بنقل الهمزة الى لام
التعريف وادغام لام على فيها فتحذف الف على لتوهم
سكون لام التعريف والنطق به علرائك ومثله قول الشاعر
فما اصبحت علرض نفس برية ۞ ولا غيرها الا سليمان نالها
يريد على الارض والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم الثواب
ثواب عدن وبئس والمعهود وحسنت ما تدعى الجنات
المرداة حففة طاف به من جوانبه قال الشاعر ايضا
يحف جانبا نيق ويتبعه ۞ مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد
وحففته به جعلته مطيفا به وحف به القوم صاروا في
حفته وهو جوانبه كلتا اسم مفرد اللفظ عند البصريين
مثنى المعنى ومثنى لفظا ومعنى عند البغداديين ووزنه
عند البصريين فعلى كذكرى والالف فيه للتانيث وزائدة عند الجرمي والالف فيه
منقلبة عن اصلها ووزنها عنده فعتل المحاورة مراجعة
الكلام وهو من حار اذا رجع البيدودة الهلاك يقال
فيه باد يبيد بيودا وبيدودة قال الشاعر رضي الله عنه
فلئن باد اهله ۞ لبما كان يوهل
النطفة القليل من الماء يقال لما في القربة من الماء نطفة
المعنى ليس فيها قليل ولا كثير وسمي المني نطفة لانه ينطف اي
يقطر قطرة بعد قطرة وفي الحديث جاء وراسه ينطف ماء اي

حفة

ينقطر

الحسبان في اللغة الحساب وباقي اقوال اهل التفسير قيد ان شا
الله سبحانه وتعالى زلقا اي ما لا يثبت به القدم على الارض
قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا
الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا
وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك
مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال
ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قيل
نزلت هذه الآية في اخوين من بني مخزوم الاسود بن عبد
الاسود بن عبد ياليل وكان كافرا وابي سلمة عبد الله بن عبد
الاسد وكان مؤمنا وقيل اخوان من بني اسرائيل فرطوس
وكان الكافر وقيل كان اسمه قطفير وهو الكافر ويهودا
وهو المؤمن في قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن
رضي الله عنه اسمه يمليخا وهو المذكور في والصافات في
قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انهما ابنا ملك من بني اسرائيل انفق احدهما ماله
في سبيل الله عز وجل وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية
ماله وعن مكي رضي الله عنه انهما رجلان من بني اسرائيل
شريكان في مال كان قدره ثمانية آلاف دينار فاقتسماها
وروي انهما كانا حدادين اكتسبا مالا وروي انهما
ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر ارضا بالف
وبنى دارا بالف وتزوج امرأة بالف واشترى خدما
ومتاعا بالف واشترى المؤمن ارضا في الجنة بالف فتصدق
واشترى دارا في الجنة بالف فتصدق به وجعل الفا صداقا
للحور العين فتصدق به واشترى الولدان المخلدون بالف
فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر
في حشمه اي بين خدمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق
بماله وقوله في خاتمة تدعي المتجبرين الطالبين
من الرسول صلى الله عليه وسلم طرد الضعفاء المؤمنين بالرجل
الكافر بازاء المتجبرين والرجل المؤمن بازاء ضعفاء
المؤمنين وظاهر بضرب هذا المثل الربط بين هذه الآية
والتي قبلها اذ كان من اشرك انما افتخر بماله وانصاره
وهذا اخذ يزول ويفنى فيصير الغني فقيرا وانما تكون
المفاخرة بطاعة الله عز وجل والتقدير واضرب لهم مثلا قصة

رجلين

دينارا

رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الاعراب ويجوز
ان يكون موضعه نصبا نعتا لرجلين وابهم في قوله عز
وجل جعلنا لاحدهما وتبين انه هو الكافر والشاك في البعث
وابهم سبحانه وتعالى مكان الجنتين اذ لا تعلق بتعيينه
كبير فائدة وذكر ابراهيم ابن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب
البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا
لاخوين فباع احدهما نصيبه من الآخر وانفق في
طاعة الله عز وجل حتى عيره الآخر وجرت بينهما هذه
المحاورة قال فغرقها الله في ليلة واياها عنى
بهذه الآية قال ابن عطية رضي الله عنه وتاملت هذه الهيئة
التي ذكر الله سبحانه وتعالى فان المرء لا يكاد يتخيل اجمل منها
في مكاسب الناس جنتا عنب احاطهما نخل بينهما فسحة
هي مزدرع لجميع الحبوب والماء المعين يسقي جميع ذلك
من النهر وفي ... البخاري رضي الله عنه جنتين من اعناب
اي بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين
في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة وقرا
الجمهور كلتا الجنتين وفي مصحف عبد الله كلا الجنتين
آتى فيها بصيغة المضارع اي بصيغة التذكير لان تانيث
الجنتين مجازي ثم قرا آتت فانث ضمير ...
فصار نظير قولهم طلع الشمس واشرقت وقال الفراء في
الذي تليه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه كل الجنتين
اتى اي كل ثمره انتهى فاعاد الضمير على كل وقال الزمخشري
رضي الله تعالى عنه جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه
ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها
ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب
الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير
نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب
فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها
والاكل الثمر وقرا الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم
وقال الفراء انما شدد الجيم من قوله وفجرنا لان هو نهر
واحد لان النهر قد يمتد منه انهار كثيرة متفرعة منه
فكان التفجير فيه كله اعلم سبحانه وتعالى ان شربهما
كان من نهر واحد وهو من اغزر الشرب واطيبه ايضا
وقرا الاعمش وسلام ويعقوب وعيسى ابن عمر بتخفيف الجيم

كما قرأ ابن عمر في سورة القمر والتشديد في سورة القمر
أظهر لقوله عيونا وقوله نهرا وانتصب خلالهما على
الظرف أي وسطهما وكان النهر يجري من داخل الجنتين
وقرأ الجمهور نهرا بفتح الهاء وقرأ أبو السمال والفياض
ابن غزوان وطلحة بن سليمان بسكون الهاء وقرأ
ابن عباس ومجاهد وابن عامر وحمزة والكسائي
وابن كثير ونافع وجماعة من قراء المدينة ثمر وبثمره
بضم الميم والثاء المثلثة جمع ثمار وقرأ الأعمش
وأبو رجاء وأبو عمرو بإسكان الميم فيهما تخفيفا أو جمع
ثمرة كبدنة وبدن وقرأ أبو جعفر والحسن وجابر
ابن زيد والحجاج وعاصم وأبو حاتم ويعقوب عن رويس
عنه بفتح الثاء والميم فيهما أيضا وقرأ رويس عن يعقوب
ثمر بضمهما وبثمره بفتحهما في من قرأ بالضم قال ابن عباس
وقتادة رضي الله تعالى عنهما الثمر جميع المال من الذهب
والحيوان وغير ذلك من المال النامية •
فمن لأنه أتت الأموال كلها • وما أثمر من مال وغيره لك
وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه يراد بها الذهب والفضة خاصة
وقال ابن زيد رضي الله تعالى عنه هي الأصول فيها الثمر وقال أبو عمرو
ابن العلاء الثمر المال فعلى هذا المعنى أنه كانت له
إلى الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان
متمكنا من عمارة الجنتين وأما من قرأ بالفتح فلا إشكال
أنه يعني به حمل الشجر وقرأ أبو رجاء في رواية ثمر
بفتح الثاء وسكون الميم وفي مصحف أبي وآتيناه ثمرا
كثيرا وينبغي أن يحمل تفسيرا ويظهر من قوله فقال لصاحبه
أنه ليس أخاه وهو يحاوره جملة حالية والظاهر أن ذا
الحال هو القائل أي يراجعه الكلام في إنكار البعث وفي
الإشراك بالله عز وجل وقيل هي حال من صاحبه أي المسلم كان
يحاوره بالوعظ والدعاء إلى الله وإلى الإيمان بالبعث أنا
والظاهر كون أفعل للتفضيل وأن صاحبه كان له مال ونفر
ولم يكن مثله وقد ذكر أهل التاريخ أنه جاء نسيفطيندس
ويدل على ذلك قوله إن ترن أنا أقل منك مالا
وولدا وهذا كان على عادة الكفار في الافتخار بكثرة المال
وعزة العشيرة والتكثر والاغترار بما لا دوام له من حطام الدنيا ومقالته
تلك لصاحبه بأن أمثاله عيينة والأقرع لرسول الله عليه الصلاة
والسلام نحن سادات العرب وأهل الوبر والمدر فنح عنا سلمان

وقريناه

وقريناه وعنى بالنفر الأنصار وحشمه أي كثرة خدمه
وقيل أولادا ذكورا لأنهم كانوا ينفرون معه بخلاف
الإناث أي دون الإناث واستدل على أنه لم يكن أخاه
بقوله وأعز نفرا إذ لو كان أخاه لكان نفره وعشيرته
نفر أخيه وعشيرته وعلى القول بأنهما الأخوان لا يرد
هذا إذ أراد من النفر كما لم يرد بالتي هي مشتركة
بينهما فتردد وأما ودخل جنته في قوله ودخل جنته من
حيث الوجود كذلك لأنه لا يدخلهما معا في وقت واحد
وقال الزمخشري رضي الله عنه فإن قلت لم أفرد
الجنة بعد التثنية قلت معناه والله أعلم ودخل
ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة
التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير
ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما انتهى ولا يتصور
ما قال لأن قوله ودخل جنته إخبار من الله سبحانه
وتعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد أن قصد في الإخبار
أنه دخل إحدى جنتيه إذ لا يمكن أن يدخلهما معا في
وقت واحد والمعنى ودخل جنته يري صاحبه ما
عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه جملة حالية
أي وهو كافر بنعم ربه متبختر بملكه شاك في نفاد ما هو فيه
وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه والظاهر أن الإشارة
بقوله هذه إلى الجنة التي دخلها وعنى بالأبد أبد حياته وذلك
لطول أمله وتمادي غفلته والحسن قد أخذ شكلها مما أوتي
من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها من
الحسن والنضارة والبهجة والحسن يقتضي أن الحال الذي
باشرها غير باقية أو تكون فإنما يقدم العالم وإنما هو به
هذه الجنة أن تبيت أشجارها وأثمارها فتخلفها أشجار
أخر وكذا هكذا إلى هكذا دائما وبعيد قول من قال
يحتمل أن يشير بهذه إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع
المخلوقات وذلك كله هذا أخطأ أن المحاورة التي كانت بينهما
هي في فناء هذا العالم الذي تعد الجنة جزءا منه وفي البعث
الأخروي وأن صاحبه كان قد تقرر له بعض من الأمرين
وهو شك فيهما ثم أقسم على أنه إن رد إلى ربه على سبيل
الفرض والتقدير وقياسا للأخرى على الدنيا وكما زعم صاحبه
ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا قطعا أي نظما
وتمنيا على الله عز وجل وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه

ما أولاه الحسنى في الدنيا إلا استحقاقه بذاته معه هذا
الاستحقاق أي بتحقيقه كقوله إن لي عنده للحسنى وأما
ما حكى الله عز وجل عن ما قاله العاص بن وائل لأوتين
مالا وولدا فليس على حد ما لزمه هذا الصاحب لأن
العاص قصد الاستخفاف فإنه لو خصم على التكذيب ولهذا
قال ما معناه إن كان ثم رجوع فسيكون حالي كذا أو كذا
وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي وأبو بحرية وأبو جعفر
وشيبة وابن محيصن وحميد وابن مناذر ونافع وابن
كثير وابن عامر منهما على التثنية وعود الضمير على الجنتين
وكذا هو مكتوب في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام
وقرأ الكوفيون وأبو عمرو منها على التوحيد وعود
الضمير على الجنة المدخولة وكذا هو في مصاحف أهل
الكوفة والبصرة ومعنى منقلبا عاقبة ومرجعا
أي منقلب الآخرة ويقال هو خير من منقلب
الدنيا لزوالها وانتصب منقلبا على التمييز المنقول من لثباتها
المبتدأ. قوله عز وجل قال له صاحبه وهو يحاوره
أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك
رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا
أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا
أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره
فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها
ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه
من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير
ثوابا وخير عقبا. وهو يحاوره حال من الفاعل وهو
صاحبه المؤمن. وقرأ أبي وهو يخاصمه وهي قراءة
تفسير لا قراءة رواية لمخالفته سواد المصحف ولأن الذي
روي بالتواتر هو يحاوره لا يخاصمه وأكفرت استفهام إنكار
وتوبيخ حيث أشرك مع الله عز وجل غيره وقرأ ثابت البناني
ويلك أكفرت وهو تفسير معنى التوبيخ والإنكار لا قراءة
ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نبهه على أصل
نشأته وإيجاده بعد العدم وأن ذلك دليل على جواز
البعث من القبور ثم يحتم ذلك إخبار الصادقين
وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وقوله خلقك من تراب

اما ان

أما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم عليه الصلاة
والسلام وخلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له
أو أريد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب
فنبهه أولا على ما تولد منه ماء أبيه ثم نبهه ثانيا
على النطفة التي هي ماء أبيه وأما ما نقل من أن ملكا
وكل بالنطفة يلقي فيها قليلا من تراب قبل دخولها
في الرحم فيحتاج ذلك إلى صحة نقل ثم نبهه على تسويته
رجلا وهو نطفة معتد لأن صحيح الأعضاء وقيل رجلا م
إذا أنشأه قد استوى وقيل ذكره بنعمة الله عليه في
جعله خلقا مستويا أي مستوي القامة وقيل
ذكره بنعمته عليه في كونه خلقه رجلا ولم يخلقه أنثى
فنبهه بهذه التنقلات على كمال قدرته وأنه لا يعجزه
شيء قال الزمخشري رضي الله عنه معنى قوله تعالى
الذي خلقك فسواك فعدلك أي كملك إنسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه
لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا انتهى و
وانتصب رجلا على الحال وقال الحوفي رضي الله عنه رجلا
نصب بسواك أي جعلك رجلا فظاهره أنه عدى
سوى إلى اثنين ولما لم يكن الاستفهام استفهام الإعلام الاستعلام
وإنما هو استفهام إنكار وتوبيخ فهو في الحقيقة تقرير
على كفره وإخبار عنه به فتحقق معناه فقد كفرت بالذي
استدرك هو مخبرا عن نفسه فقال لكنا هو الله ربي إقرارا
بتوحيد الله عز وجل وأنه لا يشرك به غيره وقرأ
الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير ونافع في رواية ورش وقالون
لكن بتشديد النون بلا ألف في الوصل وبالألف في الوقف
وأصله ولكن أنا فحذفت فنقلت حركة الهمزة إلى النون لكن
وحذفت الهمزة فالتقى مثلان فأدغم أحدهما في الآخر
وقيل حذفت الهمزة من أنا على غير قياس فالتقت
نون لكن وهي ساكنة مع نون أنا فأدغمت فيها وأما
في الوقف فإنه أثبت ألف أنا وهو المشهور في الوقف على
أنا وأما في الوصل فالمشهور حذفها وقد أبدلها الألف
في الوقف أبو عمرو في رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه
وقال ابن عطية رضي الله عنه وروى هارون عن أبي
عمرو لكنه هو الله ربي بضمير لحق لكن
وقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيلي وزيد بن علي والحسن

والزهري وابو بحرية ويعقوب في روايته وابو عمرو في رواية وكردم
وورش في رواية وابو جعفر باثبات الالف وقفا ووصلا
اما في الوقف فظاهر واما في الوصل فجريا على تثبيتها
فيه في الكلام وغيره في الاضطرار اجراء على لغة بني تميم
وعن ابي جعفر حذف الالف وصلا ووقفا وذلك
من رواية الهاشمي وذكر اثباتها في الوصل بعض على انه
ارضى ذلك لكن انا قال الزمخشري رضي الله عنه
وحسن ذلك يعني اثبات الالف في الوصل وقوع الالف
عوضا من حذف الهمزة انتهى ويدل على ذلك ايضا
قراءة فرقة لكننا بحذف الهمزة وتخفيف النونين
وقال ايضا الزمخشري ونحوه يعني ونحو ادغام نون
لكن في نون انا بعد حذف الهمزة وما احسن ما قيل في ذلك
وترمينني بالطرف اذ انت مذنب • وتقلينني لكن اياك لا اقلي
اي لكن انا لا اقليك انتهى ولا يتعين ما ذكر في البيت
لجواز ان يكون التقدير لكنه حذف اسم لكن وذكروا ان
حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وانشدوا على ذلك
قول الشاعر
فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي • ولكن زنجي عظيم المشافر
اي ولكنك زنجي واجاز ابو علي رضي الله عنه ان يكون
لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع
الادغام لاجتماع المثلين ثم وحد في ربي على المعنى
ولو اتبع اللفظ لقال ربنا انتهى وهو تاويل بعيد
وقال ابن عطية رضي الله عنه ويتوجه في لكنا ان تكون
المشهورة من اخوات ان المعنى لكن قولي هو الله ربي
الا اني لا اعرف من يقرؤها وصلا ووقفا انتهى وذكر ابو القاسم
يوسف بن علي بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل في علم
القراءات من تاليفه ان نصه بحذفها في الحالين يعني الالف
وفي الحالين يعني الوصل والوقف حمصي وابن عتبة وقتيبة
عن الكسائي ويونس عن ابي عمرو يعني بحمصي ابن ابي عبلة
وابا حيوة وابا بحرية وقرا ابي والحسن رضي الله عنهما
لكن انا هو الله على الانفصال وفك من الادغام وتحقيق
الهمزة وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود وقرا عيسى الثقفي
رضي الله عنه لكن هو الله بغير انا وحكاها ابن خالويه عن
ابن مسعود وحكاها الاهوازي عن الحسن رضي الله عنه فاما
من اثبت هو فانه ضمير الامر والشان وثم قول محذوف

اي لكن انا اقول

لكن انا اقول هو الله ربي وبخه ان يعود على الذي خلقك
من تراب اي انا اقول هو الذي خالقك الله ربي وربي
نعت او عطف بيان او بدل ويجوز ان لا تقدر اقول
محذوفة فيكون انا مبتدا وهو ضمير الشان مبتدا ثان
والله مبتدا ثالث وربي خبره والثالث وخبره خبر
عن الثاني والثاني وخبره خبر عن انا والعائد عليه
هو الياء في ربي وصار التركيب نظير هند هو زيد ضاربها
وعلى رواية هارون يجوز ان يكون هو توكيدا للضمير
المنصوب في لكنه العائد على الذي خلقك ويجوز ان يكون
فصلا لوقوعه بين معرفتين ولا يجوز ان يكون ضميرا
لانه عائد على اسم كان او على اسم لكن من الجملة الواقعة
خبرا لها فقوله ولا اشرك بربي احدا تعريض بشرك
صاحبه وانه مخالفه في ذلك وقد صرح بذلك صاحبه
في قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا وقيل اراد بذلك
انه لا يرى الغنى والفقر الا منه تعالى يفقر من يشاء
ويغني من يشاء وقيل اراد لا اعجز قدرته على الاعادة
فاسوي بينه وبين غيره فيكون اشراكا ثم تعلل اه انت
ولما وبخ المؤمن الكافر وذكره ما ينبغي بر تحضيضه
على ان كان يقول اذا دخل جنته ما شاء الله لا قوة الا بالله
اي الاشياء معقودة بمشيئة الله عز وجل ان شاء ابقاها
وان شاء افناها وان شاء نصر وان شاء خذل ويحتمل ان
تكون شرطية منصوبة بشاء والجواب محذوف اي
اي شيء شاء الله عز وجل كان ويحتمل ان تكون موصولة
بمعنى الذي مرفوعة على الابتداء اي الذي شاء الله كائن
او على الخبر اي الامر ما شاء الله وقوله تحضيضه وفصل
بين الفعل وبينها بالظرف وهو معمول للقول فانت ثم
نصيحة ما تري من القوة فيما يحاوله ويعانيه وان
يجعل القوة لله عز وجل • وفي الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي هريرة رضي الله عنه الا ادلك على كلمة هي من
كنز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا ما شاء الله لا قوة
الا بالله فاذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي
واستسلم ونحوه من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
الا بالله العلي العظيم ثم اردف تلك النصيحة بتنزيهه من الله
عز وجل ونفي نفعه التي تملك ماله وما دعاه من الفقر اليه
فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا اي ان كنت تراني اتوقع من

اي كنوزها

صنع الله عز وجل

واحسانه ان يعطيني جنة هي خير من جنتك لايماني به ويزيل
عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك وقرأ الجمهور
ان ترن انا اقل بالنصب وتصير مفعولا ثانيا للرؤية وهي
علمية لا بصرية لوقوع انا فصلا ويجوز ان تكون توكيدا
للضمير في ترن المنصوب فيكون اقل حالا وقرأ عيسى بن
عمر رضي الله عنه ان ترن انا اقل برفع اقل فوقعا على ان تكون
انا مبتدأ واقل خبرا اي خبر عنها والجملة في موضع مفعول
ترن الثاني ان كانت علمية وفي موضع الحال اذا كانت بصرية
ويدل قوله وولدا على ان قول صاحبه واعز نفرا اعني به
الاولاد اذ قابل كثرة المال بالقلة وكثرة النفر بقلة الولد
والحسبان قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما هو العذاب
وقال الضحاك هو البرد وقال الاعمش هو النار وهو قول الكلبي
ومجاهد رضي الله عنهما وقال ابو زيد رضي الله عنه هو القضاء
المنزل الحادث بالشيء وقال الاخفش رضي الله عنه الحسبان هي
سهام ترمى في مجرى فقلما تخطئ وقيل النبل الصغار وقيل
الصواعق وقيل آفة مجتاحة كل شيء مرتبة اي مهلكة
وتذهبه وقال الزجاج رضي الله عنه هو عذاب حسبان
وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وهذا الترجي ان
كان ذلك ان نوبته في الدنيا فهي انكاء للكافر والاكم اذ يرى حالة
من العناء قد انتقلت الى صاحبه وان كان ذلك ان نوبته
في الآخرة فهو اشرف واذهب مع الخير والصلاح فتصبح صعيدا
ارضا بيضاء لا نبات فيها لا من كرم ولا من نخل ولا من زرع
اذ اصطلم جميع ذلك فبقيت يبابا قفرا تزلق عليها الاقدام لملاستها
اي لا شيء بها والزلق الذي لا تثبت فيه قدم ذهب غراسه
ونباته وسلبت جميع المنافع حتى منفعة المشي فيه فهو وحل
لا ينبت ولا يثبت فيه قدم وقال الحسن رضي الله عنه المراد بقوله
زلقا الطريق الذي لا نبات فيه وقيل الخراب وقال مجاهد
رملا هائلا وقيل ان الارض السبخة وترجى المؤمن لجنة هذا
الكافر انه علوية من السماء او آفة سفلية من الارض وهو غور
مائها فيتلف كل ما فيها من الشجر والزرع وغورا اصلا ومصدر
عن اسم اصبح على سبيل المبالغة و او يصبح معطوف على قوله فيرسل
لان غور الماء لا يتسبب على الآفة السماوية الا ان عنى بالحسبان
القضاء الالهي فحينئذ يتسبب عنه اصباح الجنة صعيدا زلقا
او اصباح مائها غورا وقرأ الجمهور غورا بفتح الغين وقرأ البرجمي
غورا بضم الغين وقرأت فرقة بضم الغين وهمز الواو يعنون والادا

وبواو بعد

وبواو بعد الهمزة فيكون غؤورا كما جاء في مصدر غارت
عينه غؤورا والضمير في له يعود على الماء اي لن يقدر على
طلبه لكونه ليس مقدورا على رده وما غوره الله عز وجل
وحكى الماوردي رضي الله عنه ان معناه لن تستطيع بدلا عنه
بدلا منه وقد حقق الله المؤمن ما رجاه من هلاك ما بيد صاحبه
الكافر وابادته على خلاف ما ظن في قوله ما اظن ان تبيد هذه
ابدا اما خبر تعالى انه احيط بثمره وهو عبارة عن الاهلاك
واصله من احاط به العدو وهو استدارته به من جميع جوانبه
ومتى احاط به ملكه واستولى عليه ثم استعملت في كل اهلاك
ومنه الا ان يحاط بكم وقال ابن عطية رضي الله عنه الاحاطة
كناية عن عموم العذاب والفساد والله اعلم والظاهر ان
الاحاطة كانت ليلا لقوله فاصبح على انه يحتمل ان يكون معنى
فاصبح فصار فلا يدل على تقييد الخبر بالصباح وتقليب
كفيه ظاهر انه يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن
باطن كفيه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها وهي فعلة
النادم المتحسر على شيء قد فقده او فاته وبهذا الوالي استعمل
على فقدان الشيء كما هو مشاهد بين الناس كما يكنى بقبض الكف
والسقوط في اليد وقيل يصفق بيده على الاخرى ويقلب
كفيه ظهرا لبطن وقيل يضع باطن احداهما على ظهرها اي على
ظهر احداهما ولما كانت هذه الفعلة كناية عن الندم عداه تعدية
فعل الندم فقال على ما انفق فيها كانه قال فاصبح نادما على
ذهاب ما انفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عروشها
تقدم الكلام على هذه الجملة في اواخر سورة البقرة وتمنيه انتفاء
الشرك الظاهر انه صدر منه ذلك في حالة الدنيا
على جهة التوبة بعد حلول المصيبة وفي ذلك زجر للكفرة
من قريش وغيرهم لئلا يجيء لهم حال مثل حاله اي حالة يؤمنون
فيها بعد نعم تحل بهم وقيل ان الله ارسل عليها نارا فاحترقت
فتذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه
فتمنى لو لم يكن مشركا وقال بعض المفسرين هي حكاية عن قول
الكافر هذه المقالة في الآخرة ولما افتخر بكثرة ماله وعزة
نفره وحشمه وخدمه وبستانه اخبر سبحانه وتعالى انه لم تكن
له فئة اي جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع
الضمير في ينصرونه على المعنى كما افرد على اللفظ في قوله فئة
تقاتل في سبيل الله واحتمل النفي ان يكون منسحبا على القيد
له والمراد انتفاء الفئة لانتفاء ما هو وصف لها اي الفئة فلا
نصر وما كان منتصرا بقوة عن انتقام الله عز وجل وقرأ الاخوان

ومجاهد وابن وثاب والاعمش وطلحة وابو عمرو وخلف وابو
عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير وابو بكر
فئة بالياء لان تانيث الفئة مجازي وقرا باقي السبعة
والحسن وابو جعفر وشيبة بالتاء وقرا ابن ابي عبلة فئة تقدر
على اللفظ والحقيقة في هنالك ان يكون ظرف مكان للبعد
في الظاهر انه قد اشير به للدار الآخرة اي في تلك الدار الولاية
لله كقوله لمن الملك اليوم وقيل لما نفى عنه الفئة الناصرة في
الدنيا نفى عنه ان ينتصر في الآخرة فقال وما كان منتصرا
هنالك اي في الدار الآخرة فيكون هنالك معمولا لقوله منتصرا
وقال الزجاج رضي الله عنه اي وما كان منتصرا في تلك الحال
والولاية بمعنى هذا مبتدا وخبر وقيل هنالك الولاية لله مبتدا
وخبر والوقف على قوله منتصرا وقرا الاخوان والاعمش وابن وثاب
وشيبة وابن غزوان عن طلحة وخلف وابن سعدان وابو عبيد
الاصبهاني وابن جرير هنالك الولاية بكسر الواو وهي بمعنى
الرياسة والرعاية وقرا باقي السبعة بفتحها يعني بفتح الواو وهي
تكون بمعنى الموالاة والصلة وحكي عن ابي عمرو والاصمعي رضي الله عنهما
ان كسر الواو هنا لحن لان فعالة انما تجي فيما كان صنعة
او معنى متقلدا وليس هنالك تولي امور قال الزمخشري
رضي الله عنه الولاية بفتح الواو النصرة والتولي وبالكسر السلطان
والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك
الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه
تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك
السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال
الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم
اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما شاهد من شوم كفره
ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر
فيها اولياءه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن وصدق
قوله فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من
السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه
انتهى وقرا النحويان وحميد والاعمش وابن ابي ليلى وابن مناذر
واليزيدي وابن عيسى الاصبهاني الحق برفع القاف صفة
للولاية وقرا باقي السبعة بخفضها وصفا لله سبحانه وتعالى
وقرا ابي رضي الله عنه هنالك الولاية الحق لله برفع الحق صفة للولاية
وتقديمها على قوله لله وقرا ابو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن
عبيد وابن ابي عبلة وابو السمال ويعقوب عن عصمة عن ابي عمرو

لله الحق

وابن عيسى

هنالك

لله الحق بنصب الحق اي بفتح القاف فيها قال الزمخشري رضي
الله عنه على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل
وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد رضي الله عنه
من افصح الناس وانصحهم انتهى وكان قدوة الزمخشري رضي
الله عنه وقرا عمرو بن عبيد رضي الله عنه ورحمه
انتهى نترحم عليه ونترضى عنه اذ هو من اوائل اكابر شيوخ المعتزلة
وكان على غاية من الزهد والعبادة فكان اخبار في ذلك الا ان
اهل السنة يطعنون عليه وعلى اتباعه وفي ذلك يقول ابو عمرو
الداني في ارجوزته التي سماها المنبهة هو ابن عبيد شيخ الاعتزال
وشارع البدعة والضلال. وقرا الحسن والاعمش وعاصم
وحمزة عقبا بسكون القاف مع التنوين وعن عاصم عقبى
بالف التانيث المقصورة على وزن رجعى والجمهور بضم القاف
والتنوين والمثل بمعنى العاقبة. المفردات الشيخ
يعني ابا حيان الغراء رضي الله عنه واحده هشيمة وقال
الزجاج رضي الله عنه وكذا رواه ابن قتيبة رضي الله عنه
الهشيم هو كل شي كان رطبا ثم يبس وتفتت ومنه كهشيم
المحتظر وهشمت الثريد واصل الهشيم المتفتت من
اليبس لعشب. ذراه واذراه لغتان فرق وقال ابو عبيدة
رضي الله عنه وقال ابن كيسان رضي الله عنه تذروه تجيء
به وتذهب وقال الاخفش ترفعه. غادر ترك من الغدر
ومنه ترك الوفاء ومنه الغدير لما تركه السيل. الصف
الشخص يكون ما بين الاخر في نهايتهم قوفا او جلوسا او على
غيرها بين الجانبين طولا او يختلفا بعد منه صف بعضه
والجمع صفوف. العضد العضو من الانسان وغيره معروف
وفيه لغات فتح العين وضم الضاد وسكانها وفتحها وضم العين
والضاد واسكان الضاد ويستعمل في العون والنصير
قال الزجاج رضي الله عنه والاعتضاد التقوي وطلب
المعونة يقال اعتضدت بفلان اي قد استعنت به
الموبق المهلك يقال وبق يبق وبقا وبقي ييبق وبوقا
اذا هلك فهو وابق واوبقته ذنوبه اهلكته. ادحض الحق
ازهقه قال ابن عطية رضي الله عنه واصله من ادحاض القدم
وهو ان لا تثبت قال الشاعر ...... حض
وردت ونجى اليشكري حذاره وحاد كما حاد البعير عن الدحض
وقال آخر ابا منذر رمت الوفاء وهبته وحدت كما
حاد البعير عن الدحض. وفي قول آخر وحدت كما حاد البعير المدحض

وحاد كما كاد

والحوض الطيني الذي يرتفق فيه **الموئل** قال العز رحمه الله عند المنجى يتيأن وإن تفتنه أي تفتن فلان بحث
وقال الأدعي رضي الله عنه. وقد خاب من يرتجي غيلته. وقد يجار بهيم ما يبيد
أي كما يبنون وقال ابن قتيبة المنجا يتيأن وأي ظلال إلى كذا أي لجأ ووئل. **قوله عز وجل واضرب** لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا. لما بين سبحانه وتعالى في المثل الأول حال الكافر وحال المؤمن وما آل إليه ما افتخر به الكافر من الهلاك بين في هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفه إلى الهلاك وكماء قدره ابن عطية رضي الله عنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أي الحياة الدنيا كماء وقال الحوفي رضي الله تعالى عنه الكاف متعلقة بمعنى المصدر أي ضربا كماء أنزلناه وأقول أن كماء في موضع المفعول الثاني لقوله واضرب أي وصير لهم مثل الحياة الدنيا أي صفتها شبه ماء وتقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجملة في قوله إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام أي يونس عليه الصلاة والسلام فأصبح أي صار ولا يراد تقييد الخبر بالصباح فهو كقوله. أصبحت لا أملك السلاح ولا. أملك رأس البعير إن نفرا وقيل هي دالة على التقييد بالصباح لأن الآفات السماوية أكثر ما تطرق أي تأتي ليلا كقوله فأصبح يقلب كفيه. **وقرأ** ابن مسعود رضي الله عنه تذريه من أذرى رباعيا وقرأ زيد بن علي والحسن والنخعي والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن محيصن وخلف وابن

تقدم نظيره

لا أملك البراح

والعياذ بالله تعالى من عمى القلب والهلاك آمين

وابن عيسى وابن جرير الريح على الإفراد والجمهور تذروه الرياح ولما ذكر سبحانه وتعالى قدرته الباهرة في صيرورة ما كان في غاية النضرة والبهجة إلى حالة التفتت والتلاشي إلى أن فرقته الرياح ولعبت به ذاهبة وجائية أخبر سبحانه وتعالى عن اقتداره على كل شيء من الإنشاء والإفناء وغيرهما مما يتعلق به قدرته سبحانه وتعالى ولما حقر سبحانه وتعالى حال الدنيا بما ضرب من المثل ذكر أن ما افتخر به عيينة وأضرابه من المال والبنين إنما ذلك زينة هذه الحياة المحتقرة وأن مصير ذلك إنما هو إلى النفاد فينبغي أن لا يكترث به وأخبر سبحانه وتعالى بزينة المال والبنون على تقدير حذف مضاف أي مقر زينة أو وضع المال والبنين منزلة المعنى والكثرة فأخبر عن ذلك بقوله زينة ولما ذكر ما في الحياة الدنيا إلى فنائها واندرج فيه هذا الجزئي من كون المال والبنين زينة وأنتج أن زينة الحياة الدنيا فانية إذ كان ذلك من أفرادها في الحياة الدنيا وترتيب هذا الإنتاج أن يقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما كان زينة الحياة الدنيا فهو سريع الانقضاء فالمال والبنون سريع الانقضاء ومن بديهة العقل أن ما كان كذلك يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه وهذا برهان على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد. والباقيات الصالحات قال الجمهور رضي الله تعالى عنهم أجمعين هي الكلمات المأثور فضلها وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل رضي الله عنه هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة ورجحه الطبري رضي الله عنه وقول الجمهور مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من طريق أبي هريرة وغيره. وعن قتادة رضي الله عنه هو كل ما أريد به وجه الله عز وجل. وعن الحسن وابن عطاء رضي الله عنهما أنها النيات الصالحة فإن بها تتقبل الأعمال وترفع. ومعنى خير عند ربك ثوابا أنها دائمة باقية وأما خيرات الدنيا فإنها منقرضة فانية. والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضي. وخير أملا أي وخير رجاء لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله عز وجل ونصيبه في الآ

فقراء المؤمنين

دون ذي المال والبنين الغافل عن الباقيات الصالحات
فانه لا يرجوا ثوابا ولا يأمله وذكر سبحانه وتعالى ما يؤول اليه
حال الدنيا من النفاد واعقب ذلك باهوال يوم القيامة
فقال تعالى ويوم نسير الجبال كقوله يوم تمور السماء مورا
وتسير الجبال سيرا وقال في اية اخرى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وقال تعالى في اية
اخرى ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا ولا ارتفاعا
بل تصير كلها مستوية بعضها ببعض وقال سبحانه وتعالى
في اية اخرى واذا الجبال سيرت فالمعنى انه ينسف نظام
هذا العالم الدنيوي ويؤتى بالعالم الاخروي وانتصب
قوله هنا ويوم على اضمار واذكر يوم او بالفعل المضمر
عند قوله لقد جئتمونا اي قلنا يوم كذا لقد وقرا
نافع وحمزة والكسائي والاعرج وشيبة وعاصم وابن مصرف
وابو عبد الرحمن ويوم نسير الجبال بنون العظمة والجبال
بفتح اللام وقرا ابن عامر وابن كثير وابو عمرو والحسن وشبل
وقتادة وعيسى والزهري وحميد وطلحة واليزيدي والزبيري
عن رجاله عن يعقوب بضم التاء وفتح الياء المشددة
مبنيا للمفعول الجبال بالرفع وعن الحسن كذلك الا انه بضم
الياء باثنتين من تحتها وابن محيصن ومحبوب عن ابي عمرو
تسير من سارت الجبال وقرا ابي سيرت الجبال وترى
الارض بارزة اي منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب
والشجر والعمارات او ترى اهل الارض بارزين من بطنها
وقرا عيسى رضي الله عنه وترى الارض مبنيا للمفعول
وحشرناهم اي اقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة
وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لم جيء بحشرناهم
ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم
كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك انتهى والاولى ان تكون
الواو واو الحال لا واو العطف والمعنى وقد حشرناهم
اي يوقع التسيير في حالة حشرهم وكذلك وعرضوا وبدل
وحشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب مما وضع فيه الماضي
موضع المستقبل لتحقق وقوعه وقرا الجمهور نغادر
بنون العظمة وقتادة تغادر على الاسناد الى القدرة او الى
الارض وابان ابن يزيد عن عاصم كذلك او بفتح الدال مبنيا

للمفعول

للمفعول واحدا بالرفع وعصمة كذلك والضحاك نغدر
بضم النون وكسر الدال من اغدر وانتصب صفا
على الحال وهو مفرد تنزل منزلة الجمع اي صفوفا وقد
ورد في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد
صفوفا يسمعهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله
وفي حديث اخر اهل الجنة مائة وعشرون صفا انتم
منها ثمانون صفا الحديث قال الزمخشري رضي الله عنه
وانتصب صفا على المصدر الموضوع موضع الحال اي
مصطفين وقيل المعنى صفا صفا فحذف صفا
وهو مراد وهذا التكرار منبئ عن استيفاء الصفوف الى
اخرها شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
مصطفين ظاهرين ترى جميعهم كما ترى كل واحد
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا معمول لقول محذوف
اي وقلنا كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف اي مجيئا
مثل مجيء خلقكم اي حفاة عراة غرلا كما جاء في الحديث
وخالين من المال ومن الولد وان هنا مخففة من الثقيلة
وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي وهو لن كما فصل
في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وبل للاضراب
بمعنى الانتقال من خبر الى خبر غيره لا بمعنى الابطال
والمعنى ان لن نجعل لاعادتكم وحشركم موعدا اي وعدتم
اي مكان وعد او زمان وعد لاعادة ما وعدتم على
السنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من البعث والنشور
والخطاب في لقد جئتمونا لمنكري البعث على
سبيل تقريعهم وتوبيخهم ووضع الكتاب وقرا زيد
ابن علي رضي الله عنه ووضع مبنيا للفاعل الكتاب
بالنصب والكتاب اسم جنس اي كتب اعمال الخلق
ويجوز ان تكون الصحائف كلها جعلت كتابا واحدا
ووضعته الملائكة لمحاسبة الخلق واشفاقهم خوفهم من
كشف اعمالهم السيئة وفضحهم وما يترتب على ذلك من العذاب
السرمدي وقالوا هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين
الهلكات فقالوا يا ويلتنا والمراد من بحضرتهم كانهم قالوا يا من
بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ما جاء من نداء ما لا
يعقل كقوله يا اسفى على يوسف يا حسرتى على ما فرطت في جنب
الله وقولهم يا عجبا من يحشى من ترك دفنا وقول الشاعر

اي اهل الجنة

يا عجبا لهذه الغفلة. فيا عجبا من رحلها المتحملة.
أيها المراد به تنبيه من يعقل فاتعجب مما حل بالمنادى
ولا ينادى رحمة في موضع الإبعاد وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن ابن جبير
الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن عكرمة الصغائر
المستهزئ بالعبد وعن الفضيل رضي الله عنه ضجوا من
الاستغفار قبل الكبائر وقدمت الصغيرة اهتماما بها
وإذا أحصيت فالكبيرة أحرى أي أحق بالإحصاء قال
الله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
أي ضبطها وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف
عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحدا أي فلا
يكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه الذي يستحقه
أو يعذبه بغير جرم كما زعم الزمخشري رضي الله عنه كما زعم
من ظلمه الله بتعذيب أطفال المشركين أنهم ولا يقال
إن ذلك ظلم منه سبحانه وتعالى لأنه تعالى مالك مماليكه
له فله أن يتصرف في مملكته بما شاء لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون والصحيح في أطفال المشركين أنهم يكونون
في الجنة خدما لأهلها لنص عليه في البخاري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم. قوله عز وجل وإذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن
أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات
والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا
ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار
فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا. ذكر والي
ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه سبحانه وتعالى لما أمر
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمجالسة الفقراء وكان أولئك
المتكبرون قد أنفوا عن مجالستهم وذكروا للرسول عليه
الصلاة والسلام طردهم عنه وذلك لما جبلوا عليه من التكبر
والتكثر بالأموال والأولاد وشرف النسب والأصل
وكان أولئك الفقراء بخلافهم في ذلك ناسب ذكر قصة
إبليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر والافتخار بالأصل
الذي منه خلق هذا الذي ذكره في الارتباط أبو ظاهر
بالنسبة للآيات السابقة قبل ضرب المثلين وأما أنه

واضح

واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا والذي يظهر من ارتباط
هذه الآية بالآية التي قبلها ولو أنه لما ذكر يوم القيامة
والحشر وذكر خوف المشركين مما سطر في ذلك الكتاب
وكان إبليس هو الذي يحمل المشركين على معاصيهم
واتخاذهم شركاء مع الله ناسب ذكر إبليس والنهي عن
اتخاذ ذريته أولياء من دون الله عز وجل تنفيرا
عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به ويتقدم الكلام
في استثناء إبليس هل استثناؤه متصل أم منقطع وهل
هو من الملائكة أم ليس منهم في أول سورة البقرة
فاستغنى عن إعادته في هذا المحل والظاهر في هذه الآية
أنه ليس من الملائكة وإنما كان أصله من الجن وقال
قتادة رضي الله عنه والجن حي من الملائكة خلقوا
من نار السموم وقال شهر بن حوشب هو من الجن الذين
ظفرت بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى
السماء وقال الحسن وغيره هو أول الجن وبدأتهم
كآدم في الإنس وقالت فرقة كان إبليس وجنوده أي
في رواية وقبيله جنا لكن الشياطين الآن من ذريته
فهو كنوح في الإنس وقال الزمخشري رضي الله عنه كان
إبليس من الجن فكان كلاما مستأنفا جاريا مجرى التعليل بعد
استثناء إبليس من الساجدين قال ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء هنا للتسبب أيضا
جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني أنه لو كان ملكا
كسائر من سجد من الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام لم
يفسق عن أمر الله عز وجل لأن الملائكة عليهم الصلاة
والسلام معصومون ألبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على
الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة
الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون
بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم أنه كان
ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ثم وركه على قول لابن عباس رضي الله عنهما انتهى والظاهر
أن معنى ففسق عن أمر ربه فخرج عن طاعة أمر ربه بترك السجود
قال رؤبة يهوين في نجد وغورا غائرا. فواسقا عن قصدها
وقيل ففسق يعني صار فاسقا كافرا بسبب مخالفته الأمر
بالسجود وعدم امتثاله لما أمره الله الذي هو قوله اسجدوا لآدم

فاستغنى عن إعادته

كأن فائدة

فلم يحتمل ان يكون المعنى ففسق بما امر به اي بسببه
فتعنا(?) به لان السببية تطلق عليها امر كما تقول
فعلت كذا عن امرك اي بحسب مرادك والهمزة في قوله
افتتخذونه للتوبيخ والانكار والتعجب اي ابعد ما ظهر
منه من الفسق والعصيان تتخذونه وذريته اوليا
من دوني مع ثبوت عداوته لكم تتخذونه وليا وقرأ
عبد الله ابن عباس على المنبر وهو يخطب افتتخذونه
وذريته بفتح الذال وقيل ان لابليس ذرية وقال
بذلك قوم منهم قتادة والشعبي وابن زيد والضحاك
والاعمش قال قتادة رضي الله عنه ان ابليس ينكح
وينسل كما ينكح بنو آدم ويتناسل بنو آدم وقال الشعبي
لا يكون ذرية الا من زوجة وقال ابن زيد ان الله
عز وجل قال لابليس اني لا اخلق لادم ذرية الا ذرات
لك مثلها فليس يولد لولد آدم ولد الا ولد معه
شيطان يقرن به وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الك شيطان قال نعم الا ان الله عز وجل اعانني
عليه فاسلم وسمى الضحاك وغيره من ذرية ابليس جماعة
الله اعلم بصحة ذلك ولذلك ذكروا كيفيات في
وطئه وانه يسافد نفسه بنفسه وذهب قوم الى انه
ليس لابليس ولد وانما الشياطين هم الذين يعينونه
على بلوغ مقاصده والمخصوص بالذم محذوف اي بئس
للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال للظالمين
لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم الله
ولايتهم ابليس وذريته وهذا بعينه الظلم لانه وضع
الشيء في غير موضعه وقرأ الجمهور ما اشهدتهم بتاء
المتكلم وقرأ ابو جعفر وشيبة والسختياني وعون
العقيلي وابن مقسم ما اشهدناهم بنون العظمة والظاهر
عود ضميري المفعول في اشهدتهم على ابليس وذريته اي ما
شاورتهم في خلق السموات والارض ولا في خلق انفسهم بل
خلقتهم على ما اردت ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين
عضدا وقال الزمخشري رضي الله عنه يعني انكم اتخذتموهم
شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها
لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله
ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم
في خلقها ولا في خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم

خلق بعض

خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين
اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال
فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء
في العبادة انتهى وقيل يعود على الملائكة والمعنى
انه ما اشهدهم ذلك ولا استعان بهم في خلقها بل انه
خلقهم ليطيعوه ويعبدوه فكيف تعبدونهم
وقيل يعود على الكفار وقيل على جميع الخلق وقال ابن
عطية رضي الله عنه الضمير في اشهدتهم عائد على
الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الاية الرد على طوائف
من المنجمين واهل الطبائع والمتحكمين الاطباء وسواهم
من كل من يتخوض في هذه الاشياء وقال عبد الحق رضي
الله عنه وبه قال عبد الله ابن الفضلي(?) رضي الله عنه
وقال هذا التاويل في هذه الاية وانها رادة على
هذه الطوائف وذكر هذا بعض الاصوليين انتهى
ذلك والله اعلم وقرأ ابو جعفر والجحدري والحسن
وشيبة وما كنت متخذ بفتح التاء خطابا للرسول
عليه الصلاة والسلام قال الزمخشري رضي الله عنه
والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان
تعتز بهم انتهى والذي توجه القراءة المعروفة اخبار
من الله عن نبيه عليه الصلاة والسلام وخطاب منه
تعالى له بانتفاء كينونته متخذ عضدا من المضلين
بل هو منذ كان ووجد عليه الصلاة والسلام وهو
في غاية التبري منهم والبعد عنهم لتعلم امته انه لم يزل
محفوظا من اول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال اليه
صلى الله عليه وسلم وقرأ الامام علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه وما كنت متخذا المضلين بالتنوين ونصب المضلين
اعمالا لاسم الفاعل وقرأ عيسى عضْدا بسكون الضاد
وقرأ الحسن وعكرمة عُضْدا بسكون الضاد وضم
العين مع سكون الضاد ونقل حركتها الى العين
وقرأ عيسى عَضْدا بفتح العين وسكون الضاد
خفف فعلا كما قالوا رجْل وسبْع في رجُل وسبُع وهي
لغة عن تميم وعنه ايضا بفتحتين وقرأ شيبة وابو عمرو
رضي الله عنهما في رواية هارون وخارجة والخفاف
وابو زيد عُضُدا بضم العين والضاد معا وعن الحسن
عَضَدا بفتح العين والضاد وعنه ايضا بضمتين وقرأ

عضدًا بكسر العين وفتح الضاد وقرأ الجمهور ويوم يقول
بالياء اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وطلحة ويحيى وابن وثاب
وابن ابي ليلى وحمزة وابن مقسم نقول بنون العظمة
اي للذين يشركون به في الدنيا وجعلوا له شركاء نادوا شركائي
وليس المعنى انه سبحانه وتعالى اخبرهم شركاؤه ولكن ذلك
على زعمكم والاضافة تكون بادنى ملابسة ومفعول
زعمتم محذوف واثبات لدلالة المعنى عليه اي الذين زعمتم
انكم زعمتموهم شركائي والنداء هنا بمعنى الاستغاثة
اي استغيثوا بشركائكم والمراد بذلك اي نادوهم لدفع
العذاب عنكم او للشفاعة لكم والظاهر من معنى ذلك كله
ان الضمير في بينهم عائد على الداعين والمدعوين اي
المدعوين وهم المشركون والشركاء وقيل يعود على اهل
الهدى واهل الضلالة فالظاهر وقوع الدعاء حقيقة
وانتفاء الاجابة وقيل يحتمل ان يكون استعارة كانه
فكرة الكافر نظر في ان تلك الجمادات لا تغني شيئا ولا تنفع
فهي بمنزلة الدعاء وترك الاجابة وقرأ الجمهور كلهم
شركائي الذين ممدودًا مضافا للياء وابن كثير في رواية
وانه كان يقصر الهمزة مع سكون الياء مضافا لها ايضا
كما تقدم والظاهر انتصاب بينهم على الظرف وقال
الفراء رضي الله عنه البين هنا الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا وقرأ عليهم يوم القيامة فعلى
هذا يكون مفعولا اول لجعلنا وعلى الظرف يكون في
موضع المفعول الثاني • وقال ابن عطية وقتادة والضحاك
الموبق المهلك وقال الزجاج رضي الله تعالى عنه جعلنا
بينهم من العذاب ما يوبقهم اي يهلكهم وقال عبد الله بن
عمرو وانس ومجاهد رضي الله عنهم اجمعين المراد بموبقه
عز وجل وجعلنا بينهم موبقا قيل هو واد في جهنم يجري
بدم وصديد وقال الحسن رضي الله عنه الموبق هو
كثرة العداوة والبغضاء وقال الربيع ابن انس رضي الله عنه
انه المجلس وقال ابو عبيدة الموعد وراى المجرمون
النار قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالرؤية هنا رؤية البصر
اي عاينوها مشاهدة وعيانا والظن هنا قيل على
موضوعه من كونه ترجيح احد الجائزين ومعنى ظنوا ايقنوا
وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاء وطمعا في رحمة الله
عز وجل وقيل معنى فظنوا اي ايقنوا قاله اكثر المفسرين

ومعنى

ومعنى مواقعوها اي مخالطوها وداخلون فيها لقوله وظنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وانهم اليه راجعون وقد قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه
اطلق الناس هنا ان الظن بمعنى اليقين ولو قال بدل
ظنوا ايقنوا لكان الكلام متسقا على مبالغة فيه ولكن
العبارة بالظن لا تجيء ابدا في موضع يقين تام قد ناله
الحس بل اعظم درجاته ان تجيء في موضع علم متحقق
لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع ويحس لا يكاد
توجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتامل
هذه الاية وتامل ذلك كله الى اليقين وقد قيل
اي ولو قوله وقد يدري رضي الله عنه
• فقلت لهم ظنوا باللغة مدحج • انتهى وفي مصحف
ها عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فظنوا انهم ملاقوها مواقعوها
وقراءة كذلك الاعمش وابن غزوان عن طلحة رضي الله عنه
والاولى جعله تفسيرا لا قراءة لمخالفته سواد المصحف
ة وعن علقمة رضي الله عنه انه قرأ ملتفوها اي مجتمعون
من لففت وفي الحديث ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها
مواقعته من مسيرة اربعين سنة ومعنى مصرفا اي
معدلا ومراغا ومنه قول ابي كبير الهذلي رضي الله عنه
ازهير هل عن شيبة من مصرف • ام لا خلود لباذل متكلف
واجاز ابو معاذ رضي الله عنه مصرفا بفتح الراء وفي قراءة
زيد ابن علي رضي الله عنه جعله مصدرا كالمضرب
لان مضارعه يصرف على يفعل كيضرب • ولقد صرفنا
في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر
شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم
العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا
اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا • تقدم تفسير نظير صدر
هذه الاية وشيء هنا مفرد معناه الجمع اي اكثر الاشياء التي

اعطا يقع فيها المعالة

قوله عز وجل ولقد صرفنا

عرضى

تعالى منها الجدال

أن فصلناها واحدًا بعد واحد جدلًا خصومة ومماراة يعني
أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم
مبين وانتصب قوله جدلا على التمييز قيل الإنسان
هنا النضر ابن الحارث وقيل ابن الزبعرى وقيل أبي
ابن خلف وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رمّ فقال
في كيف بعد أن تنشئه فقال أيقدر الله على إعادة
هذا فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم بلى قادر على
إعادته وذكر لك ابن السائب قيل كل من يعقل من ملك
وجن يجادل والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا لأن جدله لا
ينتهي وكثيرا ما يذكر الإنسان في معرض الذم وقد تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكان الإنسان
أكثر شيء جدلا حين عاتب سيدنا ومولانا علي ابن أبي طالب
كرم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل فقال له سيدنا
علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إنما نفسي بيد الله عز وجل
فاستعمل الإنسان على العموم وفي قوله وما منع الناس
أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الآية تأسف عليهم وتنبيه
على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا
ليجيئهم العذاب وإنما امتنعوا هم مع اعتقادهم أنهم مصيبون
لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا فكأن حالهم تقتضي
التأسف عليهم والناس يراد بهم كفار عصر الرسول عليه
الصلاة والسلام الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها
قاله ابن عطية رضي الله عنه وقال الأخفش رضي الله
عنه أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلهما مضاف
محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان إلا انتظار
أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم
العذاب يعني عذاب الآخرة انتهى وهو منتزع من
قول الزجاج رضي الله عنه وقال الزجاج رحمه الله تعالى
تقديره ما منعهم من الإيمان إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين
وقال الواحدي رضي الله عنه المعنى ما منعهم إلا أني قد
قدرت عليهم العذاب وهذه الآية في من قتل ببدر وأحد
من المشركين وهذا المعنى نحو من قولهم قال الشيخ
وما منع الناس أن يؤمنوا إلا ما سبق في علمنا وقضائنا أن يجري
عليهم سنة الأولين من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة
والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك وأراد بالأولين
من أهلك من الأمم السالفة وقال صاحب الغنيان الإرادة

أو انتظار

أو انتظار أن تأتيهم سنتنا في الأولين وهي قولهم اللهم إن كان
هذا أو الطلب فإنما ذلك لأن عنادهم عدم صدق الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام فيما وعدوا به من العذاب كما قال
تعالى حكاية عن بعضهم إن كان هذا هو الحق من عندك
وقيل ما لمنا استفهامية لا نافية والتقدير وأي شيء
منع الناس أن يؤمنوا والمراد بالهدى هو القرآن أو الرسول
صلى الله عليه وسلم أو ألفاظ القرآن وقرأ الحسن والأعرج
والأعمش وابن أبي ليلى وخلف وأيوب وابن سعدان وابن عيسى
الأصبهاني وابن جرير والكوفيون بضم القاف والباء فاحتمل
أن يكون بمعنى قبلا لأن أبا عبيدة حكاهما بمعنى واحد
في المقابلة وأن يكون جمع قبيل أي يجيئهم العذاب
أنواعا وألوانا وقرأ باقي السبعة ومجاهد وعيسى
ابن عمر قبلا بكسر القاف وفتح الباء ومعناه مشاهدة
وعيانا وقرأ أبو رجاء والحسن أيضا بضم القاف
وسكون الباء وهو تخفيف قبل على لغة تميم وذكر ابن قتيبة
أنه قرئ قبلا بفتحتين وحكاه الزمخشري رضي الله عنه
وقال مستقبلا وقرأ أبي ابن كعب وابن غزوان عن
طلحة قبيلا بفتح القاف وباء مكسورة بعدها ياء
على وزن فعيل وما نرسل المرسلين إلا مبشرين أي
بالنعيم لمن آمن ومنذرين أي بالعذاب الأليم
لمن كفر لا ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات ليدحضوا
أي ليزيلوا به الحق فاتخذوا آياتي أي جميع آيات القرآن
وعلامات نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا
وما أنذروا من عذاب الآخرة واحتملت ما أن تكون
بمعنى الذي والعائد محذوف أي وما أنذروه
أو أن تكون مصدرية أي وإنذارهم فلا تحتاج إلى عائد
على الأصح هزوا أي سخرية ولعبا فإنهم قالوا للرسل عليهم
الصلاة والسلام وقولهم هذه أساطير الأولين ولو نشاء لقلنا
مثل هذا وجادلهم الرسل بقولهم ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو
شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك من ألفاظهم عز
القبيحة في الآيات المضافة إلى الرب عز وجل هي القرآن
ولذلك عاد الضمير مفردا في قوله أن يفقهوه وأعرض
عنها ونسي ما قدمت يداه أي ذكر ولم يتدبرها ونسي عاقبة
ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر
في أن المحسن والمسيء يجزيان بما عملا وتقدم تفسير قوله إنا جعلنا

على قلوبهم أكنة

ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا (اي صمما) ثم اخبر سبحانه وتعالى انهم لن
لا يهتدون ابدا وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من
طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر اذ قد اهتدى
كثير من الكفرة (من الكفار) وآمنوا ويحتمل ان يكون ذلك حكما على
الجميع اي وان تدعهم الى الهدى جميعا فلن يهتدوا اذا
جميعا ابدا وحملوا اولا على اللفظ من افراده ثم حمل على
المعنى في قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
فحصل من ذلك كله في هذه الاية وقد جعلوا دعوة
الرسول صلى الله عليه وسلم الى الهدى وهي التي تكون سببا
لوجود الاهتداء سببا لانتفاء هدايتهم فهذا الشرط
كانه جواب للرسول (صلى الله عليه وسلم) عن تقدير قوله مالي لا ادعوهم الى
الهدى حرصا منه صلى الله عليه وسلم على حصول ايمانهم
واهتدائهم بمعنى قيل له صلى الله عليه وسلم وان تدعهم فتقييده
باذا تدعه مبالغة في انتفاء هدايتهم والغفور صيغة
مبالغة وذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة ثم ذكر سبحانه وتعالى
دليل رحمته وهو كونه سبحانه وتعالى لا يواخذهم عاجلا
بل يمهلهم مع افراطهم في الكفر وعداوة الرسول عليه الصلاة
والسلام والموعد اجل الموت او عذاب الاخرة او يوم بدر
او يوم بدر وايام النصر او العذاب اما في الدنيا واما في الاخرة
اقوال هذا مراد فذو الموئل قال مجاهد رضي الله تعالى
عنه المحرز وقال الضحاك رضي الله عنه هو المخلص وقال
ابن عطية رضي الله عنه الملجا من دونه عائد على الموعد
وقرا الزهري مولا بتشديد الواو وحذف الياء والهمزة
وقرا ابو جعفر عن الحلواني عنه مولا بفتح الميم وكسر
الواو خفيفة من غير همز ولا ياء وقرا الجمهور كلهم بسكون
الواو وبهمزة بعدها مكسورة واشار سبحانه وتعالى بقوله
وتلك القرى اي القرى المجاورة لاهل مكة والعرب كقرى
ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بما جرى عليهم وبما حل بهم
وليحذروا ما حل بهم كما حل بتلك القرى والخبر اهلكناهم
جملة حالية كقوله تعالى (عز وجل) فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ويجوز
ان يكون تلك منصوبا باضمار فعل يفسره ما بعده اي
واهلكنا تلك القرى وذلك القرى على اضمار مضاف اي
واصحاب تلك القرى ولذلك اعاد الضمير على ذلك المضمر في
قوله اهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وفي

الظلم

الظلم وبعد ما استدل الاستاذ ابو الحسن بن عصفور وغيره
على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة
فيه على العلية وفي قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته
الهلاك وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد
ويحتمل الموعد ان يكون مصدرا او زمانا وقرا الجمهور
بضم الميم وفتح اللام واحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى
المفعول وان يكون زمانا وقرا حفص وهارون عن
ابي بكر بفتحتين وهو زمان الهلاك وقرا حفص بفتح
الميم وكسر اللام مصدر هلك يهلك وهو مضاف هنا للفاعل
وقيل هلك يكون لازما ويكون متعديا فعلى تعديته
يكون مضافا للمفعول وانشد ابو علي رضي الله عنه في ذلك
قال • ومهمه هالك من تعرجا • فلا نعين ما قال الشيخ
ابو علي رضي الله عنه في هذا البيت بل قد ذهب بعض النحويين
الى ان هالكا فيه لازم وانه قد يكون من باب الصفة
المشبهة والصحيح جواز ذلك وقد ثبت كثيرا منه في
بعض اشعار العرب • قال الشاعر وهو عمر بن ابي ربيعة
استلاف لاه بدران دقاق خصورها • وشرات ما التفت عليه
وقال اخر ايضا • فحجتها فضل الاخيار متسلة •
• والطيب كل ما اتاتت به الارض •

المفردات

برح زال مضارع يزول ومضارع يراك فيكون ذلك من
اخوات كان الناقصة الحقب السنون واحدها حقبة
قال الشاعر فان تنا عنها حقبة لا تلاقها • فانك مما
وقال الفراء رضي الله عنه الحقب سنة وياتي في اخر التفسير
فيه ان شاء الله سبحانه وتعالى السرب المسلك في جوف
الارض النصب التعب والمشقة الصخرة معروفة
وهي حجر كبير السفينة معروفة قد تجمع على سفن وسفينا
وقد تحذف التاء فيقال سفين وهو مما بينه
وبين مفرده التاء الثانية وهو كثير في المخلوق نادر في
المصنوع نحو عمامة وعمام وقال الشاعر يصف في معنى
متى تاتيه تاتي لج بحر • تقاذف في غواربه السفين (السفن)
الامر الشنيع من الامور كالداهية والاد ونحوه الجدار
معروف ويجمع على جدر وجدران انقض سقط ومنه
ابيات معاياة الاعراب
مررنا ابتقص على كوكب • عفرت جن في الدجاء الاجدل
عاب الرجل يعيب اذا اوقعنا فيه مذمة وعاب السفينة اي احدث (فيها ثقبا يعيبونه به)

قوله عز وجل وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو
أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في
البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت
الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في
البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا
فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من
لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت
رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم
تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي
لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث
لك منه ذكرا ۝ موسى المذكور في هذه الآية الكريمة
هو موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ولم يذكر الله سبحانه
وتعالى في القرآن موسى غيره ومن ذهب إلى أنه غيره وهو موسى
ابن ميشا بن يوسف أو موسى بن افرائيم بن يوسف فقوله
لا يصح ولا يلتفت إليه مثل ما ثبت في الأحاديث الصحيحة
وفي البخاري أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل والمرسل
هو وأخوه هارون إلى فرعون وفتاه هو يوشع بن نون بن
افرائيم بن يوسف بن يعقوب والفتى الشاب ولما كان
الخدم أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن
الأدب وندبت الشريعة إلى ذلك ففي الحديث لا يقل أحدكم
عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي وقال لفتاه
لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم ويقال
إن يوشع كان ابن أخت موسى عليه الصلاة والسلام وسبب
هذه القصة أن موسى عليه الصلاة والسلام جلس يوما في
مجلس لبني إسرائيل فأبلغ فسئل هل تعلم أحدا أعلم منك
قال لا فأوحى الله عز وجل إليه أن يسير بطول سيف البحر
حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا افتقد الحوت فإنه هنالك فيفعل
موسى ذلك وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة لا أبرح
أي لا أزال أجد وأمشي حتى أصل إلى ذلك المقصد
الحسن قال ابن عطية رضي الله عنه وإنما قال هذه المقالة
وهو سائر ومن هذا قول الفرزدق ۝
فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ۝ ببطحاء ذي قار عياب اللطائم
انتهى وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر أي لا أبرح أسير
وهي من أخوات كان ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها

لايجوز

لا يجوز وإن دل الدليل على حذفه إلا ما جاء في الشعر من قوله
لهفي عليك للهفة من خائف ۝ يبغي جوارك حين ليس مجير
أي حين ليس في الدنيا فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول
من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان
بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد
حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال
فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع
البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد
أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر
فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير
المتكلم فانقلب الفعل عن ضمير الغائب إلى لفظ المتكلم
وهو وجه لطيف انتهى وهما وجهان خلطهما الزمخشري
رحمه الله تعالى أما الأول فجعل الفعل مسندا إلى المتكلم
لفظا وتقديرا وجعل الخبر محذوفا كما قدره ابن عطية
رضي الله عنه وحتى أبلغ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف
وغاية له والوجه الثاني جعل لا أبرح مسندا من حيث
اللفظ إلى المتكلم ومن حيث المعنى إلى ذلك المقدر
المحذوف فجعله لا أبرح هو حتى أبلغ فهو عمدة إذ
أصله خبر للمبتدأ لأنه خبر أبرح وقال الزمخشري
أيضا ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح عما أنا عليه بمعنى ألزم
المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول
لا أبرح المكان انتهى يعني أن برح يكون بمعنى فارق فيتعدى
إذ ذاك إلى مفعول ويحتاج هذا إلى صحة نقل وذكر الطبري
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ظهر موسى وقومه على مصر
أنزل قومه بمصر فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر
بآلاء الله وأيامه عند بني إسرائيل ثم ذكرهم ما هم عليه من أنه
فيه لا يعلم أحدا أعلم منه قال ابن عطية رضي الله عنه
وما يرى أن موسى عليه الصلاة والسلام أنزل قومه
إلا في هذا الكلام وما أراه يصح بل المتظاهر أن موسى عليه
الصلاة والسلام مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين
وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره الزمخشري
رضي الله عنه فقال روي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني
إسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط أمره الله أن
يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله سبحانه
وتعالى وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا

نخ المروي

فاى الناس اعلم فقال انا فعتبه الله تعالى عليه لكونه حين
لم يرد العلم الى الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليه بل اعلم
منك عبد لي مقيم عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه الصلاة
والسلام وكان في ايام افريدون وقبل موسى وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه الصلاة والسلام
وذكر ايضا في اسئلة موسى عليه الصلاة والسلام انه قال
ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم
منك الخضر عليه الصلاة والسلام انتهى وهذا مخالف لما
ثبت في الصحيح من انه قيل له هل احد اعلم منك قال لا
• ومجمع البحرين قال مجاهد وقتادة رضي الله تعالى
عنهما هو ملتقى بحر فارس وبحر الروم قال ابن عطية رضي الله
عنه وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب
في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي هو
لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين
على هذا القول • وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظي
هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج
منه من دبور الى صبا وعن ابي بن كعب هو بافريقية وقيل هو
بحر الاندلس والقرية التي ابت ان تضيفهما هي الجزيرة
الخضراء وقيل مجمع البحرين بحر ملح وبحر عذب
فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر وقالت
فرقة البحران كناية عن موسى والخضر عليهما الصلاة
والسلام لانهما بحرا علم وهذا شبيه بتفسير الباطنية
وغلاة الصوفية والاحاديث ترد على انهما بحرا ماء
وقال الزمخشري رضي الله عنه من بدع التفاسير ان المراد
بالبحرين موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام لانهما كانا بحرين
في العلم انتهى وقيل ان المراد بالبحرين هنا بحر القلزم وقيل
البحر الاردن • وقرأ الضحاك وعبد الله ابن يسار مجمع
بكسر الميم الثانية والنضر عن ابن مسلم في كل الحروف وهو
شاذ وقياسه من يفعل فتح الميم كقراءة الجمهور والظاهر
ان مجمع البحرين هو اسم مكان جمع البحرين وقيل مصدر وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الحقب الدهر وقال عبد الله بن
عمرو وابو هريرة الحقب ثمانون سنة وقال
الحسن سبعون وقيل سنة واحدة بلغة قريش وذكره
الفراء رضي الله تعالى عنه الحقب الدهر وقال عبد الله ابن
عمرو وابو هريرة ثمانون سنة وقال الحسن سبعون والظاهر

ان قوله

قصة الحوت

ان قوله او امضي معطوف على ابلغ فغايتا احد الامرين
اما بلوغ المجمع واما مضيه حقبا وقيل هي تغيية
لقوله لا ابرح كقولك لالزمنك او تقضيني حقي والمعنى
لا ابرح الا ان اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الا ان
امضي زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين • وقرأ
الضحاك حقبا باسكان القاف وقرأ الجمهور بضمها
بضمها فلما بلغا مجمع بينهما ثم جملة محذوفة التقدير
فسارا فلما بلغا اي موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين
نسيا حوتهما وكان من امر الحوت وقصته ان موسى عليه
الصلاة والسلام حين اوحي اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين
هو اعلم منك قال موسى يا رب وكيف لي به قال تاخذ
معك حوتا تجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت
فهو ثم اي هو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم
انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الى
الصخرة وضعا رؤسهما فنام موسى عليه الصلاة والسلام
فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر
سربا وامسك الله عز وجل عن الحوت جرية الماء
فطار عليه مثل الطاق قيل وكان الحوت مالحا وقيل
كان مشويا وقيل طريا وقيل جعل يوشع الحوت والخبز
والملح في مكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى
عين الحياة فنام موسى عليه الصلاة والسلام فلما اصاب
السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها
وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على
الحوت فعاش ووقع في الماء والظاهر ان نسبة
النسيان الى موسى وفتاه وقيل كان النسيان من احدهما
وهو فتى موسى نسي ان يعلم موسى امر الحوت اذ كان نائما
وقد احس يوشع بخروجه من المكتل الى البحر وراه قد
اتخذ سربا فاشفق ان يوقظ موسى عليه الصلاة والسلام وقال
اؤخر امره الى ان يستيقظ ثم نسي ان يعلمه به حتى ارتحلا
وجاوزا وقد يسند الشيء الى الجماعة وان كان الذي فعله
واحد منهم وقيل هو على حذف مضاف اي نسي احدهما
وقال الزمخشري رضي الله عنه ان نسيا تفقد امره
تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر
بالطلبة وقيل نسي يوشع رضي الله عنه ان يقدمه ونسي
موسى ان يامره فيه بشيء انتهى وقيل بالنسيان مسلك الحوت في الماء

حتى لم يلتئم الماء بعده بل بقي كالطاق هذا الذي ورد في
الحديث وقال الجمهور بقي موضع سلوكه فارغا وقال قتادة
صار جامدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه بقي موضع سربه
حجرا صلدا وقال ابن زيد انما اتخذ سبيله في البحر سربا
في الرجعة وصل الى البحر ثم عام على العادة كانه يعني بقوله
سربا تصرفا وجولانا من قولهم فحل سارب اي مهمل يرعى
حيث شاء ومنه قوله سبحانه وتعالى وسارب بالنهار
اي متصرف وذاهب في مصالحه وقال قوم اتخذ سربا
في التراب من المكتل وصادف في طريقه حجرا فنقبه والظاهر
ان السرب كان في الماء ولا يفسر الا بما ورد في الحديث
الصحيح ان الماء صار عليه كالطاق وهو معجزة لموسى
والخضر عليهما وعلى نبينا وسائر الانبيا والمرسلين افضل الصلاة والسلام
فان كان الخضر نبيا كان ذلك له معجزة وان كان وليا كانت
له كرامة وقيل عاد موضع سلوك الحوت حجرا طريقا وان موسى
عليه الصلاة والسلام مشى عليه متبعا للحوت حتى افضى به
ذلك الطريق الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر فلما جاوزا
اي مجمع البحرين قال الزمخشري رضي الله عنه جاوزا الموعد
وهو الصخرة فلما سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد
الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد
ولم يكن ينصب ولا يجوع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه
وقوله من سفرنا هذا نصبا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة
وقرا الجمهور نصبا بفتحتين وقرا عبد الله بن عبيد
ابن عمير نصبا بضمتين قال صاحب كتاب اللوامح وهي احدى
اللغات الاربع التي فيها قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين
ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل
ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق
ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى
خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب
موسى عليه الصلاة والسلام الحوت قلت قد شغله الشيطان
بوساوسه فذهبت بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من
العجائب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام
انتهى قال ابو بكر غالب ابن عطية والد ابي محمد عبد الحق المفسر سمعت

ابا الفضل

ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى موسى عليه السلام
الى المناجاة فبقي اربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى
الى بشر لحقه الجوع في بعض يوم وقال الزمخشري ارايت
بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التئام هذا الكلام فان
كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق
له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راه منه وما اعتراه
من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن
سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى وكون ارايت بمعنى اخبرني
ذكره سيبويه رضي الله عنه وقد امعنا الكلام على ذلك
في سورة الانعام وفي شرحنا لكتاب التسهيل واما تخريجه
ارايت في هذا الموضع فقال ابو الحسن الاخفش رضي الله عنه
ان العرب اخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا ارايتك
وارايتك بحذف الهمزة اذا كانت بمعنى اخبرني واذا كانت
بمعنى ابصرت لم تحذف همزتها قال وشذت
ايضا فالزمتها الخطاب على هذا المعنى ولا تقول فيها ابدا
ارايتني زيدا عمرا وما صنع وتقول هذا على معنى اعلم
وشذت ايضا فاخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول
الفاء الا ترى قوله ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت
فما دخلت الفاء الا وقد اخرجت لمعنى اما او تنبه والمعنى
اما اذ اوينا الى الصخرة فالامر كذا وقد اخرجتها هنا
ايضا الى معنى اخبرني كما قدمنا واذا كانت بمعنى اخبرني
فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه ويلزم
منها الجملة التي بعدها الاستفهام وقد تخرج على معنى اما
في رواية وقد تخرج لمعنى اما ويكون ابدا بعدها الشرط
وظرف الزمان فقوله فاني نسيت الحوت معناه اما
اذ اوينا فاني نسيت الحوت او تنبه اذ اوينا وليست
الفاء الا جوابا لارايت لان اذ لا يصح ان يجازى بها الا مقرونة
بما بلا خلاف انتهى كلام الاخفش رضي الله عنه وفيه تعقبا
منها اخراجها ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني فلا بد بعدها
من الاسم المستخبر عنه ويلزم الجملة بعدها الاستفهام
وهذان مفقودان في تفسير الزمخشري رضي الله عنه وفي رواية
مفقودان في تقدير الزمخشري رضي الله عنه التي هنا بمعنى
اخبرني ومعنى نسيت الحوت نسيت ذكر ما جرى فيه لك فو

وما انسانيه الا الشيطان حسن ادب اذ نسبنا النسيان الى
الشيطان اي لم نسيت فيه وهو الشيطان بوسوسته وان
اذكره بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت والظاهر
ان الضمير في قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا عائد على
الحوت كما عاد في قوله واتخذ سبيله في البحر سربا وهو من كلام
يوشع بن نون وقيل الضمير عائد على موسى اي اتخذ موسى
ومعنى عجبا اي تعجب من ذلك او اتخذ سبيله اتخاذا
عجبا وهو ان اثره بقي الى حيث سار وقد قال الزمخشري
رحمه الله واتخذ سبيله عجبا وهو كونه شبه ما كسرب
قال او عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك
العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى
عليه الصلاة والسلام وليس بذاك اي وليس من ذلك القبيل
انتهى وقال ابن عطية رضي الله عنه في معنى قوله تعالى
واتخذ سبيله في البحر عجبا يحتمل ان يكون من قول يوشع
لموسى عليه الصلاة والسلام اي اتخذ الحوت سبيله عجبا
للناس ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله في البحر تمام
الخبر ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا
الموضع وموضع العجب هو ان يكون حوت قد مات واكل شقه
ثم حيي بعد ذلك قال ابو شجاع في كتاب الطبري رحمه الله
رايته اتيت به فاذا هو شقة حوت وعين واحدة وشق
اخر ليس فيه شي قال ابن عطية رضي الله عنه وانا رايته
والشق الذي ليس فيه شي عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة
ويحتمل ان يكون واتخذ سبيله الاية اخبارا من الله عز وجل
وذلك على وجهين اما ان يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل الحوت
من البحر عجبا اي تعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ
سبيله عجبا للناس انتهى وقرا حفص وما انسانيه بضم
الهاء وفي سورة الفتح بما عاهد عليه الله وذلك لا يكون الا
في الوصل فقط واما في الكتاب فحكمه السكون وفي مصحف عبد الله
وفي قراءته ان اذكره بدل من الا الشيطان وقرا ابو حيوة
واتخاذ سبيله عطف المصدر على ضمير المفعول في اذكره اي
ان اذكره والاشارة بقوله ذلك الى امر الحوت وفقده واتخاذه
سبيله في البحر لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد
الصالح وما موصولة والعائد محذوف اي ما كنا نبغيه

في البحر

شي

يكبر السنين

رضه

اي طرفا ابينلكم

اي نطلبه

اي نطلبه وقري نبغ بلا ياء في الحالين اي في الوصل واثباتها فيهما
احسن وهي قراءة ابي عمرو والكسائي ونافع واما الوقف فالاكثر
فيه حذف الياء وهي رواية عن الاعمش ولحن فيه طرح الياء اتباعا
لرسم المصحف واثبتها في الحالين ابن كثير فارتدا رجعا على
ادراجهما حيث جاءا يقصانه قصصا اي يقصان اثرهما
قصصا فانتصب على المصدرية باضمار يقصان او يكون
في موضع الحال اي مقتصين فينتصب بفعله فارتدا
فوجدا اي موسى وصاحبه المشار اليه وهو يوشع ابن نون
المتقدم ذكره في اول السورة اي فسارا حتى وجدا عبدا
من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص ووجداه
عند الصخرة التي فقد الحوت عندها وهو مسجى في ثوبه
مستلقيا على الارض فقال له السلام عليك فرفع راسه
وقال انى بارضك السلام من انت فقال
انا موسى ابن عمران قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال له
الم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك عن السفر الى هنا قال
بلى ولكني احببت لقاءك وان اتعلم منك فقال له اني على
علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على
علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه انا والجمهور على انه الخضر
وخالف من لا يعتد بخلافه فزعم انه عالم اخر وقيل
اليسع وقيل الياس وقيل خضرون ابن قابيل ابن
ادم وقيل واسم الخضر بليا بن ملكان والجمهور على ان الخضر
نبي وكان علمه معرفة بواطن امور قد اوحيت اليه وعلم موسى
الاحكام والفتيا بالظاهر وروي ايضا ان موسى عليه الصلاة
والسلام وجده قاعدا على ثبج البحر اي على شطه اي جانبه
وفي الحديث انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضاء
فاهتزت تحته خضراء وقيل كان اذا صلى اخضر ما حوله
وقيل جلس على فروة بيضاء وهي الارض التي لا تنبت وقيل هي
الحشيش فاهتزت تحته خضراء وقيل كانت امه رومية
وابوه فارسيا وقيل كان ابن ملك من الملوك اراد ابوه ان
يستخلفه من بعده فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر
فطلبه ابوه فلم يقدر عليه والجمهور على انه ما مات
شرف الدين ابن عبد السلام ان ابن المنذر ... اما خضر
موسى عليه السلام ... ابن عمران فليس بحي لانه
لو كان حيا لزمه المجي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به
واتباعه وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو كان موسى

عا

عليه الصلاة والسلام

وقال بعضهم في هذه الرواية دليل على نبوته والله اعلم

وغيرهم

حتى لم يسعهما الا الاتباع انتهى هكذا اورد هذا الحديث وهذا
المسلمين ان عيسى عليه الصلاة والسلام حي وانه ينزل في
اخر الزمان من السماء الى الارض ولعل الحديث لو كان موسى حيا
لم يسعه الا اتباعي والرحمة التي اتاه الله اياها هي النبوة
والوحي وقيل الرزق وعلمناه من لدنا علما اي من عندنا
اي مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب
• وقرا ابو زيد عن ابي عمرو من لدنا بتخفيف النون
وهي لغة في لدن وهي الاصل فيها وقد اولع كثير ممن
ينتمي الى الصلاح بادعاء هذا العلم ويسمونه العلم
اللدني وانه يلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك حتى
يخبر بان من كان في اصحابه هو من اهل الجنة على سبيل
القطع وان بعضهم يرى الخضر عليه الصلاة والسلام وكان
قاضي القضاة ابو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف
بابن دقيق العيد رضي الله عنه يخبر عن شيخ له انه رأى
الخضر وحدثه فقيل له من اعلمه انه الخضر ومن اين عرف عليه السلام
ذلك فسكت وبعضهم يزعم ان الخضرية رتبة يتولاها
بعض الصالحين على قدم الخضر عليه الصلاة والسلام وقد
سمعنا الحديث على شيخ يقال له عبد الواحد العباسي الحنبلي
وكان اصحابه الحنابلة يعتقدون فيه انه يجتمع بالخضر
عليه الصلاة والسلام • قال له موسى في الكلام حذف تقديره
فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذي ورد في الحديث
الصحيح قال له موسى هل اتبعك وفي هذا دليل على
التواضع للعالم وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة
في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والادب في
طلب العلم بقوله هل اتبعك وفيها المسافرة مع العالم
لاقتباس فوائده والمعنى هل يخف عليك وتتفضل
لك وانتصب رشدا على انه مفعول ثان لقوله تعلمني
او على انه مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في قوله
هل اتبعك وقال الزمخشري رضي الله عنه علما ذا رشد
ارشد به في ديني قال الزمخشري رضي الله عنه • فان قلت
اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه كما قيل
موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي صلى الله عليه
يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في لان كل نبي
ابواب الدين • قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي
مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير رضي

الله عنه

رضي الله عنه انه قال لابن عباس رضي الله عنهما ان نوفا ابن
امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى عليه الصلاة
والسلام وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله
انتهى • وقرا الحسن والزهري وابو بحرية وابن محيصن
وابن مناذر ويعقوب وابو عبيد واليزيدي رشدا بفتحتين
والباقون وقرا ابو عمرو من السبعة وقرا باقي
السبعة بضم الراء واسكان الشين ونفى الخضر استطاعة
الصبر معه على سبيل التأكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها يكرهها الرجل
الصالح فكيف النبي فلا يتمالك ان يشمئز لذلك ويبادر بالانكار
وكيف تصبر اي ان صبرك على ما لا خبرة لك به يكون
مستبعدا وفيه ابداء عذر حيث لا يمكنه الصبر لما يرى
من منافاة ما هو عليه من شريعته وانتصب خبرا على انه
تمييز اي ما لم يحط به خبرك فهو منقول من الفاعل
او على انه مصدر من معنى متصل او هو مصدر على غير الصدر
لان معنى بما لم تحط به اي لم تخبره • وقرا الحسن وابن
هرمز خبرا بضم الباء قال ستجدني ان شاء الله صابرا وعده
بوجدانه صابرا وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى علما منه
بشدة الامر وصعوبته اذ لا يصبر الا على ما يأتي مما هو
عليه اذا رآه ولا اعصي يحتمل ان تكون معطوفا على صابرا
اي صابرا وغير عاص فتكون في موضع نصب عطف الفعل
على الاسم اذ كان في معناه كقوله صافات ويقبضن اي وقابضات
ويجوز ان يكون معطوفا على ستجدني فلا محل له من الاعراب
ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظا وقال القشيري رضي
الله عنه وعد موسى من نفسه شيئين بالصبر وقرنه
بالاستثناء بالمشيئة فصبر حين وجد على يدي الخضر ما كان
من الفعل وكان لا يعصيه فاطلق ولم يقرنه بالاستثناء
فعصاه حيث قال له فلا تسألني عن شيء حتى احدث
لك منه ذكرا فكان يسأله فما قرن بالاستثناء لم يخالف
فيه وما اطلقه وقع فيه الخلف كما قيل بذلك انتهى
وهذا مبني على تقدير ان يكون ولا اعصي معطوفا على ستجدني
فلم يندرج تحت المشيئة قال فان اتبعتني اي اذا رأيت
مني شيئا خفي عليك وجه صحته وانكرت في نفسك فلا تفاتحني
بالسؤال حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم
مع العالم المتبوع • وقرا نافع وابن عامر رضي الله عنهما فلا

تنثاني وعن ابي جعفر رضي الله عنه بفتح السين واللام من غير همز
مشددة النون وباقي السبعة بالهمز وسكون اللام وتخفيف
النون وقال ابو علي رضي الله تعالى عنه كلهم سيا بيا الى الخالين
انتهى وعن ابن عامر رضي الله عنه في حذف الياء اختلاف
غريب **قوله عز وجل فانطلقا** حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم
اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما
نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت
شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد
بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض فاقامه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا
قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا ٥ فانطلقا اي موسى والخضر عليهما
الصلاة والسلام ومعهما يوشع ابن نون ولم يضمر له لانه في
حكم التبع وقيل قد كان موسى صرفه ورده الى بني اسرائيل
والالف واللام في السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد
في سفينة مخصوصة وقيل في كيفية ركوبهما السفينة
وخرقها وسببه اقوال كثيرة والمعتمد في ذلك هو
ما رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما ورواه ابن عباس ايضا
في الصحيحين قال فانطلقا يمشيان على ساحل البحر مرت
بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر
فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر
قد اقتلع منها لوحا بالقدوم فقال له موسى عليه الصلاة
والسلام قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم
فخرقتها لتغرق اهلها الى قوله عسرا قال وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء
عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فقال له الخضر ما علمي
وعلمك من علم الله عز وجل الا مثل ما نقص هذا العصفور من
هذا البحر واللام في لتغرق اهلها لام العاقبة وقيل لام
العلة وقرا ابن سيد ... والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى الاوجه
والكسائي وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى
الاصبهاني ليغرق بفتح الياء والراء وسكون الغين اهلها بالرفع

وقرا ابي

قلع

قيل لام العاقبة

وقرا ابي الشغبة بضم تاء الخطاب واسكان الغين وكسر
الراء ونصب لام اهلها وقرا الحسن وابو رجاء كذلك
الا انهما فتحا الغين وشددا الراء ثم ذكر الخضر ما تقدم
من نفي استطاعته الصبر لما يرى منه فقال لا تؤاخذني بما نسيت
والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال عليه الصلاة
والسلام كانت الاولى من موسى نسيانا والمعنى انه نسي العهد
الذي كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المبتدي له اولا
وهذا قول الجمهور رضي الله تعالى عنهم اجمعين وعن ابي بن كعب
انه ما نسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام قال
الزمخشري رضي الله عنه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة
على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان
يوهمه انه نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام
التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم
عليه الصلاة والسلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة انتهى
وقد بين ابن عطية رضي الله عنه كلام ابي بكلام طويل يوقف
عليه في كتابه ولا ترهقني الا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام
كانت الاولى من موسى عليه الصلاة والسلام نسيانا ولا ترهقني
اي لا تغشني ولا تكلفني من امري وهو اتباعك عسرا اي
صعبا بل سهل علي في متابعتك بترك المناقشة وقرا
ابو جعفر عسرا بضم السين حيث وقع ٥ فانطلقا في الكلام
حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق باهلها ٥
فانطلقا فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر عليه الصلاة
والسلام غلاما يلعب مع الصبيان وفي بعض الروايات تحت
ظل ان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة وضيء الوجه
فاقتلع راسه وقيل رضخه بحجر وقيل ذبحه وقيل فتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحائط فقتله وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم
ولهذا قال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي لم تقتل نفسا
نفسا فتحق به القتل وسيأتي توجيهه وقيل كان بالغا شابا والعرب
تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلى الاخيلية في الحجاج ٥
شفاها من الداء الذي قد اصابها ٥ غلام اذا هز القناة سقاها ٥
وقال اخر ٥
تلقى ذباب السيف عني فانني ٥ غلام اذا هوجيت لست بشاعر
وقيل اصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في
الشباب الذين بلغوا الحلم وقد يتناول الصبي الصغير تجوزا تسمية

معرض

انبأ صبيك

حتى وقد روي كان هنا ان السفينة سارت بهم حتى بلغوا مقصدهم ولم تغرق باذن الله سبحانه وتعالى انتهى

للشيء باسم ما يؤول إليه واختلف في اسم هذا الغلام واسم أبيه
واسم أمه ولم يرد شيء من ذلك في الحديث وقد ورد في بعض الآثار
أن هذا الغلام كان يفسد ويقسم لأبويه أنه ما فعل فكانا
يقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه وحكى القرطبي رضي الله عنه
عن صاحب العزيزي وفي العرائس أن موسى عليه الصلاة والسلام
لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية بغير نفس غضب الخضر
واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه فإذا في عظم كتفه
مكتوب هذا الغلام كافر لا يؤمن بالله أبدا وقال الزمخشري
رضي الله عنه فإن قلت لم قيل خرقها بغير فاء وفقتله
بفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة
الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت فإن قلت فلم خولف
بينهما قلت لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب
القتل لقاء الغلام انتهى وقرئ زاكية أي طاهرة من الذنوب
ووصفها بهذا الوصف لأنه لم يرها أذنبت وقيل لأنها صغيرة
لم تبلغ الحنث وقوله بغير نفس يرده ويدل على كبر الغلام وإلا
فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس وقرأ ابن عباس
والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد والزهري ونا
فع واليزيدي وابن مسلم وزيد وابن بكر وأبان عن يعقوب
والتمار عن يونس عن رويس عنه وأبو عبيد وابن جبير الأنطاكي وابن
كثير وأبو عمرو زاكية بالألف وقرأ زيد بن علي والحسن والجحدري
وابن عامر والكوفيون قاطبة زكية بغير ألف وبتشديد
الياء وهي أبلغ من زاكية لأن فعيلا المحول من فاعل يدل على جهة
المبالغة وقرأ الجمهور نكرا بإسكان الكاف وقرأ نافع وأبو
بكر وابن ذكوان وأبو جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وأبو حاتم
برفع الكاف أي جئتها حيث أتيت منكورا والنكر قيل هو أقل
من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل سفينة
وقيل معناه أنه شيء أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه
والقتل لا سبيل إلى تدارك الحياة معه وفي قوله لك زجر
وإغلاظ ليس في الأول لأن موافقة التساؤل بأنه بعده
التقدم إليه ترك السؤال وإن بعد ارعوى بالنسيان أفظع وأقطع
في المخالفة مما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان
قال إن سألتك عن شيء بعدها أي بعد هذه القصة أو بعد هذه
المسألة فلا تصاحبني أي وقع الفراق بيني وبينك وقرأ الجمهور
فلا تصاحبني من باب المفاعلة وقرأ عيسى ويعقوب فلا تصحبني
مضارع صحب وقرأ عيسى أيضا بضم التاء وكسر الحاء مضارع

أصحب

اي يحلف صح

عليه السلام

عظم

أصحب وقد رواها سهل عن أبي عمرو أي فلا تصحبني علمك وقدره
بعضهم أي فلا تصحبني إياك وبعضهم فلا تصحبني نفسك وقرأ
الأعرج بفتح التاء والحاء وشد النون ومعنى قد بلغت من
لدني عذرا أي قد اعتذرت إلي وبلغت إلي العذر
وقرأ الجمهور من لدني بإدغام نون لدن في نون الوقاية التي
اتصلت بياء المتكلم وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون وهي
نون لدن اتصلت بياء المتكلم وهو القياس لأن أصل الأسماء
إذا أضيفت إلى ياء المتكلم لم تلحق نون الوقاية نحو غلامي
وفرسي وقرأ أشم شعبة الضم في الدال وروي عنه اسم سكون
الدال قال ابن مجاهد رضي الله عنه وهو غلط وكأنه يعني أنه من
جهة الرواية وأما من حيث اللغة فليست بغلط لأن من
من لغاتها لد بفتح اللام وسكون الدال وقرأ عيسى عذرا بضم
الذال ورويت عن أبي عمرو وكذا عن أبي عذري بكسر الراء مضافا
لياء المتكلم وفي البخاري قال رحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى
يقص علينا من أمرهما وأسند الطبري رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال يوما
رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكنه
قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا وقد نقل أهل
التفسير أن القرية التي أتيا أهلها فاستطعما أهلها هي أنطاكية
أو الأبلة أو قرية بجزيرة الأندلس وهي الجزيرة الخضراء أو برقة
أو أبو حوران بناحية أذربيجان أو ناصرة من أرض الروم أو هي
قرية بأرمينية وفيها أقوال كثيرة مضطربة بحسب اختلافهم
في أي ناحية من الأرض كانت قصتهما والله أعلم بحقيقة ذلك
وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالس أولئك الأقوام كلهم
يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى
وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة غير
التوكيد وهو أنهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل
القرية إنما أتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل أنهما لم يكونا
استطعما إلا ذلك البعض الذي أتياه فجيء بلفظ أهلها ليعم جميعهم
وأنهم يتبعونه واحدا واحدا بالاستطعام ولو كان التركيب
استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتي وقرأ الجمهور يضيفوهما
بتشديد الياء من ضيفوهما وهو مأخوذ من ضاف يضيف
وقرأ الزبيري والحسن وأبو رجاء وابن أبي رزين وابن محيصن وعاصم
في رواية المفضل وأبان بكسر الضاد وسكون الياء من أضاف
كما تقول ميل وأمال وإسناد الإرادة إلى الجدار من المجاز

لأن

فا

يمشيان صح

صح

التبليغ

والاستعارة المشار اليها كثيرا ما توجد في كلام العرب اسناد
اشياء تكون من افعال العقلاء الى ما لا يعقل من الحيوان والى
الجماد والمعنى لو كان الجماد او الحيوان الذي لا يعقل ممن يعقل لكان ذلك
الفعل لكان صادرا منه ذلك الفعل وقد اكثر الزمخشري
وغيره من ايراد الشواهد على ذلك ومن له ادنى ممارسة لكلام
العرب لا يحتاج الى شاهد في ذلك قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه
ولقد بلغني ان بعض المحرفين من اعداء الله عز وجل ممن لا تعلم
كان يجعل الضمير للخضر عليه الصلاة والسلام لان ما كان فيه من
آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة
فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد
من المجاز ادخل في الاعجاز انتهى وما ذكره اهل اصول الفقه
عن ابي بكر محمد بن داود الاصبهاني رضي الله عنه من انه ينكر
المجاز في القرآن لعله لا يصح عنه فانه وذلك الاصح المنقول
عنه ايضا وكيف يصح عنه مثل ذلك وهو احد الادباء الشعراء
والفحول المجيدين في النثر والنظم وقرأ الجمهور ينقض
اي يسقط فهو مأخوذ من انقضاض الطائر وهو انفعل كما
اختاره صاحب اللوامح رضي الله عنه مأخوذ من النقض
وهو الحطم اضعاف ومنه قول بعضهم هذا طعام قضض
يعني اذا كان فيه حصا فعلى هذا يريد ان ينقض اي ينفتت
فيصير كالحصاة انتهى وقيل وزنه افعل كاحمر من النقض
كاحمرت وقرأ ابي ينقض بضم الياء وفتح القاف
والضاد مبنيا للمفعول من نقضته وهي مروية عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حرف عبد الله وقرأ الاعمش يريد
لينقض كذلك الا انه منصوب باللام المقدرة بعد اللام
وقرأ ابو علي وعكرمة وابو شيخ خيوان بن خالد الهنائي
وخليد بن سعد ويحيى بن يعمر ينقاص بالصاد غير
معجمة مع الالف ووزنه ينفعل اللازم من قاص يقيص
اذا كسرته تقول قصته فانقاص قال ابن خالويه وتقول
العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب وقيل اذا انصدعت كيف كان وعليه
قول ابي ذؤيب
فراق كقيص السن فالصبر انه ... لكل اناس عثرة وجبور
وقرأ الزهري رضي الله عنه ينقاض بالف وضاد معجمة من قولهم
قضته فانقاض اي هدمته فانهدم قال ابو علي
رضي الله عنه المشهور عن الزهري رضي الله عنه بالصاد غير معجمة

فاقامه

فاقامه الظاهر انه لم يهدمه ويبنيه كما ذهب اليه بعضهم من
انه هدمه وقعد يبنيه وقد وقع هذا في مصحف عبد الله لكن
مسعود وان يدفعه لو شئت لتخذت عليه اجرا لان بناءه بعد
هدمه مما يستحق عليه اجر وقال ابن جبير رضي الله تعالى عنه
مسحه بيده واقامه فاستقام وقيل اقامه بعمود عمده به
وقال مقاتل رضي الله عنه سواه بالشيد اي بالجص وهو
المختار وعن ابن عباس رضي الله عنهما دفعه بيده فاستقام
وهذا اليق بحال الانبياء عليهم اجمعين الصلاة والسلام
قال الزمخشري رضي الله عنه وكانت الحال حال اضطرار
وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء
وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك
موسى عليه الصلاة والسلام لما رأى من الحرمان ومساس
الحاجة ان قال لو شئت لتخذت عليه اجرا وطلبت على
عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع الضرورة انتهى قال
ابن عطية رضي الله عنه وقوله لو شئت لاتخذت عليه اجرا
وان لم يكن سؤالا ففي ضمنه الانكار لفعله والقول بتصويب اخذ
الاجر وفي ذلك تخطئة ترك الاجر انتهى وقرأ عبد الله
والحسن وقتادة وابو بحرية وابن محيصن وحميد
واليزيدي ويعقوب وابو حاتم ومن السبعة ابن كثير
وابو عمرو لتخذت بلا الف بتاء مفتوحة وخاء مكسورة
يقال تخذ واتخذ نحو تبع واتبع افتعل من تخذ
وادغم التاء في التاء قال الشاعر
وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها ... نسيفا كافحوص القطاة المطرق
والتاء اصل عند بعض البصريين وليس من الاخذ ثم
بعضهم ان الاتخاذ افتعال من الاخذ وانهم ظنوا التاء اصلية
فقالوا في الثلاثي تخذ كما قالوا تقي من اتقى والظاهر ان
هذا اشارة الى قوله لو شئت اي هذا الاعتراض سبب الفراق
بيني وبينك على حسب ما سبق من ميعاده انه قال ان سألتك
وهذه الجملة وان لم تكن سؤالا لكنها تتضمنه اذ المعنى
الم تكن لتتخذ عليه اجرا لاحتياجنا اليه وقال الزمخشري
رضي الله عنه قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على
ما قال موسى عليه الصلاة والسلام ان سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه
كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ انتهى و

في ما قاله نظر والله اعلم

وقرا ابن ابي عبلة فراق بيني وبينك بالتنوين في القاف وقرا
الجمهور بالاضافة والبين قال ابن عطية رضي الله عنه الصدع
الذي يكون بين المصطحبين ونحوهما وذلك مستعار
من الظرفية ومستعمل استعمال الاسماء وتكريره بيني
وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التاكيد سانبئك الاية
قال له الخضر سأخبرك بتاويل ما رايت من خرق السفينة
ومن قتل الغلام واقامة الجدار اي بما آل الامر
فيما كان ظاهره ان لا يكون وقرا ابن وثاب سانبيك
باخلاص الياء من غير همز وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كان قول موسى عليه الصلاة والسلام في السفينة وفي الغلام لله
عز وجل وكان قوله في الجدار لنفسه اي لطلب لاجل طلب شيء
من الدنيا فكان ذلك سبب الفراق وقال الداودي المعاني
هذه الامثلة التي وقعت لموسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر
حجة على موسى واعجابه وذلك انه لما انكر خرق السفينة نودي
يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا
في اليم فلما انكر قتل الغلام قيل له اين انكارك هذا
من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار
نودي اين هذا من رفعك الحجر لبنات شعيب دون اجر
سانبئك في معاني هذا [illegible] حتى اوضح لك
ما استتر عليك. **قوله عز وجل** اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم
ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا
منه زكاة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته
عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا **روي** ان
موسى عليه الصلاة والسلام لما عزم الخضر على مفارقته اخذ
بثيابه وقال له لا افارقك حتى تخبرني بما اباح لك فعل
ما فعلت فلما اخبره بذلك منه اخذ في البيان والتفصيل
فقال اما السفينة فبدا بقصتها فوقع له اي لانها كانت
لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
وقيل كانوا اجراء فنسبت اليهم للاختصاص وقرا الجمهور
مساكين بتخفيف السين جمع مسكين وقرا علي كرم الله وجهه

بالتشديد

بالتشديد السين جمع مساك وهو جمع تصحيح فقيل المعنى
ملاحين والمساك هو الذي يمسك رجل السفينة وكل من
هو يصلح لذلك وقيل المساكين دبغة المسوك وهي الجلود
واحدها مسك والقراءة الاولى تدل على ان السفينة
كانت لقوم ضعفاء ينبغي ان يشفق عليهم واحتج بهذه الاية
على ان المسكين هو الذي له بلغة من العيش كالسفينة
لهؤلاء وانه اصلح حالا من الفقير وقوله فاردت فيه
اسناد ارادة العيب له اي لنفسه وفي قوله فاراد ربك
ان يبلغا الى ذكر العيب ما فيه فلم يسنده الى الله سبحانه
وتعالى وما في ذلك من فعل الخير اسنده الى الله سبحانه
وتعالى قال الزمخشري رضي الله عنه. **فان قلت**
قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب
عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه
قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان
خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها
للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في
قراءة ابي وعبد الله ابن مسعود كل سفينة صالحة
انتهى ومعنى ان اعيبها اي بان اقلع لوحا منها وقرا الجمهور
وراءهم وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الامام ومعناه
هنا امامهم وكذا قرا ابن عباس وابن جبير وكرن وراءهم يعني
امامهم قول قتادة وابي عبيد وابن السكيت والزجاج
ولا خلاف عند اهل اللغة ان وراء يجوز بمعنى قدام وجاء
في التنزيل والشعر قال الله عز وجل من ورائه جهنم
وقال عز وجل ايضا ومن ورائه عذاب غليظ وقال تعالى
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقال لبيد
اليس ورائي ان تراخت منيتي. لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
وقال سوار ابن المضرب السعدي.
ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي. وقومي تميم والفلاة ورائيا
وقال اخر. اليس ورائي ان ادب على العصا
فيامن اعدائي ويساءمني اهلي
وقال ابن عطية رضي الله عنه وقوله وكان وراءهم عندي
هي على بابها وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء يراعى بها
الزمن والذي يأتي بعد هو الوراء وهو ما خلف وذلك
بخلاف ما يظهر بادي الراي وتامل هذه الالفاظ في مواضعها
حيث وردت تجدها مطردة فهذه الاية معناها ان هؤلاء

وعملهم وسعيهم باني يغدو في الارض غصب هذا الملك
ومن قرا امامهم اراد في المكان اي انهم كانوا يسيرون الى
بلده وقوله تعالى انها في التوراة والانجيل انها بين يدي
القران مضطرد على ما قلناه في الزمن وقوله من ورائهم جهنم
مضطرد كما قلنا من مراعاة الزمن وقول النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة امامك تريد اي في قدامك في المكان وانما فكونهم
في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمن وتامل هذه
المقالة فانها مرجحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة فانها
في كتاب الطبري رضي الله عنه وكان وراءهم ملك قال قتادة يعني
كان امامهم الا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهي بين
ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان
الحسن ابي الحسن يضج منها قال الزجاج رضي الله عنه امام
ويجوز ان يكون رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم
حقيقة منهم وهو كلام صحيح وكانه يشير لما قاله
الفرا رضي الله عنه قال الفرا رحمه الله تعالى لا يجوز ان
يقال للرجل بين يديك هو وراءك وانما يجوز ذلك في
المواقيت من الليالي والايام والدهر تقول وراءك برد شديد
وبين يديك برد شديد فيجوز هذان الوجهان معا في هذه
المواضع لان البرد اذا لحقك صار من وراءك وكانك اذا لم
تلحقه صار بين يديك قال انما جاز هذا في اللغة
لان ما بين يديك وما قدامك اذا توارى عنك فقد
صار وراءك وقال ابو علي رضي الله عنه انما جاز استعمال وراء
بمعنى امام على الاتساع لانها جهة مقابلة لجهة فكانت
كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى اذا لم يرد
معنى المواجهة ويجوز ذلك في الاجرام التي لا وجه لها مثل
حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الاخر واكثر اهل
اللغة على ان وراء من الاضداد [illegible] وقد ورد
ان اسم هذا الملك هدد ابن بدد وكان كافرا وقيل
هو الجلندي ملك غسان وقوله وكان ابواه مومنين
في هذا حذف دل عليه المعنى وكان كافرا وكذا هو في
مصحف ابي رضي الله عنه وقرا ابن عباس رضي الله عنهما
واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين ونص في الحديث
على انه كان كافرا مطبوعا على الكفر ويراد بابويه ابوه وامه
وثني تغليبا من باب القمرين في القمر والشمس وما يتنبه
لا تتنافس وقرا ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وابو الجحدري

ايضا فكان

ايضا فكان ابواه مومنان فخرجه الزمخشري وابن عطية
رضي الله عنهما على ... وكذا ابو الفضل الرازي على ان في كان
ضمير الشان والجملة في موضع خبر كان واجاز ابو الفضل
الرازي رضي الله تعالى عنه ان يكون مومنان على لغة بني
الحارث ابن كعب فيكون منصوبا واجاز ايضا ان يكون
في كان ضمير الغلام والجملة خبر كان فخشينا اي فخفنا
ان يغشي الوالدين المومنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما ان يرهقهما
اي بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن
بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا ن
عن الايمان بسببه لمحبتهم له فيطغيان ويكفران بعد
الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه
بحال ذلك الغلام واطلعه على سر امره وامره بقتله كاخترامه
لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك ان يرهقهما والمعنى
فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز
ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى
فكرهنا كقوله لاهب لك على قراءة ... قال الزمخشري
رضي الله تعالى عنه وفي قوله كاخترامه لمفسدة عرفها
في حياته مذهب المعتزلة في قولهم بالاجلين والظاهر
ايضا ان فعل الخشية في قوله فخشينا الى ضمير الخضر واصحابه
الصالحين الذين اهمهم الامر وتكلموا فيه في جهة
الله عز وجل وعنه فعبر الخضر عليه الصلاة والسلام
وهو الذي قد قاله الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون ن
الى اخر كلامه قال الطبري رضي الله عنه وخشينا وقال
معناه فكرهنا قال ابن عطية رضي الله عنه والاظهر عندي ي
في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها
استعارة اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا
حاله لوقعت منهم خشية الرهق للوالدين وقرا ابن مسعود د
رضي الله عنه فخاف ربك وهذا بين الاستعارة في القران ن
في جهة الله سبحانه وتعالى من لعل وعسى فان جميع ما في
هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم
ايها المخاطبون ويرهقهما معناه يجشمهما ويكلفهما بشدة
والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه الكفر وقرا نافع
وابو عمرو وابو جعفر وشيبة وحميد والاعمش وابن
جرير ان يبدلهما بالتشديد هنا وفي سورة التحريم وسورة ن

والقلم وما يسطرون

وقرأ باقي السبعة والحسن وابن محيصن بالتخفيف زكاة
هنا الطهارة والنقاء من الذنوب فما ينطوي عليه من
شرف الخلق والسكينة والرحم الرحمة والعطف مصدر
كالكثر والكثرة والفعل هنا ليست للتفضيل لأن ذلك
الغلام لا زكاة فيه ولا رحمة والظاهر أن قوله وأقرب رحما
أي رحمة بوالديه وقال ابن جريج يرحمانه وقال رؤبة
ابن العجاج. يا منزل الرحم على إدريسا. ومنزل اللعن على
وقرأ ابن عامر وأبو جعفر في رواية ويعقوب وأبو
حاتم رحما بضم الحاء وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
رحما بفتح الراء وكسر الحاء وقيل الرحم من الرحم والقرابة
أي أوصل للرحم قيل ولدت امرأة غلاما مسلما
وقيل ولدت جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى
الله على يديه أمة من الأمم المتقدمة وقيل ولدت امرأة
سبعين نبيا من نسل إلى نسل وروي ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ابن عطية رضي الله عنه وهذا القول بعيد
ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل ولم تكن
هذه المرأة منهم انتهى وضعف ابن عطية بأكثر من ذلك على
أنهما كانا صغيرين وفي الحديث الشريف أيضا أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتم بعد بلوغ قال ابن عطية
رضي الله عنه ويحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ
أي كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما قيل واسمهما أصرم
وصريم واسم أبيهما كاشح واسم أمهما دهنا والظاهر في
الكنز أنه مال مدفون جسيم ذهب وفضة قال عكرمة
وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جبير أيضا كان
علما في صحف مدفونة وقيل لوح من ذهب فيه كلمات
حكمة وذكر ذكرها المفسرون في كتبهم ولا نطيل بذكرها
هنا وقال الظاهر أن أباهما هو الأب الأقرب الذي ولدهما دنية
وقيل السابع وقيل العاشر وحفظ هذان الغلامان
بصلاح أبيهما وفي الحديث أن الله عز وجل يحفظ الرجل
الصالح في ذريته وانتصب رحمة على المفعول له وأجاز
الزمخشري أن ينتصب على المصدر بأراد قال لأنه في معنى
رحمهما وأجاز أبو البقاء أن ينتصب على الحال وكلاهما
متكلف وما فعلته أي وما فعلت ما رأيت من خرق
السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار عن اجتهادي
ورأيي وإنما فعلته بأمر الله وهذا يدل على أنه نبي

أوحي إليه

أوحي إليه وتسطع مضارع اسطاع بهمزة الوصل قال ابن
السكيت يقال ما استطيع وما اسطيع وما استيع
واستيع فهذه أربعة لغات وأصل اسطاع استطاع
على وزن استفعل فالمحذوف في اسطاع تاء الافتعال
لقرب الطاء التي هي أصل منها وأنه حاجة تدعو إلى أن
المحذوف هي الطاء التي هي فاء الفعل ثم أبدلوا من تاء
الافتعال طاء وأما استتيع فقيل إنهم أبدلوا من الطاء
تاء وينبغي في تستتيع أن يكون المحذوف منه تاء الافتعال
كما في تستطيع وفي كتاب التحرير والتحبير فائدة
تتعلق ببعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما الصلاة
والسلام على أن الخضر أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام
وطردوا الحكم وقالوا قد يكون بعض الأولياء أفضل
من آحاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنشدوا أبياتا
تعزى لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه خضت بحرا وقفت
الأنبياء على ساحله وهذا الكلام مرتب الرعونة والبطر
بالنفس انتهى وهذا أسمعنا من يحكي هذه المقالة عن بعض
الضالين المضلين وهو ابن العربي الطائي الحاتمي
صاحب الفتوحات المكية فكان ينبغي أن يسمى بالعنقاء
المغربية وإنه كان يزعم أن الولي خير من النبي لأنه
قال إن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي يأخذ بواسطة
عن الله عز وجل ولأن الولي قاعد في الحضرة الإلهية والنبي
مرسل إلى قوم ومن كان في الحضرة أفضل ممن يرسله
صاحب الحضرة إلى أناس من هذه الكفريات والزندقة
وقد كثر معظموا هذا الرجل في هذا الزمان من غلاة
الزنادقة القائلين بالوحدة فنسأل الله سبحانه
وتعالى السلامة في أدياننا وأبداننا آمين. السد
الحاجز والحائل بين الشيئين وبيانه بالضم وبالفتح
الردم السد وقيل الردم أكبر من السد لأن الردم ما جعل
بعضه على بعض يقال ثوب مردم إذا كان قد رقع
رقعة فوق رقعة وقيل هو سد الخلل والثلمة ومنه قول عنترة
هل غادر الشعراء من متردم. أي خلل في المعاني فيسد
ردما. الزبرة القطعة وأصله الاجتماع ومنه
زبرة الأسد لما اجتمع على كاهله من الشعر وزبرت الكتاب
جمعت حروفه. الصدفان جانبا الجبل إذا تحاذيا لتقاربهما

التحبير ٢

القائلية

المفردات

أو لتلا منهما قاله الأزهري رضي الله عنه وقيل الصدف بضمتها وبفتحتهما وبضم الصاد وسكون الدال وعكسه قال بعض اللغويين وفتحهما لغة تميم وضمهما لغة حمير وقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه الصدف كل بناء عظيم مرتفع. **القطر** النحاس المذاب في قول أكثر المفسرين وقيل الحديد المذاب وقيل الرصاص المذاب أيضا كما قيل. **النقب** مصدر نقبت أي خرقت وقطعت. **الغطاء** معروف وجمعه أغطية وهو من غطاه إذا ستره. **الفردوس** معروف قال الفراء رضي الله عنه هو البستان الذي فيه الكروم وقال ثعلب كل بستان يحوط عليه فهو فردوس. **قوله عز وجل** ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا والضمير في قوله ويسألونك عائد على قريش أو على اليهود والمشهور أن السائلين قريش حين دستها اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطواف وفتية ذهبوا في أول الزمان أي في أول الدهر ليتبع امتحانه بذلك وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني ذكره ابن إسحاق رضي الله عنه وقال وهب رضي الله عنه هو رومي وهل هو نبي أو عبد صالح الأصح أنه ليس بنبي واختلفت فيه الأقوال وقيل كان ملكا من الملائكة وهذا القول غريب وقد قيل أيضا إنه ملك الدنيا مؤمنان وكافران فالمؤمنان هما نبي الله سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام والثاني ذو القرنين رضي الله عنه وأما الكافران فهما النمرود بن كنعان وبخت نصر وكان بعد نمرود وعن سيدنا ومولانا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن ذا القرنين كان عبدا صالحا ليس بملك ولا نبي ضرب على قرنه الأيمن فمات في طاعة الله ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذي القرنين وقيل إنه قد طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها

وقيل

وقيل كان له قرنان أي ظفيرتان من الشعر وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب ابن منبه رضي الله عنه لأنه ملك الروم وفارس ويحكى أنه ملك الروم والترك وعن وهب أيضا أنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل إنه كان على رأسه ما يشبه القرنين قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه ويجوز أن يسمى بذلك لشجاعته كما يسمى الرجل الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره انتهى (لا انه) وقيل غير ذلك في تسميته ذا القرنين والمشهور أنه الاسكندر وقال أبو الريحان البيروني المنجم صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية هو أبو كرب ابن سمي ابن عمرو ابن إفريقش الحميري بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها (بها) وهو الذي افتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما . ملكا علا في الأرض غير مبعد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي . أسباب ملك من كريم سيد

قال أبو الريحان ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا يخلون أسماءهم من ذي كذا الذي (المنار) وذي نواس انتهى والشعر الذي أنشده نسبه أيضا إلى تبع الحميري وقيل قد كان ذو القرنين جدي مسلما وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما أن اسمه عبد الله ابن الضحاك وعن محمد ابن علي ابن الحسين عياش وعن أبي خيثمة رحمه الله هو الصعب ابن جابر ابن القلمس وقيل مرزبان ابن مرزبة (بنة) اليوناني من ولد يونان ابن يافث وعن علي رضي الله عنه هو من القرن الأول من ولد يافث ابن نوح وعن الحسن رضي الله عنه كان بعد نمرود وكان عمره ألف سنة وستمائة وعن وهب ابن منبه رضي الله عنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والخطاب في عليكم للسائلين أما اليهود وأما قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين وقوله ذكرا يحتمل أن يريد قرآنا وأن يريد حديثا وخبرا والتمكين الذي في الأرض كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها قال بعض المفسرين والدليل على أنه الاسكندر أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب وإلى أقصى المشرق وإلى أقصى الشمال بدليل أن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال وهذا الذي بلغه ملك هذا الرجل هو نهاية المعمور من الأرض ومثل هذا الملك (البسيط)

لاشك امر على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره
مخلدا على وجه الدهر وان لا يكون مخفيا والملك الذي اشتهر
في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر
ذو القرنين وذلك انه لما مات ابوه جمع ملوك الروم بعد ان
كانوا طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم وامعن حتى
انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها
باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت
المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف الى ارمينية فدان له جميع
اهل العراق وملوكها والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه
مرات متعددة الى ان قتله صاحب حرسه واستولى ايضا
ذو القرنين على ممالك الفرس وقصد الهند والصين
وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة
ثم رجع الى العراق فمرض بشهرزور ومات بها رضي
الله تعالى عنه امين وقد تقدم في الحديث ان الذين قد
ملكوا الارض اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سيدنا
سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام والثاني اسكندر
ذو القرنين واما الكافران فهما فرعون والنمرود وقد تقدم
ذكر ذلك وقد ثبت في علم التواريخ ان الذي هذا شانه ما كان
الا الاسكندر فوجب القطع ان المراد بذي القرنين هو الاسكندر
ابن فيلقوس اليوناني وقيل تمكينه في الارض بالنبوة
واجراء المعجزات على يديه وقيل تمكينه بان سخر له السحاب
وحمله عليها وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء
وقيل بكثرة اعوانه وجنوده والهيبة والوقار وقذف الرعب
في قلوب اعدائه وتسهيل السير عليه وتعريفه فجاج الارض
واستيلاؤه على برها وبحرها واتيناه من كل شيء يحتاج اليه
في الوصول الى اغراضه سببا اي ذريعا موصلا اليه والسبب
ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او الة فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ مغربها وكذلك
اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا واصل
السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى
المقصود وقال الحسن رضي الله عنه بلاغا الى حيث اراد وقرا ابو عمرو
والزهري والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى والكوفيون وابن عامر فاتبع ثلاثتها
بالتخفيف وقرا باقي السبعة بالتشديد والظاهر انهما بمعنى واحد
وعن يونس بن حبيب وابي زيد انه بقطع الهمزة عبارة عن المجد
المسرع الحثيث الطلب وبوصلها انما تتضمن الاقتفاء دون هذه

الصفات

ثم ساق الى نحو

الصفات وقرا عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص
وابن عمر وعبد الله بن عمرو ومعاوية والحسن وزيد بن
علي وابن عامر وحمزة والكسائي حامية بالياء اي حارة
وقرا ابن عباس وباقي السبعة وشيبة وحميد وابن ابي ليلى
ويعقوب وابو حاتم وابن جبير الانطاكي حمئة بالهمزة
المفتوحة والزهري بلينها يقال حمئت البئر تحما حما
فهي حمئة وحماتها نزعت حماتها واحماتها ابقيت
فيها الحماة ولا تنافي بين الحامية والحمئة اذ قد تكون
العين جامعة لهذه الاوصاف وفي رواية تكون حامية لهذين
الوصفين وقال ابو حاتم رضي الله عنه وقد يمكن ان تكون
حامية مهموزة بمعنى ذات حماة فتكون القراءتان
بمعنى واحد يعني انه سهلت الهمزة بابدالها ياء
لكسرة ما قبلها وفي التوراة تغرب في ماء وطين وفي زبور
عليه الصلاة والسلام تغرب في وثاط اي طين اسود
وقال تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين
ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين
وحماء اسود وفي حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الى الشمس عند غروبها فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتدري اين تغرب يا ابا ذر فقلت الله ورسوله
اعلم فقال عليه الصلاة والسلام انها تغرب في عين حامية
وهذا الحديث وظاهر النص يدل على ان قوله في عين متعلق
بقوله تغرب لا ما قاله بعض المتعسفين ان قوله
في عين حمئة انما المراد ان ذا القرنين كان فيها اي كان
اخر الارض ومعنى تغرب في عين حمئة اي فيما نرى العين لا ان
ذلك حقيقة كما قد يشاهدها الانسان في الارض المستوية
كانها تدخل في الارض ويجوز ان تكون هذه العين من البحر
ويجوز ان تكون الشمس تغيب وراءها وزعم بعض البغداديين
ان في بمعنى عند اي عند العين الحمئة او انها تغرب عند
عين حمئة ووجد عندها قوما اي وجد عند تلك العين
اقواما كثيرة قال ابن السائب مؤمنين وكافرين وقال غيره
انهم كلهم كفرة لباسهم جلود السباع وطعامهم ما احرقته
الشمس من الدواب وما لفظته العين من الحوت اذا غربت
وقال وهب بن منبه رضي الله عنه انطلق يؤم المغرب الى ان
قصد الى ناسك فوجد جمعا لا يحصيهم الا الله عز وجل
تضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم في مكان واحد ثم

داود م

وحم بكسر الحاء اي شديد السواد

اي من الحيتان انتهى

في النور ودعاهم الى عبادة الله عز وجل فمنهم من آمن به ومنهم من
صدّ عنه وقال ابو زيد السهيلي رضي الله عنه هم اهل جابرس
ويقال لها بالسريانية جرجيسا تسكنها قوم من نسل ثمود
بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه الصلاة والسلام وظاهر قوله
قلنا انه اوحى الله اليه على لسان ملك وقيل كلمه كفاحا
من غير رسول كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذين القولين
يكون نبيا كما قيل ويبعد ما قاله بعض المتاولين انه الهام
وارتفا في روعه لان مثل هذا التخيير لا يكون الا بوحي
اذ التكاليف وان هاق النفوس لا يتحقق بالالهام الا بالاعلام
وقال علي ابن عيسى رضي الله عنهما اجمعين المعنى قلنا يا محمد قالوا
ذا القرنين ثم حذف القول لان ذا القرنين لم يصح انه
نبي فخاطبه الله وعلى هذا يكون الضمير الذي في قالوا
لمحمد وقومه يعود على جنده وعسكره الذين كانوا معه
وقوله اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم
حسنا اي بالحمل على الايمان والهدى والمعنى اما ان تخير
في التخيير بالمشيئة عن السنة قال الطبري رضي الله عنه
اتخاذ الحسنى بهم اسرهم مع كفرهم يعني انه خيره مع كفرهم
بين قتلهم وبين اسرهم ونقصد ذي القرنين اما من ظلموا اما
من آمن يدفع هذا القول ولما خيره سبحانه وتعالى بين
تعذيبهم ودعائهم الى الاسلام اختار الدعوة والاجتهاد في
استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا الكفر وهو البقاء على
الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف فذلك هو المعذب في
الدارين واما من آمن وعمل بما يقتضيه الايمان فله جزاء
الحسنى واري يحرز التفسير فسوف نعذبه لا يتحلل
بين اظهار كفره وبين تعذيبه مهين دعائه الى الايمان وتنائه
عنه فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم
فان رجعوا والا فالقتل وقوله ثم يرد الى ربه اي يوم القيامة
والى نون العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم نحن
فعلنا وقوله الى ربه فيه اشعار بان التخيير ليس لذي القرنين
ليس من الله سبحانه وتعالى اذ لو كان كذلك لكان التركيب
ثم يرد اليك فتعذبه عذابا نكرا ولا يبعد ان يكون ذلك
التخيير من الله عز وجل ويكون قد اعلم ذو القرنين بذلك
انبياء عصره ثم فصل مخاطبا لاتباعه لا لله سبحانه وتعالى
كما احسن محتج هذه الجملة اذ كوما يستحقه من ظلم بدليل
بما هو اقرب لهم وفيحسن عندهم قوله وهو فوق له فسوف نعذبه

ثم اخبر

ثم اخبر بما يحقه آخرا يوم القيامة وهو تعذيب الله اياه
العذاب النكر ولان الترتيب الواقع هو كذا وكذا ولما ذكر
ما يستحقه من آمن وعمل صالحا ذكر جزاء الله تعالى له
في الآخرة وهو الحسنى اي الجنة لان طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه
هو الذي حمله على ان آمن لاجل جزاء الله له في الدنيا بقوله
وسنقول له من امرنا يسرا اي لا نقول له ما يتكلفه مما هو
شاق عليه اي قولا ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا
ولما ذكر ما اعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب ان يذكر
جزاءه بالفعل ولا اقتصر على القول دنا مع الله سبحانه وتعالى
وان كان يعلم انه يحسن اليه فعلا وقولا وقرا
حمزة والكسائي وحفص وابو بحرية والاعمش وطلحة
وابن مناذر ويعقوب وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى
الاصبهاني وابن جبير الانطاكي وابن جرير فله جزاء (ومحمد ابن جرير)
بالنصب والتنوين فانتصب جزاء على انه مصدر في موضع
الحال اي مجازى كقولك في الدار قائما زيد وقال ابو علي
رضي الله عنه قال ابو الحسن هذا لا تكاد العرب تكلم به
مقدما الا في الشعر وقيل انتصب على المصدر اي يجزي
جزاء وقال الفراء وهو منصوب على التفسير والمراد بالحسنى على
قراءة النصب الجنة • وقرا باقي السبعة جزاء الحسنى برفع
جزاء مضافا الى الحسنى قال ابو علي رضي الله عنه جزاء الخلال (يعني الخصال الحميدة)
الحسنة التي اتاها او عملها اذ يراد بالحسنى الحسنة والجنة
من الجزاء واضاف كما قال دار الآخرة وجزاء مبتدا وله
الخبر وقرا عبد الله ابن ابي اسحاق رضي الله عنه فله جزاء
مرفوع وهو مبتدا وخبر والحسنى بدل من جزاء
وقرا ابن عباس ومسروق رضي الله عنهما جزاء بالنصب بلا
تنوين • الحسنى بالاضافة ويخرج على حذف المبتدا
لدلالة المعنى عليه اي فله الجزاء جزاء الحسنى وخرجه المهدوي
رضي الله عنه على حذف التنوين لالتقاء الساكنين وقرا
ابو جعفر رضي الله عنه يسرا بضم السين حيث جاء اي
حيث وقع في اي موضع من القرآن • ثم اتبع سببا اي طريقا
الى مقصده الذي يسر له وقرا الحسن وعيسى وابن محيصن
رضي الله عنهما حتى بلغ مطلع الشمس بفتح اللام وروي هذه
القراءة عن ابن كثير رضي الله عنه ايضا وكذا روي عن
اهل مكة وهو القياس وقرا الجمهور بكسرها وهو سماع في
احرف معدودة وقياس كسره ان يكون المضارع تطلع بكسر اللام

وكان الكسائي رضي الله عنه يقول هذه لغة ماتت في كثير من
لغات العرب يعني ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر
اللام وبقي مطلع بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس
وجد عندها قوما والقوم قيل المراد بهم الزنج وقال قتادة
رضي الله عنه هم الهنود وما وراءهم والستر البنيان وقيل
الشجر الكثير او الثياب او الجبال اقوال كثيرة والمعنى انهم لا شي
لهم يسترهم من حر الشمس وقيل تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم
تتصل الى اجسامهم وقيل اذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها
قاله الحسن وقتادة وابن جريج رضي الله عنهما وقيل يدخلون
اسرابا اي سراديب وقالت مجاهد رضي الله عنه وجدت
في بعض الكتب ان السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل
الارض وقال ابن عطية رضي الله تعالى عنه والظاهر من
اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها بقدرة
الله فيهم ونيلها منهم ولو كانت لهم اسراب لكان سترا كثيفا انتهى

وقال بعض الرجاز

بالزنج حر غير الاجساد . حتى كسى جلودها سوادا

وذلك انها اول ما تقع حر الشمس عليهم واستمرار ما كذلك الامر ان
الى البلوغ اي كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها وقيل اتبع
سببا كما اتبع سببا وقيل كما وجد اولئك عند مغرب الشمس
وحكم فيهم كذلك وجد عند مطلع الشمس وحكم فيهم وقيل كذلك
امرهم كما قصصنا عليكم وقيل تطلع طلوعها مثل غروبها
وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك اي مثل الستر الذي كان قد
وجدهم عند مغرب الشمس كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في التعذيب
لمن بقي على الكفر والاحسان لمن امن وقال الزمخشري رضي الله عنه
كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما
لامره وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي
جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس
والثياب من كل صنف وقال ابن عطية كذلك معناه فعل معهم
كفعله مع اولئك الذين كان قد وجدهم عند مغرب الشمس اي مثل
ما فعل مع ذلك اراد ولكن فعل كذلك مع هؤلاء الاخرين واذ وجه
لقوله كذلك ثم اخبر سبحانه وتعالى باحاطته بجميع ما لدى
ذي القرنين وما تصرف فيه من افعاله ويحتمل ان يكون كذلك
استئناف قول ولا يكون راجعا الى الطائفة الاولى فتامله
والاول اصوب انتهى واذا كان هذا لا يتعلق بما قبله فيحسن
ليا نقدر يتم به كلامنا . قوله عز وجل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين

السدين

هو الآخر مطلع

193

السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا
القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير
فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتوني زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا
قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما
استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد
ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن
ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قوله سببا
اي طريقا ثالثا مسيره الى جهة الشمال فان السدين هناك
قال وهب بن منبه رضي الله عنه السدان جبلان منيفان
في السماء من ورائهما ومن امامهما البلدان وهما بمنقطع
ارض الترك مما يلي ارمينية واذربيجان وذكر
الهروي رضي الله عنه انهما جبلان من وراء بلاد الترك
وقيل هما جبلان من وراء الشمال لينان املسان يزلق
من عليهما كل شيء وسمي هذين الجبلين بالسدين لان كل
واحد منهما سد فجاج الارض وكانت بينهما فجوة كان يدخل
منها ياجوج وماجوج وقرا مجاهد وعكرمة والنخعي وابن
كثير وحفص وابو عمرو رضي الله عنهم بفتح السين وقرا الباقون
السين بضمها قال الكسائي رضي الله عنه هما لغتان بمعنى
واحد وقال الخليل وسيبويه رضي الله عنهما بالضم الاسم
وبالفتح المصدر وقال عكرمة وابو عمرو بن العلاء
وابو عبيدة ما كان من خلق الله لم يشارك فيه احد فهو بالضم
وما كان من صنع البشر فهو بالفتح وقال ابن اسحاق رضي الله
عنه ما رايته عيناك فبالضم وما لا ترى فهو بالفتح وانتصب
بين على انه مفعول به ببلغ كما ارتفع في قوله لقد تقطع
بينكم وانجر بالاضافة في هذا فراق بيني وبينك وبين
من الظروف المتصرفة ما لم تركب مع اخرى مثلها كقولهم
هو بين بين . وجد من دونهما اي من دون هذين السدين
قوما يعني من البشر وقال الزمخشري رضي الله عنه هم الترك انتهى
والبعد من ذهب الى انهم من الجن قال الزمخشري رضي الله عنه
وهذا المكان منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وبقي معارفه

اي كالبيان التي تتوقد

من جهة الشمال

كان حو

اي هذا القول ... بعد

فقهوا قولاً أي نفقهوا بفهمهم وقال الزمخشري رحمه الله عنده لا يكادون
يفهمونه إلا بجهد ومشقة كأنه فهم من نفي يكاد أنه يتبع منهم الفهم
بعد عسر وهو قول لبعضهم أن نفيها إثبات وإثباتها نفي
وليس في ذلك على المختار وقرأ الأعمش رضي الله عنه وابن أبي ليلى
وخلف وابن عيسى الأصبهاني رضي الله عنه وحمزة والكسائي
يفقهون بضم الياء وكسر القاف أي يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة والضمير في قالوا عائد
على هؤلاء القوم شكوا ما يلقون من يأجوج ومأجوج أو إلى
عندهم ما ينفعهم لكونه ملك الأرض ودوخ الملوك وبلغ أرضهم
وبينه لم يبلغ أرضهم ملك قبله ويأجوج ومأجوج من ولد آدم عليه
الصلاة والسلام قبيلتان فهما من ولد يافث ابن نوح عليه
الصلاة والسلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم
وقال السدي والضحاك رضي الله عنهما الترك شرذمة منهم
خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في
هذا الجانب وقال قتادة والسدي بني السد على أحد وعشرين
قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد
اختلف في عددهم وصفاتهم فلم يصح في ذلك شيء وهما ممنوعا
الصرف فمن زعم أنهما أعجميان فللعجمة والعلمية ومن زعم
أنهما عربيان فللتأنيث والعلمية لأنهما اسما قبيلتين
وقال الأخفش رضي الله عنه إن جعلنا ألفهما أصلية فيأجوج
يفعول ومأجوج مفعول كأنه من أجيج النار ومن لم يهمزهما
جعلهما زائدة فيأجوج من يججت ومأجوج من مججت • وقال
قطرب رضي الله عنه في غير الهمز ياجوج فاعول من اليج وماجوج
فاعول من مج وقال أبو الحسن علي ابن عبد الصمد رضي الله عنه
وكذا قاله النحاة وبيته أحد شيوخنا رضي الله تعالى عنهم أجمعين
الظاهر أنه عربي وأصله الهمز وترك الهمز على التخفيف
وهو إما من الأجة وهي الاختلاط كما قال تعالى وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في بعض أو من الأج وهو سرعة العدو
قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون وقال الشاعر

• يؤج كما أج الظليم المنفر •

أو من الأجة وهي شدة الحر أو من أج الماء يؤج أجوجاً
إذا كان ملحاً مراً انتهى وقرأ عاصم والأعمش ويعقوب رضي
الله عنهم في رواية بالهمز في الموضعين وكذا في سورة الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام وهي لغة بني أسد ذكره الفراء رضي الله عنه
قيل ولا وجه له إلا اللغة الغريبة المحكية عن العجاج أنه كان

يهمز العالم

(هامش: ص أي دوخ بلاد الملوك وغلب الملوك — السجاوندي)

يهمز العالم والخاتم وقرأ باقي القراء بغير همزة
وهي لغة كل العرب غير بني أسد وقرأ العجاج ورؤبة
أنه أجوج بهمزة بدل من الياء وإفسادهم الظاهر
بحق الإفساد منهم لا يتوقعه لأنها شكت من ضرر نالها
وقال سعيد بن عبد العزيز إفسادهم أكل بني آدم وقيل
هو الظلم والتسلط وغير ذلك من وجوه الإفساد المعلوم من البشر وقيل
كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر على وجه الأرض
إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وروي أنه لا يموت أحد منهم
حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح فهل
نجعل لك خرجاً استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما
يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الأدب إذ سألوه ذلك كقول
موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام هل أتبعك على أن
تعلمني مما علمت رشداً وقرأ الحسن والأعمش وطلحة
وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير
الأنطاكي ومن السبعة حمزة والكسائي خراجاً بألف هنا
وفي حرفي قد أفلح المؤمنون وسكن ابن عامر رضي الله عنه
الراء فيهما وقرأ باقي السبعة خرجاً فيهما بسكون الراء فالخراج
بالألف والخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال المعنى
جعلاً نخرجه من أموالنا ونظيرهما مستخرج من ضربة و
وعلة فهو خراج وخرج وقيل الخرج المصدر أطلق على
الخراج والخراج الاسم للمخرج وقال ابن الأعرابي رضي الله عنه
الخرج على الرؤوس يقال أد خرج رأسك والخراج على الأرض
وقال ثعلب رضي الله عنه الخرج أخص والخراج أعم وقيل
الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبى المتكرر عرضوا عليه
أن يجمعوا له أموالاً يقيم بها أمر السد وقال ابن عباس رضي الله عنهما
خراجاً يعني أجراً وقرأ نافع وأبو بكر وابن عامر سداً بضم السين
وابن محيصن وحميد وابن يزيد والأعمش وطلحة ويعقوب
في رواية وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير وباقي السبعة
بفتحها قال ما مكني فيه ربي خير أي ما بسط الله تعالى لي
من القدرة والملك خير من خرجكم فأعينوني بقوة أي بما
أتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبناء
قال مقاتل رضي الله عنه وبالآلات وقال الكلبي رضي الله عنه
• ردماً يعني حاجزاً حصيناً موثقاً وقرأ ابن كثير وحميد
رضي الله عنهما قال ما مكنني بنونين متحركتين وباقي السبعة
بإدغام نون مكن في نون الوقاية ثم فسر الإعانة بالقوة فقال

(هامش: د — حمزة و — خرجيه — ب — ل)

ا آتوني زبر الحديد اي اعطوني قال ابن عطية رضي الله عنه انما هو
استدعاء مناولة لا استدعاء عطية وهبة لانه قد ارتبط من
قوله انه لا ياخذ منهم الخراج فلم يبق هنا الا استدعاء المناولة
وقراءة الجمهور آتوني وقرا ابو بكر رضي الله عنه عن عاصم رضي
الله عنه ائتوني اي جيئوني وانتصب زبر بائتوني على اسقاط
حرف الجر اي جيئوني بزبر الحديد وقرا الجمهور رضي الله عنهم
زبر بفتح الباء وقرا الحسن بضمها وفي الكلام حذف تقديره
فاتوه اياها فامر برصف بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى
بين الصدفين وقرا الجمهور ساوى وقتادة سوى بالتشديد
وابن ابي امية عن ابي بكر رضي الله عنه عن عاصم سووي
مبنيا للمفعول وحكى في الكشف ان ذا القرنين قاس ما بين
الصدفين من حفر الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه
الصخر وطينه النحاس يذاب بالنار ثم يصب عليه وجعل
البنيان من زبر الحديد ثم جعل بينها الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ وامرهم ان ينفخوا
حتى اذا صارت كالنار امر بصب النحاس المذاب على ذلك الحديد
المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون
فرسخا وفي الحديث ايضا ان رجلا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
به فقال كيف رايته فقال كالبرد المحبر طريقة سودا
وطريقة حمرا قال قد رايته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وابن محيصن ومجاهد والحسن الصدفين بضم الصاد
والدال وابو بكر وابن محيصن وابو رجاء وعبد الرحمن كذلك لكن
الا انه سكن الدال وباقي السبعة وابو جعفر وشيبة وحميد
وطلحة وابن ابي ليلى وجماعة عن يعقوب وخلف في اختياره
وابو عبيد وابن سعدان بفتحهما وابن جندب بالفتح
واسكان الدال ورويت عن قتادة رضي الله عنه وقرا الماجشون
بالفتح وضم الدال او واسكان الدال ورويت عن قتادة رضي الله
عنه وقرا الماجشون بالفتح وضم الدال وقرا قتادة وابان عن
عاصم بضم الصاد وفتح الدال حتى اذا جعله نارا في الكلام حذف
تقديره فنفخوا حتى اذا صار الحديد كالنار وقرا
الجمهور قال آتوني اي اعطوني وقرا الاعمش رضي الله عنه
وطلحة وحمزة وابو بكر بخلاف عنه قال ائتوني اي جيئوني
وقطرا منصوب بافرغ على اعمال الثاني ومفعول آتوني
محذوف لدلالة الثاني عليه فما اسطاعوا اي ياجوج وماجوج

ان يظهروه

ان يظهروه اي يصعدوا عليه لعلوه وانملاسه ولا
ان ينقبوه لصلابته وثخانته فلا سبيل لهم الى المجاوزة الى
غيرهم من الامم الا باحد هذين السببين اما الارتقاء واما
النقب وقد سلبت قدرتهم على ذلك وقرا الجمهور فما اسطاعوا
بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرا حمزة وطلحة بادغامها بها
في الطاء وهو ادغام على غير حده وقال ابو علي رضي الله عنه هي
غير جايزة وقرا الاعمشي عن ابي بكر فما اصطاعوا بابدال السين
التي صادا لاجل الطاء وقرا الاعمش رضي الله عنه فما استطاعوا
بالتاء من غير حذف قال هذا رحمة من ربي اي قال ذو
القرنين والاشارة بهذا قال ابن عطية الى الردم والقوة عليه
والانتفاع به وقال الزمخشري اشارة الى السد اي هذا
السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين
من تسويته فاذا جاء وعد ربي في الكلام حذف وتقديره فلما
اكمل بناء السد واستوى واستحكم قال هذا رحمة
من ربي وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة من ربي بتانيث اسم هذه
الاشارة والوعد يحتمل ان يراد به يوم القيامة وان يراد
به وقت خروج ياجوج وماجوج وقال الزمخشري رضي
الله عنه فاذا دنا مجي يوم القيامة وشارف ان ياتي
جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك وقرا الكوفيون
دكاء بالمد ممنوع الصرف وباقي السبعة دكا منونا
مصدر دككته والظاهر ان جعل بمعنى صير فدكا
مفعول ثان وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل
ان يكون جعل بمعنى خلق وينتصب دكا على الحال وهذا
بعيد جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق
المخلوق لكنه ينتقل من هيئة الى هيئة اخرى ووعد حد
بمعنى موعود لا مصدر والمعنى فاذا جاء وعد ربي اي موعود موعود
ربي لا يريد المصدر لان المصدر قد سبق وتركنا ا
الضمير لله عز وجل والاظهر ان الضمير في بعضهم عائد على
ياجوج وماجوج والجملة المحذوفة بعد اذا المعوض
منها التنوين مقدرة باذ جاء الوعد بخروجهم وانتشارهم رسلهم
في الارض او مقدرة باذ حجز السد بينهم وبين القوم الذين
كانوا يفسدون عندهم وهم محجوبون من الشر يماج بعضهم
في بعض وكثرتهم وقيل الضمير في بعضهم يعود على الخلق الى يوم
دكا وعد الله وهو يوم القيامة ويقويه قوله عز وجل ونفخ في الصور

فجمعناهم جمعا فيه ان ذلك يوم القيامة وكذلك ما كان
بعده من النفخ وعرض جهنم ويتقدم الكلام على النفخ في الصور في
سورة الانعام وجمعا مصدر مؤكد وعرضنا اي ابرزنا جهنم
يومئذ اي يوم اذ جمعناهم وقيل اللام بمعنى على كقوله بعضهم
نحو عرضنا للكافرين للعيان • والبعد من ذهب الى انه مقلوب
والتقدير وعرضنا الكافرين على جهنم في الحقيقة عرضا
وتخصيصه بالكافرين بشارة للمؤمنين والذين كانت اعينهم
صفة ذم في غطاء استعار الغطاء لاعينهم والمراد انهم قد
لا يبصرون آياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها وان ذكر بالتعظيم
وهذا على حذف مضاف اي عن آيات ذكري وقيل عن
ذكري اي عن القرآن وتأمل معانيه ويكون المراد بالاعين
هنا البصائر لا الجوارح لان الجوارح لا نسبة بينها وبين
الذكر وكانوا لا يستطيعون سمعا مبالغة في انتفاء
السمع اذ نفيت الاستطاعة عنهم وان كانوا صما لان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وكان هؤلاء اصمت
اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع • افحسب الذين كفروا ان
من عبد الملائكة وعزيرا وعيسى واتخذوهم ارباباً من دون
الله وهم بعض العرب واليهود والنصارى وهو استفهام
يتضمن الانكار والتوبيخ والمعنى انهم ليس لهم من ولاية هؤلاء فيه
الذين تولوهم شيء ولا يجدون عندهم منتفعا ويظهر
ان في الكلام حذفا والتقدير ان يتخذوا عبادي من دوني
اولياء فيجزيهم ذلك وينتفعون بذلك الاتخاذ وقيل فيجزي
العباد هنا الشياطين روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد
رضي الله عنهما وقال مجاهد رضي الله عنه المراد هنا الاصنام
لانها خلقه وملكه والاظهر تفسير العباد بما قلناه لاضافتهم
اليه والاكثر ان تكون الاضافة في مثل هذا اللفظ اضافة
تشريف وحسب هنا بمعنى ظن وقد قرأ عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما افحسب وقرأ علي بن ابي طالب وزيد بن علي
ابن الحسين ويحيى ابن يعمر ومجاهد وعكرمة وقتادة ونعيم
ابن ميسرة والضحاك وابن ابي ليلى وابن كثير ويعقوب
بخلاف عنهما وابن محيصن وابو حيوة والشافعي ومسعود
ابن صالح افحسب باسكان السين وضم الباء مضافا الى الذين
اي افكافيهم ومحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى ان ذلك قد
لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وقال ابو الفضل الرازي
رضي الله عنه قال سهل يعني اما حاتم معناه افحسبهم وظنهم

وحظهم

وحظهم الا ان افحسب ابلغ في الذم لانه جعله غاية مرادهم
انتهى وارتفع حسب على الابتداء والخبر ان يتخذوا وقال
ابن جني رضي الله عنه او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم
الزيدان وهي قراءة محكمة حسنة انتهى والذي يظهر ان هذا
الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم
من تفسير شيء بشيء ان يجري عليه جميع احكامه وقد
ذكر سيبويه رضي الله عنه حسبا من الصفات التي تجري مجرى
الاسماء وان الوجه فيها الرفع ثم قال ومثال ذلك ان تقول
مررت برجل حسبه ابوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر خيره
ومررت برجل ابي لك صاحبه ومررت برجل حسبك من
رجل هو ومررت برجل ايما رجل هو انتهى ولا يبعد ان يرتفع
الظاهر بعده فقد اجاز في مررت برجل ابي عشرة ابوه ارتفاع ع
ابوه باي عشرة لانه في معنى والد عشرة • انا اعتدنا اي
اعددنا وهيأنا او يسرنا وقربنا وجعلنا جهنم للكافرين
نزلا والنزل موضع النزول والنزل ايضا ما يقدم للضيف
اول وروده وهيئ له وللقادم من الطعام والنزل هنا
يحتمل التفسيرين ويكون موضع النزول قاله الزجاج رضي الله عنه
هنا وما يهيأ من الطعام للتنزيل فهذا قول القتيبي
رضي الله عنه وقيل جمع نازل ونصبه على الحال اي نازلين كبد
لاهله نحو شارف وشرف فان كان ما يقدم للضيف اول
وروده وللقادم فيكون كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول
الشاعر • تحية بينهم ضرب وجيع • وقرأ ابو حيوة
وابو عمرو بخلاف عنه نزلا باسكان الزاي انتهى والله اعلم
قوله عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي في
ورسلي هزوا • اي قل يا محمد لكفار قريش هل نخبركم الآية فاذا
طلبوا ذلك فقل لهم اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
فالاخسرون اعمالا روي عن الامام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد رضي الله عنه
هم اهل الكتاب وقيل هم الصابئون وسأل ابن الكواء
عليا رضي الله عنه عنهم فقال منهم اهل حروراء وينبغي حمل هذه

ورد فيها علي التمثيل صح

لا على الحق اذ الاخسرون اعمالا هم كل من دان بدين غير الاسلام او راءى
بعمله او اقام على بدعة تؤول به الى الكفر والاخسر من اتعب
نفسه فادى تعبه به الى النار وانتصب اعمالا على التمييز
وجمع لان اعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين
في عمل واحد والذين يصح رفعه على انه خبر مبتدا محذوف
اي هم الذين وكانه جواب عن سؤال ويجوز نصبه على
الذم وجره على الوصف او البدل وقوله ضل سعيهم اي
هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون من تجنيس
التصحيف وهو ان تكون النقط فرقا بين الكلمتين
ومنه قول ابي عبادة البحتري
ولم يكن المغتر بالله اذ سرى • ليعجز والمعتز بالله طالبه
ومن غريب هذا النوع من التجنيس قول الشاعر
سقيتني ربي وغنيتني • بحت بحبي حين بت الخردة • صحف
بقوله سقيتني ربي وغنيتني • تحت تحتي خش ابن الخردة •
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وابو السماك رضي الله عنه
فحبطت بفتح الباء وقراءة الجمهور بكسرها • وقرا الجمهور فلا نقيم
بالنون ونونا بالتحتية ومجاهد وعبيد بن عمير فلا يقيم
بالياء لتقدم قوله بآيات ربهم وعن عبيد ايضا فلا يقوم بفتح الياء
كانه جعل قام متعديا وعن مجاهد وابن محيصن ويعقوب
بخلاف عنهم فلا يقوم مضارع قام ووزن مرفوع به واحتمل
قوله فلا نقيم لهم الا انهم لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة
ومن لا حسنة له فهو في النار واحتمل ان يريد المجاز كانه قال
فلا قدر لهم عندنا يومئذ وفي الحديث يؤتى بالاكول الشروب
الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم قرا فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا وفي الحديث يأتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في
العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا ذلك جزاؤهم
مبتدا وخبر وجهنم بدل او ذلك اشارة الى ترك اقامة
الوزن ويجوز ان يشار بذلك الى ما تقدم وان كان مفردا الى
الجمع فيكون بمعنى اولئك ويكون جزاؤهم جهنم مبتدا وخبر
وقال ابو البقاء رضي الله عنه ذلك اي الامر ذلك وما بعده
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا وجزاؤهم مبتدا ثان
وجهنم خبره والجملة خبر الاول والعائد محذوف اي جزاؤهم به انتهى
ويحتاج هذا التوجيه الى نظر فانه وجه ان يكون ذلك مبتدا
وجزاؤهم بدل او عطف بيان وجهنم الخبر ويجوز ان يكون جهنم بدلا

من جزاؤهم

يحسنون

جزاء او خبر لابتداء محذوف اي هو جهنم وبما كفروا خبر ذلك
ولا يجوز ان يتعلق الباء بجزاؤهم للفصل بينهما واتخذوا
يجوز ان يكون معطوفا على كفروا وان يكون مستانفا انتهى
والآيات هي المعجزات الظاهرة على ايدي الانبياء عليهم الصلاة
والسلام والصحف الالهية المنزلة عليهم • قوله عز وجل ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل
انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
لما ذكر سبحانه وتعالى ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للمؤمنين
وفي الصحيح جنات الفردوس اربع اثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما
وما فيهما واثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وفي
حديث عبادة رضي الله عنه الفردوس اعلاها يعني اعلى تلك
الجنان قال قتادة رضي الله عنه ربوتها ومنها تتفجر انهار
الجنة وقال ابو هريرة رضي الله عنه جبل تتفجر منه انهار الجنة
وفي حديث ابي امامة الفردوس سرة الجنة اي وسطها وقال
مجاهد رضي الله عنه الفردوس البستان بالرومية وقال كعب
والضحاك جنات الفردوس هي الاعناب وقال عبد الله بن الحارث
ابن كعب انه جنات الكروم والاعناب خاصة من الثمار وقال
المبرد رضي الله عنه الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر
الملتف بعضه على بعض والجنات والاغلب عليه العنب
وحكى الزجاج رضي الله عنه انها الاودية التي تنبت ضروبا من
النبت وهل هو عربي ام اعجمي قولان واذا قلنا اعجمي فهل هو فارسي
او رومي او سرياني اقوال • وقال
حسان رضي الله عنه
وان ثواب الله كل موحد • جنان من الفردوس فيها يخلد
قيل ولم يسمع بالفردوس في كلام العرب الا في هذا البيت بيت حسان
وهذا لا يصح فقد قال امية بن ابي الصلت
كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة • فيها الفراديس والفوم والبصل
والفراديس جمع فردوس والظاهر ان معنى قوله جنات الفردوس اي
بساتين حول الفردوس ولذلك اضاف الجنات اليه وقيل الفردوس ايضا
الكرم مفردس اي معرش ولذلك سميت الروضة التي دون اليمامة
فردوسا لاجتماع نخلها وتعريشها على ارضها وفي دمشق باب يقال له
باب الفراديس يخرج منه الى البساتين ونزلا يحتمل ان يكون وبك

حليتهما

ح ابي امامة

اي ثواب كل موحد

متن

مما اخذ قوله نزلا هو

المستقر ومعنى حولا اي تحولا عنها قال ابن عباس رضي الله عنه
هو مصدر كالعوج والصغر قال الزجاج رضي الله عنه يقال
حال عن مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد
عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واما نيلهم وهذه
الوصف لان الانسان في الدنيا اذ في نعيم كان فهو طامح الطرف
الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود انتهى
وقال ابن عطية والحول بمعنى التحول قال مجاهد
متحولا وقال بعضهم ايضا [illegible] ثم تناسخها حول
وكانه اسم جمع وكان واحده حواله وفي هذا نظر وقال
الزجاج عن قوم هي بمعنى الحيلة في التنقل وهذا ضعيف
متكلف. قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا. قال ابن عباس
رضي الله عنهما سبب نزولها ان اليهود قالوا يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف تزعم انك نبي الامم كلها ومبعوث اليها
وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلوم وانت مقصر
عن الروح فلم تجب فيه نزلت معلمة باتساع معلومات
الله تعالى وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع
ولا يكثر فعبر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله تعالى
تعالى قل لو كان البحر مدادا الى اخر الاية وقيل قالت اليهود انا اوتينا
في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرءون
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير
ولكنه قطرة من بحر كلمات الله عز وجل قل لو كان البحر اي ماء البحر
مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من
السليط قال ابن الانباري مدادا لكلمات ربي اي معدا
لكتب كلمات ربي وهي علمه وحكمته وكتبت بذلك المداد
لنفد البحر قبل نفادها والذي يمد المداد قبل ان تنفد الكلمات
لان كلماته سبحانه وتعالى لا يمكن نفادها لانها لا تتناهى والبحر
ينفد لانه متناه ضرورة وليس ببدع ان اجهل شيئا من معلوماته
عز وجل وانما انا بشر مثلكم لم اعلم الا ما يوحى الي اولا ما اوحي
الي به واعلمت وقرا الجمهور مددا لكلمات ربي وقرا عبد
الله ابن مسعود وعبد الله ابن عباس وابن عمرو ومجاهد والاعرج
والحسن والمنقري عن ابي عمرو مدادا لكلمات ربي وقرا
الجمهور تنفد بالتاء من فوق وقرا حمزة والكسائي وعمرو بن عبيد
والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى بالياء وقرا السلمي رضي الله عنه
ان تنفد بتشديد الفاء على وزن تفعل على المضي وجاء كذلك

قد يستلبك م

ما يمد به

عن عاصم

عن عاصم وابي عمرو فهو مطاوع من نفد مددا نحو كثر بدد فتكسر
وفي قراءة الجماعة مطاوع الانفاد وجواب لو محذوف لدلالة
ما قبله عليه بتقديره لنفد وقرا الجمهور بمثله مددا بفتح الميم والدال
بغير الف وقرا الاعرج بكسر الميم وانتصب مددا على التمييز عن
مثل كقولك بعضهم فان الهوى يكفيكه مثله صبرا. وقرا
ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والاعمش بخلاف والتيمي
وابن محيصن وحميد والحسن في رواية وابو عمرو في رواية
وحفص في رواية بمثله مدادا بالف بين الدالين وكسر الميم
قال ابو الفضل الرازي رضي الله عنه ويجوز ان يكون نصبه
على المصدر بمعنى ولو امددناه بمثله امدادا ثم ناب المدد
مناب الامداد ومثله انبتكم نباتا وفي قوله بشر مثلكم
اعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك لا ادعي انني ملك يوحى الي
اي على انما الهكم مستند الى وحي ربي وبينه سبحانه وتعالى على
الوحدانية لانهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام ثم حض على ما فيه
النجاة ويرجو بمعنى يطمع ولقاء ربه على تقدير محذوف اي
حسن لقاء ربه وقيل يرجو اي يخاف سوء لقاء ربه اي
لقاء جزاء ربه وحمل الرجاء على بابه اجود لبسط النفس
الى احسان الله سبحانه وتعالى ونهى عن الاشراك بعبادة
الله وقال ابن جبير رضي الله عنه لا يرائي بعمله فلا يبتغي الا
وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره نزلت هذه الاية
في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل
العمل لله واذا اطلع عليه سرني فقال ان الله عز وجل لا يقبل
ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر
العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وقال معاوية ابن
ابي سفيان رضي الله عنه هذه الاية اخر اية نزلت من القران وقرا
الجمهور ولا يشرك بياء الغائب كالامر في قوله فليعمل وقرا
ابو عمرو في رواية الجعفي عنه ولا تشرك بالتاء خطابا للسامع
والتفاتا من ضمير الغائب الى ضمير المخاطب وهو المامور بالعمل
الصالح ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة في قوله
ربه ولم يات التركيب بربك ايذانا بان الضميرين لمدلول واحد
وهو من في قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا انتهى والحمد لله رب العالمين. المفردات
اشتعل اي النار ننتشر فيها في التهابها فصارت شعلة وقيل
هو سطوع النار شيبا معروف وهو قولهم شاب شعره اذا
ابيض بعدما كان بلون غيره. المخاض اشتداد وجع الولادة

من الامداد

في عمله

بدا

المفردات

لطلوع

الجذع ما بين الارض الى مبدا الشجرة منها وبين متشعب الاغصان ويقال للغصن ايضا جذع وجمعه اجذاع في القلة وجذوع في الكثرة السري المرتفع القدر يقال سرو يسرو وفي الجمع على سراة بفتح السين وسروات وهما شاذان فيه وهما سـ افعلاء والسري النهر الصغير لان الماء يسري فيه ولامه ياء كما ان لام ذلك واو وقد قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

اي جدولا الهز التحريك الرطب معروف واحده رطبة وجمع شاذا على ارطاب كربع وارباع وابو محمد قطعي قال انه يتيبس او يشتد الجني ما طاب وصلح للاجتناء وقال ابو عمرو ابن العلاء هو ما لم يجف ولم ييبس وقيل الجني ما رطب من البسر وقال الفراء رضي الله عنه الجني والمجني واحد وعند الحكيم المقطوع قرة العين مأخوذ من القر يقال دمع الفرح بارد ودمع الحزن سخن اللمس وقال ابو تمام

فاما عيون العاشقين فاسخنت * واما عيون الشامتين فقرت

وقيل تقول قررت به عينا وقررت بالمكان اقر واقر بكذا تقول قررت به عينا الفري العظيم من الامر ويستعمل في الخير وفي الشر ومنه في وصف عمر فلم ار عبقريا يفري فريه والفري القطع وفي الشعر جاء يفري الفري اي يعمل عظيما من العمل قولا او فعلا وقال الزمخشري رضي الله عنه الفري البديع وهو من فري الجلد الاشارة معروفة تكون باليد وتكون بالعين وبالحوا والراس والفم واشار اليه مستقلة عن ياء يقال تشاورنا الهلال للمفاعلة وقال كثير

فقلت وفي الاحشاء داء مخامر * الا حبذا يا عز ذاك التشاير

سورة مريم عليها الصلاة والسلام

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا

عصيا

فاسخنت

عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا. هذه السورة مكية كلها في قبلها اي كسورة الكهف وقال مقاتل رحمه الله غير الآية السجدة فهي مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه سبحانه وتعالى ضمن السورة التي قبلها قصصا عجبا كقصة اهل الكهف وقصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وقصة ذي القرنين وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام بين شيخ فان وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير اب فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك وتقدم الكلام في اول سورة البقرة على هذه الحروف المقطعة التي في اوائل السور بما يوقف عليه هناك وذكر خبر مبتدا محذوف اي هذا المتلو من هذا القرآن ذكر وقيل رحمة وقيل ذكر خبر لقوله كهيعص وهو مبتدا ذكره الفراء رضي الله عنه قيل وفيه بعد لان الخبر هو المبتدا في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها وقيل ذكر مبتدا والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم ذكر رحمة ربك. وقرأ الجمهور كاف باسكان آخره وروي عن الحسن رضي الله عنه ضمها وكاف ها يا بفتح هاء ويا والنطق بالظاهر دال صاد عند ذكر وقرأ الحسن رضي الله عنه بضم الهاء وعنه ايضا ضم الياء وكسر الهاء وعن عاصم ضم الياء وعنه كسرهما وعن حمزة رضي الله عنه فتح الهاء وكسر الياء وقال ابو عمرو الداني رضي الله عنه معنى الضم في الهاء والياء اشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب. وقال ابو الفضل عبد الرحمن بن احمد بن الحسن ابن المقري الرازي في كتاب اللوائح في شواذ القراءات خارجة عن الحسن كاف بضم الكاف ونصر ابن عاصم عنه بضم الهاء وهارون بن موسى العتكي عن اسماعيل عنه بالضم وهذه اشباعات من حركتها الضم ولذلك معمومات المحال في الحقيقة لانها لو كانت كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الالفات واوات ولم يختلف هذه الالفات نحو الواو على لغة اهل الحجاز وهي التي تسمى الف التفخيم ضد الالف الممالة فاشبعت الفتحات التي تولدت منها الالفات وهذه الفتحة كما رجحوا عن الفتحة الممالة التي قريبة من الكسرة بالكسرة لتقريب الالف بعدها من الياء انتهى. وقرأ ابو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض فرقا بينها وبين ما ائتلف من الحروف فيصير اجزاء الكلام فاقتضت اسكان آخره واظهر الذكر ون دال صاد عند ذال ذكر رحمة ربك وادغمها ابو عمرو رضي الله عنه وقرا حفص عن عاصم وقرئ باظهار النون من عين والجمهور على اخفائها

ذا آد ذكره

بيان

وقرأ الحسن وابن يعمر ذكر فعلا ماضيا اي بتشديد الكاف رحمة بالنصب
حكاه ابو الفتح رضي الله عنه وذكره الزمخشري رضي الله عنه عن الحسن رضي
الله عنه اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وذكر الداني رضي الله عنه
عن ابن يعمر ذكّر فعل امر وهو بتشديد الكاف مع كسرها من التذكير
اي ومن اتبعه ذكّر رحمة بالنصب وعنده نصب بالرحمة اي ذكرن رحمة
ربك عبده وذكر صاحب كتاب اللوامح ان ذكر بتشديد الكاف فعلا
ماضيا الى تقدمت عن الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يعمر ومعناه
ان المتلو اي القرآن ذكر رحمة ربك فلما نزع الباء انتصب
ويجوز ان يكون معناه ان القرآن ذكر الناس تذكيرا ان رحم الله
عبده فيكون المصدر عاملا في عبده زكريا لانه ذكرهم بما نسوه من
رحمة الله سبحانه وتعالى فتجدد عليهم بالقرآن ونزوله على النبي صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يكون ذكر على المضي مسندا الى الله سبحانه وتعالى وقرأ
ذكر على الامر خفيفا من الذكر رحمة ربك عبده بنصب التاء وعبده
بالرفع باسناد الفعل الى الاول وقال ابن خالويه ذكر رحمة ربك
عبده يحيى بن يعمر وذكره على الامر عنه ايضا انتهى واذ ظرف العامل
فيه معنى الاشارة قال الحوفي رضي الله عنه ومعنى الاشارة هنا ذكر رحمة
ربك عبده وقال ابو البقاء رضي الله عنه واذ ظرف لرحمة او لذكر انتهى
ووصف نداءه بانه خفي قال ابن جريج لئلا يخاطر رياء وقال مقاتل
رضي الله عنه لئلا يعاب بطلب الولد في الكبر وقال قتادة رضي الله عنه
لان السر والعلانية عنده تعالى سواء وقيل اسره من مواليه الذين
خافهم وقيل لانه امر دنيوي فاخفاه لانه ان اجيب فذاك
بغيته وان لا فلا يعرف ذلك احد اي لا يعرفه احد وقيل لانه كان
في جوف الليل وقيل اخلاصه فيه فلا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى
وقيل لضعف صوته بسبب هرمه كما قيل الشيخ صوته خفات
وسمعه تارات وقيل لان الاخفاء سنة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام والجهر به قد يعد من الاعتداء وفي التنزيل
ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وفي الحديث انكم
لا تدعون اصم ولا غائبا قال رب اني وهن العظم مني هذه
كيفية دعائه وتفسير ندائه وقرأ الجمهور وهن بفتح الهاء
وقرأ الاعمش بكسرها وقرئ بضمها لغات ثلاثة ومعناه
ضعف واسند الوهن الى العظم لانه عمود البدن وبه قوامه
وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى ما وراءه وتساقطت قوته
ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
ووحد العظم لانه يدل على الجنس وقصد الى ان هذا الجنس هو العمود
والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصد

اخره

الى وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها وقال قتادة رضي الله
عنه اشتكى سقوط الاضراس قال الكرماني رضي الله عنه وكان له
سبعون سنة وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسعون وقيل
خمس وستون واشتعل الشيب شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في
الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال
النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر
الراس ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس
اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا عليه الصلاة والسلام فمن ثم
فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قاله الزمخشري
رضي الله عنه ولما هذا نظر ابن دريد فقال
واشتعل المبيض في مسوده • مثل اشتعال النار في جزل الغضا •
وبعضهم اعرب شيبا مصدرا قال لان معنى واشتعل الراس شيبا اي
شاب وابيض فهو مصدر من المعنى وقيل هو مصدر في موضع
نصب على الحال واشتعال الراس استعارة المحسوس للمحسوس و
المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما
الانبساط والانتشار ولم اكن بدعائك رب شقيا اي ما كنت بدعائك
رب شقيا بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت تجيب دعائي فاسعد
بذلك تعلق هذا الكاف مفعول وقيل المعنى بدعائك الى
الايمان شقيا بل كنت ممن اطاعك وعبدك مخلصا فالكاف على
هذا فاعل والاظهر الاول شكر الله سبحانه وتعالى بما سلف
اليه من انعامه عليه اي قد احسنت الي فيما سلف وسعدت
بدعائي اياك فالانعام يقتضي ان تجيبني اخرا كما اجبتني اولا
وروي ان حاتم الطائي جاءه رجل طالب حاجة فقال انا
الذي احسنت اليه وقت كذا فقال الحاتم مرحبا بالذي توسل بنا الينا
وقضى حاجته واني خفت الموالي من ورائي الموالي هم بنو
العم والقرابة الذين يلونه بالنسب قال الشاعر
مهلا بني عمنا مهلا موالينا • لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا •
وقال لبيد
ومولى قد دفعت الضيم عنه • وقد امسى بمنزلة المضيم
• وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكذا قال قتادة ومجاهد وابو
رضي الله عنهم اجمعين الموالي هنا الكلالة خاف ان يرثوا ماله وان
ترثه الكلالة وروى قتادة والحسن رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يرحم الله اخي زكريا ما كان عليه من يرث ماله وقالت
فرقة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين
فطلب وليا يقوم بالدين بعده وهذا لا يصح عنه اذ قال عليه الصلاة والسلام لا

واني خفت الموالي من ورائي

صالح

نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة والظاهر ان زكريا
عليه الصلاة والسلام من حيث هو معصوم انه لا يطلب الولد لاجل ان
ما يخلفه من حطام الدنيا وكذلك قوله قال انما خاف ان تنقطع النبوة
من ولده ويرجع الى عصبته لان ذلك انما يصنعه الله حيث شاء ولا اعتراض
على الله فيمن شاء واصطفاه من عباده قال الزمخشري كانت
مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين
ان يغيروه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا صالحا
من صلبه يقتدي به في احياء الدين وقرأ الجمهور خفت من الخوف
وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن
العاص وابن يعمر وابن جبير وعلي بن الحسين وولده محمد
وزيد وشبيل بن عزرة والوليد بن مسلم لابن عامر خفت الموالي
بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء الا انه الموالي بسكون
الياء يعني انقطعوا وماتوا فانا اطلب وليا يقوم بالدين
وقرأ الزهري خفت من الخوف الموالي بسكون الياء وعلى هذه
خفت من الخوف يكون من ورائي اي من بعد موتي وعلى قراءة
خفت يحتمل ان يتعلق من ورائي بخفت وهو الظاهر فالمعنى
انهم خفوا قدامي اي درجوا فلم يبق منهم من له تقوى واعتضاد وان
يتعلق بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين وقال يعني
خلفي ومن بعدي فسال ربه سبحانه وتعالى تقويتهم ومظاهرتهم
بولي يرزقه وروى عن ابن كثير من وراي مقصورا مفتوح الياء
كعصاي وتقدم شرح العاقر في سورة آل عمران وقوله من لدنك
تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله عز وجل وصادرا من عنده
او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة
والظاهر انه طلب من الله سبحانه وتعالى ان يهبه وليا ولم يصرح
بان يكون ولدا لبعد ذلك عنده لكبره وكون امراته عاقرا كما تقدم
وقيل انما سال الولد وقرأ الجمهور يرثني ويرث برفع الفعلين
صفة للولي فان كان طلب الولد فوصفه بانه تكون الاجابة في حياته
حتى يرثه لئلا تكون الاجابة في الولد لكن يخترم فلا يحصل ما قصده وقرأ
النحويان والزهري والاعمش وطلحة واليزيدي وابن عيسى الاصبهاني
وابن محيصن وقتادة بجزمهما على جواب الامر وقرأ علي وابن عباس والحسن
وابن يعمر والجحدري وقتادة وابو حرب بن ابي الاسود وجعفر بن محمد
وابو نهيك يرثني بالرفع والياء وارث جعلوه فعلا مضارعا من
ورث قال صاحب كتاب اللوامح وفيه تقديم ومعناه فهب لي
من لدنك وليا من آل يعقوب يرثني ان مت قبله اي نبوتي وارث
ان مات قبلي اي ارث ماله وهذا معنى قول الحسن رضي الله عنه

مرضيا

وقرأ علي وابن عباس

وقرأ علي وابن عباس والجحدري يرثني وارث من آل يعقوب قال ابو الفتح رضي الله
عنه هذا هو التجريد التقدير يرثني منه وارث وقال الزمخشري رضي الله عنه
وارث اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث
هنا ارث العلم لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تورث المال وقيل
يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته
وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية
لان آل يعقوب ليس كلهم انبياء ولا علماء وقرأ مجاهد رضي
الله عنه او يرث من آل يعقوب على التصغير واصله وويرث
فابدلت الواو همزة على اللزوم لاجتماع الواوين وهو تصغير
وارث اي غلام صغير وعن الجحدري وارث بكسر الواو يعني
به الامالة المحضة لا الكسر الخالص والظاهر ان المراد بيعقوب
هو ابن اسحاق بن ابراهيم وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا
عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم
اخوان من نسل سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
ورضيا بمعنى مرضيا يا زكريا اي قيل له بلا واسطة الدعاء وقيل
انه قد بعد اربعين سنة من دعائه وقيل بعد ستين سنة
والمنادي والمبشر زكريا عليه الصلاة والسلام هم الملائكة
بوحي من الله سبحانه وتعالى قال تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي
في المحراب الآية والغلام الولد الذكر وقد يقال للانثى غلامة
كما قال تهان لها الغلامة والغلام والظاهر ان يحيى ليس
عربيا لانه لم تكن عادتهم ان يسموا بالفاظ العربية فيكون
منعه الصرف للعلمية والعجمة وان كان عربيا فيكون مسمى بالفعل
كيعمر ويعيش وقد سموا بيموت وهو يموت ابن المزرع ابن اخت
الجاحظ وعلى انه عربي فقيل سمي بذلك لانه حيي بالحكمة والعفة
وقيل يحيى بهدايته وارشاده خلق كثير وقيل لانه يستشهد
والشهداء احياء وقيل لانه معمر اي يعيش زمانا طويلا وقيل
لانه قد حيي بين شيخ كبير وام عاقر وقيل لانه حيي به
عقر امه وكانت قبله لا تلد وقال ابن عباس وقتادة والسدي
وابن اسلم لم يسم قبله احد بيحيى قال الزمخشري رضي الله عنه
وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة
واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه
وانزه عن النبز واللقب حتى قال القائل في مدح قوم
شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سال عن نسبه انا ابن
العجاج فقال قصرت وعرفت انتهى وقيل للصلت بن عطاء كيف

الحبورة

اي غلام صغير

تعذفت عند البرامكة وعندهم من هو ادب منك فقال كنت غريب
الدار غريب الاسم خفيف الجرم شحيحا بالاستلام فذكر تمام قدرته
كونه غريب الاسم انه كان اسمه العقعق وقال مجاهد وغيره سميا مثلا
اي لم نجعل له من قبل مثلا ولا نظيرا وكانه من المساماة والسمو
قال ابن عطية رضي الله عنه وهذا فيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم
وموسى عليهما الصلاة والسلام وقال ابن عباس ايضا لم تلد العواقر
مثله قال الزمخشري رضي الله عنه وانما قيل للمثل سمي لان كل
متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل
والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه وقيل لم يكن له مثل في انه
لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر
وانه كان حصورا انتهى • قال رب انى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها في
قوله قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر في آل
عمران والعتي المبالغة في الكبر ويبس العود • وقرأ ابو بحرية وابن
وابن ابي ليلى والاعمش وحمزة والكسائي عتيا بكسر العين والباقي السبعة
بالضم وعبد الله بفتح العين وصاد صليا جعلهما مصدرين كالعجيج
والرحيل وفي الضم هما كذلك الا انهما على فعول وعن عبد الله
ومجاهد رضي الله عنهما عسيا بضم العين وبالسين المهملة كسورة وحكاها
الداني عن ابن عباس رضي الله عنهما وحكاها الزمخشري عن ابي ومجاهد
يقال عتا العود وعسا اي يبس وجسا • قال كذلك اي الامر كذلك
تصديق له ثم ابتدأ قال ربك فالكاف رفع او نصب بقال وذلك
اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • وقرأ الحسن وهو علي هين
ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك
يهون ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله
عز وجل لا الى قول زكريا عليه الصلاة والسلام وقال المحذوفة
في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان
شئت لم تنوه لان الله عز وجل هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده
وقوله الحق قاله الزمخشري رضي الله عنه وقال ابن عطية رضي الله عنه
وقوله قال كذلك قيل ان المعنى قال له الملك كذلك فليكن
الموجود كما قيل لك قال ربك خلق الغلام علي هين اي غير بدع
وكما خلقتك قبل واخرجتك من عدم الى وجود كذلك افعل
الآن وقال الطبري معنى قوله كذلك اي الامران اللذان ذكرت
من المراة العاقر والكبرة هو كذلك ولكن قال ربك والمعنى عندي قال
الملك كذلك اي على هذه الحال قال ربك هو علي هين انتهى وقرأ
الحسن رضي الله عنه هو علي هين بكسر الياء وقد انشدوا قول النابغة

علي لعمرو

علي

علي لعمرو نعمة بعد نعمة • لوالده ليست بذات عقارب
بكسر ياء المتكلم وكسرها شبيهة بقراءة حمزة وما انتم بمصرخي
بكسر الياء وقرأ الجمهور وقد خلقتك بتاء الخطاب [illegible]
التكلم وبناء المتكلم وقرأ الاعمش وطلحة وابن وثاب وحمزة
والكسائي خلقناك بنون العظمة ولم تك شيئا اي شيئا موجودا
وقال الزمخشري رضي الله عنه شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا
يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء اذا رأى غير شيء ظنه رجلا قال رب
اي قال زكريا عليه الصلاة والسلام اي فاذ بعد تمام دعائه
رب اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال
ابن عباس رضي الله عنهما وطلب ذلك ليزداد يقينه كما قال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبي لا لتوقف منه في صدق ما وعد
به ولا لتوهم ان ذلك من عند غير الله لعصمة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام عن مثل ذلك وقال الزجاج رضي الله عنه وقعت
البشارة مطلقة فلم يعرف الوقت فطلب الآية ليعرف وقت
الوقوع • قال آيتك وروي عن ابي زيد الانصاري رضي الله عنه
انه لما حملت زوجته بيحيى عليه الصلاة والسلام اصبح لا
يستطيع ان يكلم احدا وهو مع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله عز
وجل فاذا اراد مناداة احد من الناس لم يطق ان يكلمه • وسويا
حال من ضمير ان لا تكلم اي في حال صحتك ليس بك خرس ولا علة
قاله الجمهور رضي الله عنهم اجمعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سويا عائد على الليالي اي كاملات سويات او مستويات فتكون
صفة لثلاث ودلت ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع
من الكلام استمر له ثلاثة ايام بلياليهن • وقرأ ابن ابي عبلة وزيد
ابن علي رضي الله عنهما ان لا تكلم برفع الميم جعلها ان المخففة من
الثقيلة التقدير انه لا يكلم • وقرأ الجمهور بنصبها جعلوا ان الا
هي الناصبة للمضارع • فخرج على قومه من المحراب اي وهو
بتلك الصفة من كونه لا يستطيع ان يكلم الناس والمحراب هو موضع
المصلاة والمحراب قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران • فاوحى
اليهم اي اشار قاله قتادة وابن منبه والكلبي والقرطبي واوحى اليهم
اي اشار اليهم وذكره الزمخشري عن مجاهد رضي الله عنه
ويشهد له قوله الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وقال
ابن عطية رضي الله عنه وقال مجاهد رضي الله عنه بل كتب لهم
في التراب وكلا الوجهين وحي وقال عكرمة كتب في ورقة والوحي في
كلام العرب الكتابة ومنه قول ذي الرمة
سوى الاربع الدهم اللواتي كأنها • بقية وحي في بطون الصحائف

عن ابن زيد

وقال عنترة • كوحي صحائف من عهد كسرى • فاهداها لاعجم طمطمي
وقال جرير • كان اخا اليهود يخط وحيا • بكاف في منازلها ولام
والجمهور على ان معناه ان سبحوا صلوا وقيل امرهم بذكر الله والتسبيح قال
المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة اشارة
وقال صاحب كتاب التحرير والتحبير وعندي في هذا معنى لطيف
وهو انه انما خص بالتسبيح بالذكر لان العادة جارية ان كل من راى
امرا عجب منه او راى فيه بديع صنعة او غريب حكمة يقول سبحان
الله سبحان الخالق العظيم فلما راى حصول الولد من شيخ وامراة
عاقر عجب من ذلك فسبح وامر بالتسبيح انتهى وقال الزمخشري
رضي الله عنه وكذا قال ابن عطية رحمه الله تعالى ان قوله ان سبحوا
مفسرة وقال الحوفي ان سبحوا ان نصب باوحى وقال ابو البقاء
رضي الله عنه يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى اي سبحوا
انتهى وقرا طلحة ان سبحوه بهاء بعد الواو وتسبيحها الضمير وهي عائدة
على الله عز وجل • وروى ابن غزوان عن طلحة رضي الله عنه ان
سبحن بنون مشددة من غير واو الحق فعل الامر نون التوكيد
الشديدة • يا يحيى خذ الكتاب بقوة • في الكلام حذف
والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال
الله تعالى له على لسان الملك وقد تقدم التبريزي رضي الله عنه
في قوله ان المنادي له ابوه حين ترعرع ونشا والصحيح ما تقدم لقوله
وآتيناه الحكم صبيا • والكتاب هو التوراة قال ابن عطية رضي الله عنه
بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يكن الانجيل
موجودا انتهى وليس كما قال بل له كتاب خص به كما خص كثير
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثل ذلك وقيل الكتاب
هنا اسم جنس اي اتل كتب الله وقيل الكتاب هو صحف ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وقال الحسن رضي الله عنه وعلمه التوراة
والانجيل وارسله الى بني اسرائيل وكان عليه الصلاة والسلام يصوم
ويصلي في حال طفوليته ويدعو الى الله عز وجل • بقوة بجد وحرص
واجتهاد واستظهار وعمل بما فيه • والحكم هو النبوة وحكم الكتاب
والحكمة والعلم بالاحكام واللب وهو العقل وآداب الخدمة
والفراسة الصادقة اقوال • صبيا اي شابا لم يبلغ سن الكهولة
وقيل وهو ابن سنتين وقيل ثلاث سنين وعن ابن عباس في حديث
مرفوع ابن سبع سنين • وحنانا معطوف على الحكم والحنان الرحمة
قال ابن عباس في رواية وقاله الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك
وابو عبيدة والفراء وانشد ابو عبيدة رضي الله عنه تقول •
• تحنن علي هداك المليك • فان لكل مقام مقالا •

قال

قال واكثر ما تستعمل مثنى كما قال • حنانيك بعض الشر اهون من بعض •
وقال ابن الانباري رضي الله عنه المعنى وجعلناه حنانا لاهل زمانه
وقال مجاهد رضي الله عنه وتعطفا من ربه عليه وعن ابن جبير لينا
وعن عكرمة وابن زيد محبة وعن عطاء رضي الله عنه تعظيما • وقوله وزكوة
قال الضحاك وقتادة رضي الله عنهما يعني عملا صالحا وعن ابن السائب
صدقة تصدق بها على ابويه وعن الزجاج تطهيرا وعن ابن الانباري
رضي الله عنه زيادة في الخير وقيل ثناء وحسنا كما زكى الشهود
• وكان تقيا قال قتادة رضي الله عنه روي انه لم يهم قط بمعصية
اي لا كبيرة ولا صغيرة ولا هم بامراة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
جعله متقيا له لا يعدل به غيره وقال مجاهد كان طعامه العشب
المباح وكان للدموع في خديه مجاري بائنة • وبرا بوالديه كان
عليه الصلاة والسلام كثير البر والاكرام والتبجيل • وقرا الحسن وابو
جعفر في رواية وابو نهيك وابو مجلز وبرا في الموضعين بكسر
الباء اي وذا بر • ولم يكن جبارا اي متكبرا عصيا اي عاصيا
كثير العصيان واصله عصوي فعول للمبالغة ويحتمل
ان يكون فعيلا وهي من صيغ المبالغة • وسلام عليه قال
الطبري رضي الله عنه اي امان قال ابن عطية رضي الله عنه والاظهر
انها التحية المتعارفة وانما الشرف في ان سلم الله عليه وحياه في
المواطن التي الانسان فيها يكون في غاية الضعف والحاجة
وقلة الحيلة والفقر الى الله عز وجل وذكر الطبري عن الحسن رضي
الله عنه ان عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام التقيا وهما
ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع لي فانت خير مني فقال
له عيسى بل انت فادع لي لانك انت خير مني سلم الله عليك
وانا سلمت على نفسي وقال ابو عبد الله الرازي رضي الله
عنه وسلام عليه يوم ولد اي امان عليه من ان يناله الشيطان
ويوم يموت اي امان من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي من
عذاب الله عز وجل يوم القيامة وفي قوله ويوم يبعث حيا تنبيه
على كونه من الشهداء لقوله عز وجل بل احياء عند ربهم يرزقون وهذا
السلام يحتمل ان يكون من الله عز وجل ويحتمل ان يكون من الملائكة
انتهى والاظهر انه من الله عز وجل لانه في سياق وآتيناه الحكم
قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا
شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم
اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة
منا وكان امرا مقضيا

وكذا باقي الانبياء عليهم الصلاة والسلام

بحملة فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني
قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر
احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا. مناسبة
هذه الاية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه للولد
واجابة الله اياه فولد له من شيخ فان وعجوز لم تلد قط وكان ذلك مما
يتعجب منه اردفه بما هو اعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير
ذكر فدل ذلك على عظم قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته وايضا
فقص عليهم ما سالوه من قصة اهل الكهف واتبع ذلك بقصة
الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام ثم قص عليهم ما سالوه ايضا
من قصة ذي القرنين فذكر في هذه السورة قصصا لم يسالوه
عنها وفيها غرابة ثم اتبع ذلك بقصة ابراهيم وموسى عليهما الصلاة
والسلام وهرون ونبوته ثم بقصة اسماعيل وادريس عليهما
الصلاة والسلام ليستقر وانهم اذا اطلع نبيه صلى الله عليه
وسلم على ما سالوه وعلى ما لم يسالوه وان الرسول عليه الصلاة والسلام
وحده في ذلك واحد يدل على صدقه وصحة رسالته من احوال من قرا عليه الصلاة والسلام
الكتب ولا رحل ولا اخذ لطمن له علم ولا عني بجمع سيره والكتاب
هنا القران ومريم هي ابنة عمران ام عيسى واذ في ظرف زمان
منصوب بما ذكر ولا يمكن ذلك مع بقائه على الظرفية لان الاستقبال
لا يقع في الماضي وقال الزمخشري رضي الله عنه اذ بدل من مريم
بدل اشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود
بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيها انتهى.
ونصب اذ بما ذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف في اذ وهي من
الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالاولى
ان يجعل ثم معطوف محذوف دل المعنى عليه وهو يكون
العامل في اذ وبقي على ظرفيتها وعدم تصرفها وهو ان يقدر
مريم وما جرى لها. اذ انتبذت واستبعد ابو البقاء رضي
الله عنه قول الزمخشري رضي الله عنه قال لان الزمان اذا لم يكن حالا
عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا لها لم يكن بدلا منها انتهى
واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة قال وقيل التقدير
خبر مريم فاذ منصوبة بخبر وقيل حال من هذا المضاف المحذوف
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي ان لم
تكرمني قال ابو البقاء رضي الله عنه فعلى هذا يصح بدل الاشتمال
اي واذكر مريم انتباذها انتهى وانتبذت افتعل من نبذ ومعناه

ارمت

٢٠٣

قصة مريم عليها الصلاة والسلام

ارمت وتنحت وانفردت. قال السدي رضي الله عنه انتبذت لتطهر
من حيض وقال غيره لتعبد الله عز وجل وكانت وقفا على سدانة
المسجد وخدمته والعبادة فتنحت من اهلها كذلك
وانتصب مكانا على الظرف اي في مكان ووصف بشرقيا لانه كان مما
يلي بيت المقدس او من دارها وبسبب كونه في الشرق انهم كانوا
يعظمون جهة الشرق من حيث تطلع الشمس وعن ابن عباس رضي الله
عنهما اتخذت النصارى الشرق قبلة لميلاد عيسى عليه الصلاة
والسلام وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة
بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد. فبينما هي
في مغتسلها اذا اتاها الملك جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة
ادمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص
من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وقال
قتادة شرقيا شاسعا بعيدا انتهى والحجاب الذي اتخذته
لتستتر به عن الناس لعبادة ربها قال السدي رضي الله عنه
كان من جدران وقيل كان من ثياب وعن ابن عباس رضي الله
عنهما جعلت الجبل بينها وبين الناس حجابا والظاهر ان الارسال
الى من الله عز وجل ومحاورة الملك يدل على انها نبية وقيل انها
لم تنبأ وانما كلمها مثال بشر وروحنا الملك كما في جبريل
في صفة دحية وفي سؤاله عن الايمان والاسلام والظاهر
ان الروح جبريل عليه الصلاة والسلام لان الدين يحيى به وبوحيه
او سماه روحا على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول
لحبيبك انت روحي وقيل عيسى كما قال وروح منه وعلى هذا
يكون قوله فتمثل لها يعني الملك. وقرا ابو حيوة وسهل
رضي الله عنهما روحنا بفتح الراء وبه قال غيره لانه سبب لما فيه
روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين
في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا
روحنا وذكر النقاش انه قرئ روحنا بتشديد النون
النون اسم ملك من الملائكة وانتصب بشرا سويا على الحال
لقوله واحسانا بتمثل في الملك رجلا وقيل لما تمثل لها في
صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر منه ولو كان بدا
لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل
على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت به من
تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله لها على
تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها فقد كانت في منزلها فجاءها

زكريا عليه الصلاة والسلام ولها محراب على حدة تسكنه وكان
زكريا عليه الصلاة والسلام اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان
تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت
فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين
يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدمة بيت المقدس
وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه لانه لا تنفع الاستعاذة ولا
تجدي الا عند من يتقي الله اي ان كان يرجى منك ان
تتقي الله وتخشاه وتحتفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني اعوذ وقال
الزجاج رضي الله عنه اي فستتعظ بتعوذي منك وقيل
معناه اي فاخرج عني وقيل معناه فلا تتعرض لي وقيل قول
من قال تقي اسم رجل صالح او رجل فاسد فليس ذلك القول
بصحيح اي لست بشريد وقيل ان تقيه اي ما كنت تقيا اي
بدخولك علي ونظرك الي لما ذهابا بالله وعما ذهابه وثبت
التمثيل دليل على انه انما تمثل لها لتنقاد من غير جزع كلام تسبيها
قال اي جبريل عليه الصلاة والسلام انما انا رسول ربك لاهب
قال لها ذلك اي انما انا رسول ربك والناظر في مصلحتك
والمالك لامرك وهو الذي استعذت به مني وقوله لها ذلك
لتطمئن لها واني لست ممن تظن به ريبة ارسلني اليك لهب
وقرأ شيبة وابو الحسن وابو بحرية والزهري وابن مناذر
ويعقوب واليزيدي ومن السبعة نافع وابو عمرو ليهب اي ليهب
ربك **وقرأ** الجمهور وباقي السبعة لاهب بهمزة المتكلم
واسند الهبة اليه لكونه الاعلام بها من قبله وقال ابن بحر اي
رضي الله عنه اضافه لكونه سببا في هبته الغلام بالنفخ في الروع وفي
بعض المصاحف امرني ان اهب لك ويحتمل ان يكون محكيا بقول
محذوف اي قال لاهب لك والغلام اسم للصبي اول ما يولد
الى ان يخرج الى سن الكهولة وضربت الزكاة بها بالصلاح والنبوة
وتحققت مريم عليها الصلاة والسلام وعلمت بما اتى في وعدها
انه من عند الله تعالى وتقدم السؤال على الكلام على سؤالها عن
الكيفية في سورة آل عمران في قصتها في قولها ولم اك بغيا تخصيص
بعد تعميم لان مسيس البشر يكون بنكاح وسفاح وقال
ابن عطية رضي الله عنه جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه
كناية عنه لقوله تعالى من قبل ان تمسوهن وقال الثعالبي او لمستم
النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما اشبه
ذلك قال الزجاج رضي الله عنه وليس بنبغي ان يراعى فيه الكنايات

والادراك

مالقيه

والادراك انه هنا البغي الفاجرة المستهترة في الزنا وهو وزنه فعول
عند المبرد اجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت
الواو ياء وادغمت في الياء وكسر ما قبلها لاجل الياء كما كسرت
في عصي ودلي قيل ولو كان فعيلا لحقتها هاء التأنيث
فيقال بغية وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت
فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر انتهى قيل
ولما كان بهذا اللفظ خاصا بالمؤنث لم يحتج الى علامة التأنيث
فصار كحائض وطالق وانما يقال للرجل باغ وقيل بغي فعول
بمعنى مفعول كعين وكحيل اي مبغية يطلبها امثالها **قال**
كذلك قال ربك هو علي هين الكلام عليه كالكلام السابق في قصة
زكريا عليه الصلاة والسلام ولنجعله معطوف او يحتمل ان يكون
معطوفا على تعليل محذوف تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله
او محذوف متأخر اي فعلنا ذلك والضمير في قوله ولنجعله
عائد على الغلام وكذلك في قوله وكان ايه وكان وجوده امرا
مفروغا عنه ورحمة منا اي طريق هدى للعالم كثير
فينالون الرحمة بذلك وذكر ان جبريل عليه الصلاة والسلام
نفخ في جيب درعها او فيه او في كمها وقال اي دخل الروح المنفوخ
من فيها والظاهر ان المسند اليه النفخ هو الله سبحانه وتعالى لقوله
فنفخنا وبعدها قالوا والله اعلم **فحملته** اي في بطنها قال
ابن عباس رضي الله عنهما وحملت به قيل وكانت اربع
عشرة سنة وقيل بنت خمسة عشر سنة قاله وهب وقاله
مجاهد ايضا وقيل كانت اذ ذاك بنت ثلاثة عشرة سنة وقيل بنت
اثنتي عشرة سنة وقيل عشر سنين قيل بعد ان حاضت حيضتين
وحكى محمد بن الهيصم انها لم تكن حاضت بعد وقيل لم تحض
قط مريم عليها الصلاة والسلام وهي مطهرة من الحيض انتهى فلما
احست وخافت ملامة الناس ان يظنوا بها الشر فانتبذت به الى
مكان قصي حيا وقال روي انها فرت الى بلاد مصر او نحوها
قاله وهب بن منبه رضي الله عنه وقيل الى موضع يعرف ببيت
لحم بينه وبين ايليا اربعة اميال وقيل بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما
قيل انها حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك لها فهرب بها فلما كان
في بعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل
عليه الصلاة والسلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها
حملته في ساعة واحدة فكما حملته نبذته عن ابنه وقيل كانت مدة
الحمل به ثلاث ساعات وقيل حمل به في ساعة وصور في ساعة ووضعته

ل

خ

بنت عشر

في ساعة

قالت فكيف كان حمله في بطنها ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحا
ك اعلى اصحابك انها حملت به سبعة اشهر وقيل ثمانية وقالت
بعضهم انه لم يعش مولود لثمانية اشهر الا عيسى عليه الصلاة والسلام
وهذه اقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي ان يضرب عنها صفحا
لان المفسرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق والكلام في به
للمخاض مصحوبة به اي اعتراك وتمخض في بطنها كما قال الشاعر
تدوس بنا الجماجم والترائبا. اي تدوس الجماجم وتمشي على ظهورها
ومعنى فاجاءها اي جاءها الا انه تعدى فعدي جاء بالباء
وتارة بالهمزة قال الزمخشري رضي الله عنه الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت
المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان وآتانيه
فلان انتهى اما قوله ويقول عن ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء
فصحاح الا نقل ائمة اللغة المستقر بين ذلك عن لسان العرب
والاجاءة تدل على المطلق فيصلح لما يكون بمعنى الالجاء ولما هو
بمعنى الاختيار كما لو قلت اجئت زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك
وقد يكون قد يسر له على اهتمام اي لحاجة اليه واما قوله
الا تراك لا تقول الى اخره فمردود اي ان التعدية بالهمزة قياس جاز
ذلك وان لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث
قالوا اجاءنيه ذلك واما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير
صحيح لانه بناه على ان الهمزة فيه كالتعدية وانما اصله اتى وليس
كذلك بل آتى مما بني على افعل وليس هنا الى افعل الى فاعل
الذي يقتدر بماية وليس منقولا من اتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا
من اتى المتعدية لواحد كان ذلك الواحد هو المفعول الثاني
والاول هو الذي كان اذا عديته بالهمزة تقول اتى المال زيد
وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب هنا بالتعدية لان زيدا
عند النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني على
ما ذكره الزمخشري رضي الله عنه كان يكون العكس فيها فدل على انه
ليس على ما قاله وايضا فآتى مرادف لاعطى فهو مخالف من
حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم يقل اتيت المكان وآتانيه هذا
غير مسلم بل يقال اتيت المكان كما تقول جئت المكان وقال
الشاعر. اتوا ناري فقلت منون انتم. فقالوا الجن قلت
عموا صباحا. ومن راى النقل بالهمزة قياسا قال آتانيه اياه
وقرا الجمهور فاجاءها اي ساقها وقال الشاعر ايضا
وجار سار معتمدا اليكم. اجاءته المخافة والرجاء

ظ لاما

وامال فتحة
الجيم

واما ل فتحة الجيم الاعمش وطلحة رضي الله عنهما وقرا حماد بن سلمة عن عاصم
رضي الله عنه قال ابن عطية وشبل بن عزرة فاجاءها من المفاجاة
وقال صاحب اللوامح شبل بن عزرة فاجاها قيل من المفاجاة ة
بوزن فاعلها فبدلت همزتها بالالف تخفيفا على غير قياس ويحتمل
ان يكون همزة بين بين غير مقلوبة وروي عن مجاهد كسرة ج
حماد عن عاصم رضي الله عنه وقرا ابن كثير في رواية المخاض بكسر
الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض الولد في
بطنها والى يتعلق بفاجاءها ومن قرا فاجاها من المفاجاة
فيتعلق بمحذوف اي مستندة اي في حال استنادها الى جذع ع
النخلة والمستفيض المشهور ان ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام
كان ببيت لحم وانها لما هربت وخافت من الاعداء ان يقتلوها
بسبب حملها اسرعت به وجاءت به الى بيت المقدس فوضعته على صخرة
فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد اي كالفرش الذي يفرش
ويمهد للمولود وغيره وهي الآن موجودة تزار في حرم بيت المقدس
ثم بعد ذلك الاثر الذي اثر بها معجزة له عليه الصلاة والسلام
ثم بعد ايام توجهت به الى نهر الاردن فغمدته فيه وهو الذي
تتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون ان
المياه في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون في كل عام
ومن زعم انها ولدته بمصر فالولادة بكورة اهناس قيل ونخلة
مريم عليها الصلاة والسلام قائمة الى الآن والظاهر ان النخلة التي كانت
موجودة قبل مجيء مريم اليها وقيل ان الله سبحانه وتعالى قد انبت
لها تلك الساعة نخلة نبتت لها وروي انها بلغت الى موضع
كان فيه جذع نخلة قد يبس ونضي ونقب وقيل كان اصله
ذا ... مدقوق ومنزور لا راس له ولا ثمر ولا خضرة فاخضر
واثمر لوقته كما نص الله تعالى ذلك وان الالف واللام للتعريف الجنس والداخلة
على الاسماء الغالبة وقد تكون ان تلك الصحراء كان بها جذع
نخلة معروف فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره
وارشدها لطفا بها تعالى الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي
هو خرسة النفساء الموافقة لها ولظهور الآيات منها لها فتسكن
نفسها وتقر عينها فاستندت اليها الام هنالك واحتضنت الجذع
لشدة الوجع وولدت عيسى عليه الصلاة والسلام فقالت عند
ولادتها لما رأته من الآلام والتعب وانكار قومها وصعوبة
الحال من غيرها وحيث يا ليتني مت قبل هذا وتمنت مريم الموت من
جهة الدين اذ خافت ان يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك

وهذا مباح وعلى هذا الحد يمشي عمر بن الخطاب وجماعة من الصالحين
رضي الله عنهم اجمعين واما النهي عن تمني ذلك فانما هو كان لضر نزل بالبدن
وتقدم الخلاف بين القراء رحمهم الله في كسر ميم مت وضمها في سورة
آل عمران والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي من شانه ان ينسى ويترك
فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث وقرا الجمهور
بكسر النون وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما من شانه ان يذبح
وقرا ابن وثاب وطلحة والاعمش وابو البرهسم وحمزة وحفص
بفتح النون وقرا محمد بن كعب القرظي نسئا بكسر النون وبالهمزة
مكان الياء وهي قراءة نوف الاعرابي رضي الله عنه وقرا بكر بن حبيب
السهمي ومحمد بن كعب ايضا نسأ بفتح النون والهمزة وهو مصدر
من نسأت اللبن اذا صببت عليه ماء فاستهلك اللبن فيه
لقلته فكانها تمنت ان تكون مثل ذلك اللبن الذي لا يرى فيه
اللبن ولا يتميز من الماء وقال ابن عطية رضي الله عنه وقرا بكر بن
حبيب نسا بفتح النون والسين من غير همز بناه على فعل كالقبض
والنقض قال الفراء رضي الله عنه نسي ونسى لغتان كالوتر بفتح
الواو والوتر بكسرها والفتح فيهما احب الي وقال ابو علي الفارسي
رضي الله عنه الكسر اعلا اللغتين وقال ابن الانباري رضي الله عنه
من كسر فهو اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض ومن فتح فمصدر
نائب عن الاسم كما يقال رجل دنف ودنف والمكسور هو الوصف
الصحيح والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف ويمكن ان يكونا بمعنى
كالرطل والرطل والاشارة بقوله هذا الى الحمل وقيل هذا
اليوم او هذا الامر الذي جرى وقرا الاعمش وابو جعفر في رواية
منسيا بكسر الميم اتباعا لحركة السين كما قالوا منتن باتباع حركة الميم
لحركة التاء وقيل تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء على حكم العادة
البشرية لا كراهة لحكم الله عز وجل او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها
وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت من اختصاص الله
اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه
قدم فلا سيما تثبت عليه الاقدام وحزنها على ابراز ما يأتي الناس بسببه
وروي انها سمعت نداء يقول اخرج يا من يعبد
من دون الله فحزنت وقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
وقال وهب بن منبه رضي الله عنه انساها كرب الولادة وما سمعت من
الناس بشارة الملائكة عليهم الصلاة والسلام بعيسى عليه الصلاة
والسلام وقرا زر وعلقمة رضي الله عنهما فخاطبها مكان فناداها
وينبغي ان يكون تفسيرا لا قراءة لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه

والمنادي

الذي هو عيسى عليه الصلاة والسلام اي فولدته فانطقه الله عز وجل
فناداها اي حالة الوضع وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام وكان في بقعة
منخفضة ولذلك قال من تحتها اي اخفض من البقعة التي كانت هي عليها
وكذا قال الحسن رضي الله عنه واقسم على ذلك وقيل وكان يتقبل
الولد كالقابلة وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فناداها ملك من تحتها
وقرا البراء بن عازب وابن عباس والحسن وزيد بن علي والضحاك
وعمرو بن ميمون ونافع وحمزة والكسائي وحفص من حرف جر وقرا
الابنان وابو عمرو وعاصم وزر ومجاهد والجحدري والحسن وابن
عباس في رواية عنهما من بفتح الميم بمعنى الذي وتحتها ظرف منصوب
صلة لمن وهو عيسى عليه الصلاة والسلام اي ناداها المولود قاله له
ابي والحسن رضي الله عنهما وقاله ايضا ابن جبير ومجاهد رضي الله
عنهما ان لا تحزني اي لا تحزني والسري في قول الجمهور معناه
الجدول وقال الحسن وابن زيد وقتادة عظيما من الرجال له شان
وروي ان الحسن رضي الله عنه فسر الآية فقال اي والله لقد جعله
الله سريا كريما فقال حميد بن عبد الرحمن يا ابا سعيد انما يعني
بالسري الجدول فقال الحسن رضي الله عنه لهذا وامثاله احب
قربك ولكن غلبنا الامراء وهزي اليك بجذع النخلة الجذع اليابس الذي ي
اتته اي اخرى ان اجادوا الجذع وقالت فرقة بل كانت النخلة
مطعمة رطبا وقال السدي رضي الله عنه كان الجذع مقطوعا واجري جري
تحته النهر لحينه والظاهر ان المكلم هو عيسى عليه الصلاة والسلام
وان الجذع كان يابسا وعلى هذا ظهرت لها آيات تسكن اليها
وحزنها لم يكن لفقد الطعام ولا لفقد الشراب حتى انهما قد تسليا بالا كل
والشرب ولكن لما ظهر في ذلك من خرق العادة حتى يتبين لقومها
ان ولدها عيسى عليه الصلاة والسلام من عند الله عز وجل نفي ما
من شانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كان هذا الجذع المذكور
جذعا نخرا فلما هزته اذا بالسعف قد طلع ثم نظرت الى
الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر
فصار زهوا ثم رطبا ثم صار رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل
الرطب يقع من بين يديها لا ينشدخ منه شيء والباء حرف بلا خلاف
ويتعلق بقوله وهزي وهذا جاء على خلاف ما تقرر في علم النحو
من ان الفعل لا يتعدى الى الضمير المتصل وقد رفع الضمير المتصل
وليس هو من باب ظن وفقد وعدم فيما لم يذكروا الا لا د
ضربتك ولا زيد ضربه اي ضرب نفسه ولا ضربتني انما يؤتى في مثل هذه
التراكيب بالنفس فتقول ضربت نفسك وزيد ضرب نفسه
وضربت نفسي والضمير المجرور عندهم كالضمير المنصوب فلا تقول هززت ت

اليك ولا ان يدعي انه ولا صرف له وهذا ان نحوا الى قول الشاعر
دع عنك نهبا صيح في حجراته ۰ ولكن حديثا ما حديث الرواحل
وفي قول الاخر ۰ هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها
ان عن وعلى ليسا حرفين وانما هما اسمان ظرفان وهذا الشي بعيد
لان عن وعلى قد ثبت كونهما اسمين في قوله من عن يمين الحبيا نظرة قبل
وفي قوله غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها وبعض النحويين قد زعم
ان على لا تكون حرفا البتة وانما هي اسم في كل مواردها ونسب ذلك
الى سيبويه رضي الله عنه ولا يمكن ان يدعي ان الى تكون اسما لاجماع
النحاة على حرفيتها كما قلنا فيتطرق قوله تعالى وهزي اليك وقوله تعالى
واضمم اليك جناحك من الرهب وعلى تقرير تلك القاعدة ينبغي تأويل
هذين كونها ويتمد على ان يكون قوله اليك ليس متعلقا بهزي ولا باضمم
وانما ذلك على سبيل البيان والتقدير اعني اليك فهو متعلق بمحذوف
كما قالوا في قوله تعالى في انه الآية ان شاء الله تعالى اني لكما لمن الناصحين
وعلى تقدير ذلك فيهما قد تكون على بعض الصلات والباء في قوله بجذع
النخلة للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان
الله يحب المحسنين قال ابو علي رضي الله عنه فكما يقال ألقى بيده يقال
الق بيدك وكقوله ايضا ۰ سود المحاجر لا يقرأن بالسور ۰ اي لا يقرأن السور
وانشد الطبري رضي الله عنه في معنى ذلك قول الشاعر ۰
بواد يمان ينبت الشث صدره ۰ واسفله بالمرخ والشبهان
وقال الزمخشري رضي الله عنه على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي
قال الربيع لا للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك كالمولود
وقالوا ما من العجوة قال مجاهد ابن كثير رضي الله عنه وقيل ما للنفساء
خير من الرطب وقيل اذا عسرت ولادة المرأة لم يكن لها خير من ان تأكل الرطب
وقرا الجمهور تساقط بفتح التاء والسين المشددة وبعدها الف
وفتح القاف وقرا الاعمش وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة كذلك
الا انهم خففوا السين وقرا حفص تساقط مضارع ساقطت
وقرا ابو السمال تتساقط بتائين وقرا البراء بن عازب رضي الله عنه
وكذا الاعمش رضي الله عنه في رواية يساقط بالياء من تحت مضارع
اساقط وعن ابي حيوة ومسروق تسقط بالتاء من فوق مضمومة وكسر
القاف وعن ابي حيوة كذلك الا انه بالياء من تحت وعنه تسقط بالتاء
من فوق مفتوحة وضم القاف وعنه كذلك الا انه بالياء من تحت
وقال بعضهم في قراءة ابي حيوة هذه انه قرا رطب جني بالرفع على الفاعلية
واما النصب فان قرئ بفعل متعد نصبه على المفعول او بفعل لازم
فنصبه على التمييز ومن قرا بالياء من تحت فالفعل مسند الى الجذع
ومن قرا بالتاء فهو مسند الى النخلة ويجوز ان يكون مسندا الى الجذع على

حذو

حذو تلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين في قراءة من قرأ تلتقطه بالتاء
من فوق واجاز المبرد في قوله رطبا ان يكون منصوبا بقوله وهزي
اليك بجذع النخلة اي قال الله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة رطبا
تساقط عليك وعلى هذا الذي اجازه تكون من باب الاعمال ويكون
قد حذف معمول تساقط فمن قرأه بالياء من تحت فظاهر ومن قرأه
بالتاء من فوق فان كان الفعل متعديا جاز ان يكون من باب الاعمال
وان كان لازما فلا لاختلاف متعلق الكلام في قوله وهزي اليك بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فهو اذا كان لا يكون الفعل هنا
نيدا لا لازما او متعديا ان يكون هو الفعل اللازم وقرأ طلحة بن
سليمان جنيا بكسر الجيم اتباعا لحركة النون والرطب ما كان مزروعا
منه فقعد ونخل ابن ادم ليس معه ما فيه ولذلك قد امرت مريم عليها الصلاة
والسلام بهز الجذع اذ ذاك وعلى هذا كان اكثر بعيه وليس ذلك مما في
التوكل وعن ابن زيد رضي الله عنه قال عيسى لها لا تحزني فقالت كيف
لا احزن وانت معي لا ذات زوج ولا مملوكة اي شيء عذري عند الناس
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الآية فقال لها عيسى ولدها
عليهما الصلاة والسلام انا اكفيك الكلام فكلي واشربي وقري عينا قال
الزمخشري رضي الله تعالى عنه اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين
احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين
وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي
وارفضي عنك ما احزنك واهمك انتهى ولما كانت العادة تقديم
الاكل على الشرب قدم ذلك في الآية ولمجاورة قوله تساقط عليك
رطبا جنيا ولما كان المحزون قد يأكل ويشرب قال وقري عينا اي
لا تحزني ثم انه لما امرها ان رأت احدا ۰ وقري ۰ وقرئ بكسر
القاف وهي لغة لاهل نجد وقد تقدم ذكرها وقرأ ابو عمرو
فيما روي عنه اي رواه عنه ابن رومي رضي الله عنه ترئن بالهمزة بدلا
من الياء الهمزة وروي عنه ترؤن بالهمز بدل الواو وقال ابن خالويه
رضي الله عنه وهو عند اكثر النحويين لحن وقال الزمخشري رضي الله عنه
وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ
بين الهمزة وحروف اللين في الابدال وقرأ طلحة وابو جعفر وشيبة ترين
بسكون الياء وفتح النون خفيفة قال ابن جني رضي الله عنه وهي شاذة
يعني لانه لم تؤثر الجازم فتحذف النون كما قال الافوه الاودي
اما ترى رأسي ازرى به ۰ مأس زمان ذي انتكاس مؤس ۰
والامر لها بالاكل والشرب وذلك القول انما هو امرها به عيسى عليه
الصلاة والسلام وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام على الخلاف الذي سبق في النداء
انه ابيح لها ان تقول ما امرت بقوله وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى

معنى فقولي أي بالإشارة لا بالكلام وإنه فهمها التكليف بينا في قوله
انتهى ولا يقتضي لأن المعنى فلن أكلم اليوم إنسيا بعد قولي هذا
وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى فإما ترين من
البشر أحدا وسألك أو كلمك عن الكلام فقولي وقرئ [illegible]
على صياما وفسر صوما بالإمساك عن الكلام وفي مصحف عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه صمتا وعن أنس بن مالك رضي الله عنه مثله
وقال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن
الأكل وعن الكلام انتهى والصمت منهي عنه ولا يصح نذره وفي
الحديث [illegible] فليتكلم وقد أمر ابن مسعود رضي الله عنه من فعل ذلك
بالنطق وأمرت بنذر الصوم لأن عيسى بما يظهر الله على يديه
يكفيها أمر الاحتجاج ومجادلة السفهاء وفي ذلك إشارة إلى أنها كانت
تكلم الملائكة دون الإنسي فأتت به قومها تحمله قال ابن جرير لما
[illegible] يا أخت هارون [illegible]
[illegible] فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني
عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني
بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا
والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا. فأتت به
قيل إنها لما [illegible] طهرت من النفاس بعد أربعين يوما
وكان الله تعالى [illegible] وكلمها ولدها عيسى عليه
الصلاة والسلام تحننت إلى الوطن وعلمت أن عيسى عليه الصلاة والسلام
سيكفيها من يكلمها فعادت إلى قومها وقيل [illegible]
وكان الشيطان [illegible] وفي الكلام حذف أي فلما
رأوها [illegible] قالوا [illegible] رضي الله عنهما [illegible]
الأمر المستنكر [illegible] فيما نقل [illegible]
[illegible] فيما نقل ابن خالويه [illegible] بالهمزة قال ابن هارون [illegible]
وبه قال الزجاج والزمخشري رضي الله عنهما وقيل إن هارون [illegible]
الصلاة والسلام كان أخوها [illegible] وقيل كان أخاها من
أبيها وكان من أمثل بني إسرائيل وهرون أخو موسى عليهم الصلاة والسلام
إذ كانت من نسله [illegible] رجل صالح من بني إسرائيل شبهت به ورجل من
الفساق وشبهوها به [illegible] والأولى من هذه الأقوال
كلها أنه أخوها الأقرب. وفي حديث المغيرة حين [illegible] نصارى نجران
في قوله تعالى يا أخت هارون [illegible] فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين
قبلهم وأنكروا عليها ما جاءت به [illegible] فكيف صدر
منك هذه الفعلة القبيحة [illegible]

تكون

تكون زاكية إذ أن الأصول [illegible] إذا [illegible] ذلك وقرأ
عمر بن لجأ التيمي الشاعر الذي كان يهاجي جريرا ما كان أباك امرأ
سوء بجعل الخبر معرفة فلذلك جعل الخبر ههنا معرفة والاسم فيها نكرة
وحسن ذلك قليلا كونها فيه مسوغ أو فيه مسوغ جواز الابتداء وهو
الإضافة [illegible] أبوها [illegible] لمناسبة الولادة
ولم يقتصروا على إثبات الصلاح وإن كان نفي [illegible] يوجب الإصلاح ونفي
البغاء يوجب العفة [illegible]
لما دخلت به على قومها [illegible] هل [illegible] صاحبكم [illegible] ذلك
وقيل [illegible] حتى تكلم عيسى فتركوها فأشارت إليه أي هو الذي
يجيبكم إذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه
الصلاة والسلام وروي أنهم لما أشارت إليه [illegible] قالوا استخفافها بنا
أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الإنكار عليها والتهكم بها من
كان في المهد [illegible] وإنما أشارت إليه [illegible] أنه يكفيها
الجواب إذا نطقوا [illegible] يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام [illegible]
وقيل إنما فعلت ذلك [illegible] وكان قال أبو عبيدة
رضي الله عنه [illegible] زائدة [illegible] صبيا على الحال
في هذين القولين [illegible] صار أو أنها
[illegible] اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي [illegible]
على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله غفورا رحيما وفي قوله ولا تقربوا
الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا أي [illegible] هو [illegible] كان وهو
الآن على ما كان ولذلك عبر بعض أصحابنا عن كان [illegible] لم يزل
وقال ابن الأنباري [illegible] وقد
نصبت صبيا [illegible] ينتصب على الحال
والعامل فيها الاستقرار وقال الزمخشري رضي الله عنه كان لإيقاع
مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا
لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه
آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى
أن يكلم الناس في المهد صبيا فيما سلف من الزمان حتى نكلم
هذا انتهى. والظاهر أن من [illegible]
والزجاج رضي الله عنه [illegible] أن من شرطية وكان [illegible] بمعنى يكن وجواب
الشرط هنا محذوف تقديره فكيف نكلمه وهو قول بعيد [illegible]
قتادة رضي الله عنه أن المهد حجر أمه وقيل سرير وقيل
المكان الذي يستقر عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]

الإصلاح

[illegible]

ع

في

متنبئا على براءة امه مما قذفت به لانه تعالى لا يخص بولد موصوف بالنبوة
الا احصن المحصنات الا مبرأة مصطفاة والكتاب التوراة او الانجيل
او مجموعهما اقوال متعددة وظاهر قوله وجعلني نبيا انه تعالى
نبأه حال طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا وقيل
انه ذلك سبق في قضائه وسابق حكمه ويحتمل ان يجعل الاتي
لتحققه كانه قد وجد * وجعلني مباركا اينما كنت عن مجاهد رضي
الله عنه اي جعلني نفاعا وقال سفيان رضي الله عنه اي جعلني معلم
خير اي اعلم الخير وقيل معناه جعلني آمرا بالمعروف وناهيا
عن المنكر وعن الضحاك جعلني قضاء للحوائج واين ما كنت شرط وجزاؤه
محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه
ولا يجوز ان يكون معمولا لجعلني السابق لانها لا تكون
الا استفهاما او شرطا لا جائز ان تكون هنا استفهاما فتعينت
الشرطية كما قلت واسم الشرط لا ينصبه فعل قبله انما هو
معمول هنا للفعل الذي يليه والظاهر حمل الصلاة والزكاة على
ما شرع في البدن والمال وقيل الزكاة الرياسة في الطهر وقيل
الصلاة الدعاء والزكاة التطهر وقيل ان قوله وما في ما دمت
مصدرية ظرفية وقال ابن عطية رضي الله عنه وما دمت
ما دمت بكسر الدال وقرأ دمت بضم الدال وبكسرها اهل المدينة
وابن كثير وابو عمرو رضي الله عنهما * انتهى والذي هو مذكور في كتب — قرأ ابن عامر وابن كثير
القراآت ان القراء السبعة قرأوا دمت حيا بضم الدال وقد طالعنا
جملة من الشواذ فلم نر ذلك اي لم نجدها في شواذ السبعة وارد
شواذ غيرهم على انها لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات
وسبق انه قرئ وبرا ابو الورهم بكسر الباء فاما ان يكون على حذف
مضاف اي وذا بر واما على المبالغة جعل ذاته من فرط بره
ويجوز ان ينصب بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني
بالصلاة وكلفنيها واحد ومن قرأ وبرا بفتح الباء فعطف على
قال ابو البقاء انه معطوف على مباركا وفيه بعد لفصل بين
المعطوف والمعطوف عليه بالجملة التي هي اوصاني ومتعلقها والاولى
اضمار فعل اي وجعلني برا وحكى الزهراوي رضي الله عنه
وابو البقاء انه قرئ وبر بكسر الراء والباء عطفا على قوله
واوصاني بالصلاة والزكاة وقوله بوالدتي بيان محل البر وانه
لا والد له وبهذا القول برأه قومها والجبار كما تقدم معناه
المتعاظم وكان عليه الصلاة والسلام في غاية التواضع يأكل الشجر
ويلبس الشعر ويجلس على التراب حيث جنه الليل لا مسكن له وفيه
ولا يأوي اليه وكان عليه الصلاة والسلام يقول سلوني فاني لين القلب

حـ اي عند مغيبي

صغيرا في بطن امي والالف واللام في قوله والسلام علي الي للجنس قد نكره
للجنس قال الزمخشري رضي الله عنه هذا التعريف تعريض بلعنة
متهمي مريم واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال ل
وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره
والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان
ذلك المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض
وقيل ان التعريف المنكر في قصة يحيى في قوله وسلام كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول اي وذلك السلام الموجه
الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي وسبق القول في تخصيص هذه
المواطن والله اعلم * وقرأ زيد بن علي يوم ولدت اي يوم ولدتني
م جعله فعلا ماضيا وحذف ها التانيث ورجح وسلام علي والسلام
ه لكونه من الله وهذا من قول عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل سلام
مقام — عيسى ارجح لان الله تعالى اقامه في ذلك مقام نفسه فسلم على نفسه
نائبا عن الله عز وجل * قوله عز وجل ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي
فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم
وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم
الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث
الارض ومن عليها والينا يرجعون * الاشارة بذلك الى المولود الذي
ولدته مريم عليها الصلاة والسلام المتصف بتلك الاوصاف
الجميلة وذلك مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفة لعيسى او خبر بعد
خبر او بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير ان يشرك
باين الله كما يزعم النصارى ولا لغير رشدة كما يزعم اليهود * وقرأ
زيد بن علي وابن عامر وعاصم وحمزة وابن ابي ليلى وابو اسحاق والحسن
ويعقوب قول الحق بنصب اللام وانتصابه على انه مصدر مؤكد
الاخبار — لمضمون الجملة اي هذا الاخبار عن عيسى انه ابن مريم ثابت صدق
ليس منسوبا لغيرها اي انها ولدته من غير مس بشر كما تقول
هذا عبد الله الحق لا الباطل اي اقول الحق واقول قول الحق فيكون
الحق هنا الصدق وهو من اضافة الموصوف الى صفته اي القول
الحق كما قال وعد الصدق اي الوعد الصدق وان عني به الله تعالى
كان القول مرادا به الكلمة كما قالوا كلمة الله كان انتصابه على
المدح وعلى هذا يكون الذي صفة للقول وعلى الوجه الاول يكون
عيسى — الذي صفة للحق وقراءة الجمهور قول الحق برفع اللام وقرأ ابن مسعود والا
قال وابا لغير رواية ودفع اللام وفيه نظر والله اعلم وقرأ الحسن رضي الله عنه

قُول بضم القاف ورفع اللام وهي مصادر كالرُّهب والرَّهب والرَّهْب انتصابه
وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف اي هو اي نسبته الى امه فقط قول
الحق فتتفق اذ ذاك قراءة النصب وقراءة الرفع في المعنى وقال الزمخشري رضي
الله عنه وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل انتهى • وهذا الذي ذكره لا يكون الا
على المجاز في قول وهو ان يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون الذات انتهى
• وقرا طلحة والاعمش في رواية زائدة اي قال بزيادة الالف موضع
الواو وجعله فعلا ماضيا الحق برفع القاف على انها عنده المغني فالحق
وهو الله وذلك الناطق الموصوف بتلك الاوصاف هو عيسى ابن مريم
عليهما الصلاة والسلام والذي على هذا خبر مبتدا محذوف اي هو الذي
• وقرا علي كرم الله وجهه والسلمي وداود بن ابي هند ونافع في رواية
والكسائي في رواية تمترون بتاء الخطاب • وقرا الجمهور بياء الغيبة
وامترى بمعنى افتعل اما من المرية وهي الشك واما من المراء وهو
المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول هنا قالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى هو ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله • ما كان لله
ان يتخذ من ولد وهذا تكذيب للنصارى في دعواهم انه ابن الله واذا
احالت البنوة فاستحالة الالهية مستقلة او بالتثليث اولى
في الاستحالة وهذا التركيب معناه الانتفاء فقد يرد من جهة المعنى
على الزجر كقال الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله وتارة على التعجيز ما كان لكم ان تنبتوا شجرها تارة
وتارة على التنزيه كهذه الاية ولذلك اعقب هذا النفي بقوله سبحانه
اي هو منزه عن الولد بل هو مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول منزه
ولا تتعلق به القدرة لاستحالته اذ هو تعالى يجب تعالت ارادته بايجاد
شيء اوجده فهو منزه عن سمات المحدثين تقدم الكلام على الجملة من قوله
اذا قضى امرا والمعنى انه سبحانه وتعالى اذا اراد ايجاد شيء ابرزه
الى الوجود اي يقول له كن فيكون • وقرا الجمهور وان الله ربي وربكم
فاعبدوه اي بكسرها بكسر الهمزة على الاستئناف وقرا ابي بالكسر
دون واو وقرا الحرميان وابو عمرو وان بالواو وفتح الهمزة وخرجه
ابن عطية رضي الله عنه على ان يكون معطوفا على قوله هذا قول الحق
وان الله ربي كذلك وخرجه الزمخشري على ان معناه ولانه ربي وربكم
فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا انتهى وهذا
قول الخليل رضي الله عنه • وبه قال سيبويه ايضا وكذا ذكره ابو ... الخليل
وقيل ايضا في حرف ابي ايضا وبان الله ربي وربكم بسبب ذلك
فاعبدوه وجوز الفراء رحمه الله تعالى في وان ان يكون في موضع خفض
معطوفا على الزكاة اي واوصاني بالصلاة والزكاة وبان الله ربي وربكم
فاعبدوه انتهى • وهذا في غاية البعد للفصل الكثير واجاز الكسائي رحمه الله

ان يكون

ان يكون في موضع رفع بمعنى الامر ان الله ربي وربكم • وحكى ابو عبيدة
عن ابي عمرو بن العلاء رضي الله تعالى عنه ان يكون المعنى وقضى ان
الله ربي وربكم فهي معطوفة على قوله امرا من قوله اذا قضى امرا والمعنى
اذا قضى امرا وقضى ان الله انتهى • وهذا تخبيط في الاعراب
لانه اذا كان معطوفا على امرا من كان في حيز الشرط وكونه تعالى ربنا
لا يتقيد بالشرط وهذا يبعد ان يكون قاله ابو عمرو بن العلاء فانه
من الجلالة في علم النحو بمكان اي بالمكان الذي قل ان يوازيه
احد مع كونه عربيا ولعل هذا من فهم ابي عبيدة فانه يضعف في
النحو • والخطاب في قوله وربكم قيل لمعاصري رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اليهود والنصارى امره الله تعالى ان يقول
لهم عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام اي قل لهم يا محمد هذا الكلام
وقيل الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله اني عبد الله الاية وان
الله معطوف على الكتاب وفيه ما قال وهب ابن منبه رضي الله عنه
عهد عيسى اليهم ان الله ربي وربكم ومن كسر الهمزة عطف على قوله
لم اني عبد الله فيكون محكيا بقال وعلى هذا لا يكون قوله
ذلك عيسى ابن مريم الى وان الله ربي وربكم فاعبدوه جملة اعتراض
اخبر الله سبحانه وتعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم والاشارة
بقوله هذا اي بما تقدم بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة هو الطريق
المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده الى النجاة فاختلف
الاحزاب من بينهم هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى للرسول عليه
الصلاة والسلام بتفرق بني اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم ان
الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف
ذي بسبب غيرهم وانه حادث قال الكلبي رضي الله عنه هم اليهود والنصارى
لعنهم الله تعالى وقال الحسن رضي الله عنهم الذين تحزبوا على الانبياء
لما قص عليهم قصة عيسى عليه الصلاة والسلام اختلفوا فيه من
بين الناس اي فالضمير في بينهم على هذا ليس عايدا الى الاحزاب
دي وقيل الاحزاب هنا المسلمون واليهود والنصارى وتقدم ذكر النصارى
كانوا فقط وعن قتادة رضي الله عنه ان بني اسرائيل جمعوا اربعة من
القاها احد ثلاثة ٢٢ احبارهم فقال احدهم عيسى هو الله نزل الى الارض واحيا من احيا
وامات من امات فكذبه الثلاثة واتبعته اليعقوبية ثم قال
احد الثلاثة عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعته النسطورية
٢ فقال احد الاثنين عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وهو احد ثلاثة وقوله القاها احد هذه ثلاثة الله اله ومريم
اله وعيسى اله فكذبه الرابع واتبعته الاسرائيلية وقال الرابع هو
عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فاتبعه فرقة من بني اسرائيل

ثم افترقت الاربعة فغلبت المومنون وظهرت اليعقوبية على الجميع فذلك
ان في ذلك لآيات ان الذين يكفرون بآيات الله آية آل عمران والاربعة
يعقوب ونسطور وملكا واسرائيل وبين هنا اضلهم طرف استعمل
اسما بدخول من عليه وقيل من زائدة وقيل البين بما لبعضهم لبعض اي
اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق ومشهد مفعل من الشهود او الحضور
او من الشهادة ويكون مصدرا او مكانا او زمانا من الشهود يجوز
ان يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة وان
يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف وان يكون من وقت الشهود و
من الشهادة يجوز ان يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وان تشهد عليهم
الملائكة والانبياء وايديهم وارجلهم والسنتهم بما كانوا يعملون من الكفر
والمعاصي وغيرهما ويحتمل ان يكون من مكان الشهادة او ان يكون من وقت
الشهادة واليوم العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة وعن قتادة
رضي الله عنه هو يوم قتل المومنين حين اختلف الاحزاب وقيل
ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه يوم اختلافهم في شانهم وتقدم الكلام
على النحو الوارد من استعمله تعالى في قوله تعالى فما اصبرهم على
النار وانه لا يوصف بالتعجب قال الحسن وقتادة لئن كانوا في الدنيا صما
عن الحق فما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة ولكنهم يبصرون ويسمعون
حيث لا ينفعهم سمعهم ولا ابصارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم اسمع شيء وابصر وقال علي ابن عيسى رضي الله عنه هو وعيد
وتهديد لهم اي سوف يسمعون ما يخلع قلوبهم ويبصرون ما يسود
وجوههم وعن ابي العالية رضي الله عنه انه امر حقيقة للرسول
عليه الصلاة والسلام اي اسمع الناس اليوم وابصرهم بهم وبحديثهم
ماذا يصنع بهم من العذاب اذا اتوا محشورين مغلولين لكن
الظالمون عموم يندرج فيه هولاء الاحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين
اليوم اي في دار الدنيا قال الزمخشري رضي الله عنه اوقع الظاهر
اعني الظالمين موقع المضمر اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث الضمير
اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد
بالضلال المبين هو اغفال النظر والاستماع انتهى • وانذرهم
يوم الحسرة الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والضمير لجميع الناس
وقيل يعود على الظالمين ويوم الحسرة يوم ذبح الموت بين الجنة والنار
وقد ورد فيه حديث وعن ابن زيد يوم الحسرة هو يوم القيامة وقيل
حين يصدر الفريقان الى الجنة والنار وعن ابن مسعود رضي الله عنه
حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مومنين
وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان يكون يوم الحسرة اسم جنس لان
فيه حسرات كثيرة في مواطن عديدة اي متعددة ومنها يوم الموت ومنها

اخذ الكتاب

اخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك انتهى • اذ قضي الامر من يوم الحسرة قال السدي
رضي الله عنه وقال ابن جريج ايضا قضي الامر اي ذبح الموت وقال
مقاتل قضي العذاب وقال ابن الانباري رضي الله عنه المعنى اذ قضي
الامر الذي فيه هلاككم وقال الضحاك رضي الله عنه يكون ذلك اذا
برزت جهنم ورمت بالشرر وعن ابن جريج ايضا اذا فرغ من الحساب
وادخل اهل الجنة الجنة وادخل اهل النار النار وقيل اذا قال اخسؤا
فيها ولا تكلمون وقيل اذا قيل امتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل اذ
قضي اي سدت باب التوبة وذلك حين تطلع الشمس من مغربها
وهم في غفلة • قال الزمخشري رضي الله عنه متعلق بقوله في ضلال
في ضلال مبين وعن الحسن اي وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم
اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مومنين وقال ابن عطية
رضي الله عنه وهم في غفلة يريد في الدنيا الان وهم لا يومنون كذلك
انتهى وعلى هذا يكون حالا او العامل فيه وانذرهم والمعنى انهم متغفلون
بامور دنياهم معرضون عن ما يراد منهم والظاهر ان يكون المراد بقوله
وقضي الامر اي امر يوم القيامة • انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا
يرجعون نحو قوله وعبارة عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق فكانه
وارثه وقرا الجمهور يرجعون بالياء من تحت مبنيا للمفعول وقرا
الاعرج بالتاء من فوق وقرا السلمي وابن ابي ليلى وابن اسحاق
وعيسى بالياء من تحت مبنيا للفاعل وحكى عنهم الداني رضي الله عنه
بالتاء والله اعلم • قوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان
شيئا صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت
لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان
ننتر يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن الهتي
يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك
ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون
الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما
يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا • قال
تعالى في الاية الكريمة واذكر في الكتاب ابراهيم المراد بقوله تعالى
واذكر خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد اتل عليهم نبا ابراهيم
واذكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى ومناسبة هذه الاية لما قبلها
انه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى عليهما الصلاة والسلام
واختلاف الاحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله سبحانه وتعالى وكانا
من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد جمادا

والعرفان وان بعثتها في الضلال فالفرق في العابد اجادا ضل ثم ذكر قصة
ابراهيم مع ابيه تذكيرا للعرب بما كان ابراهيم عليه من توحيد الله عز وجل وتبيين
انهم سالكوا غير طريقته وفيه تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر
وان ذلك متلقى بالوحي والصديق من ابنية المبالغة وهو مبني من
الثلاثي للمبالغة اي كثير الصدق والصدق عرفه في اللسان
ويقابله الكذب وقد يستعمل في الافعال والخلق وفيما لا يعقل
يقال صدقني الطعام كذا وكذا قفيزا وعود صدق للصلب الجيد
فوصف ابراهيم بالصدق على العموم في اقواله وافعاله والصديقية مراتب
الا ترى الى وصف المؤمنين بها في قوله من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما
ومن غريب النقل ما ذهب اليه بعض النحويين من ان فعيلا اذا كان من
متعدي جاز ان يعمل فمن ذلك هذا سريب مسكرا كما قد عملوا عند
البصريين فعولا وفعالا ومفعالا وقال الزمخشري رحمه الله
والمراد بذلك فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته
وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب
والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء عليهم اجمعين الصلاة والسلام
وكذا كان مصدقا لكتبهم ايضا وكان نبيا في نفسه لقوله تعالى
وتعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان
ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري
اي حقيق ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل
منه وبدله اعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذ قال نحو قولك رايت
زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا
نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين
خاطب اباه تلك المخاطبات انتهى فالتخريج الاول يقتضي تصرف
اذ وقد تقدم لنا انها لا تتصرف والتخريج الثاني مبني على ان
كان الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي مسالة خلاف كما
تقدم والتخريج الثالث لا يصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ
واحد اما ان ينسب الى المركب من مجموعهما فلا وجائز ان
يكون معمولا لصديقا لانه قد نعت الا على راي من لا يعتبر ذلك ويحتمل
ان يكون معمولا لنبيا اي منبأ في وقت قوله لابيه ما قال
وان التنبئة كانت في ذلك الوقت وهو بعيد وقرأ ابو البرهسم انه كان
صادقا في قوله يا ابت تلطف واستدعاء بالنسب وقرأ ابن عامر
والاعرج وابو جعفر يا ابت بفتح التاء وقد لحن هارون هذه
القراءة وتقدم الكلام على يا ابت في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام
وفي مصحف عبد الله وا ابت بواو بدل ياء واستفهم ابراهيم عن السبب

لابيه

لابيه على عبادة الصنم وهو مختلف عنه السمع والبصر وعدم الاغنا
عنه شيئا تنبيها على شنعة الراي وقبحه وفساده في عبادة من
انتفت عنه هذه الاوصاف وقال الزمخشري رضي الله تعالى عنه
فانظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم
والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز
كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع
استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن
منتصحا في ذلك بنصيحة ربه عز وجل حدث ابو هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار كلمتي سبقت
لمن حسن خلقه ان اظله تحت ظل عرشي يوم لا ظل الا ظله واسكنه
حظيرة قدسي وادنيه من جواري • وسرد الزمخشري في ذلك عن هذه
هذا كلاما كثيرا من نوع الخطابة تركناه • وما لا يسمع الظاهر انها
موصولة وقد جوزوا ان تكون نكرة موصوفة ومعمول يسمع ويبصر
منسي ولا ينوى اي ما ليس به استماع ولا ابصار لان المقصود
نفي هاتين الصفتين دون تقييد بمتعلق وشيئا اما مصدر او
مفعول به ولما سال عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن ان يجد جوابا انتقل
معه عن ذلك الى اخباره بانه قد جاءه من العلم ما لم
ياته ولم يصف اباه بالجهل اذ يغني عنه التسالي من السؤال المتقدم
في رواية اذ يغني عنه السؤال السابق وقال من العلم على سبيل
التبعيض اي شيء من العلم ليس معك وهذه المحاورة تدل على ان
ذلك كان بعدما نبئ اذ في لفظ جاءني تجدد العلم والذي جاءه
هو الوحي الذي اتى به الملك او العلم بامور الاخرة وثوابها وعقابها
او بتوحيد الله وافراده بالالوهية والعبادة وهذه اقوال ثلاثة
• فاتبعني على توحيد الله بالعبادة وارفض الاصنام اي اتبعني
• اهدك صراطا مستقيما وهو الايمان بالله عز وجل وافراده بالعبادة
وانتقل من امره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته
كونه يطيعه في عبادة الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان
عصيا للرحمن حيث استعصى حين امره بالسجود لادم عليه الصلاة والسلام
فابى فهو عدو لك ولابيك ادم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا
تنبيها على سعة رحمته وان من هذا وصفه هو الذي ينبغي ان يعبد
ولا يعصى واعلمه بما يشقى به الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب
من ذلك ما طرده من هذه الرحمة وان من كان مختارا لنفسه عصيان
ربه لا يختار لذريته من حيث لاجله الا ما اختار لنفسه من عصيانهم • يا ابت

اني اخاف قال الفراء والطبري رضي الله عنهما اخاف اي اعلم كما قال في الآية
المتقدمة في سورة الكهف فخشينا ان يرهقهما اي علمنا والاولى حمل
اخاف على موضوعه الاصلي لانه لم يكن آيسا من ايمانه بل كان راجيا له
وخائفا ان لا يؤمن وان يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوفه
ابراهيم عليه الصلاة والسلام سوء العاقبة وتأدب معه اذ لم يصرح
بلحوق العذاب به بل اخرج ذلك مخرج الخائف واتى بلفظ المس
الذي هو الطف من المعاقبة ونكر العذاب ورتب على مس العذاب
ما هو اكبر منه وهو ولاية الشيطان كما قال في صدر الآية ورضوان
من الله اكبر اي من النعيم السابق ذكره وصدر كل نصيحة بقوله
يا ابت توسلا اليه واستعطافا وقيل الولاية هنا كونه مقرونا معه
في الآخرة وان تباغضا وتبرأ بعضهما من بعض وقيل في الكلام
تقديم وتأخير والتقدير اني اخاف ان تكون وليا في الدنيا
للشيطان فيمسك في الآخرة عذاب من الرحمن وقوله ان يمسك
عذاب من الرحمن لا يتعين ان العذاب يكون في الآخرة بل يحتمل
ان يحمل العذاب على الخذلان اي خذلان من الله عز وجل فتصير
مواليا للشيطان ويحتمل ان يكون مس العذاب في الدنيا بان
يبتلى على كفره بعذاب في الدنيا فيكون ذلك العذاب سببا
لتماديه على الكفر وصيرورته الى ولاية الشيطان الى ان يموت على
الكفر كما قال تعالى في آية وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون وهذه الآية مجانب تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة
ابيه والطماعية في هدايته قضاء لحق الابوة وارشادا الى الهدى
كما قال عليه الصلاة والسلام لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير
لك من ان تتصدق بحمر النعم ● قال اراغب انت عن آلهتي
يا ابراهيم استفهام انكار والرغبة عن الشيء تركه عمدا
وآلهته الاصنام التي كان يعبدها واغلظ له في هذا الانكار وناداه
باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني قال الزمخشري رضي الله عنه وقدم
الخبر على المبتدأ في قوله اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لانه كان اهم
عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته
عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج
لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك
من كفار قومه انتهى قال الجبالي في اعراب اراغب انت ان يكون اراغب
مبتدأ لانه قد اعتمد على اداة الاستفهام وانت فاعل سد مسد
الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما اعربه الزمخشري رضي الله عنه من كون
اراغب خبرا اي وانت مبتدأ من وجهين ومبتدأ بوجهين

احدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الخبر ان يتأخر عن
المبتدأ والثاني ان لا يكون فصل بين العامل الذي هو اراغب انت
وبين معموله الذي هو عن آلهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر
ليس هو عاملا في المبتدأ بخلاف كون انت فاعلا فانه معمول لقوله اراغب
انت فلم يفصل بين اراغب وبين عن آلهتي باجنبي انما فصل بمعمول له
ولما انكر عليه رغبته عن آلهته توعده مقسما على ذلك وتوعده به
ان لم ينته ومتعلق تنته محذوف واحتمل ان يكون عن مخاطبتي
بما خاطبتني به ودعوتي اليه وان يكون لئن لم تنته عن الرغبة عن
آلهتي لارجمنك جواب القسم المحذوف قبل لئن قال الحسن رضي
الله عنه معناه لارجمنك يعني بالحجارة وقيل بالشتم وقيل بالرجم
وقيل بالقتل وقال السدي والضحاك وابن جريج معناه يعني بذلك
لاشتمنك قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت علام عطف قوله
واهجرني قلت عطف على معطوف عليه محذوف يدل عليه قوله
لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد ووعيد
وتقريع انتهى وانما احتاج الى الحذف ليناسب بين جملتي العطف
والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه رضي الله عنه بل يجوز
عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني
معطوف على قوله لئن لم تنته لارجمنك وكلاهما معمول للقول
وانتصب مليا على الظرف اي دهرا طويلا قاله الجمهور والحسن ومجاهد
وغيرهما ومنه الملوان وهما الليل والنهار والملاوة بتثليث حركة
الميم الدهر الطويل وهو مأخوذ من قولهم امليت لفلان في الامر اذا اطلت
له قال الشاعر في معناه ايضا
فعشنا بها من الشباب ملاوة ● فالحج آيات الرسول المحبب ●
وقال سيبويه رضي الله عنه سير عليه مليا من الدهر اي زمانا طويلا
وقال ابن عباس وغيره مليا معناه سالما سويا فهو حال من فاعل
واهجرني قال ابن عطية رضي الله عنه ويجيء هذا ان يكون بمعنى قوله
مستبدا بحالك غنيا عني مليا بالاكتفاء وقال السدي رضي الله عنه
معناه ابدا ومنه قول مهلهل
فتصدعت صم الجبال لموته ● وبكت عليه المرملات مليا
وقال ابن جبير رضي الله عنه اراد الهجر دهرا طويلا واصل الحرف المكث
يقال تمليت حينا وقال الزمخشري رضي الله عنه او مليا بالذهاب عني
والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان
ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به انتهى قال سلام عليك قرا
ابو البرهسم سلاما بالنصب قال الجمهور رضي الله عنهم هذا بمعنى المسالمة
لا بمعنى التحية اي امنة مني لك وهذا اول الامر ولا يبتدأ الكافر بالسلام

وقيل انه تعالى سلام المتاركة اي التارك

وقال النقاش رضي الله عنه حليم خاطب سفيها كقوله تعالى وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وقيل انها تحية مفارقة معارف وجوز
وآيات هذا اجته الكافر وان يبدأ بالسلام المشروع وهو مذهب سفيان
ابن عيينة رضي الله عنه مستدلا بقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين الآية وبقوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الآية
وقال ابراهيم لابيه سلام عليك وما استدل به بما تناول ومذهبهم
محجوج بما ثبت في صحيح مسلم لا تبتدروا اليهود ولا النصارى بالسلام ورفع
سلام على الابتداء ونصبه على المصدر اي كلمت سلاما دعاء له بالسلامة
اي دعى له بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك قد
يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الايمان بالله سبحانه
وتعالى وافراده بالعبادة وهذا كما يرد الامر والنهي على الكافر ولا يصح
الا منه امتثال الا بشرط الايمان ومعنى قوله سأستغفر لك ربي اي
ادعو الله تعالى ان يهديك فيغفر لك بالايمان ولا يتأول على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام انه لم يعلم ان الله لا يغفر لكافر قال ابن عطية
رضي الله عنه ويجوز ان يكون ابراهيم عليه الصلاة والسلام اول
نبي اوحي اليه ان الله لا يغفر لكافر لان هذه الطريقة انما طريقها
السمع وكانت هذه المقالة منه لابيه قبل ان يوحى اليه وذلك انه
انما تبين له في ابيه انه عدو لله بوفاته وحيث اما موته
على الكفر كما روي وإما انه اوحي اليه الحتم عليه وقال الزمخشري
رضي الله عنه وبعد تبين ان يقول الذي منع من الاستغفار
للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز ان يكون
الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل
والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك وما املك لك من الله من شيء فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
ومستثنى عما وجبت فيه وقول من قال انما استغفر له لانه كان
وعده ان يؤمن مستشهدا بقوله تعالى الا عن موعدة وعدها اياه يجعل
الواعد آزر والموعود ابراهيم عليه الصلاة والسلام وليس هذا القول
بجيد لاعتقابه في هذه الآية التوعد بالاستغفار بعد ذلك
القول الجافي من قوله لئن لم تنته لأرجمنك الآية فكيف يكون
وعد بالايمان ولان الواعد هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبذلك
عليه قراءة حماد الراوية وعدها اباه ● والحفي المكرم المحتفل الكثير
البر والالطاف وتقدم شرح لغته في قوله كأنك حفي عنها
وقال ابن عباس رضي الله عنهما حفيا اي رحيما وقال الكلبي حليما وقال
العتبي بارا وقال السدي رضي الله عنه حفيت من فيه اشركه ولما
كان في قوله لأرجمنك فظاظة وقساوة قلب قابله بقوله سلام

عليك

سلام عليك اي قابله بالدعاء له بالسلام والامن ووعده بالاستغفار
فصار لحق الابوة وان كان قد صدر منه اغلاظ ولما امره بهجره الزمان
الطويل اخبره بانه يمتثل امره ويعتزلهم وجميع معبوداتهم فهاجر
الى الشام وقيل الى حران وكانوا بأرض كوثى وفي هجرته هذه
تزوج سارة ولقي الجبار الذي اخدم سارة هاجر والظاهر ان
تركه وادعو ربي تضمنه واعبد ربي كما جاء في الحديث الدعاء
هو العبادة وفي رواية الدعاء مخ العبادة لقوله تعالى وما اعتزلهم وما
يعبدون من دون الله ويجوز ان يراد به الدعاء الذي قد حكاه الله عنه
صح في سورة الشعراء رب هب لي حكما والحقني بالصالحين الى اخره وعرض
بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
مع التواضع بشيء في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس وفيه اي وفي
قوله عسى ترج في ضمنه خوف شديد ولما فارق الكفار واولادهم
ابدله الله منهم اولادا انبياء وابدله الارض المقدسة فكان
فيها وكان يتردد الى مكة فولد له اسحاق وابنه يعقوب عليهما الصلاة
والسلام تسلية له وشدا لعضده واسحاق اصغر من اسماعيل
ولما حملت هاجر باسماعيل غارت سارة ثم حملت باسحاق وقوله
من رحمتنا قال الحسن رضي الله عنه هي النبوة وقال الكلبي رضي الله عنه
هي المال والولد والاحسن ان يكون الخير الديني والدنيوي من العلم
والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة ولسان الصدق الثناء
الحسن الباقي عليهم آخر الابد قال ابن عباس رضي الله عنهما وعبر
باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية واللسان
في كلام العرب الرسالة الرائعة كانت في خير او في شر قال الشاعر
اني اتتني لسان لا اسر بها ● وقال آخر ندمت على لسان كان مني
ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته ● واجعل لي لسان
صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
اي اهل الاديان كلهم وادعوه وقد قال الله عز وجل ملة ابيكم ابراهيم
وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى
عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه ● المفردات حفيا تقدم على كسبه
ذكر نقش الخائف الرجل الفزع الذليل يقال حبى يحبو حبوا وجبى
حباية وجثا وجثوا حتم الامر اوجبه الندي والندي
المجلس الذي يجتمع فيه لحادثة او مشورة وقيل مجلس اهل الندى وهو
الكرم وقيل المجلس الذي يكون فيه الجماعة قال حاتم
فدعيت في اولى الندي ● ولم ينظر الي بأعين خزر
رضي الله عنه الري مصدر رويت من الماء وانتم مفتوح الفاء قاله ابن علي

الزجر يحاسن نحوه عند من انكر وهو لحمع • كلا حرف ردع وزجر عند
الخليل وسيبويه رضي الله عنهما وكذا عند الاخفش وعند المبرد
وعامة البصريين رضي الله عنهم اجمعين وذهب الكسائي
ونصير ابن يوسف وابن واصل في روايته وابن واصل وابو الانباري
الى انها تكون بمعنى حقا وذهب النضر ابن شميل الى انها حرف تصديق
بمعنى نعم وقد تستعمل مع القسم وذهب عبد الله ابن محمد الباهلي
رضي الله عنه الى ان كلا رد لما قبلها يجوز الوقف عليها وما بعدها
استيناف وتكون ايضا صلة للكلام بمنزلة اي والكلام على هذه
المذاهب مذكور في النحو • الضد العون يقال من اضدادكم
اي من اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك
وينافيه بما غاية لك عليه • الازّ والازّ الاستفزاز اخوات
ومعناها التهييج وشدة الازعاج ومنه ازيز المرجل وهو غليانه
وحركته • وفدا يفد وفدا ووفودا ووفادة قدم على سيد
التكرمة • الادّ والادّ بفتح الهمزة وكسرها العجب وقيل العظيم المنكر
والادّة الشدة وادّني الامر وادّني اي اثقلني وعظم علي
• الهدّ قال الجوهري رضي الله عنه هد البناء هدا كسره وقال
المبرد هدا اي سقوطا بصوت شديد والهدة صوت وقوع الحائط
ونحوه يقال هد يهد بالكسر هديدا وقال الليث رضي الله عنه
الهد هو الهدم الشديد • الركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح غيبت طرفه في
الارض والركاز هو المال المدفون وقيل الصوت الخفي دون نطق بحروف
ولا فم قال الشاعر • فتوجست ركز الانيس فراعها • عن ظهر
غيب والانيس سقامها • وقوله عز وجل • واذكر في الكتاب موسى انه
كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب
اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر اهله
بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا اولئك الذين انعم
الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا • قرا الكوفيون مخلصا بفتح اللام وهي قراءة ابي رزين
ويحيى وقتادة اي اخلصه الله للعبادة وللنبوة كما قال سبحانه
وتعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار • وقرا الباقون والجمهور
بكسر اللام اي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه
لله سبحانه وتعالى وقربه اياه هو تكليمه تعالى اياه والطور هو الجبل
المشهور بالشام والظاهر ان الايمن صفة للجانب لقوله في اية اخرى جانب

الطور الايمن

قصة المناجاة

بنصب الايمن نعتا لجانب الطور والجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة
ولكن كان عن يمين موسى عليه الصلاة والسلام على حسب وقوفه عليه وان
كان من اليمن احتمل ان تكون صفة للجانب وهو الراجح ليوافق ذلك
في الآيتين واحتمل ان يكون صفة للطور اذ معناه الاسعد المبارك
قال ابن القشيري رضي الله عنه وفي الكلام حذف تقديره وناديناه
حين اقبل من مدين ورأى النار من الشجرة وهو يريد من يهديه الى الطريق
مصر من جانب الطور اي من ناحية الجبل • وقربناه نجيا قال
الجمهور بهذا التقريب تقريب التشريف والكلام والنبوة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ادني موسى من الملكوت ورفعت له
الحجب حتى سمع صريف الاقلام وقال مثل ذلك ابو العالية وميسرة
وقال سعيد ابن جبير اردفه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال
الزمخشري رضي الله عنه شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث
كلمه بغير واسطة ملك انتهى ونجيا فعيل من المناجاة بمعنى
مناج كالجليس وهو المنفرد بالمناجاة وهي المسارة بالقول وقال
قتادة رضي الله عنه معناه نجاه صدقه • ووهبنا له من رحمتنا
للتبعيض اي من اجل رحمتنا له او تكون للتبعيض اي بعض رحمتنا
قال الزمخشري رضي الله عنه واخاه على هذا الوجه بدل وهرون
عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك زيدا انتهى والذي يظهر ان
اخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا ترادف من بعضا فتبدل منها
وكان هارون عليه الصلاة والسلام اسن من موسى عليه الصلاة والسلام
فطلب من الله ان يشد ازره بنبوته ومعونته فاجابه واسمعيل
هو ابن ابراهيم ابو العرب يمنيها ومضريها وهو قول الجمهور
وقيل انه اسمعيل ابن حزقيل بعثه الله تعالى الى قومه فسلخوا جلدة
راسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه
وفوض امرهم اليه في عفوه وعقوبته • وصدق وعده لانه كانت
منه مواعيد لله وللناس فوفى بالجميع فلذلك خص بصدق الوعد
قال ابن جريج رضي الله عنه لم يعد ربه موعدة الا انجزها فمن مواعيده
الصبر وتسليم نفسه للذبح ووعده رجلا ان يقيم له بمكان
فغاب عنه مدة طويلة قيل كانت مدة غيابه عنه سنة كاملة وقيل
اثنين وعشرين يوما فجاءه فقال لم ازل برحت من مكانك فقال لا والله ما كنت
لاخلف موعدي • وكان يأمر اهله قال الحسن رضي الله عنه يعني
يأمر قومه وامته وفي مصحف عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وكان
يأمر قومه وقال الزمخشري رضي الله عنه كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح
والعبادة ليجعلهم قدوة لمن يأتي من بعدهم ولانهم اولى من سائر الناس
قال الله سبحانه وتعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة يا ايها الذين

عيل

آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة

الا ترى انهم احق بتصدق عليهم بالاحسان الديني والدنيوي وقيل اهدا امته
كلهم من اقاربه وعشيرته لان ام النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان حق
الصالح ان لا يألو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به
وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك انتهى وقال ابن عطية
ذكر اسماعيل عليه الصلاة والسلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو
الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله انتهى
وقرأ الجمهور مرضيا وهو اسم مفعول اي مرضوو فاعلت بقلب الواو
ياء لانها طرف بعد واو ساكنة والساكن ليس بحاجز حصين فكانها
وليت حركة ولو بنيت من ذوات الواو مفعل لصار مفعلا لان
الواو لا تكون طرفا وقبلها متحرك في الاسماء المتمكنة غير المتقيدة بالاضافة
الا ترى انهم حين سموا بيغزى بيغزو العاري من الضمير قالوا يغزى حين
صار اسما وهذا الاعلال ارجح من التصحيح ولابن عطية في رضي
وفي رضيان تثنية رضى وقرأ ابن ابي عبلة مرضوا مصححا وهي لغة
العرب ارض مسنية ومسنوة وهي التي تسقى بالسواني • وادريس هو
جد ابي نوح وهو اخنوخ وهو اول من نظر في النجوم والحساب وجعل
الله عز وجل من معجزاته وادل من خط بالقلم واول من خاط الثياب
ولبس المخيط وكانوا قبل وجوده يلبسون الجلود وهو
اول مرسل بعد ادم عليه الصلاة والسلام واول من اتخذ الموازين واول
من اتخذ المكاييل يعني بذلك الكيل والميزان واتخذ الاسلحة فقاتل
بها بني قابيل وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الياس بعث الى قومه
بان يقولوا لا اله الا الله ويعملوا ما شاءوا فابوا فاهلكوا وادريس هو اسم
اعجمي منع من الصرف للعلمية والعجمة ولا جائز ان يكون افعيلا من الدرس
كما قال بعضهم انه كان يجب صرفه اذ ليس فيه الا سبب واحد
وهو العلمية قال الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون معنى
ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك اي من معنى الدرس فحسبه القائل
مشتقا من الدرس فكان العلي من شرف النبوة والزلفى عند
الله سبحانه وتعالى وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفة انتهى
وقالت جماعة وهو رفع النبوة والتشريف والمنزلة وهو في السماء كسائر
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل رفع الى السماء قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما كان ذلك بامر الله كما رفع عيسى عليه الصلاة
والسلام كان له خليل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام فحمله على جناحه
وصعد به حتى بلغ السماء الرابعة فلقي هناك ملك الموت فقال
انه قيل لي اهبط الى السماء الرابعة فاقبض فيها روح ادريس عليه
الصلاة والسلام واني لاعجب كيف يكون هذا فقال له الملك الصاعد

هذا ادريس

هذا ادريس معي فقبض روحه الكريمة وروي ان هذا كله كان في
السماء السادسة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وكذلك هي رتبته في
حديث الاسراء في بعض الروايات من حديث ابي هريرة وانس رضي الله
عنهما تعيينها انه في السماء الرابعة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى
من الجنة وقال قتادة رضي الله عنه يعبد الله عز وجل مع الملائكة
عليهم الصلاة والسلام في السماء السابعة وتارة يرتع في الجنة حيث شاء
وقال مقاتل رضي الله عنه هو ميت في السماء • اولئك اشارة الى من
تقدم ذكرهم في هذه السورة من الانبياء ومن في قوله من النبيين
للبيان لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام منعم عليهم
ومن الثانية انت هنا للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم عليهما الصلاة
والسلام لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام
وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح عليه الصلاة والسلام لانه من ولد
سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام ومن ذرية ابراهيم اسحاق واسماعيل
ويعقوب واسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا ويحيى وموسى وهارون
من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم عليها الصلاة والسلام من
ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والظاهر
ان الذين خبر لاولئك واذا تتلى عليهم كلام مستانف ويجوز ان يكون
الذين صفة لاولئك والجملة الشرطية خبر وقرئ يتلى بالياء وفي رواية
اخرى بالتاء قرأ الجمهور تتلى بالتاء وقرأ عبد الله وابو جعفر
وشيبة وشبل ابن عباد وابو حيوة وعبد الله ابن احمد العجلي عن حمزة
وقتيبة في رواية وورش في رواية الحلواني وابن ذكوان في رواية
التغلبي بالياء وانتصب سجدا على الحال المقدرة قاله الزجاج
لانه حال خروره لا يكون ساجدا والبكي جمع باك كشاهد
وشهود ولا يحفظ فيه جمعا لفعول وبابه فعلة او فعلة
كرام ورماة والقياس بققضه وقرأ الجمهور بكيا بضم الباء
وقرأ عبد الله ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي بكسرها اتباعا
لحركة الكاف كعصي ودلي والذي يظهر ان ذلك قد جمع لمناسبة
الجمع قبله ويجوز ان يكون مصدرا البكي بمعنى بكاء واصله
بكوي كجلس جلوسا وقال ابن عطية رضي الله عنه وبكيا بكسر الباء
وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى وقوله ليس بسديد لان اتباع
حركة الكاف لا يعين المصدرية الا ترى انهم قرءوا جثيا بكسر الجيم جمع
جاث وقالوا عصي • قوله عز وجل فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب
وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا

تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ۝ وما نتنزل الا بامر ربك له
ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ۝ رب
السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ۝
• قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف قيل نزلت في اليهود وقاله
ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم وفي النصارى وعن السدي رضي الله عنه
وفي قوم من امة الرسول عليه الصلاة والسلام ياتون عند ذهاب
صالحيها يتبارزون بالزناء اي يتجاهرون به وينتشرون اي
يكثر ويتزو الا في ترنو بعضهم على بعض وعن مجاهد وقتادة
وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وعن وهب بن منبه رضي الله عنهم
شرابوا القهوة وتقدم الكلام على خلف في سورة الاعراف ايضا قال
ابن عباس وابن جرير الطبري رضي الله عنهما والمراد باضاعة الصلاة تاخيرها
عن وقتها وروي مثل ذلك عن ابن مسعود والنخعي رضي الله عنهما
وكذا رواه القاسم بن مخيمرة ومجاهد وابراهيم وعمر بن عبد
العزيز وقال القرطبي واختاره الزجاج رضي الله عنه اضاعتها في
الاخلال بشروطها لان من اخل بشيء منها كان كمضيعها وقيل
اقامتها في غير الجماعات وقيل عدم اعتقاد وجوبها وقيل المراد
تعطيل المساجد والاشتغال بالصنائع والاسباب • والشهوات عام
في كل مشتهى يشغل عن الصلوات وعن ذكر الله عز وجل وعن علي رضي
الله عنه • هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
وقرا عبد الله والحسن وابو رزين العقيلي والضحاك وابن مقسم الصلوات
جمعا والغي عند العرب كل شر والرشاد كل خير قال الشاعر
• فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما •
وقال الزجاج رضي الله عنه يلقون جزاء غي كقوله يلق
اثاما اي مجازاة اثام وكان ابن زيد رضي الله عنه الغي الخسران
والحصول في الورطات اي الوقوع فيها وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود
رضي الله عنهما وبذلك قال كعب الاحبار رضي الله عنه ان غيا واد في غيا
جهنم وقال التومذي ضلالا نعتد عن اتباع الهدى وقال الزمخشري
رضي الله عنه غيا عن طريق الجنة وحكى الكرماني رضي الله عنه
ان المراد بذلك ابار في قعر جهنم يسيل اليها الصديد
وقيل هلاكا وقيل شرا • وقرئ فيما حكى الاخفش رضي الله عنه يلقون
بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف • الا من تاب هذا استثناء
ظاهره الاتصال وقال الزجاج رضي الله عنه هو استثناء منقطع وامن
هذا يدل على ان تلك الاضاعة اضاعة كفر • وقرا الحسن يدخلون
مبنيا للفاعل وكذا كل ما في القرآن من يدخلون • وقرا كذلك هنا
الزهري وحميد وشيبة والاعمش وابن ابي ليلى وابن مناذر وابن سعدان

وقرا

وقرا ابن حيوة وعن طلحة سيدخلون بسين الاستقبال مبنيا للفاعل
وقرا الجمهور جنات نصبا جمعا بدلا من الجنة ولا يظلمون شيئا
اعتراض او حال • وقرا الحسن وابو حيوة وعيسى بن عمر والاعمش واحمد
ابن موسى عن ابي عمرو جنات رفعا جمعا اي تلك جنات عدن • وقال
الزمخشري رضي الله عنه الرفع على الابتداء انتهى يعني والخبر التي •
وقرا الحسن بن حي وعلي بن صالح جنة عدن نصبا مفردا ورويت عن الاعمش
رضي الله عنه وهي كذلك في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
• وقرا اليماني والحسن واسحاق الازرق عن حمزة رضي الله عنه
جنة عدن رفعا مفردا وعدن ان كان علما شخصيا كان التي
نعتا لما اضيف الى عدن وان كان المعنى اقامة كان التي بدلا
وقال الزمخشري رضي الله عنه عدن معرفة علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما
لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى العدن لذلك او هو علم الارض
الجنة لكونه مكان اقامة ولولاه لما ساغ الابدال وفي رواية ولولا ذ لكن
لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما
ساغ وصفها بالتي انتهى وما ذكره هنا منتعقب اما دعواه ان عدنا
علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا
دعوى العلمية الشخصية فيه واما قوله ولولا ذلك الى
قوله موصوفة فليس هو مذهب البصريين لا نعدهم جواز
ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شيء قاله
البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتابنا التكميل
فلا زمه فاسدة واما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين
كون التي صفة وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا او بالنعت جاز
اي وعدها وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها لا يشاهدونها
ويحتمل ان تكون الباء للسببية اي بتصديق الغيب والايمان به وقال
ابو مسلم رضي الله عنه المراد الذين يكونون عبادة بالغيب اي الذين يعبدونه دونه
في السر والظاهر ان وعده مصدر بمعنى ما تيا بمعنى اتيا لانه لك
وقيل هو على موضوعه من انه اسم المفعول وقال الزمخشري رضي الله عنه
ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها
او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا والقول
الثاني وهو قوله او الوجه ما اخذه من قول ابن جريج رضي الله عنه قال
وعده هنا موعوده وهو الجنة وماتيا ياتيه اولياؤه انتهى لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما استثناء منقطع وهو قول الملائكة عليهم الصلاة
والسلام يقولون لهم اذا دخلوها اي الجنة سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار وقيل يسلم الله عليهم عند دخولها ومعنى بكرة وعشيا ياتيهم طعامهم

مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن وقال مجاهد رضي الله عنه
لا بكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقد
ذكر نحوه قتادة أن تكون مخاطبة بما تعرف العرب في رفاهة العيش
وقال الحسن رضي الله عنه أراد أنهم قد خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من
أفضل العيش وذلك أن كثيرا من العرب إنما كان يجد الطعام المرة في
اليوم وكان عيش أكثرهم من شجر البرية ومن الحيوان وقال الزمخشري
رضي الله عنه اللغو هو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه
تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار
التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآية أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو
تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا إلا ذلك فهو من وادي قوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب
أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء
المنقطع أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار
السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب
اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام وقال أيضا ولا يكون
ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب
من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند
فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ولا تقصد الوقتين المعلومين ه
انتهى • وقرأ الجمهور نورث مضارع أورث وقرأ الأعمش نورثها بإبراز
الضمير العائد على الموصول وقرأ الحسن والأعرج وقتادة ورويس وحميد
وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الواو وتشديد الراء
ونورث استعارة أي نبقيها عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث
ولأن الأتقياء يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة
فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل
أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا • وما نتنزل
إلا بأمر ربك قيل سبب نزول هذه الآية أن جبريل عليه الصلاة والسلام
كان قد أبطأ عن النزول بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة
فلما جاءه قال يا جبريل قد اشتقت إليك فلم لا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت
هذه الآية • وقال مجاهد والضحاك سببها أن جبريل عليه
الصلاة والسلام تأخر في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف وهي كالتي
في سورة الضحى ونتنزل نتفعل وهي للمطاوعة وهي أحد معاني تفعل
تقول نزلته فتنزل فتكون لمواصلة العمل في مهلة وقد يكون
لا يلحظ فيه ذلك إذا كان بمعنى المجرد كقولهم تعدى الشيء وعداه
وقد يكون مطاوعا فيكون نتنزل في معنى ننزل كما قال الشاعر

فلست

فلست لإنسي ولكن لملأك • تنزل من جو السماء يصوب •
وقال الزمخشري رضي الله عنه التنزل على معنيين معنى النزول على
مهل ومعنى النزول على الإطلاق • كقوله فلست لإنسي البيت لأنه
مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق
بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا غب
وقت انتهى وقال ابن عطية رضي الله عنه وهذه الواو التي في قوله وما
نتنزل إلا بأمر ربك هي عاطفة جملة كلام على أخرى واصلة بين
القولين وإن لم يكن معناهما واحدا وحكى النقاش عن قوم أن قوله
وما نتنزل متصل بقوله إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا
وهذا قول ضعيف والذي يظهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى
لما ذكر قصة زكريا ومريم عليهما الصلاة والسلام وذكر إبراهيم وموسى وإدريس
وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ثم ذكر أنه تعالى أنعم عليهم فكان من
ذرية إبراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرية إبراهيم عليه الصلاة
والسلام وذكر سبحانه وتعالى أنه خلف بعد هؤلاء خلف وهم اليهود
والنصارى أصحاب الكتب لأن غيرهم لا يقال فيهم أضاعوا الصلاة
إنما يقال ذلك فيمن كانت لهم شريعة فرض عليهم فيها الصلاة بوحي
من الله سبحانه وتعالى وكان اليهود هم سبب سؤال قريش للنبي صلى
الله عليه وسلم في تلك المسائل الثلاث وإبطاء الوحي عنه نبحت بذلك
قريش واليهود وكان ذلك من اتباع شهواتهم وهذا وهم عالمون بنبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهي
قوله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك أي أنزلت تنبيها على قصة قريش
واليهود وأن أصل تلك القصة إنما كان بسبب هؤلاء الخلف الذين
أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وختما لقصص أولئك المنعم
عليهم المحافظين على شرائعهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واستعذار من
جبريل للرسول عليه الصلاة والسلام بأن ذلك الإبطاء لم يكن منه إذ لا يتنزل
إلا بأمر الله سبحانه وتعالى ولما كان الوحي بسببه قصة السؤال وكونه صلى
الله عليه وسلم لم يقل إن شاء الله وكان السؤال منشأ عن
اتباع اليهود شهواتهم وخفيات خبثهم التي تذكر البعثة المتأخرة عن
ذكرها أنهم ثم اتبعوا شهواتهم الدنيوية وخبثهم وقال أبو العالية رضي الله عنه
ما بين أيدينا الدنيا بأسرها إلى النفخة الأولى وما خلف ذلك الآخرة
وما خلفنا من وقت البعث وما بين ذلك وهو ما بين النفختين وقال ابن
عطية وقول أبي العالية إنما يتصور في بني آدم عليه الصلاة والسلام وهذه
المقالة هي للملائكة عليهم الصلاة والسلام فتأمله وقال ابن جريج
رضي الله عنه ما بين أيدينا هو ما مر من الزمان قبل الإيجاد وما خلفنا هو
ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة وفي كتاب التحرير

ما أثنته

والتخيير

ما بين أيدينا يعني الآخرة وما خلفنا يعني الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وبه قال ابن جبير وقتادة ومقاتل وسفيان ابن عيينة
وسفيان الثوري وقال مجاهد بعكس ذلك وقال الأخفش ما بين
أيدينا أي قبل أن نخلق وما خلفنا أي ما بعد الفناء وما بين ذلك
أي ما بين الدنيا والآخرة وقال مجاهد وعكرمة وأبو العالية هو
ما بين النفختين وقال الحسن حين كوننا وقال صاحب التبيان
ما بين أيدينا يعني نزول الملائكة من السماء وما خلفنا من الأرض
وما بين ذلك يعني ما بين السماء والأرض وقال ابن الفرس مسره
في ابن جريج رضي الله عنهم فالحصر هذه الأزمنة الثلاثة
ويبين أن ما يأتيه هو مستقبلها ومكرر أمرها على ما يشاء من تقدم أو تأخر
انتهى وفيه بعض تلخيص وتصرف وقال ابن عطية رضي الله عنه
إنما القصد الإشعار بملك الله تعالى لملائكته وأن قليل تصرفهم
وكثيره إنما هو بأمره سبحانه وتعالى وانتقالهم من مكان إلى مكان إنما هو
بحكمته إذ الأمكنة له وهم له فلو ذهب بالآية إلى أن المراد بما بين الأيدي
وما خلف الأمكنة التي فيها تصرفهم والمراد بما بين ذلك هم أنفسهم ومقاماتهم
لكان وجهاً كأنه قال نحن مقيدون بالقدرة لا ننتقل ولا ننزل
إلا بأمر ربك انتهى وما قاله فيه ابن عطية لم أر أحداً ذهب إليه نحوه
الزمخشري رضي الله عنه قال له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات
والأماكن وما نحن فيه فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر
المليك ومشيئته والمعنى أنه محيط بكل شيء علماً
لا تخفى عليه خافية فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادراً
عن توجيه حكمته وأمرنا وإذنه لنا فيه انتهى وقال البغوي
رضي الله عنه له علم ما بين أيدينا وقال أبو مسلم وابن بحر وما نتنزل
إلا بأمر ربك الآية ليس ذلك من كلام الملائكة وإنما هو من كلام أهل
الجنة بعضهم لبعض إذا دخلوها وهي متصلة بالآية الأولى إلى قوله ومن
بين ذلك أي وما ننزل الجنة إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما
خلفنا وما بين ذلك أي في الجنة مستقبلاً وما خلفناه في الدنيا
وما بين ذلك أي وما كان بينهما أي ما بين النفختين وحكى الزمخشري هذا
القول فقال وقيل هو حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما
ننزل الجنة إلا بإذن من الله عز وجل الذي من علينا بثواب أعمالنا وأمرنا
بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
اللاطف في الأعمال أي في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم
قال تعالى تقريراً لهم ولقولهم وما كان ربك نسياً أي لأعمال العاملين
أي وما كان ربك غافلاً عما يجب أن يثاب به وكيف يجوز
النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماوات والأرض وما بينهما انتهى

وقال

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي رضي الله عنه وهكذا ما جاء المتظاهر
من وجوه أحدها أن ظاهر قوله وما نتنزل نزول الملائكة إلى الرسول
عليه الصلاة والسلام وقوله بأمر ربك فظاهره أنه من كلام المتكلف
النبي وثانيها خطاب من جماعة لواحد وذلك لا يليق بمخاطبة بعضهم
لبعض في الجنة وثالثها أن ما في سياقه وهو قوله رب
السماوات والأرض وما بينهما لا يليق بحال المكلفين فإنه يوصف به
الرسول عليه الصلاة والسلام انتهى وقرأ الجمهور وما نتنزل بالنون
يعني جبريل نفسه والملائكة وقرأ الأعرج بالياء على أنه خبر من الله
تعالى قيل والضمير في يتنزل عائد على جبريل عليه الصلاة والسلام
قال ابن عطية رضي الله عنه ويرده له ما بين أيدينا وما خلفنا لأنه قد
لا يضطرد معه وإنما يتجه أن يكون خبراً عن جبريل عليه الصلاة والسلام أن
القرآن لا يتنزل إلا بأمر الله عز وجل في الأوقات التي يقدرها
وكذا قال الزمخشري على الحكاية عن جبريل عليه الصلاة والسلام والضمير
للوحي انتهى ويحتمل ذلك القول على إضمار أي وما يتنزل جبريل
إلا بأمر ربك فإنه له ما بين أيدينا أي يقول ذلك على سبيل الاستعذار
في البطء عنك بأمر ربك فمتصرفاتنا ليس لنا أن نتصرف إلا بإذنه
ومشيئته وأخبار أنه سبحانه وتعالى ليس بناسيك وإن تأخر
عنك الوحي انتهى. رب السماوات على قراءة الرفع على خبر مبتدأ
محذوف وقرأ الجمهور هل تعلم بإظهار اللام عند التاء
وقرأ الأخوان وهشام وعلي ابن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو
والحسن والأعمش وعيسى وابن محيصن بالإدغام فيهما قال أبو
عبيدة رضي الله عنهما هما لغتان وعلى الإدغام أنشدوا يقولون

بيت مراحم المغتال

قد رد أو كنت هل تعش بثبتها على صوت تروف آخر الليل ناصب

وعدي فاصطبر باللام على سبيل التضمين أي اثبت بالصبر لعبادته
لأن العبادة تورد شدائد فاثبت لها وأصله التعدية بعلى كقوله تعالى
واصطبر عليها والسمي من يوافق في الاسم تقول هذا سميك أي اسمه
مثل اسمك فالمعنى أنه لم يسم بلفظ الله شيء قط وكان المشركون
يسمون أصنامهم اللات والعزى وأما لفظ الله فلم يطلقوه على شيء
من أصنامهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن غيره
وقيل يحتمل أن يعود ذلك على قوله رب السماوات والأرض وما بينهما
أي هل تعلم من يسمى أو يوصف بهذا الوصف أي ليس أحد من الأمم
يسمى شيئاً بهذا الاسم سوى الله عز وجل وقال مجاهد وابن جبير
وقتادة سمياً مثلاً وشبيهاً وحكي ذلك عن ابن عباس أيضاً قال ابن
عطية رضي الله عنه وكأن السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو

وهذا قول حسن ولا يخفى حسنه في ذكر يحيى عليه الصلاة والسلام انتهى
يعني لم يجعل له من قبل سميا وقال غيره تقول فلان سمي فلان اي
اذا اشتركا في اللفظ وسميه اذا كان مماثلا له في صفاته الجميلة ومناقبه
ومنه قول الشاعر

فانت سمي للزبير ولست للزبير سميا اذ غدا ماله مثل

وقال الزجاج رضي الله تعالى عنه هل تعلم احدا يستحق ان يقال له
خالق وقادر الا هو تبارك وتعالى وقال الضحاك رضي الله عنه ولدا يعني
ردا على من يقول ان لله ولدا. قوله عز وجل ويقول الانسان أإذا
ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من
كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم احسن اثاثا ورئيا. قيل سبب نزول هذه الآيات ان رجلا من
قريش قيل انه ابي ابن خلف جاء بعظم رفات فنفخ فيه وقال للرسول أيبعث
هذا وكذب وسخر ولما ذهب المسالة التجنيس بما صدر من بعض
كقول الفرزدق. فسيف بني عبس وقد ضربوا به

نبا بيدي ورقاء عن راس خالد

اسند الحدث الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء ابن زهير
بن جذيمة العبسي او للجنس الكامل لكن للبعض او المعنى الى ابن خلف او
العاص بن وائل او ابي جهل او الوليد بن المغيرة ٣ اقوال وقرأ الجمهور أإذا بـ
الاستفهام وقرأت فرقة منهم ابن ذكوان بخلاف عنه اذا بدون همزة
اي بدون همزة الاستفهام وقرأ الجمهور لسوف باللام وقرأ طلحة وعن
في رواية وقرأ طلحة ابن مصرف ساخرج بغير لام وسين الاستقبال عوض
سوف فعلى قراءته يكون اذا معمولا للفعل لان خرج لان حرف التنفيس
لا يمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله على ان فيه خلافا شاذا وصاحبه
محجوج بالسماع قال الشاعر

فلما رأته امنا هان وجدها. وقالت ابونا هكذا سوف يفعل

فهكذا منصوب بيفعل وهو بحرف الاستقبال وحكى الزمخشري رضي الله عنه
ان طلحة ابن مصرف قرأ لساخرج واما على قراءة الجمهور وما نقل الزمخشري
من قراءة طلحة رضي الله عنه فاللام فيها لام الابتداء فلا يعمل ما بعدها فيما
قبلها فيقدر العامل محذوفا من معنى لسوف اخرج حيا تقديره اذا ما مت
أأبعث حيا وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لام الابتداء الداخلة
على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت

لم تجامعها

لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض
واضمحل عنها معنى التعريف انتهى وما ذكر من ان اللام تعطي معنى الحال
مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال
واما قوله كما اخلصت الهمزة الى آخره فليس ذلك الا على مذهب من
يزعم ان الاصل فيه اله واما من يزعم ان اصله لاه فلا تكون
الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شيء ولو قلنا ان اصله اله وحذفت
فاء الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه تكون للنداء بل تكون للتعويض
اذ لو كانت هي للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما
جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على ان قطع همزة
الوصل في النداء شاذ وقال ابن عطية رضي الله عنه واللام في قوله لسوف
مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كان قائلا قال للكافر
اذا مت يا فلان لسوف تخرج حيا فقرر الكلام على الكلام على جهة
الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الاول انتهى ولا يحتاج الى هذا
التقدير ولا ان هذا حكاية لقول تقدم بل هذا من الكافر استفهام
فيه معنى الجحد والانكار ومن قرأ اذا فالمقدر ان يكون حرف الهمزة
منه لدلالة المعنى عليه واما ان يكون اخبارا على سبيل الهزء والسخرية
بمن يقولون ذلك اذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى وقرأ الجمهور
اخرج مبنيا للمفعول وقرأ الحسن وابو حيوة مبنيا للفاعل وقال الزمخشري
رضي الله عنه والاول اي وايلاء الظرف حرف الانكار من قبل ان ما بعد
الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى
المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه وقرأ ابو بحرية
والحسن وشيبة وابن ابي ليلى وابو معاذ وابو حاتم ومن السبعة عاصم
وابن عامر ونافع اولا يذكر خفيفا مضارع ذكر وقرأ باقي السبعة بفتح
الذال والكاف وتشديدهما واصله يتذكر فادغمت التاء في الذال وقرأ ابي
يتذكر وقرأ ابي اولا يتذكر بالتاء فيها على الاصل قال الزمخشري رضي الله عنه
الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه
وحرف العطف انتهى وهذا رجوع منه الى مذهب الجماعة من ان حرف العطف
اذا تقدمته الهمزة فانما عطف ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لان
لها صدر الكلام وكان مذهبه ان يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح ان يعطف
عليه ما بعد الواو فيقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تاخير
وقد رددنا عليه هذه المقالة. انا خلقناه من قبل اي انشاناه واخترعناه
من العدم الصرف الى الوجود فكيف ينكر النشاة الثانية وهذه الحجة في غاية
الاختصار والالزام للخصم ويسمى هذا النوع الاحتجاج النظري وبعضهم
يسميه المذهب الكلامي وقد تكرر هذا الاحتجاج في القرآن ايضا
ولم يك شيئا اشارة الى العدم الصرف وانتفاء الشيئية عنه يدل على ان

ولم يك شيئا
المعقود ثم قد لا يسمى شيئا وقال ابو علي الفارسي رضي الله عنه
موجودا او شيئا معتدا به والمحذوف المضاف اليه قبل اي التقدير
قدره بعضهم من قبل بعثه وقدره الزمخشري رضي الله عنه من قبل الحالة
التي هو فيها وهي حالة بقائه انتهى ● فلما اقام سبحانه وتعالى الحجة الدامغة
على حقيقة البعث اقسم على ذلك باسمه مضافا الى رسوله صلى الله عليه وسلم
تشريفا له وتفخيما وتعظيما لقدره وقد تكرر هذا القسم في القرآن
تعظيما لحقه تعالى وترفيعا له كما رفع من شأن السماء والارض بقوله
فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين للعطف وهي
بمعنى مع اي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فهذا اذا كان الضمير في قوله
لنحشرنهم للكفرة وهو قول ابن عطية رضي الله عنه وما جاء بعد ذلك
فهو من اخبارهم وقد بدأ به الزمخشري رضي الله عنه والظاهر انه
عام للخلائق كلهم مؤمنهم وكافرهم ولم يفرق بين المؤمنين والكا
فرين كما فرق في الجزاء واحضروا جميعا وافرد الشيا
ليعاين المؤمنون الاهوال التي نجوا منها فيسروا بذلك ويشمتوا على
الكفار وقد اذا كان ذلك الضمير عاما فالمعنى انهم يتجاثون عند
موافاة شاطئ جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع
التواقف للحساب قبل الوصول الى الثواب والعقاب وقال تعالى في
حالة الموقف وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم
تعملون وجثيا حال مقدرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قعودا وعنه جماعات
جماعات جمع جثوة وهو المجموع من التراب والحجارة وقال مجاهد
والحسن والزجاج على الركب وقال السدي رضي الله عنه قياما على الركب
لضيق المكان بهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص رضي الله عنهم جثيا
وعتيا وصليا بكسر الجيم والعين والصاد وقرأ الجمهور بضمها في الثلاثة
● ثم لننزعن اي لنخرجن وهو من نزع يده اي اخرجها وقيل لنرمين وهو
من نزع القوس وهو الرمي بالسهم ● والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب
قال ابو الاحوص بيدا يا لا الا ... وقال الزمخشري رضي الله عنه
يمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم
واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب فنقدم
اولاهم بالعذاب فاولاهم والضمير في ايهم عائد على المحشورين او
المحضرين وقرأ الجمهور ايهم بالرفع وهي حركة بناء على مذهب سيبويه رضي الله عنه
فايهم مفعول لننزعن وهي موصولة واشد خبر مبتدا محذوف
والجملة صلة لايهم وحركة اعراب على مذهب الخليل رضي الله عنه اي الذين
يقال فيهم ايهم اشد في موضع نصب فيتعلق عنه لننزعن على
مذهب يونس رضي الله عنه والترجيح بين هذه المذاهب مذكور

في علم النحو

في علم النحو وقال الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون النزع واقعا
على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة
فكأن قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد على الرحمن عتيا انتهى فتكون ايهم
موصولة خبر مبتدا محذوف وهذا تكلف وادعاء اضمار لا ضرورة
تدعو اليه وجعل ما ظاهره انه جملة واحدة جملتين دون الخليل
تخريجه قال الشاعر ● ولقد ابيت من الفتاة بمنزل ● فابيت
اي فابيت يقال فيّ لا حرج ولا محروم وقد رجح الزجاج رضي الله عنه قول
الخليل رحمه الله سبحانه وتعالى وذكر عنه النحاس انه غلط وقال سيبويه رحمه
الله تعالى في هذه المسألة قال سيبويه رضي الله عنه ويلزم على هذا
ان يجوز اضرب السارق الخبيث الذي يقال له وليس بجائز
من حيث ان هذه اسماء مفردة والاية جملة وتسلط الفعل على
المفرد اعظم منه على الجملة ومذهب الكسائي رضي الله عنه ان معنى
لننزعن لننادين فعومل معاملته فلم يعمل في اي انتهى ● ونقل هذا
عن الفراء رضي الله عنه وقال المهدوي رضي الله عنه ونادى يعلق
اذا كان بعده جملة نصب فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ وقال
المبرد رحمه الله تعالى ايهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع والمعنى من
الذين تشايعوا ايهم اشد كأنهم يتبادرون الى هذا ويلزم منه ان يقدر
مفعولا لننزعن محذوفا وقد تضاف في هذا المذهب من الذين تشا
يعوا اي من الذين تعاونوا فنظروا ايهم اشد قال النحاس رضي الله عنه
وهذا القول حسن وقد حكى الكسائي رضي الله عنه ان التشايع هو
التعاون وحكى ابو بكر بن شقير رضي الله عنه ان بعض الكوفيين
يقول في ايهم معنى الشرط تقول ضربت القوم ايهم غضب والمعنى ذلك ان
تقول ضربت القوم انهم غضبوا والمعنى ان غضبوا او لم يغضبوا فعلى
هذا يكون التقدير ان اشتد عتوهم او لم يشتد ● وقرأ طلحة بن مصرف
ومعاذ بن مسلم الهراسي استاذ الفراء رضي الله عنه وزائدة عن
الاعمش ايهم بالنصب مفعولا لننزعن وهاتان القراءتان تدلان
على ان مذهب سيبويه رضي الله عنه انه لا يتحتم فيها البناء اذا اضيفت
وحذف صدر صلتها وقد نقل عن الفراء والزجاج وسيبويه وغيرهم
تحتم البناء ايضا وينبغي ان يكون فيه على مذهبه البناء والاعراب
قال ابو عمر الجرمي خرجت من البصرة فلم اسمع منذ فارقت الخندق
الى مكة احدا يقول لاضربن ايهم قائم بالضم بل ينصبها انتهى وقال
ابو جعفر النحاس رحمه الله تعالى وما علمت احدا من النحويين الا وقد
خطأ سيبويه وسمعت ابا اسحاق يعني الزجاج رضي الله عنه يقول
ما تبين ان سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين هذا احدهما قال وقد

لا حرج ولا محروم ●

يعوا

قال وقد أعرب سيبويه رضي الله عنه أيّاً هي مبنية لأنها مضاف وحذف
بنيتها أي صلتها. وعلى الرحمن متعلق بأشد وعتيا تمييز محول
من المبتدأ تقديره أيهم عتوّه أشد على الرحمن وفي الكلام حذف
تقديره فيلقيه في أشد العذاب أو فيبتدأ بعذابه ثم بمن دونه
إلى آخرهم عتوا كما في الحديث أنه تبدو عنق من النار فتقول
إني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم وفي بعض الآثار أنهم
يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم
الأكفر فالأكفر قال ابن عباس رضي الله عنهما عتيا جراءة وقال
مجاهد فجرا وقيل افتراء بلغة تميم وقيل عتيا جمع عات
فانتصابه هنا على الحال. ثم لنحن أعلم أي نحن في ذلك النزع
لا نضع شيئا في غير موضعه لأنا قد أحطنا علما بكل أحد فأولى
الناس بصليها قال ابن جريج أولى بها بالخلود وقال الكلبي صليا
دخولا وقيل لزوما وقيل جمع صال فانتصب على الحال وبها يكون
متعلق بأولى قالوا وفي قوله وإن منكم للعطف وقال ابن عطية
رضي الله عنه وإن منكم إلا واردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قوله
النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم تمسه النار
إلا تحلة القسم انتهى وذهل عن قول النحويين إنه لا ينعقد
عن القسم بالجواب كقول الزجاج فيه أيضا يعني لدلالة المعنى عليه
إلا إذا كان الجواب باللام أو بإن والجواب هنا جاء منفيا بإن فلا
يجوز حذف القسم على ما قد نصوا عليه وقوله والواو تقتضيه
يدل على أنها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو
واو قسم لأنه قد يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار
ولا يجوز ذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر من كلام بأن تقوم
بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نعم
السير على بئس العير أي على عير بئس العير وقول الشاعر
والله ما ليلي بنام صاحبه. أي برجل نام صاحبه وهذه الآية
ليست من هذا الضرب إذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه
وقرأ الجمهور منكم بكاف الخطاب والظاهر أنه عام للخلق وأنه ليس
الورود الدخول لجميعهم فعن ما روي عن ابن مسعود والحسن وقتادة
إنه هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت
القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه أو وصلت إليه
قال الشاعر. فلما وردن الماء زرقا جمامه. وضعن عصي الحاضر
المتخيم. وتقول العرب وردنا ماء بني تميم وبني كلب إذا حضروهم

ودخلوا

حضروا بهم ودخلوا بلادهم وليس يراد به الماء بعينه وقيل الخطاب للكفار
أي قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول وعلى قول من قال
الخطاب عام وإن المؤمنين وكلهم فريق يدخلون النار ولكن لا تضر
المؤمنين ولا يتغيرها وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني
نقله في كتابي هذا لشناعة قولهم إن المؤمنين يدخلون النار ولكن
لا تضرهم أي ولم تحضرهم وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة وإن منهم بالهاء
للغيبة على ما تقدم من الضمائر وقال الزمخشري رضي الله عنه
ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة
فالمعنى بيّن واسم كان مضمر يعود على الورود أي كان ورودهم
حتما أي واجبا قضى به وقرأ الجمهور ثم بحرف العطف قال
وهذا يدل على أن الورود عام. وقرأ الجمهور ننجي بفتح
النون وتشديد الجيم وقرأ يحيى والأعمش والكسائي وابن
محيصن رضي الله عنهما بإسكان النون وتخفيف الجيم. وقرأت
فرقة نجّي بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وقرأ علي
رضي الله تعالى عنه ثم ننحي بحاء مهملة مضارع نحّى ومفعول
اتقوا محذوف أي الشرك والظالم هنا ظالم الكفر. وإذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الآية في النضر وأصحابه يعني النضر بن الحارث وأصحابه كان فقراء
الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون يدهنون
رؤوسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير فأخذ الأنس فقالوا
للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما أي منزلا أو سكنا وأحسن
نديا ولما أقام الحجة على منكري البعث وأتبعه بما يكون يوم القيامة
أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا
وذلك عندهم يدل على كرامتهم على الله عز وجل وقرأ أبو حيوة والأعرج
وابن محيصن مقاما بضم الميم وقرأ الجمهور بالفتح يعني فوق كان المؤمن
يتلو على الكفار القرآن ويتلون بآيات النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الكافر
إنما يحسن الله لأحب الخلق إليه وينعم على أهل الحق ونحن قد
أنعم علينا دونكم فنحن أغنياء وأنتم فقراء ونحن أحسن مجلسا
وأجمل شارة ومعنى بينات مرتلات الألفاظ ملخصات
المعاني أو ظاهرات الإعجاز أو حججا وبراهين وبينات حال
مؤكدة لأن آيات الله تعالى لا تكون إلا بهذا الوصف دائما وقرأ الجمهور مقاما
بفتح الميم وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد والجعفي وأبو حاتم
عن أبي عمرو بضم الميم واحتمل الفتح والضم أن يكون مصدرا أو موضع
قيام أو إقامة وانتصابه على التمييز. ثم ذكر تعالى كثرة
ما أهلك من القرون ممن كان أحسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على أنه سبحانه

وتعالى يهلكهم

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابا عنب
وكفى عبده

ويشتد تصدر شانه فيهم كما فعل بخيرهم وانعاظهم ان كانوا ممن يتعظ
ولم تغن عنهم يا كانوا افضل من حسنوا لاثاث والرئي ويعني اهلكهم
لتكذيبهم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن قرن تبيين
لكم وهم مفعول باهلكنا قال الزمخشري رضي الله عنه وهم احسن
في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد
من نصب احسن على الوصفية انتهى وتابعه ابو البقاء رضي الله عنه
على ان هم احسن صفة لكم ونص صاحبنا على ان كم الاستفهامية
والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون وقولهم احسن
اما ثانيا في موضع الصفة لقرن وجمع لان القرن هو مشتمل على افراد كثيرة
فروعي معناه ولو افرد الضمير على اللفظ لكان عربيا كلفظ جميع قال
وان كل لما جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوصفه
بالجمع والمفرد وتقدم تفسير الاثاث في سورة النحل وقرأ الجمهور
ورئيا بالهمزة من رؤية العين فعل بمعنى مفعول كالطحن
والسقي وقال ابن عباس رضي الله عنهما الرئي المنظر الحسن
وقال الحسن وقتادة رضي الله عنهما معناه صورة وقال الزهري
وابو جعفر وشيبة وطلحة في رواية الهمداني وايوب وابن سعدان
وابن ذكوان وقالون وريا بلا همزة اخرى بتشديد الياء بلا
همز فاحتمل ان يكون مهموز الاصل من الرأي اي المنظر سهلت
الهمزة بابدالها ياء ثم ادغمت الياء في الياء واحتمل ان يكون من
الري ضد العطش لان الريان من الماء له من الحسن والنضارة
وعن طلحة ما يستحب ويستحسن كما للمنظر حسن من وجه اخر
اخذ بما يقابل اخرى وقرأ ابو بكر في رواية الاعشى عن عاصم وحميد
وريئا بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب ووزنه فلعا
وكانه من راء قال الشاعر وكل خليل راءني فهو قائل
من اجلك هذا هامة اليوم او غد وقرئ وريا بياء بعدها
الف بعدها همزة حكاها الزمخشري رضي الله عنه واصله ورئيا من
المراءاة اي يرى بعضهم بعضا حسنه وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
فيما روي عنه طلحة وزيا من غير همز ولا تشديد فيحتمل بعض
الناس وقال هي لحن وليس كذلك بل لها توجيه من الرئي
وقلبت بصار وريا ثم نقلت حركة الهمزة الى الياء وحذفت او
بان يكون من الري وحذفت احدى الياءين تخفيفا كما حذفت
في لا سيما والمحذوف الثانية لانها لام الكلمة لان الثقل انما حصل
بالكلمة بانضمامها اليها فهي اولى بالحذف وقرأ ابن عباس
ايضا وابن جبير ويزيد البربري والاعسم المكي وزيا بالزاي مع
تشديد الياء وهي الزينة الحسنة والآلات المجتمعة المستحسنة

وهم احسن في محل النصب صفة لكم

بان يكون جمع

قوله عز وجل اما

قوله عز وجل قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا
ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا
واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال
لأوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا
سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا
فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا . فليمدد يحتمل ان يكون على معناه من الطلب
ويكون دعاء وكان المعنى الاملاء وسلم مد الله له اي
امهله بطول العمر وكان الدعاء على صيغة الطلب
لانه الاصل ويحتمل ان يكون خبرا في المعنى وصورته صورة
الامر كأنه يقول من كان ضالا من الامم فعادة الله تعالى ان يمد
له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك الى عذابه في الآخرة وقال
الزمخشري رضي الله عنه اخرج ذلك على لفظ الامر ايذانا بوجوب
ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير
الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والظاهر
ان حتى غاية لقوله فليمدد والمعنى ان الذين في الضلالة
ممدود لهم فيها الى ان يعاينوا العذاب بنصرة الله المؤمنين او
الساعة ومقدماتها وقال الزمخشري رضي الله عنه في هذه الآية
وجهان احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها
والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود
رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتقتيلهم
ويأسرهم وفي رواية وغلبتهم عليهم قتلا واسرا واظهار الله دينه
على الدين كله على ايدي المؤمنين واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي
والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم
شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين
على خلاف صفتهم انتهى هذا الوجه وهو في غاية البعد لطول الفصل بين
قوله قالوا اي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض
ولا يجيز ذلك ابو علي رضي الله عنه وقال الزمخشري كذلك والثاني ان
تتصل بما يليها فذكر نحوا مما ذكرناه وقابل قولهم خير مقاما بقوله شر مكانا
وقوله واحسن نديا بقوله واضعف جندا لان الندي هو المجلس الجامع
لوجوه القوم والاعوان والانصار والجند هم الاعوان والانصار واما العذاب
واما الساعة بدل من ما المفعولة برأوا ومن موصولة مفعولة بقوله فسيعلمون

وتتعدى الى واحد ايضا وقد تكون هنا استفهامية والفعل قبلها معلق
والجملة في موضع نصب ولما ذكر امداد الضال في ضلالته وارتباكه
في الافتخار بنعم الدنيا عقب ذلك بزيادة هدى للمهتدين وبذكر
الباقيات الصالحات التي هي بدل من تنعمهم في الدنيا الذي قد
يضمحل ولا يثبت ومردا يعني مرجعا وتقدم تفسير الباقيات
الصالحات في سورة الكهف قال الزمخشري رضي الله عنه ويزيد معطوف
على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه الضلالة
ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه انتهى ولا يصح ان يكون ويزيد معطوفا على
موضع فليمدد سواء كان دعاء ام خبرا بصورة الامر لانه في موضع الخبر
ان كانت من موصولة او في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى
كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية
من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدا او جملة الشرط بالجزاء
الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف
على جملة الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان
يكون في جملة الجزاء ضميره او ما يقوم مقامه وكذا في هذه
الجملة الثانية المعطوفة عليها قال الزمخشري خير ثوابا
من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او خير
منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاي زندا فان
قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخرهم ثوابا حتى يجعل ثواب
الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة
قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله • شجعاء جربها الذميل تلوكه
اصلا اذا راح المطي غراثا • وكقولهم ايضا •
• تحية بينهم ضرب وجيع • ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من
التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك
النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا
فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء
اي ابلغ في حره من الشتاء في برده انتهى • افرايت الذي كفر باياتنا
نزلت في العاص بن وائل عمل له خباب بن الارت عملا
وكان قينا فاجتمع له عنده دين فتقاضاه فقال لا اقضيك
حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك
فقال العاصي او مبعوث انا بعد الموت فقال له خباب
نعم قال فانه اذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك
اقضيك دينك وقال الحسن رضي الله عنه نزلت في الوليد بن المغيرة
وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض ولما كانت رؤية
الاشياء سبيلا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت بمعنى

اخبر

لعمروا لان الفاء للعطف افادت التعقيب كانه قيل اخبر ايضا بقصة
هذا الكافر عقب قصة اولئك والآيات هو القرآن والدلالات على يعني القرآن
البعث وقرا الجمهور ولدا الاربعة هنا وفي سورة الزخرف بفتح
بفتح اللام والواو ايضا وسائر الكلم في ذلك في سورة نوح عليه
الصلاة والسلام وقرا الاعمش وطلحة والكسائي وحمزة وابن ابي
ليلى وابن عيسى الاصبهاني بضم الواو وسكون اللام فقيل على قراءة
الجمهور يكون المعنى على الجنس لا ملحوظا فيه الافراد وان كان
مفرد اللفظ وعلى هذه القراءة هو جمع كاسد واسد واحتج
لذلك بقول الشاعر • ولقد رايت معاشرا • قد ثمروا مالا وولدا
وقيل هو مرادف للولد بالفتح واحتجوا بقول الشاعر ايضا
فليت فلانا كان في بطن امه • وليت فلانا كان ولد حمار
وقرا عبد الله ويحيى ابن يعمر بكسر الواو وسكون اللام والهمزة في قوله
اطلع الغيب للاستفهام ولذلك عادلتها ام وقرئ بكسر الهمزة في الابتداء الابتداء
وحذفها في الوصل على تقدير حذف همزة الاستفهام لدلالة ام
عليها كقوله • بسبع رمين الجمر ام بثمان • تريد ابسبع وجاء
التركيب في ارايت على الوضع الذي ذكره سيبويه رضي الله عنه من انها تتعدى ي
لواحد بنفسه ويكون الثاني استفهاما فيه الفعل فاطلع وما بعدها
قد تكون في موضع المفعول الثاني لارايت وما جاء من تركيب
ارايت بمعنى اخبرني على خلاف هذا في الظاهر ينبغي ان يرد
اليه هذا بالتاويل قال الزمخشري رضي الله عنه اطلع الغيب من قولهم
اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه واطلع الثنية قال جرير رضي الله عنه
لاقيت مطلع الجبال وعورا • ويقول مررت مطلعا • وقد
تقال اذا تضامن مطلعا لهذا الامر اي غالبا له مالكا وقد
قال ايضا او لاختياره هذه الكلمة شان تقول اوقد بلغ من عظمة
شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى
ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين
الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فباي
توصل الى ذلك والعهد قيل كلمة الشهادة وقال قتادة هل له
عمل صالح قدمه فهو يرجو به ذلك ما يقول وعن الكلبي رضي الله عنه هل
عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وكلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو
مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه • وقرا ابو
نهيك كلا بالتنوين فيهما هنا وهو مصدر من كل السيف
كلا اذا نبا عن الضريبة وانتصابه على اضمار فعل من لفظه تقديره تقديره
كلوا كلا اي نبوا عن عبادة الله او عن الحق ونحو ذلك
وكني بالكلالة عن ما يترتب عليها من الاخبار فلذلك دخلت السين

الى الاستقبال اي سنجازيه على ما يقول قاله الزمخشري رحمه الله
تعالى فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله
على طريقة قوله. اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة. اي تبين
وعلم بالانتساب اني لست ابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول
للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار لنفسه
وان تطاول به الزمان واستاخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد
انتهى وقرا الجمهور سنكتب بالنون والاعمش بياء مضمومة والتاء
مفتوحة مبنيا للمفعول وذكرت عن عاصم رضي الله عنه ونمد له
نطول له من العذاب الذي يعذب به المستهزءون او نزيده من
العذاب ونضاعف له من المدد وقرا علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وكرم الله وجهه ونمد له يقال مده وامده
بمعنى ونرثه ما يقول اي نسلبه المال والولد فنكون كالوارث له
وقال الطيبي نحول ما يتمنى من الجنة لغيره وقال ابو سهل بن حرازة
اي نحرمه ما تمناه من المال والولد ونجعله لغيره قال الزمخشري
رضي الله عنه ويحتمل انه قد تمنى ان يؤتيه الله في الدنيا مالا
وولدا وبلغت به اشعبيته اي اداه طمعه الى تمني ذلك
حتى انه تالى على الله في قوله لاوتين مالا وولدا لانه جواب
قسم مضمر ومن يتالى على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب
انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا
غدا اي في القيامة بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الاية
فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله
ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا
رافضا له منفردا عنه غير قائل له انتهى وقال النحاس رضي الله
عنه ونرثه ما يقول معناه نحفظه عليه للعاقبة ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اي حفظة لما قالوه
انتهى وفردا تتضمن ذلته وعدم انصاره ويقول صلة ما مضارع
والمعنى على المضي اي ما قال والضمير في واتخذوا لعبادة الاصنام
وقد تقدم ما يعود عليه وهو الظالمون في قوله ونذر الظالمين
فيها جثيا فكل ضمير جمع ما بعده عائد عليه ان كان مما يمكن عوده
عليه واللام في ليكونوا لام كي اي ليتقووا اي الالهة لهم عزا
يتعززون بها في النصرة والمنفعة والانقاذ من العذاب كلا
قال الزمخشري رضي الله عنه كلا ردع لهم وانكار لتعززهم
بالالهة كما يزعمون وقرا ابن نهيك كلا بضم الكاف وتشديد اللام
مع التنوين سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا وسيكفرون بعبادتهم

كقولك

كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف
والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراي والاعتقاد كلا ولقائل
ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب
الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا انتهى ملخصا وقرا ابن نهيك
الذي ذكر ابن خالويه وصاحب اللوامح وابن عطية ابو نهيك بالكنية
وهو الذي يحكى عنه القراءة وفي اللوامح وانه قرا كلا بفتح
الكاف والتنوين وهذا حكاه عنه ابو الفتح وقال ابن عطية وهو نعت
كلا نعت للالهة قال وحكى عنه اي عن ابي نهيك هذا المذكور
اي حكى عنه ابو عمرو الداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل
مضمر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون او يتركون او يجحدون ون
او نحوه واما قول الزمخشري رضي الله عنه ولقائل ان يقول الى
آخره فليس هذا القول بجيد لانه قال التي للردع والتي تكون
للردع حرف ولا وجه لقلب الفها نونا وتشبيهه بقوارير قوارير
ليس ذلك بجيد لان قوارير اسم رجع به الى اصله فالتنوين ليس
ابدالا هو بدلا من الف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع مختلف
فيه ايضا ايتحتم منع صرفه ام يجوز قولان ايضا ومنقول عنه
ايضا انه لغة للعرب يصرفون ما لا ينصرف عند غيرهم فهذا التنوين
اما على قول من لا يرى بالتحتم او على تلك اللغة وذكر الطبري رضي الله عنه
عن ابي نهيك رحمه الله تعالى انه قرا كل بضم الكاف ورفع اللام
اي رفعها منونة ورفعه على الابتداء والجملة بعده الخبر ونقله
ظاهر وهو الالهة وكذا ضمير في قوله ليكونوا فالاظهر
في ان الضمير في قوله سيكفرون عائد على اقرب مذكور محدث عنه
والمعنى ان الالهة سيجحدون عبادة هؤلاء اياهم كما قال تعالى
واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وفي آخرها فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون وتكون الالهة هنا مخصوصة بمن يعقل او يجعل الله للالهة
غير العاقلة ادراكا تنكر به عبادة عابديها ويجوز ان يكون الضمير هنا
للمشركين سيكفرون بسوء العاقبة اشراكهم كما قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين لكن في قوله ويكونون عليهم ضدا ترجيح القول الاول لاتساق
الضمائر لواحد وعلى القول الآخر تختلف الضمائر اذ يكون في سيكفرون
للمشركين وفي ويكونون للالهة ومعنى ضدا اي اعوانا قاله ابن عباس
رضي الله عنهما وقال الضحاك رضي الله عنه اي يكونون اعداء وقال
قتادة قرناء وقال ابن زيد بلاء وقال ابن عطية رضي الله عنه
معناه يجيئهم منهم خلاف ما كانوا املوه فيؤول بهم ذلك الى ذلة
ضد ما املوا من العز فالضد هنا مصدر وصف به الجمع كما
يوصف به الواحد وقال الزمخشري رضي الله عنه والضد العون

تضامهم

وحده توحيده وهم يدعون على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد
لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كونهم عونا عليهم انهم وقود النار
وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتهم اياها. قوله عز وجل
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم
انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن
عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما
يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا. قوله
ارسلنا بعضنا سلطنا او لم نخل بينهم وبينهم مثل قوله عز وجل
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فتعديته
هنا بعلى دليل على انه بمعنى التسليط ومعنى تؤزهم تغريهم وتهيجهم
وتغويهم وتوقعهم في الكفر والشرك. قال قتادة رضي الله عنه
يعني تزعجهم وقال ابن زيد رضي الله عنه تشليهم وقال الجوهري
معناه تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم والمراد
بذلك تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الايات التي ذكر فيها
العتاة من الكفار واقاويلهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته
منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فليس بينك وبين ما تطلب من
هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة
تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى في اية
اخرى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون انتهى وقيل نعد اعمالهم
لنجازيهم وقيل انفاسهم فاذا جاء اجلنا حلت بهم العقوبة اي حلت
العقوبة بهم سريعا وقيل ايامهم التي سبق قضاؤنا ان نمهلهم اليها
وقيل انفاسهم وانتصب يوم باذكر او احذر مضمرا او على تقدير
يكون ذلك جوابا لسؤال مقدر وتقديره متى يكون ذلك او
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا او معنى نعد لهم
تضمن العد والاحصاء معنى المجازاة اي يوم نحشر ونسوق
نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او بلا يملكون وكلها مقول
في نصب يوم والاوجه الاخير وعدي نحشر بالى الرحمن تعظيما

تعظيما

تعظيما لهم وتبشيرا بذكر صفة الرحمانية التي تدخلهم بها كرامته اذ لفظ
الحشر فيه جمع من اماكن متفرقة واقطار شاسعة على سبيل الاقتسار
بخلاف لفظة الرحمن مؤذنا بانهم يحشرون الى من يرحمهم ويحفظهم
السوق فيه ازعاج وهوان عدي بالى جهنم تقطيعا لهم وتشنيعا
لحال مغرهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد الوفاد
على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله تعالى عنه
وكرم الله وجهه انهم يحشرون يوم القيامة على نوق من نوق
الجنة رحالها من ذهب وعلى نجائب سروجها من ياقوت. وعنه
ايضا رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه انهم يجيئون ركبانا
على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد. وعن
عمرو بن قيس الملائي انهم يركبون على تماثيل من اعمالهم الصالحة في هيئة تماثيل
الدنيا في غاية الحسن. وروي انه يركب كل واحد منهم ما احب
من ابل او خيل او سفن تجيء على تمثيلهم حتى توافي بهم المحشر والظاهر
ان هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب وان معناها النهوض
الى الجنة لا الى المحشر كما في قوله تعالى في مقعد
صدق عند مليك مقتدر وشبهوا بالوفود لانهم سراة الناس
واحسنهم بخلاف ليست وفادة حقيقة لانها تتضمن الانصراف من
الموفود اليه وفي رواية الموفد عليه بالعين كما قال الزمخشري في روايته
وهؤلاء مقيمون ابدا في ثواب ربهم وهو الجنة والورد قيل هم العطاش
قال ابن عباس وابو هريرة والحسن والورد جمع وارد ورداه ومعناه
يعني سائرا الى الماء انتهى. قال الراجز شعر
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء
ولما كان من يرد الماء لا يرده الا لعطش اطلق الورد على العطاش تسمية
للشيء بسببه وقرأ الحسن والجحدري يحشر المتقون ويساق
المجرمون مبنيا للمفعول والضمير في قوله لا يملكون عائد على الخلق
الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذ هم قسماه والاستثناء
متصل ومن بدل من ذلك الضمير او نصب على الاستثناء ولا
يملكون استئناف او خبر وقيل موضعه نصب على الحال من
الضمير في لا يملكون ويكون عائدا الى المجرمين والمعنى غير
مالكين ان يشفع لهم ويكون على هذا الاستثناء منقطعا وقيل
الضمير في قوله لا يملكون عائد على المتقين والمجرمين والاستثناء
متصل وقيل عائد على المتقين واتخاذ العهد هو العمل الصالح
بلغ الذي يحصل به في حيز من يشفع وتظاهرت الاحاديث على ان اهل
العلم والصلاح يشفعون فيشفعون وفي الحديث ان في امتي رجلا
يدخل الله الجنة بشفاعته اكثر من بني تميم وقال قتادة رضي الله عنه

كما يحدث أن الشهيد يشفع في سبعين وقال بعضهم جعل الضمير
للمتقين المعنى لا يملك المتقون الشفاعة إلا لهذا الصنف
فعلى هذا يكون من اتخذ للمشفوع فيهم وعلى التأويل الأول يكون
من اتخذ الشافعين فالتقدير على التأويل الثاني لا يملكون الشفاعة
لأحد إلا من اتخذ فيكون في موضع نصب كما قال فلم يبخل الأخفش
سيف ومعزرا أي لم يبخل أخفش سيف وعلى التأويل الأول
الأول في موضع رفع وقال الزمخشري رضي الله عنه يجوز أن يكون بجعل
الواو في لا يملكون الشفاعة إلى آخره علامة للجمع كما في لغة
أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه قد يكون في معنى الجمع
والمجموع أيضاً انتهى ولا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة القليلة
مع وضوح جعل الواو ضميراً وذكر الأستاذ أبو الحسن ابن عصفور
رضي الله تعالى عنه أنها لغة ضعيفة وأيضاً قالوا الواو والألف
والنون التي تكون علامات للإضمار لا يحفظ ما يجيء بعدها
فاعلاً إلا بصريح الجمع وصريح التثنية والعطف أما أن يأتي بلفظ
مطلق أو بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج في إثبات
ذلك إلى نقل صريح وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد
في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب
على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر مثناة ومجموعة على
مفرد في اللفظ يراد به المثنى ويراد به المجموع أيضاً وكان الأخفش يمنع ذلك كله
أن لا يقال مثل ذلك إلا بسماع وقال الزمخشري رضي الله عنه أن
ويجوز أن ينتصب يعني من على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعة
من اتخذ والعهد هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لا إله إلا الله محمد رسول
الله وفي الحديث من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد
وقال السدي رضي الله عنه العهد الطاعة وقال ابن جريج رضي الله عنه
العمل الصالح وقال الليث رضي الله عنه حفظ كتاب الله عز وجل
وقيل شهادة الإذن لمن شاء في أن له الشفاعة من عهد الأمير
إلى فلان بكذا أي أمره به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة
المأذون له فيها ويؤيده قوله عز وجل يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا
من أذن له الرحمن ورضي له قولا وقال الله عز وجل في آية أخرى ولا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقال تعالى ولا تغني شفاعتهم
أي لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى
وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل أن يكون المجرمون يعم
نعم الكفرة والعصاة ثم أخبر سبحانه وتعالى أنهم لا يملكون
الشفاعة إلا العصاة المؤمنون فإنهم سيشفع فيهم فيكون هذا
الاستثناء متصلا وفي الحديث لا أزال أشفع حتى أقول يا رب شفعني

صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم

فيمن

فيمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فيقول يا محمد إنها ليست لك
ولكنها لي انتهى ويحمل المجرمين على الكفار والعصاة نعم قال ابن
عطية أيضاً ويحتمل أن يراد بمن اتخذ محمد صلى الله عليه وسلم وبالشفاعة عة
الخاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم العامة للناس ويكون قوله تعالى عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا والضمير في قوله لا يملكون لأهل الموقف انتهى وفيه
بعض تمحيص • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • الضمير في قالوا عائد على
بعض اليهود حيث قالوا عزير ابن الله وبعض النصارى حيث قالوا المسيح
ابن الله وبعض مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله • لقد جئتم
أي فعلتم أيها المتخذون لقد جئتم ويكون التفات أخرج من الغيبة إلى الخطاب ب
زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله سبحانه وتعالى والتعرض لسخطه
وتنبيه على عظيم ما قالوا • شيئا إدا • وقرأ الجمهور إدا بكسر الهمزة وقرأ
علي بن أبي طالب وأبو عبد الرحمن بفتحها أي شيئا أدا على حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرأ نافع والكسائي يكاد
بالياء من تحت وكذا في سورة الشورى وهي قراءة ابن حيوة والأعمش
وقرأ باقي السبعة بالتاء وقرأ ينفطرن مضارع انفطر أي قرأها
أبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وابن عامر وهي قراءة وهي هنا كما
نقل قراءة أبي بحرية والزهري وطلحة وحميد واليزيدي ويعقوب وأبي
عبيد وقرأ باقي السبعة يتفطرن مضارع تفطر والذي في
تكاد في سورة الشورى قرأها أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالتاء
والنون وباقي السبعة بالياء والتاء والتشديد وقرأ
ابن مسعود رضي الله عنه يتصدعن وينبغي أن يجعل تفسيرا
لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه ولرواية الثقات عنه
كقراءة الجمهور وقال الأخفش رضي الله عنه تكاد أي تريد وكذا لكك
قوله أكاد أخفيها • وأنشد شاهدا على ذلك قول الشاعر
كادت وكدت وتلك خير إرادة • لو عاد من لهو الصبابة ما مضى
ولا حجة له في البيت والمعروف أن الكيد بمعنى مقاربة الشيء وهذه
الجمل عند الجمهور من باب الاستعارة لشناعة هذا القول أي هذا
حقه لو فهمت الجمادات حقيقة قدره وهذا أشنع كلام فاخرين
لما أتى خبر الزبير تواضعت • سور المدينة والجبال الخشع •
وقال آخر • ألم تر صدعا في السماء مبينا • على ابن لبينى الحارث بن هشام •
وقال الآخر • فأصبح بطن مكة مقشعرا • كأن الأرض ليس بها هشام •
وقال آخر • بكى حارث الجولان من فقد ربه • وحوران منه خاشع متضائل •
وقيل الحارث الجولان موضع وقال الزمخشري رضي الله عنه إن
قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال
ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما

ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي وقد قال ابي ولا حلمي
لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
الآية والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا
لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر
في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم
ما تنفطر منه وتنشق وتخر هذا انتهى وقال ابن عطية رضي الله عنه
ان هذا الكلام فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع
المخلوقات الا الثقلين وكدن ان يزلن منه تعظيما لله سبحانه وتعالى
وقيل المعنى كادت القيامة ان تقوم فان هذه الاشياء تكون حقيقة
يوم القيامة وقيل تكاد السموات يتفطرن منه اي يتساقطن
عليهم وتنشق الارض اي تخسف بهم وتخر الجبال هدا اي
تنطبق عليهم وقال ابو مسلم تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل من
غلظ هذا القول وانتصب هدا عند النحاس على المصدر قال لان
معنى تخر تنهد انتهى وهذا على قوله ان تكون هدا مصدر الهد الحائط
يهد بالكسر هديدا وهدا وهو فعل لازم وقيل مصدر في موضع
الحال اي مهدودة وهذا على ان يكون هدا مصدر هد الحائط
اذا هدمه وهو فعل متعد وجاز الزمخشري رضي الله عنه ان يكون
مفعولا له اي لانها تهد واجاز الزمخشري رضي الله عنه في ان
دعوا ثلاثة اوجه الاول ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه
كقوله • على حالة لو ان في القوم حاتما • على جوده لضن بالماء حاتم •
وهذا فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين والثاني
منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا
علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن وهذا فيه بعد لان
الظاهر ان هدا لا يكون مفعولا له بل مصدر من معنى وتخر او في موضع
الحال والثالث مرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن
وهذا فيه بعد لان ظاهر هدا اي ظاهر هذا القول ان يكون مصدرا توكيديا
والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيدي لم يعمل بقياس
الا ان كان امرا او مستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضربا زيدا تضرب على خلاف
فيه واما ان كان خبرا كما قدرناه اي كما قدره الزمخشري رضي الله عنه
اي هدها دعاء الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقوله
وقوفا بها صحبي علي مطيهم • اي وقف صحبي وقال الحوفي وابو البقاء
ان دعوا في موضع نصب مفعول له ولم يبينا العامل فيه وقال ابو البقاء
ايضا هو في موضع جر على تقدير اللام قال وفي موضع رفع اي الموجب لذلك
دعاؤهم ومعنى دعوا سموا وهي تتعدى الى اثنين يحذف الاول منهما

هدا

والتقدير

والتقدير سموا معبودهم ولدا للرحمن اي نسبوا له الابن ودعا هذه تتعدى
لاثنين ويجوز دخول الباء على الثاني تقول دعوت ولدي زيدا
ودعوت ولدي بزيد وقال الشاعر • دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن
اخاها ولم ارضع لها بلبان • وقال آخر • الا رب من تدعى نصيحا وان يغب
تجده بغيب منك غير نصيح • وقال الزمخشري رضي الله عنه اقتصر على
احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا
قال او من دعا بمعنى نسب قال يعني يكون ذلك من باب الطوع
او من كون معنى العموم والاحاطة كما قال عليه الصلاة والسلام
من ادعى الى غير مواليه اي نسب الى غيرهم وقول الشاعر في معناه
انا بني نهشل لا ندعي لاب • اي لا ننتسب اليه انتهى وكون دعوا
هنا بمعنى سموا هو قول الاكثرين وقيل دعوا بمعنى جعلوا وينبغي مطاوع
بغى بمعنى طلب وما ينبغي له اتخاذ الولد لان التوالد مستحيل والتبني
لا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس لله تعالى جنس وينبغي ليس من
الافعال التي لا تتصرف بل سمع لها الماضي قالوا انبغى وقد عدها ابن
مالك رضي الله عنه في التسهيل من الافعال التي لا تتصرف وهو غلط
ومن موصولة بمعنى الذي اي ما كل الذي في السموات والارض
وكل تدخل على الذي لانها تاتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به ونحو قولهم • وكل الذي حملتني اتحمل • وقال
الزمخشري رضي الله تعالى عنه من موصوفة لانها وقعت بعد كل
نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره انتهى
والاولى جعلها موصولة لان كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة
قليل وقرا عبد الله وابن الزبير وابو حيوة وطلحة وابو بحرية
وابن ابي عبلة ويعقوب الا آت بالتنوين الرحمن بالنصب والجمهور
بالاضافة وآتي خبر كل وانتصب عبدا على الحال وتكرير لفظ
الرحمن تنبيها على انه لا يستحق هذا الاسم غيره اذ اصول النعم وفروعها
منه ومن في السموات والارض يشمل ما اتخذوه معبودا من الملائكة
وعيسى وعزير يحكم ادعائهم صحة التوالد ويحكم عنهم ذلك فاشركهم
في العبادة آخذة الابناء خدمة الاباء فاخبر تعالى انه ما من
معبود لهم في السموات او في الارض الا يأتي الرحمن عبدا منقادا
لا يدعي لنفسه شيئا مما نسبوه اليه ثم ذكر سبحانه وتعالى انه احصاهم
واحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يغب عنه احد منهم وانتصب فردا
على الحال اي منفردا ليس معه احد ممن جعلوه شريكا له وخبر
كلهم آتيه فردا وكل اذا اضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس
فالمنقول انه يجوز ان يعود الضمير مفردا على لفظ كل فيقول كلكم ذاهب
ويجوز ان يعود جمعا مراعاة للمعنى فيقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم بن اصبغ

في كتاب رؤوس المسائل ان الاتفاق هنا على جواز الوجهين وعلى
الجمع بينهما جاء لفظ الزمخشري رضي الله عنه في تفسير هذه الآية في الكشاف
وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وقد حدثني في ذلك ابو زيد
السهيلي رضي الله عنه فقال كل اذا ابتديت وكانت مضافة لفظا
يعني الى معرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب
اي كل واحد منكم ذاهب هكذا هذه المسألة في القرآن والحديث
والكلام الفصيح فان قلت في قوله وكلهم آتيه انما هو حمل على اللفظ
لانه اسم مفرد قلنا بل هو اسم للجمع واسم الجمع لا يخبر عنه بافراد تقول
القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان كان لفظ القوم
كلفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب
فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى ويحتاج في اثبات كلكم
ذاهبون بالجمع ونحوه الى سماع ونقل عن العرب اما اذا حذف
المضاف اليه فالمسموع من العرب الوجهان والسين في سيجعل
للاستقبال فاحتمل ان يكون هذا الجعل في الدنيا
وجيء باداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة حين نزول هذه
الآية السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله بذلك اذا
ظهر الاسلام وفشى واحتمل ان يكون ذلك في الدنيا على الاطلاق كما هو مذكور
عن الترمذي رضي الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا
نادى جبريل عليه الصلاة والسلام في السماء اني قد احببت فلانا فاحبوه
وقيل انه ينادي بذلك في السماء ثم تنزل له المحبة في الارض قال الله عز
وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
الى آخر الآية وكذا ورد في الحديث ايضا وقال الترمذي رضي الله عنه
هذا حديث صحيح وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان تكون الآية
متصلة بما قبلها في المعنى اي ان الله سبحانه وتعالى لما اخبر عن
اتيان كل من في السموات والارض في حال العبودية والانفراد انس المؤمنين
بانه سيجعل لهم في ذلك اليوم ودا وهو ما يظهر عليهم من كرامته لان
محبة الله للعبد انما هي ما يظهر عليه من نعمه وامارات غفرانه انتهى
وقال الزمخشري رضي الله عنه واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى
خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وقال ايضا
والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم
ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة
او صداقة او اصطناع مبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء
اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم
الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم انتهى وقيل في الكلام
حذف والتقدير سيجعل لهم دار كرامته ويجعل لهم ودا بسبب نزع الغل من

صدورهم

صدورهم بخلاف الكفار فانهم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض
ويلعن بعضهم بعضا وفي النار اذ دخلوا يتبرأ بعضهم من بعض
كما قال الله عز وجل وقرأ الجمهور ودا بضم الواو وقرأ ابو الحارث الحنفي
بفتحها وقرأ جناح ابن حبيش ودا بكسر الواو وقيل نزلت هذه الآية في
عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه لما كان اليهود والنصارى والمنافقون
يحبونه وكان لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة فشكى ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت تلك الآية وقيل نزلت في المهاجرين
الى الحبشة مع جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنه القى الله لهم ودا في قلب
النجاشي وذكر النقاش رضي الله عنه انها نزلت في علي ابن ابي طالب رضي
الله تعالى عنه وكرم الله وجهه وقال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه
لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا واهل بيته انتهى ومن غريب هذه الاقوال
ما انشدنا الامام البغوي رضي الله عنه وقال بعضهم انشادا به
انشد ذلك الامام البغوي رحمه الله الامام ابو عبد الله محمد ابن علي
ابن يوسف الانصاري الشاطبي رضي الله عنه • رأينا ابن اسحاق
النصراني الرسعني • عدي وفيهم لا يحاولون ذكرهم • بسوء وكلهم محبته لهاشم
وما تعتريني في علي ورهطه • اذا ذكروا في الله لومة لائم • يقولون ما بال
النصارى يحبهم • واهل النهى من اعرب واعاجم • فقلت لهم اني
لاحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم • وذكر ابو محمد
ابن حزم ان بعض علي من ذكا بر • والضمير في يسرناه عائد على
القرآن اي انما يسرناه عليك يسرا بتسهيلك بلسانك اي بلغتك
وهو الكلام العربي المبين لتبشر به المتقين اي تخبرهم بما يسرهم
مما يكون لهم من الثواب على تقواهم والالد جمع الاد قال ابن عباس
رضي الله عنهما لدا اي ظلمة وقال مجاهد يعني فجارا او جدالا
الحسن يعني صما عن قبول الحق وسماعه وقال ابو صالح عوجا عن
الحق وقال قتادة ذوي جدل بالباطل آخذين في كل لديد
بالمراء اي في كل جانب لفرط لجاجهم يريد اهل مكة • وكم اهلكنا
تخويف لهم وانذار لهم بالاهلاك بالعذاب والضمير في قوله قبلهم
عائد على قوما لدا وهل تحس استفهام معناه النفي اي لا تحس
• وقرأ الجمهور هل تحس مضارع احس وقرأ ابو حيوة وابو
بحرية وابن ابي عبلة وابو جعفر المدني تحس بفتح
التاء وضم الحاء وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس
والمحسوسات وقرأ حنظلة او تسمع مضارع اسمعت
مبنيا للمفعول قال ابن عباس رضي الله عنهما الركز الصوت الخفي
وقال ابن زيد رضي الله عنه الحس وقال الحسن رضي الله عنه لما اتاهم
عذابنا لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع وقيل المعنى ماتوا وفنيت

ذكرهم

ولا تجبن عنهم مخبره ● المفردات من طه عليه الصلاة والسلام ● الثرى
التراب الندي وهو يبني ثريان وثريا وثريت التربة بللتها وثريت
الارض تثرى ثرى فهي ثرية اذا نزل فيها بعد الجدوبة وارض
ثرية مثرية كثر ثراها وارض ثرى ذات ثرى ● وقال ابن الاعرابي
رضي الله عنه يقال فلان قريب الثرى بعيد النبط للذي يعد ولا
يفي بما وعد ويقال اني لارى ثرى الغضب في وجه فلان اي اثره وقد
يبس الثرى بيني وبين فلان اذا انقطع ما كان بينهما من المودة وقال جرير
فلا تيبسوا بيني وبينكم الثرى ● فان الذي بيني وبينكم مثرى
آنس اي وجد تقول العرب هل آنست فلانا اي وجدته وقيل احس ومنه
قربت من وجد قال الحرث ابن حلزة ●
آنست نبأة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء
القبس جذوة من النار تكون على راس عود او قصبة او نحوهما وفعل بمعنى
مفعول كالقبض والنقض ويقال قبست منه نارا اقبس قبسا
اي اعطاني منه قبسا ومنه المقبسة لما تقتبس فيه من سعفة
وغيرها واقتبست منه نارا وعلما اي استفدته وقال اليزيدي
اقتبست الرجل علما وقبسته نارا وقال الكسائي رضي الله عنه
اقبسته نارا او علما بمعنى واحد وقبسته ايضا فيهما ● اخلع النعل
والنعل معروف وهو ما وقيت به القدم من الارض وقيل النعل هو ما يكون
وقاية للرجل سواء كان من جلد ام من حديد او خشب او غير ذلك
طوى اسم موضع ● التسعي المشي بسرعة وقد يطلق على العمل ● تردى
تردى ترديا هلك وارداه اي اهلكه قال دريد ابن الصمة ●
تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا ● فقلت اعبد الله ذلكم الردى ●
توكؤا على الشي تحامل عليه في المشي والوقوف ومنه الاتكاء تقول
توكأت واتكأت بمعنى وقد تقدمت هذه المادة في سورة يوسف
عليه الصلاة والسلام في قوله متكأ وشرحت هنا لاختلاف الوزن
وان كان الاصل واحدا ● اهش على الغنم يهش بضم الهاء خبط
اوراق الشجر لتسقط وهش الى الرجل يهش بالكسر اذا تطلق له وابتسم
واظهر الفرح به والاصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش
الغنم معروف وهو اسم جنس مؤنث ● المآرب بضم الراء وفتحها وكسرها الحاجة
وتجمع على مآرب والاربة ايضا الحاجة ● الحية الجنس يطلق على الذكر
وعلى الانثى والصغير والكبير وقد تقدمت مادته وكررت هنا لحصر
المذكور عليه وقولهم حواء للذي يقصد الحيات من باب قوة فالمادتان
مختلفتان كسبط وسبطر ● الازر يعني الظهر وقال الخليل وابو عبيدة
رضي الله عنهما الازر القوة والازر ايضا القوة وقال الشاعر ●
بمحنية قد آزر الضال نبتها ● مجر جيوش غانمين وخيب ●

القذف

القذف الرمي والالقاء ● الساحل شاطئ البحر وهو جانبه الخالي من الماء سمي بذلك
لان الماء سحله اي قشره فهو فاعل بمعنى مفعول ● وقال ابو تمام ●
هو البحر من اي النواحي اتيته ● فلجته المعروف والجود ساحله ●
سورة طه عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى
الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت
الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى ● هذه السورة مكية بلا خلاف كان عليه الصلاة والسلام يراوح على
بين قدميه يقوم على رجل فنزلت قاله علي رضي الله عنه وقال الضحاك
رضي الله عنه صلى عليه الصلاة والسلام هو واصحابه فاطال القيام لما
انزل عليه القرآن فقالت قريش ما انزل عليه القرآن الا ليشقى وقال د
مقاتل رضي الله عنه قال ابو جهل والنضر بن مطعم وفي رواية والنضر
والمطعم انك لتشقى بترك ديننا فنزلت ● ومناسبة هذه السورة
لآخر ما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول
صلى الله عليه وسلم اي بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر به المتقين
وتنذر به قوما لدا اكد سبحانه وتعالى ذلك بقوله ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى والتذكرة البشارة والنذارة وان
ما ادعاه المشركون من انزاله للشقاء ليس كذلك بل انما انزل تذكرة
والظاهر ان طه من الحروف المقطعة نحو يس والر والمر وما اشبه ذلك
مما هي في اوائل السور وتقدم الكلام على ذلك في اول سورة البقرة
وعن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة معنى
طه يا رجل فقيل بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالعبرانية وقيل
لغة يمنية في عك وقيل في عكل قال الكلبي رضي الله عنه لو
قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال السدي معنى
طه يا فلان وقد انشد الطبري رضي الله عنه في معنى يا رجل في لغة
عك قول شاعرهم ● دعوت بطه في القتال فلم يجب ●
فخفت عليه ان يكون موائلا ● وقول الآخر ●
ان السفاهة طه من خلائقكم ● لا بارك الله في القوم الملاعين ●
وقيل هو اسم من اسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ● وقيل هو اسم من اسماء الله
عز وجل وقال الزمخشري رحمه الله تعالى لعل عكا تصرفوا في يا هذا في
كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا
واقتصروا على ها واثر الصناعة النحوية في هذا ظاهر لا يخفى في البيت
المستشهد به ان السفاهة طه في خلائقكم ● لا قدس الله اخلاق الملاعين ●
انتهى وكان قد قدم انه يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تحرص
وحرز على عك بما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد في

لسان العرب

فكان نادى النبي بالنداء طاه وكذلك حذف اسم الاشارة في النداء واقرارها
الى للتنبيه فقيل طا فعل امر وامثله طأ فخففت الهمزة بابدالها
الفا وها مفعول وهو ضمير الارض اي طأ الارض بقدميك ولا
تراوح اذ كان عليه الصلاة والسلام يراوح حتى تورمت قدماه
وقرات فرقة منهم الحسن وعكرمة وابو حنيفة وورش في اختياره طه باسكان
الهاء واصله طا فابدلت همزته هاء فصارت طه وقرا الصحابي
وعمرو بن فايد طاوي بواو وياء ساكنة وقرا طلحة ما نزل بنون مضمومة
وزاي مشددة مكسورة مبنيا للمفعول القران بالرفع وقرا الجمهور انزلنا
عليك القران ومعنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم
وتحسرك على ان يومنوا كقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم وقيل
ان هذا رد لما قاله ابو جهل وغيره وقال ابن عطية رضي
الله عنه الا تذكرة يصح ان تنصب على البدل من موضع لتشقى ويصح
ان ينصب باضمار فعل تقديره لكن انزلناه تذكرة لمن يخشى انتهى
وقد رد الزمخشري رضي الله عنه تخريج ابن عطية الاول فقال
يجوز ان يكون المعنى ما انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ
ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع
المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق
الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا
له وقال الحوفي رضي الله عنه يجوز ان يكون تذكرة بدلا من القران
ويكون القران هو التذكرة واجاز هو وابو البقاء رضي الله عنه ان
يكون مصدرا اي لكن ذكرنا به تذكرة قال ابو البقاء رضي الله عنه
ولا يجوز ان يكون مفعولا له لانزلنا المذكور لانه قد تعدى
الى مفعول وهو لتشقى والا يتعدى الى اخر من جنسه اي انزله
الله تعالى تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين
انتهى والاحسن ما قدمناه اولا من انه منصوب بنزل مضمرة
وما ذكره الزمخشري رضي الله عنه من نصبه على غير ذلك متكلف
اما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران
وجعل المصدر حالا لا ينقاس وايضا فمدلول تذكرة
ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بمعنى تذكرة وان كان بدلا فيكون
بدل اشتمال على مذهب من يرى ان الثاني مشتمل على الاول
لان التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها واما قوله لان معنى
ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر
يفوت في قوله انزلناه تذكرة واما نصبه على المدح فبعيد واما
نصبه بمن يخشى ففي غاية البعد لان يخشى راس اية وفاصلة فلا
يناسب ان يكون تنزيلا مفعولا ليخشى وقوله فيه وهو معنى حسن

واعراب

واعراب ونحو عن ادراك الفصاحة وقرا ابن ابي عبلة تنزيل
رفعا على اضمار هو وهذه القراءة تدل على عدم تعلق قوله يخشى
بتنزيلا وانه منقطع مما قبله فنصبه باضمار نزل كما ذكرناه ومن
الظاهر انها متعلقة بتنزيل ويجوز ان تكون في موضع الصفة
فتتعلق بمحذوف وفي قوله ممن خلق تفخيم وتعظيم لشان القران ن
اذ هو منسوب تنزيله الى من هذه افعاله وصفاته وتحقير لمعبوداتهم
وتحريض النفوس على الفكر والنظر وكان في قوله ممن خلق التفات ف
اذ فيها الخروج من ضمير المتكلم وهو في انا انزلنا الى الغيبة وفيه عادة
التفنن في الكلام وتنوعه يحسن اذ لا يبقى على نظام واحد وجريان
هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم بحلاله دالا الا على انه
الواحد المعظم نفسه ثم اسناده الى المختص بصفات العظمة التي لم
يشركه فيها احد فيحصل التعظيم من الوجهين وقال الزمخشري
رضي الله عنه ويجوز ان يكون انا انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة
النازلين معه انتهى وهذا تجويز بعيد بل الظاهر انه اخبار
من الله عز وجل عن نفسه والعلا جمع العليا ووصف السموات ت
بالعلا دليل على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها
في علوها من غيره تعالى والظاهر رفع الرحمن على خبر مبتدا محذوف ف
تقديره هو الرحمن وقال ابن عطية رضي الله عنه ويجوز ان يكون ك
بدلا من الضمير المستتر في خلق انتهى وارى ان مثل هذا لا يجوز
لان البدل يحل محل المبدل منه والرحمن لا يمكن ان يحل
محل الضمير لان الضمير عائد على من الموصولة وخلق صلته
والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط فيها
واجاز الزمخشري رضي الله عنه ان يكون رفع الرحمن على الابتداء ك
يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق وروى جناح ابن
حبيش عن بعضهم انه قرا الرحمن بالكسر قال الزمخشري
صفة لمن خلق والجيد لمن الموصولة ومذهب الكوفيين ان
الاسماء النواقص التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز
نعتها الا الذي والتي فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم لا يجوز ان يكون
الرحمن صفة لمن والاحسن ان يكون الرحمن بدلا من من
وقد جرى الرحمن في القران مجرى العلم في ولايته العوامل صل
وعلى قراءة الجر يكون الرحمن على العرش استوى وعلى قراءة
الرفع ان كان بدلا كما ذهب اليه ابن عطية رضي الله عنه اسند
فعلا يكون كذلك او يكون مبتدا كما ذكره الزمخشري رضي
الله عنه ففي موضع الخبر وهو خبر مبتدا كما هو الظاهر فيكون
الرحمن والجملة خبرين عن هو المضمر وتقدم الكلام على مثل   هذه الجملة

في سورة الأعراف وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من الوقف على قوله على العرش
ثم يبتدأ استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى على
أن يكون فاعلا لاستوى لا يصح ولما ذكر سبحانه وتعالى أنه اخترع السموات
والأرض وأنه استوى على العرش ذكر أنه تعالى له ملك جميع ما حوت السموات
والأرض وما بينهما وما تحت الثرى أي تحت الأرض السابعة قال ابن عباس
وهو ابن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة وقيل
ما تحت الثرى هو ما في باطن الأرض فيكون ذلك توكيدا لقوله وما في الأرض
إلا أن المراد بما في الأرض ما هو عليها فلا يكون توكيدا أو قيل المعنى أن
علمه تعالى محيط بجميع ذلك لأنه منشئه فعلى هذا يكون التقدير له علم ما في
السموات ولما ذكر تعالى أولا إنشاء السموات والأرض وذكر أن جميع ذلك
وما فيهما ملكه ذكر تعالى صفة العلم وأن علمه لا يغيب عنه شيء والخطاب
بقوله وإن تجهر بالقول إما خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد
أمته ولما كان خطاب الناس لا سبيل إلى إسماعهم إلا بالجهر بالكلام جاء الشرط
بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لأن علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر
أي إذا كان يعلم السر فأحرى أن يعلم الجهر والسر معا والجهر
كما قال تعالى يعلم سركم وجهركم والظاهر أن أخفى أفعل
تفضيل أي وأخفى من السر قال ابن عباس رضي الله عنهما السر
هو ما أسررته في نفسك والأخفى ما خفي عنه مما هو فاعله وهو لا يعلم
وعن قتادة قريب من هذا وقال مجاهد رضي الله عنه السر
هو ما تخفيه من الناس وأخفى منه الوسوسة وقال ابن زيد رضي
الله عنه السر سر الخلائق وأخفى منه سره تعالى وأنكر ذلك
الطبري رضي الله عنه وقيل السر العزيمة وأخفى منه ما لم يخطر
على القلب وذهب بعض السلف رضي الله عنهم إلى أن أخفى
هو فعل ماض وليس هو باسم تفضيل أي يعلم أسرار العباد و
وأخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا
يحيطون بشيء من علمه وقوله ولا يحيطون به علما قال ابن عطية
رضي الله عنه وهذا القول المتقدم قاله الزجاج وغيره والله أعلم
وقال البغوي رضي الله عنه وليس بذاك قال فإن قلت كيف طابق
الجزاء الشرط قلت معناه أنه قد قيل يعني أن تجهر بذكر الله من دعاء أو
غيره فاعلم أنه غني عن جهرك قال الله عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول وإنما تعلما للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله
عز وجل وإنما هو لغرض آخر انتهى والجلالة مبتدأ ولا إله إلا هو الخبر وله الأسماء
الحسنى خبر ثان ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من الذي يعلم
يعلم السر وأخفى فقيل هو الله والحسنى تأنيث الأحسن وقد ذكروا أن هذه
الأسماء هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما

وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم
منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك
فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى
إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة
آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ
عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى
فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها
الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى
لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى ولما ذكر تعالى
تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليتأسى به في تحمل أعباء
النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد كما قال تعالى وكلا نقص
عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فقال تعالى وهل أتاك حديث موسى وهذا
استفهام تقرير يحث على الإصغاء لما يلقى إليه وعلى التأسي وقيل هل بمعنى قد أي
قد أتاك والظاهر خلافه وهذا لأن السورة مكية والظاهر أنهم لم يطلعوا على قصة
موسى قبل هذا وقيل إنه استفهام معناه النفي أي ما أتاك قبل هذه السورة بقصة
موسى ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى وكان من حديثه أنه لما
قضى أكمل الأجلين استأذن شعيبا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته
وأخته فأذن له وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره فخرج بأهله وماله
وكان في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فلا
تدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية لا يعرف طرقها فألجأه المسير إلى جانب الطور
الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده
فلم يور وقيل كان رجلا غيورا يصحب الرفقة ليلا ويفارقهم نهارا لئلا ترى امرأته
فأخطأ الطريق قال وهب ولد له ابن في الطريق ولما صلد زنده رأى نارا والظاهر
أن إذ ظرف للحديث لأنه حدث وأجاز الزمخشري أن تكون ظرفا لمضمر أي نارا كان
كيت وكيت وأن تكون مفعولا لاذكر امكثوا أي أقيموا في مكانكم وخاطب امرأته
وولده والخادم وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية لأهله امكثوا بضم
الهاء وكذا في القصص والجمهور بكسرها إني آنست أي أبصرت والنار على بعد
لا تحس إلا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت والإيناس أعم من الرؤية لأنك تقول
آنست من فلان خيرا وقال الزمخشري الإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه
ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإنس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم
وقيل هو إحساس ما يؤنس به لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعا متيقنا حققه
لهم بكلمة إن ليوطن أنفسهم ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين
متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول إني آتيكم
لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به انتهى والظاهر أنه رأى نورا حقيقة
وقال الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت عند الله نورا فقيل ذلك
أنه نار وقيل ولا يجوز هذا لأن الإخبار بغير المطابق لا يجوز على الأنبياء ولعله على

ما هنا على بابها من الاستعلاء ومعناه ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لان
المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه
قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق ﻫ وقال ابن الانباري على بمعنى عند وبمعنى
مع وبمعنى الباء وذكر الزجاج ان موسى ضل عن الما فترجى ان يلقى من يهديه الطريق
او يدله على الما وانتصب هدى على انه مفعول به على تقدير محذوف اي ذا
هدى او على تقدير حذف لانه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى هدى الطريق
وقيل هدى في الدين قاله مجاهد وقتادة وهو بعيد وهو وان كان طلب
من يهديه الطريق فقد وجد الهدى على الاطلاق والضمير في اتاها عائد على
النار اتاها فاذا هي مضطرمة في شجرة خضرا يانعة عناب قاله ابن عباس وقيل
سمرة قاله عبد الله وقيل عوسج قاله وهب وقيل عليقة عن قتادة ومقاتل
والكلبي فكان كلما قرب منها تباعدت فاذا ادبر اتبعته فايقن ان هذا
من امور الله الخارقة للعادة ووقف متحيرا وسمع من السما تسبيح الملايكة
والقيت عليه السكينة ونودي وهو تكليم الله اياه وقرا الجمهور اني
بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى معاملة الندا معاملة القول لانه
ضرب منه على مذهب الكوفيين وانا مبتدا او فصل او توكيد لضمير النصب وفي
هذه الاعاريب حصل التركيب لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وقرا ابن
كثير وابو عمرو اني بفتح الهمزة والظاهر ان التقدير باني انا ربك وقال ابن عطية
على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك ونودي قد يوصل بحرف الجر وانشد
ابو علي ﻫ ناديت باسم ربيعة بن مكدم ﻩ ان المنوه باسمه الموثوق ﻫ
انتهى وعلمه بان الذي ناداه هو الله تعالى حصل له بالضرورة خلقا منه تعالى
فيه او بالاستدلال بالمعجزة وعند المعتزلة لا يكون ذلك الا بالمعجز فمنهم من عينه
ومنهم من قال لا يلزمنا ان نعرف ما ذلك المعجز قالوا ولا يجوز ان يكون ذلك
بالعلم الضروري لانه ينافي التكليف والظاهر ان امره تعالى اياه بخلع النعلين
لعظم الحال الذي حصل فيها كما تخلع عند الملوك غاية في التواضع وقيل كانتا من جلد
حمار ميت فامر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كان على موسى يوم كلمه الله كسا صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل
صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت قال هذا حديث غريب والكمة القلنسوة
الصغيرة وكونهما من جلد حمار ميت غير مدبوغ قول عكرمة وقتادة والسدي
ومقاتل والكلبي والضحاك وقيل كانتا من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما ليباشر
بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته وروي انه خلع نعليه والقاهما
من وراء الوادي والمقدس المطهر وطوى اسم علم عليه فيكون بدلا او عطف بيان
وقرا الحسن والاعمش وابو حيوة وابن ابي اسحاق وابو السمال وابن
محيصن بكسر الطا منونا وقرا الكوفيون وابن عامر بضمها منونا وقرا
الحرميان وابو عمرو بضمها غير منون وقرا ابو زيد عن ابي عمرو
بكسرها غير منون وقرا عيسى بن عمر والضحاك طاوي اذهب فمن
نون فعلى تاويل المكان ومن لم ينون وضم الطا فيحتمل ان يكون معدولا
عن فعل نحو زفر وقثم او اعجميا او على معنى البقعة ومن كسر ولم ينون

فمنع

منع الصرف باعتبار البقعة وقال الحسن طوى بكسر الطا والتنوين مصدر ثنيت فيه البركة
والتقديس مرتين فهو بوزن الثنا وبمعناه وذلك لان الثنا بالكسر والقصر الشي الذي
تكرره فكذلك الطوى على هذه القراة وقال قطرب طوى من الليل اي ساعة اي قدس
لك في ساعة من الليل لانه نودي بالليل فلحق الوادي تقديس مجدد اي بالوادي
المقدس ليلا وقرا طلحة والاعمش وابن ابي ليلى وحمزة وخلف في اختياره وانا
بفتح الهمزة وشد النون اخترناك بنون العظمة وقرا السلمي وابن هرمز والاعمش
في رواية وانا بكسر الهمزة والالف بعد النون بلفظ الجمع دون معناه لانه من خطاب
الملوك اخترناك بالنون والالف عطفا على اني انا ربك لانهم كسروا ذلك ايضا والجمهور
وانا اخترتك بضمير المتكلم المؤذن بالعظم نفسه وقرا ابي واني بفتح الهمزة ويا
المتكلم اخترتك بتا عطفا على اني انا ربك ومفعول اخترتك الثاني المتعدي اليه
بمن محذوف تقديره من قومك والظاهر ان لما يوحى من صلة استمع وما بمعنى الذي
وقال الزمخشري وغيره لما يوحى للذي يوحى او للوحي فعلق اللام باستمع او باخترتك
انتهى ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فيجب او يختار اعادة
الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع له لما يوحى فدل على انه من اعمال الثاني
وقال ابو الفضل الجوهري لما قيل لموسى صلوات الله على نبينا وعليه استمع
لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه
على صدره ووقف ليستمع وكان كل لباسه صوفا وقال وهب ادب الاستماع
سكون الجوارح وغض البصر والاصغا بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل
وذلك هو الاستماع لما يحب الله وحذف الفاعل في يوحى للعلم به وتحسنه
كونه فاصلة فلو كان مبنيا للفاعل لم يكن فاصلة والوحي قوله انني انا الله الى
اخر الجمل جا ذلك تبيينا وتفسيرا للابهام في قوله لما يوحى وقال المفسرون فاعبدني
هنا وحدني كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ليوحدون
والاولى ان تكون فاعبدني لفظا يتناول ما كلفه به من العبادة ثم عطف عليه
ما هو قد يدخل تحت ذلك المطلق تنبيها بالصلاة اذ هي افضل الاعمال وانفعها
في الاخرة والذكر مصدر يحتمل ان يضاف الى الفاعل اي ليذكرني فان ذكري ان
اعبد ويصلى لي او ليذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار او لاني ذكرتها في
الكتب وامرت بها ويحتمل ان تضاف الى المفعول اي لان اذكرك بالمدح والثنا
واجعل لك لسان صدق او لان تذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص
ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لي ذاكرا
غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم
به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي
مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا
واللام على هذا القول مثلها في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس وقد حمل على ذكر
الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها قال الزمخشري وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر
الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله

عز وجل في الحقيقة انتهى وفي الحديث بعد قوله فليصلها اذا ذكرها قوله اذ لا كفارة لها الا ذلك ثم قرا واقم الصلاة لذكري وقرأ السلمي والنخعي وابو رجاء للذكرى بلام التعريف وألف التأنيث فالذكرى بمعنى التذكرة اي لتذكيري اياك اي اذا ذكرت بعد نسيانك فأقمها وقرأت فرقة لذكرى بألف التأنيث بغير لام التعريف وقرأت فرقة للذكر ولما ذكر تعالى الامر بالعبادة واقامة الصلاة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث والمعاد للجزاء فقال ان الساعة آتية وهي التي يظهر عندها ما عمله الانسان وجزاء ذلك اما ثوابا واما عقابا وقرأ ابو الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد اخفيها بفتح الهمزة ورويت عن ابن كثير وعاصم بمعنى اظهرها اي انها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر لكن تأخرت الى الاجل المعلوم وتقول العرب خفيت الشيء اي اظهرته وقال الشاعر

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب

وقال الآخر فان تدفنوا الداء لا نخفه وان توقدوا الحرب لا نقعد

ولام لتجزى على هذه القراءة متعلقة باخفيها اي اظهرها لتجزى كل نفس وقرأ الجمهور اخفيها بضم الهمزة وهو مضارع اخفى بمعنى ستر والهمزة هنا للازالة اي ازالت الخفاء وهو الظهور واذا ازالت الظهور صار للستر كقولك اعجمت الكتاب ازلت عنه العجمة وقال ابو علي هذا من باب السلب ومعناه ازيل عنها خفاءها وهو سترها واللام في قراءة الجمهور قال صاحب اللوامح متعلقة بآتية كأنه قال ان الساعة آتية لتجزى انتهى ولا يتم ذلك الا اذا قدرنا اكاد اخفيها جملة اعتراضية فان جعلتها في موضع الصفة لآتية فلا يجوز ذلك على رأي البصريين لان اسم الفاعل لا يعمل اذا وصف قبل اخذ معموله وقيل اخفيها بضم الهمزة بمعنى اظهرها فتتحد القراءتان واخفى من الاضداد بمعنى الاظهار وبمعنى الستر قال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد وقد حكاه ابو الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا شك في صدقه واكاد من افعال المقاربة لكنها مجاز هنا ولما كانت الآية عبارة عن شدة اخفاء امر القيامة ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت اهيب على النفوس بالغ في ابهام وقتها فقال اكاد اخفيها حتى لا تظهر البتة ولكن لا بد من ظهورها وقالت فرقة اكاد بمعنى اريد فالمعنى اريد اخفاءها وقاله الاخفش وابن الانباري وابو مسلم قال ابو مسلم ومن امثالهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي ولا اريد ان افعله وقالت فرقة خبر كاد محذوف تقديره اكاد آتي بها لقربها وصحة وقوعها كما حذف في قول ضابي البرجمي هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

اي وكدت افعل وتم الكلام ثم استأنف الاخبار بانه يخفيها واختاره النحاس وقالت فرقة معناه اكاد اخفيها من نفسي اشارة الى شدة غموضها على المخلوقين وهو مروي عن ابن عباس ولما رأى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي من تلقاي ومن عندي وقالت فرقة اكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل الاخبار ان الساعة آتية وان الله يخفي وقت اتيانها وروي هذا المعنى عن ابن جبير واستدلوا على زيادة كاد بقوله تعالى لم يكد يراها وبقول الشاعر وهو زيد الخيل سريع الى الهيجاء شاك سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس

ويقول

ويقول الآخر وان لا الوم النفس فيما اصابني وان لا اكاد بالذي نلت انجح

ولا حجة في شيء من هذا وقال الزمخشري اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها انتهى وروت هذه الزيادة ايضا عن ابي ذكر ذلك ابن خالويه وفي مصحف عبد الله اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات وكيف اظهرها لكم وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره وقال الشاعر ايام تصحبني هند واخبرها ما كدت اكتمه عني من الخبر

وكيف يكتم من نفسه ومن نحو هذا من المبالغة رجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه والضمير في اخفيها عائد على الساعة والساعة يوم القيامة بلا خلاف والسعي هنا العمل والظاهر ان الضمير في عنها وبها عائد على الساعة وقيل على الصلوة وقيل عنها على الصلاة وبها اي بالساعة وابعد جدا من ذهب الى ان الضمير في عنها يعود على ما تقدم من كلمة لا اله الا انا فاعبدني والظاهر ان الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه السلام ولا يلزم من النهي عن الشيء امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي ان يكون لفظا والسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه وابعد من ذهب الى انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لفظا ولامته معنى وقال الزمخشري فان قلت العبارة انهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا اريتك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صلب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه وفتردى يجوز ان يكون منصوبا على جواب النهي وان يكون مرفوعا اي فانت تردى وقرأ يحيى فتردى بكسر التاء وما تلك بيمينك يا موسى هو تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس لما يورد عليها وقد علمه تعالى في الازل ما هي وانما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليتقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة وما استفهام مبتدأ وتلك خبره وبيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل اسم الاشارة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا يجوز ان يكون اسم الاشارة موصولا حيث يتقدر بالموصول كأنه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى

لموسى استئناس عظيم وتشريف كريم قال هي عصاي وقرأ ابن ابي اسحاق والجحدري عصي بقلب
الالف ياء وادغامها في ياء المتكلم وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء وهي مروية عن ابن ابي
اسحاق عصاي بسكون الياء اتوكأ عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف وهذه زيادة
في الجواب كما جاء هو الطهور ماؤه الحل ميتته في جواب من سأل أيتوضأ بماء البحر
وكما جاء في جواب الهذا حج قال نعم ولك اجر وحكمة زيادة موسى رغبته في مطاولة
مناجاته لربه تعالى وازدياد لذاذته بذلك كما قال الشاعر

وأملي حديثا يستطاب فليتني • اطلت ذنوبا كي يطول عتابه

وتعداد نعمه تعالى عليه بما جعل له فيها من المنافع وتضمنت هذه الزيادة تفصيلا
في قوله اتوكأ عليها واهش بها على غنمي واجمالا في قوله ولي فيها مآرب اخرى
وقيل اتوكأ عليها جواب لسؤال آخر وهو انه لما قال هي عصاي قال الله تعالى
فما تصنع بها قال اتوكأ عليها الآية وقيل سأله تعالى عن شيئين عن العصا بقوله
وما تلك وبقوله بيمينك عما يملكه فاجابه عن وما تلك بقوله هي عصاي وعن
قوله بيمينك بقوله اتوكأ عليها واهش الى آخره انتهى وفي التحقيق ليس قوله
بيمينك سؤالا وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله اتوكأ عليها ثم ثنى بمصلحة
رعيته في قوله واهش وقرأ الجمهور واهش بضم الهاء والشين المعجمة
والنخعي بكسرها كذا ذكر ابو الفضل الرازي وابن عطية وهي بمعنى المضمومة الهاء
والمفعول محذوف وهو الورق قال ابو الفضل ويحتمل ذلك ان يكون من هش يهش
هشاشة اذا مال اي اميل بها على غنمي بما اصلحها من السوق وتكسير العلف ونحوهما يقال منه
هش الورق والكلأ والنبات اذا جف ولان انتهى وقرأ الحسن وعكرمة واهس
بضم الهاء والسين غير معجمة والهس السوق ومن ذلك الهس والهساس غير معجمة
في الصفات ونقل ابن خالويه عن النخعي انه قرأ واهش بضم الهمزة من اهش رباعيا
وذكر صاحب اللوامح عن عكرمة ومجاهد واهش بضم الهاء وتخفيف الشين قال
ولا اعرف وجهه الا ان يكون بمعنى العامة لكن فر من قراءته من التضعيف
لان الشين فيه تفش فاستثقل الجمع بين التضعيف والتفشي فيكون كتخفيف
ظلت ونحوه وذكر الزمخشري عن النخعي انه قرأ واهش بضم الهمزة والشين المعجمة
من اهش رباعيا قال وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته وذكر على
التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه احس بما يعقب هذا السؤال
من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها
كما ينفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام
ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها
ويستعظمها ثم يريه على عقيب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول اين انت عن هذه المنفعة
العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها
وقالوا اسم العصا نبعة انتهى وقرأت فرقة غنمي بسكون النون وفرقة على غنمي
بايقاع الفعل على الغنم والمآرب ذكر المفسرون انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا
طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه
فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان في البرية ركزها
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها

وكان

وكان يقاتل بها السباع على غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول
البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى
ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها
فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام ويرد بها غنمه والابعد واو هذه
العصا اخذها من بيت عصا الانبيا التي كانت عند شعيب حين اتفقا على الرعية هبط
بها آدم من الجنة وطولها عشرة اذرع وقيل اثنا عشر بذراع موسى عليه السلام وعامل
المآرب وان كان جمعا معاملة الواحد المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله اخرى ولم يقل اخر
رعيا للفواصل وهو جائز في غير الفواصل وكان اجود واحسن في الفواصل وقرأ الزهري
وشيبة مارب بغير همز كذا قال الاهوازي في كتاب الاقناع في القراآت ويعني والله
اعلم بغير همز محقق وكأنه يعني انهما سهلاها بين بين قال القها الظاهر ان القائل هو الله
تعالى ويبعد قول من قال يجوز ان يكون القائل الملك باذن الله ومعنى القها اطرحها
على الارض ومنه قول الشاعر فالقت عصاها واستقرت بها النوى
واذا هي للمفاجأة والحية تنطلق على الصغير والكبير والذكر والانثى والجان الرقيق من
الحيات والثعبان العظيم منها ولا تنافي بين تشبيهها بالجان في قوله فلما رآها تهتز
كأنها جان وبين كونها ثعبانا لان تشبيهها بالجان هو في اول حالها ثم تزيدت حتى
صارت ثعبانا او شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم
خلقها قيل كان لها عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فما وبين لحييها
اربعون ذراعا وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا تبتلع الصخر والشجر والمحجن عنقا وعيناها
تتقدان فلما رأى هذا الامر العجيب الهائل لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الاهوال
والمخاوف لا سيما هذا الامر الذي يذهل العقول ومعنى تسعى تنتقل وتمشي بسرعة
وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون
فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت اذ قد درجت له ذلك عادة وتدريبه في تلقي
تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم امره تعالى بالاقدام على اخذها ونهاه عن ان
يخاف منها وذلك حين ولى مدبرا ولم يعقب وقيل انما خافها لانه عرف ما لقي آدم
منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل
يده في فمها واخذ بلحييها واخذ ما ذكر بعض اهل التفسير انه قيل له خذها مرة وثانية
حتى قيل له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى فاخذها في الثالثة لان
منصب النبوة لا يليق ان يأمره ربه مرة وثانية فلا يمتثل ما امر به حتى اخذها
بيده صارت عصا والسيرة من السير كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة
حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين وقال
الشاعر فلا تغضبن من سيرة انت سرتها • فاول راض سيرة من يسيرها
وانتصب سيرتها قال الحوفي مفعولا ثانيا لسنعيدها على حذف الجار مثل
واختار موسى قومه يعني الى سيرتها قال ويجوز ان يكون بدلا من مفعول سنعيدها
وقال بهذا الثاني ابو البقاء قال بدل اشتمال اي صفتها وطريقتها وقال الزمخشري
يجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال
ما كانت عصا انتهى وسيرتها وطريقتها ظرف مختص فلا يتعدى اليه الفعل
على طريقة الظرفية الا بواسطة في ولا يجوز الحذف الا في ضرورة او فيما شذت

نيه العيوب قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين انتهى وهذا هو الوجه الاول الذي
ذكره الحوفي قال وفيه وجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير
متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب
حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي
تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها
ولك فيها مآرب اخرى انتهى والجناح حقيقة في الطائر والملك ثم توسع فيه
فاطلق على اليد وعلى العضد وعلى جنب الرجل وقيل لمجنبتي العسكر جناحان على
سبيل الاستعارة وسمي جناح الطائر لانه يجنح به عند الطيران ولما كان المرعوب
من ظلمة او غيرها اذا ضم يده الى جناحه تقوى جاشه ولتنظر له هذه الاية
العظيمة في اليد والمراد الى جنبك تحت العضد ولهذا قال تخرج فلو لم يكن دخول
لم يكن خروج كما قال في الاية الاخرى وادخل يدك في جيبك تخرج وفي الكلام
حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير واضمم يدك
الى جناحك تنضم واخرجها تخرج فحذف من الاولى وابقى مقابله ومن الثاني وابقى
وهو اضمم لانه بمعنى ادخل كما بين في الاية الاخرى تخرج بيضاء من غير سوء قيل خرجت
بيضاء تشف وتضيء كانها شمس وكان آدم اللون وانتصب بيضاء على الحال والسوء
الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكما كنوا
عن جذيمة وكان ابرص بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وطباعهم تنفر منه
واسماعهم تمج ذكره فكني عنه وقوله من غير سوء يتعلق ببيضاء كانه قال ابيضت
من غير سوء وقال الحوفي من غير سوء في موضع النعت لبيضاء والعامل فيها الاستقرار
انتهى ويقال له عند ارباب البيان الاحتراس لانه لو اقتصر على قوله بيضاء لاوهم
ان ذلك من برص او بهق وانتصب اية على الحال وهذا على مذهب من يجيز
تعداد الحال لذي حال واحد واجاز الزمخشري ان يكون منصوبا على اضمار خذ
ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال فاما تقديره خذ فسائغ واما
دونك فلا يسوغ لانه اسم فعل من باب الاغراء فلا يجوز ان يحذف النائب والمنوب
عنه ولذلك لم يجر مجراه في جميع احكامه واجاز ابو البقاء والحوفي ان يكون اية بدلا
من بيضاء واجاز ابو البقاء ان يكون حالا من الضمير في بيضاء اي تبيض اية وقيل
منصوب بمحذوف تقديره جعلناها اية او اتيناك اية واللام في لنريك قال الحوفي
متعلقة باضمم ويجوز ان تتعلق بتخرج وقال ابو البقاء تتعلق بهذا المحذوف يعني
التقدير جعلناها او اتيناك ويجوز ان تتعلق بما دل عليه اية اي دللنا بها
لنريك وقال الزمخشري لنريك خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك
بهاتين الايتين بعض اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من اياتنا او لنريك
من اياتنا الكبرى فعلنا ذلك ويعني انه جاز ان تكون مفعول لنريك الثاني
الكبرى او يكون من اياتنا في موضع المفعول الثاني وتكون الكبرى صفة لاياتنا
على حد الاسماء الحسنى ومآرب اخرى يجريان مثل هذا الجمع مجرى الواحدة المؤنثة
واجاز هذين الوجهين من الاعراب الحوفي وابن عطية وابو البقاء والذي نختاره
ان تكون من اياتنا في موضع المفعول الثاني والكبرى صفة لاياتنا لانه يلزم من
ذلك

ذلك ان تكون اياته تعالى كلها هي الكبرى لان ما كان بعض الايات الكبرى صدق عليه انه الكبرى واذا
جعلت الكبرى مفعولا لم تتصف الايات بالكبر لانها هي المتصفة بافعل التفضيل وايضا
اذا جعلت الكبرى مفعولا فلا يمكن ان تكون صفة للعصا واليد معا لانهما كان يلزم التثنية
في وصفيهما فكان يكون التركيب الكبريين ولا يمكن ان يخص احدهما لان كلا منهما فيها معنى
التفضيل ويبعد ما قال الحسن من ان اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد
لنريك من اياتنا الكبرى لانه جعل الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا
الى الاية القريبة وهي اخراج اليد بيضاء من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس في
اليد الا تغيير اللون واما العصا ففيها تغيير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة
والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع
التغيير مرارا فكانت اعظم من اليد ولما اراه الله هاتين المعجزتين العظيمتين في
نفسه وفيما لابسه وهو العصا امره بالذهاب الى فرعون رسولا من عنده تعالى
وعلل حكمة الذهاب اليه بقوله انه طغى وخص فرعون وان كان مبعوثا اليهم كلهم لانه راس
الكفر ومدعي الالهية وقومه تباعه قال وهب بن منبه قال الله لموسى عليه السلام اسمع
كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي ونصري
والبسك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي
بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي
لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان
علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا
فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة
ايام وقيل اكثر فجاءه ملك فقال انفذ ما امرك ربك قال رب اشرح لي صدري
ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد
مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت
فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من
يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر
يا موسى واصطنعتك لنفسي لما امره تعالى بالذهاب الى فرعون عرف انه كلف
امرا عظيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فسال ربه
ورغب في ان يشرح صدره ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التي يضيق لها الصدر
وان يسهل عليه امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة جلائل الخطوب
وقد علم ما يحل به من فرعون من الجبروت والتمرد والتسلط وقال ابن جريج معناه وسع
لي صدري لاعي عنك ما تودعه من وحيك وقال الكرماني وسع قلبي
ولسني لفهم خطابك واداء رسالتك والقيام بما كلفتنيه من اعبائها والعقدة استعارة
لثقل كان في لسانه خلقة وقال مجاهد كانت من الجمرة التي ادخلها فاه وكانت اسية
قد القى الله محبته في قلبها وسالت فرعون ان لا يذبحه فبينا هي ترقصه يوما

اقوه فرعون في حجره فاخذ خصلة من لحيته وقيل لطمه وقيل ضربه بقضيب في يده فغضب
فرعون فدعا بالسياف فقالت انما هو صبي لا يفرق بين الياقوت والجمر فاحضرا واراد
ان يمد يده الى الياقوت فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمرة فاخذها ووضعها في فيه
فاحترق لسانه انتهى واطاق للنار وتاثيرها في لسانه لا في يده دليل على فساد القايلين
بالطبيعة وعن ابن عباس كانت في لسانه رتة وقيل حدثت العقدة بعد المناجاة
حتى لا يكلم احدا بعدها وقال القطب كانت فيه مسكة عن الكلام وقال ابن عيسى
العقدة كالتمتمة والفافاة وطلب موسى من حل العقدة قدر ما يفقه قوله
قيل وبقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين
وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وهو قول الحسن قيل وهو ضعيف
لانه لم يقل واحلل العقدة بل قال عقدة فاذا حل عقدة فقد اتاه الله سؤله وقيل
في قوله ولا يكاد يبين ان معناه لا ياتي ببيان ولا حجة وانما قال ذلك فرعون
تمويها وقد خاطبه وتوهه وكانوا يفقهون عنه فكيف يتلو تيقي السايل او
مقاربته وقال الزمخشري فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري
ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي
فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام فذكرهما فكان اكد لطلب الشرح
والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح
الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل وقال ايضا وفي تنكير
العقدة وان لم يقل واحلل عقدة من لساني انه طلب بعضها ارادة ان تفهم
عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه
قال عقدة من عقد لساني انتهى ونظرا ان من لساني يتعلق باحلل لان موضع
الصفة لعقدة وكذا قال الحوفي واجاز ابو البقاء الوجهين والوزير المعين الذي
يوازر الامور اي يتحملها فوزير الملك يتحمل عنه اوزاره ومؤنته وقيل من الوزر
وهو الملجا يلتجي اليه الانسان وقال الشاعر

من السباع الضواري دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع ... وما نرى بشرا لم يؤذهم بشر

فالملك يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره وقال الاصمعي هو من الموازرة وهي
المعاونة والمساعدة والعباس وزير ولذا قال الزمخشري قال وكان القياس ازير
فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جا في معنى مفاعل مجيئا صالحا كعشير
وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلب في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء
على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة انتهى ولا حاجة الى
ادعا قلب الهمزة واوا لان لنا اشتقاقا واضحا وهو الوزر والوزر واما قلبها في
يوازر فلاجل ضمة ما قبلها الواو وهو ايضا ابدال غير لازم وجوزوا ان تكون لي
وزيرا مفعولين لاجعل وهرون بدل او عطف بيان وان تكون وزيرا وهرون
مفعوليه وقدم اثنا بالمر الوزارة واخي بدل من هرون في هذين
الوجهين قال الزمخشري وان جعلت عطف بيان اخر جاز وحسن انتهى ويبعد
فيه عطف البيان لان الاكثر في عطف البيان ان يكون الاول دونه في الشهرة
والامر هنا بالعكس وجوزوا ان يكون وزيرا من اهلي هما المفعولان ولي مثل

قوله

قوله ولم يكن له كفوا احد ويصون انه يتم المعنى وهرون على ما تقدم وجوزوا ان ينتصب دون
بفعل محذوف اي اضم الي هرون وهذا لا حاجة اليه لان الكلام تام بدون هذا
المحذوف وقرا الحسن وزيد بن علي وابن عامر اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها فعلا
مضارعا مجزوما على جواب الامر وعطف عليه واشركه وقال صاحب اللوامح عن الحسن
انه قرا اشدد به مضارع شدد للتكثير والتكرير اي كلما حزبني امر شددت به
ازري وقرا الجمهور اشدد واشركه على معنى الدعا في شد الازر وتشريك هرون
في النبوة وكان الامر في قراءة ابن عامر لا يريد به النبوة بل يريد تدبيره
ومساعدته لانه ليس لموسى ان يشرك في النبوة احدا وفي مصحف عبد الله اخي واشدد
وقال الزمخشري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتدا
واشدد به خبره ويوقف على هرون انتهى وهو خلاف الظاهر فلا يصار اليه لغير حاجة
وكان هرون اكبر من موسى باربعة اعوام وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه
من نعمه سببا تلزم منه العبادة والاجتهاد في امر الله والتظاهر على العبادة والتعاون
فيما يتعلق بالديانة والتزيد من الخير كي نسبحك تنزيهك عما لا يليق بك ونذكرك بالدعا
والثنا عليك وقدم التسبيح لانه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراته من
النقايص ومحل ذلك القلب والذكر الثنا على الله بصفات الكمال ومحله اللسان
فلذلك قدم ما محله القلب على ما محله اللسان وكثيرا انتصب بمصدر محذوف او صفة
على الحال اي نسبحك التسبيح في حال الكثرة على ما ذهب اليه س انك كنت بنا
بصيرا اي عالما باحوالنا والسؤل فعل بمعنى المسؤل كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول
والمعنى اعطيت طلبتك وما سالته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة
وجعل اخيك وزيرا وذكر بمن المنة عليه ثم ذكر تعالى تقدم منته
عليه على سبيل التوقيف لتعظيم اجتهاده وتقوى بصيرته ومرة بمعناه
منة واخرى تانيث اخر بمعنى غير اي منة غير هذه المنة وليست اخرى هنا
بمعنى اخرة فتكون مقابلة للاولى وتخيل ذلك بعضهم فقال سماها اخرى وهي
اولى لانها اخرى في الذكر والاخرى لفظ مشترك يكون تانيثا لاخر بفتح الخا
وتانيث الاخر بمعنى اخر فهذه يلحظ فيها معنى التاخر والمعنى قد حفظتك
وانت طفل رضيع فكيف لا احفظك وقد اهلتك للرسالة وفي قوله مرة
اخرى اجمال بينه بقوله اذ اوحينا الى امك قال الجمهور هي وحي الهام كقوله
واوحى ربك الى النحل وقيل وحي اعلام اما باراءة ذلك في منام واما ببعث
ملك اليها لا على جهة النبوة كما بعث الى مريم وهذا هو الظاهر لظاهر قوله
ياخذه عدو لي وعدو له ولظاهر اية القصص انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين وبعد ما ذهب اليه الزمخشري قوله من يريد به اما ان تكون
على لسان نبي في وقتها لقوله واذا اوحيت الى الحواريين لانهم ينقل انه كان
في زمن فرعون وكان في زمن الحواريين زكريا ويحيى وفي قوله ما يوحى
ابهام واجمال لقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فغشيهم من اليم ما غشيهم وفيه
تهويل وقدم هنا بقوله ان اقذفيه في التابوت قال الزمخشري وان
هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول وقال ابن عطية وان في قوله ان اقذفيه
بدل من ما يعني ان ان مصدرية فلذلك كان لها موضع من الاعراب والوجه

سلفان والظاهر ان التابوت كان من خشب وقيل من بردي مقير مومن آل فرعون سد خروقه
وفرشت فيه نطعا وقيل قطنا محلوجا وسدت فمه وجصصته وقيرته والقته في اليم
وهو اسم للبحر العذب وقيل اسم للنيل خاصة والاول هو الصواب لقوله فاغرقناهم في
اليم ولم يغرقوا في النيل والظاهر ان الضمير في فاقذفيه في اليم عائد على موسى وكذلك
الضمير ان بعده هو المحدث عنه لا التابوت انما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة
وقال ابن عطية والضمير الاول في اقذفيه عائد على موسى وفي الثاني عائد على التابوت
ويجوز ان يعود على موسى وقال الزمخشري والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع
بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان
قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك
لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرق الضمائر فيتنافر
عليك النظم الذي هو ام اعجاز القران والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته
اهم ما يجب على المفسر انتهى ولقائل ان يقول ان الضمير اذا كان صالحا لان يعود على الاقرب
وعلى الابعد كان عوده على الاقرب راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده على
التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان احدهما
هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث عنه ارجح ولا يلتفت الى القرب
ولهذا رددنا على ابي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عائد على خنزير
لا على لحم لكونه اقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده بان المحدث عنه
هو لحم خنزير لا خنزير وفليلقه امر معناه الخبر وجا بصيغة الامر مبالغة اذ الامر اقطع
الافعال واوجبها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصل لكم اخرج الخبر في صيغة
الامر لنفسه مبالغة ومن حيث خرج الفعل مخرج الامر حسن جوابه كذلك وهو
قوله ياخذه وقال الزمخشري لما كانت مشية الله وارادته ان لا تخطي جرية ماء
اليم الوصول به الى الساحل والقاوه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم
كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل
انتهى وقال الترمذي انما ذكره بلفظ الامر ليتحقق علمه بوقوع المخبر به على
ما اخبر به فكان البحر مامور ممتثل للامر وقال الفرا فاقذفيه في اليم امر وفيه
معنى المجازاة اي اقذفيه يلقه اليم والظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه
منه وروي ان فرعون كان يشرب في موضع من النيل اذ راى التابوت فامر به
فسيق اليه وامراته معه ففتح فراوه فرحمته امراته وطلبته لتتخذه ابنا فاباح لها
ذلك وروي ان التابوت جا في الما الى المشرعة التي كانت جواري امراة فرعون
يستقين منها الما فاخذن التابوت فجلبنه اليها واخرجته واعلمته فرعون والعدو
الذي لله ولموسى هو فرعون واخبرت به ام موسى على طريق الالهام ولذلك قالت
لاخته قصيه وهي لا تدري اين استقر والقيت عليك محبة مني قيل محبة اسية
وفرعون وكان فرعون قد احبه حبا شديدا حتى لا يتمالك ان يصبر عنه قال ابن
عباس احبه الله وحببه الى خلقه وقال ابن عطية جعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد
يصبر عنه من راه وقال قتادة كان في عيني موسى ملاحة ما راه احد الا احبه
وقال ابن عطية واقوى الاقوال انه القبول وقال الزمخشري مني لا يخلو اما ان
يتعلق بالقيت فيكون المعنى على احببتك ومن احبه الله احبته القلوب

ان يتعلق

ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق
بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة خالصة او واقعة مني قد ركزتها انا فيها في القلوب
وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر اللام
وضم التا ونصب الفعل اي ولتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي
الرجل الشي بعينيه اذا اعتنى به قال معناه قتادة وقال النحاس يقال صنعت الفرس
اذا احسنت اليه وهو معطوف على علة محذوفة اي ليتلطف بك ولتصنع او متعلق
بفعل متاخر تقديره فعلت ذلك وقرأ الحسن وابو نهيك بفتح التا قال ثعلب
معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني وقرأت فرقة وابو جعفر في رواية
باسكان اللام والعين وضم التا فعل امر وعن ابي جعفر كذلك الا انه كسر اللام اذ
تمشي اختك قيل اسمها مريم سبب ذلك ان اسية عرضته للرضاع فلم يقبل امراة
فجعلت تنادي عليه في المدينة ويطاف به ويعرض للمراضع فيابى وبقيت امه
بعد قذفه في اليم مغمومة فامرت اخته بالتفتيش في المدينة لعلها تقع على
خبره فبصرت به وهم يطوفون به فقالت انا ادلكم على من يكفله وهم له ناصحون ف
فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفين هذا الصبي فقالت لا ولكني اعلم من اهل هذا البيت
الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها فتركوها وسالوها الدلالة
وجات بام موسى فلما قربته شرب ثديها فسرت اسية وقالت لها كوني معي
في القصر فقالت ما كنت لادع بيتي وولدي ولكنه يكون عندي قالت نعم فاحسنت
الى اهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والنسب من الملكة
ولما كمل رضاعه ارسلت اسية اليها ان جيئي بولدي ليوم كذا وامرت خدمها ومن
لها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليها على ذلك وهو بخير حال
واجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه فاعجبه وقربه فاخذ
موسى بلحية فرعون وتقدم ما جرى له عند ذكر العقدة والعامل في اذ قال ابن عطية
فعل مضمر تقديره ومننا اذ وقال الزمخشري العامل في اذ تمشي القيت او تصنع
ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان
مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول
لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فيقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها
وانت في اخرها انتهى وليس كما ذكر لان السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما
فيها بخلاف هذين الظرفين فان كل واحد منهما ضيق ليس بشايع لتخصيصهما
بما اضيفا اليه فلا يمكن ان يقع الثاني في الظرف الذي وقع فيه الاول اذ الاول
ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الاخت فليس وقت وقوع الوحي
مشتملا على اجزا وقع في بعضها المشي بخلاف السنة وقال الحوفي اذ متعلقة
بتصنع ولكن الضعف اذ يعمل مضمر تقديره واذكر وقرأ الجمهور كي تقر
بفتح التا والقاف وقرأت فرقة بكسر القاف وتقدم انهما لغتان في قوله
وقري عينا وقرأ جناح بن حبيش بضم التا وفتح القاف مبنيا للمفعول وقتلت
نفسا هو القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فقتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة
واغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله
له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون حين هاجر

به الى مدين والغم ما يؤذي القلب بسبب خوف او فوات مقصود والغم بلغة قريش
القتل وقيل من غم التابوت وقيل من غم البحر والظاهر انه من غم القتل حين ذهب بك
من مصر الى مدين والفتون مصدر او جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء
كحجون وبدور في حجرة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وما يشق
على الانسان وعن ابن عباس خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل
فيه الولدان والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة انتهى وهذه الفتون
اختبر بها وخلصه منها حتى صلح للنبوة وسلم لها والسنون التي لبثها في مدين عشر سنين
وقال وهب ثمان وعشرون سنة منها مهر ابنته وبين مصر ومدين ثمان مراحل
وفي الكلام حذف والتقدير وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى اهل مدين فلبثت سنين
وكان عمره حين ذهب الى مدين اثنى عشر عاما واقام عشرة اعوام في رعي غنم
شعيب ثم ثمانية عشر عاما بعدما بنى بامراته بنت شعيب وولد له فيها فكمل له
اربعون سنة وهي المدة التي عادة الله ارسال الانبيا على راسها ثم جئت الى
المكان الذي ناجيتك فيه وكلمتك واستنبأتك على قدر اي وقت معين قدرته
لم تتقدمه ولم تتاخر عنه وقيل على مقدار من الزمان يوحى الى الانبيا فيه وهو
الاربعون وقال الشاعر نال الخلافة او جاءت على قدر كما اتى ربه موسى على قدر
واصطنعتك لنفسي اي جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاجمال والاحسان واخلصتك
بالالطاف واخترتك لمحبتي يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعه وهو افتعال
من الصنع وهو الاحسان الى الشخص حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان
وقال الزمخشري هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم
مثل حاله بحال من يراه الملوك بجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لان يكون اقرب
منزلة اليه والطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه انتهى
ومعنى لنفسي اي لاوامري واقامة حججي وتبليغ رسالتي فحركاتك وسكناتك لي
لا لنفسك ولا لاحد غيرك الونى الفتور يقال ونى يني وهو فعل لازم واذا عدي
فبفي وبعن وزعم بعض البغداديين انه ياتي فعلا ناقصا من اخوات ما زال
وبمعناها واختاره ابن مالك وانشد لا يني الخب شيمة الحب ما دام فلا تحسبنه ذا ارعواء
وقالوا امراة اناة اي فاترة عن النهوض ابدلوا من واوها همزة على غير قياس
قال الشاعر فما انا بالواني ولا الضرع الغمر شتت الامر شتا وشتاتا تفرق
وامر شت متفرق وشتى فعلى من الشت والفه للتانيث جمع شتيت كمريض
ومرضى ومعناه متفرقة وشتان اسم فعل سحت لغة الحجاز واسحت لغة
نجد وتميم واصله استقصى الحلق للشعر وقال الفرزدق
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
ثم استعمل في الاهلاك والاذهاب الخيبة عدم الظفر بالمطلوب الصف
موضع المجمع قاله ابو عبيدة وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب الفصحاء
ما استطعت ان اتي الصف اي المصلى وقد يكون مصدرا ويقال جاؤوا صفا اي
مصطفين التخييل ابداء امر لا حقيقة له ومنه الخيال وهو الطيف الطارق
في النوم قال الشاعر الا يا لقومي للخيال المشوق وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

المفردات

اذهب

اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاتياه فقولا
انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية
من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها
عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى امره الله تعالى بالذهاب
الى فرعون فلما دعا ربه وطلب منه اشيا كان منها ان يشرك اخاه هرون فذكر
الله انه اتاه سؤله وكان من اشراك اخيه فامره هنا واخاه بالذهاب واخوك
معطوف على الضمير المستكن في اذهب انت وربك في سورة المائدة وقول بعض
النحاة ان وربك مرفوع على اضمار فعل اي وليذهب ربك وكذلك البحث
جار هنا وروي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع
بمقدمه وقيل الهم ذلك وباياتي الجمع فقيل هي العصا واليد وعقدة لسانه
وقيل اليد والعصا وقد يطلق الجمع على المثنى وهما اللتان تقدم ذكرهما ولذلك لما قال
فات باية القى العصا ونزع اليد وقال فذانك برهانان وقيل العصا تتضمن ايات
انقلابها ثعبانا ثم في اول الامر كانت صغيرة ثم عظمت حتى صارت ثعبانا ثم ادخال
موسى يده في فمها فلا تضره وقيل ما اعطي من معجزة ووحي ولا تنيا اي لا تضعفا
ولا تقصرا وقيل تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما ويجوز ان يراد بالذكر
تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها
واعظمها فكان جديرا ان يطلق عليه اسم الذكر وقرا ابن وثاب ولا تنيا بكسر التا
اتباعا لحركة النون وفي مصحف عبد الله ولا تهنا اي ولا تلينا من قولهم
هين لين ولما حذف من [illegible] في الامر [illegible] نص عليه في هذا الامر الثاني
فقيل اذهبا الى فرعون اي بالرسالة وابعد من ذهب الى انه امرا بالذهاب
اولا الى الناس وثانيا الى فرعون فكرر الامر بالذهاب لاختلاف المتعلق ونبه
على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله انه طغى اي تجاوز الحد في الفساد
ودعواه الربوبية والالهية من دون الله والقول اللين نحو ما في النازعات
هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وهذا من لطيف الكلام اذ ابرز ذلك
في صورة الاستفهام والمشورة والوصي لما فيه العرض العظيم وقيل عداه شبابا
لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب
والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية
موسى وقيل كنياه وهو ذو الكنى الاربع ابو مرة وابو مصعب وابو الوليد وابو
العباس وقيل القول اللين لا اله الا الله وحده لا شريك له ولينها خفتها على اللسان
وقال الحسن هو قولهما ان لك ربا وان لك معادا وان بين يديك جنة ونارا
فامن بالله يدخلك الجنة ويقيك عذاب النار وقيل امرهما تعالى ان يقدما المواعيد
على الوعيد كما قال الشاعر اقدم بالوعد قبل الوعيد لينهى القبائل جهالها
وقيل حين عرض عليه موسى وهارون ما عرضا شاور اسية فقالت ما ينبغي لاحد

انه يود هذا فشاورها مان فكان لا يثبت امرا دون رايها فقال له كنت اعتقد انك ذو
عقل تكون مالكا فتصير مملوكا ورباً فتصير مربوبا فامتنع من قبول ما عرض عليه موسى
والرجي بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله تعالى اي اذهبا على رجائكما وطمعكما
وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وفايدة ارسالهما
مع علمه تعالى انه لا يومن اقامة الحجة عليه وازالة المعذرة كما قال تعالى ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله الاية وقيل القول اللين ما حكاه الله هنا وهو
فاتياه فقولا انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدي وقرا ابو
معاذ فقولا له قولا لينا وقال الفرا لعل هنا بمعنى كي اي لكي يتذكر او يخشى كما تقول اعمل لعلك
تاخذ اجرك وقيل لعل هنا استفهام اي هل يتذكر او يخشى والصحيح انها على بابها من
الترجي وذلك بالنسبة الى البشر وقيل يتذكر حاله حين اخذ الميثاق فاني الى ما عليه
واعبدوا لله ساجدا لعيبا ان لا يجعله ثم ركب فاذا ابليس نبع جاؤ من سد فرجي
ان يتذكر حلم الله وكرمه وان يحذر نقمة الله وقال الزمخشري اي يتذكر ويتامل
فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ويكون الامر كما نصفان
فيجره انكاره الى الهلكة فرطنا نتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس
فرط يسبق الخيل انتهى وقال الشاعر واستعجلونا وكانوا من صحابتنا
كما تقدم فرّاط الورّاد وفي الحديث وانا فرطكم على الحوض اي متقدمكم وسابقكم
والمعنى اننا نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرا يحيى وابو نوفل
وابن محيصن في رواية ان يفرط مبنيا للمفعول اي يسبق في العقوبة ويسرع بها
ويجوز ان يكون من الافراط ومجاوزة الحد في العقوبة خافا ان يحمله حامل على
المعاجلة بالعذاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او
من حب الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم قال الملا
من قومه وقال الملا من قومه وقرات فرقة والزعفراني عن ابن محيصن
يفرط بضم اليا وكسر الراء من الافراط في الاذية او ان يطغى في التخطي الى ان يقول
فيك ما لا ينبغي لجراته عليك وقسوة قلبه وفي المجي به هكذا على سبيل الاطلاق
والرمز باب من حسن الادب وتجاف عن التفوه بالعظيمة والمعية هنا بالنصرة
والعون اسمع اقوالكما وارى افعالكما وقال ابن عباس اسمع جوابه لكما وارى
ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم فاتياه كرر الامر بالاتيان فقولا انا رسولا
ربك وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له واعلاما انه مربوب مملوك اذ كان
هو يدعي الربوبية واسرا يدعونه اليه ان يبعث معهما بني اسرايل ويخرجهم
من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكليف الاعمال الشاقة من الحفر
والبنا ونقل الحجارة والسخرة في كل شي مع قتل الولدان واستخدام النسا وقد
ذكر في غير هذه الاية دعاوه الى الايمان مجملة ما دعي اليه فرعون الايمان
وارسال بني اسرايل ثم ذكرا ما يدل على صدقهما في ارسالهما اليه فقالا قد جيناك
باية من ربك وتكرر ايضا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بانه مربوب
مقهور والاية التي احالا عليها هي العصا واليد وكانا مشتركين في الرسالة صح
نسبة المجي بالاية وان كانت صادرة من احدهما وقال الزمخشري قد جيناك
باية من ربك جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان

والتفسير

والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجي بالاية وانما وحد باية ولم يثن
ومعهما آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جيناكم
بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جيتكم ببينة من ربكم
فات باية ان كنت من الصادقين اولو جيتك بشي مبين انتهى وقيل الاية اليد وقيل
العصي والمعنى باية تشهد لنا بانا رسولا ربك فالظاهر ان قوله والسلام على من اتبع
الهدي فصل الكلام فالسلام بمعنى التحية رغبا بها عنه وجريا على العادة في التسليم
عند الفراغ من القول فسلما على متبعي الهدي وفي هذا توبيخ له وفي هذا المعنى
استعمل الناس هذه الاية في مخاطباتهم ومحاوراتهم وقيل هو مدرج متصل
بقوله انا قد اوحي الينا فيكون اذ ذاك برسالة المهتدين من العذاب وقيل هي
بمعنى السلام اي والسلامة لمن اتبع الهدي وقال الزمخشري وسلام الملايكة
الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين
انتهى وهو تفسير غريب وقد يقال هنا السلامة من العذاب بدليل قوله انا
قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وبني اوحي لما لم يسم فاعله ولم يذكر
الموحي لانه معلوم انه الله تعالى فربما صدر منه في حق الموحي ما لا يليق به
والمعنى على من كذب الانبيا وتولى عن الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى
اية في القران لان المومن ما كذب ولا تولى فلا يناله شي من العذاب وفي الكلام
حذف تقديره فاتيا فرعون وقالا له ما امرهما الله ان يبلغاه قال فمن ربكما
يا موسى فاضافهما معا اليه وعاد امرهما بالندا لموسى قال ابن عطية اذ كان صاحب عظم
الرسالة وكريم الايات وقال الزمخشري لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره
وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعا كلام موسى دون كلام اخيه لما
عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين انتهى واستمر موسى عليه السلام
بجواب فرعون من صيغته بالتولد والدا يتعا ثم اعلمه من صفات الله
بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا وجه مجاز قال الزمخشري ولله در هذا
الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف
وكان طالبا للحق انتهى والمعنى اعطى كل شي مما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه
من الاتقان لم يجعل خلق الانسان في خلق البهايم ولا خلق البهايم في خلق الانسان
ولكن خلق كل شي فقدره تقديرا وقال الشاعر وله في كل شي خلقه
وكذلك الله ما شا فعل وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك خلقه
من المنفعة المنوطة به المطابقة له ثم هدى اي يسر كل شي لمنافعه ومرافقه
فاعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة
غير ناب عنه قال القشيري والخلق المخلوق لان البطش والمشي والرؤية
والنطق صفات مخلوقة اودعها الله للاعضا وعلى هذا مفعولا اعطى الاول
كل شي والثاني خلقه وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهذا
المعنى اعطى كل شي مخلوق من جنسه ابحه كل حيوان ذكر نظيره انثى في الصورة
فلم يزاوج منها غير جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وقيل

عما يوافقه هداه الى الفه والاستمتاع به والمناكحة وقال الحسن وقتادة اعطى كل شي صلاحه وهداه
لما يصلحه وقيل كل شي هو المفعول الثاني لاعطى وخلقه المفعول الاول اي اعطى خليقته
كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به وقرا عبد الله واناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو نهيك وابن ابي اسحاق والاعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح
عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة لكل شي او لشي وهو منقول
اعطى الثاني حذف اقتصارا اي كل شي خلقه الله لم يخله من عطايه وانعامه ثم هدى
اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه وقيل حذف اختصارا لدلالة المعنى
عليه اي اعطى كل شي خلقه ما يحتاج اليه وقدره بفطرته كماله ومصلحته قال فما بال
القرون الاولى لما اجابه موسى بجواب مسكت ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل
الى سوال اخر وهو ما حال من هلك من القرون وذلك على سبيل الروغان من الاعتراف
بما قال موسى وما اجابه به والحيدة والمغالطة قيل ساله عن اخبارها واحاديثها ليختبر انها
ببيانه او هما من جملة القصاص الذين درسوا قصص الامم السالفة ولم يكن عنده
عليه السلام علم اذ التوراة انما نزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال علمها عند ربي وقيل
مراده من السوال عنهم لم عبدت الاصنام ولم تعبد الله ان كان الحق ما وصفت وقيل
مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى فقال علمها عند ربي فاجابه بان هذا
سوال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وقال النقاش انما سال لما سمع
وعظ موسى الفرعون يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الاية فرد علم ذلك
الى الله لانه لم تكن نزلت عليه التوراة وقيل لما قال انا قد اوحي الينا ان العذاب على
من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى فانها كذبت ثم انهم ما عذبوا وقيل
لما قرر امر المبدا والدلالة القاطعة على اثبات الصانع قال فرعون ان كان ما ذكرت في
غاية الظهور فما بال القرون الاولى نسوه وتركوه فلو كانت الدلالة واضحة وجب على
القرون الماضية ان لا يكونوا غافلين عنها فعارض الحجة النقلية ويجوز ان يكون فرعون
قد نازعه في احاطة الله بكل شي وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف
القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزايهم وبذواتهم
فاجاب بان كل كاين يحيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطا
والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا
ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشري والظاهر عود الضمير
في علمها الى القرون الاولى اي مكتوب عند ربي في اللوح المحفوظ لا يجوز عليه ان يخطي
شيا او ينساه يقال ضللت الشي اذا اخطاته في مكانه وضللته لغتان فلم تهتد اليه
كقولك ضللت الطريق والمنزل ولا يقال اضللته الا اذا ضاع منك كالدابة انفلتت
وشبهها قاله الفراء وقال الزجاج ضللته اضله اذا جعلته في مكان ولم تدر اين هو واضللته
والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ وقيل في كتاب فيها ثبتته الملايكة من احوال
البشر وقيل الضمير في علمها عايد على القيامة لانه ساله عن بعث الامم وقال السدي
لا يضل لا يغفل وقال ابن عيسى لا يضل لا يذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير
الف ومن الحيوان اضل بعيره بالالف وقيل التقدير لا يضل ربي الكتاب ولا
ينسى ما فيه قاله مقاتل وقال القفال لا يضل عن معرفة الاشيا ويحيط بكل المعلومات
ولا ينسى اشارة الى بقا ذلك العلم ابد الاباد على حال لا يتغير وقال الحسن لا يخطي وقت

البعث

البعث ولا ينساه وقال مجاهد معنى الجملتين واحد وهو اشارة الى انه لا يوصف بعلمه غيره
وقال ابن جرير لا يخطي في التدبير فيعتقد في غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه وقال ابو
عبد الله الرازي علم الله صفة قايمة به ولا يكون حاصله في الكتاب لان ذلك لا يعقل
فالمعنى ان بقا تلك المعلومات في علمه كبقا المكتوبات في الكتاب فالغرض التوكيد
بان اسرارها معلومة له لا يزول شي منها ويتوكد هذا بقوله لا يضل ربي ولا ينسى
او المعنى انه اثبت تلك الاحكام في كتاب عنده ليظهر ما كتبه فيه للملايكة زيادة
لهم في الاستدلال على انه عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة انتهى وفيه
بعض تلخيص وقرا الحسن وقتادة والجحدري وحماد بن سلمة وابن محيصن وعيسى
الثقفي لا يضل بضم اليا اي لا يضل الله ذلك الكتاب فيضيع ولا ينسى ما اثبته فيه
وقرا السلمي لا يضل ربي ولا ينسى مبنيا للمفعول والظاهر ان الجملتين استيناف
واخبار عنه تعالى بانتفايهما عنه وقيل هما في موضع وصف لقوله في
كتاب والضمير العايد على الموصوف محذوف اي لا يضله ربي ولا ينساه والظاهر ان
الضمير في ولا ينسى عايد على الله وقيل يحتمل ان يعود على الكتاب اي لا يدع شيا فالنسيان
استعارة كما قال الا احصاها فاسند الاحصا اليه من حيث الحصر فيه وعن ابن عباس
لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه الله الذي جعل لكم
الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السما ما فاخرجنا به ازواجا
من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب
وابى قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله
فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم
اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا
ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ايتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى
ولما ذكر موسى دلالته على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى
ما نبه به على قدرته تعالى ووحدانيته فافرعون نفسه بانه تعالى هو الذي صنع
كيت وكيت وانما ذهبنا الى ان هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى فاخرجنا
وقوله كلوا وارعوا انعامكم وقوله ولقد اريناه فيكون قوله فاخرجنا واريناه
التفاتا من ضمير الغايب في جعل وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون
الالتفات من قايلين وابعد من ذهب الى ان الذي نعت لقوله ربي فيكون
في موضع نصب على المدح وقاله الحوفي والزمخشري لكونه كان يكون كلام موسى
فلا ياتي الالتفات في قوله فاخرجنا ولقد اريناه وقال ابن عطية يحتمل ان يكون
فاخرجنا من كلام موسى ثم بعد قوله وانزل من السما ما تم وصل الله كلام موسى
باخبار لمحمد عليه السلام والمراد بالخطاب في كلوا الخلق اجمع نبههم على هذه الايات
وقرا الاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وعاصم وحمزة والكسائي مهدا بفتح الميم
واسكان الها وباقي السبعة مهادا وكذا في الزخرف فقال المفضل مصدران تمهد

مهدا ومهادا وقال ابو عبيد مهادا اسم ومهدا الفعل يعني المصدر وقال الاخر مهدا مفرد ومهادا جمعه
ومعنى ذلك انه تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع احوالهم ومنافعهم ونهج لكم فيها طرقا
لمقاصدكم كي لا تتعذر عليكم مصالحكم والضمير في به عائد على الماء المجيبه ازواجا اي اصنافا
وهذا الالتفات في اخرجنا كهو في قوله الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا امن خلق
السموات والارض وانزل لكم من السما ما فانبتنا وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا
به نبات كل شي وفي هذا الالتفات تخصيص ايضا باننا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل
تحت قدرة احد والاجود ان تكون شتى في موضع نصب نعتا لقوله ازواجا لانها المحدث عنها
وقال الزمخشري يجوز ان تكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي
بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم قالوا من نعمته عز وجلاله ان ارزاق العباد
انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا
وارعوا انعامكم امر اباحة معمول لحال محذوفة اي فاخرجنا قايلين اي اذنين في
الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وترعوا بعضها وارعوا وهي يتعدى لازما ومتعديا
تقول رعت الدابة رعيا ورعاها صاحبها رعاية اذا اسامها وسرحها واراحها
قاله الزجاج واشار بقوله ان في ذلك للايات السابقة من جعل الارض مهدا وسلك
سبلها وانزال الماء واخراج النبات وفي اولي النهى جمع نهية وهو العقل سمي بذلك لانه
ينهى عن القبايح واجاز ابو علي ان يكون مصدرا كالهدى والضمير في منها يعود
على الارض واراد خلق اصلهم ادم وقيل ينطلق الملك الى تربة المكان الذي يدفن فيه
من يخلق فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا قاله عطا الخراساني
وقيل من الاغذية التي تتولد من الارض فيكون ذلك تنبيها على ما تولدت منها الاخلاط
المتولد منها الانسان فهو من باب مجاز المجاز وفيها نعيدكم اي بالدفن بها او بالتمزق
فيها ومنها نخرجكم اي بالبعث تارة مرة اخرى يولف اجزاهم المتفرقة ويردهم
كما كانوا احيا وقوله اخرى اي اخراجا اخرى لا رسمي لقوله منها خلقناكم اذ ضمن كر ولقد
اريناه اياتنا كلها هذا اخبار من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان قوله
فاخرجنا انما هو خطاب له فليس الكلام اريناه اياتنا هي المتوكلة من راى البصرية ولذلك
تعدت الى اثنين بهمزة النقل واياتنا ليس عاما اذ لم يره تعالى جميع الايات وانما المعنى
اياتنا التي اريناها فكانت الاضافة تفيد ما تفيده الالف واللام من العهد وانما ابي
العصا واليد والطمسة وغير ذلك مما راه فجا التوكيد بالنسبة لهذه الايات المعهودة
وقيل المعنى ايات بكمالها واضاف الايات اليه على حسب التشريف كانه قال ايات لنا
وقيل يكون موسى قد اراه ايات قوم عدد عليه ما اوتي غيره من الانبيا من اياتهم ومعجزاتهم
وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى ان
يقبل شيا منها انتهى وقاله الزمخشري وفيه تعدد لان الاخبار بالشي لا يسمى روية الا بمجاز
بعيد وقيل اريناه هنا من روية القلب لا من روية العين لانه ما كان اراه في ذلك
الوقت الا العصا واليد البيضا اي ولقد اعلمناه اياتنا كلها وهي الايات التسع
قيل ويجوز ان يكون اراد بالايات ايات توحيده التي اظهرها لنا في ملكوت السموات
والارض فتكون من روية العين وقال ابن عطية ابى يقتضي كسب فرعون وهذا
الذي يتعلق به الثواب والعقاب ومتعلق التكذيب محذوف فالظاهر انه الايات

واحتمل

واحتمل ان يكون التقدير فكذب موسى وابى ان يقبل ما القاه اليه من رسالته قيل ويجوز ان يكون
اراد وكذب انها من ايات الله وقال من سحر ولذلك قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
ويبعد هذا القول قوله لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض بصاير وقوله
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا انتهى والظاهر انه كذب لخلة لا انه التبس عليه انها ايات
سحر وفي قوله اجيتنا لتخرجنا وهو ظاهر منه كثير واضطراب لما جابه موسى اذ علم انه على
الحق وانه غالبه على ملكه لا محالة وذكر علة المجي وهو اخراجهم والقاها في مسامع قومه
ليصيروا مبغضين له جدا اذ الاخراج من الوطن مما يشق وجعله الله مساويا للقتل في
قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم وقوله بسحرك تعلل وتحير لانه لا يخفى عليه ان
ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر واورد ذلك على سبيل
الشبهة الطاعنة في النبوة لان السحر انما يتميز عن المعجز بكون السحر مما يتعذر معارضته
فقال فلناتينك بسحر مثله وبدا لي ان امر موسى عليه السلام كان قد قوي وكثر
متبعه من بني اسرايل ووقع امره في نفوس الناس اذ هي مقالة من يحتاج الى الحجة
لامر قد بداه تاثيره واوهمهم هو اخراجهم من مصر وطالبه بقوله بسحرك لان الكلام
كان معه والعصا واليد انما ظهرتا من قبله فلناتينك جواب لقسم محذوف
اوهم الناس ان ما جابه موسى انما هو من باب السحر وان عنده من يقاومه
في ذلك فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر والظاهر ان موعدا هنا هو زمان اي
فاجعل بيننا وبينك وقتا اجتماع ولذلك اجاب بقوله قال موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه
اي لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقدره بعضهم مكانا معلوما وسوعه قوله
موعدكم يوم الزينة وقال القشيري الاظهر انه مصدر ولذلك قال لا نخلفه اي
ذلك الوعد والاخلاف ان يعد شيا ولا ينجزه وقال الزمخشري ان جعلته زمانا نظرا الى
قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل
عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان يوقع الاخلاف
على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراة الحسن غير مطابقة له مكانا
وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف
محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف
فان قلت كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا
والسوال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق
لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في
ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى
انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف
محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم
ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت كيف
يطابقه الجواب قلت اما على قراة الحسن فظاهر واما على قراة العامة فعلى تقدير
وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى
الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه انتهى وقوله ان
مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجائز لانه قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو
موصوف والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز ان يعمل عندهم وقوله وضحى خبره

على نية التعريف لانه عني ذلك اليوم بعينه فهو وان كان عني ذلك اليوم بعينه ليس على نية
التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا عن الالف واللام كسحر ولا هو معرف
بالاضافة ولو قلت جيت يوم الجمعة بكرا لم تدع ان بكرا معرفة وان كنا نعلم انه من يوم
بعينه **وقرا** ابو جعفر وشيبة لا نخلفه بجزم الفاء على انه جواب للامر **وقرا**
الجمهور برفعها صفة لموعد وقال الحوفي موعدا مفعول لاجعل ومكانا ظرف العامل فيه
اجعل وقال ابو علي موعدا مفعول اول لاجعل ومكانا مفعول ثان ومنع ان
يكون مكانا معمولا لقوله موعدا لانه قد وصف قال ابن عطية وهذه
الاسما العاملة عمل الفعل اذا نعتت او عطف عليها او اخبر عنها او صغرت
او جمعت وتوغلت في الاسما كمثل هذا لم تعمل ولا يتعلق بها شي هو منها وقد
يتوسع في الظروف فيعلق بعد ما ذكرنا كقوله عز وجل ينادون لمقت الله اكبر
من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فقوله اذ متعلق بقوله لمقت
وهو قد اخبر عنه وانما جاز هذا في الظروف خاصة ومنع قوم ان يكون مكانا
نصبا على المفعول الثاني لنخلفه وجوزه جماعة من النحاة ووجهه ان يتسع
في ان يخلف **الموعد انتهى** وقوله اذا نعتت هذا ليس مجمعا عليه بل في كل ما
عمل الفعل الا ترى اسم الفاعل العاري عن ال اذا وصف قبل العمل ففي
اعماله خلاف واما اذا جمع فلا يعلم خلافا في جواز اعماله واما المصدر اذا
جمع ففي جواز اعماله خلاف واما استثناء من المعمولات الظرف ففيه
يذهب الى منع ذلك مطلقا في المصدر وينصب اذ بفعل يقدر بما قبله اي
مقتكم اذ تدعون ولا انت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد
بقوله نحن **وقرا** ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب والحسن وقتادة وطلحة
والاعمش وابن ابي ليلى وابو حاتم وابن جرير سوى بضم السين منونا
في الوصل **وقرا** باقي السبعة بكسرها منونا في الوصل **وقرا** الحسن ايضا
سوى بضم السين من غير تنوين في الحالين اجرى الوصل ايضا مجرى الوقف
لا انه منعه الصرف لانه فعل من الصفات منصرف كحطم ولبد **وقرا** عيسى
سوى بكسر السين من غير تنوين في الحالين اجرى الوصل ايضا مجرى الوقف ومعنى
سوى اي عدلا ونصفة قال ابو علي كانه قال قربه منكم قربه منا وقال غيره
انما اراد ان حالنا فيه مستوية فيعم ذلك الموات وان يكون المنازل فيه واحدة
في تعاطي الحق لا تعترضكم فيه الرياسة وانما تقصد الحجة وعن مجاهد هو من
الاستوا لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها
وهذا معنى ما تقدم من قول ابي علي قربه منكم قربه منا وقال الاخفش
سوى مقصور ان كسرت سينه او ضممت وممدود ان فتحتها ثلث لغات
ويكون فيها جميعا بمعنى غير وبمعنى عدل ووسط بين الفريقين **وقال
الشاعر** وان ابانا كان حل باهله سوى بين قيس قيس عيلان والفزر
قال وتقول مررت برجل سواك وسواك وسوائك اي غيرك ويكون للجميع
واعلى هذه اللغات الكسر قاله النحاس وقالت فرقة معنى مكانا سوى مستويا
من الارض لا وعر فيه ولا جبل ولا اكمة ولا مطمئن من الارض بحيث يستر
ناظر احد فلا يرى مكان موسى والسحرة ولا يصدر عنهما قال ذلك وانما من غلبة

السحر

السحر تطوي اذا شاهدوا فعلهم اياه رجعوا عما كانوا اعتقدوا فيه وقالت فرقة معناه
مكانا سوى مكاننا هذا وليس بجيد لان سوى اذا كانت بمعنى غير لا تستعمل الا مضافة
لفظا ولا تقطع عن الاضافة **وقرا** الحسن والاعمش وعاصم في رواية وابو حيوة
وابن ابي عبلة وقتادة والجحدري وهبيرة والزعفراني يوم الزينة بنصب
الميم وتقدم تخريج هذه القراة في كلام الزمخشري وروي ان يوم الزينة كان عيدا
لهم ويوما مشهودا وصادف يوم عاشورا وكان يوم سبت وقيل هو يوم كسر
الخليج الباقي الى اليوم وقيل يوم النيروز وكان راس سنتهم وقيل يوم السبت لانه
يوم راحة ودعة وقيل يوم سوق لهم وقيل يوم ملطورا **وقرا** ابن مسعود و
والجحدري وابو عمران الجوني وابو نهيك وعمرو وابن فايد وان تحشر بتا الخطاب
اي يا فرعون وروي عنهم باليا على الغيبة والناس نصب في كلتا القرائتين
قال صاحب اللوامح وان يحشر الحاشر الناس ضحى فحذف الفاعل للعلم به انتهى
وحذف الفاعل في مثل هذا لا يجيزه البصريون وقال غيره وان يحشر القوم قال
ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب
بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ويجوز ان يكون
وان يحشر في موضع رفع عطفا على يوم الزينة وان يكون في موضع جر عطفا
على الزينة واستضحى على الظرف وهو ارتفاع النهار ويونث ويذكر والضحا
بفتح الضاد ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وانما واعدهم موسى
ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل
على رؤوس الاشهاد وفي الجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل
حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع
في جمع اهل الوبر والمدر والظاهر ان قوله قال موعدكم يوم الزينة من كلام
موسى عليه السلام لانه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا ولان
تعيين اليوم انما يليق بالمحق الذي يعرف اليد له لا المبطل الذي يعرف انه ليس
معه الا التلبيس ولقوله موعدكم وهو خطاب للجميع وابعد من ذهب الى انه
من كلام فرعون فتولى فرعون اي موليا عن قول الحق او تولى ذلك الامر بنفسه
اذ فرجع الى اهله لاستعداد مكايده وادبر على عادة المتواعدين ان يولي كل
واحد منهما صاحبه ظهره اذا افترقا فجمع كيده اي ذوي كيده وهم
السحرة وكانوا اعضاده ثم اتى للموعد الذي كانوا تواعدوا
واتى موسى ايضا ومن معه من بني اسرايل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا وتقدم تفسير ويل في سورة البقرة فاطلم خطاب محذر وندبهم الى
قول الحق اذا راوه وان لا يباهتوا بكذب ومن ذهب الى ان قال للسحرة ويلكم قالوا
ما هذا بقول ساحر فيسحتكم يهلككم ويستاصلكم وفيه دلالة على عظم الافترا وانه
يترتب عليه هلاك الاستيصال ثم ذكر انه لم يظفر بالبغية ولا ينجح طلبه من افترى
على الله الكذب ولما سمع السحرة منه هذه المقالة هالهم ذلك ووقعت في
نفوسهم مهابته فتنازعوا امرهم اي تجاذبوه والتنازع يقتضي الاختلاف
وقرا حمزة والكسائي وحفص والاعمش وطلحة وابن جرير فيسحتكم بضم اليا
وكسر الحا من اسحت رباعيا **وقرا** باقي السبعة وروح وابن عباس بفتحهما

من تحت ثلاثا وابراهيم التيمي حيث قال من فرعون ان يثبتن فهم ضعفا لانهم لم
يكونوا مصممين على غلبة موسى بل كان ظنا من بعضهم وعن ابن عباس ان نجواهم
ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما
فله امر وقال الزمخشري والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول
ثم قالوا ان هاذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره
خوفا من غلبتهما وتثبيط الناس عن اتباعهما وحكى ابن عطية قريبا من هذا
القول عن فرقة قالوا انما كان تناجيهم بالاية التي بعد هذه ان هذان لساحران
والاظهر ان تلك قيلت علانية ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثم تنازع وقرا
ابو جعفر وشيبة والحسن والاعمش وطلحة وحميد وايوب وخلف في اختياره
وابو عبيد وابو حاتم وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير وابن جبير الانطاكي
والاخوان والصاحبان من السبعة ان بتشديد النون هذان بالالف ونون
خفيفة ساحران واختلف في تخريج هذه القراءة فقال القدماء من النحاة انه
على حذف ضمير الشان والتقدير انه هذان لساحران وخبر ان الجملة من قوله
هذان لساحران واللام في لساحران داخلة على خبر المبتدا وضعف هذا القول
بان حذف هذا الضمير لا يجي الا في الشعر وبان دخول اللام في الخبر شاذ وقال الزجاج
اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير لهما ساحران فدخلت على المبتدا المحذوف واستحسن
هذا القول شيخه ابو العباس المبرد والقاضي اسمعيل بن اسحاق بن حماد بن زيد
وقيل ها ضمير القصة وليس محذوفا وكان يناسب على هذا ان تكون متصلة
في الخط فكانت كتابتها انها ذان لساحران وضعف ذلك من جهة مخالفته خط
المصحف وقيل ان بمعنى نعم وثبت ذلك في اللغة فتحمل الاية عليه وهذان لساحران
مبتدا وخبر واللام في لساحران على ذلك التقديرين في هذا التخريج والتخريج
الذي قبله والى هذا ذهب المبرد واسمعيل بن اسحاق وابو الحسن الاخفش الصغير
والذي نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من اجراء
المثنى بالالف دائما وهي لغة لكنانة حكى ذلك ابو الخطاب ولبني الحرث بن كعب
وخثعم وزبيد واهل تلك الناحية حكى عن الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم
ومراد وعذرة وقال ابو زيد سمعت من العرب من يقلب كل يا ينفتح ما قبلها
الفا وقرا ابو بحرية وابو حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان
وحفص وابن كثير ان بتخفيف النون هذان بالالف وشدد نون هذان
ابن كثير وتخريج هذه القراءة واضح وهو على ان ان هي المخففة من الثقيلة
وهذان مبتدا ولساحران الخبر واللام للفرق بين ان النافية وان المخففة
من الثقيلة على راي البصريين والكوفيون يزعمون ان ان نافية
واللام بمعنى الا وقرات فرقة ان ذان لساحران وتخريجها كتخريج
القراءة التي قبلها وقرات عايشة والحسن والنخعي والجحدري والاعمش
وابن جبير وابن عبيد وابو عمرو ان هذين بتشديد نون ان وبالياء
في هذين بدل الالف واعراب هذا واضح اذ جا على المهيع المعروف في
التثنية لقوله فذانك برهانان بالالف رفعا وبالياء نصبا وجرا
وقال الزجاج لا اجيز قراءة ابي عمرو لانها خلاف المصحف وقال ابو عبيد رايتها
في

في الامام مصحف عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك
المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها
وقالت جماعة منهم عايشة وابو عمرو هذا مما لحن الكاتب فيه واقيم بالصواب وقرا
عبد الله ان ذان الا ساحران قاله ابن خالويه وعزاها الزمخشري لابي وقال ابن
شنبوذ ان هذان لساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى انتهى وقرات فرقة
ما هذان الا ساحران وقولهم يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما تبعوا فيه
مقالة فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ونسبوا السحر ايضا لهرون
لما كان مشتركا معه في الرسالة وسالكا طريقته ونسبوا الكلام على الارادة
وهم لا اطلاع لهم عليها تنقيصا لهما وحطا من قدرهما وهي كان ظهر لهم
من امر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا انه ليس في قدرة الساحر ان
ياتي بمثل ذلك والظاهر ان الضمير في قالوا عايد على السحرة خاطب بعضهم بعضا
وقيل خاطبوا فرعون مخاطبة التعظيم والطريقة السيرة والمملكة والحال
التي هم عليها والمثلى تانيث الامثل اي الفضلى الحسنى وقيل عبر عن السيرة
بالطريقة وانه يراد بها اهل العقل والسن والحجى وحكوا ان العرب تقول فلان
طريقة قومه اي سيدهم وعن علي نحو ذلك قال وتصرفات وجوه الناس اليهما
وقيل هو على حذف مضاف اي ويذهبا باهل طريقتكم وهم بنو اسرايل لقول
موسى ارسل معنا بني اسرايل وانهوا في التنفير عنهما بنسبتهما الى السحر وبالطبع ينفر
من السحر ومن رؤية الساحر وبارادة الاخراج من ارضهم ثم بتغيير حالتهم
من المناصب والرتب المرغوب فيها وحكى عنهم في متابعة فرعون
في قوله فجمع كيده قوله فاجمعوا كيدكم وقيل هو من كلام فرعون والظاهر
انه من كلام السحرة بعضهم لبعض وقرا الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم
من اجمع رباعيا اي اعزموا واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف واحد
منكم كالمسالة المجمع عليها وقرا الزهري وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب
في رواية وابو حاتم بوصل الالف وفتح الميم من جمع ويعضده قوله فتولى فرعون
فجمع كيده وتقدم الكلام في جمع واجمع في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام
وتداعوا الى الاتيان صفا لانه اهيب في عيون الرايين واظهر في التمويه
وانتصب صفا على الحال اي مصطفين او مفعولا به اذ هو المكان الذي
يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم وقرا شبل بن عباد وابن كثير في رواية
شبل عنه ثم ايتوا بكسر الميم وابدال الهمزة يا تخفيفا قال ابو علي وهذا غلط
ولا وجه لكسر الميم من ثم وقال صاحب اللوامح وذلك لالتقا الساكنين كما
كانت الفتحة في العامة كذلك وقد افلح اليوم اي ظفر وفاز ببغيته من طلب
العلو في امره وسعى سعيه واختلفوا في عدد السحرة اختلافا مضطربا فادنا ما قيل
انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصي وحبال واكثر ما قيل
تسع مائة الف قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال
بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس
في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك
تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى

فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن
لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي
هذه الحيوة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا
عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك
لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وذلك جزاء من تزكى في الكلام حذف تقديره فجاءوا واصطفوا إلى
مكان الموعد وبيد كل واحد منهم عصا وحبل وتقدم موسى وأخوه ومعه عصاه
فوقفوا وقالوا يا موسى إما أن تلقي وبدءوا بالإلقاء لأنهم علموا أن آية موسى
في الإلقاء العصا فقيل خيروه ثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا يعتقدون أن
أحدا لا يقاومهم في السحر وقال الزمخشري وهذا التخيير منهم استعمال أدب
حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من
أنفسهم وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار إلقائهم
أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد
السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية
بينة للناظرين وعبرة للمعتبرين انتهى وهو تكثير وخطابة وأن مع ما بعده
بسبك بمصدر فإما أن يكون مرفوعا وإما أن يكون منصوبا والمعنى
اختر أحد الأمرين وقدر الزمخشري الرفع الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا
فجعله خبر المبتدأ المحذوف واختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره
إلقاؤك أول ويدل عليه قوله وإما أن نكون أول من ألقى فتحسن المقابلة
من حيث المعنى وإن كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة لأنا
قدرنا إلقاؤك أول ومقابله كونهم يكونون أول من يلقي لكنه يلزم من
ذلك أن يكون إلقاؤهم أولا فهي مقابلة معنوية وفي تقدير الزمخشري
الأمر إلقاؤك لا مقابلة فيه وقدر الزمخشري النصب اختر أحد الأمرين
وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب وتفسير الإعراب إما تختار أن تلقي
وتقدم نحو هذا التركيب في الأعراف قال بل ألقوا لا يكون الأمر بالإلقاء
مما فيه تجويز السحر والأمر به لأن الغرض الفرق بين إلقائهم والمعجز
وتعيين ذلك طريقا إلى كشف الشبهة إذ الأمر مقرون بشرط أي ألقوا
إن كنتم محقين لقوله فأتوا بسورة مثله ثم قال إن كنتم صادقين
وفي الكلام حذف تقديره فألقوا فإذا قال أبو البقاء فإذا حبالهم الفاء جواب
ما حذف وتقديره فألقوا وإذا في هذا ظرف مكان والعامل فيه ألقوا
انتهى فقوله فإذا الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه
فاء جواب لأن فألقوا لا يجاب وإنما هي للعطف عطفت جملة
المفاجأة على ذلك المحذوف وقوله وإذا في هذا ظرف مكان يعني أن إذا

التي

التي للمفاجأة ظرف مكان وهو مذهب المبرد وظاهر كلام س وقوله والعامل فيه ألقوا ليس بشيء
لأن الفاء تمنع من العمل ولأن إذا هذه إنما هي معمولة لخبر المبتدأ الذي هو حبالهم وعصيهم إن لم
تجعلها هي في موضع الخبر لأنه يجوز أن يكون الخبر يخيل ويجوز أن تكون إذا ويخيل في موضع
الحال وهذا نظير خرجت فإذا الأسد رابض ورابضا فإذا رفعنا رابضا كانت إذا معمولة
له والتقدير فبالحضرة الأسد رابض أو في المكان وإذا نصبنا كانت إذا خبرا ولذلك يكتفى
بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فإذا الأسد وقال الزمخشري يقال
في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة
ناصبا لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا
مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم
وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على
مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي انتهى فقوله والتحقيق فيها أنها إذا
كانت الكائنة بمعنى الوقت هذا مذهب الرياشي أن إذا الفجائية ظرف زمان
وهو قول مرجوح وقول الكوفيين إنها حرف قول مرجوح أيضا وقوله الطالبة
ناصبا ليس بصحيح لأنها إما أن تكون هي خبر المبتدأ وإما معمولة لخبر المبتدأ
وإذا كانت كذلك استحال الإضافة إلى الجملة لأنها إما أن تكون بعض الجملة
أو معمولة لبعضها فلا يمكن الإضافة وقوله خصت في بعض المواضع بأن يكون
ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة قد بينا الناصب لها وقوله والجملة
ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد نص الأخفش في الأوسط على أن الجملة
المصحوبة بها قد تكون فعلية مقرونة بقد تقول خرجت فإذا قد ضرب زيد عمرا وبنى على
ذلك مسألة الاشتغال خرجت فإذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد ونصبه وأما
قوله والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي فهذا بعكس ما قدر
بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم إياه فإذا قلت خرجت فإذا السبع فالمعنى
أنه فاجأني السبع وهجم ظهوره وقرأ الحسن وعيسى عصيهم بضم العين حيث
كان وهو الأصل لأن الكسر إتباع لحركة الصاد وحركة الصاد لأجل الياء وفي كتاب
اللوامح الحسن وعصيهم بضم العين وإسكان الصاد وتخفيف الياء مع الرفع فهو
أيضا جمع كالعامة لكنه على فعل وقرأ الزهري والحسن وعيسى وأبو حيوة
وقتادة والجحدري وروح والوليد وابن ذكوان تخيل بالتاء مبنيا للمفعول
وفيه ضمير الحبال والعصي وأنها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير وقرأ أبو السمال
تخيل بفتح التاء أي تتخيل وفيها أيضا ضمير ما ذكر وأنها تسعى بدل اشتمال أيضا
من ذلك الضمير لكنه فاعل من جهة المعنى وقال ابن عطية إنها مفعول من
أجله وقال أبو القاسم بن جبارة الهذلي الأندلسي في كتاب الكامل من تأليفه
عن أبي السمال أنه قرأ تخيل بالتاء من فوق المضمومة وكسر الياء والضمير فيه
فاعل وأنها تسعى في موضع نصب على المفعول به ونسب ابن عطية هذه القراءة
إلى الحسن والثقفي يعني عيسى ومن بنى تخيل للمفعول فالمخيل لهم ذلك هو
الله للمحنة والابتلاء وروى الحسن بن يمن عن أبي حيوة نخيل بالنون وكسر
الياء فالمخيل لهم ذلك هو الله هو الله والضمير في إليه الظاهر أنه يعود على موسى
لقوله قبل بل ألقوا ولقوله بعد فأوجس في نفسه خيفة موسى وقيل يعود على

من عزك والظاهر من القصص ان الحبال والعصي كانت تتحرك وتنتقل الانتقال الذي يشبه
انتقال من قامت به الحيوة ولذلك ذكر السعي وهو وصف من يمشي من الحيوان روي
انهم جعلوا في الحبال والعصي زيبقا والقوها في الشمس فاصاب الزيبق حرارة الشمس
فتحرك فتحركت العصي والحبال معه وقيل حفروا الارض وجعلوا تحتها نارا وكانت
العصي والحبال مملوة بزيبق فلما اصابها حرارة الارض تحركت وكان هذا من باب
الدك وقيل انها لم تتحرك وكان ذلك من سحر العيون وقد صرح تعالى بهذا
فقال سحروا اعين الناس فكان الناظر يخيل اليه انها تنتقل وتتقدم وتسرع
وقال الزمخشري كان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وهو قول الحسن وقيل كان خوفه على الناس ان يفتتنوا لهول ما راى قبل
ان يلقي عصاه وهو قول مقاتل والايجاس هو من الهاجس الذي يخطر بالبال
وليس بمتمكن وخيفة اصله خوفة قلبت الواو يا لكسرة ما قبلها وقال
ابن عطية يحتمل ان يكون خوفة بفتح الخا قلبت الواو يا ثم كسرت الخا للتناسب
انك انت الاعلى تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التوكيد
وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبالاعلوية الدالة على التفضيل والق ما في
يمينك لم يات التركيب والق عصاك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة
قال الزمخشري وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جايز ان يكون تصغيرا لها
اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في
يمينك فانه بقدرة الله تتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها
وجايز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في
يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شي وانزره عندها فالقه
تتلقفها باذن الله وتمحقها انتهى وهو تكثير وخطابة لا طائل في ذلك وفي
قوله تلقف حمل على معنى ما لا على لفظها اذ جعلت ما على العصا والعصا
مونثة ولو حمل على اللفظ لكان بالياء وقرا الجمهور تلقف بفتح اللام وتشد
القاف مجزوما على جواب الامر وقرا ابن عامر كذلك وبرفع الفاء على الاستيناف او
على الحال من الملقى وقرا ابو جعفر وحفص وعصمة عن عاصم تلقف باسكان اللام
والفاء وتخفيف القاف وعن قنبل انه كان يشدد من تلقف يريد تتلقف وقرا الجمهور
كيد بالرفع على ان ما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف ويحتمل ان تكون ما مصدرية
اي ان صنعتم كيد ومعنى صنعوا اختلقوا وزوروا وافتعلوا كقوله تلقف ما يافكون
وقرا مجاهد وطلحة وزيد بن علي كيد سحر بالنصب مفعول لا صنعوا وما مهيئة وقرا ابو
بحرية والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وخلف في اختياره وابن عيسى الاصبهاني وابن
جبير الانطاكي وابن جرير وحمزة والكسائي سحر بكسر السين واسكان الحا بمعنى
ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه او بذاته
او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه
وعلم نحو وقرا الجمهور ساحر اسم فاعل من سحر وافرد ساحر من حيث ان
فعل الجميع نوع واحد من السحر وذلك ان الحبال والعصي كانه صدر من
ساحر واحد لعدم اختلاف انواعه وقال الزمخشري لان القصد في هذا
الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو
العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر لانه عاد على ساحر النكرة قبله
لقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وقال الزمخشري

انا

انما نكر يعني اولا من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج ١٠
في سعي دنيا طال ما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر
آخرة المراد تنكير الامر كانه قال انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنياوي وامر دنياوي
واخروي انتهى وقال الحجاج في سعي دنيا يعول على العربية اذ دنيا تانيث الادنى
ولا تستعمل تانيثه الا بالالف واللام او بالاضافة واما قول عمر فيحتمل ان يكون
من تحريف الرواة ومعنى ولا يفلح لا يظفر ببغيته حيث اتى اي حيث توجه
وسلك وقالت فرقة معناه ان الساحر يقتل حيث ثقف وهذا جار من عدم الفلاح
وقرات فرقة اين اتى وبعد هذا جمل محذوفة والتقدير فزال ايجاس الخيفة
والقى ما في يمينه وتلقفت حبالهم وعصيهم ثم انقلبت عصا وفقدوا الحبال
والعصي وعلموا ان ذلك معجز ليس من طوق البشر فالقى السحرة سجدا وجا التركيب
فالقي السحرة ولم يات فسجدوا كانه جاءهم امر وازعجهم واخذهم فصنع بهم ذلك
وهو عبارة عن سرعة ما تاثروا لذلك الخارق العظيم فلم يتمالكوا ان وقعوا
ساجدين وقدم موسى في الاعراف واخر هرون لاجل الفواصل ولكون موسى هو
المنسوب اليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الاعجاز واخر موسى لاجل الفواصل
ايضا كقوله لكان لزاما واجل مسمى وازواجا من نبات شتى اذ كان شتى صفة
لقوله ازواجا ولا فرق بين قام زيد وعمرو وقام عمرو وزيد اذ الواو لا تقتضي
ترتيبا على انه يحتمل ان يكون القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم
رب موسى وهارون وطائفة بقولهم رب هرون وموسى ولما اشتركوا
في المعنى صحت نسبة كل من القولين الى الجميع وقيل قدم هرون هنا لانه كان
اكبر سنا من موسى وقيل لان فرعون كان ربى موسى فبدا بهارون لئلا
يموه به فرعون انه ربى موسى فيقولوا انا ربيناه لو رب هارون وموسى
ولم يكتفوا بقولهم برب العالمين للنص على انهم آمنوا برب هذين وكان فيما
قبل يزعم انه رب العالمين وتقدم الخلاف في قراءة آمنتم وفي لاقطعن ولاصلبن
في الاعراف وتفسير نظير هذه الاية فيها وقال هناك آمنتم به وهنا له وآمن
يوصل بالبا اذا كان بالله وباللام لغيره في الاكثر نحو فما آمن لموسى لن نؤمن لك
وما انت بمؤمن لنا فآمن له لوط واحتمل في به ان يعود على موسى وان يعود
على الرب واراد بالتقطيع والتصليب في جذوع النخل تشنيعهم ولما كان الجذع
مقر المصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدي الفعل بفي التي
للوعاء وقيل في بمعنى على وقيل نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفا لهم
حقيقة حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا ومن تعديته لصلب بفي قول الشاعر
وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان الا باجدعا
وفرعون اول من صلب واقسم فرعون على ذلك وهو فعل نفسه وفعل
غيره وهو ولتعلمن اينا اي اينا واراد من امنتم به وقيل اينا اي موسى
وقال ذلك على سبيل الاستهزاء لان موسى لم يكن من اهل التعذيب والى هذا
القول ذهب الزمخشري قال بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب
الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره
وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى

عليه السلام واستخفاف مع الهزء به انتهى وهو قول الطبري قال يريد بنفسه وموسى
عليه السلام والقول الاول اذ هو مع خرقه فرعون ولتعلمن هنا معلقة واينا اشد
جملة استفهامية من مبتدا وخبر في موضع نصب لقوله ولتعلمن سدت مسد المفعولين
او في موضع مفعول واحد ان كان لتعلمن تعدى تعدية عرف ويجوز على هذا
الوجه ان يكون اينا مفعولا لتعلمن ومعنى وهو مبني على راي سيبويه واشد
خبر مبتدا محذوف وايا موصولة والجملة بعدها صلة والتقدير ولتعلمن من هو
اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك اي لن نختار اتباعك وكوننا من حزبك
وسالمين من عذابك على ما جاءنا من البينات وهي المعجزة التي اتيت وعلمنا
صحتها وفي قولهم هذا توهين له واستصغار لما هددهم به وعدم اكتراث
بقوله وفي نسبة المجي اليهم وان كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم لانهم
كانوا اعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا ان ما جاء به موسى ليس بسحر فكانوا
على جلية من العلم بالمعجز وغيرهم يقلدهم في ذلك وايضا فكانوا هم الذين
حصل لهم النفع بها فكانت بينات واضحة في حقهم والواو في والذي
فطرنا واو عطف على ما جاءنا اي وعلى الذي فطرنا لما لاحت لهم حجة الله
في المعجز بدءوا بها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة وهو الله
تعالى وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم الذي فطرنا تبيينا لعجز فرعون
وتكذيبه في ادعاء ربوبيته والهيته وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلا
عن اختراعها وقيل الواو للقسم وجوابه محذوف ولا يكون لن نؤثرك جوابا
جواب الا نزلا لايجاب في النفي بلن الا في شاذ من الشعر وما موصولة بمعنى
الذي وصلته انت قاض والعائد محذوف اي ما انت قاضيه قيل ولا يجوز
ان تكون ما مصدرية لان المصدرية توصل بالافعال وهذه موصولة بابتدا
وخبر انتهى وهذا ليس مجمعا عليه بل قد ذهب اصحاب من النحاة الى ان ما
المصدرية توصل بالجملة الاسمية وانتصب هذه الحيوة على الظرف وما مهيئة
ويحتمل ان يكون مصدريا اي ان قضاءك كائن في هذه الحياة الدنيا لا في
الاخرة بل في الاخرة لنا النعيم ولك العذاب وقرا الجمهور تقضى مبنيا
للفاعل خطابا لفرعون وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة تقضى مبنيا للمفعول
هذه الحياة بالرفع اتسع في الظرف فاجري مجرى المفعول به ثم بني الفعل
كذلك ورفع به كما تقول صيم يوم الجمعة وولد ستون عاما ولم يصرح في
القران بانه انفذ فيهم وعيده ولا انه قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم بل
الظاهر انه تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقيل انفذ فيهم وعيده وصلبهم في الجذوع واكرهه اياهم على السحر قيل حملهم
على معارضة موسى وقيل كان ياخذ ولدان الناس ويجبرهم على ذلك فاشار
السحر الى ذلك قاله الحسن والله خير وابقى رد على قوله اينا اشد عذابا
وابقى اي وثواب الله وما اعده لمن امن به روي انهم قالوا لفرعون
ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر
اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وظاهر من قولهم ائن لنا لاجرا
عدم الاكراه انه من يات ربه الايه من تتمة قيل حكاية قولهم عظة لفرعون وقيل

خبر

خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية تنبيها على قدح ما قال فرعون ومعنى لا يحفل المجرم مونته
فيستريح والمجرم هنا الكافر لذكر مقابله ومن يأته مؤمنا وقوله لا يموت فيها ولا يحيى انه
يعذب عذابا ينتهي به الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه ثم
لا يحيى حياة طيبة بخلاف المومن الذي يدخل النار فانهم يموتون الموت ولا يجهز
عليهم فهو موقوف ما بين الحياة والهلاك وفي الحديث انهم يموتون اماتة وهذا
هو معناه لانه لا يموت في الامة حتى يطهر من دنس الكفر وقيل قال لا الا الامة

قوله عز وجل

ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف
دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل
فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم
جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى هذا استيناف اخبار عن شيء من
موسى عليه السلام وبينه وبين مقال السحرة المتقدم مدة من الزمان حدث
فيها لموسى ولفرعون حوادث وذلك ان فرعون لما انقضى امر السحرة وغلب موسى
وقوي امره وعده فرعون ان يرسل معه بني اسرائيل فاقام موسى على وعده
حتى غدره فرعون ونكث وعاهده انه لا يرسلهم معه فبعث الله حينئذ الايات
المذكورة في غير هذه الاية الجراد والقمل الى اخرها كلما جاءت اية وعد
فرعون ان يرسل بني اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى
تمت اخرى فلما كملت الايات اوحى الله الى موسى عليه السلام ان يخرج بني
اسرائيل في الليل ساريا والسرى سير الليل ويحتمل ان تكون مفسرة وان
تكون الناصبة للمضارع وفيما ذكر اضافة فتح ترتيب لقوله وبحثت فيه
من روحي والظاهر ان الايحاء اليه بذلك وهما كان فضرب البحر كان متقدما
على مصر على وقت اتباع فرعون موسى بجنوده وقيل كان في
الوحي بالضرب حين قارب فرعون لحاقه وقوي فزع بني اسرائيل وروي
ان موسى عليه السلام نهض ببني اسرائيل وهم ستمائة الف انسان فسار بهم
من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر بفرعون فجمع جنوده وحشرهم
ونهض وراه فاوحى الله الى موسى ان يقصد البحر فجزع بنو اسرائيل وراوا
ان العدو من ورائهم والبحر من امامهم وموسى يثق بصنع الله فلما
رءاهم فرعون قد نهضوا نحو البحر طمع فيهم وكان مقصدهم الى موضع
ينقطع فيه الحوض والطرق الواسعة وكان في خيل فرعون سبعون الف
ادهم ونسبة ذلك من سائر الالوان وقيل اكثر من هذا فضرب موسى
عليه السلام البحر فانفلق اثنتي عشرة فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الما
واقفة ويدل عليه فكان كل فرق كالطود العظيم وقيل بل هو طريق
واحد لقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا انتهى وقد يراد بقوله طريقا
الجنس بدل ضرب موسى عليه السلام بعد ان بعث الله ريح الصبا فجففت
تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرائيل ووصل فرعون الى المدخل وجنود

اسرائيل كلهم في البحر ونزاي الما على تلك الحال عجز فرعون وقومه واستعظموا الامر فقال لهم انما
انفلق من هيبتي وتقدم فرعون وقومه في سورة يونس والظاهر ان لفظة اضرب
هنا على حقيقتها من ضرب العصا البحر فيتوقف على ضرب العصا ويوضحه في آية اخرى
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فالمعنى الا اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير
طريقا فتعدى الى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب
جعل كانه المضروب وقال الزمخشري فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم
ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله انتهى وفي الحديث اضربوا لي معكم بسهم
وبما لم يذكر المضروب حقيقة وهو البحر قال في البحر ولو كان ضرب بالمضروب
حقيقة لكان لم يجعل طريقا مفعولا فيكون يعود الضمير على البحر المضروب ويبسا
مصدر وصف به الطريق وصفه بما آل اليه اذ كانت حالة الضرب لم تتصف باليبس
بل مرت عليه الصبا فجففته كما روي وقيل يبيسا ويبسا كالعدم والعدم ومن كونه
مصدرا وصف به المؤنث قالوا شاة يبسا وناقة يبسا اذا جف لبنها وقرا
الحسن يبسا بسكون البا قال صاحب اللوامح قد يكون مصدرا كالعاسة وقد يكون
بالاسكان المصدر وبالفتح اسم كالنفض قال الزمخشري لا يخلو اليبس من ان
يكون مخففا من اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به
الواحد تاكيدا لقوله ومنا جيا جعله لفرط جوعه جماعة جياع انتهى وقرا
ابو حيوة يابسا اسم فاعل وقرا الجمهور لا تخاف وهو جملة في موضع الحال
من ضمير فاضرب وقيل في موضع الصفة للطريق وحذف العائد اي لا تخاف
فيه وقرا الاعمش وحمزة وابن ابي ليلى لا تخف بالجزم على جواب الامر او
على نهي مستانف قاله الزجاج وقرا ابو حيوة وطلحة والاعمش دركا بسكون
الرا والجمهور بفتحها والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون
وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى انت ولا قومك غرقا وعطفه على قراءة الجمهور
لا تخاف ظاهر واما على قراءة الجزم فخرج على ان الالف جي بها لاجل الفواصل اي
فاصله نحو قوله فاضلونا السبيلا وعلى انه اخبار مستانف اي وانت لا تخشى
وعلى انه مجزوم بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال الم ياتيك وهي لغة قليلة
وقال الشاعر اذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق ۵ وقرا الجمهور فاتبعهم
بسكون التا واتبع قد يكون بمعنى تبع فيتعدى الى واحد كقوله فاتبعه
الشيطان وقد يتعدى الى اثنين كقوله واتبعناهم ذرياتهم فتكون البا زايدة
اي جنوده او تكون للحال والمفعول الثاني محذوف اي رؤساهم وحشمه
وقرا ابو عمرو وفي رواية والحسن فاتبعهم بتشديد التا وكذا عن الحسن
في جميع ما في القرآن الا فاتبعه شهاب ثاقب والبا في بجنوده في موضع الحال
كما تقول خرج زيد بسلاحه او البا للتعدي لمفعول ثان بحرف جر اذ لا يتعدى
اتبع بنفسه الا الى مفعول واحد وقرا الجمهور فغشيهم من اليم ما غشيهم
على وزن فعل مجرد من الزيادة **وقرات فرقة** منهم الاعمش فغشاهم
من اليم ما غشاهم بتضعيف العين فالفاعل في القراءة الاولى ما وفي
الثانية الفاعل الله اي فغشاهم الله قال الزمخشري او فرعون لانه الذي
ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقال ما غشيهم من باب الاختصار ومن

جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لم يعلم كنهه الا الله وقال ابن
عطية ما غشيهم ابهام ابهام اهول من النص على قدر ما وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى
والظاهر ان الضمير في غشيهم في الموضعين عايد على فرعون وقومه وقيل الاول على
فرعون وقومه والثاني على موسى وقومه وفي الكلام حذف على هذا
القول اي هنا تقديره فنجى موسى وغرق فرعون وقومه قاله الزجاج وقرا
وجنوده عطفا على فرعون واضل فرعون وقومه واضل فرعون قومه اي من
اولا الى هذه النهاية ويعني بالضلال في الدين وقيل اضلهم في البحر لانهم غرقوا فيه
واحتج به القاضي على مذهبه فقال لو كان الضلال من خلق الله لما جاز ان
يقال واضل فرعون بل وجب ان يقال الله اضلهم لان الله تعالى ذمه بذلك
فكيف يكون خالقا للكفر لان من ذم غيره بفعل شي لا بد ان يكون المذموم
فاعلا لذلك الفعل والا استحق الذام الذم انتهى وهو على طريق الاعتزال وما هدى
اي ما هداهم الى الدين او ما نجى من الغرق وما اهتدى في نفسه فان هدى
قد ياتي بمعنى اهتدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ذكرهم تعالى بانواع
نعمه وبدا بازالة ما كانوا فيه من الضرر من الاذلال والخراج والذبح وقدم اكثر
ان تكون مقدمة على المنفعة الدنيا وبه لان ازالة الضرر اعظم في النعمة من
ايصال تلك المنفعة ثم اعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدناكم
جانب الطور الايمن اذ انزل على نبيهم موسى كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم
ثم بذكر المنفعة الدنياوية وهو قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى والظاهر
ان الخطاب لمن نجا مع موسى بعد اغراق فرعون وقيل لمعاصري الرسول اعتراضا
في اثنا قصة موسى توبيخا لهم اذ لم يصبه سلفهم على اذا اشكر نعم الله او على
حذف مضاف اي انجينا اباكم من تعذيب ال فرعون وخاطب الجميع بوعدناكم
وان كان الموعودون هم السبعين الذين اختارهم موسى لسماع كلام الله لان
سماع اولئك السبعين للتوراة منفعة على جميعهم اذ نطقت قلوبهم وسكنت وتقدم
الكلام في جانب الطور الايمن في سورة مريم وعلى وانزلنا عليكم المن والسلوى
في سورة البقرة وقرا حمزة والكسائي والاعمش وطلحة قد انجيتكم وواعدتكم
ما رزقتكم بتا الضمير وباقي السبعة بنون العظمة وحميد نجيناكم بتشديد الجيم
من غير الف قبلها وبنون العظمة وتقدم خلاف ابي عمرو وفي واعدنا في البقرة
والطيبات هنا الحلال اللذيذ لانه جمع الوصفين وقرى الايمن قال الزمخشري
الجر على الجوار نحو جحر ضب خرب انتهى وهذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي
ان لا تخرج القراءة عليه والصحيح انه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه
على يمين من يستقبل الجبل ولا تطغوا فيه طغيانكم فيما رزقتكم وهو ان يتعدوا
حدود الله فيه بان يكفروها ويشغلهم اللهو والنعم عن القيام بشكرها وان
ينفقوها في المعاصي ويمنعوا الحقوق الواجبة عليهم فيها وقرا زيد بن علي
ولا تطغوا فيه بضم الغين وعن ابن عباس ولا تظلموا فيه لا يظلم بعضكم بعضا
فياخذه من صاحبه بغير حق وعن الضحاك ومقاتل لا تجاوزوا او الاباحة
وعن الكلبي لا تكفروا النعمة اي لا تستغنوا بنعمتي على كفرانها فيحق **وقرا** الجمهور
فيحل بكسر الحا ومن يحلل بكسر اللام اي فيجب ويحق وقرا الكسائي بضم الحا

ولا يحلل اي ينزل وهي قراة قتادة وابي حيوة والاعمش وطلحة ووافق ابن عتبة في يحلل
فضم وفي لا تفتنا لا يحل الا هوازي ما نصه بن خوان عن طلحة لا يحلن عليكم غضبي بلام
ونون شديدة وفتح اللام وكسر الحا لا تتعرضوا للطغيان فيه فيحل عليكم غضبي من
باب لا ارينك هنا وفي كتاب اللوامح قتادة وعبد الله بن مسلم بن يسار وابن وثاب
والاعمش فيحل بضم الحا وكسر الحا من الاحلال فهو متعد من حل بنفسه والفاعل به
مقدر نزل ترك النهي وتقدير فيحل به طغيانكم عليكم غضبي ودل على ذلك
ولا تطغوا فيه فصار غضبي في موضع نصب مفعول به وقد يجوز اسناد الفعل الى غضبي
فيصير في موضع رفع بفعله وقد حذف منه المفعول لدلالة عليه وهو العذاب
او نحوه انتهى فقد هوي كناية عن الهلاك واصله ان يسقط من جبل فيهلك
يقال هوي الرجل اي سقط وشبه الذي يقع في ورطة بعد ان كان بنجوة
منها بانه قد هوي وقيل فقد هوي في جهنم وفي سخط الله وغضب الله عقوبة بانه والذي
ومنه بالهوي ولما حذر تعالى من الطغيان فيما رزق وحذر من حلول غضبه
فتح باب الرجا للتائبين واتى بصفة المبالغة وهي قوله واني لغفار لمن تاب
قال ابن عباس من الشرك وامن اي وحد الله وعمل صالحا اي ادى الفرايض ثم
اهتدى لزم الهداية وادامها الى الموافاة على الاسلام وقيل معناه لم يشك في
ايمانه وقيل ثم استقام قال ابن عطية والذي يقوي في معنى ثم اهتدى ان يكون
ثم حفظ معتقداته من ان يخالف الحق في شي من الاشيا فان الاهتدا على
هذا الوجه غير الايمان وغير العمل وقال الزمخشري الاهتدا والاستقامة والثبات
على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي على تباين المنزلتين دلالة على تباين الوقتين
في جاني زيد ثم عمرو واعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه
لانها اعلا منها وافضل قوله وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء
على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم
يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب
من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا
اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم
عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا
يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا لما نهض موسى عليه السلام ببني
اسرايل الى جانب الطور الايمن حيث كان الوعد ان يكلم الله موسى بما فيه شرف
العاجل والاجل وراى على وجه الاجتهاد ان يتقدم وحده مبادرا الى امر الله
وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف هارون على بني اسرايل
وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فلما انتهى موسى عليه السلام
وناجا ربه زاده في الاجل عشرا وحينيذ وقفه على استعجاله دون القوم
ليخبره موسى انهم على الاثر فيقع الاعلام له بما صنعوا وما استفهام اي اي
شي عجل بك عنهم قال الزمخشري وكان قد مضى مع النقبا الى الطور
على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بنا على

اجتهاده

اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى
دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقبا انتهى والظاهر ان
قوله عن قومك يريد به جميع بني اسرايل كما قد بينا قبل لا السبعين وقال الزمخشري
وليس يقول من هو ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وصحيح
ما يا باه قوله هم اولاء على اثري انتهى وما اعجلك سوال عن سبب العجلة واجاب
بقوله هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لانه قوله وما اعجلك يتضمن
تاخرهم عنه فاجاب مشيرا اليهم لقربهم منه انهم على اثره جايين للموعد وذلك على
ما كان عهد اليهم ان يجيوا للموعد ثم ذكر السبب الذي حمله على العجلة وهو
ما تضمنه قوله وعجلت اليك رب لترضى من طلبه رضى الله تعالى في السبق الى
ما وعده ربه ومعنى اليك الى مكان وعدك ولترضى اي ليدوم رضاك
ويستمر لانه تعالى كان عنه راضيا وقال الزمخشري فان قلت ما اعجلك
سوال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة
رضاك والشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى
غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيين احدهما انكار العجلة
في نفسها والثاني السوال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى
بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله
لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة
يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السوال عن السبب فقال وعجلت
اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله
ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام انتهى وفيه سوء ادب على الانبيا
عليهم السلام وقرا الحسن وابن معاذ عن ابيه اولاي بكسر الهمزة وابن وثاب وعيسى
في رواية اولا بالقصر وفرقة اولاي بيا مفتوحة وقرا عيسى ويعقوب
وعبد الوارث عن ابي عمرو وزيد بن علي اثري بكسر الهمزة وسكون الثا وحكى
الكسائي اثري بضم الهمزة وسكون الثا وتروى عن عيسى وقرا الجمهور
اولاء بالمد والهمز على اثري بفتح الهمزة والثا وعلى اثري يحتمل ان يكون خبرا
بعد خبر او في موضع نصب على الحال قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري اي اختبرناهم بما فعل السامري او القيناهم في فتنة
اي ميل مع الشهوات ووقوع في اختلاف من بعدك اي من بعد فراقك لهم
وقال الزمخشري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا
ستماية الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم
اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله
تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك من بعدك قلت قد اخبر الله
تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكاينة على عادته او افترض السامري
غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة
موجودا انتهى وقرا الجمهور واضلهم فعلا ماضيا وقرا ابو معاذ وفرقة
واضلهم برفع اللام مبتدا والسامري خبره وكان اشرهم ضلالا لانه ضال

في نفسه مضل غيره وفي القراءة الشهيرة اسند الضلال الى السامري لانه كان السبب في ضلالهم
واسند الفتنة اليه تعالى لانه هو الذي خلقها في قلوبهم والسامري قيل اسمه موسى
ابن ظفر وقيل منجا وهو ابن خالة موسى او ابن عمه او عظيم من بني اسرائيل من قبيلة تعرف
بالسامرة او علج من كرمان او من باجرما او من اليهود او من القبط امن بموسى وخرج
معه وكان جارا له وممن عباد البقر ووقع في مصر فدخل في بني اسرائيل بظاهره وفي قلبه
عبادة البقر اقوال وتقدم في الاعراف كيفية اتخاذ العجل وقيل ذكر في البقرة
فاغنى عن اعادته هنا فرجع موسى الى قومه وذلك بعد ما استوفى الاربعين
وانتصب غضبان اسفا على الحال والاسف اشد الغضب وقيل الحزن وغضبه من
حيث هو قادر على تغيير منكرهم واسفه وهو حزنه من حيث علم انه موضع عقوبة
لا يدله بدفعها ولا بد منها قال ابن عطية والاسف في كلام العرب متى كان من ذي
قدرة على من دونه فهو غضب ومتى كان من الاقل على الاقوى فهو حزن وتامل
ذلك فهو مطرد ثم اخذ موسى عليه السلام يوبخهم على اضلالهم والوعد الحسن ما وعدهم
من الوصول الى جانب الطور الايمن وما بعد ذلك من الفتوح في الارض والمغفرة
لمن تاب وامن وغير ذلك مما وعد الله اهل طاعته وقال الزمخشري وعدهم الله
بعد ما استوفى الاربعين ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد
احسن من ذلك واجمل وقال الحسن الوعد الحسن الجنة وقيل ان يسمعهم كلامه
والعهد الزمان يريد مفارقته لهم يقال طال عهدي بكذا اي طال زماني بسبب
مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده
بعبادتهم العجل انتهى وانتصب وعدا على المصدر والمفعول الثاني ليعدكم محذوف
او اطلق الوعد ويراد به الموعود فيكون هو المفعول الثاني وفي قوله افطال الى
اخره توقيف على اعذارهم لم تكن ولا تنفع لهم وهو طول العهد حتى يتبين لهم خلف
في الوعد وارادة حلول غضب الله وذلك كله لم يكن ولكنهم عملوا عمل من لم يتدبر
وسمى العذاب غضبا من حيث هو ناشئ عن الغضب فان جعل بمعنى الارادة فصفة
ذات او عن ظهور النقمة والعذاب فصفة فعل وموعدي مصدر يحتمل ان يضاف
الى الفاعل اي اوجدتم موعدي اخلفت ما وعدتكم من قول العرب فلان اخلف وعد
فلان اذا وجده وقع فيه الخلف قاله المفضل وان يضاف الى المفعول وكانوا وعدوه
ان يتمسكوا بدين الله وسنة موسى عليه السلام ولا يخالفوا امر الله ابدا فاخلفوا
موعده بعبادتهم العجل وقرا الاخوان والحسن والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى
وقعنب بملكنا بضم الميم وقرا زيد بن علي ونافع وعاصم وابو جعفر وشيبة
وابن سعدان بفتحها وباقي السبعة بكسرها وقرا عمر رضي الله عنه بملكنا بفتح
الميم واللام وحقيقته بسلطاننا فالملك والملك بمنزلة النقض والنقض والظاهر
انها لغات والمعنى واحد وفرق ابو علي وغيره بين معانيها فمعنى الضم انه لم يكن
لنا ملك نخلف موعدك بسلطانه وانما اخلفناه بنظر ادى اليه ما فعل
السامري فليس المعنى ان لهم ملكا وانما هذا كقول ذي الرمة

لا تشتكي سقطة منها وقد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حدب

اي لا يكون منها سقطة فتشتكي وفتح الميم مصدر من ملك والمعنى
ما فعلنا ذلك بانا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا انفسنا وكسر الميم

كثر

كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التي
قبلها والمصدر في هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر اي بملكنا الصواب
وقال الزمخشري اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا
لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده وقرا الاخوان وابو عمرو وابن
محيصن بفتح الحاء والميم وابو رجاء بضم الحاء وكسر الميم وقرا باقي السبعة وابو
جعفر وشيبة وحميد ويعقوب بضم وكسر كذلك الا انهم شددوا الميم والاوزار
الاثقال اطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزين اوزارا لثقلها
او لسبب انهم اثموا في ذلك فسميت اوزارا لما حصل لهم من الاوزار التي هي الاثام بسببها
والقوم هنا القبط وقيل استعيروا الاستعارة معنى وقيل امر الله موسى بذلك
وقيل هو ما القاه البحر مما كان على الذين غرقوا وقيل الاوزار هنا الاثام من
جهة انهم لم يردوها الى اصحابها ومعنى انهم حملوا الاوزار وقذفوها على
ظهورهم مجازا وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل معنى فقذفناها
اي الحلي على انفسنا واولادنا وقيل فقذفناها في النار اي ذلك الحلي كان
اشار عليهم بذلك السامري فحفروا حفرة وسجروا فيها النار وقذف كل من
معه شيئا ما عنده من ذلك في النار وقذف السامري ما معه ومعنى فكذلك
اي مثل قذفنا اياها القى السامري ما كان معه وظاهر هذه الالفاظ ان العجل
لم يصنعه السامري وقال الزمخشري فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي
حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس
جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم
السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كخور
العجاجيل والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم
بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا
الهكم واله موسى فنسي وقيل معنى جسدا شخصا وقيل لا يتغذى وتقدم الكلام
على قوله له خوار في الاعراف والضمير في فقالوا لبني اسرائيل اي ضلوا حين قال
كبراؤهم لصغارهم هذا اشارة الى العجل وقيل الضمير في فقالوا عائد على
السامري اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لجرمه وقيل عليه وعلى تابعيه وقرا
الاعمش فنسي بسكون الياء والظاهر ان الضمير في فنسي عائد على السامري
اي فنسي اسلامه وايمانه قاله ابن عباس او فترك ما كان عليه من الدين
قاله مكحول وهو كقول ابن عباس او فنسي ان العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا او فنسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء
ولا يحل فيه شيء وعلى هذه الاقوال يكون فنسي من اخبار الله عن السامري
وقيل الضمير عائد على موسى عليه السلام اي فنسي موسى ان يذكر لكم ان هذا
الهكم او فنسي الطريق الى ربه وهذان القولان عن ابن عباس او فنسي
موسى الهه عندكم وخالفه في طريق اخر قاله قتادة وعلى هذه الاقوال
يكون من كلام السامري ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بان الالوهية
لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا كقول ابراهيم لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا

المفردات

يبصروا الرؤيا هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها ان المخففة من الثقيلة كما انه لم يروا انه
لا يكلمهم بان الثقيلة ويرفع يرجع قرأ الجمهور وقرأ ابو حيوة الا يرجع بنصب العين
قاله ابن خالويه وفي الكامل وواقفه على ذلك وعلى النصب ولا يملك الزعفراني وابن
صبيح وابان الشافعي محمد بن ادريس الامام الطيبي جعلوها ان الناصبة للمضارع وكون
الرؤية من الابصار اللحية معروفة وتجمع على لحى بكسر اللام وضمها نسف بنسف
بكسر السين المضارع وضمها تسافرق وذرا وقال ابن الاعرابي قلع من الاصل الرزنة
لون معروف يقال زرقت عينه وازرقت وازراقت القاع قال ابن الاعرابي الارض
الملساء لا نبات فيها ولا بناء وقال الجوهري المستوي من الارض ومنه قول ضرار بن
الخطاب لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في اكف الاماء
والجمع اقوع واقواع وقيعان وحكى مكي ان القاع في اللغة المكان المنكشف وقال
بعض اهل اللغة القاع مستنقع الماء الصفصف المستوي الاملس وقيل الذي
لا نبات فيه وهو مضاعف كالسبسب الامت التل والعوج التعوج في الفجاج
قاله ابن الاعرابي الهمس الصوت الخفي قاله ابو عبيدة وقيل وطء الاقدام قال
الشاعر وهن يمشين بنا هميسا ويقال للاسد الهموس الخفاء وطئه ويقال
همس الطعام مضغه عنا يعنو ذل وخضع واعناه غيره اذله وقال امية بن
ابي الصلت مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد
الهضم النقص تقول العرب هضمت لك حقي اي حططت منه ومنه هضيم
الكشحين اي ضامرهما وفي الصحاح رجل هضيم ومتهضم مظلوم وتهضمه واهتضمه
ظلمه وقال المتوكل الليثي ان الاذلة واللئام لمعشر مولاهم المتهضم المظلوم
عري يعري لم يكن على جلده شيء يقيه قال الشاعر وان يعرين ان كسي الجواري
فتنبو العين عن كرم عجاف ضحى يضحى برز للشمس قال عمر بن ابي ربيعة
رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر الضنك
الضيق والشدة منكعيشة ضنكا ضناكة وضنكا وامرأة ضناك كثيرة اللحم صار جلدها
به زهرة نبتح الماء وشكوه بها نحو نور وزهر ما يروق من النور وسراج زاهر له بريق
والانجم الزهر المضيئة وازهر الجريد ازهر وهو النور ولقد قال لهم هارون
من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري
قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك
اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي
ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي
قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك
في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اشفق هارون على نفسه وعليهم
وبذل لهم النصيحة وبين ان ما ذهبوا اليه من امر العجل انما هو فتنة اذ كان
مامورا من عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن اخيه موسى عليه السلام
اخلفني في قومي الاية ولا يمكنه ان يخالف امر الله وامر اخيه وروي ان الله اوحى

الى يوشع

الى يوشع اني مهلك من قومك اربعين الفا فقال يا رب فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا
لغضبي والضمان اليه المقطوع عنه من قبل قدره الزمخشري من قبل ان يقول لهم السامري
ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه
قبل ان ينطق السامري بادرهم هارون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
وقال ابن عطيه اضرب وظن ان هارون قد كان قال لهم في اول حال العجل انما هي
فتنة وبلاء وتمويه من السامري وانا ربكم الرحمن الذي له القدرة والعلم والخلق
والاختراع فاتبعوني الى الطور الذي واعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امري فيما ذكرته
لكم انتهى والمنبر في به عائد على العجل زجرهم اولا هارون عن الباطل وازالة
الشبهة بقوله انما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة
تنبيها على انهم متى تابوا قبلهم وتذكيرا لخلاصهم من فرعون زمان لم يوجد
العجل ثم امرهم باتباعه تنبيها على انه نبي يجب ان يتبع ويطاع امره وقرأ الحسن وعيسى
وابو عمرو في رواية وان ربكم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها والمصدر المسبك منها في موضع
خبر مبتدا محذوف تقديره والامر ان ربكم الرحمن فهو من عطف جملة على جملة وقدره
ابو حاتم ولان ربكم الرحمن وقرأت فرقة انما وان ربكم بفتح الهمزتين وخرجه هذه
القراءة على لغة سليم حيث يفتحون ان بعد القول مطلقا ولما وعظهم هارون ونبههم
على ما فيه رشدهم اجابوا سبيل الغي قالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين
له وغيوا ذلك برجوع موسى وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم الى الاستدلال
واخذ بتقليدهم السامري ودلالته على ان لن لا تقتضي التابيد خلافا للزمخشري
اذ لو كان من موضوعها التابيد لما جازت التغييه بحتى لان التغييه لا تكون
الا حيث يكون الشيء محتملا ويزيل ذلك الاحتمال بالتغييه وقبل قوله قال يا هارون
كلام محذوف تقديره فرجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل قال يا هارون
وكان ظهور العجل في سادس وثلاثين يوما وعبدوه وجاءهم موسى بعد استكمال
الاربعين فعتب موسى على عدم اتباعه كما راهم قد ضلوا ولا زائدة كهي في قوله
ما منعك الا تسجد وقال علي بن عيسى قلت لا هنا لان المعنى ما دعاك الى ان
لا تتبعني ما حملك على ان لا تتبعني بمن معك من المؤمنين افعصيت امري يريد
قوله اخلفني الاية وقال الزمخشري ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة
الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم تباشر الامر كما كنت
اباشر انا لو كنت شاهدا او ما لكم لم تلحقني وفي ذلك تحميل اللفظ ما لا يحتمله وتكثير
ولما كان قوله متبعني لم يذكر متعلقه كان الظاهر ان لا تتبعني الى جبل الطور بمن معك من بني
اسرائيل فيجي اعتذار هارون بقوله اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
اذ كان لا يتبعه الا المؤمنون ويبقى عباد العجل عاكفين عليه كما قالوا لن نبرح عليه
عاكفين ويحتمل ان يكون المعنى تتبعني تسير بسيري في الاصلاح والتسديد فيجي
اعتذاره ان الامر تفاقم فلو تقويت عليه تقاتلوا واختلفوا فكان تفريق
بينهم وانما لا ينبت جهدي وقرأ عيسى بن سليمان الحجازي بلحيتي بفتح
اللام وهي لغة اهل الحجاز وكان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه
ولما راى قومه عبدوا عجلا من دون الله بعدما شاهدوا من الايات العظام
لم يتمالك ان اقبل على اخيه قابضا على شعر راسه وكان كثير الشعر وعلى شعر

وجهه تجرعه اليه فابدى عذره فانه لو قال لي معظمهم سيعفو لتنزعوا وتغابنوا اذا انتظرتك لتكون المدارك
لهم وخشيت بكسر على اطراح ما وصيتني به والعمل بموجبها وتقدم الكلام على ابن ام قراءة واعرابا
وغير ذلك **وقرا** ابو جعفر ولم ترقب بضم التاء وكسر القاف مضارع ارقب ولما اعتذر له اخوه رجع
الى مخاطبة الذي اوقعهم في الضلال وهو السامري وتقدم الكلام في الخطب في سورة يوسف
وقال ابن عطية ما خطبك كما تقول ما شأنك وما امرك لكن لفظ الخطب يقتضي انتهارا لان
الخطب مستعمل في المكاره فكأنه قال ما نحسك وما شؤمك وما هذا الخطب الذي جاء
من قبلك انتهى وهذا ليس كما ذكر الا ترى الى قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون وهو قول
ابراهيم لملائكة الله فليس هذا يقتضي انتهارا ولا شيئا مما ذكر وقال الزمخشري خطب
مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له انتهى
ومنه خطبة النكاح وهو طلبه وقيل هو مشتق من الخطاب كانه قال له ما حملك على ان
خاطبت بني اسرائيل بما خاطبت وفعلت معهم ما فعلت قال بصرت بما لم يبصروا به قال
ابو عبيدة علمت ما لم يعلموا وقال الزجاج بصر بالشيء اذا علمه وابصر اذا نظر وقيل بصر
به وابصره بمعنى واحد **وقرا** الاعمش وابو السمال بصرت بكسر الصاد بما لم تبصروا بفتح
الصاد **وقرا** عمرو بن عبيد بصرت بضم الباء وكسر الصاد بما لم تبصروا بضم التاء وفتح الصاد
مبنيا للمفعول فيهما **وقرا** الجمهور يبصروا بضم الصاد وحمزة والكسائي وابو بحرية والاعمش
وطلحة وابن ابي ليلى وابن مناذر وابن سعدان وقعنب تبصروا بالتاء على الخطاب لموسى وبني اسرائيل
وباقي السبعة يبصروا بالياء **وقرا** الجمهور فقبضت قبضة بالضاد المعجمة فيهما اي
اخذت بكفي مع الاصابع **وقرا** الحسن بخلاف عنه وقتادة ونصر بن عاصم بضم القاف
والصاد المهملة وادغم ابن محيصن الضاد المنقوطة في تاء المتكلم وابقى الاطباق مع تشديد
التاء وقال المفسرون الرسول هنا جبريل عليه السلام وتقديره من اثر فرس الرسول وكذا **قرا**
عبد الله والاثر التراب الذي تحت حافره فنبذتها اي القيتها على الحلي الذي تصوغوا منه
العجل فكان منها ما رايت وقال الاكثرون راى السامري جبريل يوم فلق البحر وعن علي
رآه ذهب بموسى الى الطور وجاءه جبريل فابصره دون الناس وقال الزمخشري **فان**
قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس **قلت** حين جاء ميعاد الذهاب
الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان
لهذا لشأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس
المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل انتهى وهو قول علي مع زيادة وقال
ابو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو
ان يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام واثره سنته ورسمه الذي امر به فقد يقول
الرجل فلان يقفو اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى لما اقبل
على السامري باللوم والمسألة عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في العجل قال بصرت
بما لم يبصروا به اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من
اثرك ايها الرسول اي شيئا من دينك فنبذتها اي طرحتها فعند ذلك اعلم موسى بما له
من العذاب في الدنيا والآخرة وانما اراد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه
وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا وبماذا يامر الامير وتسميته رسولا مع جحده وكفره
فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يؤمنوا
بالانزال قيل وما ذكره ابو مسلم اقرب الى التحقيق الا ان فيه مخالفة المفسرين قيل ويبعد

ما قالوه

ما قالوه ان جبريل ليس معهودا باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام في الرسول لسابق في الذكر
ولان ما قالوه لا بد فيه من اضمار اي من اثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولانه لا بد من اختصاص السامري
برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس فكيف يعقل ذلك وكيف عرف ان اثر حافر فرسه يحيي هذا الاثر التراب
من احياء الجماد به وكيف عرف جبريل يتردد الى نبي قد عرف نبوته وصحت عنده
فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر
يشبه هذا فلاجله اتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما اتوا به من الخوارق انتهى ما رجح به هذا
القائل قول ابي مسلم الاصبهاني وكذلك سولت لي نفسي اي كما حدث ووقع قربت لي نفسي وجعلته
لي سولا وارباً حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرائيل الا في حد او وحي فعاقبه
باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بني اسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته
وان لا يواكلوا ولا يناكحوا وجعل له ان يقول مدة حياته لا مساس اي لا مماسة ولا اذاية
وقال الزمخشري عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به
الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى
الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعن قتادة ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم انتهى
وكون الحمى تاخذ الماس والممسوس قول قتادة والامر بالذهاب حقيقة ودلت
الفاء التعقيبية اثر القول على انه وقع حرده وطرده بلا مهلة زمانية وعبر بالمماسة عن المخالطة لانها
ادنى اسباب المخالطة فنبه بالادنى على الاعلى والمعنى لا مخالطة بينك وبين
الناس فتنفر من الناس ولزم البرية وهجر البرية وبقي مع الوحوش الى ان استوحش
وصار اذا راى احدا يقول لا مساس اي لا تمسني ولا امسك وقيل ابتلي بعذاب قيل
له لا مساس بالوسواس وهو الذي عناه الشاعر بقوله فاصبح ذلك كالسامري
اذ قال موسى له لا مساسا **ومن قول رؤبة** حتى يقول الازد لا مساسا وقيل
اراد موسى قتاله فمنعه الله من قتله لانه كان سخيا قال بعض شيوخنا وقد وقع
مثل هذا في شرعنا في قصة الثلاثة الذين خلفوا امر الرسول عليه السلام ان لا يكلموا ولا
يخالطوا وان يعتزلوا نساءهم حتى تاب الله عليهم **وقرا** الجمهور لا مساس بفتح السين
والميم مكسورة وهو مصدر ماس كقتال من قاتل وهو منفي بلا التي لنفي الجنس
وهو نفي اريد به النهي اي لا تمسني ولا امسك **وقرا** الحسن وابو حيوة وابن
ابي عبلة وقعنب بفتح الميم وكسر السين فقال صاحب اللوامح فهو على صورة نزال
ونظار من اسماء الافعال بمعنى انزل وانظر فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة معارف
فلا تدخل عليها لا النافية التي تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل
فتقديره لا يكون منك مساس ولا اقول مساس ومعناه النهي اي لا تمسني انتهى
وظاهر هذا ان مساس اسم فعل وقال الزمخشري لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم
في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة
والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب وقال ابن عطية لا مساس هو معدول عن
المصدر كفجار ونحوه وشبهه ابو عبيدة وغيره بنزال ودراك ونحوه والشبه
صحيح من حيث هي معدولات وفارقه في ان هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار
عدلت عن المصدر ومن هذا **قول الشاعر** تميم كرهط السامري وقوله
الا لا يريد السامري مساس انتهى فكلام الزمخشري وابن عطية يدل على ان

ساموعد ولمن المصدر الذي هو المستقبل كما رعد ولا من النحو وان لك موعدا اي في
القيامة وقرا الجمهور لن تخلفه بالتاء المضمومة وفتح اللام على معنى لن يقع فيه خلف
بل ينجزه لك الله في الاخرة على الشرك والفساد بعدما عاقبك في الدنيا وقال الزمخشري
وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا ۞ فمضى واخلف من قتيلة موعدا

وقرا ابن كثير والاعمش وابو عمرو بضم التاء وكسر اللام اي لن تستطيع الروغان عنه
والحيدة فتزول عن موعد العذاب وقرا ابو نهيك لن نخلفه بفتح النون وضم
اللام هكذا بالتا منقوطة من فوق عن ابي نهيك في نقل ابن خالويه وفي اللوامح
ابو نهيك لن يخلفه بفتح الياء وضم اللام وهو من خلفه يخلفه اذا جاء بعده
اي الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي تقوله فيما بعد لا مساس بل ينفك
فهو مسند الى الموعد والموعد لن يتخلف عما تدركه من العذاب في الاخرة وقال
سهل يعني ابا حاتم لا اعرف لقراءة ابي نهيك مذهبا انتهى وقرا ابن مسعود والحسن
بخلاف عنه نخلفه بالنون وكسر اللام اي لا نستطيع ما وعدناك من الزمان
شيئا وقال ابن جني لن يصادفه مخلفا وقال الزمخشري لن نخلفه الله حكى قوله
عز وجل كما مر في لاهب لك انتهى ثم وبخ موسى عليه السلام السامري بما اراد ان
يفعل بالعجل الذي اتخذه الها من الاستطالة عليه بتغيير هيئته فواجهه
بقوله وانظر الى الهك وخاطبه وحده اذ كان رأس الضلال وهو ينظر لتولاه
لن نبرح عليه عاكفين واقسم لنحرقنه وهو اعظم فساد الصورة ثم لننسفنه في
اليم حتى تتفرق اجزاؤه فلا يجتمع ويظهر انه لما كان قد اخذ السامري القبضة
من اثر فرس جبريل وهو داخل في البحر حالة تقدم فرعون وتبعه فرعون
في الدخول ناسب ان ينسف ذلك العجل الذي صاغه السامري من الحلي
الذي كان اصله للقبط والقى فيه القبضة في البحر ليكون ذلك تنبيها على ان ما كان
به قيام الحياة آل الى العدم والقي في محل ما قامت به الحياة وان اموال القبط
قد قذفها الله في البحر لا ينتفع بها كما قذف اشخاص مالكيها في البحر وغرقهم فيه
وقرا الجمهور ونصر بن عاصم لا ابن يعمر ظلت بظاء مفتوحة ولام واحدة ساكنة وقرا
ابن مسعود وقتادة والاعمش بخلاف عنه وابو حيوة وابن ابي عبلة وابن يعمر
بخلاف عنه كذلك الا انهم كسروا الظاء وعن ابن يعمر ضمها وعن ابي والاعمش ظللت
بلامين على الاصل فاما حذف اللام فقد ذكر س في الشذوذ يعني شذوذ
القياس لا شذوذ الاستعمال مثالها مست واصله مسست واحست واصله احسست
وذكر ابن الانباري همت واصله هممت ولا يكون ذلك الا اذا سكنت آخر الفعل
نحو ظلت اذ اصله ظللت وذكر بعض من عاصرناه ان ذلك منقاس في كل مضاعف
العين واللام في لغة بني سليم حيث تسكن آخر الفعل وقد امعنا الكلام في هذه
المسالة في شرح التسهيل من تاليفنا فاما من كسر الظاء فلانه نقل حركة اللام
الى الظاء بعد نزع حركتها تقديرا ثم حذف اللام واما من ضمها فيكون على انه
جا في بعض اللغات على فعل بضم العين فيها ونقلت ضمة اللام الى الظاء كما نقلت
عن حالة الكسر عليها ثم وقرا الجمهور لنحرقنه مشددا مضارع حرق مشددا
وقرا الحسن وقتادة وابو جعفر وابو رجا والكلبي مخففا من احرق رباعيا وقرا

علي وابن عباس وحميد وابو جعفر في رواية وعمرو بن فايد بفتح النون وكسر الراء وضم الراء
والظاهر انه حرق واحرق هو بالنار واما القراءة الثالثة فمعناها لنبردنه
بالمبرد يقال حرق يحرق ويحرق بضم را المضارع وكسرها وذكر ابو علي ان التشديد
قد يكون مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وفي مصحف ابي وعبد الله لنذبحنه
ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وتوافق هذه القراءة من روي انه صار لحما
ودما ذا روح ويترتب الاحراق بالنار على هذا واما اذا كان جمادا مصوغا
من الحلي فيترتب برده لا احراقه الا ان يعني به اذابته وقال السدي امر موسى
بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم احرق ونسف رماده وقيل بردت عظامه
بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها وقرا الجمهور لننسفنه بكسر السين وقرات
فرقة منهم عيسى بضم السين وقرا ابن مقسم لننسفنه بضم النون الاولى وفتح
الثانية وتشديد السين والظاهر قول الجمهور ان موسى كعجل وصره فوقع
امر العجل ثم جاء موسى وصنع بالعجل ما صنع ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة
في ذنب بني اسرائيل وان يطلعهم ايضا على امر المناجاة فكان لموسى عليه السلام نهضتان
واسند مكي خلاف هذا ان موسى كان مع السبعين في المناجاة وحينئذ وقع امر العجل
وان الله اعلم موسى بذلك فكتمه عنهم وجاء بهم حتى سمعوا اللغط حول العجل
فحينئذ اعلمهم موسى انتهى ولما فرغ من ابطال ما عمله السامري عاد الى بيان الدين الحق
فقال انما الهكم الله وقرا الجمهور وسع فانتصب علما على التمييز المنقول من
الفاعل وتقدم نظيره في الانعام وقرا مجاهد وقتادة وسع بفتح السين مشددة
قال الزمخشري وجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما
فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما
معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا
فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا وقال ابن عطية وسع بمعنى خلق الاشيا وكثرها
بالاختراع فوسعها موجودات كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد
آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين
فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول
امثلهم طريقة ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي
لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ذلك اشارة الى نبا موسى وبني
اسرائيل وفرعون اي كقصصنا هذا النبا الغريب نقص عليك من انباء الامم
السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الاعلام باخبار الامم السالفة ليتسلى بذلك
ويعلم ما صدر من الامم لرسلهم وما قاسته الرسل منهم والظاهر ان الذكر هنا
القرآن امتن تعالى عليه بايتائه الذكر المشتمل على القصص والاخبار الدالة على
معجزات اوتيها وقال مقاتل ذكرا بيانا وقال ابو سهل شرفا وذكرا في الناس
من اعرض عنه اي عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتبع ما فيه وقرا الجمهور

وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما

يحمل مضارع حمل مخففا مبنيا للفاعل وقرأت فرقة منهم داود بن رفيع يحمل مشدد
الميم مبنيا للمفعول لانه يكلف ذلك لا انه يحمله طوعا ووزرا مفعول ثان والوزر الثقل
الباهظ يؤوده حمله وهو ثقل العذاب وقال مجاهد اثما وقال الثوري شركا والظاهر
انه عبر عن العقوبة بالوزر لانه سببها ولذلك قال خالدين فيه اي في العذاب والعقوبة
وجمع خالدين والضمير في لهم حملا على معنى من بعد افراده على لفظها فاعل ضمير وفي
كانه بكل والمخصوص بالذم محذوف اي وزرهم ولهم للبيان كهي في هيت لك
لا متعلقة بساء هاهنا هي التي تجري مجرى بئس لا التي بمعنى احزن واهم لتنافي
المعنى ويوم ينفخ بدل من يوم القيامة وقرا الجمهور ينفخ مبنيا للمفعول
ونحشر بالنون مبنيا للفاعل بنون العظمة وقرا ابو عمرو وابن محيصن وحميد
ننفخ بنون العظمة كنحشر اسند النفخ الى الامر به وان النافخ هو اسرافيل وكرامته
اسندها بتولاه الى ذاته المقدسة والصور تقدم الكلام فيه في الانعام وقرئ
ينفخ ويحشر بالياء فيهما مبنيا للفاعل وقرا الحسن وابن عياض في جماعة في الصوَر
جمع وزن درة ودرر والحسن يحشر بالياء مبنيا للمفعول ويحشر مبنيا للفاعل وبالياء
ونحشر اي الله والظاهر ان المراد بالزرق زرقة العيون والزرقة ابغض الوان
العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا
في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقال الشاعر
وما كنت اخشى ان تكون وفاته • بكفي سبنتا ازرق العين مطرق • وقد ذكر
في اية اخرى انهم يحشرون سود الوجوه فالمعنى تشويه الصورة من سواد الوجه
وزرقة العين وايضا فالعرب تتشاءم بالزرقة قال الشاعر
لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر • الا كل عبسي من اللؤم ازرق • وقيل
العمي عميا لان العين اذا ذهب نورها ازرق ناظرها وبهذا التاويل يقع
الجمع بين قوله زرقا في هذه الاية وعميا في الاية الاخرى وقيل زرق الوان
ابدانهم وذلك غاية في التشويه اي يجيئون كلون الرماد وفي كلام العرب
يسمى هذا اللون ازرق ولا تزرق الجلود الا من مكابدة الشدائد وجفوف
رطوبتها وقيل زرقا عطاشا والعطش الشديد يرد سواد العين الى البياض
ومنه قولهم سنان ازرق وقوله فلما وردن الماء زرقا جمامه • اي ابيض
وذكرت الاية لابن عباس فقال ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها
زرقا وحالة يكونون عميا يتخافتون يتسارون لهول المطلع وشدة ذهاب
اذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها ان لبثتم اي في دار الدنيا
او في البرزخ او بين النفختين في الصور ثلاثة اقوال ووصف ما لبثوا فيه
بالقصر لانها لما يعاينون من الشدائد كانت لهم في الدنيا ايام سرور وايام السرور
قصار او لذهابها عنهم وتقضيها والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء
او لاستطالتهم الاخرة وانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها
فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة واذ معمولة لا يعلم وامثلهم اعدلهم وطريقة
منصوبة على التمييز الا يوما استقصر مدة لبثهم والامثل يحتمل عشر ليال
او عشرة ايام لان المذكر اذا حذف وابقي عدده قد لا يأتي بالتاء حكى الكسائي
عن ابي الجراح صمنا من الشهر خمسا ومنه ما جاء في الحديث ثم اتبعه بست من
شوال

شوال يريد ستة ايام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة راس اية ذكرا ولاسيما قبل العدد
وهو العشر وذكر اعدلهم طريقة اقل العدد وهو اليوم الواحد ودل ذلك قوله الا يوما
على ان المراد بقوله عشرا عشرة ايام وضمير الغائب في ويسألونك عائد على قريش
منكري البعث وعلى المؤمنين سالوا عن ذلك وعلى رجل من ثقيف وجماعة
من قومه اقوال ثلاثة والكاف خطاب للرسول والظاهر وجود السؤال ويبعد
قول من قال انه لم يكن سؤال بل المعنى ان سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
وتضمن معنى الشرط فلذلك اجيب بالفاء وروي ان الله يرسل على الجبال ريحا فتدكدكها
حتى تكون كالعهن المنفوش ثم يتوالى عليها حتى يعيدها كالهباء المنبث فذلك
هو النسف والظاهر عود الضمير في فيذرها على الجبال اي بعد النسف تبقى
قاعا اي مستويا من الارض معتدلا وقيل مقارها ومراكزها وقيل يعود
على الارض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الجبال عليها وقال ابن عباس عوجا ميلا ولا امتا
اثرا مثل الشراك وعنه ايضا عوجا واديا ولا امتا رابية وعنه ايضا الامت
الارتفاع وقال قتادة عوجا صدعا ولا امتا اكمة وقيل الامت التشقق في
الارض وقيل الا مكان في الفضا والجدر وترق في مكان مكاه الصولي وقيل
كان الامت في الاية العوج في السماء تجاه الهوا والعوج في الارض مختص بالعرض
وقال الزمخشري فان قلت قد فرقوا بين العوجين فقالوا العوج بالكسر في
المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة
ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها
وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم
يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض
استواها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك
ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك العوج
الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب
التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى
ما فيه امت انتهى يومئذ اي يوم اذ ينسف الله الجبال يتبعون اي الخلائق
الداعي داعي الله الى المحشر نحو قوله مهطعين الى الداع وهو اسرافيل يقوم على
صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل جهة يضع الصور في فيه
ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم الى
العرض على الرحمن وقال محمد بن كعب يحشرون في ظلمة قد طويت السماء وانتثرت
النجوم فينادي مناد فيؤمون صوته وقال علي بن عيسى الداعي هنا الرسول
الذي كان يدعوهم الى الله فيتوجهون على الصراط يمينا وشمالا ويميلون
عنه ميلا عظيما فيومئذ لا ينفعهم اتباعه والظاهر ان الضمير في له عائد على
الداعي نفي عنه العوج اي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون
ناس وقيل هو على القلب اي لا عوج لهم عنه بل يأتون مقبلين اليه
متبعين لصوته من غير انحراف وقال الزمخشري اي لا يعوج له مدعو بل

يستوون اليه انتهى وقيل العوج الذي في موضع وصف لمصدر محذوف اي اتباعا لا عوج
له فيكون المعنى لا عوج له على اتباعهم ذلك المصدر المحذوف وقال ابن عطية يحتمل ان يريد
الاخبار اي لا شك فيه ولا يخالف وجوده خبره ويحتمل ان يريد لا محيد لاحد عن اتباعه
والمشي نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع وهو في الاصوات استعارة بمعنى
الخفاء والاستسرار للرحمن اي لهيبة الرحمن وهو مطلع قدرته وقيل هو على حذف
مضاف اي وخشع اهل الاصوات والهمس الصوت الخفي الخافت ويحتمل ان يريد
بالهمس المسموع تخافتهم بينهم وكلامهم السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وان
اصوات النطق ساكتة وقال الزمخشري الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة
وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر انتهى وعن ابن عباس وعكرمة وابن جبير الهمس وطء الاقدام واختاره
الفراء والزجاج وعن ابن عباس ايضا تحريك الشفاه بغير نطق وعن مجاهد الكلام
الخفي ويؤيده قراءة ابي فلا ينطقون الا همسا وعن ابي عبيدة الصوت الخفي
يومئذ بدل من يومئذ يتبعون او يكون التقدير يوم اذ يتبعون ويكون
معمولا بلا تنفع ومن مفعول بقوله لا تنفع ولم معناه لاجله وكذا في ورضي له
اي لاجله ويكون من المشفوع له او بدلا من الشفاعة على حذف مضاف اي الا
شفاعة من اذن له ومنصوب على الاستثناء على هذا التقدير او استثناء منقطع
تنصب على لغة الحجاز وترفع على لغة تميم ويكون من في هذه الاوجه للشافع
والقول المرضي عن ابن عباس لا اله الا الله والظاهر ان الضمير في ما بين ايديهم وما
خلفهم عائد على الخلق المحشورين وهم متبعوا الداعي وقيل تعود على الملائكة وقيل
على الناس لا بقيد الحشر والاتباع وتقدم تفسير هذه الجملة في اية الكرسي في البقرة
والضمير في به عائد على ما اي ولا يحيطون بمعلوماته علما والظاهر عموم الوجوه
اي وجوه الخلائق وخص الوجوه لان اثار الذل انما تظهر اول في الوجوه
وقال طلق بن حبيب المراد سجود الناس على الوجوه والاراب السبعة قال
كان روي ان هذا يكون يوم القيامة فتكون الاية اخبارا عنه واستئناف الحي
وان كان اراد في الدنيا فليس نفك يلايم للايات التي قبلها وبعدها
وقال الزمخشري المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة
الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة
مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا ووجوه يومئذ باسرة والقيوم تقدم الكلام عليه في البقرة وقد خاب
اي لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر
ما حمل من الظلم فخيبة المشرك دائما وخيبة المؤمن العاصي مقيدة بوقت
في العقوبة ان عوقب وقال الزمخشري الوجوه وجوه العصاة قال في
قوله وقد خاب من حمل ظلما انه اعتراض كقوله فخابوا فهو واحدى تكون
الجملة دخلت بين العصاة وبين من يعمل من الصالحات فهذا احد
قسيمي وعنت الوجوه واما ابن عطية فجعل قوله ومن يعمل الا هضما
معادلا لقوله وقد خاب من حمل ظلما لانه جعل وعنت الوجوه عامة في
وجوه الخلائق ومن الصالحات بعض الشرع لان من للتبعيض والظلم

مجاوزة

مجاوزة الحد في عظم سيئاته والهضم نقص من حسناته قاله ابن عباس وقال قتادة الظلم ان
يزاد من ذنب غيره وقال ابن زيد الظلم ان لا يجزى بعمله وقيل الظلم ان ياخذ من صاحبه
فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين يسترجحون
لانفسهم اذا اكتالوا ويخسرون اذا كالوا اشياء والظلم والهضم متقاربان قال الماوردي
والفرق ان الظلم منع الحق كله والهضم منع بعضه وقرا الجمهور فلا يخاف على الخبر
اي فهو لا يخاف وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد فلا يخف على النهي وكذلك
عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال او كما انزلنا عليك هؤلاء الايات
المضمنة الوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد
ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر يطلق على
الطاعة والعبادة وقيل كما قدرنا هذه الامور وجعلناها حقيقة بالمرصاد
للعباد كذلك حذرنا هؤلاء امرها وانزلناه قرانا عربيا وتوعدنا فيه بانواع
من الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه
فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من اليم عقابه هذا تاويل
فرقة في قوله او يحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه او يكسبهم شرفا ويبقي عليهم
ابقاء ذكرا اما يجاري الغابرين وقيل المعنى كما رغبنا اهل الايمان بالوعد حذرنا
اهل الشرك بالوعيد وصرفنا فيه من الوعيد كالطوفان والصيحة والرجفة
والمسخ ولم يذكر الوعد لان الاية سيقت مساق التهديد لعلهم يتقون اي
ليكونوا على رجاء من ان يتقوا في تلويحه لا انتقاء او يتقون ان ينزل بهم ما نزل
بمن تقدمهم او يحدث لهم ذكرا اي عظة وفكرا واعتبارا وقال قتادة
ورعا وقيل انزل القران ليصيروا محترزين عن ما لا ينبغي او يحدث لهم ذكرا
يدعوهم الى الطاعات واسند ترجي التقوى اليهم وترجي احداث الذكر للقران
لان التقوى عبارة عن انتفاء فعل القبيح وذلك استمرار على العدم الاصلي
فلم يسند الى القران واسند احداث الذكر الى القران لانه امر حدث بعد ان لم يكن
والظاهر ان او هنا لاحد الشيئين وقيل او كالتي في جالس الحسن او ابن سيرين
اي لا تكن خاليا منهما وقرا الحسن او يحدث ساكنة الثاء وقرا عبد الله
ومجاهد وابو حيوة والحسن في رواية والجحدري وسلام او نحدث بالنون
وجزم الثاء وذلك حمل وصل على وقف وتسكين حرف الاعراب استثقالا لحركته
قوله [illegible] فتعالى الله الملك الحق ولما كان فيما سبق تعظيم
القران في قوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا وكذلك انزلناه قرانا عربيا ذكر عظمة
منزله تعالى ثم ذكر هاتين الصفتين وهي صفة الملك التي تضمنت القهر والسلطنة
والحق وهي الصفة الثابتة له اذ كل من يدعي الملك دونه باطل لانه الاله الذي
صاغرون من الخلق ومضمحل ملكه ومتغير وتقدم ايضا صفة سلطانه يوم القيامة
وعظم قدرته وذلة عبيده وحسن تلطفه بهم فناسب تعاليه ووصفه
بالصفتين المذكورتين ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد حالة
منه الخ من يحفظ القران ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
اي تان حتى يفرغ الملقي اليك الوحي ولا تساوق في قراءتك قراءته والقاءه
كقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك

البيان وقيل سبب الاية ان امراة شكت الى النبي صلى الله عليه وسلم ان زوجها لطمها فقال لها بينكما
القصاص ثم نزلت الرجال قوامون على النساء ونزلت هذه بمعنى الامر بالتثبت في الحكم
بالقران وقيل كان اذا انزل عليه الوحي امر بكتبه للحين ثم سران يتأنى حتى يظهر له
المعاني وتتميز عنده وقال الماوردي معناه ولا تسل قبل ان ياتيك الوحي لان اهل
مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا وقد ضربنا لك اجلا ثلاثة ايام فابطا
الوحي عليه وفشت المقالة بين اليهود قد غلب محمد فنزلت ولا تعجل بالقران اي بنزوله
وقال ابو مسلم ولا تعجل بقراءته في نفسك او في تاديته الى غيرك او في اعتقاد ظاهره وفي
تعريف غيرك بما يقتضيه ظاهره من قبل ان يقضى اليك وحيه اي تمامه
او بيانه احتمالان فالمراد اذن ان لا تبعث نفسك ولا غيرك عليه حتى يتبين بالوحي
تمامه او بيانه اوهما جميعا لانه يجب التوقف في المعنى لما يجوز ان يحصل عقيبه
من استثناء او شرط او غيرهما من المخصصات وهذه الحالة لعله فعلها باجتهاد
عليه السلام انتهى وفيه بعض تلخيص وقرا الجمهور يقضى اليك مبنيا للمفعول وحيه
مرفوع به وقرا عبد الله والجحدري والحسن وابو حيوة ويعقوب وسلام
والزعفراني وابن مقسم نقضي بنون العظمة مفتوح الياء وحيه بالنصب وقرا
الاعمش كذلك الا انه سكن الياء من نقضي قال صاحب اللوامح وذلك على لغة من لا يرى
فتح الياء بحال اذا انكسر ما قبلها وحطت فانتهى وقل رب زدني علما قال
مقاتل اي قرانا وقيل فهما وقيل حفظا وهذا القول متضمن للتواضع لله والشكر
له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا
جميلا ما كان عندي فزدني علما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا
في طلب العلم ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان
هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال
يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما
سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض
عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم
حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة
اشد وابقى تقدمت قصة ادم في البقرة والاعراف والحجر والكهف ثم ذكرها هنا
لما تقدم كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق كان من هذه الانباء قصة ادم
ليتحفظ بنوه من وسوسة الشيطان ويتنبهوا على غوائله من اول نزغ الشيطان منهم
ذكر ما جرى لابيهم ادم معه وانه اوضحت له عداوته ومع ذلك نسي ما عهد اليه
ربه ولما امر بان يقول رب زدني علما كان من ذلك ذكر قصة ادم وذكر شيء
من احوال الله فيه ثم تقدم ذكرها فكان في ذلك مزيد علم له عليه السلام والعهد
عند الجمهور الوصية والظاهر ان المضاف اليه المحذوف بعد قوله من قبل تقديره

من قبل

من قبل هؤلاء الذين صرف لهم من الوعيد في القران لعلهم يتقون وهم الناقضون عهد الله والتاركون
الايمان وقال الحسن من قبل الرسول والقران وقيل من قبل ان ياكل من الشجرة وقال الطبري
المعنى وان يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن اياتي ويدعوا العوارض لي ويطيعوا ابليس فقديما
فعل ذلك ابوهم ادم قال ابن عطية وهذا ضعيف وذلك ان كون ادم مثالا للكفار
الجاحدين بالله ليس بشيء وادم عليه السلام انما عصى بتاويل ففي هذا غضاضة عليه السلام
وانما الظاهر في هذه الاية اما ان تكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله واما ان
يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد عليه السلام ان لا يعجل بالقران مثل له بنبي قبله عهد
اليه فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الزمخشري يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم
عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه
بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم
فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون
كانه يقول ان اساس امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه انتهى والظاهر ان النسيان
هنا الترك اي ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقال الزمخشري
يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان انتهى
وقال غيره وقال ابن عطية ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه لا يتعلق بالناسي عقاب انتهى
وقرا اليماني والاعمش فنسي بضم النون وتشديد السين اي نساه الشيطان والعزم
التصميم والمضي قال الزمخشري اي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس
الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما
وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما انتهى وقيل ولم نجد له عزما
على المعصية وهذا يتمشى على قول من قال انه فعل ناسيا وقيل حفظا لما امر به وقيل
صبرا عن اكل الشجرة وقيل عزما في الاحتياط في كيفية الاجتهاد وتقدم الكلام على نظير قوله
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس في جملة مستانفة مبينة ان
امتناعه من السجود انما كان عن اباء منه وامتناع والظاهر حذف متعلق ابى فانه
يقدر هنا ما صرح به في الاية الاخرى ابى ان يكون مع الساجدين وقال الزمخشري
ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو
السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط
انتهى وهذا اشارة الى ابليس وعدو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع عرف
الله تعالى ادم عداوة ابليس له ولزوجه ليحذراه فلم يغن الحذر عن القدر
وسبب العداوة فيما قيل ان ابليس كان حسودا فلما راى اثار نعم الله على ادم
حسده وعاداه وقيل العداوة حصلت من تنافي اصليهما اذ ابليس من النار وادم
من الماء والتراب فلا يخرجنكما النهي له والمراد غيره اي لا يقع منكما طاعة له في اغوائه
فيكون ذلك سبب خروجكما من الجنة واسند الاخراج اليه وان كان المخرج هو
الله لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج فتشقى يحتمل ان يكون
منصوبا باضمار ان في جواب النهي وان يكون مرفوعا على تقدير فانت تشقى وامتن

الشقا اليه وكرره معدا انه اذكر مع زوجه في الاخراج من حيث كان هو المخاطب اولا والمقصود بالكلام
ولان في ضمن شقا الرجل شقا اهله وفي سعادته سعادتها فاختصر الكلام باسناده اليه دونها
مع المحافظة على الفاصلة وقيل اراد بالشقا التعب في طلب القوت وذلك راجع الى الرجل
وعن ابن جبير اهبط له ثور احمر يحرث عليه ويأكل بكد يمينه وعرق جبينه وقرا
شيبة ونافع وحفص وابن سعدان وانك لا تظمأ بكسر همزة وانك وقرا الجمهور
بفتحها فالكسر عطف على ان لك والفتح عطف على المصدر المنسبك من ان لا تجوع
اي ان لك انتفا جوعك وانتفاء ظمئك وجاز عطفا انك على ان لاشتراكهما في المصدر
ولو باشرتها ان المكسورة لم يجز ذلك وان كان يجب تقديرها الا انها معطوفة على اسم
ان وهو ان لا تجوع لكنه يجوز في العطف ما لا يجوز في المباشرة ولما كان الشبع
والري والكسوة والكن هي الامور التي هي ضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها
كافية له وفي الجنة ضروب من انواع النعم والراحة ما هذه بالنسبة اليها كالعدم
تمنيها الامن من الموت لكل لذة والنظر الى وجه الله سبحانه ورضاه تعالى
عنا بعدها ولانه لا سقم ولا الم ولا كبر ولا هرم ولا غم ولا غضب ولا حسد ولا
مقا دبر ولا تكليف ولا حزن ولا خوف ولا ملل وذكرت هذه الاربعة بلفظ
النفي لاثبات اضدادها وهو الشبع والري والكسوة والكن وكانت نقائضها
بلفظ النفي وهو الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف
الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها قال ابن عطية وكان
عرف الكلام ان يكون الجوع مع الظما والعري مع الضحا لانها تتقارب اذ العري يمسه
البرد فيؤذيه والحر يفعل ذلك بالضاحي وهذه الطريقة مهيع في كلام العرب ان يفرق
النسب ومنه قول امري القيس

كأني لم اركب جوادا للذة ◦ ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ◦
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل ◦ لخيلي كري كرة بعد اجفال ◦

وقد ذهب بعض الادبا الى ان بيتي امري القيس كما في النسخ الا ان ركوب
الخيل للصيد وفرص من اللذة يناسب تبطن الكاعب انتهى وقيل جاء هذا
الجواب على قدر السؤال لما امر الله ادم بسكنى الجنة قال الهي الي فيها ما اكل
الي فيها ما البس الي فيها ما اشرب الي فيها ما استظل به وقيل هو مقابلة معنوية
فالجوع خلو الباطن والتعري خلو الظاهر والظما احراق الباطن والضحو احراق
الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق وقد جمع امرؤ القيس في بيته
بين ركوب الخيل للذة والنزهة وبين تبطن الكاعب للذة الحاصلة فيهما
وجمع بين سبا الزق وبين قوله لخيله كري لما فيهما من الشجاعة وقد عيب
على ابي الطيب قوله ◦ وقفت وما في الموت شك لواقف ◦ كانك في جفن الردى وهو نائم
◦ تمر بك الابطال كلمى هزيمة ◦ ووجهك وضاح وثغرك باسم ◦
فقال ان كنت اخطأت فقد اخطأ امرؤ القيس وتقدم الكلام في فوسوس والخلاف
في كيفيتها في الاعراف وتعدى وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدي
بالى معناه انهى الوسوسة اليه والتعدي بلام الجر قيل معناه لاجله ولما وسوس
اليه ناداه باسمه ليكون اقبل عليه وامكن للاستماع ثم عرض عليه ما يلقي بقوله هل
ادلك على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح ويؤثر قبول من يخاطبه كقول موسى

هل لك

هل لك الى ان تزكى وهو عرض فيه مناصحة وكان ادم قد رغبه الله تعالى في دوام الراحة
وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما الاية ورغبه ابليس في دوام الراحة بقوله هل ادلك
وجاءه ابليس من الجهة التي رغبه الله فيها وفي الاعراف ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الاية وهنا هل ادلك والجمع بينهما ان قوله هل ادلك يكون سابقا على قوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الاية وهنا هل ادلك والجمع بينهما ان قوله هل ادلك يكون
سابقا على قوله ما نهاكما لما راى اصغاءه وميله الى ما رغبه انتقل الى
الاخبار والحصر ومعنى على شجرة الخلد اي الشجرة التي من اكل منها خلد وحصل له ملك
لا يخلق وهذا يدل لقراءة الحسن بن علي وابن عباس الا ان تكونا ملكين بكسر اللام
فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم
الكلام على نحو هذه الاية في الاعراف وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى قال الزمخشري عن ابن عباس لا شبهة في ان ادم صلوات الله
عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى
خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد
ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا الاطلاق وهذا التصريح وحيث لم
يقل وزل ادم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف
بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة كأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت
على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته
بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات
والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من
كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها الفا فيقول في
فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث انتهى وقال القاضي ابو بكر بن العربي
لا يجوز لاحدنا اليوم ان يخبر بذلك عن ادم الا اذا ذكرناه في اثناء قوله تعالى
او قول نبيه عليه السلام فاما ان يبتدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا
في ابائنا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف في ابينا الاقدم الاعظم الاكرم
النبي المقدم الذي اجتباه الله وتاب عليه وغفر له قال القرطبي واذا كان
هذا في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله كاليد والرجل والاصبع والجنب
والنزول الى غير ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز الابتداء بشيء من ذلك الا في اثناء
قراءة كتابه او سنة رسوله عليه السلام ولهذا قال الامام مالك بن انس من وصف
شيئا من ذات الله مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار
بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه
الله سبحانه بنفسه ثم اجتباه اي اصطفاه وقربه وتاب عليه اي قبل
توبته وهدى اي هداه للنبوة او الى كيفية التوبة او هداه رشده حتى
رجع الى الندم والضمير في اهبطا ضمير تثنية وهو امر لادم وحوا جعلا هو وذريتهما
عقوبتهما وجميعا حال منهما وقال ابن عطية ثم امرهما بقوله جميعا ابليس
والحية يهبطان معهما وامرهم ان العداوة بينهم وبين انسالهم الى يوم
القيامة انتهى ولا يدل قوله جميعا على ان ابليس والحية يهبطان معهما
لان جميعا حال من ضمير الاثنين اي مجتمعين والضمير في بعضكم لبعض جمع قيل

موبد ابليس وبنيه وادم وبنيه وقيل اراد ادم وذريته فالعداوة واقعة بينهم والبغضاء الاختلاف الاديان وتشتت الاراء وقيل ادم وابليس والحية وقال ابو مسلم الاصبهاني الخطاب لادم عليه السلام ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولاجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة جمع قوله فاما ياتينكم مني هدى وقال الزمخشري لما كان ادم وحوا عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشؤوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب انتهى والهدى شريعة الله وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه وعن ابن جبير من قرا القران واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب وقال ابو عبد الله الرازي وهذه الاية تدل على ان المراد بالهدى الذي ذكره الله تعالى اتباع الادلة واتباعها لا يتكامل الا بان يستدل بها وبان يعمل بها ومن هذه حاله فقد ضمن تعالى له ان لا يضل ولا يشقى في الاخرة لانه تعالى يهديه الى الجنة وقيل لا يضل ولا يشقى في الدنيا **فان قيل** المنعم بهدى الله قد يلحقه الشقاء في الدنيا **قلنا** المراد لا يضل في الدين ولا يشقى بسبب الدين فان حصل بسبب اخر فلا باس انتهى ولما ذكر تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من اعرض عن ذكره والذكر يقع على القران وعلى سائر الكتب الالهية ويطلق مصدرا يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع والمعنى الضنك الشاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها ومنه **قول الشاعر** ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل وعن ابن عباس نزلت هذه الاية في الاسود بن عبد الاسود المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيه اضلاعه قال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في الاخرة في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين ولا يموتون فيها ولا يحيون وقال عطا المعيشة الضنك معيشة الكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب وقال ابن جبير يسلب القناعة حتى لا يشبع وقال ابو سعيد الخدري والسدي هو عذاب القبر ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور المعيشة الضنك في الدنيا والمعنى ان الكافر وان كان متسع الحال والمال فمعه من الحرص والامل والتعذب بامور الدنيا والرغبة وامتناع صفا العيش لذلك ما تصير معيشته ضنكا وقالت ضنكا باكل الحرام ويدل على ان المعيشة الضنك قبل يوم القيامة وتحشره يوم القيامة اعمى وقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه ذكر نوعا من العذاب ثم ذكر ان عذاب الاخرة اشد وابقى ومن قول الجمهور الزمخشري فقال ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا طيبا كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده من الانفاق فعيشه ضنك وحاله

مظلة

مظلمة انتهى وقرا الحسن ضنكى بالف التانيث ولا تنوين وبالامالة بناه صفة على فعلى من الضنك وقرا الجمهور ضنكا بالتنوين وفتحة الكاف فتحة اعراب وقرا الجمهور ونحشره بالنون وقرات فرقة منهم ابان بن تغلب بسكون الراء فيجوز ان تكون تخفيفا ويجوز ان تكون جزما بالعطف على موضع فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وكانه قيل ومن اعرض عن ذكري تكن له معيشة ضنك ونحشره ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في قراءة من سكن الراء ويذرهم وقرات فرقة ويحشره بالياء وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف قاله الزمخشري ونقل ابن خالويه هذه القراءة عن ابان بن تغلب والاحسن تخريجه على لغة بني كلاب وعقيل فانهم يسكنون مثل هذه الهاء وقرئ لربه لكنود والظاهر ان قوله اعمى المراد به عمى البصر كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقيل اعمى البصيرة قال ابن عطية ولو كان هذا لم يحس الكافر بذلك لانه مات اعمى البصيرة ويحشر كذلك وقال مجاهد والضحاك ومقاتل وابو صالح وروي عن ابن عباس اعمى عن حجته لا حجة له يهتدي بها وعن ابن عباس يحشر بصيرا ثم اذا استوى الى المحشر عمي وقيل اعمى عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه وقيل اعمى عن كل شيء الا عن جهنم وقال الجبائي المراد من حشره اعمى لا يهتدي الى شيء وقال ابراهيم بن عرفة كلما ذكر الله عز وجل في كتابه فذمه فانما يريد عمى القلب قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال مجاهد معنى لم حشرتني اعمى اي لا حجة لي وقد كنت عالما بحجتي بصيرا بها احاج عن نفسي في الدنيا انتهى سال العبد ربه عن السبب الذي استحق به ان يحشر اعمى لانه جهله وظن انه لا ذنب له فقال له جل ذكره كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي مثل ذلك انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك قاله الزمخشري والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الذهول ومعنى تنسى تترك في العذاب وكذلك نجزي اي مثل ذلك الجزاء نجزي من اسرف اي من جاوز الحد في المعصية ثم اخبر تعالى ان عذاب الاخرة اشد اي من عذاب الدنيا لانه اعظم منه وابقى اي منه لانه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع وقال الزمخشري والحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد وتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا **افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا**

ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى قرأ الجمهور يهد بالياء
وقرأ فرقة منهم ابن عباس والسلمي بالنون لانه تعالى ذكرهم العبر بمن تقدم من القرون
ويعني بالاهلاك الاهلاك الناشئ عن تكذيب الرسل وترك الايمان بالله واتباع رسله
والفاعل ليهد ضمير عائد على الله تعالى ويؤيد هذا التخريج قراءة نهد بالنون ومعناه نبين
وقاله الزجاج وقيل الفاعل مقدر تقديره الهدى او الامر او النظر والاعتبار وقال ابن عطية
وهذا احسن ما يقدر به عندي انتهى وهو قول المبرد وليس بجيد اذ فيه حذف الفاعل
وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه ان يقال الفاعل مضمر تقديره يهد هو اي الهدى
وقال ابو البقاء الفاعل ما دل عليه اهلكنا والجملة مفسرة له قال الحوفي كم اهلكنا قد دل على
هلاك القرون فالتقدير افلم يبين لهم هلاكنا من اهلكنا من القرون ومحو اثارهم
فيتعظوا بذلك وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه
ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا
عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول انتهى وكون الجملة فاعل هو مذهب
كوفي واما تشبيهه وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين فان
تركنا عليه معناه معنى القول فحكيت به الجملة فكانه قيل وقلنا عليه واطلقنا عليه هذا
اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بلفظه واحسن التخاريج الاول وهو ان يكون الفاعل
ضميرا عائدا على الله كانه قال افلم يبين الله ومفعول يبين محذوف اي العبر باهلاك
القرون السابقة ثم قال كم اهلكنا اي كثيرا اهلكنا فكم مفعولة باهلكنا والجملة كانها مفسرة
للمفعول المحذوف ليهد وقال الحوفي قال بعضهم هي في موضع رفع فاعله يهد وانكر هذا
على قائله لان كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها انتهى وليست كم هنا استفهاما بل هي خبرية وقال
ابو البقاء يهد لهم في فاعله وجهان احدهما ضمير اسم الله تعالى اي الم يبين الله لهم وعلى هذا
يهد هنا اذ كانت بمعنى يعلم كما علقت في قوله تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم انتهى
وكم هنا خبرية والخبرية لا تعلق العامل عنها وانما تعلق عنه الاستفهامية وقرأ ابن السميفع
يمشون بالتشديد مبنيا للمفعول لان الماشي يخلو خطوة بخطوة وحركة بحركة ويكون يمشون
فناسب البناء للمفعول والضمير في يمشون عائد على ما عاد عليه لهم وهم الكفار المخوفون يريد
قريشا والعرب يتقلبون في بلاد عاد وثمود والطوائف التي كانت قريش تمر عليها الى الشام
وغيرها ويعاينون اثار هلاكهم ويمشون في مساكنهم جملة في موضع الحال من ضمير لهم والعامل
يهد اي المبينين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من اهلك من الكفار وقيل حال من
مفعول اهلكنا اي اهلكناهم غارين امنين متصرفين في مساكنهم لم يمنعهم عن التمتع
والتصرف مانع من مرض ولا غيره فجاءهم الاهلاك بغتة على حين غفلة منهم بذلك
ان في ذلك اي في ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لايات لاولي النهى اي العقول
الناهية ثم بين تعالى الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة قال تعالى
بل الساعة موعدهم يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما
لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه
آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وقال ابو عبد الله الرازي لا شبهة ان
الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امة محمد صلى الله عليه وسلم
وان

وان كذبوا يؤخرون ولا يفعل بهم ما فعل بغيرهم من الاستيصال انتهى والاجل اجل حياتهم او
اجل اهلاكهم في الدنيا او عذابهم يوم القيمة اقوال فعلى الاول تكون العذاب هو
ما يلقى في قبره وما بعده وعلى الثاني قتلهم بالسيف يوم بدر وعلى الثالث
هو عذاب جهنم وفي صحيح البخاري يوم بدر هو اللزام وهو البطشة
الكبرى والظاهر عطف واجل مسمى على كلمة واخر المعطوف عن المعطوف
عليه وفصل بينهما بالجواب لمراعاة الفواصل ورؤس الاي واجاز الزمخشري
ان يكون واجل مسمى عطفا على الضمير المستكن في كان قال اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون
الاخذ العاجل انتهى ثم امره تعالى بالصبر على ما يقول مشركوا قريش
وهم الذين عاد الضمير عليهم في افلم يهد لهم وكانوا يقولون اشياء
مما نصت آية تعالى في كتابه فامره تعالى بالصبر على اذاهم والاحتمال لما يصدر
من سوء اخلاقهم وامره بالتسبيح مقرونا بالحمد واما ان يراد اللفظ اي
قل سبحان الله والحمد لله او رب العزة وهو التنزيه والتبرئة من السوء
والثناء بالجميل عليه وقال ابو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه اقرب الى الظاهر
والى ما تقدم ذكره لانه تعالى صبره اولا على ما يقولون من التكذيب
ومن اظهار الكفر والشرك الذي يليق بذلك ان يؤمر بتنزيهه عن قولهم حتى
يكون مظهرا لذلك وداعيا وكذلك ما جمع كل الاوقات وقال الجمهور المراد
الصلوة فقبل طلوع الشمس صلوة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن
اناء الليل المغرب والعتمة واطراف النهار الظهر وحده قال ابن عطية
ويحتمل اللفظ ان يراد قول سبحان الله وبحمده من بعد صلاة الفجر
الى ركعتي الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال عليه السلام من سبح عند
غروب الشمس سبعين تسبيحة غربت بذنوبه انتهى وقال الزمخشري وقبل
غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال
الشمس وغروبها وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك
ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب
وقال تعالى ان ناشئة الليل وقال امن هو قانت اناء الليل الاية ولان الليل
وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن
اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد
تناول التسبيح اناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب
وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين انتهى وجمع هنا واطراف النهار
وفي هود واقم الصلوة طرفي النهار فقيل جاء على حد قوله ومهمهين قذفين
مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين جاءت التثنية على الاصل والجمع لان التثنية
اذ النهار ليس له الا طرفان وقيل هو على حقيقة الجمع الفجر الطرف الاول
والظهر والعصر من الطرف الثاني والطرف الثالث المغرب والعشاء وقيل
النهار له اربعة اطراف عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند زوال الشمس وعند
وقوفها للزوال وقيل الظهر في اخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الاخر فهي

في طرفين هما الطرف الثاني الشمس وهو وقت الغروب وقيل جعل النهار للجنس فلكل يوم طرف فيتكرر بتكرره وقيل المراد بالاطراف الساعات لان الطرف اخر الشي وقرا الجمهور واطراف بنصب الفا وهو معطوف على ومن اناء الليل وقيل معطوف على قبل طلوع وقرا الحسن وعيسى بن عمر واطراف بخفض الفا عطفا على اناء الليل ترضى اي تثاب على هذه الاعمال بالثواب الذي ترضاه وابرز ذلك في صورة الرجا والطمع لا على القطع فقيل لعل من الله واجبه وقرا ابو حيوة وطلحة والكسائي وابو بكر وابان وعصمة وابو عمارة عن حفص وابو زيد عن المفضل وابو عبيد ومحمد بن عيسى الاصبهاني ترضى بضم التا اي يرضيك ربك ولما امره تعالى بالصبر وبالتسبيح جا النهي عن مد البصر الى ما متع به الكفار وتقدم مد نظره اليه اذا ادام النظر اليه والكلام في جملته وتفصيله قيل والمعنى على هذا ولا تعجب يا محمد من ما متعناهم به من مال وبنين ومنازل ومراكب وملابس ومطاعم فانما ذلك كله كالزهر التي لا بقا لها ولا دوام وانها عن ما قليل تفنى وتزول والخطاب وان كان في الظاهر للرسول عليه السلام فالمراد امته وهو كان صلى الله عليه وسلم ابعد من النظر الى زينة الدنيا واعلق بما عند الله من كل احد وهو القايل الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما اريد به وجه الله وكان شديد النهي عن الاغترار بالدنيا والنظر الى زخرفها ولا تمدن ابلغ من لا تنظر لان مد البصر يقتضي الادامة والاستحسان بخلاف النظر فانه قد لا يكون ذلك معه والعين لا تمد فهو على حذف مضاف اي لا تمدن نظر عينيك والنظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل من نظر الى الشي ثم غض بصره والنظر الى الزخارف مركوز في الطباع ومن راى منها شيا احب ادامة النظر اليه وقد شدد المتقون في غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لانهم انما اتخذوها لعيون النظارة حتى يفتخروا بها فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها وانتصب ازواجا على انه مفعول به والمعنى اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب في موضع الصفة لازواجا اي اصنافا واقواما من الكفرة كما قال وآخر من شكله ازواج واجاز الزمخشري ان ينتصب ازواجا على الحال من ضمير به وهو ومتعنا مفعوله مقدما كانه قيل الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم وزهرة منصوب بفعل اللزم او مفعول ثان لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا او بدلا من محل الجار والمجرور او بدلا من ازواجا على تقدير ذوي زهرة او جعلهم زهرة على المبالغة او منصوب بفعل محذوف يدل عليه متعنا اي جعلنا لهم زهرة او حال من الها او من ما على تقدير حذف التنوين من زهرة لالتقا الساكنين وجر الحيوة على البدل من ما وكل هذه الاعاريب منقول والاخير اختيار مكي ورد كونه بدلا من محل ما لان فيه الفصل بالبدل بين الصلة وهي متعنا ومعمولها وهو لنفتنهم بالبدل وهو زهرة وقرا الجمهور زهرة بسكون الها وقرا الحسن وابو البرهسم وابو طلحة وحميد وسلام ويعقوب وسهل وعيسى والزهري بفتحها وقرا الاصمعي عن نافع لنفتنهم بضم النون من افتنه اذا جعل الفتنة واقعة فيه والزهرة والزهرة بمعنى واحد كالجهرة والجهرة واجاز الزمخشري في زهرة مفتوح الها ان يكون جمع زاهر نحو

كافر

كافر وكفرة وصفهم بانهم زاهرو هذه الدنيا لصفا الوانهم مما يلهون ويتنعمون وبها وجوههم وبها زيهم وشارتهم خلاف ما عليه المومنون والصلحا من شحوب الالوان والتقشف في الثياب ومعنى لنفتنهم فيه اي لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وهو ما ادخر لهم من المواهب في الاخرة خير مما متع به هولا في الدنيا وابقى اي وادوم وقيل ما رزقهم وان كان قليلا خير مما رزقوا وان كان كثيرا لان الحلال ذلك وحرمة هذا وقيل ما رزقت من النبوة والاسلام وقيل ما يفتح الله على المومنين من البلاد والغنايم وقيل القناعة وقيل ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا ولما امره تعالى بالتسبيح في تلك الاوقات المذكورة ونهاه عن مد بصره الى ما متع به الكفار وامره تعالى بان يامر اهله بالصلاة التي هي بعد الايمان آكد اركان الاسلام وامره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها وان لا يشتغل عنها وامره تعالى انه لا يسال الله ان يرزق نفسه ولا ان يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك بل امره بالتفرغ بالله لامر الاخرة ويدخل في خطابه عليه السلام امته وقرا الجمهور نرزقك بضم القاف وقرات فرقة منهم ابن وثاب بادغام القاف في الكاف وجاز ذلك عن يعقوب قال صاحب اللوامح وانما امتنع ابو عمرو من ادغام مثله بعد ادغامه نرزقكم ونحوها لحلول الكاف منه طرفا وهو حرف وقف فلو حرك وقفا للكاف وتوقفه على حركة وكان خروجا من كلامهم ولو اشار الى الفتح لكان الفتح اخف من ان يبتغى بل خروج بعضه كخروج كله ولو سكن لاجحف بحرف ولعل من ادغم ذهب فيه مذهب يقول جعفر وعامر ونفعل قد وقفا اوادغم على شرط ان لا يتقيد بحال فيصير الطرف كالحشو انتهى والعاقبة اي الحميدة او اصحاب العاقبة لاهل التقوى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه هذه عادة في اقتراح الايات كانهم جعلوا ما ظهر من الايات ليس باية واقترحوا هم ما يختارون على دينهم من التعنت فاجيبوا بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى في القران الذي سبق التبشير به وبايجاده من الرسالة في الكتب الالهية السابقة المنزلة على الرسل والقران اعظم الايات في الاعجاز وهو الاية الباقية الى يوم القيامة وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم وقرا نافع وابو عمرو وحفص تاتهم بالتا على لفظ بينة وقرا بالياء باقي السبعة وابو بحرية وابن محيصن وطلحة وابن ابي ليلى وابن مناذر وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى وابن جبير الانطاكي ياتهم بالياء لمجاز تانيث الاية والفصل بما لم يكن في غيرهم وقرا الجمهور بينة ما فاضافة بينة الى ما وفرقة منهم ابو زيد عن ابي عمرو بالتنوين وما بدل قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون ما نفيا واريد بذلك ما في القران من الناسخ والمنسوخ مما لم يكن في غيره من الكتب وقرات فرقة بنصب بينة والتنوين وما فاعل باتهم وبينة نصب على الحال فمن قرا تاتهم بالتا فعلى لفظ ما ومن قرا بالياء فعلى المعنى لانها اشيا مختلفة وعلوم من مضى وما شا الله وقرا الجمهور في الصحف بضم الحا وفرقة منهم ابن عباس باسكانها والضمير في من قبله يعود على البينة لانها في معنى البرهان والدليل قاله

الزمخشري والضمير عائد على البينة لقوله لولا ارسلت الينا رسولا ولذلك قدره بعضهم من قبل ارساله
محمد اليهم والذل والخزي يعتريان بعذاب الاخرة وقيل نذل في الدنيا ونخزى في الاخرة وقيل
الذل الهوان والخزي الافتضاح وقرا الجمهور نذل ونخزى مبنيا للفاعل وابن عباس
ومحمد بن الحنفية وزيد بن علي والحسن في رواية عباد والعمري وداود والفزاري وابو حاتم
ويعقوب مبنيا للمفعول قل كل متربص فتربصوا اي منتظر منا ومنكم عاقبة امره وفي ذلك
تهديد لهم ووعيد وافرد الخبر وهو متربص حملا على لفظ كل لقوله قل كل يعمل على شاكلته
والتربص التاني والانتظار للفرج ومن اصحاب مبتدا وخبر علق عنه فستعلمون ويجوز
ان تكون من موصولة بمعنى الذي فتكون مفعولة بفستعلمون واجاز الفرا
تقديره الذين هم اصحاب وهذا جار على مذهب الكوفيين في تجويز حذف مبتدا محذوف
هذا الضمير مطلقا سوا كان في الصلة طول ام لم يكن وسوا كان الموصول ايا
ام غيره وقرا الجمهور السوي على وزن فعيل اي المستوي
وقرا ابو مجلز وعمران بن حدير السواء اي الوسط وقرا
الجحدري وابن يعمر السوءى على وزن فعلى انث لتانيث الصراط وهي لغة فيه
تذكر وتؤنث وانث السوءى على معنى الا هدى اتى بلد به ومن اهتدى
على الصد ومعناه فستعلمون ايها الكفار من على الضلال ومن على الهدى
ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس الصراط السوء وقد روي عنهما انهما قرا السوي
على وزن فعلى فاحتمل ان تكون اصله السواى اذا روي ذلك عنهما فخفف
الهمزة بابدالها واوا وادغم واحتمل ان تكون فعلى من السوء ابدلت ياء واوا
وادغمت الواو في الواو وكان القياس انه لما بني فعلى من السواء ان تكون
السوايا لتجتمع واو ويا وسبقت احداها بالسكون فقلبت الواو ياء وتدغم في
الياء فكان يكون التركيب السيا وقرئ السوي بضم السين وفتح الواو وتشديد
الياء تصغير السوء قاله الزمخشري وليس بجيد اذ لو كان تصغير سوء لثبتت
همزته في التصغير فكنت تقول سويئ والاجود ان تكون تصغير سواء كما
قالوا في عطاء عطي ومن قرا السواء او السوء كان في ذلك مقابلة لقوله ومن
اهتدى على قراءة الجمهور لم تراع المقابلة في الاستفهام الفصم كسر الشي الصلب المفردات
حتى يبين تلاؤم اجزائه الركض ضرب الدابة بالرجل خمدت النار طفئت
دمغه اصاب دماغه نحو كبده وراسه اصاب كبده وراسه رتق الشي شده
فارتتق ومنه الرتقاء المنضمة الفرج فتق فصل ما بين المتصلين النجم
الطريق المتسع السبح العوم كلاه حفظه يكلوه كلاءة وكلاء اذهب في
كلاءة الله واكتلات منه احترست وقال ابن هرمة
ان سليمى والله يكلوها ضنت بشي ما كان يرزوها النفحة
الخطوة ونفح له من عطائه اعطاه نصيبا وقال الشاعر
اذا ريدة من حيث ما نفحت له اتاه برياها خليل يواصله [illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السما
والارض

والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا
باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم
الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون هذه السورة مكية بلا خلاف وعن عبد الله
الكهف ومريم وطه والانبيا من العتاق الاول وهن من تلادي اي من قديم
ما حفظت وكسبت من القران كالمال التلاد ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما
ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركوا قريش محمد يهددنا بالمعاد والجزا على الاعمال
وليس بصحيح وان صح ففيه بعد فانزل الله تعالى اقترب للناس حسابهم واقترب
افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب ورقب وقيل هو ابلغ من
قرب للزيادة التي في البنا والناس مشركو مكة وقيل عام في منكري البعث
واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة اخراج الكمية من مبلغ العدد
وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لان كل ما هو ات وان طال وقت
انتظاره قريب وانما البعيد هو الذي انقرض وهو مقترب عند الله كقوله
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او باعتبار ما بقي من الدنيا فانه اقصر
واقل مما مضى وفي الحديث بعثت انا والساعة كهاتين قال الشاعر
فما زال من يهواه اقرب من غد وما زال من يخشاه ابعد من امس
وللناس متعلق باقترب وقال الزمخشري هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة
لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كما تقول ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل
الحي ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده س في باب ما تثنى فيه المستقر توكيدا
عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام
باقترب واما جعله اللام تاكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها
على الاسم الظاهر فلا نعلم احدا يقول ذلك وايضا فيحتاج الى ما يتعلق به ولا يمكن
تعلقها بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وايضا فالتوكيد
يكون متاخرا عن المؤكد وايضا فلو اخر في هذا التركيب لم يصح واما تشبيهه
بما اورد س فالفرق واضح لان عليك معمول لحريص وعليك الثانية متاخرة
توكيدا وكذلك فيك زيد راغب فيك تتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد
وانما غره في ذلك صحة تركيب حساب الناس وكذلك ازف رحيل الحي فاعتقد اذا
تقدم الظاهر مجرورا باللام واضيف المصدر لضميره انه من باب فيك زيد راغب
فيك وليس مثله واما لا ابا لك فهي مسالة مشكلة وفيها خلاف ويمكن ان يقال
فيها ذلك لان اللام جاورت الاضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها
عن الاقيسة وقد امعنا الكلام عليها في شرح التسهيل والواو في وهم واو الحال
واخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لان الغفلة عن الشي والاعراض عنه متنافيان
لكن يجمع بينهما باختلاف حالين اخبر عنهم اولا انهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون
عما يؤول اليه امرهم ثم اخبر عنهم ثانيا انهم اذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا
بما يؤول اليه امر المحسن والمسي اعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك والذكر هنا ما ينزل من

القرآن شيئا بعد شيء وقيل المراد بالذكر أقوال النبي عليه السلام في أمر الشريعة ووعظه وتذكيره ووصفه
بالحدوث إذ كان القرآن لنزوله وقتا بعد وقت وسئل بعض الصحابة عن هذه الآية فقال
محدث النزول محدث القول وقال الحسن بن الفضل المراد بالذكر هنا النبي صلى الله عليه وسلم
بدليل هل هذا إلا بشر مثلكم قال تعالى أنزل الله إليكم ذكرا رسولا وقد احتجت المعتزلة
على حدوث القرآن بقوله محدث وهي مسألة يبحث فيها في علم الكلام وقرأ
الجمهور محدث بالجر صفة لذكر على اللفظ وابن أبي عبلة بالرفع صفة لذكر على الموضع
وزيد بن علي بالنصب على الحال من ذكر إذ قد وصف بقوله من ربهم ويجوز أن يتعلق
من ربهم بيأتيهم واستمعوه جملة حالية وذو الحال المفعول في يأتيهم وهم يلعبون
جملة حالية من ضمير استمعوه فيكون حالا بعد حال ولاهية من قول العرب لهي عنه
إذا ذهل وغفل يلهى لهيا ولهيانا أي والمعنى ذلك لاستيلاء الغفلة هو
والذهول وعدم التبصر بقلوبهم وقرأ ابن أبي عبلة وعيسى لاهية بالرفع على أنه
خبر بعد خبر لقوله وهم والنجوى من التناجي ولا يكون إلا خفية فمعنى وأسروا بالغوا في
إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون وقال أبو عبيدة
أسروا هنا من الأضداد يحتمل أن تكون أخفوا كلامهم ويحتمل أن يكون أظهروه ومنه
قول الفرزدق فلما رأى الحجاج جرد سيفه ... أسر الحروري الذي كان أضمرا
وقال التبريزي لا يستعمل في الغالب إلا في الإخفاء وإنما أسروا الحديث لأنه كان ذلك على طريق
التشاور وعادة المتشاورين كتمان سرهم عن أعدائهم وأسروها ليقولوا للرسول وللمؤمنين
إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررناه وجوزوا في إعراب الذين ظلموا وجوها الرفع
والنصب والجر فالرفع على البدل من ضمير وأسروا إشعارا أنهم الموسومون بالظلم الفاحش
فيما أسروا به قاله المبرد وعزاه ابن عطية لسيبويه أو على أنه فاعل والواو في أسروا علامة
للجمع على لغة أكلوني البراغيث قاله أبو عبيدة والأخفش وغيرهما قيل وهي لغة
شاذة قيل والصحيح أنها لغة حسنة وهي من لغة أزد شنوءة وخرج عليه قوله ثم
عموا وصموا كثير منهم وقال شاعر يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم ألوم
أو على أن الذين مبتدأ وأسروا النجوى خبره قاله الكسائي فقدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى
فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم أنه ظلم أو على أنه فاعل بفعل القول وحذف
أي يقول الذين ظلموا والقول كثيرا يضمر واختاره النحاس قال ويدل على صحة هذا أن بعده
هل هذا إلا بشر مثلكم وقيل التقدير أسرها الذين ظلموا وقيل الذين مخبر عنه محذوف وأما
الذين فالنصب على الذم قاله الزجاج أو على إضمار أعني قاله بعضهم والجر على أن يكون نعتا
للناس أو بدلا في قوله اقترب للناس قاله الفراء وهو أبعد الأقوال هل هذا إلا بشر مثلكم
استفهام معناه التعجب أي كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم في البشرية وإنكارهم
وتعجبهم من حيث كانوا يرون أن الله لا يرسل إلا ملكا وأفتأتون السحر استفهام معناه
التوبيخ والسحر عنوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن والذكر المتلو عليهم
أي أفتحضرون السحر وأنتم تبصرون أنه سحر وأن من أتى به هو بشر مثلكم فكيف تقبلون
ما أتى به وهو سحر وكانوا يعتقدون أن الرسول من عند الله لا يكون إلا ملكا وأن
كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر وهاتان الجملتان
الاستفهاميتان الظاهر أنهما متعلقتان بقوله وأسروا النجوى وأنهما محكيتان بقوله
للنجوى لأنه بمعنى القول الخفي فهما في موضع نصب على المفعول بالنجوى وقال الزمخشري
في محل

في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا انتهى وقرأ
حمزة والكسائي وحفص والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وأيوب وخلف وابن سعدان وابن
جبير الأنطاكي وابن جرير قال ربي على معنى الخبر عن نبيه عليه السلام وقرأ باقي السبعة
قل على الأمر لنبيه عليه السلام يعلم أقوالكم هذه وهو مجازيكم عليها والقول عام يشمل السر والجهر
فكان في الإخبار به إخبار بعلم السر وزيادة وكان آكد في الاطلاع على نجواهم
من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بقوله وهو السميع العليم السميع لأقوالكم
العليم بما انطوت عليه ضمائركم ولما ذكر تعالى عنهم أنهم قالوا إنما أتى به محمد ذكر اضطرابهم
في مقالاتهم فذكر أنهم أضربوا عن نسبة السحر إليه وقالوا إنما يأتي به إنما هو أضغاث
أحلام وتقدم تفسيرها في سورة يوسف ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل افتراه أي
اختلقه ونسبه إلى الله ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل هو شاعر وهكذا المبطل
لا يثبت على قول بل يبقى متحيرا وهذه الأقوال إنما صدرت من قائلين متفقين
انتقلوا من قول إلى قول أو مختلفين فقال كل منهم مقالة قال الزمخشري ويجوز أن
تكون تنزيلا من الله لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول
والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث انتهى وقال ابن عطية ثم
حكى قول من قال إنه شاعر وهي مقالة فرقة عامية لأن نقاد الشعر من العرب لا يخفى عليهم
بأنه بعيد أن يشبه القرآن الحسيب بالشعر وقال أبو عبد الله الرازي كيف حكى الله عنهم هذه
الأقوال الخمسة وترتيب كلامهم أن كونه بشرا مانع من كونه رسولا لله سلمنا أنه غير مانع
ولكن لا نسلم أن هذا القرآن معجز إن ساعد على أن فصاحة القرآن خارجة عن مقدار البشر
قلنا لم لا يجوز أن يكون ذلك سحرا وإن لم يساعد عليه فإن ادعينا كونه في نهاية الركاكة
قلنا إنه أضغاث أحلام وإن ادعينا أنه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا إنه افترى
وإن ادعينا أنه كلام فصيح قلنا إنه من جنس فصاحة سائر الشعراء وعلى جميع هذه التقديرات
لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقرير هذه الاحتمالات قالوا فليأتنا بآية كما أرسل الأولون
اقترحوا من الآيات ما لا إمهال بعدها كالآيات في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا من الأرض ينبوعا قال الزمخشري صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون
من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان
بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أتى محمد بالمعجزة وأن تقول
أرسل محمد بالمعجزة انتهى والكاف في كما أرسل يجوز أن تكون في موضع
النعت لآية وما أرسل في تقدير المصدر والمعنى بآية مثل آية إرسال
الأولين ويجوز أن تكون في النعت لمصدر محذوف أي إتيانا مثل إرسال
الأولين أي مثل إتيانهم بالآيات وهذه الآية التي طلبوها هي على سبيل
اقتراحهم ولم يأت الله بآية مقترحة إلا أتى بالعذاب بعدها وأراد تعالى
تأنيس هؤلاء في قولهم كما أرسل الأولون دلالة على معرفتهم بإتيان الرسل
ثم أجاب تعالى عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت قبلهم من قرية
أهلكناها أنهم يؤمنون والمراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما
ومعنى أهلكناها حكمنا بإهلاكها بما اقترحوا من الآيات أفهم يؤمنون
استبعاد وإنكار أي هؤلاء أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات
وعهدوا أنهم يؤمنون بعدها فلما جاءتهم نكثوا أي فأهلكهم الله فلو أعطيناهم

هولا بما اقترحوا لكانوا انكث من اوليك وكان يقع استيصالهم ولكن حكم الله تعالى بابقايهم ليومن من امن ويخرج منهم مومنين ولما تقدم من قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وان الرسول لا يكون عند الله الا من جنس البشر قال تعالى رجالا نوحي اليهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا اي بشرا ولم يكونوا ملايكة كما اعتقدوا ثم احالهم على اهل الذكر فانهم وان كانوا مشايعين للكفار ساعين في اخماد نور الله لا يتجرون على انكار ارسال البشر وقوله ان كنتم لا تعلمون من حيث ان قريشا لم يكن لهم كتاب متقدم ولا اثارة من علم والظاهر ان اهل الذكر هم احبار اهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة في ارسال الله البشر هذا مع موافقتهم قريشا في ترك الايمان بالرسول فشهادتهم لا مطعن فيها وقال عبد الله بن سلام انا من اهل الذكر وقيل هم اهل القران وقال علي انا من اهل الذكر وقال ابن عطية لا يصلح ان يكون المسول اهل القران في ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم انتهى وقيل اهل الذكر هم اهل التوراة وقيل اهل العلم بالسير وقصص الامم البايدة والقرون السالفة فانهم كانوا يفحصون عن ذلك الانبيا واذا كان اهل الذكر يراد بهم اليهود والنصارى فانهم لما بلغ خبرهم حد التواتر جاز ان يسالوا ولا يقدح في ذلك كونهم كفارا وقرا الجمهور يوحى مبنيا للمفعول وقرا طلحة وحفص نوحي بالنون وكر الجا والجسد يقع على ما لا يتغذى من الجماد وقيل يقع على المتغذي وغيره فعلى القول الاول يكون النفي قد وقع على الجسد وعلى الثاني يكون مثبتا والنفي انما وقع على صفته ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وهذه الجملة من تمام الجواب للمشركين الذين قالوا هل هذا الا بشر مثلكم لان البشرية تقتضي الجسمية الحيوانية وهذه لا بد لها من مادة تقوم بها وقد خرجوا بذلك في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولما اثبت انهم كانوا اجسادا ياكلون الطعام بين ان مالهم الى الفنا والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقا السرمدي او البقا المدة المتطاولة اي هولا الرسل بشر اجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر والذي ماز وابه رسالتهم ظهور المعجزة على ايديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره ثم صدقناهم الوعد ذكر تعالى سيرته مع انبيايه فكذلك يصدق نبيه محمدا عليه السلام واصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة فهذه عدة للمومنين ووعيد للكافرين وصدقناهم الوعد من باب اختار وهو ما يتعدى الفعل فيه الى واحد والى الاخر بحرف ويجوز حذف ذلك الحرف اي في الوعد وهو باب لا ينقاس عند الجمهور وانما يحفظ من ذلك افعال قليلة ذكرت في النحو ونظير صدقناهم الوعد قولهم صدقوهم القتال وصدقني سن بكره وصدقت

زيدا

زيدا الحديث ومن نشا هم المومنون والمسرفون هم الكفار المفرطون في غيهم وكفرهم وكل من ترك الايمان فهو مسرف وانجاهم من شر اعدايهم ومن العذاب الذي نزل باعدايهم ولما توعدهم في هذه الاية اعقب ذلك بوعده بنعمته عليهم فقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم والكتاب هو القران وعن ابن عباس ذكركم شرفكم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وعن الحسن ذكر دينكم وعن مجاهد فيه حديثكم وعن سفيان مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقيل تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب وقال صاحب التحرير الذي يقتضيه سياق الايات ان المعنى فيه ذكر مثالبكم ومثالبكم وما عاملتم به انبيا الله من التكذيب والعناد فعلى هذا تكون الاية ذما لهم وليست من تعداد النعم عليهم ويكون الكلام على سياقه ويكون معنى قوله هل هذا افلا تعقلون انكارا عليهم على اهمالهم التدبر والتفكر المودي الى اقتضا الغفلة وقال ابن عطية يحتمل ان يريد فيه شرفكم وذكركم اخر الدهر كما تذكر عظام الامور وفي هذا تحريض ثم اكد التحريض بقوله افلا تعقلون وحركهم بذلك الى النظر وقال الزمخشري نحوه قال ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثنا وحسن الذكر كحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون لما رد الله تعالى عليهم ما قالوه بالغ تعالى في زجرهم بذكر ما اهلك من القرى فقال وكم قصمنا والمراد اهلها اذ لا توصف القرية بالظلم كقوله من هذه القرية الظالم اهلها قال ابن عباس لانشا ابجاد التي بعث سبب اتاه فقتلوه وهو على باني والجمع بنا كجرم والتهم اقطع الكريم به من الاهلاك الشديد وكم تقتضي التكثير فالمعنى كثيرا من اهل القرى اهلكنا اهلاكا شديدا مبالغا فيه وما روي عن ابن عباس انها حضور قرية باليمن وعن ابن وهب عن بعض رجاله انهما قريتان باليمن بطر اهلهما فيحمل على سبيل التمثيل

لا على الشخصين في التربة لان كم تقتضي التكثير ومن حديث اهل حضور
ان الله بعث اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه
على اهل بيت المقدس فبعث اليهم جيشا فهزموه ثم بعث اخر فهزموه
فخرج اليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة فلما اخذ القتل فيهم ركضوا
هاربين فلما احسوا باسنا اي باشروه بالاحساس والضمير في احسوا
عايد على اهل المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية ولا يعود
على قوله قوما اخرين لانه لم يذكر لهم ذنب يركضون من اجله والضمير
في منها عايد على القرية ويحتمل ان يعود على باسنا لانه في معنى الشدة
فانث على المعنى ومن على هذا السبب والظاهر انهم لما ادركتهم مقدمة
العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين قيل ويجوز ان
شبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم
يركضون الارض بارجلهم كما قال اركض برجلك وجواب لما اذا الفجائية
وما بعدها وهذا الدال على ان لما في هذا التركيب حرف لا ظرف وقد تقدم لنا
القول في ذلك وقوله لا تركضوا قال ابن عطية يحتمل ان يكون من قول رجال بخت
نصر على الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا انهم خدعوهم واستهزءوا بهم بان
قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا الى مساكنكم لعلكم تسالون صلحا
او جزية او امرا تتفقون عليه فلما انصرفوا امر بخت نصر ان ينادى فيهم
يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن اخرهم هذا كله مروي ويحتمل
ان يكون قوله لا تركضوا الى اخر الاية من كلام ملايكة العذاب وصف
قصة كل قرية وانه لم يرد تعيين حضور ولا غيرها فالمعنى على هذا ان
اهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون انهم من الله بمكان وانه لو جاءهم عذاب
او امر لم ينزل بهم حتى يخاصموا ويسالوا عن وجه تكذيبهم لسببه فيحتجون
عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم فلما نزل العذاب دون هذا الذي املوه
وركضوا فارين نادتهم الملايكة على وجه الهزء بهم لا تركضوا وارجعوا
لعلكم تسالون كما كنتم تطمعون لسفه ارايكم وقال الزمخشري يحتمل ان
يكون يعني القايل بعض الملايكة او من ثم من المومنين او يجعلون
خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه
ملايكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف
ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسالون غدا عن ما جرى عليكم ونزل
باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن
تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون
وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او
يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيروكم في

المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون باراءكم او يسالكم الوافدون
عليكم والطماع ويستمطرون سحايب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما
لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل
لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ انتهى ونداء الويل في البقرة والظلم
هنا الاشراك وتكذيب الرسل وايقاع انفسهم في الهلاك واسم زالت هو اسم
الاشارة وهو تلك وهو اشارة الى الجملة المقولة اي فما زالت تلك الدعوى
دعواهم قال المفسرون فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا والدعوى مصدر دعا يقال دعا دعوى
ودعوة لقوله واخر دعواهم لان المولول كانه يدعو الويل وقال الحوفي
وتبعه الزمخشري وابو البقا تلك اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز ان
تكون دعواهم اسم زالت وتلك في موضع الخبر انتهى وهذا الذي ذهب اليه
هولاء قاله الزجاج قبلهم واما اصحابنا المتاخرون فاسم كان وخبرها
مشبه بالفاعل والمفعول فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول اذا التبس
ان يكون المتقدم الخبر والمتاخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان فاذا قلت
كان موسى صديقي لم يجز في موسى الا ان يكون اسم كان وصديقي الخبر كقولك
ضرب موسى عيسى فموسى الفاعل وعيسى المفعول ولم ينازع في هذا من
متاخري اصحابنا الا ابو العباس احمد بن - عرف بابن الحاج وهو من
تلاميذ الاستاذ ابو علي الشلوبين ومن نبهائهم فاجاز ان يكون المتقدم هو
المفعول والمتاخر هو الفاعل وان التبس فعلى ما قرره جمهور الاصحاب
يتعين ان يكون تلك اسم زالت ودعواهم الخبر وقوله حصيدا اي بالعذاب
تركوا كالحصيد خامدين اي موتى دون ارواح مشبهين بالنار اذا طفيت
وحصيدا مفعول ثان قال الحوفي وخامدين نعت لحصيد على ان يكون
حصيدا بمعنى محصودين يعني وضع المفرد ويراد به الجمع قال ويجوز ان يجعل
خامدين حالا من الهاء والميم وقال الزمخشري جعلناهم مثل الحصيد شبههم
في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير
المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما
دخل عليها جعل نصبهما جميعا على المفعولية **فان قلت** كيف ينصب
جعل ثلاثة مفاعيل **قلت** حكم الاثنين الاخرين حكم الواحد لان
معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك
جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وخامدين عطف على المماثلة
لا على الحصيد انتهى ولما ذكر تعالى قصم تلك القرى الظالمة اتبع ذلك بما يدل
على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا وانه انما انشا هذا
العالم العلوي المحتوي على عجايب من صنعه وغرايب من فعله وهذا
العالم السفلي وما اودع فيه من عجايب الحيوان والنبات والمعادن
وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب بل لفوايد
دينية تقتضي سعادة الابد او شقاوته ودنياوية لا تعد ولا
تحصى لقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقوله

ما خلقناهما الا بالحق قال اكثر ما في اللعب فعل يدعو اليه الجهل يروق
اوله ولا ثبات له وانما خلقناها لنجازي المحسن والمسيء وليستدل بهما على
الوحدانية والقدرة انتهى لو اردنا ان نتخذ لهوا اصل اللهو ما تسرع اليه
الشهوة ويدعو اليه الهوى وقد يكنى به عن الجماع واما هنا فعن ابن عباس
والسدي هو الولد وقال الزجاج هو الولد بلغة حضرموت
وعن ابن عباس ان هذا رد على من قال اتخذ الله ولدا وعنه ان اللهو هنا
اللعب وقال اللهو هنا المراة وقال قتادة هذا في لغة اهل اليمن وتكون
ردا على من ادعى ان لله زوجة ومعنى من لدنا من عندنا بحيث لا يطلع
عليه احد لانه نقص فستره اولى وقال السدي من السماء لا من الارض
وقيل من الحور العين وقيل من جهة قدرتنا وقيل من الملائكة لا من
الانس رد الولادة المسيح وعزير وقال الزمخشري بين ان السبب
في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي ان الحكمة صارفة
عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير انتهى
ولا يجي هذا الا على قول من قال اللهو هو اللعب واما من فسره بالولد
والمراة فذلك مستحيل لا تتعلق به القدرة والظاهر ان ان شرطية
وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب لو اي ان كنا فاعلين اتخذناه
ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله وقال الحسن وقتادة وابن جريج
ان نافية اي ما كنا فاعلين بل نقذف اي نرمي بسرعة بالحق وهو القرآن
على الباطل وهو الشيطان قاله مجاهد وقال كل ما في القرآن من الباطل فهو
الشيطان وقيل بالحق بالحجة على الباطل وهو شبههم ووصفهم الله بغير صفاته
من الولد وغيره وقيل الحق عام في القرآن والرسالة والشرع والباطل ايضا
عام كذلك بل اضراب عن اتخاذ اللعب واللهو والمعنى انه يدحض الباطل
بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه
فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه
اي اصاب دماغه وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق يهلك الباطل وقرا
عيسى بن عمر فيدمغه بنصب الغين قال الزمخشري وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم ۝ والحق بالحجاز فاستريحا

ولكم فيدمغه بضم الميم انتهى ولكم الويل خطاب للكفار اي
الخزي والهم مما تصفون اي تصفونه من ما لا يليق به تعالى من
اتخاذ الصاحبة والولد ونسبة المستحيلات اليه وقيل ولكم خطاب لمن
تمسك بتكذيب الرسل ونسب القرآن الى انه سحر واضغاث احلام وهو
المعني بقوله مما تصفون وابعد من ذهب الى انه التفات من
ضمير الغيبة في فما زالت دعواهم الى ضمير الخطاب ثم اخبر تعالى ان
من في السموات والارض ملك له فاندرج فيه من نسبوا له الصاحبة والولد
ومن عنده هم الملائكة واحتمل ان يكون معطوفا على من فيكونون قد

اندرجوا

اندرجوا في الملائكة بطريق العموم لدخولهم في من وبطريق الخصوص بالنص على انهم من
عنده ويكون لا يستكبرون جملة حالية منهم او استئناف اخبار واحتمل ان يكون
ومن عنده لا يستكبرون جملة حالية منهم او استئناف اخبار واحتمل ان يكون
ومن عنده مبتدا وخبره لا يستكبرون ومن هنا لا يراد بها ظرف المكان لانه
تعالى منزه عن المكان بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة والظاهر ان قوله
وله من في السموات والارض استئناف اخبار بان جميع العالم ملكه وقيل
يحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل مما تصفون كانه تقسيم الامر في
نفسه اي للمختلقين هذه المقالة الويل ولله تعالى من في السموات
والارض انتهى والمراد ان الملائكة مكرمون منزلون لكرامتهم على الله منزلة
المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم ويقال
حسر البعير واستحسر كل وتعب وحسرته انا فهو حسير ولازم واستحسرته
ايضا وقال الشاعر

بها جيف الحسرى فاما عظامها ۝ فبيض واما جلدها فصليب

قال الزمخشري فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ
في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان
ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات
الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون انتهى يسبحون هم الملائكة باجماع
الامة ومنهم تسبيحهم دائم وعن كعب جعل الله لهم التسبيح كالنفس وطرف
العين للبشر يقع منهم دائما دون ان يلحقهم فيه سامة وفي الحديث
اني لاسمع اطيط السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك
ساجدا او قائم ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ام اتخذوا من دونه
الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وان من في السموات والارض
كلهم ملك له وان الملائكة المكرمين هم في خدمته لا يفترون عن
تسبيحه وعبادته عاد الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه
احلامهم وام هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة ففيها الاضراب والانتقال
من خبر الى خبر واستفهام معناه التعجب والانكار اي اتخذوا الهة من الارض
يتصفون بالاحياء ويقدرون عليها وعلى الاماتة اي لم يتخذوا الهة بهذا

الوصف بل اتخذوا آلهة جمادًا لا تتصف بالقدرة على شيء وهي غير آلهة لأن من
صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة وقال الزمخشري فإن قلت
كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وهم
أبعد شيء عن هذه الدعوى لأنهم مع إقرارهم بأن الله خالق السموات
والأرض وأنه قادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين
للبعث وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر فكيف
يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة قلت الأمر كما ذكرت
ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق
هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه
باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه
من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على
الإبداء والإعادة ونحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة أو من المدينة
تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام
التي تعبد في الأرض لأن الآلهة أرضية وسماوية ومن ذلك حديث
الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت
إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة
الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكانًا لله تعالى ويجوز أن يراد
آلهة أرضية من جنس الأرض لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة أو
تعمل من بعض جواهر الأرض فإن قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت
النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة [illegible]
لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم انتهى واتخذوا هنا يحتمل أن يكون المعنى
فيها صنعوا وصوروا ومن الأرض يتعلق باتخذوا ويحتمل أن يكون المعنى
جعلوا الآلهة أصنامًا من الأرض كقوله أتتخذ أصنامًا آلهة وقوله واتخذ
الله إبراهيم خليلا ويكون فيه معنى الاصطفاء والاختيار وقرأ الجمهور
ينشرون مضارع أنشر ومعناه يحيون وقال قطرب معناه يخلقون هو
كقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وقرأ الحسن ومجاهد ينشرون مضارع
نشر وهما لغتان نشر وأنشر متعديان ونشر لازم تقول أنشر
الله الموتى فنشروا أي حيوا والضمير في فيهما عائد على السماء والأرض
وهما كناية عن العالم وإلا هنا صفة لآلهة أي آلهة غير الله وكون
إلا يوصف بها معهود في لسان العرب ومن ذلك ما أنشد س رحمه الله
وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان قال الزمخشري
فإن قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لأن لو بمنزلة إن في
أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب
كقوله ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح
نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة
شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين
أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون

ذلك

ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فإن قلت لم وجب الأمران قلت
لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر
والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق
كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا
ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال
محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر
وقال ابن عطية وذلك بأنه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما
خلق واقتضاب القول في هذا أن الإلهين لو فرضنا بينهما اختلافا
في تحريك جسم وتحريكه فمحال أن تتم الإرادتان ومحال أن لا تتم جميعا
وإذا تمت الواحدة كان صاحب الأخرى عاجزا وهذا ليس بإله وجواز
الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما ونظر آخر وذلك أن كل جزء يخرج
من العدم إلى الوجود فمحال أن يتعلق به قدرتان فإذا كانت قدرة
أحدهما توجده فبقي الآخر فضلا لا معنى له في ذلك الجزء ثم يتمادى النظر
هكذا جزءا جزءا وقال أبو عبد الله الرازي لو فرضنا موجودين واجبي
الوجود لذاتهما فلا بد أن يشتركا في الوجود ولا بد أن يمتاز كل واحد
منهما عن الآخر بعينه وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيكون كل
واحد مشاركا للآخر وكل مركب فهو مفتقر إلى آخر ممكن
لذاته فإذا واجب الوجود ليس إلا واحدا فكل ما عداه فهو محدث
ويمكن جعل هذا تفسيرا لهذه الآية لأنا لما دللنا على أنه يلزم من فرض
موجودين واجبين أن لا يكون شيء منهما واجبا وإذا لم يوجد الواجب
لم يوجد شيء من هذه الممكنات فحينئذ يلزم الفساد في كل العالم وقال
أبو البقاء لا يجوز أن يكون بدلا لأن المعنى يصير إلى قولك لو كان فيهما الله
لفسدتا ألا ترى أنك لو قلت ما جاءني قومك إلا زيد على البدل لكان
المعنى جاءني زيد وحده وقيل يمتنع البدل لأن ما قبله إيجاب ولا يجوز النصب
على الاستثناء لوجهين أحدهما أنه فاسد في المعنى وذلك أنك لو قلت لو
جاءني القوم إلا زيدا لقتلتهم كان معناه أن القتل امتنع لكون زيد مع
القوم فلو نصبت في الآية لكان المعنى فساد السموات والأرض امتنع لوجود
الله مع الآلهة وفي ذلك إثبات إله مع الله وإذا رفعت على الوصف
لا يلزم مثل ذلك لأن المعنى لو كان فيهما غير الله لفسدتا والوجه الثاني
أن آلهة هنا نكرة والجمع إذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين
لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء انتهى وأجاز
أبو العباس المبرد في إلا الله أن تكون بدلا لأن ما بعد لو غير موجب
في المعنى والبدل في غير الواجب أحسن من الوصف وقد أمعنا الكلام
على هذه المسألة في شرح التسهيل وقال الأستاذ أبو علي الشلوبين في
مسألة س لو كان معنا رجل إلا زيد لغلبنا أن المعنى لو كان معنا
رجل مكان زيد لغلبنا فإلا بمعنى غير التي بمعنى مكان وقال شيخنا الأستاذ
أبو الحسن بن الضائع لا يصح المعنى عندي إلا أن تكون إلا بمعنى

عن الذي يراد بها البدل أي لو كان فيهما آلهة عوض واحد أي بدل الواحد الذي
هو الله لفسدتا وهذا المعنى أراد سيبويه في المثالة التي جاء بها توطئة
انتهى ولما أقام البرهان على وحدانيته والتفرد بالألوهية نزه نفسه
عما وصفه به أهل الجهل بقوله فسبحان الله ثم وصف نفسه بأنه مالك
هذا المخلوق العظيم الذي جميع العالم هو متضمنه ثم وصف نفسه
بكمال القدرة ونهاية الحكمة فقال لا يسأل عما يفعل أي له أن يفعل في ملكه
ما شاء وفعله على أقصى درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقب عليه
ولما كانت عادة الملوك أنهم لا يسألون عما يصدر من أفعالهم مع إمكان
الخطأ فيها كان ملك الملوك أحق بأن لا يسأل هذا مع علمنا أنه لا يصدر
عنه إلا ما اقتضته الحكمة العارية عن الخلل والتعقب وجاء عن ما يفعل
إذ الفعل جامع لصفات الأفعال مندرج تحته كل ما يصدر عنه من خلق
ورزق ونفع وضر وغير ذلك والظاهر في قوله لا يسأل العموم في الأزمان
وقال الزجاج أي في القيامة لا يسأل في حكمه عن عباده وهم يسألون
عن أعمالهم وعن ابن جريج لا يحاسب وهم يحاسبون وقيل لا يؤاخذ وهم
يؤاخذون انتهى وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون واقع منهم
الخطأ كثيرا فهم جديرون أن يقال لهم لم فعلتم كذا وقرأ
الحسن لا يسل وهم يسلون بفتح السين نقل حركة الهمزة إلى السين
وحذف الهمزة ثم كرر تعالى عليهم الإنكار والتوبيخ فقال أم اتخذوا من
دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم وزاد في هذا التوبيخ
قوله من دونه فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم
إلى الإتيان بالحجة على ما اتخذوا وأنه لا حجة تقوم على أن لله تعالى شريكا
لا من جهة العقل ولا من جهة النقل بل كتب الله تعالى السابقة شاهدة
بتنزيهه تعالى عن الشركاء والأنداد كما في الوحي الذي جئتكم به هذا
ذكر من معي أي عظة للذين معي وهم أمته وذكر الذين
من قبلي وهم أمم الأنبياء لكن هنا مراد به الكتب الإلهية
ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى القرآن والمعنى فيه ذكر الأولين
والآخرين فذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم وذكر
الأولين والآخرين بقصص أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم
والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي هاتوا برهانكم
فهذا برهاني في ذلك ظاهر وقرأ الجمهور بإضافة ذكر إلى من
فيهما على إضافة المصدر إلى المفعول كقوله بسؤال نعجتك وقرئ
بتنوين ذكر فيهما ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في
يوم ذي مسغبة يتيما وقرأ يحيى بن يعمر وطلحة بتنوين ذكر
فيهما وكسر ميم من فيهما ويعني معي هنا عندي والمعنى هذا ذكر من
عندي ومن قبلي أي أذكركم بهذا القرآن الذي عندي كما ذكر
الأنبياء من قبلي أممهم ودخلت من على مع نادر لكنها اسم يدل على

الصحبة

الصحبة والاجتماع أجري مجرى الظرف فدخلت عليه من كما دخلت على قبل وبعد
وعند وضعف أبو حاتم هذه القراءة لدخول من على مع ولم ير لها وجها وعن
طلحة ذكر منونا معي دون من وذكر منونا قبلي دون من وقرأت
فرقة وذكر من بالإضافة وذكر منونا من قبلي بكسر ميم من وقرأ
الجمهور الحق بالنصب والظاهر نصبه على المفعول به فلا يعلمون
أي أكثرهم وشاهدهم هو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل
ومن ثم جاء الإعراض عنه وقال الزمخشري ويجوز أن يكون المنصوب
أيضا على معنى التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد الله الحق
لا الباطل فأكد نسبة انتفاء العلم عنهم والظاهر أن الإعراض متسبب عن
انتفاء العلم لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل أعرضوا عن الحق وقال
ابن عطية ثم حكم عليهم تعالى بأن أكثرهم لا يعلمون الحق لإعراضهم عنه
وليس المعنى فهم معرضون لأنهم لا يعلمون بل المعنى فهم معرضون
ولذلك لا يعلمون الحق وقرأ الحسن وحميد وابن محيصن
الحق بالرفع قال صاحب اللوامح ابتداء والخبر مضمر أو بل والمبتدأ قبله
مضمر وقال ابن عطية هذا القول هو الحق والوقف على هذه القراءة
على لا يعلمون وقال الزمخشري وقرئ الحق بالرفع على
توسط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل
هو الحق لا الباطل انتهى ولما ذكر انتفاء علمهم الحق وإعراضهم أخبر أنه ما أرسل
من رسول إلا جاء مقررا لتوحيد الله وإفراده بالإلهية والأمر بالعبادة
ولما كان من رسول عاما كان لفظ ومعنى أفرد على اللفظ في قوله
إلا يوحى إليه ثم جمع على المعنى في قوله فاعبدون وكثيرا ما في التركيب
فاعبدوني وكثيرا أن يكون الأمر له ولأمته وهذه العقيدة من توحيد
الله لم تختلف فيها النبوات وإنما وقع الاختلاف في أشياء من الأحكام
وقرأ الأخوان والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى والعطاردي وابن
غزوان عن أيوب وخلف وابن سعدان وابن عيسى وابن جرير
نوحي بالنون وباقي السبعة بالياء وفتح الحاء واختلف عن عاصم ثم
نزه تعالى نفسه عما نسبوا إليه من الولد قيل ونزلت في خزاعة حيث
قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى نحو هذا في عيسى واليهود
في عزير ثم أضرب تعالى عن نسبة الولد إليه فقال بل عباد مكرمون
ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيرا والمسيح ويظهر من كلام الزمخشري
أنه مخصوص بالملائكة قال نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي
الولادة إلا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على
سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي
غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا انتهى
وقرأ عكرمة مكرمون بالتشديد والجمهور بالتخفيف

وقرا لا يسبقونه بكسر الباء وقرى بضمها من سابقني فسبقته اسبقه
والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيا حتى يقوله فلا يسبق قولهم
قوله والـ[لام] في بالقول نابت مناب الضمير على مذهب الكوفيين
اي بقولهم وكذا قال الزمخشري والمراد بقولهم فانيبت اللام مناب
الاضافة او الضمير محذوف اي بالقول منهم وذلك على مذهب
البصريين وهم بامره يعملون فكما ان قولهم تابع لقوله كذلك فعلهم
مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وهذه عبارة عن
توغلهم في طاعته والامتثال لامره ثم اخبر تعالى انه يعلم ما بين ايديهم
اي ما تقدم من افعالهم واقوالهم والحوادث التي لهم الهم وما
تاخر وعلمه بذلك يجري مجرى السبب لطاعتهم لما علموه عالما بجميع
المعلومات وظواهرهم وبواطنهم كان ذلك داعيا لهم الى نهاية
الخضوع والدووب على العبادة قال ابن عباس يعلم ما قدموا وما
اخروا من اعمالهم وقال نحوه عمار بن ياسر قال ما عملوا وما لم يعملوا
بعد وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا وقيل عكس ذلك
وقيل يعلم ما كان قبل ان خلقهم وما كان بعد خلقهم ولما كانوا
مقهورين تحت امره وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على ان
يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في زيادة الثواب
والتعظيم ثم هم مع ذلك من خشيته مشفقون متوقعون حذرون
لا يامنون مكر الله وقال ابن عباس لمن ارتضى هو من قال لا اله الا الله
وشفاعتهم الاستغفار وقال مجاهد لمن ارتضاه الله ان يشفع وقيل
شفاعتهم في القيامة وفي الصحيح انهم يشفعون في الدنيا والاخرة
وبعد ان وصف كرامتهم عليه واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال
السنية فاجا بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من ادعى منهم
انه اله وذكر على سبيل الفرض والتمثيل مع علمه بانه لا يكون كقوله
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون فقصد بذلك تفظيع امر الشرك
وتعظيم شان التوحيد وقرا الجمهور نجزيه بفتح النون
وقرا ابو عبد الرحمن المقري بضمها اراد نجزيه بالهمز من اجزاني
كذا كفاني ثم خفف الهمزة فانقلبت ياء كذلك اي مثل هذا الجزاء نجزي
الظالمين وهم الكافرون الواضعون الشي في غير موضعه واداة
الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله لين اشركت اولم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الماء كل شي حي افلا يومنون وجعلنا في الارض رواسي ان
تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا
السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل
نفس ذايقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون

هذا

هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله الهة ودلالة على تنزيهه عن الشريك
وتوكيد لما تقدم من ادلة التوحيد ورد على عبدة الاوثان من حيث ان
الاله القادر على هذه المخلوقات المتصرف فيها التصرف العجيب كيف
يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع والروية
هنا من روية القلب وقيل من روية البصر وذكروا الاختلاف في
الرتق والفتق وقرا ابن كثير وحميد وابن محيصن الم ير بغير
واو العطف والجمهور اولم بالواو كانتا قال الزجاج السموات
جمع اريد به الواحد ولهذا قال كانتا رتقا لانه اراد السما والارض
ومنه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقيل جعل السموات نوعا
والارضين نوعا فاخبر عن النوعين كما اخبر عن اثنين كما تقول
اصلحت بين القوم ومرت بنا غنمان اسودان لفحلين غنم وقال
الحوفي قال كانتا رتقا والسموات جمع لانه اراد الصنفين ومنه
قول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما • يوفي المخارم يرقبان سوادي

لانه اراد النوعين وقال ابو البقا الضمير يعود على الجنسين وقال الزمخشري
وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه
قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر ما فعل في المظهر
وقال ابن عطية وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه
قول عمرو بن شييم

الم يحزنك ان حبال قيس • وتغلب قد تباينتا انقطاعا

قال ابن عباس والحسن وعطا والضحاك وقتادة كانتا شيا واحدا
ففصل الله بينهما بالهوا وقال كعب خلق الله السموات والارض بعضها
على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين
سبعا وقال مجاهد والسدي وابو صالح كانت السموات والارض
مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك
الارضون كانتا مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبعا
وقالت فرقة السموات والارض رتق بالظلمة وفتقها الله بالضو
وقالت فرقة السما قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقهما
بالمطر والنبات كما قال والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع قال
ابن عطية وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس
بين ويناسب قوله وجعلنا من الما كل شي حي اي من الما الذي
اوجده الفتق انتهى وعلى هذين القولين تكون الروية من البصر
وعلى ما قبلهما من روية القلب وجا تقريرهم بذلك لانه وارد في القران
الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد ولان تلاصق
الارض والسما وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلابد للتباين دون
التلاصق من مخصص وهو الله سبحانه وقرا الجمهور رتقا بسكون
التا وهو مصدر يوصف به كزور وعدل فوقع خبرا للمثنى وقرا

الحسن وزيد بن علي وابو حيوة وعيسى رتقا بفتح التا وهو اسم المرتوق كالنفض
والنقض وكان قياسه ان يثنى ليطابق الخبر الاسم فقال الزمخشري هو
على تقدير موصوف اي كانتا شيا رتقا وقال ابو الفضل الرازي الاكثر
في هذا الباب ان يكون المتحرك منه اسما بمعنى المفعول والساكن مصدرا
وقد يكونان مصدرين لكن المتحرك اولى بان يكون في معنى المفعول
لكن هنا الاولى ان يكونا مصدرين فاقيم كل واحد منهما مقام
المفعولين الا ترى انه قال كانتا رتقا فلو جعلت احدهما اسما لوجب
ان تثنيه فلما قال رتقا كان في الوجهين كرجل عدل ورجلين عدل
وقوم عدل انتهى وجعلنا ان تعدت لواحد كانت بمعنى وخلقنا من
الما كل حيوان اي مادته النطفة قاله قطرب وجماعة او لما كان قوامه
الما المشروب وكان محتاجا اليه لا يصبر عنه جعل مخلوقا منه كقوله
خلق الانسان من عجل قاله الكلبي وغيره ويكون الحيوة على هذا
حقيقة ويكون كل شي عاما مخصوصا اذ خرج منه الملايكة والجن
وليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للما وقال قتادة اي
خلقنا كل نام من الما فيدخل فيه النبات والمعدن وتكون الحيوة
فيهما مجازا او عبر بالحيوة عن القدر المشترك بينها وبين الحيوان
وهو النمو ويكون ايضا على هذا عاما مخصوصا وان تعدت جعلنا
لاثنين فالمعنى صيرنا كل شي بسبب من الما لا بد له منه **وقرا**
الجمهور حي بالخفض صفة لشي **وقرا** حميد حيا بالنصب مفعولا ثانيا
لجعلنا والجار والمجرور لغو اي ليس مفعولا ثانيا لجعلنا افلا يومنون
استفهام انكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم والمعنى افلا
يتدبرون هذه الادلة ويعملوا بمقتضاها ويتركوا طريقة الشرك والتي
الايمان عليه وقد انتظمت هذه الاية لدليلين من دلايل
التوحيد وهي من الادلة السماوية والارضية ثم ذكر دليلا اخر
من الدلايل الارضية فقال وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم
وتقدم شرح نظير هذه الجملة في سورة النحل وجعلنا فيها سبلا وهذا
دليل رابع من الدلايل الارضية والظاهر ان الضمير في فيها عايد على
الارض وقيل يعود على الرواسي وقدم هنا تقديم فجاجا على قوله
سبلا وفي سورة نوح لتسلكوا منها سبلا فجاجا فقال الزمخشري وهي
يعني فجاجا صفة ولكن جعلت حالا كقوله لمية موحشا طلل
يعني انها حال من سبل وهو نكرة فلو تاخر لكان صفة كما في تلك
الاية ولكن تقدم فانتصب على الحال قال **فان قلت** ما الفرق
بينهما من جهة المعنى **قلت** احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا
واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما
ابهم ثمة انتهى يعني بالابهام ان الوصف لا يلزم ان يكون الموصوف
متصفا به حالة الاخبار عنه وان كان الاكثر قيامه به حالة الاخبار
عنه الا ترى انه يقال مررت بوحشي القاتل حمزة فحالة المرور لم
يكن

يكن قايما به قتل حمزة واما الحال فهي هيية ما تخبر عنه حالة
الاخبار لعلهم يهتدون في مسالكهم وتصرفهم ومنافع وسمك
على شي فهو سقف قال قتادة حفظ من البلى والتغير على
طول الدهر وقيل حفظ من السقوط لامساكه من غير علاقة
ولا عماد وقيل حفظ من الشرك والمعاصي وقال الفرا حفظ
من الشياطين بالرجوم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نظر الى السما فقال ان السما سقف مرفوع وموج
مكفوف تجري كما يجري السهم محفوظا من الشياطين واذا
صح هذا الحديث كان نصا في معنى الاية وهم عن اياتها اي
عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر
وساير النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب
القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة
والقدرة الباهرة **وقرا** الجمهور عن اياتها
بالجمع **وقرا** مجاهد وحميد عن ايتها بالافراد
فيجوز انه جعل الحفظ والسقف او الخلق اي خلق السما
اية واحدة تحوي الايات كلها ويجوز انه اراد بها فجعلها
اسم الجنس ودل على ذلك كثرة ما في السما من الايات
والمعنى وهم عن الاعتبار باياتها معرضون **وقال**
الزمخشري هم متفطنون لما يرد عليهم من السما من
المنافع الدنياوية والاستضاءة بقمريها والاهتدا بكواكبها
وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية
بينة على الخالق معرضون والتنوين في كل عوض من المضاف
اليه والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة وعن ابن
عباس والسدي الفلك السما وقال اكثر المفسرين الفلك
موج مكفوف تحت السما تجري فيه الشمس والقمر وقال
قتادة الفلك القطب الذي تدور عليه النجوم وهو قطب
الشمال وقيل لكل واحد من السيارات فلك وفلك الافلاك
يحركها حركة واحدة من الشرق الى الغرب وقال
الضحاك الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم
والظاهر انه جسم وفيه الاختلاف المذكور والظاهر
ان كلا يسبح في فلك واحد وقيل لكل واحد فلك يخصه فهو
كقولهم كساهم الامير حلة اي كسا كل واحد وجا
يسبحون بواو الجمع العاقل فاما الجمع فقيل ثم معطوف
محذوف وهو والنجوم ولذلك عاد الضمير مجموعا ولو لم
يكن ثم معطوف محذوف لكان يسبحان مثنى وقال
الزمخشري الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع

كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في
جمعها بالشموس والأقمار وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد
انتهى وحسّن ذلك كونه جاء فاصلة رأس آية وأما كونه
ضميرين تعقل ولم يكن التركيب يسبحن فقال العكبري لما
كانت السباحة من أفعال الآدميين جاء ما أسند إليهما
مجموعًا جمع من يعقل كقوله رأيتهم لي ساجدين قال أبو
عبد الله الرازي وعلى قول أبي علي بن سينا ذلك
إنما عنده متعقل انتهى وهذه الجملة يحتمل أن تكون استئناف
إخبار فلا محل لها أو محلها النصب على الحال من الشمس
والقمر لأن الليل والنهار لا يتصفان بأنهما يجريان في
فلك فهو كقولك رأيت زيدًا وهندًا متبرجة والسباحة
العوم والذي يدل عليه الظاهر أن الشمس والقمر هما
اللذان يجريان في الفلك وأن الفلك لا يجري وما
جعلنا الآية قيل إن بعض المسلمين قال إن محمدًا لن يموت
وإنما هو مخلد فأنكر ذلك الرسول فنزلت وقيل طعن كفار
مكة عليه بأنه بشر يأكل الطعام ويموت فكيف يصح إرساله
وقال الزمخشري كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون
بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد
في الدنيا بشرًا فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإن
مت أيبقى هؤلاء وفي معناه **قول الإمام الشافعي**
رضي الله عنه • تمنى رجال أن أموت وإن أمت • فتلك سبيل لست فيها بأوحد
• فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى • تزود لأخرى مثلها فكأن قد

وقول الآخر
• فقل للشامتين بنا أفيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا •
والفاء في أفإن مت للعطف قدمت عليها همزة الاستفهام
لأن الاستفهام له صدر الكلام دخلت على إن الشرطية
والجملة بعدها جواب الشرط وليست مصب الاستفهام
فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض الشرط بينهما فحذف
جوابه هذا مذهب س وزعم يونس أن تلك الجملة
هي مصب الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف
قال ابن عطية وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب
الشرط انتهى وفي هذه الآية دليل لمذهب س إذ لو
كان على ما زعم يونس لكان التركيب أفإن مت
هم الخالدون بغير فاء وللمذهبين تقرير في علم
النحو كل نفس ذائقة الموت تقدم تفسير هذه الجملة
ونبلوكم نختبركم وقدم الشر لأن الابتلاء به أكثر ولأن العرب تقدم الأقل
والأردا

والأردأ ومنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
وعن ابن عباس الخير والشر هنا عام في الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية والهدى
والضلال قال ابن عطية هذا الإقرار ليسا داخلين في هذا لأن من هدي فليس هداه اختبارًا
ولا من أطاع بل قد تبين خبره والظاهر أن المراد من الخير والشر هنا كل ما صح أن يكون فتنة
وابتلاء انتهى وعن ابن عباس أيضًا بالشدة والرخاء لتصبروا على الشدة وتشكروا على
الوفاء أم لا وقال الضحاك الفقر والمرض والغنى والصحة وقال ابن زيد المحبوب
والمكروه وانتصب فتنة على أنه مفعول له أو مصدر في موضع الحال أو مصدر من معنى
نبلوكم وإلينا ترجعون فنجازيكم على ما تعدد منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير
الابتلاء وقرأ الجمهور ترجعون بتاء الخطاب مبنيًا للمفعول **وقرأت فرقة**
بالتاء مفتوحة مبنيًا للفاعل **وقرأت فرقة** بضم الياء للغيبة مبنيًا للمفعول على سبيل الالتفات
وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن
هم كافرون خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى
هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون
أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون قال
السدي ومقاتل مر الرسول عليه السلام بأبي جهل وأبي سفيان فقال أبو جهل هذا نبي عبد مناف
فقال أبو سفيان وما تنكرون أن يكون نبي في بني عبد مناف فسمعها الرسول فقال لأبي
جهل ما أراك منتهيًا حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فإنما قلت
ما قلت حمية فنزلت وما كان الكفار بحيث ذكر إلا شرعوا في الاستهزاء وتنقيص من
يذكرهم على سبيل المقابلة وإن النافية بمعنى ما والظاهر أن جواب إذا هو إن يتخذونك
وجواب إذا بإن النافية لم يرد منه في القرآن إلا هذا وقوله في القرآن وإذا رآك
يتخذونك إلا هزوا ولم يحتج إلى الفاء في الجواب كما لم يحتج إليه ما إذا وقعت جوابًا بالقول وإذا
تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف أدوات الشرط فإنها إذا كان الجواب مصدرًا
بما النافية فلا بد من الفاء نحو إن تزرنا فما نسيء إليك وفي الجواب لإذا بإن وما النافيتين
دليل واضح على أن إذا ليست معمولة للجواب بل العامل فيها الفعل الذي يليها
وليست مضافة للجملة خلافًا لأكثر النحاة وقد استدل الشاطبي ذكرنا بغير هذا من الأدلة
في شرح التسهيل وقيل جواب إذا محذوف وهو يقولون المحكي به قولهم أهذا الذي
يذكر آلهتكم وقوله إن يتخذونك إلا هزوا كلام معترض بين إذا وجوابه ويتخذونك
يتعدى إلى اثنين فإن ثاني هزوا أي مهزوًا به وهذا استفهام فيه إنكار وتعجيب
والذكر يكون بالخير والشر فإذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه فإن كان من
صديق فالذكر ثناء أو من غيره فذم ومنه سمعنا فتى يذكرهم أي بسوء وكذلك هنا
أهذا الذي يذكر آلهتكم ثم نعى عليهم إنكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية
وهي وهم بذكر الرحمن هم كافرون أي منكرون وهذه حالهم يكفرون بذكر الرحمن
وهو ما أنزل من القرآن فمن هذه حاله لا ينبغي أن ينكر على من يعيب آلهتهم والظاهر
أن هذه الجملة حال من الضمير في يقولون المحذوف وقال الزمخشري والجملة في موضع

الحال اي يتخذونك هزوا وهم علي حال هي اصل الهزو والسخرية وهي الكفر بالله انتهي
فجعل الجملة الحالية العامل فيها يتخذونك هزوا المحذوفة وكرر هم علي سبيل التوكيد وروي
انها نزلت حين انكروا لفظة الرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا في اليمامه والمراد بالرحمن
هنا الله كانه قيل وهم بذكر الله ولما كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجئة
الي الاقرار والعلم نهاهم تعالي عن الاستعجال وقدم اولا ذم الانسان علي افراط
العجلة وانه مطبوع عليها والظاهر انه يراد بالانسان هنا اسم الجنس وكونه
خلق من عجل وهو علي سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيرا كما تقول لكثير اللعب
انت من لعب وفي الحديث لست من دد ولا دد مني وقال الشاعر
وانا لمما يضرب الكبش ضربة علي راسه تلقي اللسان من الفم
لما كانوا اهل ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب وبهذا التاويل
يتم معني الاية ويترتب عليه قوله سأريكم اياتي اي ايات الوعيد فلا تستعجلون
في رؤيتكم العذاب الذي تستعجلون به ومن يدعي القلب فيه وهو ابو عمرو وان
التقدير خلق العجل من الانسان وكذا قراه عبد الله علي معني انه جعل طبيعة
من طبايعه وجزا من اخلاقه فليس قوله بجيد لان القلب الصحيح فيه انه
لا يكون في كلام فصيح وان بابه الشعر فيل فيما جا في الكلام من ذلك قول العرب
اذا طلعت الشعري استوي العود علي الحربا وقالوا عرضت الناقة علي الحوض
وفي الشعر قوله حسرت كفي عن السربال اخذه وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة
والسدي والضحاك ومقاتل والكلبي الانسان هنا ادم قال مجاهد لما دخل الروح راسه
وعينيه راي الشمس قاربت الغروب فقال يا رب عجل تمام خلقي قبل ان تغيب الشمس
وقال سعيد لما بلغت الروح ركبتيه كاد يقوم فقال الله خلق الانسان من عجل
لان الله قال له كن فكان وقال الحسن من عجل اي ضعيف يعني النطفة وقيل
خلق بسرعة وتعجيل علي غير ترتيب الادميين من النطفة والعلقة والمضغة وهذا
يرجع لقول الاخفش وقيل من عجل من طين والعجل بلغة حمير الطين وانشد ابو عبيدة
لرجل من حمير
النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل منبته في الماء والعجل وقيل الانسان هنا
النضر بن الحرث والذي ينبغي ان تحمل الاية عليه هو القول الاول وهو الذي يناسب
اخرها والايات هنا قيل الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الاخرة اي ياتيكم في
وقته وقيل ادلة التوحيد وصدق الرسول وقيل اثار القرون الماضية بالشام
واليمن والقول الاول اليق ويجيء ما يوكد اذ دمتم علي كفركم كما جري يوم
بدر وغيره في الدنيا وفي الاخرة وقال الزمخشري فان قلت لم نهاهم
عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس
هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه من الشهوة وامره ان يغلبها
لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة انتهي وهو علي طريق
الاعتزال وقرا مجاهد وحميد وابن مقسم مبنيا للفاعل الانسان بالنصب اي
خلق الله الانسان وقوله متي هذا الوعد استفهام علي جهة الهزو وكان المسلمون
يتوعدونهم علي لسان الشرع ومتي في موضع الخبر لهذا فموضعه رفع ونقل عن
بعض الكوفيين ان موضعه نصب علي الظرف والعامل فيه فعل مقدر تقديره
يكون او يجيء وجواب لو محذوف لان الكلام عليه وحذفه ابلغ واهيب من
النعو

النعو عليه فقدره ابن عطية لما استعجلوا ونحوه وقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة من
الكفر والاستهزاء والاستعجال وقيل لعلموا صحة البعث وقيل لعلموا صحة الموعود وقال الحوفي
لسارعوا الي الايمان وقال الكسائي هو تنبيه علي تحقيق وقوع الساعة وحين يراد
به وقت الساعة يدل علي تحقيق وقوع الساعة وحين يراد به وقت الساعة
يدل علي ذلك بل تاتيهم بغتة انتهي وحين قال الزمخشري مفعول به ليعلم اي
لو تعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متي هذا الوعد وهو وقت صعب
شديد تحيط بهم النار من وراء وقدام ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم
قال ويجوز ان يكون يعلم متروكا فلا تعدية بمعني لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار
يعلمون انهم كانوا علي الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها انتهي
والذي يظهر ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله اي لو يعلم الذين كفروا مجيء
الموعود الذي سالوا عنه واستبطوه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء ويجوز
ان يكون من باب الاعمال علي حذف مضاف واعمل الثاني والمعني لو يعلمون مباشرة
النار حين لا يكفونها عن وجوههم وذكر الوجوه لانها اشرف ما في الانسان ومحل
حواسه والانسان احرص علي الدفاع عنه من غيره من اعضايه ثم عطف
عليها الظهور والمراد عموم النار لجميع ابدانهم ولا احد يمنعهم من العذاب بل تاتيهم
بغتة اي تفجاهم قال ابن عطية بل تاتيهم استدراك مقدر قبله نفي تقديره
ان الايات لا تاتي بحسب اقتراحهم انتهي والظاهر ان الضمير في تاتيهم عايد علي
النار وقيل علي الساعة التي تصيرهم الي العذاب وقيل علي العقوبة وقال
الزمخشري في عود الضمير الي النار او الي الوعد لانه في معني النار وهي التي
وعدوها او علي تاويل العدة والموعدة او الي الحين لانه في معني الساعة
او الي البغتة انتهي وقرا الاعمش بل ياتيهم بالياء بغتة بفتح الغين فيبهتهم
بالياء والضمير عايد علي الوعد وعلي الحين قاله الزمخشري وقال ابو الفضل الرازي
لعله جعل النار بمعني العذاب فذكر ثم ردها الي ظاهر اللفظ ولا هم ينظرون
اي يوخرون عن ما حل بهم ولما تقدم قوله ان يتخذونك الا هزوا سلاه تعالي
بان من تقدمه من الرسل وقع في امهم الاستهزاء بهم وان ثمرة استهزايهم
جنوها هلاكا وعقابا في الدنيا والاخرة فكذلك حال هولاء المستهزين وتقدم
تفسير مثل هذه الاية في الانعام ثم امره تعالي ان يسالهم من الذي يحفظكم
في اوقاتكم من باس الله اي لا احد يحفظكم منه وهو استفهام تقريع وتوبيخ
وفي اخر الكلام تقدير محذوف كانه ليس لهم مانع ولا كالي وعلي هذا النفي تركب
بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون قاله ابن عطية وقال الزمخشري بل هم
معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتي اذا رزقوا
الكلاة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسوال عنه والمراد انه امر رسوله بسوالهم
عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلوهم انتهي
وقرا ابو جعفر والزهري وشيبة يكلوكم بهمزة خفيفة من غير همز وحكي
الكسائي والفرا يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو وام لهم الهة ام بمعني بل والهمزة
كانه قيل بل الهم فاضرب ثم استفهم يمنعهم من العذاب وقال الحوفي فمن دوننا

تخلو بتنعم انتهى قيل والمعنى أم لهم آلهة تجعلهم في منعة وعز من أن ينالهم بمكروه من جهتنا وقال
ابن عباس في الكلام تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم تقول منعته دونه
كففت أذاه فمن دوننا هو من صلة آلهة أي أم لهم آلهة دوننا أو من صلة تمنعهم
أي أم لهم مانع من سوانا ثم استأنف الإخبار عن آلهتهم فبين أن ما ليس بقادر
على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله والتأييد كيف يمنع غيره وينصره وقال
ابن عباس يصحبون يمنعون وقال مجاهد ينصرون وقال قتادة لا يصحبون من
الله بخير وقال الشاعر ينادي بأعلى صوته متعوذا ليصحب منا والرماح دوان
وقال مجاهد يحفظون وقال السدي لا يصحبهم من الملائكة من يدفع عنهم والظاهر عود
الضمير في ولا هم على الأصنام وهو قول قتادة وقيل على الكفار وهو قول ابن عباس
وفي التحرير وفي هذه الكلمة يعني يصحبون على معنيين أحدهما أنه من صحب
والثاني من الإصحاب أصحب الرجل منعه من الآفات بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم
الغالبون قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ولئن
مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
حاسبين ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك
أنزلناه أفأنتم له منكرون هؤلاء إشارة إلى المخاطبين قبل
وهم كفار قريش ومن اتخذ آلهة من دون الله أخبر تعالى أنه متع هؤلاء الكفار
وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة
وتدعوا في الضلالة بإمهال الله تعالى إياهم وتأخيرهم إلى الوقت الذي
يأخذهم فيه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها تقدم تفسير هذه
الجملة في أواخر الرعد واقتصر الزمخشري من تلك الأقوال على معنى أنا ننقص
أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على
أهلها وردها دار إسلام قال فإن قلت أي فائدة في قوله نأتي
الأرض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين
وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها
ناقصة من أطرافها انتهى وفي ذلك تبشير للمؤمنين بما فتح ويفتح الله عليهم
وأكثر المفسرين على أنها نزلت بمكة وفي قوله أفهم الغالبون دليل
على ذلك إذ المعنى أنهم هم الغالبون فهو استفهام فيه تقريع وتوبيخ حيث
يفترون وإما جرى عليهم أمره تعالى أن يقول إنما أنذركم بالوحي أي أعلمكم
بما تخافون منه بوحي من الله لا من تلقاء نفسي وما كان من جهة الله فهو
الصدق الواقع لا محالة كما رأيتم بالعيان من نقصان الأرض من أطرافها ثم أخبر
أنهم مع إنذارهم معرضون عما أنذروا به فالإنذار لا يجدي فيهم إذ هم صم
عن سماعه ولما كان الوحي من المسموعات كان ذكر الصم مناسبا والصم هم
المنذرون فالألف واللام للعهد وناب الظاهر مناب المضمر لأن فيه التصريح
بتصامهم وسد أسماعهم إذا أنذروا ولم يكن الضمير ليفيد هذا المعنى ونفي

السماع

السماع هنا نفي جدواه وقرأ الجمهور يسمع بفتح الياء والميم الصم رفع به والدعاء
نصب وقرأ ابن عامر وابن جبير عن أبي عمرو وابن الصلت عن حفص بالتاء من فوق
مضمومة وكسر الميم الصم الدعاء بنصبهما والفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول وقرأ
كذلك إلا أنه بالياء من تحت أي ولا يسمع الرسول وعنه أيضا ولا يسمع مبنيا
للمفعول الصم رفع به ذكره ابن خالويه وقرأ أحمد بن جبير الأنطاكي
عن اليزيدي عن أبي عمرو يسمع بضم الياء وكسر الميم الصم نصبا الدعاء رفعا
أسند الفعل إلى الدعاء اتساعا والمفعول الثاني محذوف كأنه قيل ولا يسمع
النداء الصم شيئا ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الذين عموا عن سماع ما أنذروا به إذا
نالهم شيء مما أنذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك وأقروا بأنهم كانوا
ظالمين تنبهوا على الغفلة التي أوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذهب الوهم
وأذعنوا قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذي نزل بمكة وقال ابن
جريج نصيب من قولهم نفح له من العطاء نفحة إذا أعطاه نصيبا وفي قوله
ولئن مستهم نفحة ثلاث مبالغات لفظ المس وما في مدلول النفح من القلة إذ
هو الريح اليسير وأما ما يرضخ من العطية وبناء المرة منه ولم يأت نفح فالمعنى
أنه بأدنى إصابة من أقل العذاب أذعنوا وخضعوا واعترفوا بأن سبب ذلك
ظلمهم السابق ولما ذكر حالهم في الدنيا إذا أصيبوا بأدنى شيء استطرد لما يكون في الآخرة
التي هي محل الثواب والعقاب فأخبر تعالى عن عدله وأسند ذلك إلى نفسه بنون العظمة
فقال ونضع الموازين وتقدم الكلام في الموازين في أول الأعراف واختلاف الناس
في ذلك هل ثم ميزان حقيقة وهو قول الجمهور أو ذلك على سبيل التمثيل عن
المبالغة في العدل التام وهو قول الضحاك وقتادة قال الأعمش ثم ميزان ولكنه
العدل والقسط مصدر وصفت به الموازين مبالغة كأنها جعلت في أنفسها القسط
أو على حذف مضاف أي ذوات القسط ويجوز أن يكون مفعولا لأجله أي
لأجل القسط بالصاد واللام في ليوم القيامة قال الزمخشري مثلها في قولك جئت
لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

توهمت آيات لها فعرفتها … لستة أعوام وذا العام سابع

انتهى وذهب الكوفيون إلى أن اللام تكون بمعنى في ووافقهم ابن قتيبة من
المتقدمين وابن مالك من أصحابنا المتأخرين وجعل من ذلك قوله القسط
ليوم القيامة أي في يوم وكذلك لا يجليها لوقتها إلا هو أي في وقتها وأنشد
شاهدا على ذلك لمسكين الدارمي

أولئك قومي قد مضوا لسبيلهم … كما قد مضى من قبل عاد وتبع

وقال آخر كلا أبيه وابن وإن عمرا تشهى ستود لوقت وفاقده
وقيل اللام هنا للتعليل على حذف مضاف أي لحساب يوم القيامة وشأنهم
تان أو مصدر وقرأ الجمهور مثقال بالنصب خبر كان أي وإن كان
الشيء أو وإن كان العمل وكذا في لقمان وقرأ زيد بن علي وأبو جعفر وشيبة
ونافع مثقال بالرفع على الفاعلية وكان تامة وقرأ الجمهور أتينا من
الإتيان أي جئنا بها وكذا قرأ أبي أي جئنا وكأنه تفسير لأتينا وقرأ
ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابن أبي إسحاق والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد

وابن جريج الاصبهاني اتيناه بمده على وزن فاعلنا من المواتاة وهي المجازاة والمكافاة
فمعناه جازينا بها وكذلك تعدى بحرف جر ولو كان على افعلنا من الايتاء على
ما توهمه بعضهم لتعدى مطلقا دون جار قاله ابو الفضل الرازي وقال
الزمخشري مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء وقال ابن عطية على معنى واتينا من المواتاة ولو كان اتينا
اعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراءة ان ابدال الواو المفتوحة
همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة انتهى وقيل
جيد اثبتناها من الثواب وانث الضمير في بها وهو عائد على مذكر وهو مثقال
لاضافته الى مؤنث وكفى بنا حاسبين فيه توعد وهو اشارة الى ضبط اعمالهم
من الحساب وهو العد والاحصاء والمعنى انه لا يعزب عنا شيء من اعمالهم
وقيل هو كناية عن المجازاة والظاهر ان حاسبين تمييز لقوله نعم ويجوز
ان يكون حالا ولما ذكر ما اتى به رسوله من الذكر وما اعرض عنه القوم معه وقال
قل انما انذركم بالوحي وكان ذلك تسلية له بان عادة الله في اوليائه فذكر ما اتى موسى
وهارون اشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما اوتيا من الفرقان والضيا
والذكر ثم نبه على ما اتى رسوله من الذكر المبارك ثم انتقل على سبيل الذكر
عن انكارهم ثم نبه على ما اتى رسوله والفرقان التوراة وهو الضيا والذكر
كتابا بالوحي وقال ... ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس وعكرمة
والضحاك ضيا وذكرى بغير واو في ضيا وقالت فرقة الفرقان ما رزقه الله
من نصر وظهور حجته وغير ذلك مما فرق بين امرهما وامر فرعون والضيا
التوراة والذكر التذكرة والموعظة وذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم
او الشرف والعطف بالواو يؤذن بالتغاير وعن ابن عباس الفرقان الفتح لقوله
يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات
والذين صفة تابعة او مقطوعة برفع او نصب او بدل ولما ذكر المتقين
ذكر ما تحلوا به وهو خشية الله والاشفاق من عذاب يوم القيامة والساعة
القيامة وبالغيب قال الجمهور يخافونه ولم يروه وقال مقاتل يخافون عذابه
ولم يروه وقال الزجاج يخافونه من حيث لا يراهم احد ورجحه ابن عطية وقال
ابو عثمان الدمشقي يخافونه اذا غابوا عن اعين الناس والاشفاق شدة الخوف
واحتمل ان يكون قوله وهم من الساعة مشفقون استئناف اخبار عنهم وان
يكون معطوفا على صلة الذين ويكون الصلة الاولى مشعرة بالتجدد دائما كانها
حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية من مبتدا وخبر مشعرة بالثبوت
بثبوت الوصف كانها حالتهم فيما يتعلق بالاخرة ولما ذكر ما اتى موسى وهرون
عليهما السلام اشار الى ما اتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال وهذا اي القرآن ذكر
مبارك اي كثير منافعه وغزير خيره وجاء هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة
جريا على الاشهر وتقدم الكلام على قوله في الانعام وهذا كتاب انزلناه مبارك
وبينا هناك حكمة تقديم الجملة على الاسم افانتم له منكرون استفهام انكار
وتوبيخ وهو خطاب للمشركين والضمير في له عائد على ذكر وهو القرآن وفيه
تسلية للرسول اذا انكر ذلك المشركون كما انكر اسلاف اليهود ما انزل الله على موسى

المفردات

التمثال

التمثال الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى مثلت الشيء بالشيء اذا
شبهته به قال الشاعر: ويا رب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كانها خط تمثال
الجذ القطع قال الشاعر: بنو المهلب جذ الله دابرهم ... امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف
النكس قلب الشيء بحيث يصير اعلاه اسفل ونكس راسه بالتشديد والتخفيف
طاطاه حتى صار اعلاه اسفل البرد مصدر برد يقال برد الماء حرارة الجوف يبردها
قال الشاعر: وعطل قلوصي في الركاب فانها ... ستبرد اكبادا وتبكي بواكيا النفش
رعي الماشية بالليل بغير راع والهمل بالنهار بلا راع الغوص الدخول تحت الماء لاستخراج
ما فيه قال الشاعر: او درة صدفية غواصها ... بهج متى يرها يهل ويسجد النون
الحوت ويجمع على نينان وروي النينان فله لحم الفرج يطلق على الحر والذكر ومقابله
الحر وعلى الدبر قال الشاعر: وانت اذا استدبرته شد فرجه ... بضاف فويق الارض ليس باعزل
الحدب المستفر من الارض كالجبل والاكمة والتل ونحوه النسلان مقاربة الخطو
مع الاسراع قال الشاعر: عسلان الذيب امسى قاربا ... برد الليل عليه فنسل الحصب
الحطب بلغة الحبشة اذا رمي به في النار قيل وقيل ان يرمى به لا يسمى حصبا وقيل
الحصب ما توقد به النار السجل الصحيفة ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل
وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين
قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد
ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون
لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اتبع ذلك بذكر انبياء غير مراعى
في ذكرهم الترتيب الزماني وذكر بعض ما نال كثيرا منهم من الابتلاء كل ذلك تسلية
للرسول وليتاسى بهم لما جرى عليه من قومه وقرا الجمهور رشده بضم الراء
وسكون الشين وقرا عيسى الثقفي رشده بفتح الراء والشين واضاف الرشد الى
ابراهيم بمعنى انه رشد مثله وهو رشد الانبيا وله شان اي شان والرشد النبوة
والاهتداء الى وجوه الصلاح في الدين والدنيا او هما داخلان تحت الرشد او الصحف
والحكمة اي التوفيق للخير صغيرا قاله الحسن والمضاف اليه من قبل محذوف
وهو منوي وكذلك هو قبل اي من قبل موسى وهارون قاله الضحاك لقوله
في الانعام ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم واسحاق ويعقوب والابعد
من ذهب الى ان التقدير من قبل بلوغه او من قبل نبوته يعني حين كان
في صلب ادم واخذ ميثاق الانبيا او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه محذوفات
لا يدل على حذفها دليل بخلاف من قبل موسى وهارون لتقدم ذكرهما وقرب
والضمير في به الظاهر انه عائد على ابراهيم وقيل على الرشد وعلمه تعالى انه علم منه
احوالا عجيبة واسرارا بديعة فاهله لخلته لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وهذا من اعظم المدح وابلغه اذ اخبر تعالى انه اتاه الرشد وانه عالم بما اتاه
عليه السلام استطرد من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعاء الى توحيد الله ورفض
ما عبد من دونه واذ معمولة لاتينا او رشده او عالمين او بمحذوف اي اذكر
من اوقات رشده هذا الوقت وبدا اولا بذكر ابيه لانه الاهم عنده في

في

الضجة وانقاذه من الضلال ثم عطفه عليه موضع كنتم لو انذر عشيرتك الاقربين في قوله ما هذه التماثيل تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بها وتعظيمهم لها وفي خطابه لهم بقوله انتم استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم وعكف يتعدى بعلى كقوله يعكفون على اصنام لهم فقيل لها هنا بمعنى عليها كما قيل في قوله وان اسأتم فلها والظاهر ان اللام في لها لام التعليل اي لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة اي على عبادتها وقيل ضمن عاكفون معنى عابدين فعداه باللام وقال الزمخشري لم ينو للعاكفين كذا وفاواجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها انتهى ولما سألهم اجابوه بالتقليد البحت وانه فعل ابائهم اقتدوا به من غير ذكر برهان وما انبح هذا التقليد الذي ادى بهم الى عبادة خشب وحجر وحديد وتجاهم في ذلك ونصرة تقليدهم وكان سؤاله اياهم عن عبادة التماثيل وغايته ان يذكروا شبهة في ذلك فيبطلها فلما اجابوه بما لا شبهة لهم فيه وبدا ضلالهم قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين في حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على التابعين والمتبوعين وجعل الضلال مستقرا فيهم وانتم توكيد للضمير الذي هو اسم كان قال الزمخشري وانتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به على ضمير هو في حكم بعض الفعل الممتنع وعطفه اسكن انت وزوجك الجنة انتهى وليس هذا حكما مجمعا عليه فلا يصح الكلام مع الاخلال به فان الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصل ونظيره ذلك باسكن انت وزوجك الجنة مخالف لمذهبه في اسكن انت وزوجك لانه يزعم ان وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في اسكن بل هو على وزوجك مرتفع على اضمار وليسكن فهو عنده من عطف الجمل وقوله هذا على المذهب من ولما جاء وهذا السؤال وهذا الجواب تعجبوا من تضليله اياهم اذ كان قد نشأ بينهم وجوزوا ان ما قاله هو على سبيل المزاح لا الجد فاستفهموا اهذا جد منه ام لعب والضمير في قالوا عائد على ابيه وقومه وبالحق متعلق بقولهم اجئتنا ولم يريدوا حقيقة المجيء لانه لم يكن غائبا فجاءهم وهو نظير قال او لو جئتك بشيء مبين والحق هنا ضد الباطل وذلك كما تلوه باللعب وجاءت الجملة اسمية لكونها اثبت كانهم حكموا عليه بانه لاعب هازل في مقالته لهم ولكونها فاصلة اضرب عن قولهم وامر بالجد وان المالك لهم المستحق العبادة هو ربهم ورب هذا العالم العلوي والعالم السفلي المندرج فيه انتم ومعبودكم نبه على الموجب للعبادة وهو منشئ هذا العالم ومخترعه من العدم الصرف والظاهر ان الضمير في فطرهن عائد على السموات والارض ولما لم تكن السموات والارض تبلغ في العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة وقيل في فطرهن عائد على التماثيل قال الزمخشري وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم انتهى قال ابن عطية فطرهن عبارة عنها كانها تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل وقال غيره فطرهن اعاد ضمير من يعقل لما صدر عنهن من الاحوال التي تدل على انها من قبيل من يعقل فان الله اخبر بقوله قالتا اتينا طائعين وقوله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط انتهى وكلام ابن عطية وهذا القائل يدل على ان هن من الضمائر التي تخص من يعقل من المؤنثات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك

بين

بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم والضمير عائد على الاربعة الحرم والاشارة بقوله ذلكم الى ربوبيته تعالى ووصفه بالاختراع لهذا العالم ومن الشاهدين اي الذين يشهدون بانه ربوبية كثيرون وانا بعضهم اي ما قلته امر مفروغ منه عليه شهود كثيرون فهو من مقال الصحيح الشهود وعلى ذلكم متعلق بمحذوف تقديره وانا شاهد على ذلكم من الشاهدين او على جهة البيان اي اعني على ذلكم او باسم الفاعل وان كان في صلة ال لاتساعهم في الظرف والمجرور اقوال تقدمت في اني لكما لمن الناصحين وبا ذرهم او لا بالقول المنبه على دلالة العقل فلم ينتفعوا بالقول فانتقل الى القول الدال على الفعل الذي مآله الى الدلالة التامة على عدم الفائدة في عبادة ما تسلط عليه بالكسر والتقطيع وهو لا يدفع ولا ينصر ولا يضر ولا ينفع ولا يشعر بما ورد عليه من فك اجزائه فقال وتالله لاكيدن اصنامكم وقرا الجمهور وتالله بالتاء وقرا معاذ بن جبل واحمد بن حنبل بالله بالباء بواحدة من اسفل قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين التاء والباء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يديه وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصر دينه ولكن اذا الله سنّى عقد شيء تيسرا انتهى اما قوله ان الباء هي الاصل انما كانت اصلا لانها اوسع حروف القسم اذ تدخل على الظاهر والمضمر ويصرح بفعل القسم معها وتحذف واما ان التاء بدل من واو القسم الذي ابدل من باء القسم فشيء قاله كثير من النحاة ولا يقوم على ذلك دليل وقد رد هذا القول السهيلي والذي يقتضيه النظر انه ليس شيء منها اصلا لآخر واما قوله ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة ان التاء يجوز ان تكون معها تعجب ويجوز ان لا يكون واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم والكيد الاحتيال في وجود الضرر الى المكيد والظاهر ان هذه الجملة خاطب بها اباه وقومه وانها مندرجة تحت القول من قوله قال بل ربكم وقيل قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد وقيل سمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في اخر الناس يوم خرجوا الى العيد وكانت الاصنام سبعين وقيل اثنين وسبعين وقرا الجمهور تولوا مضارع ولي وقرا عيسى بن عمر تولوا بحذف احدى التاءين وهي التاء الثانية على مذهب البصريين والاولى على مذهب هشام وهو مضارع تولى وهو موافق لقوله فتولوا عنه مدبرين ومتعلق تولوا محذوف اي الى عيدكم وروي انه لما خرج بهم في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا فلما كان في الطريق ثنى عزمه على المسير معهم فقعد وقال اني سقيم وقال الكلبي كان ابراهيم من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذي هم به نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اني اشتكي غدا واصبح معصوب الراس فخرجوا ولم يتخلف احد غيره وقال وتالله لاكيدن الى آخره وسمعه رجل فحفظه ثم اخبر به فانتشر انتهى وفي الكلام حذف تقديره فتولوا الى عيدهم فاتى ابراهيم الاصنام فجعلهم جذاذا قال ابن عباس

جذاذا قال الضحاك اخذ من كل عضو بن عضوا قيل وكانت الاصنام مصطفة وصنم منها عظيم
مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه درتان مضيئتان فكسرها بفاس الا الكبير الصنم وعلق الفاس
في عنقه وقيل علق في يده وقرا الجمهور جذاذا بضم الجيم والكسائي وابن محيصن وابن مقسم
وابو حيوة وحميد والاعمش في رواية بكسرها وابن عباس وابو نهيك وابو السمال بفتحها
وهي لغات اجودها الضم كالحطام والرفات قاله ابو حاتم وقال اليزيدي جذاذا
بالضم جمع جذاذة كزجاج وزجاجة وقيل بالكسر جمع جذيذ ككريم وكرام وقيل الفتح
مصدر كالحصاد بمعنى المحصود فالمعنى كجذوذين وقال قطرب في لغاته الثلاث
هو مصدر لا يثنى ولا يجمع وقرا يحيى بن وثاب جذذا مضمومتين جمع جذيذ كجديد
وجدد وقرئ جذذا بضم الجيم وفتح الذال مخففا من فعل كسرر في سرر جمع سرير
وهي لغة لكلب او جمع جذة كقبة وقبب وابي بعض من يعتد بقوله كجعلهم
اذ كانت تعبد وقوله الا كبيرا لهم استثنا من الضمير في فجعلهم اي فلم يكسره والضمير
في لهم يحتمل ان يعود على الاصنام وان يعود على عباده والكبير هنا عظم الجثة
او كبيرا عندهم في المنزلة لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين
مضيئتان بالليل والضمير في اليه عائد على ابراهيم اي فعل ذلك ترجيا منه ان يعقب
رجعهم اليه والى شرعه وقال الزمخشري وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فبكتهم بما اجاب به من قوله
بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم وقال ابن عطية يحتمل ان يعود على الكبير المتروك
ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام انتهى وهو قول الكلبي قال الزمخشري
ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع العالم الى العالم في المشكلات فيقولون له ما لهولا
مكسورين وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق
من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون
اليه استهزا بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويوهل للعبادة ان يرجع في
حال المشكل اليه فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك
في اعراقهم فاي فايدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا
قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انه في عبادته على
جهل عظيم قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا
ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم
لقد علمت ما هولاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا
ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون في الكلام محذوف
تقديره فلما رجعوا من عيدهم الى الاصنام وراوا ما فعل بها استفهموا على سبيل البحث
والانكار فقالوا من فعل هذا بالهتنا اي التكسير والحطيم انه لظالم في اجترايه على الالهة
المستحقة للتعظيم والتوقير قالوا اي قال الذين سمعوا قوله وتالله لاكيدن اصنامكم
يذكرهم اي يعيبهم قال الفرا يقول الرجل للرجل لين ذكرتني لتندمن اي بسوء قال
الزمخشري فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت
هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت

زيدا

زيدا وتسكت حتى تذكر شيا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك انتهى اما قوله هما صفتان فلا
يتعين ذلك لما ذكرنا اما سمع فاما ان يدخل على مسموع او غيره ان دخلت على مسموع فلا
خلاف انها تتعدى الى واحد نحو سمعت كلام زيد ومقالة خالد وان دخلت على غير مسموع
فاختلف فيها فقيل انها تتعدى الى اثنين وهو مذهب الفارسي ويكون الثاني مما
يدل على صوت فلا تقول سمعت زيدا يركب ومذهب غيره ان سمع يتعدى الى واحد
والفعل بعده ان كان معرفة في موضع الحال منها او نكرة في موضع الصفة وكلا الذ
يستدل له في علم النحو وعلى هذا المذهب الاخير يمشي قول الزمخشري انه صفة لفتى
ولما على مذهب ابي علي فلا يكون الا في موضع المفعول الثاني لسمع واما يقال له
ابراهيم فيحتمل ان يكون جوابا لسوال مقدر لما قالوا سمعنا فتى يذكرهم واتوا
به منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على انه مقدر بجملة
تحكى بيقال اما على النداء اي يقال له حين يدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدا محذوف
اي هو ابراهيم او على انه مفرد مفعول لم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا للمدلول
اي يطلق عليه هذا اللفظ وهذا الاخير هو اختيار الزمخشري وابن عطية وهو مختلف
في اجازته فذهب الزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك الى تجويز نصب
القول للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة
ولا مفرد معناه معنى الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة
لمصدر نحو قلت حقا بل لمجرد اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين من منع ذلك وهو
الصحيح اذ لا يحفظ من لسانهم قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليت وانما وقع
القول في كلام العرب لحكاية الجمل وذهب الاعلم الى ان ابراهيم ارتفع بالاهمال لانه
وما تقدمه عامل يوثر لحكاية الجمل وذهب الاعلم الى ان ابراهيم اذ القول لا يوثر
الا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقي مهملا والمهمل اذا ضم الى غيره ارتفع نحو قولهم
واحد واثنان اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا لا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا
بعض اسما العدد على بعض والكلام على مذهب الاعلم وابطاله مذكور في النحو قالوا
فاتوا به اي احضروه على اعين الناس اي معاينا مشاهدا اي منهم على اعين الناس في
موضع الحال ومعنى على هنا الاستعلا المجازي كانه تحت ترقيهم اليه وارتفاع ابصارهم
لرويته مشرفة على ابصارهم لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما صدر منه
من تكسير اصنامهم او يشهدون ما يحل به من عذابنا او عقابنا له المودي العذاب
وقيل الناس هنا خواص الملك واولياوه وفي الكلام حذف تقديره فاتوا به على
تلك الحالة من نظر الناس اليه قالوا انت فعلت هذا اي الكسر والتهشيم بالهتنا
وارتفاع انت المختار انه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل الضمير
ويجوز ان يكون مبتدا واذا تقدم الاسم لنحو هذا التركيب على الفعل كان الفعل
صادرا واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه واذا تقدم الفعل كان الفعل مشكوكا
فيه واستفهم عنه او وقع ام لم يقع والظاهر ان بل للاضراب عن جملة محذوفة
اي قال لم افعله انما الفاعل على حقيقته هو الله بل فعله كبيرهم واسند الفعل الى كبيرهم
على جهة المجاز لما كان سببا في كسر هذه الاصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه
من الاصنام كان ذلك حاملا على تحطيمها وكسرها فاسند الفعل الى الكبير اذ كانت
تعظيمهم له اكثر من تعظيم ما دونه وقال قريبا من هذا الزمخشري ويحتمل ان

يكون فعل الكبير مستندا بالشرط فيكون قد علق بما هو ممتنع لم يكن وقع أي إن كان هؤلاء الأصنام ينطقون ويعبرون عن الذي صنع بهم ذلك فالكبير هو الذي صنع ذلك الأمر وأشار إلى نحو من هذا ابن قتيبة وقال الزمخشري هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط أو لا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء وإثبات للقادر ويحتمل أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويز مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن يعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها انتهى ومن جعل الفاعل بفعله مضمرا يعود على قوله فتى أو على إبراهيم أو قال الإخبار بغير الكائن لمصلحة دينية واستدل بما روي في الحديث ووقف على بل فعله أي فعله من فعله وجعل كبيرهم هذا مبتدأ وخبرا وهو الكسائي أو أمله فعله بمعنى لعله وخفف اللام وهو الفراء فاسد لأن قراءة ابن السميفع فعلّه بشد اللام كبيرهم بعدا عن طريق الفصاحة فرجعوا إلى أنفسهم أي إلى عقولهم حين ظهر لهم ما قال إبراهيم من أن الأصنام التي أهلوها للعبادة ينبغي أن يسأل ويستفسر منها ويحتمل أن يكون فرجعوا أي رجع بعضهم إلى بعض فقالوا إنكم أنتم الظالمون في سؤالكم إبراهيم حين سألتموه ولم تسألوها ذكره ابن جرير أو في عبادتكم ما لا ينطق قاله ابن عباس أو حين لم تحفظوا آلهتكم قاله وهب أو في عبادة الأصاغر مع هذا الكبير قاله [illegible] أو في اتهامكم إبراهيم والفأس في عنق الكبير قاله مقاتل وابن إسحاق أو الظالمون حقيقة حيث نسبتم إبراهيم إلى الظلم في قولكم إنه لمن الظالمين إذ هذه الأصنام مستحقة لما فعل بها ثم نكسوا على رؤوسهم أي رجعوا إلى ضلالهم وعلموا أن الأصنام لا تنطق فساءهم ذلك حين نبه على قيام الحجة عليهم وهي استعارة للذي يرتطم في غيه كأنه منكوس على رأسه وهي أقبح هيئة للإنسان فكان عقله منكوسا أي مقلوبا شكله وصار أعلاه أسفله فرجوعهم على أنفسهم كناية عن استقامة فكرهم ونكسهم كناية عن مجادلتهم ومكابرتهم ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤوسهم كناية عن تطأطؤ رؤوسهم وتنكيسها إلى الأرض على سبيل الخجل والانكسار بما بهتهم به إبراهيم من قول الحق [illegible] ثم نطقوا جوابا لقد علمت جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف في موضع الحال أي قائلين لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تقول لنا فاسألوهم إنما قصدت بذلك توبيخنا ويحتمل أن يكون النكس للفكرة فيما يجيبون به وقال مجاهد نكسوا على رؤوسهم أي ردت السفلة على الرؤساء وعلمت هنا معلقة والجملة المنفية في موضع مفعولي علمت إن تعدت إلى اثنين أو في موضع مفعول واحد إن تعدت لواحد وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وابن مقسم وابن الجارود والبكراوي كلاهما عن هشام بتشديد كاف نكسوا وقرأ رضوان بن عبد المعبود نكسوا بتخفيف الكاف مبنيا للفاعل أي نكسوا

أنفسهم ولما ظهرت الحجة عليهم أخذ يقرعهم ويوبخهم بعبادة تماثيل لا تنفع ولا تضر بأبدع كلام التضجر منهم ومن معبوداتهم وتقدم الخلاف في قراءة أف واللغات فيها واللام في لكم لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف ثم نبههم على ما به يدرك حقائق الأشياء وهو العقل فقال أفلا تعقلون أي قبح ما أنتم عليه وهو استفهام توبيخ وإنكار

قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين

ولما نبههم على قبيح مرتكبهم وغلبهم بإقامة الحجة عليهم لاذوا بالإيذاء له والغضب لآلهتهم واختاروا أشد العذاب وهو الإحراق بالنار التي هي سبب للإعدام المحض والإتلاف بالكلية ولذا كل من أقيمت عليه الحجة وكانت له قدرة يعدل إلى المناصبة والأذاية كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دمغهم بالحجة وعجزوا عن معارضة ما أتاهم به عدلوا إلى القتال وإيثار الاغتيال فعصمه الله والظاهر أن قوله قالوا حرقوه أي قال بعضهم لبعض وقيل أشار بإحراقه نمرود وعن ابن عمر رجل من أعراب العجم قال الزمخشري يريد الأكراد وقال ابن عطية روي أنه رجل من الأكراد من أعراب فارس أي باديتها خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وذكر لهذا الذي أشار اسما مختلف فيه لا يوقف منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطا بالشكل والنقط وهكذا تقع أسماء كثيرة أعجمية في التفاسير لا يمكن الوقوف منها على حقيقة لفظ لعدم الشكل والنقط فينبغي اطراح نقلها وروي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى واملؤوا عدة حسبه وفي عرض الحظيرة وطولها ومدة جمع الحطب ومدة الإيقاد ومدة سنه إذ ذاك ومدة إقامته في النار وكيفية ما صارت إليه النار اختلاف [illegible] تركنا ذكره وأضجعوه قيل بتعليم إبليس إذ كان لم يصنع قبل فشدوا إبراهيم رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي به في النار وروي أن جبريل جاءه وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وذكر المفسرون أشياء صدرت من الوزغ والبغل والخطاف والضفدع والعضرفوط الله أعلم بذلك وعن ابن عباس أنه نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وقيل اطلع نمرود من الصرح فإذا إبراهيم في روضة ومعه جليس من الملائكة فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وقد أكثر الناس في حكاية ما جرى لإبراهيم والذي صح هو ما ذكره تعالى من أنه ألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما وكانت أعظم آية والظاهر أن القائل قلنا يا نار هو الله

تعالى وقيل جبريل بامر الله تعالى وعن ابن عباس لو لم يقل وسلامًا لهلك ابراهيم من البرد ولو لم
يقل على ابراهيم لما احرقت نار ابدًا ولا اتقدت انتهى ومعنى وسلامًا سلامة وابعد
من ذهب الى انها هنا تحية من الله ولو كانت تحية لكان الرفع اولى به من
النصب والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام ولما كانت النار
تنفعل لما اراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء الامر
قال الزمخشري فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها
طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال
كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه
فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم انتهى وروي
انهم قالوا انها نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخًا منهم فاحترق واراد وابه كيدا
قيل هو التغاوه في النار فجعلناهم الاخسرين اي المبالغين في الخسران وهو ابطال
ما راموه جاءلوا ابراهيم بكيد لهم وتمكنوا واظهر لهم امر تميز لهم ونعقوا عليه
بالامر والالقا فخلصه الله وقيل سلط الله عليهم ما هو من اهون خلقه واضعفه
وهو البعوض يا كل من لحومهم ويشرب من دمائهم وسلط على نمرود بعوضة
واختلف في كيفية اذايتها له وفي مدة اقامتها تؤذيه الى ان مات منها والضمير
في ونجيناه عائد على ابراهيم وضمن معنى اخرجناه بنجاتنا الى الارض تعدى ونجيناه
بالى ويحتمل ان تكون الى متعلقة بمحذوف اي منتهيا الى الارض فيكون في موضع
الحال ولا تضمين في ونجيناه على هذا والارض التي خرج منها هي كوثى من ارض العراق
والارض التي صار اليها قيل ارض الشام وبركتها ما فيها من الخصب والاشجار والانهار
وبعث اكثر الانبياء منها وقيل مكة قاله ابن عباس كما قال ان اول بيت الاية وقيل
ارض مصر وبركتها نيلها وزكوة زروعها وعمارة نواحيها وروي ان ابراهيم
خرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط وكان ابن اخيه فامنت به سارة وهي ابنة عمه
فاخرجها معه فار بدينه وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي رام اخذها منه نزل
حران ومكث بها زمانا وقيل سارة ابنة ملك حران تزوجها ابراهيم وشرط عليه ابوها
ان لا يغيرها والصحيح انها ابنة عمه هاران الاكبر ثم قدم مصر ثم خرج منها الى
الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة
من السبع واقرب فبعثه الله نبيا والنافلة العطية قاله مجاهد وعطا والزيادة
كالمتطوع به اذ كان اسحاق ثمرة دعائه رب هب لي من الصالحين وكان يعقوب
زيادة من غير دعا وقيل النافلة ولد الولد فعلى الاول يكون مصدرا كالعاقبة
والعافية وهو من غير لفظ وهنا بل من معناه وعلى الاخير يريد به يعقوب
فينتصب على الحال وكلا يشمل من ذكر ابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب يهدون بامرنا
يرشدون الناس الى الدين وائمة قدوة لغيرهم واوحينا اليهم خصهم بشرف
النبوة لان الايحا والنبئة قال الزمخشري فعل الخيرات اصله ان يفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتا الزكاة انتهى كان
الزمخشري لما راى ان فعل الخيرات واقام الصلاة وايتا الزكاة ليس من الاحكام
المختصة بالموحى اليهم بل هم وغيرهم في ذلك مشتركون بني الفعل للمفعول
حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم فلا يكون التقدير
فعلهم

فعلهم الخيرات واقامهم الصلاة وايتاهم الزكاة ولا يلزم ذلك اذ الفاعل مع المصدر محذوف
ويجوز ان يكون مضافا من حيث المعنى الى ظاهر محذوف ويشمل الموحى اليهم وغيرهم
اي فعل المكلفين لفعل الخيرات ويجوز ان يكون ذلك مضافا الى الموحى اليهم اي ان
يفعلوا الخيرات ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة واذا كانوا هم قد اوحي اليهم
ذلك فاتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء
المصدر للمفعول الذي لم يسم فاعله مختلف فيه اجاز ذلك الاخفش والصحيح منعه
فليس ما اختاره الزمخشري مختارا وقال ابن عطية والاقام مصدر وفي هذا نظر انتهى
واي نظر في هذا فقد نص سيبويه على انه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة
بالتاء وهو الَّنقيس في مصدر افعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا انه قابل وايتا
وهو بغير تا فيقع الموازنة بين قوله واقام الصلاة وايتا الزكاة وقال الزجاج
حذفت التاء من اقامة لان الاضافة عوض منها انتهى وهذا قول الفراء زعم ان التا
التانيث قد تحذف للاضافة وهو مذهب مرجوح ولما ذكر تعالى ما انعم به
على ابراهيم ذكر ما انعم به على ابن اخيه فاراي بنيه وهو لوط بن اخيه وانتصب
ولوطا على الاشتغال والحكم الذي اوتيه النبوة وقيل حسن الفصل بين الخصوم في
القضا وقيل حفظ صحف ابراهيم ولما ذكر الحكم ذكر ما يكون به وهو العلم والقرية
سدوم وكانت قراهم سبعا عبر عنها بالواحدة لاتفاق اهلها على الفاحشة وكانت
من كورة فلسطين الى حد السراة الى حد نجد بالحجاز قلب تعالى منها ستا وابقى زغر
لانها كانت محل لوط واهله ومن امن به اي ونجيناه من اهل القرية اي خلصناه
منهم او من العذاب الذي حل بهم ونسب عمل الخبائث الى القرية مجازا وهو لاهلها
وانتصب الخبائث على معنى يعمل الاعمال او الفعلات الخبيثة وفيما ذكره تعالى
في هذه السورة مضافا الى كفرهم وتكذيبهم نبيه وقولهم انهم بدل على
ان التقدير من اهل القرية وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة سماها
رحمة اذ كانت اثر الرحمة ولما ذكر تعالى قصة ابراهيم وهو ابو العرب
وتنجيته من اعدائه ذكر قصة ابي البشر الانبيا كلهم وهو الاب الثاني
لادم لانه ليس احد الا من نسله من سام وحام ويافث وانتصب نوحا
على اضمار اذكر اي واذكر نوحا اي قصته اذ نادى ومعنى نادى دعا
مجملا بقوله اني مغلوب فانتصر مفصلا بقوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا والكرب اقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق
عبر عنه باول احواله يا اخذ الغرق وغرقت في بحر النيل ووصلت الى
قرار الارض ولحقني من الغم والكرب ما ادركت ان نفسي صارت اصغر
من السمومة وهذا اول احوال مجيء الموت ونصرناه من القوم عداه
بمن لتضمنه معنى نجيناه بنصرنا من القوم او عصمناه ومنعناه من مكروه
القوم لقوله فمن ينصرنا من باس الله ان جانا وقال الزمخشري هو نصر الذي
مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه
اي اجعلهم منتصرين منه وتعدا معني في نصر غير المتبادر الى الذهن
وقال ابو عبيدة من بمعنى على اي ونصرناه على القوم فاغرقناهم اي اهلكنا
بالغرق واجمعين توكيد للضمير المنصوب وقد كثر التوكيد باجمعين غير تابع

تكلم في القران فلعل ذلك حجة لمن ما كمل عن زعمه ان التاكيد باجمعين قليل وان الكثير استعماله تابعا
لكلهم وداود وسليمان عطف على ونوحا قال الزمخشري واذا بدل منهما منتهى في الابعد ان يكون
التقدير واذكر داود وسليمان اي قصتهما وحالهما اذ يحكمان وجعل ابن عطية وداود وسليمان
معطوفين على قوله ونوحا ونوحا معطوفا على ولوطا فيكون ذلك مشتركا في العامل
الذي هو اتينا المقدرة الناصبة للوطا المفسرة باتيناه فالتقدير واتينا نوحا وداود
وسليمان اي اتيناهم حكما وعلما ولا يبعد ذلك وتقديرا ذكر قاله جماعة وكان داود
يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان
يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب اخر
فتخاصم اليه رجل له زرع وقيل كرم والحرث يقال فيهما وهو في الزرع اكثر وابعد
عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فافسدت عليه فراى داود دفعها الى
صاحب الحرث فقيل ان كرم راي ان الغنم تقاوم ما افسدت من الغلة وقيل
انه زرع اي انها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان فشكى صاحب الغنم فجا سليمان
فقال يا نبي الله اني ارى ما هو ارفق بالجميع ان ياخذ صاحب الغنم الحرث يقوم
عليه ويصلحه حتى يعود كما كان وياخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع
بما فيها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد الحرث الى حاله صرف كل مال الى صاحبه
فرجعت الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يا بني وقضى بينهما
بذلك والظاهر ان كلا من داود وسليمان حكم بما ظهر له وهو متجه عنده فبنى
فحكمهما باجتهاد وهو قول الجمهور واستدلوا بهذه الاية على جواز الاجتهاد وقيل
حكم كل واحد منهما بوحي من الله ونسخ حكم داود بحكم سليمان فان معنى ففهمناها
سليمان اي فهمناه القضية الفاصلة الناسخة التي اراد الله ان يستقر في النازلة وقرا
عكرمة فافهمناها عدي بالهمزة كما عدي في قراءة الجمهور بالتضعيف والضمير
في ففهمناها للحكومة او الفتوى والضمير في لحكمهم عائد على الحاكمين والمحكوم
لهما وعليهما وليس المصدر هنا مضافا لا الى فاعل ولا مفعول ولا هو عامل في
التقدير ولا ينحل بحرف مصدري والفعل بل هو مثل له ذكاء ذكاء الحكماء وذهن ذهن
الاذكياء وكان العلم وكنا لحكمهم اي الذي صدر في هذه القضية شاهدين فالمصدر
هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة وقرا لحكمهما ابن عباس والضمير
لداود وسليمان ومعنى شاهدين لا يخفى علينا منه شي ولا يغيب قال الزمخشري
فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة
داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة
في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه
في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة
سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان
يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول
الضرر والنقصان فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها
قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه شيئا بالليل والنهار الا ان يكون
مع البهيمة سايق او قايد والشافعي يوجب الضمان انتهى والظاهر ان كلا من
الحكمين صواب لقوله وكلا اتينا حكما وعلما والظاهر ان يسبحن جملة حالية من الجبال

اي

اي مسبحات وقيل استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن وقيل كان يمر بالجبال
مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار والظاهر وقوع التسبيح منها
بالنطق خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع
الناس ذلك وكان داود وحده يسمعه قاله يحيى بن سلام وقيل كل احد وقال
قتادة يسبحن يصلين وقيل يسرن من السباحة وقال الزمخشري كما خلقه يعني
الكلام في الشجرة حين كلم موسى انتهى وهو قول المعتزلة ينفون صفة الكلام
حقيقة عن الله تعالى وقيل اسناد التسبيح اليهن مجاز لما كانت تسير بتسيير الله
حملت من راها على التسبيح فاسند اليها والاكثرون على ان التسبيح هو قول
سبحان الله وانتصب والطير عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف دخوله في
قيد التسبيح وقيل هو مفعول معه اي يسبحن مع الطير وقرى
والطير مرفوعا على الابتدا والخبر محذوف اي مسخر لدلالة سخرنا عليه
او على الضمير المرفوع في يسبحن على مذهب الكوفيين وهو توجيه قراءة
شاذة وقال الزمخشري فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت
لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد
والطير حيوان ناطق انتهى وقوله ناطق ان عنى به انه ذو نفس ناطقة
كما يقولون في حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم ان يكون الطير انسانا وان
عنى انه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به مصوت اي له صوت
ووصف الطير بالنطق مجاز لانها في الحقيقة لا نطق لها وقوله وكنا فاعلين
اي فاعلين هذه الاعاجيب في تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا
وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس الملبوس فعول بمعنى مفعول كالركوب بمعنى
المركوب وهو الدرع هنا والملبوس ما تلبس قال الشاعر

عليها اسود ضاريات لبوسهم سوابغ بيض لا يخرقها النبل

قال قتادة كانت صفايح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين
وقيل اللبوس كل الة السلاح من سيف ورمح ودرع وبيضة وما يجري ذلك
وداود اول من صنع الدروع التي تسمى الزرد وقيل نزل ملكان من السما فمرا
بداود فقال احدهما للاخر نعم الرجل الا انه ياكل من بيت المال فسال الله
ان يرزقه من كسبه فالان له الحديد فصنع منه الدروع امتن تعالى عليه
بايتائه الحكم والعلم وتسخير الطير والجبال معه وتعليم صنعة اللبوس وفي ذلك
فضل هذه الصنعة اذ اسند تعليمها اياه الله تعالى ثم امتن تعالى علينا
بها بقوله ليحصنكم من باسكم اي ليقيكم وقاية تكمل في حربكم وسبب نجاة من
عدوكم وقرى ليحصنكم بضم اللام والجمهور بفتحها وقرا الجمهور ليحصنكم
بالياء الغيبة اي الله فيكون التفاتا اذ جاء بعد ضمير متكلم في وعلمناه ويدل
عليه قراءة ابي بكر عن عاصم بالنون وهي قراءة ابي حنيفة ومسعود بن صالح
ورويس والجعفي وهارون ويونس والمنقري كلهم عن ابي عمرو وليحصنكم
داود او اللبوس قيل او التعليم وقرا ابن عامر وحفص والحسن وسلام
وابو جعفر وشيبة وزيد بن علي بالتاء اي لتحصنكم الصنعة او اللبوس على

المربع ودرع الحديد مؤنثة وكل هذه القراآت الثلث باسكان الحاء التخفيف وقرا
الفقيمي عن ابي عمرو وابن ابي حماد عن ابي بكر بالياء من تحت وفتح الحاء وتشديد الصاد
وابن وثاب والاعمش بالتاء من فوق والتشديد واللام في لكم يجوز ان تكون للتعليل
فتتعلق بعلمناه اي لاجلكم فان يكون تعليلا للتكون ويكون ليحصنكم في موضع بدل
اعيد معه لام الجر اذ الفعل منصوب باضمار ان فتتقدر بمصدر اي لكم
لاحصانكم من باسكم ويجوز ان يكون لكم صفة للبوس فتتعلق بمحذوف اي كاين
لكم واحتمل ان يكون ليحصنكم تعليلا للتعليم فتتعلق بعلمناه وان يكون تعليلا
للكون المحذوف المتعلق به لكم فهل انتم شاكرون استفهام يتضمن
الامر اي اشكروا الله على ما انعم به عليكم كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا
عما حرم الله ولما ذكر تعالى ما خص به نبيه داود ذكر ما خص به ابنه سليمان فقال
ولسليمان الريح وجا التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمان باللام وحين ذكر
تسخير الجبال جاء بلفظ مع فقال انا سخرنا مع داود وكذا جاء يا جبال اوبي معه وقال
فسخرنا له الريح تجري بامره وذلك انه لما اشتركا في التسبيح ناسب ذكر مع الدالة
على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان اضيفت اليه بلام
التمليك لانها في طاعته وتحت امره وقرا الجمهور الريح مفردا بالنصب
وقرا ابن هرمز وابو بكر في رواية بالرفع مفردا وقرا الحسن وابو رجا الرياح
بالجمع والنصب وقرا بالجمع والرفع ابو حيوة فالنصب على اضمار وسخرنا والرفع
على الابتداء وعاصفة حال العامل فيها سخرنا في قراءة من نصب الريح وما يتعلق
له الجار في قراءة من رفع وتقول عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ولغة اسد
اعصفت فهي معصف ومعصفة ووصفت هذه الريح بالعصف وبالرخا
والعصف الشدة في السير والرخا اللين فقيل كان ذلك بالنسبة الى الوقت الذي
يريد فيه سليمان احد الوصفين فلم يسخر الرياح وقيل الجمع بين الوصفين
كونها رخا في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها تبعد في مدة يسيرة كما قال
تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وقيل الرخا في البداة والعصف بعد ذلك في التقول على
عادة البشر في الاسراع الى الوطن وهذا القول راجع الى اختلاف الزمان تجري بامره
حال ثانية على حسب ما يريد والى الارض ارض الشام وكانت مسكنه ومقر ملكه
وقيل ارض فلسطين وقيل بيت المقدس قال الكلبي كان يركب عليها من اصطخر
الى الشام وقيل يحتمل ان تكون الارض التي يسير اليها سليمان كاينة ما كانت ووصفت
بالبركة لانه اذا حل ارضا امر بقتل كفارها واثبات الايمان فيها وبث العدل ولا
بركة اعظم من هذا والظاهر ان التي باركنا صفة للارض وقال منذر بن سعيد
الكلام تام عند قوله الى الارض والتي باركنا فيها صفة للريح ففي الاية تقديم
وتاخير يعني ان اصل التركيب ولسليمان الريح التي باركنا فيها عاصفة تجري بامره
الى الارض وعن وهب كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام
له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان لا يقعد عن الغزو فاذا امر بخشب منه
والناس عليه والدواب والة الحرب ثم يامر العاصف فتقله ثم يامر الرخا
فتمر به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه ومن مقاتل نسجت له الشياطين بساطا
ذهبا في ابريسم فرسخا في فرسخ ووضعت له في وسطه منبرا من ذهب
يقعد

يقعد عليه وحوله كراسي من ذهب يقعد عليها الانبيا وكراسي من فضة يقعد
عليها العلما وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين والطير تظله من الشمس
وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح
وقد اكثر الاخباريون في ملك سليمان ولا ينبغي ان يعتمد الا على ما قصه الله في
كتابه وفي صحيح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كانت هذه الاختصاصات
في غاية الغرابة من المعهود اخبر تعالى ان علمه محيط بجميعها على ما سبق به علمه
ولما ذكر تعالى تسخير الريح له وهي جسم شفاف لا يعقل وهي لا تدرك بالبصر ذكر
تسخير الشياطين له وهم اجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما ايضا سرعة الانتقال
الا ترى الى قوله قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
ومن في موضع نصب اي وسخرنا من الشياطين من يغوصون او في موضع رفع
على الابتدا والخبر الجار والمجرور قبله والظاهر ان من موصولة وقال ابو البقا
هي نكرة موصوفة وجمع الضمير في يغوصون حملا على معنى من وحسن ذلك
تقدم جمع قبله كما قال الشاعر وان من النسوان من هي روضة تهيج الرياض قبلها وتصوح
لما تقدم لفظ النسوان حمل على معنى من فانث ولم يقل من هو روضة والمعنى
يغوصون له في البحر لاستخراج اللالي ودل الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص
لاستخراجه وهو الجواهر فلذلك لم يذكرا وقال له اي لسليمان لان الغايص قد
يغوص لنفسه ولغيره فذكر ان الغوص ليس لانفسهم انما هو لاجل سليمان
وامتثالهم امره والاشارة بذلك الى المعمار دون الغوص من بنا المدائن
والقصور كما قال يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية وقيل الحمام والنورة
والطواحين والقوارير والصابون من استخراجهم وكنا لهم حافظين اي من ان
يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه
وقيل حافظين ان يهيجوا احدا في زمان سليمان وقيل حافظين حتى لا يهربوا
وقيل سخر الكفار دون المومنين ويدل عليه اطلاق لفظ الشياطين وقوله حافظين
والمومن اذا سخر في امر لا يحتاج الى حفظ لانه لا يفسد ما عمل وسخر الكثيف
الاجسام لداود وهو الحجارة نطقه بالتسبيح والحديد اذ جعل في ما بعد قوة
النار رضيا لانه الحديد وعمل منه الزرد وسخر الطف الاجسام لسليمان
وهو الريح والشياطين وهم من نار وكانوا يغوصون في الماء والماء يطفي
النار فلا يضرهم دل ذلك على باهر قدرته واظهار الضد من الضد
وامكان احيا العظم الرميم وجعل التراب اليابس حيوانا فاذا اخبر به
الصادق وجب قبوله واعتقاد وجوده وايوب اذ نادى ربه اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسماعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين
وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المومنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه

إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي
أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين طول الاخباريون
في قصة ايوب وكان ايوب روميا من ولد اسحاق بن يعقوب استنباه الله وبسط عليه الدنيا
وكثر اهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها
خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت
فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وقيل دون ذلك فقالت له
امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال انا
استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده
ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ست وعشرين ابنا وذكروا
كيفية في ذهاب ماله واهله وتسليط ابليس عليه في ذلك الله اعلم بصحتها وقرا
الجمهور اني بفتح الهمزة وعيسى بن عمر بكسرها اما على اضمار القول اي قائلا اني واما على
اجرا نادى مجرى قال وكسرت بعدها وهذا الثاني مذهب الكوفيين والاول مذهب
البصريين والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال
فرق بين البنائين لافتراق المعنيين وقد الطف ايوب في السؤال حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ولم يعين الضر الذي
مسه واختلف المفسرون في ذلك على سبعة عشر قولا مثلها انه نهض ليصلي فلم يقدر
على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى لبلائه رواه انس مرفوعا والالف
واللام في الضر للجنس تعم الضر في البدن والاهل والمال وآتيناه اهله ظاهره ان ما كان
له من اهل رده عليه واحياهم له باعيانهم واتاه مثل اهله مع اهله من الاولاد والاتباع
وذكر انه جعل له مثلهم عدة في الآخرة وانتصب رحمة على انه مفعول من اجله اي لرحمتنا
اياه وذكرى منا بالاحسان لمن عبدنا اي رحمتنا لايوب وذكر لغيره من عبادنا ليصبر
من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب وقال ابو موسى الاشعري ومجاهد
كان ذو الكفل عبدا صالحا ولم يكن نبيا وقال الاكثرون هو نبي فقيل هو الياس وقيل
زكريا وقيل يوشع والكفل النصيب والحظ اي ذو الحظ من الله المجدود على الحقيقة
وقيل كان له ضعف عمل انبيا زمانه وضعف ثوابهم قيل في تسميته ذا الكفل
اقوال مضطربة لا تصح وانتصب مغاضبا على الحال فقيل معناه غضبان من المفاعلة التي
لا تقتضي اشتراكا كعاقبت اللص وسافرت وقيل مغاضبا لقومه اغضبهم بمفارقته
وخوفهم حلول العذاب واغضبوه حين دعاهم الى الله مدة فلم يجيبوه فاوعدهم
بالعذاب ثم خرج من بينهم على عادة الانبيا عند نزول العذاب قبل ان ياذن الله
له في الخروج وقيل مغاضبا للملك حزقيا حين عينه لغزو ملك كان قد عاث في بني اسرائيل
قال له يونس امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهاهنا غيري من
الانبيا فالح عليه فخرج مغاضبا للملك وقول من قال مغاضبا لربه وحكي في المغاضبة
لربه كيفيات يجب اطراحه اذ لا يناسب شي منها منصب النبوة وينبغي ان يتاول
لمن قال ذلك من العلما كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين وابن
مسعود من الصحابة بان يكون معنى قولهم مغاضبا لربه اي لاجل ربه ودينه
واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به وقرا ابو شرف مغضبا اسم
مفعول فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق عليه من القدر لا من القدرة

وقيل

وقيل من التقدير بمعنى ان لن نقدر عليه الابتلا وقرا الجمهور نقدر بنون العظمة مخففا
وقرا ابن ابي ليلى وابو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب بضم اليا وفتح الدال مخففا
وعيسى والحسن باليا مفتوحة وكسر الدال وعلي بن ابي طالب واليماني بضم اليا وفتح القاف
والدال المشددة والزهري بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة فنادى في
الظلمات في الكلام حذف تقديره فالتقمه الحوت وهناك تذكر قصته ان شا
الله وجمع الظلمات لشدة تكاثفها فكانها ظلمة مع ظلمة وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر
والليل وقيل ابتلع حوته حوت اخر فصار في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر وروي ان
يونس سمع في جوف الحوت حسا فقيل هو تسبيح الحيتان في قعر البحر ان في ان لا اله الا
انت تفسيرية لانه سبق فنادى وهو في معنى القول ويجوز ان يكون التقدير بانه فتكون
مخففة من الثقيلة حصر الالوهية فيه تعالى ثم نزهه عن سمات النقص ثم اقر بما بعد ذلك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعا الا استجيب له والغم ما كان ناله
من النقمة للحوت ومدة بقائه في بطنه وقرا الجمهور ننجي مضارع انجي والجحدري مشددا
مضارع نجى وقرا ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة ويا ساكنة
وكذلك هي في المصحف الامام ومصاحف الامصار بنون واحدة واختارها ابو عبيد لموافقة
المصاحف فقال الزجاج والفارسي هو لحن وقيل هو مضارع ادغمت النون في الجيم ورد بانه لا يجوز
ادغام النون في الجيم التي هي فا الفعل لاجتماع المثلين كما حذفت في قراءة من قرا ونزل
الملائكة تنزيلا ونزل الملائكة وعلى هذا خرجه ابو الفتح وقيل هو فعل ماض مبني لما لم
يسم فاعله وسكنت الياء كما سكنها من قرا وذروا ما بقي من الربا واقام مقام الفاعل ضمير
المصدر اي نجي هو اي النجا المؤمنين كقراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي هو اي الجزا
وقد اجاز اقامة غير المفعول به من مصدر او ظرف مكان او ظرف زمان او مجرور الاخفش
والكوفيون وابو عبيد وذلك مع وجود المفعول به وجا السماع في اقامة المجرور مع
وجود المفعول به نحو قوله ابيح لي من السلا نذيرا به وشفيت الزمن مستطيرا
وقال الاخفش في المسائل ضرب الضرب الشديد زيدا وضرب اليومان زيدا وضرب
مكانك زيدا واعطي اعطاء حسن اخاك درهما وضرب باعبده زيدا وقيل ضمير المصدر اقيم
مقام الفاعل والمؤمنين منصوب باضمار فعل اي وكذلك نجي هو اي النجا ننجي المؤمنين
والمشهور عن البصريين انه متى وجد المفعول به لم يقم غيره الا ان صاحب اللباب حكى
الخلاف في ذلك عن البصريين وان بعضهم اجاز ذلك لا تذرني فردا اي وحيدا بلا
وارث سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ثم رد امره الى الله تعالى وانت خير الوارثين اي
ان لم ترزقني من يرثني فانت خير وارث واصلحنا له زوجه بحسن خلقها وكانت سيئة
الخلق قاله عطا ومحمد بن كعب وعون بن عبد الله وقيل اصلاحها ان جعلها مصلحة بعد ان
كانت عاقرا قاله قتادة وقيل اصلاحها رد شبابها اليها والضمير في انهم عائد على الانبيا
السابق ذكرهم اي ان استجابتنا لهم في طلباتهم كان لمبادرتهم الخير ولدعائهم لنا رغبا
ورهبا اي وقت الرغبة ووقت الرهبة كما قال تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وقيل
الضمير يعود على زكريا وزوجه وابنهما يحيى وقرات فرقة يدعونا بحذف نون الرفع
والجحدري بنون مشددة ادغم نون الرفع في نا ضمير النصب وقرا ابن وثاب والاعمش
ووهيب بن عمرو النحوي وهرون وابو معمر والاصمعي واللؤلؤي ويونس وابو زيد
سماعا عن ابي عمرو رغبا ورهبا بالفتح واسكان الها والاشهر عن الاعمش بضمتين فيهما

وقرأت فرقة بضم الراء وسكون الغين والهاء ونصب رغبا ورهبا على انهما مصدران في موضع
الحال او مفعول من اجله والتي احصنت فرجها هي مريم بنت عمران ام عيسى والظاهر ان الفرج هنا
حيا المراة احصنته اي منعته من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا
وقيل الفرج هنا جيب قميصها منعته من جبريل لما قرب منها لينفخ حيث لم يعرف والظاهر
ان قوله فنفخنا فيها من روحنا كناية عن احلال عيسى حيا في بطنها ولا نفخ هناك حقيقة
واضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف وقيل هناك نفخ حقيقة وهو ان جبريل نفخ في
جيب درعها واسند النفخ اليه تعالى لما كان ذلك من جبريل بامره تعالى ثم تعالى وقيل
الروح هنا جبريل كما قال فارسلنا اليها روحنا والمعنى فنفخنا فيها من جهة جبريل وكان
جبريل قد نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها قال الزمخشري فان قلت نفخ الروح
في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر
الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي
احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت
في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف اي فنفخنا في
ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا
والمحفوظ انه لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع وغير متعد استعمله في قوله
قوله اي نفخت في المزمار في بيته وافرد اية لان حالهما بمجموعهما اية واحدة
وهي ولادتها اياه من غير فحل وان كان في مريم ايات وفي عيسى ايات لكنه
هنا لحظ الولادة من غير ذكر وذلك هو اية واحدة وقوله للعالمين اي لمن
اعتبر بها من عالمي زمانها فمن بعدهم وذكر مريم مع الانبياء في هذه السورة
وان لم تكن من الانبياء لانها اذا ذكرت معهم في الذكر ومن منع تنبي النساء قال
ذكرت لاجل عيسى وناسب ذكرها هنا قصة زكريا وزوجه ويحيى للقرابة
التي بينهم ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا
امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا
هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان
هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
والظاهر ان قوله امتكم خطاب لمعاصري الرسول وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي
ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها مشارا اليها ملة واحدة
غير مختلفة ويحتمل ان يكون اشارة الى الطريقة التي كان عليها الانبياء المذكورون
من توحيد الله تعالى هي طريقتكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها في اصول
العقائد بل ما جاء به الانبياء من ذلك هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معنى
امة واحدة مخلوقة له تعالى مملوكة له فالمراد بالامة الناس كلهم وقيل الكلام
يحتمل ان يكون متصلا بقصة مريم وابنها اي وجعلناها وابنها اية للعالمين
بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه امتكم اي دعي الجميع الى الايمان

باله

بالعبادة ثم اخبر تعالى انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا امرهم وقرأ الجمهور
امتكم بالرفع خبر ان امة واحدة بالنصب على الحال وقيل بدل من هذه وقرأ
الحسن امتكم بالنصب بدل من هذه وقرأ ايضا هو وابن اسحاق والاشهب
العقيلي وابو حيوة وابن ابي عبلة والجعفي وهارون عن ابي عمرو والزعفراني
امتكم امة واحدة برفع الثلاثة على ان امتكم وامة واحدة خبران او امة واحدة
بدل من امتكم بدل النكرة من المعرفة او خبر مبتدا محذوف اي هي امة واحدة والضمير
في وتقطعوا عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات اي وتقطعتم ولما
كان هذا الفعل من اقبح المرتكبات عدل عن الخطاب الى لفظ الغيبة
كان هذا الفعل ما صدر من المخاطب لان في الاخبار عنهم بذلك نعيا عليهم ما افسدوه
وكانه يخبر غيرهم بما صدر من قبيح فعلهم ويقول الا ترى الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين
الله جعلوا امر دينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم
ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة الى جزائه وقيل كل من الثابت على
دينه الحق والزائغ عنه اليه وقرأ الاعمش زبرا بفتح الباء جمع زبور ثم ذكر حال
المحسن وانه لا يكفر سعيه والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في
اعطائه اذا قيل لله شكور ولا نفي للجنس فهو ابلغ من قوله فلا نكفر سعيه والكتابة
عبارة عن اثبات عمله الصالح في صحيفة الاعمال ليثاب عليه ولا يضيع والكفران
مصدر كالكفر قال الشاعر رايت اناسا لا تنام خدودهم وجدي ولا كفران لله ما ثم
وفي حرف عبد الله لا كفر لسعيه متعلق بمحذوف اي نكفر لسعيه ولا يكون متعلقا
بكفران لان اسم لا مطولا فيلزم تنوينه وقرأ الجمهور وحرام وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر وطلحة والاعمش وابو حنيفة وابو عمرو في رواية وحرم بكسر الحاء وسكون
الراء وقرأ قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن ابي عمرو بفتح الحاء وسكون الراء وقرأ
عكرمة وحرم بكسر الراء والتنوين وقرأ ابن عباس وعكرمة ايضا وابن المسيب
وقتادة ايضا بكسر الراء وفتح الحاء والميم على المضي وقرأ ابن عباس وعكرمة بخلاف
عنهما وابو العالية وزيد بن علي بضم الراء وفتح الحاء والميم على المضي وقرأ ابن عباس
ايضا بفتح الحاء والراء والميم على المضي وقرأ ابن عباس ايضا بفتح الحاء والزاي والميم على المضي
وقرأ اليماني وحرم بضم الحاء وكسر الراء مشددة وفتح الميم وقرأ الجمهور اهلكناها بنون
العظمة وقرأ السلمي وقتادة بتاء المتكلم واستعير الحرام للممتنع وجوده ومنه ان الله
حرمهما على الكافرين ومعنى اهلكناها قدرنا اهلاكها على ما هي عليه من الكفر
فالاهلاك هنا اهلاك عن كفر ولا في يرجعون صلة وهو قول ابي عبيد والمعنى
ممتنع على الامة انهم يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على اهل قرية قدرنا
عليهم اهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى ان تقوم القيامة فحينئذ
يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا ومما يتعلق بحتى
والساعة هو فتح ياجوج وماجوج وقرئ انهم بالكسر فيكون الكلام قد تم
عند قوله اهلكناها ويقدر محذوف تقديره وحرام على قرية اهلكناها ذلك
جملة اي ذاك وتكون اشارة الى العمل الصالح المذكور في حتم هولا المهلكين
والمعنى وحرام على اهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم عمل صالح ينجون به من
الاهلاك ثم اكد ذلك وعلله بانهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك

فالمحذوف مبتدا والخبر حرام او قدره بعضهم متقدما كانه قال والاقالة والتوبة حرام
وقراءة الجمهور بالفتح تقع على هذا المعنى وتكون لا باقية على بابها والتقدير لانهم
لا يرجعون وقيل اهلكناها اي وقع اهلاكها اياهم وكونهم رجعهم الى الدنيا
فيتوبون بعدهم ما يرون الى العذاب وقيل الاهلاك هو بالطبع على القلوب
والرجوع هو الى التوبة والايمان وقال الزجاج وحرام على قرية اهلكناها
حكمنا باهلاكها ان يتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون ودل على
هذا المعنى قوله فلا كفران لسعيه اي يتقبل عمله ثم ذكر هذا عقيبه
وبين ان الكافر لا يتقبل عمله وقال ابو مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم
لا يرجعون انتفاء الرجوع الى الاخرة واذا امتنع الانتفا وجب الرجوع
فالمعنى انه يجب رجوعهم الى الحيوة في الدار الاخرة ويكون الغرض ابطال
قول من ينكر البعث وتحقيق ما تقدم من انه لا كفران لسعي احد وانه
يجزى على ذلك يوم القيامة وقيل الحرام يجي بمعنى الواجب يدل عليه قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا وترك الشرك واجب وقالت الخنسا
• حرام علي ان لا ارى الدهر باكيا • على شجوه الا بكيت على صخر •
وايضا فمن الاستعمال اطلاق الضد على ضده وعلى هذا فقال مجاهد والحسن لا يرجعون
عن الشرك وقال قتادة ومقاتل الى الدنيا قال ابن عطية ويتجه في الاية معنى
ضمنه وعيد بين وذلك انه ذكر من عمل صالحا وهو مومن ثم عاد الى ذكر
الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون الى رب ولا يرجعون
الى معاد فهم يظنون بذلك انه لا عقاب ينالهم فجاءت الاية مكذبة لظن
هولاء اي وممتنع على الكفرة المشركين انهم لا يرجعون بل هم راجعون الى
عقاب الله واليم عذابه فتكون لا على بابها والحرام على بابه وكذلك الحرم فتامله
انتهى وحتى قال ابو البقا متعلقة في المعنى بحرام اي يستمر الامتناع الى هذا
الوقت ولا عمل لها في اذا وقال الحوفي حتى غاية والعامل فيها ما دل عليه المعنى
من تاسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك وقال الزمخشري
فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هي قلت
هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة
وهي حتى التي تحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في
حيزها انتهى وقال ابن عطية هي متعلقة بقوله فتقطعوا ويحتمل على بعض
التاويلات المتقدمة ان تتعلق بيرجعون ويحتمل ان تكون حرف ابتدا وهو
الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره انتهى وكون حتى
متعلقة فتقطعوا فيه بعد من حيث كثرة الفصل لكنه من جهة المعنى جيد وهو انهم
لا يزالون مختلفين على دين الحق الى قرب مجي الساعة فاذا
جات الساعة انقطع ذلك الاختلاف وعلم الجميع ان مولاهم الحق وان الدين
المنجي هو كان دين التوحيد وجواب اذا محذوف تقديره قالوا يا ويلنا
قاله الزجاج وجماعة او تقديره فحينئذ يبعثون فاذا هي شاخصة او مذكور
وهو واقترب على زيادة الواو قاله بعضهم وهو مذهب الكوفيين
يجيزون زيادة الواو او الفا في فاذا هي قاله الحوفي وقال الزمخشري واذا هي

المناجاة

المناجاة وهي تقع في المناجاة سادة مسد الفا لقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفا معها
تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذ هي شاخصة كان سديدا وقال ابن عطية
والذي اقول ان الجواب في قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذي قصد
ذكره لان رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه وتقدم الخلاف في
فتحت في الانعام ووافق ابن عامر وابو جعفر وشيبة وكذا التي في الانعام
والتضعيف تشديد التا والجمهور على التخفيف فيهن وفتحت ياجوج على حذف
مضاف اي سد ياجوج وماجوج وتقدم الخلاف في قراءة ياجوج وماجوج وهم
والظاهر ان ضمير وهم عائد على ياجوج وماجوج اي يطلعون في كل ثنية ويرتفع
ويعمون الارض وقيل الضمير للعالم ويدل عليه قراءة عبد الله وابن عباس من كل
حدث بالثا المثلثة وهو القبر وقري بالفا الثا للحجاز والفا لتميم وهي بدل من
الثا كما ابدلوا الثا منها قالوا المغثور واصله مغفور وقرا الجمهور ينسلون بكسر السين
وابن ابي اسحاق وابو السمال بضمها واقترب الوعد الحق اي الوعيد بالبعث الحق الذي
لا شك فيه واقترب قيل ابلغ في القرب من قرب وضمير هي للقصة كانه قال فاذا القصة
والحادثة ابصار الذين كفروا شاخصة ولم يذكر ان تكون شاخصة الخبر وابصار مبتدا
ولا يجوز ارتفاع ابصار بشاخصة لانه يلزم ان تكون بعد ضمير الشان او القصة
جملة تفسر الضمير مصرح بجزئيها ويجوز ذلك على مذهب الكوفيين وقال الزمخشري هي ضمير
مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا انتهى ولم يذكر غيره هذا الوجه
وهو قول الفرا هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجي ما يفسرها وانشد على ذلك
قول الشاعر • فلا وابيها لا تقول حليلتي • الا فر عني مالك بن ابي كعب • وذكر
ايضا الفرا ان هي عماد يصلح في موضعها هو وانشد
• بثوب ودينار وشاة ودرهم • فهل هو مرفوع بما ههنا راس •
وهذا لا يتمشى الا على احد قولي الكسائي في اجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدا اجاز
هو القايم زيد على ان زيد هو المبتدا والقايم خبره وهو عماد واصل المسالة زيد
هو القايم وتقول امله هذه فاذا ابصار الذين كفروا هي شاخصة فشاخصة خبر عن
ابصار وتقدم مع العماد ويجي على مذهب من يجيز العماد قبل خبر نكرة وذكر الثعلبي
وجها اخر وهو ان الكلام تم عند قوله فاذا هي اي بارزة واقعة يعني الساعة
ثم ابتدا فقال شاخصة ابصار الذين كفروا وهذا وجه متكلف متنافر التركيب
وروى حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى
تقوم الساعة يعني في مجي الساعة اثر خروجهم يا ويلنا معمول لقول محذوف قال
الزمخشري تقديره يقولون وهو في موضع الحال من الذين كفروا وتقدم قول
الزجاج ان هذا القول جواب اذا والمخصوص حداد الشطر دون البيط في غفلة
من هذا انتهى اي مما وجدنا الان وتبينا ان الحقايق اذا اضربوا عن قولهم
قد كنا في غفلة واخبروا بما قد كانوا تعمدوه من الكذب والاعراض عن الايمان
فقالوا بل كنا ظالمين والخطاب بقوله انكم وما تعبدون من دون الله للكفار
المعاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما اهل مكة ومعبوداتهم هي الاصنام
وقرا الجمهور حصب بالحا والصاد المهملتين وهو ما يحصب به اي يرمى في نار
جهنم وقيل الذي يرمى به لا يطلق عليه حصب الا بحاز وقرا ابن السميفع وابن

ابي عبلة ومحبوب وابو حاتم عن ابن كثير باسكان الصاد وروي عن ابن عباس وهو مصدر
يراد به المفعول اي المحصوب وقرا ابن عباس بالضاد المعجمة المفتوحة وعنه اسكانها
وبذلك قرا كثير عزة والحضب ما يرمى به في النار والمحضب العود او الحديدة او غيرها
مما تحرك به النار قال الشاعر فلا تك في حربنا محضبا ۰ فتجعل قومك شتى شعوبا ۰
وقرا ابي وعلي وعايشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطا وجمع الكفار مع
معبوداتهم في النار لزيادة غمهم وحسرتهم برويتهم
معهم فيها اذ عذبوا بسببهم وكانوا يرجون الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر
من قبلهم ولانهم صاروا لهم اعدا ورؤية العدو مما يزيد في العذاب كما قال
الشاعر واحتمال الاذى ورؤية جانيه ۰ غذا تضنى به الاجسام ۰ انتم لها
اي للنار واردون الورود هنا ورود دخول لو كان هولاء اي الاصنام التي
يعبدونها الهة ما وردوها اي ما دخلوها ودل على ان الورود دخول قوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقرا الجمهور الهة
بالنصب على خبر كان وقرا طلحة بالرفع على ان في كان ضمير الشان وكل
فيها اي كل من العابدين والمعبودات لهم فيها زفير وهو صوت نفس المغموم
يخرج من القلب والظاهر ان الزفير انما يكون ممن تقوم به الحياة وهم
العابدون والمعبودون ممن كان يدعي الالهية كفرعون وكغلاة
الاسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد الله اول ملوكهم ويجوز
ان يجعل الله للاصنام التي تعبد حياة فيكون لها زفير وقال الزمخشري اذا كانوا
هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرين الا
هم وهم فيها لا يسمعون روي عن ابن مسعود انهم يجعلون في توابيت من نار
فلا يسمعون وقد قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وفي
سماع الاشيا روح فمنع الله الكفار ذلك في النار وقيل لا يسمعون ما يسرهم من كلام
الزبانية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون لا يسمعون
حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم
الملايكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب
كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم
عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم اله
واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل اذنتكم على سوا وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون سبب ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قول ابن الزبعري
حين سمع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملايكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الاية وقيل لما اعترض ابن الزبعري قيل لهم الستم قوما عربا او ما تعلمون

الرحمن

ان من لمن يعقل و ما لما لا يعقل فعلى القول الاول يكون ابن الزبعري قد فهم من قوله وما تعبدون
العموم فلذلك نزل قوله ان الذين سبقت لهم الاية تخصيصا لذلك العموم وعلى هذا القول
الثاني يكون ابن الزبعري رام مغالطة فاجيب بان من لمن يعقل وما لما لا يعقل فبطل
اعتراضه والحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى
بالثواب واما التوفيق للطاعة والظاهر من قوله مبعدون وما بعده ان من سبقت
له الحسنى لا يدخل النار وروي ان عليا كرم الله وجهه قرا هذه الاية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت
الصلاة فقام يجر رداه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت
الذي يحس من حركة الاجرام وهذا الابعاد وانتفا سماع صوتها قيل هو قبل
دخول الجنة وقيل بعد دخولهم واستقرارهم فيها والشهوة طلب النفس اللذة
وقال ابن عطية وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضي انه في الموقف
تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الا جثا على ركبتيه والفزع الاكبر عام في كل
هول يقوم في يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الاكبر وان
خصص بشي فيجب ان يقصد لاعظم هوله انتهى وقيل الفزع الاكبر وقوع طبق جهنم
عليها قاله الضحاك وقيل النفخة الاخرة وقيل الامر باهل النار الى النار روي عن ابن
جبير وابن جريج والحسن وقيل ذبح الموت وقيل هذا اذا نودي اخسوا فيها ولا تكلمون
وقيل يوم نطوي السما ذكره مكي وتتلقاهم الملايكة بالسلام عليهم وعن ابن عباس
تتلقاهم الملايكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قايلين لهم هذا يومكم الذي
كنتم توعدون بالكرامة والثواب والنعيم وقرا ابو جعفر لا يحزنهم مضارع
احزن وهي لغة تميم وحزن لغة قريش والعامل في يوم لا يحزنهم او تتلقاهم واجاز
ابو البقا ان تكون بدلا من العايد المحذوف في توعدون فالعامل فيه توعدون
اي توعدونه او مفعولا باذكر او منصوبا باعني واجاز الزمخشري ان يكون
العامل فيه الفزع وليس بجايز لان الفزع مصدر وقد وصف قبل اخذ معموله
فلا يجوز ما ذكر وقرا الجمهور نطوي بنون العظمة وفرقة منهم شيبة بن
نصاح يطوي بيا اي الله وابو جعفر وفرقة بالتا مضمومة وفتح الواو والسما
رفعا والجمهور السجل على وزن الطمر وابو هريرة وصاحبه ابو زرعة بن عمرو بن
جرير بضمتين وشد اللام والاعمش وطلحة وابو السمال السجل بفتح السين والحسن
وعيسى بكسرهما والجيم في هاتين القراتين ساكنة واللام مخففة وقال ابو عمرو
قراة اهل مكة مثل قراة الحسن وقال مجاهد السجل الصحيفة وقيل هو مخصوص
من الصحف بصحيفة العهد والمعنى طيا مثل طي السجل وطي مصدر مضاف الى
المفعول اي ليكتب فيها او لما يكتب فيها من المعاني الكثيرة والاصل كطي الطاوي السجل
فحذف الفاعل وحذفه يجوز مع المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل وقدره
الزمخشري مبنيا للمفعول اي كما يطوى السجل وقال ابن عباس وجماعة السجل
ملك يطوي كتب بني ادم اذا رفعت اليه وقالت فرقة هو كاتب كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا للفاعل وقال ابو
الفضل الرازي الاصح انه فارسي معرب انتهى وقيل اصله من المساجلة وهي
من السجل وهو الدلو ملأى ماء وقال الزجاج هو رجل بلسان الحبش وقرا الجمهور

بكتاب موداود وحمزة والكسائي وحفص لكتب جمعا وسكن التا الاعمش وقال الزمخشري اول الخلق مفعول
نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعني نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها
للاعادة بالابدا في تناول القدرة لهما علي السوا فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده
كما بداه قلت اوله ايجاده من العدم فكما اوجده اولا من عدم يعيده ثانيا من عدم
فان قلت ما بال الخلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال
ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معني اول الخلق اول الخلائق
لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما
موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده واول الخلق ظرف لبداناه اي اول ما نخلق
او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعني انتهي والظاهر ان
الكاف ليست مكفوفة كما ذكر بل هي جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع
الفعل مصدر وهو في موضع جر بالكاف واول الخلق مفعول بدانا والمعني نعيد اول الخلق
اعادة مثل بداتنا له اي كما ابرزناه من العدم الي الوجود نعيده من العدم
الي الوجود وما قدره الزمخشري من تهيئة بدانا لان ينصب اول الخلق علي المفعولية
وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو الي ذلك وارتكاب اضمار بعيد مفسر بنعيده
وهذه عجمة في كتاب الله واما قوله ووجه اخر وهو ان الكاف اسم لا حرف
وليس مذهب الجمهور انما ذهب الي ذلك الاخفش وكونها اسما عند البصريين
غير مخصوص بالشعر وقال ابن عطية يحتمل معنيين احدهما ان يكون خبرا عن
البعث اي كما اخترعنا الخلق اولا علي غير مثال كذلك ننشيهم تارة اخري فنبعثهم
من القبور والثاني ان يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة علي
هيئته التي خرج بها الي الدنيا ويؤيده يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة
غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وقوله كما بدانا الكاف متعلقة بقوله نعيده
انتهي وانتصب وعدا علي انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله انا كنا
فاعلين تاكيد لتحتم الخبر اي نحن قادرون علي ان نفعل والزبور الظاهر انه زبور
داود وقاله الشعبي ومعني هذه الاية موجود في زبور داود وقرانا ما فيه
والذكر التوراة قاله ابن جبير وقيل الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة
وقيل الزبور يعم الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ والارض قال ابن عباس
ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلي الله عليه وسلم والاشارة في
قوله ان في هذا الي المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة لبلاغا كفاية يبلغ بها الي الخير وقيل الاشارة الي القران
جملة وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم وللعالمين قيل خاص
بمن امن به وقيل عام وكونه رحمة للكافر حيث اخر عقوبته ولم يستاصل الكفار
بالعذاب قال معناه ابن عباس قال عوفي مما اصاب غيرهم من الامم من
مسخ وخسف وغرق وقذف واخر امره الي الاخرة قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون معناه وما ارسلناك للعالمين الا رحمة اي هو رحمة في نفسه
وهدي بين اخذ به من اخذ واعرض عنه من اعرض انتهي ولا يجوز علي المشهور
ان يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الا ان كان العامل مفرغا له نحو ما
مررت الا بزيد وقال الزمخشري انما لقصر الحكم علي شي او لقصر الشي علي حكم

كقولك

كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحي الي
مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة
اجتماعهما الدلالة علي ان الوحي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم مقصور علي استيثار الله
بالوحدانية انتهي اما ما ذكره في انما انها لقصر ما ذكر فهو مبني علي انما للحصر وقد قررنا
انها لا تكون للحصر وان ما مع ان كهي مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر في
التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذلك لا تفيده مع ان واما جعله انما المفتوحة
الهمزة مثل مكسورها تدل علي القصر فلا نعلم الخلاف الا في انما بالكسر واما بالفتح
فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعدها مصدر فالجملة بعدها ليست جملة
مستقلة ولو كانت انما دالة علي حصر لزم ان يقال انه لم يوح اليه شي الا التوحيد
وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد اوحي له اشيا غير التوحيد وفي الاية دليل علي تظافر
المنقول للمعقول وان النقل احد طريقي التوحيد ويجوز في ما من انما يوحي ان
تكون موصولة فهل انتم مسلمون استفهام يتضمن الامر باخلاص التوحيد
والانقياد الي الله تعالي اذنتكم اعلمتكم وتضمن معني التحذير والنذارة علي
سوا لم اخص احدا دون احد وهذا الايذان هو اعلام بما يحل بمن تولي من العقاب
وغلبة الاسلام ولكني لا ادري متي يكون ذلك وان نافية وادري معلقة والجملة
الاستفهامية في موضع نصب بادري وتاخر المستفهم عنه لكونه فاصلة اذ لو كان
التركيب اقريب ما توعدون ام بعيد لم تكن فاصلة وكثيرا ما يرجح الحكم في الشي
لكونه فاصلة اخر اية وعن ابن عباس في رواية وان ادري بفتح اليا في الاثنين
تشبيها بيا الاضافة لفظا وان كانت لام الفعل ولا تفتح الا بعامل وانكر ابن
مجاهد فتح هذه اليا والمعني انه تعالي لم يعلمني علمه ولا اطلعني عليه والله هو
العالم الذي لا يخفي عليه شي وان ادري لعله فتنة اي لعل تاخير هذا الوعد
امتحان لكم لننظر كيف تعملون او تمتع لكم الي حين ليكون ذلك حجة وليقع
الموعد في وقت هو حكمة وادري هنا معلقة ايضا وجملة الترجي هي في موضع نصب
بالفعل والكوفيون يجيزون لعل تجري مجري هل فكما يقع التعليق عن هل
وكذلك عن لعل ولا اعلم احدا ذهب الي ان لعل من ادوات التعليق وان كان
ذلك ظاهرا فيها كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب وما يدريك لعله يزكي
وقيل الي حين الي يوم القيامة وقيل الي يوم بدر وقرا الجمهور قل رب احكم
الباو قرا حفص قال وابو جعفر رب بالضم قال صاحب اللوامح علي انه منادي
مفرد وحذف حرف النداء فيما جاز ان يكون وصفا لاي لبعيد بابه الشعر انتهي
وليس هذا من نداء النكرة المقبل عليها بل هذا من اللغات الجائزة في يا غلامي
وهي ان تبنيه علي الضم وانت تنوي الاضافة لما قطعته عن الاضافة وانت
تريدها بنيته فمعني رب يا ربي وقرا الجمهور احكم علي الامر من حكم وقرا
ابن عباس وعكرمة وابن يعمر والضحاك والجحدري وابن محيصن ربي باسكان
اليا احكم جعله افعل التفضيل فربي احكم مبتدا وخبر وقرات فرقة
احكم فعلا ماضيا وقرا الجمهور تصفون بتا الخطاب وروي ان النبي صلي
الله عليه وسلم قراها علي ما يصفون بيا الغيبة وروين عن ابن عامر
المفردات
وعاصم ذهل عن الشي ذهولا اشتغل عنه قاله قطرب وقال غيره غفل الطاير

شاغل من همٍّ او وجع او غيره وقيل مع دهشة المصفقة المجد الصغيرة قدرها تقع
الممتقة السواد المشاء لا ينقص ولا عيب يقال دلق السواك والعود سواه وملسه
من قولهم صخرة خلقا اي ملسا الطفل يقال من وقت انفصال الولد الى البلوغ
ويقال الولد الوحشية طفل ويوصف به المفرد والمثني والمجموع والمذكر والمونث
بلفظ واحد ويقال ايضا طفل وطفلان واطفال واطفلت المراة صارت ذات
طفل والطفل بفتح الطاء الناعم وجارية طفلة ناعمة وبنان طفل وقد طفل الليل
اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعيد العصر اذا طفلت الشمس للغروب والطفل
ايضا مطر وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرسل والعدل يقع على الواحد
والجمع همدت الارض يبست ودرست والثوب بلا وقال الاعشي
قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا ✽ واري ثيابك باليات همدا البهيج
الحسن السار للناظر يقال فلان ذو بهجة اي حسن وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة
فهو بهيج وابتهجني اعجبني بحسنه العطف الجانب وعطفا الرجل يمينه وشماله
واصله من العطف وهو اللي ويسمي الرداء العطاف المجوس قوم يعبدون
النار والشمس والقمر وقيل يعبدون النار وقيل قوم اعتزلوا النصارى
ولبسوا المسوح وقيل قوم اخذوا من دين النصارى شيا ومن دين اليهود شيا
وهم القايلون ان للعالم اصلان نور وظلمة وقيل الميم في المجوس بدل من النون
لاستعمالهم النجاسات صهرت الشحم بالنار اذبته والصهارة الالية المذابة وقيل
ينضج قال الشاعر تصهره الشمس ولا ينصهر المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع
بها المضروب اللولو الجوهر وقيل صغاره وكباره الضامر المهزول العميق
البعيد واصله البعد سفلا يقال بير عميقة اي بعيدة القعر والفعل عمق وعمق
قال الشاعر اذا الخيل جات من فجاج عميقة ✽ يمد بها في السير اشعث شاحب
ويقال عميق بالعين وقال الليث يقال عميق ومعيق لتميم واعمقت البير وامعقتها
وقد عمقت ومعقت عماقة ومعاقة وهي بعيدة العمق والمعق والاعماق
والامعاق اطراف المفازة قال وقاتم الاعماق خاوي المخترق التفث اصله
الوسخ والقذر يقال لمن يستقذر ما تفثك وعن قطرب تفث الرجل كثر وسخه
في سفره وقال ابو محمد البصري التفث من التف وهو وسخ الاظفار وقلبت
الفا ثا كمغثور ومغفور السحيق البعيد وجب الشي سقط ووجبت الشمس جبة قال
اوس بن حجر الم تكسف الشمس شمس النهار ✽ والبدر للجبل الواجب
القانع السايل قنع قنوعا سال وقنع قناعة تعفف واستغني ببلغته قال
الشماخ لمال المرء يصلحه فيغني ✽ مفاقره اعف من القنوع الوثن قال
شمر كل تمثال من خشب او حجارة او ذهب وفضة او نحاس ونحوها وكانت
العرب تنصبها وتعبدها وتطلق على الصليب قال الاعشي
تطوف العفاة بابوابه ✽ كطوف النصاري ببيت الوثن
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وقد راي في عنقه صليبا
الق الوثن عنك واشتقاقه من وثن الشي اقامه في مكانه ووثن والواثن
المقيم الراكد في مكانه وقال روبة على اخلاء الصفا الوثن يعني الدوم
على العهد البدن جمع بدنة كثمر جمع ثمرة قاله الزجاج سميت بذلك لانها تبدن

اي

اي تسمن وقال الليث البدنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير مما يجوز في الهدي
والاضاحي ولا تقع على الشاة وسميت بدنة لعظمها وقيل تختص بالابل وقيل بالنعم
من ناقة او بقرة قاله عطا وغيره وقيل البدن بمعنى السمن يراد به العظيم
السمين من الابل والبقر ويقال للسمين من الرجال المعتر المتعرض من غير سوال
وقال ابن قتيبة عره واعتره وعراه واعتراه اتاه طالبا معروفه قال الشاعر
سلي الطارق المعتر يا ام مالك ✽ اذا ما اتاني بين قدري ومجزري
وقال اخر لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا ✽ لنمنعه بالضايع المتهضم ✽ بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل
مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه
الى عذاب السعير يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا
خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة
وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا
ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا
يعلم من بعد علم شيا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الما
اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو
الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ه هذه السورة مكية
الا هذان خصمان الي تمام ثلاث ايات قاله ابن عباس ومجاهد وعن ابن عباس
ايضا انهن اربع ايات الى قوله عذاب الحريق وقال الضحاك هي مدنية وقال
قتادة الا قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الى عذاب عقيم وقال
الجمهور منها مكي ومنها مدني ومناسبة اول هذه السورة لما قبلها انه ذكر
تعالى حال الاشقيا والسعدا وذكر الفزع الاكبر وهو ما يكون يوم القيامة
وكان مشركوا مكة قد انكروا المعاد وكذبوه بسبب تاخر العذاب عنهم نزلت
هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة
وشدة هولها وذكر ما اعد لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطويرهم
في خلقهم وبهمود الارض واهتزازها بعد بالنبات والظاهر ان قوله
يا ايها الناس عام وقيل المراد اهل مكة ونبه تعالى على سبب اتقايه وهو
ما يوول اليه من اهوال الساعة وهو على حذف اي اتقوا عذاب ربكم والزلزلة
الحركة المزعجة وهي عند النفخة الاولى وقيل عند الثانية وقيل عند قول
الله يا ادم ابعث بعث النار وقال الجمهور في الدنيا اخر الزمان ويتبعها طلوع
الشمس من مغربها وعن الحسن يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند
طلوع الشمس من مغربها واضيفت الى الساعة لانها من اشراطها والمصدر
مضاف للفاعل والمحذوف المفعول وهو الارض يدل عليه اذا زلزلت
الارض زلزالها او الناس ونسبة الزلزلة الى الساعة مجاز ويجوز ان يضاف
الى المفعول به على طريقة الاتساع في الظرف فتكون الساعة مفعولا بها

وعلى هذه التقادير يكون ثم زلزلة حقيقية وقال الحسن اشد الزلازل ما يكون مع
قيام الساعة وقيل الزلزلة استعارة والمراد شدة الساعة واهوال يوم القيامة وشي هنا
يدل على اطلاقه على المعدوم لان الزلزلة لم يقع بعد ومن منع ايقاعه على المعدوم
قال جعل الزلزلة شيا لتيقن وقوعها وصيرورتها الى الوجود وذكر تعالى اهوال الصفات
في قوله ترونها الاية لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم ليكون
ذلك حاملا على تقواه تعالى اذ لا نجاة من تلك الشدايد الا بالتقوى وروي ان هاتين الايتين
نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نر اكثر باكيا
من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج على الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول
ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين باك ومفكر والناصب ليوم تذهل والظاهر
ان الضمير المنصوب في ترونها عايد على الزلزلة لانها المحدث عنها ويدل على
ذلك وجود ذهول المرضعة ووضع الحمل هذا اذا اريد الحقيقة وهي الامر نفـ
ويكون ذلك في الدنيا وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع
الحامل ما في بطنها لغير تمام وقالت فرقة الضمير يعود على الساعة فيكون
الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا
وضع هناك كقولهم يوم يشيب فيه الوليد وجاء لفظ مرضعة دون مرضع لانه
اريد به الفعل لا النسب بمعنى ذات رضاع وقال الشاعر كمرضعة اولاد اخرى
وضيعت بني بطنها هذا الضلال عن القصد والظاهر ان ما في قوله
عما ارضعت بمعنى الذي والعايد محذوف اي ارضعته ويقويه تعدي
تضع الى المفعول به في قوله حملها لا الى المصدر وقيل ما مصدرية اي عن
ارضاعها وقال الزمخشري المرضعة التي هي في حال الارضاع تلقمه ثديها الصبي
والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل
مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجيت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته
عن فيه لما يلحقها من الدهشة وخص بعض نحاة الكوفة ام الصبي بمرضعة
والمستاجرة بمرضع وهذا باطل بقول الشاعر كمرضعة اولاد اخرى البيت
فهذه مرضعة بالتاء وليست اما للذي ترضع وقول الكوفيين ان الوصف
الذي يختص بالمونث لا يحتاج فيه الى التاء وكسر الهاء اي تذهل لانها
انما جي بها للفرق مردود بقول العرب مرضعة وحامل وطالقة وقرا
الجمهور كل تذهل بفتح التاء والهاء ورفع كل وابن ابي عبلة واليماني بضم
التاء وكسر الهاء اي تذهل الزلزلة او الساعة كلا بالنصب والحمل بالفتح
ما كان في بطن او على راس شجرة وقرا الجمهور وترى بالتاء مفتوحة
خطابا للمفرد وزيد بن علي بضم التاء وفتح الراء ورفع الناس اي وتظن
على تاويل الجماعة وقرا ابو هريرة وابو زرعة بن عمرو بن جرير وابو نهيك
كذلك الا انهم نصبوا الناس وعدي ترى الى مفاعيل ثلثة احدها الضمير
المستكن في ترى وهو ضمير المخاطب مفعول لم يسم فاعله والثاني
والثالث الناس سكارى اثبت انهم سكارى على طريق التشبيه
ثم نفى عنهم الحقيقة وهو السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخبط
العقل وقرا الجمهور سكارى فيهما على وزن فعالى وتقدم ذكر الخلاف

في

في فعلى بضم الفاء اهو جمع او اسم جمع وقرا ابو هريرة وابو نهيك وعيسى
بفتح السين فيهما وهو جمع تكسير واحده سكران وقال ابو حاتم هي لغة تميم
وقرا الاخوان وابن سعدان ومسعود بن صالح سكرى فيهما ورويت عن الرسول
رواها عمران بن حصين وابو سعيد الخدري وهي قراءة عبد الله واصحابه وحذيفة
وقال س وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى لانهما شيان يدخلان على الانسان
ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرايب قال ابو علي الفارسي
ويصح ان تكون جمع سكر كزمنى وزمن وقد حكى س رجل سكر بمعنى سكران
فيجي سكرى حينئذ لتانيث الجمع وقرا الحسن والاعرج وابو زرعة وابن جبير
والاعمش سكرى بضم السين فيهما قال ابو الفتح هو اسم مفرد كالبشرى وبهذا
افتاني ابو علي انتهى وقال الزمخشري هو غريب وقال ابو الفضل الرازي
فعلى بضم الفاء من صفة الواحدة من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة
اجريت الجماعة بمنزلة المونث الموحد انتهى وعن ابي زرعة ايضا سكرى بفتح السين سكرى
بضمها وعن ابن جبير ايضا سكرى بالفتح من غير الف سكارى بالضم والالف وعن الحسن
ايضا سكارى سكرى وقال اولا ترونها على خطاب الجمع جعلوا جميعا رايين لها
ثم قال وترى على خطاب الواحد لان الروية معلقة بكون الناس على حال السكر فجعل
كل واحد رائيا لسايرهم غشيهم من خوف عذاب الله ما اذهب عقولهم وردهم في حال
من يذهب السكر عقله وتمييزه وجاء هذا الاستدراك بالاخبار عن عذاب الله انه شديد
لما تقدم ما هو بالنسبة الى العذاب كالحالة اللينة الهينة وهو الذهول والوضع
وروية الناس اشباه السكارى وكانه قيل وهذه احوال هينة ولكن عذاب الله شديد
وليس بهين ولا لين لان لكن لا بد ان يقع بين متنافيين يوجد ما وتقدم الكلام
فيها ومن الناس من يجادل في الله اي في قدرته وصفاته قيل نزلت في ابي جهل
وقيل في ابي بن خلف والنضر بن الحرث وقيل في النضر وكان جدلا يقول الملايكة
بنات الله والقران اساطير الاولين ولا يبعث الله من بلي وصار ترابا
والاية عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات
والافعال ولا يرجع الى علم ولا برهان ولا نصفة والظاهر ان قوله كل شيطان
مريد هو من الجن كقوله وان يدعون الا شيطانا مريدا وقد يحتمل ان يكون
من الانس كقوله شياطين الانس والجن ولما ذكر تعالى اهوال يوم القيامة
ذكر من غفل عن الجزاء في ذلك اليوم وكذب به وقرا زيد بن علي ويتبع خفيفا
والظاهر ان الضمير في عليه عايد على من لانه المحدث عنه وفي انه تولاه وفي
فانه يضله عليه ايضا والفاعل بتولى ضمير من وكذلك الهاء في يضله ويجوز ان
تكون الهاء في هذا الوجه انه ضمير الشان والمعنى ان هذا المجادل لكثرة جداله بالباطل
واتباعه الشيطان صار اماما في الضلال لمن يتولاه فشانه ان يضل من يتولاه
وقيل الضمير في عليه عايد على كل شيطان مريد قاله قتادة ولم يذكر الزمخشري
غيره واورد ابن عطية القول الاول احتمالا وقال ابن عطية ويظهر لي
ان الضمير في انه الاول للشيطان وفي الثانية لمن الذي هو للمتولي قال
الزمخشري والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم
به لظهور ذلك في حاله وقرا الجمهور كتب مبنيا للمفعول وقرى كتب مبنيا

للفاعل أي كتب الله وقرأ الجمهور أنه بفتح الهمزة في موضع المفعول الذي لم يسم
فاعله فأنه بفتحها أيضا والفاء جواب من الشرطية والداخلة في خبر من إن كانت
موصولة وفأنه على تقدير فشأنه أنه يضله أي إضلاله أو فله أن يضله وقال
الزمخشري فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب يعني به مفعولا لم يسم فاعله قال
والثاني عطف عليه انتهى وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فأنه عطفا على
أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر لأن من تولاه من فيه مبتدأة فإن قدرتها
موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبرا لأنه وإن جعلتها شرطية فلا جواب
لها إذا جعلت فأنه عطفا على أنه ومثل قول الزمخشري قال ابن عطية قال
وأنه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله وأنه الثاني عطف على
الأول مؤكد مثله وهذا خطأ لما بيناه وقرأ الأعمش والجعفي عن أبي عمرو
إنه فإنه بكسر الهمزتين وقال ابن عطية وقرأ أبو عمرو إنه من تولاه
فإنه يضله بالكسر فيهما انتهى وليس مشهورا عن أبي عمرو والظاهر أن
ذلك من إسناد كتب إلى الجملة إسنادا لفظيا أي كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن
الله يأمر بالعدل وقال الزمخشري أو على تقدير قيل وهي المفعول الذي لم يسم فاعله كتب
والجملة من أنه من تولاه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لقيل المقدرة وهذا
لا يجوز عند البصريين لأن الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم
يسم فاعله وأما الثاني فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لأنه لا تكسر إن بعد
ما هو بمعنى القول بل بعد القول صريحه ومعنى ويهديه ويسوقه ودخل بلفظ
الهداية على سبيل التهكم ولما ذكر تعالى من يجادل في قدرته بغير علم وكان جدالهم في
الحشر والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك أحدهما في نفس الإنسان وابتداء
خلقه وتطوره في مراتب سبع وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والإخراج
طفلا وبلوغ الأشد والتوفي أو الرد إلى الهرم والثاني في الأرض التي تشاهدون
تنقلها من حال إلى حال فإذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جواز ما فعلا فإذا ورد به
الشرع وقد جاء به وجب التصديق به وأنه واقع لا محالة وقرأ الحسن من البعث
بفتح العين وهي لغة فيه كالجلب والطرد في الحلب والطرد والكوفيون إسكان العين
عندهم تخفيف يقيسونه فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر والشعر والبصريون
لا يقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه لغتان والمعنى إن ارتبتم
في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم من تراب أي أصلكم آدم وسلط الفعل
عليهم من حيث هم من ذريته أو باعتبار وسائط التولد لأن المني ودم الطمث
يتولدان من الأغذية والأغذية حيوان ونبات والحيوان يعود إلى النبات والنبات
من الأرض والماء والنطفة المني وقيل نطفة آدم قاله النقاش والعلقة قطعة
الدم الجامدة ومعنى وغير مخلقة أي ليست كاملة ولا ملساء فالمضغ متفاوتة
لذلك تفاوتا وتطاولا وقصرا وتماما ونقصانا وقال مجاهد غير مخلقة هي التي
تسقط وقال قتادة والشعبي وأبو العالية ولما كان الإنسان فيه أعضاء
متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسن تضعيف الفعل لأن فيه خلقا كثيرة وقرأ
ابن أبي عبلة مخلقة بالنصب وغير بالنصب أيضا نصبا على الحال من النكرة المتقدمة
وهو قليل وقاسه س قال الزمخشري لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وأن من قدر

على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن
يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على
إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى
إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الفكر ولا
يحيط به الوصف انتهى ولنبين متعلق بخلقناكم وقيل لنبين لكم أمر البعث قال ابن
عطية وهو اعتراض بين الكلامين وقال الكرماني يعني رشدكم وضلالكم وقيل
لنبين لكم من التخليق هو اختيار من الفاعل المختار ولولاه ما صار بعضه غير مخلق
وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرأ يعقوب وعاصم في رواية ونقر
بالنصب عطفا على لنبين وعن عاصم أيضا ثم نخرجكم بنصب الجيم عطفا على ونقر
إذا نصب وعن يعقوب بفتح النون وضم القاف والراء من قر الماء صبه وقرأ أبو زيد
النحوي ويقر بفتح الياء والراء وكسر القاف وفي الكامل لابن جبارة لنبين ونقر ونخرجكم
بالنصب فيهن المفضل وبالياء فيهن مع النصب أبو حاتم وبالياء والرفع عمر بن شبة
انتهى قال الزمخشري والقراءة بالرفع إخبار بأنه تعالى يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره
من ذلك إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته
والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل والمعنى خلقناكم مدرجين هذا
التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولد
وينشأ ويبلغوا أشد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا
أشدكم انتهى وقرأ يحيى بن وثاب ما نشاء بكسر النون والأجل المسمى يختلف فيه
بحسب جنين جنين فساقط وكامل أمره خارج حيا وقوله طفلا لأنه مصدر في
الأصل قاله المبرد والطبري أو لأن الغرض الدلالة على الجنس أو لأن معنى نخرج
كل واحد منكم كقولك الرجال يشبعهم رغيف أي يشبع كل واحد وقال الزمخشري الأشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد
كالأسدة والقتود وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على
لفظ الجمع انتهى وتقدم الكلام في الأشد ومقداره من الزمان وأن من الناس
من قال إنه جمع شدة كأنعم جمع نعمة وأما القتود فعن أبي عمرو الشيباني أن واحده
قتد ومنكم من يتوفى وقرئ يتوفى بفتح الياء أي يستوفي أجله والجمهور
بالضم أي بعد الأشد وقيل الهرم وهو أرذل العمر والخرف فيصير إلى حالة الطفولية
ضعيف البنية سخيف العقل ولا زمان لذلك محدود وإنما ذلك بحسب ما يقع
في الناس وقد نرى من علت سنه وقارب المائة أو بلغها في غاية جودة الذهن
والإدراك مع قوة ونشاط ونرى من هو في سن الاكتهال وقد ضعفت بنيته
ووضح تعالى أنه قادر على إنشائه إلى حالة الخرف كما أنه كان قادرا على تدريجه إلى حالة
التمام فكذلك هو قادر على إعادة الأجساد التي درجها في هذه المنازل وأنشأها
النشأة الثانية ولكيلا يعلم متعلقه يرد قال الكلبي لكيلا يعقل من بعد عقله
الأول شيئا وقيل لكيلا يستفيد علما وينسى ما علمه وقال الزمخشري أي ليصير نساء
بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه
من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وروي
عن أبي عمرو ونافع تسكين ميم العمر وترى الأرض هامدة هذا هو الدليل

الثاني الذي تضمنته والدليل الاول للاية ولما كان الدليل الاول لبعض مراتب الخلق فيه
غير مرتبتين قال ان كنتم في ريب من البعث فانه خلقنا لكم فلم يحال في جميع رتبه على الروية
ولما كان هذا الدليل الثاني فيه مشاهدا للابصار احال ذلك على الروية فقال وترى ايها
السامع او المجادل الارض هامدة ولظهوره تكرر هذا الدليل في القران والتامت
المطر والانهار والعيون والسواقي واهتزازها تخلخلها واضطراب بعض اجسامها
لاجل خروج النبات وربت ارتفعت وانتفخت وقرا ابو جعفر وعبد الله بن
جعفر وخالد بن الياس وابو عمرو في رواية وربات بالهمز هنا وفي فصلت اي ارتفعت
واشرفت يقال فلان يربا بنفسه عن كذا اي يرتفع بها عنه قال ابن عطية
ووجهها ان تكون من ربات القوم اذا علوت شرفا من الارض طليعة فكان
الارض بالماء تتطاول وتعلو انتهى ويقال ربى وربيئة وقال الشاعر
فكنت لهم ربيئا قبل ذلك تحلق كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي
ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم وتطورهم في تلك المراتب ومن احياء الارض حاصل
بهذا وهو حقيقته تعالى فهو الثابت الموجود القادر على احياء الموتى وعلى كل
مقدور وقد وعد بالبعث وهو قادر عليه فلابد من كيانه وقوله وان الساعة
الى اخره توكيد لقوله وانه يحيي الموتى والظاهر ان قوله وان الساعة اتية
ليس داخلا في سبب ما تقدم ذكره فليس معطوفا على الذي يليه فيكون على
تقدير والامر ان الساعة فذلك مبتدا وبان الخبر وقيل ذلك منصوب بمضمر
اي فعلنا ذلك ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ومن
الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من
دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره
اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السما
ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه ايات
بينات وان الله يهدي من يريد الظاهر ان المجادل في هذه الاية غير المجادل
في الاية قبلها فعن محمد بن كعب انها نزلت في الاخنس بن شريق وعن ابن عباس في
ابي جهل وقيل الاولى في المقلدين وهذه في المقلدين والجمهور على انها والتي
قبلها في النضر كررت مبالغة في الذم ولكون كل واحدة اشتملت على زيادة
ليست في الاخرى وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة اية وقال ابن عطية وكرر
هذه على وجه التوبيخ فكانه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان
ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو واو الحال والاية المتقدمة
الاية فيها واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والاية على معنى
الاخبار وهي هنا مكررة للتوبيخ انتهى ولا يتخيل ان الواو في ومن الناس
من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها لم

تتقدر

تتقدر باذ فلا تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم متبع لشيطان
مريد ومجادل ايضا بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى اخره وعابد ربه على حرف والمراد
بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي اي يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة وانتصب ثاني عطفه على الحال من الضمير
المستكن في يجادل قال ابن عباس متكبرا وقال مجاهد لاويا عنقه وقال ابن جريج والضحاك معرضا
بانفه وابن جريج معرضا من الحق وقرا الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي
تعطفه وترحمه وليضل متعلق بيجادل وقرا مجاهد واهل مكة وابو عمرو في
رواية ليضل بفتح اليا اي ليضل في نفسه والجمهور بضمها اي ليضل غيره وهو
يترتب على اضلاله كثرة العذاب اذ عليه وزر من عمل به ولما كان مآل جداله
الى الاضلال كان كانه علة له وكذلك لما كان معرضا عن الهدى مقبلا على الجدال
بالباطل كان كالخارج من الهدى الى الضلال والخزي في الدنيا ما لحقه يوم بدر
من الاسر والقتل والهزيمة وقد اسر النضر وقتل يوم بدر بالعفراء والحريق
طبقة من طباق جهنم وقد يكون من اضافة الموصوف الى صفته اي العذاب
الحريق اي المحرق كالسميع بمعنى المسمع وقرا زيد بن علي فاذيقه بهمزة
المتكلم وكذا الثاني الى الخزي والاذاقة وجوزوا في الاعراب ذلك هذا ما بوزا
باعراب لان الله هو الحق وتقدم الراد على بما قدمت يداك باجرامك وعدل
الى قيل ان عصيته ويحتمل ان تكون وان الله متعلقا ليس ذلك في السبب
والتقدير والامر ان الله قال ابن عطية والعبيد هنا ذكروا في معنى حسنه
دخله قدرتهم وذلك جاءت هذه الصفة انتهى وهو يفرق بين العبيد
والعباد وقد رددنا عليه تفرقته في اواخر ال عمران في قوله وان الله ليس بظلام
للعبيد وشرحنا هناك قوله بظلام من الحرف الله نزلت في اعراب من اسلم
وعطفان كانوا طوايف الاسلام وقالوا نخاف ان لا نصبر محمد فينقطع ما بيننا
وبين حلفائنا من يهود فلا يقرون ولا يؤوونا وقيل في اعراب لا يقين
لهم اسلم احدهم فيتفق تثمير ماله وولادة ذكر وغيره ذكر من الخير فيقول
هذا دين جيد وينعكس حاله فيتشاءم ويرتد كما جرى للعرنيين قال معناه
ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وعن ابن عباس في شيبة بن ربيعة
اسلم قبل ظهور الرسول فلما اوحي اليه ارتد وقيل في يهودي اسلم واصيب
فتشاءم بالاسلام وسال الرسول الاقالة فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت وعن
الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه وقال ابن عيسى على ضعف
يقين وقال ابو عبيد على حرف على شك وقال ابن عطية حرف على انحراف
منه من العقيدة البيضاء او على شفا منها معدا للزهوق وقال الزمخشري
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهو مثل لكونهم على قلق
واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر
فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه انتهى وخسرانه
الدنيا اصابته فيها بما يسوءه من ذهاب ماله وفقد احبابه فلم يسلم للقضا
وخسران الاخرة حيث حرم ثواب من صبر فارتد عن الاسلام وقرا مجاهد
وحميد والاعرج وابن محيصن طريق الزعفراني وقعنب والجحدري وابن مقسم

خاسر الدنيا اسم فاعل نصبا على الحال وقرئ خاسر اسم فاعل مرفوعا على تقدير وهو خاسر وقال
الزمخشري والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر وهو وجه حسن انتهى
وقرا الجمهور خسر فعلا ماضيا وهو استئناف اخبار ويجوز ان يكون في موضع الحال
ولا يحتاج الى اضمار قد لانه كثر وقوع الماضي حالا في لسان العرب بغير قد فلا يقاس
عليه واجاز ابو الفضل الرازي ان يكون بدلا من قوله انقلب على وجهه كما كان
بينا فبعد لا من يليق وتقدم تفسير الضلال البعيد في قوله ضلالا بعيدا ونفي هنا
الضر والنفع واثبتهما في قوله لمن ضره اقرب من نفعه وذلك لاختلاف المتعلق
وذلك ان قوله ما لا ينفعه هو الاصنام والاوثان ولذلك اتى التعبير عنها بما
التي لا تكون لآحاد من يعقل وقوله يدعو لمن ضره هو من عبد [illegible]
من عابديه من المدعين الالهية كفرعون ونمروذ من ملوك بني عبيد الذين
كانوا بالمغرب ثم ملكوا مصر فانهم كانوا يدعون الالهية ويطاف بقصرهم
من مصر وينادون بما ينادى به رب العالمين من التسبيح والتقديس فهولا
وان كان منهم نفع ما للقائمين بهم في دار الدنيا فضررهم اعظم واقرب من نفعهم
اذ هم في الدنيا مملوكون للكفار وعابدو غير الله وفي الاخرة معذبون العذاب
الدائم ولهذا كان التعبير هنا بمن التي هي لمن يعقل وعلى هذا فيكون الجملتان من
اخبار الله تعالى عمن يدعو غير الله وقال الزمخشري فان قلت
الضر والنفع منفيا عن الاصنام مثبتا لها في الايتين وهذا تناقض قلت
اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد
جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلالته انه سينتفع به
ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره
اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكرر يدعو كانه قال يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب
من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى انتهى فجعل الزمخشري المدعو في الايتين
الاصنام وازال التعارض باختلاف القائلين بالجملة الاولى من قول الله تعالى
اخبر عن حال الاصنام والجملة الثانية من كلام عباد الاصنام يقولون ذلك في الاخرة
وحكى الله عنهم ذلك في الاخرة وحكى الله عنهم ذلك وانهم اثبتوا ضرا بكونهم عبدوه
وانتحلوا نفعا بكونهم اعتقدوه شفيعا فالنافي هنالك غير المثبت هنا فزال
التعارض على ما زعمه والذي اقول ان الصنم ليس له نفع البتة حتى يقال الضر
اقرب من نفعه واجاب بعضهم عمن زعم ان ظاهر الايتين يقتضي
التعارض بانها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر اليها كقوله
رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاضاف الاضلال اليهم اذ كانوا سبب الضلال
فكذا هنا نفى الضر عنهم بكونها ليست فاعلة ثم اضافه اليها لكونها سبب الضر
وقال اخرون هي في الحقيقة لا تضر ولا تنفع بين ذلك في الاية الاولى ثم اثبت
لها الضر والنفع في الثانية على طريق التسليم اي ولو سلمنا كونها ضارة نافعة
لكان ضرها اكثر من نفعها وتكلمت المعربون على نحوها فقالوا يدعو اما ان يكون
لها تعلق بقوله لمن ضره او لا ان لم يكن لها تعلق فوجوه احدها ان تكون
توكيدا

توكيدا لفظيا ليدعو الاولى فلا يكون لها معمول الثاني ان تكون عاملة في ذلك من قوله
ذلك هو الضلال وقدم المفعول الذي هو ذلك وجعل موصولا بمعنى الذي قاله
ابو علي الفارسي وهذا لا يصح الا على قول الكوفيين اذ يجيزون في اسم الاشارة
ان يكون موصولا والبصريون لا يجيزون ذلك الا في ذا بشرط ان يتقدمها الاستفهام
بما او بمن الثالث ان يكون يدعو في موضع الحال وذلك مبتدا وهو فصل او
مبتدا وحذف الضمير من يدعو اي يدعوه وقدروه مدعوا وهذا ضعيف لان
يدعوه لا يقدر مدعوا انما يقدر داعيا فلو كان يدعى مبنيا وهذا اضعف لان
يدعى للمفعول لكان تقديره مدعوا جاريا على القياس وقال نحوه الزجاج وان
كان له تعلق بقوله لمن ضره فوجوه احدها ما قاله الاخفش وهو ان يدعو
بمعنى يقول ومن مبتدا موصول وصلته الجملة بعده وهو ضره اقرب من نفعه
وخبر المبتدا محذوف تقديره اله والاهو والجملة في موضع نصب محكية بيدعو
التي هي بمعنى يقول قيل وهو فاسد المعنى لان الكافر لم يعتقد قط ان الاوثان
ضرها اقرب من نفعها وقيل في هذا القول يكون لبئس مستانفا لانه لا يصح
دخوله في الحكاية لان الكفار لا يقولون عن اصنامهم لبئس المولى الثاني
ان يدعو بمعنى يسمي والمحذوف اخرا هو المفعول الثاني ليسمي تقديره الها
وهذا لا يتم الا بتقدير زيادة اللام اي يدعو من ضره الثالث ان يدعو شبه
بافعال القلوب لان الدعاء لا يصدر الا عن اعتقاد والاحسن ان يضمن معنى
يزعم ويقدر لمن ضره والجملة في موضع نصب ليدعو اشار الى هذا الوجه
الفارسي الرابع ما قاله الفراء وهو ان اللام دخلت في غير موضعها والتقدير
يدعو من لضره اقرب من نفعه وهذا بعيد لان ما كان في صلة الموصول
لا يتقدم على الموصول الخامس ان تكون اللام زائدة للتوكيد ومن مفعول
بيدعو وهو ضعيف لانه ليس من مواضع زيادة اللام لكن يقويه قراءة عبد
الله يدعو من ضره باسقاط اللام واقرب التوجيهات ان يكون يدعو توكيدا
ليدعو الاول واللام في لمن لام الابتداء والخبر الجملة التي هي قسم محذوف وجوابه
لبئس المولى والظاهر ان يدعو يراد به النداء والاستغاثة وقيل معناه يعبد
والمولى هنا الناصر والعشير الصاحب المخالط ولما ذكر تعالى حالة من يعبده
على حرف وسفه رايه وتوعده بخسرانه في الاخرة عقبه بذكر حالة الفرق من اهل
الايمان وما وعدهم به من الوعد الحسن ثم اخذ في توبيخ اولئك الاولين
كانه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله لن ينصر
محمدا واتباعه ونحن انما امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك
فليمدد بسبب وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى
قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق يقال ذلك
للذي يريد من الامر ما لا يمكنه فعله فالضمير يكون الها في ينصره للرسول
عليه السلام وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد
والسدي واختاره الفراء والزجاج فالمعنى ان لن ينصر الله محمدا في الدنيا في
الدعاء باعلاء كلمته واظهار دينه وفي الاخرة باعلاء رتبته والانتقام ممن
كذبه والرسول وان لم يجر له ذكر في الاية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان

الايمان في قوله ان الله يدخل الذين امنوا وقال ذلك قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين
يستبطئون ما وعد الله ورسوله من النصر واعراب استبطئوا ظهور الرسول فتباطئوا عن الاسلام وهذا
والظاهر ان الضمير في ينصره عائد على من لانه المذكور وحق الضمير ان يعود على المذكور وهو
قول مجاهد وصار بعض قائلي هذا القول النصر هنا على الرزق كما قالوا ارض منصورة
اي ممطورة وقال الشاعر وانك لا تعطي امرا فوق حقه ولا تملك الشق الذي انت ناصره
اي معطيه وقال وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله والمعنى من
كان يظن ان لن يرزقه الله فيعدل عن دين محمد لهذا الظن كما وصف في قوله
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك
لا يبلغه الا ما قدر له ولا يجعله مرزوقا اكثر مما قسم له ويحتمل على هذا القول ان يكون
النصر على بابه والمعنى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فيغتاظ بانتفاء
نصره فليمدد ويدل على قوله فيغتاظ قوله هل يذهبن كيده ما يغيظ ويكون معنى
قوله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليتخيل باعظم الحيل في نصرة الله اياه ثم لا يقطع
اي لا يقطع الحبل فلينظر هل يذهبن كيده وتحيله في ايصال النصر اليه التي الذي يغيظ
من انتفاء نصره بتسليط الله اياه عليه وقال الزمخشري هذا كلام دخله اختصار والمعنى
ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله
يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ
مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى
سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل
للبهر القطع وسمي جعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل
الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس
بمذهب لما يغيظ وقيل فالمعنى فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه
وهذا قول ابن زيد وقيل الضمير في ينصره عائد على الدين والاسلام قال ابن عطية
وابين وجوه هذه الاية ان تكون مثلا ويكون النصر المعروف والقطع الاختناق
والسماء الارتفاع في الهواء سقف او شجرة او نحوه فتامله وما في ما يغيظ بمعنى الذي
والعائد محذوف او مصدرية وكذلك اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله
ايات بينات اي لا تفاوت في انزال بعضه والانزال كله والهاء في انزلناه للقران
اضمر للدلالة عليه كقوله حتى توارت بالحجاب في التقدير وان الله يهدي من
يريد اي يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته لا خالق للهداية الا هو ان
الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان
اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من
فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من
حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا

عذاب

عذاب الحريق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من
القول وهدوا الى صراط الحميد لما ذكر قبل ان الله يهدي من يريد اعقب ببيان
من يهديه ومن لا يهديه لان ما قبله يقتضي ان من لا يريد هدايته لا يهديه
بدل اثبات الهداية لمن يريد على نفيها عمن لا يريد والذين اشركوا هم عبدة
الاوثان والاصنام ومن عبد غير الله قال الزمخشري وادخلت ان على كل واحد
من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قال جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وظاهر هذا انه شبه البيت بالاية وكذلك فعل الزجاج بالاية ولا يتعين ان يكون
البيت كالاية لان البيت يحتمل ان يكون خبر ان الخليفة قوله به ترجى الخواتيم
ويكون ان الله سربله سربال ملك جملة اعتراضية بين اسم ان وخبرها بخلاف
الاية فانه يتعين قوله ان الله يفصل وصح دخول ان على الجملة الواقعة
خبرا لطول الفصل بينهما بالمعاطيف والظاهر ان الفصل بينهم يوم القيامة هو
بصيرورة المؤمنين الى الجنة والكافرين الى النار وناسب الختم بقوله شهيد
الفصل بين الفرق وقال الزمخشري الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد
وقيل يفصل يقضي بين المؤمنين والكافرين والظاهر ان السجود هنا عبارة
عن طواعية ما ذكر تعالى والانقياد لما يريده تعالى وهذا معنى شمل من يعقل
وما لا يعقل ومن يتاتى سجود التكليف ومن لا يتاتى وعطف على من ما عبدوا
من دون الله ففي السموات الملائكة كانت تعبدها والشمس عبدتها حمير وعبد
القمر كنانة قاله ابن عباس والدبران بنو تميم والشعرى لخم وقريش والثريا طي وعطارد
اسد والمرزم ربيعة ومن في الارض من عبد من البشر والاصنام المنحوتة من الجبال والشجر
والبقر وما عبد من الحيوان وقرا الزهري والدواب بتخفيف الباء قال ابو الفضل
الرازي ولا وجه لذلك الا ان يكون فرارا من التضعيف مثل ظلت وقرن ولا تعارض
من قوله ومن في الارض لعمومه وبين قوله وكثير من الناس لخصوصه لانه لا ينبغي
عطف وكثير على ما قبله من المفردات المعطوفة الداخلة تحت يسجد انما يجوز
اضمار يسجد له كثير من الناس سجود عبادة دل عليه المعنى لا انه يفسره يسجد الاول
لاختلاف الاستعمالين ومن يرى الجمع بين المشترك وبين الحقيقة والمجاز يجيز عطف
وكثير من الناس سجود عبادة على المفردات قبله وان اختلف السجود عنده بنسبة
لما لا يعقل ولمن يعقل ويجوز ان يرتفع على الابتداء والخبر محذوف يدل عليه
مقابلة الذين في الجملة بعده اي وكثير من الناس مثاب وقال الزمخشري ويجوز
ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم
الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف
كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قال وكثير من الناس حق عليهم
العذاب انتهى وهذان التخريجان ضعيفان وقرا جناح بن حبيش وكثير
حق بالبناء وقال ابن عطية وكثير حق عليه العذاب يحتمل ان يكون
معطوفا على ما تقدم اي وكثير حق عليه العذاب يسجد اي كراهية وعلى رغمه

اما نطله واما نختو عنه بمعا الكارم ونحو ذلك قال مجاهد وقيل يجودونه بطله وقري
وكثير حقا اي حق عليهم العذاب حقا وقري حق بضم الحا ومن مفعول مقدم بيهن
وقرا الجمهور من مكرم اسم فاعل وقرا ابن ابي عبلة بفتح الرا اي المصدر اي من
اكرام قال الزمخشري ومن اهانه الله كتب عليه الشقا وفي لما سبق في علمه
من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما انه يفعل ما يشا من الاكرام والاهانة
ولا يشا من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين انتهى وفيه
دسيسة الاعتزال ولما ذكر تعالى اهل السعادة واهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم
من الخصومة في دينه فقال هذان قال قيس بن عباد وهلال بن يساف نزلت
في المبارزين يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث برزوا لعتبة وشيبة
ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن علي انا اول من يجثو يوم القيامة للخصومة
بين يدي الله تعالى واقسم ابو ذر على هذا ووقع في صحيح البخاري ان الاية
فيهم وقال ابن عباس الاشارة الى المومنين واهل الكتاب وقع بينهم تخاصم
قالت اليهود نحن اقدم دينا منكم فنزلت وقال مجاهد وعطا بن ابي رباح والحسن
وعاصم والكلبي الاشارة الى المومنين والكفار على العموم وخصم مصدر واريد
به هنا الفريق فلذلك جا اختصموا مراعاة للمعنى اذ تحت كل خصم افراد
وفي رواية عن الكسائي خصمان بكسر الخا ومعنى في ربهم في دين ربهم
وقرا ابن ابي عبلة اختصما راعي لفظ التثنية ثم ذكر تعالى ما اعد للكفار
وقرا الزعفراني في اختياره قطعت بتخفيف الطاء كانه تعالى يقدر لهم
نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع ثياب من نحاس
مذاب وتلبس شي اذا احمي اشد حرارة من احاطة النار لا الثياب الملبوسة
والظاهر ان قطعت الثياب لهم يكون من النار وقال سعيد بن جبير ثياب
من نحاس مذاب وليس شي اذا احمي اشد حرارة منه فالتقدير
من نحاس محمي بالنار وقيل الثياب من النار استعارة عن احاطة النار
بهم كما يحيط الثوب بلابسه وقال وهب تكسى اهل النار والعري خير لهم
ويحيون والموت خير لهم ولما ذكر ما يصب على روسهم اذ يظهر في المعروف
ان الثوب انما يغطى به الجسد دون الراس فذكر ما يصب على الراس من العذاب
وعن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ولما
ذكر ما يعذب به الجسد ظاهره وما يصب على الراس ذكر ما يصل الى باطن
المعذب وهو الحميم الذي يذيب ما في البطن من الحشا ويصل ذلك الذوب
الى الظاهر وهو الجلد فيوثر في الظاهر تاثيره في الباطن كما قال تعالى فقطع
امعاءهم وقرا الحسن وفرقة يصهر بفتح الصاد وتشديد الهاء وفي
الحديث ان الحميم ليصب على روسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه
فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والظاهر
عطف والجلود على ما من قوله يصهر به ما في بطونهم وان الجلود تذاب كما تذاب
الاحشا وقيل التقدير وتحرق الجلود لان الجلود لا تذاب انما تجتمع على النار وتنكمش
وهذا كقوله علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء والظاهر ان
الضمير في ولهم عايد على الكفار واللام للاستحقاق وقيل بمعنى على اي وعليهم

كقوله

كقوله ولهم اللعنة اي وعليهم وقيل الضمير يعود على ما يفسره المعنى وهو الزبانية
وقال قوم منهم الضحاك المقامع المطارق وقيل سياط من نار وفي الحديث لو وضع مقمع
منها في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض ومن غم بدل من منها بدل اشتمال
اعيد معه الجار وحذف الضمير لفهم المعنى اي من غمها ويحتمل ان يكون من للسبب
اي لاجل الغم الذي يلحقهم والظاهر تعليق الاعادة على الارادة للخروج فلا بد من
محذوف يصحح المعنى اي من اماكنهم المعدة لتعذيبهم اعيدوا فيها اي في تلك
الاماكن وقيل اعيدوا فيها بضرب الزبانية اياهم بالمقامع وذوقوا اي ويقال
لهم ذوقوا ولما ذكر تعالى ما اعد لاحد الخصمين من العذاب ذكر ما اعد من
الثواب للخصم الاخر وقرا الجمهور يحلون بضم اليا وفتح الحا وتشديد اللام
وقرا ابن عباس يحلون بفتح الحا واللام وهو معنى المشدد والتخفيف بضم اليا وقري
ويكون الحا من قولهم حلي الرجل وحليت المراة اذا صارت ذات حلي والمراة حال وقال
ابو الفضل الرازي يجوز ان يكون من حلي بعيني يحلى اذا استحسنته قال فتكون من زايدة
فيكون المعنى يستحسنون فيها الاساور الملبوسة انتهى وهذا ليس بجيد لانه
جعل حلي فعلا متعديا ولذلك حكم بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين
وينبغي على هذا التقدير ان لا يجوز لانه لا يحفظ لازما فان كان بهذا المعنى
كانت من للسبب اي بلباس اساور الذهب يحلون بعين من رآهم اي يحلى بعضهم
بعين بعض قال ابو الفضل الرازي ويجوز ان يكون من حليت به اذا ظفرت
به فيكون المعنى يحلون فيها باساور فيكون من بدلا من البا والحلية من ذلك فاما
اذا اخذته من حليت به فانه من الحلية وهو من اليا واذا اخذته من حلي بعيني
فانه من الحلاوة من الواو استعير من معنى الظفر قولهم لم يحل فلان بطائل
اي لم يظفر والظاهر ان من في من اساور لتبيين الجنس ويحتمل ان تكون للتبعيض
وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الكهف وقرا ابن عباس من اسور بفتح
الرا من غير تنوين وكان قياسه ان يصرفه لانه نقص بناوه فصار كجندل
لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف وقرا عاصم ونافع والحسن
والجحدري والاعرج وابو جعفر وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب ولولوا هنا
وفي فاطر بالنصب وحمله ابو الفتح على اضمار فعل وقدره الزمخشري ويوتون
لولوا ومن جعل من في من اساور زايدة جاز ان يعطف ولولوا على موضع
اساور لانه يقدر ويحلون حليا من اساور وقرا باقي السبعة والحسن
ايضا وطلحة وابن وثاب والاعمش واهل مكة ولولو بالخفض عطفا
على اساور او على ذهب لان السوار يكون من ذهب ولولو يجمع بعضه
الى بعض قال الجحدري الالف ثابتة بعد الواو في الامام وقال الاصمعي
ليس فيها الف وروى يحيى عن ابي بكر همز الاخر وابدال الاولى وروى
المعلى بن منصور عنه ضد ذلك وقرا الفياض ولوليا قلب الهمزتين
واوا وصارت الثانية واوا وابدلها كرة وقرا ابن عباس وليليا ابدل
الهمزتين واوا ثم قلبها يا اتبع الاولى للثانية وقرا طلحة ولول
بجر واعطفا على ما عطف عليه المهموز والطيب من القول ان كانت الهداية
في الدنيا فهو قول لا اله الا الله والاقوال الطيبة من الاذكار وغيرها

ويكون الصراط طريق الاسلام وان كان اخبارا عما يقع منهم في الآخرة فهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا وعده وما اشبه ذلك من محاورة اهل الجنة ويكون الصراط الطريق الى الجنة
وعن ابن عباس هو لا اله الا الله والحمد لله زاد ابن زيد والله اكبر وعن السدي القرآن
القرآن وحكى الماوردي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن ابن عباس هو
الحمد لله الذي صدقنا وعده والظاهر ان الحميد وصف الله تعالى قال ابن عطية
ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته في قوله
دار الآخرة ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان
لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن
في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم
حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم
فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير
مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي
به الريح في مكان سحيق المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال او استقبال
فيدل اذ ذاك على الاستمرار ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو مضارع اريد به الماضي عطفا على كفروا
وقيل هو على اضمار مبتدا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف قدره ابن عطية
بعد والباد خسروا او هلكوا وقدر الزمخشري بعد قوله والحرام نذيقهم من عذاب
اليم ولا يصح تقديره بعده لان الذي صفة المسجد الحرام فموضع التقدير هو
بعد والباد لكن مقدر الزمخشري احسن من مقدر ابن عطية لانه يدل عليه الجملة
الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من اذيق العذاب
خسر وهلك وقيل الواو في ويصدون زائدة وهو خبر ان تقديره ان الذين كفروا
يصدون قال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود انتهى ولا يجيز البصريون زيادة
الواو وانما هو قول كوفي مرغوب عنه وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل ذلك
بجمع الا ان يريد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والظاهر
انه يقصد الحدوث من صد عن الوصول اليه فقد صد عنه وقيل الحرم كله لانهم صدوا
واهله عليه السلام فنزلوا خارجا عنه لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من الحرم
وقرأ الجمهور سواء بالرفع على ان الجملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول
الثاني والاحسن ان يكون العاكف والبادي هو المبتدأ وسواء الخبر وقد اجيز
العكس وقال ابن عطية والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة او متعبدا انتهى
ولا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان اراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان
الجملة

الجملة في موضع المفعول الثاني فلا يحتاج الى هذا التقدير وقرأ حفص والاعمش سواء بالنصب
وارتفع به العاكف لانه مصدر في معنى مستو اسم الفاعل ومن كلامهم مررت برجل سواء هو
والعدم فان كانت جعل تتعدى الى اثنين فسواء الثاني او الى واحد فسواء حال من الهاء
وقرأت فرقة منهم الاعمش في رواية القطعي سواء بالنصب العاكف فيه بالجر قال ابن
عطية عطفا على الناس انتهى وكانه يريد عطف البيان والاولى ان يكون بدل تفصيل
وترك والبادي وصلا ووقفا وبتركها فيهما وباثباتها وصلا وحذفها وقفا والعاكف
المقيم فيه والبادي الطارئ عليه واجمعوا على الاستواء في نفس المسجد الحرام واختلفوا في
مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وجماعة الى ان الامر كذلك في دور مكة وان
القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقال به
الثوري وكذلك كان الامر في الصدر الاول قال ابن سابط وكانت دورهم
بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق بابا في
وجه حاج بيت الله فقال انما اردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس
الابواب وهذا الخلاف مرتب على الخلاف في فتح مكة اكان عنوة او صلحا وهي
مسالة يبحث فيها من الفقه قال الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا اي
رزق وكذا قراءة الحسن منصوبا قرأ ومن يرد الحاده بظلم اي الحادا فانه
فتوسع وقال ابن عطية يجوز ان يكون التقدير ومن يرد فيه الناس بالحاد
وقال الزمخشري بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول
كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه
من عذاب اليم وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن
جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله
انتهى والاولى ان يضمن يرد معنى يتلبس فيتعدى بالباء ويعلق
الجزاء وهو نذقه على الارادة فلو نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بها
الا في مكة وبهذا قول ابن مسعود وجماعة وقال ابن عباس الالحاد هنا
الشرك وقال ايضا هو استحلال الحرام وقال مجاهد هو العمل السيئ
فيه وقال ابن عمر لا والله وبلى والله من الالحاد وقال حبيب بن ابي ثابت
الحكرة بمكة من الالحاد بظلم والاولى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر اذ الكلام
يدل على العموم وقرأت فرقة ومن يرد بفتح الياء من الورود وحكاها
الكسائي والفراء ومعناه ومن اتى فيه بالحاد ظالما ولما ذكر تعالى حال الكفار
وصدهم عن المسجد الحرام وتوعد فيه من اراد فيه بالحاد ذكر حال ابيهم ابراهيم
وتوبيخهم على سلوكهم غير طريقه من كفرهم بالحاد الاصنام وامتنانه عليهم
[illegible] واذ بوانا اي واذكر اذ بوانا اي جعلنا لابراهيم مكان البيت
مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقيل واللام زائدة اي بوانا ابراهيم
مكان البيت اي جعلناه يبوء اليه كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا وقال
الشاعر كم صاحب لي صالح بوأته بيدي لحدا وقيل مفعول بوانا محذوف
تقديره بوانا الناس واللام في لابراهيم لام العلة اي لاجل ابراهيم كرامة له وعلى هـ
[illegible] والظاهر ان قوله ان لا تشرك بي شيئا خطاب لابراهيم وكذا ما بعده
من الامر وقيل هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان مخففة من الثقيلة هـ

قال ابن عطية والأصوب أن يليها فعل بخفيف أو ترجيح كحالها إذا كانت مشددة
أو حرف تفسير قاله الزمخشري وابن عطية وشرطها أن يتقدمها جملة في معنى القول
وبوأنا ليس فيه معنى القول والأولى عندي أن تكون أن الناصبة للمضارع إذ يليها
الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر والنهي كالأمر قال الزمخشري فإن قلت
كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت
التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا إبراهيم قلنا له لا تشرك
بي شيئا وطهر بيتي من الأصنام والأوثان والأقذار أن تطرح حوله وقرأ عكرمة
وأبو نهيك أن لا يشرك بالياء على معنى أن يقول معنى القول الذي قيل له قال
أبو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لأن لا يشرك والقائمون
هم المصلون ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود وقرأ
الجمهور وأذّن بالتشديد أي ناد روي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس
حجوا بيت ربكم وتقدم قول من قال إنه خطاب للرسول وقاله الحسن قال أمره
أن يفعل ذلك في حجة الوداع وقرأ الحسن وابن محيصن وآذن بمدة وتخفيف
الذال قال ابن عطية وتصحف هذا على ابن جني فإنه حكى عنهما وأذن على
فعل ماض وأعرب على ذلك بأن جعله عطفا على بوأنا انتهى وليس بتصحيف
بل قد حكى أبو عبد الله الحسين بن خالويه في شواذ القراءات من جمعه وصاحب
اللوامح أبو الفضل الرازي ذكر عن الحسن وابن محيصن قال صاحب اللوامح
وهو عطف على وإذ بوأنا فيصير في الكلام تقديم وتأخير ويصير يأتوك جزما
على جواب الأمر الذي هو وطهر انتهى وقرأ ابن أبي إسحاق بالحج بكسر الحاء
حيث وقع والجمهور بفتحها وقرأ الجمهور رجالا وابن أبي إسحاق بضم
الراء والتخفيف وروي كذلك عن عكرمة والحسن وأبي مجلز وهو
اسم جمع كظؤار وروي عنهم وعن ابن عباس ومجاهد وجعفر بن محمد
بضم الراء وتشديد الجيم وعن عكرمة أيضا رجالى على وزن النعامى بألف
التأنيث المقصورة وكذلك مع تشديد الجيم عن ابن عباس وعطاء وابن
جرير ورجال جمع راجل كتاجر وتجار وقرأ الجمهور يأتين فالظاهر عود الضمير
على كل ضامر لأن الغالب أن البلاد الشاسعة لا يتوصل منها إلى مكة إلا بالركوب
وقد يجوز أن يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر على معنى الجماعات
والرفاق وقرأ عبد الله وأصحابه والضحاك وابن أبي عبلة يأتون غلب
العقلاء الذكور وفي البداءة برجال تفضيل للمشاة في الحج وعن ابن عباس
ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا والاستدلال بقوله يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر على سقوط فرض الحج على من يركب البحر ولا طريق
له سواه لكونه لم يذكر في هذه الآية ضعيف لأن مكة ليست على بحر وإنما
يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين مشي أو ركوب فذكر فيها ما يتوصل
به إليها وقرأ ابن مسعود معيق قال ابن عباس وغيره المنافع التجارة وقال
الباقر الأجر وقال مجاهد وعطاء كلاهما واختاره ابن العربي قال الزمخشري
ونكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد
في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن

حج

يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر
اسم الله لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه
على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا
بينا أن جمع بين قوله فيذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قال لينحروا
في أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة انتهى
واستدل من قال إن المقصود بذكر اسم الله إنما هو على الذبح والنحر على أن
الذبح لا يكون بالليل ولا يجوز فيه لقوله في أيام وهو مذهب مالك وأصحاب
الرأي وقيل الذكر هنا حمده وتقديسه شكرا على نعمته في الرزق ويؤيده
قوله عليه السلام إنها أيام أكل وشرب وذكر الله والأيام المعلومات أيام العشر
قاله ابن عباس والحسن وإبراهيم وقتادة وأبو حنيفة والمعدودات أيام
التشريق الثلاثة وقال الشعبي وجماعة منهم مالك وأصحابه المعلومات يوم النحر ويومان
بعده والمعدودات أيام التشريق الثلاثة فيوم النحر معلوم لا معدود
واليومان بعده معلومات معدودات والرابع معدود لا معلوم ويوم النحر
ويومان بعده هي أيام النحر عند علي وابن عباس وابن عمر وأنس وأبي هريرة وسعيد
ابن جبير وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة والثوري وعند الحسن وعطاء والشافعي
ثلاثة أيام بعد يوم النحر وعن النخعي يومان وعند ابن سيرين النحر يوم واحد
وعن أبي سلمة وسليمان بن يسار الأضحى إلى هلال المحرم وقال ابن عطية ويظهر
أن يكون المعلومات والمعدودات بمعنى أن تلك الأيام الفاضلة كلها ويبقى أمر
الذبح وأمر الاستعجال لا يتعلق بمعدود ولا معلوم وتكون فائدة قوله معلومات
ومعدودات التحريض على هذه الأيام وعلى اغتنام فضلها أي ليست كغيرها
فكأنه قال هي مخصوصات فلتغتنم انتهى والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر
والبحر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز وتقدم الخلاف في مدلول
بهيمة الأنعام في أول المائدة والظاهر وجوب الأكل والإطعام وقيل باستحبابهما
وقيل باستحباب الأكل ووجوب الإطعام والبائس الذي أصابه بؤس أي شدة
والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعثه ونحوه
من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه إذ
لا يقضى التفث إلا بعد ذلك وقال ابن عمر التفث ما عليهم من الحج وعنه المناسك
كلها والنذر هنا ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وقيل المراد الخروج عما وجب
عليهم نذروا أو لم ينذروا وقرأ شعبة عن عاصم وليوفّوا مشددا والجمهور
مخففا وليطوفوا هو طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان
الحج وبه تمام التحلل وقيل هو طواف الصدر وهو طواف الوداع وقال الطبري
لا خلاف بين المتأولين أنه طواف الإفاضة قال ابن عطية ويحتمل بحسب
الترتيب أن يكون طواف الوداع انتهى والعتيق القديم قاله الحسن وابن
زيد والمعتق من الجبابرة قاله ابن الزبير وابن أبي نجيح وقتادة كم جبار سار
إليه ليهدمه فأهلكه الله قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج فأشار الأحبار
عليه أن يكف عنه وقال له رب يمنعه فتركه وكساه وهو أول من كساه
وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه وأما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت

لكن تحصن به ابن الزبير فقاتل الاخراجه ثم بناه او المحرم لم يملك موضعه قط قاله مجاهد او المعتق من الطوفان قاله مجاهد ايضا وابن جبير او الجيد من قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير او الذي يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب قاله ابن عطية وهذا يرده التصريف انتهى ولا يرده التصريف لانه فسره تفسير معنى واما من حيث الاعراب فلان العتيق فعيل بمعنى مفعل اي معتق رقاب المذنبين ونسب الاعتاق اليه مجازا اذ بزيارته والطواف به يحصل الاعتاق وينشا من كونه معتقا ان يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين ذلك خبر مبتدا محذوف قدره ابن عطية فرضكم ذلك او الواجب ذلك وقدره الزمخشري الامر او الشان ذلك قال كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا انتهى وقيل مبتدا محذوف الخبر اي ذلك الامر الذي ذكرته وقيل في موضع نصب تقديره امتثلوا ذلك ونظير هذه الاشارة البليغة قول زهير وقد تقدم له جمل في وصف هرم

هذا وليس كمن يعيا بخطبته … وسط الندي اذا ما ناطق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكانه قال هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وقاله الكلبي قال ما امر به من المناسك وعن ابن عباس هو جميع المناهي في الحج فسوق وجدال وجماع وصيد وعن ابن زيد هي خمس المشعر الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل والضمير في فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم اي فالتعظيم خير له عند ربه اي قربة منه وزيادة في طاعته يثيب عليها والظاهر ان خيرا هنا ليس افعل تفضيل واحلت لكم بهيمة الانعام دفعا لما كانت العرب تحرم من اشياء برايها كالبحيرة والسائبة ونهى بقوله الا ما يتلى عليكم مما نص في كتابه على تحريمه والمعنى ما يتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر ان تعظيمها خير لمعظمها عند الله اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات وجمعهما في قران واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك يزعم ان الوثن يستحق العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله ومن في من الاوثان لبيان الجنس ويقدر بالموصول عندهم اي الرجس الذي هو الاوثان ومن انكر ان تكون من لبيان الجنس ويقدر بالموصول عندهم اي الرجس جعل من لابتدا الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس وعلى القول الاول يكون النهي عن سائر الارجاس من موضع غير هذا قال ابن عطية ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الاية فافسده انتهى وقد يمكن التبعيض فيها بان يعني بالرجس عبادة الاوثان وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكانه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من الاوثان انما هو العبادة الا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع فكان للوثن جهات منها عبادتها وهو المامور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها

ولما كان

ولما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطفه على الرجس بل افرد بان كرر له العامل اعتناء باجتنابه وفي الحديث عدلت شهادة الزور بالشرك ولما امر باجتناب عبادة الاوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الاية قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى وقرا نافع فتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء وقرا الحسن وابو رجاء والاعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة وعن الحسن كذلك الا انه فتح الطاء مشددة وقرا الاعمش ايضا تخطفه بغير فا واسكان الخاء وفتح الطاء مخففة وقرا ابو جعفر والحسن وابو رجاء الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين اعراب ذلك كاعراب ذلك المتقدم وتقدم تفسير شعائر الله في اول المائدة واما هنا فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة هي البدن الهدايا وتعظيمها تسمينها والاهتبال بها والمغالاة فيها وقال زيد بن اسلم الشعائر ست الصفا والمروة والبدن والجمار والمشعر الحرام وعرفة والركن وتعظيمها اتمام ما يفعل فيها وقال ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك وهذا نحو من قول زيد بن اسلم وقيل شرائع دينه وتعظيمها التزامها والمنافع الاجر ويكون العود في فيها لمن قال انها البدن وعلى من قال لكم فيها منافع عائد على الشعائر التي هي الشرائع اي لكم في التمسك بها منافع الى اجل منقطع التكليف ثم محلها يشكل على هذا التاويل فقيل الايمان والتوجه اليه بالصلاة وكذلك القصد في الحج والعمرة اي محل ما يختص منها بالاحرام البيت العتيق وقيل معنى ذلك ثم اجرها على رب البيت العتيق قيل ولو قيل على هذا التاويل ان البيت العتيق الجنة لم يبعد والضمير في انها عائد على الشعائر على حذف مضاف اي فان تعظيمها او على التعظمة واضاف التقوى الى القلوب كما قال عليه السلام التقوى هاهنا واشار الى صدره وعن عمر انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا

فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى هو عليه السلام مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد
ان يقام به ويسارع فيه وذكر القلوب لان المنافق يظهر التقوى وقلبه خال عنها
فلا يكون مجدا في اداء الطاعات والمخلص التقوى بالله في قلبه فيبالغ في ادائها
على سبيل الاخلاص وقال الزمخشري فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب
فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء
الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها
وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء انتهى وما قدره عار من راجع الى الجزاء
من الا ترى ان قوله فان افعالهن من تعظيمها من افعال القلوب ليس في شيء
منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذي اداته من واصلاح ما قاله
ان يكون التقدير فان تعظيمها منه فيكون الضمير في منه عائدا على من فيرتبط
الجزاء بالشرط وقرئ القلوب بالرفع على الفاعلية بالمصدر الذي هو تقوى
والضمير في فيها عائد على البدن على قول الجمهور والمنافع درها ونسلها وصوفها وركوب ظهرها
الى اجل مسمى وهو ان يسميها ويوجبها هديا فليس له شيء من منافعها قاله ابن عباس في
رواية مقسم ومجاهد وقتادة والضحاك وقال عطاء منافع الهدايا بعد ايجابها وتسميتها
هديا بان تركب ويشرب لبنها عند الحاجة الى اجل مسمى اي الى ان تنحر وقيل الى ان تشعر فلا
تركب الا عند الضرورة وروى ابو رزين عن ابن عباس الاجل المسمى الخروج من مكة
وعن ابن عباس الى اجل مسمى اي الى الخروج والانتقال من هذه الشعائر الى غيرها
وقيل الاجل يوم القيامة وقال الزمخشري الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل
منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في
الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال
تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها
شوطا في التقوى محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية
الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت
لان الحرم هو حرم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفته
واتصل مسيرك بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت
العتيق يأباه انتهى وقال القفال الهدي المتطوع به اذا عطب قبل دخول مكة
وقال ابن عطية وتكرر ثم لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند
هاتين الفرقتين يعني من قال بقول مجاهد ومن وافقه ومن قال بقول عطاء
ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لانه اشرف الحرم وهو المقصود بالهدي
وفيه ان الاجل الرجوع الى مكة لطواف الافاضة وقوله ثم محلها مأخوذ من
احلال المحرم معناه ثم اخر هذا كله الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت
على هذا التأويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطأ انتهى والنسك مفعل من نسك
واحتمل ان يكون موضعا للنسك اي مكان نسك واحتمل ان يكون مصدرا واحتمل
ان يراد به مكان العبادة مطلقا او العبادة واحتمل ان يراد مكان نسك خاص او

نسكا

نسكا خاصا وهو موضع ذبح او ذبح وحمله الزمخشري على الذبح بقال شرع الله لكل امة
ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه
تقدست اسماؤه على المناسك انتهى وقياس بنائه من فعل مفعل بفتح العين
مفعل بفتحها في المصدر والزمان والمكان وبالفتح قرأ الجمهور وقرأ بكسرها
الاخوان وابن سعدان وابو حاتم عن ابي عمرو ويونس ومحبوب وعبد الوارث
الا القصبي عنه قال ابن عطية والكسر في هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس
ويشبه ان يكون الكسائي سمعه من العرب وقال الازهري منسك ومنسك لغتان وقال
مجاهد المنسك الذبح واراقة الدماء يقال نسك اذا ذبح والذبيحة نسيكة
وجمعها نسك وقال الفراء المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير او بر وقال ابن
عطية عرفة منسكا اي مذهبا من طاعة الله يقال نسك نسك قومه اذا سلك
مذهبهم وقال الفراء منسكا عيدا وقال قتادة حجا ليذكروا اسم الله معناه امرناهم
عند ذبائحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم رجع الى الحاضرين
فقال فالهكم اله واحد فله اسلموا اي انقادوا كما ان الاله واحد يجب ان يخلص
له في الذبيحة ولا يشرك فيها لغيره وتقدم شرح الاخبات وقال عمرو بن اوس
المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الجمهور والمقيمي الصلاة
بالخفض على الاضافة وحذفت النون لاجلها وقرأ ابن ابي اسحاق والحسن وابي
عمرو في رواية الصلوة بالنصب وحذفت النون للطول وقرأ ابن مسعود
والاعمش والمقيمين بالنون الصلاة بالنصب وقرأ الضحاك والمقيم الصلاة
وناسب بشر من اتصف بالاخبات هنا لان افعال الحج من نزع الثياب
والتجرد من المخيط وكشف الرأس والتردد في تلك المواضع القفرة المحجرة
والتلبس بافعال شاقة لا يعلم معناها الا الله تعالى مؤذن بالاستسلام
المحض والتواضع المفرط حيث يخرج الانسان عن مألوفه الى افعال
غريبة ولذلك وصفهم بالاخبات والوجل اذا ذكر الله تعالى والصبر على
ما اصابهم من المشاق واقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها الا المؤمنون
المصطفون والانفاق مما رزقهم ومنها الهدايا التي يغالون فيها
وقرأ الجمهور والبدن باسكان الدال وقرأ الحسن وابن ابي اسحاق
وشيبة وعيسى بضمها وهو الاصل وروي عن ابي جعفر ونافع وقرأ
ابن ابي اسحاق بضم الباء والدال وتشديد النون فاحتمل ان يكون اسما مفردا
بني على فعل كعتل واحتمل ان يكون التشديد من التضعيف الجائز في الوقف
واجري الوصل مجرى الوقف والجمهور على نصب والبدن على الاشتغال
اي وجعلنا البدن وقرئ بالرفع على الابتداء ولكم اي لاجلكم ومن
شعائر في موضع المفعول الثاني ومعنى من شعائر الله من اعلام الشريعة
التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعالى تعظيما لكم فيها خير قال ابن عباس
نفع في الدنيا واجر في الاخرة وقال السدي اجر وقال النخعي من احتاج الى
ظهرها ركب والى لبنها شرب عليها صواف اي على نحرها قال مجاهد معقولة
وقال ابن عمر قائمة قد صفت ايديها بالقيود وقال ابن عيسى مصطفة وذكر
اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك

وقرأ ابن موسى الأشعري والحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وشقيق وسليمان التيمي
والأعرج صوافي جمع صافية ونون الياء عمرو بن عبيد قال الزمخشري التنوين عوض
عن حرف الإطلاق عند الوقف انتهى والأولى أن يكون على لغة من صرف ما لا ينصرف ولا سيما
الجمع المتناهي ولذلك قال بعضهم والصرف في الجمع أي كثيرا حتى ادعى قوم به
التخيير أي صوافي خوالص لوجه الله لا يشرك فيها بشيء كما كانت الجاهلية تشرك وقرأ
الحسن أيضا صواف مثل عوار وهو على نحو من قال فكرت عارته يريد
عاريا ونحو قولهم أعط القوس باريها وقرأ عبد الله وابن عمر وابن عباس
والباقر وقتادة ومجاهد وعطاء والضحاك والكلبي والأعمش بخلاف عنه
صوافن بالنون والصافنة هي التي تبدل صافنة على طرف رجل بعد تمكنها
ثلث قوائم وأكثر ما يستعمل في الخيل فإذا وجبت جنوبها عبارة عن سقوطها
إلى الأرض بعد نحرها قال محمد بن كعب ومجاهد وإبراهيم والحسن والكلبي
القانع السائل والمعتر المعترض من غير سؤال وعكست فرقة هذا وحكى
الطبري عن ابن عباس القانع المستغني بما أعطيه والمعتر المعترض من غير سؤال
وحكى عنه القانع المتعفف والمعتر السائل وعن مجاهد القانع الجار وإن
كان غنيا وقال قتادة القانع من القناعة والمعتر المعترض للسؤال وقيل
المعتر الصديق الزائر وقرأ أبو رجا القنع بغير ألف أي القانع فحذف
الألف كالحذر والحاذر وقرأ الحسن والمعتري اسم فاعل من اعترى
وقرأ عمرو وإسماعيل المعتر بكسر الراء دون ياء مثل ابن خالويه وقال
أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح أبو رجا بخلاف عنه وابن عبيد والبزي
عن مسعود وعن ابن عباس برواية المقري والمعتر أراد المعتري لكنه حذف
الياء تخفيفا واستغنى بالكسرة عنها وما كذلك عن أبي رجا قال ابن مسعود الهدي
أثلاث وقال جعفر بن محمد أطعم القانع والمعتر ثلثا والبائس الفقير ثلثا
وأهلي ثلثا وقال ابن المسيب ليس لصاحب الهدي منه إلا الربع وهذا كله
على جهة الاستحسان لا الفرض قال ابن عطية كذلك سخرناها لكم أي مثل ذلك
التسخير سخرناها لكم تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها
فتقطعون من لباتها من عليهم تعالى بذلك ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن
بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من
الإبل شاهدا وعبرة وقال ابن عطية كما أمرناكم فيها بهذا كله سخرناها لكم لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها قال مجاهد أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين
من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة ونضح الكعبة حواليها بالدم
تقربا إلى الله فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس قريب منه والمعنى لن يصيب
رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم
والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص
والاحتياط بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات
الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب
وإن كثر ذلك منهم قاله الزمخشري وهو تكثير في اللفظ وقرأ مالك
ابن دينار والأعرج وابن يعمر والزهري وإسحاق الكوفي عن عاصم والزعفراني
ويعقوب

ويعقوب وقال ابن خالويه تناله التقوى بالياء يحيى بن يعمر والجحدري وقرأ زيد بن علي لحومها
ولا دماؤها بالنصب ولكن يناله بضم الياء وكرر تذكير النعمة بالتسخير قال الزمخشري لتكبروا
الله على ما هداكم لأعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام
بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته انتهى وبشر المحسنين ظاهر في العموم
قال ابن عباس وهم الموحدون وروي أنها نزلت في الخلفاء الأربعة الهدم معروف
المفردات
وهو نقض ما بني قال الشاعر

وكل بيت وإن طالت إقامته * على دعائمه لا بد مهدوم

الصومعة موضع العبادة وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الأعلى
والأصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى
وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين البيع كنائس النصارى
واحدها بيعة وقيل كنائس اليهود البئر من بادت أي عفت وهي مؤنثة على وزن
فعل بمعنى مفعول وقد تذكر على معنى القليب تعطيل الشيء إبطال منافعه العقم الامتناع
من الولادة يقال امرأة عقيم ورجل عقيم لا يولد له والجمع عقم وأصله من القطع ومنه
الملك عقيم أي تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق والعقيم الذي قطعت ولادتها وقال أبو
عبيدة العقم السد يقال امرأة معقومة الرحم أي مسدودة الرحم السطو القهر وقال
ابن عيسى السطوة إظهار ما يهول للإخافة الذباب الحيوان المعروف يجمع على ذبان
بكسر الذال ومنها وعلى ذب والمذبة ما يطرد به الذباب وذباب السيف طرفه والعين
إنسانها وأسنان الإبل حدها سلبت الشيء اختطفته بسرعة استنقذ استفعل بمعنى
أفعل أي أنقذ نحو أبل واستبل إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب
كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم
لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز
الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وإن يكذبوك فقد
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب
مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان
نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها
وبئر معطلة وقصر مشيد روي أن المؤمنين لما كثروا بمكة آذاهم الكفار وهاجر
من هاجر إلى أرض الحبشة أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار
ويحتال ويغدر فنزلت إلى قوله كفور وعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة
ووصف المؤمنين بالدفع عنهم والنصر لهم وعلل ذلك بأنه لا يحب أعداءهم
الخائنين الله والرسول الكافرين نعمه ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى
لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الحديبية وآذوا من كان بمكة من المؤمنين أنزل الله تعالى
هذه الآيات مبشرة المؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة إلى نصرهم وإذنه
لهم في القتال وتمكينهم في الأرض بردهم إلى ديارهم وفتح مكة وأن عاقبة

الأمور راجعة إلى الله تعالى وقال تعالى والعاقبة للمتقين وقرأ الحسن وأبو جعفر ونافع
يدافع ولولا دفاع وقرأ أبو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرأ الكوفيون وابن
عامر يدافع ولولا دفع وفاعل هنا بمعنى المجرد نحو جاوزت وجزت وقال الأخفش
دفع أكثر من دافع وحكى الزهراوي أن دفاعا مصدر دفع كحسب حسابا وقال
ابن عطية يحسن يدافع لأنه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم
فيجيء دفعه ومدافعة عنهم انتهى يعني فيكون فاعل لاقتسام
الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيها معنى وقال الزمخشري ومن قرأ
يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء
أقوى وأبلغ انتهى ولم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم ولما
هاجر المؤمنون إلى المدينة أذن الله لهم في القتال وقرأ نافع وعاصم
وأبو عمرو بضم همزة أذن وفتح باقي السبعة وقرأ نافع وابن عامر وحفص
يقاتلون بفتح التاء والباقون بكسرها والمأذون فيه محذوف أي في القتال
لدلالة يقاتلون عليه وعلل الإذن بأنهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى
هاجر وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل
نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم وإن
الله على نصرهم لقدير وعد بالنصر وكذلك الإخبار بكونه يدفع عنهم الذين أخرجوا
في موضع جر نعت للذين أو بدل أو في موضع نصب بأعني أو في موضع رفع على إضمار
هم وإلا أن يقولوا استثناء منقطع فأن يقولوا في موضع نصب لأنه منقطع لا يمكن
توجه العامل عليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى لأنك لو قلت الذين
أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله لم يصح بخلاف ما في الدار أحد إلا حمار
فإنه استثناء منقطع ويمكن أن يتوجه عليه العامل فتقول ما في الدار إلا حمار فهذا
يجوز فيه النصب والرفع النصب للحجاز والرفع لتميم بخلاف مثل هذا فالعرب تجمع
على نصبه وأجاز أبو إسحاق فيه الجر على البدل واتبعه الزمخشري فقال أن يقولوا في
محل الجر على الإبدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب
الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله انتهى وما أجازاه من البدل لا يجوز لأن البدل لا يكون إلا حيث يكون العامل
يتسلط عليه ولو قلت قام إلا زيد وليضرب إلا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن أخرج
الناس من ديارهم إلا أن يقولوا لا إله إلا الله لم يكن كلاما هذا إذا تخيل أن يكون
إلا أن يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف إلى حق وأما أن يكون بدلا من حق
كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي
غيرا فيصير التركيب بغير إلا أن يقولوا وهذا لا يصح ولو قدرت إلا بغير كما
يقدر في النفي نحو ما مررت بأحد إلا زيد فتجعله بدلا لم يصح لأنه يصير
التركيب بغير غير ويصح في ما مررت بأحد إلا زيد أن تقول ما مررت بغير زيد
ويظهر أن الزمخشري خلط بين البدل وقدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا
تمثيل للصفة جعل إلا بمعنى سوى ويصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب
البدل ويجوز أن تقول مررت بالقوم إلا زيد على الصفة لا على البدل ولولا دفع
الله

الله الناس الآية فيها تحريض على القتال المأذون فيه قبل وإنه تعالى أجرى العادة بذلك في الأمم
الماضية بأن ينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم وأهلها من
القتل والشتات وكأنه لما قال أذن للذين يقاتلون قيل فليقاتل المؤمنون فلولا القتال
لتغلب على الحق في كل أمة وانظر إلى مجيء قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض إثر قتال طالوت لجالوت وقتل داود جالوت والمعنى لولا ذلك الدفع
فسدت الأرض فكذلك هنا وقال علي بن أبي طالب لولا دفع الله بأصحاب محمد الكفار
عن التابعين فمن بعدهم وأخذ الزمخشري قول علي رضي الله عنه وذيل عليه فقال دفع
الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة
ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها
ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد
ولغلب المشركون في أمة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في
ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين انتهى وقال مجاهد ولولا دفع الله ظلم
قوم بشهادات العدول ونحو هذا وقال قوم دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة
وقالت فرقة دفع العذاب بدعاء الأخيار وقال قطرب بالقصاص عن النفوس
وقيل بالنبيين عن المؤمنين وقال الحسن لولا إمام الإسلام لخربت متعبدات
أهل الذمة ومعنى الدفع بالقتال أليق بالآية وأمكن في دفع الفساد وقرأ
الحرميان وأيوب وقتادة وطلحة وزائدة عن الأعمش والزعفراني لهدمت مخففا
وباقي السبعة وجماعة مشددة لما كانت المواضع كثيرة ناسب مجيء التضعيف لكثرة
المواضع فتكرر الهدم لتكثرها وقرأ الجمهور وصلوات جمع صلاة وقرأ جعفر بن
محمد وصلوات بضم الصاد واللام وحكى عنه ابن خالويه صلوات بسكون اللام وكسر
الصاد وحكيت عن الجحدري والجحدري صلوات بضم الصاد وفتح اللام وحكيت
عن الكلبي وأبو العالية بفتح الصاد وسكون اللام صلوات والحجاج بن يوسف
والجحدري أيضا وصلوت وهي مساجد النصارى بضمتين من غير ألف ومجاهد
كذلك إلا أنه بفتح التاء وألف بعدها والضحاك والكلبي وصلوث بضمتين من غير
ألف وبثاء منقوطة بثلاث وحكي كذلك عن أبي رجاء والجحدري وأبي العالية ومجاهد
كذلك إلا أنه بعد الثاء ألف وقرئ وصلوات بكسر الصاد وإسكان اللام وواو
مكسورة بعدها ياء بعدها ثاء منقوطة بثلاث بعدها ألف والجحدري أيضا
صلوات بضم الصاد وسكون اللام وواو مفتوحة بعدها ألف بعدها ثاء مثلثة
النقط وحكى ابن مجاهد أنه قرئ كذلك إلا أنه بكسر الصاد وحكى ابن خالويه وابن عطية
عن الحجاج والجحدري صلوب بالباء بواحدة على وزن كعوب جمع صلب كظريف وظروف
وأسد وأسود وفصيح شاذ أعني جمع فعيل على فعول في هذه ثلاث عشرة قراءة والتي
بالثاء المثلثة النقط هي مساجد اليهود وهي بالسريانية مما دخل في كلام العرب
وقيل عبرانية وينبغي أن تكون قراءة الجمهور يراد بها الصلوات المعهودة في الملل
وأما غيرها فأسماء لا عبثت فيها العرب بتحريف وتغيير فينطق بها مدلوله في اللسان
الذي نقل منه فيعرب به وروى هارون عن أبي عمرو وصلوات كقراءة الجملة
إلا أنه لا ينون التاء كأنه جعله اسم موضع كالمواضع التي قبله وكأنه علم
ممنوع الصرف للعلمية والعجمة وكملت القراءات بهذه أربع عشرة قراءة والأظهر

في بعد ا وهذه المواضع ان ذلك بحسب معتقدات الامم فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين
والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين وقاله خصيف قال ابن عطية والاظهر
انه قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسما تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة
فانها مختصة بالنصارى في عرف لغة ومعاني هذه الاسما هي في الامم التي لها كتاب على
قديم الدهر ولم يذكر في هذه الاية المجوس ولا اهل الاشراك لان هولا ليس لهم ما يوجب
حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرائع انتهى والظاهر عود الضمير في قوله
يذكر فيها على المواضع كلها جميعها وقاله الكلبي ومقاتل فيكون يذكر في موضع الصفة
لهذا وقيل يعود على قوله ومساجد فيكون يذكر صفة للمساجد واذا احدثنا الصلوات
على الافعال التي يصليها اهل الشرائع كان ذكر هدمها على حذف مضاف اي ومواضع صلوات
واما على تضمين لهدمت معنى عطلت فصار التعطيل قدرا مشتركا بين المواضع
والافعال وتاخير المساجد اما لاجل تقدم تلك وحدوث هذه واما للانتقال من شريف
الى اشرف واقسم تعالى على انه ينصر من ينصره اي من ينصر دينه واولياءه ونصره
تعالى هو ان يظفر اولياءه باعدائهم جلادا او جدالا وفي ذلك حض على القتال ثم
اخبر تعالى انه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب والظاهر انه يجوز في اعراب الذين ان
مكناهم في الارض ما جاز في اعراب الذين اخرجوا وقال الزجاج هو منصوب بدل من
من ينصره والتمكين السلطنة ونفاذ الامر على الخلق والظاهر انه من وصف
الماذون لهم في القتال وهم المهاجرون وفيه اخبار بالغيب عما تكون عليه
سيرتهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين
وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله ثنا قبل بلا يريد ان الله قد اثنى عليهم
قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفا الراشدين
لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة لغيرهم من المهاجرين
لا حظ في ذلك للانصار والطلقا وفي الاية اخذ العهد على من مكنه الله ان يفعل
ما رتب على التمكين في الاية وقيل نزلت في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن
وابي العالية هم امة عليه السلام وعن عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وهو
قريب مما قبله وقال ابن ابي نجيح هم الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله على من
اتاه الله الملك وقال ابن عباس المهاجرون والانصار والتابعون ولله عاقبة
الامور توعد لمن خالف ما ترتب على التمكين وان يكذبوك الاية فيها تسلية للرسول
بتكذيب من سبق من الامم المذكورة لانبيائهم ووعيد لقريش اذ مثلهم بالامم
المكذبة المعذبة واسند الفعل بعلامة التانيث من حيث اراد الامة والقبيلة
وبني الفعل للمفعول في وكذب موسى لان قومه لم يكذبوه انما كذبه القبط
فامليت للكافرين اي امهلت لهم واخرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم وفي
قوله فامليت للكافرين ترتيب الاملاء على وصف الكفر فكذلك في قريش املي
تعالى لهم ثم اخذهم في غزوة بدر وفتح مكة وغيرها والاخذ كناية عن
عقاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد به المصدر والمعنى فكيف كان
كان انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالهلاك وعمورا
بالخراب وهذا استفهام يصحبه معنى التعجب كانه قيل ما اشد ما كان انكاري
عليهم وفي الجملة ارهاب لقريش فكاين للتكثير واحتمل ان تكون في موضع رفع
على

على الابتدا على الاشتغال وقرا ابو عمرو وجماعة اهلكتها بتا المتكلم والجمهور بنون العظمة
وهي ظالمة جملة حالية فهي خاوية على عروشها تقدم تفسير هذه الجملة في البقرة في قوله
او كالذي مر على قرية وقال الزمخشري فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب
اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل نصب على الحال والثانية لا محل
لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل انتهى وهذا الذي
قاله ليس بجيد لان فكاين الاجود في اعرابها ان تكون مبتداة والخبر الجملة من
قوله اهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله
فهي خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول الزمخشري على الوجه القليل
وهو اعراب فكاين منصوبا باضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله
اهلكناها مفسرة لذلك الفعل وعلى هذا لا محل لها فالجملة المفسرة فالمعطوف
عليها لا محل له وقرا الجحدري والحسن وجماعة معطلة مخففا يقال
عطلت البير واعطلتها فعطلت هو بفتح الطا وعطلت المراة من الحلي بكسر الطا
قال الزمخشري ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الما ومعها الات الاستقا
الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع
البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بير عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه
عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه انتهى وبير وقصر معطوفات على من
قرية ومن قرية تمييز لكاين وكاين تقتضي التكثير فدل ذلك على ان المراد
بقرية وبير وقصر معنى الجنس وان كان الاهلاك انما يقع في معين لكن من حيث
الوقوع لا من حيث دلالة اللفظ وينبغي ان تكون وبير وقصر من عطفا
على من قرية ان يكون التقدير اهلكتها كما كان اهلكتها اخبار عن كاين
الذي هو القرية من حيث المعنى والمراد اهل القرية والبير والقصر وجعل
وبير معطلة وقصر مشيد معطوفين على عروشها جهل بالفصاحة ووصف القصر
بمشيد ولم يوصف بمشيدة كما في قوله في بروج مشيدة لان ذلك جمع ناسب
التكثير فيه وهذا مفرد وايضا مشيد فاصلة اية وقد عين بعض المفسرين
هذه البير فعن ابن عباس انها كانت لاهل عدن من اليمن وهي الرس وعن
كعب الاحبار ان القصر بناه عاد الثاني وهو مشدد بن عاد بن ارم بن عاد
وعن الضحاك وغيره ان البير بحضرموت من ارض الشحر والقصر مشرف على قلة
جبل لا يرتقى والبير في سفحه لا تقر الريح شيا يسقط فيها وروي ان صالحا نزل عليها
مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت
وسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البير اسمها حاضورا
بناها قوم صالح وامروا عليهم جليس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا
وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان وقيل انه نزع بن
صفوان نبيا فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب
قصرهم وعن الامام ابي القسم الانصاري انه قال رايت قبر صالح بالشام في
بلدة يقال لها عكا فكيف يكون بحضرموت افلم يسيروا في الارض فتكون
لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف

الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم

لما ذكر تعالى من كذب الرسل من الأمم الخالية وكان عند العرب أشياء من أحوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيرا ما يمرون على كثير منها قال أفلم يسيروا في الأرض فاحتمل أن يكون حثا على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا أو يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرأ مبشر بن عبيد فيكون بالياء والجمهور بالتاء فتكون منصوب على جواب الاستفهام قاله ابن عطية وعلى جواب التقرير قاله الحوفي وقيل على جواب النفي ومذهب البصريين أن النصب بإضمار أن وينسبك منها ومن الفعل مصدر يعطف على مصدر متوهم ومذهب الكوفيين أنه منصوب على الصرف إذ معنى الكلام الجزم فصرف عن الجزم على العطف على يسيروا ورده إلى أخي الجزم وهو النصب هذا معنى الصرف عندهم ومذهب الجرمي أن النصب بالفاء نفسها وإسناد العقل إلى القلب يدل على أنه محله ولا ينكر أن للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ ومتعلق يعقلون بها محذوف أي ما حل بالأمم السابقة حين كذبوا أنبياءهم ويعقلون ما يجب من التوحيد وكذلك مفعول يسمعون أي يسمعون أخبار تلك الأمم أو ما يجب سماعه من الوحي والضمير في فإنها ضمير القصة وحسن التأنيث هنا ورجحه كون الضمير وليه فعل بعلامة التأنيث وهي فإنها لا تعمى ويجوز في الكلام التذكير وقرأ به عبد الله فإنه لا تعمى وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه انتهى وما ذكره لا يجوز لأن الذي يفسره ما بعده محصور ليس هذا واحدا منها وهو في باب رب وفي باب نعم وبئس وفي باب الإعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدأ والخبر على خلاف في هذه الأربعة على ما قرر ذلك في أبوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير الشأن ويفسر بالجملة على خلاف فيه أيضا وهذا الذي ذكره الزمخشري ليس واحدا من هذه الستة فوجب اطراحه والمعنى أن أبصارهم سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم ومعلوم أن الأبصار قد تعمى لكن المنفي فيها ليس العمى الحقيقي وإنما هو عدم البصر وهو أن دية إلى التذكر بما شاهد البصر لكن ذلك متوقف على العقل الذي محله القلب ووصف القلوب بالتي في الصدور قال ابن عطية مبالغة كقوله يقولون بأفواههم وكما تقول نظرت إليه بعيني وقال الزمخشري الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن يصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل

المضا

المضا هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا انتهى وقوله ولكن تعمدت به إياه فصل الضمير وليس من مواضع فصله ولكن تعمدته به كما تقول السيف ضربتك به ولا تقول ضربت به إياك وفصله في مكان اتصاله عجمة وقال أبو عبد الله الرازي وعندي فيه وجه آخر وهو أن القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم أن محل التفكر هو الدماغ فالله تعالى بين أن محل ذلك هو الصدر والضمير في ويستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم نقمات الله ويوعدهم بذلك دنيا وآخرة وهم لا يصدقون بذلك ويستبعدون وقوعه فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء وأن ما توعدنا به لا يقع وأنه لا يحنث في قوله ولن يخلف الله وعده أي أن ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه أجل لا يتعداه وإضافة الوعد إليه تعالى لأن رسوله عليه السلام هو المخبر به عن الله تعالى وقال الزمخشري أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل انتهى وفي قوله وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف دسيسة الاعتزال وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال واختلفوا في هذا التشبيه فقيل في العدد أي اليوم عند الله ألف سنة من عددكم وفي الحديث يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام فالمعنى وإن طال الإمهال فإنه في بعض يوم من أيام الله وقيل التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة أي وإن يوما من أيام عذاب الله لشدة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم إذ أيام الترحة مستطالة وأيام الفرحة مستقصرة وكأن ذلك اليوم الواحد كألف سنة من سني العذاب والمعنى أنهم لو عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه وهذا القول قريب من قول أبي مسلم وقيل التشبيه بالنسبة إلى علمه تعالى وقدرته وإنفاذ ما يريد كألف سنة وانتفى على الفسحة وإن كان اليوم عنده كما لا نهاية له من العدد لكون الألف منتهى العدد دون تكرار وهذا القول لا يناسب مورد الآية إلا أن أريد أنه القادر الذي لا يعجزه شيء فإذا لم يستبعدوا إمهال يوم فلا يستبعدوا أيضا إمهال ألف سنة وقال ابن عباس أراد باليوم من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض وقال ابن عيسى يجمع لهم عذاب ألف سنة في يوم واحد ولأهل الجنة سرور ألف سنة في يوم واحد وقال الفراء تضمنت الآية عذاب الدنيا والآخرة وأريد العذاب في الدنيا أي لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا وإن يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب وقال الزجاج تفضل تعالى عليهم بالإمهال والمعنى أن اليوم عند الله والألف سواء في قدرته بين ما استعجلوا به وبين الآخرة وقرأ الأخوان وابن كثير يعدون بياء الغيبة وباقي السبعة

بالخطاب وعطف فكاين الاولى بالفاء وهذه الثانية بالواو وقال الزمخشري الاولى وقعت
بدلا من قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة وتكرر التكثير
بكاين في القرى لافادة معنى غير ما جاءت له الاولى لانه ذكر فيها القرى التي اهلكها
دون املاء وتاخير بل اعقب الاهلاك التكذيب وهذه الاية لما كان تعالى قد امهل
قريشا حتى استعجلت بالعذاب جاءت بالاهلاك بعد الاملاء تنبيها على ان قريشا
وان املى تعالى لهم وامهلهم فانه لا بد من عذابهم فلا يفرحوا بتاخير العذاب عنهم
ثم امر نبيه ان يقول لاهل مكة يايها الناس انما انا لكم نذير مبين من عذاب
الله موضح لكم ما توعدون وموضح النذارة لا يتلجلج فيها وذكر النذارة دون
البشارة وان كان التقسيم بعد ذلك يقتضيها لان الحديث مسوق للمشركين
ويايها الناس نداء لهم وهم المقول فيهم افلم يسيروا والمخبر عنهم باستعجال العذاب
وانما ذكر المومنون هنا وما اعد الله لهم من الثواب ليغاظ المشركون بذلك
وليحرضهم على نيل هذه الرتبة الجليلة التي فيها فوزهم وحصر النذارة لان
المعنى لست لي تعجيل عذابكم ولا تاخيره عنكم وانما انا منذر لكم به وقال الكرماني
التقدير بشير ونذير مخوف والتقسيم داخل في المقول والسعي الطلب والاجتهاد
في ذلك ويقال سعى فلان في امر فلان فيكون باصلاح او افساد وقد يتعدى الى الشر
يقال فيه سعى بفلان سعاية اي تحيل وكاد في ايصال الشر اليه وسعيهم بالفساد
في ايات الله حيث طعنوا فيها فسموها سحرا وشعرا واساطير الاولين وثبطوا الناس
عن الايمان بها وقرا ابن كثير وابو عمرو والجحدري وابو السمال والزعفراني معجزين
بالتشديد هنا وفي حرفي سبا زاد الجحدري في جميع القران اي مثبطين وقرا
ابن الزبير معجزين بسكون العين وتخفيف الزاي من اعجز فجاز اذا سبقك
ففاتك قال صاحب اللوامح لكنه هنا بمعنى معاجزين اي ظانين انهم يعجزوننا
وذلك لظنهم انهم لا يبعثون وقيل في معاجزين معاندين واما معجزين بالتشديد
فانه بمعنى مثبطين الناس عن الاسلام ويقال مثبطين وقال الزمخشري عاجزه
سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه
وعجزه فالمعنى سابقين او سابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان
كيدهم للاسلام يتم لهم انتهى وقال ابو علي الفارسي معجزين معناه ناسبين
اصحاب النبي الى العجز كما تقول فسقت فلانا اذا نسبته الى الفسق وتقدم
شرح اوي ههنا في الجملتين الواردتين تقسيما وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي
شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا
به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط
مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة
او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا

فاولئك

فاولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه
وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه
الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
هو الباطل وان الله هو العلي الكبير لما ذكر تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا وانه
تعالى اذن للمومنين في القتال وانهم كانوا اخرجوا من ديارهم وذكر مسلاة
رسوله بتكذيب من تقدم من الامم لانبيائهم وما ال اليه امرهم من الاهلاك
اثر التكذيب وبعد الامهال وامره ان ينادي الناس ويخبرهم انه نذير لهم
بعد ان استعجلوا بالعذاب وانه ليس له تقديم العذاب ولا تاخيره ذكر له تعالى
مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل وانه ما منهم احد الا وكان الشيطان
براءه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك اليهم والقائه في نفوسهم كما انه صلى الله عليه
وسلم كان من احرص الناس على هدى قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث
يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل
هذه الاية والذين سعوا في اياتنا معجزين وسعيهم بالقاء الشبهة في قلوب من استمالوه
ونسب ذلك الى الشيطان لانه هو المغوي والمحرك شياطين الانس للاغواء كما قال
لاغوينهم وقيل ان الشيطان هو جنس يراد به شياطين الانس والضمير في امنيته
عائد على الشيطان اي في امنية نفسه اي بسبب امنية نفسه ومفعول القى
محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول او النبي لان الشيطان
ليس يلقي الخير ومعنى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس
كما قال ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ويحكم الله اياته اي معجزاته
يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل ما يلقي الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول
فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من اوتي العلم ان ما تمنى الرسول والنبي من
هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الاية ليس فيها اسناد شيء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والانبياء اذا تمنوا وذكر
المفسرون في كتبهم كابن عطية والزمخشري ومن قبلهما ومن بعدهما ما لا يجوز
وقوعه من احاد المومنين منسوبا الى المعصوم صلوات الله عليه واطالوا في
ذلك وفي تقريره سوالا وجوابا وهي قصة سئل عنها الامام محمد بن اسحاق جامع
السيرة النبوية فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك كتابا وقال
الامام الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من
جهة النقل وقال ما معناه ان رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف
الحديثية شيء مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه
والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله تعالى والنجم اذا هوى
ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وقال تعالى امرا لنبيه قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا
ما يوحى الي وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم الاية فالتثبيت واقع

والقارية منفية وقال تعالى كذلك لنثبت به فوادك وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى
وهذه نصوص تشهد بعصمته واما من جهة المعقول فلا يمكن ذلك لان تجويزه
يطرق الى التجويز في جميع الاحكام والشريعة فلا يومن فيها التبديل والتغيير
واستحالة ذلك معلومة ولنرجع الى تفسير بعض الفاظ الاية اذ قد
قررنا بالاجماع لنا فيها من المعنى فقوله من قبلك من هي لابتدا الغاية
ومن في من رسول زايدة تفيد استغراق الجنس وعطف ولا نبي على من رسول
دليل على المغايرة وقد تقدم لنا الكلام على مدلوليهما فاغنى عن اعادته
هنا وجا بعد الا جملة ظاهرها الشرط وهو اذا تمنى القى الشيطان وقاله
الحوفي ونصوا على ان يليها في النفي مضارع لا يشترط فيه شرط فيقول
ما زيد الا يفعل كذا وما رايت زيدا الا يفعل كذا وما من شرط ان يتقدمه
فعل كقوله وما ياتيهم من رسول الا كانوا او يكون الماضي مصحوبا بقد
نحو ما زيد الا قد قام وما جا بعد الا في الاية جملة شرطية ولم يلها ماضي
مصحوب بقد ولا عارٍ منها فان صح ما نصوا عليه تؤولت على ان اذا جردت
للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين الا والفعل الذي هو القى وهو
فصل جايز فيكون الا قد وليها ماضي في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم فعل
قبل الا وهو وما ارسلنا وعاد الضمير في تمنى مفردا لانه ذكروا انه اذا كان
العطف بالواو وعاد الضمير مطابقا للمتعاطفين وهذا عطف بالواو وما جا
من تطابق او لوم على الحذف فيكون تاويل هذا وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فحذف من الاول لدلالة الثاني
عليه وتمنى تفعل من المنية قال ابو مسلم التمني نهاية التقدير ومنه
المنية وفاة الانسان للوقت الذي تقدره الله ومنى الله لك اي قدر
وقال رواة اللغة الامنية القراءة واحتجوا ببيت حسان وذلك راجع الى
الاصل الذي ذكر فان التالي مقدر للحروف فيذكرها شيئا فشيئا انتهى
وبيت حسان
تمنى كتاب الله اول ليله ... واخره لاقى حمام المقادر
وقال اخر تمنى كتاب الله اول ليله ... تمني داود الزبور على رسل
وحمل بعض المعربين قوله اذا تمنى على تلاوته في امنيته على تلاوته والجملة
بعد الا في موضع الحال اي وما ارسلناه الا وحاله هذه وقيل الجملة في
موضع الصفة وهو قول الزمخشري في نحو ما مررت باحد الا زيد خير
منه والصحيح ان الجملة حالية لا صفة لانتصابها واو الحال واللام في ليجعل
متعلقة بيحكم قاله الحوفي وقال ابن عطية بينسخ وقال غيرهما بالقى
والظاهر انها للتعليل وقيل هي لام العاقبة وما في ما يلقي الظاهر انها
بمعنى الذي وجوز ان تكون مصدرية والفتنة الابتلا والاختبار والذين
في قلوبهم مرض عامة الكفار وقال الزمخشري المنافقون والشاكون
والقاسية قلوبهم خواص من الكفار عتاة كابي جهل والنضر وعتبة وقال
الزمخشري المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هولا المنافقين
والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضا عليهم بالظلم والشقاق
الثانية

الثانية اي في شق غير شق الصلاح ووصفه بالبعيد مبالغة في انتهايه وانهم غير
مرجو رجعتهم منه والضمير في انه قال ابن عطية عايد على القران والذين اوتوا
العلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم من قولنا في الاية
ما يعود الضمير اليه فتخبت اي تتواضع وتطامن بخلاف من في قلبه
مرض وقسا قلبه وقرا الجمهور لهاد الذين بالاضافة وابو حيوة
وابن ابي عبلة منونين لهاد والمرية الشك والضمير في منه قيل عايد على
القران وقيل على الرسول وقيل ما القى الشيطان ولما ذكر حال الكافرين
اولا ثم حال المومنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين والظاهر
ان الساعة يوم القيامة قيل واليوم العقيم يوم بدر وقيل الساعة موتهم
او قتلهم في الدنيا كيوم بدر واليوم العقيم يوم القيامة وقال الزمخشري
اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا
يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابنا
الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز وقيل هو الذي
لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشي مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في
عظم امره لقتال الملايكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد
بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة
كانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع
الضمير انتهى وقال ابن عطية وسمي يوم القيامة او يوم الاستيصال
عقيما لانه لا ليلة بعده ولا يوم والايام كلها نتايج تجي احد اثر واحد
وكان الاخر يوم قد عقم وهذه استعارة وجملة هذه الاية توعد انتهى
وحتى غاية لاستمرار مريتهم فالمعنى حتى تاتيهم الساعة او عذاب يوم عقيم
فتزول مريتهم ويشاهدون الامر عيانا والتنوين في يومئذ تنوين العوض
والجملة المعوض منها هذا التنوين هي الذي حذف بعد الغاية اي الملك
يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشري ولا يوم يومنون وهو لازم لزوال
المرية فانه اذا زالت المرية امنوا وقدرناه كما قدرناه وهو الاولى
والظاهر ان هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث انه لا ملك فيه لاحد
من ملوك الدنيا كما قال تعالى لمن الملك اليوم ويبعد هذا التقسيم بعده
ومن قال انه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ فيه قضا الله وحده ويبطل
ما سواه ويمضي حكمه فيمن اراد تعذيبه ويكون للتقسيم اخبارا عما كتب
على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الايمان والكفر والفاظ التقسيم ومعانيها
واضحة لا تحتاج الى شرح وقابل النعيم بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة
فيه والذين هاجروا الاية هذا ابتدا معنى اخر وذلك انه لما مات عثمان بن
مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين
افضل ممن مات حتف انفه فنزلت تسوية بينهم في ان الله يرزقهم
رزقا حسنا وظاهر والذين هاجروا العموم وقال مجاهد نزلت في طوايف
خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون وقاتلوهم وروي
ان طوايف من الصحابة قالوا يا نبي الله هولا الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم

الهم من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله هاتين
الآيتين وقال الزمخشري لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد أن
يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل فضلا منه وإحسانا والله عليم بدرجات
العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه
انتهى في قوله ومراتب استحقاقهم دسيسة الاعتزال والتسوية في الوعد
بالرزق لا تدل على تفضيل في قدر المعطى ولا تسوية فإن يكن تفضيل فمن
دليل آخر وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل وقيل المقتول والميت في سبيل
الله شهيدان والرزق الحسن يحتمل أن يراد به رزق الشهداء في البرزخ
ويحتمل أنه بعد يوم القيامة في الجنة وهو النعيم فيها وقال الكلبي
هو الغنيمة وقال الأصم هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه
رزقا حسنا وضعف هذان القولان لأنه تعالى جعل الرزق الحسن جزاء
على قتلهم في سبيل الله أو موتهم بعد هجرتهم وبعد ذلك لا يكون الرزق
في الدنيا والظاهر أن خير الرازقين أفعل تفضيل والتفاوت أنه تعالى
يختص بأن يرزق مما لا يقدر عليه غيره تعالى وبأنه الأصل في الرزق وغيره
إنما يرزق بما له من الرزق من جهة الله ولما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة يرضونه يختارونه إذ فيها ما هم
كما قال لا يبغون عنها حولا وتقدم الخلاف في القراءة بضم الميم أو فتحها في
النساء والأولى أن يكون يراد بالمدخل مكان الدخول أو مكان الإدخال ويحتمل
أن يكون مصدرا لذلك ومن عاقب الآية قيل نزلت في قوم من المؤمنين
لقيهم كفار في أشهر الحرم فأبى المؤمنون من قتالهم وأبى المشركون إلا القتال
فلما اقتتلوا صبر المؤمنون ونصرهم الله ومناسبتها لما قبلها واضحة وهو أنه
تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل أو مات في سبيل الله أخبر أنه لا يدع
نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم وقال ابن جريج الآية في المشركين بغوا على
رسول الله وأخرجوه والتقدير الأمر ذلك قال الزمخشري تسمية الابتداء
بالجزاء للملابسة له من حيث إنه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على
النظير والنقيض على النقيض للملابسة **فإن قلت** كيف طابق
ذكر العفو هذا الموضع **قلت** المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل
على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه على التحريم
ومندوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك
سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله
فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر
وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لعفو غفور أي لا يلومه على
ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله
بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي
ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين
أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف
بالعفو إلا القادر على ضده ذلك أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات

قدرته

قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار والنهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار
ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي
والانتصار وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون وتنبيه في أوائل الاعتبار أن
شرع بهذه الإيلاج ذلك أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة
بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أن الله الحق الثابت الإلهية
وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر
سلطانا وقرأ الجمهور وأن ما بفتح الهمزة وقرأ الحسن بكسرها وقرأ
الإخوان وأبو عمرو وحفص يدعون بياء الغيبة هنا وفي لقمان وقرأ
باقي السبعة بتاء الخطاب وكلاهما الفعل فيه مبني للفاعل وقرأ مجاهد
واليماني وموسى الأسواري يدعون بالياء مبنيا للمفعول والواو عائدة
على ما على معناها وما الظاهر أنها الأصنام وقيل الشياطين والأولى
العموم في كل مدعو دون الله تعالى **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في
الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض
والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا
بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم إن الإنسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم
وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة
فيما كنتم فيه تختلفون** لما ذكر تعالى ما دل على قدرته الباهرة من إيلاج
الليل في النهار والنهار في الليل وهما أمران مشاهدان مجيء الظلمة والنور ذكر
أيضا ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي وهو نزول المطر
وإنبات الأرض وإنزال المطر واخضرار الأرض مرئيان ورؤية الإنزال إلى
الله تعالى مدرك بالعقل وقال أبو عبد الله الرازي الماء وإن كان مرئيا
إلا أن كون الله منزله من السماء غير مرئي إذا ثبت هذا وجب حمله على العلم لأن
المقصود من تلك الرؤية إذا لم يقترن بها العلم كانت كأنها لم تحصل وقال
الزمخشري **فإن قلت** هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع
قلت لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم
علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت
لم يقع ذلك الموقع **فإن قلت** فما باله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام
قلت لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار
فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت
عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته
فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم
في علم الإعراب وتوقير أهله وقال ابن عطية قوله فتصبح بمنزلة قوله
فتضحي أو تصير عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة
ووقع قوله فتصبح من حيث الآية خبر والفاء عاطفة وليست بجواب

لانكونها جوابا لقوله الم تر فاسد المعنى انتهى ولم يبين هو ولا الزمخشري كيف يكون
النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا وقال س وسألته يعني الخليل
عن الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب
وهو تنبيه كانك قلت اسمع انزل الله من السما ما وكان كذا وكذا
قال ابن خروف وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد انهما
ماضيان وفسر الكلام باسمع ليريك انه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم
الاستفهام فيه ووقع في الزرقية عوض اسمع انتبه انتهى ويعني
في الزرقية في النسخة الزرقية من كتاب س وقال بعض شراح الكتاب
فتصبح لا يمكن نصبه لان الكلام واجب الا ترى ان المعنى ان الله انزل فالارض
هذه حالها وقال الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله ينزل الخ فيكون
كذا انتهى ونقول انما امتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النفي اذا دخل عليه
الاستفهام وان كان يقتضي تقريرا في بعض الكلام هو معامل معاملة النفي
المحض في الجواب الا ترى الى قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكذلك
في الجواب بالفا اذا اجيب النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب
فاذا قلت ما تاتينا فتحدثنا بالنصب فالمعنى ما تاتينا محدثا انما تاتي
ولا تحدث ويجوز ان يكون المعنى انك لا تاتي فكيف تحدث فالحديث
منتف في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب
يثبت ما دخلته الهمزة وينتفي الجواب فيلزم من هذا الذي قررناه اثبات
الروية وانتفا الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا فان جواب الاستفهام
ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزا فقوله الم تسال فتخبرك الرسوم
يتقدر ان تسال تخبرك الرسوم وهنا لا يتقدر ان تر انزال المطر تصبح الارض
مخضرة لان اخضرارها ليس مترتبا على علمك او رويتك انما هو مترتب على
الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصويرا للهيئة التي الارض عليها والحالة
التي لابست الارض والماضي يفيد انقطاع الشي وهذا كقول جحدر بن
معوية العكلي يصف حاله مع اسد نازله في قصة جرت له مع الحجاج
ابن يوسف ● يسمو بناظرتين تحسب فيهما ● لما اجالهما شعاع سراج ●
● لما نزلت بحصن ازبر مهصر ● للقرن ارواح العدى مجاج ●
● فاكر احمل وهو يقعى باسته ● فاذا يعود فراجع ادراجي ●
● وعلمت اني ان ابيت قتاله ● اني من الحجاج لست بناجي ●
فقوله فاكر تصوير للحالة التي لابسها ● فتامل

والظاهر تعقب اخضرار الارض انزال المطر وذلك موجود بمكة وتهامة فقط
قاله عكرمة واخذ تصبح على حقيقتها اي تصبح من ليلة المطر وذهب الى ان
الاخضرار في غير مكة وتهامة يتاخر وقال ابن عطية وقد شاهدت هذا في السوس
الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط فاصبحت تلك الارض الرملة التي نسفتها
الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف انتهى واولها فتصبح بمعنى فتصير

لايلزم

لا يلزم ان يكون ذلك الاخضرار في وقت الصباح واذا كان الاخضرار متاخرا عن انزال المطر
فثم جمل محذوفة التقدير فتهتز وتربو فتصبح بيّن ذلك قوله تعالى فاذا انزلنا
عليها الما اهتزت وربت وانبتت وقرئ مخضرة على وزن مفعلة ومسبعة
اي ذات خضر وخص تصبح دون سائر اوقات النهار لان روية الاشيا المحبوبة
اول النهار ابهج واسر للرائي ان الله لطيف اي باستخراج النبات من الارض بالما
الذي انزله خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وغيره وقيل خبير بلطيف
التدبير خبير بالصنع الكثير وقيل خبير بمقادير مصالح عباده فيفعل على قدر
ذلك من غير زيادة ولا نقصان وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير
بما في قلوبهم من القنوط وقال الكلبي لطيف بافعاله خبير باعمال خلقه
وقال الزمخشري لطيف واصل علمه او فضله الى كل شي خبير بمصالح الخلق
ومنافعهم وقال ابن عطية واللطيف المحكم للامور برفق ما في الارض
يشمل الحيوان والمعادن والمرافق وقرا الجمهور والفلك بالنصب وضم
اللام ابن مقسم والكسائي عن الحسن وانتصب عطفا على ما ونبه عليها وان كانت
مندرجة في عموم ما تنبيها على غرابة تسخيرها وكثرة منافعها وهذا هو الظاهر
ويجوز ان يكون معطوفا على الجلالة بتقدير وان الفلك وهو اعراب بعيد
عن الفصاحة وتجري حال على الاعراب الظاهر وفي موضع الخبر على الاعراب
الثاني وقرا السلمي والاعرج وطلحة وابو حيوة والزعفراني بضم الكاف
مبتدا وخبر ومن اجاز العطف على موضع اسم ان اجاز هنا فيكون تجري
حالا والظاهر ان ان يقع في موضع نصب بدل اشتمال اي ويمنع وقوع السما
على الارض وقيل هو مفعول من اجله فيقدره البصريون كراهة ان تقع
والكوفيون لان لا تقع وقوله الا باذنه اي يوم القيامة كان على التماسك
هذه الهيئة لو قوعها ويجوز ان يكون بذلك وعندهم في انهم ان اذن في
سقوطها كسفا عليكم سقطت كما في قولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا
والا باذنه متعلق بان تقع اي الا باذنه فتقع وقال ابن عطية ويحتمل ان يعود
قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه فكانه اراد
الا باذنه فيه يمسكها انتهى ولو كان على ما قال ابن عطية لكان التركيب باذنه
دون اداة الاستثنا اي يكون التقدير ويمسك السما باذنه وهو الذي
احياكم اي بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة وهي الموتة
الاولى المذكورة في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
والانسان قال ابن عباس هنا الكافر وقال ايضا هو الاسود بن عبد الاسد
وابو جهل وابي بن خلف وهذا على طريق التمثيل لكفور لجحود نعم الله يعبد
غير من انعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها لكل امة جعلنا منسكا
روي انها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقا وبشر بن سفيان الخزاعيين
وغيرهما في الذبائح وقولهم للمومنين تاكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم
ولا تاكلون ما قتل الله فنزلت بسبب هذه المنازعة وقال ابن عطية هم
ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه
انتهى ولا يتعين ما قال اذ قد يتسع في معمول اسم الفاعل كما يتسع في معمول

اسم الفاعل الفعل فهو موضع اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع
ظرف المكان قوله وشرب اشربه رسل لا احس العظم ولا وبيل
مشرب مكان الشرب بما دخلوه الضمير وكان اصله اشرب فيه فاتسع فيه فتعدى
الفعل الى الضمير ومن الاتساع سير بزيد فرسخان وقرى فلا
ينازعنك بالنون الخفيفة اي تثبت على دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك
ومثله ولا يصدنك عن ايات الله وهذا النهي لهم عن المنازعة من باب
لا ارينك هاهنا والمعنى فلا تبدلهم بمنازعتك فينازعوك وقرا
ابو مجلز فلا ينزعنك من النزع يعني فلا يقلعنك فيحملونك عن دينك الى
اديانهم من نزعته من كذا والامر هنا الدين وما جيت به وعلى ما روي
في سبب النزول يكون في الامر بمعنى في الذبح لعلى هدى اي ارشاد وجا
لكل امة بالواو وهنا لكل امة لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها
من الاي الواردة في امر المناسك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة
مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا قاله الزمخشري والزجاج وكاية
موادعة نسختها اية السيف اي وان ابوا المجادلة فهي المجادلة بعد اجتهادك
ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وقبحها وبما
تستحقون عليها من الجزا وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين ولان
الله يحكم بينكم خطاب من الله للمومنين والكافرين اي يفصل بينكم
بالثواب والعقاب وسلاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى
منهم الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب ان
ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم
اياتنا قل افانبيكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبيس
المصير لما تقدم الكلام في الفصل بين الكفار والمومنين يوم القيمة اعقب
تعالى انه عالم بجميع ما في السماء والارض فلا يخفى عليه اعمالكم وان ذلك في كتاب
قيل وهو ام الكتاب الذي كتبه الله قبل خلق السموات والارض فتثبت فيه
ما هو كاين الى يوم القيمة وقيل الكتاب اللوح المحفوظ والاشارة
بقوله ان ذلك على الله يسير قيل الى الحكم السابق والظاهر انه اشارة
الى حصر المخلوقات تحت علمه واحاطته وقال الزمخشري ومعلوم
عند العلما بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه
في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه لان العالم
الذات دسيسة الاعتزال لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم
انتهى وفي قوله لان العالم الذات دسيسة الاعتزال لانه من مذهبهم
نفي الصفات فهو عالم لذاته لا بعلم عندهم ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا سماويا من جهة الوحي والسمع وما ليس
لهم به علم اي دليل عقلي ضروري اي عبره وما للظالمين اي المجاوزين
الحد في عبادة ما لا يمكن عبادته من نصير ينصرهم في ما ذهبوا اليه او اداله

بهم

بهم العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا اي يتلوها الرسل او غيرهم اياتنا الواضحة
في رفض الصنم ودعايهم الى توحيد الله وعبادته تعرف في وجوه الذين كفروا
اي الذين ستروا الحق وغطوه وهو واضح بين والمنكر مصدر بمعنى الانكار
ونبه على موجب المنكر وهو الكفر واتى بالظاهر مناب المضمر فانه قيل
تعرف في وجوههم لكنه نبه على العلة الموجبة لظهور المنكر في وجوههم
والمنكر المساءة والتجهم والبسور والبطش الدال ذلك كله على سوء المعتقد
وخبث السريرة لان الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب يكادون
يسطون اي هم دهرهم بهذه الصفة تهم بان يسطوا ذكر طول زمانهم
وان كان قد وقع منهم سطو ببعض الصحابة في شاذ من الاوقات
قال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم وقال محمد بن كعب يقعون بهم
وقال الضحاك ياخذونهم اخذا باليد والمعنى واحد وقرا عيسى بن عمر يعرف
مبنيا للمفعول المنكر رفع قل افانبيكم بشر من ذلكم وعيد وتقريع والاشارة
الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم او الى ما اصابهم من الكراهة والبسور بسبب
ما تلي عليهم وقرا الجمهور النار رفعا على اضمار مبتدا كان قايلا قال وما
هو قال النار اي نار جهنم واجاز الزمخشري ان تكون النار مبتدا ووعدها الخبر
وان يكون وعدها حالا على الاعراب الاول وان تكون جملة اخبار مستانفة واجاز
ان يكون خبرا بعد خبر وذلك في الاعراب الاول وروي انهم قالوا لمحمد واصحابه
شر خلق فقال الله قل لهم يا محمد افانبيكم بشر ممن ذكرتم على زعمكم اهل النار
فهم اشر خلق الله وقرا ابن ابي عبلة وابراهيم بن يوسف عن الاعشى
وزيد بن علي النار بالنصب قال الزمخشري على الاختصاص ومن اجاز في
ان تكون النار مبتدا فقياسه ان يجيز في النصب ان يكون من باب الاشتغال
وقرا ابن ابي اسحاق وابراهيم بن نوح عن قتيبة النار بالجر على البدل
من شر والظاهر ان الضمير في وعدها هو المفعول الاول على انه تعالى وعد
النار بالكفار ان يطعمها اياهم الا ترى الى قوله لها هل من مزيد ويجوز ان
يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو الاول كما قال وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي
من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو
سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهدا على الناس فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله
هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير لما ذكر تعالى ان الكفار يعبدون
ما لا دليل على عبادته لا من سمع ولا من عقل ويتركون عبادة من خلقهم

ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفا القدرة على خلق اقل الاشيا بل على رد ما اخذه ذلك الاقل منه
وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله ان الذين تدعون والخطاب
وقيل خطاب للمومنين اراد الله ان يبين لهم خطا الكافرين فيكون تدعون الخطاب
لهم اي الكفار عابدي غير الله وقيل الخطاب عام يشمل من يعتقد في امر عبادة غير الله فانه
يظهر له قبح ذلك وضرب مبني للمفعول والظاهر ان ضارب المثل هو الله تعالى
ضرب مثلا لما يعبد من دونه اي بين شبها لكم ولمعبودكم وقيل ضارب المثل
هم الكفار جعلوا امثالا لله تعالى الهتهم واوثانهم اي فاسمعوا انتم ايها الناس
لحال هذا المثل ونحوه ما قال الاخفش قال ليس هاهنا مثل وانما المعنى
جعل الكفار لله مثلا وقيل هو مثل من حيث المعنى لانه ضرب مثل من
يعبد الاصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا وقال الزمخشري ان قلت
الذي جا به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة
الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم انتهى وقرا الجمهور تدعون
بالتا وقرا الحسن ويعقوب وهرون والخفاف ومحبوب عن ابي عمرو
باليا وكلاهما مبني للفاعل وقرا اليماني وموسى الاسواري باليا
مبنيا للمفعول وقال الزمخشري لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا موكدا
وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال
ان يخلقوا انتهى وهذا القول الذي قاله في لن هو المنقول عنه ان لن للنفي على التابيد
الا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي الا ترى الى قوله
افمن يخلق كمن لا يخلق جا النفي بلا وتقول الصحيح والاستدلال عليه مذكور
في النحو ونبه تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم المخلوقات من حيث ان الاختراع هو
صفة له تعالى ثابتة مختصة به لا يشركه فيها احد وثنى بالامر الذي بلغ بهم
غاية التعجيز وهو امر سلب الذباب وعدم استنقاذ شي مما يسلبهم وكان الذباب
كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب يذهب
بذلك وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورووسها بالعسل ويغلقون
عليها فيدخل الذباب من الكوى فياكله وموضع ولو اجتمعوا له قال الزمخشري
نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم
جميعا لخلقه وتعاونهم عليه انتهى وتقدم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرر
ان الواو فيه للعطف على حال محذوفة
كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي ان يخلقوا
لاجل اجتماعهم ولكنه نبه في مفتتح ذلك ضعف الطالب والمطلوب
قال ابن عباس الصنم والذباب اي ينبغي ان يكون الصنم طالبا لما
سلب من طيبهم على معهود الانفة في الحيوان وقيل المطلوب الالهة والطالب
الذباب فضعف الالهة ان لا منعة لهم وضعف الذباب في استلابه
ما على الالهة وقال الضحاك العابد والمعبود فضعف العابد في طلبه
الخير من غير جهته وضعف المعبود في ايصال ذلك لعابده وقال الزمخشري
وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف

ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد
وهو غالب وذاك مغلوب والظاهر انه اخبار بضعف الطالب والمطلوب
وقيل معناه التعجب اي ما اضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق
قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه
باسمه ولم يوهلوا خالقهم للعبادة ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات
من عبدوا وهي القوة والغلبة الله يصطفي الاية نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة اانزل عليه
الذكر من بيننا الاية وانكروا ان يكون الرسول من البشر فرد الله عليهم بان
رسله ملايكة وبشر ثم ذكر انه عالم باحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شي
واليه مرجع الامور كلها ولما ذكر تعالى انه اصطفى رسلا من البشر الى الخلق امرهم
باتباع ما جاءت به الرسل من التكاليف وهو الصلاة وقيل كان الناس اول
ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع
وسجود واتفقوا على مشروعية السجود في اخر الحج الم تر ان الله يسجد له واما في هذه الاية
فمذهب مالك وابي حنيفة انه لا يسجد فيها ومذهب الشافعي واحمد انه يسجد فيها
وبه قال عمر وابنه عبد الله وعثمان وابو الدردا وابو موسى وابن عباس واعبدوا
ربكم اي وحدوه بالعبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق
ويظهر في هذا الترتيب انهم امروا اولا بالصلاة وهي نوع من العبادة وثانيا بالعبادة
وهي نوع من فعل الخير وثالثا بفعل الخير وهو اعم من العبادة فبدا بخاص ثم بعام ثم
باعم وجاهدوا في الله امر بالجهاد في دين الله واعزاز كلمته يشمل جهاد الكفار
والمبتدعة وجهاد النفس وقيل امر بجهاد الكفار خاصة حق جهاده اي استفرغوا
جهدكم وطاقتكم في ذلك واضاف الجهاد اليه تعالى لما كان مختصا بالله من حيث
هو مفعول لوجهه ومن اجله والاضافة تكون بادنى ملابسة قال الزمخشري
ويجوز ان ينتصب الظرف لقوله يوم شهدنا سليما وعامرا انتهى يعني بالظرف الجار
والمجرور كانه كان الاصل حق جهاد فيه فاتسع بحذف حرف الجر واضيف جهاد الى
الضمير ومن حق جهاده من باب هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وعالم جدا وعن مجاهد والكلبي
انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم هو اجتباكم اي اختاركم لتحملوا تكاليفه وفي نحو
هو تفخيم واختصاص اي هو لا غيره من حرج من تضييق بل هي حنيفية سمحة ليس فيها
تشديد بني اسرايل بل شرع فيها التوبة والكفارات والرخص وانتصب ملة ابيكم بفعل
محذوف وقدره ابن عطية جعلها ملة وقال الزمخشري نصب الملة بمضمون ما تقدمها
كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وعلى
الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد وقال الحوفي وابو البقا
اتبعوا ملة ابراهيم وقال الفرا هو نصب على تقدير حذف الكاف كانه قيل كملة ابيكم
بالاضافة الى ابيه الرسول وامة الرسول لكونهم اولاده فصار بالامة بهذه الوسائط
وقيل لما كان اكثرهم من ولده كالرسول ورهطه وجميع العرب غلب الاكثر فاضيف
اليه وجا قوله ملة ابراهيم باعتبار عبادة الله وترك الاوثان وهو الموفق
له الايات المتقدمة فلا بد اذ نصف على الاتباع في تفاصيل الشرايع والظاهر
ان الضمير في هو سماكم عايد على ابراهيم وهو اقرب مذكور ولكل نبي دعوة مستجابة
ودعي ابراهيم فقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله

لم يجعلها لامة محمد عليه الصلاة والسلام وقاله ابن زيد والحسن وقيل يعود هو الى الله وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك ومن يتبعهم ان الله سماكم المسلمين من قبل اي في الكتب وفي هذا اي القرآن ويدل عليه ان الضمير لله قراءة ابي الله سماكم قال ابن عطية وهذه اللفظة يعني قوله وفي هذا تضعيف قول من قال الضمير لابراهيم ولا يتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستانف انتهى وتقدير المحذوف وسميتم في هذا القرآن المسلمين والمعنى انه فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر وعن قتادة اعطيت هذه الامة ما لم يعطه الا نبي قيل للنبي انت شهيد على امتك وقيل له ليس عليك حرج وقيل له سل تعطه وقيل لهذه الامة وتكونوا شهداء على الناس وقيل لهم ما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل لهم ادعوني استجب لكم واعتصموا قال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكرهه وقال الحسن تمسكوا بدين الله

المفردات

السلالة فعالة من سللت الشي من الشي اذا استخرجته منه **وقال امية**

خلق البرية من سلالة منتن ... والى السلالة كلها ستعود

والولد سلالة ابيه كانه انسل من ظهر ابيه **قال الشاعر**

فجاءت به عضب الاديم غضنفرا ... سلالة فرج كان غير حصين

وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والنخالة **سينا وسينون** اسمان لبقعة وجمهور العرب على فتح سين سيناء والالف فيه للتانيث كصحراء فيمتنع الصرف للتانيث اللازم وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف للتانيث اللازم ايضا عند الكوفيين لانهم يثبتون ان همزة فعلاء تكون للتانيث وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة او العلمية والتانيث لان الف فعلاء عندهم لا تكون للتانيث بل للالحاق كعلباء ودرحاء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة **الدهن** عصارة الزيتون واللوز وما اشبههما مما فيه دسم والدهن بفتح الدال مصدر دهن بالدهن **هيهات** اسم فعل يفيد الاستبعاد معناها بعد وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل وبالجمع ما تري به ان شا الله **الغثا** الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله ابو عبيد وقال الاخفش الغثا والجفا واحد وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد وقال الزجاج البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل فخالط زبده اسمر وتسود تاوه وقت ويجمع على اغثاء شذوذا وروا بتشديد الثاء الغثي من السيل والغثا بالتخفيف والتشديد والجمع **تترى** واحدا بعد واحد قال الاصمعي بينهما مهلة وقال غيره المواترة التتابع بغير مهلة وتاوه مبدلة من واو وعلى غير قياس اذ اصله الوتر كتاء تولج وتيقور الاصل وولج ووقور لانه من الولوج والوقار وصحو العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتانيث اللازم وكنانة تنونه وينبغي ان تكون الالف فيه للالحاق كهي في علقى المنون وكتبه بالياء يدل على ذلك ومن زعم ان التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطئ لانه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الاعراب في الراء فتقول تترى في الرفع وتترى في الجر لكن الف الالحاق في المصدر نادر ولا يلزم وجود النظير وقيل تترى اسم جمع كاسرى وشتى **المعين** الميم فيه زائدة ووزنه مفعول كمخيط وهو

المشاهد

المشاهد به بالعين تقول عاينته ادركته بعينه كقولك كبدته ضربت كبده وادخله الخليل في باب ع ي ن وقيل الميم اصلية من باب معن الشي سهل فوزنه فعيل واجاز الفراء الوجهين **وقال جرير**

ان الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك ما يزال معينا

الغمرة الجهالة رجل غمر جاهل لم يجرب الامور واصله الستر ومنه الغمر للحقد لانه يغطي القلب والغمر للماء الكثير لانه يغطي الارض والغمرة الماء الذي يغمر القامة والغمرات الشدائد ورجل غامر اذا كان يلقي نفسه في المهالك ودخل في غمار الناس اي في زحمتهم **الجؤار** مثل الخوار جار الثور يجار صاح وجار الرجل الى الله تضرع بالدعا قاله الجوهري **وقال الشاعر**

يراوح من صلوات المليك ... فطورا سجودا وطورا جؤارا

وقيل الجؤار الصراخ باستغاثة قال جار ساعات النيام لربه **السامر** مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر كانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر والسمير الرفيق بالليل في السهر ويقال له السما ايضا ويقال لا افعله ما سمر ابنا سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار **نكب** عن الطريق ونكب بالتشديد اذا عدل عنه **اللجاج** في الشي التمادي عليه

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون

هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون الى عشر ايات ومناسبتها لاخر السورة قبلها ظاهرة لانه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا اركعوا الاية وفيها لعلكم تفلحون وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد افلح المؤمنون اخبارا بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح **وقرا** طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد قد افلح المؤمنون بضم الهمزة وكسر اللام مبنيا للمفعول ومعناه ادخلوا في الفلاح فاحتمل ان يكون من فلح لازما ويكون افلح ياتي متعديا ولازما **وقرا** طلحة ايضا قد افلحوا بفتح الهمزة واللام وضم الحاء قال عيسى بن عمر سمعت طلحة ابن مصرف يقرا قد افلحوا المؤمنون فقلت له اتلحن قال نعم كما لحن اصحابي انتهى يعني ان مرجوعه في القراءة الى ما روي وليس بلحن لانه على لغة اكلوني البراغيث وقال الزمخشري او على الابهام والتفسير وقال ابن عطية وهي قراءة مردودة وفي كتاب ابن خالويه مكتوبا بواو بعد الحاء وفي اللوامح وحذفت

واو الجمع بعد الحا لالتقايا في الدرج كانت الكتابة عليها محمولة على الوصل نحو ويمح الله الباطل
وقال الزمخشري وعنه اي عن طلحة انه نصبه بغير واو واجتزا بالضمة عنها **كقوله**
فلو ان الاطبا كان حولي انتهى وليس بجيد لان الواو في افلح حذفت لالتقا الساكنين
وهنا حذفت للضرورة فليست مثلها قال الزمخشري قد نقيضة لما هي تثبت
المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة
وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه انتهى
والخشوع لغة الخضوع والتذلل وللمفسرين فيه هنا اقوال قال عمرو بن دينار هو
السكون وحسن الهيئة وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح وقال مسلم بن
يسار وقتادة تنكيس الراس وقال الحسن الخوف وقال الضحاك وضع اليمين
على الشمال وعن علي ترك الالتفات في الصلوة وعن ابي الدردا اعظام المقام واخلاص
المقال واليقين التام وجمع الاهتمام وفي الحديث انه عليه السلام كان يصلي
رافعا بصره الى السما فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده ومن الخشوع
ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات
والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك
والاختصار وتقليب الحصى وفي التحرير اختلف في الخشوع هل هو من فرايض
الصلوة او من فضايلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب
وهو اول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت وقال الزمخشري
فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم **قلت** لان الصلاة دايرة بين المصلي
والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما
المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل
كاللعب والهزل وما توجب المروة اطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن
الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعهم الوصف بالاعراض عن اللغو
ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بنا التكليف
انتهى واذا تقدم معمول اسم الفاعل جاز ان تقوى تعديته باللام كالفعل وكذلك
اذا تاخر لكنه مع التقديم اكثر فلذلك جا للزكاة باللام ولو جا منصوبا لكان عربيا
والزكوة ان اريد بها التزكية صح نسبة الفعل اليها اذ كل ما يصدر يصح ان يقال
فيه فعل وان اريد بالزكاة قدر ما يخرج من المال للفقير فيكون على حذف اي لادا
الزكاة فاعلون اذ لا يصح فعل الاعيان من المزكي او يضمن فاعلون معنى مودون
وبه شرحه التبريزي وقيل الزكاة العمل الصالح كقوله خيرا منه زكاة اي عملا صالحا
قاله ابو مسلم وقيل الزكاة هنا النما والزيادة واللام لام العلة ومعمول فاعلون
محذوف التقدير والذين هم لاجل تحصيل النما والزيادة فاعلون الخير وقيل
المعروف لا يسمى زكاة حتى تحصل بيد الفقير وقيل الاسمى لسبق الحرمة زكاة
فكان التعبير بالفعل عن اخراجه اولى منه بالادا وفيه رد على بعض زنادقة
الاعاجم الاجانب عن ذوق العربية في قوله الا قال الموذون قال في التحرير
والتحبير وهذا كما قيل الا جعل ولا نقل والكتاب العزيز نزل بافصح اللغات
واصحها بلا خلاف وقد **قال امية بن ابي الصلت**
المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات

ولم يرد

ولم يرد مثله احد من فصحا العرب ولا طعن فيه علما العربية بل جميعهم يحتجون به فيستشهدون
انتهى وقال الزمخشري وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة يعني على ان الزكاة
مرادا بها العين وهو على حذف مضاف اي لادا الزكوات وهذا ذكر بجمعها يعني انها
اذا اريد بها العين صح جمعها واذا اريد بها التزكية لم تجمع لان التزكية مصدر
والمصادر لا تجمع وهذا غير مسلم بل قد جا منها مجموعا الفاظ كالعلوم والحلوم
والاشغال واما اذا اختلفت فالاكثرون على جواز جمعها وهنا اختلفت
بحسب متعلقاتها فاخراج النقد غير اخراج الحيوان وغير اخراج النبات والزكوات
في قول امية مما جا جمعها باعتبار المقادير فلا يتعذر صحة على المخرج جمعه وحفظ
لا يتعدى بعلى فيتقيد على بمعنى من اي الا من ازواجهم كما استعملت من بمعنى
على في قوله ونصرناه من القوم اي على القوم قاله الفرا وتبعه ابن مالك
وغيره والاولى ان يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون او قاصرون
وكلاهما يتعدى بعلى كقوله امسك عليك زوجك وتكلف الزمخشري هنا
وجوها فقال على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين
عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره
كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم
سميت المراة فراشا او متعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل
يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم
غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي
على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت
منك الا فعلك انتهى يعني ان يكون حافظون صورته صورة المثبت وهو
منفي من حيث المعنى اي والذين هم لم يحفظوا فروجهم الا على ازواجهم
فيكون استثنا مفرغا متعلقا فيه على بما قبله كما مثل نشدتك بالله فانه
صورته صورة مثبت ومعناه النفي اي ما طلبت منك وهذه التي ذكرها وجوه
متكلفة ظاهر فيها العجمة وقوله او ما ملكت اريد بها النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم
وقال الزمخشري اريد من جنس العقلا ما يجري مجرى غير العقلا وهم الاناث
انتهى وقوله وهم الاناث ليس بجيد لان لفظ هم مختص بالذكور فكان
ينبغي ان يقول وهو الاناث على لفظ ما او وهن الاناث على معنى ما وهذا
الاستثنا احد يجب الوقوف عنده والشرع خاص بالرجال ولا يجوز لكن
باجماع فلو كانت المراة متزوجة بعبد فمكنته فاعتقته حالة التمكين انفسخ النكاح
عند فقها الامصار وقال النخعي والشعبي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
يبقيان على نكاحهما وفي قوله او ما ملكت ايمانهم دلالة على تحريم وطي ما ملكت باليمين
وهو يختص بالاناث باجماع فكانه قيل او ما ملكت ايمانهم من النسا وفي الجمع
بين الاختين من ملك اليمين وبين المملوكة وعمتها او خالتها خلاف
ويختص ايضا في الاية بتحريم وطي الحايض والامة اذا زوجت والمظاهر منها
حتى يكفر ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة البهايم والاستمنا
ومعنى وراء ذلك وراء هذا الحد الذي حد من الازواج ومملوكات النسا
وانتصابه على انه مفعول بابتغى اي خلاف ذلك وقيل لا يكون ها هنا

الا على حذف تقديره ما وراء ذلك والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى الخضخضة وجلد
عميرة يكنون عن الذكر بعميرة وكان احمد بن حنبل يجيز ذلك لانه فضلة في البدن
فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة وقال حرملة بن عبد العزيز سالت مالكا عن ذلك
فتلا هذه الاية وكان جرى في ذهني كلام مع قاضي القضاة ابي الفتح محمد بن
علي بن مطيع القشيري بن دقيق العيد فاستدل على منع ذلك بما استدل به مالك
من قوله فمن ابتغى وراء ذلك فقلت له ان ذلك خرج مخرج ما كانت العرب
تفعله من الزنا والتفاخر بذلك في اشعارها وكان ذلك كثيرا فيها بحيث كان
في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون ذلك واما جلد عميرة فلم يكن
معهودا فيها ولا ذكره احد منهم في اشعارهم فيما علمناه فليس بمندرج في
قوله وراء ذلك الا ترى ان محل ما ابيح لهم زوجا وهو بنكاح او بتسر فالذي
وراء ذلك هو من جنس ما احل لهم وهو النساء فلا يحل لهم شي منهن الا بنكاح او تسر
والظاهر ان نكاح المتعة لا يندرج تحت قوله فمن ابتغى وراء ذلك لانها ينطلق
عليها اسم زوج وسال الزهري القاسم بن محمد عن المتعة فقال هي محرمة في كتاب
الله وتلا والذين هم لفروجهم حافظون الاية ولا يظهر التحريم من هذه الاية
وقرا ابن كثير وابو عمرو في رواية لاماناتهم بالافراد وباقي السبعة بالجمع
والظاهر عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن الله عليه العبد من قول وفعل
واعتقاد فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والمتروك وما ائتمنه الانسان
قبل ويحتمل الخصوص في امانات الناس والامانة هي الشي المؤتمن عليه ومن امانه
ائتمن عليه الحفظ الى ان يؤدي والامانة ايضا المصدر وقال تعالى ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها والمؤدي هو العين او المؤتمن عليه او القول
ان كان المؤتمن عليه لا المصدر وقرا الاخوان على صلاتهم بالتوحيد وباقي
السبعة بالجمع والخشوع والمحافظة متغايران بدئ اولا بالخشوع وهو الجامع
للمراقبة القلبية والتذلل بالافعال البدنية وثني بالمحافظة وهي تاديتها
في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه واداء اركانها
على احسن هيئاتها ويكون ذلك دابه في كل وقت قال الزمخشري ووحدت
اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة
على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة
الجمعة والعيدين والجنائز والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى
والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك اي
الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء ان يسموا وراثا دون
من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاءت فخامة
وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث تقدم في سورة مريم انتهى
وتقدم الفردوس في اخر الكهف ولقد خلقنا الانسان الاية لما ذكر تعالى
ان المتصفين بتلك الاوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس
فتضمن ذلك المعاد الاخراوي ذكر النشاة الاولى ليستدل
بها على صحة النشاة الاخرة وقال ابن عطية هذا ابتداء كلام
والواو في اوله عاطفة جملة كلام على جملة وان تباينت

في

في المعاني انتهى وقد بينا المناسبة بينهما ولم تتباين في المعاني من
جميع الجهات والانسان هنا قال قتادة وغيره ورواه عن
سلمان وابن عباس ادم لانه انسل من الطين ثم جعلناه عائد
على ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر وان المعنى لا يصلح
الا له ونظيره حتى توارت بالحجاب او على حذف مضاف
اي ثم جعلنا نسله وعن ابن عباس ايضا ان الانسان بنو ادم
والسلالة من طين صفوة الماء يعني المني وهو اسم جنس الطين
يراد به ادم اذ كانت نشاته من الطين كما سمي عرق الثرى
او جعل من الطين لكونه سلالة من ابويه وهما متغذيان
بما يكون من الطين وقال الزمخشري خلق جوهر الانسان
اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى فجعل
الانسان جنسا باعتبار حاليه وباعتبار كل منهما ومن
الاولى لابتداء الغاية ومن الثانية قال الزمخشري
للبيان كقوله من الاوثان انتهى ولا تكون للبيان الا على
تقدير ان تكون السلالة هي الطين اما اذا قلنا انه ما انسل
من الطين فتكون لابتداء الغاية والقرار مكان الاستقرار والمراد
هنا الرحم والمكين المتمكن وصف القرار به لتمكنه في نفسه
بحيث لا يعرض له اختلال او لتمكن من يحل فيه فوصف بذلك
على سبيل المجاز كقولهم طريق سائر لكونه يسار فيه وتقدم تفسير
النطفة والعلقة والمضغة وقرا الجمهور عظاما والعظام
بالجمع فيهما وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم وابان
والمفضل والحسن وقتادة وهرون والجعفي ويونس عن
ابي عمرو وزيد بن علي بالافراد فيهما وقرا السلمي
وقتادة ايضا والاعرج والاعمش ومجاهد وابن محيصن
بافراد الاول وجمع الثاني وقرا ابو رجاء وابراهيم
ابن ابي بكر ومجاهد ايضا بجمع الاول وافراد الثاني
فالافراد يراد به الجنس وقال الزمخشري وضع
الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام
كثيرة انتهى وهذا لا يجوز عند س واصحابنا الا في
الضرورة وانشدوا: كلوا في بعض بطنكم تعفوا
ومعلوم ان هذا لا يلبس عندهم لانهم كلهم ليس لهم
بطن واحد ومع هذا خصوه بالضرورة ثم انشاناه
خلقا اخر قال ابن عباس والشعبي وابو العالية والضحاك
وابن زيد هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا
خروجه الى الدنيا وقالت قتادة نبات شعره
وقال مجاهد كمال شبابه وقال ابن عباس ايضا تصرفه
في امور الدنيا قال ابن عطية وهذا التخصيص لا وجه

له وانما هو جماد في هذا وغيره من وجود النطق والادراك واول
رتبته من كونه آخر نفخ الروح وآخره تحصيله المعقولات
الي ان يموت انتهى ملخصاً وهو قريب مما رواه العوفي
عن ابن عباس ويدل عليه قوله بعد ذلك ثم انكم بعد
ذلك لميتون **وقال الزمخشري** ما ملخصه خلقا آخر
مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا
ناطقا سميعا بصيرا واودع كل عضو وكل جزء منه عجايب
وغرايب لا تدرك بوصف ولا تبلغ بشرح وقد احتج
ابو حنيفة بقوله خلقا آخر على ان من غصب بيضة فافرخت
عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ وقال انشاناه جعل
انشا الروح فيه وانما هو خلقه انشاه فيكون في هذا
رد على النظام في زعمه ان الانسان هو الروح فقط وقد
بين تعالى انه مركب من هذه الاشيا ورد على الفلاسفة
في زعمهم ان الانسان شي لا ينقسم وتبارك فعل ماض لا يتصرف
ومعناه تعالى وتقدس واحسن الخالقين افعل التفضيل
والخلاف فيها اذا اضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة
ام لا تقدم واحسن خبر مبتدا محذوف تقديره هو
احسن الخالقين ومعنى الخالقين المقدرين وهو صفة
مطلق على غير الله تعالى كما **قال الشاعر**
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
قال الاعلم هذا مثل ضربه يعني تقديرا والخالق الذي يقدر
الاديم ويهيئه لان يقطعه ويخرزه والفري القطع والمعنى
انك اذا تهيأت لامر مضيت له وانفذته ولم تعجز عنه
وقال ابن عطية معناه الصانعين يقال لمن صنع شيا
خلقه وانشد بيت زهير قال ولا تنتفي هذه اللفظة من
البشر في معنى الصنع انما هي منتفية بمعنى الاختراع وقال
ابن جريج قال الخالقين لانه اذن لعيسى في ان يخلق
وتمييز افعل التفضيل محذوف لدلالة الخالقين عليه
اي احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا
وروي ان عمر لما سمع ولقد خلقنا الانسان الى آخر
قال فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت وروي
ان قايل ذلك معاذ وقيل عبد الله بن ابي سرح وكانت
سبب ارتداده ثم اسلم وحسن اسلامه **وقرا**
زيد بن علي وابن ابي عبلة وابن محيصن لمايتون
بالالف يريدون حدوث الصفة فيقال انت مايت
عن قليل وميت ولا يقال مايت للذي قد مات قال
الفرا انما يقال في الاستقبال فقط وكذا قال ابن مالك
واذا

واذا قصد استقبال المصوغة من ثلاثي على فاعل ردت اليه ما لم يقدر
الوقوع يعني انه لا يقال لمن مات ثم مايت **وقال**
الزمخشري والفرق بين الميت والمايت ان الميت كالحي
صفة ثابتة واما المايت فيدل على الحدوث تقول زيد
مايت الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق
وضايق في قوله وضايق به صدرك **انتهى** والاشارة بقوله بعد ذلك
الى هذا التطوير والانشاء خلقا آخر اي وانقضاء مدة
حياتكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون ونبه **تعالى**
على عظيم قدرته بالاختراع اولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد
وذكره والبعث لا يرد على انتفا الحيوة في القبر لان المقصود
ذكر الاجناس الثلاثة الانشا والاماتة والاعادة والحياة
في القبر من جنس الاعادة ومعنى تبعثون للجزاء **فان**
قلت الموت مقطوع به عند كل احد والبعث قد
انكرته طوايف واستبعدته وان كان مقطوعا به من
جهة الدليل لامكانه في نفسه ومجي السمع به فوجب القطع
به فما بال جملة الموت جات مؤكدة بان وباللام ولم تؤكد
جملة البعث بان **فالجواب** انه بولغ في تاكيد ذلك
تنبيها للانسان ان يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن
ترقبه فان ماله اليه فكانه اكدت جملته ثلاث مرار
لهذا المعنى لان الانسان في الحياة الدنيا يسعى فيها غاية
السعي ويكد ويجمع حتى كانه مخلد فيها فنبه بذكر الموت مؤكدا
مبالغة تنبيه ليقصر وليعلم ان آخره الى الفنا فيعمل لدار البقا
ولم تؤكد جملة البعث الا بان لانه ابرز في صورة المقطوع
به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وانه حتم لا بد
من كونه فلم يحتج الى توكيد ثان وكنت سئلت لم دخلت
اللام في قوله لميتون ولم تدخل في تبعثون **فاجبت**
بان اللام مخلصة المضارع للحال غالبا فلا تجامع يوم
القيامة لان اعماله تبعثون في الظرف المستقبل مخلصة
للاستقبال فتنافي الحال وانما قلت غالبا لانه قد جاءت
قليلا مع الظرف المستقبل كقوله تعالى وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون على انه
يحتمل تاويل هذه الاية واقرار اللام مخلصة المضارع
للحال بان يقدر عامل يوم القيامة **قوله عز**
وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق وما كنا
عن الخلق غافلين وانزلنا من السما ماء بقدر
فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به

لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها
فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء
تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وإن لكم في الأنعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون
وعليها وعلى الفلك تحملون لما ذكر ابتداء خلق الإنسان
وانتهاء أمره ذكر نعمته وسبع طرائق السموات قيل لها
طرائق لتطارق بعضها فوق بعض طارق النعل جعله
على نعل فطارق بين نوبين لبس أحدهما على الآخر
قاله الخليل والفراء والزجاج كقوله طباقا وقيل لأنها
طرائق الملائكة في العروج وقيل لأنها طرائق الكواكب
في سيرها وقيل لأن لكل سماء طريقة وهيئة غير هيئة
الأخرى قال ابن عطية ويجوز أن تكون الطرائق بمعنى
المبسوطات من طرق الشيء وما كنا عن الخلق غافلين
نفى تعالى عنه الغفلة عن خلقه وهو ما خلقه تعالى
فهو حافظ السموات من السقوط وحافظ عباده بما يصلحهم
أي هم بمرأى منا ندبرهم كما نشاء بقدر بتقدير منا
معلوم لا يزيد ولا ينقص بحسب حاجات الخلق ومصالحهم
فأسكناه في الأرض أي جعلنا مقره في الأرض وعن
ابن عباس أنزل الله من الجنة خمسة أنهار جيحون
وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي قوله فأسكناه
في الأرض دليل على أن مقر ما نزل من السماء هو في الأرض
فمنه الأنهار والعيون والآبار وكما أنزله تعالى
بقدرته هو قادر على إذهابه قال الزمخشري على
ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى
على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه انتهى
وذهاب مصدر ذهب والباء في به للتعدية مرادفة
للهمزة كقوله لذهب بسمعهم أي لأذهب سمعهم وفي ذلك
وعيد وتهديد أي في قدرتنا إذهابه فتهلكون
بالعطش أنتم ومواشيكم وهذا أبلغ في الإيعاد من قوله
قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء
معين وقال مجاهد ليس في الأرض ماء إلا وهو
من السماء قال ابن عطية ويمكن أن يقيد هذا
بالعذب وإلا فالأجاج ثابت في الأرض مع القحط
والعذب يقل مع القحط وأيضا فالأحاديث
تقتضي أن الماء الذي كان قبل خلق السموات والأرض
ولا محالة أن الله قد جعل في الأرض ماء وأنزل من

السماء

السماء انتهى وقيل ما أنزل من السماء أصلا إلا من البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر إلى السماء
حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم أنزله إلى الأرض لينتفع به ولو كان باقيا على حاله ما انتفع به
من ملوحته ولما ذكر تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال فأنشأنا لكم به جنات ووصف هذه
الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزيتون لأنها أكرم الشجر وأجمعها للمنافع ووصف
النخل والعنب بقوله لكم فيها إلى آخره لأن ثمرهما جامع بين أمرين أنه فاكهة يتفكه بها
وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح
للاستصباح والاصطباغ جميعا ويحتمل أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم
فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها
طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم
منها ترتزقون وتتعيشون قاله الزمخشري وقال الطبري وذكر النخيل والأعناب
لأنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما والضمير في ولكم فيها عائد على الجنات
وهو أعم لسائر الثمرات ويجوز أن يعود على النخيل والأعناب وعطف وشجرة على
جنات وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشام وقال الجمهور سيناء اسم الجبل كما تقول
جبل أحد من إضافة العام إلى الخاص وقال مجاهد يعني سيناء مبارك وقال قتادة معناه
الحسن والقولان عن ابن عباس وقيل الحسن بالحبشية وقيل بالنبطية وقال معمر عن
فرقة معناه ذو شجر وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها
عنده قاله مجاهد أيضا وقرأ الحرميان وأبو عمرو والحسن بكسر السين وهي لغة
لبني كنانة وقرأ عمر بن الخطاب وباقي السبعة بالفتح وهي لغة سائر العرب وقرأ
سيني مقصورا وبفتح السين الأعمش أن سيناء اسم بقعة وأنه ليس مشتقا من
السنا لاختلاف المادتين على تقدير أن يكون سيناء عربي الوضع لأن نون السناء في
الكلمة وعين سيناء ياء وقرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء والباء في بالدهن
على هذا للحال أي تنبت مصحوبة بالدهن أي ومعها الدهن وقرأ ابن كثير وأبو
عمرو وسلام وسهل ورويس والجحدري بضم التاء وكسر الباء فقيل بالدهن مفعول والباء
زائدة التقدير وتنبت الدهن وقيل المفعول محذوف أي تنبت جناها وبالدهن
في موضع الحال من المفعول المحذوف أي تنبت جناها ومعه الدهن وقيل أنبت
لازم كنبت فيكون الباء للحال وكان الأصمعي ينكر ذلك ويتهم من روى في بيت زهير
قطينا بها حتى إذا أنبت البقل بلفظ أنبت وقرأ الحسن والزهري وابن هرمز
بضم التاء وفتح الباء مبنيا للمفعول وبالدهن حال وقرأ زر بن حبيش بضم التاء
وكسر الباء الدهن بالنصب وقرأ سليمان بن عبد الملك والأشهب بالدهان
بالألف وما رووا من قراءة عبد الله يخرج الدهن وقراءة أبي تثمر بالدهن
محمول على التفسير لمخالفته سواد المصحف المجمع عليه ولأن الرواية الثابتة عنهما
كقراءة الجمهور والصبغ الغمس والائتدام وقال مقاتل الصبغ الزيتون والدهن
الزيت جعل تعالى في هذه الشجرة أداما ودهنا قال الكرماني القياس أن يكون
الصبغ غير الدهن لأن المعطوف غير المعطوف عليه وقرأ الأعمش وصبغا
بالنصب وقرأ عامر بن عبد الله وصباغ بالألف فالنصب عطف على موضع
بالدهن كان في موضع الحال أو في موضع المفعول والصباغ كالدبغ والدباغ
وفي كتاب ابن عطية وقرأ عامر بن عبد قيس ومتاعا للآكلين كأنه يريد

تنبيه الصبغ ذكر تعالى شرف مغرس هذه الشجرة وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ثم
ذكر ما فيها من الدهن والصبغ ووصفها بالبركة في قوله من شجرة مباركة زيتونة قيل
وهي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها تقدم
تفسير نظير هذه الجملة في النحل وذكر فيها منافع من الحمل والركوب والحرث والانتفاع
بجلودها واوبارها ونبه على اعظم فوائدها والزمها وهو الشرب والاكل وادرج
باقي المنافع في قوله ولكم فيها منافع كثيرة ثم ذكر ما تكاد تختص به بعض الانعام
وهو الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفاين البر كما ان الفلك سفاين البحر قال
ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدح ناقته ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان
يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار
التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه
القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لايات
وان كنا لمبتلين لما ذكر تعالى ابتداء الانسان وتطوره في تلك الاطوار وما
امتن به عليه مما جعل تعالى سببا لحياتهم وادراك مقاصدهم ذكر امثالا لكفار قريش
من الامم السابقة المنكرة لارسال الله رسلا المكذبة بما جاءتهم به الانبياء عن الله فابتدا
قصة نوح لانه ابو البشر الثاني كما ذكر اولا ادم في قوله من سلالة من طين ولقصته
ايضا مناسبة بما قبلها اذ قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر قصة من صنع الفلك اولا
وانه كان سبب نجاة من امن وهلاك من لم يكن فيه فالفلك من نعمة الله كل هذه
القصص تحذير لقريش نقم الله وتذكيرهم نعمه ما لكم من اله غيره جملة مستانفة
منبهة على ان المنفرد بالعبادة من كان منفردا بالالهية فكانها تعليل لقوله اعبدوا
الله افلا تتقون اي افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا اي كبراء الناس
وعظماؤهم وهم الذين هم اعمى الناس وابعدهم لقبول الخير ما هذا الا بشر مثلكم
اي يساويكم في البشرية فانى تكون له اختصاص بالرسالة يريد ان يتفضل عليكم
اي يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله وتكون لكما الكبرياء في الارض ولو شاء الله لانزل
ملائكة هذا يدل على انهم كانوا مقرين بالملائكة وهذه شنشنة قريش ودابها
في استبعاد ارسال الله البشر والاشارة في بهذا يحتمل ان تكون لنوح وان تكون الى
ما كلمهم به من الامر بعبادة الله ورفض اصنامهم وان يكون الى ما اتى به من
انه رسول الله وهو بشر والمعنى بمثل هؤلاء استبعدوا رسالة البشر واعتقدوا
الالهية الحجر وقولهم ما سمعنا بهذا الظاهر انهم كانوا شاهدين والا فنوح وادريس
وادم لم تكن المدة بينها وبينهم متطاولة بحيث تنسى فدفعوا الحق بما امكنهم دفاعه
ولهذا قالوا ان هو الا رجل به جنة ومعلوم عندهم انه ليس بمجنون فتربصوا
به اي انتظروا حاله حتى يجلي امره وعاقبة ضره فدعا ربه تعالى بان ينصره ويهلكهم

بهم

بهم بسبب ما كذبوه وقال الزمخشري بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه
والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب
وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انتهى وقرا
ابو جعفر وابن محيصن قال رب بضم الباء وتقدم توجيهه في قوله قل رب احكم
بالحق وتقدم الكلام على تفسير اكثر الفاظ هذه الاية في سورة هود ونهاه تعالى
ان يخاطبه في شوسه بدعا بنجاة او غيره وبين علة النهي بانه تعالى قد حكم عليهم
بالاغراق وامره تعالى بان يحمده على نجاته وهلاكهم وكان الامر له وحده وان
كان الركب قد شمله ومن معه لانه نبيهم وامامهم وهم متبعوه في ذلك اذ هو
قدوتهم قال ابن عطية فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا الربوبية وان
رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي انتهى وامره ان يدعو بان ينزله
منزلا مباركا قيل وقال ذلك عند الركوب في السفينة وقيل عند الخروج منها
وقرا الجمهور منزلا بضم الميم وفتح الزاي فجاز ان يكون مصدرا ومكانا اي
انزالا او موضع انزال وقرا ابو بكر والمفضل وابو حيوة وابن ابي عبلة وابان
بفتح الميم وكسر الزاي اي مكان نزول ان في ذلك خطاب للرسول عليه السلام اي ان
فيما جرى على هذه الامة من نوح لايات وعبرا وان كنا لمبتلين اي لمصيبين قوم نوح
ببلاء عظيم او لمختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله ولقد تركناها اية
فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين
كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم
اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن
له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ذكر
هذه القصة عقيب قصة نوح والظاهر ان هؤلاء هم قوم هود والرسول هو هود
وهو قول الاكثرين وقال ابو سليمان الدمشقي والطبري هم ثمود والرسول
صالح هلكوا بالصيحة وفي اخر القصة فاخذتهم الصيحة ولم يات ان قوم هود
هلكوا بالصيحة وقصة قوم هود جاءت في الاعراف وفي هود وفي الشعراء اثر
قصة قوم نوح وقال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح والاصل
في ارسل ان يتعدى بالى كاخواته وجه وانفذ وبعث وهنا عدي بفي جعلت
الامة موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام
وجاء بعث كذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
وان في ان اعبدوا يجوز ان تكون مفسرة وان تكون مصدرية وجاء هنا وقال الملا
بالواو وفي الاعراف وسورة هود في قصة نوح بغير واو وقصد في الواو العطف على
ما قاله اي اجتمع قوله الذي هو حق وقولهم الذي هو باطل وكان ذلك
تباين الحالين والتي بغير واو قصد به الاستئناف وكانه جواب لسؤال

متعناهم اي مما كان فتولهم قال وقالوا كيت وكيت بلقاء الآخرة اي بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب فيها واترفناهم اي بسطنا لهم الآمال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة ان تكون معطوفة على صلة الذين وكان العطف مشعرا بغلبتهم التكذيب والكفر اي الحامل لهم على ذلك كوننا نعمناهم واحسنا اليهم وكان ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك وهو ان يقابلوا نعمتنا بالايمان وتصديق من ارسلناه اليهم وان تكون جملة حالية اي وقد اترفناهم اي كذبوا في هذه الحال ويؤول هذا المعنى الى المعنى الاول اي كذبوا في حال الاحسان اليهم وكان ينبغي ان لا يكفروا وان يشكروا النعمة بالايمان والتصديق لرسلي وقوله يأكل مما تأكلون منه تحقيق للبشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم وان لا مزية له عليهم والظاهر ان ما موصولة في قوله مما تشربون وان العائد محذوف والتقدير مما تشربون منه لوجود شرائط الحذف وهو اتحاد المتعلق والمتعلق كقولك مررت بالذي مررت وحسّن هذا الحذف ورجحه كون تشربون فاصلة ولدلالة منه عليه في قوله مما تأكلون منه وفي التحرير عن الفراء ان معنى قوله ويشرب مما تشربون على حذف اي مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كانت مصدرا لم يحتج الى عائد فان جعلتها بمعنى الذي حذفت المفعول ولم يحتج الى اضمار من انتهى يعني انه يصير التقدير مما تشربونه فيكون المحذوف ضميرا متصلا وشروط جواز الحذف فيه موجودة وهذا تخريج على قاعدة البصريين الا انه يفوت فصاحة معادلة التركيب الا ترى انه قال مما تأكلون منه فعداه بمن التبعيضية فالمعادلة تقتضي ان يكون التقدير مما تشربون منه فلو كان التركيب مما تأكلونه لكان تقدير تشربونه هو الراجح وقال الزمخشري حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه انتهى فقوله حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف معناه مما تشربونه فرم بقوله من مشروبكم لان الذي تشربونه هو مشروبكم وقال الزمخشري اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم انتهى وليس اذن واقعا في جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل ان الموطئة ولو كانت انكم والخبر جزاء للشرط للزمت الفاء في انكم بل لو كان بالفاء في تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب جائزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطأ واختلف المعربون في تخريج انكم الثانية والمتحصل عن سيبويه ان انكم بدل من الاولى وفيها معنى التأكيد وخبر انكم الاولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون اذا متم وهذا الخبر المحذوف هو العامل في اذا وذهب الفراء والجرمي والمبرد الى ان انكم الثانية كررت للتأكيد لما طال الكلام حسن التكرار وعلى هذا يكون مخرجون خبر انكم الاولى والعامل في اذا هو هذا الخبر وكان المبرد يأبى البدل لكونه في غير مستقل اذ لم يذكر خبر ان الاولى وذهب الاخفش الى ان انكم مخرجون مقدر بمصدر مرفوع بفعل محذوف تقديره يحدث اخراجكم فعلى هذا التقدير يجوز ان تكون الجملة الشرطية خبرا لانكم ويكون جواب اذا ذلك الفعل

المحذوف

المحذوف وقد يجوز ان يكون ذلك الفعل المحذوف هو خبر انكم ويكون عاملا في اذا وذكر الزمخشري قول المبرد باديا به فقال ثنى انكم للتوكيد وحسّن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول وهذا قول المبرد ثم قال الزمخشري او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم انتهى وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه قال او رفع اخراجكم بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم انتهى وهذا قول الاخفش الا انه حتم ان تكون الجملة الشرطية خبرا عن انكم ونحن جوزنا في قول الاخفش هذا الوجه وان يكون خبر انكم ذلك الفعل المحذوف وهو العامل في اذا وفي قراءة عبد الله ايعدكم اذا متم باسقاط انكم الاولى وقرا الجمهور هيهات هيهات بفتح التاءين وهي لغة الحجاز وقرا هارون عن ابي عمرو بفتحهما منونتين ونسبها ابن عطية لخالد بن الياس وقرا ابو حيوة بضمهما من غير تنوين وعنه بضم الآخر والتنوين ووافقه ابو السمال في الاول وخالفه في الثاني وقرا ابو جعفر وشيبة بكسرهما من غير تنوين وروي هذا عن عيسى وهي في تميم واسد وعنه ايضا وعن خالد بن الياس بكسرهما والتنوين وقرا خارجة بن مصعب عن ابي عمرو والاعرج وعيسى ايضا باسكانهما وهذه الكلمة تلاعبت بها العرب تلاعبا كثيرا بالحذف والابدال والتنوين وغيره وقد ذكرنا في التكميل شرح التسهيل ما ينيف على اربعين لغة ومن ذلك انها اذا نونت وكسرت او كسرت ولم تنون لا تكون جمعا لهيهات ومذهب سيبويه انها جمع لهيهات وكان حقها عنده ان تكون هيهيات الا ان ضعفها لم يقتض اظهار الياء قال سيبويه هي مثل بيضات يعني في انها جمع فظن بعض النحاة انه اراد في اتفاق المفرد فقال واحد هيهات هيهة وتحرير هذا كله مذكور في علم النحو ولا تستعمل هذه الكلمة غالبا الا مكررة وجاءت غير مكررة في قول جرير وهيهات خل بالعقيق نواصله وقوله راجزه هيهات من منخرق هيهاؤه وهيهات اسم فعل لا يتعدى يرفع الفاعل ظاهرا ومضمرا وهنا جاء التركيب هيهات هيهات لما توعدون لم يظهر الفاعل فوجب ان يعتقد انه مضمر تقديره هو اي اخراجكم وجاءت اللام للبيان اي اعني لما توعدون لم يقصد سقيا لك فتتعلق بمحذوف وبيّنت المستبعد ما هو بعد اسم الفعل الدال على البعد كما جاءت في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج البعد لما توعدون وينبغي ان يجعل كلامه تفسير معنى لا تفسير اعراب لانه لم يثبت مصدرية هيهات وقول الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر ليس بواضح لانهم قد نونوا اسماء الافعال ولا تقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر وقال ابن عطية طورا تلي الفاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد اي بعد واحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون انتهى وهذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه انه مصدر حذف وابقي معموله ولا يجيز البصريون شيئا من هذا وقال ابن عطية ايضا في قراءة من ضم ونون انه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون اي البعد لوعدكم كما تقول النجح لسعيك وقال صاحب اللوامح فاما من رفع ونون احتمل ان يكون اسما متمكنا مرتفعا بالابتداء وما بعدها خبرها من حروف الجر بمعنى البعد

لما توعدون والتكرار للتاكيد ويجوز ان يكونا اسما للفعل والضم للبناء مثل حوب في زجر
الابل لكنه نون لكونه نكرة انتهى وقرا ابو حيوة هيهات هيهات ما توعدون
بغير لام وتكون ما فاعلة بهيهات وهي قراءة واضحة وقالوا ان هي هذا الضمير
يفسره سياق الكلام لانهم قبل انكروا المعاد فقالوا ايعدكم انكم الاية فاستفهموا
استفهام استبعاد وتوقيف واستهزا فتضمن ان لا حياة الا حياتهم وقال
الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة
الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه
هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه
الحياة الدنيا لان ان النافية دخلت على هي التي هي في معنى الحياة الدالة
على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى
اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن وياتي قرن انتهى ثم اكدوا
ما حصروه من ان لا حياة الا حياتهم وصرحوا بانتفا بعثهم من قبورهم للجزا
وهذا هو كفر الدهرية ثم نسبوه الى افترا الكذب على الله في انه نباه وارسله
الينا وانه انا نبعث وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين ولما ايس من ايمانهم
وراى اصرارهم على الكفر دعا عليهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم قال عما قليل
اي عن ومن قليل وما توكيد للقلة وقليل صفة لزمن محذوف وفي معناه
قريب قيل اي بعد الموت يصيرون نادمين وقيل عما قليلا اي وقت نزول
العذاب في الدنيا وظهور علاماتها والندامة على ترك قبول ما جاهم به
رسولهم حيث لا ينفع الرجوع واللام في ليصبحن لام القسم وعما قليل متعلق
بما بعد اللام اما بيصبحن لام القسم وعما قليل متعلق بما بعد اللام اما بيصبحن واما
بنادمين وجاز ذلك لانه جار ومجرور ويتسامح في المجرورات والظروف ما لا
يتسامح في غيرها الا ترى انه لو كان مفعولا به لم يجز تقديمه لو قلت لاضربن
زيدا لم يجز زيدا لاضربن وهذا الذي قررناه من ان عما قليل يتعلق بما بعد
لام القسم هو قول بعض اصحابنا وجمهورهم على ان لام القسم لا يتقدم شي
من معمولات ما بعدها عليها سوا كان ظرفا ام مجرورا ام غيرهما فعلى قول
هؤلاء يكون عما قليل يتعلق بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره عما قليل
تنصر لان قبله قال رب انصرني وذهب الفرا وابو عبيدة الى جواز تقديم
معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقا وفي اللوامح عن بعضهم لتصبحن بتا
على المخاطبة فلو ذهب ذاهب الى ان القول من الرسول الى الكفار بعد
ما اجيب دعاوه لكان جائزا والله اعلم انتهى فاخذتهم الصيحة قال الزمخشري
صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك
او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم
بالغثا في دمارهم وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان انتهى
وعن ابن عباس الصيحة الرجفة وقيل هي نفس العذاب والموت وقيل العذاب
المصطلم قال الشاعر صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان
وقال المفضل بالحق بما لا مدفع له كقوله وجات سكرة الموت بالحق وانتصب
بعدا بفعل متروك اظهاره اي بعدوا بعدا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا

نحو

نحو رشد رشدا ورشدا وقال الحوفي للقوم متعلق ببعدا وقال الزمخشري للقوم
الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون انتهى ثم انشانا
من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ثم ارسلنا
رسلنا تترى كلما جا امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
احاديث فبعدا لقوم لا يومنون ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا
انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين
ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه
اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون
فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قرونا قال ابن عباس هم بنو اسرايل
وقيل قصة لوط وشعيب وايوب ويونس صلوات الله عليهم ما تسبق الى اخر
الاية تقدم الكلام عليها في الحجر ثم ارسلنا رسلنا تترى اي لامم اخرين انشاناهم
بعد اولئك وقرا ابن كثير وابو عمرو وقتادة وابو جعفر وشيبة وابن محيصن
والشافعي تترى منونا وباقي السبعة بغير تنوين وانتصب على الحال اي متواترين
واحدا بعد واحد واضاف الرسل اليه تعالى واضاف رسولا الى ضمير الامة المرسل
اليها لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه
فالاول كانت الاضافة لتشريف الرسل والثاني كانت الاضافة الى الامة
حيث كذبته ولم تنجع فيهم رسالته اليهم فناسب الاضافة اليهم فاتبعنا
بعضهم اي بعض القرون او بعض الامم بعضا في الاهلاك الناشي عن التكذيب
واحاديث جمع حديث وهو جمع شاذ وجمع احدوثة وهو جمع قياسي والظاهر
ان المراد الثاني اي صاروا احاديث يتحدث بهم في الاهلاك على سبيل التعجب
والاعتبار وضرب المثل بهم وقال الاخفش لا يقال هذا الا في الشر ولا يقال في
الخير قيل ويجوز ان يكون جمع حديث والمعنى انه لم يبق منهم عين ولا اثر
الا الحديث عنهم وقال الزمخشري الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه
احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وافاعيل ليس من ابنية
اسم الجمع وانما ذكره اصحابنا فيما شذ كقطيع واقاطيع واذا كان عباديد قد
حكموا عليه بانه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرنا باياتنا قال ابن عباس هي
التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنون
ونقص من الثمرات وسلطان مبين قيل هي العصا واليد وهما اللتان
اقترن بهما التحدي ويدخل في عموم اللفظ سائر اياتهما كالبحر والمرسلات
الست واما غير ذلك مما جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك
لفرعون بل هي خاصة ببني اسرايل وقال الحسن باياتنا اي بديننا وسلطان
مبين هو المعجز ويجوز ان يراد بالايات نفس المعجزات وسلطان مبين
كيفية دلالتها لانها وان شاركت ايات الانبيا فقد فارقتها في قوة دلالتها

على قول من كان عليه السلام قيل ويجوز أن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها كانت أم
آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها
ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بالضرب بها وكونها
حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشا جعلت كأنها ليست بعض الآيات
لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله وجبريل وميكال ويجوز
أن يراد بسلطان مبين الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة فاستكبروا
عن الإيمان بموسى وأخيه أنفة وكانوا قوما عالين أي رفيعي الحال في الدنيا أو
متطاولين على الناس قاهرين بالظلم أو متكبرين كقوله إن فرعون علا
في الأرض أي وكان من شأنها التكبر والبشر يطلق على المفرد والجمع كقوله
فإما ترين من البشر ولما أطلق على الواحد جازت تثنيته فلذلك كالبشر
ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولا يؤنث وقد
يطابق تثنية وجمعا وقومهما أي بنو إسرائيل لنا عابدون أي خاضعون
متذللون أو لأنه كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له
عبادة على الحقيقة وقال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان للملك عابدا ولما
كان ذلك الإهلاك كالمعلول للتكذيب أعقبه بالفاء أي فكانوا ممن حكم
عليهم بالغرق إذ لم يحصل الغرق عقيب التكذيب موسى الكتاب أي قوم موسى
والكتاب التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله لعلهم
ولا يصح عود هذا الضمير في لعلهم على فرعون وقومه لأن الكتاب لم
يؤته موسى إلا بعد هلاك فرعون ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد
ما أهلكنا القرون الأولى لعلهم ترجٍّ بالنسبة إليهم لعلهم يهتدون
لشرائعها ومواعظها وجعلنا ابن مريم وأمه آية أي قصتهما وهي آية عظمى
بمجموعها أو هي آيات مع التفصيل ويحتمل أن يكون حذف من الأول آية
لدلالة الثاني أي وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية والربوة هنا قال ابن
عباس وابن المسيب الغوطة بدمشق وصفتها أنها ذات قرار ومعين على
الكمال وقال أبو هريرة رملة فلسطين وقال قتادة وكعب بيت المقدس
وزعم أن في التوراة أن بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء وأنه يزيد على
أعلى الأرض ثمانية عشر ميلا وقال ابن زيد ووهب الربوة بأرض مصر وسبب
هذا الإيواء أن ملك ذلك الزمان عزم على قتل عيسى ففرت به أمه إلى أحد هذه
الأماكن التي ذكرها المفسرون وقرأ الجمهور ربوة بضم الراء وهي لغة
قريش والحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم وابن عامر بفتحها وأبو إسحاق السبيعي
بكسرها وابن أبي إسحاق رباوة بضم الراء وبالألف وزيد بن علي والأشهب
العقيلي والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح بفتحها وبالألف
وقرئ بكسرها وبالألف ذات قرار أي مستوية يمكن القرار فيها
للحرث والغراسة والمعنى أنها من البقاع الطيبة وعن قتادة ذات
ثمار وماء يعني لأنها لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها وكذا الرسل وخطابهم
بمعنى نداء كل واحد وخطابه في زمانه إذ لم يجتمعوا في زمان واحد فينادوا

ويتخاطبون

ويتخاطبون فيه وإنما أتى بصيغة الجمع ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل
ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وجاء بلفظ الجمع تنبيها مقام الرسل وقيل لعيسى بذلك أن هذه ترتيبة كان يرون
كما تقول تخاطب تاجرا يا تجار اتقوا الربا وقال الطبري الخطاب لعيسى وروي
أنه كان يأكل من غزل أمه والمشهور من بقل البرية قال الزمخشري ويجوز أن
يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية
أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا
فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل والطيبات الحلال لذيذا
كان أو غير لذيذ وقيل ما يستطاب ويستلذ من المأكل والفواكه ويشهد له
ذات قرار ومعين وقدم الأكل من الطيبات على العمل الصالح دلالة
على أنه لا يكون صالحا إلا مسبوقا بأكل الحلال إني بما تعملون عليم تحذير في الظاهر
والمراد أتباعهم وإن هذه أمتكم الآية تقدم تفسير مثلها في أواخر الأنبياء
وقرأ الكوفيون وإن بكسر الهمزة وإن شدد على الاستئناف والحرميان
وأبو عمرو بالفتح والتشديد أي ولأن وابن عامر بالفتح والتخفيف وهي
المخففة من الثقيلة وتدل على أن الله الرسل يؤدي كل واحد منهم في زمانه
قوله وإن هذه أمتكم وقوله فتقطعوا وقال هنا وأنا ربكم فاتقون وهو أبلغ
في التخويف والتحذير من قوله في الأنبياء فاعبدون لأن هذه جاءت عقيب
إهلاك طوائف كثيرين قوم نوح والأمم الذين من بعدهم وفي الأنبياء وإن
تقدمت أيضا قصة نوح وما قبلها فإنه جاء بعدها ما يدل على الإحسان
واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الأمر بالعبادة
لمن هذه صفته تعالى وجاء هنا فتقطعوا بالفاء إيذانا بأن التقطيع اعتقب
الأمر بالتقوى وذلك مبالغة في عدم قبولهم وفي نفارهم عن توحيد الله
وعبادته وجاء في الأنبياء بالواو فاحتمل معنى الفاء واحتمل تأخر تقطعهم عن
الأمر بالعبادة وفرح كل حزب بما لديه دليل على نعمته في ضلاله وأنه هو
الذي ينبغي أن يعتقد وكأنه لا ريبة عنده في أنه الحق ولما ذكر تعالى من ذكر
من الأمم وما آل أمرهم إليه من الإهلاك حين كذبوا الرسل كان ذلك مثالا
لقريش فخاطب رسوله في شأنهم بقوله فذرهم في غمرتهم حتى حين وهذا
وعيد لهم حيث تقطعوا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم شاعر
وقال ساحر وقال به جنة كما تقطع من قبلهم من الأمم كما قال أتواصوا به
بل هم قوم طاغون قال الكلبي في غمرتهم في جهالتهم وقال ابن بحر في حيرتهم
وقال ابن سلام في غفلتهم وقيل في ضلالتهم حتى حين حتى يأتيهم الموت وقيل
حتى يأتي ما وعد الله من العذاب وقيل يوم بدر وقيل هو منسوخ
بآية السيف وقرأ الجمهور في غمرتهم وعلي بن أبي طالب وأبو حيوة والسلمي
في غمراتهم على الجمع لأن لكل واحد غمرة وعلى قراءة الجمهور فغمرة تعم إذا
أضيفت إلى عام وقال الزمخشري الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا
لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما
هم عليه من الباطل قال الشاعر كأنني ضارب في غمرة لعب

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرونه عن الاستعجال بالعذاب والجزع من تأخره انتهى
متر وتفهم تعالى على اظهارهم في ان نعمة الله عليهم بالمال والبنين انما هي لرضاه عن
حالهم وبين تعالى ان ذلك انما هو املاء واستدراج الى المعاصي وانجرار الى زيادة
الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالاحسان وقرا
ابن وثاب انما نمدهم بكسر الهمزة وقرا ابن كثير في رواية نمدهم بالياء
وما في انما بمعنى الذي او مصدرية او كافة مهيئة ان كانت بمعنى
الذي فصلتها ما بعدها وخبر ان هي الجملة من قوله نسارع لهم في الخيرات
والرابط لهذه الجملة ضمير محذوف لفهم المعنى تقديره نسارع لهم به في
الخيرات وحسن حذفه استطالة الكلام مع امن اللبس وتقدم نظيره في
قوله انما نمدهم به وقال هشام بن معاوية الحرف الرابط هو الظاهر وهو
في الخيرات وكان المعنى نسارع لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات فلا حذف
على هذا التقدير وهذا يتمشى على مذهب الاخفش في اجازته نحو زيد قام ابو
عبد الله اذا كان ابو عبد الله كنية لزيد فالخيرات من حيث المعنى هي
الذي نمدهم به من المال والبنين وان كانت ما مصدرية فالمسبوك منها
ومما بعدها هو مصدر اسم ان وخبر ان هو نسارع على تقدير مسارعة فيكون
الاصل ان نسارع فحذفت ان وارتفع الفعل والتقدير ايحسبون ان امدادنا
لهم بالمال والبنين مسارعة لهم في الخيرات وان كانت ما كافة مهيئة فهو
مذهب الكسائي فعلى هذا فلا يحتاج الى ضمير ولا حذف ويجوز الوقف على
وبنين كما تقول حسبت انما يقوم زيد وحسبت انك منطلق وبان ذلك ان
ما بعد حسبت قد انتظم مسندا ومسندا اليه من حيث المعنى وان كان في
تأويل مفرد لان السبك من ان وما بعدها مصدر وقرا السلمي وعبد الرحمن
بن ابي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء فان كان فاعل يسارع ضمير يعود على
ما بمعنى الذي او على المصدر المنسبك من نمدهم فيسارع خبر لان ولا ضمير ولا
حذف اي يسارع هو اي الذي نمدهم ويسارع هو اي امدادنا وعن ابن ابي
بكرة المذكور بالياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وقرا الحر النحوي نسرع بالنون
مضارع اسرع بل لا يشعرون اضراب عن قوله ايحسبون بل هم اشباه البهائم
لا فطنة لهم ولا شعور فيتأملوا ويتفكروا اهو استدراج او مسارعة في الخير وفيه
تهديد ووعيد ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات
ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم
لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم
لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم
لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا
اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم
عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بابلغ صفاتهم والاشفاق
ابلغ التوقع والخوف ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى والذين
هم من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومن خشية
متعلق بمشفقون قاله الحوفي وقال ابن عطية ومن في من خشية هي لبيان

جنس

جنس الاشفاق والاشفاق انما هو من عذاب الله والآيات تعم القرآن والعبر والمصنوعات التي لله
وغير ذلك مما فيه نظر وفي كل شيء له آية ثم ذكر نفي الاشراك وهو مما يتمم الصفة التي هي الايمان للكفار
من يتبين ان يتولى بعض من يؤمن بآيات ربه ويصدق بانه المخترع الخالق وقيل ليس المراد منه الايمان
بالتوحيد ونفي الشرك بالله لان ذلك داخل في قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون المراد نفي
الشرك الخفي وهو ان يخلصوا في العبادة لا يبتغون بها الا وجه الله وطلب رضوانه وقرا
الجمهور يؤتون ما آتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقلوبهم وجلة اي
خائفة ان لا يتقبل منهم لتقصيرهم انهم اي وجلة لاجل رجوعهم الى الله اي خائفة لاجل انهم يرجعون
من لقاء الجزاء قال ابن عباس وابن جبير هو عام في جميع اعمال البر كانه قال والذين يفعلون
من انفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم وقرات عائشة وابن عباس وقتادة والاعمش
والحسن والنخعي يأتون ما أتوا من الاتيان اي يفعلون ما فعلوا قالت عائشة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة
الصديق ولكنه هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يتقبل
ووجل العارف من طاعته اكثر من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب التصحيح
وقال الحسن المؤمن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة وامنا وقرا الاعمش انهم
بالكسر وقال ابو عبد الله الرازي ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لان الاولى دلت على
حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله والثالثة على ترك
الرياء في الطاعة والرابعة على ان المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع خوف من
التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين انتهى ملخصا ويسارعون جملة في موضع خبر ان قال الزمخشري
الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني
انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها
وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين انتهى
وقرا الحر النحوي يسرعون مضارع اسرع يقال اسرعت الى الشيء وسرعت اليه بمعنى واحد واما المسارعة
فالمسابقة اي يسارعون غيرهم قال الزجاج يسارعون ابلغ من يسرعون انتهى ووجه المبالغة ان المفاعلة
تكون من اثنين فتقتضي حث النفس على السبق لان من عارضك في شيء تشتهي ان تغلبه فيه وهم لها
سابقون الظاهر ان الضمير في لها عائد على الخيرات اي يسابقون اليها تقول سبقت لكذا وسبقت الى
كذا ومفعول سابقون محذوف اي سابقون الناس وتكون الجملة تأكيدا للتي قبلها مقيدة لتجدد
الفعل بقوله يسارعون وثبوته بقوله سابقون وقيل اللام للتعليل اي لاجلها سابقون الناس الى
رضى الله وقال الزمخشري لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها
انتهى وهذان القولان عندي واحد وقال ايضا او لها سابقون اي نالوها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا انتهى ولا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشيء يدل على
تقدم السابق على المسبوق فكيف يقال وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح وقال ايضا ويجوز ان يكون
لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قولك انت لها انتهى وهذا مروي عن ابن عباس قال
المعنى سبقت لهم السعادة في الازل فهم لها ورجح الطبري ان اللام متعلقة بالمعنى انتهى والظاهر
القول الاول وباقيها متعسف وتحميل للفظ غير ظاهره وقيل الضمير في لها عائد على الجنة وقيل
على الامم ولا نكلف نفسا الا وسعها تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في آخر البقرة ولدينا
كتاب ينطق بالحق اي لكتاب فيه احصاء اعمال الخلق يشير الى الصحف التي يقرؤون فيها ما ثبت لهم

في اللوح المحفوظ وقيل القرآن بل قلوبهم اي قلوب الكفار في غمرة اي في غفلة قد غمرها كالغمرة من هذا اي من هذا العمل
الذي وصف به المؤمنون اي من الكتاب الذي لدينا او من القرآن والمعنى من اطلاع هذا او تركه او يشير
الى الدين بجملته او الى محمد صلى الله عليه وسلم لما تقدم ولهم اعمال من دون ذلك اي من دون الغمرة والضلال
المحيط بهم فالمعنى انهم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك لهم سعايات فساد فهو ضمهم الى الحالي
ثم قال بهذا المعنى قتادة وابو العالية وعلى هذا اتساق الاخبار عما سلف من اعمالهم او عما هم فيه
وقيل الاشارة بذلك الى قوله من هذا فكانه قال لهم اعمال من دون الحق او القرآن ونحوه وقال الحسن
ومجاهد انما اخبر بقوله ولهم اعمال عما سيأتي من اعمالهم اي انهم لهم اعمال من الفساد ومن بعد ما عملوا اعمالا سيئة
دون الشرك وقال الزمخشري ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها
معتادون وما فارقوه ولا ينفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب فحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها
الكلام والكلام الجملة الشرطية انتهى وقيل الضمير في قوله بل قلوبهم يعود على المؤمنين المشفقين في غمرة
من هذا وصف لهم بالحيرة كانه قال وهم مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في اعمالهم اهي مقبولة ام مردودة
ولهم اعمال من دون ذلك اي من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه ويريد بالاعمال الاول
الفرائض وبالثاني النوافل حتى اذا اخذنا مترفيهم رجوع الى وصف الكفار قاله ابو مسلم قال ابو عبد الله
الرازي وهو اولى لانه اذا امكن رد الكلام الى ما اتصل به كان اولى من رده الى ما بعد عنه ويقويه
ما يرجح المرجح للخبر بان يذكر ان اعمالهم محفوظة كما يحذر بذكر من الزور وقد يقوي ذكره في اثر
بان قلب في عز وغيره انه قد استولى عليه الفكر في قبوله او رده وفي انه هل اداه كما يجب او قصر **فان قيل**
المراد بقوله من هذا **قلنا** اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بينا انه ذكر على قلوبهم انتهى ويحتمل قول الزمخشري
في حتى انها التي يبتدأ بعدها الكلام وانها غاية لما قبلها وقد ردد كونهم معتادين لها حتى يأخذهم الله بالعذاب
وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة اذا ظرف مضاف الى ما بعده فيه معنى الشرط اذا الثانية في موضع جواب الاولى
ومعنى الكلام عامل في اذا والتقدير جاروا فحل اذا الاولى والعامل في اذا الثانية اخذنا
انتهى وهو كلام مخبط ليس هذا الا محل برد وقال ابن عطية يعني حرف ابتداء لا غير واذا والثانية التي هي جواب
مانعان من ان تكون حتى غاية لعاملون انتهى وقال مكي اي للكفار اعمال من الردى دون اعمال اهل البر
يعملونها الى الوقت اذا اخذ الله اهل النعمة والبطر منهم بالعذاب اذا هم يجأرون ويستغيثون والمترفون
المنعمون والرؤساء والعذاب القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحترقة والقد والاولاد وقيل العذاب قتلهم يوم بدر وقيل عذاب الاخرة والظاهر ان الضمير في اذا
عائد على مترفيهم اذ هم المحدث عنهم بما هو من نزل بهم العذاب وقيل يعود على الباقين بعد المعذبين
قال ابن جريج المعذبون قتلى بدر والذين يجأرون اهل مكة لانهم ناحوا واستغاثوا لا تجأروا اليوم
يقال لهم اما حقيقة تقول لهم الملائكة ذلك واما مجازا اي لسان الحال يقول لهم هذا ان كان الذين يجأرون
هم المعذبون وعلى قول ابن جريج يكون القائل الملائكة وقال قتادة يجأرون يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم وقال
وقال الربيع بن انس يجأرون يجزعون فعبر بالصراخ عن الجزع اذ الجزع سببه انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون
من عذابنا او لا يكون لكم نصر من جهتنا فالجار منيرنا فعكم ولا يجد قد كانت اياتي هي ايات القرآن
تنكصون ترجعون استعارة للاعراض عن الحق **وقرأ** علي بن ابي طالب تنكصون بضم الكاف والضمير في
به عائد على الصمد الله العليم تنكصون اي بالنكوص والتباعد من سماع الايات وعلى الايات لانها في معنى
الكتاب وضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي بالباء او تكون الباء للسبب اي تحدث لكم بسبب سماعه
استكبار وعتو والجمهور على ان الضمير في به عائد على الحرم والمسجد وان لم يجر له ذكر وسوغ هذا الاضمار شهرتهم
بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به وذكر منذر بن سعيد ان الضمير لرسول الله

الله

صلى الله عليه وسلم ويحسنه في قوله تتلى عليكم لانه على التالي وهو الرسول عليه السلام وهذه الاقوال تتعلق فيها به بمستكبرين
وقيل تتعلق بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة
سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب من اتى به **وقرأ** الجمهور سامرا وابن مسعود وابن عباس وابو حيوة
وابن محيصن وعكرمة والزعفراني ومحبوب عن ابي عمرو سمرا بضم السين وشد الميم مفتوحة جمع سامر وابن عباس
ايضا وزيد بن علي وابو رجاء وابو نهيك كذلك وبزيادة الف بين الميم والراء جمع سامر ايضا وهما جمعان
في مثل سامر **وقرأ** الجمهور تهجرون بفتح التاء وضم الجيم وروي عن ابي عمرو بالياء على سبيل الالتفات
قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر وقال ابن زيد وابو حاتم من هجر المريض
اذا هذى اي تقولون اللغو من القول **وقرأ** ابن عباس وابن محيصن ونافع وحميد بضم التاء وكسر الجيم مضارع
اهجر اي تقولون الهجر وهو الفحش وقال ابن عباس اشارة الى سب الصحابة وغيرهم **وقرأ** ابن مسعود
وابن عباس ايضا وزيد بن علي وعكرمة وابو نهيك وابن محيصن ايضا وابو حيوة تهجرون بضم التاء وفتح الهاء
وشد الجيم وهو تضعيف من هجر ماضي الهجر بالفتح بمعنى مقابل الوصل والهذيان او ماضي الهجر وهو
الفحش وقال ابن جني لو قيل ان المعنى انكم مبالغون في المجاهرة حتى انكم ان كنتم سمرا بالليل فكأنكم
تهجرون في الهاجرة على الافتضاح لكان وجها **افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم
معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان
الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد اذا هم فيه مبلسون** ذكر تعالى توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القرآن الذي
اتى به محمد صلى الله عليه وسلم اي افلم يتفكروا فيما جاءهم به من الله فيعلموا انه المعجز الذي لا يمكن معارضته
فيصدقوا به وبمن جاء به ويخبر بفقهم على تدبره لانهم مكابرتهم ونظرهم الفاسد قال بعضهم
سحر وقال بعضهم شعر وهو اعظم الدلائل الباقية على ممر الدهر فزعمهم اولا بترك الانتفاع بالقرآن ثم ثانيا
بان ما جاءهم جاء اباءهم الاولين اي ارسال الرسل ليس بدعا ولا مستغربا بل جاءت الرسل الامم قبلهم وعرفوا ذلك
بالتواتر ونجاة من امن واستئصال من كذب وآباؤهم اسماعيل واعقابه من عدنان وقحطان وروي لا تسبوا مضر ولا
ربيعة ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة ولا قيسا ذكر انهم كانوا مسلمين وان تبعا كان مسلما وكان
على شريعة سليمان بن داود وثالثا انهم يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته
وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش وكفى خطبة ابي طالب حين تزوج خديجة بانها افصح
على صفاته صلى الله عليه وسلم وقت اذ زوجته فلم تنكر منها شيئا اي قد سبقت معرفتهم له جملة وتفصيلا فلا يمكن
انكارهم به او كان منهم ويجمعون امرا بانه نسبوه الى الجنون وقد علموا انه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا وان الذي
بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جاء به وبين كلام ذي الجنة بون فانه على من له مسكة من عقل وهذه التوبيخات
الاربع كان يقتضي ما وبخوا به منها ان يكون سببا لانقيادهم الى الحق لان التدبر لما جاء به والنظر في
ان المرسلين وارسال الرسل اليهم ومعرفة الرسول ذاتا واوصافا وبراءته من الجنون هادية لهم لكن ذلك لقلة الله
لهدايتهم ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه من اتباع الباطل ولما لم يجدوا له مدفعا
لانه الحق قابلوه بالبهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر بل جاءهم بالحق اي بالقرآن المشتمل
على التوحيد وما به النجاة في الاخرة والسؤدد في الدنيا واكثرهم للحق كارهون بعدد لطيف ان فيهم من لا يكره الحق
وذلك من ترك الايمان انفة واستكبارا من توبيخ قومه ان يقولوا صبأ وترك دين ابائه ولو اتبع الحق اهواءهم **قرأ**
ابن وثاب ولو اتبع بضم الواو والظاهر ان الحق الذي ذكر قبل في قوله بل جاءهم بالحق اي لو كان ما جاء به الرسول من

الاسلام والتوحيد متبعا اهواهم لانقلب شركا وجاء الله بالقيامة واهلك العالم ولم يؤخر قاله الزمخشري وبعده لتفرقوا وقال
ابن عطية هذا على نظم ان الحق فلو اتبع اهواهم لانقلبت الاموال لذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قول وقيل الحق
ما جاء به الرسول انكم هو في هواهم من اتخاذ شريك لله وولد وكان ذلك مما يكون ما الصفات الالهية ولم يكن الله على
القدرة كما هو وكان في ذلك فساد السموات والارض وقيل كانوا يرون الحق في اتخاذ الالهة مع الله لكنه لو صح ذلك
لوقع الفساد في السموات والارض على ما قرروه في دليل التمانع في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل
كانت اراؤهم متناقضة فلو اتبع الحق اهواهم لوقع التناقض واختل النظام العالم وقال قتادة الحق هنا الله
تعالى فقال الزمخشري معناه ولو كان الله الها يتبع اهواهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولما قدر على ان يمسك
السموات والارض وقال ابن عطية ومن قال ان الحق في الآية هو الله تعالى وكان قد ذكره ابن جريج وابي صالح
فيجب ان تفسر لفظة اتبع ويصعب عليه ترتيب الفساد المذكور في الآية لان لفظة الاتباع انما هي استعارة بمعنى ان يكون اهواهم
يقررها الحق فيجب ذلك الله تعالى عن ذلك ... اهواهم وليس في ذلك فساد سموات واما ما نسبه الذي هو الصواب
ولو كان ذلك في اهوائهم لفسد كل شيء فما لهم عنه وقرا الجمهور بل اتيناهم بنون العظمة وابن ابي اسحاق وعيسى بن عمر ويونس عن ابي
عمرو بتاء المتكلم وابن ابي اسحاق وعيسى ايضا وابو البرهسم وابو حيوة والجحدري وابن قطيب وابو رجاء بتاء الخطاب للرسول عليه
السلام وابو عمرو في رواية اتيناهم بالمد اي اعطيناهم والجمهور بذكرهم اي بوعظهم وبيان لهم قاله ابن عباس وقرا عيسى بن عمر
بالف التانيث وقتادة نذكرهم بالنون مضارع ذكر ونسبة الاتيان الحقيقي الى الله لا يصح وانما هو مجاز اي بل اتاهم كتابنا
او رسولنا وقال الزمخشري بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا
يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ام تسالهم خرجا هذا استفهام توبيخ
ايضا المعنى بل اتسالهم مالا فلاجل ذلك تكبروا واستثقلوا ... قال ابن عطية وضبط الزمخشري بالاحسن كلام فقال
ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع
معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله
للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من
دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم
وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور
الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر انتهى
وتقدم الكلام في مثل خرجا فخراج في قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا في الكهف قراءة وقرا ... وقرا الحسن
وعيسى خراجا بالخراج فكملت بهذه القراءة اربع قراءات وفي الحرفين فخراج ربك اي ثوابه لانه الباقي وما يؤخذ
من غيره وقال الكلبي فعطاؤه لانه يعطي لا لحاجة وغيره يعطي للحاجة وقيل فرزقه ونويده خير الرازقين
قال ... خير الرازقين تدل على انه لا ... في الافضال على عباده ودل على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضا
انتهى وهذا امر لو احب الذي هو افعل التفضيل ومن قول الرازقين الذي هو جمع اضيف اليه افعل التفضيل ولما
زيف طريقة الكفار اتبع ذلك ببيان صحة ما جاء به الرسول فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين
الاسلام ثم اخبر ان من انكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لانه لا يسلكه الا من كان راجيا للثواب خائفا من العقاب
وهؤلاء غير مصدقين بالجزاء فهم لا يكونون ... عن الصراط الذي هم ناكبون عنه هو طريق الجنة
في الاخرة ... عن الصراط هو في الاخرة فيكبون عنه باخذهم يمنة ويسرة الى النار وقال ابن عباس لناكبون
لعادلون وقال الحسن تاركون له وقال قتادة حائدون وقال الكلبي معرضون وهذه اقوال متقاربة المعنى
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قيل هو الجوع وقيل القتل والسبي وقيل عذاب الاخرة اي بلغوا من التمرد
والعناد انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لشدة لجاجهم فيما هم عليه من العناد وهذا القول بعيد بل الظاهر ان
هذا التعليق كان يكون في الدنيا ويدل عليه ذلك قوله ولقد اخذناهم بالعذاب الى اخر الاية استشهد على
شدة شكيمتهم في الكفر ولجاجهم على تقدير رحمة الله بانه اخذهم بالسيوف اولا وما جرى عليهم يوم بدر من قتل

صناديدهم

صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر
والقتل فابلسوا وخضعت رقابهم فلا ظالم من يفعل ان العذاب هو القحط والجوع الذي اصابهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال وهذا مروي عن ابن عباس وابن جريج وبحسب نزول الاية دليل على ذلك روي ان ثمامة بن اثال الحنفي لحق
باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة فاخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع
فنزلت الاية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم ووجدوا الخصب لارتدوا
الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين واقراطهم فيهما وقيل العذاب ولقد اخذناهم
قيل محنة من القتل والجوع فما رئي منهم استكانة ولا انقياد حتى اذا عذبوا بنار جهنم ابلسوا كقوله
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فعلى هذا القول يكون الفتح لباب
العذاب الشديد في الاخرة وعلى الاول كان في الدنيا ووزن استكان استفعل اي انتقل من كون
الى كون كما تقول استحال اذا انتقل من حال الى حال وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الالف
اشباع ضعيف لان الاشباع بابه الشعر كقوله اعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الاذناب
ولان الاشباع لا يكون في تصاريف الكلمة الاترى انه يقال في قوله ومن ذم الزمان بمنتزاح انه
لا يقال انتزاح ينتزاح فهو منتزاح وانت تقول استكان يستكين فهو مستكين ومستكان وبه مستكان والمصدر
استكانة يدل على ان الفعل وزنه استفعل استقام استقامة وتخالف استكانوا ... يتضرعون في الصيغة
ثم يكونوا ماضيين والمضارع ... قال الزمخشري لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة
وما من عادتهم ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب والمبلس الايس من الخير الذي يناله وقرا

المفردات

السلمي مبلسون بفتح اللام الهمز النخس والدفع بيد وغيرها ومنه مهماز الرائض وهمز الناس باللسان
البرزخ الحاجز بين المسافتين وقيل الحاجز بين الشيئين يمنع احدهما ان يصل الى الاخر النسب القرابة من
جهة الولادة اللفح اصابة النار الشيء بوهجها واحراقها وقال الزجاج اللفح اشد من النفح تاثيرا الكلوح
تشمر الشفتين عن الاسنان ومنه كلوح الكلب والاسد وقيل الكلوح تسور الوجه وهو تقطيبه وكلح الرجل
يكلح كلوحا وكلاحا ودهر كالح وبرد كالح شديد العبث اللعب الخالي عن فائدة وهو الذي انشا لكم
السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان
هذا الا اساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا
تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون
قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب
والشهادة فتعالى عما يشركون مناسبة وهو الذي انشا لكم لما قبله انه لما بين اعراض الكفار
عن سماع الادلة ورؤية العبر والتامل في الحقائق خاطب المؤمنين والظاهر العالم بان ذلك
تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقه الله تعالى وتدبر ما اودعه فيها من الدلائل على وحدانيته
وباهر قدرته فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شيء وخص هذه الحواس لان بها تحصل العلوم ... وتصرف في اختلاف الليل والنهار
فهو مقام ... العبد وخص هذه الاعضاء بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها من اعمال السمع
والبصر في آيات الله والاستدلال بها على وحدانية الله وصفاته ولما كان خلقه ...

النعم على العبد قال قليلا ما تشكرون اي تشكرون قليلا وما زائدة للتاكيد ومن شكر النعمة الاقرار بالمنعم
بها ونفي الند والشريك له وذرأكم خلقكم وبثكم فيها واليه اي الى حكمه وقضائه وجزائه تحشرون
يريد البعث والجمع في الاخرة بعد التفرق في الدنيا والاضمحلال وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص
وتوليه وله القدرة التي ذلك الاختلاف عنها والاختلاف هنا التعاقب او تخلف هذا لهذا افلا
تعقلون من هذه تصرفات قدرته واثارها من تفرده ونه وتنفون عنه الشركا والانداد اذ هم
ليسوا بقادرين على شي من ذلك وقرا ابو عمرو في رواية يعقلون بياء الغيبة على الالتفات بل قالوا اضراب
اي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الايات بل قالوا والضمير لاهل مكة ومن جرى مجراهم في انكار البعث
مثل ما قال اباوهم عاد وثمود ومن يرجعون اليهم من الكفار ولما اتخذوا من دونه تعالى الهة
ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط جهلهم بكونهم يقرون بانه تعالى له الارض ومن فيها ملك
وانه رب العالم العلوي وانه مالك كل شي وهو مع ذلك ينسبون له الولد ويتخذون له شركاء وقرا
عبد الله والحسن والجحدري ونصر بن عاصم وابن وثاب وابو الاشهب وابو عمرو ومن السبعة سيقولون الله
الله الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام
وقرا باقي السبعة لله فيهما بلام الجر قال الزجاج الاولى فيهما المطابقة لفظا ومعنى والثانية
جات على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الاول انه باللام
وقرا ابن محيصن العظيم برفع الميم نعتا للرب وتقول اجرت فلانا على فلان اذا منعته
منه اي وهو يمنع من يشاء ولا يمنع احد منه احدا ولا تعارض بين قوله ان كنتم تعلمون
وبين ما حكي عنهم من قولهم سيقولون الله لان قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد
يقال مثل ذلك في الاحتجاج على وجه التاكيد لعلمهم وختم كل سوال بما يناسبه فختم ملك الارض
ومن فيها بقوله افلا تذكرون ان لا يشرك به بعض خلقه ممن في الارض ملكا له الربوبية وختم ما بعدها
بالتقوى وهي ابلغ من التذكر وفيها وعيد شديد اي فلا تخافونه فلا تشركوا به وختم
ما بعدها بقوله فاني تسحرون مبالغة في التوبيخ بعد اقرارهم والتزامهم ما يقع عليه
به في الاحتجاج واني بمعنى كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والتحيل هنا فكانهم
مسحورون وسالهم عن الهيئة التي سحروا بها اي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته
والسحر هنا مستعار وهو تشبيه من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها
بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك وقرئ بل اتيتهم بتاء المتكلم وابن ابي اسحاق بتاء الخطاب
وانهم لكاذبون فيما ينسبون الى الله تعالى من اتخاذ الولد ومن الشركاء وتغيير ذكر ما هم فيه
كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهو نفي استحالة ونفى الشريك بقوله وما كان معه من اله اي
وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعه وهو في غير ذلك مما يليق به من الصفات
العلى فنفي الولد تنبيه على من قال الملائكة بنات الله ونفي الشريك في الالوهية تنبيه
على من قال الاصنام الهة ويحتمل ان يراد به ابطال قول النصارى والثنوية ومن ولد
ومن اله نفي عام يفيد به ابطال قول النصارى استغراق الجنس ولهذا جا اذا لذهب
كل اله ونم بات التركيب اذا لذهب الا له ومعنى لذهب اي لانفرد كل اله بخلقه الذي
خلق واستبد به وتميز ملك كل واحد عن ملك الاخر وغلب بعضهم بعضا كحال ملوك الدنيا
واذا لم يقع الانفراد والتغالب فاعلموا انه اله واحد واذن لم تتقدمه في اللفظ شرط
ولا سوال سائل ولا عدة قال الفراء شرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة واذا حذف
لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهذا قول الفراء وعمرانه اذا جا بعدها
اللام كانت لو وما دخلت عليه محذوفة وقد قررنا تخريجا لما على غير هذا في قوله

واذن لاتخذوك خليلا في سورة الاسراء والظاهر ان ما في بما خلق بمعنى الذي ويجوز ان تكون
مصدرية سبحان الله عما يصفون تنزيه عن الولد والشريك وقرئ عما تصفون
بتاء الخطاب وقرا الابنان وابو عمرو وحفص عالم بالجر قال الزمخشري صفة لله وقال
ابن عطية اتباع للمكتوبة وقرا باقي السبعة وابن ابي عبلة وابو حيوة وابو بحرية
بالرفع قال الاخفش الجر اجود ليكون الكلام من وجه واحد قال ابو علي الرفع ان
الكلام قد انقطع يعني انه خبر مبتدا محذوف اي هو عالم وقال ابن عطية والابتدا
عندي ابرع والفاء في قوله فتعالى عاطفة فالمعنى كانه قال عالم الغيب والشهادة
فتعالى كما تقول زيد شجاع فعظمت منزلته اي شجع فعظمت ويحتمل ان تكون
المعنى فاقول تعالى عما يشركون على اخبار مؤتنف والغيب ما غاب عن الناس
والشهادة ما شاهدوه انتهى قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في
القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن
السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ
بك رب ان يحضرون حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي
اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم
يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن
ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها
كالحون لما ذكر ما كان عليه الكفار من ادعا الولد والشريك له وكان تعالى
قد اعلم نبيه انه ينتقم منهم ولم يبين اذ ذلك في حياته ام بعد موته امره
بان يدعو بهذا الدعا اي ان تريني ما تعدهم واقعا بهم في الدنيا او في الاخرة
فلا تجعلني معهم ومعلوم انه عليه السلام معصوم مما يكون سببا لجعله معهم
ولكنه امره ان يدعو بذلك اظهارا للعبودية وتواضعا لله واستغفار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة من هذا القبيل وقال
ابو بكر وليتكم ولست بخيركم قال الحسن كان يعلم انه خيرهم ولكن المومن
يهضم نفسه وجا الدعا بلفظ الرب قبل الشرط وقبل الجزا مبالغة في الابتهال
الى الله والتضرع ولان الرب هو المالك الناظر في مصالح العبد وقرا
الضحاك وابو عمران الجوني ترئني بالهمز بدل اليا وهذا كما قرئ فاما ترئن
ولترؤن بالهمز وهو ابدال ضعيف ثم اخبر تعالى انه قادر على تعجيل العذاب
لهم كما كانوا يطلبون ذلك وذلك في حياته عليه السلام ولكن تاخيره لانه سيؤمن
والجمهور على ان هذا العذاب في الدنيا فقيل يوم بدر وقيل فتح مكة وقيل هو
عذاب الاخرة ثم امره تعالى بحسن الاخلاق والتي هي احسن شهادة ان لا
اله الا الله والسيئة الشرك وقال الحسن الصفح والاعراض وقال عطا والضحاك
السلام اذا خشوا وحكى الماوردي ادفع بالموعظة المنكر والاجود العموم في
الحسنى وفيما يسوء والتي هي احسن ابلغ من الحسنة للمبالغة الدال عليها
افعل التفضيل وفي صلة التي يدل على معرفة السامع بالحالة التي هي احسن
قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف وقيل هي محكمة لان المداراة محثوث
عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازرا بمروة نحن اعلم بما يصفون يقتضي انها اية

نحو اعوذ والمعنى بما يذكرون ويصفونك به مما انت بخلافه ثم امره تعالى ان يستعيذ من همزات الشياطين والهمز من الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والاغراء به كما يهمز الرائض الدابة لتسرع ثم امره ان يستعيذ من حضورهم النفس الذي لا يملك الانسان معها نفسه وقال ابن زيد حضور الشيطان الجنون والظاهر انه امر بالاستعاذة من حضورهم اصلا في كل وقت وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى اذا جاء احدهم الموت قال الزمخشري حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون انتهى وقال ابن عطية حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل ان تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول ابين لان ما بعدها هو المعنى بها المقصود ذكره انتهى فتوهم ابن عطية ان حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية وهي اذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف المقدر وقال ابو البقاء حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي انها حتى التي يبتدأ بعدها الجملة ويكون غاية لما دل عليه ما قبلها التقدير فلا اكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء احدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر فيا عجبا حتى كليب تسبني اي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها وقال الضمير في احدهم عائد على الكفار وذكرهم قبله ثم قال المؤمنون عطف على الانكار حتى اذا حضر احدهم الموت تمنى حالة لا يمكنه ندم ولا ينفعه الندم انتهى وجمع الضمير في ارجعون اما مخاطبة له تعالى مخاطبة الجمع تعظيما كما اخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع وقال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم وقال آخر الا فارحموني يا اله محمد واما استغاث اولا بربه وخاطب ملائكة العذاب وقاله ابن جريج والظاهر ان الضمير في احدهم راجع الى الكفار وساق الآيات الى آخرها يدل على ذلك وقال ابن عطية من لم يزك سال الرجعة فقيل له ذلك الكفار وتواتر القول ... سورة المنافقين قال الاوزاعي هو مانع الزكاة ... الانسان ... سال الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين المؤمن قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس ... ما تركت من المال ... ابن عباس كلا كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد انها كلمة هو قائلها قيل من قول الله وقيل من قول من عاين الموت يقول ذلك على سبيل التحسر والندم ومعنى هو قائلها لا يسكت عنها ولا ينزع عنها لاستيلاء الحسرة عليه او لا يجد لها جدوى ولا اجابة ومن ورائهم اي امامهم برزخ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه الجملة اقناط كلي ان لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الآخرة واستعير البرزخ للمدة التي بين موت الانسان وبعثه وقرا ابن عياض والحسن وابن ... في الصور بفتح الواو جمع صورة وابو رزين بكسر الصاد وفتح الواو ... فلا انساب ... فقال ... عند النفخة الاولى يموت الناس فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم اموات وهذا القول يزيل هول الحشر وقال ابن مسعود وغيره عند قيام الناس من القبور فهول المطلع اشتغل كل امرئ بنفسه ... وارتفع التفاخر والتعاضد بالانساب وعن قتادة ليس احد ابغض الى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وقيل فلا انساب اي فلا تواصل بينهم حين افتراقهم الى ما اعد لهم من ثواب وعقاب وانما التواصل بالاعمال وقرا عبد الله ولا يساءلون بتشديد السين ادغم التاء في السين اذ اصله يتساءلون ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا وبين اثباته في قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان يوم القيامة مواطن ومواقف ويمكن ان يكون انتفاء التساؤل عند النفخة الاولى واما في الثانية فيقع التساؤل وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في اوائل الاعراف وقال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف انتهى جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته ان يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم اي استقروا في جهنم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما لمسمى واحد على سبيل المجاز لان من خسر نفسه استقر

في جهنم

في جهنم واجاز ابو البقاء ان يكون الذين خسروا خبر اولئك وفي جهنم خالدون ... اذ يكون خبر اولئك لفحا ونفح الوجه باللفح لانه اشرف ما في الانسان والانسان اعظم ما يعتبر من الآفات منه من الاعضاء واللفح الاشراف فما دونه ملفوح ولما ذكر اصابته النار للوجه ذكر الكلوح المختص ببعض اعضاء الوجه وفي الترمذي تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح وقرأ ابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة كلحون بغير الف الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين يقول الله لهم على لسان من يشاء من ملائكته الم تكن آياتي وهي القرآن تتلى تسمعونها ولما سمعوا هذا التقرير اذعنوا واقروا على انفسهم بقولهم غلبت علينا شقوتنا من قولهم غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة وقيل الشقوة الهوى وقضاء اللذات لان ذلك يؤدي الى الشقوة اطلق اسم المسبب على السبب قاله الجبائي وقيل ما كتب علينا في اللوح المحفوظ وسبق به علمك وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وحمزة والكسائي والمفضل عن عاصم وابان والزعفراني وابن مقسم شقاوتنا بوزن السعادة وهي لغة فاشية وقتادة ايضا والحسن في رواية خالد بن حوشب عنه كذلك الا انه بكسر الشين وباقي السبعة والجمهور بكسر الشين وسكون القاف وهي لغة كثيرة في الحجاز قال الزمخشري انشد الفراء لابي مروان وكان فصيحا

كلف من عنائه وشقوته ... بنت ثماني عشرة من حجته

شرائي اقباله بفتح الشين وسكون القاف وكنا قوما ضالين عن الهدى ثم ترقوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك انهم اقروا والاقرار بالذنب اعتراف فقالوا ربنا اخرجنا منها اي من جهنم فان عدنا اي الى التكذيب واتخاذ الهة وعبادة غيرك فانا ظالمون اي متجاوزون الحد في العدوان حيث ظلمنا انفسنا اولا ثم ثانيا وحكى الطبري حديثا طويلا في مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار ثم بينهم وبين ربهم جل وعز وآخرها اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فلا يستطيع احد منهم جهنم ويقع اليأس ويبقون ينبح بعضهم في وجه بعض قال ابن عطية واختصرت ذلك الحديث لعدم صحته لكن معناه صحيح ومعنى اخسئوا ... زجر كما تزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأت الكلب فخسأ هو بنفسه يكون متعديا ولازما ولا تكلمون اي في رفع العذاب او تخفيفه قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين وقرأ ابي وهارون العتكي انه بفتح الهمزة اي لانه والجمهور بكسرها والضمير للشان وهو محذوف مع ان المفتوحة الهمزة والفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين وهذه الآية مما يقال للكفار على جهة التوبيخ ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر وقرأ حمزة والكسائي ونافع سخريا بضم السين وباقي السبعة بكسرها قال الزمخشري مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في الفعل

كما قيل الخصوصية في الخصوص وهما بمعنى الهزء في قول الخليل وابي زيد الانصاري وسيبويه قال ابو عبيدة
والكسائي والفراء الضم من السخرة والاستخدام والكسر من السخر وهو الاستهزاء ومنه قول الاعشى
اني اتاني حديث لا اسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر وقال يونس اذا اريد التخديم ضم السين لا غير واذا
اريد الهزء فالضم والكسر قال ابن عطية وقرأ اصحاب عبد الله وابن ابي اسحاق والاعرج بضم السين كل ما في القرآن
وقرأ الحسن وابو عمرو بالكسر الا التي في الزخرف فانهما ضما التي كما فعل الناس انتهى وكان قد قال ابو علي يعني
الفارسي ان قراءة الكسر اوجه لانه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه اكثر وهو اليق بالآية الا ترى الى قوله وكنتم منهم
تضحكون انتهى قول ابي علي ثم قال ابن عطية الا ترى الى اجماع القراء على ضم السين في قوله ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا لما تخلص الامر للتخديم انتهى وليس ما ذكر من اجماع القراء على ضم السين في الزخرف صحيحا لان
ابن محيصن وابن مسلم كسرا في الزخرف ذكر ذلك ابو القاسم بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل فاتخذتموهم
سخريا اي هزأة تهزؤون منهم حتى انسوكم ذكري اي تشاغلكم بهم فتركتم ذكري اي ان تذكروني فتخافوني
في اوليائي واسند النسيان الى فريق المؤمنين من حيث كان بسببه وقرأ زيد بن علي وحمزة والكسائي
وخارجة عن نافع انهم بكسر الهمزة والباقون بالفتح ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره الجنة او رضواني
وقال الزمخشري في قراءة من قرأ انهم بالفتح هو المفعول الثاني اي جزيتهم فوزهم انتهى والظاهر انه تعليل
اي جزيتهم لانهم والكسر هو على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى
لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل والفائزون الناجون من هلكة الى نعمة وقرأ حمزة
والكسائي وابن كثير قل كم والخطاب [illegible] لهم ومعناه [illegible] وقرأ الباقون قال
والقائل الله تعالى او المأمور بسؤالهم من الملائكة وقال الزمخشري قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في
مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام وقال ابن عطية وفي المصاحف
قال فيهما الا في مصحف الكوفة فان فيه قل بغير الف وتقدم ادغام باب لبثت في البقرة سألهم سؤال
توقيف على المدة وقرأ الجمهور عدد سنين على الاضافة وكم في موضع نصب على ظرف الزمان وتمييزها
عدد وقرأ الاعمش والمفضل عن عاصم عددا بالتنوين فقال ابو الفضل الرازي صاحب كتاب اللوامح سنين
نصب على الظرف والعدد مصدر اقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم على المنعوت ويجوز ان يكون معنى لبثتم
عددتم فيكون نصب سنين على المصدر وسنين بدل منه انتهى وكون لبثتم بمعنى عددتم بعيد ولما
سئلوا عن المدة التي اقاموا فيها في الارض ويعني في الحيوة الدنيا قاله الطبري وتبعه الزمخشري نسوا
لفرط هول العذاب حتى قالوا يوما او بعض يوم اجابوا لهم لبثنا يوما او بعض يوم [illegible]
لبثوا قاله ابن جبير وقيل ارادوا لبثهم في الارض في جوف التراب امواتا وهذا قول جمهور المتأولين قال ابن
عطية وهذا هو الصواب من حيث انكروا البعث وكان قولهم انهم لا يقومون من التراب قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله
آخرا وانكم الينا لا ترجعون يقتضي ما قلناه انتهى فاسأل العادين خطاب للذي سألهم قال مجاهد العادين الملائكة
هم الذين يحفظون اعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم وقال قتادة اهل الحساب والظاهر انهم من يتصف بهذه الصفة ملائكة او
لان النائم والميت لا يعد فيعتبر [illegible] الزمان وقال الزمخشري والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض
يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يلقى اليه فكره انتهى وقرأ الحسن والكسائي
في رواية العادين بتخفيف الدال اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول قال ابن خالويه ولغة اخرى العاديين يعني بياء مشددة جمع عادي
يعني القدماء وقال الزمخشري وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وقرأ الاخوان قل ان لبثتم
على الامر وباقي السبعة قال ان لبثتم اي ما لبثتم الا قليلا اي قليل اللبث في جنب ما تعذبون فيه لان اللبث في الدنيا
وان كان في الشهور فقليل [illegible] لو انكم كنتم تعلمون اي لو رغبتم في العلم والهدى
وانتصب عبثا على الحال اي عابثين او على انه مفعول من اجله والمعنى في هذا اما خلقكم للعبث وانما خلقناكم للتكليف والعبادة وقرأ الاخوان
لا ترجعون مبنيا للفاعل وباقي السبعة مبنيا للمفعول والظاهر عطف وانكم على انما خلقناكم [illegible] وقال الزمخشري

ويجوز

ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين انتهى فتعالى الله اي تعاظم وتنزه
عن الصاحبة والولد والشريك والبعث وجميع النقائص بل هو الملك الحق الثابت هو
وصفاته العلى والكريم صفة للعرش لتنزل الخيرات منه او لنسبته الى اكرم الاكرمين
وقرأ ابان بن تغلب وابن محيصن وابو جعفر واسمعيل عن ابن كثير الكريم بالرفع صفة
لرب العرش او العرش ويكون مقطوعا على معنى المدح ومن شرطية والجواب
فانما ولا برهان له به صفة لازمة للاحتراز من ان يكون ثم آخر يقوم عليه
برهان فهي مؤكدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز ان يكون جملة اعتراض فيها
تشديد وتأكيد فتكون لا موضع لها من الاعراب كقولك من اساء اليك لا احق
بالاساءة منه فاسئ اليه ومن ذهب الى ان جواب الشرط هو لا برهان له به
فهو ذاهل عن دليل الخطاب من ان يكون ثم داع له برهان فلا يصح لانه يلزم منه
حذف الفاء في جواب الشرط ولا يجوز الا في الشعر فقد خرجناه على الصفة اللازمة
او على الاعتراض وكلاهما تخريج صحيح وقرأ الحسن وقتادة انه لا يفلح بفتح الهمزة
اي هو فوضع الكافرون موضع الضمير حملا على معنى من والجمهور بكسر الهمزة
وخرجناه على الظرف وانه استئناف وقرأ الحسن يفلح بفتح الياء واللام اي افتتح
السورة بقوله قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فانظر
تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام ثم امر رسوله عليه السلام بان يدعو
بالغفران والرحمة وقرأ ابن محيصن رب بالضم

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات
بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم
الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله تواب حكيم هذه السورة مدنية بلا خلاف ولما ذكر تعالى شر قريش ولهم اعمال
من دون ذلك اي اعمال سيئة هم لها عاملون واستطرد بعد ذلك الى احوالهم [illegible]
الولد والشريك والى ما لهم في النار كان من اعمالهم السيئة انه كان لهم جوار بغايا
يستحسنون عليهن ويأكلون من كسبهن من الزنا فنزل اوائل هذه السورة تغليظا
في امر الزنا وكان فيما ذكر انه لم يصح ناس من المسلمين هموا بنكاحهن وقرأ الجمهور سورة
بالرفع فجوزوا ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة او مبتدأ محذوف الخبر اي
فيما اوحينا اليك او فيما يتلى عليكم وقال ابن عطية ويجوز ان يكون مبتدأ والخبر
الزانية والزاني وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة
عبارة عن آيات مسرودة لها بدء وختم الا ان كون المبتدأ ليس الخبر [illegible] الخبر الا ان

يقدر الخبر في السورة كلها وهذا بعيد في القياس وانزلناها في هذه الاعاريب في موضع الصفة
انتهى وقرا عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي
وابن ابي عبلة وابو حيوة ومحبوب عن ابي عمرو وام الدرداء سورة بالنصب فخرج على
اضمار فعل اي اتلو سورة وانزلناها صفة قال الزمخشري او على دونك سورة فنصب على
الاغراء ولا يجوز حذف اداة الاغراء واجازوا ان يكون من باب الاشتغال اي انزلنا سورة
انزلناها فانزلناها مفسر لانزلنا المضمرة فلا موضع له من الاعراب الا انه فيه
الابتدا بالنكرة من غير مسوغ الا ان اعتقد حذف وصف اي سورة معظمة او موضحة
انزلناها فيجوز ذلك وقال الفرا سورة حال من الهاء والالف والحال من المكني يجوز ان تتقدم
عليه انتهى فيكون الضمير المنصوب في انزلناها ليس عايدا على سورة وكان المعنى انزلنا
الاحكام وفرضناها سورة اي في حال كونها سورة من سور القران فليست هذه
الاحكام ثابتة بالسنة فقط بل بالقران والسنة وقرا الجمهور وفرضناها بتخفيف
الراء اي فرضنا احكامها وجعلناها واجبة مقطوعا بها وقيل وفرضنا العمل بما فيها وقرا
عبد الله وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وابو عمرو وابن كثير بتشديد الرا اما
للمبالغة في الايجاب واما لان فيها فرايض شتى او لكثرة المفروض عليهم قيل وكل امر ونهي
في هذه السورة فهو فرض وانزلنا فيها ايات بينات امثالا ومواعظ واحكاما ليس
فيها مشكل يحتاج الى تاويل وقرا الجمهور الزانية والزاني بالرفع وعبد الله والزان
بغير يا ومذهب س انه مبتدا والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني
وقوله فاجلدوا بيان لذلك الحكم وذهب الفرا والمبرد والزجاج الى ان الخبر فاجلدوا
وجوزه الزمخشري وسبب الخلاف هو انه عند س لا بد ان يكون المبتدا الداخل الفا في
خبره موصولا بما يقبل اداة الشرط لفظا او تقديرا واسم الفاعل واسم المفعول لا يجوز ان
يدخل عليه اداة الشرط وغير س ممن ذكرنا لم يشرط ذلك وتقرير المذهبين والترجيح
مذكور في النحو وقرا عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فايد وابو جعفر وابن شيبة
وابو السمال ورويس الزانية والزاني بنصبهما على الاشتغال اي واجلدوا الزانية
والزاني كقولك زيدا فاضربه ولدخول الفا تقرير ذكر في علم النحو والنصب هنا احسن
منه في سورة انزلناها لاجل الامر وتضمنت السورة احكاما كثيرة فيما يتعلق بالزنا
وانكاح الزواني وقذف المحصنات والتلاعن والحجاب وغير ذلك فبدى بالزنا لقبحه
وما يحدث عنه من المفاسد والعار وكان قد نشا في العرب وصار من ابائهم اصحاب
رايات وقدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك
الاية لان داعيتها اقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها ولكون زناها افحش واكثر
عارا وللعلوق بولد الزنا ودال النسا الحجبة والصيانة وقال الزمخشري فان قلت
قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما
على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية فانها لو لم تطمع الرجل ولم ترمض له
ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدى بذكرها واما الثانية فمسوقة
لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا الطلب انتهى ولا يتم هذا
الجواب في الثانية الا اذا حمل النكاح على العقد لا على الوطي قال في الزانية والزاني للعموم في
جميع الزناة وقال ابن سلام وغيره هو مختص بالبكرين والجلد اصابة الجلد بالضرب كما تقول راسه وبطنه
وظهره اي ضرب راسه وبطنه وظهره وهذا اطراد في اسما الاعيان الثلاثية العضوية والظاهر

اندراج

اندراج الكافر والعبد والمحصن في هذا العموم وهو لا يندرج فيه المجنون ولا الصبي باجماع وقال ابن سلام
وغيره واتفق فقها الامصار على ان المحصن يرجم ولا يجلد وقال الحسن واسحاق واحمد يجلد ثم يرجم
وجلد علي رضي الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله
ولا حجة في كون من رجم من ماعز وانيس والعامرية لم ينقل جلدهما لان ذلك معلوم من احكام القران فلا
ينقل الا ما كان زايدا على القران وهو الرجم فلذلك ذكر الرجم ولم يذكر الجلد ومذهب ابي حنيفة
ان من شرط الاحصان الاسلام ومذهب الشافعي انه ليس شرطا واتفقوا على ان الامة تجلد
خمسين وكذا العبد على مذهب الجمهور وقال اهل الظاهر يجلد العبد مائة ومنهم من قال
تجلد الامة مائة اذا تزوجت والظاهر اندراج الذميين في الزانية والزاني فيجلدان عند ابي
حنيفة والشافعي وان كانا محصنين يرجمان عند الشافعي وقد ثبت الرجم بالسنة المستفيضة
وعمل به بعد الرسول خلفا الاسلام ابو بكر وعمر وعلي ومن الصحابة جابر وابو هريرة وبريدة
الاسلمي وزيد بن خالد واختلفوا في التغريب بعد الجلد فقال الثوري والاوزاعي
والحسن بن صالح والشافعي ينفى الزاني وقال الاوزاعي ومالك ينفى الرجل ولا تنفى المراة وقال
مالك ولا ينفى العبد ونفيه نصف سنة والظاهر ان هذا الجلد انما هو على من ثبت عليه الزنا فلو وجد
في ثوب واحد فقال اسحاق يضرب كل واحد منهما مائة جلدة وروي ذلك عن عمر وعلي وقال
عطا والثوري ومالك واحمد يودبان على مذاهبهم في الادب واما الاكراه فالمكرهة لا حد عليها
وفي حد الرجل المكره خلاف وتفصيل بين ان يكرهه سلطان فلا حد او غيره فيحد وهو قول
ابي حنيفة وقول ابي يوسف ومحمد والحسن بن صالح والشافعي لا يحد في الوجهين وقول
زفر يحد فيهما جميعا والظاهر انه لا يندرج في الزنا من اتى امراة من دبرها ولا ذكرا ولا
بهيمة وقيل يندرج والمامور بالجلد ايمة المسلمين ونوابهم واختلفوا في اقامة الخارجي
المتغلب الحدود فقيل له ذلك وقيل لا وفي اقامة السيد على رقيقه فقال ابن مسعود
وابن عمر وعايشة وفاطمة والشافعي له ذلك وقال ابو حنيفة ومحمد وزفر لا وقال
مالك والليث له ذلك الا في القطع في السرقة فانما يقطعه الامام والجلد كما قلنا ضرب
الجلد ولم يشرع في الاية كيفية الجلد ولا هيئة المجلود ولا محل الجلد ولا الصفة الالة
المجلود بها وذلك مذكور في كتب الفقه وقال الزمخشري فان قلت هذا حكم جميع
الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه
الرجم فان قلت اللفظ يقتضي تعلق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية
والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على
الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قايمة في الكل
والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك انتهى وليست دلالة
اللفظ على الجنسين كما ذكر دلالة مطلقة لان دلالة عموم الاستغراق مباينة لدلالة عموم
البدل وهو الاطلاق وليست كدلالة المشترك لان دلالة العموم هي كل فرد فرد على سبيل الاستغراق
ودلالة المشترك بدل على فرد فرد على الاستغراق اعني في الاستعمال وان كان في ذلك خلاف
في اصول الفقه لكن ما ذكرته هو الذي يصح في النظر واستعمال كلام العرب وقرا علي بن ابي طالب
والسلمي وابن مقسم وداود بن ابي هند عن مجاهد ولا ياخذكم بالياء لان تانيث الرافة مجازي
وحسن ذلك الفصل وقرا الجمهور بالتا لتانيث الرافة لفظا وقرا الجمهور رافة بسكون الهمزة
وابن كثير بفتحها وابن جريج بالف بعد الهمزة وروي هذا عن عاصم وابن كثير وكلاهما مصدر
اشهرها الاول والرافة المنهي ان ياخذ المولين اقامة الحد قال ابو مجلز ومجاهد وعكرمة وعطا

هي في اسقاط الحد اي اتيموه ولا بد من هذا تاويل ابن عمر وابن جبير وغيرهما ومن مذهبهم ان الحد في الزنا
والفرية والخمر على نحو واحد وقال قتادة وابن المسيب وغيرهما الرافة المنهي عنها هي في تخفيف الضرب
على الزناة ومن رايهم ان يخفف ضرب الفرية والخمر ويشدد ضرب الزنا وقال الزمخشري والمعنى
ان الواجب على المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين
والهوادة في استيفاء حدوده انتهى فجعله اعم من قول ابي مجلز ومن وافقه وقال الزهري
يشدد في الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقال مجاهد والشعبي وابن زيد في الكلام حذف
تقديره ولا تاخذكم بهما رافة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها والنهي في الظاهر للرافة والمراد ما تدعو
اليه الرافة وهو تعطيل الحدود او نقصها ومعنى في دين الله في الاخلال بدين الله اي بشرعه
قيل ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الحكم ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر تثبيت وحض وتهييج
للغضب لله ولدينه كما تقول ان كنت رجلا فافعل وامر تعالى بحضور جلدهما طايفة اهانة
على الزناة وتوبيخا لهم بحضرة الناس وسمى الجلد عذابا اذ فيه ايلام وافتضاح وهو عقوبة
على ذلك الفعل والطايفة المامور بشهودها ذلك يدل الاشتقاق على ما يكون يطوف بالشي
واقل ما يتصور ذلك فيه ثلثة وهي صفة غالبة لانها الجماعة الحافة بالشي وعن ابن عباس وابن
زيد في تفسيرها اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة وعن قتادة والزهري ثلاثة فصاعدا
وعن عكرمة وعطا رجلان فصاعدا وهو مشهور قول مالك وعن مجاهد الواحد فما فوقه واستعمال
الضمير الذي للجميع عايدا على الطايفة في كلام العرب دليل على انه يراد به الجمع وذلك كثير في
القران الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الظاهر انه خبر قصد به تشنيع الزنا وامره
ومعنى لا ينكح لا يطا وزاد المشركة في التقسيم فالمعنى ان الزاني في وقت زناه لا يجامع
الا زانية من المسلمين او اخس منها وهي المشركة والنكاح بمعنى الجماع مروي عن ابن عباس
هنا وقال الزمخشري وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه
الكلمة اينما وردت في القران لم ترد الا بمعنى العقد والثاني فساد المعنى واداوه
الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان انتهى وما ذكره من الامر
الاول اخذه من الزجاج قال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما
قال وفي القران حتى تنكح زوجا غيره وبين الرسول انه بمعنى الوطء واما الامر الثاني
فالمقصود به تشنيع الزنا وتشنيع امره وانه محرم على المومنين وقال الزمخشري
واخذه من الضحاك وهنه الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتقحب لا يرغب
في نكاح الصوالح من النسا اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله
او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحا من الرجال
وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المومن
الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه في ذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا
محرم محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسو القالة
فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخاطيين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف
بمزاوجة الزواني والقحاب والاقدام على ذلك انتهى وعن ابن عمر وابن عباس واصحابه انها
في قوم مخصوصين كانوا يزنون في جاهليتهم ببغايا مشهورات فلما جا الاسلام واسلموا لم يمكنهم
الزنا فارادوا لفقرهم زواج اوليك النسوة اذ كان من عادتهن الانفاق على من ارتسم
بزواجهن فنزلت الاية بسببهن والاشارة بالزواني الى اوليك اذ اطلق عليهن اسم الزنا
الذي كان في الجاهلية وقوله لا ينكح اي لا يتزوج وعلى هذا التاويل فيه معنى التعجب

عليهم

عليهم وفيه توبيخ كانه يقول الزاني لا يريد ان يتزوج الا زانية او مشركة اي تنزع نفوسهم الى
هذه الخسايس لقلة انضباطهم ويرد على هذا التاويل الاجماع على ان الزانية لا يجوز
ان يتزوجها مشرك في قوله وحرم ذلك على المومنين اي نكاح اوليك البغايا فيزعم اهل هذا
التاويل ان نكاحهن حرمه الله على امة محمد وقال الحسن المراد الزاني المحدود والزانية
المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج الا زانية محدودة وكذا روي ان
محدودا تزوج غير محدودة فرد علي بن ابي طالب نكاحهما وحرم ذلك على المومنين يريد
الزنا وروى الزهراوي في هذا حديثا من طريق ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا ينكح الزاني المحدود الا مثله قال ابن عطية وهذا حديث لا يصح وقول فيه نظر وادخال المشرك
في الاية يرده والفاظ الاية تاباه وان قدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ
المشرك انتهى وقال ابن المسيب هذا حكم كان في الزناة عام ان لا يتزوج زان الا زانية
ثم جات الرخصة ونسخ ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم
من النسا وروي ترتيب هذا النسخ عن مجاهد الا انه قال حرم نكاح اوليك البغايا على
اوليك النفر قال ابن عطية وذكر الاشراك في الاية يضعف هذه المناحي انتهى وعن
الجبائي انها منسوخة بالاجماع وضعف بانه يثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا
ينسخ به وتلخص من هذه الاقوال ان النكاح ان اريد به الوطء فالاية وردت مبالغة
في تشنيع الزنا وان اريد به التزويج فاما ان يراد به عموم في الزناة ثم نسخ او عموم في
الفساق الخبيثين لا يرغبون الا فيمن هو شكل لهم والفواسق الخبايث لا يرغبن الا
فيمن هو شكل لهن ولا يحرم التزوج على ما قرره الزمخشري او يراد به خصوص في قوم
كانوا في الجاهلية زنوا ببغايا فارادوا ان يتزوجوهن لفقرهم وايسارهن مع بقايهن على
البغا فلا يتزوج عفيفة ولو زنا رجل بامراة ثم اراد تزويجها فاجاز ذلك ابو بكر
الصديق وابن عمر وابن عباس وجابر وطاوس وابن المسيب وجابر بن زيد
وعطا والحسن وعكرمة ومالك والثوري والشافعي ومنعه ابن مسعود والبرا بن عازب
وعايشة وقالوا لا يزالان زانيين ما اجتمعا ومن غريب النقل انه لو تزوج معروف بالزنا
او بغيره من الفسوق ثبت الخيار في البقا معه او فراقه وهو عيب من العيوب التي
يترتب الخيار عليها وذهب قوم الى ان الاية محكمة وعندهم ان من زنا من الزوجين
فسد النكاح بينهما وقال قوم منهم لا ينفسخ ويومر بطلاقها اذا زنت فان امسكها اثم
قالوا ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني فاذا ظهرت التوبة جاز وقال الزمخشري
فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة
الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفتها بكونها غير
مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وعن عمرو بن عبيد لا ينكح
بالجزم على النهي والمرفوع فيه معنى النهي ولكن هو ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك
الله ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى
المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها انتهى وقرا ابو البرهسم وحرم مبنيا
للفاعل اي الله وزيد بن علي وحرم بضم الرا وفتح الحا والجمهور وحرم مشددا مبنيا للمفعول
والقذف الرمي بالزنا وغيره والمراد هنا الزنا لاعتقابه اياه ولاشتراط اربعة شهدا وهو
مما يختص القذف بالزنا اذ في غيره يكفي شاهدان قال ابن جبير ونزلت بسبب قصة الافك
وقيل بسبب القذفة عاما واستعير الرمي للشتم لانه اذاية بالقول كما قال وجرح اللسان كجرح اليد

وقال رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن أجل الطوي رماني والمحصنات الظاهر أن المراد النساء
العفائف وخص النساء بذلك وإن كان الرجال يشركونهن في الحكم لأن القذف فيهن أشنع وأنكر
للنفوس ومن حيث هن هوى الرجال ففيه إيذاء لهن ولأزواجهن وقيل بأنهن وقيل المعنى
الفروج المحصنات كما قال والتي أحصنت فرجها وقيل الأنفس المحصنات وقاله ابن حزم وحكاه الزهراوي
فعلى هذين القولين يكون اللفظ شاملا للنساء والرجال ويدل على الثاني قوله والمحصنات
من النساء وثم محذوف أي بالزنا وخرج بالمحصنات من ثبت زناها وزناه واشترط في
الإحصان الإسلام والعقل والبلوغ والحرية قال أبو بكر الرازي ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا
المعنى والمراد بالمحصنات من يرمين بالزنا أو لمن زوج فكريا في بعد ذلك والرمي بالزنا
الموجب للحد هو التصريح بأن يقول يا زانية أو يا زاني أو يا ابن الزاني وابن الزانية
يا ولد الزنا لست لأبيك لست لهذه وما أشبه ذلك من الصرائح فلو عرض كأن يقول
ما أنا بزان ولا أمي بزانية ولا يحد في مذهب أبي حنيفة وزفر وأبي يوسف ومحمد وابن
شبرمة والثوري والحسن بن صالح والشافعي ويحد في مذهب مالك وثبت الحد فيه
عن عمر بعد مشاورته الناس وقال أحمد وإسحاق هو قذف في حال الغضب دون
الرضى فلو قذف كتابيا إذا كان للمقذوف ولد مسلم وقيل إذا قذف الكتابية
تحت المسلم حد واتفقوا على أن قاذف الصبي لا يحد وإن كان مثله يجامع واختلفوا
في قاذف المجنون فقال غيرهما لا يحد والذين يرمون ظاهره المذكور وكل الرامين
كلهم ولو قذف الصبي أو المجنون زوجته أو أجنبية فلا حد عليهما والأخرس ولو له
كناية معروفة وإشارة محسوسة حد عند الشافعي وقال أبو حنيفة لا يصح قذفه
ولا لعانه ولما كانت معصية الزنا كبيرة من أمهات الكبائر وكان متعاطيها كثيرا
إنما يستتر بها فقلما يطلع أحد عليها شدد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة شهداء
رحمة بعباده وسترا لهم والمعنى ثم لم يأتوا الحكام والجمهور على إضافة أربعة
شهداء وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بأربعة بالتنوين وهي قراءة فصيحة لأنه إذا
اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الإضافة ولذلك رجح ابن جني هذه
القراءة على قراءة الجمهور من حيث أخذ مطلق الصفة وليس كذلك لأن الصفة إذا
جرت مجرى الأسماء باشرتها العوامل جرت في العدد وفي غيره مجرى الأسماء ومن ذلك
شهيد ألا ترى إلى قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وقوله واستشهدوا
شهيدين وكذلك عبد فثلاثة شهداء بالإضافة أفصح من التنوين والاتباع وكذلك
ثلاثة أعبد وقال ابن عطية وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك إضافته إنما يجوز في الشعر
انتهى وليس كما ذكر إنما يرى ذلك س في العدد الذي بعده اسم نحو ثلاثة رجال وأما
في الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذي ذكرناه وإذا نونت أربعة فشهداء بدل إذ هو جار
جرى مجرى الأسماء أو صفة لأنه صفة حقيقية ويضعف قول من قال إنه حال أو تمييز وهذه
الشهادة تكون بالمعاينة البليغة كالمرود في المكحلة والظاهر أنه لا يشترط في شهادتهم أن تكون
حالة اجتماعهم بل لو أتي بهم متفرقين صحت شهادتهم وقال أبو حنيفة شرط ذلك أن يشهدوا
مجتمعين فلو جاءوا متفرقين كانوا قذفة والظاهر أنه يجوز أن يكون أحد الشهود زوج
المقذوفة لاندراجه في أربعة شهداء ولقوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم يفرق
بين كون الزوج فيهم وبين أن يكونوا أجنبيين وبه قال أبو حنيفة ولعانه وحكي
المرأة وروي ذلك عن الحسن والشعبي وقال مالك والشافعي يلاعن الزوج والثلاثة يحدون

مثله عن ابن عباس فاجلدوهم أمر للإمام ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وإن لم يطالب المقذوف
وبه قال ابن أبي ليلى وقال أبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي والشافعي لا يحد إلا بمطالبته وقال
مالك كذلك إلا أنه يكون الإمام سمعه فيحده إذا كان مع الإمام شهود عدول وإن
لم يطالب المقذوف والظاهر أن العبد القاذف حرا إذا لم يأت بأربعة شهداء حد ثمانين لاندراجه
في عموم والذين يرمون وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعي وقال أبو حنيفة وأصحابه
ومالك والثوري وعثمان البتي والشافعي يجلد أربعين وهو قول علي وفعل أبي بكر وعمر
وعلي ومن بعدهم من الخلفاء وقال عبد الله بن ربيعة ولو قذف واحد جماعة بلفظ
واحد وأفرد لكل واحد حد حدا واحدا وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك والثوري
والليث وقال عثمان البتي والشافعي لكل واحد حد وقال الشعبي وابن أبي ليلى إن
كان بلفظ واحد نحو يا زناة فحد واحد أو قال لكل واحد يا زاني فلكل إنسان حد والظاهر
من الآية أنه لا يجلد إلا القاذف ولم يأت بالشهداء إذا لم يستوف عدد الشهود وليس
من باب الشهادة للقاذف مقاذف وقد أجراه عمر مجرى القاذف وجلد أبا بكرة وأخاه نافعا
وشبل بن معبد البجلي لتوقف الرابع وهو زياد في الشهادة فلم يؤدها كاملة ولو
أتى بأربعة شهداء فساق فقال زيد يدرأ الحد عن القاذف والشهود وعن أبي يوسف
يحد القاذف ويدرأ عن الشهود وقال مالك وعبيد الله بن الحسن يحد الشهود
والقاذف ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الظاهر أنه لا يقبل شهادته أبدا وإن أكذب نفسه
وتاب وهو نهي جاء بعد أمر فكما أنه حكم الجلد كذلك حكم رد شهادته وبه قال شريح القاضي
والنخعي وابن المسيب وابن جبير والحسن والثوري وأبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح
لا تقبل شهادة المحدود في القذف وإن تاب وتقبل شهادته في غير القذف إذا تاب
وقال مالك تقبل في القذف بالزنا وغيره إذا تاب وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي
والقاسم بن محمد وسالم والزهري وقال لا تقبل شهادة محدود في الإسلام يعني مطلقا وتوبته
إنما تقبل بإكذاب نفسه في القذف وهو قول الشافعي وكذا فعل عمر بنافع وشبل أكذبا
أنفسهما فقبل شهادتهما وأصر أبو بكرة فلم يقبل شهادته حتى مات وأولئك هم الفاسقون
الظاهر أنه كلام مستأنف غير داخل في حيز الذين يرمون كأنه إخبار بحال الرامين بعد انقضاء
الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتب في حيزه من الجلد وعدم قبول الشهادة أبدا إلا الذين
تابوا هو الاستثناء وتعقب جملا ثلاثة جملة الأمر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم
يسقط عنه حد القذف وجملة النهي عن قبول شهادتهم أبدا وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم
إذا تابوا بناء على أن هذا الاستثناء راجع إلى جملة النهي وجملة الحكم بالفسق وهو راجع إلى الجملة
الأخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم والذي يقتضيه النظر أن الاستثناء إذا تعقب
جملة يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصا في الجملة الأخيرة وهذه
المسألة تكلم عليها في أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير
المهاباذي وابن مالك فاختار ابن مالك أن يعود إلى الجمل كلها كالشرط واختار المهاباذي أن
يعود إلى الجملة الأخيرة وهو الذي نختاره وقد استدللنا على صحة ذلك في كتاب التذييل
والتكميل في شرح التسهيل وقال الزمخشري وجعل يعني الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة النصب لأنه
عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط
يعني الموصول المتضمن معنى الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته

ويستغفروه اي اصلحوا له العمل والرد الفسق الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم فيصيرون
غير محدودين ولا مردودين ولا فاسقين انتهى وليس يقتضي ظاهر الاية عود الاستثنا
الى الجمل الثلث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والقول
بانه استثنا منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة ولما ذكر تعالى قذف
المحصنات وكان الظاهر انه يتناول الازواج وغيرهن ولذلك قال سعد بن عبادة يا رسول
الله ان وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة شهدا والله لاضربنه بالسيف غير مصفح
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن امية حين رمى زوجته بشريك بن سحما
فنزلت والذين يرمون ازواجهم واتضح ان المراد بقوله والذين يرمون المحصنات غير
الزوجات والمشهور انها نازلة في هلال وقيل نازلة في عويمر وقيل والمعنى بالزنا ولم يكن لهم شهدا ولم
تقيد بعدد اكتفا بالتقييد في قذف غير الزوج والمعنى شهدا على صدق قولهم وقرى
ولم تكن بالتا وقرا الجمهور باليا وهو الفصيح لانه اذا كان العامل مفرغا لما بعد الا وهو
مونث فالفصيح ان يقول ما قام الا هند واما ما قامت الا هند فاكثر اصحابنا يخصه
بالضرورة وبعضهم يجيزه في الكلام على قلة وازواجهم يعم سائر الازواج من المومنات
والكافرات والاما فكلهن يلاعن الزوج للانتفا من الحمل وقال ابو حنيفة واصحابه باحد معنيين
احدهما ان تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد وان كان اجنبيا نحو ان تكون الزوجة
ممن لا يجب على قاذفها مملوكة او ذمية وقد وطيت وطيا حراما في غير ملك والثاني ان يكون
احدهما ليس من اهل الشهادة بان يكون محدودا في قذف او كافرا او عبدا فاما اذا كان اعمى
او فاسقا فله ان يلاعن وقال الثوري والحسن بن صالح لا لعان اذا كان احد الزوجين مملوكا
او كافرا ويلاعن المحدود في القذف وقال الاوزاعي لا لعان بين اهل الكتاب ولا بين
المحدود في القذف وامراته وقال الليث يلاعن العبد امراته الحرة والمحدود في القذف وعن مالك
الامة المسلمة والحرة الكتابية يلاعن الحر المسلم والعبد يلاعن زوجته الكتابية وعنه ليس بين
المسلم والكافرة لعان الا ان يقول رايتها تزني فيلاعن ظهر الحمل او لم يظهر ويلاعن المسلم الكافرة
ولا زوجته الامة الا في نفي الحمل ويلاعن المملوكات المسلمات لا الكافرات وقال الشافعي كل
زوج جاز طلاقه ولزمه الفرض يلاعن والظاهر العموم في الرامين وزوجاتهم الرميات بزنا
والظاهر اطلاق الرمي بالزنا سوا قال عاينتها تزني ام قال زنيت وهو قول ابي حنيفة
واصحابه وكان مالك لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزنين او ينفي حملا او ولدا ويكون استبراها فقوله
ليس هذا الحرمي ولم تتعرض الاية في اللعان الا لكيفيته من الزوجين وقد اطال
المفسرون الزمخشري وابن عطية وغيرهما في ذكر كثير من احكام اللعان مما تتعرض له
الاية ويبحث ذلك في كتب الفقه وقرا الجمهور اربع شهادات بالنصب على المصدر وارتفع
فشهادة خبرا على اضمار مبتدا اي فالحكم او الواجب او مبتدا على اضمار الخبر مقدما اي فعليه
ان يشهد او موخرا اي كافية او واجبة وبالله من صلة شهادات ويجوز ان يكون من صلة
فشهادة قاله ابن عطية ونزع الحوفي ذلك على الاعمال فعلى راي البصريين واختيارهم
يتعلق بشهادات وعلى اختيار الكوفيين يتعلق بقوله فشهادة وقرا الاخوان وحفص
والحسن وقتادة والزعفراني وابن مقسم وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو بحرية وابان
وابن سعدان اربع بالرفع خبر للمبتدا وهو فشهادة وبالله من صلة شهادات على هذه
القراة ولا يجوز ان يتعلق بفشهادة للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يجوز ذلك
وقرا الجمهور والخامسة بالرفع فيهما وقرا طلحة والسلمي والحسن والاعمش وخالد بن اياس

ويقال

ويقال بن الياس بالنصب فيهما وقرا حفص والزعفراني بنصب الثانية دون الاولى فالرفع
على الابتدا وما بعده الخبر ومن نصب الاولى فعطف على اربع في قراة من نصب اربع وعلى
اضمار فعل يدل عليه المعنى في قراة من رفع اربع اي وتشهد الخامسة ومن نصب الثانية فعطف
على اربع من قوله ان تشهد اربع وعلى قراة النصب في الخامسة يكون انه بعده على اسقاط
حرف الجار بان وجوز ان تكون ان وما بعده بدلا من الخامسة وقرا نافع ان لعنة
بتخفيف ان ورفع لعنة وان غضب بتخفيف ان وغضب فعل ماض والجلالة بعده مرفوعة
وهي ان المخففة من الثقيلة لما خففت حذف اسمها وهو ضمير الشان وقرا ابو رجا وقتادة
وعيسى وسلام وعمرو بن ميمون والاعرج ويعقوب بخلاف عنهما والحسن ان لعنة كقراة
نافع وان غضب بتخفيف ان وغضب مصدر مرفوع وخبر ما بعدها اسمها الهاو خبرها
ما بعد قال ابن عطية وان الخفيفة على قراة نافع في قوله ان غضب قد وليها الفعل
قال ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو
قوله علم ان سيكون وقوله افلا يرون ان لا يرجع واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا
ما سعى فذلك لعله بمكن ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك على
معنى الدعا فلم يجر دخول الفواصل ليلا يفسد المعنى انتهى ولا فرق بين ان غضب الله
وان بورك في كون الفعل بعد ان دعا ولم يبين ذلك ابن عطية ولا الفارسي ويكون غضب
دعا مثل النحاة الا انه كان الفعل دعا لا يفصل بينه وبين ان بشي واورد بن عطية ان
غضب في قراة نافع مورد المنسوب ويدرا عنها العذاب اي يدفع والعذاب قال
الجمهور الحد وقال اصحاب الراي لا حد عليها ان لم تلاعن ولا يوجبه عليها قول الزوج
وحكى الطبري عن اخرين ان العذاب هو الحبس والظاهر الاكتفا في اللعان بهذه الكيفية
المذكورة في الاية وبه قال الليث ومكان ضمير الغايب ضمير المتكلم في شهادته مطلقا وفي شهادتها
في قوله عليها تقول علي وقال الثوري وابو حنيفة ومحمد وابو يوسف يقول بعد من الصادقين
فيما رماها به من الزنا وكذا بعد من الكاذبين وكذا هي بعد من الكاذبين ومن الصادقين
فان هناك ولد ينفيه زاد بعد قوله فيما رماها به من الزنا في نفي هذا الولد وقال مالك
تقول اشهد بالله اني رايتها تزني وهي تشهد بالله ما راني ازني والخامسة تقول ذلك
اربعا والخامسة لفظ الاية وقال الشافعي يقول اشهد بالله اني لصادق فيما رميته
به زوجتي فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة اربع مرات ثم يقعده
الامام ويذكره الله تعالى فان رآه يريد ان يمضي امر من يضع يده على فيه ويقول انك
قولك وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة من الزنا فان قذفها
باحد بعينه واحدا واثنين في كل شهادة وان نفى ولدها زاد وان هذا الولد ما هو
مني والظاهر انه اذا طلقها باينا فقذفها وولدت قبل انقضا العدة فنفى الولد انكر
ويلحقه الولد لانه لا ينطلق عليها زوجة الا مجازا وعن ابن حنبل اذا طلقها تطليقة او
تطليقتين ثم قذفها حد وعن ابن عمر يلاعن وعن الليث والشافعي اذا انكر حملها بعد
البينونة لاعن وعن مالك ان انكره بعد الثلث لاعنها ولو قذفها ثم بانت منه بطلاق
او غيره قال الثوري وابو حنيفة واصحابه لا حد ولا لعان وقال الاوزاعي والليث والشافعي
يلاعن وهذا هو الظاهر لانها كانت زوجة حالة القذف والظاهر من قوله فشهادة
احدهم انه يلزم ذلك فان نكل حبس حتى يلاعن وكذلك هي وهذا مذهب ابي حنيفة
واصحابه وقال مالك والحسن بن صالح والليث والشافعي ايهما نكل حد هو للقذف وهي

بزنا ومن الحكي اذا الاعمى وابن حبيب وعن مكحول والضحاك والشعبي ترجم وما وعنه اللعان
دليل على ان الزنا والقذف ليسا بكبيرتين فانهما خلافا للخوارج في قولهم ان ذلك كونهما من الكبائر
منها الاستحقاق اللعن من الله والغضب قال الزمخشري فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس
بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه باطماعها ولذلك كانت مقدمة
في اية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخويلة والرجم اهون عليك من غضب الله ولولا فضل
الله الى اخره قال السدي فضله منته ورحمته نعمته وقال ابن سلام فضله الاسلام ورحمته
الكتمان وكانه بين تعالى الحكم الرائي المحصنات والازواج كان في فضله ورحمته ان جعل اللعان
سبيلا الى الستر والى درء الحد وجواب لولا محذوف قال التبريزي تقديره لهلكتم او لفضحكم
او لعاجلكم بالعقوبة او لتبين الكاذب وقال ابن عطية لكشف الزناة بايسر من هذا او لاخذهم
بعقاب من عنده ونحو هذا من المعاني التي يوجب تقديرها ابهام الجواب ان الذين
جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من
الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس
لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مومنين ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم سبب نزول هذه الايات مشهور مذكور في
الصحيح والافك الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك والعصبة الجماعة
وقد تقدم الكلام عليها في سورة يوسف عليه السلام منكم اي من اهل ملتكم وممن ينتمي الى
الاسلام ومنهم منافق ومنهم مسلم والظاهر ان خبر ان هو عصبة منكم ومنكم في موضع الصفة
وقاله الحوفي وابو البقاء لا تحسبوه مستانف وقال ابن عطية عصبة رفع على البدل من الضمير
في جاءوا وخبر ان في قوله لا تحسبوه التقدير ان فعل الذين وهذا انسق في المعنى واكثر فائدة
من ان يكون عصبة خبر ان انتهى والعصبة عبد الله بن ابي راس المنافقين وزيد بن
رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقيل ممن لم يرد
ذكر اسمه ولا تحسبوه خطاب لمن ساءه ذلك من المومنين وخصوصا اصحاب القصة
والضمير في لا تحسبوه الظاهر انه عائد على الافك وعلى اعراب ابن عطية يعود على ذلك المحذوف
الذي قدره اسم ان قيل ويجوز ان يعود على القذف وعلى المصدر المفهوم من جاءوا وعلى
ما نال المسلمين من الغم والمعنى لا تحسبوه ينزل بكم شرا وعارا بل هو خير لكم لبراءة الساحة
وثواب الصبر على ذلك الاذى وانكشاف كرب القاذفين وقيل الخطاب بلا تحسبوه
للقاذفين وكينونته خيرا لهم حيث كان هذا الذكر يتوبه مطهرة كالكفارة وحيث
تاب بعضهم وهذا القول ضعيف لقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما اكتسب
وذلك بقدر ما خاض فيه لان بعضهم تكلم وبعضهم سكت وبعضهم تكلم واكتسب مستعمل
في المآثم ونحوها لانها تدل على اعتمال وقصد فهو ابلغ في الترتيب وكسب مستعمل في
الخير لان حصوله مغن عن الدلالة على اعتماله وقد يستعمل كسب في الوجهين والذي

تولى

تولى كبره المشهور انه عبد الله بن ابي لامعانه في عداوة الرسول وانتهازه الفرص وروي عنه كلام قبيح
في ذلك تنزهت كتابي عن ذكره وتنبو عن كتابته يمينه الله وقيل الذي تولى كبره حسان والعذاب
الاليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على راسه وقال له توق ذباب السيف عني فانني
غلام اذا هوجيت لست بشاعر ولكنني احمي حماي واتقي من الباهت الرامي البريء الظواهر
وانشد حسان ابياتا يثني فيها ويظهر براءته مما نسب اليه وهي

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لوي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلغت عني قلته ... فلا رفعت سوطي الي اناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لال رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها ... تقاصر عنها سورة المتطاول

والمشهور انه حد حسان ومسطح وحمنة وقيل وعبد الله بن ابي وقد ذكر بعض شعراء ذلك العصر في شعر
وقيل لم يحد مسطح وقيل لم يحد عبد الله وقيل لم يحد احد في هذه القصة وهذا مخالف
للنص فاجلدوهم ثمانين جلدة وقائل ذلك يقول انما يقام الحد باقرار او بينة ولم
يتعبد باقامته بالاخبار كما لم يتعبد بقتل المنافقين وقد اخبر تعالى بكفرهم وقرا
الجمهور كبره بكسر الكاف وقرا الحسن وعمرة بنت عبد الرحمن والزهري وابو رجاء ومجاهد
وابو البرهسم والاعمش وحميد وابن ابي عبلة وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب ويعقوب
والزعفراني وابن مقسم وسودة عن الكسائي ومحبوب عن ابي عمرو بضم الكاف والكبر
والكبر مصدران لكبر الشيء عظم لكن استعمال العرب الضم ليس في السن هذا كبر القوم اي
كبيرهم سنا او مكانة وفي الحديث في قصة حويصة ومحيصة الكبر الكبر وقيل كبره بالضم
معظمه وبالكسر البداءة بالافك وقيل بالكسر الاثم لولا اذ سمعتموه هذا تحريض على ظن
الخير وزجر وادب والظاهر ان الخطاب للمومنين حاشى من تولى كبره وقيل ... حوام
في الخطاب وفيه عتاب اي كان الانكار واجبا عليهم وعدل بعد الخطاب الى الغيبة
وعن الضمير الى الظاهر فلم يجئ التركيب ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا
يصدق مومن على اخيه قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المومن
اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيه على ظن الخير وان يقول بناء على ظنه هذا
افك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراءة اخيه كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة
الحال وهذا من الادب الحسن ومعنى بانفسهم اي كان يقيس فضلاء المومنين
والمومنات هذا الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد عليهم فهو في حق من
هو منهم ابعد وقيل معنى بانفسهم بامهاتهم وقيل باخوانهم وقيل باهل دينهم
وقال ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم اي لا يلمز بعضكم بعضا وليسلم بعضكم على
بعض لولا جاءوا عليه باربعة شهداء وجعل الله فصلا بين الرمي الصادق والرمي
الكاذب ثبوت شهداء اربعة وانتفاؤها فاذ لم ياتوا بهم فهم في حكم الله وشريعته
كاذبون وهذا توبيخ وتوبيخ للذين سمعوا الافك ولم يجدوا في دفعه وانكاره
واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة

والتنكيل ولولا فضل الله أي في الدنيا بالنعم التي منها الإمهال للتوبة ورحمته عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لمسكم العذاب فيما أفضتم فيه من حديث الإفك يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض إذ تلقونه العامل في إذ لمسكم وقرأ الجمهور تلقونه بفتح الثلاثة وشد القاف وشد التاء البزي وأدغم ذال إذ في التاء النحويان وحمزة أي يأخذ بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه وأصل تتلقونه وهي قراءة أبي وقرأ ابن السميفع تُلقونه بضم التاء والقاف وسكون اللام مضارع ألقى وعنه تَلقَونه بفتح التاء والقاف وسكون اللام مضارع لقي وقرأت عائشة وابن عباس وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من قول العرب ولق الرجل كذب حكاه أهل اللغة وقال ابن سيده جاؤوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي أنه أراد يلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير وحكى الطبري وغيره أن هذه اللفظة مأخوذة من الولق الذي هو الإسراع بالشيء بعد الشيء كعدد في إثر عدد وكلام في إثر كلام يقال ولق في سيره إذا أسرع قال جاءت به عنس من الشام تلق وقرأ زيد بن أسلم وأبو جعفر تألقونه بفتح التاء وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة من الألق وهو الكذب وقرأ يعقوب في رواية المازني تيلقونه بتاء مكسورة بعدها ياء ولام مفتوحة كأنه مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا تيجل مضارع وجلت وقال سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه يعني مضارع ثقف قال وكان أبوها يقرأ بحرف ابن مسعود ومعنى بأفواهكم وتديرونه فيها من غير علم لأن الشيء المعلوم يكون في القلب ثم يعبر عنه اللسان وهذا الإفك ليس محله إلا الأفواه كما قال يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا أي ذنبا صغيرا وهو عند الله من الكبائر وعلق مس العذاب بثلاثة آثام تلقي الإفك والتكلم به واستصغاره ثم أخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم إذ سمعوه أن لا يفوهوا به وقال الزمخشري فإن قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها انتهى وما ذكره في أدوات التحضيض يوهم أن ذلك مختص بالظرف وليس كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت وقال الزمخشري فإن قلت فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم فإن قلت ما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه ما ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق سبحانك تعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم كما قيل فيها انتهى يعظكم الله أن تعودوا أي في أن تعودوا وتقول وعظت فلانا في كذا فتركه إن كنتم مؤمنين حث لهم على الاتعاظ وتهييج لأن من شأن المؤمن الاحتراز مما يشينه من القبائح وقيل أن تعودوا مفعول من أجله أي كراهة أن تعودوا ويبين الله لكم الآيات أي الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب ويعظكم من المواعظ الشافية إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة قال مجاهد وابن زيد الإشارة إلى عبد الله بن أبي ومن أشبهه في الذين آمنوا العداوة لهم والعذاب الأليم في الدنيا الحد

وفي

وفي الآخرة النار والظاهر في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة العموم في كل قاذف منافقا كان أو مؤمنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل على أن إرادة الفسق فسق والله يعلم أي البريء من المذنب وسرائر الأمور ووجه الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد وقال الحسن عنى بهذا الوعيد واللعن المنافقين وأنهم قصدوا وأحبوا إذاية الرسول وذلك كفر وملعون فاعله وقال أبو مسلم هم المنافقون أوعدهم الله بالعذاب في الدنيا على يد الرسول بالمجاهدة لقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال الكرماني أي والله يعلم كذبهم وأنتم لا تعلمون لأنه غيب وجواب لولا محذوف أي لعاقبكم وأن الله رؤوف بالتبرئة رحيم بقبول توبة من تاب ممن قذف قال ابن عباس والخطاب لحسان ومسطح وحمنة والظاهر العموم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم

تقدم الكلام على خطوات الشيطان تفسيرا وقراءة في البقرة والضمير في فإنه عائد على من الشرطية أي فإن متبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء وهو ما أفرط قبحه والمنكر وهو ما تنكره العقول السليمة أي يصير رأسا في الضلال بحيث يكون آمرا يطيعه أصحابه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوبة الممحصة ما طهر أحد منكم وقرأ الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف وأمال حمزة والكسائي وأبو حيوة والحسن والأعمش وأبو جعفر في رواية وروح بتشديدها وأماله الأعمش وكتب زكى المخفف بالياء وهو من ذوات الواو على سبيل الشذوذ لأنه قد يمال أو على قراءة من شد الكاف ولكن الله يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبقها أو من يشاء بقبول التوبة النصوح والله سميع لأقوالكم عليم بضمائركم ولا يأتل هو مضارع ائتلى افتعل من الألية وهي الحلف وقيل معناه يقصر من ائتلى افتعل من ألوت قصرت ومنه لا يألونكم وقول الشاعر

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

وهذا قول أبي عبيدة واختاره أبو مسلم وسبب نزولها المشهور أنه حلف أبي بكر على مسطح أن لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عن من قال في الإفك وقالوا لا نصل من تكلم فيه فنزلت في جميعهم والآية تتناول من هو بهذا الوصف وقرأ الجمهور يأتل وقرأ عبد الله بن عياش بن ربيعة وأبو جعفر مولاه وزيد بن أسلم والحسن يتأل مضارع تألى بمعنى حلف قال الشاعر تألى ابن أوس حلفة ليردني إلى نسوة كأنهن مفائد والفضل والسعة يعني بذل وكان مسطح ابن خالة أبي بكر وكان من المهاجرين وممن شهد

بدرا وكان ما بين النبي دعا ابا بكر الا يحسن اليه وامره هو ومن جرى مجراه بالعفو والصفح
ولما سمع ابو بكر الا تحبون ان يغفر الله لكم قال بلى احب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح
نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب وابو البرهسم ان
تؤتوا بالتاء على الالتفات ويناسبه الا تحبون وان تؤتوا ينتصب الفعل المنهي
فان كان بمعنى الحلف فيكون التقدير كراهة ان يؤتوا او ان لا يؤتوا فحذف لا
وان كان بمعنى يقصر فيكون التقدير في ان يؤتوا او عن ان يؤتوا وقرا عبد الله
والحسن وسفين بن الحسين واسماء بنت يزيد ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء امر خطاب للحاضرين
ان الذين يرمون عام في الرامين واندرج فيه الراميات تغليبا للمذكر على المونث
والمحصنات ظاهره انه عام في النسا العفايف وقال النحاس من احسن ما قيل فيه انه عام
لجميع الناس من ذكر وانثى وان التقدير يرمون الانفس المحصنات فيدخل فيه
المذكر والمونث وقيل هو خاص بمن تكلم فيها في حديث الافك وقيل خاص بامهات
المومنين وكبراهن منزلة وجلالة تدل على انه خاص بهن جمعت ارادة لها ولبناتها
من نسا الامة الموصوفات بتلك الصفات من الاحصان والعقل والايمان كما قال
قدني من نصر الخبيبين قدي يعني عبد الله بن الزبير واشياعه والغافلات السليمات
الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دها ولا مكر لانهن لم يجربن الامور
ولا يفطن لما يفطن له المجربات كما قال الشاعر ولقد لهوت بطفلة ميالة ۰
بلها تطلعني على اسرارها ۰ وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله
لعنوا في الدنيا والاخرة في قذف المحصنات قيل هذا الاستثنا بالتوبة وفي هذه لم
يجي استثنا وعن ابن عباس ان من خاض في حديث الافك وتاب لم تقبل توبته
والصحيح ان الوعيد في هذه الاية مشروط بعدم التوبة ولا فرق بين الكفر والفسق
وان من تاب غفر له ويناسب ان تكون هذه الاية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت
المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر قاله ابو حمزة اليماني
ويويده قوله يوم تشهد عليهم وعن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن ابي
كان يشكك في الدين فاذا كان يوم القيامة حيث لا ينفعه والناصب ليوم تشهد
ما يتعلق به الجار والمجرور وهو ولهم وقال الحوفي العامل فيه عذاب ولا يجوز لانه
موصوف الا على راي الكوفيين وقرا الاخوان والزعفراني وابن مقسم وابن
سعدان يشهد بالياء من تحت لانه تانيث مجازي ووقع الفصل وباقي السبعة
بالتاء ولما كان قلب الكافر لا يريد ما يشهد به انطق الله الجوارح الالسنة
والايدي والارجل بما عملوا في الدنيا واقدرها على ذلك وليست الحياة شرطا
لوجود الكلام وقالت المعتزلة تخلق في هذه الجوارح الكلام وعندهم المتكلم فاعل
الكلام فتكون تلك الشهادة من الله في الحقيقة الا انه تعالى اضافها الى الجوارح
توسعا وقالوا ايضا انه تعالى يبني هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلجيها ان
تشهد على الانسان وتخبر عنه باعماله قال القاضي وهذا اقرب الى الظاهر لان
ذلك يفيد انها تفعل الشهادة وانتصب يومئذ بيوفيهم والتنوين في اذ عوض من
الجملة المحذوفة والتقدير يوم اذ تشهد وقرا زيد بن علي يوفيهم مخففا والدين
هنا الجزا اي جزا اعمالهم وقال ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا ومنه كما
تدين تدان وقرا الجمهور الحق بالنصب صفة لدينهم وقرا عبد الله ومجاهد وابو روق

وابو

وابو حيوة بالرفع صفة لله ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصوف وصفته ويعلمون الخ
يقوي قول من قال ان الاية في عبد الله بن ابي لان كل مومن يعلم ان الله هو الحق المبين
قال الزمخشري ولو قلبت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل
قد غلظ في شي تغليظه في الافك وما انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعذاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع
ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه
ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين
جميعا وتوعدهم بالعذاب الاليم العظيم في الاخرة وان السنتهم وايديهم وارجلهم
تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا به وان يوفيهم جزاهم الحق الذي هم اهله حتى يعلموا
عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم
يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما دونه في الفظاعة انتهى وهو كلام حسن ثم
قال بعد كلام فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين العادل
الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم
تسقط عنده اساءة مسي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه انتهى وفي
قوله لم تسقط اساءة مسي دسيسة الاعتزال والظاهر ان الخبيثات وصف للنسا وكذلك
الطيبات اي النسا الخبيثات للرجال الخبيثين ويرجحه مقابلته بالذكور فالمعنى ان
الخبيثات من النسا ينزعن للخباث من الرجال فيكون قريبا من قوله الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة وكذلك الطيبات من النسا للطيبين من الرجال ويدل على هذا
التاويل قول عايشة حين ذكرت التسع التي ما اعطيتهن امراة غيرها وفي اخرها ولقد
خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وهذا التاويل نحى اليه ابن
زيد وهو تفريق بين عبد الله واشباهه والرسول واصحابه فلم يجعل الله له الا كل خبيثة
واولئك خبيثون فهم اهل النسا الخبايث وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة هي
الاقوال والافعال ثم اختلف هولا فقال بعضهم الكلمات والفعلات الخبيثة لا يقولها ولا
يرضاها الا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه اولئك اشارة للطيبين
او اشارة لهم وللطيبات اذ اعني بهن النسا مبرءون مما يقولون اي يقول الخبيثون
من خبيثات الكلم او القاذفون الرامون المحصنات ووعد الطيبين المغفرة عند الحساب
والرزق الكريم في الجنة غض البصر اطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الروية قال الشاعر
فغض الطرف انك من نمير ۰ فلا كعبا بلغت ولا كلابا الخمر جمع خمار وهو المقنعة التي تلقي
المراة على راسها وهو جمع كثرة مقيس فيه ويجمع في القلة على اخمرة وهو مقيس فيه
ايضا قال الشاعر وترى الشجراء في ريقه ۰ كرؤوس قطعت فيها الخمر الجيب فتح يكون
في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد والعورة ما احترز من الاطلاع عليه وغلب
في سواة الرجل والمراة الايم قال النضر بن شميل كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها
ووزنه فيعل كلين عن يقال امت تئيم قال الشاعر كل امرئ ستئيم منه العرس او منها يئيم
[illegible] وقياس جمعه ايايم كسايد في جمع سيد وجمعه على فعالى [illegible]
البغا الزنا يقال بغت المراة تبغي بغا فهي بغي وهو مختص بزنا النسا المشكاة الكوة
غير النافذة قال الكلبي حبشي معرب الزجاجة جوهر معروف مصنوع وضم الزاي لغة
الحجاز وكسرها وفتحها لغة قيس الزيت الدهن المعتصر من حب شجر الزيتون قال الكرماني

السراب بخار يرتفع من قعور القيعان فيكثف فاذا اتصل به ضوء الشمس اشبه الماء من بعيد
فاذا دنا منه الانسان لم يره كما كان يراه بعيدا وقال الفرا السراب ما لصق في الارض وقيل
هو الشعاع الذي يرى نصف النهار عند اشتداد الحر في البر يخيل للناظر انه الماء السارب اي
الجاري قال الشاعر فلما كففنا الحرب كانت عهودكم * كلمع سراب في الفلا متالق * وقال
ابو الطول لماع السراب * وقيل السراب ما يرقرق من الهواء الظهيرة في القاع من الارض
المنبسطة اللجي الكثير الماء ولجة البحر معظمه وكان الجاسوب الي اللجة الودق المطر شديده
وضعيفه وقال الشاعر فلا مزنة ودقت ودقها * ولا ارض ابقل ابقالها * وقال ابو الاشهب
العقيلي هو البرق ومنه قول الشاعر اثرن عجاجة وخرجن منها * خروج الودق من خلل السحاب
والودق مصدر ودق السحاب يدق ودقا ومنه استودقت الفرس البرد معروف وهو قطع
تجمد يذوب منها بالحرارة السنا مقصور من ذوات الواو وهو الضوء قال يضي سناه
او مصابيح راهب * قال السنا سني سنا والسنا ايضا نبت يتداوى به والسنا بالمد الرفعة
والعلو [illegible] ادمن يعني انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع
مع الطاعة الحيف الميل في الحكم يقال حاف في قضيته اي جار قال الفرا الروغان من
نحي الي نحي في خفيه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا
على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن
لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير
بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا
يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او
بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من
الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون جاءت
امراة من الانصار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اكون في
بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد فلا يزال يدخل علي رجل من اهلي فنزلت يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا الاية فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله ارايت الخانات والمساكن
التي ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الاية ومناسبة هذه الاية لما قبلها هو ان
اهل الافك انما وجدوا السبيل الي بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كانها
طريق للتهمة فاوجب الله تعالى ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام
لان في الدخول لا على الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به والظاهر
انه يجوز للانسان ان يدخل بيت نفسه من غير استئذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم
ويروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها
خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال
وعلل النهي عن الدخول بالاستيناس والسلام على اهل تلك البيوت والظاهر ان
الاستيناس هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن
له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن

لكم

لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكنايات والارداف لان
هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن وقد روي عن ابن عباس
انه قال تستانسوا معناه تستاذنوا ومن روى عن ابن عباس انه قال انما تستانسوا خطا او وهم
من الكاتب وانه قرا حتى تستاذنوا فهو طاعن في الاسلام ملحد في الدين وابن عباس بري
من هذا القول وتستانسوا متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر
للنبي صلى الله عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث
المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم وقيل هو من الاستيناس
الذي هو الاستعلام والاستكشاف واستفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا
والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه استانس هل ترى احدا
واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة
كان رحلي وقد زال النهار بنا * يوم الجليل على مستانس وحد *
ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب قال
قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة ويتنحنح
يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم وكان اهل الجاهلية يقول
الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب
الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل
وذهب الطبري الي ان تستانسوا الحالة بمعنى حتى تؤنسوا اهل البيت من انفسكم
بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا انفسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم قال
ابن عطية وتصريف الفعل يابى ان يكون من انس انتهى قال عطا الاستئذان واجب
على كل محتلم وللظاهر مطلق الاستئذان فيكفي به المرة الواحدة وفي الحديث الاستئذان
ثلاث يعني كامله فان اذن له والا فليرجع ولا يزيد على ثلاث الا ان تحقق ان من في
البيت لم يسمع والظاهر تقديم الاستئذان على السلام وفي حديث ابي او دخل
السلام عليكم اادخل والواو في وتسلموا لا تقتضي ترتيبا فشرع الندا بالسلام على الاذن
لما في السلام من التفاؤل بالسلامة ذلكم اشارة الى المصدر المفهوم من تستانسوا وتسلموا
اي ذلكم الاستيناس والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية لعلكم تذكرون اي نزلنا
ذلك وبيناه لكم على ما فيه مصلحتكم من التنزه وعدم الاطلاع على ما تكرهون
الاطلاع عليه لعلكم تذكرون اي تتعظون بحكم فان لم تجدوا فيها احدا اي ياذن
لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم حتى يؤذن لكم اذ قد يكون لرب البيت
فيه ما لا يحب ان يطلع عليه وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا عائد الى من استاذن
في دخول بيت غيره فلم يؤذن له سوا كان فيه من ياذن او لم يكن اي لا تلحوا في طلب
الاذن ولا في الوقوف على الباب منتظرين هو ازكى اي الرجوع اطهر لكم وانمى خير لما فيه
من سلامة الصدور والبعد عن الريبة ثم اخبر انه تعالى بما يعملون عليم اي بما تاتون
وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه وفي ذلك توعد لاهل التجسس على البيوت
وطلب الدخول على غرة والنظر لما لا يحل ليس عليكم جناح قال الزمخشري استثنى من
البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها مثل الفنادق وهي
الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد
وايوا الرحال والسلع والشرا والبيع انتهى وما ذكر الزمخشري من انه استثنى من البيوت

كما ذكر يروى عن ابن عباس وعكرمة والحسن ولا يظهر انه استثنا لان الاية الاولى في البيوت المكونة والمملوكة ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الاية الثانية هي في البيوت المباحة وقد مثل العلما لهذه البيوت امثلة فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي في طرق السابلة قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة ليأوي اليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم اي استمتاع بمنفعتها وسال عطا بالخرب التي يدخل للتبرز وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيسارية والسوق قال ابن الحنفية ايضا هي دور مكة وهذا لا يسوغ الا على القول بان دور مكة غير مملوكة وان الناس فيها شركا وان مكة فتحت عنوة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون البيوت غير المسكونة من اهل الريبة ومن في لغضوا من ابصارهم عند الاخفش زايدة اي يغضوا ابصارهم وعندنا للتبعيض وعند غيرهم للتبعيض وذلك ان اول نظرة لا يملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك ويؤيده قوله لعلي كرم الله وجهه لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك وليست لك الثانية وقال ابن عطية يصح ان يكون من لبيان الجنس ويصح ان يكون لابتدا الغاية انتهى ولم يتقدم مبهم فتكون من لبيان الجنس على ان الصحيح انها ليس من موضوعاتها ان تكون لبيان الجنس ويحفظوا فروجهم اي من الزنا ومن التكشف ودخلت من في قوله من ابصارهم دون الفروج دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان الزوجة ينظر الزوج الى محاسنها من الشعر والصدر والعضد والساق والقدم وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الاجنبية الى وجهها وكفيها واما امر الفرج فمضيق وعن ابي العالية وابن زيد كلها في القران من حفظ الفرج فهو من الزنا الا هذا فهو من الاستتار ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين ذلك اي غض البصر وحفظ الفرج اطهر لكم ان الله خبير بما يصنعون من احالة النظر وانكشاف العورات فيجازي على ذلك وقدم غض البصر على حفظ الفرج لان النظر بريد الزنا ورايد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه وهو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق الحواس اليه ويكثر السقوط من جهته وقال بعض الادبا وما الحب الا نظرة اثر نظرة تزيد نموا ان تزده كما ثم ذكر تعالى حكم المومنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الابصار وفي الحفظ للفروج ثم قال ولا يبدين زينتهن واستثنى ما ظهر من الزينة والزينة ما تتزين به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لمن استثني وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هولاء وهي الساق والمعصم والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابدا الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل النظر اليها غير ملابسة لها وسومح في الزينة الظاهرة لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشيا بيدها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وسومح في الزينة الخفية اوليك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة من مماسة القرايب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار في النزول والركوب وغير ذلك وقال

ابن

ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب ونص على ذلك احمد قال الزينة الظاهرة الثياب وقال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وفسرت الزينة بالثياب وقال ابن عباس الكحل والخاتم وقال الحسن في جماعة الوجه والاكفان وقال ابن جرير الوجه والكحل والخاتم والخضاب والسوار وقال الحسن ايضا الخاتم والسوار وقال ابن عباس الكحل والخاتم فقط وقال المسور بن مخرمة هما والسوار وقال الحسن ايضا الخاتم والسوار وقال ابن بحر الزينة يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله وعلى ما تتزين به من فضل لباس فنهاهن الله عن ابدا ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى ما لا يمكن اخفاوه في بعض الاوقات كالوجه والاطراف على غير التلذذ وانكر بعضهم اطلاق الزينة على الخلقة والاقرب دخوله في الزينة واي زينة احسن من خلق العضو في غاية الاعتدال والحسن وفي قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن دليل على ان الزينة ما يعم الخلقة وغيرها منعهن من اظهار محاسن خلقهن فاوجب سترها بالخمار وقد يقال لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورها عادة وعبادة في الصلاة والحج ان يكون الاستثنا راجعا اليها وفي السنن لابي داود انه عليه السلام قال يا اسما ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا واشار الى وجهه وكفيه وقال ابن جرير مند اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وكان النسا يغطين رؤوسهن بالاخمرة ويسدلنها من ورا الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر عليهن ومن وليضربن يعني وليضعن وليلقين فلذلك عداه بعلى كما يقول ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وقرا عباس عن ابي عمرو وليضربن بكسر اللام وقرا بخمرهن بسكون الميم وابو عمرو ونافع وعاصم وهشام جيوبهن بضم الجيم وباقي السبعة بكسر الجيم وبدا تعالى بالازواج لان اطلاعهم تقع على اعظم من الزينة ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في ابدا الزينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر فالاب والاخ ليس كابن الزوج فقد يبدي للاب ما لا يبدي لابن الزوج ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال وقال الحسن هما كساير المحارم في جواز النظر قال لان الاية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في ابايهن ولم يذكر فيها البعولة وذكرهم هنا والاضافة في نسايهن الى المومنات يقتضي تخصيص ما اضيف اليهن من النسا من مسلمة وكافرة كتابية او مشركة من اللواتي تكن في صحبة المومنات وخدمتهن واكثر السلف على ان قوله او نسايهن مخصوص بمن كان على دينهن قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نسا اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة او ما ملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابي عبيدة ان امنع نسا اهل الذمة من دخول الحمام مع المومنات والظاهر العموم في قوله او ما ملكت ايمانهن فيشمل الذكور والاناث فيجوز للعبد ان ينظر من سيدته ما ينظر اولئك المستثنون وهو مذهب عايشة وام سلمة وعن مجاهد كان امهات المومنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وروي ان عايشة كانت تمتشط وعبد لها ينظر اليها وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع عنه وقال ابن مسعود والحسن وابن المسيب وابن سيرين لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة وفي الحديث لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا فوق ثلاث الا مع ذي محرم والعبد ليس بذي محرم وقال سعيد بن المسيب لا يغرنكم اية النور

فان المراد بها الاما قال الزمخشري وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واتخاذهم وبيعهم وشراوهم ولم ينقل احد من السلف امساكهم انتهى والاربة الحاجة الى الوطء لانهم بله لا يعرفون شيا من امر النسا او شيوخ لانهم يصيبون من فضل الطعام قال ابن عطية ويدخل في هذه الصفة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفاني والزمن الموقود بزمانته وقرا ابن عامر وابو بكر بالنصب على الحال او الاستثنا وباقي السبعة بالجر على النعت وعرف او الطفل على من الرجال قسم التابعين غير اولي الحاجة للوطء الى قسمين رجال واطفال والمفرد المحلى بال يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع في قوله الذين لم يظهروا ومن ذلك قول العرب اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد الدنانير والدراهم فكانه قال او الاطفال والطفل ما لم يراهق الحلم وفي مصحف حفصة او الاطفال جمعا وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا انتهى ووضع المفرد موضع الجمع لا ينقاس عند س وانما قوله الطفل من باب المفرد موضع الجمع لا ينقاس عنده مثل وانما قوله الطفل من باب المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقوله ان الانسان لفي خسر ولذلك صح الاستثنا منه والتلاوة ثم نخرجكم طفلا بالواو وقوله ونحوه ليس نحوه لان هذا معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا هنا على الجمع الذي لا ينقاس س لانه يجوز ان يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل في قوله تعالى واعتدت لهن متكا اي لكل واحدة منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم رغيف اي يشبع كل واحد منهم وقوله لم يظهروا اما من قولهم ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرن اخذه وصرعه فاصبحوا ظاهرين اي غالبين قادرين عليه فالمعنى لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرا الجمهور عورات بسكون الواو وهي لغة اكثر العرب لا يحركون الواو والياء في نحو هذا الجمع وروي عن ابن عباس تحريك الواو وعورات بالفتح والمشهور في كتب النحو ان تحريك الواو والياء في هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة ونقل ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات ان ابن ابي اسحاق والاعمش قرا عورات بالفتح قال وسمعنا ابن مجاهد يقول هو لحن وانما جعله لحنا وخطا من قبل الرواية والا فله مذهب في العربية بنو تميم يقولون روضات وجوزات وعورات وسائر العرب بالاسكان وقال الفرا العرب على تخفيف ذلك الا هذيلا فتثقل ما كان من هذا النوع من ذوات اليا والواو وانشد بعضهم

ابو بيضات رايح متاوب ... رفيق بمسح المنكبين سبوح

ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقال ابن عباس هو قرع الخلخال بالاخر وتحريك الخلاخل عند الرجال وزعم حضرمي ان امراة اتخذت حلي لها من فضة واتخذت جزعا فجعلته في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الاية وقال الزجاج وسماع صوت هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها انتهى وقال ابو محمد بن حزم ما معناه انه تعالى نهاهن عن ذلك لان المراة اذا مرت على الرجال قد لا يلتفت اليها ولا يشعر بها وهي تكره ان لا ينظر اليها فاذا فعلن ذلك نبهن على انفسهن وذلك يحملهن في تعلق الرجال بهن وهذا من حكمة العلام كلامه وقال مكي ليس في كتاب الله اية اكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمومنات من مخفوض ومرفوع وقال الزمخشري وانما نهين

عن اظهار

عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون لما سبقت اوامره ونواهيه تعالى ومنها ما كان الانسان لا يكاد يقدر على مراعاتها دايما وان ضبط نفسه واجتهد فلا بد من تقصير امر بالتوبة وترجي الفلاح اذا تابوا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة وقرا ابن عامر ايه المومنون ويا ايه الساحر وايه الثقلان بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف بالتقا الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها وضمها التي للتنبيه بعد اي لغة بني مالك رهط شقيق بن سلمة ووقف بعضهم بسكون الها لانها كتبت في المصحف بلا الف بعدها ووقف بعضهم بالالف وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين لما تقدمت اوامر ونواه في غض البصر وحفظ الفرج واخفا الزينة ومنه ذلك كان للرجل للطموح من الرجال الى النسا ومن النسا الى الرجال هو عدم التزوج غالبا لان في تكاليف النكاح وما يجب لكل واحد من الزوجين ما يشغل امر تعالى بانكاح الايامى وهم الذين لا ازواج لهم من الصنفين حتى يشتغل كل منهما بما يلزمه فلا يلتفت الى غيره والظاهر ان الامر في قوله وانكحوا للوجوب وبه قال اهل الظاهر واكثر العلما على انه هنا للندب ولم يخلو عصر من الاعصار من وجود الايامى ولم ينكر ذلك ولا امر الاوليا بالانكاح وقال الزمخشري الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا انتهى وفي التحرير قال ابن عمرو ايامى مقلوب ايايم وغيره من النحويين ذكر ان ايامى ويتامى جمعا على ايامى ويتامى شذوذا انتهى ووزنه فعالى وهو ظاهر كلام س قال س واما هذا باب تكسيرك ما كان من الصفات على فاعل ووجعا كما قالوا زمنى وهلكى فاجروه على المعنى كما قالوا يتيم ويتامى وايم وايامى فاجروه مجرى وجاعى انتهى وتقدم في المفردات ان الايم من لا زوج له من ذكر او انثى وفي شرح كتاب س لابي بكر الخفاف الايم التي لا زوج لها واصله في التي كانت متزوجة ففقدت زوجها برزء طرا عليها فهو من البلايا ثم نقل في البكر لانها لا زوج لها انتهى منكم خطاب للمومنين امر الله تعالى بانكاح من تايم من الاحرار والحراير ومن فيه صلاح من العبيد والاما واندرج المونث في المذكر في قوله والصالحين وخص الصالحين ليحصن لهم دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقا هم الذين يشفق مواليهم عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للاهتمام بشانهم وتقبل الوصية فيهم والمفسدون منهم حالهم عند مواليهم على عكس ذلك وقيل معنى والصالحين اي للنكاح والقيام بحقوقه وقرا مجاهد والحسن من عبيدكم بالياء مكان الالف وفتح العين واكثر استعماله في المماليك ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله هذا شرط وبالمشية

المذكورة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا والله واسع
اي ذو غنى وسعة يبسط الله لمن يشا عليم بحاجات الناس فيجري عليهم ما قدر
من الرزق وليستعفف اي ليجتهد في العفة وصون النفس وهو استفعل بمعنى
طلب العفة من نفسه وحملها عليها وجا الفك على لغة الحجاز ولا نعلم احدا قرا
وليستعف بالادغام الذين لا يجدون نكاحا قيل النكاح هنا اسم ما يمهر وينفق
في الزواج كاللحاف واللباس لما يتلحف به ويلبس ويؤيده قوله حتى
يغنيهم الله من فضله فالمامور بالاستعفاف هو من عدم المال الذي يتزوج
به ويقوم بمصالح الزوجية والظاهر انه امر ندب لقوله قبل ان يكونوا فقرا
يغنيهم الله من فضله ومعنى لا يجدون نكاحا اي لا يتمكنون من الوصول اليه
والمعنى انه امر بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر
لما اقتبل لموانع عن النكاح عدم المال وحتى يغنيهم ترجية للمستعففين وتقدمة
للوعد بالتفضل عليهم فالمعنى ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا في استعفافهم
وربطا على قلوبهم وما احسن ما رتبت هذه الاوامر اولا بما يعصم من الفتنة
ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع
به الاستغنا بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه انتهى وهو من كلام
الزمخشري وهو حسن ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاما
رغبهم في ان يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا احرارا فيتصرفون في انفسهم والذين
يبتغون الكتاب اي المكاتبة كالعتاب والمعاتبة مما ملكت ايمانكم يعم المماليك
الذكور والاناث والذين يحتمل ان يكون مبتدا وخبر الجملة والفا دخلت في
الخبر لما تضمن الموصول من معنى اسم الشرط ويحتمل ان يكون منصوبا كما تقول زيدا
فاضرب وزيدا اضرب فاذا دخلت الفا كان التقدير تنبه فاضرب زيدا فالفا
في جواب امر محذوف وهذا موضح في النحو باكثر من هذا قال الازهري وسمي هذا
العقد مكاتبة لما يكتب للعبد على السيد من العتق اذا ادى ما تراضيا عليه من المال
ولما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يوديها والظاهر وجوب الكاتبة
لقوله فكاتبوهم وهذا مذهب عطا وعمرو بن دينار والضحاك وابن سيرين
وداود وظاهر قول عمر لانه قال لانس حين سال سيرين الكتابة فتلكا انس
كاتبه او لاخفقنك بالدرة وذهب مالك وجماعة الى انه امر ندب وصفتها ان تقول
على كذا وتعين ما كاتبه عليه وظاهر الامر يقتضي انه لا يشترط التنجيم ولا حلول بل
يكون حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وهذا مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي
لا يجوز على اقل من ثلاثة انجم وقال اكثر العلما يجوز على نجم واحد وقال ابن
خويز منداد اذا كاتبه على مال معجل كان عتقا على مال ولم يكن كتابة واجاز بعض
المالكية الكتابة الحالة وسماها قطاعة والخير المال قاله ابن عباس ومجاهد وعطا
والضحاك والحيلة التي تقتضي الكسب قاله ابن عباس ايضا او الدين قاله الحسن
واقامة الصلاة قاله عبيدة السلماني او الصدق والوفا والامانة قاله الحسن
وابراهيم او ارادة خير بالكتابة قاله سعيد بن جبير وقال الشافعي الامانة والقدرة

على

على الكسب والذي يظهر من الاستعمال ان الذين يقول فلان فيه خير فلا يتبادر الى الذهن
الا الصلاح والامر بالكتابة مقيد بهذا الشرط فلو لم يعلم فيه خيرا لم تكن الكتابة
مطلوبة بقوله فكاتبوهم والظاهر واتوهم انه امر للمكاتبين وكذا قال
المفسرون وجمهور العلما واختلفوا اهل هو على الوجوب او على الندب فاستحسن
ابن مسعود والحسن ان يكون ثلث الكتابة وعلي ربعها وقتادة عشرها وقال
عمر من اول نجومه مبادرة الى الخير وقال مالك من اخر نجم وقال بريدة والحسن
والنخعي وعكرمة والكلبي ومقاتل واتوهم امر للناس جميعا على معاونة المكاتب
واعانته وقال زيد بن اسلم الخطاب لولاة الامور ان يعطوا المكاتبين من
مال الصدقة حقهم وهو الذي تضمنه قوله وفي الرقاب وقال صاحب النظم
لو كان المراد بالايتا الحط لوجب ان تكون العبارة العربية فضعوا عنهم او قاصوهم
فلما قال واتوهم دل على انه من الزكاة اذ هي متناولة واعطا ويؤكده انه امر باعطا
وما الملق عليه الاعطا كان سبيله الصدقة وقوله من مال الله الذي اتاكم هو
ما ثبت ملكه للمالك امر باخراج بعضه ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه على
عبده والمولى لا يثبت له على عبده دين صحيح وايضا ما اتاه الله هو الذي يحصل
في يده ويملكه وما يسقطه عقيب العقد لا يحصل له عليه ملك فلا يستحق الصفة لانه
من مال الله الذي اتاه ولا تكرهوا فتياتكم على البغا في صحيح مسلم عن جابر ان
جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة كان يكرههما
على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل كانت له ست
معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة جاته احداهن ذات يوم
بدينار واخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل ذلك وقد جانا
الله بالاسلام وحرم الزنا فاتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا فنزلت والفتاة
المملوكة وهذا خطاب للجميع ومؤكد ان يكون واتوهم خطابا للجميع والنهي عن
الاكراه على الزنا مشروط بارادة التحصن منهن لانه لا يمكن الاكراه الا مع ارادة
التحصن اما اذا كانت مريدة للزنا فانه لا يتصور الاكراه وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المسافحات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان
ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر وقد ذهب اهل النظر
كثير من المفسرين فقال بعضهم ان اردن راجع الى قوله وانكحوا الايامى منكم
وهذا فيه بعد وفصل كثير وايضا فالايامى يشمل الذكور والاناث فكان لو
اريد هذا المعنى لكان التركيب ان ارادوا تحصنا فيغلب المذكر على المونث
وقال بعضهم هذا الشرط ملغى وقال الكرماني هذا شرط في الظاهر وليس بشرط كقوله
ان علمتم فيهم خيرا ومع انه وان كان لم يعلم خيرا صحت الكتابة وقال
ابن عيسى اتى بصيغة الشرط لتفحيش الاكراه على ذلك وقال لانها نزلت على
سبب فوقع النهي على تلك الصفة انتهى وعرض الحياة الدنيا هو ما يكسبه
بالزنا وقوله فان الله جواب للشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم لهم ليكون
جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا
بالتوبة ولما غفل الزمخشري وابن عطية وابو البقاء عن هذا الحكم قدروا فان
الله غفور رحيم لهن اي للمكرهات فعريت جواب الشرط من ضمير يعود على اسم

الزنا وقد ضعف ما قلناه ابو عبد الله الرازي فقال فيه وجهان احدهما ان الله غفور
رحيم لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من المكره فيما فعل والثاني فان الله
غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لانه على التفسير الاول لا حاجة لهذا
الاضمار وعلى الثاني يحتاج اليه انتهى وكلاهم كلام من لم يمعن في لسان العرب
فان قلت قوله اكراههن مصدر اضيف الى المفعول والفاعل مع المصدر محذوف
والمحذوف كالملفوظ والتقدير من بعد اكراههم اياهن والربط يحصل بهذا
المحذوف المقدر فلتجز المسالة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيد لم تجز ولما قدر
الزمخشري في احد تقديراته لهن اورد سؤال الافتقار فان قلت لا حاجة الى
تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير اثمة قلت
لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف
او ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن
الحد الذي تعذر فيه فتكون اثمة انتهى وهذا السؤال والجواب مبنيان على
تقدير لهن وقرا مبينات بفتح اليا الحرميان وابو عمرو وابو بكر اي بين الله في
هذه السورة واوضح ايات تضمنت احكاما وحدودا وفرايض فتلك الايات هي
المبينة ويجوز ان يكون المراد مبينا فيها ثم اتسع فيكون المعنى في الحقيقة
غيرها وهو ظرف للمبين وقرا باقي السبعة والحسن وطلحة والاعمش بكسر اليا
فاما ان تكون متعدية اي مبينات غيرها من الاحكام والحدود فاسند التبيين اليها
مجازا واما ان تكون متعدية اي مبينات لا تتعدى اي بينات في نفسها لا تحتاج
الى موضح بل هي واضحة لقولهم في المثل قد بين الصبح لذي عينين اي قد
ظهر ووضح وقوله ومثلا معطوف على ايات فيحتمل ان يكون المعنى ومثلا من
امثال الذين من قبلكم اي قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم
في براتهما البراة من رميت بحديث الافك ليتيقظوا قدرة الله في خلقه وصنعه
فيه فيعتبروا وقال الضحاك والمراد بالمثل ما في التورية والانجيل من اقامة الحدود
فانزل في القران مثله وقال مقاتل شبها من حالهم في تكذيب الرسل اي بينا
لكم ما احللنا بهم من العذاب لتمردهم فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم
اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وموعظة
للمتقين اي ما وعظ من الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة
لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا وخص المتقين لانهم
المنتفعون بالموعظة الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على
نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله
بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله
احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
النور في كلام العرب الضوء المدرك بالبصر فاسناده الى الله تعالى مجاز كما تقول

زيد

زيد كرم وجود واسناده على اعتبار ربما على انه بمعنى اسم الفاعل اي منور السموات والارض
ويؤيد هذا التاويل قراءة علي بن ابي طالب وابي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي
وثابت بن ابي حفصة والقورصي ومسلمة بن عبد الملك وابي عبد الرحمن السلمي وعبد
الله بن عياش بن ابي ربيعة نور فعلا ماضيا والارض بالنصب واما على حذف اي
ذو نور ويؤيده قوله مثل نوره ويحتمل ان يجعل نورا على سبيل المدح كما قالوا
فلان شمس البلاد ونور القبايل وقمرها وهذا مستفيض في كلام العرب واشعارها
قال الشاعر كانك شمس والملوك كواكب وقال قمر القبايل خالد بن يزيد وقال
اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها ويروي بدرها
واضاف النور الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته
حتى تضيء له السموات والارض او يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به
وقال ابن عباس نور السموات اي هادي اهل السموات وقال مجاهد مدبر امور
السموات وقال الحسن منور السموات وقال ابي الله به نور السموات او منه نور السموات
اي ضياوها وقال ابو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض
بالانبيا والعلما وقيل المنزه من كل عيب امراة نوار برية من الريبة والفحشا
وقال الكرماني هو الذي يرى ويرى به مجاز وصف الله به لانه يري ويرى
بسببه مخلوقاته لانه خلقها واوجدها والظاهر ان الضمير في مثل نوره عايد على الله
تعالى واختلفوا في هذا القول ما المراد بالنور المضاف اليه تعالى فقيل الايات البينات
في قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات وقيل الايمان المقذوف في قلوب
المومنين وقيل النور هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل النور هنا
المومن وقال كعب وابن جبير الضمير في نوره عايد على محمد صلى الله عليه وسلم اي
مثل نور محمد وقال ابي هو عايد على المومنين وفي قراءته مثل نور المومنين
وروي في قراته مثل نور المومن وروي ايضا فيها مثل نور من امن به
وقال الحسن يعود على القران والايمان وهذه الاقوال الثلاثة عاد فيها
الضمير على مذكور وتقلت المعنى المقصود بالاية بخلاف عوده على الله
تعالى ولذلك قال مكي يوقف على والارض في تلك الاقوال الثلاثة واختلفوا
في هذا التشبيه اهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها الى تشبيه جزء بجزء
ومقابلة شيء بشيء او هو تشبيه مقصدية ذلك اي مثل نور الله الذي هو هداه
واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة
من النور الذي تتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور
الذي هي بين ايدي الناس اي مثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو
منتهاكم ايها البشر وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزءا بجزء وقدروه
على تلك الاقوال الثلاثة اي مثل نوره في محمد او في المومن او في القران
والايمان كالمشكاة فالمشكاة قيل هو الرسول او صدره والمصباح هو النبوة
وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة الوحي والملايكة
رسل الله اليه وشبه الفضل به بالزيت وهو الحجج والبراهين والايات
التي تضمنها الوحي وعلى قول المومن فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم
والزجاجة قلبه والشجرة القران وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال ابي فهو

على اضوا الحال يبقى في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات وعلى قول الايمان والقران اي مثل الايمان والقران في صدر المومن في قلبه كمشكوة وهذا القول ليس فيه مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكوة ليست تقابل الايمان وقال الزمخشري اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة اي كصفة مشكوة لتساوي ويظهر في ان قوله كمشكوة هو على حذف مضاف اي مثل نوره مثل نور مشكوة وتقدم في المفردات ان المشكوة هي الكوة غير النافذة وهو قول ابن جبير وسعيد بن عياض والجمهور وقال ابو موسى المشكوة الحديدة والرصاصة التي تكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة وقال مجاهد الكوة العمود الذي يكون المصباح على راسه وقال ايضا الحدايد التي يعلق فيها القنديل فيها مصباح اي سراج ضخم والظاهر ان الزجاجة ظرف للمصباح لقوله المصباح في زجاجة وقدره الزمخشري في زجاج شامي وكانه عنده اصفى الزجاج هو الشامي ولم يتقيد في الاية وقرا ابو رجا ونصر بن عاصم في زجاجة الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهو ابلغ في الانارة او لما احتوت عليه من نور المصباح كوكب دري وقال الضحاك هو الزهرة شبه الزجاجة في زهرتها باحد الدراري من الكواكب المشاهير وهي المشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحو ذلك وقرا الجمهور من السبعة نافع وابن عامر وحفص وابن كثير دري بضم الدال وتشديد الراء والياء والظاهر نسبة الكوكب الى الدر لبياضه وصفائه ويحتمل ان يكون اصله الهمز فابدل وادغم وقرا قتادة وزيد بن علي والضحاك كذلك الا انهما فتحا الدال وروي ذلك عن نصر بن عاصم وابي الرجا وابن المسيب وقرا الزهري كذلك الا انه كسر الدال وقرا حمزة كذلك الا انه همز من الدرء بمعنى الدفع اي يدفع بعضها بعضا او يدفع ضوءها خفاءها ووزنه فعيل مثل ولا يوجد فعيل الا قولهم مريق للعصفر ودري في هذه القراة مثل سرية اذا قيل انها مشتقة من السرور وابدلوا من احد المضعفات الياء فادغمت فيها فعيل وسمع ايضا مريخ للذي في داخل القرن اليابس بضم الميم وكسرها وقيل منه علية وقيل دري ووزنه في الاصل فعول كسبوح فاستثقل الضم فرد الى الكسر وكذا قيل في سرية وذرية وقرا ابو عمرو والكسائي كذلك الا انه كسر الدال وهو بناء كثير في الاسما نحو سكين وفي الاوصاف سكير وقرا قتادة ايضا وابان ابن عثمان وابن المسيب وابو رجا وعمرو بن فايد والاعمش ونصر بن عاصم كذلك الا انه بفتح الدال قال ابن جني وهذا عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح السين وشد الكاف انتهى وفي الابنية حكى الاخفش كوكب دري من درأته ودريو عليك بالسكينة وابو قار عن ابي زيد وحكى الزاهد الشين وقرا الاخوان وابو بكر والحسن وزيد بن علي وقتادة وابن وثاب وطلحة وعيسى والاعمش توقد بضم التا اي الزجاجة مضارع اوقدت مبنيا للمفعول ونافع وابن عامر وحفص كذلك الا انه بالياء اي المصباح وابن كثير وابو عمرو توقد بفتح الاربعة فعلا ماضيا اي المصباح والحسن والسلمي وقتادة وابن محيصن وسلام ومجاهد وابن ابي اسحاق والمفضل عن عاصم كذلك الا انه بضم الدال مضارع توقد واصله تتوقد اي الزجاجة وقرا عبد الله وقد بغير تا وشد القاف جعله فعلا ماضيا اي وقد المصباح وقرا السلمي وقتادة وسلام ايضا كذلك

الا انه بالياء من تحت وجا كذلك عن الحسن وابن محيصن واصله يتوقد اي المصباح الا انه حذف الياء في يتوقد تشبيها لدلالة ما ابقي على ما حذف وفي يوقد شاذ جدا لان الياء الباقية لا تدل على التا المحذوفة ولذلك وصفه من القياس وهو حمله على تعد اذ اصل نعد وتعد واعد في حذف الواو وكذلك هنا كما حذفوا من تتوقد بالتاءين حذفوا التاء مع الياء وان لم يكن اجتماع التا والياء مستثقلا من شجرة اي من زيت شجرة وهي شجرة الزيتون مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام والزيتون من اعظم الشجر ثمرا ونماء والمراد افنان وعصارة افنان وقال ابو طالب بورك الميت الغريب كما بورك نضر الرمان والزيتون لا شرقية ولا غربية قال ابن زيد هي من شجر الشام فهي ليست من شرق الارض ولا من غربها لان شجر الشام افضل الشجر وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم هي في منكشف من الارض تصيبها الشمس طول النهار تستدير عليها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية وقال الحسن هذا مثل وليست من شجر الدنيا اذ لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وعن ابن عباس انها في دوحة قد احاطت بها فليست منكشفة لا من جهة الشرق ولا من جهة الغرب وهذا لا يصح عن ابن عباس لانها اذا كانت بهذه الصفة فسد جناها وقال ابن عطية انها في وسط الشجر لا تصيبها طالعة ولا غاربة بل تصيبها بالغداة والعشي وقال عكرمة هي من شجر الجنة وقال ابن عمر الشجرة مثل اي انها ملة ابراهيم ليست بيهودية ولا نصرانية وقيل ملة الاسلام ليست شديدة ولا لينة وقيل لا مضحى ولا مفياه ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها وزيتونة بدل من شجرة وجوز بعضهم فيه ان يكون عطف بيان ولا يجوز على مذهب البصريين لانه عطف البيان عندهم لا يكون الا في المعارف واجاز الكوفيون ومنهم الفارسي ان يكون في النكرات ولا شرقية ولا غربية على قراءة الجمهور بالخفض صفة لزيتونة وقرا الضحاك بالرفع اي لا هي شرقية ولا غربية والجملة في موضع الصفة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار مبالغة في صفاء الزيت وانه لاشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار والجملة من قوله ولو لم تمسسه نار حالية معطوفة على حال محذوفة اي يكاد زيتها يضيء في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي انه لا يضيء لانتفاء مس النار له وتقدم لنا ان هذا العطف انما يأتي مرتبا لما كان لا ينبغي ان يقع لامتناع الترتيب في العادة وللاستقصاء ليدخل ما لا يقدر دخوله فيما قبله نحو اعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا السائل ولو بظلف محرق وقرا الجمهور تمسسه بالتا وابن عباس والحسن بالياء من تحت وحسنه الفصل وان تانيث النار مجازي وهو مونث بغير علامة نور على نور اي متضاعف تعاون عليه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا شي لان المصباح اذا كان في مكان ضيق كان اجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فانه ينشر النور والقنديل اعون شي على زيادة النور وكذلك الزيت وصفاوه وهنا تم المثال ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء اي لهداه والايمان من يشاهد اثنيه ويصطفيه لها ومن فسر النور في مثل نوره بالنبوة قدر يهدي الله الى نبوته وقيل الى الاستدلال بالايات ثم ذكر

تعالى انه يضرب الامثال للناس ليقع لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان ثم ذكر احاطة علمه
بالاشيا فهو يضع هدايته عند من يشا في بيوت متعلق بيوقد قاله الكرماني او في موضع الصفة
كقوله كمشكاة اي كمشكاة في بيوت قاله الحوفي وتبعه الزمخشري قال كمشكاة في بعض
بيوت الله وهي المساجد فالمثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها
كيت وكيت انتهى وقوله لانه الى امر تفسير معنى لا تفسير اعراب او في موضع الصفة
لمصباح اي مصباح في بيوت قاله بعضهم او في موضع الصفة لزجاجة قاله بعضهم وعلى
هذه الاقوال الاربعة لا يوقف على قوله عليم وقيل في بيوت مستانفة والعامل فيه
يسبح حكاه ابو حاتم وجوز الزمخشري هذا وقد تقدم تعلقه بمشكوة قال او بما
بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار
جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع ايات اي سبحوا في بيوت. انتهى وعلى
هذه الاقوال الثلاثة يوقف على قوله عليم والذي اختاره ان يتعلق في بيوت
بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما قبلها هو انه تعالى لما ذكر انه يهدي لنوره من
يشا ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المومنون ثم ذكر اثر عبادتهم
القلبية وهو تنزيههم الله عن النقايص واظهار ذلك بالتلفظ في مساجد الجماعات
ثم ذكر سائر اوصافهم من التزام ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة وخوفهم
ما يكون في البعث ولذلك جا مقابل المومنين وهم الكفار في قوله والذين كفروا
وكانه لما ذكرت الهداية للنور جا في التقسيم مقابل الهداية وعدم قابلها فبدي
بالمومن وما انرت به من انواع الهدى ثم ذكر الكافر والظاهر ان قوله في بيوت
اريد به مدلوله من الجمعية وقال الحسن اريد به بيت المقدس وسمي بيوتا
من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض ويوثر ان عادة بني اسرائيل في وقده
في غاية التمام والزيت مختوم على ظروفه وقد صنع صنعه وقد مرضي لا يجري
الا وقيد بعينه فكانه اضوا بيوت الارض والظاهر ان في بيوت مطلق فيصدق
على المساجد والبيوت التي يقع فيها الصلاة والعلم وقال مجاهد بيوت الرسول
عليه السلام وقال ابن عباس والحسن ايضا ومجاهد هي المساجد التي من عادتها ان
تنور بذلك النوع من المصابيح وقيل الكعبة وبيت المقدس ومسجد الرسول عليه
السلام ومسجد قبا وقيل بيوت الانبيا ويقوي انها المساجد قوله يسبح له فيها
بالغدو والاصال واذن الله تعالى امره بان ترفع اي يعظم قدرها قاله الحسن والضحاك
وقال ابن عباس ومجاهد تبني وتعلى من قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسمعيل وقيل ترفع تطهر من الانجاس والمعاصي وقيل ترفع اي ترفع
فيها الحوايج الى الله وقيل ترفع الاصوات بذكر الله وتلاوة القران ويذكر فيها
اسمه ظاهره مطلق الذكر فيعم كل ذكر وعن ابن عباس توحيده وهو
لا اله الا الله وعنه يتلى فيها كتابه وقيل اسماوه الحسنى وقيل يصلى فيها
وقرا الجمهور يسبح بكسر البا وبالبا من تحت وابن وثاب وابو حيوة كذلك
الا انه بالتا من فوق وابن عامر وابو بكر والبحتري عن حفص ومحبوب عن
ابي عمرو والمنهال عن يعقوب والمفضل وابان بفتحها وبالبا من تحت واحد
المجرورات في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله والاولى الذي يلي الفعل لان
طلب الفعل المرفوع اقوى من طلبه للمنصوب الفضلة وقرا ابو جعفر تسبح بالتا

من

من فوق وفتح البا قال الزمخشري ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة
البا وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشها انتهى ويجوز ان
يكون المفعول الذي لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال عليه تسبح اي تسبح له هي اي
التسبيحة كما قالوا ليجزى قوما في قراة من بناه للمفعول اي ليجزى هو اي الجزا وقرا
ابن مجلز والايصال وتقدم نظيره وارتفع رجال على هذه القراتين على
الفاعلية باضمار فعل اي يسبح او يسبحه له رجال واختلف في اقتياس هذا نحو ضرب هند
زيدا اي ضربها زيد ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي المسبح رجال وتقدم الكلام
في تفسير الغدو والاصال والمراد بها ثم ذكر تعالى وصف المسبحين بانهم لمراقبتهم
امر الله وطلبهم رضاه لا يشتغلون عن ذكر الله واحتمل قوله لا تلهيهم تجارة
ولا بيع وجهين احدهما انهم لا تجارة لهم ولا بيع فيلهيهم عن ذكر الله كقوله
على لاحب لا يهتدي بمناره اي لا منار له فيهتدى به والثاني انهم ذوو تجارة
وبيع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله وعن ما فرض عليهم والظاهر مغايرة
التجارة والبيع ولذلك عطفه فاحتمل ان تكون تجارة من اطلاق العام ويراد
به الخاص فراد بالتجارة الشرا ولذلك قابله بالبيع او عني بالتجارة الجلب ويقال
تجر فلان في كذا اذا جلبه وبالبيع البيع بالاسواق ويحتمل ان يكون ولا بيع من ذكر
خاص بعد عام لان التجارة هو البيع والشرا طلبا للربح ونبه على هذا الخاص لانه
في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية
من صناعته الهته ما لا يلهيه شي يتوقع فيه الربح لان هذا يقين وذاك مظنون
قال الزمخشري التا في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام
فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وهذا الذي ذكر من ان التا سقطت لاجل الاضافة
هو مذهب الفرا وتذهب البصريين ان التا من نحو هذا لا تسقط للاضافة
وتقدم لنا الكلام على واقام الصلاة في الانبيا وصدر البيت الذي انشده نحو
ان الخليط اجدوا البين فانجردوا واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله عد الامر في
انجمع عدوة والعدوة الناحية كان الشاعر اراد نواحي الامر وجوانبه يخافون
يوما هو يوم القيامة والظاهر ان معنى تتقلب تضطرب من هول ذلك اليوم
كما قال تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتقلبها هو قلقها
واضطرابها فتتقلب من طمع في النجاة الى طلب ومن حذر هلاك الى هلاك
وهذا الوصف يستعمله العرب في الحروب كقوله بلكان قلبك في جناحي طاير
وبعد قول من قال تتقلب على جمر جهنم لان ذلك ليس في يوم القيامة ترسل
وقول من قال ان تقلبها ظهور الحق لها اي فتنتقل من معتقدات الضلال الى
اعتقاد الحق على وجهه فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر
الابصار بعد ان كانت عميا والقول الاول ابلغ في التهويل وقرا ابن محيصن تقلب
بادغام التا في التا واللام في ليجزيهم متعلقة بمحذوف اي فعلوا ذلك ليجزيهم
ويجوز ان يتعلق بيسبح وهو الظاهر وقال الزمخشري والمعنى يسبحون
ويخافون ليجزيهم انتهى والظاهر ان قوله يخافون صفة لرجال كما ان
لا تلهيهم كذلك احسن جزا ما عملوا ويزيدهم من فضله على ما تقتضيه اعمالهم

باهل الجنة ابدا في مزيد وقال الزمخشري ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا
وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله
عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق من يشاء ما يتفضل به بغير حساب
فاما الثواب فله حسابات لكونه على حسب الاستحقاق انتهى وفي قوله على حسب الاستحقاق
دسيسة اعتزال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر
لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لما ذكر
تعالى حالة الايمان والمؤمنين وتنويره قلوبهم ووصفهم بما وصفهم من الاعمال
النافعة في الآخرة اعقب ذلك بذكر مقابلهم الكفرة واعمالهم فمثل لهم ولاعمالهم مثلين
احدهما يقتضي بطلان اعمالهم في الآخرة وانهم لا ينتفعون بها والثاني يقتضي حالها في الدنيا
من ارتباكها في الضلال والظلمة شبه اولا اعمالهم في انمحاقها وفقدان ثمرتها بسراب
في مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده واتعب نفسه في الوصول اليه حتى اذا
جاءه اي جاء موضعه الذي تخيله فيه لم يجده شيئا اي فقده لانه مع الدنو لا يرى شيئا
كذلك الكافر يظن ان عمله في الدنيا نافعه حتى اذا افضى الى الآخرة لم ينفعه عمله بل
صار وبالا عليه وقرا مسلمة بن محارب بقيعات بتاء ممطوطة جمع قيعة كديمات وقيمات
في ديمة وقيمة وعنه ايضا بتاء شكل الهاء ويقف عليها بالهاء فاحتمل ان يكون جمع قيعة
ووقف بالهاء على لغة طي كما قالوا البنات والاخوات قال صاحب اللوامح ويجوز ان يريد
قيعة كالعامة اي كالقراءة العامة لكنه اشبع الفتحة فتولد منها الالف
بحرتي ساع وقال الزمخشري وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة
وقال صاحب اللوامح ويجوز انه جعله مثل سعلاة وسعلاة ونيلاة والقيعة مترادف
للقاع او جمع قاع كنار ونيرة فيكون على هذا قيعات جمع صحة تناول جمع
تكسير مثل رجالات قريش وجمالات صفر وقرا شيبة وابو جعفر ونافع بخلاف
عنهما الظمان بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الميم والظاهر ان قوله يحسبه
الظمآن فهو من صفات السراب ولا يعني الا مطلق الظمآن لا الكافر الظمآن وقال
الزمخشري شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة
التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه يوم القيامة ثم يخيب في
العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش
يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلم يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه
ويعتلونه ويسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد ولبس المسوح
والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام انتهى فجعل الظمان هو الكافر حتى
تطرد الضماير في جاءه ولم يجده ووجد وعنده ووفاه لشخص واحد وغيره غاير بين
الضماير فالضمير في جاءه ولم يجده للظمآن وفي ووجد للكافر الذي ضرب له مثلا
بالظمآن اي ووجد هذا الكافر وعد الله بالجزاء على عمله بالمرصاد فوفاه حسابه
عمله الذي جازاه عليه وهذا معنى قول ابي وابن عباس ومجاهد والحسن
وقتادة وافرد الضمير في ووجد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار وقال

عطيه

عطية يحتمل ان يعود الضمير في جاءه على السراب ثم في الكلام متروك كثير يدل عليه الظاهر
تقديره وكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ويحتمل
الضمير ان يعود على العمل الذي يدل عليه قوله اعمالهم فيكون تمام المثل في قوله ماء ويستغني
الكلام على متروك على هذا التاويل لكن يكون في المثل ايجاز واقتضاب لوضوح المعنى
المراد به ووجد الله عنده اي بالمجازاة والضمير في عنده عائد على العمل انتهى والذي
يظهر لي انه تعالى شبه اعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب بصفة كذا وان الضماير
فيما بعد الظمآن له والمعنى في ووجد الله عنده اي ووجد مقدور الله عليه من
هلاك بالظما عنده اي عند موضع السراب فوفاه ما كتب له من ذلك وهو
المحسوب له والله سريع الحساب لا يؤخره عنه فيكون الكلام متناسقا اخذا بعضه
بعنق بعض وذلك باتحاد الضماير في واحد ويكون هذا التشبيه مطابقا لاعمالهم
من حيث انهم اعتقدوها نافعة فلم تنفعهم وحصل لهم الهلاك باثر ما حوسبوا واما
في قول الزمخشري فانه وان جعل الضماير للظمآن لكنه جعل الظمآن هو الكافر فهو
تشبيه الشيء بنفسه قال وشبه ما بعد الجهد بالماء اما في قول غيره
ففيه تفكيك للكلام اذ غاير بين الضماير وانقطع ترصيف الكلام بجعل بعضه
منفلتا من بعض او كظلمات هذا التشبيه الثاني لاعمالهم فالاول فيما يؤول
اليه اعمالهم في الآخرة وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا وبدا بالتشبيه
الاول لانه آكد في الاخبار لما فيه من ذكر ما يؤول اليه امرهم من العقاب
الدائم والعذاب السرمدي ثم اتبعه بهذا التمثيل الذي نبههم على ما هي
اعمالهم عليه لعلهم يرجعون الى الايمان ويفكرون في نور الله الذي جاء به
الرسول والظاهر انه تشبيه لاعمالهم عليه لعلهم يرجعون وضلالهم
بالظلمات وقال ابو علي الفارسي التقدير او كذي ظلمات قال ودل على هذا
المضاف قوله اذا اخرج يده فالكناية تعود الى المضاف المحذوف فالتشبيه
وقع عند ابي علي للكافر لا للاعمال وهو خلاف الظاهر ويحتمل في تقرير كلامه
ان يكون التقدير او هم كذي ظلمات فيكون التشبيه الاول لاعمالهم والثاني
لهم في حال ضلالهم وقال ابو البقا في التقدير وجهان احدهما او كاعمال
ذي ظلمات فيقدر ذي ظلمات ليعود الضمير من قوله اذا اخرج يده اليه
ويقدر اعمال ليصح تشبيه اعمال الكفار باعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه
العمل بصاحب الظلمات والثاني لا حذف فيه والمعنى انه شبه اعمال الكفار
بالظلمة في حيلولتها بين القلب وبين ما يهتدى اليه فاما الضمير في قوله
اذا اخرج يده فيعود الى مذكور حذف اعتمادا على المعنى تقديره اذا اخرج من
فيها يده وقال الجرجاني الآية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر
كفرهم ونسق الكفر على اعمالهم لان الكفر ايضا من اعمالهم وقد قال تعالى
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان فيكون التمثيل
قد وقع لاعمالهم بكفر الكافر واعمالهم فيها كفرهم فتكون قد شبه اعمالهم
بالظلمات والعطف باو هنا لانه قصد التنويع والتفصيل لا ان او للشك
وقال الكرماني او للتخيير على تقدير شبه اعمال الكفار بايهما شئت وقرا سفيان
بن حسين او كظلمات بفتح الواو وجعلها واو عطف تقدمت عليها الهمزة التي

لتفوت التشبيه الخالي عن بحض الاستفهام والظاهر ان الضمير في يغشاه عائد على بحر لجي
ان يغشى ذلك البحر اي يغطي بعضه بعضا بمعنى ان تجي موجة تتبعها اخرى فهو
متلاطم لا يسكن واخوف ما يكون اذا توالت امواجه وفوق هذا الموج سحاب
وهو اعظم للخوف لاخفائه النجوم التي يهتدى بها وللريح والمطر الناشيين مع
السحاب ومن قدر او كذي ظلمات اعاد الضمير في يغشاه على ذي المحذوف اي
يغشى صاحب الظلمات وقرا الجمهور سحاب بالتنوين ظلمات بالرفع على تقدير خبر
لمبتدا محذوف اي هذه او تلك ظلمات واجاز الحوفي انه يكون مبتدا وبعضها فوق
بعض مبتدا وخبر في موضع خبر ظلمات والظاهر انه لا يجوز لعدم المسوغ فيه للابتدا
بالنكرة الا ان قدرت صفة محذوفة اي ظلمات كثيرة او عظيمة بعضها فوق بعض
وقرا البزي سحاب ظلمات بالاضافة وقرا قنبل سحاب بالتنوين ظلمات بالجر بدلا
من ظلمات وبعضها فوق بعض مبتدا وخبر في موضع الصفة لظلمات قال الحوفي
ويجوز على رفع ظلمات ان يكون بعضها بدلا منها وهو لا يجوز من جهة المعنى
لان المراد والله اعلم الاخبار بانها ظلمات وان بعض تلك الظلمات فوق بعض
من غير اخبار بان تلك الظلمات السابقة ظلمات متراكمة وتقدم الكلام في كاد
اذا دخل عليها حرف نفي مشبعا في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون فاغنى عن
اعادته والمعنى هنا انتفا مقاربة الروية ويلزم من ذلك انتفا الروية ضرورة
وقول من اعتقد زيادة يكد وانه يراها بعد عسر ليس بصحيح والزيادة قول
ابن الانباري وانه لم يرها الا بعد الجهد قول المبرد والفرا وقال ابن عطية ما معناه
اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم او مثبتا دل على
نفيه كاد زيد يقوم واذا تقدم النفي على كاد احتمل ان يكون منفيا تقول المفلوج
لا يكاد يسكن فهذا تضمن نفي السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا
تضمن ايجاب السكون بعد جهد انتهى والظاهر ان هذا التشبيه الثاني تشبيه
اعمال الكفار بهذه الظلمات المتكاثفة من غير مقابلة في المعنى باجزايه لاجزا
المشبه قال الزمخشري وشبهها يعني اعماله في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي
خلوها من نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ومنهم من لا
حظ التقابل فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجي
صدر الكافر وقلبه والموج الضلال والجهالة التي قد غمرت قلبه والفكر المعوجة والسحاب
شهوته في الكفر واعراضه عن الايمان وقال الفرا هذا مثل لقلب الكافر اي انه لا يعقل
ولا يبصر وقيل الظلمات اعماله والبحر هواه المتغير القريب الغرق فيه الكثير الخطر
والموج ما يغشى قلبه من جهل وغفلة والموج الثاني ما يغشاه من شك وشبهة
والسحاب ما يغشاه من شرك وحيرة فيمنعه الاهتدا على عكس ما في مثل نور الذي
انتهى والتفسير بمقابلة الاجزا شبيه بتفسير الباطنية وعدول عن منهج كلام
العرب ولما شبه اعمال الكفار بالظلمات المتراكمة وذكر انه لا يكاد يرى اليد
من شدة الظلمة قال ومن لم يجعل الله له نورا اي من لم ينور قلبه بنور الايمان
ويهده اليه فهو في ظلمة ولا نور له ولا يهتدي ابدا وهذا النور في الدنيا
وقيل هو في الاخرة اي من لم ينوره الله بعفوه ويرحمه برحمته فلا رحمة له
وكونه في الدنيا الين بلفظ الاية وايضا فذلك متلازم لان نور الاخرة هو لمن

نور

نور الله قلبه في الدنيا وقال الزمخشري ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو
في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام جار على طريق الكناية لان الالطاف انما تردف
الايمان والعمل الصالح او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين انتهى وهو على طريقة الاعتزال
الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق
يخرج من خلاله وينزل من السما من جبال فيها من برد فيصيب به من يشا
ويصرفه عن من يشا يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل
والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار والله خلق كل دابة من ما
فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع
يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله
يهدي من يشا الى صراط مستقيم لما ذكر تعالى مثل المومن والكافر وان الايمان
والضلال امرهما راجع اليه اعقب بذكر الدلايل على قدرته وتوحيده والظاهر حمل
التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن في الارض بالمطيع لله تعالى
من الثقلين وقيل من عام لكل موجود غلب من يعقل على ما لا يعقل فادرج
ما لا يعقل فيه ويكون المراد بالتسبيح دلالته بهذه الاشيا على كونه تعالى منزها
عن النقايص موصوفا بنعوت الكمال وقيل المراد بالتسبيح التعظيم فمن ذوي
الدين ما تنطق والصلاة ومن غيرهم من مكلف وجماد بالدلالة فيكون ذلك
قدرا مشتركا بينهما وهو التعظيم وقال سفيان تسبيح كل شي بطاعته وانقياده والطير
صافات اي ممتلة اجنحتها في الهوا للطيران وانما خص الطير بالذكر لانها تكون بين
السما والارض اذا طارت فهي خارجة من جملة من في السموات والارض حالة
طيرانها وقرا الجمهور والطير مرفوعا عطفا على من وصافات نصب على الحال
وقرا الاعرج والطير بالنصب على انه مفعول معه وقرا الحسن وخارجة عن
نافع والطير صافات برفعهما مبتدا وخبر وتقديره يسبحن قيل وتسبيح الطير
حقيقي قاله الجمهور قال الزمخشري ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاه وتسبيحه
كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلا يهتدون اليها وقال الحسن
وغيره هو مجاز انما تسبيحه ظهور الحكمة فيه فهو لذلك يدعو الى التسبيح كل اي كل
عمن ذكر فيدخل الطير والظاهر ان الفاعل المستكن في علم و في صلاته وتسبيحه لكل
وقيل الضمير في علم لله وفي صلاته وتسبيحه لله اي صلوة الله وتسبيحه
اللذين امر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق وقال مجاهد الصلاة
للبشر والتسبيح لما عداهم وقرا الحسن وعيسى وسلام وهارون عن ابي عمرو
تفعلون بتا الخطاب وفيه وعيد وتخويف ولله ملك السموات والارض اخبار
بان جميع المخلوقات تحت ملكه يتصرف فيهم بما يشا تصرف القاهر الغالب واليه
المصير اي الى جزايه من ثواب وعقاب وفي ذلك تذكير وتخويف ولما ذكر
انقياد من في السموات والارض والطير اليه تعالى وذكر ملكه لهذا العالم
وصيرورتهم اليه اكد ذلك بشي عجيب من افعاله مشعر بانتقال من حال الى
حال وكان عقيب قوله واليه المصير فاعلم بانتقال الى المعاد فعطف عليه
ما يدل على تصريفه في نقل الاشيا من حال الى حال ومعنى يزجي يسوق قليلا

تكلا او يستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى
يسوق سحابة الى سحابة ثم يؤلف بينه اي بين اجزايه لان السحابة تتصل بسحابة فيجعل
ذلك ملتيما بتاليف بعضه الى بعض وقرا ورش يولف بالواو وباقي السبعة بالهمز
وهو الاصل فيجعله ركاما اي متكاثفا يحمل بعضه على بعض والودق اعم مازه يذكره من
خلاله اي فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار وخلال القيل يجوز وقيل
جمع خلل كجبال وجبل وقرا ابن مسعود وابن عباس والضحاك ومعاذ العنبري عن ابي
عمرو والزعفراني من خلله بالافراد والظاهر ان في السما جبالا من برد قاله مجاهد
والكلبي واكثر المفسرين خلقها الله كما خلق في الارض جبالا من حجر وقيل جبال مجاز
عن الكثرة لا ان في السما جبالا كما تقول فلان يملك جبالا من ذهب وعنده جبال من
العلم يريد الكثرة قيل او هو على حذف حرف التشبيه والسما السحاب اي من السحاب
التي هي جبال اي كالجبال كقوله حتى اذا جعله نارا اي كنار وقال الزجاج يجعل السما هو السحاب
المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه ومعنى القول الاول المراد بالسما الجسم الازرق
المخصوص وهو المتبادر للذهن ومن استعمال الجبال في الكثرة مجازا قول ابن مقبل

• اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى • لها شاعرا مثلي اطب واشعرا •
• واكثر بيتا شاعرا ضربت له • بطون جبال الشعر حتى تيسرا •

واتفقوا على ان من الاولى لابتدا الغاية واما من جبال فقال الحوفي هي بدل من السما
ثم قال وهي للتبعيض وهذا خطا لان الاولى لابتدا الغاية في جار ثم عليه واذا كانت
الثانية بدلا لزم ان يكون مثلها لابتدا الغاية لو قلت خرجت من بغداد من الكرخ لزم
ان يكونا معا لابتدا الغاية وقال الزمخشري وابن عطية هي للتبعيض فيكون على
قولهما في موضع المفعول لينزل وقال الحوفي والزمخشري والثالثة للبيان انتهى فيكون
التقدير وينزل من السما بعض جبال فيها التي هي البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد
فمفعول ينزل من جبال قال الزمخشري او الاوليان للابتدا والاخيرة للتبعيض ومعناه
انه ينزل البرد من السما من جبال فيها انتهى فيكون من جبال بدلا من السما وقيل
من الثانية زايدتان وقاله الاخفش وهما في موضع نصب عنده كانه قال
وينزل من السما جبالا فيها اي في السما بردا وبردا بدل اي برد جبال وقال الفرا هما
زايدتان اي جبالا فيها برد لا حصى فيها ولا حجر اي يجتمع البرد فيصير كالجبال على
التهويل فبرد مبتدا وفيها خبره والضمير في فيها عايد على الجبال او فاعل بالجار والمجرور
لانه قد اعتمد لكونه في موضع الصفة لجبال وقيل من الاولى والثانية لابتدا
الغاية والثالثة زايدة اي وينزل من السما من جبال السما بردا وقال الزجاج معناه
وينزل من السما من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد اي خاتم
حديد في يدي وانما جيت في هذا وفي الاية بمن لما فرقت ولانك اذا قلت هذا
خاتم من حديد كان المعنى واحدا انتهى فعلى هذا يكون من برد في موضع الصفة
لجبال كما كان من في من حديد صفة لخاتم فيكون في موضع جر ويكون مفعول
ينزل هو من جبال واذا كانت الجبال من برد لزم ان يكون المنزل بردا والظاهر
اعادة الضمير في به على البرد ويحتمل ان يكون اريد به الودق والبرد وجرى في
ذلك مجرى اسم الاشارة وكانه قال فيصيب بذلك والمطر هو اعم واغلب في
الاصابة والصرف وابلغ في المنفعة والامتنان وقرا الجمهور سنا مقصورا

برقه

برقه مفردا وقرا طلحة بن مصرف سنا ممدود برقه بضم البا وفتح الرا جمع برقة بضم البا
وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وعنه بضم البا والرا اتبع حركة الرا لحركة البا كما
اتبعت في ظلمات واصلها السكون والسنا بالمد ارتفاع الشان كانه شبه المحسوس
من البرق لارتفاعه في الهوا بغير المحسوس من الانسان فان ذلك صفة لا تحسن
بصر وقرا الجمهور يذهب بفتح اليا والها وابو جعفر يذهب بضم اليا وكسر الها وذهب
الاخفش وابو حاتم الى تخطية ابي جعفر في هذه القراة قالا لان البا تعاقب الهمزة
وليس بصواب لانه لم يكن ليقرا الا بما روي وقد اخذ القراة عن سادات التابعين
الاخذين عن جلة الصحابة ابي وغيره ولم ينفرد بها ابو جعفر بل قراه شيبة كذلك
وخرج ذلك على زيادة البا اي يذهب الابصار وعلى ان البا بمعنى من والمفعول
محذوف تقديره يذهب النور من الابصار كما قال • شرب النزيف ببرد ماء الحشرج •
يريد من برد ويقلب الليل والنهار اي ياتي باحدهما بعد الاخر او بزيادة هذا وعكسه
او بغير النهار بظلمة السحاب مرة وضوء الشمس اخرى ويغير الليل باشتداد ظلمته
مرة وضوء القمر اخرى او باختلاف ما يقدر فيهما من الخير والنفع والشدة والنعمة
والامن ومقابلاتها ونحو ذلك اقوال اربعة ان في ذلك اشارة الى ما تقدم من
الدلايل الدالة على وحدانيته من تسبيح من ذكر وتسخير السحاب وما يحدثه
تعالى فيه من افعاله التي ينزل المطر فيقسم رحمته بين خلقه وارايتهم البرق
في السحاب الذي يكاد يخطف الابصار ويقلب الليل والنهار لعبرة اي لاتعاظا
وخص اولوا الابصار بالاتعاظ لان البصر والبصيرة اذا استعملا وصلا الى
ادراك الحق كقوله انما يتذكر اولوا الالباب وقرا الجمهور خلق فعلا ماضيا كل
نصب وقرا حمزة والكسائي وابن وثاب والاعمش خالق اسم فاعل مضاف الى كل
والدابة ما يدب على الارض ما ويدخل فيه الطير قال الشاعر • دبيب قطا البطحا في كل منهل •
والحوت وفي الحديث دابة من البحر مثل الظرب واندرج في كل دابة المميز وغيره
فغلب المتصف بالعقل على من لا يعقل اذا كان مندرجا في العام فحكم له
بحكمه كان الدواب كلهم مميزون والظاهر ان من ما متعلق بخلق ومن
لابتدا الغاية اي ابتدا خلقها من الما فقيل لما كان غالب الحيوان مخلوقا
من الما لتولده من النطفة ولكونه لا يعيش الا بالما اطلق لفظ كل تنزيلا
للغالب منزلة العام ويخرج عنه ما خلق من غير ما خلق من نور وهم الملايكة
ومن نار وهم الجن ومن تراب وهو ادم وخلق عيسى من الروح وكثير من الحيوان
لا يتولد من نطفة وقيل كل دابة على العموم في هذه الاشيا كلها وان اصل جميع
المخلوقات الما فروي ان اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة
فصارت ما ثم خلق من ذلك الما النار والهوا والنور ولما كان المقصود من هذه
الاية بيان اصل الخلقة وكان الاصل الاول هو الما قال خلق كل دابة من ما
وقال القفال ليس من ما متعلقا بخلق وانما هو في موضع الصفة لكل دابة
فالمعنى الاخبار انه تعالى خلق كل دابة متولدة من الما اي هي متولدة من الما
مخلوقة لله تعالى ونكر الما هنا وعرف في وجعلنا من الما كل شي حي لان المعنى
هنا خلق كل دابة من نوع من الما مختص بهذه الدابة او من ما مخصوص
وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام وبهايم وناس كما

تارة تمشي بها وامد وتتصل بعضها على بعض في الاكل وهناك قصد ان اصناف الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو صنو لها وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينها وبينه وسايط كما قيل ان اصل النور والنور والتراب الماء وسمي الزحف على البطن مشيا لمشاكلة ما بعده من ذكر الماشيين او استعارة كما قالوا قد مشى هذا الامر وما يتمشى لفلان امر كما استعاروا المشفر للشفة والشفة للجحفلة والماشي على بطنه الحيات والحوت ونحو ذلك من الدود وغيره وعلى رجلين الانسان والطير وعلى اربع لسائر الحيوان الارض من البهائم وغيرها فان وجد من له اكثر من اربع فقيل اعتماده انما هو على اربع لسائر الحيوان الارض من البهائم وغيرها فان وجد من له اكثر من اربع فقيل اعتماده انما هو على اربع ولا يفتقر في مشيه الى جميعها وقدمها هوا في القدرة والعجب وهو الماشي بغير الة مشي من له رجل وقوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان لكنه لم يثبت قرانا ولعله ما اورده مورد قران بل تنبيها على ان الله خلق من يمشي على اكثر من اربع كالعنكبوت والعقرب والرتيلا وذي اربع واربعين رجلا وتسمى الاذن وهذا النوع لندوره لم يذكر يخلق الله ما يشا اشارة الى انه تعالى ما تعلقت به ارادته خلقه انشاه واخترعه وفي ذلك تنبيه على كل الحيوان وانها كما اختلفت بكيفية المشي اختلفت بامور اخر ويقولون امنا بالله واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبئس المصير نزلت الى قوله الا البلاغ المبين في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودي الى الحكومة بينهما الى الرسول عليه السلام ودعا هو الى كعب بن الاشرف فنزلت ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد اتبع ذلك بذم قوم امنوا بالسنتهم دون عقايدهم ثم يتولى فريق منهم عن الايمان بعد ذلك الى بعد قولهم امنا واطعنا وذلك اشارة الى القايلين فينتفي عن جميعهم الايمان او الى الفريق المتولي فيكون ما نسب لهم

من

من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة بالقلب وافرد الضمير في ليحكم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله لان حكم الرسول هو عن الله قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه ومنهل من الفلا في اوسطه غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا انتهى اي قبل تقدم القطا اليه وقرا ابو جعفر ليحكم في الموضعين مبنيا للمفعول واذا الثانية للفجاءة جواب اذا الاولى الشرطية وهذا احد الدلايل على ان الجواب لا يعمل في اذا الشرطية خلافا للاكثرين من النحاة لان اذا الفجايية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد احكم ذلك في علم النحو والظاهر ان اليه متعلق بياتوا والضمير في اليه عايد على الرسول واجاز الزمخشري ان يتعلق اليه بمذعنين قال لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك وفي باب تهيئة العامل للعمل وقطعه عن العمل وهذا مما يضعف المعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معه الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليه اذا ركبهم الحق لئلا ينتزعه من انيابهم بقضائه عليهم لخصومهم واذا ثبت لهم الحق على خصم اسرعوا اليه كلهم ولم يرضوا الا بحكومته افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ام هنا منقطعة والتقدير بل ارتابوا بل ايخافون وهو استفهام توقيف وتوبيخ ليقروا باحد هذه الوجوه التي عليهم في الاقرار بها ما عليهم وهذا التوقيف يستعمل في الامور الظاهرة مما يوبخ به ويذم او بما يمدح به وهو بليغ جدا ومن المبالغة في الذم قول الشاعر

الست من القوم الذين تعاهدوا ... على اللوم والفحشاء في سالف الدهر

ومن المبالغة في المدح قول جرير

الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

وقسم تعالى الجهات مذورهم من حكومته فقال افي قلوبهم مرض اي نفاق وعدم اخلاص ام ارتابوا اي عرضت لهم الريبة والشك في نبوته بعد ان كانوا مخلصين ام يخافون اي يومن لهم الخوف من الحيف في الحكومة فيكون ذلك ظلما لهم ثم استدرك ببل انهم هم الظالمون وقرا علي وابن ابي اسحاق والحسن انما كان قول بالرفع والجمهور بالنصب قال الزمخشري والنصب اقوى لان الاولى للاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المومنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ما يكون لنا ان نتكلم بهذا انتهى ونص س على ان اسم كان وخبرها اذا كانا معرفتين فانت بالخيار في جعل ما شئت منهما الاسم والاخر الخبر من غير اعتبار شرط في ذلك ولا اختيار وقرا ابو جعفر والجحدري وخالد بن الياس ليحكم بينهم مبنيا للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير المصدر اي ليحكم هو اي الحكم والمعنى ليفعل الحكم بينهم ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم مضموما اي وقع التقطع بينكم انتهى ولا يتعين ما قاله في الاية اذ يجوز ان يكون القايم ضمير اليهود على ما بني قبله وتقدم الكلام في ذلك في موضعه وقرى ويتقه بالاشباع والاختلاس والاسكان وقرى ويتقه بسكون القاف وكسر الهاء من غير اشباع اجرى خبر كان المنفصل مجرى المتصل كما سكنت علم وكما قال الشاعر قالت سليمى اشتر لنا سويقا يريد اشتر لنا ومن يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه

فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن اية كافية فتليت له هذه فلما بلغ المنافقين ما انزل
تعالى فيهم اتوا الى رسول الله واقسموا الى اخره اي لنخرجن عن ديارهم واموالهم ونسائهم او لئن
امرتهم بالجهاد لنخرجن اليه وتقدم الكلام في جهد ايمانهم في الانعام ونهاهم تعالى
عن قسمهم لعلمه تعالى انه ليس حقا طاعة معروفة اي معلومة لا شك فيها ولا يرتاب
كطاعة الخلص من المومنين المطابق باطنهم لظاهرهم لا ايمان تقسمون بها وقلوبكم على
خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل وطاعة معروفة امثل واولى بكم
من هذه الايمان الكاذبة قاله الزمخشري وقال ابن عطية تحتمل معاني احدها النهي عن
القسم الكاذب اذ قد عرف ان طاعتهم دغلة ردية فكانه يقول لا تغالطوا فقد
عرف ما انتم عليه والثاني لا تتكلفوا القسم طاعة معروفة متوسطة على قدر الاستطاعة
امثل واجدى عليكم وفي هذا الوجه ابقاء عليهم والثالث لا تقنعوا بالقسم طاعة تعرف
منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم والرابع لا تقنعوا لانفسكم بارضائنا بالقسم
طاعة الله معروفة وجهاد عدوه مهيع لائح انتهى وطاعة مبتدا ومعروفة صفته والخبر
محذوف اي امثل واولى او خبر مبتدا محذوف اي امرنا او المطلوب طاعة معروفة وقال
ابو البقا لو قرى بالنصب لكان جايزا في العربية وذلك على المصدر اي اطيعوا طاعة
انتهى وقد قراه بالنصب زيد بن علي واليزيدي وتقدير بعضهم الرفع على اضمار وليكن
طاعة معروفة ضعيف لانه لا يحذف الفعل ويبقى الفاعل الا اذا كان ثم مشعر به نحو
رجال بعد يسبح مبنيا للمفعول اي يسبحه رجال او يجاب به نحو بلى زيد لمن قال
ما جا احد او استفهام نحو قوله ، الا هل اتى ام الحويرث مرسل ، بلى خالد ان لم تعقه العوايق
اي اتاها خالد ان الله خبير بما تعملون اي مطلع على سرايركم ففاضحكم والتفت من
الغيبة الى الخطاب لانه ابلغ في تبكيتهم ولما بكتهم بانه مطلع على سرايرهم تلطف بهم
فامرهم بطاعة الله والرسول وهو امر عام للمنافقين وغيرهم فان تولوا اي فان
يتولوا فانما عليه اي على الرسول ما حمل وهو التبليغ او مكافحة الناس بالرسالة واعمال
الجهد في انذارهم وعليكم ما حملتم وهو السمع والطاعة واتباع الحق ثم علق هدايتهم على
طاعته فلا يقع الا بطاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة
في المايدة روي ان بعض الصحابة شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف
وانهم لا يضعون اسلحتهم فنزل وعد الله الذين امنوا منكم وروي انه عليه السلام لما قال
بعضهم اما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع اهبة السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا
الا يسيرا يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة قال ابن عباس وهذا
الوعد وعده الله امة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل والخطاب في منكم
للرسول واتباعه ومن للبيان اي الذين هم انتم وعد هولاء ان ينصر الاسلام على
الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم خلفا وقوله في الارض هي البلاد التي جاوروها وهي
جزيرة العرب ثم افتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزاينهم
واستولوا على الدنيا وفي الصحيح زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها قال بعض العلما ولذلك اتسع نطاق الاسلام في الشرق والغرب
دون اتساعه في الجنوب والشمال قلت ولا سيما في عصرنا هذا باسلام معظم العالم في
المشرق كقبايل الترك وفي المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة وبلاد الهند كما استخلف
الذين من قبلهم اي بني اسرايل حين اورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة وقيل هو

ماكان

ما كان في زمان داود وسليمان عليهما السلام وكان الغالب على الارض المومنون وقرى
كما استخلف مبنيا للمفعول واللام في ليستخلفنهم جواب قسم محذوف اي واقسم ليستخلفنهم
او اجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم فجووب بما يجاوب به وعلى تقدير حذف القسم
يكون معمول وعد محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف قال
الضحاك هذه الاية تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي لانهم اهل الايمان وعمل الصالحات
وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون انتهى ويندرج من جرى مجراهم
في العدل ممن استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز من الامويين والمهتدي بالله
من العباسيين وليمكنن لهم دينهم اي يثبته ويوطده باظهاره واعزاز اهله واذلال
الشرك واهله والذي ارتضى لهم صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الامة في تمكين
هذا الدين الغاية القصوى مما اظهر الله على ايديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا
فيها جميع العالم من لدن ادم الى زماننا هذا الملة المحمدية وقرا الجمهور وليبدلنهم
بالتشديد وابن كثير وابو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف قال ابو العالية
لما اظهر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم على جزيرة العرب وضعوا السلاح وامنوا
ثم قبض الله نبيه عليه السلام فكانوا امنين كذلك في امارة ابي بكر وعمر وعثمان حتى
وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فادخل الله عليهم الخوف فغيروا فغير الله ما بهم
يعبدونني الظاهر انه مستانف فلا موضع له من الاعراب كانه قيل ما لهم يستخلفون
ويومنون فقال يعبدونني قاله الزمخشري وقال ابن عطية يعبدونني فعل مستانف
اي هم يعبدونني ويعني بالاستيناف الجملة لا نفس الفعل وحده وقال الحوفي قال
ويجوز ان يكون مستانفا على طريق الثنا عليهم اي هم يعبدونني قال الزمخشري وان
جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب انتهى
فقال الحوفي قبله وقال ابو البقا يعبدونني حال من ليستخلفنهم او ليبدلنهم بدل من
يعبدونني او حال من الفاعل في يعبدونني اي يعبدونني موحدين انتهى والظاهر انه
متى اطلق الكفر كان مقابل الاسلام والايمان وهو ظاهر قول حذيفة قال كان النفاق
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب ولم يبق الا الكفر بعد ايمان قال ابن عطية
يحتمل ان يريد كفر هذه النعم اذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج من الملة
قيل وظهر ذلك في قتلة عثمان وقال الزمخشري ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله
فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا
تلك النعمة العظيمة والظاهر ان قوله واقيموا التفات من الغيبة الى الخطاب وحسنه
الخطاب في منكم وقال الزمخشري واقيموا الصلاة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان
حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول توكيدا لوجوبها
انتهى وقرا الجمهور لا تحسبن بتا الخطاب والتقدير لا تحسبن ايها المخاطب ولا
يندرج فيه الرسول وقالوا هو خطاب للرسول وليس بجيد لان مثل هذا الحسبان
لا يتصور وقوعه منه عليه السلام وقرا حمزة وابن عامر لا يحسبن بالياء للغيبة
والتقدير لا يحسبن حاسب والرسول لا يندرج في حاسب وقالوا يكون ضمير
الفاعل للرسول لتقدم ذكره في واطيعوا الرسول قاله ابو علي والزمخشري وليس بجيد
لما ذكرناه في قراءة التا وقال النحاس ما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا

الاوهو يخطي قراءة حمزة فمنهم من يقول هو لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا
ابو حاتم انتهي وقال النحاس هو ضعيف واجاز علي اضمار المفعول الثاني وهو قول البصريين تقديره
انفسهم ومعجزين المفعول الثاني وقال علي بن سليمان الذين كفروا في موضع نصب قال ويكون
المعني ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض وقال الكوفيون معجزين المفعول
الاول وفي الارض الثاني قيل هو خطا وذلك لان ظاهر في الارض تعلقه بمعجزين
المفعول الاول وفي الارض الثاني قيل وهو الثاني فلا يكون مفعولا ثانيا وخرج الزمخشري
ذلك تبعا لقول الكوفيين فقال معجزين في الارض هما المفعولان والمعني لا يحسبن
الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتي يطمعوا لهم في مثل ذلك وهذا معني قوي جيد
انتهي وقال ايضا يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو
المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشي الواحد
اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهي وقد رددنا هذا التخريج في اواخر آل عمران
في قوله لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا في قراءة من قرا بيا الغيبة وجعل الفاعل
الذين يفرحون وملخصه انه ليس هذا من الضماير التي يفسرها ما بعدها فلا يتعدي لا يحسبنهم
اي لا يجوز ظننه زيد قايما علي تقدير رفع زيد بظننه وماواهم النار قال الزمخشري عطف
علي لا يحسبن كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون
جهد ايمانهم انتهي وقال صاحب النظم لا يحتمل ان يكون وماواهم النار وقال المراد بهم المقسمون
جهد ايمانهم بقوله لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون وماواهم
النار انتهي واستبعد العطف من حيث ان لا يحسبن نهي وماواهم النار جملة خبرية فلم
يناسب عنده ان يعطف الجملة الخبرية علي جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولما احس الزمخشري
بهذا قال كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله فتاول جملة النهي بجملة خبرية حتي تقع المناسبة
والصحيح ان ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل علي اختلافها بعضها علي بعض وان لم تتحد
في النوعية وهو مذهب س يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح
بعدهن طوافون عليكم بعضكم علي بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم
حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون
نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن
خير لهن والله سميع عليم ليس علي الاعمي حرج ولا علي الاعرج حرج ولا علي
المريض حرج ولا علي انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم او بيوت
امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا علي انفسكم تحية من عند الله
مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون روي ان عمر بعث اليه
رسول الله صلي الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج وكان نايما فدق عليه الباب
ودخل فاستيقظ وجلس فانكشف منه شي فقال عمر وددت ان الله نهي ابناءنا ونساءنا
عن الدخول علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الي الرسول فوجد هذه الاية

قد نزلت

قد نزلت فخر ساجدا وقيل نزلت في اسما بنت ابي مرثد قيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت
دخوله فاتت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا
في حال نكرهها ليستاذنكم امر والظاهر حمله علي الوجوب والجمهور علي الندب وقيل
نسخ ذلك اذ صار للبيوت ابواب روي ذلك عن ابن عباس وابن المسيب والظاهر
عموم الذين ملكت ايمانكم في العبيد والاما وهو قول الجمهور وقال ابن عمر ومجاهد
العبيد دون الاما وقال السلمي الاما دون العبيد والذين لم يبلغوا الحلم منكم عام
في الاطفال العبيد كانوا او احرارا وقرا الحسن وابو عمرو في رواية وطلحة الحلم
بسكون اللام وهي لغة تميم وقيل منكم اي من الاحرار ذكورا كانوا او اناثا
والظاهر من قوله ثلث مرات لا يفهم منه الا ثلث ضربات ويؤيده قوله عليه
السلام الاستيذان ثلث والذي عليه الجمهور ان معني ثلث مرات ثلثة اوقات
وجعلوا ما بعده من ذكر تلك الاوقات تفسيرا لقوله ثلث مرات ولا يتعين ذلك
بل تبقي ثلث مرات علي مدلولها من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النايم وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة لانه وضع الثياب للقايلة لان النهار اذ ذاك يشتد
حره في ذلك الوقت ومن في من الظهيرة قال ابو البقا لبيان الجنس اي حين ذلك
الذي هو الظهيرة قال ويتعلق بمعني من اجل حر الظهيرة وحين معطوف علي موضع من
قبل ومن بعد صلاة العشا لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب
النوم ثلث عورات لكم سمي كل واحد منها عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم
فيها والعورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين وقرا
حمزة والكسائي ثلث بالنصب قالوا بدلا من ثلث مرات وقدره الحوفي والزمخشري
وابو البقا اوقات ثلث عورات وقال ابن عطية انما يصح البدل بتقدير اوقات
عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرا باقي السبعة بالرفع اي هن
ثلث عورات وقرا الاعمش عورات بفتح الواو وتقدم انها لغة هذيل بن مدركة وبني
تميم وعلي رفع ثلث قال الزمخشري يكون ليس عليكم الجملة في محل رفع علي الوصف
والمعني هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان
كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة بعدهن اي بعد استيذانهم فيهن
حذف الفاعل وحرف الجر فبقي بعد استيذانهم ثم حذف المصدر وقيل ليس علي العبيد
والاما ومن لم يبلغ الحلم في الدخول عليكم بغير استيذان جناح بعد هذه الاوقات
الثلث طوافون عليكم يمضون ويجيئون وهو خبر مبتدا محذوف تقديره هم
طوافون اي يدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا في تلك
الاوقات وجوزوا في بعضكم علي بعض ان يكون مبتدا وخبرا لكن الخبر قدروه
طايف علي بعض وهو كون مخصوص فلا يجوز حذفه قال الزمخشري وحذف لان
طوافون يدل عليه وان يكون مرفوعا بفعل محذوف تقديره يطوف بعضكم
وقال ابن عطية بعضكم بدل من قوله طوافون ولا يصح لانه ان اراد به لا من
طوافون نفسه فلا يجوز لانه يصير التقدير هم بعضكم علي بعض وهذا معني
لا يصح وان جعلته بدلا من الضمير في طوافون فلا يصح ايضا لان قبله الضمير ضمير
غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير هم يطوف بعضكم علي بعض

فيه نفعه ان تولوا عليكم يدل على انهم هم الطوفون عليهم وانتم طوافون يدل على انهم طايفون بنفار ما
وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير عليهم وقال الحسن اذا بات الرجل
خادمه معه فلا استيذان عليه ولا في هذه الاوقات الثلاث واذا ابلغ الاطفال اي من
اولادكم واقربايكم فليستاذنوا اي في كل الاوقات فانهم قبل البلوغ كانوا يستاذنون في
ثلاث اوقات كما استاذن الذين من قبلهم يعني البالغين وقيل الكبار من اولاد الرجل
واقربايه ودل ذلك على ان الابن والاخ البالغين كالاجنبي في ذلك وتكلموا هاهنا في
مايه البلوغ وهي مسالة تذكر وتحقق في الفقه كذلك الاشارة الى ما تقدم ذكره من
استيذان المماليك وغير البلغ ولما امر تعالى النسا بالتحفظ من الرجال ومن الاطفال
غير البلغ في الاوقات التي هي مظنة كشف عوراتهن استثنى القواعد من النسا اللاتي
كبرن وقعدن عن الميل اليهن والافتتان بهن فقال والقواعد وهو جمع قاعد
من صفات الاناث وقال ابن السكيت امراة قاعد قعدت عن الحيض وقال ابن قتيبة
سمين بذلك لانهن بعد الكبر يكثرون القعود وقال ربيعة لقعودهن عن الاستمتاع
فايسن ولم يبق لهن طمع في الازواج وقيل قعدن عن الحيض والحبل وثيابهن الجلباب
والردا والقناع الذي فوق الخمار والملا الذي فوق الثياب او الخمار او الردا والخمار
اقوال ويقال للمراة اذا كبرت امراة واضع اي وضعت خمارها غير متبرجات بزينة
اي غير متظاهرات بالزينة لينظر اليهن وحقيقة التبرج اظهار ما يجب اخفاوه
او غير قاصدات التبرج بالوضع ورب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر بها جمال
وان يستعففن عن وضع الثياب ويسترن كالشواب افضل والله سميع لما يقول كل
قايل عليم بالمقاصد وفي ذكرها بين الصفتين توعد وتحذير عن ابن عباس لما نزل
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون من مواكلة الاعمى لانه لا يبصر موضع
الطعام الطيب والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لانه لا يستطيع
استيفا الطعام فانزل الله هذه الاية وقيل وتحرجوا عن اكل طعام القرابات فنزلت
مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة ان تلك انما هي في التعدي والقمار وما
ياكله المومن من مال من يكره اهله او بصفقة فاسدة ونحوه وقال عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وابن المسيب كانوا اذا نهضوا الى الغزو
وخلفوا اهل العذر في منازلهم واموالهم تحرجوا منها كل مال الغايب فنزلت
مبيحة لهم ما تمس اليه حاجتهم من مال الغايب اذا كان الغايب قد بنى على
ذلك وقال مجاهد كان الرجل اذا ذهب باهل العذر الى بيته فلم يجد شيا ذهب
بهم الى بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت وقيل كانت العرب
ومن بالمدينة قبل البعث تجتنب الاكل مع اهل هذه الاعذار بعضهم تقذرا لمكان
جولان يد الاعمى ولانبساط الجلسة من الاعرج ولرايحة المريض وهي اخلاق
جاهلية وكبر فنزلت واستبعد هذه الاية لو كان هذا السبب لكان التركيب
ليس عليكم حرج ان تاكلوا معهم ولم يكن ليس على الاعمى حرج واجاب بعضهم
بان على بمعنى في اي في مواكلة الاعمى وهذا بعيد جدا وفي كتاب
الزهراوي عن ابن عباس ان اهل هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس
من اجل عذرهم فنزلت وعلى هذه الاقوال كلها يكون نفي الحرج عن اهل
العذر ومن بعدهم في المطاعم وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد الحرج

المنفي

المنفي عن اهل العذر ومن بعدهم وهو في القعود عن الجهاد وغيره مما رخص لهم فيه
والحرج المنفي عمن بعدهم في الاكل مما ذكر وهو مقطوع مما قبله اذ تعلق
الحديث مختلف وان كانا قد اجتمعا في انتفا الحرج وهذا القول هو الظاهر
ولم يذكر بيوت الاولاد اكتفا بذكر بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم
نفسه وبيته بيته وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده
من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم والولد
اقرب من عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان
الذي هو اقرب منهم اولى وقرا طلحة امهاتكم بكسر الهمزة او ما ملكتم
مفاتحه وقال ابن عباس هو وكيل الرجل له ان يتناول من التمر ويشرب من
اللبن وقال قتادة العبد لان ماله لك وقال مجاهد والضحاك خزاين بيوتكم
اذا ملكتم مفاتيحها وقال ابن جرير الزمنى ملكوا التصرف في البيوت التي سلمت
اليهم مفاتيحها وقيل ولي اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ومن كان
فقيرا فلياكل بالمعروف ومفاتحه بيده وقرا الجمهور ملكتم بفتح الميم واللام
خفيفة وقرا ابن جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة وللجمهور مفاتحه جمع مفتح
وابن جبير مفاتيحه جمع مفتاح وقتادة وهارون عن ابي عمرو مفتاحه مفردا
او صديقكم وقري بكسر الصاد اتباعا لحركة الدال حكاه حميد الخزاز قرن الله الصديق
بالقرابة المحضة قيل لبعضهم من احب اليك اخوك ام صديقك فقال لا احب اخي الا
اذا كان صديقي وقال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الحب قال انت
لي صديق فما هذا الاستيذان وقال ابن عباس الصديق اوكد من القرابة
الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولم يستغيثوا
بالابا والامهات ومعنى او صديقكم او بيوت اصدقايكم والصديق يكون
للواحد والجمع كالخليط والقطين وقد اكل جماعة من اصحاب الحسن من بيته
وهو غايب فجاء فسر بذلك وقال هكذا وجدناهم يعني كبرا الصحابة وكان
الرجل يدخل بيت صديقه فياخذ من كيسه فيعتق جاريته التي مكنته من
ذلك ومن حقيق الصادق من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس
والثقة والانبساط وترك الحشمة بمنزلة النفس والاب والابن والاخ وقال
هشام بن عبد الملك نلت ما نلت حتى الخلافة واعوزني صديق لا احتشم
منه وقال اهل العلم اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن
الصريح وانتصب جميعا او اشتاتا على الحال اي مجتمعين او متفرقين قال
الضحاك وقتادة نزلت في حي من كنانة تحرجوا ان ياكل الرجل وحده فربما قعد
والطعام بين يديه لا يجد من يواكله حتى يمسي فيضطر الى الاكل وقال
بعض الشعرا اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي
وقال عكرمة في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه وقيل
في قوم تحرجوا ان ياكلوا جميعا مخافة ان يزيد احدهم على الاخر في الاكل وقيل
او صديقكم هو اذا دعاك الى وليمة فحسن وقيل هذه الاية منسوخة بقوله
عليه السلام الا ان دماكم واموالكم عليكم حرام وبقوله عليه السلام من حديث
ابن عمر لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير

بيوتا حتى تستأنسوا الآية فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال ابن عباس والنخعي الحاضر
سلموا على من فيها فإن لم يكن فيها أحد فالسلام على رسول الله وقيل يقول
السلام عليكم يعني الملائكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال جابر
وابن عباس وعطاء البيوت المسكونة وقالوا إن لم يكن فيها غير المسكونة فيقول السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابن عمر بيوتا خالية وقال السدي على
أنفسكم أي على أهل دينكم وقال قتادة على أهاليكم في بيوت أنفسكم وقيل بيوت
الكفار فسلموا على أنفسكم وقال الزمخشري فإذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت
فابدؤوا على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله أي ثابتة
بأمره مشروعة من لدنه أو لأن التسليم والتحية طلب السلامة وحياة للمسلم
عليه ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله
زيادة الخير وطيب الرزق انتهى وقال مقاتل مباركة بالأجر وقيل بورك فيها
بالثواب وقال الضحاك في السلام عشر حسنات ومع الرحمة عشرون ومع البركات
ثلاثون وانتصب تحية بقوله فسلموا لأن معناه فحيوا كقولك قعدت جلوسا

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم
يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم
واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا إن لله
ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

لما افتتح السورة بقوله سورة أنزلناها
وذكر أنواعا من الأوامر والحدود مما أنزلت على الرسول عليه السلام اختتمها بما
يجب عليه السلام على أمته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الإسلام
ومن طلب استئذانه إن عرض لأحد منهم عارض ومن توقيره في دعائهم
إياه وقال الزمخشري أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل
ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله صلى الله
عليه وسلم وجعلهما كالتسبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما
وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين
ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله
إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا
آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال
المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن
لهم ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن
استصوب أن يأذن له والأمر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف بالجمع
على المجاز وذلك نحو مقابلة عدو وتشاور في أمر مهم أو تضام لإرهاب
مخالف أو ما يتبع في حلف وغير ذلك والأمر الذي يعم بضرره أو منفعته وفي

قوله

قوله وإذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم
وتجاربهم في كفايته فمفارقة أحدهم في مثل هذه الحالة مما يشق على قلبه
ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق الأمر في الاستئذان مع العذر
المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم
وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم
بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون
بغير إذن لذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم
يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والأمر
في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه
رأيه انتهى وهو تفسير حسن ويجري هذا المجرى أمام الإمرة إذا كان الناس
معه مجتمعين لمراعاة مصلحة دينية فلا يذهب أحد منهم عن المجمع إلا بإذن
منه إذ قد يكون له رأي في حضور ذلك الذاهب وقال مكحول والزهري
الجمعة من الأمر الجامع فإذا عرض للجالس ما يمنعه الحضور من سبق رعاف فليستأذن
حتى يذهب عنه سوء الظن وقال ابن سيرين كانوا يستأذنون الإمام على المنبر فلما
كثر ذلك قال زياد من جعل يده على أنفه فليخرج دون إذن وقد كان هذا
بالمدينة حتى أن سهيل بن أبي صالح رعف يوم الجمعة فاستأذن الإمام وقال
ابن سلام هو كل صلاة فيها خطبة كالجمعة والعيدين والاستسقاء وقال ابن زيد
في الجهاد وقال مجاهد الاجتماع في طاعة الله وقيل في قوله فأذن لمن شئت منهم
أريد به عمر بن الخطاب وقرأ اليماني على أمر جميع لا تجعلوا خطاب لمعاصري
الرسول عليه السلام لما كان التداعي بالأسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير
رسول الله بأن يدعوه بأحسن ما يدعى به نحو يا رسول الله يا نبي الله ألا ترى إلى جفاء
بني أسد كان يقول يا محمد وفي قوله كدعاء بعضكم بعضا إشارة إلى جواز
ذلك مع بعضهم لبعض إذ لم يؤمر بالتوقير والتعظيم في دعائه عليه السلام
إلا من دعاه لا من دعاه غيره وكانوا يقولون يا أبا القاسم يا محمد فنهوا عن
ذلك وقيل نهاهم عن الإبطاء والتأخر إذا دعاهم واختاره المبرد والقفال
ويدل عليه فليحذر الذين يخالفون عن أمره وهذا القول يوافق مساق
الآية ونظمها وقال الزمخشري إذا احتاج إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا
تتفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن
المجمع بغير إذن الداعي انتهى وهو قريب مما قبله وقال أيضا ويحتمل لا تجعلوا
دعاء الرسول فإنه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما
أجابه وربما رده وإن دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة انتهى
قال ابن عباس إنما هو لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض أي دعاؤه
عليكم مجاب فاحذروه قال ابن عطية ولفظ الآية يدفع هذا المعنى انتهى
وقرأ الحسن ويعقوب في رواية نبيكم بنون مفتوحة وباء مكسورة وياء
مشددة بدل قوله بينكم ظرف في قراءة الجمهور وقال صاحب اللوامح وهو النبي
عليه السلام على البدل من الرسول فإنما ما ربه لا اختلاف تعريفهما باللام

مع الاضافة يعني ان الرسول معرفة باللام ونبيكم معرفة بالاضافة الى الضمير فهو في رتبة العلم
فهو اكثر تعريفا من ذي اللام فلو لم يصح النعت به على المذهب المشهور لان النعت يكون
دون المنعوت او مساويا له في التعريف ثم قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون
نعتا لكونهما معرفتين انتهى وكانه مشى فيما قرره من اختياره وينبغي ان
يجوز النعت لان الرسول قد صار علما بالغلبة كالبيت للكعبة اذا ما جاء في القران
والسنة من لفظ الرسول انما يفهم منه انه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك
فقد تساويا في التعريف ومعنى يتسللون ينصرفون قليلا قليلا عن الجماعة في خفية
ولواذا بعضهم ببعض اي هذا يلوذ بهذا وهذا بذاك بحيث يدور معه حيث دار
استتارا من الرسول وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد وقيل في حفر الخندق
ينصرف المنافقون بغير اذن ويستاذن المومنون اذا عرضت لهم حاجة وقال مجاهد
لواذا خلافا وقال ايضا يتسللون من الصف في القتال وقيل يتسللون بحار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودعائه كتابه وعلى ذكره وانتصب لواذا على انه مصدر في موضع
الحال اي متلاوذين ولواذا مصدر لاوذ وصحت العين في الفعل فصحت في المصدر
ولو كان مصدر لاذ لكان لياذا كقام قياما وقرا يزيد بن قطيب لواذا بفتح اللام
فاحتمل ان يكون مصدر لاذ ولم يقلب لانه لا كسرة قبل الواو فهو كطاف طوافا
واحتمل ان يكون مصدر لاوذ وكانت فتحة اللام لاجل فتحة الواو وخالف يتعدى
بنفسه يقول خالفت امر زيد وبالى يقول خالفت الى كذا فقوله عن امره ضمن خالف
معنى صد واعرض فعداه بعن وقال ابن عطية معناه يقع خلافهم بعد امره كما تقول
كان المطر عن ريح وعن هي لما عدا الشيء وقال ابو عبيدة والاخفش عن زايدة
اي امره والظاهر ان الامر بالحذر للوجوب وهو قول الجمهور عايد على الله وقيل
على الرسول وقرا يخلفون بالتشديد اي يخلفون انفسهم بعد امره والفتنة
القتل قاله ابن عباس ايضا او بلا قاله مجاهد او كفر قاله السدي ومقاتل او
اسباغ النعم استدراجا قاله الجراح او قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر
قاله الجنيد او طبع على القلوب قاله بعضهم وهذه الاقوال خرجت مخرج التمثيل
لا الحصر وهي في الدنيا او عذاب اليم يتنزل بهم في الاخرة وقيل هو القتل في الدنيا
الا ان لله ما في السموات والارض هذا كالدلالة على قدرته تعالى عليهما وعلى الخلف
فيما يعامله به من المجازاة من ثواب وعقاب قد يعلم ما انتم عليه من مخالفة امر
الله وامر رسوله وفيه تهديد ووعيد والظاهر انه خطاب للمنافقين وقال
الزمخشري ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق
ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت المضارع كانت
بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان يمس مهجور
الفنا فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحو ذلك قول زهير اخي ثقة لا يهلك
الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نايله انتهى وكون قد اذا دخلت على المضارع
افادت التكثير قول بعض النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من سياق
الكلام في المدح والصحيح في رب انها لتقليل الشي او تقليل نظيره فان فهم تكثير
فليس ذلك من رب ولا قد انما هو من سياق الكلام وقد بينت ذلك في علم
النحو وقرا الجمهور يرجعون مبنيا للمفعول وقرا ابن يعمر وابن ابي اسحاق

وابو

وابو عمرو مبنيا للفاعل والتفت من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة في يرجعون ويجوز
ان يكون ما انتم عليه خطابا عاما ويكون يرجعون للمنافقين والظاهر عطف
ويوم على ما انتم عليه فنصبه نصب المفعول قال ابن عطية ويجوز ان يكون التقدير
والعلم الظاهر لكم او نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف الهبا قال ابو عبيدة
النزوات
والزجاج مثل الغبار يدخل الكوة مع ضوء الشمس وقال ابن عرفة الهبوة والهبا التراب
الدقيق وقال الجوهري يقال منه اذا ارتفع هبا يهبو هبوا واهبيته انا اهباء
وقيل هو ما تطاير من النار اذا اضطرمت الثبور التوبيق العتو وقع الاسناد
على المقصود بقوة وفعله على وزن فعل بكسر العين وحكى الكسائي عضضت بفتح
عين الكلمة فلان كناية عن علم من يعقل الجملة من الكلام هو المجتمع غير المفرق
الترتيل رد اللفظ بعد اللفظ تتخلل بينهما زمن يسير من قولهم بينهما زمن
يسير من قولهم ثغر رتل اي مفلج الاسنان السبات الراحة ومنه يوم السبت
لما جرت العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة
مسبوت قاله ابو مسلم وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لانه
مقطوع الحياة مرج قال ابن عرفة خلط ومرج الامر اختلط واضطرب وقيل مرج
دام مرج امره ومرج لغة الحجاز وامرج لغة نجد العذب الحلو والفرات البالغ
في الحلاوة الملح المالح والاجاج البالغ في الملوحة وقيل المر وقيل الحار الصهر
قال الخليل لا يقال لاهل بيت المراة الا اصهار ولاهل بيت الرجل الا اختان ومن
العرب من يجعلهم اصهارا كلهم السراج الشمس الهون الرفق واللين الغرفة
العلية وكل بناء عال فهو غرفة عبا من العبء وهو الثقل يقال عبات الجيش بالتخفيف
والتثقيل هياته للقتال ويقال ما عبات به اي ما عددت به كعدوكها اكترثت به

سورة الفرقان بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له
ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق
كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم اخرون فقد جاءو ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في
السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من
تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك
ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير

أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله وكان الله غفورا رحيما وقال الضحاك مدنية إلا من أولها إلى ولا نشورا فهو مكي ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه وحذر من يخالف أمره وذكر أن له ملك السموات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير ومن خيره أنه نزل الفرقان على رسوله منذرا لهم فكان في ذلك إطماع في خيره وتحذير من عقابه وتبارك تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لا يتصرف ولم يستعمل في غيره فلا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر وقال الطرماح:

تباركت لا معط لشيء منعته • وليس لما أعطيت يا رب مانع •

قال ابن عباس لم يزل ولا يزول وقال الخليل تمجد وقال الضحاك تعظم وحكى الأصمعي تبارك عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لأصحابه ذلك أي تعاليت وارتفعت ففي هذه الأقوال تكون صفة ذات وقال ابن عباس أيضا والحسن والنخعي هو من البركة وهو التزايد في الخير من قبله فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر وعلى هذا يكون صفة فعل وجاء الفعل مسندا إلى الذي وهم وإن كانوا لا يقرون بأنه تعالى هو الذي نزل الفرقان فقد قام الدليل على إعجازه فصارت الصلة معلومة بحسب الدليل وإن كانوا منكرين لذلك وتقدم في البقرة لم سمي القرآن فرقانا وقرأ الجمهور على عبده وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن الزبير على عباده أي الرسول وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم وما أنزل إلينا ويبعد أن يراد بالقرآن الكتب المنزلة وبعباده من نزلت عليهم فيكون اسم جنس كقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والضمير في ليكون عائد على عبده ويترجح بأن العمدة المسند إليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله إنا كنا منذرين والظاهر أن نذيرا بمعنى منذر وجوز أن يكون مصدرا بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر والعالمين عام للإنس والجن ممن عاصره وجاء بعده وهذا معلوم من الحديث المتواتر وظواهر الآيات وقرأ ابن الزبير للعالمين للجن والإنس وهو تفسير للعالمين ولما سبق في أواخر السورة ألا إن لله ما في السموات والأرض وكان إخبارا بأن ما فيهما ملك له أخبر هنا أن له ملكهما أي قهرهما وقهر ما فيهما فاجتمع له الملك والملك لهما ولما فيهما والذي مقطوع للمدح رفعا أو نصبا أو نعت أو بدل من الذي نزل وما بعد نزل من تمام الصلة ومتعلق به فلا يعد فاصلا بين النعت أو البدل ومتبوعه ولم يتخذ ولدا الظاهر نفي الاتخاذ أي لم ينزل أحدا منزلة الولد وقيل المعنى لم يكن له ولد كقوله لم يلد لأن التوالد مستحيل عليه وفي ذلك رد على مشركي قريش وعلى النصارى واليهود الناسبين لله الولد ولم يكن له شريك في الملك تأكيدا لقوله له ملك السموات والأرض ورد على من جعل لله شريكا وخلق كل شيء عام في خلق الذوات وأفعالها وقيل وفي الكلام حذف تقديره وخلق كل شيء عام في خلق

الذوات

الذوات وأفعالها وقيل وفي الكلام حذف تقديره وخلق كل شيء مما يصح خلقه لتنزه ذاته وصفاته القديمة انتهى ولا يحتاج إلى هذا المحذوف لأن من قال أكرمت كل رجل لا يدخل هو في العموم فكذلك لم يدخل في عموم وخلق كل شيء ذاته تعالى ولا صفاته القديمة فقدره تقديرا إن كان الخلق بمعنى التقدير فكيف جاء فقدره إذ يصير المعنى وقدر كل شيء فقدره تقديرا فقال الزمخشري المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له أو سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة أحدث الله وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده متناسبا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء على أمد معلوم وقال ابن عطية تقدير الأشياء هو حدها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والإتقان انتهى واتخذوا من دونه آلهة الضمير في واتخذوا عائد على ما يفهم من سياق الكلام لأن في قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك دلالة على ذلك لم ينف إلا وقد قيل به وقال الكرماني الواو ضمير للكفار وهم مندرجون في قوله للعالمين وقيل لفظ نذيرا ينبئ عنهم لأنهم المنذرون ويندرج في واتخذوا كل من ادعى إلها غير الله ولا يختص ذلك بعباد الأوثان وعباد الكواكب وقال القاضي يبعد أن يدخل فيه النصارى لأنهم لم يتخذوا من دون الله آلهة على الجمع والأقرب أن المراد به عبدة الأوثان ويجوز أن يدخل فيه من عبد الملائكة لأن لعبادها كثرة انتهى ولا يلزم ما قال لأن واتخذوا جمع والآلهة جمع وإذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد ولا يلزم أن يقابل الجمع فيندرج معبود النصارى في لفظ آلهة ثم وصف الآلهة بانتفاء إنشائهم شيئا من الأشياء أشار إلى انتفاء القدرة بالكلية ثم بأنهم مخلوقون لله ذاتا أو هم مصنوعون بالنحت والتصوير على شكل مخصوص وهذا أبلغ في التناسب ونسبة الخلق للنجر يجوز ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال الزمخشري الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادته عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لأنفسهم دفع ضر عنها ولا جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضر وجلب النفع الذي يقدر عليه العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز وقال الذين كفروا قال ابن عباس هو النضر بن الحارث وأتباعه والإفك أسوأ الكذب وأعانه عليه قوم آخرون قال مجاهد قوم من اليهود ألقوا أخبار الأمم إليه وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤون التوراة أسلموا وكان الرسول يتعهدهم وقال ابن عباس أشار إلى قوم عبيد كانوا للعرب من الفرس أبو فكيهة مولى الحضرميين وجبر ويسار وعداس وغيرهم وقال الضحاك عنوا أبا فكيهة الرومي وقال المبرد عنوا بقوم آخرين المؤمنين لأن آخر ما يكون إلا من جنس الأول انتهى وما قاله لا يلزم للاشتراك في الوصف ألا ترى إلى قوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فقد اشتركت في مطلق

الغيبة واختلفت في الوصف والظاهر ان الضمير في فقد جاؤا عائد على الذين كفروا والمعنى
ان هولا الكفار وردوا ظلما كما تقول جيت المكان فيكون جا متعديا بنفسه قال الكسائي
ويجوز ان يحذف الجار اي بظلم وزور ويصل الفعل بنفسه وقال الزجاج اذ جا يستعمل
بهذين الاستعمالين وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاما عربيا اعجز بفصاحته
جميع فصحا العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه وقيل الضمير
عائد على قوم اخرين وهو من كلام الكفار والظاهر في وقالوا للكفار وتقدم
الكلام على اساطير الاولين اكتتبها اي جمعها من قولهم كتب الشي اي جمعه او من
الكتابة اي كتبها بيده فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون انه
لا يكتب ويكون كاستكب الما واصطبه اي سكبه وصبه ويكون لفظ افتعل
مشعرا بالتكليف والاعتمال او بمعنى امر ان يكتب كقولهم احتجم وافتصد اذا
امر بذلك فهي تملى عليه اي تلقى عليه ليحفظها لان صورة الالقا على المتحفظ
كصورة الاملا على الكاتب واساطير خبر مبتدا محذوف اي هو وهذه اساطير
واكتتبها خبر ثان ويجوز ان يكون اساطير مبتدا واكتتبها الخبر وقرا الجمهور
اكتتبها مبنيا للمفعول وقرا طلحة مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه
كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل
الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير
الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير
الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى وهو من كلام الزمخشري ولا يصح
ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل فيه اكتتب لمفعولين
احدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والاخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع
في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا الفعل للمفعول
انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا
فعلى هذا يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جا السماع عن
العرب في هذا النوع الذي احد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا قال الشاعر
وهو الفرزدق ∴ ومنا الذي اختير الرجال سماحة ∴ وجودا اذا هب الرياح الزعازع ∴
ولو جا على ما قرره الزمخشري لجا التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختار يتعدى
الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال والظاهر ان قوله اكتتبها
فهي تملى عليه بكرة واصيلا من تمام قول الكفار وعن الحسن انه قول الله سبحانه
يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة في اكتتبها للاستفهام الذي في معنى
الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله ∴ افرح ان ارزا الكرام وان ∴
اورث ذودا شصايصا نبلا ∴ وحق للحسن ان يقف على الاولين والظاهر
تقييد الاملا بوقت انتشار الناس وحين الايوا الى مساكنهم وهما البكرة
والاصيل ويكونان عبارة من الديمومة وقرا طلحة وعيسى فهي تتلى بالتا
بدل الميم قل انزله الذي يعلم السر اي كل سر خفي ورد عليهم بهذا وهو وصفه
تعالى بالعلم لان هذا القرآن لم يكن ليصدر الا من علام بكل المعلومات لما احتوى
عليه من اعجاز التركيب الذي لا يمكن صدوره من احد ولو استعان بالعالم
كلهم ولاشتماله على مصالح العالم وعلى انواع العلوم والكنى بعلم السر لان ما سواه

اولي

اولي ان يتعلق علمه به او يعلم ما يسرون من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمكم بصدق
ما يقولون فهو مجازيكم انه كان غفورا رحيما اطماع في انهم اذا تابوا غفر لهم ما فرط من
كفرهم ورحمهم او غفورا رحيما في كونه امهلكم ولم يعاجلكم على ما استوجبتموه من العقاب
بسبب مكابرتكم او لما تقدم ما يدل على العقاب اعقبه بما يدل على القدرة عليه
لان المتصف بالغفران والرحمة قادر على ان يعاقب وقالوا الضمير للكفار قريش
وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس وهو مذكور في ابن اسحاق في السير فقال عتبة
وغيره ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا او المال جمعنا لك فلما ابى عليهم اجتمعوا
عليه فقالوا ما لك وانت رسول من الله تاكل الطعام وتقف بالاسواق لالتماس
الرزق سل ربك ان ينزل معك ملكا نذيرا معك او يلقي اليك كنزا تنفق منه او
يرد عليك جبال مكة ذهبا او تزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها
المياه واشاعوا هذه المحاجة فنزلت الاية وكتب في المصحف لام الجر مفصولة
من هذا وهذا استفهام يصحبه استهزا اي ما لهذا الذي يزعم انه رسول
انكروا عليه ما هو عادة للرسل كما قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي حاله كحالنا اي كان يجب ان يكون
مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم قالوا وهب انه بشر فهلا ارفد بملك ينذر
معه او يلقى اليه كنز من السما يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم
اقتنعوا بان يكون له بستان ياكل منه ويرتزق كالمياسير وقرئ فيكون
بالرفع حكاه ابو معاذ عطف على انزل لان انزل في موضع رفع وهو ماض
وقع موقع المضارع اي هلا ينزل اليه ملك وهو جواب التحضيض على اضمار
هو اي فهو يكون وقراة الجمهور بالنصب على جواب التحضيض وقوله
او يلقى او يكون عطف على انزل اي لولا ينزل فيكون المطلوب احد هذه
الامور او مجموعها باعتبار اختلاف القايلين ولا يجوز النصب في او يلقى ولا
في او يكون عطفا على فيكون لانهما في حكم المطلوب بالتحضيض لا في حكم
الجواب لقوله لولا انزل وقرا قتادة والاعمش او تكون بالتا من تحت
وقرا ياكل بالياء اي الرسول وزيد بن علي وحمزة والكسائي وابن
وثاب وطلحة والاعمش بنون الجمع اي ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون
به في دنياهم ومعاشهم وقال الظالمون اي المؤمنين قال الزمخشري واراد
بالظالمين اياهم باعيانهم لسوء تركيبا يفعلا التركيب الوصفي ان يقول واراد
تامينهم بالظالمين مسحورا غلب على عقله السحر وهذا اظهر او ذا سحر وهو الرية
اي بشر بالطعام والشراب اي يغذى او اصيب سحره كما تقول راسته اصبت
راسه وقيل مسحورا ساحرا عنوا به انه بشر مثلهم لا ملك وتقدم تفسيره في الاسرا
ويعني بالمؤمنين قبل والقايلون ذلك النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي
امية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا
فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة
مشتركة بين انسان وملك والقا كنز عليك وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا
لا يجدون قولا يستقرون عليه اي فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا له
وقيل ضربوا لك الامثال بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره فضلوا اخطا الطريق

فلا يجدون سبيلا الى الهداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال وقيل فلا يستطيعون
سبيلا الى الحجة وبرهان على ما يقولون فمرة هو بليغ فصيح يتقول القرآن من نفسه
ويفتريه ومرة مجنون ومرة ساحر ومرة مسحور وقال ابن عباس مثله بكذا هولاء المشركون
الاشيا بقولهم هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل فلا يجدون طريقا الى الحق
الذي بعثتك به وقال مجاهد لا يجدون مخرجا يخرجهم من الامثال التي ضربوا
لك ومعناه انهم ضربوا لك هذه ليتوصلوا بها الى تكذيبك فضلوا عن سبيل
الحق وعن بلوغ ما ارادوا وقال ابو عبد الله الرازي انظر كيف اشتغل القوم
بضرب هذه الامثال التي لا فايدة فيها لاجل انهم لما ضلوا وارادوا القدح
في نبوتك لم يجدوا الى القدح سبيلا اذ الطعن عليه انما يكون فيما يقدح في
المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول وقال الفرا لا يستطيعون في
امرك حيلة وقال السدي سبيلا الى الطعن ولما قال المشركون ما قالوا
قيل ... ويروى ان النبي ... ان شئت نعطيك خزاين الدنيا ومفاتيحها ولم يعط ذلك
قبلك ولا نعطيه احد بعدك وليس ذلك بناقصك في الاخرة شيا وان
شيت جمعناه لك في الاخرة فقال يجمع لي في الاخرة فنزل تبارك الذي
وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال عرض علي جبريل بطحا مكة ذهبا ...
وثلاث ... وذلك اكثر لذكري ومسالتي قال الزمخشري تبارك
اي تكاثر خير الذي ان شا وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك
مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور انتهى والاشارة بذلك الظاهر الى ما ذكر
الكفار من الجنة والكنز في الدنيا قاله مجاهد وقيل ابن عباس الى انه اشارة
الى اكله الطعام ومشيه في الاسواق والظاهر ان هذا الجعل كان يكون في الدنيا
لو شا الله وقيل في الاخرة ودخلت ان على المشية تنبيها انه لا ينال ذلك الا
برحمته وانه معلق على محض مشيته ليس لاحد من العباد على الله حق لا في
الدنيا ولا في الاخرة والاول ابلغ في تبكيت الكفار والرد عليهم قال ابن عطية ويرد
قوله بعد ذلك بل كذبوا بالساعة انتهى ولا يرده لان المعنى به متمكن وهو
عطف على ما حكى عنهم بقول بل اتى بالعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
وقرا الجمهور ويجعل بالجزم قالوا عطفا على موضع جعل لان التقدير ان شا يجعل
ويجوز ان يكون مرفوعا ادغمت لامه في لام لك لكن ذلك لا يعرف الا من مذهب
ابي عمرو والذي قرا بالجزم من السبعة نافع وحمزة والكسائي وابو عمرو وليس
من مذهب الثلاثة ادغام المثلين اذا تحرك اولهما انما هو مذهب ابي
عمرو وكما ذكرنا وقرا مجاهد وابن عامر وابن كثير وحميد وابو بكر ومحبوب
عن ابي عمرو بالرفع قال ابن عطية والاستيناف ووجهه القطع على المعنى
في قوله جعل لان جواب الشرط هو موضع استيناف الا ترى ان الجمل من الابتدا
والخبر قد تقع موقع جواب الشرط وقال الحوفي من رفع جعله مستانفا منقطعا
مما قبله انتهى وقال ابو البقا وبالرفع على الاستيناف وقال الزمخشري وقرا
ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم
والرفع كقوله واذا اتاه خليل يوم مسالة * يقول لا غايب مالي ولا حرم *
انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا
جاز

جاز في جوابه الرفع ليس مذهب سيبويه اذ مذهب س ان الجواب محذوف وان هذا
المضارع المرفوع النية به التقديم ويكون الجواب محذوفا ولا يكون فعل الشرط
الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون والمبرد الى انه هو الجواب وانه على حذف
الفا وذهب غير هولا الى انه هو الجواب وليس على حذف الفا ولا على التقديم ولما
لم يظهر لاداة الشرط تاثير في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل
الجواب فلم يعمل فيه وبقي مرفوعا وذهب الجمهور الى ان هذا التركيب فصيح
وانه جائز في الكلام وقال بعض اصحابنا هو ضرورة اذ لم يجي الا في الشعر وهو
على اضمار الفا والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو وقرا عبيد الله
ابن موسى وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب على اضمار ان وقال ابو الفتح هو على
جواب الشرط بالواو وهي قراة ضعيفة انتهى ونظير هذه القراة الثلاث قول
النابغة * فان يهلك ابو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام *
* ونأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام *
يروى بجزم ناخذ ورفعه ونصبه بل كذبوا بالساعة قال الكرماني الموفي مانعهم
من الايمان اكل الطعام والمشي في الاسواق بل منعهم تكذيبهم بالساعة وقيل ليس
ما تعلقوا به شبهة بل الحامل على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها
وقيل يجوز ان يكون متصلا بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون
الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يومنون
بالاخرة انتهى بل للترك اللفظ المتقدم من غير ابطال لمعناه واخذ في لفظ اخر ...
جعلناه معدا لسعير نارا كثيرة الايقاد وعن الحسن انه اسم من اسما جهنم اذا راتهم قيل
هو حقيقة فان لجهنم عينين وروي في ذلك اثر فان صح كان هو القول الصحيح
والا كان مجازا اي صارت بقدر ما يرى الراي من البعد كقولهم دورهم تتراى
اي تتناظر وتتقابل ومنه لا تترايا ناراهما وقال قوم النار اسم لحيوان ناري يتكلم
ويرى ويسمع ويتغيظ ويزفر حكاه الكرماني وقيل هو على حذف مضاف اي راتهم
زبانيتها من مكان بعيد قيل من مسيرة خمسماية عام وقيل ماية سنة وقيل سنة سمعوا
لها صوت تغيظ لان التغيظ لا يسمع واذا كان على حذف المضاف كان المعنى
تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم وقيل سمعوا صوت
لهيبها واشتعالها وقيل هو مثل قول الشاعر فاليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا
وهذا مخرج على تخريجين احدهما الحذف اي ومعتقلا رمحا والثاني تضمين
متقلدا معنى متسلحا وكذلك الاية اي سمعوا لها وراوا تغيظا وزفيرا وعاد
كل واحد الى ما يناسبه ومن سمعوا معنى ادركوا فيشمل التغيظ والزفير وانتصب
مكانا على الظرف اي في مكان ضيق وعن ابن عباس تضيق عليهم تضييق الزج
في الرمح مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر
شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد وقرا ابن كثير وعبيد عن ابي عمرو
ضيقا قال ابن عطية وقرا ابو شيبة صاحب معاذ بن جبل مقرنون بالواو وهي
قراة شاذة والوجه قراة الناس ونسبها ابن خالويه الى معاذ بن جبل ووجهها
ان يرتفع على البدل من ضمير القوا بدل نكرة من معرفة ونصب على الحال
والظاهر دعا الثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا

ارابك وقيل المدعو محذوف تقديره دعوا من لا يجيبهم فاليلين عشر نائبورا والثبور
قال ابن عباس هو الويل وقال الضحاك هو الهلاك ومنه قول ابن الزبعري
اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور لا تدعوا اليوم
يقال لهم لا تدعوا وهم احق ان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا تقتصروا
على حزن واحد بل احزنوا حزنا كثيرا وكثرته اما لديمومة العذاب فهو متجدد اي
دايما واما لانه انواع وكل نوع يكون منه ثبور لشدته وفظاعته وقرا عمر بن محمد
ثبورا بفتح الثاء في ثلاثتها وفعول بفتح الفاء في المصادر قليل نحو القبول وحكى
علي بن عيسى ما ثنيك عن هذا الامر اي ما صرفك كانهم دعوا بما فعلوا فقالوا وا صرفاه
عن طاعة الله كما تقول وا ندامتاه روي ان اول من ينادي بذلك ابليس يقول
واثبوراه حتى يكسى حلة من جهنم يضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه ثم تتبعه
في القول تتابعه فيقول لهم خزان جهنم لا تدعوا الاية وقيل نزلت في ابن خطل
واصحابه والظاهر ان الاشارة بذلك الى النار واحوال اهلها وقيل الى الجنة والكنز
في قولهم وقيل الى الجنة والقصور المجعولة في الدنيا على تقدير المشيئة وخير هنا
ليست تدل على الافضلية بل هي على ما جرت به عادة العرب في بيان فضل الشي
وخصوصيته بالفضل دون مقابلة كقوله فشركما لخيركما الفداء وقول العرب
الشقاء احب اليك ام السعادة وكقوله السجن احب الي مما يدعونني اليه وهذا الاستفهام
على سبيل التوقيف والتوبيخ قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه
مجي لفظه على ما جاز ليري هل يجيبه بالصواب او بالخطا وانما منع س وغيره من
التفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة واما اذا كان استفهاما فذلك سايغ
انتهى وما ذكره مخالفة قوله فشركما لخيركما الفداء وقوله السجن احب الي فان هذا
خبر وكذلك قولهم العسل احلى من الخل الا ان يفيد الخبر بان اذا كان واقعا الحكم
فيه للسامع حيث لا يختلج في ذهنه ولا يتردد ايهما افضل فانه يجوز وضمير الذي
محذوف اي وعدها وضمير ما يشاؤن كذلك اي ما يشاؤونه وفي قوله ما يشاؤن
دليل على حصول المرادات باسرها لا يكون الا في الجنة وشمل قوله جزاء ومصيرا الثواب
ومحله كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي ضده بيس الشراب وسات مرتفقا لانه
بطيب المكان تتضاعف النعيم كما انه برداته يتضاعف العذاب وعدا اي موعودا
مسؤلا سالته الملايكة في قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قاله
محمد بن كعب والناس في قولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا اتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة قال معناه ابن عباس وابن زيد وقال
الفرا وعدا مسؤلا اي واجبا تقول لاعطينك الفا وعدا مسؤلا اي واجبا
وان لم يسال قيل وما قاله الفرا محال انتهى وليس بمحال اذ يكون المعنى انه
ينبغي ان يسال هذا الوعد الذي وعد به او يصدر ان يسال اي من حقه
ان يكون مسؤلا وعلى ربك اي بسبب الوعد صار لا بد منه وقال الزمخشري
كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب
لانه جزا واجر مستحق وهذا على مذهب المعتزلة ويوم يحشرهم وما
يعبدون من دون الله فيقول اانتم اضللتم عبادي هولا ام هم
ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من

اوليا

اوليا ولكن متعتهم واباهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم
بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا
كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا
الملايكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا
يوم يرون الملايكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون
حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقرا ابو جعفر والاعرج
وابن كثير وحفص يحشرهم بالياء فيهما وقرا الحسن وطلحة وابن عامر
بالنون فيهما وقرا باقي السبعة نحشرهم بالنون وفي فيقول بالياء
وقرا الاعرج نحشرهم بكسر الشين قال صاحب اللوامح في كل القران وهو
القياس في الافعال المتعدية الثلاثية لان يفعل بضم العين قد يكون من
اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي وقال ابن عطية وهو قليلة في الاستعمال
قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي اقيس من يفعل بضم
العين انتهى وهذا ليس كما ذكرا بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه
اذا لم تكن للمغالبة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل ويفعل كثيرا
فان شهر احد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض اصحابنا خير فيهما
سمعا للكلمة او لم يسمعا وما يعبدون قال الضحاك وعكرمة الاصنام
التي لا تعقل يقدرها الله على هذه المقالة من الجواب وقال الكلبي يحيي
الله الاصنام يومئذ لتكذيب عابديها وقال الجمهور من عبد ممن يعقل
ممن لم يامر بعبادته كالملايكة وعيسى وعزير وهو الاظهر لقوله
اانتم اضللتم وما بعده من المحاورة التي ظاهرها انها لا تصدر الا
من العقلاء وجاء ما لانه ذلك مخصوص بما في قوله ثم يقول للملايكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وسواله تعالى وهو عالم المسوول عنه ليجيبوا بما اجابوا به فيبكت
عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيزيد حسرتهم ويتبين الوهن لهم ونجاتهم
من فضيحة اوليك ويكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين
وجا الاستفهام متقدما فيه الاسم على الفعل وكذا في التركيب اانتم اضللتم
او اضلوا لان كلا من الاضلال والضلال واقع والسوال انما هو من فاعله
وتقدم نظير هذا في اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال
الزمخشري وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة
حيث يقول للمعبودين من دونه اانتم اضللتم ام ضلوا بانفسهم
فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون
بل انت تفضلت من غير سابقة على هولا وابايهم تفضل جواد كريم
فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك
سبب هلاكهم فاذا برات الملايكة والرسل انفسهم من نسبة الضلال الذي

هو محل الشبهة اليهم واستفادوا منهم فهم لو فهموا المعنى الهداية اشد تبرئة وتنزيها منه
ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضيل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان
الذكر والتسبب به للبوار اليهم فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى
ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد
يقولوا بل انت اضللتهم انتهى وهو على طريقة المعتزلة والمعنى انتم اوقعتموهم
ضلولا وتسببتم لهم في اضلالهم عن الحق ام ضلوا بانفسهم عنه وضل المطاوع يتعدى
بعن كقوله من يضل عن سبيله ثم اتسع فحذف واضله عن السبيل كما ان هدى
يتعدى بالى ثم يتسع فحذف وضل مطاوع اضل كما تقول اقعدته فقعد وسبحانك
تنزيه لله تعالى ان يشركه في العبادة احد او يزيد عباده خالي ان
يقع منهم اضلال احد وهم المتنزهون المقدسون او يكون احد منهم ندا وهو
المتنزه عن الضد والنظير وقال الزمخشري سبحانك تعجب منهم مما قيل لانهم
ملائكة وانبيا معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص
بابليس وحزبه انتهى وقرا علقمة ما ينبغي بسقوط كان وقراة الجمهور
بثبوتها امكن في المعنى لانهم اخبروا عن حال كانت في الدنيا ووقت الاخبار
لا عمل فيه وقرا ابو عيسى الاسود القاري ينبغي لنا مبنيا للمفعول وقال ابن
خالويه زعم سيبويه ان ينبغي لغة وقرا الجمهور ان نتخذ مبنيا للفاعل ومن
اوليا مفعول على زيادة من وحسن زيادتها انسحاب النفي على نتخذ لانه معمول
لينبغي واذا انتفى الابتغاء انتفى متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون
الله ونظيره ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
من خير اي خير والمعنى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى
احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك وقال ابو مسلم
ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين نريد الكفر ونتولى الكفار قال
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو الدردا وزيد بن ثابت وابو رجا
ونصر بن علقمة وزيد بن علي واخوه الباقر ومكحول والحسن وابو جعفر وحفص
بن عبيد والنخعي والسلمي وشيبة وابو بشر والزعفراني ان نتخذ مبنيا
للمفعول واتخذ مما يتعدى تارة لواحد كقوله ام اتخذوا الهة من الارض
وعليه قراة الجمهور وتارة الى اثنين كقوله افرايت من اتخذ الهه هواه
فقيل هذه القراة منه فالاول الضمير في نتخذ والثاني من اوليا ومن
للتبعيض اي لا نتخذ بعض اوليا وهذا قول الزمخشري وقال ابن عطية
ويضعف هذه القراة دخول من في قوله من اوليا اعترض بذلك سعيد
ابن جبير وغيره وقال ابو الفتح من اوليا في موضع الحال ودخلت من
زيادة لمكان النفي المتقدم كما تقول ما اتخذت زيدا من وكيل وقيل من
اوليا هو الثاني على زيادة من وهذا لا يجوز عند اكثر النحويين انما
يجوز دخولها زائدة على المفعول الاول بشرطه وقرا الحجاج ان نتخذ من
دونك اوليا فبلغ عاصما فقال مقتك الله اوما علمت ان فيها من ولما تضمن
قولهم ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اوليا انا لم نضلهم ولم
نحملهم على الامتناع من الايمان صلح ان يستدرك بلكن والمعنى لكن

اكثرت

اكثرت عليهم وعلى ابائهم النعم واطلت اعمارهم وكان يجب عليهم شكرها والايمان
بما جاءت به الرسل فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله وقيل ولكن متعتهم كالنزر
الى ما صرح به موسى من قوله ان هي الا فتنتك اي انت الذي اعطيتهم
مطالبهم من الدنيا حتى صاروا غرقى في بحر الشهوات فكان صارفا لهم عن
التوجه الخطا عنك والاشتغال بخدمتك والذكر ما ذكر به الناس على السنة
الانبيا والكتب المنزلة او القران والبور قيل مصدر يوصف به الواحد
والجمع وقيل جمع بائر كعائذ وعوذ قيل معناه هلكى وقيل فسدى وهي
لغة الازد يقولون امر بائر اي فاسد وبارت البضاعة فسدت وقال
الحسن لا خير فيهم من قولهم ارض بور اي متعطلة لا نبات فيها وقيل بورا
عميا عن الحق فقد كذبوكم هذا من قول الله بلا خلاف وهي مفاجاة
بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وهو
على اضمار القول كقوله يا اهل الكتاب الى قوله فقد جاءكم اي فقلنا قد
جاءكم وقول الشاعر قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا
اي فقلنا قد جينا وكذلك هذا اي فقلنا قد كذبوكم فان كان المجيب الاصنام
فالخطاب للكفار اي قد كذبكم معبودوكم من الاصنام بقولهم ما كان
ينبغي لنا وان كان الخطاب للمعبودين من العقلا عيسى والملائكة وعزير
وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله انتم اضللتم اي كذبكم المعبودون
بما تقولون اي بقولكم انكم اضللتموهم وزعمهم انكم اوليا وهم من
دون الله ومن قرا بما تقولون بتا الخطاب فالمعنى فيما تقولون اي
سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا وقيل الخطاب للكفار
العابدين اي كذبكم المعبودون بما يقولون من الجواب سبحانك ما كان
ينبغي لنا او فيما تقولون انتم من الافترا عليهم خوطبوا على جهة التوبيخ
والتقريع وقيل هو خطاب للمومنين في الدنيا اي قد كذبكم ايها المومنون
الكفار في الدنيا فيما تقولونه من التوحيد والشرع وقرا الجمهور بما
تقولون بتا من فوق وابو حيوة وابن الصلت عن قنبل بالياء من
تحت وقرا حفص وابو حيوة والاعمش وطلحة فما تستطيعون بتا
الخطاب ويويد هذه القراة ان الخطاب في كذبوكم للكفار العابدين وذكر
عن ابن كثير وابي بكر انهما قرا بما يقولون فما يستطيعون بالياء فيهما اي هم
صرفا اي صرف العذاب او توبة او حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
هذا ان كان الخطاب في كذبوكم للكفار فالتا جارية على ذلك والياء التفات
وان كان للمعبودين فالتا التفات والياء جارية عليهم اذ كذبوكم للمرفوع
وان كان الخطاب للمومنين امة الرسول في قوله فقد كذبوكم فالمعنى
انهم شديدو الشكيمة في التكذيب فما تستطيعون انتم صرفهم عما هم عليه
من ذلك وبالياء فما يستطيعون صرفا لانفسهم عن ما هم عليه او وما يستطيعون
صرفكم عن الحق الذي انتم عليه ولا نصرا لانفسهم من البلا الذي استوجبوه
بتكذيبهم ومن يظلم منكم والظاهر انه عام وقيل خطاب للمومنين وقيل
خطاب للكافرين والظلم هنا الشرك قاله ابن عباس والحسن وابن جريج

ويعتبر دخول العاصي غير المشرك في الظلم وقال الزمخشري العذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر
ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
انتهى وفيه دسيسة الاعتزال **وقرئ** يذقه بالياء الغيبة اي الله وهو الظاهر
وقيل يعود الى الظلم وهو المصدر المفهوم من قوله يظلم او نذقه الظلم ولما تقدم الطعن
على الرسول باكل الطعام والمشي في الاسواق اخبر تعالى انها عادة مستمرة في كل رسل الله
ومفعول ارسلنا عند الزجاج والزمخشري محذوف تقديره احدا وقدره
ابن عطية رجالا او رسلا والضمير في انهم عائد على ذلك المحذوف فهو كقوله وما منا الا له
مقام اي وما منا احد والجملة عنده هو لا صفة اعني قوله الا انهم كما انه قال
الا كانوا وما شئت وعند الفرا المفعول محذوف وهو موصول المقدر بعد الا
اي الا من انهم والضمير عائد على معناها فيكون استثناء مفرغا وقيل انهم قبله
قول محذوف اي الا قيل انهم وهذان القولان مرجوحان في العربية وقال
ابن الانباري التقدير الا وانهم يعني ان الجملة حالية وهذا هو المختار وقدره
على من قال ان ما بعد الا قد يجيء صفة واما حذف الموصول فضعيف وقد ذهب
الى حكاية الحال ايضا ابو البقا قال وقيل لو لم تكن اللام لكسرت لان الجملة حالية
اذ المعنى الا وهم يأكلون **وقرئ** انهم بالفتح على زيادة اللام وان مصدرية
التقدير الا انهم لياكلون اي ما جعلناهم رسلا الى الناس الا لكونهم مثلهم
وقرا الجمهور ويمشون مضارع مشى خفيفا **وقرا** علي وابن مسعود وعبد الرحمن
بن عبد الله يمشون مشددا مبنيا للمفعول اي يمشيهم حوائجهم والناس قال
الزمخشري ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية انتهى وقد قرا كذلك
ابو عبد الرحمن السلمي مشددا مبنيا للفاعل وهي بمعنى يمشون قراءة الجمهور **قال
الشاعر** • ومشى باعضاد المباءة وابتغى • قلائص منها صعبة وركوب •
وجعلنا بعضكم قال ابن عطية هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض
والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة
النبوة فتنة لاشراف الناس الكفار في عصره وكذلك العلما وحكام العدل وقد
تلا ابن القاسم هذه الاية حين راى اشهب انتهى وفي ذي قريب من هذا عن
ابن عباس والحسن قال ابن عطية والتوقيف باتصبرون خاص بالمومنين
المحققين فهو لامة محمد عليه السلام كانه جعل امهال الكفار فتنة للمومنين
اي اختبارا ثم وقفهم هل تصبرون ام لا ثم اعرب قوله وكان ربك بصيرا
عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وقال الزمخشري فتنة اي محنة
وبلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول
جرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه
ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة
عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا الاية
وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وبغيره فلا يضيقن صدرك

ولا يستخفنك

ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليهم سعادة وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية
عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة جعل الاغنياء فتنة
للفقرا لينظر هل تصبرون وانها حكمة ومشيئة يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك
فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك
للدنيا او ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك منهم
خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي
بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال
وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض انتهى
وفيه تكثير وهذا القول الاخير قول الكلبي والفرا والزجاج والاولى ان قوله وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة يشمل معا في هذه الالفاظ كلها لان بين الجميع قدرا مشتركا
وقيل في قوله اتصبرون انه استفهام بمعنى الامر اي اصبروا والظاهر حمل الرجا
على المشهور من استعماله والمعنى لا يأملون لقاءنا بالخير وثوابنا على الطاعة لتكذيبهم
بالبعث لكفرهم بما جئت به وقال ابو عبيد وقوم معناه لا يخافون وقال
الفرا لا يرجون لغة لا يخافون وهذه الكلمة تهامية وهي ايضا من لغة
هذيل اذا كان مع الرجا جحد ذهبوا به الى معنى الخوف فيقولون فلان لا يرجو
ربه يريدون لا يخاف ربه ومن ذلك ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون
لله عظمة واذا قالوا فلان يرجو ربه فهذا على معنى الرجا لا على الخوف **وقال
الشاعر** • اذا لسعته النحل لم يرج لسعها • وخالفها في بيت نوب عوامل **وقال
اخر** • لا ترتجي حين تلاقي الذائد • اسبعة لاقت معا ام واحد • انتهى
ومن لازم الرجا الثواب الخوف من العقاب ومن كان مكذبا بالبعث لا يرجو
ثوابا ولا يخاف عقابا ومن تاول لم يرج لسعها على معنى لم يرج دفعها ولا
الانفكاك عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله فتاويله ممكن
لكن الفرا وغيره نقلوا ذلك لغة لهذيل في النفي والشاعر هذلي فينبغي ان لا
يتكلف التاويل وان يحمل على لغته لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا انك
رسول حقا او نرى ربنا فيخبرنا بذلك قاله ابن جريج وغيره وهذا كما قالت
اليهود لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقولهم اي المشركين او تاتي بالله
والملائكة قبيلا وهذا كله على سبيل التعنت والا فما جاءهم به من المعجزات
كاف لو وفقوا لقد استكبروا اي تكبروا في انفسهم اي عظموا انفسهم بسؤال
رؤية الله وهم ليسوا باهل لها والمعنى ان سؤال ذلك انما هو لما اضمروا
في انفسهم من الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد الكامن في
قلوبهم الظاهر عنه ما لا ينبغي لهم كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه واللام في لقد جواب قسم محذوف وعتوا تجاوزوا الحد في الظلم
ووصفه بكبير مبالغة في افراطه اي لم يجسروا على هذا القول العظيم الا
لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو وها هنا عتوا على الاصل وفي
مريم عتيا على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل قال
ابن عباس عتوا كفروا اشد الكفر وفحشوا وقال عكرمة تجبروا وقال ابن سلام
عصوا وقال ابن عيسى افرطوا قال الزمخشري هذه الجملة في حسن استئنافها

غاية في سلوبها ونحو قول القايل وحارم صاسوا ابا ما نابها كلما غلت ناب كليب بوا وها
في نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكثر
عتوهم وما اعلى نابا بوا وها كليب يوم يرون الملايكة يوم يرون منصوب باذكر وهو اقرب
او بفعل يدل عليه لا بشرى اي يمنعون البشرى ولا يعمل فيه لا انه مصدر ولانه منفي بلا التي
لنفي الجنس لانه لا يعمل بعدها فيما قبلها لانها الداخلة على الاسما عاملة عمل ليس وقول لا على بشرى
لانتفا انواع البشرى وهذا اليوم الظاهر انه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا الى ما عملوا
وعن ابن عباس عند الموت والمعنى ان هولا الذين اقترحوا نزول الملايكة لا يعرفون
ما يكون لهم اذا راوهم من الشر وانتفا البشارة وحصول الخسار والمكروه واحتمل
بشرى ان يكون مبنيا مع لا واحتمل ان يكون في نية التنوين منصوب اللفظ ومنع
من الصرف للتانيث اللازم فان كان مبنيا مع لا احتمل ان يكون الخبر يوميذ وللمجرمين خبر
بعد خبر او نعت لبشرى او متعلق بما تعلق به الخبر وان يكون يوميذ صفة لبشرى
والخبر للمجرمين ويجي خلاف سيبويه والاخفش هل الخبر لنفس لا او للخبر المبتدا الذي هو
مجموع لا وما بني معها وان كان في نية التنوين وهو معرب جاز ان يكون يوميذ
معمولا لبشرى وان يكون صفة والخبر للمجرمين وجاز ان يكون يوميذ وللمجرمين خبر
وجاز ان يكون يوميذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم ليس مبنيا لنفس
لا باجماع وقال الزمخشري ويوميذ للتكرير وتبعه ابو البقا ولا يجوز ان يكون تكريرا
سوا اريد به التوكيد اللفظي ام اريد به البدل لانه يوم منصوب بما تقدم ذكره
من اذكر او من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها
وعلى تقديره يكون العامل فيه مثل ويجوز ان يكون من موضع الظاهر موضع
الضمير وانظر ان الضمير في ويقولون عايد على القايلين لان المحدث عنهم
كانوا يطلبون نزول الملايكة ثم اذا راوهم كرهوا لقاوهم وفزعوا منهم لانهم
لا يلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عند رويتهم ما كانوا يقولونه عند لقا العدو ونزول
الشدة وقال معناه مجاهد قال حجرا عوذا يستعيذون من الملايكة وقال مجاهد وابن
جريج كانت العرب يقولونها من خاف فاذا رجل الحرم او في شهر الحرام اذا لقيه وبينهما ثرة انتهى ومنه
قول المتلمس حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاليس وقال
بعض الرجاز قالت وفيها حيرة وذعر عوذ بربي منكم وحجر اي هذا الذي
حنت اليه هو ممنوع وذكر س ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا فيقول حجرا وهي من
حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه لا يلحقه وقرا ابو رجا والحسن
والضحاك حجرا بضم الحا وقيل الضمير في ويقولون عايد الى الملايكة اي يقول الملايكة
للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى ومحجورا صفة توكد معنى حجرا كما قالوا موت
مايت وذيل ذايل والقدوم الحقيقي مستحيل في حق الله تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك
وانفاذه مثل او على حذف مضاف او قدمت ملايكتنا واسند ذلك اليه لانه عن
امره ووصف لفظة قدمنا لان القادم يجي بكره ولم يعبره ولا امر به مثيرة و
بتلك حال هولا واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى
ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد الى
ما تحت ايديهم فمزقها بحيث لم يترك لها اثرا وفي امثالهم اقل من الهبا منثورا صفة
للهبا شبهه بالهبا لقلته وانه لا ينتفع به ثم وصفه بمنثورا لان الهبا تراه منتظما

الضو فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب وقال الزمخشري او جعله يعني منثورا مفعولا
ثالثا لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهبا والتناثر كقوله كونوا قردة خاسيين اي
جامعين للمسخ والخسا انتهى وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه ان تكون لكان
خبران وازيد وقياس قوله في جعل ان يمنع ان يكون لها خبر ثالث وعن ابن عباس الهبا
المنثور ما تسفي به الرياح وتبثه وعنه ايضا الهبا الما المهراق والمستقر مكان الاستقرار
في اكثر الاوقات والمقيل المكان الذي ياوون اليه في الاسترواح الى الازواج والتمتع
ولا نوم في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه اذ المكان المتخير
للقيلولة يكون اطيب المواضع وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من
حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك خير في مستقر اهل النار ويمكن ابقاوها على بابها
ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه
فالمعنى خير مستقرا في الاخرة من الكفار المترفين في الدنيا واحسن مقيلا في الاخرة من
اوليك في الدنيا وقيل خير مستقرا منهم لو كان لهم مستقر فيكون التقدير لوجود مستقر
لهم فيه خير وعن ابن مسعود وابن عباس والنخعي وابن جبير ومقاتل ان الحساب
يكمل في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا ويقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا الملك يوميذ الحق للرحمن
وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني
عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول
يارب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه
ترتيلا ولا ياتونك بمثل الا جيناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اوليك شر مكانا واضل سبيلا وقرا الحرميان
وابن عامر تشقق بادغام التا في الشين هنا وفي ق وباقي السبعة
بحذف تلك التا وعني يوم القيامة كقوله السما منفطر به وقرا الجمهور ونزل
ماضيا مشددا مبنيا للمفعول وابن مسعود وابو رجا ونزل ماضيا مبنيا للفاعل
وجا مصدره تنزيلا وقياسه انزالا الا انه لما كان معنى انزل ونزل واحدا جاز
مجي مصدر احدهما للاخر كما قال الشاعر حتى تطويت انطوا الخصب كانه
قال حتى انطويت وقرا الاعمش وعبد الله في نقل ابن عطية وانزل ماضيا رباعيا
مبنيا للمفعول مضارعه ينزل وقرا جناح بن حبيش والخفاف عن ابي عمرو ونزل
ثلاثيا مخففا مبنيا للفاعل وهارون عن ابي عمرو وتنزل الملايكة بضم النون و
الزاي اسقط النون من وننزل وفي بعض المصاحف وننزل بالنون مضارع نزل
مشددا مبنيا للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده قال وهي قراة اهل مكة
ورويت عن ابي عمرو وعن ابي ايضا وتنزلت وقرا ابي نزلت ماضيا مشددا
مبنيا للمفعول بتاء التانيث وقال صاحب اللوامح عن الخفاف عن ابي عمرو ونزل مخففا
مبنيا للمفعول الملايكة رفعا قال فان صحت القراة فانه حذف منها المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وتقديره ونزل نزول الملايكة فحذف النزول ونقل اعرابه

الى الملائكة بمعنى تنزل نازل الملائكة لان المصدر يكون بمعنى الاسم وهذا مما يجي على مذهب
في ترتيب اللازم للمفعول به لان الفعل يدل على مصدره انتهى وقال ابو الفتح
وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدى الى مفعول فيبنى هنا للملائكة ووجهه ان
يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا ازكمه الله واجنه وهذا باب سماع لا قياس
انتهى فهذه احدى عشرة قراءة والظاهر ان الغمام هو السحاب المعهود وقيل هو الذي الله
في قوله في ظلل من الغمام وقال ابن جريج الغمام الذي ياتي الله فيه في الجنة زعموا
وقال الحسن سترة بين السما والارض تعرج الملائكة فيه تنسخ اعمال بني ادم وقيل هو
غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن لبني اسرائيل في تيههم والظاهر ان الباء
هي الظلة لنا وقيل تتشقق بها كما قاله مقاتل والباء للحال اي متغيمة او با
السبب اي بسبب طلوع الغمام منه كانه الذي تتشقق به السما كما تقول تشقق السنام
بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السما منفطر به او بمعنى عن اقوال ثلاثة والفرق
بين البا السببية وعن ان انشق عن كذا تفتح عنه وانشق بكذا انه هو الشاق
له ونزل الملائكة اي الى الارض لوقوع الجزا والحساب والحق صفة للملك اي الثابت
لان كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى وخبر الملك يومئذ والرحمن متعلق
بالحق او للبيان وعسر ذلك اليوم على الكافرين بخلودهم النار وما في خلال ذلك
من المخاوف ودل قوله على الكافرين على تيسيره على المؤمنين ففي الحديث
انه يهون حتى يكون على المؤمن اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا
والظاهر عموم الظالم اذ اللام فيه للجنس قاله مجاهد وابو رجا قال الا فلان هو كناية
عن الشيطان وقال ابن عباس وجماعة الظالم هنا عقبة بن ابي معيط وكان جنح الى
الاسلام وابي بن خلف هو المكنى عنه بفلان وكان بينهما مخالة فنهاه عن الاسلام
فقبل منه وعن ابن عباس ايضا عكس هذا القول قيل وسبب نزولها هو عقبة وابي
وقيل كان عقبة خليلا لامية فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك ان بايعت
محمدا فكفر وارتد لرضا امية فنزلت قال الشعبي وذكر من اساءة عقبة على الرسول
ما كان سبب ان قال له الرسول عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا امر عليا فضرب عنقه وقتل ابي بن خلف
يوم احد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتذكير الظالم وتمنيه انه
لم يكن اطاع خليله الذي كان يامره بالظلم ويا من خاع الاوله في الغالب تخيل
خاص به يعبر عنه بذلك والظاهر ان الظالم يعض على يديه فعل النادم المتفجع وقال
الضحاك ياكل يديه الى المرفق ثم تنبت ولا يزال كذلك كلما اكلها نبتت وقيل هو
مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع ونقل ائمة اللغة ان المتاسف
المتحزن المتندم يعض على ابهامه ندما

وقال الشاعر

لطمت خدها بحمر لطاف ... نلن منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العذاب نور اقاح ... واشتكى الورد ناضر العناب

وفي المثل ياكل يديه ندما ويسيل دمعه دما قال الزمخشري عض الانامل واليدين
والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام
به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان

ما لا يجد

ما لا يجد عند لفظ المكنى عنه انتهى وقال الشاعر في حرق الناب

ابى الضيم والنعمان يحرق نابه ... عليه فافضى والسيوف معاقله

ويقول في موضع الحال اي قايلا يا ليتني فان كانت اللام للعهد فالمعنى انه تمنى عقبة
ان لو صحب النبي صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الحق وان كانت اللام للجنس فالمعنى
انه يتمنى سلوك طريق الرسول وهو الايمان ويكون الرسول للجنس لان كل ظالم
قد كلف اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرجات الملة المحمدية
فنسخت جميع الملل فلا يقبل بعد بعثه دين غير الذي جاء به ثم ينادي بالويل
والحسرة بقوله يا ويلتى اي يا هلكاه كقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله
وقرا الحسن وابن قطيب يا ويلتي بكسر التا واليا باء الاضافة وهو الاصل لان
الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وقرات فرقة
يا ويلتى بالامالة قال ابو علي وترك الامالة احسن لان هذه اللفظة اليا فيها بدلت الكسرة
فتحة واليا الفا فرارا من اليا فمن امال رجع الى الذي عنه فروا اولا وفلانا كناية عن
العلم وهو متصرف وفل كناية عن نكرة الانسان نحو يا رجل فهو مختص بالندا وفلة
بمعنى يا امراة كذلك ولام فل ياء او واو وليس مرخما من فلان خلافا للفرا ووهم ابن
عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم فل كناية عن العلم وفي كتاب
س ما قلناه والذكر عن القرب والذكر ذكر الله او القران او الموعظة والظاهر حمل
الشيطان على ظاهره لانه هو الذي وسوس اليه في مخالة من اضله سماه شيطانا
لانه يضل كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة ويحتمل هذه الجملة
ان تكون من تمام كلام الظالم ويحتمل ان تكون اخبارا من كلام الله على جهة الدلالة
على وجه ضلالهم والتحذير من الشيطان الذي بلغهم ذلك المبلغ وفي الحديث الصحيح
تمثيل الجليس الصالح بالمسك والجليس السوء بنافخ الكير والظاهر ان وقال الرسول
صلى الله عليه وسلم ربه والمراد بقومه قريش القران فهو مما حكى لله في
الدنيا بدليل اقباله عليه مسليا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
وانه هو الكافي في هدايته ونصره فهو وعد منه بالنصر وهذا القول من الرسول
وشكايته فيه تخويف لقومه وقالت فرقة منهم ابو مسلم ان قوله عليه السلام في
الاخرة كقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا والظاهر
ان مهجورا بمعنى متروكا من الايمان به مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الها وقاله
مجاهد والنخعي واتباعه وقيل من الهجر والتقدير مهجورا فيه بمعنى انه باطل
واساطير الاولين او انهم اذا سمعوه هجروا فيه كقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه قال الزمخشري ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر
كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا انتهى
وانتصب هاديا ونصيرا على الحال او على التمييز وقالوا اي الكفار على سبيل
الاقتراح والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق قال الزمخشري نزل هاهنا
بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا انتهى وانما قال ان نزل بمعنى
انزل لان نزل عنده اصلها ان تكون للتفريق فلو اقره على اصله عنده من الدلالة
على التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لا يقتضي
التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لا يقتضي التوفيق

لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك في اول ال عمران وقايل ذلك كفار
قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل جملة كما نزلت التوراة والانجيل وقيل قايلوا
ذلك اليهود وهو قول لا طايل تحته لان امر الاحتجاج به والاعجاز لا يختلف بنزوله
جملة واحدة او مفرقا بل الاعجاز في نزوله مفرقا اظهر اذ طولبوا بمعارضة سورة
منه فلو نزل جملة واحدة وطولبوا بمعارضته مثل ما نزل لكانوا اعجز منهم حين
طولبوا بمعارضة سورة هذه فعجزوا واذا كان قايله غير مذكور فقيل هو من كلام
الكفار واشار الى التوراة والانجيل اي تنزيلا مثل تنزيل تلك الكتب الالهية
جملة واحدة وتبقى كذلك لنثبت فوادك تعليلا لمحذوف اي فرقناه في اوقات لنثبت
به فوادك وقيل هو مستانف من كلام الله تعالى لا من كلامهم ولما تضمن كلامهم
معنى لم انزل مفرقا اشير بقوله كذلك الى التفريق اي كذلك انزل مفرقا قال الزمخشري
والحكمة فيه اي يقوي بتفريقه فوادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن
يقوى قلبه على حفظ العلم شيا بعد شي وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة
واحدة لكان يعيا بحفظه والرسول عليه السلام فارقت حاله حال داود وموسى
وعيسى حيث كان اميا لا يكتب وهم كانوا قارين كاتبين فلم يكن له
بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين
سنة وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجواب السايلين ولان بعضه
منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا انتهى واللام في
لنثبت به لام العلة قال ابو حاتم هي لام القسم والتقدير والله لنثبتن فحذفت
النون وكسر اللام انتهى وهذا قول في غاية الضعف وكانه ينحو الى مذهب الاخفش
ان جواب القسم يتلقى بلام كي وجعل منه ولتصغى اليه افيدة وهو مذهب مرجوح
وقرا عبد الله ليثبت بالياء اي ليثبت الله ورتلناه اي فصلناه وقيل بيناه
وقيل فرقناه ولا ياتونك بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم
كتمثيلهم في هذه بالتوراة والانجيل الا جاء القران بالحق في ذلك ثم هو اوضح بيانا
وتفصيلا وقال الزمخشري ولا ياتونك بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة
كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو
احسن معنى ومودى من سوالهم ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل
عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل
معناه كذا او ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه
صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او يكون
لك جنة او ينزل عليك القران جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا
ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على
صحته انتهى وقيل ولا ياتونك بشبهة في ابطال امرك الا جيناك بالحق الذي
يدحض شبهة اهل الجهل ويبطل كلام اهل الزيغ والمفضل عليه محذوف اي
واحسن تفسيرا من مثلهم وسوالهم قولهم لولا نزل عليه القران جملة
واحدة الذين يحشرون قال الكرماني متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ الاية
قيل ويجوز ان يكون متصلا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
انتهى والذي يظهر انهما اعترضوا في حديث القران وانزاله مفرقا كان في

ضمن

ضمن كلامهم انهم ذوو رشد وخير وانهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا فاخبر تعالى
بحالهم وما يوول اليه امرهم في الاخرة بكونهم شر مكانا واضل سبيلا والظاهر ان
يحشر الكافر على وجهه بان يسحب على وجهه وفي الحديث ان الذي امشاهم على
ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم وهذا قول الجمهور وقيل هو مجاز للذلة
المفرطة والهوان والخزي وقيل هو من قول العرب مر فلان على وجهه اذا لم
يدر اين يذهب ويقال مضى على وجهه اذا اسرع متوجها لقصده وشر وضل
ليستا على بابهما من الدلالة على التفضيل وقوله شر مكانا اي منزلا وهو مقابل
لقوله خير مستقرا ويحتمل ان يراد بالمكان المكانة والشرف لا المستقر واعرب
الذين مبتدا والجملة من اوليك في موضع الخبر ويجوز عندي ان يكون
الذين خبر مبتدا محذوف لما تقدم ذكر الكافرين وما قالوا قال البعداء الهم
وتسميعا بما يوول اليه حالهم هم الذين يحشرون ثم استانف اخبارا عنهم
فقال اوليك شر مكانا. ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا
وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا
للظالمين عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك
كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التي
امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا
راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد
ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه
وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا لما تقدم تكذيب قريش الكفار لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر تعالى ما فيه تسلية للرسول وارهاب للمكذبين وتذكير لهم ان يصيبهم ما اصاب
الامم السابقة من هلاك الاستيصال لما كذبوا رسلهم فناسب ان ذكر اولا من نزل عليه
كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذبوا به فكذا هولاء لو انزل عليهم القران
دفعة لكذبوا وكفروا كما كذب قوم موسى والكتاب هنا التوراة وهرون بدل
او عطف بيان واحتمل ان يكون معه المفعول الثاني لجعلنا وان يكون وزيرا
والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان في الزمان الواحد انبيا يوازر بعضهم بعضا
والمذهوب اليهم القبط وفرعون وفي الكلام حذف اي فذهبا واديا الرسالة
فكذبوهما فدمرناهم والتدمير اشد الاهلاك واصله كسر الشي على وجه لا يمكن
اصلاحه وقصة موسى وهرون ارسال الله ذكرت منبهة في غير ما موضع وهنا
اختصرت فاوجز بذكرها اولها واخرها لانه بذلك يلزم الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم وقرا علي والحسن ومسلمة بن محارب فدمراهم على الامر لموسى
وهرون وعن علي ايضا كذلك الا انه موكد بالنون الشديدة وعنه ايضا فدمرا
امرا لهما بهم بالباء ومعنى الامر كونا سبب تدميرهم وانتصب وقوم نوح
في الاشتغال وكان النصب ارجح لتقدم الجمل الفعلية قبل ذلك ويكون لما في
هذا الاعراب ظرفا على مذهب الفارسي واما اذ كانت حرف وجوب لوجوب

نا الظاهر أن أغرقناهم جواب لما فلا يكون ناصبا لقوم فيكون معطوفا على المفعول في فدمرناهم
أو منصوبا على مضمر تقديره اذكر وقد جوز الوجوه الثلاثة الحوفي ولما كذبوا الرسل
كذبوا نوحا ومن قبله أو جعل تكذيبهم لنوح تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل
كالبراهمة والظاهر عطف وعادا على وقوم وقال أبو إسحاق يكون معطوفا على
أنها والهم في وجعلناهم للناس آية قال ويجوز أن يكون معطوفا على
الظالمين لأن التأويل وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وثمودا وقرأ
عبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى وثمود غير مصروف وأصحاب الرس
قال ابن عباس هم قوم ثمود ويبعده عطفه على ثمود لأن العطف يقتضي
التغاير وقال قتادة أهل القرية اليمامة يقال لها الرس والفلج قيل قتلوا
نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقوم صالح وقال كعب ومقاتل والسدي
بئر بأنطاكية الشام قتل فيها صاحب يس وهو حبيب النجار وقيل قتلوا نبيهم
ورسوه في بئر أي دسوه فيه وقال وهب والكلبي أصحاب الرس وأصحاب
الأيكة قومان أرسل إليهما شعيب أرسل إلى أصحاب الرس وكانوا قوما من
عبدة الأصنام وأصحاب آبار ومواشي فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم
وفي إيذائه فبينما هم حول الرس وهي البئر غير المطوية وعن أبي عبيدة انهارت
بهم فخسف بهم وبديارهم وقال علي فيما نقله الثعلبي قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال
لها شاه درخت رسوا نبيهم في بئر حفروه له في حديث طويل وقيل هم أصحاب
النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير
سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح وهي تنقض
على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة
ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود
وقال ابن عباس الرس بئر بأذربيجان وقيل الرس ما بين نجران إلى اليمن إلى حضرموت
وقيل قوم بعث الله إليهم أنبياء فقتلوهم ورسوا عظامهم في بئر وقيل قوم لهم
نبي فأكلوه وقيل قوم نساء وهن سواحق ذكره المهدوي [illegible]
وقيل الرس نهر من بلاد المشرق بعث الله إليهم نبيا من أولاد يهوذا بن يعقوب
فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكى إلى الله منهم فحفروا له بئرا وأرسلوه فيها
وقالوا نرجو أن ترضى عنا آلهتنا فكانوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم
يدعو بتعجيل قبض روحه فمات فأظلتهم سحابة سوداء أذابتهم كما يذوب الرصاص
وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي عليه السلام أن أهل الرس أخذوا
نبيهم فرسوه في بئر وأطبقوا عليه صخرة فكان عبد أسود قد آمن به يجيء بطعام
إلى تلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة فيقلعها فيعطيه ما يغذيه به ثم
يرد الصخرة إلى أن ضرب الله يوما على أذن ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة
وأصبح أهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل قال الطبري فيمكن أنهم
كفروا بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية وكثر الاختلاف في أصحاب الرس
فلو صح ما نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه
ويجمع هذه الأقوال أنهم قوم أهلكهم الله بتكذيب من أرسل إليهم وقرونا
بين ذلك هذا إبهام لا يعلم حقيقة ذلك إلا الله وذلك إشارة إلى أوليك

المتقدمي

المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول بين عليه من غير العطف عليه حتى كأنه قيل لأن المذكورين
وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها وانتصب كلا الأول على الاشتغال أي وأنذرنا
كلا أو حذرنا كلا والثاني على أنه مفعول تبرنا لأنه لم يأخذ مفعوله وهذا من أفصح الإعراب
ومعنى ضربنا له الأمثال أي بينا لهم القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا
لهم ما أدى إليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميره إياهم ليتعظوا
بضرب الأمثال فلم يتعظوا وأراد بقوله من جعل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال والمعنى وكلا الأمثال ضربنا للرسول وعلى هذا يكون منصوب ضربنا
والأمثال بدل من كلا والضمير في لقد أتوا لقريش كانوا يمرون على سدوم
من قرى قوم لوط في متاجرهم إلى الشام وكانت قرى خمسا أهلك الله منها
أربعا وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس
ومطر السوء الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا وكان إبراهيم عليه السلام
ينادي نصيحة لكم يا سدوم يوم لكم من الله عز وجل أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة
من الله ومعنى أتوا مروا وأتى لذلك عداه بعلى وأفرد لفظ القرية وإن كانت خمسا
لأن سدوم هي أم تلك القرى وأعظمها وقال مكي الضمير في أتوا عائد على الذين اتخذوا
القرآن مهجورا أي وهم قريش وانتصب مطر على أنه مفعول ثان لأمطرت على
معنى أوليت أو على أنه مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء أفلم يكونوا يرونها
أي ينظرون إلى ما فيها من العبر والآثار الدالة على ما حل بها من النقم كما قال
وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقال وإنها لبإمام مبين وهو استفهام
معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا ولم يخشوا أن يحل بهم في الدنيا ما حل بأولئك بل كانوا
كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الآخرة ووضع الرجاء موضع التوقع لأنه
إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يتذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم
أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في ثواب أعمالهم أو لا يخافون
على اللغة التهامية وقرأ زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول ومطر متعد
قال الشاعر كمن بواديه بعد المحل ممطور وقرأ أبو السمال مطر السوء بضم السين
وإذا رأوك إن يتخذونك الآية لم يقتصر المشركون على إنكار نبوة الرسول
وترك الإيمان به بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار حتى يقول بعضهم لبعض
أهذا الذي بعث الله رسولا وإن نافية جواب إذا وانفردت إذا بأنه إذا كان
جوابها منفيا بما أو بلا لا يدخله الفاء بخلاف أدوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء
مع ما ومع لا إذا ارتفع المضارع فلو وقعت إن النافية في جواب غير إذا فلا
بد من الفاء كما النافية ومعنى هزوا موضع هزء أو مهزوا به أهذا قبله قول
محذوف أي يقولون وقال جواب إذا ما أضمر من القول أي وإذا رأوك قالوا
أهذا الذي بعث الله رسولا وإن يتخذونك جملة اعتراضية بين إذا وجوابها
قيل ونزلت في أبي جهل كان إذا رأى الرسول عليه السلام قال أهذا الذي بعث
الله رسولا وأتى بلفظ الجمع تعظيما لقبح صنعه أو لكونه جماعة معه قالوا
ذلك والظاهر أن قائل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام استصغار واحتقار
منهم أخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والإقرار وهم
على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا أهذا زعم

او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم
مع عرض الايات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام
لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من
حيث المعنى لا من حيث اللفظ مجرى التقييد للحكم المطلق قاله الزمخشري
وقال ابو عبد الله الرازي الاستهزا اما بالصورة فكان احسن منهم خلقة او
بالصفة فلا يمكن لان الصفة التي تميز بها عنهم ظهور المعجز عليه دونهم وما
قدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزا بهم
ثم لوقاحتهم قلبوا القضية واستهزوا بالرسول انتهى قيل وتدل الاية على انهم صاروا
في ظهور حجته عليه السلام عليهم كالمجانين استهزوا به اولا ثم انهم وصفوه بانه
كاد يضلنا عن مذهبنا لولا انا قابلناه بالجمود والاصرار فهذا يدل على انهم سلموا
له قوة الحجة وكمال العقل فكونهم جمعوا بين الاستهزا به وبين هذه المكابرة
دل على انهم كانوا كالمتحيرين في امره تارة يستهزءون منه وتارة يصفونه بما
لا يليق الا بالعالم الكامل وسوف يعلمون تهديد ودلالة على انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال فلا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير ولما قالوا
ان كاد ليضلنا جا قوله من اضل سبيلا اي سيظهر لهم من المضل ومن الضال
بمشاهدة العذاب الذي لا خلاص لهم منه والظاهر ان من استفهامية واضل خبره والجملة في
موضع مفعول يعلمون ان كانت متعدية الى واحد او في موضع مفعولين ان
كانت تعدت الى اثنين ويجوز ان تكون من موصولة مفعولة ليعلمون واضل خبر مبتدا
محذوف اي هو اضل وصار حذفه هنا للاستطالة التي حصلت في قول العرب
ما انا بالذي قائل لك سوءا ارايت من اتخذ الهه هواه هذا تناس عن ايمانهم
واشار له عليه السلام ان لا يتاسف عليهم واعلام انهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في
العواقب مثل البهائم ثم ذكر انهم اضل سبيلا من الانعام من حيث لهم فهم وتركوا
استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والانعام لا سبيل لهم الى فهم المصالح وارايت
استفهام تعجيب من جهل من هذه حاله والمفعول الاول لاتخذ هواه الثاني الهه اي اقام
مقام الالهة الذي يعبده هواه فهو جار على ما يكون من هواه والمعنى انه لم يتخذ الها
الا هواه وادعا القلب ليس بجيد اذ يقدر من اتخذ هواه الهه والبيت من ضرائر
الشعر ونادر الكلام فيتنزه كلام الله عنه كان الرجل يعبد الصنم فاذا راى احسن منه
رماه واخذ الاحسن قيل نزلت في الحرث بن قيس السهمي كان اذا هوي شيا عبده
والهوى ميل القلب الى الشي افانت تجبره على ترك هواه او افانت تحفظه من عظيم
جهله وكيلا من بعد من الالهة على وزن فعالة وفيه ايضا تقديم اي هواه الالهة
الشمس ويقال لها الالاهة بضم الهمزة وهي غير مصروفة للعلمية والتانيث لكنها
لما كانت معبودة فلها الاسم الالوهة في بعض اللغات صارت بمنزلة ما كان فيه اللام
ثم نزعت منه لكن عرفت وصارت بمنزلة المعرفة وتنكرت قال صاحب اللوامح
ومفعول ارايت الاول هو من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني
وتقدم الكلام في ارايت في اوايل الانعام ومعنى وكيلا اي هل تستطيع ان
تدعوه الى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الاسلام ام منقطعة تتقدر ببل

والهمزة

والهمزة على المذهب الصحيح كانه قال بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت
بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذ
نا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ونفي ذلك عن
اكثرهم لان فيهم من سبقت له السعادة فاسلم وجعلوا اضل من الانعام لانها تنقاد لاربابها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسي اليها وتطلب منفعتها وتتجنب مضرتها وتهتدي
الى مراعيها ومشاربها وهم لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم ولا يرغبون
في الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولا يهتدون
للحق الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
وانزلنا من السما ما طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا
انعاما واناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا
ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم
به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج
وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الما بشرا فجعله نسبا
وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم
عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي
لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم
نفورا لما بين تعالى جهل المعرضين عن دلائل الصانع وفساد طريقتهم ذكر انواعا من
الدلايل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرونها ويومنون بمن هذه
قدرته وتصرفه في عالمه فبدا بحال الظل في زيادته ونقصانه وتنقله من حال الى
حال وان ذلك جار على مشيته وتقدم الكلام على الم تر في البقرة في قصة الذي
حاج ابراهيم والمعنى الم تر الى صنع ربك وقدرته وكيف سوال عن حال في موضع
نصب بمد والجملة في موضع متعلق الم تر لان تر معلقة والجملة استفهامية
التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى الم تر الى مد
ربك الظل وقال الجمهور الظل هنا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس مثل ظل
الجنة ظل ممدود لا شمس فيه ولا ظلمة واعترض بانه في غير النهار في بقايا الليل
ولا يسمى ظلا وقيل الظل الليل لانه ظل الارض وهو يعم الدنيا كلها وقيل من غيبوبة
الشمس الى طلوعها وهذا نحو القول الذي قبله ولكنه اورده كذا وقيل ظلال
الاشيا كلها كقوله اولم يروا الى ما خلق الله من شي يتفيؤا ظلاله وقال ابو عبيدة
الظل بالغداة والفي بالعشي وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفي
ما نسخ الشمس وقيل ما لم تكن عليه الشمس ظل وما كانت عليه فزالت في ولو شا
لجعله ساكنا قال ابن عباس وقتادة وابن زيد يعني كظل الجنة الذي لا شمس تذهبه
وقال مجاهد لا تصيبه الشمس ولا تزول وقال الحسن لو شا لتركه ظلا كما هو وقيل

لانه ابدا يتبع طلوع الشمس بعد غيبوبتها فلما طلعت الشمس دلت على زوال الظل وبدا فيه النقصان فبطلوع الشمس يبدو النقصان في الظل وبغروبها تبدو الزيادة في الظل فبالشمس استدل اهل الارض على الظل وزيادته ونقصه وكلما علت الشمس نقص الظل وكلما دنت للغروب زاد وهو قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعني في وقت علو الشمس بالنهار ننقص الظل نقصانا يسيرا بعد يسير وكذلك زيادته بعد نصف النهار يزيد يسيرا بعد يسير حتى يعم الارض كلها فاما زوال الظل كله فانما يكون في البلدان المتوسطة في وقت وقال الزمخشري ومعنى مد الظل انه جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع فيه احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بظل الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موضعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم من الثاني تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه بنى الظل حين بنى السما كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل سلطها عليه وجعلها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد به قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا انتهى قال ذلك بعضهم علينا يسير وقوله سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه مع الله ذلك لما قال كيف مد الظل وقوله ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة فهذا يبعد احتماله لانه انما ذكر اثار صنعته وقدرته ليستشهد بها فذكر امتداد الظل وعطف عليه ما هو مثله فيبعد ان يكون المذكور ثم قبضه عند قيام الساعة مع ظهور كونه ماضيا يشاهد امثاله وقال ابن عطية وقوله لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها اياه بطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ووجه الحيرة فيه وحكى الطبري انه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شيء اذ الاشياء انما تعرف باضدادها وقال ابن عباس يسيرا معجلا وقال مجاهد خفيفا اي شيئا بعد شيء ويحتمل ان يريد سهلا قريب التناول وقال ابو عبد الله الرازي اكثر الناس في تاويل هذه الاية ويرجع الكلام فيها الى وجهين الاول ان الظل لا ضوء خالص ولا ظلمة خالصة فهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران وهي اطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الخالص يبهر الحس البصري ويحدث السخونة القوية وهي مؤذية ولهذا قيل في الجنة وظل ممدود والناظر الى الجسم الملون كانه يشاهد بالظل شيئا سوى الجسم

وسوى

وسوى اللون والظل ليس امرا ثابتا ولا معرفة به الا اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ثم زال عرف للظل وجود وماهية ولولاها ما عرف لان الاشياء تدرك باضدادها فظهر للعقل ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون ولذلك قال ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظل ولما فيه من المنافع واللذات ثم هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجود الظل ثم قبضناه اي ازلناه لا دفعة بل يسيرا يسيرا كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل من جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا كان زوال الاظلال كذلك والثاني انه لما خلق السما والارض وقع ظل السما على الارض فجعل الشمس دليلا لانه بحسب حركات الاضوا يتحرك الاظلال فانهما متعاقبتان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد احدهما ينقص الاخر فكما ان المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك الاظلال ملازمة للاضوا ولذلك جعل الشمس دليلا عليها انتهى ملخصا وهو ماخوذ من كلام الزمخشري وتحسين بعض محاسن والاية في غاية الظهور ولا يحتاج الى هذا التكثير وقال ايضا الظل ليس عدما محضا بل هو اضوا مخلوطة بظلام فهو امر وجودي وفي تحقيقه دقيق يرجع فيه الى الكتب العقلية انتهى والاية في غاية الوضوح ولا يحتاج الى هذا التكثير وقد تركت اشيا من كلام المفسرين مما لا تمس اليه الحاجة جعل الليل لباسا تشبيها بالثوب الذي يغطي البدن ويستر من حيث الليل يستر الاشيا والسبات ضرب من الاغما يعتري اليقظان مرضا فشبه النوم به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكونا تاما والنشور هنا الاحيا شبه اليقظة به لتطابق الاحيا مع الاماتة اللذين يتضمنهما النوم والسبات انتهى من كلام ابن عطية وقال غيره السبات الراحة جعل النوم سباتا اي سبب راحة وقال الزمخشري السبات الموت وهو كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه انتهى ولا يأباه الا لو تعين تفسير النشور بالحياة وقال ابو مسلم نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب المعايش وابتغا فضل الله والنهار نشورا ومقابله من باب ليل نايم ونهار صايم وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل فيه لكثير من الناس فوايد دينية ودنيوية

قال الشاعر وكم لظلام الليل عندك من يد ❊ تخبر ان المانوية تكذب ❊

والنوم واليقظة شبههما بالموت والحياة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال يا بني كما تنام فتوقظ فكذلك تموت فتنشر وتقدم الخلاف في قراءة الريح بالافراد والجمع في البقرة قال ابن عطية وقراءة الجمع اوجه لان عرف الريح متى وردت في القران مفردة فانما هي للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة فانما هي رياح لان ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرق وتاتي لينة من ها هنا وها هنا وشيء اثر شيء وريح العذاب خرجت رياح الرحمة لانها ثلاثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وافردت ريح العذاب لانها واحدة لا تلقح وهي الدبور قال ابن عطية يرد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا انتهى ولا يبعد ان يقال بهذه القراة اوجد لان كلا من القراتين متواتر والالف واللام في الريح للجنس فتعم وما ذكر من ان قول الرماني يرده الحديث فلا يظهر لانه يجوز

ان يريد بقوله عليه السلام وبالماء الثلاثة الواقع وبقوله ولا تجعلها ريحا الريح فيكون ما قاله
الرماني مطابقا للحديث على هذا المفهوم وتقدم الخلاف في قراءة نشرا وفي مدلوله في
الاعراف بين يدي رحمته استعارة حسنة اي قدام المطر لانه يجي معلما به والطهور
فعول اما للمبالغة كنؤوم وهو معدول عن طاهر واما ان يكون اسما لما يتطهر به
كالسحور والفطور واما مصدرا لتطهر جا على غير المصدر حكاه سيبويه والظاهر في قوله ماء
طهورا ان يكون للمبالغة كونه لم يشبه شي بخلاف ما نبع من الارض ونحوه فانه
تشوبه اجزا ارضية من مقره او ممره او مما يطرح فيه ويجوز ان يوصف بالاسم
وبالمصدر وقال ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله
شرحا لمبالغته في الطهارة كان سديدا ويعضده وينزل عليكم من السما ما ليطهركم
به والا ففعول لا يكون بمعنى مفعل ومن استعمال طهور للمبالغة قوله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال الشاعر الى رجح الاكفال غيد من الظبا
عذاب الثنايا ريقهن طهور وقرا عيسى وابو جعفر ميتا بالتشديد
ووصف بلدة بصفة المذكر لان البلدة يكون في معنى البلد لقوله فسقناه
الى بلد ميت ورجح الجمهور التخفيف لانه لما ثقل فعلا من المصادر وكما وصف
المذكر والمونث بالمصدر فكذلك ما اشبهه بخلاف المشدد فانه يا ثقل فاعلا من
حيث قبوله للتا الا فيما خص المونث نحو طامث وقرا يحيى بن الحارث الذماري
واناسي بتخفيف اليا ورويت عن الكسائي واناسي جمع انسان في مذهب
سيبويه وجمع انسي في مذهب الفرا والمبرد والزجاج والقياس اناسية كما قالوا في
مهلبي مهالبة وحكي اناسين في جمع انسان كسرحان وسراحين ووصف
الما بالطهارة وعلل انزاله بالاحيا والسقي لانه لما كان الاناسي من جملة ما انزل
له الما وصف بالطهور اكراما لهم وتتميما للنعمة عليهم والتعليل يقتضي ان الطهارة
شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش وقدم
احيا الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حياتهم بحياة ارضهم ومواشيهم
وقدم اسقياهم ونكر الانعام والاناسي ووصفا بالكثرة لان كثيرا منهم لا يعيشهم
الا ما انزل الله من المطر وكذلك البلدة ميتا يريد بعض بلاد المتباعدين
من مظان الما بخلاف سكان المدن فانهم قريبون من الاودية والانهار
والعيون فهم غنيون غالبا عن سقي ما المطر وخص الانعام من بين ما خلق
من الحيوان الشارب لان الطيور والوحش تبعد في طلب الما فلا يعوزها الشرب
بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام
عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم والضمير في صرفناه عايد على الما المنزل من السما
الذي جعلنا انزال الما تذكرة بان يصرفه عن بعض المواضع الى بعض وهو في
كل عام بمقدار واحد قاله الجمهور منهم ابن مسعود وابن عباس ومجاهد فابى اكثر
الناس الا كفورا هو قولهم بالانوا والكواكب قاله عكرمة وقيل كفورا على
الاطلاق لما تركوا التذكر وقال ابن عباس ايضا عايد على القران وان لم يتقدم له
ذكر لوضوح الامر ويعضده وجاهدهم به ليتوافق الضماير وعلى انه للمطر
يكون به للقران وقال ابو مسلم راجع الى المطر والرياح والسحاب وسائر ما ذكر
فيه من الادلة وقال الزمخشري صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي سائر

الكتب

الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشا السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويعتبروا
ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث
بها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات
المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا رحمته وصنعته وعن ابن عباس ما من عام
اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشا وتلا هذه الاية
ويروى ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف
ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والانعام
والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام
والاناسي وذلك البعض كثير انتهى وقرا عكرمة صرفناه بتخفيف الرا ولو
شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا لما علم تعالى ما كابده الرسول من اذى قومه
اعلم انه تعالى لو اراد لبعث في كل قرية نذيرا يخفف عنك الامر ولكنه اعظم اجرك
واجلك اذ جعل انذارك عاما للناس كلهم وخصك بذلك ليكثر ثوابك لانه على
كثرة المجاهدة يكون الثواب وليجمع لك حسنات من اهتدى بك اذ انت موجبها
فلا تطع الكافرين يعني كفار قريش فانهم كانوا استدعوا اليه ورغبوا ان يرجع
الى دين ابايهم ويملكونه عليهم ويجمعون له مالا عظيما فنهاه تعالى عن طاعتهم
حتى يظهر لهم انه لا رغبة له في شي من ذلك لكن رغبته في الدعا الى الله والايمان
به وجاهدهم به اي بالقران او بالاسلام او بالسيف او بترك طاعتهم وجهادا مصدر
وصف بكبير لانه يلزمه عليه السلام مجاهدة جميع العالم فهو جهاد كبير ومرج خلط
بينهما وافاض احدهما في الاخر او اراد اقوال فالظاهر انه يراد بالبحرين الما الكثير
العذب والما الكثير الملح وقيل هو بحران معينان فقيل بحر فارس وبحر الروم وقيل
بحر السما وبحر الارض يلتقيان في كل عام قاله ابن عباس وقال مجاهد مياه الانهار
الواقعة في البحر الاجاج وهذا قريب من القول الاول قال ابن عطية والمقصد
بالاية التنبيه على قدرة الله واتقان خلقه للاشيا في ان بث في الارض
مياها عذبة كثيرة من الانهار والعيون والابار وجعلها خلال الاجاج وجعل
الاجاج خلالها فترى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه وتلقى الما البحر
في الجزاير ونحوها قد اكتنفته الما الاجاج والبرزخ والحجر ما حجز بينهما من الارض
واليبس قاله الحسن ويعني هذا على قول من قال ان مرج بمعنى اجرى وقيل
البرزخ البلاد والقفار فلا يختلطان الا بجواز الحاجز يوم القيامة وقال
الاكثرون الحاجز مانع من قدرة الله قال الزجاج فهما مختلطان في مراي
العين منفصلان بقدرة الله وسواد البحر يتغير الما العذب منه في دجلة
نحو البحر ويأتي المد من البحر فيلتقيان من غير اختلاط فما البحر الى الخضرة
الشديدة وما دجلة الى الحمرة فالمستقي يغرف من ما دجلة عذبا لا يخالطه
شي ونيل مصر في نصه يشق البحر الملح بحيث يبقى نهرا جاريا احمر في وسط
الملح ليستقي الناس منه وترى المياه قطعا في وسط البحر الملح فيقولون هذا
تايلع فيستقون منه في وسط البحر وقرا طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح
بفتح الميم وكسر اللام وكذا في فاطر قال ابو حاتم وهذا منكر في القراءة وقال ابو

الفتح اراد مالحا فحذف الالف كما حذف من بردا يا بارد وقال ابو الفضل الرازي في كتابه
اللوامح هي لغة شاذة قليلة وقيل اراد مالح فقصر بحذف الالف فالمالح جائز في صفة الماء
لان الماء يوصف في العصيان بان يكون مملوحا من جهة غيره وما لحا لغيره وان كان
من صفته ان يقال له ملح موصوف بالمصدر اذ هو ماء ذو ملح فالوصف بذلك
مثل حلف ونحوه من الصفات قال الزمخشري فان قلت وحجرا محجورا ما معناه
قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على
سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا
كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم
كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو متعوذ منه
وهو من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة انتهى والظاهر ان وحجرا محجورا
معطوف على برزخا عطف المفعول على المفعول وكذا اعربه الحوفي وغيره
وما ذكره الزمخشري يكون ذلك على اضمار القول المجازي ويقولان اي كل واحد منهما
لصاحبه حجرا محجورا والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم والبشر ينطلق على الواحد
والجمع وقيل المراد بالبشر آدم وبالصهر حواء وقيل النسب البنون والصهر البنات
ومن الماء اي النطفة واما انه اصل خلقة كل حي والنسب والصهر يعمان كل قربى
بين آدميين فالنسب ان يجتمع مع آخر في اب وام قرب ذلك او بعد والصهر
هو تواشج المناكحة وقال علي بن ابي طالب النسب ما لا يحل نكاحه والصهر
قرابة الرضاع وعن طاوس الرضاعة من الصهر وعن علي الصهر ما يحل نكاحه
والنسب ما لا يحل نكاحه وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع وقال ابن سيرين نزلت
في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي لانه جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطية فاجتماعهما
وكادة حرمة الى يوم القيامة وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة
نوعين ذكرا وانثى ولما ذكر دلائل قدرته وما امتن به على عباده من غرائب
مصنوعاته عقب بذلك انه المستحق للعبادة بنفعه وضره بين فساد عقول
المشركين حيث يعبدون الاصنام والظاهر ان الكافر اسم جنس فيعم وقيل هو
ابو جهل والاية نزلت فيه وقال عكرمة الكافر هنا ابليس والظهير والظاهر كالمعين
والمعاون قاله مجاهد والحسن وابن زيد وفعيل بمعنى مفاعل كثير والمعنى
ان الكافر يعاون الشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقيل معناه وكان الذي
يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم
ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق
لهم الاية قال الطبري وقيل على ربه اي معينا على اوليائه وقيل معنا الراكبين
على ان لا يوحد الله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا تسلية له بذلك اي لا تهتم
بهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وانما انت رسول تبشر المؤمنين بالجنة
وتنذر الكفرة بالنار ولست مطلوبا بايمانهم اجمعين ثم امره تعالى ان يخبر انه
مزيلا لوجوه التهم بقوله قل ما اسالكم عليه من اجر اي لا اطلب مالا ولا نفعا يختص
بي والضمير في عليه عائد على التبشير والانذار او على القرآن او على ابلاغ الرسالة
اقوال والظاهر في الا من شاء الله انه استثناء منقطع وقاله الجمهور فعلى هذا
قيل بعبده لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وقيل لكن من انفق في

سبيل

سبيل الله ومجاهدة اعدائه فهو سؤلي وقيل هو متصل على حذف مضاف تقديره الا اجر
من اتخذ الى ربه سبيلا او الا اجر من آمن اي الا الاجر الحاصل لي على دعائه الى الايمان
وقبوله لانه تعالى ياجرني على ذلك وقيل الا اجر من آمن يعني بالاجر الانفاق في
سبيل الله اي لا اسالكم اجرا الا الانفاق في سبيل الله فجعل الانفاق اجرا ولما امره
فعظم نفسه عن سؤال العرض امره تعالى بالتوكل بتفويض امره اليه والثقة به واعتماده
عليه فهو المتكفل بنصره واظهار دينه ووصف تعالى نفسه بالصفة التي
تقتضي التوكل في قوله الحي الذي لا يموت لان هذا المعنى يختص به تعالى
دون كل حي كما قال كل شيء هالك الا وجهه **وقرا** بعض السلف هذه الاية
فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم امره بتنزيهه وتمجيده
مقرونا بالثناء عليه لان التنزيه محله اعتقاد القلب والمدح محله اللسان الموافق
للاعتقاد وفي الحديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو
كانت مثل زبد البحر وهو احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين
في الميزان وكفى به بذنوب عباده خبيرا اراد انه ليس اليك من امور عباده شيء
آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم وفي هذه الجملة تسلية
للرسول ووعيد للكافر وفي بعض الاخبار كفى بك ظلما ان لا تكون عدلا وعاسيا
وهي كلمة يراد بها المبالغة تقول كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا اي حسبك
لا تحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم ولما امره بالتوكل
والتسبيح وذكر صفة الحياة الدائمة ذكر ما دل على القدرة التامة وهو ايجاد هذا
العالم وتقدم الكلام في نظير هذا الكلام واحتمل الذي ان يكون صفة للحي الذي
لا يموت ويتعين على قراءة زيد بن علي الرحمن بالجر واما على قراءة الجمهور الرحمن
بالرفع فانه يحتمل ان يكون الذي صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف ويحتمل
ان يكون الذي مبتدا والرحمن خبره وان يكون الذي خبر مبتدا محذوف والرحمن
صفة له او يكون الذي منصوبا على اضمار اعني ويجوز على مذهب الاخفش ان يكون
الرحمن مبتدا وفاسال خبره على حد تخريجه **قول الشاعر** وقائلة خولان فانكح فتاتهم
وجوزوا ايضا في الرحمن ان يكون بدلا من الضمير المستكن في استوى والظاهر تعلق
به بقوله فاسال ويقال الباء مضمنة معنى عن وخبيرا من صفات الله كما تقول
لقيت بزيد الاسد ولقيت بزيد البحر تريد انه هو الاسد شجاعة والبحر كرما والمعنى
انه تعالى اللطيف العالم الخبير والمعنى فاسال الله الخبير بالاشياء العالم بخفاياها وقال
ابن عطية وخبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السؤال واما على الحال المؤكدة كما قال
وهو الحق مصدقا وليست هذه الحال منتقلة اذ الصفة العلية لا تتغير انتهى
ويجيء على هذا الاعراب على انه كما تقول لو لقيت فلانا للقيت به البحر كرما اي
لقيت منه والمعنى فاسال الله عن كل امر وكرمه منصوبا على الحال المؤكدة على
هذا التقدير لا يصح انما يصح ان يكون مفعولا به ويجوز ان تكون الباء بمعنى
من اي فاسل عنه خبيرا كما **قال الشاعر** فان تسالوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء طبيب
وهو قول الاخفش والزجاج ويكون خبيرا ليس من صفات الله هنا كانه قيل فاسال
عن الرحمن الخبراء جبريل والعلماء واهل الكتب المنزلة وان جعلت به متعلقا
بخبيرا كان المعنى فاسال عن الله الخبراء به وقال الكلبي معناه فاسال خبيرا به وبه

يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا على العرش وذلك الخبير هو الله لانه لا دليل في العقل
على كيفية خلق ذلك فلا يعلمها الا الله وعن ابن عباس الخبير جبريل وتقدم ابن جرير الاية وقال
الزمخشري الباء في به صلة سل كقوله سال سايل بعذاب كما يكون عن صلته في نحو
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم او صلة خبيرا فيجعل خبيرا مفعولا اي فسل عنه رجلا
عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسواله خبيرا كقولك
رايت به اسدا اي رايت برويته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا اجعله حالا
عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شي وقيل الرحمن اسم من اسما الله مذكور في الكتب
المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل
الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي
في اليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة انتهى واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن لما ذكر الرحمن وكانت قريش لا تعرف هذا في اسما الله تعالى طعن
قريش بذلك فقالوا ان محمدا امرنا بعبادة رحمن اليمامة نزلت واذا قيل لهم
وما سوال عن المجهول فيجوز ان يكون سوالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه
بهذا الاسم ويجوز ان يكون سوالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما
يستعمل الرحيم والراحم والرحمن او لانهم انكروا اطلاقه على الله قال الزمخشري
والذي يظهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة
في الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها ظهر التجاهل بهذه الصفة التي لله تعالى
منهم وقاحة فقالوا وما الرحمن وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما
قال فرعون وما رب العالمين حين قال له موسى اني رسول من رب العالمين
على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال له موسى لقد علمت ما انزل
هولا الا رب السموات والارض بصاير وكذلك كفار قريش تجاهلوا عن الرحمن اظهار
من يجهله وهم عالمون به فعلى قول من قال لم يكونوا يعرفون الرحمن الا مسيلمة
فالمعنى انسجد لمسيلمة وقال قوم منهم قال لا نعرف الرحمن الا الكاهن فالمعنى انسجد
لما تامرنا من غير علم منا به والقايل اسجدوا الرسول او الله على لسان رسوله وقرا
ابن مسعود والاسود بن يزيد وحمزة والكساي يامرنا بالياء من تحت اي يامرنا محمد
والكناية عنه او المسمى الرحمن ولا نعرفه وقرا باقي السبعة بالتاء خطابا للرسول
ومفعول يامر الثاني محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره يامرنا سجوده كقوله
امرتك الخير وزادهم اي هذا القول وهو الامر بالسجود للرحمن زادهم ضلالا لاختصاص
به مع ضلالهم السابق وكان حقه ان يكون باعثا على فعل السجود والقبول قال
الضحاك سجد ابو بكر وعمر وعثمن وعلي بن مظعون وعمرو بن عنبسة فراهم المشركون
فاقبلوا في ناحية المسجد يستهزون فهذا المراد بقوله وزادهم نفورا وقيل نفورا
فرارا تبارك الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها سات مستقرا ومقاما
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين

لا يدعون

لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه
مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم
حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى
الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما
والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا
للمتقين اماما اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية
وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاوكم فقد
كذبتم فسوف يكون لزاما لما جعلت قريش سوالهم عن اسمه الذي هو الرحمن سوالا
عن مجهول نزلت هذه الاية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب الاقرار بالوحدانية
ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر انه خلق السموات والارض وما بينهما ووصف
نفسه بالرحمن وسالوا عنه بين ما وضع في السما من النيرات وما مرج بين حال
الليل والنهار ليامروا بالسجود والعبادة للرحمن ثم نبههم عما لهم بما حمت
ثامن رصد الكواكب واهوالها ووصفلها لهذا والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند
العرب وهي منازل الكواكب السيارة وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وسميت بذلك لشبهها بما اشبهت
به وسميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها
واشتقاق البرج من التبرج لظهوره وقيل البروج هنا القصور في الجنة قال الاعمش
وكان اصحاب عبد الله يقرونها في السما قصورا وقال ابو صالح البروج هنا
الكواكب العظام قال ابن عطية والقول بانها قصور في الجنة يحط من غرض الاية
في التنبيه على اشيا مدركات تقوم بها الحجة على كل منكر لله او جاهل والضمير في
فيها الظاهر انه عايد على السما وقيل على البروج والمعنى وجعل في جملتها سراجا كان
وقرا الجمهور سراجا على الافراد وهو الشمس وقرا عبد الله وعلقمة والاعمش والاخوان
سرجا بالجمع مضموم الرا وهو يجمع الانوار فيكون خص القمر بالذكر تشريفا وقرا الاعمش
ايضا والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الرا وقرا الحسن والاعمش والنخعي وعصمة
عن عاصم وقمرا بضم القاف وسكون الميم فالظاهر انه لغة في القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب وقيل جمع قمرا اي ليلة قمرا كانه قال وذا قمر منيرا لان الليلة تكون
قمراء بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقا حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه
مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ما بردى ضميرا
وصف لفظ المحذوف كما قال يصفق بالياء من تحت ولو لم يراع المضاف لقال تصفق
بالتاء وقال منيرا اي مضيا ولم يجعله سراجا كالشمس لانه لا نور له وانتصب خلفة
على الحال وقيل هو مصدر خلف خلفة وقيل هو اسم هيية كالركبة ووقع فالاسم
اسم الهيية في قولهم مررت بالغرة رجل وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار
كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا
ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه
قوله واختلاف الليل والنهار ويقال الغلام خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا

الى مثيره ومن هذا المعنى قول زهير • بها العين والارام يمشين خلفة • وقول الاخر
يصف امراة تنتقل من منزل في الشتا الى منزل في الصيف دابا • ولها بالماطرون اذا
اكل النمل الذي جمعا • خلفة حتى اذا ارتبعت • سكنت من جلق بيعا • في بيوت وسط دسكرة
حولها الزيتون قد ينعا • وقيل خلفة في الزيادة والنقصان وقال مجاهد وقتادة
والكسائي هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل وهذا قصير لمن اراد ان يذكر قال
عمر وابن عباس والحسن معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في
احدهما فيستدركه في الذي يليه وقال مجاهد وغيره اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر
الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم وقال الزمخشري ومعنى يذكر يتذكروا
المعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لابد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من
ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة من السكون بالليل
والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله او ليكونا وقتين للمتذكر والشاكر من فاته في احدهما ورده من العبادة
قام به في الاخر وقرا النخعي وابن وثاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة يذكر مضارع
ذكر خفيفا ولما تقدم ذكر الكفار وذمهم وجا لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ذكر احوال
المومنين المتذكرين الشاكرين فقال وعباد الرحمن وهذه اضافة تشريف وتفضيل
وهو جمع عبد وقال ابن بحر جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار وراجل ورجال
اي الذين يعبدونه حق عبادته والظاهر ان وعباد مبتدا والذين يمشون الخبر
وقيل اوليك الخبر والذين صفة وقوم من عبد القيس يسمون العباد لان كرهي
ملكهم دون العرب وقيل لانهم تناهوا مواضع تقاري بجران الحيرة فصاروا عباد الله
وقرا اليماني وعباد جمع عابد كضارب وضراب وقرا الحسن وعبد بضم العين
والبا وقرا السلمي واليماني يمشون مبنيا للمفعول مشددا والهون الرفق واللين
وانتصب هونا على انه نعت لمصدر محذوف اي مشيا هونا او على الحال اي يمشون
هينين في تودة وسكينة وحسن سمت لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون
بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلما الركوب في الاسواق وقال مجاهد بالحلم
والوقار وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن حلما ان جهل
عليهم لم يجهلوا وقال ابن عطية هو عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم
فذكر من ذلك العظم لاسيما وفي الانتقال في الارض هي معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال
هونا بمعنى امره كله هون اي لين حسن وذهبت فرقة الى ان هونا مرتبط بقوله
يمشون على الارض اي ان المشي هو الهون ويشبه ان يتاول هذا على ان يكون اخلاق
ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة
المشي وحده فباطل لان رب ماش هونا رويدا وهو ذيب اطلس وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتكفا في مشيه كانما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر
في هذه الاية وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا اراد في عقد نفسه
ولم يرد المشي وحده الا ترى الى المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي
فقط حتى قال فيهم الشاعر كلهم يمشي رويدا كلهم يطلب صيدا وقال الزهري
سرعة المشي تذهب بها الوجه يريد الاسراع الخفيف لانه يخل بالوقار والخير في
التوسط وقال زيد بن اسلم انه راي في النوم من فسر له يمشون على الارض هونا

بانهم

بانهم الذين لا يريدون ان يفسدوا في الارض وقال عياض بن موسى كان عليه السلام يرفع
في مشيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وكان عمر يسرع جبلة لا تكلفا واذا خاطبهم
الجاهلون اي بما لا يسوغ الخطاب به قالوا سلاما اي سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم
عليه السلام لابيه سلام عليك قاله الاصم وقال مجاهد قولا سديدا وهو منصوب
بقالوا وقيل هو على اضمار فعل تقديره سلمنا سلاما وهو من متعلق الجملة المحكية
قال ابن عطية والذي اقوله ان قالوا هو العامل في سلاما لان المعنى قالوا هذا اللفظ
وقال الزمخشري تسلما منكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون
فيه من الاذى والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله •
الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • انتهى وقال الكلبي
وابو العالية نسختها اية القتال وقال ابن عطية وهذه الاية كانت قبل اية السيف
نسخ منها ما يخص الكفرة وبقي حكمها في المسلمين الى يوم القيامة وذكر س في هذه الاية
في كتابه وما تكلم على نسخ سواه ورجح به ان المراد السلامة لا التسليم لان المومنين لم
يومروا قط بالسلام على الكفرة والاية مكية فنسختها اية السيف وحكي ما معناه ان
ابراهيم بن المهدي كان منحرفا عن علي بن ابي طالب فراه في النوم قد تقدمه الى عبور
قنطرة فقال له انما تدعي هذا الامر بامرة ونحن احق به منك وكان يحكي ذلك
للمامون قال فما رايت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه فقال له المامون فما اجابك
به قال كان يقول لي سلاما سلاما فنبهه المامون على هذه الاية وقال يا عم قد
اجابك بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيى وكان ابراهيم لم يحفظ الاية وذهب عنه حالة
الحكاية والبيتوتة هو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وهو خلاف الظلول في جملة
واورد السراة يقولون بيات وسائر العرب يقول بيت ولما ذكر حالهم بالنهار بانهم
يتصرفون احسن تصرف ذكر حالهم بالليل والظاهر انه يعني احيا الليل بالصلاة او
اكثره وقيل من قرا شيا من القران بالليل في صلاة فقد بات ساجدا وقائما وقيل
هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشا وقيل من شفع واوتر بعد ان
صلى العشا فقد دخل في هذه الاية وفي الاية حض على قيام الليل في الصلاة وقدم
السجود وان كان متاخرا في الفعل لاجل الفواصل واحتمل السجود فيها حالة اقرب
ما يكون العبد فيها من الله وقرا ابو البرهسم سجودا على وزن قعود ومدحهم
تعالى بدعائه ان يصرف عنهم عذاب جهنم وفيه تحقيق ايمانهم بالبعث والجزا قال ابن
عباس غراما فظيعا وجيعا وقال الخدري لازما ملحا دايما قال الحسن كل غريم يفارق
غريمه الا غريم جهنم وقال السدي هلاكا وخسرانا وانشدوا على ان غراما الازم قول
الشاعر وهو بشر بن ابي خازم ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكان غراما
وقال الاعشى • ان يعاقب يكن غراما وان • يعط جزيلا فانه لا يبالي •
وصفهم باحيا الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعائهم هذا ايذانا بانهم مع اجتهادهم
خائفون يبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم وساءت احتمل ان يكون بمعنى
بيست والمخصوص بالذم محذوف وفي ساءت ضمير مبهم ويتعين ان يكون مستقرا
ومقاما تمييزا والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المخصوص هو
رابط الجملة الواقعة خبرا لان ويجوز ان يكون ساءت بمعنى اي احزنت فيكون

الفعل تجزون أي ساءتهم والفاعل ضمير جهنم وجاز في مستقرا ومقاما أن يكونا تمييزين وأن يكونا
حالين وقد عطف أحدهما على الآخر والظاهر أن التعليلين غير مترادفين ذكرا ولا لزوم عذابها
وثانيا ساءت مكانها وهما متغايران وإن كان يلزم من لزوم العذاب في مكان فهم ذلك
المكان وقيل هما مترادفان والظاهر أنه من كلام الداعين وحكاية لقولهم وقيل هو من كلام
الله ويظهر أن قوله ومقاما معطوف على سبيل التوكيد فإن الاستقرار والإقامة كأنهما
مترادفان وقيل المستقر للعصاة من أهل الإيمان فإنهم يستقرون فيها ولا يقيمون والإقامة
للكفار وقرأت فرقة ومقاما بفتح الميم أي مكان قيام والجمهور بضمها أي مكان إقامة
لم يسرفوا ولم يقتروا قال أبو عبد الرحمن الحبلي الإنفاق في غير طاعة إسراف والإمساك عن طاعة
إقتار وقال معناه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الإسراف
فقال لا إسراف في الخير وقال عون بن عبد الله بن عتبة الإسراف أن تنفق مال غيرك وقال
النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف وقال يزيد بن
أبي حبيب هم الذين لا يلبسون للجمال ولا يأكلون طعاما للذة وقال عبد الملك بن مروان
لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك قال له عمر الحسنة بين السيئتين
ثم تلا الآية والإسراف مجاوزة الحد في النفقة والقتر التضييق الذي هو نقيض الإسراف
وعن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من السرف أن تأكل
ما اشتهيته وقال الشاعر ولا تغل في شيء واقتصد • كلا طرفي قصد الأمور ذميم •
وقال الآخر إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت • ولم ينهها تاقت إلى كل باطل •
وساقت إليه الإثم والعار بالذي • دعته إليه من حلاوة عاجل • وقال حاتم
إذا أنت قد أعطيت بطنك سؤله • وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا • وقرأ الحسن
وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي وعاصم يقتروا بفتح الياء وضم التاء ومجاهد وابن كثير
وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وقرأ العلاء بن سيابة
واليزيدي بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة وكلها لغات في التضييق وأنكر أبو حاتم
لغة أقتر رباعيا هنا وقال أقتر إذا افتقر ومنه وعلى المقتر قدره وغاب عنه ما حكاه
الأصمعي وغيره من أقتر بمعنى ضيق والقوام الاعتدال بين الحالتين وقرأ حسان بن عبد
الرحمن قواما بالكسر فقيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل بالكسر ما يقام به الشيء يقال أنت
قوامنا بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وقيل قواما بالكسر أي مبلغا
ومقدارا وملاك الإعطاء وبين ذلك وقواما يصح أن يكونا خبرين عند من يجيز تعداد
خبر كان وأن يكون بين هو الخبر وقواما حال مؤكدة وأن يكون قواما خبرا وبين ذلك
إما معمول لكان على مذهب من يرى أن كان الناقصة تعمل في الظرف وأن تكون حالا
من قواما لأنه لو تأخر لكان صفة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان وبني
لإضافته إلى مبني كقوله ومن خزي يومئذ في قراءة من فتح الميم وقواما الخبر قال
الزمخشري وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لأن ما بين الإسراف
والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة انتهى ووصفهم
تعالى بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله خوطب الرسول عليه السلام
بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الآية والذين لا يدعون الآية سأل ابن مسعود رسول
الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم فقال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي
قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك

فأنزل

فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون الآية وقيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا
كفارة فنزلت إلى غفورا رحيما وقيل سبب نزولها قصة وحشي في إسلامه في حديث طويل قال
الزمخشري نفي هذه القبيحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين
للتعريض بما عليه وقال ابن عطية إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الأوثان
وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات وبالزنا الذي كان
عندهم مباحا انتهى وتقدم تفسير نظير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق في سورة
الأنعام وقرأ يلق بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة ابن مسعود وأبو رجاء يلقى بالألف
كأنه نوى حذف الضمة المقدرة على الألف فأقرت الألف والآثام في اللغة العقاب
وهو جزاء الإثم قال الشاعر جزى الله ابن عروة حيث أمسى • عقوقا والعقوق له أثام •
أي جزاء وعقوبة وبه فسر قتادة وابن زيد وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد وعكرمة
وابن جبير أثام واد في جهنم هذا اسمه جعله الله عقابا للكفرة وقال أبو مسلم
الأثام الإثم ومعناه يلق جزاء أثام فأطلق اسم الشيء على جزائه وقال الحسن الأثام
اسم من أسماء جهنم وقيل بئر فيها وقيل جبل وقرأ ابن مسعود يلق أياما جمع يوم
يعني شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب وذلك في قوله ومن يفعل ذلك
الظاهر أنه إشارة إلى المجموع من دعاء إله آخر وقتل النفس بغير حق والزنا
فيكون التضعيف مرتبا على مجموع هذه المعاصي ولا يلزم ذلك التضعيف على
كل واحد منها ولا شك أن عذاب الكفار يتفاوت بحسب جرائمهم وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف له العذاب مبنيا للمفعول وبالألف ويخلد
مبنيا للفاعل والحسن وأبو جعفر وابن كثير كذلك إلا أنهم شددوا العين وطرحوا
الألف وقرأ أبو جعفر أيضا وشيبة وطلحة بن سليمان نضعف بالنون مضمومة
وكسر العين مشددة العذاب نصب وطلحة بن مصرف يضاعف بالياء مبنيا للفاعل
العذاب نصبا وقرأ طلحة بن سليمان وتخلد بالخطاب على الالتفات مرفوعا
أي وتخلد أيها الكافر وقرأ أبو حيوة ويخلد مبنيا للمفعول مشدد اللام مجزوما
ورويت عن أبي عمرو وعنه كذلك مخففا وقرأ أبو بكر عن عاصم يضاعف
ويخلد بالرفع فيهما وكذا ابن عامر والمفضل عن عاصم يضاعف ويخلد مبنيا
للمفعول مرفوعا مخففا والأعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مجزوما مخففا
والأعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مشددا مرفوعا فالرفع على الاستئناف أو الحال
والجزم على البدل من يلق كما قال الشاعر متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا •
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا • والضمير في فيه عائد على العذاب والظاهر
توبة المسلم القاتل النفس بغير حق مقبولة خلافا لابن عباس وتقدم ذلك
في النساء وتبديل سيئاتهم حسنات هو جعل أعمالهم بدل معاصيهم الأول طاعة
ويكون ذلك سبب رحمة الله إياهم قاله ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد
وقتادة وابن زيد ورد على من قال هو في يوم القيامة وقال الزجاج
السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع
التوبة والكافر يحبط عمله وتثبت عليه السيئات وقال ابن المسيب ومكحول
إن ذلك يوم القيامة وهو معنى كرم العفو في كتاب مسلم إن الله يبدل يوم

القيامة لمن يزيد العذاب له من المؤمنين يبدلها بحسنات وقال الاصمعي السيئ وبيشيبه لما هنة وقال
القفال والتائب يريد العقاب بالثواب تذكرها وارادها ما يستحق بها وقالوا الا من تاب استثنا
متصل من الجنس ولا نظر لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير
التقدير الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف
لقا العذاب غير المضعف فالاولى عندي ان يكون استثنا منقطعا اي لكن من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة
بعد المعنود للثاني وهو اصله ان يكون مقيد بحرف الجر اي فيبدلهم بسياتهم حسنات هو المنصوب
الاول وهو المسرح كما قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقال الشاعر
تضحك مني اخت ذات النحيين ابدلك الله بلون لونين سواد وجه وبياض عينين
الظاهر ان ومن تاب اي من انشا التوبة فانه يتوب الى الله اي يرجع الى ثوابه واحسانه
قال ابن عطية ومن تاب فانه قد تمسك بامر وثيق كما تقول لمن يستحسن قوله في امر
لقد قلت يا فلان قولا وكذلك الاية معناها مدح المتاب كانه قال فانه يجد الفرج
والمغفرة عظيما وقال الزمخشري ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح
فانه بذلك تائب الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر
اليها ويتوجه بها الى الله وقيل من تاب من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات وقيل ومن تاب استقام على التوبة فانه يتوب الى الله
اي فهو التائب حقا عند الله والذين لا يشهدون الزور عاد الى ذكر اوصاف عباد
الرحمن والظاهر ان المعنى لا يشهدون بالزور او شهادة الزور قاله علي والباقر فهو من
الشهادة وقيل المعنى لا يحضرون من المشاهدة والزور الشرك والصنم والكذب او
الة الغنا واعياد النصارى او لعبة كانت في الجاهلية او النوح او مجالس يعاب
فيها الصالحون اقوال الشرك قاله الضحاك وابن زيد والغنا قاله مجاهد والكذب
قاله ابن جريج وفي الكشاف عن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغنا وعن
مجاهد اعياد المشركين واللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو
مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم لقوله واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه انتهى بايات ربهم هي القران لم يخروا عليها صما وعميانا النفي متوجه
الى القيد الذي هو صم وعميان لا للخرور الداخل عليه وهذا الاكثر في لسان العرب
ان النفي يتسلط على القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا
على المذكر بها باذان واعية واعين راعية بخلاف غيرهم من المنافقين واشباههم
فانهم اذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها في ظاهر الامر وكانوا
صما وعميانا حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها قال ابن عطية كان يكون خرورهم سجدا وبكيا
كما يقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا اي انما خرج جريا مقدما وكان المستمع للذكر
قائم القناة قويم الامر فاذا اعرض كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب
وان كان قد شبه الذي يخر ساجدا لكن اصله على غير ترتيب انتهى وقال السدي
لم يخروا صما وعميانا على ما فيه للكفار وهي عبارة عن اعراضهم وجدهم في ذلك وقرن
ذلك بقولك تعد فلان يبكي وقام فلان يبكي وانت لم تقصد الاخبار بقعود
ولا قيام وانما هي توطئات في الكلام والعبارة قرة اعين كناية عن السرور والفرح

وهو

وهو مأخوذ من القر وهو البرد فقال دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ويقال اقر الله عينك
واسخن الله عين العدو وقال ابو تمام فاما عيون العاشقين فاسخنت واما عيون
الشامتين فقرت وقيل هو مأخوذ من القرار اي يقر النظر به ولا ينظر الى غيره وقال
ابو عمرو قرة العين النوم اي امنا لان الامن لا يأتي مع الخوف حكاه القفال وقرة
العين فيمن ذكر ان يرونهم مطيعين لله قاله ابن عباس والحسن وحضرمي كانوا في
اول الاسلام يهتدي الاب والابن كافر والزوج والزوجة كافرة فكانت قرة
عيونهم في ايمان احبابهم وقال ابن عباس قرة عين الولد ان تراه يكتب الفقه والظاهر
انهم دعوا بذلك ليجابوا في الدنيا فيسروا بهم وقيل سالوا ان يلحق الله بهم اولادهم في الجنة
ليتم لهم سرورهم انتهى ويتضمن هذا القول الاول الذي هو في الدنيا لان ذلك
نتيجة ايمانهم في الدنيا ومن الظاهر انها لابتدا الغاية اي هب لنا من جهتهم ما تقر
به عيوننا من طاعة وصلاح وجوزوا ان تكون للبيان قاله الزمخشري قال كانه قيل هب
لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم
الله قرة اعين من قولك رايت منك اسدا اي انت اسد انتهى وتقدم لنا ان من
التي للبيان الجنس لابد ان يتقدم المبين ثم ياتي من البيانية وهذا على مذهب من اثبت
انها تكون لبيان الجنس والصحيح ان هذا المعنى ليس بثابت لمن وقرا ابن عامر والحرميان
وحفص وذرياتنا على الجمع وباقي السبعة وطلحة على الافراد وقرا عبد الله وابو
الدردا وابو هريرة قرات على الجمع والجمهور على الافراد ونكر القرة لتنكير الاعين كانه
قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو
صيغة جمع الكثرة لانه اريد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
قاله الزمخشري وليس بجيد لان اعين ينطلق على العشرة فما دونه من الجمع والمتقون
ليست اعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون
غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد وافرد اماما اما اكتفا بالواحد عن الجمع
وحسنه كونه فاصلة وهو يدل على الجنس ولا لبس واما لان المعنى واجعل كل واحد
اماما واما ان يكون جمع ام كحال وحلال واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا واجعلنا
اماما واحدا دعوا الله ان يكونوا قدوة في الدين ولم يطلبوا الرياسة قاله النخعي
وقيل في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ونزلت في العشرة
المبشرين بالجنة اولئك اشارة الى الموصوفين بهذه الصفات الغرفة والمنزلة
اسم معرف بال فيعم اي الغرف كما جاء وهم في الغرفات امنون وهي العلالي قال
ابن عباس وهي بيوت من زبرجد ودر وياقوت وقيل الغرفة من اسما الجنة
وقيل السما السابعة غرفة وقيل هي اعلى منازل الجنة وقيل المراد العلو في الدرجات
والباء في بما صبروا للسبب وقيل للبدل اي بدل صبرهم كما قال فليت لي بهم قوما
اذا ركبوا اي فليت لي بدلهم ولم يذكر متعلق الصبر بخصه ليعم جميع متعلقاته
وقرا الحسن وشيبة وابو جعفر والحرميان وابو عمرو وابو بكر ويلقون مبنيا
وفتح اللام والقاف مشددا وقرا طلحة ومحمد اليماني وباقي السبعة بفتح اليا
وسكون اللام وتخفيف القاف والتحية دعا بالتعمير والسلام دعا بالسلامة اي تحييهم
الملائكة او يحيي بعضهم بعضا وقيل يحيون بالتحف جمع لهم بين المنافع والتعظيم
حسنت مستقرا ومقاما مقابل لقوله في جهنم ساءت مستقرا ومقاما وكما وصف عباده العباد

وعدما لهم من مصالح الأعمال أمر رسوله عليه السلام أن يصرح للناس بأن الاكتراث لهم عند ربهم إنما هو للعبادة والدعاء بقوله لولا دعاؤكم هو العبادة والظاهر أن ما نافية أي ليس يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ويجوز أن تكون استفهامية فيها معنى النفي أي أي عبء يعبأ بكم ودعاؤكم مصدر أضيف إلى الفاعل أي لولا عبادتكم إياه أي لولا دعاؤكم وتضرعكم إليه وما يعبأ بتعذيبكم لولا دعاؤكم الأصنام آلهة وقيل أضيف إلى المفعول أي لولا دعاؤه إياكم إلى طاعته والذي يظهر أن قوله قل ما يعبأ بكم خطاب لكفار قريش القائلين أنسجد لما تأمرنا أي لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم إليه واستغاثتكم إياه في الشدائد فقد كذبتم بما جاء به الرسول فستحقون العقاب فسوف يكون العقاب وهو ما أنتجه تكذيبكم وعبر لهم عن طوله باللفظه فسوف يكون لزاما أي لازما لهم لا ينفكون منه وقرأ عبد الله وابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون وهو محمول على أنه تفسير لا قرآن والأكثرون على أن اللزام هنا هو يوم بدر وهو قول ابن مسعود وأبي وقيل عذاب الآخرة وقيل الموت ولا يحمل على الموت المعتاد بل القتل ببدر وقيل التقدير فسوف يكون هو أي العذاب وقد صرح به من قرأ فسوف يكون العذاب لزاما والوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام وتناوله ما لا يكتنهه الوصف وعن ابن عباس فسوف يكون هو أي التكذيب لزاما أي لازما لكم لا تعطون توبة ذكره الزهراوي قال الزمخشري والخطاب إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فقد كذبتم يقول إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن تعصى عليه إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقرأ ابن جريج فسوف تكون بتاء التأنيث أي فسوف تكون العاقبة وقرأ الجمهور لزاما بكسر اللام وقرأ المنهال وأبان بن تغلب وأبو السمال بفتحها مصدر لقولهم لزم لزوما ولزاما مثل ثبت ثبوتا وثباتا وأنشد أبو عبيدة على كسر اللام لصخر الغي فإما ينجوا من حتف أرض فقد لقيا حتوفهما لزاما ونقل ابن خالويه عن أبي السمال أنه قرأ لزام على وزن حذام جعله مصدرا معدولا عن اللزمة كفجار معدول عن الفجرة

المفردات

الشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة وأنشد أبو عبيدة يحذين في شراذم النعال وقال آخر جاء الشتاء وقميصي أخلاق شراذم يضحك منه وقال الجوهري الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء وثوب شراذم أي قطع انتهى وقيل السفلة من الناس كبكبه قلب بعضه على بعض وحروفه كلها أصول عند جمهور البصريين وقال الزمخشري الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى وقال ابن عطية كبكبوا مضاعف من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لأن معناهما واحد والتضعيف في الفعل بين نحو صر وصرصر انتهى وقول الزمخشري وابن عطية هو قول الزجاج وهو أنه يزعم أن الكبكبة مما يفهم المعنى بسقوط ثالثه فهو مما هو مضعف فيه الباء وذهب الكوفيون إلى أن الثالث بدل من مثل الثاني فكان أصله كبب فأبدل من الباء الثانية كاف الحميم الولي القريب وخاصة الرجل فاصله وقال الزمخشري

الحميم

الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما أهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخالص

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور إلا أربع آيات من والشعراء إلى آخر السورة وقاله ابن عباس وعطاء وقتادة وقال مقاتل أولم يكن لهم آية الآية مدنية ومناسبة أولها لآخر ما قبلها أنه قال تعالى فقد كذبتم فسوف يكون لزاما وكذا ذكر تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كونهم لم يؤمنوا وكونهم كذبوا بالحق لما جاءهم ولما أوعدهم في آخر السورة بقوله فسوف يكون لزاما أوعدهم في أول هذه فقال في إثر إخباره بتكذيبهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون وتلك إشارات إلى آيات السورة أو آيات القرآن وأمال فتحة الطا حمزة والكسائي وأبو بكر وباقي السبعة بالفتح وحمزة بإظهار نون سين وباقي السبعة بإدغامها وعيسى بكسر الميم من طسم هنا وفي القصص وجاء كذلك عن نافع وفي مصحف عبد الله ط س م مقطوع وهي قراءة أبي جعفر وتكلموا على هذه الحروف بما يشبه اللغو والأحاجي فتركت نقله إذ لا دليل على شيء مما قالوه والكتاب المبين هو القرآن وهو بين في نفسه ومبين غيره من الأحكام والشرائع وسائر ما اشتمل عليه أو مبين إعجازه وصحة أنه من عند الله وتقدم تفسير باخع نفسك في أول الكهف ألا يكونوا أي لئلا يؤمنوا أو خيفة ألا يؤمنوا وقرأ قتادة وزيد بن علي باخع نفسك على الإضافة إن نشأ ننزل دخلت على الشرط وإن للممكن أو المحقق المنبهم زمانه قال ابن عطية أي في أثره من الإبهام هو في هذه الآية في حيزنا وأما الله تعالى فقد علم أنه لا ينزل عليهم آية اضطرار وإنما جعل الله آيات الأنبياء والآيات الدالة عليهم موضحة للنظر والفكر ليهتدي من سبق في علمه هداه ويضل من سبق ضلاله وليكون للنظر كسب به يتعلق الثواب والعقاب وآية الاضطرار ترفع جميع هذا أن لو كانت انتهى ومعنى آية أي ملجئة إلى الإيمان بقهر عليه وقرأ أبو عمرو في رواية هارون عنه إن يشأ ينزل بالياء فيهما أي إن يشأ الله ينزل وفي بعض المصاحف لو شئنا لأنزلنا وقرأ طلحة فتظلل أعناقهم قال الزمخشري فإن قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير مذكور انتهى وقال مجاهد وابن زيد والأخفش جماعاتهم يقال جاءني عنق من الناس أي جماعة ومنه قول الشاعر إن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا وقيل أعناق الناس رؤساؤهم

وتقدم فهم تشبيهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤس والنواصي والصدور قال الشاعر • في محفل من نواصي الخيل مشهود • وقيل اريد الجارحة فقال ابن عيسى هو على حذف مضاف اي اصحاب الاعناق وروعي هذا المحذوف في قوله خاضعين حيث جاء جمع المذكر العاقل او لانه لما اكتسى من اضافته للمذكر العاقل وصفه فاخبر عنه اخباره كما يكتسي المذكر التانيث من اضافته الى المونث في نحو كما شرقت صدر القناة من الدم • او لا حذف ولكنه لما وصفت بما لا يكون الا للعاقل وهو الخضوع جمعت جمعه كما قال طائعين وقرا عيسى وابن ابي عبلة خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية ستكون لنا عليهم الدولة فتذل اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عز وما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث تقدم تفسيره في الانبيا الا كانوا جملة حالية اي الا يكونون عليها وكان يدل على ان ذلك عادتهم وعادتهم الاعراض عن ذكر الله قال الزمخشري فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض قلت كانوا قبل اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عليهم قدره وصار عرضة للاستهزا والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له انتهى فسياتيهم وعيد بعذاب الدنيا كيوم بدر وعذاب الاخرة ولما كان اعراضهم عن النظر في صانع الوجود وتكذيب ما جاتهم به رسله من اعظم الكفر وكانوا يجعلون الاصنام الهة نبه تعالى على قدرته وانه الخالق المنشي الذي يستحق العبادة بقوله اولم يروا الى الارض والزوج النوع وقيل اللون وقيل ابيض واسود واحمر واصفر وحلو وحامض وقال الفرا الزوج اللون والكريم الحسن قاله مجاهد وقتادة وقيل ما ياكله الناس والبهايم وقيل الكثير المنفعة وقيل الكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد وجه كريم مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه ويراد الاشيا التي بها قوام الامور والاغذية والنباتات ويدخل في ذلك الحيوان لانه عن النبات قال تعالى والله انبتكم من الارض نباتا قال الشعبي الناس من نبات الارض فمن صار الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فهو ضده قال الزمخشري فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل انبتنا فيها من كل زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع وبه نبه على كمال قدرته انتهى ان في ذلك لاية وان كان قد سبق ما دل على الكثرة في الازواج وهو كم وعلى الاحاطة بالعموم في الازواج الاية وما كان اكثرهم مؤمنين تسجيل على اكثرهم بالكفر وان ربك لهو العزيز الرحيم اي الغالب القاهر ولما كان الموضع موضع بيان القدرة قدم صفة العزة على صفة الرحمة فالرحمة اذا كانت عن قدرة كانت اعظم وقعا والمعنى انه عزيز في نقمته من الكفار رحيم بمن امن ولما ذكر تكذيب قريش بما جاهم من الحق واعراضهم عنه ذكر قصة موسى عليه السلام وما جرى مع فرعون وقومه ليكون ذلك تسلية لما كان يلقاه عليه السلام من كفار قريش واذا كانت قريش قد اتخذت الهة من دون الله وكان قوم فرعون قد اتخذوه الها وكان اتباع ملة موسى عليه السلام هم الجم ورون من امن بالرسول عليه السلام بدا بقصة موسى ثم ذكر بعد ذلك ما ياتي ذكره من القصص والعامل في اذ قال الزجاج اتل مضمرة اي اتل هذه القصة فيما يتلو اذ نادى ودليل ذكره اذ

عليه

عليهم نبا ابراهيم اذ وقيل العامل اذكر وهو مثل واتل ومعنى نادى دعا وان يجوز ان تكون مصدرية وان تكون تفسيرية وسجل عليهم بالظلم الظلم انفسهم بالكفر وظلم بني اسرايل بالاستعباد وذبح الاولاد وقوم فرعون بدل من القوم الظالمين والاجود ان يكون عطف بيان لانهما عبارتان تعتقبان على مدلول واحد اذ كل واحد عطف البيان وسوغه مستقل بالاسناد ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك اتى بعطف البيان وسوغه مستقل بالاسناد ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك اتى بعطف البيان بازالته اذ هو اشهر وقرا الجمهور الا يتقون بيا الغيبة وقرا عبد الله ابن مسلم بن يسار وشقيق بن سلمة وحماد بن سلمة وابو قلابة تتقون بتا الخطاب على طريقة الالتفات اليهم انكارا وغضبا عليهم وان لم يكونوا حاضرين لانه مبلغهم ذلك ومكافحهم قال ابن عطية معناه قل لهم فجمع في هذه العبارة من المعاني نفي التقوى عنهم وامرهم بالتقوى وقال الزمخشري فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال انتهى وهذا الاحتمال الذي اورده خطا فاحش لانه جعله حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال انتهى وهذا الاحتمال الذي اورده خطا فاحش لانه جعله حالا من الضمير في الظالمين وقد اعرب هو قوم فرعون عطف بيان فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي منهما لان قوم فرعون معمول لقوله ايت والذي زعم انه حال معمول لقوله الظالمين وذلك لا يجوز لانهما لم يفصل بينهما بقوله قوم فرعون ثم يجوز ان تكون الجملة حالا لان ما بعد الهمزة يمتنع ان يكون معمولا لما قبلها وذلك حيث اسر عاملوان يكون حالا من الضمير في حيث لا يجوز ولو انهم ازلت عاملا فيها الجار جاز وقرى بفتح النون وكسرها التقدير الا تتقونني فحذفت نون الرفع لالتقا الساكنين ويا المتكلم اكتفا بالكسرة وقال الزمخشري في الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا انتهى يعني وحذف الالف يا خطا ونطقا لالتقا الساكنين وهذا التخريج تعقيد والظاهر ان الا للعرض المتضمن الحض على التقوى وقول من قال انها للتنبيه لا يصح وكذلك قول الزمخشري انها نفي دخلت عليها همزة الانكار ولما كان فرعون عظيم التجبر حتى ادعى الالهية كثير المهابة قد اشربت القلوب الخوف منه خصوصا من كان من بني اسرايل قال موسى عليه السلام اني اخاف ان يكذبون وقرا الجمهور ويضيق ولا ينطلق بالرفع فيهما عطفا على اخاف فالمعنى انه يفيد ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان وقرا الاعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علي وابو حيوة وزايدة عن الاعمش ويعقوب بالنصب فيهما عطفا على يكذبون فيكون التكذيب وما بعده يتعلق بالخوف وحكى ابو عمرو الداني عن الاعرج انه قرا بنصب ويضيق ورفع ولا ينطلق وعدم انطلاق اللسان هو مما يحصل من الخوف وضيق الصدر لان اللسان اذ ذاك يتلجلج ولا يكاد يبين عن مقصود الانسان وقال ابن عطية وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغوص المعاني

القي يطلب لما الناظ حرية فاذا كان هذا في دقة ضيق الصدر لم ينطلق اللسان فارسل
الى هرون معناه يعينني ويوازرني وكان هارون عليه السلام فصيحا واسع الصدر
فحذف بعض المراد من القول اذ باقيه دال عليه انتهى وقال الزمخشري ومعنى فارسل
الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا
كلام مختصر وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى
الاستنبا وقوله اني اخاف الجواعي بعد ان امره الله بان يأتي القوم الظالمين
ليس توقفا في امره تعالى ولكنه طلب من الله ان يعضده باخيه حتى يتعاونا
على انفاذ امره تعالى وتبليغ رسالته فمهد قبل طلبه عذره ثم طلب او طلب العون
دليل على القبول لا على التوقف والتعلل ومفعول ارسل محذوف فقيل جبريل كما تقدم ذكره
وفي الخبر ان الله ارسل موسى الى هرون وكان هارون بمصر حين بعث الله موسى نبيا
بالشام قال السدي سار باهله الى مصر فالتقى بهرون وهو لا يعرفه فقال انا موسى فتعارفا
وامرهما ان ينطلقا الى فرعون لاداء الرسالة فصاحت امهما لخوفها عليهما فذهبا اليه ولهم
على ذنب اي تبعة ذنب وعقوبته وهو قتله القبطي الكافر خباز فرعون ما توكزة
التي وكزها وسمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة وليس قول موسى ذلك
تلكؤا في اداء الرسالة بل قال ذلك استدفاعا للبلية فقد ينتهي من القتل وخاف ان يقتل
قبل اداء الرسالة ويدل على ذلك قوله كلا وهي كلمة الردع بجمع وعده تعالى بالكلاءة
والردع وكلا رد لقوله اني اخاف اي لا تخف ذلك فاني قضيت بنصرك وظهورك وقوله
فاذهبا امر لهما والخطاب لموسى فقط لان هارون ليس بمكلم بالاجماع ولكنه قال لموسى
اذهب انت واخوك قال الزمخشري جمع الله له الاستجابتين معا في قوله فاذهبا لانه
استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه من الخوف والتمس الموازرة باخيه فاجابه
بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته هرون فان قلت علام عطف قوله
اذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
انت وهارون باياتنا هي جميع ما بعثهما الله به واعظم ذلك العصا وبها وقع
العجز قال ابن عطية ولا خلاف ان موسى هو الذي حمله الله امر النبوة وكلفها وان
هارون كان نبيا رسولا معينا له وزيرا انتهى معكم قيل من وضع الجمع موضع
المثنى اي معكما وقيل هو على ظاهره من الجمع والمراد موسى وهارون ومن ارسلا
اليه وكان شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير يرجح ان يكون اريد بصورة الجمع
والخطاب موسى وهارون فقط قال لان لفظة مع تباين من يكون كافرا فانه
لا يقال الله معه وعلى انه اريد بالجمع التثنية حمله سيبويه رحمه الله وكانهما لشرفهما عند
الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع اذ كان ذلك جائزا ان يعامل به الواحد لشرفه
وعظمته قال ابن عطية مستمعون انما الامر في صفة سامعون لان الذي يوصف
الله تعالى به طلب الاستماع وانما القصد اظهار التهمم ليعظم انس موسى او يكون الملائكة
بامر الله اياها تستمع وقال الزمخشري مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما
ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما
عليه واكسر شوكته عنكما وانكسه انتهى ويجوز ان يكون معكم متعلقا بمستمعون
وان يكون خبرا ومستمعون خبر ثان والمعية هنا مجاز وكذلك الاستماع لانه بمعنى
الاصغاء ولا يليق من الاستماع تقول استمع اليه واستمع اليه تسمع كما قال استمع

نفر

نفر من الجن فقالوا انا سمعنا وافرد رسول هنا ولم يثن كما في قوله انا رسولا ربك اما لانه
مصدر بمعنى الرسالة فجاز ان يقع مفردا خبرا للمثنى فما فوقه واما لكونهما ذوي شريعة
واحدة فكانهما رسول واحد واريد بقوله انا كل واحد منا رسول ورسول رب
العالمين فيه رد عليه وانه مربوب لله تعالى بادأة بنقض ما كان ابرمه من ادعا
الالوهية ولذلك انكر فقال وما رب العالمين والمعنى اليك وان ارسل يجوز
ان تكون تفسيرية لما في رسول من معنى القول وان تكون مصدرية وارسل
بمعنى اطلق وسرح كما تقول ارسلت الحجر من يدي وارسلت الصقر وكان موسى
مبعوثا الى فرعون في امرين ارسال بني اسرائيل ليزول عنهم العبودية والايمان
بالله وبعث بالعبادات والشرع الى بني اسرائيل وارسالهم معهما كان الى فلسطين
وكانت مسكن موسى وهارون قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها
اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني
من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب
العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله
الا تستمعون قال ربكم ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء
مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وروي انهما انطلقا
الى باب فرعون ولم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول
رب العالمين فقال له ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى
فقال له الم نربك فينا وليدا وفي الكلام حذف يدل عليه المعنى تقديره فاتيا فرعون
فقالا له ولما ادعيا انهما رسول رب العالمين وامره بارسال بني اسرائيل معه
اخذ يستحقره ويضرب عن المرسل وعن ما جاء به من عنده ويذكره حالة الصغر والمن عليه
بالتربية والوليد الصبي وهو فعيل بمعنى مفعول واطلق عليه لقربه من الولادة
وقرا ابو عمرو في رواية من عمرك باسكان الميم وتقدم ذكر الخلاف في كمية هذه
السنين في طه وقرا الجمهور فعلتك بفتح الفاء اذ كانت وكزة واحدة وقرا الشعبي بكسرها
الفا يريد الهيئة لان الوكزة نوع من القتل عدد عليه نعم التربية وبلغه عنده
مبلغ الرجال حيث كان يقتل نظراه من بني اسرائيل وذكره ما جرى على يده من قتل
القبطي وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت لان هذا الابهام بكونه لم
يصرح انها القتل تهويل للواقعة وتعظيم شأن وانت من الكافرين يجوز ان
يكون حالا اي قتلته وانت اذ ذاك من الكافرين فافترى فرعون نسبة
هذه الحالة اليه اذ ذاك والانبياء عليهم السلام معصومون ويجوز ان يكون اخبارا
مستانفا من فرعون حكم عليه بانه من الكافرين بالنعمة التي لي عليك من التربية
والاحسان قاله ابن زيد او ومن الكافرين بي في انني اله قاله الحسن او من
الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا هذا الذي تعيبه الان قاله السدي
قال فعلتها اذا اجابه موسى عن كلامه الاخير المتضمن للقتل اذ كان الاعتذار

فيه ابهم من الجواب في ذكر النعمة بالتربية لامر فيه ازهاق النفس قال ابن عطية اذن صلة في
الكلام وكانها بمعنى حينئذ انتهى وليست بصلة بل هي حرف معنى وقوله وكانها بمعنى حينئذ
ينبغي ان يجعل قوله تفسير معنى اذ لا يذهب احد الا ان اذن ترادف من حيث الاعراب
حينئذ وقال الزمخشري فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون
فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي
بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت عنده
جديرة بان تجازى بنحو هذا الجزاء وهذا الذي ذكره من ان اذن جواب وجزاء معا هو
قول س لكن الشراح فهموا انها قد تكون جوابا وجزاء معا وقد تكون جوابا فقط
دون جزاء فالمعنى اللازم لها هو الجواب وقد يكون معه جزاء وجعلوا من قوله
فعلتها اذن من المواضع التي جاءت فيها جوابا لا جزاء على ان بعضهم ايضا تكلف هنا
كونها جزاء وجوابا وهذا كله محرر فيما كتبناه في اذن في شرح التسهيل وانما اردنا ان
نذكر ان ما قاله الزمخشري ليس هو الصحيح ولا قول الاكثرين وانا من الضالين
قال ابن زيد معناه من الجاهلين بان وكزتي اياه تاتي على نفسه وقال ابو عبيدة
من الناسين ونزع لقوله ان تضل احداهما وفي قراءة عبد الله وابن مسعود وانا
من الجاهلين ويظهر انه تفسير للضالين لا قراءة مروية عن الرسول صلى الله عليه
وسلم وقال الزمخشري من الفاعلين فعل اولي الجهل كما قال يوسف لاخوته اذ انتم جاهلون
او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن تلك الصفات انتهى وقيل
من الضالين يعني عن النبوة ولم ياتني عن الله فيه شيء فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة
توبيخ ومن غريب ما شرح به ان معنى وانا من الضالين اي من المحبين لله وما
قتلت القبطي الا غيرة لله قيل والضلال يطلقه يهود ابطل المحبة كما في قوله تالله انك لفي ضلالك
القديم اي في محبتك القديمة وجمع ضمير الخطاب في منكم وخفتكم بان كان قد ائتمروا
في قتلي وعبدت لان الخوف والفرار يكون منه وحده وانما منه ومن ملائه المذكورين
قبل ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون ونفر كانوا يأتمرون بقتله الا ترى الى قوله
ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج وقرا الجمهور لما بالتخفيف وصوابه كونه بحتى قول
سي وظ فاسمي حنيفي على مذهب الفارسي وقرا حمزة في رواية لما بكسر اللام وتخفيف
الميم اي لتخويفكم وقرا عيسى حكما بضم الكاف والجمهور بالاسكان والحكم النبوة وجعلني
من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبي ليس برسول وقيل الحكم العلم والفهم وتلك
نعمة تمنها علي وتلك اشارة الى المصدر المفهوم من قوله الم نربك فينا وليدا وذكر
ابتداء اخرى ما بدا به فرعون في قوله الم نربك والظاهر ان هذا الكلام اقرار من موسى
عليه السلام بالنعمة كانه يقول وتربيتك لي نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني
واتخذتني ولدا ولكن لا يدفع ذلك رسالتي والى هذا التاويل ذهب السدي والطبري
وقال قتادة هذا منه على جهة الانكار عليه ان تكون نعمة كانه يقول او يصح لك ان
تعتد علي نعمة تركت قتلي من اجل انك ظلمت بني اسرائيل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان
الواجب كان ان لا تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك وقرا
الضحاك وتلك نعمة ما لك ان تمنها وهذه قراءة تويد هذا التاويل وهذا التاويل
فيه مخالفة لفرعون ونقض كلامه كله والقول الاول فيه انصاف واعتراف وقال الاخفش

والفرا

والفرا قيل الواو هي للاستفهام يراد به الانكار وحذفت لدلالة المعنى عليها ورده النحاس بانها لا تحذف
لانها حرف يحدث معها معنى الا انه كان في الكلام ام لا خلاف في ذلك الاشيا قاله الفراء من تجويز
حذفها مع افعال الشك وحكى ترى زيدا منطلقا بمعنى اترى وكان الاخفش لا يمنع يقول
اخذه من الفاظ العامة وقال الضحاك الكلام اذا خرج مخرج التبكيت يكون باستفهام وبغير
استفهام والمعنى لو لم تقتل بني اسرائيل لرباني ابواي فاي نعمة لك علي فانت تمن علي بما
لا يجب ان تمن به وقيل تمام ذكر بني اسرائيل عبيدا احبط نعمتك التي تمن بها وقال الزمخشري
وابى ان يعني موسى عليه السلام ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني
اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه
امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت
الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال الشاعر علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم
اباعرهم ما شاءوا وعبدان فان قلت وتلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب
قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت
الرفع عطف بيان تلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج يجوز ان يكون في موضع
نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل نعمة تمنها علي لان بني اسرائيل
اي لو لم تفعل لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم انتهى وقال الحوفي ان عبدت بني اسرائيل
في موضع نصب مفعول من اجله وقال ابو البقاء ولما اخبر موسى فرعون بانه رسول
رب العالمين لم يسأله اذ ذاك فيقول وما رب العالمين بل اخذ في المداهنات وتذكار
التربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي فلما اجابه عن ذلك انقطعت حجته في التربية
والقتل وكان في قوله رسول رب العالمين دعا الى الاقرار بربوبية الله والى طاعة
رب العالم فاخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى انه رسول من عنده والظاهر
ان سواله انما كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمرادة وكان عالما بالله ويدل
عليه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ولكنه تعامى عن
ذلك طلبا للرياسة ودعوى الالهية واستفهم بما استفهاما عن مجهول من الاشيا
قال مكي كما يستفهم عن الاجناس وقد ورد له استفهام بمن في موضع اخر ويشبه انها
مواطن انتهى والموضع الاخر قوله فمن ربكما يا موسى ولما سأله فرعون وكان
السوال بما التي هي سوال عن الماهية ولم يمكن الجواب بالماهية اجاب بالصفات
التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها وهي ربوبية السموات والارض
وما بينهما وقال الزمخشري وقال هذا السوال لا يخلو ان يريد به اي شيء هو من الاشيا
التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل عليه من افعاله الخاصة
ليعرفه انه ليس بما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف
لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته
الخاصة ما هي فاجاب بان الذي سألت عنه لا سبيل اليه وهو الكافي في
معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما
التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا
سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون
ويدل عليه الكلام ان يكون سواله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه الا ترى

انه يعلم حدوثه بعد القدم وانه محل للحوادث ويعلم انه لم يدع الالهية لان في محل مملكته مصر انه لم يكن ملك الارض بل كان فيها ملوك غيره وانبياء في ذلك الزمان يدعون الى الله كشعيب عليه السلام وانه كان مقرا بالله تعالى في باطن امره وجاء قوله وما بينهما على التثنية والعائد عليه الضمير مجموع اعتبار الجنس جنس السما وجنس الارض كما جمع المظهر في قوله ربّ السموات والارض وما بينهما في ما كن فيه ذلك وسهل اعتبار الجنسيات وقال ابو عبد الله الرازي يحتمل ان يقال كان عالما بالله ولكنه قال ما قال طلبا للملك والرياسة وقد ذكر تعالى في كتابه ما يدل على انه كان عارفا بالله وهو قوله لقد علمت الاية ويحتمل ان كان على مذهب الدهرية اي ان الافلاك واجبة الوجود لذواتها وان حركاتها اسباب لحصول الحوادث لا ان لفاعل المختار ثم اعتقد انه بمنزلة الاله لاهل اقليمه من حيث استعبدهم وملك زمام امرهم ويحتمل ان يقال كان على مذهب الحلولية القائلين بان ذات الاله تتدرع بجسد انسان معين حتى يكون الاله سبحانه بمنزلة روح كل انسان بالنسبة الى جسده وبهذه التقديرات كان يسمي نفسه الها انتهى ومعنى ان كنتم موقنين ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي الى النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفعكم او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله وهذه المحاورة من فرعون يدل على ان موسى عليه السلام دعاه الى التوحيد قال لمن حوله هم اشراف قومه كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون اي الا تصغون الى هذه المقالة اغرابا وتعجبا اذ كانت عقيدتهم ان فرعون ربهم ومعبودهم قال ابن عطية والفراعنة قبله كذلك وهذه ضلالة منها في مصر ودارها الى اليوم بقية انتهى يشير الى ما ادركه في عصره من ملوك العبيديين الذين كانوا اتباعهم تدعي فيهم الالهية واقاموا ملوكا بمصر من زمان المعز الى زمان العاضد الى ان كانا الله ذلك لهم بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي رضي الله عنه فلقد كانت له ما ثر في الاسلام منها فتح بيت المقدس وبلاد كثيرة من سواحل الشام كان النصارى استولوا عليها فاستنقذها منهم قال ربكم ورب ابائكم الاولين نبههم على منشئهم ومنشئ ابائهم وجاء في قوله الاولين دلالة على اماتتهم بعد ايجادهم وانتقل من الاستدلال بالعام الى ما يخصهم ليكون اوضح لهم في بيان بطلان دعوى فرعون الالهية اذ كان اباؤهم الاولون تقدموا فرعون في الوجود فمحال ان يكون وهو في العدم الها لهم قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال ابو عبد الله الرازي في التعريف بهذا الا انه ظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول الثاني اذ كان لا يمكن ان يعتقد العاقل في نفسه وفي ابائه كونهم واجبي الوجود لذواتهم لان المشاهد دلت على وجودهم بعد عدمهم وعدمهم بعد وجودهم فعند ذلك قال فرعون ما قال يعني ان المقصود من سؤال ما طلب الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا تفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق واضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وهو التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه

طريقة

طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحيا والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فاجابه نمرود بقوله انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من العقلاء عرفتم انه جواب عن السؤال الا ما ذكرت انتهى وفيه بعض تلخيص وقال ابن عطية زاد موسى عليه السلام في بيان الصفات الذي تظهر نقص فرعون وتبين انه في غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولا يكن لفرعون الا ملك مصر من البحر الى اسوان وارض الاسكندرية وقرا مجاهد وحميد والاعرج ارسل اليكم على بناء الفاعل اي ارسله ربه اليكم وقرا عبد الله واصحابه والاعمش رب المشارق والمغارب على الجمع فيهما ولما انقطع فرعون في باب الاحتجاج رجع الى الاستعلاء والغلب وهذا ابين علامات الانقطاع فتوعد موسى بالسجن حين اعياه خطابه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وقال الزمخشري لما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية اليهم فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث احتدوا احتدم وقال لئن اتخذت الها غيري فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راى شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغا الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤد مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل انتهى ولما كان من موسى عليه السلام من امر فرعون ما لا يروعه معه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه او لو جئتك بشيء مبين اي يوضح لك صدقي افكنت تسجنني قال الزمخشري او لو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين انتهى وتقدم لنا الكلام على هذه الواو الداخلة عليها لو في مثل هذا السياق في قوله او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فاغنى عن اعادته وقال الحوفي واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام للتقرير والمعنى اتسجنني حتى في هذه الحالة التي لا تناسب ان اسجن وانا ملتبس بها ولما سمع فرعون ذلك من موسى طمع ان يجد موضع معارضة فقال له فات به ان كنت من الصادقين ان لك ربا بعثك رسولا الينا قال الزمخشري وفي قوله ان كنت من الصادقين دليل على انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله له على النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى وتقدير ان كنت من الصادقين فات به فحذف الجزا لان الامر بالاتيان

بردعيه وقدم الزمخشري ان الكلام عن الصادقين في دعواك انك اثبت به جعل الجواب المحذوف
فعلا ماضيا ولا تقدر الا من جنس الوعيد مقولهم انت ظالم ان فعلت تقديره انت ظالم
ان فعلت تقديره انت ظالم ان فعلت فانت ظالم وقال الحوفي ان حرف شرط يجوز ان يكون
ما تقدم جوابه وجاز تقديم الجواب لان حرف الشرط لم يعمل في اللفظ شيا ويجوز ان يكون
الجواب محذوفا تقديره فات به وقول الزمخشري حتى لزمهم تصديق الكاذبين
بالمعجزات اشارة الى انكار الكرامات التي ذهبت اهل السنة الى اثباتها والمعجز
عندهم هو ما كان خارقا للعادة ولا يكون الا للنبي او في زمان نبي اذ خرج على
يد غيره فيكون معجزة لذلك النبي على سبيل الارهاص لنبي فالقى عصاه اي رماها من
يده وتقدم الكلام على عصى موسى عليه السلام والثعبان اعظم ما يكون من الحيات
ومعنى مبين ظاهر الثعبانية ليست من الاشيا التي تزور بالشعبذة والسحر ونزع
يده من جيبه فاذا هي تتلالا كانها قطعة من الشمس ومعنى للناظرين اي بياضها
تجتمع النظارة على النظر اليها لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي انه لما
امر العصا كل شي غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال يدك فادخلها في ابطه ثم
نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله ان هذا لساحر
عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه
وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
الغالبين فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى
موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين
قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون قال امنتم له قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا
منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين
قال ابن عطية وانتصب حوله على الظرف وهو في موضع الحال اي كاينين حوله
فالعامل فيه محذوف والعامل فيه هو الحال حقيقة والناصب له قال لانه هو
العامل في ذي الحال بوساطة لان الحال نحو مررت بهند ضاحكة والكوفيون يجعلون
الملا موصولا ومكانه وقيل قال الذي حوله فلا موضع للعامل في الظرف لانه وقع
صلة وقال الزمخشري فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب
نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف
وذلك مستقر حوله وهذا يقدر في جميع الظروف والعامل في المحل وهو النصب
على الحال انتهى وهو تكثير وتشقيق كلام في امر واضح من اوايل علم العربية
ولما راى فرعون امر العصا واليد وما ظهر فيهما من الايات هاله ذلك ولم يكن
فيه مدفع نزع الى رميه بالسحر وطمع لغلبة علم السحر في تلك الزمان ان يكون
ثم من يقاومه او كان علم صحة المعجزة وحمى تلك الحجة على قومه برميه بالسحر
وبانه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ليقوي تنفيرهم عنه وابتغاوهم

الغوايل له وان لا يقبلوا قوله اذ من اصعب الاشيا على النفوس مفارقة الوطن الذي نشأوا فيه
ثم استشارهم فيما يفعل معه وذلك لما حل به من التحير والدهش وانحطاطه عن مرتبة
الوهية الى الاستشارة ثم بشرهم في امره فيما يامرونه مما يظهر لهم فيه فصلا مما وراء بعد
ان كان امرا وتقدم الكلام في ماذا تامرون وفي الالفاظ التي وافقت ما في سورة
الاعراف فاغنى عن اعادته ولما قال ان هذا لساحر عليم عارضوه بقوله بكل سحار
عليم فجاوا بكلمة الاستغراق والبنا الذي للمبالغة ليسكنوا بعض ما لحقه
من الكرب وقرا الاعمش وعاصم في رواية بكل ساحر واليوم المعلوم يوم
الزينة وتقدم الكلام عليه في سورة طه وقوله هل انتم مجتمعون استبطا لهم
في الاجتماع والمراد منه استعجالهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد
ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل اليه ان الناس قد انطلقوا وهو
واقف ومنه قول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطي به وترجوا اتباع السحرة اي في دينهم ان غلبوا
موسى ولا يتبعون موسى في دينه وساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يتبعوا موسى عليه السلام ودخلت اذن هنا بين اسم ان وخبرها وهي جواب
وجزا وبعزة فرعون الظاهر ان البا للقسم وفعل القسم الذي يتعلق به
البا محذوف وعدلوا عن الخطاب الى اسم الغيبة معظما كما يقال لملوكهم امروا
رضي الله عنهم تكذا افتخر بهم اضمار الغايب وهذا من نوع ايمان الجاهلية وقد
سلك كثير من المسلمين في الايمان ما هو اشنع من ايمان الجاهلية لا يرضون
بالقسم بالله ولا يعتدون به حتى يحلف احدهم بنعمة السلطان براس
الحالف ثم يستوثق منه وقال ابن عطية بعد ان ذكر انه قسم قال والاحوال ان
يكون على جهة التعظيم والتبرك باسمه اذ كانوا يعبدونه كما تقول اذا ابتدات
بعمل شي بسم الله وعلى بركة الله ونحو هذا وبين قوله قال لهم موسى وقوله
لمن المقربين كلام محذوف وهو ما ثبت في الاعراف من تخييرهم اياه في البداة
من يلقي قال الزمخشري فان قلت فاعل الالقا ما هو لو صرح به قلت
هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة
الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا خروا او سقطوا انتهى وهذا القول
الاخير ليس بشي لانه لا يمكن ان يبنى الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله الا وقد
حذف الفاعل فناب ذلك منه اما انه لا يقدر فاعل فقول ذاهب عن الصواب
وقال ابن عطية قرا البزي وابن فليح عن ابن كثير بشد التا وفتح اللام وشد
القاف ويلزم على هذه القراة اذا ابتدا ان يجتلب همزة الوصل وهمزة الوصل
لا تدخل على الافعال المضارعة كما لا تدخل على اسما الفاعلين انتهى كانه يخيل
انه لا يمكن الابتدا بالكلمة الا باجتلاب همزة الوصل وليس ذلك بلازم
كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن
في القراات عرف ذلك قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا في وقوع ما وعدتنا به
من قطع الايدي والارجل والتصليب بل لنا فيه النفعة بالصبر عليه لله
ضاره يضيره ضيرا وضاره يضوره ضورا انا الى ربنا اي الى عظيم ثوابه
او لا ضير علينا اذ انقلابنا الى الله بسبب من اسباب الموت والقتل اهون

اسبابه وقال ابو عبد الله الرازي لما امنوا باجمعهم لم يامن فرعون ان يقول لقومه ان ايمان السحرة
على كثرتهم لم يكن الا عن معرفة بصحة امر موسى فيومنون فبالغ في التنفير من جهة قوله
امنتم له قبل ان اذن لكم ثم وهمهم ان مسارعتهم للايمان دليل على ميلهم اليه وبقوله
انه لكبيركم صرح بما رمزه اولا من مواطاتهم وتقصيرهم ليظهر ان كبيرهم وبقوله
فسوف تعلمون حيث اوعدهم وعيدا مطلقا وبتحريكه بما هددهم به من
العذاب فاجابوا بان ذلك الوعيد لن يضير وفي قولهم انا الى ربنا منقلبون
نكتة شريفة وهي انهم امنوا لا رغبة ولا رهبة انما قصدوا محض الوصول الى
مرضات الله والاستغراق في انوار معرفته انتهى ملخصا بترتيب هذا الامر قولهم
انا نطمع الى اخره ولا يكون ذلك الا من خوف تبعات الخطايا والظاهر بقاء الطمع على
بابه كقوله ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين وقيل بمعنى اليقين
كقول ابراهيم عليه السلام والذي اطمع وقرا الجمهور ان كنا بفتح الهمزة وفيه
الجزم بايمانهم وقرا ابان بن تغلب ومعاذ ان كنا بكسر الهمزة قال صاحب اللوامح
على الشرط وجاز حذف الفاء من الجواب لانه متقدم وتقديره ان كنا اول المومنين
فانا نطمع وحسن الشرط لانهم لم يتحققوا ما لهم عند الله من قبول الايمان انتهى
وهذا التخريج على مذهب الكوفيين وابي زيد والمبرد حيث يجيزون تقديم
جواب الشرط عليه ومذهب جمهور البصريين ان ذلك لا يجوز وجواب مثل هذا
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وقال الزمخشري هو من الشرط الذي يجي به
المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المومنين ونظيره
قول العامل لمن يوخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك وقال ابن عطية
بمعنى ان طمعهم انما هو بهذا الشرط انتهى ويحتمل ان تكون ان هي المخففة من الثقيلة
وجاز حذف اللام الفارقة لدلالة الكلام على انهم مومنون فلا يحتمل النفي والتقدير
ان كنا لاول المومنين وجا في الحديث ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
العسل اي ليحب وقال الشاعر ونحن اباة الضيم من ال مالك
وان مالك كانت كرام المعادن اي وان مالكا لكانت كرام المعادن واول يعني
اول المومنين من القبط او اول المومنين من حاضري ذلك الجمع وقال الزمخشري
وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم وهذا لا يصح لان بني اسرائيل كانوا
مومنين قبل ايمان السحرة واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون
فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم
لنا لغايظون وانا لجميع حذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما
ترا الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن
معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم الخلاف في اسر والله تعالى
بوصل الهمزة وبقطعها في سورة هود وقرا اليماني ان سر امرا من سار يسير

امر الله موسى عليه السلام ان يخرج بني اسرائيل ليلا من مصر الى تجاه البحر واخبره انهم سيتبعون
فخرج سحرا جاعلا طريق الشام على يساره وتوجه نحو البحر فيقال له في ترك الطريق فيقول
هكذا امرت فلما اصبح علم فرعون بسري موسى ببني اسرائيل فخرج في اثرهم وبعث الى
مداين مصر لتلحقه العساكر وذكروا اعدادا في اتباع فرعون وفي بني اسرائيل الله
اعلم بصحة ذلك ان هولاء لشرذمة اي قال ان هولاء ووصفهم بالقلة ثم جمع القليل
فجعل كل حزب قليلا جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة
وقلل والظاهر تقليل العدد قال الزمخشري ويجوز ان يريد بالقلة الذلة
والقماة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع
غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من
عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا
الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر
من قهره وسلطانه انتهى قال ابو حاتم وقرا من لا يوخذ عنه لشرذمة قليلون
وليست هذه بموقوفة انتهى يعني ان هذه القراءة ليست موقوفة على احد
رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لغايظون اي بخلافهم واخذهم
الاموال حين استعاروها ولم يردوها وخرجوا هاربين وقرا الكوفيون وابن
ذكوان وزيد بن علي حاذرون بالالف وهو الذي قد اخذ يحذر ويجدد
حذره وحذر منه قال تعالى يحذر الاخرة وقال العباس بن مرداس
واني حاذر انمي سلاحي * الى اوصال ذيال منيع وقرا باقي السبعة بغير الف
وهو المتيقظ وقال الزجاج مودون اي ذوو ادوات وسلاح اي متسلحين
وقيل حذرون في الحال وحاذرون في المال وقال الفرا الحاذر الخايف مما يرى
والحذر المخلوق حذرا وقال ابو عبيدة هما حذر وحذر وحاذر بمعنى واحد وذهب
الى ان حذرا يكون للمبالغة وانه يعمل كما يعمل حاذر فينصب المفعول به
وانشد حذر امورا لا تضير وامن * ما ليس منجيه من الاقدار وقد
نوزع في ذلك بما هو مذكور في كتب النحو وعن الفرا ايضا والكسائي رجل حذر اذا
كان الحذر في خلقته فهو متيقظ منتبه وقرا سميط بن عجلان وابن ابي عمار
وابن السميقع حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة اي عظيمة والحادر
المتورم قال ابن عطية فالمعنى ممتلون غيظا وانفة وقال ابن خالويه الحادر السمين
القوي الشديد يقال غلام حدر بدر وقال صاحب اللوامح حدر الرجل فقوي باسه
يقال منه رجل حدر بدر اذا كان شديد الباس في الحرب ويقال رجل حدر بضم
الدال للمبالغة مثل يقظ وقال الشاعر احب الصبي السوء من اجل امه *
وابغضه من بغضها وهو حادر * اي سمين قوي وقيل مدججون في السلاح فاخرجناهم
الضمير عائد على القبط من جنات وعيون بحافتي النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن
عمر وغيره والجمهور على انها عيون الما وقال ابن جبير المراد عيون الذهب وكنوز هي
الاموال التي خزنوها قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم ينفق في طاعة الله قط وقال
الضحاك الكنوز الانهار وقال صاحب التحبير وهذا فيه نظر لان العيون تشملها وقيل
هي كنوز المقطم ومطالبه قال ابن عطية هي باقية الى اليوم انتهى واهل مصر
في زماننا في غاية الطلب لهذه الكنوز التي زعموا انها مدفونة في المقطم فينفقون

علي صفرة هذه المواضع في المقطم الاموال الجزيلة ويسلفون في العمق الي القضي عجبة ولا يظهر لهم
الا التراب او حجر الكدان الذي المقطم مخلوق منه واي مغربي يرد عليهم سالوه عن
علم المطالب فكثير منهم يصنع في ذلك اوراقا ليأكلوا اموال المصريين بالباطل ولا
يزال الواحد يذهب ماله في ذلك حتي يفتقر وهو لا يزداد الا طلبا لذلك حتي يموت
وقد اقمت بين ظهرانيهم الي حين كتابة هذه الاسطر نحوا من خمسة واربعين عاما
فلم اعلم ان احدا منهم حصل علي شي غير الفقر وكذلك رايتهم يتغورون المباني يزعمون ان ثم
ابارا وانه يكتب اسما في شقفة فتلقي في البير فيغور الماء وينزل الي باب في البير يدخل منه
الي قاعة مملوة ذهبا وفضة ونحوها وياقوتا فهم دائما يسالون من يرد من
المغاربة عمن يحفظ تلك الاسما التي تكتب في الشقفة فيأخذ منهم محتالو
المغاربة منهم مالا جزيلا ويستأكلونهم ولا يحصلون علي شي غير ذهاب اموالهم
ولهم اشيا من نحو هذه الخرافات يركنون اليها ويتولعون بها وانما اطلت في
هذا علي سبيل التحذير من جعل وقوله تعالي ومقام كريم قال ابن لهيعة هو الفيوم
وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو المنابر للخطبا وقيل الاسرة في الكلل وقيل
مجالس الامرا والاشراف والحكام وقال النقاش المساكن الحسان وقيل مرابط
الخيل حكاه الماوردي وقرا قتادة والاعرج ومقام بضم الميم من اقام كذلك قال
الزمخشري يحتمل ثلاثة اوجه النصب علي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا
والجر علي انه وصف لمقام اي ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع
علي انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك انتهي فالوجه الاول لا يسوغ لانه يؤول
الي تشبيه الشي بنفسه وكذلك الوجه الثاني لان المقام الذي كان لهم هو المقام
الكريم ولا يشبه الشي بنفسه والظاهر انه كذلك واورثناها قوله فاخرجناهم
وقال الحسن قال لما عبروا النهر رجعوا وورثوا ديارهم واموالهم وقيل ذهبوا
الي الشام وملكوا مصر زمن سليمان وقرا الجمهور فاتبعوهم اي فلحقوهم
وقرا الحسن والزماري فاتبعوهم بوصل الالف وشد التا مشرقين داخلين في
وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح دخل في وقت الصباح
وامسي دخل في وقت المسا وقال ابو عبيدة فاتبعوهم نحو الشرق كانجد اذا قصد
نحو نجد واتهم اذا قصد تهامة مشرقين حال من الفاعل وقيل مشرقين اي في ضيا وكان
فرعون وقومه في ضباب وظلمة تحيروا فيها حتي جاوز بنو اسرائيل البحر فعلي
هذا يكون مشرقين حالا من المفعول فلما ترايا الجمعان اي راي احدهما الاخر قال
اصحاب موسي انا لمدركون اي ملحقون قالوا ذلك حين راوا العدو القوي وراهم
والبحر امامهم وساءت ظنونهم وقرا الاعمش وابن وثاب تراءي الجمعان بغير
همز علي مذهب التخفيف بين بين ولا يصح القلب لوقوع الهمزة بين الفين
احدهما الف تفاعل الزائدة بعد الفا والثانية اللام المنقلبة من الفعل فلو خففت
بالقلب لاجتمع ثلث الفات متسقة وذلك مما لا يكون ابدا قاله ابو الفضل الرازي
وقال ابن عطية وقرا حمزة تراي بكسر الرا ومد ثم يهمز وروي مثله عن عاصم
وروي عنه ايضا مفتوحا ممدودا والجمهور يقرؤونه مثل تراعي وهذا هو الصواب
لانه تفاعل وقال ابو حاتم وقراءة حمزة هذا الحرف بالكسر محال فحمل عليه قال وما روي
عن ابن وثاب والاعمش خطا انتهي وقال الاستاذ ابو جعفر احمد بن الاستاذ ابي

الحسن

الحسن علي بن احمد بن خلف الانصاري وهو ابن الباذش في كتاب الاقناع من تاليفه ترا
اي الجمعان في الوقف اذا وقف عليها حمزة والكسائي اما لا الا الالف المنقلبة عن لام الفعل
وحمزة يميل الف تفاعل وصلا ووقفا لامالة الالف المنقلبة فهي قراته امالة
لامالة وفي هذا الفعل وفي راي اذا استقبله الف وصل لمن امال الامالة حذف
السبب وابقا المسبب كما قالوا صعقي في النسب الي الصعق وقرا الجمهور لمدركون
باسكان الدال والاعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال وكسر الرا علي وزن مفتعلون
وهو لازم بمعني الفنا والاضمحلال يقال منه ادرك الشي بنفسه اذا فني تتابعا
ولذلك كسرت الرا علي هذه القراة نص علي كسرها ابو الفضل الرازي في كتاب
اللوامح والزمخشري في كشافه وغيرهما وقال ابو الفضل الرازي وقد يكون ادرك
علي افتعل بمعني افعل متعديا فلو كانت القراة من ذلك لوجب فتح الرا ولم يبلغني ذلك
عنهما يعني عن الاعرج وعبيد بن عمير قال الزمخشري والمعني انا لمتتابعون
في الهلاك علي ايديهم حتي لا يبقي منا احد ومنه بيت الحماسة
• ابعد بني ابي الذين تتابعوا • ارجي الحياة ام من الموت اجزع • قال كلا ان
معي ربي سيهدين زجرهم وردعهم بحرف الردع وهو كلا والمعني لم يدركوكم
لان الله وعدكم بالنصر والخلاص منهم ان معي ربي سيهدين يعني من قريب الي
طريق النجاة ويعز نفسه وقيل سيكفيني امرهم ولما انتهي موسي الي البحر قال له
مومن ال فرعون وكان بين يدي موسي اين امرت وهذا البحر امامك وقد
غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسي ما يصنع وروت
هذه المقالة عن يوشع قال لموسي عليه السلام فاوحي الله اليه ان اضرب
بعصاك البحر فخاض يوشع الماء وضرب موسي بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقا
لكل سبط طريق اراد تعالي ان يجعل هذه الاية متصلة بموسي متعلقة بفعل فعله
ولكنه بقدرة الله اذ ضرب البحر بالعصا لا يوجب انفلاق البحر بذاته ولو شا تعالي
لفلقه دون ضرب بالعصا وتقدم الخلاف في مكان هذا البحر فانفلق ثم محذوف
تقديره فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور في مثل هذا التركيب ان المحذوف هو
ضرب وفا انفلق والفا في فانفلق هي فا فضرب فاتي بكل ما يدل علي المحذوف
ابقيت الفا من فضرب واتصلت بانفلق ليدل علي ضرب المحذوفة وابقي انفلق
ليدل علي الفا المحذوفة وهذا قول شبيه بقول صاحب البرسام ويجتنب الي
وحي بعيد عن هذا القول وان انطوت القران ومرت جملا كثيرة محذوفة وفيها
الفا نحو قوله فارسلون يوسف ايها الصديق اي فارسلوه فقال يوسف ايها
الصديق والفرق الجزء المنفصل والطود الجبل العظيم المنطاد في السما وحكي
يعقوب عن بعض القرا انه قرا كل فلق باللام عوض الرا وازلفنا اي قربناهم
ولم يذكر من قربوا منه فاحتمل ان يكون المعني قربناهم حيث انفلق البحر من
بني اسرائيل وقربنا بعضهم من بعض حتي لا ينجو احد وقربناهم من البحر وقرا
الحسن وابو حيوة وزلفنا بغير الف وقرا ابي وابن عباس وعبد الله بن الحارث
وازلقنا بالقاف عوض الفا اي ازللنا قال صاحب اللوامح قيل من قرا بالقاف
صار الاخرين فرعون وقومه ومن قرا بالفا يعني بالقراة العامة والاخرين
هم موسي واصحابه اي جمعنا شملهم وقربناهم بالنجاة انتهي وفي الكلام حذف

تقديره ودخل موسي وبنو اسرايل البحر والجميا قبل دخلوا البحر بالطول وخرجوا في الصفة التي دخلوا
منها بعد مسافة وكان بين موضع الدخول وموضع الخروج اوعار او جبال لا تنكر ان في
ذلك لاية اي لعلامة واضحة غاية منها الناس وشاع امرها قال الزمخشري وما كان اكثرهم
مومنين اي ما تنبه اكثرهم عليها ولا امنوا وبنو اسرايل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين
بالانجا قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا روية الله جهرة انتهى والذي
يظهر ان قوله وما كان اكثرهم مومنين اي اكثر قوم فرعون وهم القبط اذ
قد امن السحرة وامنت اسية امراة فرعون ومومن ال فرعون وعجوز اسمها مريم
دلت موسي على قبر يوسف واستخرجوه وحملوه معهم حين خرجوا من مصر واتل عليهم
نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة
النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت
الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا
وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة
فنكون من المومنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم لما كانت العرب لها خصوصية بابراهيم عليه السلام امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يتلو عليهم قصصه وما جرى له مع قومه ولم يات في قصة من قصص
هذه السورة امره عليه السلام بتلاوة قصة الا في هذه واذ العامل فيه قال الحوفي اتل
ولا يتصور ما قال لا باخراجه عن الظرفية وجعله بدلا من نبا واعتقاد ان العامل في
البدل والمبدل منه واحد وقال ابو البقا العامل في اذ نبا والظاهر ان الضمير في وقومه
عايد على ابراهيم وقيل على ابيه اي وقوم ابيه كما قال اني اراك وقومك في ضلال مبين
وما استفهام بمعنى التحقير والتقرير وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة
الاصنام ولكن سالهم ليريهم ان ما كانوا يعبدونه ليس مستحقا للعبادة لما ترتب على جوابهم
من اوصاف تنافي ذاتهم التي هي منافية للعبادة ولما سالهم عن الذي يعبدونه
لم يقتصروا على ذكره فقط بل اجابوا بالفعل ومتعلقه وما عطف عليه من تمام صنعتهم
مع معبودهم فقالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين على سبيل الابتهاج والافتخار
فاتوا بقصتهم معهم كاملة ولم يقتصروا على ان يجيبوا بقولهم اصناما كما جا ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ولذلك عطفوا على ذلك
الفعل قولهم فنظل قال كما تقول لرييس ما تلبس فقال البس اطراف الخز فاطرد
يوله بربد الجواب وحاله مع ملبوسه وقالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونهم

بالنهار دون الليل وما ابو ابراهيم اخذ بوفقهم على نكتة عقولهم بانتقاء عوارض
سلوليتهم لا يكون شوتها الا لله تعالى وقرا الجمهور يسمعونكم من سمع وسمع اذا
دخلت على مسموع تعدت الى واحد نحو سمعت كلام زيد وان دخلت على غير مسموع فمذهب
الفارسي انها تتعدى الى اثنين وشرط الثاني منهما ان يكون مما يسمع نحو سمعت
زيدا يقرا والصحيح انها تتعدى الى واحد وذلك الفعل في موضع الحال
والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو وهنا لم تدخل الا على واحد ولكنه
ليس بمسموع فتاول على حذف مضاف تقديره هل يسمعون دعاكم اذ تدعون وقيل
هل يسمعونكم بمعنى يجيبونكم وقرا قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم
من اسمع والمفعول الثاني محذوف تقديره الجواب او الكلام واذ ظرف لما
مضى فاما ان يتجاوز فيه فيكون بمعنى اذا واما ان يتجاوز في المضارع فيكون
قد وقع موقع الماضي فيكون التقدير هل سمعوكم اذ دعوتم وقد ذكر اصحابنا
ان من قراين صرف المضارع الى الماضي اضافته اذ الى جملة مصدرة بالمضارع
ومثلوا بقوله واذ تقول للذي انعم الله عليه واذ قلت وقال الزمخشري جا
مضارعا مع ايقاعه في اذ على الحكاية الحال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقوله
هل سمعوا فقط وهذا ابدع في التبكيت انتهى وقرى باظهار ذال اذ وبادغامها
في تا تدعون قال ابن عطية ويجوز فيه قياس مدكر ولم يقرا به احد والقياس
ان يكون اللفظ به اذ دعون والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال
الاصلية في الفعل فكثرت المتماثلات انتهى وهذا الذي ذكروا انه يجوز فيه
قياسا مدكر لا يجوز لان ذلك الابدال وهو ابدال التاء دالا لا يكون الا في
افتعل مما فاوه ذال او زاي او دال نحو اذدكر وازدجر وادهن اصله اذتكر
وازتجر وادتهن او جيم شذوذا قالوا اجدمع في اجتمع ومن تاء الضمير
بعد الزاي والدال ومثلوا بتاء الضمير للمتكلم فقالوا في فزت فزد وفي جلدت
جلد ومن تاء تولج شذوذا قالوا دولج وتاء المضارعة ليست شيا مما ذكرنا
فلا تبدل تاؤه دالا وقول ابن عطية والذي منع من هذا اللفظ الى اخره يدل على
انه لولا ذلك لجاز ابدال تاء المضارعة دالا وادغام الذال فيها فكنت تقول
اذ تخرج اذخرج وذلك لا يقوله احد بل اذا ادغم مثل هذا ابدل منه الذال
تاء وادغم في التاء فيقول اتخرج او ينفعونكم بتقربكم اليهم ودعايكم اياهم
او يضرون بترك عبادتكم اياهم فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم
لها قالوا بل وجدنا هذه حيدة عن جواب الاستفهام لانهم لو قالوا يسمعوننا
وينفعوننا ويضروننا فضحوا انفسهم بالكذب اذ لا يمتري فيه لو قالوا يسمعونا
او يضروننا سجلوا على انفسهم بالخطا المحض فعدلوا الى التقليد البحت لابايهم
في عبادتها من غير برهان ولا حجة والكاف في موضع نصب بيفعلون اي
يفعلون في عبادتهم تلك الاصنام مثل ذلك الفعل الذي يفعله وهو عبادتهم
والحيدة عن الجواب من علامات انقطاع الحجة وبل هنا اضراب عن جوابه لما سال
واخذ في شي اخر لم يسالهم عنه انقطاعا واقرارا بالعجز وابا وكم الاقدمون وصفهم
بالاقدمين دلالة على تقادم عبادة الاصنام فيهم واذ كانوا قد عبدوها في زمان
نوح عليه السلام من زمان من بعده وعدو يكون للمفرد والجمع كما قال هم العدو

ناصحهم تيل به بالمصدر كالقبول والولوع قال الزمخشري وانما قال عدو لي تصوير المسالة
في نفسه على معنى اي فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت
عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها
تدبير امره لينظروا ويقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا
الا ما اراد لروحه ليكون ادنى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال
فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ
التعريض للمنصوح ما لا يبلغ التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى
التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت
بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون عن الحجر فقال ما هو بيتي
ولا بيتكم انتهى وهو كلام فيه تكثير على عادته وذهب من ذهب الى ان قوله
فانهم عدو لي من المقلوب والاصل فاني عدو لهم لان الاصنام لا تعادي لكونها
جمادا وانما تعوديها هو ولا ضرورة تدعو الى ذلك الا ترى الى قوله
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فهذا بمعنى العداوة ولان المرد
على عداوتها عدو الانسان وهو الشيطان وقيل لانه تعالى يحيي ما عبد من
الاصنام حتى يتبروا من عبدتهم ويوبخوهم وقيل هو على حذف اي فان عبادهم
عدو لي والظاهر اقرار الاستثناء في موضعه من غير تقديم ولا تاخير وقال الجرجاني
تقديره افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون الا رب العالمين
فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوى انتهى فجعله مستثنى مما بعد كنتم تعبدون
ولا حاجة الى هذا التقدير لصحة ان يكون مستثنى من قوله فانهم عدو لي وجعله
جماعة منهم الفراء واتبعه الزمخشري استثناء منقطعا اي لكن رب العالمين
لانهم فهموا من قوله ما كنتم تعبدون انهم الاصنام واجاز الزجاج ان يكون
استثناء متصلا على انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام فاعلمهم
انه تبرا مما تعبدون الا الله واجازوا في الذي فهو يهدين النصب على الصفة لرب
العالمين وباضمار اعني والرفع خبر مبتدا مضمر في موضع الخبر وقال الحوفي
ويجوز ان يكون الذي خلقني رفعا بالابتداء فهو يهدين ابتداء في موضع الخبر
عن الذي وقد خلت الفا لما في الكلام من معنى الشرط انتهى وليس الذي هنا
فيه معنى اسم الشرط لانه خاص ولا يتخيل فيه العموم فليس نظير الذي ياتيني
فله درهم وايضا له الفعل الذي هو خلق لا يمكن فيه تجدد بالنسبة الى ابراهيم وتابع
ابو البقاء الحوفي في اعرابه هذا لكنه لم يقل ودخلت الفا لما في الكلام من معنى
الشرط فانه كان اراد ذلك فليس بجيد لما ذكرناه وان لم يرده فلا يجوز ذلك
الا على زيادة الفاء على مذهب الاخفش في نحو زيد فاضربه الذي خلقني
بقدرته فهو يهدين الى طاعته وقيل الى الجنة وقال الزمخشري فهو يهدين
يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقبه هدايته المتصلة التي
لا تنقطع الى ما يصلحه ويعنيه وان لا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في
البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة
مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد
انتهى والظاهر ان قوله يطعمني ويسقين الطعام المعروف المعهود والسقي

المهور

المهور ودليله نقدير نعمة الرزق وقال ابو بكر الوراق يطعمني بلا طعام ويسقين بلا
شراب كما جاء في ابيت يطعمني ربي ويسقيني ولما كان الخلق لا يمكن ان يدعيه
احد لم يؤكد فيه التركيب الذي هو خلقني ولما كانت الهداية قد يمكن ادعاؤها
والاطعام والسقي كذلك اكد بهو في قوله فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وذكر
بعد نعمة الخلق والهداية ما يديم به الحياة ويستمر به نظام الخلق وهو الغذاء
والشرب ولما كان ذلك سببا للغلبة احدى الكيفيات على الاخرى بزيادة الغذاء
او نقصانه فيحدث بذلك مرض ذكر نعمته بازالة ما حدث من السقم واضاف
المرض الى نفسه ولم يات التركيب والشفا محبوب والمرض مكروه ولما لم يكن المرض
منها لم يضفه الى الله ومن الصادة جعفر وله الابيع واذا مرضت بالذنوب شفاني
بالتوبة وقال الزمخشري وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب
المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم
قال الحكما لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم ولما كان
الشفاء قد يعزى الى الطبيب والى الدواء على سبيل المجاز كما قال الله شفاء
للناس اكد بقوله فهو يشفين اي الذي هو يهدين ويطعمني ويسقين هو الله لا غيره
ولما كانت الاماتة بعد البعث لا يمكن اسنادهما الا الى الله لم يحتج الى توكيد ويحوي عود
الاماتة والاحيا في سنة على سبيل المجاز والفخر وكذلك لم يحتج الى تاكيد في والذي اطمع واثبت
ابن ابي اسحاق بالمتكلم في يهديني وما بعده وهي رواية عن نافع والطمع عبارة عن
الرجاء وابراهيم عليه السلام كان جازما بالمغفرة فقال الزمخشري لم يجزم القول
بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا بهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب
المغفرة مما يفرط منهم انتهى ورده الرازي قال لانه حاصله يرجع الى انه نطق بكلمة
لا اذكرها وابعدها على نفسه لاجل تعليم الامة وهو باطل قطعا وقال الجبائي اراد به
سائر المؤمنين لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون ورده الرازي بان جعل
الكلام الواحد من كلام غيره ما يبطل نظم الكلام وقال الحسن المراد بالطمع
اليقين وقال الرازي لا يستقيم هذا الا على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب على الله
شيء وانه يحسن منه كل شيء والاعتراض لاحد عليه في فعله وقال ابن عطية اوقف عليه
السلام نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته
وقرا الجمهور خطيتي على الافراد والحسن خطاياي على الجمع وذهب الاكثرون
الى انها قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة هي اختي وقالت فرقة اراد
بالخطية اسم الجنس فقد رها في كل امر لم يتحقق من تقديمه قال ابن عطية وهذا
اظهر عندي لان تلك الثلاث قد خرجها كثير من العلماء على المعاريض وقال
الزمخشري المراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون
مختارون على العالمين وهي قوله وذكر الثلاثة ثم قال وما هي الا معاريض
كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت
اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة
او خطايا وطمع ان يغفر له قلت الجواب ما سبق ان استغفار الانبياء تواضع
منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول انتهى
ويوم الدين ظرف والعامل فيه يغفر والغفران وان كان في الدنيا فاثره لا يتبين

الا يوم الجزاء انتهى ويوم الدين وهو في الدنيا الا باعلام الله تعالى وضعف ابو عبد
الله الرازي حمل الخطيئة على تلك الثلاث لان نسبة ما لا يطابق الى ابراهيم غير جائز
وحمله على سبيل التواضع قال لانه صادق في هذا الموضع واذا لم يكن كاذبا لم
يطابق فرجع حاصل الجواب الى الحاق المعصية به لاجل تنزيهه عن المعصية
قال والجواب الصحيح ان يحمله على ترك الاولى وقد يسمى خطأ فان من
باع جوهرة تساوي الفا بدينار قيل اخطأ وترك الاولى على الانبياء جائز انتهى
وفيه بعض تلخيص وتبديل الفاظ للادب بما يناسب مقام النبوة وقدم
ابراهيم عليه السلام الثناء على الله تعالى وذكره بالاوصاف الحسنة بين يدي
طلبته ومسالته ثم ساله تعالى فقال رب هب لي حكما فدل على ان تقديم
الثناء على المسالة من المهمات والظاهر ان الحكم هو الفصل بين الناس بالحق
وقيل الحكم الحكمة والنبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين الناس وقال
ابو عبد الله الرازي لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لانها حاصلة فلو طلب النبوة
لكانت مطلوبة اما عين الحاصلة او غيرها والاول محال لان تحصيل الحاصل
محال والثاني محال لانه يمتنع ان يكون الشخص الواحد نبيا مرتين بل المراد من
الحكم ما هو كمال النبوة العلمية وذلك بان يكون عالما بالخير لاجل العمل به
انتهى وقال ابن عطية وقد فسر الحكم بالحكمة والنبوة قال ودعاؤه عليه السلام
في مثل هذا هو في التثبيت والدوام والحقني بالصالحين توفيقه لعمل
ينتظمه في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة وقد اجابه تعالى حيث قال وانه
في الآخرة لمن الصالحين قال ابو عبد الله الرازي وانما قدم قوله هب لي حكما
على قوله والحقني بالصالحين لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية
لانه يمكنه ان يعلم الحق وان لم يعمل به وعكسه غير ممكن لان العلم صفة
الروح والعمل صفة البدن وكما ان الروح اشرف من البدن كذلك العلم افضل
من الصلاح انتهى ولسان صدق قال ابن عطية هو الثناء وتخليد المكانة باجماع
من المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته فكل امة تتمسك به وتعظمه وهو
على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي وقيل معناه سؤاله ان
يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوة في محمد
عليه السلام وهذا معنى حسن الا ان لفظ الآية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ
انتهى ولما طلب سعادة الدنيا طلب سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما
يورث لان الذي يغتنم من الدنيا شبه غنيمة الدنيا بغنيمة الآخرة وقال
تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ولما فرغ من مطالب
الدنيا والآخرة لنفسه طلب لاشد الناس التصاقا به وهو اهله الذي كان
ناشئا عنه وهو ابوه فقال واغفر لابي وطلب المغفرة مشروط بالاسلام وطلب
المشروط يتضمن طلب الشرط فحاصله انه دعا له بالاسلام وكان وعده ذلك يوضحه
قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما
تبين له انه عدو لله اي بموافاته على الكفر تبرأ منه وقيل كانه قال له انه
على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده
ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه وانه

لابي انه كان من الضالين فلولا اعتقاده انه في الحال ليس بضال ما قال ذلك ولا تخزني اما من
الخزي وهو الهوان واما من الخزاية وهي الحياء والضمير في يبعثون ضمير العباد او ضمير الضالين
ويكون من جملة الاستغفار لانه يكون المعنى يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم
لا ينفع بدل من يوم يبعثون مال ولا بنون اي كما لا ينفع في الدنيا بفديته ماله
ولا يذب عنه بنوه وقيل المراد بالبنين جميع الاعوان وقيل المعنى يوم لا ينفع
اعلاق بالدنيا ومحاسنها فقصد من ذلك الذكر العظيم والاكثر لان المال والبنين
هي زينة الحياة الدنيا والظاهر ان الاستثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب
سليم ينفعه سلامة قلبه وقال الزمخشري ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا
ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال المراد بها السلامة وليست من
جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما
تنفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى انتهى ولا
ضرورة تدعو الى حذف مضاف كما ذكر اذ قدرناه لكن من اتى الله بقلب
سليم ينفعه ذلك وقد جعله الزمخشري في اول توجيهه متصلا بتاويل قال
الا من اتى بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قوله تحية
بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف ومثاله ان يقال هل لزيد مال وبنون
فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة
القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين
في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى
الرجل في دينه سلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه انتهى وجعله بعضهم
استثناء مفرغا من مفعول والتقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا الا من اتى الله
بقلب سليم فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر وبنوه الصلحاء اذا كان
انفقه في طاعة الله وارشد بنيه الى الدين وعلمهم الشرائع وسلامة القلب
خلوصه من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وان كانت مباحة
كالمال والبنين قال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره وهذا
يقتضي عموم اللفظ ولكن السليم من الشرك هو الاعم وقال الجنيد بقلب لديغ
من خشية الله والسليم اللديغ وقال الزمخشري هو من بدع التفاسير
وصدق وازلفت الجنة قربت ليدخلوها وانتظروا ولينبسطوا لحشرهم
اليها وبرزت الجحيم اظهرت وكشفت بحيث كانت بمرأى منهم فقوله
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله وذلك على سبيل التوبيخ هل ينفعونكم بنصرهم اياكم او ينتصرون
هم فينفعون انفسهم بحمايتهم اذ هم وانتم وقود النار وقرأ الاعمش
فبرزت بالفاء جعل تبريز الجحيم بعد تقريب الجنة بعقبه وذلك لان الواو لا تقتضي
الجمع فيمكن ان يكون كل واحد منهما ظهر قبل الآخر وهو من تقديم الرحمة
على العذاب وهو حسن لولا ان رسم المصحف بالواو وقرأ مالك بن دينار
وبرزت بالفتح والتخفيف الجحيم بالرفع باسناد الفعل اليها اتساعا ولما ذكر حالهم
وترعبهم اخبر عن حال يوم القيامة وجيء في ذلك كله بلفظ الماضي في قوله وازلفت
وبرزت وقيل وكبكبوا لتحقق وقوع ذلك وان كان لم يقع والضمير في فكبكبوا

عابدي على الاصنام اجريت مجرى من يعقل قال الكرماني فكبكبوا قذفوا فيها وقيل جمعوا
وقيل وهدروا وقيل نكسوا على رؤسهم يموج بعضهم في بعض وقيل القوا في جهنم فيكون
مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها والغاوون هم الكفرة الذين شملتهم الغواية وقيل
الضمير يعود على الكفار والغاوون الشياطين وجنود ابليس قبيلة وكل من تبعه
فهو جند له وعون وقال السدي هم مشركوا العرب والغاوون سائر المشركين
وقيل هم القادة والسفلة قالوا اي عباد الاصنام والجملة بعده حال والمقول
جملة القسم ومتعلقه والخطاب في نسويكم للاصنام على جهة الاقرار والاعتراف
بالحق قال ابن عطية اقسموا بالله ان كنا الا ضالين في ان نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله
تعالى الذي هو رب العالمين وخالقكم وما لكم شيء في قوله ان كنا الا ضالين
ان اراد تفسير المعنى فهو صحيح وان اراد ان ان هنا نافية واللام في لفي بمعنى
الا فليس بمذهب البصريين وانما هو مذهب الكوفيين ومذهب البصريين
في مثل هذا ان ان هي المخففة من الثقيلة وان اللام هي الداخلة للفرق بين ان
النافية وان التي هي لتاكيد مضمون الجملة وما اضلنا الا المجرمون اي اصحاب
الجرائم والمعاصي العظام والجناة وهم سادتهم ذووا المكانة في الدنيا والاتباع
كقولهم اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل وقال السدي هم الاولون الذين
اقتدوا بهم وقيل المجرمون الشياطين وقيل من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن
والانس وقال ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي
وحين راوا شفاعة الملائكة والانبيا والعلما نافعة في اهل الايمان وشفاعة الصديق
في صديقه خاصة قالوا على جهة التلهف والتاسف فما لنا من شافعين ولا صديق
وقال ابن جريج شافعين من الملايكة وصديق من الناس ولفظة الشفيع تقتضي
رفعة مكانه عند المشفوع عنده ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة
وهو فعيل من صدق الود من ابنية المبالغة ونفي الشفعا والصديق يحتمل ان
يكون نفيا لوجودهما اذ ذاك وهم موجودون للمومنين اذ يشفع الملايكة
ويتصادق المومنون كما قال الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او ذلك
على حسب اعتقادهم في معبودهم انهم شفعاوهم عند الله وان لهم اصدقا من
الانس والشياطين فنفعهم واعتقدوا فيهم نفيا يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه
حكم المعدوم فصار المعنى فما لنا من ينفع ممن كنا نعتقد انهم شفعا واصدقا وجمع
الشفعا لكثرتهم في العادة الا ترى انه يشفع فيمن وقع في ورطة من لا تعرفه
وافرد الصديق لقلته او اريد به الجمع اذ يقال هم صديق اي اصدقا كما يقال هم
عدو اي اعدا والظاهر ان لو هنا اشربت معنى التمني فيكون الجواب كانه قيل ياليت
لنا كرة فنكون وقيل هي الحاصلة لما كان سيقع لوقوع غيره فتكون قوله فنكون
معطوفا على كرة اي لو ان لنا ان نكون من المومنين وجواب لو محذوف اي لكان لنا شفعا
واصدقا او لخلصنا من العذاب والظاهر ان هذه الجمل كلها متعلقة بقول ابراهيم
اخبرنا اعلمه الله تعالى من احوال يوم القيامة وما يكون فيها من حال قومه وقال
ابن عطية وهذه الايات من قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون هي عندي
منقطعة من كلام ابراهيم عليه السلام وهي اخبار من الله عز وجل يتعلق بصفة ذلك
اليوم الذي وقف ابراهيم عليه السلام عنده في دعايه ان لا يخزي فيه انتهى

وكان

وكان ابن عطية قد اعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون وعلى هذا الاعراب هذا الذي ذكره
من تفكيك الكلام وجعل بعضه من كلام ابراهيم وبعضه من كلام الله لان العامل في البدل
على مذهب الجمهور فعل اخر من لفظ الاول او الاول وعلى كلا التقديرين لا يصح ان
يكون من كلام الله اذ يصير التقدير ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون الاشارة بقوله
ان في ذلك لاية الى قصة ابراهيم ومحاورته لقومه وما كان اكثرهم اي اكثر قوم
ابراهيم بين تعالى ان اكثر قومه لم يومنوا مع ظهور هذه الدلايل التي استدل بها
ابراهيم عليه السلام وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه
اياه عليه السلام المشحون المملو بما ينبغي له من قدر ما يحمل يقال شحنتها عليهم خيلا
ورجالا الريع بكسر الرا وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع قال ذو الرمة
طراق الخوافي مشرف فوق ريعه ۞ بدي ليلة في ريشه يترقرق ح
وقال ابو عبيدة الريع الطريق قال المسيب بن علس ظعنا ح
في الال يخفضها ويرفعها ۞ ريع يلوح كانه سحل الطلع الكفرى وهو عنقود
التمر قبل ان يخرج من الكمام في اول نباته وقال الزمخشري الطلعة هي التي تطلع من
النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو
بعرجونه الفارهين من الفراهة وهي جودة منظر الشي وقوته وكماله في نوعه وقيل الكيس النشط
الثاني للمعنى ... يفعل بفتح العين ... الجبلة الخلق
المتجسد الغليظ ماخوذ من الجبل قال الشاعر ۞ والموت اعظم حادثة مما يمر على الجبلة
ويقال بكون البا مثلث الجيم وقال الهروي الجبل والجبل والجبل لغات وهو الجمع
الكثير العدد من الناس انتهى هادنا ذهب على وجهه قاله الكسائي وقال ابو عبيدة
حاد في القصد كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انومن لك واتبعك
الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو
تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير مبين قالوا لين لم
تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن
معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم القوم مونث
مجازي التانيث ويصغر قويمة فلذلك جا كذبت قوم نوح ولما كان مدلوله
افرادا ذكورا عقلا عاد الضمير عليه كما يعود على جمع المذكر العاقل وقيل قوم مذكر
وانث لانه في معنى الامة والجماعة وتقدم معنى تكذيب قوم نوح المرسلين وان
كان المرسل اليهم واحدا في الفرقان في قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم
واخوهم نوح قيل في النسب وقيل في المجانسة كقوله يا اخا تميم تريد يا واحدا
منهم قال الشاعر ۞ لا يسالون اخاهم حين يندبهم ۞ في النايبات على ما قال برهانا
ومتعلق التقوى محذوف فقيل الا تتقون عذاب الله وعقابه في ترككم كلامه وقيل
الا تتقون مخالفة امر الله فتتركوا عبادتكم للاصنام وامانته كونه مشهورا في
قومه بذلك او موتمنا على اداء رسالة الله ولما عرض عليهم برفق تقوى الله فقال
الا تتقون انتقل من العرض الى الامر فقال فاتقوا الله واطيعون فيما امركم
وفيما ادعوكم اليه من توحيد الله وافراده بالعبادة وما انا لكم الا على دعاي

المفردات

الى الله والامر بتقواه وقيل الضمير في عليه يعود على النصح او على التبليغ والمعنى لا اسالكم
عليه شيئا من اموالكم وقدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله سبب لطاعة
نوح عليه السلام ثم كرر الامر بالتقوى والطاعة لتوكيد عليهم وتقريره في نفوسهم
وان اختلف التعليل جعل الاول معلولا لامانته والثاني لانتفاء اخذ الاجر ثم لم
ينظروا في امر رسالته ولا تفكروا فيما امرهم به لما جبلوا عليه ونشؤا من حب الرياسة
وهي التي تطبع على قلوبهم فشرع اشرافهم في تنقص متبعيه وان الحامل على الامتناع من
ايمانهم له كونهم اتبعه الارذلون وقوله واتبعك الارذلون جملة حالية اي كيف
نومن وقد اتبعك اراذلنا فنساويهم في اتباعك وكذا فعلت قريش في
شان عمار وصهيب والضعفا اكثر استجابة من الرؤسا لان اذهانهم ليست مملوة
بزخارف الدنيا فهم ادرك للحق واقبل له من الرؤسا وقرا الجمهور واتبعك
فعلا ماضيا وقرا عبد الله وابن عباس والاعمش وابو حيوة والضحاك وابن
السميقع وسعيد بن ابي سعيد الانصاري وطلحة ويعقوب واتباعك جمع تابع
كصاحب واصحاب وقيل جمع تبع كبطل وابطال وقيل جمع تبع كبرم وابرام
والواو في هذه القراءة للحال وقيل للعطف على الضمير الذي في قوله انومن لك
وحسن ذلك للفصل بلك قاله ابو الفضل الرازي وابن عطية وابو البقا وعن
اليماني واتباعك بالجر عطفا على الضمير في لك وهو قليل وقاسه الكوفيون والارذلون
رفع باضمارهم قيل والذين امنوا به بنوه ونساوه وكناته وبنو بنيه فعلى
هذا لا تكون الرذالة دناءة المكاسب وتقدم الكلام في الرذالة في هود في قوله
الا الذين هم اراذلنا وارادوا بذكر تنقيص نوح عليه السلام اذ لم يتبعه الا
ضعفا الناس وهم اتباع الرسل كما ورد في حديث هرقل وهذا الذي اجابوا به
في غاية الحماقة اذ هو مبعوث الى الخلق كافة فلا يختص بالحسب النفيس
والغني ولا شرف المكاسب ودناتها وقال ابن عطية ويظهر من الاية ان مراد
قوم نوح وما علمي الاية لان معنى كلامه ليس في نظري وعلمي باعمالهم ومعتقد
فايدة فانا اقنع بظاهرهم واجتزي به ثم حسابهم على الله تعالى وهذا نحو قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
الحديث بجملته انتهى وقال الكرماني لا اطلب العلم بعملهم انما علي ان ادعوهم
وقال الزمخشري وما علمي واي شي علمي والمراد انتفا علمه باخلاص اعمالهم
واطلاعه على سرايرهم وانما قال هذا لانهم طعنوا في استرذالهم وانهم
لم يومنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم
في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام
فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد
العقايد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول
ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش على اسرارهم والشق عن قلوبهم
وان كان لهم سي فالله محاسبهم ومجازيهم وما انا الا منذر لا محاسب
ولا مجازي لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم
وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المومن رذلا وان كان افقر
الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى
انتهى وهو تكثير وقال الحوفي وما علمي ما نافية والباء متعلقة بعلمي

انتهى

انتهى وهذا التخريج يحتاج فيه الى اضمار خبر حتى يصير جملة ولما كانوا لا يصدقون بالحساب
ولا بالبعث اردفه بقوله لو تشعرون اي بان المعاد حق والحساب حق وقرا
الجمهور تشعرون بتا الخطاب وقرا الاعرج وابو زرعة وعيسى بن عمر الهمداني بيا الغيبة
وما انا بطارد المومنين هذا مشعر بانهم طلبوا منه ذلك وقابلهم بذلك كما طلب رؤسا
قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم الطرد من امن من الضعفا فنزلت ولا
تطرد الذين يدعون ربهم الاية اي لا اطردهم عني لاتباع شهواتكم والطمع في
ايمانكم ان انا الا نذير مبين ما جيت به بالبرهان الصحيح الذي يميز به الحق
من الباطل ولما اعتلوا في ترك ايمانهم باتباع من هو دونهم دل ذلك على انهم
لم تنثلج صدورهم للايمان اذ اتباع الحق لا يانف منه احد لوجود الراحة فيه
اخذوا في التهديد والوعيد قالوا لئن لم تنته عن تقبيح ما نحن عليه وادعائك
الرسالة من الله لتكونن من المرجومين اي بالحجارة وقيل بالشتم وابين
اذ ذاك من فلاحهم فنادى ربه وهو اعلم بحاله ان قومي كذبون ندائي
ليس لاجل انهم اذوني ولكن لاجل دينك فافتح اي فاحكم ودعا لنفسه ولمن
امن به بالنجاة وفي ذلك اشعار بحلول العذاب بقومه اي ونجني مما يحل
بهم وقيل ونجني من عملهم لانه سبب العقوبة والفلك واحد وجمع وغالب
استعماله جمعا لقوله وترى الفلك مواخر فيه والفلك التي تجري في البحر
فحيث اتى في غير فاصلة استعمل جمعا وحيث كان فاصلة استعمل مفردا لمراعاة
التواصل هكذا الوضع والذي في سورة يس وتقدم الخلاف اذا كان مدلوله
جمعا اهو جمع تكسير ام اسم جمع والمشحون قال ابن عباس الموقر وقال عطا المثقل
ثم اغرقنا بعد اي بعد نجاة نوح والمومنين كذبت عاد المرسلين اذ قال
لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع
اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم
جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
قالوا سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين
وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كان اخاهم من النسب وكان
تاجرا جميلا اشبه الخلق بادم عليه السلام عاش اربع مائة سنة واربعا وستين
سنة وبينه وبين ثمود مائة سنة وكانت منازل عاد ما بين عمان الى حضرموت
اخصب البلاد فجعلها الله مفاوز ورمالا لما امرهم ولما ابادهم بدا نوح قومه ثم
نعى عليهم من سو اعمالهم مع كفرهم فقال اتبنون بكل ريع قال ابن عباس هو
راس الزقاق وقال مجاهد فج بين جبلين وقال عطا عيون فيها الما وقال
ابن جريج وقيل الثنية الصغيرة وقرا الجمهور ريع بكسر الرا وابن ابي
عبلة بفتحها قال ابن عباس اية علما وقال مجاهد ابراج الحمام وقال النقاش وغيره
القصور الطوال وقيل بيت عشار وقيل ناديا للتصلف وقيل اعلاما طوالا
ليهتدوا بها في اسفارهم عبثوا بها لانهم كانوا يهتدون بالنجوم وقيل
علامة يجتمع اليها من يعبث بالمار في الطريق وفي قوله انكار للبنا على صورة
العبث مما يفعل المترفون في الدنيا والمصانع جمع مصنعة قيل وهي البنا

علي للاو وقيل القصور المشيدة المحكمة وقيل الحصون وقال قتادة بركا الما وقيل بروج
الحمام وقيل المنازل واتخذ هنا بمعنى عمل اي وتعملون مصانع اي تبنون **وقال**
لبيد وتبقى جبال بعدنا ومصانع لعلكم تخلدون الظاهر ان لعل على بابها من الرجا
وكانه تعليل للبنا والاتخاذ اي الحامل لكم على ذلك هو الرجا للخلود ولا خلود
وفي قراة عبيد الله كي تخلدون او يكون المعنى يشبه حالكم حال من يخلد فلذلك
بنيتم واتخذتم وقال ابن زيد معناه الاستفهام على سبيل التوبيخ والهزء
بهم اي هل انتم تخلدون وكون لعل للاستفهام مذهب كوفي وقال ابن عباس
المعنى كانكم خالدون وفي حرف ابي كانكم تخلدون **وقرى** كانكم خالدون
وقرا الجمهور تخلدون مبنيا للفاعل وقتادة مبنيا للمفعول ويقال خلد
الشي واخلده غيره **وقرا** ابي وعلقمة وابو العالية مبنيا للمفعول مشددا كما **قال**
الشاعر وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال • واذا
بطشتم اي اردتم البطش وحمل على الارادة لئلا يتحد الشرط وجوابه • **كقوله**
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة • اي متى اردتم بعثها قال الحسن بادروا تعذيب
الناس من غير تثبت ولا تفكر في العواقب وقيل المعنى انكم كفار الغضب لكم
السطوات المفرطة والبوادر وبنيتم الابنية العالية يدل على حب العلو واتخاذ
المصانع رجا الخلود يدل على حب البقا والجبارية يدل بالعلو وهذه صفات الالهية
وهي ممتنعة الحصول للعبد ودل ذلك على استيلا حب الدنيا عليهم بحيث خرجوا
عن حد العبودية وحب الدنيا راس كل خطية ولما نبههم ووبخهم على افعالهم القبيحة
امرهم ثانيا بتقوى الله وطاعة نبيه ثم امرهم ثالثا بالتقوى منبها لكونه
على احسانه تعالى اليهم وسبوغ نعمته عليهم وابرز صلة الذي متعلقة بعلمهم
تنبيها لهم وتحريضا على الطاعة والتقوى اذ شكر المحسن واجب وطاعته متعينة
وتنبيها لهم بان من امد بالاحسان هو قادر على سلبه وعلى تعذيب من لم يتقه
اذ هذا الامر ليس من جهتكم وانما هو من تفضله تعالى عليكم بحيث انعم
احسانه شيا بعد شي ولما ابهم ذكر ما امدهم به محيلا على علمهم اتى به مفصلا
مبدا بالانعام وهي التي تحصل بها الرياسة في الدنيا والقوة على من عاداهم
والغنى هو السبب في حصول الذرية غالبا للوجد وبحصول القوة ايضا بالبنين
فلذلك قرنهم بالانعام ولانهم يستعينون بهم في حفظها والقيام عليها واتبع ذلك
بالبساتين والمياه المطردة اذ الامداد بذلك من اتمام النعمة وبانعام ذهب
بعض النحويين الى انه بدل من قوله بما تعلمون واعيد العامل كقوله اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسالكم والاكثرون لا يجعلون مثل هذا ابدا وانما هو
عندهم من تكرار الجمل وان كان المعنى واحدا ويسمى التتبيع وانما يجوز ان
يعاد عندهم العامل اذا كان حرف جر دون ما يتعلق به نحو مررت بزيد باخيك
ثم خوفهم عذاب الله وابرز ذلك في صورة الخوف لا على سبيل الجزم واذ كان
راجيا لايمانهم فكان من جوابهم ان قالوا سوا علينا اوعظت وعزمه وجعلوا
قوله وعظا اذ لم يعتقدوا صحة ما جا به وانه كاذب فيما ادعاه وسواهم ذلك
على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به **وقرا** الجمهور اوعظت
باظهار الظا وروي عن ابي عمرو والكسائي وعاصم ادغام الظا في التا وبالادغام
قرا ابن محيصن والاعمش الا انه زاد ضمير المفعول فقرا اوعظتنا وينبغي ان يكون اخفا
لان

لان الظا مجهورة مطبقة والتا مهموسة منفتحة فالظا اقوى من التا والادغام انما
يحسن في المتماثلين او في المتقاربين اذا كان الاول انقص من الثاني واما
ادغام الاقوى في الاضعف فلا يحسن على انه قد جا من ذلك اشيا في القران بنقل الثقات
فوجب قبولها وان كان غيرها هو الافصح واتى بعادل اوعظت بقوله ام لم تكن من
الواعظين وان كان قد يعادله ام لم تعظ كما قال سوا علينا اجزعنا ام صبرنا لاجل
الفاصلة كما عادلت في قوله سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ولم يات التركيب
ام صمتم وكثيرا ما يحسن مع الفواصل ما لا يحسن دونه وقال الزمخشري بينهما فرق
يعني بين ما جا في الاية وهو ام لم تعظ قال لان المراد سوا علينا افعلت هذا
الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ولما لم يبالوا بما امرهم به ونهاهم وما ذكرهم
من نعم الله وتخويفهم الانتقام منهم اجابوه بان قالوا ان هذا الا خلق الاولين
وقرا عبد الله وعلقمة والحسن وابو جعفر وابو عمرو وابن كثير والكسائي
خلق بفتح الخا وسكون اللام فهو يحتمل ان يكون المعنى ان هذا الذي تتقوله
وتدعيه الا اختلاق الاولين من الكذبة قبلك فانت على منهاجهم **وروى**
علقمة عن عبد الله ان هذا الا اختلاق الاولين ويحتمل ان يكون المعنى ان هذه
الابنية التي نحن عليها الا السنة التي عليها الاولون حيوة وموت ولا بعث
ولا تعذيب **وقرا** باقي السبعة خلق بضمتين وابو قلابة والاصمعي عن نافع
بضم الخا وسكون اللام وتحتمل هذه القراة ايضا الاحتمالين اللذين في خلق
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اتتركون فيما هاهنا امنين في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا
الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض
ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات
باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم ولا تمسوها بسو فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها
فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اتتركون يجوز ان يكون
انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزولون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة
في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة
قاله الزمخشري وقال ابن عطية تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تقروا في النعم
على معاصيكم وقيل اتتركون استفهام في معنى التوبيخ اي اتترككم ربكم فيما هاهنا
اي فيما انتم عليه في الدنيا امنين لا تخافون بطشه انتهى وما موصولة
وهاهنا اشارة الى المكان الحاضر القريب اي في الذي استقر في مكانكم هذا من
النعيم وفي جنات بدل من فيما هاهنا اجمل ثم فصل كما اجمل هود عليه السلام
في قوله امدكم بما تعلمون ثم فصل في قوله امدكم بانعام وبنين وكانت
ارض ثمود كثيرة البساتين والما والنخل والهضيم قال ابن عباس اذا اينع
وبلغ وقال الزهري الرخص اللطيف اول ما يخرج وقال الزجاج الذي رطبه

بغير نوى وقال الضحاك المنضد بعضه على بعض وقيل الرطب اللين وقيل النضيج من الرطب
وقيل الرطب المتفتت وقيل الهاضم الطلع وقيل ما ربا فشربه من الجانبين من قولهم
حضر هضيم وقيل الرخو المتدلي وقيل الجمار الرخو كما قوله ونخل بعد قوله في جنات
وان كانت الجنة تتناول النخل اول شيء ويطلقون الجنة ولا يريدون بها الا النخل
كما **قال الشاعر** كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
اراد هنا النخل والسحق جمع سحوق وهي التي ذهبت بجريدها صعدا وطالت فاذ
ونخل بالذكر بعد اندراجه في لفظ جنات تنبيها على انفراده في عجز الجنة بتفضيله
او اراد بجنات غير النخل من الشجر لان اللفظ صالح لهذه الارادة ثم عطف عليه
ونخل ذكرهم تعالى نعمه في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث
ولادة التمر وطلعها فيه لطف والهضيم اللطيف الضامر والبرني الطف من طلع
اللون ويحتمل اللطف في الطلع ان يكون بسبب كثرة الحمل فانه متى كثر لطف
فكان هضيما واذا قل الحمل جاء التمر فاخرا ولما كانت منابت النخل جيدة وكان
السقي لها كثيرا وسلمت من العاهة كثر الحمل بلطف الحب **وقرا** الجمهور وتنحتون
بالتاء للخطاب وكسر الحاء وابو حيوة وعيسى والحسن بفتحها وتقدم ذكره وعنه بالف
بعد الحاء اشباعا وعن عبد الرحمن بن محمد عن ابيه بالياء من اسفل وكسر الحاء وعن
ابي حيوة والحسن ايضا بالياء من اسفل وفتح الحاء وقرا عبد الله وابن عباس
وزيد بن علي والكوفيون وابن عامر فارهين بالف وباقي السبعة بغير الف
ومجاهد متفرهين اسم فاعل من تفره والمعنى نشيطين مهتمين قاله ابن عباس
وقال مجاهد شرهين وقال ابن زيد اقوياء وقال ابن عباس ايضا وابو عمرو بن العلاء
اشرين بطرين وقال عبد الله بن شداد معنى متفرهين اي بالغين في انحاء
المغارات ليحفظوا اموالهم فيها وقال قتادة امنين وقال الكلبي متجبرين وقال
حصيف معجبين وقال عكرمة ناعمين وقال الضحاك كيسين وقال ابو صالح
حاذقين وقال ابن عيسى دربين وقال ابو عبيدة مرحين وظاهر هذه الايات
الغالب على قوم هود اللذات الخيالية من طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر
وعلى قوم صالح اللذات الحسية من المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة
ولا تطيعوا خطاب لجمهور قومه والمراد بهم كبراؤهم واعلامهم في الكفر
والاضلال وكانوا تسعة رهط يفسدون في الارض اي ارض ثمود وقيل في
الارض كلها لان بمعاصيهم امتناع الغيث ولما كان يفسدون دلالته دلالة
المطلق اتى بقوله ولا يصلحون تنفي عنهم الصلاح وهو نفي لمطلق الصلاح فيلزم
منه نفي الصلاح كائنا ما كان فلا يحصل منهم صلاح البتة والمسحر الذي سحر كثيرا
حتى غلب على عقله وقيل من السحر وهو الرئة اي انت بشر لا تصلح للرسالة
ويضعف هذا القول قولهم بعد ما انت الا بشر مثلنا اذ تكون هذه الجملة
توكيدا لما قبلها والاصل التاسيس مثلنا اي في الاكل والشرب وغير ذلك
من صفات البشر فلا اختصاص لك بالرسالة فات باية بينة او بعلامة على
صحة دعواك وفي الكلام حذف تقديره قال ائتي بها قالوا ما هي قال هذه ناقة
روي انهم اقترحوا عليه ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة تلد سقبا فقعد صالح
يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة

وبركت

وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وتقدم في الاعراف طرف من قصة ثمود والناقة
والشرب النصيب المشروب مثل السقي والقيت **وقرا** ابن ابي عبلة شرب بضم الشين فيهما
وكان هو هذا العذاب الذي في الدنيا وكذا وقع ووصف بالعظم لحلول العذاب فيه
ووصفه فيه ابلغ من وصفه العذاب به لان الوقت اذا عظم بسبب العذاب كان
موقع العذاب من العظم اشد ونسب العقر الى جميعهم لكونهم راضين به ذكر انه
روي انه استامروا المراة في خدرها والصبيان فرضوا جميعا فاصبحوا نادمين لا ندم
توبة بل ندم خوف ان يحل بهم العذاب عاجلا وذلك عند معاينة العذاب وذلك
في وقت غير التوبة اصبحوا وقد تغيرت الوانهم حسبما كان انذرهم به صالح عليه
السلام وكان العذاب بصيحة خمدت لها ابدانهم وانشقت قلوبهم وماتوا عن اخرهم
وصب عليهم حجارة خلال ذلك وقيل كانت ندامتهم على ترك عقر الولد وهو قول
بعيد والذي اخذهم العذاب المتوعد به في العذاب السابق عذاب ذلك اليوم
العظيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين
رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم اتاتون استفهام انكار وتقريع وتوبيخ والذكران جمع
ذكر مقابل الانثى والاتيان كناية عن وطء الرجال وقد سماها تعالى بالفاحشة فقال
اتاتون الفاحشة من العالمين هو مخصوص بذكران بني ادم وقيل مخصوص بالغرباء
وتذرون ما خلق ظاهر في كونهم لا ياتون النساء اما البتة واما غالبا ما خلق لكم
ربكم يدل على الاباحة شرطها من ازواجكم اي من الاناث ومن للتبيين
لقوله ما خلق واما للتبعيض اي العضو المخلوق للوطء وهو الفرج وهو على
حذف مضاف اي وتذرون اتيان فان كان ما خلق لا يراد به العضو فلا بد
من تقدير مضاف اي وتذرون اتيان فروج ما خلق بل انتم قوم عادون
اي متجاوزون الحد في الظلم وهذا اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى شيء لا انه ابطال
لما سبق من الانكار عليهم وتقبيح افعالهم واعتداؤهم اما في المعاصي التي
هذه المعصية من جملتها او من حيث ارتكاب هذه الفعلة الشنيعة وفي
تصوير الجملة بضمير الخطاب تقبيح لفعلهم وتنبيه على انهم مختصون بذلك
كما تقول انت فعلت كذا اي لا غيرك ولما نهاهم عن هذا الفعل القبيح توعدوه
بالاخراج وهو النفي من بلده الذي نشا فيه اي لئن لم تنته عن دعواك
النبوة وعن الانكار علينا لما ناتيه من الذكران لننفينك كما نفينا من
نهانا قبلك ورد لقوله من المخرجين على انه سبق من نهاهم عن ذلك
فنفوه بسبب النهي ومن المخرجين ابلغ من لنخرجنك لانه من كان من القوم
في نفوسهم سواء كان للخلاف في تصلا الفعل اكثر او لم في غيرهم قال اني لعملكم

اي الفاحشة التي انتم تعملونها و لعملكم متعلق بالقالين وان كان فيه ال لانه يتوسع في
المجرورات والظروف ما لا يتوسع في غيرها لا سيما العرب في تقديمها حيث لا تتقدم غيرها
واما بمحذوف دل عليه القالين تقديره اني قال لعملكم واما ان تكون للتبيين
اي لعملكم اعني من القالين وكونه بعض القالين يدل على انه يبغض هذا
الفعل ناس غيره هو بعضهم و فيه ذكر على ان هذا الفعل من حيث للبغض
حتى يبغضه الناس ومن القالين ابلغ من قال لما ذكرناه من ان الناس
يبغضونه ولتضمنه انه معدود بعضه الا ترى ان قولك زيد من
العلما ابلغ من زيد عالم لان في ذلك شهادة بانه معدود في زمرتهم وقال
ابو عبد الله الرازي القلي البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد والكبد انتهى
ولا يكون قلي بمعنى ابغض و قلا من البلخ والتي من مادة واحدة لاختلاف
التركيب فمادة قلا من التي من ذوات الواو وتقول قلوت اللحم فهو مقلو
ومادة قلي من البغض من ذوات اليا قليت الرجل فهو مقلي قال
الشاعر ○ ولست بمقلي الخلال ولا قال ○ ولما توعدوه بالاخراج ابتهل
ببغض عملهم ثم دعا ربه فقال رب نجني واهلي مما يعملون اي من عقوبة
ما يعملون من المعاصي ويحتمل ان يكون دعا لاهله بالعصمة من ان يقع احد
منهم في مثل فعل قومه ودل دعاوه بالتنجية لاهله على انهم كانوا مومنين
ولما كانت زوجته مندرجة في الاهل كان ظاهر دعائه دخولها في التنجية
وكانت كافرة استثنيت في قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
ودل قوله عجوزا على انها قد عست في الكفر ودامت فيه الى ان صارت عجوزا
ومن الغابرين صفة اي من الباقين من لداتها واهل بيتها قاله ابو عبيدة
وقال قتادة من الباقين في العذاب النازل بهم وتقدم القول في غبر انه
يستعمل بمعنى مضى وبمعنى بقي وهو المشهور وحكايته عليه السلام ان امره تعالى
بالرحلة ليلا وكانت امراته كافرة تعين عليه قومه فاصابها حجر فهلكت فيمن
هلك قال قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السما فاهلكهم وقال
قتادة اتبع الايتفكت مطرا من الحجارة وسا مطر بمعنى بيس والمخصوص بالذم
محذوف اي مطرهم وقال مقاتل خسف الله بقوم لوط وارسل الحجارة الى من
كان خارجا من القرية ولم يكن فيها مومن الا بيت لوط كذب اصحاب الايكة
المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس
المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا
كسفا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قرا الحرميان وابن عامر ليكة هنا وفي ص بغير لام ممنوع الصرف و قرا

باقي

باقي السبعة الايكة بلام التعريف فاما قراة الفتح فقال ابو عبيد وجدنا في بعض التفسير ان ليكة
اسم للقرية وفي الشعرا وص ليكة واجتمعت مصاحف الامصار كلها بعد ذلك ولم تختلف انتهى
وقد طعن في هذه القراة وقالوا حملهم على ذلك كون الذي كتب في هذين الموضعين
على اللفظ في من نقل حركة الهمزة الى اللام واسقط الهمزة فتوهم ان اللام من بنية
الكلمة ففتح اليا وكان الصواب ان يكسر ثم مادة ل ي ك لم يوجد منها تركيب فهي مادة
مهملة كما اهملوا مادة خ ذ ج منقوطات وهذه نزعة اعتزالية يعتقدون ان بعض
القراة متواترة لا يمكن الطعن فيها ويقرب انكارها من الردة والعياذ بالله اما
نافع فقرا على سبعين من التابعين وهم عرب فصحا ثم هي قراة اهل المدينة
قاطبة واما ابن كثير فقرا على سادة التابعين ممن كان بمكة كمجاهد وغيره وقد
قرا عليه امام البصرة ابو عمرو بن العلا وساله بعض العلما اقرات على ابن كثير قال نعم
ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد وكان ابن كثير اعلم من مجاهد باللغة
قال ابو عمرو ولم يكن بين القراتين كبير يعني خلافا واما ابن عامر فهو امام
اهل الشام وهو عربي قح قد سبق اللحن اخذ عن عثمان وعن ابي الدردا وغيرهما
فهذه امصار ثلاثة اجتمعت على هذه القراة الحرمان مكة والمدينة والشام واما
كون هذه المادة مفقودة في لسان العرب فان صح ذلك كانت الكلمة عجمية
ومواد كلام العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب فيكون قد اجتمع على منع
صرفها العلمية والعجمة والتانيث وتقدم مدلول الايكة في الحجر وكان شعيب عليه
السلام من اهل مدين فلذلك جا والى مدين اخاهم شعيبا ولم يكن من اهل الايكة
فلذلك صار هنا اذ قال لهم شعيب ومن غريب النقل ما روي عن ابن عباس
ان اصحاب الايكة هم اصحاب مدين وعن غيره ان اصحاب الايكة هم اهل البادية
واصحاب مدين هم الحاضرة وروي في الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى
اصحاب الايكة امرهم بايفا الكيل وهو الواجب ونهاهم عن الاخسار وهو
التطفيف ولم يذكرا الزيادة على الواجب لان النفوس قد تشح بذلك فمن فعله
فقد احسن ومن تركه فلا حرج وتقدم تفسير القسطاس في سورة الاسرا
وقال الزمخشري ان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه
فعلاس والا فهو رباعي انتهى ولو تكرر ما يماثل العين في النطق لم يكن عند البصريين
الا رباعيا وقال ابن عطية هو مبالغة من القسط انتهى والظاهر ان قوله وزنوا هو
امر بالوزن اذ عادل قوله اوفوا الكيل فشمل ما يكال وما يوزن مما هو معتاد
فيه ذلك وقال ابن عباس ومجاهد معناه عدلوا اموركم كلها بميزان العدل الذي
جعله الله لعباده ولا تبخسوا الناس اشياءهم الجبلة والتي تقدم الكلام عليها
ولما تقدم امره عليه السلام اياهم بتقوى الله امرهم ثانيا بتقوى من اوجدهم
واوجد من قبلهم تنبيها على ان من اوجدهم قادر على ان يعذبهم ويهلكهم
ويعاقبهم والجبلة ايذان بذلك فكانه قيل فلانه قيل نحية كما الى ما صار
اليه اولوكم فاتقوا الله الذي تصيرون اليه وقرا الجمهور والجبلة بكسر
الجيم والبا وشد اللام وقرا ابو حصين والاعمش والحسن بخلاف عنه بضمهما
وشد اللام وقرا السلمي والجبلة بكسر الجيم وسكون اللام وفي نسخة عنه فتح الجيم
وسكون البا وهي من جبلوا على كذا اي خلقوا قيل وتشديد اللام في القراتين في

بناية للمبالغة وعن ابن عباس الجبلة عشرة الاف وما انت جاهنا بالواو وفي قصة هود ما انت
بغير واو فقال الزمخشري اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة
عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا
واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم
وان نظنك لمن الكاذبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
خلافا للكوفيين فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وتقدم الخلاف في نحو
ذلك في قوله وان كانت لكبيرة في البقرة ثم طلبوا منه اسقاط كسف من السما عليهم
وليس له ذلك فالمعنى ان كنت صادقا فادع الذي ارسلك ان يسقط علينا كسفا
اي قطعة او قطعا على حسب التسكين والتحريك وقال الزمخشري وكلاهما
جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي
القطعة وكسفة قطعة والسما السحاب او المظلة وطلبهم ذلك يدل على التصميم
على الجحود والتكذيب ولما طلبوا منه ما طلبوا احال علم ذلك الى الله تعالى وانه
هو العالم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فهو يعاقبكم بما شا
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وهو نحو مما اقترحوا ولم يذكر الله
كيفية عذاب يوم الظلة وحكي ان ابن عباس قال من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب
وذكر في حديثها تطويلات وروي انه حبس عنهم الريح سبعا فسلط عليهم حر عظيم ياخذ
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ما فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا
لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقتم وكرر ما كرر في اوايل
هذه القصص تنبيها على ان طريقة الانبيا واحدة لا اختلاف فيها وهي الدعا الى توحيد
الله وعبادته ورفض ما سواه وانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ببدع في ذلك
وان ما جا به صلى الله عليه وسلم هو ما جات به الرسل قبله وتلك عادة الانبيا قال ابن
عطية وبات الالفاظ في دعا كل واحد من هولا الانبيا واحدة بعينها لان الايمان
المدعو اليه معنى واحد بعينه وقال الزمخشري فان قلت كيف كرر في هذه
السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل براسه وفيها
من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق الى ان تفتتح بمثل
ما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بمثل ما اختتمت به ولان التكرير تقرير
للمعاني في النفوس وتثبيت لها في الصدور ولان هذه القصص طرقت بها اذان
وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير
وروجعت بالترديد والتكرير وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين اولم يكن
لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم
ما كانوا به مومنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به
حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل
نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم
جاهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين الضمير في وانه
عايد على القران اي انه ليس بكهانة ولا سحر بل هو من عند الله وكانه عاد ايضا
الي

الي ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عما ياتيهم من الذكر ليتناسب المفتتح والمختتم
قرا الحرميان وابو عمرو وحفص نزل مخففا والروح الامين مرفوعان وباقي
السبعة بالتشديد ونصبهما والروح هنا جبريل وتقدم في سورة مريم ارسلنا اليها
روحنا وبه قال ابن عطية في موضع الحال كقوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
انتهى والظاهر تعلق على قلبك وبتكون بنزل وخص القلب والمعنى عقلك لانه
محل الوعي والتثبيت وليعلم ان المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ لا يجوز عليه التبديل
ولا التغيير وليكون عليه في التنزيل والنزول اقتصر عليها لان ذلك ازجر للكل مع
وان كان القران نزل للانذار والتبشير والظاهر تعلق بلسان بنزل فكان يسمع من
جبريل حروفا عربية قال ابن عطية وهو القول الصحيح وتكون صلصلة الجرس صفة
لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده واغلاظه ويحتمل ان يتعلق بقوله
لتكون ومتمسك بهذا من راي ان النبي عليه السلام كان يسمع احيانا مثل صلصلة الجرس يتفهم
له منه القران وهذا مردود انتهى وقال الزمخشري بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين
فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح
وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم ازكى السلام واما ان يتعلق بنزل
فيكون المعنى نزله باللسان العربي المبين لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي
لتجافوا عنه اصلا وقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه
ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك
تفهمه ويفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك
تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات
فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني
الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك
اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا الى الفاظها ثم الى معانيها فهذا تقرير
انه نزل على قلبك لنزوله بلسان عربي مبين انتهى وفيه تطويل وانه اي القران
لفي زبر الاولين اي مذكور في الكتب المنزلة القديمة منبها عليه مشارا اليه وقيل
ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراة بالفارسية في الصلاة على ان
القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه
فيها وقيل الضمير عايد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ان ذكره ورسالته في الكتب
الالهية المتقدمة ويكون التفاتا اذ خرج من ضمير الخطاب في قوله على قلبك لتكون
الى ضمير الغيبة وكذلك قيل في ان يعلمه اي ان يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم وتناسق الضماير
لشي واحد اوضح وقرا الاعمش لفي زبر بسكون البا والاكثرون ان احتج عليهم بانهم
كان ينبغي ان يصح عندهم امره كون علما بني اسرايل يعلمونه اي ولم يكن لهم
علامة على صحته علم بني اسرايل به اذ كانت قريش ترجع في كثير من الامور النقلية
الى بني اسرايل ويسالونهم عنها ويقولون لهم اصحاب الكتب الالهية وقد تهود
كثير من العرب وتنصر كثير لاعتقادهم في صحة دينهم وذكر الثعلبي عن ابن عباس ان
اهل مكة بعثوا الى احبار يثرب يسالونهم عن النبي فقالوا هذا زمانه ووصفوا
نعته وخلطوا في امر محمد عليه السلام فنزلت الاية في ذلك ويويد هذا كون
الاية مكية وقال مقاتل هي مدنية وعلما بني اسرايل عبد الله بن سلام ونحوه

قال ابن عباس ومجاهد وذلك ان جماعة منهم اسلموا ونصوا على مواضع من التوراة والانجيل فيها ذكر
الرسول عليه السلام قال تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا الاية وقيل علماء بني اسرائيل
منهم ومن لم يسلم وقيل انبياؤهم حيث نبهوا عليه واخبروا بصفته وزمانه ومكانه وقرأ الجمهور
ولم يكن بالياء من تحت آية بالنصب وهي قراءة واضحة الاعراب جعل ان يكون ان يعلمه
وهو الاسم وقرأ ابن عامر والجحدري تكن بالتاء من فوق آية بالرفع قال الزمخشري جعلت
آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها
وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع
الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية جملة للشأن فان يعلمه بدلا من آية انتهى وقرأ
ابن عباس تكن بالتاء من فوق آية بالنصب كقراءة من قرأ ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب
الا ان قالوا وكقول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها
وذلك اما على تأنيث الاسم لتأنيث الخبر واما لتأويل ان يعلمه بالمعرفة وتأويل الا ان
قالوا بالمقالة وتأويل الاقدام بالتقدمة وقرأ الجحدري ان تعلمه بالتأنيث كما قال
الشاعر قالت بنو عامر خالوا بني اسد يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام ثم وكتب في المصحف
علموا بواو بين الميم والالف قيل على لغة من يميل الف علموا الى الواو كما كتبوا الصلاة
والزكاة والربوا على تلك اللغة قال الزمخشري الاعجمي الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة
واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة توكيد قال ابن عطية
الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك
يقال للحيوانات والجمادات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار وانشد
الطبري عن عبد الله بن مطيع انه قال حين قرأ هذه الآية وهو واقف بعرفة جملي هذا
اعجم فلو انزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمي هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح
الناس انتهى وفي التحرير الاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز ان
يجمع جمع سلامة قيل والمعنى ولو نزلناه بلغة العجم على رجل اعجمي فقرأه على العرب
لم يؤمنوا به حيث لم يفهموه واستنكفوا من اتباعه وقيل ولو انزلنا القرآن
على بعض العجم من الدواب فقرأه عليهم لم يؤمنوا لعنادهم كقوله تعالى ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وجمع جمع السلامة لانه وصف بالانزال عليه والقراءة وهو
فعل العقلاء وقيل ولو نزل على بعض البهائم فقرأه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن
البهيم كذلك هؤلاء لانهم كالانعام بل هم اضل سبيلا انتهى ولا يبعد ما تقدم من ان
هذا القرآن في زبر الاولين وان علماء بني اسرائيل يعلمون ذلك وكان ذلك ليكون
على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان هؤلاء الكفار لا تجدي فيهم الدلائل
الا ترى نزوله على رجل عربي بلسان عربي وسمعوه وفهموه وادركوا اعجازه وتصديق
كتب الله القديمة له ومع ذلك جحدوه وسموه تارة شعرا وتارة سحرا ولو نزل على بعض
الاعاجم الذي لا يحسن العربية لكفروا به وتمحلوا لجحوده وقال الفراء الاعجمين جمع
اعجم او اعجمي على حذف ياء النسب كما قالوا الاشعرين واحدهم اشعري قال ابن
الجهم قال الكميت ولو جهزت قافية شرودا لقد دخلت بيوت الاشعرينا
انتهى وقرأ الحسن وابن مقسم الاعجميين بياء النسب جمع اعجمي والضمير في سلكناه
الظاهر انه عائد على ما عادت اليه الضمائر قبل وهو القرآن وقاله الرماني والمعنى مثل
ذلك السلك وهو الادخال والتمكين والتفهيم لمعانيه سلكناه ادخلناه في قلوب
المجرمين

المجرمين والمعنى بما ترتب على ذلك السلك من كونهم فهموه وادركوه ولم يزدهم ذلك الا عنادا وجحودا وكفرا
به اي على مثل هذه الحالة وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له كما وضعناه فيها فكيف لا يرام
ايمانهم به لم يتغيروا عن ما هم عليه من الانكار والجحود كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
الآية وقال الكرماني ادخلناه فيها فعرفوا معانيه وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يؤمنوا به
وقال يحيى بن سلام الضمير في سلكناه يعود على التكذيب فذلك الذي منعهم عن الايمان انتهى
ويقويه قوله فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال الحسن الضمير يعود على الكفر الذي يتضمنه
قوله ما كانوا به مؤمنين انتهى وهو قريب من القول الذي قبله وقال عكرمة سلكناه
اي القسوة واسند السلك تعالى اليه لانه هو موجد الاشياء حقيقة وهو الهادي وخالق
الضلال وقال الزمخشري فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت
اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا
عليه الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريد تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية
اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون
به انتهى وهو على طريقة الاعتزال والتشبيه بين السلكين يقتضي تغاير من حل به
فالمعنى مثل ذلك السلك في قلوب قريش سلكناه في قلوب من اجرم لاشتراكهما في علة
السلك وهو الاجرام قال ابن عطية اراد بهم مجرمي كل امة اي ان هذه عادة الله فيهم انهم
لا يؤمنون حتى يروا العذاب حتى ينفعهم الايمان بعد تلبس العذاب بهم وعلى جهة
المثال لقريش اي هؤلاء كذلك وكشف الغيب بما تضمنته الآية يوم بدر وقال الزمخشري
فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت
موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع
بما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به انتهى وحتى يروا العذاب قيل في
الدنيا وقيل يوم القيامة وقرأ الجمهور فيأتيهم بالياء اي العذاب وقرأ الحسن وعيسى
بالتاء انث على معنى العذاب لانه العقوبة اي فتأتيهم العقوبة كما قال اتته كتابي
فلما سئل قال اوليس بصحيفة وقال الزمخشري فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وقال ابو الفضل
الرازي انث العذاب لاشتماله على الساعة فاكتسى منها التأنيث وذلك لانهم كانوا
يسألون عذاب القيامة تكذيبا بها فلذلك انث انتهى ولا يكتسي المذكر من المؤنث تأنيثا
الا ان كان مضافا اليه نحو قطعت اهل اليمامة وقطعت بعض اصابعه وشرقت صدر
القناة فليس كذلك وقرأ الحسن بغتة بفتح الغين فتأتيهم بالتاء من فوق يعني
الساعة وقال الزمخشري فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فتأتيهم بغتة قلت
ليس المعنى يراد برؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى
ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد
منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول
ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد
عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة
مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع هذا في هذا الاسلوب
فيحل موقعه انتهى فيقولوا اي كل امة معذبة هل نحن منظرون اي مؤخرون وهذا
على جهة التمني منهم والرغبة حيث لا ينفع الرغبة ثم رجع لفظ الآية الى توبيخ قريش

علي استعجالهم عذاب الله في قولهم سقوط السما كسفا وغير ذلك وقولهم للرسول ائتنا بما تعدنا به وقال الزمخشري افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكاره وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزا واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم انتهى وقيل اتبع قوله فتاتيهم بغتة بان يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة فيقولوا هل نحن منظرون كما يستغيث اليه المرء عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا ملجا لكنهم يقولون ذلك استرواحا وقيل يطلبون الرجعة حين يبغتهم عذاب الساعة فلا يجابون اليها افرايت ان متعناهم سنين خطاب للرسول باقامة الحجة عليهم في ان مدة الارجا والامهال والاملا لا تغني اذا نزل العذاب بعدها وقال عكرمة سنين عمر الدنيا انتهى وتقرر في علم العربية ان ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني تتعدى الى مفعولين احدهما منصوب والاخر جملة استفهامية في الغالب تقول العرب ارايت زيدا ما صنع وجاهم ظاهرها تنازع ذلك اولا وتقدم الكلام على ذلك مشبعا في اوائل سورة الانعام ونقول هنا مفعول ارايت محذوف لانه متنازع على ما يوعدون ارايت وجاهم فاعمل الثاني فهو مرفوع بجاهم ويجوز ان يكون منصوبا بارايت على اعمال الاول واضمر الفاعل في جاهم والمفعول الثاني فهو مرفوع بجاهم هو قوله ما اغنى عنهم وما استفهامية اي اي شي اغنى عنهم تمتيعهم في تلك السنين التي متعوها وفي الكلام محذوف يتضمن الضمير العائد على المفعول الاول حين حل بهم اي الموعود به وهو العذاب وظاهر ما جزم به المفسرون ما اغنى ان تكون ما نافية والاستفهام قد يرد فيه مضمنا معنى النفي كقوله هل يهلك الا القوم الظالمين وجوز ابو البقا في ما ان تكون استفهاما وان تكون نافية وقرى يمتعون باسكان الميم وتخفيف التا ثم اخبر تعالى انه لا يهلك قرية من القرى الا وقد ارسل اليها من ينذرها عذاب الله ان هي عصت ولم تومن كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجمع منذرون لان من قرية عام في القرى الظالمة كانه قيل وما اهلكنا القرى الظالمة والجملة من قوله لها منذرون في موضع الحال من قرية والاعراب ان يكون لها في موضع الحال وارتفع منذرون بالمجرور والا كان لها منذرون فيكون من مجي الحال مفردا لا جملة ومجي الحال من المنفي كقولك ما مررت باحد الا قائما فصيح وقال الزمخشري فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم انتهى وقد قدرنا لها منذرون جملة ولم يجز ان يجي صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجي الصفة بعد الا معتمدة على اداة الاستثنا نحو ما جاني احد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل اي الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب تقول ما مررت باحد الا قائما ولا يحفظ من كلامها ما مررت باحد الا قائم فلو كانت الجملة في موضع الصفة للنكرة لورد المفرد بعد الا صفة لها فان كانت الصفة غير معتمدة على الادات جات الصفة بعد الا نحو

ماجاني

ما جاني احد الا زيد خير من عمرو والتقدير ما جاني احد خير من عمرو الا زيد واما كون الواو تزاد لتاكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في كلام النحويين فلو قلت جاني رجل وعاقل على ان يكون وعاقل صفة لرجل لم يجز وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر واما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه في موضعه وذكرى منصوب على الحال عند الكسائي وعلى المصدر عند الزجاج فعلى الحال اما ان يقدر ذوي ذكرى او مذكرين وعلى المصدر فالعامل منذرون لانه في معنى مذكرون ذكرى اي تذكرة واجاز الزمخشري في ذكرى ان يكون مفعولا له قال بمعنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة وان تكون مرفوعة صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها واجاز هو وابن عطية ان تكون مرفوعة على خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية قال الزمخشري ووجه اخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول وهذا لا معول عليه لان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة نحو ما مررت باحد الا زيدا خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه الثلاثة فلا يجوز ان يتعلق باهلكنا ويتخرج جواز ذلك على مذهب الكسائي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعرا يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون كان مشركوا قريش يقولون ان لمحمد تابعا من الجن يخبره كما تخبر الكهنة فنزلت والضمير في به يعود على القران بل نزل به الروح الامين وقرا الحسن الشياطون وتقدمت في البقرة وقد ردها ابو حاتم والفرا قال ابو حاتم هي غلط منه او عليه وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين وقال المهدوي هو غير جائز في العربية وقال الفرا غلط الشيخ ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقراها الا وقد سمعا فيه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من ورائها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراة الحسن انتهى ووجهت هذه القراة بانه لما كان اخره كاخر يبرين وفلسطين فكما اجري اعراب هذا على النون تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون اجري ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا الشياطين والشياطون وقال ابو فيد مورج السدوسي ان كان اشتقاقه من شاط اي احترق يشيط

شوطه كانه لولا تماد وصه قيل ووجهها ان بنا المبالغة منه شياط ووصفه الشياطون بخفف التا
وقد روي عنهما التشديد وتنزله بمرهما انتهى وقرا الاعمش الشياطون كما قراه الحسن وابن
السميقع فهولا الثلاثة من نقلة القران قروا ذلك ولا يمكن ان يقال غلطوا لانهم من
العلم ونقل القران بمكان وما احسن ما ترتب نفي هذه الجمل نفي اولا تنزيل الشياطين به
والنفي في الغالب يكون في الممكن وان كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقران
ثم نفي انبغاء ذلك والصلاحية اي ولو فرضنا الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفي قدرتهم
على ذلك وانه مستحيل في حقهم التنزل به فارتقى من نفي الامكان الى نفي الصلاحية
الى نفي القدرة والاستطاعة وذلك مبالغة مترتبة في نفي تنزيلهم به ثم علل
انتفا ذلك عن استماع كلام اهل السما مرجومون بالشهب ثم قال تعالى فلا تدع
مع الله الها اخر والخطاب في الحقيقة للسامع لانه تعالى قد علم ان ذلك لا يمكن
ان يكون من الرسول عليه السلام ولذلك قال المفسرون المعنى قل يا محمد لمن
كفر لا تدع مع الله الها اخر ثم امره تعالى بانذار عشيرته والعشيرة تحت
الفخذ وفوق الفصيلة ونبه على العشيرة وان كان مامورا بانذار الناس
كافة كما قال ان انذر الناس لان في انذاره وهم عشيرته كما بالة ولطفا بهم
وانهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والانذار فاذا كانت القرابة
قد خوفوا وانذروا مع ما يلحق الانسان في حقهم من الرافة كان غيرهم في
ذلك وكذا اولا وان البداة تكون بمن يليه ثم من بعده كما قال قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار وكما قال عليه السلام حين دخل مكة كل ربا في الجاهلية
موضوع تحت قدمي هاتين فاول ما اضعه ربا العباس اذ العشير مظنة
الطواعية ويمكنه من الغلظة عليهم ما لا يمكنه مع غيرهم وهم له اشد احتمالا
وامتثل صلى الله عليه وسلم ما امره به ربه من انذار عشيرته فنادى الاقرب
فالاقرب فخذا وروي عنه في ذلك احاديث واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين تقدم الكلام على هذه الجملة في اخر الحجر وهو كناية عن التواضع
وقال بعض الشعرا وانت الشهير بخفض الجناح ❊ فلا تك في رفعه اجدلا ❊ نهاه عن
التكبر بعد التواضع والاجدل الصقر ومن المومنين عام في العشيرة وغيرهم ولما كان
الانذار يترتب عليه اما الطاعة واما العصيان جا التقسيم عليهما فكان المعنى من
اتبعك مومنا فتواضع له فلذلك جا فيه فان عصوك فتبرا منهم ومن اعمالهم وفي هذا
موادعة نسختها اية السيف والظاهر عود الضمير المرفوع في عصوك على من امر بانذارهم
وهم العشيرة والذي برئ منه هو عبادتهم الاصنام واتخاذهم الها اخر وقيل الضمير
يعود على من اتبعه من المومنين اي فان عصوك يا محمد في الاحكام وفروع الاسلام
بعد تصديقك والايمان بك فقل اني بري مما تعملون لا منكم اي اظهر عدم رضاك بعملهم
وانكارك عليهم ولو امره بالبراة منهم ما بقي بعد هذا شفيعا للعصاة ثم امره تعالى
بالتوكل وقرا نافع وابن عامر وابو جعفر وشيبة فتوكل بالفا وباقي السبعة بالواو
وناسب الوصف بالعزيز وهو الذي لا يغالب وبالرحيم وهو الذي يرحمك وهاتان
الصفتان هما اللتان جاتا في اواخر قصص هذه السورة فالتوكل على من هو يقدر المومنين
كافيه شر من يقصده من هولا وغيرهم فهو يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته والتوكل
هو تفويض الامر الى من يملك الامر ويقدر عليه ثم وصف بانه الذي اتى منه مرائي وذلك

رحمته

رحمته بك ان اهلك لعبادته دما تفعله من تهجدك واكثر المفسرين منهم ابن عباس على ان
المعنى حين تقوم الى الصلاة وقرا الجمهور وتقلبك مصدر تقلب وعطفا على الكاف
في يراك وقرا جناح بن حبيش ويقلبك مضارع قلب مشددا عطفا على يراك وقال مجاهد وقتادة
في الساجدين في المصلين وقال ابن عباس في اصلاب ادم ونوح وابراهيم حتى خرجت وقال
عكرمة يراك قائما وساجدا وقيل معنى تقوم تخلو بنفسك وعن مجاهد ايضا المراد تقلب
بصرك فيمن يصلي خلفه كما قال اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلفي وفي
الوجيز لابن عطية ظاهر الاية انه يريد قيام الصلاة ويحتمل ان يريد ساير التصرفات
وهو قول مجاهد وقتادة وفي الساجدين اي صلاتك مع المصلين قال ابن عباس
وعكرمة وغيرهما وقال ابن عباس ايضا وقتادة اراد وتقلبك في المومنين فعبر عنهم
بالساجدين وقال ابن جبير اراد الانبياء اي تقلبك كما تقلب غيرك من الانبياء وقال الزمخشري
ذكر ما كان تفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من
اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكى
انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى
ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم
بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس
جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن
مقاتل انه سال ابا حنيفة هل تجد الصلاة في الجماعة في القران فتلا هذه الاية ويحتمل انه لا يخفى
عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انتهى انه هو السميع لما تقوله
العليم لما تنويه وتعمله وذهبت الرافضة الى ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مومنين
واستدلوا بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين قالوا فاحتمل الوجوه التي ذكرت واحتمل ان يكون
المراد انه تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل
الاية على الكل ضرورة لانه لا منافاة ولا رجحان وبقوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب
الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس
وبما قرر وانه قال ابراهيم لابيه ازر فلفظ الاب قد يطلق على العم كما قالوا ابا يعقوب لنعبد
الهك واله ابايك ابراهيم واسمعيل واسحاق فسموا اسماعيل ابا مع انه كان عما قل هل انبيكم
اي قل يا محمد هل اخبركم وهذا استفهام توقيف وتقرير وعلى من متعلق بتنزل والجملة
المتضمنة معنى الاستفهام في موضع نصب لانبيكم لانه معلق لانه بمعنى اعلمكم فان قدرتها
متعدية لاثنين كانت سدت مسد المفعول الثاني وان قدرتها متعدية لثلاث كانت
سدت مسد الاثنين والاستفهام اذا علق عنه العامل لا يبقى على حقيقة الاستفهام وهو الاستعلام
بل يوول معناه الى الخبر الا ترى ان قولك علمت ازيد في الدار ام عمرو كان المعنى علمت
احدهما في الدار ام عمرو وكان المعنى علمت احدهما في الدار فليس المعنى انه صدر منه علم
ثم استعلم المخاطب عن تعيين من في الدار من زيد وعمرو فالمعنى هنا هل اعلمكم من تنزل الشياطين
عليه لانه استعلم المخاطبين عن الشخص الذي تنزل الشياطين عليه ولما كان المعنى هذا جا
الاخبار بعده بقوله تنزل على كل افاك اثيم كانه قال هل اخبركم بكذا قيل له اخبر فقال تنزل
على كل افاك اثيم وهو الكثير الافك وهو الكذب اثيم كثير الاثم فافاك اثيم صيغتا مبالغة
والمراد الكهنة والمتنبي يلقون يحتمل ان يعود الى الشياطين اي ينصتون ويصغون
باسماعهم ليسترقوا شيئا مما تتكلم به الملائكة حتى ينزلوا بها الى الكهنة او يلقون السمع

أي المسموع الذي يسترقونه عليه وأكثرهم أي وأكثر الشياطين الملقين كاذبون فعلى
معنى الإنصات يكون الاستيناف إخبارا وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة احتمل الاستيناف
واحتمل أن يكون حالا من الشياطين أي تنزل على كل أفاك أثيم ملقين ما سمعوا
ويحتمل أن يعود الضمير في يلقون على كل أفاك أثيم وجمع الضمير لأن كل أفاك
فيه عموم وتحته أفراد واحتمل أن يكون المعنى يلقون سمعهم إلى الشياطين ليتلقوا منهم
ما يلقونه في أسماعهم وأن يكون يلقون السمع أي المسموع من الشياطين إلى
الناس وأكثرهم أي الكهنة كاذبون كما جاء أنهم يتلقون من الشياطين
الكلمة الواحدة التي سمعت من السماء فيخلطون معها مائة كذبة فإذا صدقت
تلك الكلمة كانت سبب ضلالة لمن سمعها وعلى كون الضمير عائدا على كل أفاك احتمل
أن يكون يلقون استينافا إخبارا عن الأفاكين واحتمل أن يكون صفة لكل أفاك
ولا تعارض بين قوله لكل أفاك وبين قوله وأكثرهم كاذبون لأن الأفاك
هو الذي يكثر الكذب ولا يدل على ذلك أنه لا ينطق إلا بالإفك فالمعنى
أن الأفاكين من صدق منهم فيما يحكي عن الجن فأكثرهم مفتر قاله الزمخشري
فإن قلت وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على
من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات قلت أريد التفريق بينهن بآيات
ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك
على أن المعنى الذي نزلت فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لها ومثاله أن يحدث
الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك
عن الرجوع إليه انتهى ولما ذكر الكهنة بإفكهم الكثير وحالهم المقتضية نفي كلام
القرآن إذ كان بعض الكفار قالوا في القرآن أنه شعر كما قالوا في الرسول أنه كاهن
وأن ما أتى به هو من باب الكهانة كما قال تعالى وما هو بقول كاهن وقال وما هو
بقول شاعر قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون قيل هي في أمية بن أبي الصلت وأبي عزة
ومسافع الجمحي وهبيرة بن أبي وهب وأبي سفيان بن الحرث وابن الزبعرى وقد
أسلم ابن الزبعرى وأبو سفيان والشعراء عام يدخل فيه كل شاعر والمذموم من يهجو ويمدح
شهوة محرمة ويقذف المحصنات ويقول الزور وما لا يسوغ شرعا وقرأ عيسى والشعراء
نصبا على الاشتغال والجمهور رفعا على الابتداء والخبر وقرأ السلمي بخلاف عنه
ونافع يتبعهم مخففا وباقي السبعة مشددا وسكن العين الحسن وعبد الوارث عن
أبي عمرو وروى هرون نصبها عن بعضهم وهو شكل والغاوون قال ابن عباس
الرواة وقال أيضا المستحسنون لأشعارهم المصاحبون لهم وقال عكرمة الرعاع
الذين يتبعون شعراءهم ألم تر أنهم في كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم في كل شعب من
القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه
حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا
التقي وقال ابن عباس هو بتقبيحهم الحسن وتحسينهم القبيح وأنهم يقولون ما لا
يفعلون وذلك لغلوهم في أفانين الكلام وتبجحهم بالفصاحة يدعون
لأنفسهم ما لا يقع منهم وقد درأ الحد في الخمر عمر بن الخطاب عن النعمان بن عدي
في شعر قاله لزوجته حين احتج عليه بهذه الآية وكان عمر ولاه ميسان
فعزله وأراد أن يحده والفرزدق بن عبد الملك فبتن كأنهن مصرعات

وبت

وبت أفض أغلاق الختام فقال له سليمان لقد وجب عليك الحد وقال لقد درأ الله عني
الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف أحوال
النبوة إذ أمرهم كما ذكر من اتباع الغواة لهم وسلوكهم أفانين الكلام بالمدح للشيء وذمه
ونسبة ما لا يقع منهم إليهم وذكر أنهم وذلك بخلاف حال النبوة فإنها طريقة واحدة
لا يتبعها إلا الراشدون ودعوة الأنبياء واحدة وهي الدعاء إلى توحيد الله وعبادته
والترغيب في الآخرة والصدق هذا مع أن ما جاؤا به لا يمكن أن يجيء بمثله غيرهم من ظهور
المعجز ولما كان ما سبق ذما للشعراء استثنى منهم من اتصف بالإيمان والعمل الصالح
والإكثار من ذكر الله وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا نظموا شعرا كان في
توحيد الله والثناء عليه وعلى رسوله وصحبه والموعظة والزهد والآداب الحسنة
وتسهيل علم وكل ما يسوغ القول فيه شرعا فلا يتلطخون في قوله بذنب ولا منقصة
والشعر باب من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وقال رجل علوي لعمرو بن عبيد إن صدري
ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا بأس به وقيل المراد بالمستثنين حسان وعبد الله
ابن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عليه السلام لكعب بن مالك اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل
وقال لحسان قل وروح القدس معك وهذا معنى قوله وانتصروا أي بالقول فيمن ظلمهم
وقال عطا بن يسار وغيره لما نزل الشعراء يتبعهم الغاوون الآية شق ذلك على حسان وابن
رواحة وكعب بن مالك وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الاستثناء
بالمدينة وخص بعد قوله وذكروا الله كثيرا فقال أي في شعرهم وقال ابن عباس في
كلامهم وعادة كما قال لبيد حين طلب منه شعر إن الله أبدلني بالشعر القرآن خيرا
منه ولما ذكروا انتصروا من بعد ما ظلموا توعد الظالمين بهذا التوعد العظيم الهائل
الصادع للأكباد وأبهم في قوله أي منقلب ينقلبون ولما عهد أبو بكر لعمر رضي الله
عنهما تلا عليه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكان السلف الصالح يتواعظون
بها والمعهود من الشريعة أن الذين ظلموا هم الكفار وقال الزمخشري وتفسير الظلم
بالكفر تعليل ولأن ذكر بأن الذين ظلموا مطلق وهذا منه على طريق الاعتزال
وقرأ ابن عباس وابن أرقم عن الحسن أي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء ومعناه أن الذين
ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات وهو النجاة وسيعلم هنا معلقة وأي منقلب استفهام والناصب له ينقلبون
وهو مصدر والجملة في موضع المفعول لسيعلم وقال أبو البقاء أي منقلب صفة
لمصدر محذوف والعامل ينقلبون انقلابا أي منقلب ولا يعمل فيه يعلم لأن الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله انتهى وهذا تخليط لأن أيا إذا وصف بها لم تكن استفهاما بل أي
الموصوف بها قسيم لأي المنقسمة إلى الأقسام فأي تكون شرطية واستفهامية وموصولة
ووصفا وعلى مذهب الأخفش موصوفة بنكرة نحو مررت بأي معجب لك وتكون
منادة ووصلة لنداء ما فيه الألف واللام نحو يا أيها الرجل والأخفش يزعم أن أيا
في النداء موصولة ومذهب الجمهور أنها قسم برأسه والصفة تقع حالا من المعرفة
فهذه أقسام أي فإذا قلت قد علمت أي ضرب تضرب فهي استفهامية لا صفة
لمصدر محذوف الوزع أصله الكف والمنع يقال وزعه يزعه ومنه قول عثمان المفردات
رضي الله عنه ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن وقول الحسن لا بد للناس من وزعة

وقول الشاعر ومن لم يزعه لبه وحياؤه . فليس له من شيب فوديه وازع . النمل جنس
واحده نملة ويقال بضم الميم فيهما وضم النون مع ضم الميم وسمي بذلك لكثرة تنمله وهو كثرة
الحركة وقلة القرار قال النحاس . التبسم ابتداء الضحك وتفعل فيه بمعنى المجرد وهو تبسم
قال الشاعر وتبسم عن ألمى كأن منورا . تخلل حر الرمل دعص له ندا . وقال آخر
يبدي نواجذه لغير تبسم . التفقد طلب ما فقدته وغاب عنك . الهدهد طائر
معروف وتصغيره على القياس هديهد وزعم بعضهم أن ياءه أبدلت ألفا في
التصغير فقيل هداهد قال الشاعر كهداهد كسر الرماة جناحه . كما قالوا دوابة
وشرابة يريدون دويبة وشويبة . سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وهو ينصرف ولا ينصرف إذا أريد اسم الحي أو القبيلة أو البقعة التي سميت
باسم الرجل . الخبء الشيء المخبوء من خبأت الشيء خبأته سترته وسمي المفعول بالمصدر . الهدية
ما سيق إلى الإنسان مما يتحف به على سبيل الكرامة . العفريت والعفر والعفرية
والعفارية من الرجال المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد
قال الشاعر كأنه كوكب في إثر عفرية . مصوب في سواد الليل منقضب .
الصرح القصر أو صحن الدار أو ساحتها أو البركة أو البلاط المتخذ من القوارير
أقوال تأتي في التفسير . الساق معروف يجمع على أسوق في القلة وعلى سوق
وسوق في الكثرة وهمزه لغة . الممرد الأملس ومنه الأمرد وشجرة مرداء لا ورق
عليها . القوارير جمع قارورة وهي

سورة النمل بسم الله الرحمن الرحيم
طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون إن
الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين
لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وإنك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها
بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه
أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى
مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا
قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة لأنه قال
وما تنزلت به الشياطين وقبله وإنه لتنزيل رب العالمين وقال هنا طس تلك
آيات القرآن أي الذي هو تنزيل رب العالمين وأضاف الآيات إلى القرآن
والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم
عظيم والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو
يبينه للناظرين وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه
من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف ونكر وكتاب مبين

ليهم

ليهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله في مقعد صدق وإذا أريد به القرآن فعطفه من عطف
إحدى الصفتين على الأخرى لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة من حيث أن مدلول
القرآن الاجتماع ومدلول كتاب الكتابة وقيل القرآن والكتاب اسمان علمان على
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء
بوصف النكرة فهو الوصف وقيل هما يجريان مجرى العباس وعباس فهو في
الحالين اسم العلم انتهى وهذا خطأ إذ لو كان حالة نزع الألف منه علما ما جاز أن
يوصف بالنكرة في قوله وكتاب مبين وقرآن مبين وأنت لا تقول مررت
بعباس قائم تريد به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين برفعهما التقدير
وآيات كتاب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب بإعرابه وهنا
تقدم القرآن على الكتاب وفي الحجر عكسه ولا يظهر فرق وهذا كما تعطف الصفات في
نحو ما جاء زيد وعمرو فتارة يظهر ترجيح كقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم وتارة لا يظهر كقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا قال
يحيى بن سلام هدى إلى الجنة وبشرى بالثواب وقال الشعبي هدى من الضلال
وبشرى بالجنة وهدى وبشرى منصوبان فاحتمل أن يكونا مصدرين على
الحال أي هادية ومبشرة والعامل في الحال ما في تلك من معنى الإشارة
واحتمل أن يكونا مصدرين واحتمل الرفع في إضمار مبتدأ أي هي هدى وبشرى أو
على البدل من آيات أو على خبر بعد خبر أي جمعت بين كونها آيات وهدى وبشرى
ومعنى كونها هدى للمؤمنين زيادة هداهم قال تعالى فأما الذين آمنوا
فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقيل هدى لجميع الخلق ويكون الهدى بمعنى
الدلالة والإرشاد والتبيين لا بمعنى تحصيل الهدى الذي هو مقابل الضلال
وبشرى للمؤمنين خاصة وقيل هدى للمؤمنين وبشرى للمؤمنين وخصهم بالذكر
لانتفاعهم به وهم بالآخرة هم يوقنون تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة على
صلة الذين ولما كان يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة مما يتجدد ولا يستغرق الأزمان
جاءت الصلة فعلا ولما كان الإيمان بالآخرة مما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة جاءت
الجملة اسمية وأكدت المسند إليه فيها بتكراره فقيل وهم هم يوقنون وكان خبر المبتدأ فعلا
ليدل على الديمومة واحتمل أن تكون الجملة استئناف إخبار قال الزمخشري ويحتمل أن تتم الصلة
عنده أي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون
ويعملون الصالحات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل
عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة
حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على
تحمل المشاق انتهى قوله وتكون الجملة اعتراضية هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية
من كونها لا تقع إلا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كوقوعها بين صلة وموصول وبين
جزئي إسناد وبين شرط وجزائه وبين نعت ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه وهنا ليست
واقعة بين شيئين مما ذكر حتى صار معناها إلى آخره فيه دسيسة الاعتزال وقال ابن عطية
والزكاة هنا يحتمل أن تكون غير المفروضة لأن السورة مكية قديمة ويحتمل أن تكون المفروضة
من غير تفسير وقيل الزكاة هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأخلاق
انتهى ولما ذكر تعالى المؤمنين بالغيب ذكر المنكرين للبعث والإشارة إلى الوعيد ومن جرى

بحالهم في انكار البعث والاعمال اما ان يكون اعمال الخير والتوحيد التي كان الواجب عليهم ان يكون اعمالهم فعموا عنها وترددوا وتحيروا وذهب هذا الى الحسن البصري او اعمال الكفر والضلال فيكون تعالى قد حببه اليهم وزينه بان خلقه في نفوسهم فراوا تلك الاعمال القبيحة حسنة وقال الزمخشري فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته واسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله عليهم بذلك واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارة الملائكة بقولهم بل متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات انتهى وهو تاويل على طريق الاعتزال اولئك اشارة الى منكري البعث وسوء العذاب الظاهر انه ليس مقيدا بالدنيا بل يعمهم ذلك في الدنيا والاخرة وقيل المعنى في الدنيا وحشر بما نالهم يوم بدر من القتل والاسر والنهب وقيل بما يلاقونه عند الموت وما بعده من عذاب القبر وسوء العذاب شدته وعظمه والظاهر ان الاخسرون افعل التفضيل وذلك ان الكافر خسر الدنيا والاخرة كما اخبر عنه تعالى وهو في الاخرة اكثر خسرانا اذ مآله الى عقاب دائم واما في الدنيا فاذا اصابه بلاء فقد يزول عنه وينكشف فكثرة الخسران وزيادته انما ذلك له في الاخرة وقد ترتبت الاكثرية وان كان المسند اليه واحدا بالنسبة الى الزمان والمكان والهيئة او غير ذلك مما يقبل الزيادة وقال الكرماني افعل هنا للمبالغة لا للشركة كانه يقول ليس للمومن خسران البتة حتى يشركه فيه الكافر ويزيد عليه وقد بينا كيفية الاشتراك بالنسبة الى الدنيا والاخرة وقال ابن عطية والاخسرون جمع اخسر لان افعل صفة لا يجمع الا ان يضاف فتقوى رتبته في الاسماء وفي هذا نظر انتهى ولا نظر في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير اذا كان بال بل لا يجوز فيه الا ذلك اذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية تقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات هن الفضليات والفضل واما قوله لا يجمع الا ان يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا اضيف الى نكرة فلا يجوز جمعه وان اضيف الى معرفة جاز فيه الجمع والافراد على ما تقرر ذلك في كتب النحو ولما تقدم تلك آيات القرآن خاطب نبيه بقوله وانك اي هذا القرآن الذي تلقيته هو من عند الله تعالى وهو الحكيم العليم لا كما ادعاه المشركون من انه افك واساطير وكهانة وشعر وغير ذلك من تقولاتهم وبني الفعل للمفعول وحذف الفاعل وهو جبريل للدلالة عليه في قوله نزل به الروح الامين ولقي يتعدى الى واحد والتضعيف للتعدية تعدى به الى اثنين وكانه كان غائبا عنه فلقيه فتلقاه قال ابن عطية ومعناه يعطى كما قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وقال الحسن المعنى وانك لتقبل القرآن وقيل معناه تلقن والحكمة العلم بالامور العملية والعلم اعم منه لانه يكون عمليا ونظريا وكمال العلم بتعلقه بكل المعلومات وبقاؤه مصونا من كل التغيرات ولا يكون ذلك الا لله تعالى وهذه الآية تمهيد لما يخبر به من المغيبات وبيان

قصص

قصص الامم الخالية مما يدل على تكميته ذلك من جهة الله واعلامه بلطيف حكمته ودقيق علمه تعالى قيل وانتصب اذ باذكر مضمرة او بعليم وليس انتصابه بعليم واضحا اذ يصير الوصف مقيدا بالمعمول وقد تقدم طرف من قصة موسى عليه السلام في رحيله باهله من مدين في سورة طه وظاهر اهله انه جمع لقوله سآتيكم لعلكم تصطلون وروي انه لم يكن معه غير امراته وقيل كانت ولدت له وهو عند شعيب ولدا فكان مع امه فان صح هذا النقل كان من باب خطاب ما ليس بجمع خطاب الجمع على سبيل الاكرام والتعظيم وكان الطريق قد اشتبه عليه والوقت بارد والسري ليلا فتوقعت نفسه اذ راى النار الى زوال ما لحق من اختلال الطريق وشدة البرد فقال سآتيكم منها بخبر اي من موقدها بخبر يدل على الطريق او آتيكم بشهاب قبس اي ان لم يكن هناك من يخبر فاني اجيء بما تدفئون به فيما وهذا الترديد باو ظاهر لانه كان مطلوبه اولا ان يلقى على النار من يخبره بالطريق فانه مسافر ليس يعتسف فان لم يكن احد اجيء منهم بما يحتاجون لدفع ضرر البرد وهو ان ياتيهم بما يصطلون فليس يحتاج الى الشيئين معا بل لاحدهما الجائز ومن يخبره غير قطع او الاصطلاء لم يجد واما مقصوده اما هداية الطريق واما اقتباس النار وهو معنى قوله لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى وجا هنا سآتيكم منها بخبر وهو ظن وفي طه لعلي آتيكم منها بقبس وفي القصص لعلي آتيكم منها بخبر وهو ترج ومعنى الترجي يخالف معنى الخبر ولكن الرجا اذا قوي جاز للراجي ان يخبر بذلك وان كانت الخيبة يجوز ان تقع واتى بسين الاستقبال اما لان المسافة كانت بعيدة واما لانه قد يمكن ان يبطي لما قدر انه قد يعرض له ما يبطيه والشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة فعل بمعنى مفعول وهو القطعة من النار في عود او غيره وتقدم ذلك في طه وقرا الكوفيون بشهاب منونا فقبس بدل او صفة لانه بمعنى المقبوس وقرا باقي السبعة بالاضافة وهي قراءة الحسن قال الزمخشري اضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس واتبع في ذلك ابا الحسن قال ابو الحسن الاضافة اجود واكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب والظاهر ان الضمير في جاها عائد على النار وقيل على الشجرة وكان قد راها في شجرة خضراء ورق عليق وهي لا تحترق فيها كلما قرب منها بعدت ونودي المفعول الذي لم يسم فاعله الظاهر انه ضمير عائد على موسى عليه السلام وان على هذا يجوز ان تكون مفسرة لوجود شرط التفسير فيها ويجوز ان تكون مصدرية اما الثنائية التي تنصب المضارع ويكون صلة لها الامر فرفع الحرف الجاري بان بورك وبورك خبر واما المخففة من الثقيلة واصلها الحرف الجر وقال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره بانه بورك والضمير ضمير الشان والقصة قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهى ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وبورك فعل دعا كما تقول بارك الله فيك واذا كان دعاء لم يحتج دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى والخامسة ان غضب الله عليها في قراءة من جعله فعلا ماضيا وكقول العرب اما ان جزاك الله خيرا واما ان يغفر الله لك وكان الزمخشري بنى ذلك على ان بورك خبر لا دعا فلذلك لم يجز ان تكون مخففة من الثقيلة واجاز الزجاج ان تكون ان بورك في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله ووضع على اسقاط الخافض اي نودي بان بورك كما تقول نودي بالرخص ويجوز

أن يكون أن الثنائية أو المخففة من الثقيلة فيكون بورك دعاء وقيل المفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير النداء أي نودي هو أي النداء ثم فسر بما بعده وبورك معناه قدس وطهر وزيد خيره ويقال باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك

وقال الشاعر: فبوركت مولودا وبوركت ناشئا ٭ وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

وقال آخر: بورك الميت الغريب كما بو ٭ رك نبع الرمان والزيتون

وقال عبد الله بن الزبير: فبورك في بنيك وفي بنيهم ٭ إذا ذكروا ونحن لك الفداء

ومن الشهور أنها لم يعلم فقال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم أراد الله تعالى بمن في النار ذاته وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة إلى الله تعالى وإذا ثبت ذلك عن ابن عباس ومن ذكر أول على حذف أي بورك من قدرته وسلطانه في النار وقيل موسى عليه السلام أي بورك من في المكان أو الجهة التي لاح له فيها النار وقال السدي من الملائكة الموكلين بها وقيل من يقع هنا على ما لا يعقل فقال ابن عباس أراد النور وقيل الشجرة التي تتقد فيها النار وقيل الظاهر في ومن حولها أنه لمن يعلم تفسير موسى وقيل الملائكة ويدل عليه قراءة أبي فيما نقل أبو عمرو الداني وابن عباس ومجاهد وعكرمة ومن حولها من الملائكة وتحمل هذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه وقيل أيضا موسى عليه السلام والملائكة معا وقيل يكون لما لا يعقل وهي الأمكنة التي حول النار ويريد أن يبارك من فيها ومن حواليها إذ حدث أمر عظيم وهو تكليم الله لموسى وتنبيه وبداءه بالنداء بالبركة تبشير لموسى وتأنيس له وتعظيم لمناجاته والظاهر أن قوله وسبحان الله رب العالمين داخل تحت قوله نودي لما نودي ببركة من ذكر نودي أيضا بما يدل على التنزيه والبراءة من صفات المحدثين مما عسى أن يخطر ببال ولا سيما إن حمل من في النار على تفسير ابن عباس من أن يريد به الله تعالى فإن ذلك إن حمل على التحيز فإتيانه بما يقتضي التنزيه به وقال السدي هو من كلام موسى لما سمع النداء قال وسبحان الله رب العالمين تنزيها لله تعالى عن سمات المحدثين وقال ابن شجرة هو من كلام الله ومعناه وبورك من سبح الله وهذا بعيد من دلالة اللفظ وقيل وسبحان الله رب العالمين خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام وهو اعتراض بين الكلامين والمقصود به التنزيه ولما نبه تعالى ناداه وأقبل عليه فقال يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم والظاهر أن الضمير في إنه ضمير الشأن وأنا الله جملة في موضع الخبر والعزيز الحكيم صفتان وأجاز الزمخشري أن تكون الضمير في إنه راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للبيان انتهى وإذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف إذ قد غير الفعل عن بنائه له وعزم على أن لا يكون محدثا عنه فعود الضمير إليه مما ينافي ذلك إذ يصير معتنى به وهذا النداء والإقبال والمخاطبة تمهيد لما أراد الله تعالى أن يظهره على يديه من المعجز أي أنا القوي القادر على ما يبعد في الأوهام الفاعل ما أفعله بالحكمة وقال الزمخشري فإن قلت علام عطف قوله وألق عصاك قلت على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى

إني

إني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليه أن حج واعتمر وإن شئت أن حج وأن اعتمر انتهى وقوله إنه معطوف على بورك مناف لتقديره وقيل له ألق عصاك لأن هذه جملة معطوفة على بورك وليس جزؤها الذي هو معمول وقيل معطوف على بورك وإنما احتاج إلى تقدير وقيل له ألق عصاك ليكون الجملة طلبية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كأنه يرى في العطف تناسب المتعاطفين والصحيح أنه لا يشترط ذلك بل قوله وألق عصاك معطوف على قوله إنه أنا الله العزيز الحكيم عطف جملة الأمر على جملة الخبر وقد أجاز س جاء زيد ومن عمرو فلما رآها تهتز ثم محذوف تقديره فألقاها من يده وقرأ الحسن والزهري وعمرو بن عبيد جأن بهمزة مكان الألف كأنه فر من التقاء الساكنين وقد تقدم الكلام على نحو ذلك في قوله ولا الضالين بالهمز في قراءة عمرو بن عبيد وجاء فإذا هي حية فإذا هي ثعبان مبين وهذا إنما هو باختلاف أحوالها وتغير أوصافها وأنها ليس تغيرا في ذاتها وخلقة الحية وثعبان بل ذلك من تغيير الصفات لا تغيير الذات وهنا شبهها حالة اهتزازها بالجان وهي صغار الحيات شبهها بها في سرعة اضطرابها وحركتها مع عظم جثتها ولما رأى موسى هذا الأمر الهائل ولى مدبرا ولم يعقب قال مجاهد ولم يرجع وقال السدي لم ينتظر وقال قتادة لم يلتفت ويقال عقب الرجل توجه إلى حيث كان ولى عنه [illegible] بعقبيه ومنه عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار قال الشاعر

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ٭ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وخوفه ما لحق طبع البشرية إذ رأى الإعجاب أمرا هائلا جدا وهو ورود انقلاب العصا حية تسعى ولم يتقدمه في ذلك نطق إليه فيقيد وقيل وقال الزمخشري وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه إني لا يخاف لدي المرسلون انتهى وقال ابن عطية وناداه الله تعالى مؤنسا ومقويا على الأمر يا موسى لا تخف فإن رسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيري فأخذ موسى الحية فرجعت عصا ثم صارت له عادة انتهى وقيل المعنى لا يخاف المرسلون في الموضع الذي يوحى إليهم فيه وهم أخوف الناس من الله وقيل إذا أمرتهم بإظهار معجز ينبغي أن لا يخافوا فيما يتعلق بإظهار ذلك فالمرسل يخاف الله لا محالة انتهى والأظهر أن قوله إلا من ظلم استثناء منقطع والمعنى لكن من ظلم غيرهم قاله الفراء وجماعة لأن الأنبياء معصومون من وقوع الظلم الواقع من غيرهم ومن الفراء أنه استثناء متصل من جملة محذوفة والتقدير وإنما يخاف غيرهم إلا من ظلم ورده النحاس وقال الاستثناء من محذوف محال لو جاز هذا لجاز إنه نضرب القوم إلا زيدا بمعنى وإنما أضرب غيرهم إلا زيدا وهو ضد البيان والمجيء بما لا يعرف معناه انتهى وقالت فرقة إلا بمعنى الواو والتقدير ولا من ظلم وهذا ليس بشيء لأن معنى إلا باين لمعنى الواو ومباينة كثيرة إذ الواو للإدخال وإلا للإخراج فلا يمكن وقوع أحدهما موقع الآخر وروي عن الحسن ومقاتل وابن جريج والضحاك ما يقتضي أنه استثناء متصل قال ابن عطية وأجمع العلماء على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل واختلف فيما عداها فعسى أن يشير الحسن وابن جريج إلى ما عدا ذلك انتهى

وقال الزمخشري والاصبهاني لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن المرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة
فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما لا يجوز على الانبيا
كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزه
القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى وهو من التعريضات
التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انتهى
وقرا ابو جعفر وزيد بن اسلم الا من ظلم بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف
استفتاح ومن شرطية والحسن حسنى التوبة والسو الظلم الذي له تكبه وقرا
الجمهور حسنا بضم الحا واسكان السين منونا وقرا محمد بن عيسى الاصبهاني
كذلك الا انه لم ينون جعله فعلى فامتنع الصرف وابن مقسم بضم الحا والسين
منونا ومجاهد وابو حيوة وابن ابي ليلى والاعمش وابو عمرو في رواية
الجعفي وابي زيد وعصمة وعبد الوارث وهرون وعياش بفتحهما منونا
وادخل امر مما ترتب عليه من ظهور المعجز العظيم لما اظهر له معجزا في غيره وهو
العصا اظهر له معجزا في نفسه وهو تلالو يده كانها قطعة نور اذا اخرجها
وجواب الامر الظاهر انه تخرج لانه جعل خروجها مرتبا على ادخالها وقيل في الكلام
حذف تقديره وادخل يدك في جيبك تدخل واخرجها تخرج فحذف من الاول
ما اثبت مقابله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مقابله في الاول قال قتادة
في جيبك في جيبك كانت له مدرعة من صوف لا كمين لها وقال ابن عباس
ومجاهد كان كمها الى بعض يده وقال السدي في جيبك اي تحت ابطك والظاهر
ان قوله في تسع ايات الى فرعون متعلق بمحذوف تقديره اذهب بهاتين
الايتين في تسع ايات الى فرعون ويدل عليه قوله بعد فلما جاتهم اياتنا
مبصرة وهذا الحذف مثل قوله

اتو ناري فقلت منون انتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
وقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

التقدير هلموا الى الطعام وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك
وادخل يدك في تسع ايات اي في جملة تسع ايات ولقايل ان يقول كانت الايات
احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
انتهى فعلى الاول تكون العصا واليد داخلتين في التسع وعلى الثاني تكون
في بمعنى مع اي مع تسع ايات وقال ابن عطية في تسع ايات متصل بقوله
الق وادخل وفيه اقتضاب وحذف تقديره نمهد لك ذلك ونيسر لك في جملة
تسع ايات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس والحجر وفي هذين الاخيرين اختلاف والمعنى يجي بهن الى فرعون وقومه
وقال الزجاج في تسع ايات اي من تسع ايات كما تقول خذ لي من الابل عشرا فيها
فحلان اي منها الى فرعون اي مرسلا الى فرعون انتهى وانتصب مبصرة
على الحال اي بينة واضحة ونسب الابصار اليها على سبيل المجاز ولما كان يبصر بها
جعلت مبصرة او لما كان فيها الابصار والوضوح وقيل المعنى ابصرها قوله
مبصرة المتعدية بهمزة النقل من بصر فهو فاعل بمعنى مفعول كما دافق

وقرا

وقرا قتادة وعلي وابن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهي مصدر كما تقول الولد مجبنة اقيم
مقام الاسم وانتصب ايضا على الحال وكثر هذا الوزن في صفات الاماكن نحو ارض مسبعة
ومكان مضبة قال الزمخشري اي مكانا يكثر فيه التبصر انتهى والابلغ في واستيقنتها انفسهم
في الباطن انها ايات من عند الله وكابروا وسموها سحرا وقال ابن عطية عن موسى في
محاورته لفرعون قال لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض بصاير ظلما
مما ورد الحد وعلوا ارتفاعا وتكبرا عن الايمان وانتصبا على انهما مصدران في موضع
الحال اي ظالمين متعالين او مفعولا من اجلهما اي الحامل لهم ظلمهم وعلوهم اي الحامل لهم
على الانكار والجحود مع استيقان انها ايات من عند الله هو الظلم والعلو واستفعل
هنا بمعنى تفعل نحو استكبر في معنى تكبر وقرا عبد الله وابن وثاب والاعمش
وطلحة وابان بن تغلب وعليا بقلب الواو يا وكسر العين واللام واصله فعول لكنهم
كسروا العين اتباعا وروي ضمها عن ابن وثاب والاعمش وطلحة وتقدم الخلاف في كسر
العين هل يجوز ان تتبع ام لا والعاقبة ما ال اليه قوم فرعون من سو المنقلب وما
اعد لهم في الاخرة اشد وفي هذا تمثيل لقريش اذ كانوا مفسدين مستعلين وتحذير لهم
ان يحل بهم ما حل بمن كان قبلهم ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وورث سليمان داود وقال
يايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين
وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا
على واد النمل قالت نملة يايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين هذا ابتدا قصص
واخبار بمغيبات ونكر علما لانه طايفة من العلم وقال قتادة علما فهما وقال مقاتل
علما بالقضا وقال ابن عطية علما بالله تعالى وقال الزمخشري وعلما سنيا عزيزا ونالا قال
فان قلت اليس هذا موضع الفا دون الواو كقوله اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت
بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتا العلم وشي من
مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه
وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله والكثير المفضل عليه من لم يوت علما
او من لم يوت مثل علمهما وفي الاية دليل على شرف العلم انتهى والوراثة الملك والنبوة
بمعنى صار ذلك اليه بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا كما قيل العلما ورثة الانبيا
وحقيقة الميراث في المال والانبيا لا تورث مالا وكان لداود تسعة عشر ولدا ذكرا
فنبي سليمان من بينهم وملك وقيل ولاه على بني اسرايل في حياته من بين سائر اولاده
فكانت الولاية في معنى الوراثة وقال الحسن ورثه المال لان النبوة عطية
مبتدأة لا تورث وقيل الملك والسياسة وقيل النبوة فقط والاظهر القول الاول
ويويده قوله علمنا منطق الطير فهذا يدل على النبوة واوتينا من كل شي
من هذا وراثة المال وقوله يايها الناس تشهير لنعمة الله وتنويه بها
واعتراف بمكانها ودعا الناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق
الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظايم الامور ومنطق الطير استعارة لما

يسمع شيئا من الاصوات وهو حقيقة في بني ادم لما كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بني ادم كما يفهم
بعض الطير من بعض اطلق عليه منطق وقيل كانت الطير معجزة له كقصة الهدهد والظاهر انه
علم منطق الطير وعموم الطير وقيل علم منطق الحيوان قيل والنبات حتى كان لا يمر على شجر فتذكر
له منافعها ومضارها وانما نص على الطير لانه كان جندا من جنوده يحتاج اليه في التظليل
من الشمس وفي البعث في الامور وقال قتادة والشعبي وكذلك كانت هذه النملة القائلة
ذات جناحين واورد المفسرون مما ذكروا ان سليمان عليه السلام اخبر عن كثير من
الطير بانواع من الكلام بتقديس الله تعالى وعظات وغيرها الله اعلم بصحته واوتينا
من كل شي ظاهره العموم والمراد الخصوص اي من الاشياء التي تصلح لنا ونتمناه واريد به كثرة
ما اوتي فكانه مستغرق لجميع الاشياء كما يقول فلان يقصده كل احد يريد كثرة قصاده
وهذه كقوله تعالى في قصة بلقيس واوتيت من كل شي وبني علمنا واوتينا للمفعول
وحذف المفعول للعلم به وهو الله تعالى وكانا مسندين لنون العظمة لا لنون المتكلم
لانه اما ان اراد نفسه واباه او لما كان ملكا مطاعا خاطب اهل طاعته ومملكته
على الحالة التي هو عليها لا على سبيل التعاظم والتكبر ان هذا لهو الفضل المبين اقرار
بالنعمة وشكر لها ومحمدة روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مثلها خمسة وعشرون
للجن ومثلها للانس ومثلها للطير ومثلها للوحش والف بيت من قوارير على
الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ ومنبره في وسطه من ذهب فيقعد عليه وحوله
ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الفضة وحولهم
الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس
وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وتفصيل هذه الاشياء يحتاج الى صحة
نقل او كان ملكه عظيما ملك الارض وانقاد له المعمور منها وتقدم لنا انه ملك
الارض باسرها اربعة مومنان سليمان وذو القرنين وكافران بخت نصر
ونمرود وحشر الجنود يقتضي سفرا وفسر الجنود بانه من الجن والانس والطير وذكر
المفسرون الوحش رابعا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف
متقدموا العسكر حتى ياتي اخرهم فيجتمعون لا يتخلف منهم احد وذلك
لكثرة العظيمة او ليكونوا على المرحى يجتمعوا ولئلا يجتمعون من كل جهة وقيل
يساقون وقيل يدفعون وقيل يحبسون وكانت الجيوش تسير معه اذا سار وتنزل
اذا نزل حتى اذا اتوا هذه غاية لما قبلها اي فساروا حتى اذا اتوا ويصح ان يوزعون
معنى فعل يقتضي ان تكون غاية له اي فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة
بعض حتى اذا اتوا وعدي اتوا بعلى اما لان اتيانهم كان من فوق واما ان يراد قطع الوادي وبلوغ
اخره من قولهم اتى على الشي اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند
منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم قاله الزمخشري وقال
ابن عطية والظاهر ان سليمان وجنوده كانوا ماشاة في الارض وكذلك تهيا حطم
النمل بنزولهم في وادي النمل ويحتمل انهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح واحست
النمل بنزولهم في وادي النمل قيل بالشام وقيل باقصى اليمن وهو معروف عند
العرب مذكور في اشعارها وقال كعب وادي السدير من الطايف والظاهر
صدور القول من النملة وفهم سليمان كلامها كما فهم منطق الطير قالت نملة

من ثلاثة

من ثلاثة اميال وقال الضحاك بلغت الريح كلامها وقال ابن بحر نطقت بالصوت معجزة
لسليمان ككلام الصبي والذراع المسموم وقيل فهمه الهاما من الله لما فهمه جنس
النمل لانه سمع قولا وقال الكلبي اخبره ملك بذلك وقال جرير
٥ لو كنت اوتيت كلام الحكل ٥ علم سليمان كلام النمل ٥ والحكل ما لا يسمع صوته
وذكروا اختلافا في صغر النملة وكبرها وفي اسمها العلمي من لفظه وليت شعري
من الذي وضع لها لفظا يخصها ابنو ادم ام النمل وقالوا كانت نملة عرجا تحوف
الثاني قالت لا يدل على ان النملة مونث بل يصح ان يقال في المذكر قالت نملة لان
نملة وان كانت بالتاء فهو مما لا يميز فيه المذكر من المونث وما كان كذلك
كالنملة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده من الحيوان تاء التانيث انه يخبر
عنه اخبار المونث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المونث على انه ذكر او انثى لان التا
دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا
الجنس وقال الزمخشري وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن
نملة سليمان كانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له
من اين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا
لقال قال نملة قال الزمخشري وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على
الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي
انتهى وكان قتادة بن دعامة السدوسي بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على
معرفته باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المونث وان كانت تنطلق
على الانثى والذكر اذ هو مما لا يتميز فيه احد هذين فتذكيره وتانيثه
من كتاب الله من قوله قالت لا يصح ذلك من الحال الملازمة للفعل فتوقف ان لا يعلم
ذلك الا بوحي من الله واما استنباط تانيثه من كتاب الله من قوله قالت نملة ولو كانت
ذكرا لقال قال نملة وكلام النحاة على خلافه وانه لا يخبر عنه الا اخبار المونث سواء
كان ذكرا ام انثى واما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة فبينهما
قدر مشترك وهو اطلاقهما على المذكر والمونث وبينهما فرق وهو ان
الحمامة والشاة يتميز فيهما المذكر من المونث فيمكن ان تقول حمامة ذكر وحمامة
انثى فتميز بالصفة واما تمييزه بهو وهي فانه لا يجوز ان تقول هو حمامة ولا هو الشاة واما
النملة والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المونث فلا يجوز فيه في الاخبار الا التانيث
وحكمه حكم المونث بالتاء من الحيوان العاقل نحو المراة او غير العاقل كالدابة الا
ان وقع فصل بين الفعل وبين ما اسند اليه من ذلك فيجوز ان يلحق العلامة الفعل
ويجوز ان لا يلحق العلامة الفعل على ما قرر ذلك في باب الاخبار عن المونث في
علم العربية وقرا الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمان وابو سليمان التيمي نملة بضم
الميم كسمرة وكذلك النمل كالرجل والرجل لغتان وعن سليمان التيمي بضم النون
والميم وجاء الخطاب بالامر كخطاب من يعقل في قوله ادخلوا وما بعده لانها امرت
النمل كامر من يعقل وصدر من النمل الامتثال لامرها وقرا شهر بن حوشب
مسكنكم على الافراد وعن ابي ادخلن مساكنكن لا يحطمنكن بخففة النون
التي قبل الكاف وقرا الحسن وابو رجا وقتادة وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي

وينوح العامي بضم اليا وفتح الحا وشد الطا والنون مضارع حطم مشددا وعن الحسن بفتح
اليا واسكان الحا وشد الطا وعنه كذلك مع كسر الحا واصله يحتطمنكم من الاحتطام وقرا
ابن ابي اسحاق وطلحة ويعقوب وابو عمرو في رواية عبيد كقراة الجمهور الا انهم
سكنوا نون التوكيد وقرا الاعمش بحذف النون وجزم الميم والظاهر ان قوله
لا يحطمنكم بالنون خفيفة او شديدة نهي مستانف وهو من باب لا اريننك هاهنا
نهيت غير النمل والمراد النمل اي لا تكونوا بارض الوادي فيحطمكم ولا تكن هنا
فاراك وقال الزمخشري فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا
للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه لانه في معنى
لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا اريننك هاهنا اراد لا يحطمنكم جنود
سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها انتهى اما تخريجه
على انه جواب الامر فلا يكون ذلك الا على قراءة الاعمش اذ هو مجزوم مع انه يحتمل ان يكون
استئناف نهي واما مع وجود نون التوكيد فانه لا يجوز ذلك الا ان كان في الشعر
واذا لم يجز ذلك في جواب الشرط الا في الشعر فاحرى ان لا يجوز في جواب الامر
الا في الشعر وكونه جواب الامر متنازع على ما قرر في النحو ومثال مجي نون
التوكيد في جواب الشرط قول الشاعر نبتم نبات الخيزراني في الثرى
حديثا متى ما ياتك الخير ينفعا وقول الاخر فمهما تشا منه فزارة تعطكم
ومهما تشا منه فزارة تمنعا قال س وهو قليل في الشعر شبهوه بالنهي حيث
كان مجزوما غير واجب انتهى وقد تنبه ابو البقاء لشي من هذا فقال وقيل هو جواب
الامر وهو ضعيف لان جواب الشرط لا يوكد بالنون في الاختيار واما تخريجه على البدل
لا يجوز لانه مدلول لا يحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا واما قوله لانه في معنى لا تكونوا
حيث انتم فيحطمنكم فهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب والبدل صفة الالفاظ نعم لو كان
اللفظ القراني لا تكونوا حيث انتم لا يحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول المساكن
نهي عن كونهم في ظاهر الارض واما قوله انه اراد لا يحطمنكم جنود سليمان الى اخره فممنوع
زيادة الاسما وهو لا يجوز بل الظاهر اسناد الحطم اليه والى جنوده وهو على
حذف مضاف اي خيل سليمان وجنوده او نحو ذلك مما يصح تقديره وهم
لا يشعرون جملة حالية اي ان وقع حطم فليس ذلك بتعمد منهم انما يقع وهم
لا يعلمون بحطمنا كقوله فتصيبكم منهم معرة بغير علم وهذا التفات حسن اي
من عدل سليمان واتباعه ورحمته ورفقه ان لا يحطم نملة فما فوقها الا بان
لا يكون لهم شعور بذلك وما احسن ما اتت به هذه النملة من قولها واعربه
وافصحه واجمعه للمعاني ادركت بحاكمة ملك سليمان فنادت وامرت وانذرت
وذكروا انه جرى بينها وبين سليمان محاورات واهدت له نبقة وانشدوا
ابياتا في ذلك تضمنها يهدى الى العظيم والاعتذار من ذلك ودعا سليمان للنمل بالبركة
فالله اعلم بصحة ذلك وافتعاله والنمل حيوان قوي الحس شمام جدا يدخر القوت
ويشق الحبة بقطعتين لئلا تنبت والكزبرة باربع لانها اذا قطعت قطعتين
انبتت وتاكل في عامها نصف ما تجمع وتدخر الباقي عدة وفي الحديث النهي
عن قتل اربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه ابو
داود عن ابن عباس وروي من حديث ابي هريرة ونبي سليمان عليه السلام

اما للعجب بما دل عليه قولها وهم لا يشعرون وهو ادراكها رحمته وشفقته ورحمة عسكره واما
للسرور بما اتاه الله مما لم يوت احدا وهو ادراكه قول ما همس به الذي هو مثل في
الصغر ولذلك دعا بان يوزعه الله شكر ما انعم به عليه وانتصب ضاحكا على الحال اي
شارعا في الضحك ومتجاوزا حد التبسم الى الضحك ولما كان التبسم يكون للاستهزا
وللغضب كما يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئ وكان
الضحك انما يكون للسرور والفرح اتى بقوله ضاحكا وقرا ابن السميفع ضحكا
جعله مصدرا لان تبسم في معنى ضحك فانتصابه به على المصدرية او على
انه مصدر في موضع الحال فيكون كقراة ضاحكا وقال رب اوزعني اي
اجعلني ازع شكر نعمتك والفه وارتبطه حتى لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا
لك وقال ابن عباس اوزعني اجعلني اشكر وقال ابن زيد حرضني وقال
ابو عبيدة اولعني وقال الزجاج امنعني عن الكفران وقيل الهمني الشكر
وادرج ذكر نعمة الله على والديه في ان شكرها كما شكر نعمة الله على نفسه
مما يجب للوالد على الولد من الدعا لهما والبر بهما ولا سيما اذا كان الولد نبيا ثم صالحا
فان والديه ينتفعان بدعائه ويدعا المومنين لهما بسببه كقولهم رحم الله من
خلفك رضي الله عنك وعن والديك ولما سال ربه خاصا وهو شكر النعمة
سال شيئا عاما وهو ان يعمل عملا يرضاه الله تعالى فاندرج فيه شكر النعمة
فكان سوالا اي تام الشكر مرتين ثم دعا بالحاق بالصالحين قال ابن زيد هم
الانبيا والمومنون وكذا عادة الانبيا ان يطلبوا جعلهم من الصالحين
كما قال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال تعالى عن
ابراهيم عليه السلام وانه في الاخرة لمن الصالحين قيل لان كمال الصلاح ان
لا يعصي الله تعالى ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا
شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال
احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة
تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا في السموات
والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي
هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون الظاهر انه
تفقد جميع الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بامور الملك والاهتمام
بالرعايا قيل وكان ياتيه من كل صنف واحد فلم ير الهدهد وقيل كانت
الطير تظله من الشمس فنظر الى مكان الهدهد وعن عبد الله بن سلام
ان سليمان نزل بمفازة لا ما فيها وكان الهدهد يرى ظاهر الارض وباطنها
وكان يخبر سليمان بذلك فكانت الجن تخرجه بساعة تسلخ الارض كما
تسلخ الشاة فاعتز حين حلوا تلك المفازة لاحتياجهم الى الما وفي قوله
وتفقد الطير دلالة على تفقد الامام احوال رعيته والمحافظة عليهم

وقال عمر رضي الله عنه لو ان سخلة على شاطى الفرات اخذها الذيب لسيل عنها عمر وفي الكلام
محذوف اي ففقد الهدهد حين تفقد الطير وقال ابن عطية وقوله ما لي لا ارى
الهدهد مقصد الكلام الهدهد غاب ولكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو
ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقف عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز
والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام انتهى
فظاهر هذا الكلام ان ام متصلة وان الاستفهام الذي في قوله نغنا عنه
اغاب بمعنى الان فلم اره حالة التفقد كان ممن غاب قبل ولم اشعر بغيبته
وقال الزمخشري ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال
ما لي لا ارى الهدهد على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك
ثم لاح له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسال
صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شا انتهى والصحيح ان ام في هذا
هي المنقطعة لان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام فلو تقدمها اداة
الاستفهام غير الهمزة كانت ام منقطعة وهنا تقدم ففات شرط المتصلة وقيل
يحتمل ان يكون من المقلوب وتقديره ما للهدهد لا اراه ولا ضرورة الى ادعا
القلب وفي الكشاف ان سليمان لما تم له بنا بيت المقدس تجهز للحج فوافى
الحرم واقام به ما شا ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يوم
سهيلا فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا اعجبته خضرتها
فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الما وكان الهدهد رايده وكان يرى الما من
تحت الارض وذكر انه كان للجن يسلخون الارض حتى يظهر الما لاعذبنه
عذابا شديدا ابهم العذاب وفي تعيينه اقوال متعارضة والاجود ان يجعل
امثلة فعن ابن عباس ومجاهد وابن جريج نتف ريشه فقال ابن جريج ريشه
كله وقال يزيد بن رومان جناحه وقال ابن وهب نصفه ويبقى نصفه
وقيل يزاد مع نتفه تركه للشمس وقيل بحبسه في القفص وقيل بطليه بالقطران
ويشمسه وقيل بنتفه ويلقيه للنمل وقيل بجمع مع غير جنسه وقيل يبعد عن
خدمة سليمان وقيل يفرق بينه وبين الفه وقيل يلزمه خدمة اقرانه
وكان لهذا التوعد من سليمان غضبا لله حيث حضرت الصلاة وطلب الما
للوضوء فلم يجده واباح الله له ذلك للمصلحة كما اباح ذبح البهايم والطيور
للاكل وكما سخر له الطير فله التوعد به اذا لم يات ما سخر له وقرا الجمهور
او ليأتيني بنون مشددة بعدها يا المتكلم وابن كثير بنون مشددة بعدها
نون الوقاية بعد البا وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة بغير يا
والسلطان المبين الحجة والعذر وفيه دليل على الاغلاظ على العاصين
وعقابهم وبدا اولا باخف العقابين وهو التعذيب ثم اتبعه بالاشد
وهو ازهاق المهجة بالذبح واقسم على هذين لانهما من فعله واقسم
على الاتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلاثة في الحكم باو كانه
قال ليكونن احد الثلاثة والمعنى ان اتى بالسلطان لم يكن تعذيب
ولا ذبح وان لم يات كان احدهما ولا يدل تقسيمه على الاتيان على ادعا درايته
انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان

فيكون

فيكون قوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان وقرا الجمهور فمكث
بضم الكاف وعاصم وابو عمرو وفي رواية الجعفي وسهل وروح بفتحها وفي قراءة
ابي فتمكث ثم قال وفي قراءة عبد الله فيمكث فقال وكلاهما في الحقيقة
تفسير لا قراءة لمخالفتهما سواد المصحف وما روي عنهما بالنقل الثابت
والظاهر ان الضمير في فمكث عايد على الهدهد اي غير زمن بعيد اي
عن قرب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان
وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على
نبوته وعلى قدرة الله وقيل وقف مكانا غير بعيد من سليمان وكان
فيما روي حين نزل سليمان حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط عليه
ووصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شي وذكر له صاحبه ملك
بلقيس وعظم ملكه وذهب معه لينظر فلما رجع الا العصر وقيل
الضمير في فمكث لسليمان وقيل يحتمل ان يكون لسليمان وللهدهد وفي الكلام
حذف فان كان غير بعيد زمانا فالتقدير فجا سليمان فساله ما غيبك
فقال احطت وان كان مكانا فالتقدير فجا فوقف مكانا قريبا من سليمان
فساله ما غيبك وكان فيما روي قد اعلم بما اقسم عليه سليمان فبادر الى جواب
ما يسكن غضبه عليه وهو ان غيبته كانت لامر عظيم عرض له فقال احطت بما
لم تحط به وفي هذا اخبار من لدنه علم لم يكن عند عظيم وتحبيه لذلك وابهام
حتى تتشوق النفس الى معرفة ذلك المبهم ما هو ومعنى الاحاطة هنا انه
علم علما ليس عند نبي الله سليمان قال الزمخشري الهم الله الهدهد فكافح سليمان
بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه
من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويصغر اليه علمه ويكون لطفا
له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلما واعظم بها فتنة والاحاطة بالشي
علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان
قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه اعلم منه انتهى
ولما ابهم في قوله بما لم تحط انتقل الى ما هو اقل منه ابهاما فهو قوله
وجيتك من سبا بنبا يقين اذ فيه اخبار بالمكان الذي جا منه وانه له
علم بخبر مستيقن له وقرا الجمهور من سبا مصروفا هنا وفي لقد كان
لسبا وابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة غير مصروف فيهما وقنبل من طريق
النبال باسكانها فيهما فمن صرفه جعله اسما للحي او الموضع او للاب كما في
حديث فروة بن مسيك وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اسم رجل وله
عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة والستة حمير وكندة والازد ومذحج
وخثعم وبجيلة والاربعة لخم وجذام وعاملة وغسان وكان سبا رجلا من
قحطان اسمه عبد شمس وقيل عامر وسمي سبا لانه اول من سبا ومن منعه الصرف
جعله اسما للقبيلة او البقعة وانشدوا على الصرف الواردون وتيم في ذرى سباه
قد عض اعناقهم جلد الجواميس • ومن سكن الهمزة فلتوالي الحركات فيمن
منع الصرف واجرى الوصل مجرى الوقف وقال مكي الاسكان في الوصل بعيد غير مختار

ولا قوي انتهى وقرا الاعمش من سبا بكسر الهمزة من غير تنوين حكاها عنه ابن خالويه وابن عطية
وبعد توجيهها وقرا ابن كثير في رواية من سبا بتنوين اليا على وزن رحى جعله
منقوصا مصروفا وذكر ابو معاذ انه قرا من سبا بسكون اليا وهمزة مفتوحة غير منونة
بناه على فعل فامتنع الصرف للتانيث اللازم وروى ابن حبيب عن اليزيدي من سبا الهمزة
ساكنة لقولهم تفرقوا ايدي سبا وقرات فرقة سبا بالالف عوض الهمزة وكانها
قرات من قرا سبا بالف لتتوازن الكلمتان كما توازنت في قراة من قراها بالهمز
المكسور والتنوين وقال في التحرير ان هذا النوع في علم البديع يسمى بالترديد
وفي كتاب التقريب لفنون البديع ان الترديد رد اعجاز البيوت على صدورها
او رد كلمة من النصف الاول في النصف الثاني ويسمى ايضا التصدير فمثال
الاول قوله • سريع الى ابن العم يجبر كسره • وليس الى داعي الخنا بسريع • ومثال
الثاني قوله • والليالي اذا نايتم طوال • والليالي اذا دنوتم قصار • وذكر
ان مثل من سبا بنبا يسمى تجنيس التصريف قال وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين
عن الاخرى بحرف ومنه قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما
كنتم تمرحون وما ورد في الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير وقال الشاعر
لله ما صنعت بنا تلك المعاجر والمحاجر • وقال الزمخشري وقوله من سبا بنبا من
جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ
بشرط ان يجي مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده
ولقد جاء هنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى لو وضع مكان
بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف
الحال انتهى والزيادة التي اشار اليها هي ان النبا لا يكون الا الخبر الذي له شان ولفظ
الخبر ينطلق على ما له شان وما ليس له شان ولما ابهم الهدهد اولا ثم ابهم ثانيا
دون ذلك الابهام صرح بما كان ابهمه فقال اني وجدت امراة تملكهم ولا يدل ذكره
تملكهم على جواز ان تكون المراة ملكة لان ذلك كان من فعل قوم بلقيس وهم كفار
فلا حجة في ذلك وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة ونقل عن
محمد بن جرير انه يجوز ان تكون المراة قاضية ولم يصح عنه ونقل عن ابي حنيفة انها تقضي
فيما تشهد فيه لا على الاطلاق ولا ان يكتب لها مسطور بان فلانة مقدمة على الحكم انما ذلك
على سبيل التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة وبمعنى وجدت هنا اصبت والضمير
في تملكهم عايد على سبا وان كان اريد الموضع فهو على حذف اي وجدت من اهل
سبا والمراة بلقيس بنت شراحيل كان ابوها ملك اليمن كلها وقد ولد له اربعون ملكا
ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس
واختلف في اسم ابيها اختلافا كثيرا اختل وكانت امها جنية تسمى ريحانة بنت السكن
تزوجها ابوها اذ كان من عظمه لم ير ان يتزوج احدا من ملوك زمانه فولدت
له بلقيس وقد طولوا في قصصها بما لم يثبت في القران ولا الحديث الصحيح وبدا
الهدهد بالاخبار عن ملكها وانها اوتيت من كل شي وهذا على سبيل المبالغة والمعنى من
كل شي احتاجت اليه او من كل شي في ارضها وبين قول الهدهد ذلك وبين قول سليمان واوتينا من
كل شي فرق وذلك ان سليمان عطفه على قوله علمنا منطق الطير وهو معجز فيرجع ولا الى

ما اوتي

ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطف الهدهد على الملك
فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللايقة بحالها ولها عرش عظيم قال ابن زيد هو مجلسها وقال
سفيان هو كرسيها وكان مرصعا بالجواهر وعليه سبعة ابواب وذكروا من وصف عرشها اشيا الله
هو العالم بحقيقة ذلك واستعظام الهدهد عرشها اما لاستصغار حالها ان يكون لها مثل هذا
العرش واما لان سليمان لم يكن له مثله وان كان عظيم المملكة في كل شي لانه قد يوجد لبعض
امرا الاطراف شي لا يكون للملك الذي هم تحت طاعته ولما كان سليمان قد اتاه الله من
كل شي وكان لها عرش عظيم اخبره الهدهد بهذا النبا العظيم حيث كان في الدنيا من يشاركه فيما اوتي
من ذلك ولم يلتفت سليمان لذلك اذ كان معرضا عن امور الدنيا فانتقل الهدهد الى
الاخبار الى ما يتعلق بامور الدين وما احسن انتقالات هذه الاخبار بعد تمهيد الهدهد
وعلمه بذلك اجرا ولا بالاحاطة بما لم يطلع عليه سليمان تحصنا من العقوبة بذلك ببينة العلم
الذي حصل له فتشوف السامع الى علم ذلك ثم اخبر ثانيا بما يتعلق بذلك العلم وهو انه من
سبا وانه امر متيقن لا شك فيه فزاد تشوف السامع الى سماع ذلك النبا ثم اخبر ثالثا
عن الملك الذي اوتيته امراة وكان سليمان قد سال الله ان يوتيه ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده ثم اخبر رابعا بما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المراة التي ليس من شانها
ولا شان النسا ان تملك فحول الرجال وهو قوله واوتيت من كل شي وهو قوله
ولها عرش عظيم وكان سليمان له بساط قد صنع له وكان عظيما ولما لم يثن
سليمن للاخبار بهذه الثلاثة اذ هو امر دنياوي اخبره خامسا بما يهزه لطلب
هذه الملكة ودعايها الى الايمان بالله وافراده بالعبادة فقال وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله وقد تقدم القول انهم كانوا مجوسا يعبدون الانوار وهو
قول الحسن وقيل كانوا زنادقة وهذه الاخبارات من الهدهد كانت على سبيل الاعتذار
من غيبته عن سليمان وعرف انه مقصد سليمان الدعا الى توحيد الله والايمان به
فكان ذلك عذرا واضحا ازال العقوبة التي كان سليمان قد توعده بها وقام ذكر الاخبار
مقام الاتيان بالسلطان المبين اذ كان في غيبته مصلحة لاعلام سليمان بما كان خافيا عنه
وماله الى ايمان الملكة وقومها وخفي مكان هذه المراة ومكانها على سليمان وان كانت المسافة
بينهما قريبة كما خفي مكان يوسف على يعقوب وذلك لامر اراده الله تعالى قال الزمخشري
ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم
ان وجدتها اتى من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله
انتهى وقال ايضا فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود
له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان
يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلا
يهتدون لها ومن اراد استقرا ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمان نبي اسرايل
سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له انتهى واسند التزيين الى الشيطان اذ
كان هو المتسبب في ذلك باقدار الله فصدهم عن السبيل اي الشيطان او تزيينه عن
السبيل وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة فهم لا يهتدون اي الى الحق وقرا
ابن عباس وابو جعفر والزهري والسلمي والحسن وحميد والكسائي الا بالتخفيف وعلى
هذا له ان يقف على فهم لا يهتدون ويبتدي بالا يا اسجدوا وقال الزمخشري
وان شا وقف على الا يا ثم ابتدا اسجدوا وباقي السبعة بتشديدها وعلى هذا

يعني قوله فهم لا يهتدون بقوله الا يسجدوا قال الزمخشري وفي حرف عبد الله وهي قراءة
الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على
الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الذي يخرج الخبء في السما والارض
ويعلم سركم وما تعلنون انتهى وقال ابن عطية وقرا الاعمش هلا يسجدون وفي حرف
عبد الله الا هل تسجدون بالتا وفي قراءة ابي الا تسجدون بالتا ايضا فاما قراءة
من اثبت النون في يسجدون وقرا بالتا او اليا فتصح معها ونعم واما قراءة باقي
السبعة فتخرج على ان قوله الا يسجدوا في موضع نصب على ان يكون بدلا من قوله اعمالهم
اي فزين لهم الشيطان الا يسجدوا وما بين المبدل منه والبدل معترضا وفي موضع جر
على ان يكون بدلا من السبيل اي فصدهم عن ان لا يسجدوا وعلى هذا التخريج تكون
لا زايدة اي فصدهم عن ان يسجدوا لله ويكون فهم لا يهتدون معترضا بين المبدل
منه والبدل او يكون التقدير لان لا يسجدوا ويتعلق اللام اما بزين واما بفصدهم
واللام الداخلة على ان داخلة على المفعول له اي علة تزيين الشيطان لهم او صدهم
عن السبيل هي انتفا سجودهم لله او لخوفه ان يسجدوا لله وقال الزمخشري ويجوز
ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا انتهى واما قراءة
ابن عباس ومن وافقه فتخرج على ان يكون الا حرف استفتاح ويا حرف ندا والمنادى
محذوف واسجدوا فعل امر وسقطت الف يا التي للندا والف الوصل في اسجدوا
اذ رسم المصحف يسجدوا بغير الفين لما سقطا لفظا وجا هذا التركيب موجودا في
كلام العرب قال الشاعر الا يا اسلمي ذات الدمالج والعقد وقال الا يا اسقياني
قبل غارة سنجال وقال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وقال الا يا اسقياني قبل خيل ابي بكر
وقال فقالت الا يا اسمع اعظك بخطبة فقلت سمعنا فانطقي واصيبي وقال
الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وان كان حيانا عدا اخر الدهر وسمع بعض العرب
يقول الا يا ارحمونا الا تصدقوا علينا ووقف الكسائي في هذه القراءة على يا ثم
يبتدي اسجدوا وهو وقف اختبار لا اختيار والذي اذهب اليه ان مثل هذا
التركيب الوارد عن العرب ليست يا فيه للندا وحذف المنادى لان المنادى عندي
لا يجوز حذفه لانه قد حذف الفعل العامل في الندا وانحذف فاعله لحذفه ولو حذفنا
المنادى لكان في ذلك حذف جملة الندا وحذف متعلقه وهو المنادى فكان ذلك
اخلالا كثيرا واذا ابقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلا على الفعل العامل فيه وهو
جملة الندا وليس حرف جواب كنعم وبلى واجل فيجوز حذف الجمل بعدهن لدلالة
ما سبق من السوال على الجمل المحذوفة فيا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه
اكد به الا التي للتنبيه وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التوكيد
وان كان قد وجد التوكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ العاملين في قوله
فاصبحن لا يسالنني عن بما به والمتفقي اللفظ العاملين في قوله ولا للما بهم ابدا دوا
وجاز ذلك وان عدوه ضرورة او قليلا فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ
يكون جايزا وليس يا في قوله يا لعنة الله والاقوام كلهم حرف ندا عندي
بل حرف تنبيه جا بعده المبتدا وليس مما حذف فيه المنادى لما ذكرناه وقال
الزمخشري فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا او في
واحدة منهما قلت هي واجبة فيهما واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم

التارك وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه انتهى
والخب مصدر اطلق على المخبو وهو المطر والنبات وغيرهما مما خباه تعالى من غيوبه وقرا
الجمهور الخب بسكون البا والهمزة وقرا ابي وعيسى بنقل حركة الهمزة الى البا وحذف الهمزة
وقرا عكرمة بالف بدل الهمزة فلزم فتح ما قبلها وهي قراءة عبد الله ومالك بن دينار
ويخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ومررت بالخبي ورايت الخبا واجرى الوصل
مجرى الوقف واجاز الكوفيون ان تقول في المراة والكماة المراة والكماة فيبدل
من الهمزة الفا فتفتح ما قبلها فعلى قولهم هذا يجوز ان يكون الخبا منه فيكون هو لغة
معينة واجرا الوصل مجرى الوقف ايضا ان قليل فعادل التخريجان ونقل الحركة
الى البا وحذف الهمزة حكاه س عن قوم من بني تميم وبني اسد وقراءة الخبا بالالف
طعن فيها ابو حاتم وقال لا يجوز في العربية قال لانه ان حذف الهمزة القى حركتها
على البا فقال الخب وان حولها قال الخبي بسكون البا ويا بعدها قال المبرد قال
ابو حاتم وقال لا يجوز في العربية قال لانه ان حذف الهمزة القى حركتها على البا
قال ابو حاتم دون اصحابه في النحو لم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلدهم لم يلق
اعلم منه والظاهر ان في السموات متعلق بالخبا اي الخبو في السموات وقال الفرا
في ومن يتعاقبان تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم انتهى فعلى هذا
يتعلق بيخرج اي من السموات ولما كان الهدهد قد اوتي من معرفة الما تحت
الارض ما لم يوت غيره والهمه الله تعالى ذلك كان وصفه ربه تعالى بهذا الوصف
الذي هو قوله الذي يخرج الخبا اذ كان محتويا على صنعة من علمه وصنايعه تعالى
عليه كما يرد ذلك الوصف في رواية ومنطقه وقيما يعلمونه ذلك ورد ما يعمل
عبد عملا الا القى الله عليه ردا عمله وقرا الجمهور ما يخفون وما
يعلنون بيا الغيبة والضمير عايد على المراة وقومها وقرا الكسائي وحفص
بتا الخطاب فاحتمل ان يكون خطابا لسليمان عليه السلام وللحاضرين معه اذ
يبعد ان تكون محاورة الهدهد لسليمان وهما ليس معهما احد وكما جاز له ان يخاطبه
بقوله احطت بما لم تحط به جاز ان يخاطبه والحاضرين معه بقوله ما تخفون وما
تعلنون بل خاطبه بهذه السورة ظهور تفوق بخلاف ذلك الخطاب والظاهر
ان قوله ان لا يسجدوا الى العظيم من كلام الهدهد وقيل من كلام الله تعالى خطابا
لامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية القراءة بيا الغيبة تقتضي ان
الاية من كلام الهدهد وبتا الخطاب تقتضي انها من خطاب الله عز وجل لامة
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية القراءة بيا الغيبة تقتضي ان الاية من كلام
الهدهد وبتا الخطاب تقتضي انها من خطاب الله عز وجل لامة محمد عليه السلام
وقال صاحب الغنيان لما ذكر الهدهد عرش بلقيس ووصفه بالعظم ذكر عرش الله عز
وجل عليه وبين ان عرشه تعالى هو الموصوف بهذه الصفة على الحقيقة اذ لا يستحق
عرش دونه ان يوصف بالعظمة وقيل انه من تمام كلام الهدهد كانه استدرك ورد
العظمة من عرش بلقيس الى عرش الله وقال الزمخشري فان قلت كيف سوى
الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين
فرق لان وصف عرشها بالعظم تعظيما له بالاضافة الى عروش ابنا جنسها من
الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات

والارض انتهى وقرا ابن محيصن وجماعة العظيم بالرفع فاحتمل ان يكون صفة للعرش وقطع
على اضمار هو على سبيل المدح فتستوي قراءته وقراءة الجمهور في المعنى واحتمل ان يكون صفة
للرب وخص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه ولما فرغ الهدهد
من كلامه وابدى عذره في غيبته اخر سليمان امره الى ان يتبين له صدقه من كذبه
فقال سننظر اصدقت في اخبارك ام كذبت والنظر هنا التامل والتصفح واصدقت
جملة معلق عنها سننظر وهي في موضع نصب على اسقاط حرف الجر لان نظر بمعنى
التامل والتفكر انما يتعدى بحرف الجر الذي هو في وعادل بين الجملتين
بام ولم يكن التركيب ام كذبت لان قوله ام كنت من الكاذبين ابلغ في نسبة
الكذب اليه لان كونه من الكاذبين يدل على انه معروف بالكذب سابق له
هذا الوصف قبل الاخبار بما اخبر به واذا كان قد سبق له الوصف بالكذب كان
متهما فيما اخبر به بخلاف من يظن انه كذب فيما اخبر به وفي الكلام حذف تقديره
فامر بكتابة كتاب اليهم ثم تولى عنهم اي تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تسمع
ما يصدر منهم وما يرجع به بعضهم الى بعض من القول وفي قوله اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم دليل على ارسال الكتب الى المشركين من الامام يبلغهم الدعوة ويدعوهم
الى الاسلام وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وغيرهما ملوك
العرب وقال وهب امره بالتولي حسن ادب ليتنحى حسب ما يتادب به مع الملوك
بمعنى وكن قريبا بحيث تسمع مراجعاتهم وقال ابن زيد بالتولي بمعنى الرجوع
اليه اي القه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معنى التقديم على
قوله ثم تول عنهم انتهى وقال ابو علي ولا ضرورة تدعو الى التقديم والتاخير
بل الظاهر ان النظر متعقب التولي عنهم وقرئ في السبعة فالقه بكسر الهاء
وياء بعدها وباختلاس الكسرة وبسكون الهاء وقرا مسلم بن جندب بضم الهاء وواو
بعدها وجمع في قوله اليهم لان الهدهد قال وجدتها وقومها وفي الكتاب ايضا
ضمير الجمع في قوله ان لا تعلوا علي واتوني لان فيه الدعاء الى الاسلام لبلقيس
وقومها ومعنى فانظر ماذا يرجعون اي تامل واستحضر في ذهنك وقيل
معناه فانتظر وماذا ان كان معنى التامل بالفكر كان انظر معلقا وماذا
اما كلمة استفهام في موضع نصب واما ان يكون ما استفهاما وذا موصولا
بمعنى الذي فعلى الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلى الثاني يكون
ذا هو الخبر ويرجعون صلة ذا وان كان معنى فانظر فانتظر فليس فعل
قلب فيعلق بل يكون ماذا كله موصولا بمعنى الذي اي فانتظر الذي يرجعون
والمعنى فانظر ماذا يرجعون حتى ترد الي ما يرجعون من القول قالت
يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت
يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظري
ماذا تامرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة

بم يرجع

بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما
اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون في الكلام حذف تقديره
فاخذ الهدهد الكتاب وذهب به الى بلقيس وقومها والقاه اليهم كما امره سليمان
فقيل اخذه بمنقاره وقيل علقه في عنقه فجاءها حتى وقف على راسها وحولها
جنودها فرفرف بجناحيه والناس ينظرون اليه حتى رفعت راسها فالقى الكتاب
في حجرها وقيل كانت في قصرها قد غلقت الابواب واستلقت على فراشها نائمة
فالقى الكتاب على نحرها وقيل كانت في البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم
فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسدها بجناحه فرات ذلك وقامت اليه
فالقى الكتاب اليها وكانت قارئة عربية من قوم تبع وقيل القاه من كوة
وتوارى فيها فاخذت الكتاب ونادت اشراف قومها قالت يا ايها الملا كرم
الكتاب لطبعه بالخاتم وفي الحديث كرم الكتاب ختمه او لكونه من سليمان وكانت
عالمة بملكه او لكون الرسول به الطير فظنته كتابا سماويا او لكونه تضمن لطفا
ولينا لا سبا ولا ما يغير النفس ولبداءته باسم الله او لقول الحسن اخبرتهم فقالت انه
من سليمان كانها قيل لها ممن الكتاب وما هو فقالت انه من سليمان وانه
كيت وكيت ابهمت اولا ثم فسرت وفي بنائها الفعل للمفعول دلالة على جهلها
بالملقي حيث حذفته او تحقيرا له حيث كان طائرا ان كانت شاهدته والظاهر
ان قراءة الكتاب من سليمان بسم الله الرحمن الرحيم الى اخره مما قص الله منه خاصة فاحتمل ان
يكون من سليمان متقدما على بسم الله وهو الظاهر وقدمه لاحتمال ان يبدر منها
ما لا يليق اذا كانت كافرة فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى اذ كان مكتوبا في
ظاهر الكتاب وباطنه فيه بسم الله الى اخره واحتمل ان يكون متاخرا في الكتابة
من بسم الله وان ابتدا الكتاب باسم الله وحكت قراءته عليهم بعد قراءتها له
في نفسها وقدمته في الحكاية وان لم يكن متقدما في الكتابة وقال ابو بكر بن الزبير
كانت رسل المتقدمين اذا كتبوا كتابا بدؤوا بانفسهم من فلان الى فلان وكذلك
جاءت الاشارة وقال انس ما كان احد اعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا اليه كتابا بدؤوا بانفسهم وقال ابو الليث في
كتاب البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز لان الامة قد اجمعت عليه
وفعلوه وقرا الجمهور انه من سليمان وانه بكسر الهمزة فيهما وقرا عبد الله وانه
من سليمان بزيادة واو عطفا على اني القي وقرا عكرمة وابن ابي عبلة بفتحهما
وخرج على البدل من كتاب اي القي الي انه او على ان يكون التقدير لانه كانها
عللت كرم الكتاب لكونه من سليمان وتصديره ببسم الله وقرا ابي ان من سليمان
وان بسم الله بفتح الهمزة ونون ساكنة فخرج على ان ان هي المفسرة لانه قد تقدمت
جملة فيها معنى القول وعلى انها ان المخففة من الثقيلة وحذفت الهاء وبسم الله
الرحمن الرحيم استفتاح شريف بارع المعنى مبدوء به في الكتب في كل لغة وكل شرع
وان في قوله الا تعلوا قيل في موضع رفع على البدل من كتاب وقيل في موضع
نصب على معنى بان لا تعلوا وعلى هذين التقديرين تكون ان ناصبة
للفعل وقال الزمخشري وان في الا تعلوا على مفسرة فعلى هذا تكون لا في لا تعلوا

للنهي وهو حسن لمشاكلة عطف الامر عليه وجوز ابو البقا ان يكون التفسير وهو ان لا تعلوا
فيكون خبر مبتدا محذوف ومعنى لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس
في رواية وهب بن منبه والاشهب العقيلي ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا
الحد وهو من الغلو والظاهر انه طلب منهم ان ياتوه وقد اسلموا وتركوا
الكفر وعبادة الشمس وقيل معناه مذعنين مستسلمين من الانقياد والدخول
في الطاعة وما كتبه سليمان في غاية الايجاز والبلاغة وكذلك كتب الانبيا
والظاهر ان الكتاب هو ما نص الله عليه فقط واحتمل ان يكون مكتوبا بالعربي
اذ الملوك يكون عندهم من يترجم بعدة السن فكتب بالخط العربي واللفظ
العربي لانها كانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري واحتمل ان يكون
باللسان الذي كان سليمان يتكلم به وكان عندها من يترجم لها اذ كانت عارفة
بذلك اللسان وروي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى
بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني
مسلمين وكانت كتب الانبيا جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك
وختمه بخاتمه وروي انهم لم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان ولما قرات
على الملا الكتاب ورات ما فيه من الانتقال الى سليمان استشارتهم في امرها قال
قتادة وكان اولو مشورتها ثلثماية واثنى عشر رجلا كل رجل منهم
على عشرة الاف وكانت بارض مارب من صنعا على ثلاثة ايام وذكر عن
عسكرها ما هو اعظم واكثر من هذا والله اعلم بذلك وتقدم الكلام في الفتوى
في سورة يوسف والمراد هنا اشيروا علي بما عندكم فيما حدث لي من الراي
السديد والتدبير وقصدت باستشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم
وتطييب انفسهم فيما يسوسوها ويقوموا ما كنت قاطعة امرا اي مبرمة وفاصلة
امرا حتى تشهدون اي تحضروا عندي فلا استبد بامر بل تكونوا حاضرين
معي وفي قراة عبد الله ما كنت قاضية امرا اي لا انبت الا وانتم حاضرون ونفي
وما كنت قاطعة امرا عام في كل امر اي اذا كانت عادتي هذه معكم فكيف
لا استشيركم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروج عن الملك والانسلاخ في
طاعة الغير والصيرورة تبعا فراجعها الملا بما اقر عينها من قولهم انهم اولو
قوة اي قوة بالعدد والعدد واولوا باس شديد اي نجدة وشجاعة ونجدة
اظهروا القوة العرضية ثم القوة الذاتية اي نحن مستهينون بلقاء العدو وقع هذه
الحادثة ثم قالوا والامر اليك فانظري ماذا تامرين وهذا من حسن محاورتهم
اذ وكلوا الامر اليها وهو دليل على الطاعة المفرطة اي نحن ذكرنا ما نحن عليه
ومع ذلك فالامر موكول اليك كانهم اشاروا اولا عليها بالحرب وارادوا ان الحرب
لا ابا الاستشارة وانت ذات الراي والتدبير الحسن فانظري ماذا
تامرين به نرجع اليك ونتبع رايك وفانظري من التامل والتفكر وماذا
هو المفعول الثاني لتامرين والمفعول الاول محذوف لفهم المعنى اي تامريننا
والجملة معلق عنها انظري فهي في موضع مفعول لانظري بعد اسقاط الحرف من
اسم الاستفهام ولما وصل اليها كتاب سليمان لا على يد رجل بل على طائر استعظمت
ملك سليمان وعلمت ان من سخر له الطير حتى يرسله باسرها الى مغلق عليها الابواب

عبر

ممن تمتنع عليه تخريب الارض وملوكها فانذرت بحال الملوك ومالت الى المهادات والصلح فقالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية اي تغلبوا عليها افسدوها اي خربوها بالهدم والحرق
والقطع واذلوا اعزة اهلها بالقتل والنهب والاسر وقولها هذا فيه تزييف لارايهم في الحرب
وخوف عليهم وما لهم واستعظام لملك سليمان والظاهر ان وكذلك يفعلون هو
من قولها اي عادة الملوك المستمرة تلك من الافساد والاذلال وكانت ناشئة
في بيت الملك فرات ذلك وسمعت ذكرت ذلك تاكيدا لما ذكرت من حال الملوك
وقيل هو من كلام الله اعلاما لرسوله وامته وتصديقا لها اخبرت عن الملوك
اذا تغلبوا ولما كانت عادة الملوك قبول الهدايا وانها مما يدل على الرضى والالفة
قالت واني مرسلة اليهم اي الى سليمان ومن معه رسلا بهدية وما لفظ الهدية
مبهما وقد ذكروا في تعيينها اقوالا مضطربة متعارضة وذكروا من صيلها ومن
حال سليمان حين وصلت اليه الهدية وكلامه مع رسلها ما الله اعلم به وفناظرة
معطوف على مرسلة وبم متعلق بيرجع ووقع للحوفي ان البا متعلقة بناظرة وهو
وهم فاحش والنظر هنا معلق ايضا ان الجملة في موضع مفعول به وفيه دلالة على
انها لم تثق بقبول الهدية بل جوزت الرد وارادت بذلك ان ينكشف لها غرض
سليمان والهدية اسم لما يهدى كالعطية هي اسم لما يعطى وروي انها قالت
لقومها ان كان ملكا دنياويا ارضاه المال وعلمنا انه ضعيف وان كان
نبيا لم يرضه المال وينبغي ان نتبعه على دينه وفي الكلام حذف تقديره فارسلت
الهدية فلما جاء اي الرسول سليمان والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد وكذلك
الضمير في جاء والرسول يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث وقرا عبد الله فلما
جاؤوا وقرا ارجعوا جعله عائدا على قوله المرسلون أتمدونني بمال الاستفهام انكار
واستقلال وفي ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا وعدم تعلق قلبه عليه السلام بها
ثم ذكر نعمة الله عليه وان ما اتاه الله من النبوة وسعة الملك خير مما اتاكم
بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون لحبكم الدنيا والهدية تضاف الى المهدي
والى المهدى اليه بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار
على الملوك فانكم قدرتم على اهداء مثلها ويجوز ان يكون عبارة عن الرد كانه
قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها وقرا جمهور السبعة
أتمدونني بنونين واثبت بعضهم اليا وقرا حمزة بادغام نون الرفع في نون الوقاية
واثبات يا المتكلم وقرا المسيبي عن نافع بنون واحدة خفيفة وقال الزمخشري
فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدنني بمال وانا اغنى منكم وبين ان
تقوله بالفا قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي
عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفا فقد جعلته
ممن خفيت عليه حالي وانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني
اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله
فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره
اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب
رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها انتهى
ارجع اليهم هو خطاب للرسول الذي جاء بالهدية وهو المنذر بن عمرو امير

الوفد وللعين يرجع اليهم بهديتهم وتقدمت قراة عبد الله ارجعوا اليهم وارجعوا هنا لا تتعدى اي
انقلبوا فانصرفوا اليهم وقيل الخطاب بقوله ارجع للهدهد محملا كتابا اخر ثم اقسم سليمان فقال
فلناتينهم بجنود متوعدا لهم وقوله حرف ايمان ان لم ياتوني مسلمين ودل على هذا التوعد على
انهم كانوا كفارا باقين على الكفر اذ ذاك والضمير في بها عايد على الجنود وهو جمع تكسير فيجوز
ان يعود الضمير عليه كما يعود على الواحدة كما قالت العرب الرجال واعضادها وقرا
عبد الله بهم ومعنى لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون
ان يقابلوهم والضمير في منها عايد على سبا وهو ارض بلقيس وقومها وانتصب اذلة
على الحال وهم صاغرون حال اخرى والذل ذهاب ما كانوا فيه من العز والصغار وقوعهم
في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا وفي
مجي هاتين الحالتين دليل على جواز ان يقضي العامل حالين لذي حال واحد وفي
مسالة خلاف ويمكن ان يقال انه الثانية هنا جات توكيدا لقوله اذلة لانهما
حال واحدة قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال
عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين
قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه
مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي
ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه
هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون
الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت
نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين في الكلام حذف تقديره فرجع
المرسل اليها بالهدية واخبرها بما اقسم به عليه سليمان فتجهزت للمسير اليه اذ علمت انه
نبي ولا طاقة لها بقتال نبي فروي انها امرت عند خروجها الى سليمان فجعل عرشها في اخر
سبعة ابيات بعضها في جوف بعض في اخر قصر من قصورها وغلقت الابواب ووكلت
به حراسا يحفظونه وتوجهت الى سليمان في اقيالها واتباعهم قال عبد الله بن
شداد فلما كانت على فرسخ من سليمان قال ايكم ياتيني بعرشها قال ابن عباس كان سليمان
مهيبا لا يبتدا بشي حتى يكون هو الذي يسال عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه
فقال ما هذا فقالوا بلقيس فقال ذلك واختلفوا في قصد سليمان استدعا عرشها
فقال قتادة وابن جريج لما وصف له عظم عرشها وجودته اراد اخذه قبل ان
يعصمها وقومها الاسلام ويمنع اخذ اموالهم والاسلام على هذا الدين وهذا
فيه بعد ان يقع ذلك من نبي اوتي ملكا لم يوته غيره وقال ابن عباس وابن زيد
استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله وليغرب عليها سلطان والاسلام على
هذا الاستسلام واشار الزمخشري القول فقال ولعله اوحي اليه عليه السلام باستيثا قها
من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه به من اجرا العجايب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان
ويصدقها انتهى وقال الطبري اراد ان يختبر صدق الهدهد في قوله ولها عرش
عظيم وهذا فيه بعد لانه قد ظهر صدقه في حمل الكتاب وما ترتب على حمله من

شورة

شورة بلقيس قومها وبعثها بالهدية وقيل اراد ان يوتى به فينكر ويغير ثم ننظر اتثبته
ام تنكره اختبارا لعقلها والظاهر ترتيب هذه الاخبار على حسب ما وقعت في الوجود وهو
قول الجمهور وعن ابن عباس انه قال ايكم ياتيني بعرشها حين ابتدا النظر في صدق
الهدهد من كذبه لما قال ولها عرش عظيم ففي ترتيب القصص تقديم وتاخير وفي قوله
ايكم ياتيني بعرشها دليل على جواز الاستعانة ببعض الاتباع في مقاصد الملوك
ودليل على انه قد تخص بعض اتباع الانبيا بشي لا يكون لغيرهم ودليل على مبادرة
من طلب منه الملوك قضا حاجة وبداة الشياطين في التسخير على الانس وقدرتهم
باقدار الله على ما يبعد فعله من الانس وقرا الجمهور عفريت وابو حيوة بفتح
العين وقرا ابو رجا وابو السمال وعيسى ورويت عن ابي بكر الصديق عفرية
بكسر العين وسكون الفا وكسر الرا بعدها يا مفتوحة بعدها تا التانيث وقال
ذو الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منتصب وقرات فرقة
عفر بلا يا ولا تا ويقال في لغة طي وتميم عفراة بالالف وتا التانيث وفيه لغة
سادسة عفارية ويوصف بها الرجل ولما كان قد يوصف به الانس وصف بقوله
من الجن وعن ابن عباس اسمه صخر وقيل كودي وقيل ذكوان واتيك يحتمل ان يكون
مضارعا واسم فاعل وقال قتادة ومجاهد ووهب من مقامك اي من مجلس الحكم
وكان يجلس من الصبح الى الظهر في كل يوم وقيل قبل ان تستوي من جلوسك قائما
واني عليه اي على الاتيان به لقوي على حمله امين لا اختلس منه شيا قال الجن
كان كافرا لكنه كان مسخرا والعفريت لا يكون الا كافرا قال الذي عنده علم من
الكتاب قيل هو من الملايكة وهو جبريل قاله النخعي والكتاب اللوح المحفوظ
او كتاب سليمان الى بلقيس وقيل ملك ايد الله به سليمان قيل هو رجل من
الانس واسمه اصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما قاله الجمهور
واسطوم او هود او مليخا قاله قتادة او اسطورس او الخضر عليه السلام قاله ابن
لهيعة وقالت جماعة هو ضبة بن اد جد بني ضبة من العرب وكان فاضلا يخدم
سليمان كان على قطعة من خيله وهذه اقوال مضطربة وقد ابهم الله اسمه
فكان ينبغي ان لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي ومن اغرب الاقوال ان سليمان
عليه السلام كان يقول لنفسه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك او يكون
خاطب بذلك العفريت حكى هذا القول الزمخشري وفيه كانه استبطا ما قال
العفريت فقال سليمان على تحقير العفريت والكتاب هو المنزل من عند الله او
اللوح المحفوظ والعلم الذي اوتيه قيل اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم
وقيل يا ذا الجلال والاكرام وقيل بالعبرانية اهيا شراهيا وقال الحسن الله ثم
الرحمن والظاهر ان ارتداد الطرف حقيقة وانه اقصر في المدة من مدة العفريت
ولذلك روي ان سليمان قال اريد اسرع من ذلك فعند ذلك اجابه العفريت وكان
كان الناظر موصوفا بارسال البصر كما قال الشاعر

وكنت متى ارسلت طرفك رايدا … لقلبك يوما اتعبتك المناظر

فوصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد فالمعنى انك ترسل طرفك فقبل ان ترده اليك
به وما بين يديك وروي ان اصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي
طرفك فمد طرفه فنظر نحو اليمن فدعا اصف فغاب العرش في مكانه بمارب ثم نبع

بمد بحلبي سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرتد اليه طرفه وقال ابن جبير وقتادة قبل ان يصل
اليك من يقع طرفك عليه في ابعد ما ترى وقال مجاهد قبل ان تحتاج الى التغميض اي مدة
ما يمكنك ان تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده قال ابن عطية وهذان القولان يقابلان
قول من قال ان القيام هو من مجلس الحكم ومن قال ان القيام هو من الجلوس فتقول
في ارتداد الطرف هو ان يطرف اي قبل ان تغمض عينيك او تفتحها وذلك ان الثاني
يعطي الاقصر في المدة ولا بد انتهى وقيل طرفك مطرو وقيل ان قبل ان يرجع اليك
من تنظر اليه من منتهى بصرك وهذا هو قول ابن جبير وقتادة المتقدم لان
من يقع طرفك عليه هو مطروفك وقال الماوردي قبل ان ينقبض المدرك طرفك
بالموت اخبره انه سياتيه قبل موته وهذا تاويل بعيد بل المعنى اتيك به سريعا
وقيل ارتداد الطرف هنا مجاز وهو من باب مجاز التمثيل والمراد استقصار مدة
الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترى يريد به السرعة
اي اتيك به في مدة اسرع من مدة العفريت فلما راه مستقرا عنده في الكلام حذف تقديره
فدعا الله فاتاه به فلما راه اي عرش بلقيس وقيل رد على سليمان من الهوا وقيل
نبع من الارض وقيل من تحت عرش سليمان وانتصب مستقرا على الحال وهذه معمول
له والظرف اذا وقع في موضع الحال كان العامل فيه واجب الحذف فقال ابن عطية
وظهر العامل في الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر ابدا في كل ظرف وقع في موضع
الحال وقال ابو البقا ومستقرا اي ثابتا غير متقلقل وليس بمعنى الحضور المطلق
اذ لو كان كذلك لم يذكر انتهى فاخذ في مستقرا ابدا على الاستقرار المطلق وهو
كونه غير متقلقل حتى يكون مدلوله غير مدلول العندية وهو توجيه حسن
كذكر العامل في الظرف الواقع حالا وقد ذكر قدر ذلك العامل فيما وقع خبرا من
الجار والمجرور التام في قول الشاعر لك العز ان مولاك عز وان يهن
فانت لدى بحبوحة الهون كاين. قال هذا من فضل ربي اي هذا الاتيان بعرشها
وتحصيل ما اردت من ذلك هو فضل ربي علي واحسانه ثم علل ذلك بقوله
ليبلوني ءاشكر ام اكفر قال ابن عباس المعنى ااشكر على السرير وسوقه ام اكفر
اذا رايت من هو دوني في الدنيا اعلم مني انتهى وتلقى سليمان النعمة بشكر
الله بالشكر اذ ذاك نعمة متجددة والشكر قيد للنعم واشكر ام اكفر في موضع
نصب ليبلوني وهو معلق لانه في معنى التمييز والتمييز في معنى العلم وكثر التعليق
في هذا الفعل اجراء له مجرى العلم وان لم يكن مرادفا له لان مدلوله الحقيقي هو
الاختبار ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي ذلك الشكر عائد ثوابه اليه اذ كان
قد صان نفسه من كفران النعمة وفعل ما هو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه
ومن كفر اي فضل الله ونعمته عليه فان ربي غني عن شكره لا يعود منفعتها
الى الله لانه هو الغني المطلق الكريم بالانعام على من كفر نعمته والظاهر ان قوله
فان ربي غني كريم هو جواب الشرط ويدل على ذلك ما في قوله غني اي عن شكره ويجوز
ان يكون الجواب محذوفا دل عليه ما قبله من قسيمه اي ومن كفر فلنفسه اي
ذلك الكفر عليه عقابه اليه ويجوز ان تكون من موصولة ودخلت الفاء في الخبر
لتضمنها معنى الشرط قال نكروا لها عرشها روي ان الجن احست من سليمان او
ظنت به انه ربما تزوج بلقيس فكرهوا ذلك ورموها عنده بانها غير عاقلة ولا

مميزة

مميزة وان رجلها كحافر دابة فجربت عقلها وميزها بتنكير العرش واختبر رجلها بالصرح لتكشف عن
ساقيها عنده وتنكير عرشها قال ابن عباس ومجاهد والضحاك بن زيد فيه ونقص منه وقيل نزع
ما عليه من الفصوص والجواهر وقيل جعل اسفله اعلاه ومقدمه موخره والتنكير جعله
متنكرا متغيرا عن شكله وهيئته كما يتنكر الرجل للناس حتى لا يعرفوه وقرا الجمهور ننظر
بالجزم على جواب الامر وقرا ابو حيوة بالرفع في الاستئناف امر بالتنكير ثم استانف
الاخبار عن نفسه بانه سينظر ومتعلق اتهتدي محذوف والظاهر انه اتهتدي
لمعرفة عرشها ولا تحيل بتنكيره فادما في معرفتها له فيظهر بذلك فرط عقلها وانها
لم يخف عليها حال عرشها وان كانوا قد راموا الاخفا او اتهتدي للجواب المصيب
اذا سئلت عنه او تهتدي للايمان بنبوة سليمان اذا رات هذا المعجز من نقل عرشها
من المكان الذي تركته فيه وغلقت الابواب عليه وجعلت له حراسا فلما جاءت في الكلام
حذف اي فنكروا عرشها ونظروا ما جوابها اذا سئلت عنه فلما جاءت قيل اهكذا عرشك
اي مثل هذا العرش الذي انت رايته عرشك الذي تركتيه ببلادك ولم يات التركيب
اهذا عرشك جا باداة التشبيه لئلا يكون ذلك تلقينا لها ولما راته على هيئته
لا يكون فهاتيه وغيرت منه اشيا من عرشها لم تجزم بانه هو ولا نفته النفي البات
بل ابرزت ذلك في صورة تشبيهه فقالت كانه هو وذلك من جودة ذهنها
حيث لم تجزم في الصورة المحتملة باحد الجائزين من كونه اياه او من كونه ليس
اياه وقابلت تشبيههم بتشبيهها والظاهر ان قوله واوتينا العلم الى قوله من قوم
كافرين ليس من كلام بلقيس وان كان متصلا بكلامها فقيل من كلام سليمان
وقيل من كلام اتباع سليمان فان كان من قول سليمان فمثل العلم هنا مخصوص
اي واوتينا العلم اسلامها ومجيئها طائعة من قبلها اي من قبل مجيئها وكنا مسلمين
موحدين خاضعين وقال ابن عطية وفي الكلام حذف تقديره كانه هو وقال
سليمان عند ذلك واوتينا العلم من قبلها الاية قال ذلك على جهة تعديد نعم
الله تعالى وانما قال ذلك لما علمت هي وفهمت ذكر هو نعمة الله عليه وعلى ابائه
انتهى ملخصا وقال الزمخشري واوتينا العلم من كلام سليمان وملائه
فان قلت علام عطف هذا الكلام وبما اتصل قلت لما كان المقام الذي
سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاؤه
ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد
اصابت في جوابها فطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام
وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر
وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا
العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل
نحن على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليهم وسبقهم الى العلم بالله
والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين
ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو
والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل
هذه المعجزة او قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر
ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه من

الماء من سواد السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل انتهى واما قوله ويجوز ان يكون من كلام بلقيس فهو مردود فقد تقدم انه يجي مثل الصيغ كالحوار وقيل والعطف واوتينا العلم معجزة نبوته بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة يعني احضار العرش وكنا مسلمين مطيعين لامرك منقادين لك والظاهر ان الفاعل بصدها هو قوله ما كانت تعبد وكون الله او سليمان دون ما كانت تعبد صدها على اسقاط حرف الجر قاله الطبري وهو ضعيف لا يجوز الا في ضرورة الشعر نحو قوله تمرون الديار ولم تعوجوا اي عن الديار وليس من مواضع حذف حرف الجر وان كان الفاعل هو ما كانت فالمصدود عنه الظاهر الاسلام وقال الرماني التقدير التفطن للعرش لان المؤمن يقظ والكافر خبيث والظاهر ان قوله وصدها معطوف على قوله واوتينا اذا كان من كلام سليمان وان كان يحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى لمحمد نبيه ولامته وان كان واوتينا من كلام بلقيس فالظاهر انه يتعين كونه من قول الله تعالى وقول من قال انه متصل بقوله انهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون والواو في وصدها للحال وقد مضمرة مرغوب عنه لطول الفصل بينهما ولان التقديم والتاخير لا يذهب اليه الا عند الضرورة وقرا الجمهور انها بكسر الهمزة وسعيد بن جبير وابن ابي عبلة بفتحها فاما على تقدير حرف الجر اي لانها واما على ان يكون بدلا من الفاعل الذي هو ما كانت تعبد قال محمد بن كعب القرظي وغيره لما وصلت بلقيس امر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو السطح في الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملي ماء وبث فيه السمك والضفادع وجعل لسليمان في وسطه كرسيا فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلي الى النبي عليه السلام فرات اللجة وفزعت ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فراى سليمان ساقيها سليمتين مما قالت الجن فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير وعند ذلك اسلمت بلقيس واذعنت واسلمت واقرت على نفسها بالظلم وفي هذه الحكاية زيادة وهو انه وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس قال الزمخشري وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين انتهى والصرح كل بناء عال ومنه ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب وهو من التصريح وهو الاعلان البالغ وقال مجاهد الصرح هنا البركة وقال ابن عيسى الصحن وصرحة الدار ساحتها وقيل الصرح هنا القصر من الزجاج وفي الكلام حذف اي فدخلته امتثالا للامر واللجة الماء الكثير وكشفت عن ساقيها عادة من كان لابسا واراد ان يخوض الماء الى مقصد له ولم يكن المقصود من الصرح الا التهويل للامر وحصل كشف الساق على سبيل التبع لا انه يقصد ما روي عن الجن انه ساقها شعرا وانه كان حافر فيمكن ان يكون استعلام ذلك مقصودا وقرا ابن كثير قيل في رواية الاخريط وهب بن واضح عن ساقيها بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة وكذلك في قراءة قنبل يكشف عن ساق واما همز السؤق وعلى سوقه فلغة مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة حكى ابو علي ان ابا حية النميري كان يهمز كل واو قبلها ضمة وانشد ٠ احب المؤقدين الي مؤسى ٠ والظاهر ان قائل هو سليمان ويحتمل ان يكون القائل هو الذي امرها بدخول الصرح وظلمها نفسها قيل بالكفر وقيل

بحسبانها

بحسبانها ان سليمان اراد ان يغرقها وقال ابن عطية ومع ظرف بني على الفتح واما اذا اسكنت العين فلا خلاف انه حرف جاء لمعنى انتهى والصحيح انها ظرف فتحت العين او سكنت وليس التسكين مخصوصا بالشعر كما زعم بعضهم بل ذلك لغة لبعض العرب والظرفية فيها مجاز وانما هو اسم يدل على معنى الصحبة

المفردات

الحديقة البستان كان عليه جدار او لم يكن الحاجز التامل بين الشيئين النوع الجماعة الهدوء سكون الشيء وعدم حركته الاتقان الاتيان بالشيء على احسن حال لا تدين الكمال والاحكام في الخلق وهو مشتق من قول العرب تغتنوا ارضهم اذا ارسلوا فيها الماء الخاثر بالتراب فتجود والتقن ما رمي به الى الغدير وهو الذي يجيء به الماء من الخثورة كشف الرجل الفته لوجهه

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون

ثمود هي عاد الاولى وصالح اخوهم في النسب لما ذكر قصة موسى وداود وسليمان وهم من بني اسرائيل ذكر قصة من هو من العرب يذكر بها قريشا والعرب وينبههم ان من تقدم من الانبياء من العرب كان يدعو الى افراد الله بالعبادة ليعلموا انهم في عبادة الاصنام على ضلالة وان شان الانبياء عليهم وعليهم هو الدعاء الى عبادة الله وان في ان اعبدوا يجوز ان يكون مفسرة لان ارسلنا يتضمن معنى القول ويجوز ان تكون مصدرية اي بان اعبدوا فحذف حرف الجر فعلى الاول لا موضع لها من الاعراب وعلى الثاني ففي موضعها خلاف اهو في موضع نصب ام في موضع جر والظاهر ان الضمير في فاذا هم عائد على ثمود وان قومه انقسموا فريقين مؤمنا وكافرا وقد جاء ذلك مفسرا في سورة الاعراف في قوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم وقال الزمخشري اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد انتهى فجعل الفريق الواحد هو صالح والاخر قومه واذا هنا هي الفجائية وعطف بالفاء التي تقتضي التعقيب لا المهلة وكان المعنى انهم بادروا بالاختصام متعقبا دعاء صالح اياهم الى عبادة الله وجاء يختصمون على المعنى لان الفريقين جمع فان كان الفريقان من امن ومن كفر فالجمعية حاصلة في كل فريق ويدل على ان فريق المؤمن جمع قوله انا بالذي امنتم به كافرون فقال امنتم به كافرون فقال امنتم وهو ضمير الجمع وان كان الفريق المؤمن هو صالح وحده فانه قد انضم الى قومه والمجموع جمع واوثر يختصمون على يختصمان وان كان من حيث لفظ التثنية جائزا فصيحا لانه مقطع فصل واختصامهم دعوى كل فريق ان الحق معه وقد ذكر الله تخاصمهم في سورة الاعراف ثم تلطف صالح بقومه ورفق بهم في الخطاب فقال مناديا لهم

على جهة التهكم فلم تستعجلون بالسيئة اي بوقوع ما يسوؤكم قبل الحالة الحسنة وهي رحمة الله وكان قد قال لهم في حديث الناقة ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم فقالوا ائتنا بعذاب الله وقيل لم تستعجلون بوقوع المعاصي منكم قبل الطاعة قال الزمخشري فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون بجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم انتهى ثم حضهم على ما فيه درء السيئة عنهم وهو الايمان واستغفار الله مما سلف من الكفر وناط ذلك بترجي الرحمة ولم يجزم بانه يترتب على استغفارهم وكان في التحضيض تنبيه على الخطا منهم في استعجال العقوبة وتجهيل لهم في اعتقادهم ولما لاطفهم في الخطاب اغلظوا له وقالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا بك وبالذين امنوا معك ودل هذا العطف على ان الرهط كانوا مومنين وكان ذلك لقوله وبمن معك وكانوا قد قحطوا وتقدم الكلام في معنى التطير في سورة الاعراف جعلوا سبب قحطهم هو ذات صالح ومن امن معه فرد عليهم بقوله طائركم عند الله اي حظكم في الحقيقة من خير او شر هو عند الله وبقضائه ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم وقال الزمخشري ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه **وقرئ** تطيرنا بك على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه انتهى انتقل الى الاخبار عنهم بحالهم فقال بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة او تفتنون به شهواتكم اي تشغفون بها كما يقال فتن فلان بفلان **وقال الشاعر** داء قديم في بني ادم ° فتنة انسان بانسان وهذه اقوال بحسب لفظ تفتنون وجاء الخطاب على مراعاة انتم وهو الكثير في لسان العرب ويجوز يفتنون بيا الغيبة على مراعاة لفظ قوم وهو قليل تقول العرب انت رجل تامر بالمعروف بتا الخطاب وبيا الغيبة والمدينة مجتمع ثمود وهي الحجر وذكر المفسرون اسما التسعة وفي بعضها اختلاف وراسهم قدار بن سالف وانما وهم لا تنضبط بشكل ولا نقط فلذلك ضربنا صفحا عن ذكرها وكانوا عظما القرية واغنياوها وفساقها والرهط من الثلاثة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واتفق المفسرون على ان المعنى تسعة رجال وقال الزمخشري وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس انتهى وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولى لانه من حيث اضاف الى انفس كان ينبغي ان يقول تسع انفس على تانيث النفس اذ الفصيح فيها التانيث الا تراهم عدوا من الشذوذ **قول الشاعر** ثلاثة انفس وثلاث ذود ° وانما ذكر الشاعر ثلاثة وكان الفصيح ان تكون ثلاث انفس وقال ابو عبد الله الرازي الاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبايل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم واحوالهم لا لاختلاف انتهى قيل والرهط اسم الجماعة وكانهم كانوا روسا مع كل واحد منهم رهط وقال الكرماني واصله من الترهيط وهو تعظيم اللقم

وشدة

وشدة الاكل النهب ورهط اسم جمع واتفقوا على ان فصله بمن هو الفصيح كقوله تعالى فخذ اربعة من الطير واختلفوا في جواز اضافة العدد اليه فذهب الاخفش الى انه لا ينقاس من الاضافة اليه فهو على سبيل الشذوذ وقد صرح سيبويه انه لا يقال ثلث غنم وذهب قوم الى انه يجوز ذلك وينقاس وهو مع ذلك قليل وفصل قوم بين ان يكون اسم الجمع للقليل كرهط ونفر وذود فيجوز ان يضاف اليه او للتكثير او يستعمل لهما فلا يجوز اضافته اليه وهو قول المازني وقد املينا الكلام في هذه المسالة في شرح التسهيل ويفسدون صفة لتسعة رهط والمعنى انهم يفسدون الفساد العظيم الذي لا يخالطه شي من الاصلاح فلذلك قال ولا يصلحون لان بعض من يقع منه افساد قد يقع منه اصلاح في بعض الاحيان **وقرا** الجمهور تقاسموا وابن ابي ليلى تقسموا بغير الف وتشديد السين وكلاهما من القسم والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر والظا ان قوله تقاسموا فعل امر محكي بالقول وهو قول الجمهور اي امر بعضهم بعضا بالحلف على تبييت صالح واجاز الزمخشري وابن عطية ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا في موضع الحال اي قالوا متقاسمين قال الزمخشري تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا على محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين انتهى اما قوله وخبرا فلا يصح لان الخبر هو احد قسمي الكلام اذ هو منقسم الى الخبر والانشا وجميع معانيه اذا حققت راجعة الى هذين القسمين وقال بعد ذلك **وقرئ** لنبيتنه بالتا واليا والنون فتقاسموا مع النون والتا يصح فيه الوجهان يعني فيه الوجهين في تقاسموا بالله والوجهان هما الامر والخبر عنده قال ومع اليا لا يصح الا ان يكون خبرا انتهى والتقييد بالحال ليس الا من باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التي هي الاسناد فاذا اطلق عليه الخبر كان ذلك على تقدير انها لو لم تكن حالا لجاز ان تستعمل خبرا وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة انها خبرية هو مجاز والمعنى انها لو لم تكن صلة لجاز ان تستعمل خبرا وهذا شي فيه غموض ولا يحتاج الى الاضمار فقد كثر وقوع الماضي حالا بغير قد كثرة ينبغي القياس عليها وعلى هذا الاعراب احتمل ان يكون بالله متعلقا بتقاسموا الذي هو حال وهو من صلته وان يكون من صلة قالوا والقول لنبيتنه وما بعده واحتمل ان يكون هو وما بعده هو المقول **وقرا** الجمهور لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فيهما والحسن وحمزة والكسائي بتا خطاب الجمع ومجاهد وابن وثاب وطلحة والاعمش بيا الغيبة والفعلان مسندان للجمع وحميد بن قيس بيا الغيبة في الاول مسندا للجمع اي ليبيتنه اي قوم منا وبالنون في الثاني اي جميعنا نقول لوليه والبيات مباغتة العدو ومن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من الملوك استراق الظفر ووليه طالب ثاره اذا قتل **وقرا** الجمهور مهلك بضم الميم وفتح اللام من اهلك **وقرا** حفص مهلك بفتح الميم وكسر اللام وابو بكر بفتحهما **فاما** القراة الاولى فتحتمل المصدر والزمان والمكان اي ما شهدنا اهلاك اهله او زمان اهلاكهم او مكان اهلاكهم ويلزم من هذين انهم اذا لم يشهدوا الزمان ولا المكان ان لا يشهدوا

الاهلاك واما القراة الثانية فالقياس يقتضي ان يكون للزمان والمكان اي ما شهدنا
الاهلاك اي ما شهدنا زمان اهلاكهم او مكانه والثالثة يقتضي القياس ان يكون
مصدرا اي ما شهدنا هلاكه وقال الزمخشري وقد ذكر القراات الثلاث قال
ويحتمل المصدر والزمان والمكان انتهى والظاهر في الكلام حذف معطوف يدل
عليه ما قبله فالتقدير ما شهدنا مهلكه ومهلك اهله ودل عليه قولهم لنبيتنه
واهله وما روي انهم انما عزموا على قتله وقتل اهله وحذف مثل هذا
المعطوف جائز في الفصيح كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقال الشاعر
فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني
قوله وانا لصادقون في الاخبار او وهو اخبر منهم انهم اذا قتلوه واهله سرا
ولم يشعر بهم احد وقالوا تلك المقالة انهم صادقون وهم كاذبون
وقال الزمخشري فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا
فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا اذا بيتوا صالحا
وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا
احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل
قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا
يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا
كاذبين حتى سووا هذه الحيلة لانفسهم حيلة يتفصون بها عن الكذب
انتهى والعجب من هذا الرجل كيف تخيل هذه الحيلة في جعل اخبارهم وانا لصادقون
اخبارا بالصدق وهو يعلم انهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من اعظم
الايات واقدموا على قتل نبي واهله ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلوا في كتاب
الله كذبهم على انبيائهم ونقض الله ذلك ولديهم لمن لا يخفى عليه خافية يوم تبلى
السرائر وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقول الله تعالى انظر كيف
كذبوا على انفسهم وانما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حتى ينصر مذهبه
بقوله ان الكذب قبيح عند الكفرة ويتخيل هذا التخيل حتى يجعلهم صادقين
في اخبارهم وهذا الرجل وان كان اوتي من علم القران اوفر حظ وجمع بين
اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير اشياء منتقدة وكنت قريبا
من تسطير هذه الاحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله
واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيئا من محاسنه ثم نبهت
على ما فيه مما يجب تجنبه ورايت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف
على كتابي هذا وينبه على ما تضمنه من القبائح فقلت بعد ذكر ما مدحته

به ولكنه فيه مجال لناقد ... وزلات سوء قد اخذن المخانقا
فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا ... ويعزو الى المعصوم ما ليس لايقا
ويشتم اعلام الائمة ضلة ... ولا سيما ان اولجوه المضايقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة ... بتكثير الفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلا ... وكان محبا في الخطابة وامقا
ويخطي في تركيبه لكلامه ... فليس لما قد ركبوه موافقا
وينسب ابداء المعاني لنفسه ... ليوهم اغمارا وان كان سارقا

ويخطي

ويخطي في فهم القران لانه ... يجوز اعرابا ابى ان يطابقا
وكم بين من يوتى البيان سليقة ... وآخر عاناه فما هو لاحقا
ويحتال للالفاظ حتى يديرها ... لمذهب سوء فيه اصبح مارقا
فيا خسره شيخا تخرق صيته ... مغارب تخريق الصبا ومشارقا
لئن لم تداركه من الله رحمة ... لسوف يرى للكافرين مرافقا

ومكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ومكرهم انما هم انهم يسافرون فاذا اختفوا هم
في غار قيل او شعب وعزمهم على قتله وقتل اهله وحلفهم انهم ما حضروا ذلك
ومكر الله بهم اطباق صخرة على فم الغار او الشعب واهلاكهم فيه او رمي الملائكة
اياهم بالحجارة يرونها ولا يرون الرامي حين شهروا اسلحتهم بالليل ليقتلوه وقولان
وقيل ان الله اخبر صالحا بمكرهم فخرج عنهم فذلك مكر الله في حقهم وروي
ان صالحا بعد عقرهم الناقة اخبرهم بمجي العذاب بعد ثلاثة ايام فاتفق هولاء
التسعة على قتل صالح واهله ليلا وقالوا ان كان كاذبا في وعيده كنا قد اوقعنا
به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا واختفوا
في غار واهلكهم الله كما تقدم ذكره واهلك قومهم ولم يشعر كل فريق بهلاك
الاخر والظاهر ان كيف خبر كان وعاقبة الاسم والجملة في موضع نصب بانظر
وهي معلقة وقرا الجمهور انا بكسر الهمزة على الاستيناف وقرا الحسن وابن ابي
اسحاق والكوفيون بفتحها فاما بدل من عاقبة او خبر لكان وكيف في موضع
الحال او خبر مبتدا محذوف اي هي اي العاقبة تدميرهم او يكون التقدير
لانا وحذف حرف الجر وعلى كلتا القراتين يجوز ان يكون كان تامة وعاقبة
فاعل بها وان تكون زايدة وعاقبة مبتدا خبره كيف وقرا ابي ان دمرناهم
وهي ان التي من شانها ان تنصب المضارع ويجوز فيها الاوجه الجائزة
في انا بفتح الهمزة وحكى ابو البقا ان بعضهم اجاز في انا دمرناهم في قراة
من فتح الهمزة انه يكون بدلا من كيف قال وقال اخرون لا يجوز لان البدل
من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرفه كقولك كيف زيد اصحيح ام مريض
ولما امر الله تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في انفسهم بين ذلك
بالاشارة الى منازلهم وكيف خلت منهم وخراب البيوت وخلوها من اهلها
حتى لا يبقى منهم احد مما يعاقب به الظلمة اذ يدل ذلك على استيصالهم
وفي التوراة ابن ادم لا تظلم يخرب بيتك وهو اشارة الى هلاك الظالم
اذ خراب بيته متعقب هلاكه وهذه البيوت هي التي قال فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه عام تبوك لا تدخلوا على هولاء المعذبين الا ان
تكونوا باكين الحديث وقرا الجمهور خاوية بالنصب على الحال قال الزمخشري
عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع قال الزمخشري
على خبر المبتدا المحذوف وقال ابن عطية اي هي خاوية قال او على الخبر عن
تلك وبيوتهم بدل او على خبر ثان وخاوية خربة بسقوطها وهو
الكفر وهو من خوى البطن وقال ابن عباس خاوية اي ساقطا اعلاها على
اسفلها ان في ذلك اي في فعلنا بثمود وهو استيصالنا لهم بالتدمير وظلم

ساكنيهم منهم وبيوتهم هي بوادي القرى بين المدينة والشام وانجينا الذين امنوا مما حل من
العذاب الذي حل بالكفار وكان الذين امنوا به اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت
وسميت حضرموت لان صالحا عليه السلام حضرها فمات بها وبنى بها المومنون مدينة
يقال لها حاضورا واما الهالكون فخرج بابدانهم خراج مثل الحمص احمر في اليوم الاول
ثم اصفر في الثاني ثم اسود في الثالث وكان عقر الناقة يوم الاربعا وهلكوا
يوم الاحد قال مقاتل تفقئت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم صيحة فخمدوا
ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه
واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فسا
مطر المنذرين ولوطا عطف على صالحا اي وارسلنا لوطا او على الذين امنوا
اي وانجينا لوطا او باذكر مضمرة واذ بدل منه اقوال واتاتون استفهام انكار
وتوبيخ وابهم اولا في قوله الفاحشة ثم عينها في قوله ائنكم لتاتون الرجال
وقوله وانتم تبصرون اي تعلمون قبح هذا الفعل المنكر الذي احدثتموه وانه
من اعظم الخطايا والعلم بقبح الشي مع اتيانه اعظم في الذنب او اثار العصاة
قبلكم او ينظر بعضكم الى بعض لا يستتر ولا يتحاشى من اظهار ذلك مجانة وعدم
اكتراث بالمعصية الشنعا اقوال ثلاثة وانتصب شهوة على انه مفعول من اجله
وتجهلون تغليب غير الخطاب كما غلب في بل انتم قوم تفتنون ومعنى تجهلون
اي عاقبة ما انتم عليه او تفعلون فعل السفها المجان او فعل من جهل انها معصية
عظيمة مع العلم اقوال ولما انكر عليهم ونسبهم الى الجهل لم تكن لهم حجة فيما ياتونه
من ذلك فعدلوا الى المغالبة والايذا وتقدم معنى يتطهرون في الاعراف وقرا
الجمهور جواب بالنصب والحسن وابن ابي اسحاق بالرفع والجمهور قدرناها
بتشديد الدال وابو بكر بتخفيفها وباقي الاية تقدم تفسير نظيرها في الاعراف
وسا بمعنى بيس والمخصوص بالذم محذوف اي مطرهم قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض
وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان
تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض قرارا
وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه
مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السو
ويجعلكم خلفا الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون امن يهديكم
في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته االه مع الله
تعالى الله عما يشركون امن يبدو الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من
السما والارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان
يبعثون بل ادرك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون
لما فرغ من قصص هذه السورة امر رسوله عليه السلام بحمده تعالى والسلام
على المصطفين وانذر مما بينه واجب الوجود الله تعالى ومباينة الاصنام
والاديان التي اشركوها مع الله وعبدوها وابتدا في هذا التقرير لتعريف
وغيرهم

وغيرهم بالحمدلة وكانها صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة
وقد اقتدى بذلك المسلمون في تصانيف كتبهم وخطبهم ووعظهم فافتتحوا بتحميد الله والصلاة
على محمد رسوله وتبعهم المترسلون في اوايل كتب الفتوح والتهاني والحوادث التي لها شان
وقيل هو متصل بما قبله وامر الرسول عليه السلام بتحميد الله على هلاك الهالكين من كفار الامم
على الانبيا واتباعهم انتهى وقيل هو خطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك
كفار قومه ويسلم على عباده الذين اصطفى وعزا هذا القول ابن عطية للفرا قال وهذه عجمة من الفرا
وقرا ابو السمال قل الحمد لله وكذا قل الحمد يسير بفتح اللام وعباده المصطفون
هم الانبيا واتباعهم وقال ابن عباس العباد المسلم عليهم هم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصطفاهم لنبيه وفي اختصاصهم بذلك توبيخ
للمعاصرين من الكفار وقال ابو عبد الله الرازي لما ذكر تعالى احوال
الانبيا وان من كذبهم استوصل بالعذاب بين ان ذلك مرتفع من امة
الرسول وامره تعالى بحمده على ما خصهم بهذه النعمة وتسليمه على الانبيا الذين
صبروا على مشاق الرسالة انتهى وفيه تلخيص وقوله الله خير اما يشركون
استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكم بحالهم وتنبيه على موضع التباين
بين الله تعالى وبين الاوثان اذ معلوم عند من له عقل انه لا شركة في الخيرية
بين الله تعالى وبينهم وكثيرا ما يجي هذا النوع من افعل التفضيل حيث
يعلم ويتحقق انه لا شركة فيها وانما يذكر على سبيل الزام الخصم
وتنبيهه على خطا مرتكبه والظاهر ان هذا الاستفهام هو عن خيرية
الذوات فقيل جا على اعتقاد المشركين حيث اعتقدوا في الهتهم خيرا
بوجه ما وقيل في الكلام حذف في موضعين والتقدير اتوحيد الله خير ام
عبادة ما تشركون فما في ام ما بمعنى الذي وقيل ما مصدرية والحذف
من الاول اي اتوحيد الله خير ام شرككم وقيل خير ليست للتفضيل فهي
كما تقول الصلوة خير يعني خيرا من الخيور وقيل التقدير ذو خير والظاهر هران
خير افعل التفضيل وان الاستفهام في نحو هذا يجي لبيان فساد ما
عليه الخصم وتنبيهه على خطايه والزامه الاقرار بحصر التفضيل في جانب
واحد وانتفايه عن الاخر وقرا الجمهور تشركون بتاء الخطاب والحسن
وقتادة وعاصم وابو عمرو بيا الغيبة وام في اما متصلة لان
المعنى ايهما خير وفي امن خلق وما بعده منفصلة ولما ذكر الله خير عدد
سبحانه الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في غير موضع من كتابه
توقيفا لهم على ما ابدع من المخلوقات وانهم لا يجدون بدا من الاقرار بذلك
لله تعالى وقرا الاعمش بتخفيفهما جعلها همزة الاستفهام ادخلت على من ومن في الاربع
مبتدا وخبره قال ابن عطية تقديره يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى
وقدره الزمخشري خير اما يشركون فقدر ما اثبت في الاستفهام الاول بدا اولا
بالاستفهام باسم الذات ثم انتقل فيه الى الصفات قال ابو الفضل الرازي في
كتاب اللوامح له ولا بد من اضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق
به لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة امن خلق السموات كمن لم يخلق
وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذا الموضع ما اضمر فيها كقوله تعالى

انه لا يخلق كمن لا يخلق انتهى وتسمية هذا المقدر جملة ان اراد بها جملة من الالفاظ فهو صحيح وان اراد الجملة المصطلح عليها في النحو فليس كذلك بل هو مفرد من قبيل المفرد وبدا تعالى بذكر انشا العالم العلوي والسفلي وانزال ما به قوام العالم السفلي وقال لكم اي لاجلكم على سبيل الامتنان وان ذلك من اجلكم ثم قال فانبتنا وهذا التفات من الغيبة الى التكلم بنون العظمة دالا على اختصاصه بذلك وانه لا يقدر على انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح بما واحد الا هو تعالى وقد رشح هذا الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ولما كان خلق السموات والارض وانزال الماء من السما لا شبهة للعاقل في ان ذلك لا يكون الا لله كان الانبات مما قد يتوهم فيه الانسان بالبذر والسقي والتهيئة ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبب اليه بين تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات وتاكيد ذلك بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها الا ترى ان المتسبب لذلك قد لا ياتي على وفق مراده ولو اتى فهو جاهل بطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا لها والبهجة الجمال والنضرة والحسن لان الناظر فيها يبتهج اي يسر وينفرح **وقرا** الجمهور ذات بالافراد بهجة بسكون الها وجمع التكسير يجري في الوصف مجرى الواحد كقوله ازواج مطهرة وهو على معنى جماعة **وقرا** ابن ابي عبلة ذوات بالجمع بهجة بتحريك الها بالفتح ما كان لكم ان تنبتوا شجرها قد تقدم ان نفي مثل هذه الكينونة قد يكون لنفي الاستحالة وقد يكون لنفي الامتناع وقوعه شرعا او النفي اولاولوية والمعنى هنا ان انبات ذلك منكم محال لانه ابراز الشي من العدم الى الوجود وهذا لا يقدر عليه الا الله تعالى ولما ذكر منه تعليم خاطبهم بذلك ثم لما ذكرهم عدل من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم قوم يعدلون اما التفاتا واما اخبارا للرسول كانه اي يعدلون عن الحق او يعدلون به اي يجعلون له عديلا ومثيلا **وقرى** االها بالنصب بمعنى اتدعون او اتشركون **وقرى** االه بتخفيف الهمزتين وتليين الثانية والفصل بينهما بالف ولما ذكر تعالى انه منشي السموات والارض وذكر شيا مشتركا بين السما والارض وهو انزال الماء من السما وانبات الحدائق بالارض ذكر شيا مختصا بالارض وهو جعلها قرارا اي مستقرا لكم بحيث يمكنكم الاقامة بها والاستقرار عليها ولا يديرها الفلك قيل لانها مضمحلة في جنب الفلك كالنقطة في الرحى وجعل خلالها اي بين اماكنها في شعابها واوديتها انهارا وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت حتى لا تتكفا بكم وتميد والبحران العذب والملح والحاجز الفاصل من قدرته تعالى قاله الضحاك وقال مجاهد بحر السما والارض والحاجز ان منع ذلك من الامس من الهوا وقال الحسن بحر فارس والروم وقال السدي بحر العراق والشام والحاجز من الارض قال ابن عطية والقول في الحاجز هو ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرته لبلع الملح العذب وكان ابن عطية قد قدم ان البحرين العذب بجملته والاجاج بجملته ولما كانت كل واحدة منه عطيه مستقلة ذكر فيها العامل في قوله وجعل وكانت من عطف الجمل المستقل كل واحدة منها بالامتنان ولم يشرك في عامل واحد فيكون من عطف المفردات ولابي عبد الله الرازي في ذكر هذه الامتنانات الاربع كلام في علم الطبيعة والحكما على زعمه خارج عن مذاهب العرب يوقف عليه في كتابه والمضطر اسم مفعول وهو الذي احوجه مرض او فقر او حادث من حوادث الدهر الى الالتجا الى الله والتضرع اليه فيدعوه لكشف ما اعتراه

من ذلك

من ذلك وازالته عنه وقال ابن عباس هو المجهود وقال السدي هو الذي لا حول ولا قوة له وقيل هو المذنب اذا استغفر واجابته اياه مقرونة بمشيئته فعلى هذا ليس كل مضطر دعا يجيبه الله بكشف ما به وقال الزمخشري الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن الدعا الا شارطا فيه المصلحة انتهى وهو على طريق الاعتزال في مراعاة المصلحة من الله تعالى ويكشف السو هو كل ما يسو وهو عام في كل ضر انتقل من حالة المضطر وهو خاص الى اعم وهو ما يسو سوا كان المكشوف عنه في حالة الاضطرار او فيما دونها وخلفا اي الامم السالفة او في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر او خلفا النبي عليه السلام من بعده او خلفا الكفار في ارضهم او الملك والتسلط اقوال **وقرا** الحسن في رواية ونجعلكم بنون المتكلم كانه استيناف اخبار ووعد كما قال تعالى ليستخلفنهم في الارض وقوله ويجعلكم خلفا الارض انتقال من حالة المضطر الى رتبة [illegible] من حالة الاضطرار وهي حالة الخلافة فيها ظاهر فان وكم راينا في الدنيا ممن بلغ حالة الاضطرار ثم صار ملكا متسلطا **وقرا** الجمهور تذكرون بتا الخطاب والحسن والاعمش وابو عمرو بيا الغيبة والذال في القرايتين مشددة لادغام التا فيها **وقرا** ابو حيوة تتذكرون بتاين وظلمة البر هي ظلمة الليل وهي الحقيقية وتستعمل مجازا على الجهل وعلى انبهام الامر فيقال اظلم علي الامر **وقال الشاعر** تجلت عمايات الرجال عن الصبا اي جهالات الصبا وهداية البر تكون بالعلامات وهداية البحر بالنجوم ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته تقدم تفسير نظير هذه الجملة **وقرى** عما تشركون بتا الخطاب امن يبدو الخلق الظاهر ان الخلق هو المخلوق وبدؤه اختراعه وانشاؤه والظاهر ان المقصود هو من يعيده الله في الاخرة من الانس والجن والملك لا عموم المخلوق وقال ابن عطية والمقصود بنو ادم من حيث ذكر الاعادة والاعادة البعث من القبور ويحتمل ان يريد بالخلق مصدر خلق ويكون يبدا ويعيد استعارة للاتقان والاحسان كما تقول فلان يبدي ويعيد في امر كذا اذا كان يتقنه وقال الزمخشري فان قلت كيف قال لهم امن يبدو الخلق ثم يعيده وهم منكرون الاعادة **قلت** قد انعم الله عليهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار انتهى ولما كان ايجاد بني ادم انعاما اليهم واحسانا ولا تتم النعمة الا بالرزق قال ومن يرزقكم من السما بالمطر والارض بالنبات قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم ودليلكم على ما تدعون من انكار شي مما تقدم تقريره ان كنتم صادقين في ان مع الله الها اخر فاين دليلكم عليه وهذا راجع الى ما تقدم من جميع الاستفهام الذي جي به على سبيل التقرير وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه لما ذكر ايجاد العالم العلوي والسفلي وما امتن به من انزال المطر وانبات الحدائق اقتضى ذلك الا يعبد الا موجد العالم والممتن بما به قوام الحياة فختم بقوله بل هم قوم يعدلون اي عن عبادته او يعدلون به غيره مما هو مخلوق مخترع ولما ذكر جعل الارض مستقرا وتفجير الانهار وارسا الجبال وكان ذلك تنبيها على من يعقل ذلك ويفكر فيه ختم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون اذ كان فيهم من يعلم ويفكر في ذلك ولما ذكر اجابة دعا المضطر وكشف السو واستخلافهم في الارض ناسب ان يستحضر الانسان دايما هذه المنة فختم بقوله قليلا ما تذكرون اشارة الى توالي النسيان اذا صار في خير وزال اضطراره وكشف السو عنه كما قال نسي ما كان يدعو اليه من قبل ولما ذكر الهداية في الظلمات وارسال الرياح نشرا ومعبوداتهم لا تهدي ولا ترسل وهم يشركون بها الله قال

تعالى عما يشركون واستعقب كل واحدة من هذه الجمل قوله أإله مع الله على سبيل التوكيد والتقرير
انه لا اله الا هو تعالى وقيل سال الكفار عن وقت القيامة التي وعدهم الرسول والحوا عليه
فنزل قل لا يعلم من في السموات والارض الاية والمتبادر الى الذهن ان من فاعل بيعلم
والغيب مفعول وان الا الله استثنا منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ من وجا مرفوعا
على لغة تميم ودلت هذه الاية على انه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب وعن عايشة رضي
الله عنها من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولا يقال انه مندرج في مدلول من
فيكون في السموات والارض ظرفا حقيقيا للمخلوقين فيهما ومجازيا بالنسبة اليه
تعالى اي هو فيهما بعلمه لان في ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز واكثر العلما ينكر
ذلك وانكاره هو الصحيح ومن اجاز ذلك فيصح عنده ان يكون استثنا متصلا
وارتفع على البدل او الصفة والرفع افصح من النصب على الاستثنا لانه استثنا من
نفي متقدم والظاهر عموم الغيب وقيل المراد غيب الساعة وقال الزمخشري **فان
قلت** ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي يعني في كونه استثنا منقطعا
اذ ليس مندرجا تحت من ولهذا اختير الرفع على لغة تميم ولم يختر النصب على لغة
الحجاز **فان قلت** دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله
الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في
السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة
ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا
للقول بخلوها عن الانيس انتهى وكان الزمخشري قد قدم قوله **فان قلت**
جا على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه
قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقوله ما اتاني
زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه انتهى وملخصه ان يقول لو نصب لكان
مندرجا تحت المستثنى منه واذا رفع كان بدلا والمبدل منه في نية الطرح فصار
العامل كانه مفرغ له لان البدل على نية تكرار العامل فكانه قيل قل لا يعلم
الغيب الا الله ولو اعرب من مفعولا والغيب بدلا منه والا الله هو الفاعل
اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله اي الاشيا الغايبة التي تحدث
في العالم وهم لا يعلمون بحدوثها اي لا يسبق علمهم بذلك لكان وجها حسنا وكان
الله تعالى هو المخصوص بسابق علمه بما يحدث في العالم وان تقدم الكلام في ايان في
اواخر الاعراف وهو هنا اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليبعثون وبشعرون
معلق والجملة التي فيها استفهام في موضع نصب به **وقرا** السلمي ايان بكسر
الهمزة وهي لغة قبيلته بني سليم ولما نفي علم الغيب عنهم على العموم نفي عنهم
هذا الغيب المخصوص وهو وقت الساعة والبعث فصار منتفيا مرتين
اذ هو مندرج في عموم الغيب ومنصوص عليه بخصوصه **وقرا** الجمهور بل ادرك
اصله تدارك فصار تدارك فادغمت التا في الدال فسكنت فاجتلبت همزة الوصل
وقرا ابي ام تدارك على الاصل وجعل ام بدل بل **وقرا** سليمان بن يسار وعطا بن يسار
فهو بل ادرك ونقلا الكلمة في التا بعد قلبها الا فضايره قلب الثاني بلا ولا
تنقلهم اشردوا واصله اشترد من الشرد والهمزة المحذوفة المنقول حركتها الى اللام

هي همزة الاستفهام دخلت على الف الوصل فانحذفت الف الوصل ثم انحذفت هي والقيت
حركتها على لام بل **وقرا** ابو رجا والاعرج وشيبة وطلحة وتوبة العنبري كذلك الا انهم
كسروا اللام **وقرا** وروي ذلك عن ابن عباس وعاصم والاعمش **وقرا** ابن كثير وابو عمرو وابو
جعفر واهل مكة بل ادرك على وزن افعل بمعنى تفاعل وروي عن ابي بكر عن عاصم
وقرا عبد الله في رواية وابن عباس في رواية ابي حمزة وغيرهم والحسن وقتادة
وابن محيصن بل ادرك بمدة بعد همزة الاستفهام واصله ادرك فقلب الثانية
الفا تخفيفا كراهة الجمع بين همزتين وانكر ابو عمرو بن العلا هذه الرواية
ووجهها وقال ابو حاتم لا يجوز الاستفهام بعد بل لان بل للايجاب والاستفهام في
هذا الموضع انكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى اشهدوا خلقهم اي لم يشهدوا فلا يصح وقوعهما
معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار انتهى وقد اجاز بعض المتاخرين هذه
الاستفهام بعد بل وشبهه بقول القايل اخبزا اكلت بل اما تشربت تخطي ترك الكلام
الاول والاخذ في الثاني **وقرا** مجاهد ام ادرك وصلا ام بدل واو ادرك على وزن افعل
وقرا ابن عباس ايضا بلا ادرك بهمزة داخلة على ادرك فسقطت همزة الوصل المجتلبة
لاجل الادغام والنطق بالساكن **وقرا** ابن مسعود ايضا بل ادرك بهمزتين همزة الاستفهام
وهمزة افعل **وقرا** الحسن ايضا والاعرج بل ادرك بهمزة وادغام في الكلمة وهي
الدال في التا افتعل فصار ادرك **وقرا** ورش في رواية بل ادرك بحذف همزة
ادرك ونقل حركتها الى اللام **وقرا** ابن عباس ايضا بل ادرك فحرف الايجاب الذي
يوجب به المستفهم المنفي **وقري** بلا ادرك بالف بين الهمزتين فاما قراءة
من قرا بالاستفهام فقال ابن عباس هو تقريع بمعنى لم يدرك علمهم على الانكار عليهم
وقال الزمخشري هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك قراءة من قرا
ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة انتهى وقال ابن عطية هو على
معنى الهزء بالكفرة والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم اي اعلموا امر الاخرة
وادركها علمهم واما قراءة من قرا على الخبر فقال ابن عباس المعنى بل تدارك علمهم
ما جهلوه في الدنيا ام علموه في الاخرة بمعنى يكمل علمهم في الاخرة بل كل ما وعدوا
به حق وهي الحقيقة اثبات العلم لهم لما شاهدوه مما وعدوا به في الاخرة ما وعدوا به
غيبا في الدنيا وكونه بمعنى المضي ومعناه الاستقبال لان الاخبار به صدق وكانه
قد وقع وقال ابن عطية يحتمل معنيين احدهما انه تناهى علمهم كما تقول ادركه
النبات وغيره اي تناهى وتتابع علمهم بالاخرة الى ان لا يعرفوا لها مقدارا
فيومنوا وانهم يكونون كاذبة او الى ان لا يعرفوا لها وقتا ويكون في معنى
الباقين متعلقة بعلمهم وقد يعدى العلم بالبا كما تقول علمي بزيد كذا ويسوغ حمل
هذه القراءة على معنى التوقيف والاستفهام وجاز انكار لانهم لم يدركوا شيا
نافعا والثاني ان ادرك بمعنى يدرك اي علمهم في الاخرة يدركهم وقت القيامة
ويرون العذاب والحقايق التي كذبوا بها واما في الدنيا فلا وهذا تاويل ابن
عباس وحكاه الزجاج وفي نحو بانها من الظرفية متعلقة بتدارك انتهى
وفيه بعض تلخيص وزيادة وقال الزمخشري هو على وجهين احدهما ان
اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كاينة لا ريب فيها قد حصلت
لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في

شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كان فيهم هولاء جعل ذلك
نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم والوجه
الثاني ان وصفهم باستحكام وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك
على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي هو الطريق الى علمه فكيف
يملكهم ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم
والدارك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولهم ادركت
الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وتدرك الحسن باسمحل علمهم وتدارك
من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك انتهى وقال الكرماني العلم هنا
بمعنى الحكم والقول اي تتابع منهم القول والحكم في الاخرة وكثر منهم الخوض فيها
فنفاها بعضهم وشك فيها بعضهم واستبعدها بعضهم وقال الغزالي ادرك
فيصير بمعنى الجحد ولذلك تطلبوا اي لم يفعلوا جحدوها وكونها ورد بمعنى ذلك
بل هم في شك منها وصارت في الكلام بمعنى الا اي لم يدرك علمهم بالاخرة قال الفرا
ويقوي هذا الوجه قراءة من قرا ادرك بالاستفهام انتهى واما قراءة من قرا
بلى بحرف الجواب بدل بل فقال ابو حاتم ان كان بلى جوابا لكلام تقدم جاز ان
يستفهم به كان قوما انكروا ما تقدم من القدرة فقيل لهم بلى ايجابا لما نفوا ثم
استوى فيه كانه قوما انكروا ما تقدم من القدرة وعودا بقوله تعالى بل هم
في شك منها بمعنى ام هم في شك منها لان حروف العطف قد تتناوب وكف عن
الجملتين بقوله تعالى بل هم منها عمون انتهى يعني ان المعنى ادرك علمهم بالاخرة ام
شكوا فتبل بمعنى ام عودل بها الهمزة وهذا ضعيف جدا وهو ان تكون ام وتعادل
همزة الاستفهام وقال الزمخشري فان قلت فمن قرا بلى ادرك قلت
لما جا ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله
ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال
شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون
واما من قرا بلى ادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها
واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين تابع للعلم بكون الكاين
فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم
وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كاينة ثم
بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة وقد جعل الاخرة
مبدا عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكافر جعلها والحذر هو الذي
جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون انتهى وقال الذين كفروا ايذا كنا
ترابا واباونا اينا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباونا من قبل ان
هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غايبة في السما
والارض الا في كتاب مبين ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر
الذى

الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه
وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان
تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم
دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون لما تقدم انه
تعالى منفرد بعلم الغيب ومن جملته وقت الساعة وانهم لا شعور لهم بوقتها وان
الكفار في شك منها عمون ناسب ذكر مقالاتهم في استبعادها وانهم وعدوا به
من ذلك ليس بصحيح انما ذلك من اساطير الاولين تمن غير اخبار بذلك عن حقيقته
وقرا ابن كثير وابو عمرو اينا بالجمع بين الاستفهامين وقلب الثانية يا وفصل
بينهما بالف ابو عمرو وقراهما عاصم وحمزة بهمزتين ونافع اذا بهمزة مكسورة اينا
بهمزة الاستفهام وقلب الثانية يا وبينهما مدة والباقون ايذا باستفهام ممدود
اننا بنونين من غير استفهام والعامل في اذا محذوف دل مضمون الجملة الثانية
تقديره نخرج ويمتنع اعمال المخرجون فيه لان كلا من ان ولام الابتدا والاستفهام
يمنع ان يعمل ما بعده فيما قبله الا اللام الواقعة في خبر ان فانه يتقدم معمول الخبر عليها
وعلى الخبر على ما قرر في علم النحو واباونا معطوف على اسم كان وحسن ذلك الفصل
بخبر كان والاخراج هنا من القبور احيا مردودا ارواحهم الى الاجساد والجمع بين
الاستفهام في اذا وفي اننا انكار على انكار ومبالغة في كون ذلك لا يكون والضمير
في اننا لهم ولابايهم لان صيرورتهم ترابا شامل للجميع ثم ذكروا انهم وعدوا
ذلك هم واباوهم فلم يقع شي من هذا الموعود بعد حزموا دهرا وان ذلك
من اكاذيب من تقدم وجا هنا تقديم الموعود به وهو هذا وتاخر في اية
اخرى على حسب ما سيق الكلام لاجله بحيث تاكد الاخبار عنهم بانكار البعث والاخرة
عمدوا اليها بالتقديم على سبيل الاعتنا وحيث لم يكن ذلك عمدوا الى انكار ايجاد
المبعوث فقدموه واخر الموعود به ثم امر نبيهم ان يامرهم بالسير في الارض
وتقدم الكلام في نظير هذه الاية في اوايل الانعام واراد بالمجرمين الكافرين ثم
على نبيه فقال ولا تحزن عليهم اي في كونهم لم يسلموا ولم يذعنوا الى ما جيت به
ولا تكن في ضيق اي في حرج وامر شاق عليك مما يمكرون فان مكرهم لاحق
بهم لا بك والله يعصمك منهم وتقدمت قراة في ضيق بكسر الضاد وفتحها وهما
مصدران وجوز ابو علي ان يكون المفتوح الضاد اصله فيق بتشديد اليا فخفف
كلين في لين لان ذلك يقتضي حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وليست
من الصفات التي تقوم مقام الموصوف باطراد وان جاز ذلك الزمخشري قال
ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم وعا استعجلت قريش بامر الساعة او
بالعذاب الموعود به لهم وسالوا عن وقته الموعود به على سبيل
الاستهزا وقيل له قل عسى ان يكون ردف لكم بعضه اي تبعكم عن قرب
وصار كالرديف التابع لكم بعض ما تستعجلون به وهو كان
عذاب يوم بدر وقيل عذاب القبر وقرا الجمهور ردف بكسر الدال
وقرا ابن هرمز بفتحها وهما لغتان واصله التعدي بمعنى تبع
ولحق فاحتمل ان يكون مضمنا معنى اللازم ولذلك قرا ابن عباس

وعبر بأزف وقرب لما كان يجي بعد الشي قريبا منه ضمن معناه او مزيده اللام
في مفعوله لتاكيد وصول الفعل اليه كما زيدت الباء في ولا تلقوا بايديكم
قاله الزمخشري وقد عدي بمن على سبيل التضمين لما تعدد بها قال الشاعر
فلما ردفنا من عمير وصحبه ۞ تولوا سراعا والمنية تعنق ۞ اي دنوا من عمير
وقيل ردفه بعض ما تستعجلون وردف له لغتان وقيل الفعل محمول على
المصدر اي الردافة لكم وبعض على تقدير ردافة بعض ما تستعجلون
وهذا فيه تكلف ينزه القران عنه وقيل اللام في لكم داخلة على المفعول له من
اجله والمفعول به محذوف تقديره ردف الخلق لاجلكم وهذا ضعيف
وقيل الفاعل بردف ضمير يعود على الوعد ثم قال لكم بعض ما تستعجلون على المبتدا
والخبر وهذا فيه تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر لغير حاجة تدعو الى
ذلك ذو فضل اي افضال عليهم بترك معاجلتهم بالعقوبة على معاصيهم
وكفرهم ومتعلق يشكرون محذوف اي لا يشكرون نعمه عندهم او لا
يشكرون بمعنى لا يعرفون حق النعمة عبر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة
بانتفاء ما يترتب على معرفتها وهو الشكر ثم اخبر تعالى بسعة علمه فذكر
ما يخص الانسان ثم عم كل غائبة وعبر بالصدور وهي محل القلوب التي
لها الفكر والتعقل كما قال ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وعن الحال
فيها وهي القلوب واسند الاعلان الى ذواتهم لان الاعلان من افعال
الجوارح ولما كان المضمر في الصدر هو الداعي لما يظهر على الجوارح والسبب
في اظهاره قدم الاكنان على الاعلان وقرا الجمهور ما تكن اي ما تخفي ٢
وقرا ابن محيصن وحميد وابن السميفع بفتح التاء وضم الكاف من كن الشي ستره
والمعنى ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم والظاهر عموم
قوله من غائبة اي ما من شي من غايته الغيبوبة والخفاء الا في كتاب عند الله
ومكنون علمه وقيل ما غاب عنهم من عذاب السما والارض وقيل هو يوم القيامة
وهو الها قاله الحسن والكتاب اللوح المحفوظ وقيل اعمال العباد اثبتت ليجازي عليها
وقال صاحب الغنيان اي حادثة غائبة او نازلة واقعة وقال ابن عباس اي ما من شي
سر في السموات والارض وعلانية فاكتفى بذكر السر في مقابله وقال الزمخشري سمى الشي
الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة
ونظيرهما النطيحة والذبيحة والرمية في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا
صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه
قال وما من شي شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح
المبين الظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة انتهى ولما ذكر تعالى المبدا والمعاد ذكر
ما يتعلق بالنبوة وكان المعتمد الكبير في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو القران
ومن جملة اعجازه اخباره بما تضمن من القصص الموافق لما في التوراة والانجيل مع
العلم بانه امي لم يخالط العلما ولا اشتغل بالتعلم فبدا ببني اسرايل وهم اليهود
والنصارى يقص فيه اكثر ما اختلفوا فيه على وجه يبين لهم لو انصفوا و
اسلموا ومما اختلفوا فيه امر المسيح تحزبوا فيه فمن قايل هو الله ومن قايل
ابن الله ومن قايل ثالث ثلاثة ومن قايل هو نبي كغيره من الانبياء وقد عندوا لهم

اجتماعات وتنابزوا في العقائد حتى كفروا في اشياء حتى لعن بعضهم بعضا والظاهر عموم
المومنين وقيل لمن امن من بني اسرايل والقضا والحكم وان ظهر انهما مترادفان فقيل المراد به
هنا العدل اي بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل وقيل المراد بحكمته والحكمة قيل ويدل عليه
قراة من قرا بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة وهو جناح بن حبيش ولما كان
القضا يقتضي تنفيذ ما يقضي به والعلم بما يحكم به جا بعده بالصفتين فقيل
وهو العزيز اي الغالب والقادر والعلم ثم امره تعالى بالتوكل عليه واخبره انه على الحق
الواضح الذي لا شك فيه وهو كالتعليل للتوكل وفيه دليل على ان من كان على الحق يحق
له ان يثق بالله فانه ينصره ولا يخذله ولما كان القران وما قص الله فيه لا يجدي
عندهم اخبر تعالى عنهم انهم موتى القلوب او شبهوا بالموتى وان كانوا احياء
صحاح الابصار لانهم اذا تلي عليهم لا تقبله اذانهم فكانت حالهم لانتفاء جدوى
السماع كحال الموتى وقرا الجمهور ولا تسمع الصم هنا وفي الروم بضم التاء وكسر
الميم الصم بالرفع ولما كان الميت لا يمكن ان يسمع لم يذكر له متعلق بل نفى الاسماع عنه
اي لا يقع منك اسماع لهم البتة لعدم القابلية واما الاصم فقد يكون في وقت يمكن اسماعه
وسماعه فاتى بمتعلق الفعل وهو الدعا واذا معمولة لتسمع وقيد نفي الاسماع
او السماع بهذا الظرف وما بعده على سبيل التاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن
الداعي بان يولي مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته شبههم اولا بالموتى ثم
بالصم في حالة ثم بالعمي وقرا الاعمش وقرا الجمهور بهادي العمي اسم فاعل
مضاف ويحيى بن الحرث وابو حيوة بهاد منونا العمي والاعمش وطلحة وابن وثاب
وابن يعمر وحمزة تهدي مضارع هدى العمي بالنصب وابن مسعود وما ان تهتدي
بزيادة ان بعد ما ويهتدي مضارع اهتدى العمي بالرفع والمعنى ليس في وسعك
ادخال الهدى في قلب من عمي عن الحق ولم ينظر اليه بعيني قلبه ان تسمع الا
من يومن بآياتنا وهم الذين علم الله انهم يصدقون بآياتك انهم مسلمون منقادون
للحق وقال الزمخشري مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني
جعله سالما لله خالصا انتهى واذا وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد العذاب
الذي تضمنه القول الازلي من الله كقوله حقت كلمة العذاب والمعنى اذا اراد الله
ان ينفذ في الكافرين سابق علمه بنيهم من العذاب اخرج لهم دابة من الارض ووقع
عبارة عن الثبوت واللزوم والقول اما على حذف مضاف اي مضمون القول
او اما اطلق القول على المقول كما ان المقول مودي بالقول وهو ما وعدوا
به من قيام الساعة والعذاب وقال ابن مسعود وقوع القول عليهم يكون بموت
العلماء وذهاب العلم ورفع القران انتهى وروي ان خروجها حين ينقطع
الخير ولا يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تايب وفي
الحديث الدابة وطلوع الشمس من المغرب من اول الاشراط وتعين الاول وكذلك
الدجال وظاهر الاحاديث ان طلوع الشمس اخرها والظاهر ان الدابة التي تخرج هي
واحدة وروي انه يخرج في كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الارض فليست
واحدة فيكون قوله دابة اسم جنس واختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها
وعدد خروجها ومقدار ما يخرج منها وما تفعل وما الذي تخرج به اختلافا مضطربا
معارضا بعضه بعضا ويكذب بعضه بعضا فاطرحنا ذكره لان نقله تسويد

الورق مما لا يصح وتضييع لزمان نقله والظاهر ان قوله تكلمهم بالتشديد وهي قراءة الجمهور من
الكلام ويؤيده قراءة ابي تنبئهم وفي بعض القراءات تحدثهم وهي قراءة يحيى بن سلام وقراءة عبد
الله بان الناس قال السدي تكلمهم ببطلان ساير الاديان سوى الاسلام وقيل تخاطبهم
فتقول للمومن هذا مومن وللكافر هذا كافر وقيل معنى تكلمهم تجرحهم من الكلم والتشديد
للتكثير ويؤيده قراءة ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابي زرعة والجحدري وقراءة من قرا
تجرحهم مكان تكلمهم وسال ابو الجوزا ابن عباس تكلم او تكلم فقال كل ذلك تفعل تكلم المومن
وتكلم الكافر انتهى وروي انها تسم الكافر في جبهته وتزبده وتمسح على وجه المومن
فتبيضه وقرا الكوفيون وزيد بن علي ان الناس بفتح الهمزة وابن مسعود بان وتقدم
وباقي السبعة بكسر الهمزة فاحتمل الكسر ان يكون من كلام الله وهو الظاهر لقوله باياتنا
ويحتمل ان يكون من كلام الدابة وروي هذا عن ابن عباس وكسرت ان على هذا القول اما على
اضمار القول او على اجرا تكلمهم اجرا تقول لهم ويكون قوله باياتنا على حذف مضاف او
لاختصاصها بالله كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وعلى قراءة الفتح فالتقدير
بان كقراءة عبد الله والظاهر انه متعلق بتكلمهم اي تخاطبهم بهذا الكلام ويجوز ان
تكون البا المنطوق بها او المقدرة سببية اي تخاطبهم او تجرحهم بسبب انتفا ايقانهم
باياتنا ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا
جاؤا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم
بما ظلموا فهم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان
في ذلك لايات لقوم يومنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض الا من شا الله وكل اتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي انه خبير بما تفعلون من جا
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يوميذ امنون ومن جا بالسيئة فكبت
وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة الذي حرمها وله كل شي وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو
القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين
وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون اي اذكر
يوم نحشر والحشر الجمع على عنف من كل امة اي من الامم ومن هي للتبعيض فوجا
اي جماعة كثيرة ممن يكذب باياتنا من للبيان اي الذين يكذبون والايات الانبيا
او القران او الدلايل اقوال فهم يوزعون تقدم تفسيره في اول قصة سليمان من هذه
السورة وعن ابن مسعود ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة بين يدي اهل
مكة وكذلك يحشر قادة ساير الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا اي الى الموقف قال اكذبتم
باياتي استفهام توبيخ وتقريع واهانة ولم تحيطوا بها علما الظاهر ان الواو للحال اي
اوقع تكذيبكم بها غير متدبرين لها ولا محيطين علما بكنهها ويجوز ان تكون الواو للعطف
اي اجحدتموها ومع جحودها لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه
قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويحيط
بمعانيه علما وقيل ولم تحيطوا بها علما اي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين
غير مستدلين واما هنا منقطعة وينبغي ان يقدر ببل وحدها لتنقل من الاستفهام
الذي يقتضي التوبيخ الى الاستفهام من عملهم ايضا على جهة التوبيخ اي اي شي كنتم
تعملون

تعملون والمعنى ان كان لكم عمل او حجة فهاتوا ولم يبق لهم عمل ولا حجة فيما عملوه الا الكفر والتكذيب
وماذا الكلمة يحتمل ان يكون استفهاما منصوبا بخبر كان وهو تعملون وان يكون ما هو استفهام
وذا موصول بمعنى الذي فيكون ما مبتدا وخبرا وكان صلة لذا والعامل محذوف اي تعملونه
وقرا ابو حيوة اماذا بتخفيف الميم ادخل اداة الاستفهام على اسم الاستفهام على سبيل التوكيد
ووقع القول اي العذاب الموعود به بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون
اي لا حجة ولا عذر لما شغلهم من عذاب الله وقيل يختم على افواههم فلا ينطقون
وانتفا نطقهم يكون في موطن من مواطن القيامة او من فريق من الناس لان القران
يقتضي انهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن ولما ذكر اشيا من احوال يوم القيامة لم يدع
شيا مما اراد الله اذاعته بينهم على ما هو دليل على التوحيد والحشر والنبوة مما هم
يشاهدونه في حالة حياتهم وهو تقليب الليل والنهار من نور الى ظلمة ومن ظلمة الى
نور وفاعل ذلك واحد وهو الله تعالى فيجب ان يفرد بالعبادة والالوهية وفي هذا
التقليب دليل على النقل من حياة الى موت ومن موت الى حياة اخرى وفيه دليل ايضا
على النبوة لان هذا التقليب هو لمنافع المكلفين ولهذا علل ذلك الجعل بقوله لتسكنوا فيه
وبعثة الانبيا لتحصيل منافع الخلق واضاف الابصار الى النهار على سبيل المجاز لما كان
يبصر فيه اضافه اليه كما تقول ليل نائم وعلل جعل الليل بقوله لتسكنوا فيه اي
لان يقع سكونهم فيه مما يلحقهم من التعب في النهار واستراحة نفوسهم وقال بعض الرجال
النوم راحة القوى الحسية من حركات والقوى النفسية ولم يعلل النهار بل
جعل النهار بالنص على علته فيكون التركيب والنهار لتبصروا فيه بل اتى بقوله مبصرا
قيدا في جعل النهار لا علة للجعل فقال الزمخشري هو مراعى من حيث المعنى وهكذا
النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب
انتهى والذي يظهر ان هذا من باب ما حذف من اوله ما اثبت في مقابله وحذف من
اخره ما اثبت في اوله فالتقدير جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا
فيه فالاظلام ينشا عنه السكون والابصار ينشا عنه التصرف في المصالح ويدل عليه قوله تعالى
وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم فالسكون علة لجعل الليل مظلما والتصرف
علة لجعل النهار مبصرا وتقدم لنا الكلام على نظير هذين الحذفين مشبعا في البقرة في قوله
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ان في ذلك اي في هذا الجعل لايات لقوم يومنون
لما كان لا ينتفع بالتفكر في هذه الايات الا المومنون خصوا بالذكر وان كانت ايات لهم
ولغيرهم ويوم ينفخ في الصور تقدم القول في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو
فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقيل
نفختان جعلوا الفزع والنفخ الصعق نفخة واحدة واستدلوا بقوله ثم نفخ فيه اخرى
وبان الاستثنا في كلا الا من شا الله وقال صاحب الغنيان ويوم ينفخ في الصور للبعث من
القبور والحشر وعبر هنا بالماضي في قوله ففزع وان كان لم يقع اشعارا بصحة وقوعه
وانه كاين لا محالة وهذه فايدة وضع الماضي موضع المستقبل كقوله تعالى فاوردهم
النار بعد قوله يقدم قومه يوم القيامة الا من شا الله فلا يناله هذا الفزع استثنى
الله قلبه فقال مقاتل هم جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل ملك الموت وان كان
الفزع الاكبر لا ينالهم فهم حريون الا ينالهم هذا وقال الضحاك الحور العين وخزنة
النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة وقال ابو هريرة هم الشهدا
رواه ابو هريرة مرفوعا وهو انهم الشهدا عند ربهم يرزقون وهو قول ابن جبير قال

هم الشهداء متقلدو السيوف حول العرش وقيل هم الموصوفون لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون
قال بعض العلماء ولم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وقال القرطبي صحح علي حديث ابي هريرة
وقد صححه القاضي ابو بكر بن العربي فيعول عليه في التعيين وغيره اجتهاد والنفخ هو
حقيقة اما في القرن واما في الصور وهو قول الاكثرين وقيل يجوز ان يكون تمثيلا
لدعاء الموتى فان خروجهم من قبورهم كخروج الجيش عند سماع الصوت فيكون ذلك
مجازا والاول قول الاكثرين وهو الصواب لكثرة ورود النفخ في الصور في القرآن
وفي الحديث الصحيح وقيل فزع ليس من الفزع بمعنى الخوف وانما معناه اجاب
واسرع الى النداء وكل اتوه المضاف اليه كل محذوف تقديره وكلهم **وقرا** الجمهور آتوه
اسم فاعل وعبد الله وحمزة وحفص اتوه فعلا ماضيا وفي التركيب رجعا معنا كل من الجمع
وقتادة اتاه فعلا ماضيا مسندا لضمير كل على لفظها وجمع داخرين على معناها **وقرا**
الحسن والاعمش دخرين بغير الف وقيل معنى اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية
ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال هو من رؤية العين تحسبها
حال من فاعل ترى او من الجبال وجامدة من جمد مكانه اذا لم يبرح منه وهذه
الحال للجبال عقيب النفخ في الصور وهو اول احوال الجبال تموج وتسير ثم ينسفها الله فتصير
كالعهن ثم تكون هباء منبثا في اخر الامر وهي تمر مر السحاب قيل في كونها تمر مرا حثيثا
كما مر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها
قال النابغة الجعدي في صفة جيش فارعن مثل الطود تحسب انهم ° وقوف لحاج والركاب تهملج
وقيل شبه مرورها بمر السحاب في كونها تسير سيرا وسطا كما قال **الاعشى**
كان مشيتها من بيت جارتها ° مر السحابة لا ريث ولا عجل ° وصف الرائي الجبال جامدة
مع مرورها قيل لهول ذلك اليوم فلم يثبت ذهن في الفكر في ذلك حتى يتحقق
كونها ليست بجامدة وقال ابو عبد الله الرازي الوجه في حسبانهم انها جامدة ان
الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت ظن الناظر اليها انها واقفة
وهي تمر مرا حثيثا انتهى وقيل وصف تعالى الجبال بصفات مختلفة ترجع الى تفريغ
الارض منها وابراز ما كانت تواريه فاول الصفات ارتجاجها ثم صيرورتها كالعهن
المنفوش ثم كالهباء بان تتقطع بعد ان كانت كالعهن ثم نسفها وهي مع الاحوال
المتقدمة قارة في مواضعها والارض غير بارزة وبالنسف برزت ثم نسفها بارسال
الرياح عليها ثم تطيرها بالريح في الهواء كانها هباء ثم كونها سرابا فاذا نظرت
الى مواضعها لم تجد فيها منها شيئا كالسراب وقال مقاتل تقع على الارض
فتسوى بها وانتصب صنع الله على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبلها
فالعامل فيه مضمر من لفظه وقال الزمخشري صنع الله من المصادر المؤكدة
كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب
المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من
جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي
اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه
للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما
يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة فله الى اخر الايتين
فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماماته ورصانة

تفسيره

تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق
ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه
ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله
وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي
اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله
انتهى وهذا الذي ذكره من شقاشقه وتكثيره في الكلام واحتياله في اداء الفاظ
القرآن لما عليه مذاهب المعتزلة والذي يظهر ان صنع الله مصدر مؤكد لمضمون
الجملة السابقة وهو جملة الحال اي صنع الله بها ذلك وهو قلعها من الارض
ومرها مر السحاب واما قوله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
الى قوله صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة فذلك لا يصح لان المصدر المؤكد لمضمون
الجملة لا يجوز حذف جملته لانه منصوب بفعل من لفظه فيجتمع حذف الفعل الناصب
وحذف الجملة التي اكد مضمونها بالمصدر وذلك حذف كثير مخل ومن حيث ان
المؤكد اذ الحذف ينافي التوكيد لانه من حيث اكد معتنى به ومن حيث حذف غير معتنى
به وقيل انتصب صنع الله على الاغراء بمعنى انظروا صنع الله **وقرا** العربيان وابن كثير
يفعلون بالياء وباقي السبعة بتاء الخطاب ولما ذكر علامات القيامة ذكر احوال المكلفين
بعد قيام الساعة والحسنة الايمان وقال ابن عباس والنخعي وقتادة هو لا اله الا الله
ورتب على مجيء المكلف بالحسنة شيئين احدهما ان له خيرا منها والظاهر ان خيرا ليس افعل
تفضيل ومن لابتداء الغاية اي له خير من الخيور مبتدؤه ونشوءه منها اي من
جهة هذه الحسنة والخير هنا هو الثواب وهذا قول الحسن وابن جريج وعكرمة
قال عكرمة ليس شيء خيرا من لا اله الا الله يريد انها ليست افعل التفضيل وقال
افعل التفضيل فقال الزمخشري فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل منقض والثواب
يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد انتهى وقوله وشتان ما بين العبد وفعل
السيد تركيب مختلف فيه فبعض العلماء منعه والصحيح جوازه وقال ابن عطية ويحتمل
ان تكون للتفضيل ويكون في قوله منها حذف مضاف تقديره من قدرها واستحقاقها
بمعنى ان الله تعالى يتفضل عليه فوق ما تستحق حسنته وقال ابن زيد يعطى بالواحدة
عشرا والداعية الى هذا التقدير ان الحسنة لا يتصور بينها وبين الثواب تفضيل انتهى
وقيل ثواب المعرفة الكاملة في الدنيا هي الرؤية الضرورية الكاملة في الاخرة ولذة
النظر الى وجهه الكريم وقد دلت الدلائل على ان اشرف السعادات هي هذه
اللذة ولو لم تحمل الاية على ذلك لزم ان يكون الاكل والشرب خيرا من معرفة الله
تعالى وذلك لا يكون **وقرا** الكوفيون من فزع بالتنوين ويومئذ منصوب
على الظرف بمعمول لقوله امنون او للفزع ويدل على انه معمول له قراءة من اضافه
اليه وفي موضع الصفة لفزع اي كائن في ذلك الوقت **وقرا** باقي السبعة باضافة
فزع الى يومئذ فكسر الميم العربيان وابن كثير واسمعيل بن جعفر عن نافع وفتحها
بناء لانه اضيف الى غير متمكن نافع في غير رواية اسمعيل والتنوين في يومئذ
تنوين العوض حذفت الجملة وعوض منها والاولى ان تكون الجملة المحذوفة
ما قرب من الظرف اي يوم اذ جاء بالحسنة ويجوز ان يكون التقدير يوم
اذ ترى الجبال ويجوز ان يكون التقدير يوم اذ ينفخ ولا سيما اذ قلنا انه
نفخ القيام من القبور للحساب ويكون الفزع اذ ذاك واحدا وقال ابو علي

ما معناه من فزع بالتنوين او بالاضافة يجوز ان يراد به فزع واحد وان يراد به الكثرة
لانه مصدر فان اريد الكثرة شمل كل فزع يكون في القيامة وان اريد الواحد فهو الذي
اشار الله بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين الفزعين
قلت الفزع الاول ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب
وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به والثاني الخوف من العذاب انتهى
والسيئة الكفر والمعاصي فيمن حتم الله عليه من اهل المشيئة بدخول النار وخصت
الوجوه اذ كانت اشرف الاعضاء ويلزم من كبها في النار كب الجميع وعبر بالوجه
عن جملة الانسان كما يعبر عنها بالراس والرقبة كما قال فكبكبوا فيها فكانه قيل
فكبوا في النار والظاهر من كبت انهم يلقون في النار منكوسين قاله ابو العالية
اعلاهم قبل اسفلهم ويجوز ان يكون ذلك كناية عن طرحهم في النار قاله الضحاك
هل تجزون خطاب لهم على اضمار القول اي يقال لهم وقت الكب هل تجزون ثم
امر الله تعالى نبيه ان يقول انما امرت والآمر هو الله تعالى على لسان جبريل او
دليل العقل على وحدانية الله تعالى ان اعبد اي افرده بالعبادة ولا اتخذ معه
شريكا كما فعلت قريش وهذه اشارة تعظيم كقوله وهذا كتاب انزلناه هذا ذكر
من معي من حيث هي موطن نبيه ومهبط وحيه والبلدة مكة واسند التحريم اليه تشريفا
لها واختصاصا ولا تعارض بين قوله الذي حرمها وقوله عليه السلام ان ابراهيم
حرم مكة واني حرمت المدينة لان اسناد ذلك الى الله من حيث بقضائه وسابق علمه
واسناده الى ابراهيم من حيث كان ظهور ذلك بدعائه ورغبته وتبليغه لامته وفي
قوله حرمها تنبيه بنعمته على قريش اذ جعل بلدهم آمنة من الغارات والفتن
التي تكون في بلاد العرب واهلك من اراد غزوها **وقرا** الجمهور الذي صفة الرب
وقرا ابن مسعود وابن عباس التي صفة للبلدة ولما اخبر انه مالك هذه البلدة اخبر انه
يملك كل شي فقال وله كل شي اي جميع الاشيا داخلة في ربوبيته على جهة الخصوص
وعلى جهة العموم وامرت ان اكون من المسلمين اي المستسلمين المنقادين لامر الله
الناعدة بما امرني او من الحنفا الثابتين على ملة الاسلام المشار اليهم في قوله هو
سماكم المسلمين وان اتلو القران اما من التلاوة اي وان اتلو عليكم القران وهذا
الظاهر اذ بعده التقسيم المناسب للتلاوة واما من التلو اي وان اتبع القران كقوله
واتبع ما يوحى اليك **وقرا** الجمهور وان اتلو **وقرا** عبد الله وان اتل بغير واو امرا
من تلا فجاز ان تكون ان مصدرية وصلت بالامر وجاز ان تكون مفسرة على اضمار
وامرت ان اتل اي اتل **وقرا** ابي واتل هذا القران فجعله امرا دون ان فمن اهتدى
به ووحد الله ونزهه وامن بما جاء به فثمرة هدايته مختصة به ومن ضل فوبال الضلال
مختص به وحذف جواب ومن ضل لدلالة جواب مقابله عليه او يقدر في قوله فقل انما انا
من المنذرين ضمير حتى يربط الجزاء بالشرط اذ اداة الشرط اسم وشرط فلا بد من جملة
الجواب من ذكر يعود عليه ملفوظ به او مقدر فتكون الجملة هي جواب الشرط ويقدر
الضمير من المنذرين له ليس علي الا الانذار واما هدايته فالى الله وقل الحمد لله
امر ان يقول ذلك فيحمد ربه على ما خصه به من شرف النبوة والرسالة واقتصه
من رفيع المنزلة سيريكم اياته تهديد لاعدايه بما يريهم الله من اياته التي
تضطرهم الى معرفتها والاقرار انها ايات الله قال الحسن وذلك في الآخرة حتى
لا ينفعهم المعرفة وقال الكلبي في الدنيا وهي الدخان وانشقاق القمر وما حل

بهم من نقمات الله وقيل يوم بدر وقيل خروج الدابة ولو بعد حين وقيل اياته في انفسكم
وفي ساير ما خلق مثل قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وقيل معجزات الرسول
واضافها اليه لانه هو مجريها على يدي رسوله ومظهرها من جهته فتعرفونها اي فتعرفونها
ولا يمكنكم جحودها **وقرا** الجمهور عما يعملون بيا الغيبة اتباعا لضمير الخطاب الى
ضمير الغيبة ونافع وابن عامر بتا الخطاب لقوله سيريكم ولما قسمهم الى مهتد وضال
اخبر تعالى انه محيط باعمالهم غير غافل عنها **الوكز** الضرب باليد مجموعا كعقد ثلاثة وسبعين
وقيل بجمع كفه وقيل الوكز واللكز والنهز واللهز الدفع باطراف الاصابع وقيل الوكز على
القلب واللكز على اللحي وقيل الوكز باطراف الاصابع **ذاد** طرد ودفع وقال الفراء حبس **جذوة**
الشيء واقطعته والجذوة عود فيه نار بلا لهب **قال ابن مقبل** ٠٢
باتت حواطب ليلي يلتمسن لها ❊ جزل الجذا غير خوار ولا دعر
بتقصف **الخوار** الذي
والدعر الذي فيه نعب **وقال اخر** والقي على قبس من النار جذوة ❊ شديدا عليها حرها والتهابها
وقيل الجذوة مثلث الجيم العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن **وقال السلمي** الجذا
❊ حمى حب هذي النار حب خليلتي ❊ وحب الغواني فهو دون الحبايب ٠٢
❊ وبدلت بعد المسك والبان شقوة ❊ دخان الجذا في راس اشمط شاحب ❊
الشاهي واشط حقة الواهي **الفصاحة** بسط اللسان في ايضاح المعنى المقصود
ومقابلها اللكن **الردء** المعين الذي يشتد به في الامر فعل بمعنى مفعول فهو اسم لما يعان
كان الدفء اسم لما يدفأ به **قال سلامة بن جندل** وردئي كل ابيض مشرفي ❊ شحيذ الحد عضب ذي فلول
ويقال ردات الحايط اردوه اذا دعمته بخشبة لئلا يسقط وقال ابو عبيدة العون
ويقال ردات على عدوه اعنته **المقبوح** المطرود **وقال الشاعر** ٠٢
❊ الا ادهم اسا لبراجيم كلها ❊ وصرح يربوعا وعنبر دارما ❊ **ثوى** يثوي ثواء اقام
قال الشاعر لقد كان في حول ثواء ثويته ❊ تقضي لبانات ويسام سايم **وقال العجاج**
نبات حيث يدخل الثوي ❊ اي الضيف **السرمد** الدايم الذي لا ينقطع
الطغيان **سورة القصص** بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين
نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في
الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم يذبح ابناهم ويستحيي
نساهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون هذه السورة مكية كلها
قاله الحسن وعطا وعكرمة وقال مقاتل فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب
من قبله الى قوله لا نبتغي الجاهلين وقيل نزلت بين مكة والجحفة **وقال** ابن
عباس بالجحفة في خروجه عليه السلام للهجرة **وقال** ابن سلام نزل ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد بالجحفة وقت الهجرة الى المدينة ومناسبة
اول هذه السورة لاخر السورة قبلها انه امره تعالى بحمده ثم قال سيريكم اياته
وكان مما فسر به اياته تعالى معجزات الرسول وانه اضافها تعالى اليه اذ كان هو
المجريها على يديه فقال تلك ايات الكتاب اذ كان الكتاب هو اعظم المعجزات
واكبر الايات البينات والظاهر ان الكتاب هو القران وقيل اللوح المحفوظ
نتلوا اي نقرا عليك بقراءة جبريل او نقص او مفعول نتلو من نبا اي بعض نبا

وبالحق متعلق بنتلوا اي محقين او في موضع الحال من نبا اي ملتبسا بالحق وخص
المؤمنين لانهم المنتفعون بالتلاوة علا في الارض اي تجبر واستكبر حتى ادعى
الربوبية والعتو والارض ارض مصر والشيع الفرق ملك قبط واستعبد بني اسرائيل
ان يشيعونه على ما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او ناسا في بناء وناسا
في حفر وغير ذلك من الحرف المهنة ومن لم يستخدمه ضرب عليه الجزية او اغرى
بعضهم ببعض ليكونوا له اطوع والطائفة المستضعفة بنوا اسرائيل والظاهر
ان يستضعف استئناف مبين حال بعض الشيع ويجوز ان يكون حالا من ضمير
وجعل وان تكون صفة لشيعا ويذبح تبيين للاستضعاف وتفسير او في موضع
الحال من ضمير وجعل او ان تكون بيستضعف او في موضع الصفة لطائفة
وقرا الجمهور يذبح مضعفا وابو حيوة وابن محيصن بفتح الياء وسكون
الذال انه كان من المفسدين علة للتذبيح وللتذبيح الابناء دليل في ذلك لا مجرد
الفساد ونريد حكاية حال ماضية والجملة معطوفة على قوله ان فرعون
لان كلتيهما تفسير للنبا ويضعف ان يكون حالا من الضمير في يستضعف
لاحتياجه الى اضمار مبتدا اي ونحن نريد وهو ضعيف واذا كانت حالا
فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله ولا يمكن الاقتران
فقيل لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها
لانه مقارنة لاستضعافهم وان نمن اي بخلاصهم من فرعون واغراقه
ونجعلهم ائمة اي مقتدى بهم في الدين والدنيا وقال مجاهد دعاة الى الخير
وقال قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا وقال الضحاك انبيا ونجعلهم
الوارثين اي يرثون فرعون وقومه ملكهم وما كان لهم وعن علي الوارثون
هم يوسف عليه السلام وولده وعن قتادة ايضا ورثوا ارض مصر
والشام وقرا الجمهور ونمكن عطفا على نمن وقرا الاعمش ولنمكن بلام كي
اي واردنا ذلك لنمكن او ولنمكن فعلنا ذلك والتمكين التوطئة في الارض
هي ارض مصر والشام بحيث ينفذ امرهم ويتسلطون على من سواهم وقرا
الجمهور ونري مضارع اربنا ونصب ما بعده وعبد الله وحمزة والكسائي
ويرى مضارع راى ورفع ما بعده وهامان وزير فرعون واحرز له وذكر
لنباهته في قومه ومحله من الكفر الا ترى الى قوله له يا هامان ابن لي صرحا
ومجده وبهم زوال ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ايحا الله الى ام موسى الهام وقذف في
القلب قاله ابن عباس وقتادة او منام قاله قوم او ارسال ملك قاله قطرب وقوم
وهذا هو الظاهر لقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين واجمعوا على
انها لم تكن نبية فان كان الوحي بارسال ملك كما هو الظاهر فهو كارسالة
للاقرع والابرص والاعمى وكما روي في تكليم الملائكة للناس والظاهر ان هذا
الايحا هو بعد الولادة فيكون ثم جملة محذوفة اي ووضعت موسى امه في

زمن

زمن الذبح وخافت عليه وان ارضعيه ان تفسيرية او مصدرية وقيل كان الوحي قبل الولادة وقرا
عمرو بن عبد الواحد وعمر بن عبد العزيز ان ارضعيه بكسر النون بعد حذف الهمزة على غير
قياس لان القياس فيه نقل حركة الهمزة على الفتحة الى النون كقراءة ورش فاذا خفت
عليه من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الاولاد فالقيه في اليم قال الجنيد
اذا خفت حفظه بواسطة فسلميه الينا لالقائه في البحر واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك
وزمان ارضاعه ثلاثة اشهر او اربعة او ثمانية اقوال واليم هنا نيل مصر ولا تخافي
عليه من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيقتل ولا تحزني لمفارقتك اياه انا رادوه
اليك وعد صادق يسكن قلبها ويبشرها بحياته وجعله رسولا وقد تقدم في سورة
طه حديث التابوت ورميه في اليم وكيفية التقاطه فاغنى عن اعادته ولقد سمع
الاصمعي امراة من العرب انشدت شعرا فقال لها [illegible] بعد قوله تعالى واوحينا الى ام
موسى الاية فصاحة وقد جمع بين امرين ونهيين وبشارتين فالتقطه ال فرعون
في الكلام حذف تقديره ففعلت ما امرت به من ارضاعه ومن القائه في اليم
واللام في ليكون للتعليل المجازي لما كان مآل التقاطه وتربيته الى كونه
عدوا لهم وحزنا وان كانوا لم يلتقطوه الا للتبني وكونه يكون حبيبا لهم ويعبر عن
هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة وقرا الجمهور وحزنا بفتح الحا والزاي وهي لغة
قريش وقرا ابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن سعدان بضم الحا
واسكان الزاي والخاطي المتعمد للخطا والخاطي الذي لا يتعمده ويحتمل ان يكون في
الكلام حذف وهو الظاهر اي فكان لهم عدوا وحزنا اي لانهم كانوا خاطين لم يرجعوا
الى دينه وتعبد والحاكم والكفر بايه وقال المبرد خاطين على انفسهم بالتقاطه
وقيل بقتل اولاد بني اسرائيل وقيل في تربية عدوهم واضيف الخطا هنا وفي ما قبل
الى فرعون وهامان وان كان هامان لا مولد له لان امر الجنود لا يستقيم الا
بالملك والوزير اذ بالوزير تحصل الاموال وبالملك وقهره تتوصل الى تحصيلها ولا
يكون قوام الجند الا بالاموال وقرئ خاطين بغير همز فاحتمل ان يكون اصله الهمز
وحذف وهو الظاهر وقيل من خطا يخطو اي خاطين الصواب ولما التقطوه هموا
بقتله وخافوا ان يكون المولود الذي يحذرون زوال ملكهم على يديه فالقى الله
محبته في قلب اسية امراة فرعون وقالوا انها رات التابوت وشهد عليها [illegible] بعد
ثم تجد على يد غيرها وان بنت فرعون اصابه ايضا [illegible] الذي كان بها وهو
البرص باخبار من اخبر انه لا يبريها الا ريق انسان يوجد في تابوت في البحر وقرة مبتدا
محذوف اي هو قرة ويبعد ان يكون مبتدا والخبر لا تقتلوه وتقدم شرح قرة في آخر
الفرقان وذكر انها لما قالت لفرعون قرة عين لي ولك قال لك لا لي وروي انها قالت
لعله من قوم اخر ليس من بني اسرائيل واشجعت الى عن قتله برجائها ان ينفعهم
لظهور مخايل الخير فيه من النور الذي راته ومن برء البرصا ويتخذوه ولدا لانه
اهل لذلك وهم لا يشعرون جملة حالية اي لا يشعرون انه الذي يفسد ملكهم على
يديه قاله قتادة او انه عدو لهم قاله مجاهد او اني افعل ما اريد لا ما يريدون
قاله محمد بن اسحاق والظاهر انه كلام الله تعالى وقيل هو من كلام امراة فرعون
اي قالت ذلك لفرعون والذي اشاروا بقتله لا يشعرون بمقالتها له واستعطافها
قلبه عليه لئلا يغروه بقتله وقال الزمخشري تقدير الكلام فالتقطه ال فرعون

ليكون لهم عدوا وحزنا وقال امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم وفي التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه موكدة لمعنى خطئهم انتهى ومتى امكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان احسن واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين واصبح اي صار فارغا من العقل وذلك حين بلغها انه وقع في يد فرعون فدهمها امر مثله لا يثبت معه عقل امراة خافت على ولدها حتى طرحته في اليم رجاء نجاته من الذبح هذا مع الوحي اليها ان الله يرده اليها ويجعله رسولا ومع ذلك فطاش لبها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجاة الخطب العظيم ثم كانت بعد ذلك لموعود الله و قرا احمد بن موسى عن ابي عمرو فواد بالواو وقال ابن عباس فارغا من الصبر وقال ابن زيد فارغا من وعد الله ووحيه اليها تناسته من الهم وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن اذ لم يغرق وهذا فيه بعد وتبعده القرائن الفواد التي على اللفظة و قرا فضالة ابن عبيد والحسن ويزيد بن قطيب وابو زرعة بن عمرو بن جرير فزعا بالزاي والعين المهملة من الفزع وهو الخوف والقلق وابن عباس قرعا بالقاف وكسر الرا واسكانها من قرع راسه اذا انحسر شعره كانه خلا من كل شي الا من ذكر موسى وقيل قرعا بالسكون مصدر اي يقرع قرعا من القارعة وهي الهم العظيم وقرا بعض الصحابة فزعا بالفا مكسورة وسكون الزاي والعين المنقوطة ومعناه ذاهبا هدرا تالفا من الهم والحزن ومنه قول طليحة الاسدي في اخيه حبال

فان تك قتلى قد اصيبت نفوسهم * فلن تذهبوا فزعا بقتل حبال *

اي بقتل حبال فرعا اي هدرا لا يطلب له بثار ولا بقود وقرا الخليل بن احمد فرغا بضم الفا والرا ان كادت لتبدي به هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا وهذا قول كوفي والابدا الاظهار اي والظاهر ان الضمير في به عائد على موسى فقيل الباء زائدة اي لتظهره وقيل مفعول تبدي محذوف اي لتبدي القول به اي بسببه وانه ولدها وقيل الضمير في به للوحي اي لتبدي بالوحي وقال ابن عباس كادت تصيح عند القائه في البحر وابناه وقيل عند رويتها تلاطم الامواج به ما لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان وقال السدي بالعصمة وقال الصادق باليقين وقال ابن عطا بالوحي لتكون من المومنين تعلمنا ذلك اي المصدقين بوعد الله وانه كاين لا محالة والربط على القلب كناية عن قراره واطمانانه بما يربط مخافة الانفلات وقال الزمخشري ويجوز ان اصبح فوادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المومنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه انتهى وما ذهب اليه الزمخشري

من تجويز

من تجويز كونه فارغا من الهم الى اخره خلاف ما فهمه المفسرون من الاية وجواب لولا محذوف تقديره لكادت تبدي به ودل عليه قوله ان كادت لتبدي به وهذا شبيه بقوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وقالت لاخته طمعا منها في التعرف بحاله قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فروي انها خرجت الى سكك المدينة مختفية فراته عند قوم من حاشية امراة فرعون يتطلبون امراة مرضعة حين لم يقبل المراضع واسم اخته مريم وقيل كلثمة وقيل كلثوم وفي الكلام حذف اي فقصت اثره فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد وهم لا يشعرون بتطلبها له ولا بابصارها وقيل يعني عن جنب عن شوق اليه حكاه ابو عمرو بن العلا وقال هي لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت وقال الكرماني جنب صفة لموصوف محذوف اي عن مكان جنب يريد بعيد وقيل عن جانب لانها كانت تمشي على الشط وهم لا يشعرون انها تقص وقيل لا يشعرون انها اخته وقيل لا يشعرون انه عدو لهم قاله مجاهد وقرا الجمهور عن جنب بضمتين وقرا قتادة فبصرت بفتح الصاد وعيسى بكسرها وقرا قتادة والحسن والاعرج وزيد بن علي عن جنب بفتح الجيم وسكون النون وعن قتادة بفتحهما ايضا وعن الحسن بضم الجيم واسكان النون وقرا النعمان بن سالم عن جانب والجنب والجانب والجنابة والجناب بمعنى واحد وقال قتادة معنى عن جنب انها تنظر اليه كانها لا تريده والتحريم هنا بمعنى المنع اي منعناه ان يرضع ثدي امراة والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي او الارضاع من قبل اي من اول امره وقيل من قبل قصها اثره واتيانه على من هو عنده فقالت هل ادلكم اي ارشدكم الى اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية ودل قوله وحرمنا عليه المراضع انه عرض عليه جملة من المراضع والظاهر ان الضمير في له عائد على موسى وقيل ويحتمل ان يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر امره من جملة وقال ابن جريج تاول القوم ان الضمير للطفل فقالوا انك تعرفينه فاخبرينا من هو فقالت ما اردت الا انهم ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التاويل وفي الكلام حذف تقديره فمرت بهم الى امه فكلموها في ارضاعه او فجات بامه اليهم فكلموها في شانه فارضعته فالتقم ثديها وروي ان فرعون قال لها ما سبب قبول هذا الطفل ثديك وقد ابى كل ثدي فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها وذهبت به الى بيتها واجرى لها كل يوم دينارا واجاز لها اخذه لانه مال حربي فهو مباح وليس ذلك اجرة رضاع فرددناه الى امه كما قال تعالى انا رادوه اليك ودمع الفرح بارد وعين المهموم حرى سخنة وقال ابو تمام

فاما عيون العاشقين فاسخنت * واما عيون الشامتين فقرت

ولما اخبر وعده في الرد ثبت عندها انه سيكون رسولا ولتعلم ان وعد الله حق تعلما ذلك ولا يعلمون اي ان وعد الله حق فهم مرتابون فيه او لا يعلمون ان الرد انما كان لتعلمها بصدق وعد الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الرد كان لذلك وفي قوله ولتعلم ان وعد الله دلالة على ضعف من ذهب الى ان الايحا اليها مناما ومنا ما لان ذلك يبعد ان يقال فيه وعد وقوله ولتعلم

ووقوع ذلك منهم على مشاهدة اذ كانت عادتهم ان ذلك سكون واكثرهم القبط ولا يعلمون بالقضا
وقال الضحاك لا يعلمون بصالحهم وملاهي عوايدهم وقال الضحاك ايضا ومقاتل لا يعلمون ان
الله وعدها رده اليها وتقدم تفسيره ولما بلغ اشده الى المحسنين في سورة يوسف عليه
السلام ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من
عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل
مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا
يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي
مبين فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد
ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان
الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها
خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين المدينة قال ابن عباس هي
منف ركب فرعون يوما وسار اليها فعلم موسى بركوبه فلحق بتلك المدينة في
وقت القايلة وعنه بين العشا والعتمة وقال ابن اسحاق المدينة مصر نفسها
وكان موسى قد بدت منه مجاهرة لفرعون وقومه بما يكرهون فاختفى وخاف
فدخلها متنكرا حذرا مستغفلا للناس وقال ابن زيد كان فرعون قد اخرجه من
المدينة فغاب منها سنين فجا والناس في غفلة بنسيانهم له وبعد عهدهم
به وقيل كان يوم عيد وهم مشتغلون بلهوهم وقيل حين خرج من قصر فرعون ودخل
مصر وقيل المدينة عين شمس وقيل قرية على فرسخين من مصر يقال لها حابين وقيل
الاسكندرية وقرا ابو طالب القاري على حين غفلة بفتح نون حين ووجهه انه
اجرى المصدر مجرى الفعل كانه قال على حين غفل اهلها فبناه كما بناه حين
اضيف الى الجملة المصدرة بفعل ماض كقوله ۞ على حين عاتبت المشيب على الصبي ۞
وهذا توجيه شذوذ وقرا نعيم بن ميسرة يقتلان بادغام التا في التا ونقل
فتحها الى القاف قيل كانا يقتتلان في الدين اذ احدهما اسرائيلي مومن والاخر
قبطي وقيل يقتتلان في ان يكلف القبطي حمل الحطب الى مطبخ فرعون على ظهر الاسرائيلي
ويقتتلان صفة لرجلين وقال ابن عطية يقتتلان في موضع الحال انتهى والحال
من النكرة اجازه سيبويه من غير شرط هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهو
الاسرائيلي قيل وهو السامري وهذا من عدوه اي من القبط وقيل اسمه فاتون
وهذا حكاية حال وقد كانا حاضرين حالة وجدان موسى لهما والحكاية الحالية
عن غايب ماض باسم الاشارة الذي هو موضع للحاضر وقال المبرد العرب تشير
بهذا الى الغايب قال جرير ۞ هذا ابن عمي في دمشق خليفة ۞ لو شيت ساقكم الي قطينا ۞
وقرا الجمهور فاستغاثه اي طلب غوثه ونصره على القبطي وقرا سيبويه وابن
مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون بدل الثا اي طلب منه الاعانة على
القبطي قال ابو القسم يوسف بن علي بن جبارة والاختيار قراة ابن مقسم
لان الاعانة اولى في هذا الباب وقال ابن عطية ذكرها الاخفش وهي تصحيف

لاقراة

لاقراة انتهى وليست تصحيفا فقد نقلها ابن خالويه عن سيبويه وابن جبارة عن ابن مقسم
والزعفراني وروي انه لما اشتد التشاجر بينهما قال القبطي لموسى لقد هممت ان احمله عليك
يعني الحطب فاشتد غضب موسى وكان قد اوتي قوة فوكزه فمات وقرا عبد الله
فلكزه باللام وعنه فنكزه بالنون قال قتادة وكزه بعصاه وغيره قال بجمع كفه
والظاهر ان فاعل فقضى ضمير عايد على موسى وقيل يعود على الله اي فقضى الله
عليه بالموت ويحتمل ان يعود على المصدر المفهوم من وكزه اي فقضى الوكز
عليه وكان موسى لم يتعمد قتله ولكن وافقت وكزته الاجل فندم موسى
وروي انه دفنه في الرمل وقال هذا من عمل الشيطان وهو ما لحقه من الغضب
حتى ادى الى الوكزة التي قضت على القبطي وجعله من عمل الشيطان وسماه
ظلما لنفسه واستغفر منه لانه ادى الى قتل من لم يوذن له في قتله وعن ابن
جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يومر وقال كعب كان موسى اذ ذاك ابن اثنتي عشرة
سنة وكان قتله خطا فان الوكزة في الغالب لا تقتل وقال النقاش كان هذا
قبل النبوة وقد استرجع موسى عليه السلام نهج ادم عليه السلام اذ قال ظلمنا انفسنا
والباء في بما انعمت للقسم والتقدير اقسم بما انعمت به علي من المغفرة والجواب
محذوف اي لاتوبن فلن اكون او متعلقة بمحذوف تقديره اعصمني بحق
ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين وقيل فلن اكون
دعا لا خبر ولن بمعنى لا في الدعا والصحيح ان لن لا تكون في الدعا وقد استدل
على ان لن تكون في الدعا بهذه الاية وبقول الشاعر ۞
لن تزالوا كذلكم ثم لا زلت ۞ لهم خالدا خلود الجبال ۞ والظاهر اما
بصحبته لفرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما ان ادت المظاهرة الى القتل الذي جرى
على يديه وقيل بما انعمت علي من النبوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك
ولا ادع قبطيا يغلب اسرائيليا واحتج اهل العلم بهذه الاية على منع معونة
اهل الظلم وخدمتهم نص على ذلك عطا ابن ابي رباح وغيره وقال رجل لعطا ان
اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد
الله القسري قال فاين قول موسى وتلا الاية فاصبح في المدينة خائفا في قتل
القبطي ان يوخذ به يترقب المغفرة وقيل خائفا يترقب نصرة ربه اذ يترقب
هداية قومه او ينتظر ان يسلمه قومه فاذا الذي استنصره بالامس اي الاسرائيلي
الذي كان قتل القبطي بسببه واذا هنا للمفاجاة وبالامس يعني اليوم الذي
قبل يوم الاستصراخ وهو معرب لما لحقته حركة اعراب لانه دخلته ال
بخلاف حالة اذا عري منها فالحجازيون تبنيه اذا كان معرفة وتميم تمنعه الصرف
حالة الرفع فقط ومنهم من يمنعه الصرف مطلقا وتبنيه مع ال على سبيل
الندور قال الشاعر ۞ واني حبست اليوم والامس قبله ۞ الى الشمس حتى كادت الشمس تغرب
يستصرخه يصيح به مستغيثا من قبطي اخر ومنه قول الشاعر
۞ كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ۞ كان الصراخ له قرع الظنابيب ۞
قال له موسى الظاهر ان الضمير في له عايد على الذي انك لغوي لكونك كنت
سببا في قتل القبطي بالامس قال له ذلك على سبيل العتاب والتانيب وقيل

الضمير في له والخطاب للقبطي ودل عليه قوله يستصرخه ولم يتبينه الاسرائيلي ان الخطاب للقبطي فلما اراد ان يبطش الظاهر ان الضمير في اراد وفي يبطش هو لموسى بالذي هو عدو لهما اي المستصرخ وموسى وهو القبطي توهم الاسرائيلي ان قوله انك لغوي مبين هو على سبيل ارادة السطوة به وظن انه يسطو عليه قال اي الاسرائيلي يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وفهم ما ظنه من سطو موسى عليه وكان يعني القاتل القبطي قد خفي على الناس فانتشر في المدينة ان قاتل القبطي هو موسى ونمي ذلك الى فرعون فامر بقتل موسى وقيل الضمير في اراد وفي يبطش للاسرائيلي فنهاه ذلك من موسى وخاطبه بما يقبح وان بعد لما بطر دزباد نها وقيل لو اراد اسحق فتنتم كقوله

● نا فتيان لو انصفتنا وانتم ● لكان لنا يوم من الشر مظلم ● وقرا الجمهور يبطش بكسر الطاء والحسن وابو جعفر بضمها ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وشان الجبار ان يقتل بغير حق وقال الشعبي من قتل رجلين فهو جبار يعني بغير حق ولما اثبت له الجبروتية نفى عنه الصلاح وجاء رجل من اقصى المدينة قيل هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون قال الكلبي واسمه حزبيل بن شمعون وقال الضحاك شمعون بن اسحاق وقيل هو غير مؤمن آل فرعون يسعى يشتد في مشيه ولما امر فرعون بقتله خرج الحاوزه من الشارع الاعظم لطلبه فسلك هذا الرجل طريقا اقرب الى موسى ومن اقصى المدينة ويسعى صفتان ويجوز ان يكون يسعى حالا ويجوز ان يتعلق من اقصى بجاء قال الزمخشري واذا جعل يعني من اقصى صفة لا لم يجز في يسعى الا الوصف انتهى يعني ان رجلا لا يكون تخصص بالوصف فلا يجوز منها الحال وقد جاز ذلك سيبويه في كتابه من غير وصف قال ان الملا وهم وجوه اهل دولة فرعون ياتمرون بك يتشاورون قال الشاعر وهو نمر بن تولب ● ارى الناس قد احدثوا شيمة ● وفي كل حادثة يؤتمر

وقال ابن قتيبة يامر بعضهم بعضا بقتلك من قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف فاخرج اني لك من الناصحين ولك متعلق اما بمحذوف اي ناصح لك من الناصحين او بمحذوف على جهة البيان اي لك اعني او بالناصحين وان كان في صلة ال لانه يتسامح في الظرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما وهي ثلاثة اقوال للنحويين فيما اشبه هذا فامتثل موسى ما امره به ذلك الرجل وعلم صدقه ونصحه فخرج وقد اغفلت طالبيه فلم يجدوه وكان موسى لا يعرف الطريق ولم يصحب احدا فسلك مجهلا واثقا بالله تعالى ودعا راغبا الى ربه في نجيته من الظالمين

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك

بيني

بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون

توجه رد وجهه وتلقاء تقدم الكلام عليه في يونس اي ناحية وجهة استعمل المصدر استعمال الظرف وكان هناك ثلاث طرق فاخذ موسى اوسطها واخذ طالبوه في الآخرين وقالوا المريب لا ياخذ في اعظم الطرق ولا يسلك الا بنياتها فبقي في الطريق ثمان ليال وهو حاف لا يطعم الا ورق الشجر والظاهر من قوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل انه كان لا يعرف الطريق فسال ربه ان يهديه اقصد الطريق بحيث انه لا يضل اذ لو سلك ما لا يوصله الى المقصود لتاه وعن ابن عباس قصد مدين ولم يمش من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقيل هداه جبريل الى مدين وقيل ملك غيره وقيل اخذ طريقا ياخذ فيه فاتفق ذهابه الى مدين والظاهر ان سواء السبيل وسط الطريق الذي يسلكه الى مكان ما منه وقال مجاهد سواء السبيل طريق مدين وقال الحسن هو سبيل الهدى فمشى موسى عليه السلام الى ان وصل الى مدين ولم يكن في طاعة فرعون ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه والورود يكون بمعنى الوصول الى الشيء وبمعنى الدخول فيه قيل وكان هذا الماء بئرا والامة الجمع الكثير ووجد عليه اي على شفيره وحاشيته يسقون يعني مواشيهم ووجد من دونهم اي من الجهة التي وصل اليها قبل ان يصل الى الامة فهما من دونهم بالاضافة اليه قاله ابن عطية وقال الزمخشري في مكان اسفل من مكانهم تذودان قال ابن عباس غنمهما تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء وقال قتادة تذودان الناس عن غنمهما قال الزجاج وكانهما تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط غنمهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لسترهما وقال الفراء تحبسانها عن ان تتفرق واسم الصوفي عن آد اسم الكر كعمور ولما راهما موسى واقفتين لا تتقدمان للسقي سالهما فقال ما خطبكما قال ابن عطية والسؤال بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او ياتي بمنكر من الامر قال الزمخشري وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد سمي المطلوب مخطوبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده انتهى وفي سؤاله عليه السلام دليل على جواز مكالمة الاجنبية فيما يعن ولم تكن لابيهما اجراء فكانتا تسوقان الغنم الى الماء ولم تكن لهما قوة الاستقاء وكان الرعاء يسقون مواشيهم فاذا صدروا فان بقي في الحوض شيء سقتا فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم وهما يمنعان غنمهما عن الماء فرق عليهما وقال ما خطبكما وقرا شمر بكسر الخاء اي من زوجكما ولم لا تسقي هو وهذه قراءة شاذة نادرة قالتا لا نسقي وقرا ابن مصرف لا نسقي بضم النون وقرا ابو جعفر وشيبة والحسن وقتادة والعربيان يصدر بفتح الياء وضم الدال اي يصدرون باغنامهم وباقي السبعة والاعرج وطلحة والاعمش وابن ابي اسحاق وعيسى بضم الياء وكسر الدال اي يصدرون اغنامهم وقرا الجمهور الرعاء بكسر الراء جمع تكسير قال الزمخشري واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام انتهى وليس بقياس لانه جمع راع وقياس فاعل الصفة التي للعاقل ان تكسر على فعلة كقاض وقضاة وما سوى جمعه هذا فليس بقياس وقرى الرعاء بضم الراء

وهو اسم جمع كالرخال والتثا قال ابو الفضل الرازي وقرا عياش عن ابي عمرو الرعا بفتح
الراء وهو مصدر اقيم مقام الصفة فاستوى لفظ الواحد والجماعة فيه وقد يجوز انه
حذف منه المضاف وابونا شيخ كبير اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بانفسهما
وتنبيه على ان اباهما لا يقدر على السقي لشيخوخته وكبره واستعطاف لموسى في اعانتهما
فسقى لهما اي سقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير
حجرا لا يقله الا عدد من الرجال واضطرب النقل في العدد فاقل ما قالوا سبعة
واكثر مائة فاقله وحده وقيل كانت لهم دلو لا ينزع بها الا اربعون فنزع
بها وحده وروي انه زاحمهم على الماء حتى سقى ثم كل ذلك وهو في الثواب
على ما كان به من نصب السفر وكثرة الجوع حتى كانت تظهر الخضرة في بطنه
من البقل وقيل انه مشى حتى سقط ظلفه وهو باطن القدم ومع ذلك اغاثهما
وكفاهما امر السقي وقد طابق جوابهما [illegible] لانهما [illegible] فاجاباه
بانا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال فنؤخر السقي
الى فراغهم ومباشرتهما ذلك ليس بمحظور وعادة العرب واهل البدو في غير عادة
اهل الحضر والاعاجم لا سيما اذا دعت الى ذلك ضرورة ثم تولى الى الظل قال ابن
مسعود ظل الشجرة قيل كانت سمرة وقيل الى ظل جدار لا سقف له وقيل
ظهره يلي ما كان يلي وجهه من الشمس قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
قال المفسرون تعرض لما يطعمه لما ناله من الجوع ولم يصرح بالسوال وانزلت
هنا بمعنى تنزل وقال الزمخشري وعدي باللام فقير لانه ضمن معنى سائل
وطالب ويحتمل ان يريد اي فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين
وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك
رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وقال الحسن سال الزيادة في العلم والحكمة
فجاته احداهما تمشي على استحياء في الكلام حذف والتقدير فذهبتا الى ابيهما
من غير ابطاء في السقي وقصتا عليه امر الذي سقى لهما فامر احداهما ان
تدعوه له فجاته احداهما قرا ابن محيصن فجاته حداهما بحذف الهمزة
تخفيفا على غير قياس مثل ويلمه في ويل امه ويا باقلان والقياس
ان تجعل بين بين واحداهما مبهم فقيل الكبرى وقيل كانتا توامتين
ولدت الاولى قبل الاخرى بنصف نهار وعلى استحياء في موضع الحال
اي مستحيية متخفرة قال عمر بن الخطاب قد سترت وجهها بكم درعها
والجمهور على ان الداعي لابيهما هو شعيب عليه السلام وهما ابنتاه
وقال الحسن هو ابن اخي شعيب واسمه مروان وقال ابو عبيدة هو
يثرون وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب وقيل كان
عمهما صاحب الغنم وهو المزوج عبرت عنه بالاب اذ كان [illegible]
ليجزيك اجر ما سقيت لنا في ذلك ما كان عليه شعيب من الاحسان والمكافاة
لمن عمل له عملا وان لم يقصد العامل المكافاة فلما جاءه اي فذهب معهما
الى ابيهما وفي هذا دليل على اعتماد اخبار المراة اذ ذهب معهما موسى كما
يعتمد اخبارها في باب الرواية وقص عليه القصص اي ما جرى له من خروجه
من مصر وسبب ذلك قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي قبل الله دعاك

في قوله

في قوله رب نجني من القوم الظالمين واخبره بنجاته منهم فانسه بقوله
لا تخف وقرب اليه طعاما فقال له موسى انا اهل بيت لا نبيع دينا على الارض
ذهبا فقال له شعيب ليس هذا عوضا من السقي ولكن عادتي وعادة اباي
قرى الضيف واطعام الطعام فحينئذ اكل موسى عليه السلام قالت
احداهما اي هي القابلة وهي الذاهبة والقابلة والمتزوجة يا ابت استاجره
اي لرعي الغنم وسقيها ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن البير
وحده وانتزع تلك الدلو وزاحمهم حتى غلبهم على الماء وبالامانة لانها حين
قام يتبعها هبت الريح فلفت ثيابها فوصفتها فقال ارجعي خلفي
ودليني على الطريق وقولها كلام حكيم جامع لانه اذا اجتمعت الكفاية
والامانة في القائم بامر فقد تم المقصود وهو كلام جرى مجرى المثل
وصار مطروقا للناس وكان ذلك تعليلا للاستيجار وكانها قالت استاجره
لامانته وقوته وصار الوصفان منبها عليه ونظير هذا التركيب
قال الشاعر ∘ الا ان خير الناس حيا وهالكا ∘ اسير ثقيف عندهم في السلاسل
جعل خير من استاجرت الاسم اعتناء به وحكمت عليه بالقوة والامانة ولما
وصفته بهذين الوصفين قال لها ابوها ومن اين عرفت هذا فذكرت
اقلاله الحجر وحده وكرخه من النظر اليها حين وصفتها الريح وقاله ابن
عباس وقتادة وابن زيد وغيرهما وقيل قال لها موسى ابتدا الكون
ورائي فاني رجل لا انظر الى ادبار النساء ودليني على الطريق يمينا ويسارا
وقال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف
في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر وفي قولها استاجره دليل
على مشروعية الاجارة عندهم وكذا كانت في كل ملة وهي من ضرورة
الناس ومصلحة الخلطة خلافا لابن عطية والاصم حيث كانا لا يجيزا
انها وهذا مما انعقد عليه الاجماع وخلافهما خرق قال اني اريد ان انكحك احدى
ابنتي هاتين رغب شعيب في مصاهرته لما وصفته به ولما راى فيه
من عزوفه عن الدنيا وتعلقه بالله وفراره من الكفرة وقرا ورش
واحمد بن موسى عن ابي عمرو انكحك بحذف الهمزة وظاهر قوله اني انكحك
ان الانكاح الى الولي لاحق للمراة فيه خلافا لابي حنيفة في بعض صوره بان
تكون بالغة عاقلة بمصالح نفسها فانها تعقد على نفسها بمحضر
من الشهود وفيه دليل على عرض الولي وليته على الزوج وقد فعل
ذلك عمر ودليل على تزويج ابنته البكر من غير استيمار وبه قال مالك
والشافعي وقال ابو حنيفة اذا بلغت البكر فلا تزوج الا برضاها قيل
وفيه دليل على قول من قال لا ينعقد الا بلفظ التزويج والانكاح
وبه قال ربيعة والشافعي وابو ثور وابو عبيد وداود واحمد بن
ابنتي منهم وهذا عرض لا عقد الا ترى الى قوله اني اريد وحكى
العقد يعين من شاء منهما ولكن لم يحد افتراق الامر الاجارة والظاهر
من الاية جواز النكاح بالاجارة وبه قال الشافعي واصحابه وابن حبيب
وقال الزمخشري هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما انتهى وقد

دليل في ذلك لانهما كانتا صاحبتين اللتين تذودان وجا بهما احداهما فاشار اليهما والاشارة
اليهما لا تدل على انه لا غيرهما يجب ان تاجرني في موضع الحال من ضمير انكحك
اما الفاعل واما المفعول وتاجرني من اجرته كنت له اجيرا كقولك ابوته كنت
له ابا ومفعول تاجرني الثاني محذوف تقديره نفسك وثماني حجج ظرف
وقاله ابو البقاء وقال الزمخشري وثماني حجج مفعول به ومعناه رعيه
ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك اي هو تبرع وتفضل لا اشتراط وما
اريد ان اشق عليك بالزام ابعد الاجلين ولا في المناقشة واطلبا قسنة في مراعاة
الاوقات وتكليف الرعاة اشيا من الخدم خارجة عن الشرط ستجدني ان شا الله
من الصالحين وعد صادق مقرون بالمشية من الصالحين في حسن المعاملة
ووطاة الخلق او من الصالحين على العموم فيدخل تحته حسن المعاملة ووافر
شعيب مما جاوره به موسى قال موسى ذلك بيني وبينك على جهة التوكيد
والتوثق اي ان الشرط انما وقع في ثماني حجج وذلك مبتدا خبره بيني وبينك
اشارة الى ما عاهده عليه اي ذلك الذي عاهدتني وشارطتني قائم
بيننا جميعا لا يخرج عنه ثم قال ايما الاجلين اي الثماني والعشر فلا عدوان
علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة واي شرط وما زايدة وقرا الحسن
والعباس عن ابي عمرو ايما بحذف اليا الثانية كما قال الشاعر
تنظرت نظرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره
وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت بزيادة ما بين الاجلين وقضيت
قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراتين
قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زايدة في شياعها
وفي الشاذ تاكيد القضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضايه وجردت
عزيمتي له وقرا ابو حيوة وابن قطيب فلا عدوان بكسر العين قال
المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في ايهما ولكن جمعهما ليجعل الاول
كالاتم في الوفا وقال الزمخشري تصور العدوان انما هو في احد الاجلين
الذي هو اقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان
بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا
لا شك فيه فكذلك ان طولبت في الزيادة على الثماني اراد بذلك تقدير
الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من
غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شيت
فعلتها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان
عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة انتهى وجوابه الاول فيه تكثير
والله على ما نقول على ما نتعاهد عليه وتواثقنا وكيل اي شاهد
وقال قتادة حفيظا وقال ابن شجرة رقيب والوكيل الذي وكل اليه الامر
فلما ضمن معنى شاهد عداه بعلي فلما قضى موسى الاجل جا عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه وفى اطول الاجلين وهو العشر وعن
مجاهد وفى عشرا وعشرا بعدها وهذا ضعيف وسار باهله اي نحو
مصر بلده وبلد قومه والخلاف في من تزوج الكبرى ام الصغرى وكذلك

في

في اسمها وتقدم كيفية مسيره وايناسه النار في سورة طه وغيرها وقرا الجمهور جذوة
بكسر الجيم والاعمش وطلحة وابو حيوة وحمزة بضمها وعاصم غير الجعفي بفتحها لعلكم تصطلون
اي تسخنون بها اذ كانت ليلة باردة وقد اضلوا الطريق فلما اتاها نودي من شاطي
الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب
العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم
يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين اسلك يدك في جيبك
تخرج بيضا من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني
قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هارون هو افصح
مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال
سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا
انتما ومن اتبعكما الغالبون من في من شاطي لابتدا الغاية ومن الشجرة كذلك
اذ هي بدل من الاولى اي من قبل الشجرة والايمن يحتمل ان يكون صفة للشاطي
والوادي على معنى اليمن والبركة او الايمن يريد المعادل للعضو الايسر فيكون
ذلك بالنسبة الى موسى لا للشاطي ولا للوادي اي ايمن موسى في استقباله حتى
يهبط الوادي او بعكس ذلك وكل هذه الاقوال في الايمن منقول وقرا
الاشهب العقيلي ومسلمة في البقعة بفتح البا قال ابو زيد
سمعت من العرب هذه بقعة طيبة بفتح البا ووصفت البقعة
بالبركة لما خصت به من ايات الله وانواره وتكليمه لموسى عليه السلام
او لما حوت من الارزاق والثمار الطيبة ويتعلق في البقعة بنودي
او تكون في موضع الحال من شاطي والشجرة عنابا وعليق او سمرة او عوسج
اقوال وان يحتمل ان تكون حرف تفسير وان تكون مخففة من الثقيلة وقرات
فرقة اني انا بفتح الهمزة وفي اعرابه اشكال لان ان كانت تفسيرية فينبغي كسرها وان كانت
مصدرية فيتقدر بالمفرد والمفرد لا يكون خبرا لضمير الشان فتخرج هذه القراة على ان تكون
ان تفسيرية واني معمول لمضمر تقديره اعلم يا موسى اعلم اني انا الله وجا في طه نودي يا موسى
اني انا ربك وفي النمل نودي ان بورك من في النار وهنا نودي من شاطي ولا منافاة اذ
حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء والجمهور على انه تعالى كلمه في هذا المقام من غير
واسطة وقال الحسن ناداه نداء الوحي لا نداء الكلام وتقدم الكلام على نظير قوله وان الق
عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ثم امره فقال اسلك يدك وهو
فتح الجيب من حيث يخرج الراس وكان كم الجبة في غاية الضيق وتقدم الكلام على
تخرج بيضا من غير سوء وفسر الجناح هنا باليد وبالعضد وبالعطاف وعما اسفل
العضد الى الرسغ وتجيب من روعته والرهب الخوف وتاتي القراات فيه وقيل بفتح
البا والها الكم بلغة بني حنيفة وحمير وسمع الاصمعي قايلا يقول اعطني ما في رهبك اي
في كمك والظاهر ان واضمم اليك جناحك من الرهب على الحقيقة قال الثوري خاف
موسى ان يكون حدث به سوء وامره تعالى بضم يده الى جنبه لتعود على حالتها
الاولى فيعلم موسى انه لم يكن سوء بل كان اية من الله وقال مجاهد وابن زيد امره بضم
عضده وذراعه وهو الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شان الانسان اذا

فعل ذلك في وقت فزعه أن يقوى قلبه وقيل لما انقلبت العصا حية فزع موسى واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له أدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمر معجزة أخرى وهذا القول بسط الزمخشري لأنه كالتكرار لقوله اسلك يدك في جيبك وقد قال هو والجناح هنا اليد قال لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه انتهى وقيل المعنى إذا هالك أمر لما يغلب من شعاعها فاضممها إليك تسكن وقال ابن عطية هو تجوز أمره بالعزم على ما أمر به كما تقول العرب اشدد حيازيمك واربط جأشك أي شمر في أمرك ودع الرهب وذلك لما كثر تخوفه وفزعه في غير موطن قاله أبو علي وكأنه طرح الفزع والطيران للجناح فقيل له اسكن ولا تخف واضمم منشور جناحك من الخوف إليك وذكر هذا القول الزمخشري فقال والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما إليه وذلك قوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات التي ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمي لها انتهى أما قوله وهل سمع من الأثبات وهذا مروي عن الأصمعي وهو ثقة ثبت وأما قوله كيف موقعه من الآية فقالوا معناه أخرج يدك من كمك وكان قد أخذ العصا بالكم وقرأ الحرميان وأبو عمرو من الرهب بفتح الراء والهاء وحفص بفتح الراء وسكون الهاء وباقي السبعة بضم الراء وإسكان الهاء وقرأ قتادة والحسن وعيسى والجحدري بضمهما فذانك إشارة إلى العصا واليد وهما مؤنثتان ولكن ذكر لتذكير الخبر كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر كقراءة من قرأ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا بالتاء في تكن برهانان حجتان نيرتان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فذانك بتشديد النون وباقي السبعة بتخفيفها وقرأ ابن مسعود وعيسى وأبو نوفل وابن هرمز وشبل فذانيك بياء بعد النون المكسورة وهي لغة هذيل وقيل لغة تميم ورواها شبل عن ابن كثير وعنه أيضا فذانيك بفتح النون قبل الياء على لغة من فتح نون التثنية نحو قوله على أحوذيين استقلت عشية وقرأ ابن مسعود بتشديد النون مكسورة بعدها ياء قيل وهي لغة هذيل وقال المهدوي بل لغتهم تخفيفها وإلى فرعون يتعلق بمحذوف دل عليه المعنى تقديره اذهبا إلى فرعون قال رب إني قتلت منهم نفسا هو المصطلي الذي وكونه يطلب من ربه ما يزداد به قوة وذكر أخاه والعلة التي تكون له زيادة وأفصح لسانا مني فصاحة ولكن أخوه أفصح فأرسله معي ردءا معينا يصدقني ليس المعنى أنه يقول لي صدقت أو يقول هذا اللفظ لأن الفصيح وإنما المعنى أنه بزيادة فصاحته يبالغ في البيان في الإجابة عن المشتبهات وفي مجادلة الكفار

وقرأ

وقرأ الجمهور ردءا بالهمز وأبو جعفر ونافع والمدنيان بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الدال والمنقول عن أبي جعفر بالنقل والهمز ولا تنوين ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بضم القاف فاحتمل الصفة لردء أو الحال واحتمل الاستئناف وقرأ باقي السبعة بالإسكان وقرأ أبي وزيد بن علي يصدقون والضمير لفرعون وقومه قال ابن خالويه هذا شاهد لمن جزم لأنه لو كان رفعا لقال يصدقوني انتهى والجزم على جواب الأمر والمعنى في يصدقون أرجو تصديقهم إياي فأجابه تعالى إلى طلبته وقال سنشد عضدك بأخيك وقرأ زيد بن علي والحسن عضدك بضمتين وعن الحسن بضم العين وإسكان الضاد وعن بعضهم بفتح العين وكسر الضاد وفتحهما قراءة عيسى ويقال فيه عضد بفتح العين وسكون الضاد ولا أعلم أحدا قرأ به والعضد العضو المعروف وهي قوام اليد وبشدها تشتد قال الشاعر أبني لبيني لستما بيد إلا يدا ليست لها عضد والمعنى سنقويك بأخيك ويقال في الخير شد الله عضدك وفي الشر فت الله في عضدك والسلطان الحجة والغلبة والتسليط فلا يصلون إليكما أي بسوء إلى أذيتكما وبآياتنا أنه يتعلق بقوله ونجعل أو بيصلون أو بالغالبون وإن كان موصولا على مذهب من يجوز عنده أن يتسع في الظرف والجار والمجرور على صلة أل وإن كان عنده موصولا على سبيل الاتساع أو بفعل محذوف أي اذهبا بآياتنا كما علق في تسع آيات باذهب أو على البيان فالعامل محذوف وهذه أعاريب منقولة وقال الزمخشري ويجوز أن يكون قسما جوابه فلا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم انتهى أما أنه قسم جوابه فلا يصلون فإنه لا يستقيم على قول الجمهور لأن جواب القسم [illegible] الله وأما قوله أو من لغو القسم فكأنه يريد والله أعلم أنه لم يذكر له جواب بل حذف للدلالة عليه أي بآياتنا لتغلبن فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون بآياتنا هي العصا واليد بينات أي واضحات الدلالة على صدقه وأنه أمر خارق معجز كفروا معاندة ومكابرة فرجعوا إلى البهت والكذب ونسبوه إلى أنه سحر يفتعله موسى ويفتريه على الله فليس بمعجز من عند الله ثم أنه سحر مفترى وكذبهم في ذلك زادوا في الكذب أنهم ما سمعوا بهذا في آبائهم أي في زمان آبائهم وفي آبائنا حال أي بهذا أي بمثل هذا كائنا في أيام آبائنا وإذ انتفى السماع لمثل هذا في الزمان السابق ثبت أن ما ادعاه موسى هو بدع لم يسبق إلى مثله فدل على أنه مفترى على الله وقد كذبوا في ذلك وطرق سمعهم أخبار الرسل السابقين موسى في الزمان ألا ترى إلى قول مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمعنى أي ما أتى به موسى من كونه يأتي به سحرا وانتفاء سماع مثله في الزمان السابق وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده حيث أهله للرسالة وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى وتوفي بذلك نفسه ولو كان كما يزعمون لم يرسله ثم نبه على العلة

الموجبة لعدم الفلاح وهو الظلم ووضع الشيء غير موضعه حيث دعوا الى الايمان بالله واتوا بالمعجزات
فادعوا الالوهية ونسبوا تلك المعجزات الى السحر وعاقبة الدار وان كانت تصلح للمحمودة والمذمومة
فقد كثر استعمالها في المحمودة فان لم تقيد حملت على المحمودة الا ترى الى قوله اولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن وقال وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وقرا ابن كثير قال موسى بغير واو
وباقي السبعة بالواو ومناسبة قراءة الجمهور انه لما جاءهم بالبينات قالوا كيت وكيت وقال
موسى كيت وكيت فيتميز الناظر فصل ما بين القولين وفساد احدهما اذ قد تقابلا
فيعلم يقينا ان قول موسى هو الحق والهدى ومناسبة قراءة ابن كثير انه موضع جواب
لما قالوا كيت وكيت قال موسى كيت وكيت ونفى فرعون علمه باله غيره نفيا
ويريد بذلك نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري ويجوز ان يكون غير معلوم عنده اله لهم
ولكنه مظنون فيكون النفي على ظاهره فيدل على ذلك قوله واني لاظنه من الكاذبين
وهو الكاذب في انتفا علمه باله غيره الا ترى الى قوله حالة غرقه امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنو اسرائيل واستمر فرعون في مخرقته ونادى يا هامان وامره ان يوقد
النار على الطين قيل وهو اول من عمل الاجر وبنى بالاجر لم يتقدمه اليه احد ولما امر بذلك
فرعون هو الذي يعلمه ما يصنع فاجعل لي صرحا اي ابن لي بناء اطلع الى اله موسى واوهم
فرعون ان اله موسى يمكن الوصول اليه والقدرة عليه وهو بما يشعر ان ذلك لا يمكن له
وقومه لغباوتهم وجهلهم وافراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم ويسوق لهم ما يقتضي
لا بعد تصديقهم بالمستحيلات وتاثرهم للوهمات والخيالات ولا يشك انه كان من قوم
فرعون من يعتقد انه مبطل في دعواه ولكن يوافقه مخافة سطوته واعتدائه كما رويناه
يعرض من كثير من العقلاء اذا صرح رئيس بحضرته بحديث مستحيل يوافقه على ذلك
الحديث ولا يبدل الامر بنا الصرح على انه بني وقد اختلف في ذلك فقيل بناه وذكر من
وصفه ما الله اعلم به وقيل لم يبن واطلع في معنى اطلع يقال طلع الى الجبل واطلع بمعنى واحد
اي صعد فافتعل فيه بمعنى الفعل المجرد ومعنى الحق فليس لهم ذلك بل هم مبطلون
في استكبارهم حيث ادعى الالهية ووافقوه على ذلك والكبر بالحق انما هو
وقرا حمزة والكسائي ونافع لا يرجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول والاخذ
هنا ... فنبذناهم في اليم كناية عن ادخالهم في البحر حتى غرقوا شبههم
بحصيات نبذها الرامي من يده ومنه نبذ النواة قول الشاعر
نظرت الى عنوانه فنبذته ⁂ كنبذك نعلا من نعالك باليا ⁂
وفرعون وان ساروا الى البحر باختيارهم في طلب بني اسرائيل فان ما ضمهم من القدر السابق
واغراقهم في البحر هو نبذ الله اياهم وجعلناهم هنا بمعنى صيرنا اي صيرناهم ائمة يقتدون
للكفار يقتدون بهم في ضلالهم كما ان للخير ائمة يقتدى بهم اشتهروا بذلك وبقي حديثهم
وقال الزمخشري وجعلناهم ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة
الى النار وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول
اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر
انتهى وانما فسر جعلناهم بمعنى دعوناهم لا بمعنى صيرناهم جريا على مذهبه من الاعتزال
لان في تصييرهم ائمة خلق ذلك لهم وعلى مذهب المعتزلة لا يجوزون ذلك من الله
ولا ينسبونه اليه قال ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع
الالطاف وانما يمنعها من علم الله انه لا ينفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه

الآيات

الآيات والنذر انتهى وهو على طريقة الاعتزال ايضا لعنة اي طردا وابعادا وعطف ويوم
القيامة على في هذه الدنيا من المقبوحين قال ابو عبيدة من المهلكين وقال ابن عباس
من المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل من المبعدين ولما
ذكر تعالى ما ال اليه فرعون وقومه من غضب الله عليهم واغراقهم ذكر ما امتن
به على رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد اتينا موسى الكتاب وهو التوراة
وهو اول كتاب انزلت فيه الفرائض والاحكام من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط وقيل لم تهلك قرية بعد
نزول التوراة غير القرية التي مسخ اهلها قردة وانتصب بصائر
على الحال اي طرق هدى يستبصر بها وما كنت بجانب الغربي اذ
قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا
قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا
عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من
المومنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي
موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا
وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
لما قص الله تعالى انباء موسى وغرائب ما جرى له من الحمل به وذبح الابناء ورميه في البحر في تابوت
ورده الى امه وتبني فرعون له واتيانه الحكم والعلم وقتله القبطي وخروجه من منشئه فارا
وتصاهره مع شعيب ورعيه لغنمه السنين الطويلة وعوده الى مصر واضلاله الطريق
ومناجاة الله له واظهار تينك المعجزتين العظيمتين على يديه وهي العصا واليد وامره
بالذهاب الى فرعون ومحاورته معه وتكذيب فرعون واهلاكه واهلاك قومه والامتنان
على موسى باتيانه التوراة واوحى تعالى بجميع ذلك الى محمد رسوله صلى الله عليه وسلم
ذكره بانعامه عليه بذلك وبما خصه من الغيوب التي كان لا يعلمها الا
هو ولا قومه فقال وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر والامر قيل
النبوة والحكم الذي اتاه الله موسى وقيل الامر امر محمد عليه السلام ان يكون
من امته وهذا التاويل يلتئم مع ما بعده من قوله ولكنا انشانا قرونا
وقيل الامر هلاك فرعون بالماء وبجانب الغربي على البحر وبدا اولا بنفي
شيء خاص وهو انه لم يحضر وقت قضاء الله لموسى الامر ثم ثنى بكونه لم يكن
من الشاهدين والمعنى والله اعلم من الشاهدين بجميع ما اعلمناك به فهو نفي
لشهادته جميع ما جرى لموسى فكان عموما بعد خصوص وبجانب الغربي اما من اضافة
الموصوف الى صفته عند قوم ومن حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه عند
قوم فعلى القول الاول اصله بالجانب الغربي وعلى الثاني اصله بجانب المكان الغربي
والترجيح بين القولين مذكور في النحو والغربي قال قتادة غربي الجبل وقال الحسن

بعث الله موسى بالغرب وقال ابو عبيدة حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم وقيل هناك
جبل غربي وقيل الغربي من الوادي وقيل من البحر قال ابن عطية المعنى لم تحضر يا محمد هذه
الغيوب التي تخبر بها ولكنها صارت اليك بوحينا اي فكان الواجب ان يسارع الى الايمان
بك ولكن تطاول الامر على القرون التي انشاناها زمنا فغربت حلومهم واستحكمت
جهالتهم وضلالتهم وقال الزمخشري الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان
الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى
ولا كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباوه الذين اختارهم
للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة له
التوراة في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا
بهذا الكلام ومن اي جهة يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا
من حيث ان معناه ولكنا انشانا من بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة
فتطاول على اخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست
العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبيا وقصة
موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحينا اليك فذكر سبب الوحي
الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك
شبيه للاستدراكين بعده وما كنت ثاويا في اهل مدين شعيب والمومنين تتلوا
عليهم اياتنا تقرا عليهم تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه
ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة
وتكليمه ولكن علمناك رحمة انتهى وقيل فتطاول عليهم العمر وفترت النبوة ودرست
الشرائع وحرف كثير منها وتمام الكلام حصر تقديره وارسلناك مجددا لتلك الاخبار
مميزا للحق مما اختلف فيه منها رحمة منا وقيل يحتمل ان يكون المعنى وما كنت من
الشاهدين في ذلك الزمان وكانت بينك وبين موسى قرون تطاولت اعمارهم
وانت تخبر الان عن تلك الاحوال اخبار مشاهدة وعيان بايحائنا معجزة لك وقيل
تتلوا حال وقيل مستانف اي انت الان تتلوا قصة شعيب ولكنا ارسلناك رسولا
وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار المنسية تتلوها عليهم ولولاه لما اخبرتهم بما لم يشاهدوه
وقال الفرا وما كنت ثاويا في اهل مدين مع موسى فتراه وتسمع كلامه وها انت
تتلوا عليهم اياتنا اي على امتك فهو مستانف انتهى وقيل واذا لم يكن حاضرا في ذلك المكان
فما معنى وما كنت من الشاهدين فقال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت
فما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقال مقاتل لم تشهد
اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم ولكنا ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا اليك هذه
الاخبار ولولا ذلك ما علمت وقال الضحاك يقول لك يا محمد لم تكن الرسول الى اهل مدين تتلوا
عليهم ايات الكتاب وانما كان غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا
الى مدين شعيبا وارسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبيا انتهى وقال الطبري اذ
نادينا بان سأكتبها للذين يتقون الاية وعن ابي هريرة انه نودي من السماء يا امة
محمد استجبت لكم قبل ان تدعوني وغفرت لكم قبل ان تسالوني فحينئذ قال موسى عليه السلام
اللهم اجعلني من امة محمد فالمعنى اذ نادينا بامرك واخبرنا بنبوتك وقرا الجمهور
رحمة بالنصب فقدر ولكن جعلناك رحمة وقدر اعلمناك ونباناك رحمة لتنذر قوما

ما اتاهم من نذير وقرا عيسى وابو حيوة بالرفع وقدر ولكن هو رحمة او هو رحمة او انت رحمة
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير اي في زمن الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة
وخمسون عاما ونحوه وجواب لولا محذوف والمعنى لولا انهم قائلون اذا عوقبوا
بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا ما ارسلنا
اليهم اي انما ارسلنا الرسل ازالة لهذا العذر كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير وتقدير الجواب ما ارسلنا اليهم الرسل
هو قول الزجاج وقال ابن عطية تقديره لعاجلناهم بما يستحقون والمصيبة العذاب
ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي عبر عن كل عمل بما قدمت الايدي حتى عن اعمال القلوب
اتساعا في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل والفا في فيقولوا
للعطف على تصيبهم ولولا الثانية للتحضيض وتتبع الفا في جواب التحضيض وقال
الزمخشري فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب
في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود
بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده
بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا
وجي بالقول معطوفا عليها بالفا المعطية معنى السببية ويؤول معناها الى قولك
ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة
لنكتة وهو انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجوا به الى العلم اليقين
لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير
لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على
استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انتهى
والحق هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جا بالكتاب المعجز الذي قطع معاذيرهم
وقيل القران مثل ما اوتي موسى من قبل اي من قبل الكتاب المنزل جملة واحدة
وانقلاب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الايات اقترحوا ذلك على سبيل
التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز وما اشبه ذلك من المقترحات لهم
وهذه المقالة التي قالوها هي من تعليم اليهود لقريش قالوا له الا تاتي باية
باهرة كايات موسى فرد الله عليهم بانهم كفروا بايات موسى وقد وقع منهم في
ايات موسى ما وقع من هولاء في ايات الرسول فالضمير في اولم يكفروا لليهود قاله
ابن عطية وقيل قايل ذلك العرب بالتعليم كما قلنا وقيل قايل ذلك اليهود ويظهر
عندي انه عايد على قريش الذين قالوا لولا اوتي اي محمد مثل ما اوتي موسى وذلك ان
تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيب لموسى عليه السلام ونسبتهم السحر للرسول نسبة
السحر لموسى اذ الانبيا هم من واد واحد فمن نسب الى احد من الانبيا ما لا يليق
كان ناسبا ذلك الى جميع الانبيا وتتناسق الضماير كلها في هذا وفي قوله قل فاتوا
بكتاب من عند الله وان كان الظاهر من القول انه النطق اللساني فقد ينطلق على
الاعتقاد وهم من حيث انكار النبوات معتقدون ان ما ظهر على ايدي الانبيا
من الايات انما هو من باب السحر وقال الزمخشري اولم يكفروا يعني ابا جنسهم ومن
مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى
وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباوهم قالوا

أي موسى وهارون ساحران تظاهرا أي تعاونا انتهى ومن قبل يحتمل أن يتعلق بتكفروا وبأوتي
وقرأ الجمهور ساحران قال مجاهد موسى وهارون وقال الحسن موسى وعيسى وقال ابن
عباس موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن أيضا عيسى ومحمد عليهما السلام وقرأ
عبد الله وزيد بن علي والكوفيون سحران قال ابن عباس التوراة والقرآن وقيل التوراة
والإنجيل وموسى وهرون جعلا سحرين على سبيل المبالغة تظاهرا تعاونا وقرأ
الجمهور تظاهرا فعلا ماضيا على وزن تفاعلا وقرأ طلحة والأعمش اظاهرا بهمزة
الوصل وشد الظاء وكذا هي في حرف عبد الله وأصله تظاهرا فأدغم التاء في الظاء فاجتلبت
همزة الوصل لأجل سكون التاء المدغمة وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحرث
الذماري وأبو حيوة وأبو خلاد عن اليزيدي تظاهرا بالتاء وتشديد الظاء قال ابن
خالويه وتشديده لحن لأنه فعل ماض وإنما يشدد في المضارع وقال صاحب اللوامح لا
أعرف وجهه وقال صاحب الكامل في القراءات ولا معنى له انتهى وله تخريج في اللسان
وذلك أنه مضارع حذفت منه النون وقد جاء حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر
وساحران خبر مبتدأ محذوف تقديره أنتما ساحران تظاهران ثم أدغمت التاء في الظاء
وحذفت النون وروعي ضمير الخطاب ولو قرئ يظاهرا بالياء حملا على مراعاة ساحران
لكان له وجه أو على تقدير هما ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون أي بكل من
الساحرين أو السحرين ثم أمر تعالى أن يصدع بهذه الآية وهي قوله قل فأتوا أي إنكم أيها
المكذبون بهذه الكتب التي تضمنت الأمر بالعبادات ومكارم الأخلاق ونهت
عن الكفر والنقائص ووعد الله عليها الثواب الجزيل إن كان تكذيبكم لمعنى فأتوا
بكتاب من عند الله يهدي أكثر هدى أتبعه معكم والضمير في منهما عائد على ما أنزل
على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما وتعليق إتيانهم بشرط الصدق أمر متحقق متيقن
أنه لا يكون ولا يمكن صدقهم كما أنه لا يمكن أن يأتوا بكتاب من عند الله يكون
أهدى من الكتابين ويجوز أن يراد بالشرط التهكم بهم وقرأ زيد بن علي أتبعه برفع
العين على الاستئناف أي أنا أتبعه فإن لم يستجيبوا لك قال ابن عباس يريد فإن لم
يؤمنوا بما جئت به من الحجج ولم يمكنهم أن يأتوا بكتاب هو أفضل والاستجابة تقتضي
دعاء وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم دائما إلى الإيمان فإن لم يستجيبوا لك بعد ما وضح
لهم من المعجزات التي تضمنها كتابك الذي أنزل إليك أو يكون قوله فأتوا بكتاب
هو الدعاء إذ هو طلب منهم ودعا لهم بأن يأتوا به ومعلوم أنهم لا يستجيبون
لأن يأتوا بكتاب من عند الله فاعلم أنه ليس لهم إلا اتباع هوى مجرد الاتباع
دليل واستجاب بمعنى أجاب ويعدى للداعي باللام ودونها كما قال فاستجاب له
ربه فاستجبنا له ووهبنا له يحيى فإن لم يستجيبوا لكم وقال الشاعر فلم يستجبه
عند ذاك مجيب . فعداه بغير لام وقال الزمخشري هذا الفعل يتعدى إلى
الدعاء وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال
استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت
فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف انتهى ومن أضل أي لا أحد أضل
وبغير هدى في موضع الحال وهذه الحال قيد في اتباع الهوى لأنه قد يتبع الإنسان
ما يهواه ويكون ذلك الذي يهواه فيه هدى من الله لأن الأهواء كلها تنقسم
إلى ما يكون فيها هدى وما لا يكون فيه هدى فلذلك قيد بهذه الحال أو قال

الزمخشري يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه انتهى وهو على طريق الاعتزال
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من
قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا
كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون
بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا
عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين
وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما
آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون
قرأ الجمهور وصلنا مشدد الصاد والحسن بتخفيفها والضمير
في لهم لقريش وقال رفاعة القرظي نزلت في عشرة من اليهود أنا أحدهم قال الجمهور وصلنا
تابعنا القرآن موصولا بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام وقال الحسن
وفي ذكر الأمم المهلكة وقال مجاهد جعلناه أوصالا من حيث كان أنواعا من القول في معان
مختلفة وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الآخرة بخبر الدنيا حتى كأنهم عاينوا الآخرة أتممنا
لوصلك الشيء بالشيء وأصل التوصيل في الحبل يوصل بعضه ببعض وقال الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمتي ... بحبل ضعيف لا يزال يوصل

وهذه الأقوال معناها توصيل المعاني فيه بها إليهم وقالت فرقة التوصيل بالنسبة
إلى الألفاظ أي وصلنا لهم قولا معجزا دالا على نبوتك والذين آتيناهم الكتاب هنا جماعة من
اليهود أسلمت وكان الكفار يؤذونهم وبحيرا الراهب والنجاشي أو سلمان الفارسي
وابن سلام وأبو رفاعة وابنه في عشرة من اليهود أسلموا وأربعون من أهل الإنجيل
كانوا مؤمنين بالرسول قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن
أبي طالب وثمانية قدموا من الشام بحيرا وأبرهة والأشرف وأربد وتمام وإدريس
ونافع وراد أو ابن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان سبعة
أقوال آخرها لقتادة والظاهر أنها أمثلة لمن آمن منهم والضمير في به عائد
على القول وهو القرآن وقال الفراء عائد على الرسول وقال إنه تبين أن عاد على القرآن
كان صوابا لأنهم قد قالوا إنه الحق من ربنا انتهى أي إنه الحق من ربنا تعليل
للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به إنا كنا من قبله مسلمين بيان
لقوله آمنا به أي إيماننا به متقادم إذ كان الآباء الأقدمون إلينا يأثرونه ولما في الكتب الأول
وأعلموا بذلك الأبناء الأجر مرتين لكونهم من كتابهم وبالقرآن والإسلام صفة كل
موحد مصدق بالوحي نحن مسلمون من نزوله وتلاوته علينا والإسلام صفة
كل موحد مصدق بالوحي والأنبياء الأجر مرتين لكونهم آمنوا بكتابهم وبالقرآن
وعلى ذلك يجزيهم أي على تكاليف الشريعة السابقة لهم وهذه الشريعة وما
يلقون من الأذى وفي الحديث ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرتين رجل من أهل
الكتاب آمن بنبيه وفي الحديث ويدرءون يدفعون بالحسنة بالطاعة السيئة
المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى وذكر من مكارم الأخلاق وقال ابن مسعود هم
يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك وقال ابن جبير بالمعروف المنكر وقال ابن
زيد بالخير الشر وقال ابن سلام بالعلم الجهل وبالحلم الغيظ وفي وصية الرسول

صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن واللغو سقط القول وقال مجاهد الاذى والسب وقال الضحاك الشرك وقال ابن زيد ما كان بنو اسرائيل يسمعونه من وصف الرسول سمعه قوم منهم فكرهوه فذكروا واعرضوا ولكم اعمالكم خطاب لقائلي اللغو المفهوم ذلك من قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه سلام عليكم قال الزجاج سلام متاركة لا سلام تحية لا نبتغي الجاهلين لا نطلب مخالطتهم انك لا تهدي من احببت اي لا تقدر على خلق الهداية فيه ولا تنافي بين هذا وبين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان معنى هذا وانك لترشد وقد اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وحديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة ان مات مشهور وقال الزمخشري لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت لانك لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرب به الطافه حتى يدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين باللطف من الذين لا يقبلون انتهى وهو على طريقة الاعتزال في امر الالطاف وقالوا الضمير وقالوا لقريش وقيل القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وذلك وانما نحن اكلة راس اي قليلون ان يتخطفون من ارضنا وقولهم الهدى معك اي في زعمك فقطع الله حجتهم اذ كانوا وهم كفار بالله عباد اصنام قد امنوا في حرمهم والناس في غيره يتقاتلون وهم مقيمون في بلد غير ذي زرع يجبى اليهم ما يحتاجون من الاقوات فكيف اذا امنوا واهتدوا فهو تعالى يمهد لهم الارض ويملكهم الارض كما وعدهم تعالى ووقع ما وعد به ووصف الحرم بالامن مجاز اذ الامنون فيه هم ساكنوه وثمرات كل شيء عام مخصوص يراد به الكثرة وقرا المنقري اي يجبى بالتاء تخطف برفع الفاء على حد قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم برفع الكاف اي فيدرككم اي فهو يدرككم وقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها اي فيتخطف وقرا نافع وجماعة عن يعقوب وابو حاتم عن عاصم تجبى بتاء التانيث والباقون بالياء وقرا الجمهور ثمرات بفتحتين وابان بن تغلب بضمتين وبعضهم بفتح الثاء واسكان الميم وانتصب رزقا على انه مصدر من المعنى لان قوله يجبى اليه ثمرات اي يرزق ثمرات او على انه مفعول له وفاعل الفعل المعلل محذوف اي نسوق اليه ثمرات كل شيء وان كان الرزق ليس مصدرا بل بمعنى المرزوق جاز انتصابه على الحال من ثمرات وحسن ذلك تخصصها بالاضافة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة بان ذلك الرزق من عندنا وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة

الدنيا

الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم ومعيشتها منصوب على التمييز على مذهب الكوفيين او مشبه بالمفعول على مذهب بعضهم او مفعول به على تضمين بطرت معنى فعل متعد اي خسرت معيشتها على مذهب اكثر البصريين او على اسقاط في اي في معيشتها على مذهب الاخفش او على الظرف على تقدير ايام معيشتها كقولك جيت خفوق النجم على قول الزجاج فتلك مساكنهم اشار اليها الا تروها خرابا تمرون عليها كحجر ثمود هلكوا وفنوا وتقدم ذكر المساكن وتسكن فاحتمل ان يكون الاستثناء في قوله الا قليلا من المساكن اي الا قليلا منها سكن واحتمل ان يكون من المصدر المفهوم من قوله لم تسكن اي الا سكنى قليلا اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق وكنا نحن الوارثين اي لتلك المساكن وغيرها كقوله انا نحن نرث الارض خلت من ساكنيها وخربت تتخلف الاثار ركنا اصحابنا حينا وبدلها الفنا فبينبغ والظاهر ان القرى عامة في القرى التي هلكت والمعنى انه تعالى لا يهلكها في كل وقت حتى يبعث في تلك ام القرى اي كبيرتها التي ترجع تلك القرى اليها ومنها يمتارون وفيها عظيمهم الحاكم على تلك القرى حتى يبعث في امها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة ويحتمل ان يراد بالقرى التي في عصر الرسول فتكون ام القرى مكة ويكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وظلم اهلها هو بالكفر والمعاصي وما اوتيتم من شيء اي حتى يرتهم ويفخرون به فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تمتعون به ايام قلائل وما عند الله من النعيم الدائم ابدا في المعد للمؤمنين خير من متاعكم افلا تعقلون توبيخ لهم وقرا ابو عمرو فيما يعقلون بالياء اعراضا عن خطابهم وخطاب لغيرهم كانه قال انظروا الى هؤلاء وسخافة عقولهم وقرا الجمهور بالتاء من فوق على خطابهم وتوبيخهم في كونهم اهملوا العقل في العاقبة ونسب هذه القراءة ابو علي في الحجة الى ابي عمرو وحده وفي التحبير والتيسير بين التاء والتاء عن ابي عمرو وقرا متاعا الحيوة الدنيا اي تمتعون متاعا في الحياة الدنيا فانتصب الحياة الدنيا على الظرف افمن وعدناه بين تعالى تفاوت ما بين الرجلين من وعد وعدا حسنا فهو لاقيه بلا فانه ومن متع في الحياة الدنيا ثم احضر الى النار وظاهر الاية العموم في المومن والكافر وقيل نزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في حمزة وابي جهل وقيل في علي وابي جهل وقيل في عمار والوليد بن المغيرة وقيل نزلت في المؤمن والكافر وغلب لفظ المحضر في المحضر الى النار كقوله لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون والفاء في افمن للعطف لما ذكر تفاوت ما بين ما اوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال افنعد هذا التفاوت الظاهر يستوي بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا والفاء في فهو لاقيه للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا لتراخي وقته عن وقته وقرا طلحة امن وعدناه بغير فاء ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هولاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم

وَرَأَوُا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت عليهم الانبا يومئذ فهم لا يتسالون فاما من تاب وامن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة
سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه
ترجعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من
اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون لما ذكر
ان المتعنت في الدنيا يحض الى النار ذكر شيا من احوال يوم القيامة اي واذكر حالهم
يوم يناديهم الله ونداء الله اياهم يحتمل ان يكون بواسطة او بغير واسطة فيقول
اين شركاي اي على زعمكم وهذا الاستفهام على جهة التوبيخ والتقريع والشركا
هم من عبدوه من دون الله من ملك او جن او انس او كوكب او صنم او غير
ذلك ومفعولا تزعمون محذوفا احدهما العايد على الموصول والتقدير تزعمونهم
شركا ولما كان هذا السوال مسكتا لهم اذ تلك الشركا التي عبدوها متبرؤون منهم
وهم في الاخرة حادوا عن الجواب الى كلام لا يجدي قال الذين حق عليهم القول
اي الشياطين وايمة الكفر ورؤسه وحق اي وجب عليهم القول اي مقتضاه وهو
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهولا مبتدا والذين اغوينا هم
صفة واغويناهم كما غوينا الخبر وكما غوينا صفة لمطاوع اغويناهم اي فغووا كما
غوينا اي تسببنا لهم في الغي فقبلوا منا وهذا الاعراب قاله الزمخشري وقال ابو
علي ولا يجوز هذا الوجه لانه ليس في الخبر زيادة على ما في صفة المبتدا قال فان
قلت قد وصلت بقوله كما غوينا وفيه زيادة قيل الزيادة بالظرف لا تصير
املا في الجملة لان الظروف صلات وقال هو الذي اغوينا هو الخبر واغويناهم
مستانف وقال غير ابي علي لا يمتنع الوجه الاول لان الفضلات في بعض المواضع يلزم
كقولك زيد عمرو قايم في داره انتهى والمعنى هولا اتباعنا اثروا الكفر على الايمان كما اثرناه
نحن ونحن كنا السبب في كفرهم فقبلوا منا وقرا ابان عن عاصم وبعض الشاميين كما
غوينا بكسر الواو وقال ابن خالويه وليس ذلك مختارا لان كلام العرب غويت من الضلالة
وغويت من البشم ثم قالوا تبرانا اليك منهم ما كانوا يعبدوننا انما عبدوا اهواهم وايانا
مفعول يعبدون لما تقدم انفصل واتصاله لكون يعبدون فاصلة ولو اتصل لم يكن فاصلة
وقال الزمخشري اي كانوا يعبدون اهواهم ويطيعون شهواتهم واخلا الجملتين من
العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى انتهى والمعنى وقيل ادعوا شركاكم لما سيلوا
اين شركاوهم دعاوهم بعد جواب سالوا ثانيا فقيل ادعوا شركاكم واضاف الشركا اليهم
اي الذين جعلتموهم شركا لله وقوله ادعوا شركاكم على سبيل التهكم بهم لانه يعلم
انه لا فايدة في دعايهم فدعوهم هذا لمخافة عقوبتهم في ذلك الموطن ايضا
اذ لم يعلموا الا من كان موجودا منهم في ذلك الموطن لا يجيبونهم والضمير في وراوا
قال الضحاك ومقاتل هو للتابع والمتبوع وجواب لو محذوف والظاهر ان يقدر
مما يدل عليه مما يليه اي لو كانوا مومنين في الدنيا ما راوا العذاب في الاخرة
وقيل التقدير لو انهم كانوا مهتدين بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب
وقيل

وقيل لعلموا ان العذاب حق وقيل لتحيروا عند رويته من فظاعته وان لم يعتدوا به وقيل
ما كانوا في الدنيا عابدين الاصنام وقال ابو عبد الله الرازي وعندي ان الجواب غير محذوف
وفي تقديره وجوه احدها ان الله اذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاكم اشتد خوفهم وتحيرهم
بحيث لا يبصرون شيا لاجرم ما راوا العذاب وثانيها لما ذكر الشركا وهي الاصنام
وانهم لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب والضمير في راوا وان
كان للعقلا فقد قال ودعوهم وهم للعقلا انتهى وفيه بعض تلخيص وقد اثنى على
هذا الذي اختاره وليس بشي لانه بناه على ان الضمير في راوا عايد على المدعوين قال
وهم الاصنام والظاهر انه عايد على الداعين كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وراوا العذاب ولانه حمل مهتدين على الاحيا وهو في غاية البعد لان ما قدره هو
جواب ولا يشعر انه جواب اذ صار التقدير عنه لو كانوا من الاحيا راوا العذاب
لكنها ليست من الاحيا فلا ترى العذاب انتهى الى قوله فلا جرم ما رات العذاب ويوم
يناديهم هذا النداء ايضا قد يكون بواسطة من الملايكة او بغير واسطة حكى اولا
ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركا ثم ما يقوله رؤوس الكفر عند توبيخهم ثم
استغاثتهم بشركايهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من
الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازالة العلل وقرا الجمهور فعميت بفتح العين
وتخفيف الميم وقرا الاعمش وجناح بن حبيش وابو زرعة بن عمرو بن جرير بضم
العين وتشديد الميم والمعنى اظلمت عليهم الامور فلم يستطيعوا ان يخبروا بما فيه نجاة
لهم واتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فهم لا يتسالون وقرا طلحة لا يسالون بادغام
التا في السين اي لا يسال بعضهم بعضا فيما يحتجون به اذ ايقنوا انه لا حجة لهم فهم
في عمى وعجز عن الجواب والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليهم رسوله ولما ذكر تعالى
احوال الكفار يوم القيامة ترغيبا منه فيما يكون منهم في الدنيا بان من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا
فانه مرجو له الفلاح والفوز في الاخرة وهذا ترغيب للكافر في الاسلام وعسى اخبار انه يفلح وقال
ان عسى من الله واجبة وربك يخلق ما يشا ويختار نزلت بسبب ما تكلمت به قريش من
استغراب امر النبي صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وقايل ذلك الوليد بن المغيرة قال الزمخشري هذا متصل بذكر الشركا الذين دعوهم
واختاروهم للشفاعة اي الاختيار لله تعالى في الشفعا لا الى المشركين وقيل هو جواب لليهود
اذ قالوا لو كان الرسول الى محمد غير جبريل لامنا به ونص الزجاج وعلي بن سليمان والنحاس
على ان الوقف على قوله ويختار تام والظاهر ان ما نافية اي ليس لهم الخيرة انما هي لله تعالى كقوله
ما كان لهم الخيرة من امرهم وذهب الطبري الى ان ما موصولة منصوبة بيختار اي يختار
من الرسل والشرايع ما كان خيرة للناس كما لا يختارون هم ما ليس اليهم ويفعلون ما لم يومروا
به وانكر ان تكون ما نافية لئلا يكون المعنى انه لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل
ولانه لم يتقدم كلام بنفي وروي عن ابن عباس معنى ما ذهب اليه الطبري وقد رد هذا القول
تقدم العايد على الموصول واجيب بان التقدير ما كان لهم فيه الخيرة وحذف لدلالة المعنى
قال الزمخشري كما حذف من قوله ان ذلك لمن عزم الامور يعني ان التقدير ان ذلك منه لمن
عزم الامور وانشد القسم بن معن ابن سيده دمع العين تذريف لو كان ذا منك قبل اليوم معروف
وقرن الاية بهذا البيت والرواية في البيت لو ان ذا ولكن على ما رواه القسم يتجه في بيت
عنترة ان يكون على كان ضمير الشان فاما في الاية فقال ابن عطية تغير الامر والشان لا يكون

لجملة فيها محذوف قال ابن عطية ويتجه عندي ان تكون ما مفعوله اذا قدرنا كان تامة اي ان الله تعالى يختار كل كائن ولا يكون شي الا باذنه وقوله ما كان لهم الخيرة جملة مستانفة معناها تعديد النقمة عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا وفهموا انتهى يعني والله اعلم رضي الله لهم اي لمصلحتهم والخيرة من التخير كالطيرة من التطير يستعملان بمعنى المصدر والجمل التي بعد هذا تقدم الكلام عليها والحمد في الاخرة قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على سبيل اللذة لا التكليف وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وقرا ابن محيصن ما تكن بفتح التا وضم الكاف وله الحكم اي القضا بين عباده والفصل ارايتم بمعنى اخبروني وقد تسلط على الليل ارايتم وجعل اذ كل منها يقتضيه فاعمل الثاني من جملة ارايتم الثانية هي جملة الاستفهام والعايد على الليل محذوف تقديره من اله غير الله ياتيكم بضيا بعده ولا يلزم في باب التنازع ان يتسوى المتنازعان في جهة التعدي مطلقا بل قد يختلف الطلب فيطلبه هذا على جهة الفاعلية وهذا على جهة المفعولية وهذا على جهة المفعول وهذا على جهة الظرف وكذلك ارايتم ثاني مفعوليه جملة استفهامية كما بينا وان جعل كانت بمعنى صير لا تكون استفهامية وان كانت بمعنى خلق واوجد وانتصب ما بعده مفعولا كان ذلك المنتصب حالا والسرمد قيل من السرد فميمه زايدة ووزنه فعمل ولا نزيد وسطا ولا اخرا بقياس وانما هي الفاظ تحفظ مذكورة في علم التصريف واتى بضيا وهو نور الشمس ولم يجي التركيب بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه لان منافع الضيا متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضيا افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه قاله الزمخشري ومن رحمته من هنا للسبب اي وبسبب رحمته اياكم جعل لكم الليل والنهار ثم علل جعل كل واحد منهما فبدا بعلة الاول وهو الليل وهو لتسكنوا فيه ثم بعلة الثاني وهو ولتبتغوا من فضله ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو لعلكم تشكرون اي هذه الرحمة والنعمة وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير وهو ان تذكر اشيا ثم تفسرها بما يناسبها ومنه قول ابن حيوس ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كاسه الملاي وعن ابريقه فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه والضمير في فيه عايد على الليل وفي فضله يجوز ان يكون عايدا على الله والتقدير من فضله اي من فضل الله فيه اي في النهار وحذف لدلالة المعنى ولدلالة لفظ فيه السابق عليه ويحتمل ان يعود على النهار اي من فضل النهار ويكون لاضافة الفضل للنهار على سبيل المجاز لما كان الفضل حاصلا فيه اضيف اليه كقوله بل مكر الليل والنهار

ويوم يناديهم اين شركاي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فية ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشا من

عباده

عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تقدم الكلام على قوله ويوم يناديهم وكرر هنا على جهة الابلاغ والتاكيد ونزعنا اي ميزنا واخرجنا بسرعة من كل امة من الامم شهيدا اي نبي تلك الامة هو الشهيد عليها كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا او غيره من عدول الاخيار والشهدا على هذا اسم الجنس والشهيد يشهد على تلك الامة بما صدر منها وما اجابت به لما دعيت الى التوحيد وانه قد بلغهم رسالة ربهم فقلنا اي للامم هاتوا برهانكم اي حجتكم فيما كنتم عليه في الدنيا من الكفر ومخالفة هذا الشهيد فعلموا ان الحق لله لا لاصنامهم وما عبدوا من دون الله وضل عنهم اي وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من الكذب والباطل وقارون اعجمي منع الصرف للعجمة والعلمية ومقتضي كان من قومه اي ممن امن به قال ابن عطية وهو اسرايلي باجماع انتهى واختلف في قرابته من موسى اختلافا مضطربا متكاذبا والاولى ما قاله ابن جريج انه ابن عمه وهو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث لان التابعين ذكروا انه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان احفظ بني اسرايل للتوراة واقراهم فنافق كما نافق السامري فبغى عليهم من انواع بغيه الكفر والكبر وحسده لموسى على النبوة ولهرون على الذبح والقربان وظلمه لبني اسرايل حين ملكه فرعون عليهم ودسه بغيا تكذب على موسى انه تعرض لها ويفضحه بذلك في ملا من بني اسرايل ومن تكبره انه زاد في ثيابه شبرا واتيناه من الكنوز قيل اظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام وقيل سميت امواله كنوزا اذ كان ممتنعا من ادا الزكاة وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام اول عداوته وما موصولة صلتها ان ومعمولاها وقال النحاس سمعت علي بن سليمان يعني الاخفش الصغير يقول ما اقبح ما يقوله الكوفيون في الصلاة انه لا يجوز ان تكون صلة الذي ان وما عملت فيه وفي القران ما ان مفاتحه انتهى وتقدم الكلام في مفاتح في سورة الانعام وقالوا هنا مفاتيح خزاينه وقال السدي هي الخزاين نفسها وقال الضحاك ظروفه واوعيته وقرا الاعمش ما ان مفاتحه مفتاح وذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب او يقارب الكذب فلم اكتبه قال ابو زيد نوت بالحمل اذ نهضت به. اذا وجدنا خلفا بيس الخلف. عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف. ويقال ناء ينوء اذا نهض بتثاقل قال الشاعر تنوء باخراها فلايا قيامها. وتمشي الهوينا من قريب فتبهر. وقال ابو عبيدة هو مقلوب واصله لتنوء بها العصبة اي لتنهض والقلب عند اصحابنا بابه الشعر والصحيح ان البا للتعدية اي لتنئ العصبة كما تقول ذهبت به واذهبته وجيت به واجاته ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفرا واختاره النحاس وروي معناه عن ابن عباس وابي صالح والسدي وتقول العرب ناء الحمل بالبعير اذا اثقله قال ابن عطية ويمكن ان يسند تنو الى المفاتح لانها تنهض بتحامل اذا فعل ذلك الذي ينهض بها وذا مطرد في نا الحمل بالبعير ونحوه فتامله وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء وتذكيره راعى المضاف المحذوف التقدير ما ان حمل مفاتحه او مقدارها او نحو ذلك وقال الزمخشري ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزاين ويعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والاتصال كقوله ذهبت اهل اليمامة انتهى يعني انه اكتسب المفاتح التذكير من الضمير الذي لقارون كما اكتسب اهل التانيث من اضافته الى اليمامة فلذلك انث فيه ذهبت وذكر ابو عمرو الداني ان بديل بن ميسرة قرا

ما ان مفاتحه على المراد ولا يحتاج مع ما ذكرته لتنوء بالباء الى تاويل وتقدم تفسير العصبة
في سورة يوسف عليه السلام وتقدم قبل تفسير المفاتح اهي المفاتيح والخزاين نفسها
او الظروف والاوعية وعن ابن عباس والحسن ان المفاتح هي الاموال قال ابو
صالح كانت خزاينه تحملها اربعون اقويا وكانت اربع مائة الف يحمل كل رجل
عشرة الاف وقال ابو مسلم المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب والمراد وآتيناه من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع
عليها ليثقل على العصبة اي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف اصنافها يتعب
حفظها القايمين على حفظها والاطلاع عليها اذ قال له قومه لا تفرح نهوه
عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس واشر واعجاب وانما يفرح
باقبال الدنيا عليه من اطمان اليها وغفل عن امر الاخرة ومن يجعل من باله
انه مفارق زهرة الدنيا عن قريب فلا يفرح بها **وقال ابو الطيب**

• اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •

قال الزمخشري ومحل اذ منصوب بتنوء انتهى وهذا ضعيف جدا لان اثقال
المفاتح العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه لا تفرح وقال ابن عطية متعلق
بقوله فبغى عليهم وهو ضعيف ايضا لان بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت
وقال الحوفي الناصب له محذوف تقديره اذكر وقال ابو البقا اذ قال له ظرف
لآتيناه وهذا ضعيف ايضا لان الايتا لم يكن وقت ذلك القول وقال ايضا
ويجوز ان يكون ظرفا لفعل محذوف دل عليه الكلام اي بغى عليهم اذ قال له
قومه انتهى ويظهر ان يكون تقديره فاظهر التفاخر والفرح بما اوتي من
الكنوز اذ قال له قومه لا تفرح وقال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم والعرب تمدح
بترك الفرح عند اقبال الخير • **وقال الشاعر** •

• ولست بمفراح اذا الدهر سرني • ولا جازع من صرفه المتحول •

وقال الاخر ان يلاق منفسا لا يلقنا • فرح الخير ولا نكبو لضر •

وقرئ الفارحين حكاه عيسى بن سليمان الحجازي ولا يحب صفة فعل
لا صفة ذات بمعنى الارادة لان الفرح امر قد وقع فالمعنى لا يظهر عليهم
بركته ولا ينيلهم رحمته ولما نهوه عن الفرح المطغي امروه بان يطلب
فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ثواب الدار الاخرة بان يفعل به
افعال البر ويجعله زادك للاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ابن عباس
والجمهور معناه ولا تضيع عمرك في ان لا تعمل صالحا في دنياك اذ الاخرة
انما يعمل لها في الدنيا فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها وهذا التاويل
فيه عظة وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من الدنيا في
تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبة دنياك وفي هذا التاويل
بعض رفق وقال الحسن معناه قدم الفضل وامسك ما يبلغ به وقال
مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل اراد بنصيبه الكفن فهذا
وعظ متصل كانهم قالوا تترك جميع مالك لا يكون نصيبك منه الا الكفن
كما قال **الشاعر** نصيبك مما تجمع الدهر كله • رداآن تلوى فيهما وحنوط •
وقال الزمخشري ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك وهذا قريب من قول الحسن واحسن الى عباد الله

او بشركه

او بشكرك وطاعتك لله كما احسن الله اليك بتلك النعم التي خولكها والكاف للتشبيه وهو يكون
في بعض الاوصاف لان مماثلة احسان العبد لاحسان الله من جميع الصفات يمتنع ان تكون
فالتشبيه وقع في مطلق الاحسان او تكون الكاف للتعليل اي احسن لاجل احسان الله
اليك ولا تبغ الفساد اي ما انت عليه من البغي والظلم على علم عندي يحتمل ان يكون
مضافا اليه ومضافا الى الله تعالى قال الجمهور ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون
صاحب تلك الكنوز فقيل علم التوراة وحفظها وكان احد السبعين الذين اختارهم موسى
للميقات وكانت هذه مغالطة وقال ابو سليمان الداراني اي علم التجارة ووجوه المكاسب
اي اوتيته بادراكي وسعيي وقال ابن المسيب علم الكيميا وقال ابن المسيب كان موسى عليه
السلام يعلم الكيميا وهي جعل الرصاص والنحاس ذهبا وعن ابن عباس علم صنعة
الذهب ولعل هذا لا يصح عنه ولا عن ابن المسيب وانكر الزجاج علم الكيميا وقال باطل
لا حقيقة له انتهى وكثيرا ما تولع اهل مصر بطلبها اناس من المستخلات والخرافات
من ذلك تغوير الكنوز وحرمة الصور الممثلة في الجدر خطوطا وادعايهم ان تلك الخطوط
تتحرك اذا اخرمت بانواع من الخزم لم والكيمياتي ان مشايخ العلم عندهم الذين هم
عندهم صورة الولاية يتطلب ذلك من اجهل وارد من المغاربة وقال ابن زيد وغيره
اراد اوتيته على علم من الله وتخصيص من لدنه قصدني به اي فلا يلزمني فيه شي
مما قلتم ثم جعل قوله عندي كما يقول في معتقدي وعلى ما اراه وقال مقاتل على
علم اي على خير علمه الله عندي والظاهر ان قوله اولم يعلم تقرير لعلمه ذلك وتنبيه
على خطيه في اغتراره اي قد علم ان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه
واغنى لانه قد قراه في التوراة واخبر به موسى وسمعه في التواريخ كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته قال الزمخشري ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه
لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى
نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي نفسه مصارع الهالكين انتهى
والكثر جمعا اما للمال واما جماعة يحوطونه ويخدمونه قال ابن عطية اولم يعلم يرجح ان قارون تشبع
بعلم نفسه على زعمه وقرا الجمهور ولا يسال مبنيا للمفعول والمجرمون رفع به وهو متصل
بما قبله قال محمد بن كعب والضمير في ذنوبهم عايد على من اهلك من القرون اي لا يسال غيرهم
ممن اجرم ولا عمن لم يجرم عمن اهلكه الله بل كل نفس بما كسبت رهينة وقيل اهلك من اهلك
من القرون عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسالتهم عنها وقيل هو مستانف عن حال يوم القيامة
قال قتادة لا يسالون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها لانهم يدخلون النار بغير حساب وقال
قتادة ايضا ومجاهد لا تسالهم الملايكة عن ذنوبهم لانهم يعرفونهم بسيماهم من السواد
والتشويه كقوله يعرف المجرمون بسيماهم وقيل لا يسالون سوال توبيخ وتقريع وقرا
ابو جعفر في رواية ولا تسال بالتا والجزم المجرمين نصب وقرا ابن سيرين وابو العالية
كذلك في ولا تسال على النهي للمخاطب وكان ابن ابي اسحاق لا يجوز ذلك الا ان يكون المجرمين
بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه قال صاحب اللوامح فالظاهر ما قاله ولم يبلغني في نصب
المجرمين شي فان تركا على رفعه فله وجهان احدهما ان يكون الها والميم في عن ذنوبهم
راجعة الى ما تقدم من القرون وارتفاع المجرمين باضمار المبتدا وتقديره هم المجرمون وكذلك
المجرمون ومثله التايبون العابدون في التوبة والثاني ان يكون بدلا من اصل الها
والميم في ذنوبهم لانهما وان كانتا في محل الجر بالاضافة اليها فان اصلها الرفع لان الاضافة

البليغ منزلة إضافة المصدر إلى اسم الفاعل فعلى ذلك المجرور محمول على الأصل على ما تقدم لنا من أنك
قد لا يضرب مثلا بعوضة بالجر على أنها بدل من أصل المثل وما أريد فيه وتقديره لا يستحي
يضرب مثلا لا يستحي أن يضرب بعوضة ففي ذلك مراد مع الفصل بالمصدر ناصب إلى
المفعول به ثم أبدل منه البعوضة من عزّان أحرف فيها أثر الحال فأما قوله في ذنوبهم
تذهبون جمع مصدر فعلى عاله طلاق وأما قوله على ما تقدم لنا من أن بعضهم
قراه فقد ذكر في البقرة أنه سمع ذلك والأجود فيها أثرا فينبغي أن لا يجعلها قراءة
ولما ذكر تعالى قارون وبغيه وما آتاه من الكنوز وفرحه بذلك من البطر وأعلموا
أن ما أوتي من ذلك إنما أوتيه على علم ذكر ما هو ناشئ من التكبر والسرور بما أوتي
فقال فخرج على قومه في زينته وكان يوم السبت أي أظهر ما يقدر عليه من
الملابس والمراكب وزينة الدنيا قال جابر ومجاهد في ثياب حمر وقال ابن زيد
هو وحشمه في ثياب معصفرة وقيل في ثياب الأرجوان وقيل على بغلة شهباء
عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى
خيولهم الديباج الأحمر وعلى يمينه ثلاثمائة غلام وعلى يساره ثلاثمائة جارية بيض
عليهم الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي
فيه المعصفر وقيل غير ذلك من الكيفيات قال الذين يريدون الحياة الدنيا قيل
كانوا مؤمنين وقال قتادة تمنوه ليتقربوا إلى الله وقيل رغبة في اليسار والثروة
وقيل كانوا كفارا لو تمنوا مثل ما أوتي قارون ولم يذكروا زوال نعمته وهذا من
الغبطة إنه لذو حظ عظيم أي درجة عظيمة قاله الضحاك وقيل نصيب كثير من الدنيا
والحظ البخت والسعد يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وقال الذين أوتوا
العلم منهم يوشع والعلم معرفة الثواب والعقاب أو التوكل والأخبار أقوال ويلكم
دعاء بالزجر ثواب الله وهو ما أعده في الآخرة للمؤمن خير مما أوتي قارون ولا يلقاها
أي هذه الحكمة وهي معرفة ثواب الله وقيل الجنة ونعيمها وقيل هذه المقالة
وهي قولهم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وعم تجدد إلا الصابرون على
الطاعات وعلى قمع أنفسهم عن الشهوات تقدم طرف من خبر قارون وحسده
لموسى ومن حسده أن جعل لبغي جعلا على رمي موسى بنفسها فأمر الله الأرض
أن تطيعه فقال يا أرض خذيه وأتباعه فخسف بهم في حكاية طويلة الله أعلم بصحتها
وأنها تابت إلى الله وأقرت أن قارون هو الذي جعل لها جعلا على رمي موسى بنفسها
ولما خسف بقارون ومن معه قال بنو إسرائيل إنما دعا موسى على قارون ليستبد
بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ومن زائدة أي من جماعة
تفيد استغراق الفئات وإذا انتفت الجملة ولم يقدر على نصره فانتفاء الواحد عن
نصرته أبلغ وما كان من المنتصرين أي لم يكن في نفسه ممن يمتنع من عذاب
الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس قيل وأصبح إذا حمل على ظاهره أن الخسف
به وبداره كان ليلا وهو أفظع العذاب إذ الليل سر الراحة والسكون والأمس يحتمل أن
يراد به الزمان الماضي ويحتمل أن يراد به ما قبل يوم الخسف وهو يوم التمني
ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله فخسفنا فيكون فيه
إعقاب العذاب خروجه في زينته وفي ذلك تعجيل العذاب ومكانه منزلته
في الدنيا من الثروة والحشم والأتباع ووي عند الخليل وسيبويه اسم فعل ترجمة

ومه

ومه ومعناها العجب قال الخليل وذلك أن القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم
وي وكل من ندم فأظهر ندامته قال وي وكأن هي كاف التشبيه الداخلة على أن وكتبت
متصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال وأنشد سيبويه

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والبيت لزيد بن عمرو بن نفيل وحكى الفراء أن امرأة قالت لزوجها أين ابنك فقال
ويكأنه وراء البيت وعلى هذا المذهب يكون الوقف على وي وقال الأخفش هي
ويك وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب ولا موضع له من الإعراب والوقف عليه
ويك ومنه قول عنترة ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
قال الأخفش وأن عنده مفتوحة بتقدير العلم أي اعلم أن الله قال الشاعر

ألا ويك المسرة لا تدوم ولا يبقى على البؤس النعيم

وذهب الكسائي ويونس وأبو حاتم
وغيرهم إلى أن أصله ويلك فحذفت اللام والكاف في موضع جر بالإضافة فعلى المذهب الأول
قيل تكون الكاف حالية من معنى التشبيه كما قيل في ليس كمثله شيء وعلى المذهب الثاني
فالمعنى التعجب لأن الله وعلى المذهب الثالث تكون ويك كلمة تحزن والمعنى أيضا لأن الله
وقال أبو زيد وفرقة معه ويكأنه حرف واحد بجملته وهو بمعنى ألم تر وبمعنى ألم تر
قال ابن عباس والكسائي وأبو عبيدة وقال الفراء ويكأن في كلام العرب تقرير كقول الرجل أما ترى إلى
صنع الله وقال ابن قتيبة عن بعض أهل العلم أنه قال معنا ويكأن رحمة لك بلغة حمير
ولما صار منهم تمني حال قارون وشاهدوا الخسف كان ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا
وداعيا إلى الرضى بقدر الله فتنبهوا لخطئهم فقالوا ويكأن قالوا كأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق على من يشاء
لا لهوانه بل لحكمته وقضائه ابتلاء وقرأ الأعمش لولا من الله بحذف أن وهي مرادة وروي
عنه من الله برفع النون والإضافة وقرأ الجمهور مبنيا للمفعول وحفص وعصمة وأبان
عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر مبنيا للفاعل وابن مسعود وطلحة والأعمش لانخسف
بنا كقولك انقطع بنا كأنه فعل مطاوع والقائم مقام الفاعل هو بنا ويجوز أن يكون
المصدر أي لانخسف الانخساف ومطاوع فعل لا يتعدى إلى مفعول به فلذلك
بني لما لم يسم وإما للمصدر وعن ابن مسعود أيضا لتخسف بنا وشد السين مبنيا
للمفعول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون إن الذي فرض عليك القرآن لرادك
إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت
ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم وإليه ترجعون لما كان من قول أهل العلم والإيمان ثواب الله خير ذكر
محل الثواب وهو الدار الآخرة والمعنى تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها الدار
الآخرة أي نعيم الدار الآخرة وهي الجنة والبقاء فيها سرمدا وعلق حصولها على مجرد
الإرادة فكيف بمن باشر العلو والفساد ثم جاء التركيب بلا في قوله ولا فسادا
فدل على أن كل واحد من العلو والفساد مقصود لا مجموعهما قال الحسن العلو

الرد والشرف الرحز البغي المفضي الى الظلم والفساد وعمم انواع الشر وعن علي كرم الله وجهه ان الرجل
ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه
قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض
فله خير منها يحتمل ان يكون خير افعل التفضيل وان يكون واحد الخيور اي فله خير
بسبب فعلها ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات
تهجينا لحالهم وتبغيضا للسيئة الى قلوب السامعين ففيه تكرار ما لا يخفى فيه
لو كان فلا يجزون بالضمير وما كانوا على حذف مثل اي الا مثل ما كانوا يعملون
لان جزاء السيئة سيئة مثلها والحسنة بعشر امثالها ان الذي فرض عليك القران
قال عطا العمل به ومجاهد اعطاكه ومقاتل انزله عليك وكذا قال الفرا وابو
عبيدة وقال الزمخشري اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان
الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف والعد
قال الجمهور الى الاخرة اي باعثك بعد الموت ففيه اثبات الحشر واعلام بوقوعه
وعن ابن عباس وابي سعيد الخدري المعاد الموت وقيل بيت المقدس وقيل الجنة
وكان قد دخلها ليلة المعراج وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة اراد رده اليها
يوم الفتح ونكره والمقصود التعظيم اي معاد له شان لغلبة الرسول عليها وقهره
لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وكان الله وعده وهو بمكة انه مهاجر منها ويعود
اليها ظاهرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق اليها فقال
له جبريل اتشتاق اليها قال نعم فاوحاها اليه ومن منصوب باضمار فعل اي يعلم
من جاء بالهدى ومن اجاز ان ياتي افعل بمعنى فاعل واجاز مع ذلك ان ينتصب به
جاز ان ينتصب به اذ يؤوله بمعنى عالم ويعطيه حكمه من العمل ولما وعده تعالى
انه يرده الى معاد وانه تعالى فرض عليه القران امره ان يقول للمشركين ذلك
اي هو تعالى عالم بمن جاء بالهدى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وبما يستحقه من
الثواب في معاده وهذا اذا عني بالمعاد ما بعد الموت ويعني بقوله ومن
هو في ضلال مبين المشركين الذين امرهم الله بان يبلغهم ذلك وهو عالم
بهم وبما يستحقونه من العقاب في معادهم وفي ذلك متاركة للكفار
وتوبيخ وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب هذا تذكير لنعمه تعالى على
رسوله وانه تعالى رحمه رحمة لم يتعلق بها رجاؤه وقيل الا هو متعلق بقوله
ان الذي فرض عليك القران وانت بحال من لا يرجو ذلك وانتصب رحمة على
الاستثناء المنقطع اي لكن رحمة من ربك سبقت فالقي اليك الكتاب وقال الزمخشري
هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة من ربك انتهى
فيكون استثناء متصلا اما من الاحوال واما من المفعول له وقرا الجمهور يصدنك
مضارع صد وشد النون ويعقوب كذلك الا انه خففها وقرئ يصدنك بمعنى يصدنك
مضارع اصد بمعنى صد حكاه ابو زيد عن رجل من كلب قال وهي لغة قومه
قال الشاعر: اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم
بعد اذ انزلت اليك اي بعد وقت انزالها واذ تضاف اليها اسماء الزمان كقولهم
بعد اذ هديتنا وحينئذ ويومئذ قال الضحاك وذلك حين دعوه الى دين ابائه
اي لا يلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدونك عن اتباع ايات الله وادع

الى ربك

الى ربك اي الى دين ربك وهذه النواهي كلها ظاهرها انها للرسول وهي في الحقيقة لاتباعه والهلاك
يطلق بازاء العدم المحض والمعنى ان الله يعدم كل شي سواه وبازاء نفي الانتفاع بها اما للاماتة
او بتفريق الاجزا وان كانت باقية يقال هلك الثوب لا يريدون فنا اجزائه ولكن خروجه
عن الانتفاع به ومعنى الا وجهه الا اياه قاله الزجاج وقال مجاهد والسدي هالك
بالموت الا العلماء فان علمهم باق انتهى ويريدون الا ما قصد به وجهه من العلم
فانه باق وقال الضحاك الا الله عز وجل والعرش والجنة والنار وقيل ملكه ومنه
لمن الملك اليوم وقال ابو عبيدة الا ما اريد به وجهه اي الذي جعله في الناس وقال
سفيان الثوري الا وجهه ما عمل لذاته ومن طاعته وتوجه به نحوه ومنه قول
الشاعر: رب العباد اليه الوجه والعمل. وقوله يريدون وجهه له الحكم اي
فصل القضا اليه ترجعون اي الى جزائه وقرا عيسى ترجعون مبنيا للفاعل
والجمهور مبنيا للمفعول

سورة العنكبوت بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب
الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقا
الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان
بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي
مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في
الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا
كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين
امنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم القيامة عما كانوا
يفترون هذه السورة مكية قاله جابر وعكرمة والحسن وقال ابن عباس وقتادة
مدنية وقال يحيى بن سلام مكية الا من اولها الى وليعلمن المنافقين ونزل اوائلها
في مسلمين بمكة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة قاله السدي او في عمار ونظرائه
ممن كان يعذب في الله قاله ابن عمر او في مسلمين كان كفار قريش يؤذونهم قاله
مجاهد وهو قريب مما قبله او في مهجع مولى عمر قتل ببدر فجزع ابوه وامراته عليه
وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب
الجنة او في عياش اخي ابي جهل عذب فارتد والناسخ عنه نزلت فيه الاية وقال
الحسن الناس هنا المنافقون اي ان يتركوا لمجرد قولهم امنا وحسب يطلب مفعولين
قال الحوفي وابن عطية وابو البقا سدت ان وما بعدها من معمولها مسد المفعولين
واجاز الحوفي وابو البقا ان يكون ان يقولوا بدلا من ان يتركوا وان يكون في
موضع نصب بعد اسقاط الخافض وقدروه بان يقولوا ولان يقولوا وقال ابن عطية
وابو البقا واذا قدرت البا كان حالا قال ابن عطية والمعنى في البا واللام مختلف وذلك

ان في البكا كما تقول نزلت زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من اجل اي حسبوا ان ايمانهم علة للترك
تفسير بمعنى اذ تفسير الاعراب حسبانهم ان الترك لاجل تلفظهم بالايمان و قال الزمخشري
فان قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا بالترك وحسب ولقولهم امنا هو الخبر
واما غير مفتونين فتتمة للترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله
فتركته جزر السباع ينشنه . الا ترى انك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول تركهم
غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت
ان يقولوا هو علة وتركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا قلت
كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة
في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت
خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما
مبتدا وخبرا انتهى وهو كلام فيه اضطراب ذكر اولا ان تقديره غير مفتونين
تتمة يعني انه حال لانه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهذه جملة
حالية ثم ذكر ان يتركوا هنا من الترك الذي هو من التصيير وهذا لا يصح
لان مفعول صير الثاني لا يستقيم ان يكون لقولهم اذ يصير التقدير ان يصيروا لقولهم
وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح واما ما مثل به من البيت فانه يصح ان يكون
جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الآية واما تقديره
حاصل ومستقر قبل اللام حاصل فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى تصييرهم كان غير
مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم مبتدا وخبر لاحتياج
تركهم بمعنى تصييرهم الى مفعول ثان لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول
ثان واما قوله فان قلت ان يقولوا الى اخره فيحتاج الى فضلة فهم وذلك
ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه لو كان علة له لكان
به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كائن
والخبر غير المبتدا ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج
الى خبر واما قوله كما تقول خروجه لمخافة الشر فلمخافة ليس علة للخروج بل
للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كائن وهم لا يفتنون قال الشعبي الفتنة
هنا ما كلفه المومنون من الهجرة التي لم يتركوا دونها وقال الكلبي هو مثل او
ليبلونكم بشي وقال مجاهد يبتلون في انفسهم واموالهم والذين من قبلهم
المومنون اتباع الانبيا اصابهم من المحن ما فرق به المومن بالمنشار فرقتين
ومشط بامشاط الحديد ولا يرجعه عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا
في ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه من علم المتعدية الى واحد فيهما ويستحيل حدوث
العلم لله تعالى فالمعنى وليتعلقن علمه به موجودا كما كان متعلقا به حين كان
معدوما والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب او عبر بالعلم عن الجزا
اي وليثيبن الصادق وليعذبن الكاذب ومعنى صدقوا في ايمانهم تطابق
قولهم واعتقادهم افعالهم والكاذبين ضد ذلك وقرا علي وجعفر
ابن محمد فليعلمن مضارع المنقولة بهمزة التعدي من علم المتعدية الى واحد
وللثاني محذوف اي منازلهم في الاخرة من ثواب وعقاب والاول محذوف

اي

اي فليعلمن الناس الذين صدقوا اي يشهرهم هولاء في الخير وهولاء في الشر وذلك في الدنيا
والاخرة او من العلامة فيتعدى الى واحد اي يسمهم بعلامة تصلح لهم كقوله من
اسر سريرة البسه الله رداها وقرا الزهري الاولى كقراءة الجماعة والثانية كقراءة
علي ام حسب قال ابن عطية ام معادلة للالف في قوله احسب وكانه عز وجل قرر
الفريقين قرر المومنين على ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين
يعملون السيات في تعذيب المومنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون نقمات
الله ويعجزونه انتهى وليست ام هنا معادلة للالف في احسب كما ذكر لانها اذ ذاك
تكون متصلة ولها شرطان احدهما ان يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام وهذا
الشرط هنا موجود والثاني ان يكون بعدها مفرد او ما هو في تقدير المفرد
مثال المفرد ازيد قائم ام عمرو ومثال ما هو في تقدير المفرد اقام زيد ام قعد وجوابها
تعيين احد الشيئين ان كان السؤال بين شيئين او الاشيا ان كان بين اكثر
من شيئين وهنا بعد ام جملة ولا يمكن الجواب هنا باحد الشيئين بل ام هنا
منقطعة بمعنى بل التي للاضراب بمعنى الانتقال من قصة الى قصة لا بمعنى
الابطال وهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ والانكار فلا يقتضي
جوابا لانه في معنى كيف وقع حسبان ذلك والذين يعملون السيات قال ابن عباس
يريد الوليد بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي بن هشام وشيبة وعتبة
والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وحنظلة بن ابي سفيان والعاصي بن وايل
وانظارهم من صناديد قريش انتهى والاية وان نزلت على سبب فهي تعم جميع
من يعمل السيات من كافر ومسلم وقال مجاهد ان يسبقونا اي يعجزونا فلا نقدر
على الانتقام وقيل ان يعجلوا بحتوم القضا وقيل ان يهربوا منا ويفوتونا بانفسهم وقال
الزمخشري ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في
الفوت ولم يحدثوا به انفسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرتهم في العاقبة واصرارهم
على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما انتم بمعجزين في الارض ولا
يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت
اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب
فيها ان هذا الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى
بمساويه انتهى اما قوله وهم لم يطمعوا في الفوت الى اخر قوله ويطمع فيه فليس كذلك
بل هم معتقدون انهم لا بعث ولا جزا ولا سيما السبب التي نص عليها ابن عباس وما ذكره الزمخشري
هو على اعتقاد من يعلم ان الله يجازيه ولكن طمع في عفو الله واما قوله اشتمال
صلة ان الى اخره فقد كان ينبغي ان يقدر ذلك في قوله ان يتركوا فيجعل ذلك سد
مسد المفعولين ولم يقدر ما لا يصح تقديره واما قوله ويجوز ان يضمن حسب معنى
قدر فمعنى ان ان وما بعدها في موضع مفعول واحد والتضمين ليس بقياس ولا
يصار اليه الا عند الحاجة اليه وهنا لا حاجة اليه ساء ما يحكمون قال الزمخشري
وابن عطية ما معناه انه ما موصولة ويحكمون صلتها او تمييز بمعنى شي ويحكمون
صفة والمخصوص بالذم محذوف في التقدير اي حكمهم انتهى وفي كون ما موصولة
مرفوعة بسا او منصوبة على التمييز خلاف مذكور في النحو وقال ابن كيسان ما مصدرية

تتقدم بيس حكمهم وعلى هذا القول يكون التمييز محذوفا اي ساء حكما حكمهم وساء هنا
بمعنى بيس وتتقدم حكم بيس اذا اتصل بها ما والفعل في قوله بيسما اشتروا به
انفسهم سبحانه في البقرة وجاء بالمضارع وهو يحكمون قيل اشعارا بان حكمهم مذموم
حالا واستقبالا وقيل لاجل الفاصلة ووقع المضارع موقع الماضي اتساعا والقاه
ان يرجوا على بابها ومعنى لقاء الله الوصول الى عاقبة الامر من الموت والبعث
والجزا مثلت حاله بحالة عبد قدم على مولاه من سفر بعيد وقد اطلع مولاه على
ما عمل في غيبته عنه فان كان عمل خيرا تلقاه باحسان او شرا فبضد الاحسان فان
اجل الله لات وهو ما اجله وجعله اجلا لا بد ان يأتي لا محالة فليبادر بالصدق رجاء
وقال ابو عبيدة يرجو يخاف وفسر الرجا بالخوف اي من كان يرجو
لقاء الله فليبادر بالعمل الصالح الذي يحقق رجاءه فان ما اجله الله تعالى بعد لاحقه
جزا به لات والظاهر ان قوله ومن جاهد معناه ومن جاهد نفسه بالصبر على
الطاعات فثمرة جهاده وهو الثواب المعد له انما هو له لا لله والله تعالى غني عنه وعن
العالمين وانما كلفهم ما كلفهم احسانا اليهم لنكفرن عنهم سيئاتهم يشمل من كان كافرا
فامن وعمل صالحا فاسقط عنه عقاب ما كان قبل الايمان من كفر ومعصية ومن
يا مومنا عاملا للصالحات اتا في بعض اعماله بكفر عنه ذلك وكانت سيئاته
مغمورة بحسناته ولنجزينهم احسن الذي اي احسن جزاء اعمالهم وقال ابن عطية
حذف مضاف تقديره ثواب احسن الذي كانوا يعملون انتهى وهذا التقدير
لا يسوغ لانه يقتضي ان اوليك يجزون ثواب احسن اعمالهم واما ثواب حسنها
فمسكوت عنه وهم يجزون ثواب الاحسن والحسن الا ان اخرجت احسن عن بابها
من التفضيل فيكون بمعنى حسن فانه يسوغ ذلك واما التقدير الذي قبله فمعناه
يجزي احسن جزاء العمل فعله يقتضي ان تكون الحسنة بمثلها يجزى احسن جزائها وهي
ان جعلت بعشر امثالها وفي هذه الايات تحريك وهز لمن تخلف عن الهجرة اذ بادر الى
استدراك ما فرط فيه منها وثنا على المومنين الذين بادروا الى الهجرة وتنويه
بقدرهم ووصينا الانسان في جامع الترمذي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص حلفت
امه ان لا تطعم ولا تشرب حتى اموت او يكفر وقيل في عياش بن ابي ربيعة اسلم وهاجر
مع عمر وكانت امه شديدة الحب له وحلفت على مثل ذلك فحيل عليها ابو جهل واخوه
الحارث فنزله وثاقا حتى خرج معهما من المدينة الى امه فقصد الرهق وجلده كل
منهما مائة جلدة وردّاه الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى تكفر بمحمد في حديث طويل
ذكر في السير ووصينا الانسان بوالديه اي امرناه بتعهدهما ومراعاتهما وانتصب
حسنا على انه مصدر وصف به مصدر ووصينا اي ايصا حسنا اي ذا حسن او على سبيل
المبالغة اي هو في ذاته حسن قال ابن عطية يحتمل ان ينتصب على المفعول وفي ذلك
تجوز كونه عاما للمعاني كما يقول وصيتك خيرا او وصيتك شرا ما عبر بذلك عن جملة ما قلت
له ويحسن ذلك دون حرف الجر كون حرف الجر في قوله بوالديه لان المعنى ووصينا ربنا
الانسان بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا قول الشاعر عجبت من دهما اذ تشكونا
ومن ابي دهما اذ يوصينا انتهى ومثله قول الحطيئة يوصي ابنته برة
وصيت من برة قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا وعلى هذا التقدير يكون الاصل
بخير وهو المفعول الثاني والباء في بوالديه وفي بالحماة وبالكلب ظرفية بمعنى في اي

وصينا

ووصينا الانسان بوالديه حسنا قال ابن عطية يحتمل ان يكون المفعول الثاني في قوله بوالديه
وينتصب حسنا بفعل مضمر تقديره يحسن حسنا وقيل على التكرير اي ووصيناه حسنا وقيل على القطع تقديره ووصينا
بالحسن كما تقول وصيته خيرا اي بالخير ويعني بالقطع من حرف الجر فانتصب قال اهل الكوفة
ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فيقدر له فعل انتهى وفي هذا القول حذف ان وصلتها
وابقاء المعمول وهو لا يجوز عند البصريين وقال الزمخشري ووصيناه بايتاء والديه حسنا
او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله
وقولوا للناس حسنا انتهى وهذا التقدير فيه اعمال المصدر محذوفا وابقاء معموله وهو
لا يجوز عند البصريين قال الزمخشري ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا
باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية
بهما دالة عليه وما بعده مطابق له وكانه قال قلنا اولهما معروفا وقرا عيسى
والجحدري حسنا بفتحتين والجمهور بضم الحاء واسكان العين وهما كالبخل والبخل قال
ابو الفضل الرازي وانتصابه بفعل دون التوصية المتقدمة لانها قد اخذت مفعوليها
معا مطلقا ومجرورا فالحسن هنا صفة اقيم مقام الموصوف بمعنى امرا حسنا انتهى اي ابرا
حسنا حذف امرا واقيم حسن مقامه وقوله مطلقا يعني به الانسان وقيل فانتصب به وهو مفعول
به والمطلق انما هو المصدر لانه مفعول لم يقيد من حيث التفسير باداة جر بخلاف سائر
المفاعيل فانك تقول مفعول به والمطلق انما هو المصدر مفعول فيه ومفعول له ومفعول معه وفي
مصحف ابي احسانا وان جاهداك اي وقلنا ان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالالهية
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم اي لتشرك به شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم فلا تطعهما
فيما جاهداك عليه من الاشراك الي مرجعكم شامل للموصي والموصى والمجاهد فانبيكم فاجازيكم بما
كنتم تعملون من بر وعقوق وطاعة وعصيان وذكر تعالى ما رتب للمومنين من دخولهم في
الصالحين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم ومعنى في الصالحين في جملتهم وبمرتبة الصلاح رتبة
لغطا سبها الانبياء ابراهيم وسليمان عليهما السلام واخبر تعالى انه يجعل من اطاع الله ورسوله
معهم ويحتمل ان يكون التقدير في ثواب الصالحين وهي الجنة ولما ذكر تعالى ما اعد للمومنين
الخلص ذكر حال المنافقين فقال نكتا امنوا بالسنتهم فاذا اوذي الكفرة جعلوا ذلك الاذى وهو فتنة
الناس صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمومنين عن الكفر وكونها نزلت في
منافقين قول ابن زيد وقال الزجاج جزع كما يجزع من عذاب الله وهذا معنى قول مجاهد
والضحاك وقال قتادة نزلت في هاجر فردهم المشركون الى مكة وقيل في مومنين اخرجهم الى
بدر المشركون فارتدوا وهم الذين قال فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
ولين جا نصر من ربك اي للمومنين ليقولن اي المنافقون او ربما في الله انا معكم اي
متابعون لكم في دينكم او معا تكون معكم ناصرون لكم فاسمونا فيما حصل لكم من الغنايم وهذه
الجملة المقسم عليها مظهرة مغالطتهم اذ لو كان ايمانهم صحيحا لصبروا على اذى الكفار وان
كانت فيمن هاجر وكانوا يحتالون في امرهم واكتوا كلا هو لحق بهم ليقولن
بفتح اللام ذكره ابو معاذ النحوي والزمخشري واعلم افعل تفضيل من انفسهم وبما في صدور
اي بما يكن في صدورهم من ايمان ونفاق وهذا استفهام معناه التقرير اي قد علم
ما انطوت عليه الضماير من خير وشر وليعلمن المنافقين ظاهر في ان ما قبل هذه الجملة
في المنافقين كما قال ابن زيد وعلمه بالمومن وعدله بالثواب وبالمنافق وعيده
بالعقاب ولما ذكر حال المومنين والمنافقين ذكر مقالة المنافقين قولا واعتقادا

وهم رؤسا قريش قال مجاهد كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان كان
عليكم شي فهو علينا وقيل قائل ذلك ابو سفيان بن حرب وامية بن خلف قال الاعراب كان
في الاقامة على دين الابا اثم فنحن نتحمله عنك وقيل قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال
ابن عطية وقوله ولنحمل اخبار انهم يحملون خطاياهم على وجهة التشبيه بالثقل لكنه خرجه
في صيغة الامر لانها اوجب واشد تاكيدا في نفس السامع من المجازات وهذا نحو
قول الشاعر فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت ان ينادي داعيان
ولكونه خبرا حسن تكذيبهم فيه وقال الزمخشري امروهم باتباع سبيلهم وهي
طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر
وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم
والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن
منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم انتهى
وقوله فان عسى لان تركيب اعجمي لا عربي لان ان الشرطية لا تدخل على عسى لانه فعل
جامد ولانه خلاف ادوات الشرط على الفعل الجامد وايضا فان عسى لا يليها كان
واستعمل عسى بغير اسم ولا خبر وكيف تستعملها تامة و وقرا الحسن وعيسى ونوح القاري
ولنحمل بكسر لام الامر وروي عن علي وهي لغة الحسن في لام الامر والحمل هنا مجاز
شبه القيام بما يتحصل من عواقب الاثم بالحمل على الظهر والخطايا المحمول وقال
مجاهد هذا من الحمالة لا من الحمل وقرا الجمهور من خطاياهم وقرا داود بن ابي
هند فيما ذكر ابو الفضل الرازي من خطيئتهم على التوحيد قال ومعناه الجنس ودل
على ذلك انما منه بمعنى الجماعة وذكر ابن خالويه وابو عمرو الداني ان داود هذا
قرا من خطاياتهم بجمع خطيئة جمع السلامة بالالف والتاء وذكر ابن عطية انه قرا من
خطيهم بفتح الطا وكسر اليا وينبغي ان يحمل كسر اليا على انها همزة سهلت بين بين
فاشبهت اليا لا انه قياس تسهيلها هو ذلك قال الزمخشري فان قلت كيف سماهم
كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله انهم لا يقدرون على الوفا به وضمين شيئا لا يقدر
على الوفا به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد
الكاذبين وهو المخبر عن الشي لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم
ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون
بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون
لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشي وفي
قلوبهم نية الخلف انتهى وتقدم من قول ابن عطية ان قوله ولنحمل خبر في
امر معناه الخبر وهذان الامران تنزلا منزلة الشرط والجزا اذ المعنى ان تتبعوا
سبيلنا وتحكم في ذلك انهم على ما تزعمون نحن نحمل خطاياكم وانما كان المعنى على
هذا لان الاخبار في الجزا لا تطابق فكان كذبا وليحملن اثقالهم اثقال انفسهم
من كفرهم ومعاصيهم واثقالا اي اخر وهي اثقال الذين اغووهم فكانوا سببا
في كفرهم ولم ينقص من اثقال الذين اغووا اثقاله فامكن اندراج اثقال المظلوم تحمله
للظالم كما جا في الحديث انه يوخذ من الظالم للمظلوم باد بعطي من حسنات
ظالمه فان لم يبق للظالم حسنة اخذ من سيات المظلوم فطرح عليه وفي صحيح مسلم
ما معناه ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه اوزار من عمل

بها مما اتبع لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا وليسالن يوم القيامة اي سوال توبيخ وتقريع
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون
فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا
الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله
ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شي قدير يعذب من يشا ويرحم من يشا
واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقايه اوليك يئسوا من رحمتي
واوليك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يومنون وقال انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين
ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من اذى الكفار فذكر
ما لقي اول الرسل وهو نوح من اذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات
الله عليه والواو في ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة قال ابن عطية والقسم فيها
بعيد يعني ان يكون المقسم به قد حذف وبقي حرفه وجوابه وفيه حذف المجرور وابقا
الحرف الجار وحرف الجر لا يعلق عن عمله بل لا بد له من ذكره والظاهر انه اقام في قومه هذه
المدة المذكورة يدعوهم الى الله وقال ابن عطية وقد يحتمل ان تكون المدة المذكورة
مدة اقامته في قومه من لدن مولده الى غرق قومه انتهى وليس عندي يحتمل لان
اللبث متعقب بالفا الدالة على التعقيب واختلفوا في مقدار عمره حين كان مبعثه وحين
مات اختلافا مضطربا متكاذبا تركنا حكايته في كتابنا وهو في كتب التفسير والاستثنا
من الالف استدل به على جواز الاستثنا من العدد وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف
مذكور في النحو وقد عمل الفقها المسايل على جواز ذلك وغاير بين تمييز المستثنى منه وتمييز
المستثنى لان التكرار في الكلام الواحد مجتنب في البلاغة الا اذا كان لغرض من تفخيم او تهويل
او تنويه وكان التعبير عن المدة المذكورة بما عبر به لان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر
منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره ولازالة التوهم الذي يجي مع قوله
تسع مائة وخمسين عاما ان ذلك على سبيل المبالغة لا التمام والاستثنا يرفع ذلك التوهم
المجازي وتقدمت قصة نوح باكمل مما هنا والخلاف في عدد من امن وذكر السفينة والضمير
في وجعلناها يحتمل ان يعود على السفينة وان يعود على الحادثة والقصة وانفرادها
بالفاصلة للعالمين لان اتخاذ السفن امر معهود فالاية انجاه تعالى لاصحاب السفينة وقت
الحاجة ولانها بقيت اعواما حتى مر عليها الناس وراوها فحصل العلم بها لهم فلذلك
ذكر قوله للعالمين وانتصب ابراهيم عطفا على نوحا قال ابن عطية او على الضمير في فانجيناه
وقال هو والزمخشري بتقدير اذكر وابراهيم اذ بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على
ما فيها وقد تقدم لنا ان اذ ظرف لا تتصرف فلا يكون مفعولا به وقد كثر تمييز النحوة

او في القران بان العامل فيهما اذكر واذ كانت ظرفا ماضيا فهو لو كان منصوبا لم يجز ان يكون معمولا
لاذكر لان المستقبل لا يقع في الماضي لا يجوز قم امس فان كان خلع من الظرفية الماضية
وتصرف فيه جاز ان يكون مفعولا به ومعمولا لاذكر وقرا النخعي وابو جعفر وابو
حنيفة وابراهيم بالرفع اي ومن المرسلين ابراهيم وهذه القصة تمثيل لقريش وتذكير
لحال ابراهيم من رفض الاصنام والدعوة الى عبادة الله تعالى وكان نمرود واهل مدينته
عباد اصنام وقرا الجمهور وتخلقون مضارع خلق افكا بكسر الهمزة وسكون الفا وقرا
علي والسلمي وعون العقيلي وعبادة وابن ابي ليلى وزيد بن علي بفتح التا والخا واللام مشددة
قال ابن مجاهد ورويت عن ابن الزبير اصله تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما على الخلاف الذي
في المحذوفة وقرا زيد بن علي ايضا فيما ذكر الاهوازي تخلقون من خلق المشددة وقرا
ابن الزبير وفضيل بن زرقان افكا بفتح الهمزة وكسر الفا وهو مصدر مثل الكذب
قال ابن عباس وتخلقون افكا هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا توسعا من حيث
يفترون بها الافك في انها الهة وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في امر الاوثان
وغير ذلك وقال الزمخشري افكا فيه وجهان احدهما ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب
والافك مخففة كالكذب واللعب من اصلها وان تكون صفة على فعل اي خلقا افكا
اي افكا وباطلا واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركا لله او شفعا اليه وسمى الاصنام
افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك انتهى وهذا الترديد منه في وتخلقون افكا قولان لابن عباس
ومجاهد وقد تقدم لنا نقلهما عنهما وقدم بقوله لا يملكون لكم رزقا على جهة الاحتجاج بانه
يهمهم عاجلتهم وحاضرتهم فذكر ان الاصنام لا ترزق والرزق يحتمل ان يراد به المصدر الذي
لا يملكون ان يرزقوكم شيا من الرزق ويحتمل ان يكون اسم المرزوق اي لا يملكون لكم ايتا رزق
ولا تحصيله ونكر الرزق لمكانته من الخلق ثم امرهم بابتغا الرزق ممن هو مالكه ومؤتيه وعرف
الرزق لان المقصود انهم لا يقدرون على شي منه وعرفه بعد للاشتراك العموم لانه تعالى عنده
الارزاق كلها واشكروا والدعا معدا اصابة من الرزق فعنده والى ترجعون اي الى جزايه
بالمعاد والحشر قال وان تكذبوا اي ليس بضائري تكذيبكم وقد تقدم ذلك من امم الرسل قبلي قوم شيث
وادريس وغيرهم وروي ان ادريس عاش في قومه الذين امنوا به الف سنة على عدد سنيه
وباقيهم على التكذيب وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة وقرا
الزهري كيف يبدا الخلق بتخفيف الهمزة بابدالها الفا فذهبت في الوصل وهو تخفيف غير قياسي كما قال
فارعي فزارة لا هناك المرتع وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين وتنبيههم على رؤية بدء
الخلق في قوله اولم يروا في قوله اولم يروا كيف يبدا الخلق انهم شاهدوا احيا الارض بالنبات واخراج
اشيا من العدم الى الوجود وقوله ثم يعيده مع قوله ان الله ينشي ليس داخلا تحت الرؤية ولا
تحت النظر فليس ثم يعيده معطوفا على يبدي ولا تمردا فدخلت كيفية النظر في البدء
بجملتان مستانفتان اخبار من الله تعالى بالاعادة بعد الموت وتقدم ما قبلها من الجملتين
على سبيل الدلالة على امكان ذلك فاذا امكن ذلك واخبر الصادق بوقوعه صار واجبا مقطوعا
بعلمه لا شك فيه وقال قتادة اولم يروا بالدلايل والنظر كيف يجوز ان يعيد الله الاجسام بعد
الموت وقال الربيع بن انس المعنى كيف يبدا خلق الانسان ثم يعيده الى احوال اخرى الى التراب
وقال مقاتل الخلق هنا الليل والنهار وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة هنا وفي النجم والواقعة
على وزن فعالة وباقي السبعة على وزن فعلة وهما كالرافة والرافة وهما لغتان نحو القطر
وانتصابهما على المصدر اما على حذف الزوائد فاما من تمام الانشا واما على اضمار فعل اي فتنشون

النشاة

النشاة في الاية الاولى صرح باسمه تعالى في قوله كيف يبدي الله الخلق ثم اضمره في قوله ثم يعيده
وهنا عكس اضمر في بدا الخلق ابرزه في قوله ثم الله ينشي لا تخلو الجملتان من صريح اسمه
وقد ابرزه هنا على تفخيم النشاة الاخرة وتعظيم امرها وتقرير وجودها اذ كان نزاع
الكفار فيها فكانه قيل ثم ذلك الذي بدا الخلق هو الذي ينشي النشاة الاخرة فكان
التصريح باسمه افخم في اسناد النشاة اليه والاخرة صفة للنشاة فهما نشاتان نشاة
اختراع من العدم ونشاة اعادة ثم ذكر الصفة التي النشاة هي بعض مقدوراتها ثم
اخبر بانه يعذب من يشا اي تعذيبه ويرحم من يشا رحمته وبدا بالعذاب لان الكلام
هو مع الكفار المكذبين في الرسل واليه تقلبون اي تردون وقال الزمخشري وتفسر المشيتين
مفسرتين في مواضع من القران وهو يعذب الجاهل والفاسق اذا لم يتب ويرحم
المعصوم والتايب انتهى وهو على طريقة الاعتزال وما انتم بمعجزين اي فايتين ما اراد
الله بكم في الارض ولا في السما لو حملتم على العلو فكنتم في البروج والقلاع الذاهبة
في العلو ويكون تخصيصا بعد تعميم وعلى الظاهر فيحتاج الى تقدير اي كونكم فيها
ونظيره قول الشاعر وهو الاعشى ولو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السما بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني لست عنك بمحرم وقوله تعالى ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات على تقدير لو كنتم فيها والارض فانفذوا وقال
ابن زيد والفرا التقدير ولا من في السما اي بمعجز وقال الفرا وهذا من غوامض
العربية وانشد قول حسان فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا
اي ومن ينصره وهذا عند البصريين لا يكون الا في الشعر لان فيه حذف الموصول وابقا
صلته وابعد من هذا القول قول من زعم ان التقدير وما انتم بمعجزين من في الارض
من الانس والجن ولا من في السما من الملايكة فكيف تعجزون الله وقرا الجمهور يئسوا
بالهمز والزهري وابو جعفر بغير همز بل بيا بدل الهمزة وهو وعيد اي ييسوا يوم
القيامة وقيل من جنته وقيل من دين الله لهم وقيل هو وصف لحالهم لان المومن
يكون راجيا خايفا والكافر لا يخطر بباله ذلك فشبه حاله في انتفا رحمته عنهم بحال
من ييس من الرحمة والظاهر ان قوله وان تكذبوا من كلام الله حكاية عن ابراهيم
الى قوله عذاب اليم وقيل هذه الايات اعتراض من كلام الله والاخبار عن جواب قومه اي
وان تكذبوا محمدا وتقدير هذه الجمل اعتراضا يرد على ابي علي الفارسي حيث زعم ان
الاعتراض لا يكون جملتين فاكثر وفايدة هذا الاعتراض انه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث كان قد ابتلي بمثل ما ابتلي ابراهيم قد ابتلي من شرك قومه وعبادتهم
الاوثان وتكذيبهم اياه ومحاولتهم قتله وبان الايات بعد الجملة الشرطية مقررة
لما جا به الرسول من توحيد الله ودلايله وذكر ثمرته والمعاد فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات
لقوم يومنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة
الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار
وما لكم من ناصرين فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز
الحكيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال
لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ايتكم لتاتون

لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان
قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم
المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امراته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك
كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما
كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون لما امرهم بعبادة
الله وبين سفههم في عبادة الاوثان وظهرت حجته عليهم رجعوا الى الغلبة فجعلوا القائم
مقام جوابهم فيما امرهم به قولهم اقتلوه او حرقوه والامرون بذلك اما بعضهم لبعض او كبراؤهم
قالوا لاتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلا او حرقوه بالنار واما ان يرجع الى دينكم اذا
امضته النار واما ان يموت بها ان اصر على قوله ودينه وفي الكلام اي حرقوه فقذفوه في النار
فانجاه الله من النار وتقدمت قصته في تحريقه في سورة اقترب للناس حسابهم وجمع
هنا فقال لايات لان الانجاء من النار وجعلها بردا وسلاما واتلافها في الحبل الذي كانوا
اوثقوه به دون الجسم واخمد ما قيل من ان مكانها حالة الرمي صار بستانا يانعا
هو مجموع ايات تناسب الجمع بخلاف الانجاء من السفينة فانه اية واحدة وتقدم
الكلام على ذلك وفي ذلك اشارة الى خلوصه من النار بعد التلبية فيها قال كعب لم تحرق
بالنار الا الحبل الذي اوثقوه به وجاء هنا الترديد بين قتله واحراقه فقد يكون ذلك
قائلين ناس اشاروا بالقتل وناس بالاحراق وفي اقترب قالوا حرقوه اقتصروا على
امر الشنيع وهو الذي فعلوه رجع في النار ولم يقتلوه وقرا الجمهور جواب
بالنصب والحسن وسالم الافطس بالرفع اسما لكان وقرا الحسن وابو حيوة وابن ابي
عبلة وابو بكر في رواية الاصمعي والاعشى عن ابي بكر مودة بالرفع بينكم بالنصب
فالرفع على خبر ان وما موصولة بمعنى الذي اي ان الاوثان التي اتخذتموها
مودودا او سبب مودة او مصدرية اي ان اتخاذكم اوثانا مودة خبر ان وذلك
على حذف مضاف اي ان سبب اتخاذكم اوثانا مودة او على اضمار مبتدا اي هي مودة
بينكم وما اذ ذاك مهيئة وروي عن عاصم مودة بالرفع من غير تنوين وبينكم بفتح
النون جعله مبنيا لاضافته الى مبني وهو موضع خفض بالاضافة وكذلك سقط
التنوين من مودة وقرا ابو عمرو والكسائي وابن كثير كذلك الا انه خفض نون بينكم
وقرا ابن عامر وابو بكر عاصم بنصب مودة منونا ونصب بينكم وحمزة كذلك الا انه
اضاف مودة الى بينكم وخفض كما في قراءة من نصب مودة مهيئة واتخذ يحتمل
ان يكون مما تعدت الى اثنين والثاني هو مودة اي اتخذتم الاوثان سبب المودة
بينكم على حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله او مما تعدت الى واحد وانتصب مودة
على انه مفعول له اي لتتوادوا وتتواصلوا وتجتمعوا على عبادتها كما يجتمع ناس
على مذهب فيقع التحاب بينهم وذكروا عن ابن مسعود قراءة شاذة تخالف
سواد المصحف مع انه قد روي عنه ما في سواد المصحف بالنقل الصحيح في
المستفيض فكذلك اذكر تلك القراءة ثم يوم القيامة يقع بينكم التلاعن اي

يتلاعن

يتلاعن العبدة او يتلاعن العبدة والمعبودون الاصنام كقوله ويكونون عليهم ضدا وبينكم وفي
الحياة يجوز تعلقهما بلفظ مودة نصب ورفع في ظرفين لاختلافهما اذ هما ظرفا مكان وزمان
ويجوز ان يتعلقا بمحذوف فيكونان في موضع الصفة اي كائنة بينكم كائنة في الحياة
ويجوز ان يكون بينكم في موضع الصفة وفي الحياة في موضع الحال من الضمير المستكن
في بينكم المنتقل اليه من العامل في بينكم واجاز ابو البقاء ان تتعلق في الحياة
باتخذتم على جعل ما كافة ونصب مودة وعلى جعل ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية
ورفع مودة لئلا يؤدي الى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر واجاز
قوم منهم ابن عطية ان تتعلق في الحياة بمودة وان يكون بينكم صفة لمودة
وهو لا يجوز لان المصدر اذا وصف قبل اخذ متعلقاته لا يعمل وبعضهم في هذا
انه يتسع في الظرف بخلاف المفعول به واجاز ابو البقاء ان يتعلق بنفس بينكم قال
لان معناه اجتماعكم او وصلكم واجاز ايضا ان يجعله حالا من بينكم قال لتعرفه
بالاضافة انتهى وهذان اعرابان لا يتعقلان فامن له لوط اي صدق ابراهيم لا
من قومه الا لوط عليه السلام حين راى النار لم تحرقه قال ابن اسحاق وسارة
وكانت بنت عمه والضمير في وقال عائد على ابراهيم هو الظاهر ليتناسق مع قوله
ووهبنا له اسحاق وهو قول قتادة والنخعي وقالت فرقة يعود على لوط وهاجر
ابراهيم عليه السلام من قريته كوثى وهي سواد العراق الى ارض بابل الى
فلسطين من ارض الشام وكان ابراهيم ابن خمس وسبعين سنة وهو اول من
هاجر في الله وقال ابن جريج هاجر الى حران ثم الى الشام وفي هجرته هذه كانت
معه سارة والمهاجر التارك بمن الى وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة
في رضى الله وعرف بهذا الاسم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون
قبل فتح مكة الى ربي الى الجهة التي امرني ربي بالهجرة اليها وقيل الى حيث لا امنع
عبادة ربي وقيل مهاجر من خالفني من قومي متقربا الى ربي ونزل ابراهيم قرية
من ارض فلسطين ونزل لوط سدوم على مسيرة يوم وليلة من قرية ابراهيم عليه
السلام انه هو العزيز الذي لا يذل من عبده الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها
والضمير في ذريته عائد على ابراهيم النبوة اسحاق ويعقوب وانبياء بني اسرائيل
واسماعيل ومحمد خاتمهم صلوات الله عليهم اجمعين والكتاب اسم جنس يدخل فيه
التوراة والانجيل والزبور والفرقان واتيناه اجره في الدنيا اي في حياته قال
مجاهد نجاته من النار ومن الملك الجبار والعمل الصالح والثناء الحسن بحيث يتولاه
كل امة وقال ابن جريج والولد الذي قرت به عينه وقال الحسن وقال السدي
انه اري مكانه في الجنة وقال ابن ابي بردة هما وفعله من عمل الاخرة وقال
الماوردي بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لنبي غيره وقيل النبوة والحكمة وقيل
الصلاة عليه الى اخر الدهر وانتصب لوطا باضمار اذكر وبالعطف على ابراهيم او
بالعطف على ما عطف عليه ابراهيم والجمهور على الاستفهام في ائنكم معا وقرا
انكم على الخبر وائنكم على الاستفهام قال ابو عبيدة وجدته في الامام بحرف واحد
بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون ولم يات في قصة لوط انه دعا قومه
الى عبادة الله كما جاء في قصة ابراهيم وقصة شعيب لان لوطا كان من قوم
ابراهيم وفي زمانه وسبقه ابراهيم الى الدعاء لعبادة الله وتوحيده واشتهر

اسم بذلك عند الخلق فذكر لوطا اختص به من النبي من الفحشا وغيرها واما ابراهيم وشعيب
فهي ابعد اثرا منهم كان يعبد الله فلذلك دعوا الى عبادة الله قال الزمخشري ما سبقكم بها جملة مستانفة
مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قايلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها
اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم قالوا لم يقدروا
ذكر على ذكر قبل قوم لوط انتهي ويظهر ان ما سبقكم بها جملة حالية كانه قال اتاتون الفاحشة
مبتدعين لها مسبوقين بها واستفهم اولا وثانيا استفهام انكار وتوبيخ وتقريع وبين
ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله ابنكم لتاتون الفاحشة وان كانت معينة انها اتيان
الذكور في الادبار لقوله ما سبقكم بها وقال اينكم لتاتون الرجال يعني في الادبار
وتقطعون السبيل اي سبيل الولد وتعطيل الفروج ووطي ادبار الرجال او بامساك الغربا
كذلك الفعل حتى انقطعت الطرق او بالقتل واخذ المال وتتبع الامر حتى تنقطع
سبل الناس في التجارات وتاتون في ناديكم اي في مجلسكم الذي تجتمعون فيه وهو اسم
جنس اذ ابديتم المجالس كثيرة ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه
لم يطلق عليه ناديا الا مجازا المنكر ما تنكره العقول والشرايع والمروات حذف الناس بالحصباء
الاستخفاف بالغريب الخاطر وروت ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم او اتيان الرجال في
مجالسهم يري بعضهم بعضا قاله منصور ومجاهد والقاسم بن محمد وقتادة وابن زيد
او تضارطهم وتصافعهم فيها قاله ابن عباس او لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحنا والصفير
والحذف ونبذ الحيا في جميع امورهم قاله مجاهد ايضا او الحذف بالحصا والرمي بالبنادق
والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح
قاله ابن عباس ايضا مع شركهم بالله كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة تظالم فيما بينهم وشتامة
وتضارط في مجالسهم وخذف ولعب بالنرد والشطرنج ولبس المصبغات ولباس النسا
للرجال ولباس الرجال للنسا والمكوس على كل عابر وهم اول من لاط ومن سحق وكان دعوتهم
لوط عليه السلام على هذه القبايح امرا عليا جفي التكذيب فكان جوابهم له ان قالوا
ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا به من نزول العذاب قالوا ذلك
وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به وفي اية اخرى الا ان قالوا اخرجوا
ال لوط والجمع بينهما انهم اولا قالوا ايتنا بعذاب الله ثم انه كثر منه الانكار وتكرر ذلك
منه نهيا ووعظا ووعيدا قالوا اخرجوا ال لوط ولما كان لوط قد امرهم بترك الفواحش
وما كانوا يصنعونه من قبيح المعاصي وتوعد على ذلك بالعذاب وكانوا يقولون ان
الله لم يحرم هذا ولا يعذب عليه وهو يقول ان الله حرمه ويعذب عليه قالوا ايتنا
بعذاب الله فكانوا الطف في الجواب من قوم ابراهيم اقتلوه او حرقوه لانه كان
يذم من الهتهم وعمد الى اصنامهم فكسرها فكان فعله هذا معهم اعظم من فعل لوط
لقومه فكان جوابهم له ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم استنصر لوط عليه السلام به
فبعث ملايكة لعذابهم ورجمهم بالحاصب وافسادهم بحمل الناس على ما كانوا عليه
من المعاصي طوعا وكرها وخصوصا تلك المعصية المبتدعة بالبشرى هي بشارته
بولده اسحاق وبنافلته يعقوب وبنصر لوط على قومه واهلاكهم والقرية سدوم
وفيها قيل اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين اي قد سبق منهم الظلم واستمر
في الايام السالفة وهم مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم ولما ذكروا
لابراهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية اشفق على لوط فقال ان فيها لوطا وعللوا

الاهلاك

الاهلاك بالظلم قال لهم فيها من هو بري من الظلم قالوا نحن اعلم بمن فيها اي منك وانه قالوا ثم
اخبروا بانجايهم اياه واهله الا امراته وقرا حمزة والكسائي لننجينه مضارع انجي وباقي
السبعة مضارع نجي والجمهور بشد النون وفرقة بتخفيفها ولما ان جاءت رسلنا لوطا
سي بهم وضاق بهم ذرعا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة الا ان هنا زيدت ان بعد
لما وهو قياس مطرد وقال الزمخشري ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما
على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان
كانه قيل لما احس بمجيهم فاجابه المساة من غير وقت خيفة عليهم من قومه
انتهى وهذا الذي ذكره في الترتيب وهو مذهب س ان مذهبه ان لما حرف
لا ظرف خلافا للفارسي وهو مذكور في علم النحو وقرا العربيان ونافع وحفص
منجوك مشددا وباقي السبعة مخففا والكاف في مذهب س في موضع جر
واهلك منصوب على اضمار فعل اي وننجي اهلك ومن راعي هذا الموضع عطفه على
موضع الكاف والكاف فعلى مذهب الاخفش وهشام في موضع نصب واهلك
معطوف عليه لان هذه النون كالتنوين وهما على مذهبهما كهو في الظاهر
الضمير وشده طلبه الاتصال بما قبله وقرا الجمهور سي بكسر السين واشمها الضم نافع
وابن عامر والكسائي وقرا عيسى وطلحة سو بضمها وهي لغة بني هذيل وبني
وبير يقولون في قيل وبيع ونحوهما قول وبوع وقرى منزلون مخففا ومشددا
وابن محيصن رجزا بضم الرا وابو حيوة والاعمش بكسر السين يفسقون والظاهر
ان الضمير في منها عايد على القرية فقال ابن عباس منها اثرهم الخربة وحكى ابو سليمان
الدمشقي ان الاية في قريتهم الى الان ان اساسها اعلاها وسقوفها اسفلها
الى الان وقال الفرا المعنى تركناها اية يقول ان في السما لاية يريد انها اية
انتهى وهذا لا يتجه الا على زيادة من في الواجب نحو قوله اسهرت منه ليلة
وتريد اسهرت بها وكذلك ولقد تركنا منها اية وقيل الما فيها عايدة على
الفعلة التي فعلت بهم فقيل الاية الحجارة التي ادركها اوايل هذه الامة قاله
قتادة وقيل الما الاسود على وجه الارض قاله مجاهد وقيل الحجارة منها ولقوم
متعلق بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون
وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من
اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون مثل الذين
اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه
من شي وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين
اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا

والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون والى مدين اي والى مدين ارسلنا او بعثنا اخوهم
تعتدي باتي امرهم بعبادة الله والايمان بالبعث واليوم الاخر والامر بالرجا امر بفعل ما يترتب
الرجا عليه اقام السبب مقام المسبب والمعنى وافعلوا ما ترجون به الثواب من الله ويكون
امرا بالرجا على تقدير تحصيل شرطه وهو الايمان بالله وقال ابو عبيدة وارجوا وخافوا
جزا اليوم الاخر من انتقام الله منكم ان لم تعبدوه وتضمن الامر بالعبادة والرجا انه
ان لم يفعلوا ذلك وقع بهم العذاب فكذبوه جاءهم بذنوب ثمرة التكذيب وهي فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وتقدم تفسير مثل هذه الجمل وانتصب وعادا وثمودا
باضمار اهلكنا لدلالة فاخذتهم الرجفة وقيل بالعطف على الضمير في فاخذتهم وابعد
الكسائي في عطفه على الذين من قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم وقرا وثمود
بغير تنوين حمزة وشيبة والحسن وحفص وباقي السبعة بالتنوين وقرا ابن وثاب
وعاد وثمود بالخفض فيهما والتنوين عطفا على مدين اي وارسلنا الى عاد وثمود وقد
تبين لكم اي ذلك اي ما وصف لكم من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند
مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم وقرا الاعمش مساكنهم بالرفع
من غير من فيكون فاعلا بتبين وزين لهم الشيطان اي بوسوسته واغوائه اعمالهم
القبيحة فصدهم عن السبيل وهو طريق الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين اي
في كونهم لهم نظر واستبصار قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقيل كانوا يعلمون
ان الرسالة والايات حق ولكنهم كفروا عنادا او جحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقارون
معطوف على ما قبله او منصوب باضمار اذكر فاستكبروا اي عن الاقرار بالصانع وعبادته
في الارض اشارة الى قلة عقولهم لان من في الارض يشعر بالضعف ومن في السما يشعر بالقوة
ومن في السما لا يستكبر عن عبادة الله فكيف من في الارض وما كانوا سابقين الامم
الى الكفر اي تلك عادة الامم مع رسلهم والحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها
حصبا وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم
نوح وفرعون وقومه وقال ابن عطية ويشبه ان يدخل قوم عاد في الحاصب لان
تلك الريح لابد كانت تحصبهم بامور مؤذية والحاصب هو العارض من ريح او سحاب
اذا رمى بشي ومنه قول الفرزدق مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور
ومنه قول الاخطل ترمي العضاة بحاصب من ثلجها حتى يبيت على العضاة جفالا
العنكبوت حيوان معروف ووزنه فعللوت ويونث ويذكر فمن تذكيره قول الشاعر
على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها ويجمع عناكب وتصغير عنيكب
شبه تعالى الكفار في عبادتهم الاصنام وبنائهم امورهم عليها بالعنكبوت التي تبني
وتتخذ وامرها ضعيف متى مسته ادنى هامة او هابة اذهبته فكذلك
امر اوليك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد قال الزمخشري الغرض تشبيه ما اتخذوه
متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله مما هو مثل عند الناس في الوهن
وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت انتهى يعني بقوله الا ترى الى مقطع
التشبيه وما ذكر ولا من الوجه تشبيه المتخذ بالبيت لا تشبيه المتخذ بالعنكبوت
والذي يظهر هو تشبيه المتخذ من دون الله وليا بالعنكبوت المتخذ بيتا
اي فلا اعتماد للمتخذ وليا من دون الله كما ان العنكبوت لا اعتماد لها في بيتها

في استطلال

في استظلال وسكنى بل اذا دخلت فيه حرقته ثم بين حالتيهما وانه في غاية الوهن بحيث لا ينتفع
به كما ان تلك الاصنام لا تنفع ولا تجدي شيئا البتة وقوله لو كانوا يعلمون ليس مرتبطا
بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل احد يعلم ذلك فلا يقال فيه
لو كانوا يعلمون وانما المعنى لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ
من الوهن هذه الغاية لاقلعوا عنه وما اتخذوا الاصنام الهة وقال الزمخشري
اذ صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت قد تبين ان دينهم اوهن
الاديان لو كانوا يعلمون وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت او اخرج
الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز وكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه
في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك
الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا
بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت
اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون انتهى وفيما ذكره من قوله ولقائل ان يقول الى اخره
لا يدل عليه لفظ الاية وانما هو تحميل اللفظ ما لا يحتمل كعادته في كثير من تفسيره وقرا
ابو عمرو وسلام يعلم ما بالادغام والجمهور بالفك والجمهور تدعون بتا الخطاب وابو عمرو
وعاصم بخلاف بيا الغيبة وجوزوا في ما ان يكون مفعولا بيدعون اي يعلم الذين
يدعون من دونه شيا بان من جميع الاشيا اي يعلم حالهم وانهم لا قدرة لهم وان
تكون نافية اي لستم تدعون من دونه شيا له بال ولا قدر فيصلح ان يسمى شيا وان تكون
استفهامية كانه قدر على جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الاشيا وهي في هذين
الوجهين مقتطعة من يعلم اعتراض بين يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم
وجوز ابو علي ان تكون ما استفهامية منصوبا بيدعون ويعلم معلقة فالجملة
في موضع نصب بها والمعنى ان الله يعلم اي شي تدعون من دونه ام غيره
لا يخفى عليه ذلك والجملة توكيد المثل واذا كانت ما نافية كان في الجملة
زيادة على المثل حيث لم تجعل تقالهم بما يدعونه شيا وهو العزيز الحكيم فيه
تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشي لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة
اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر الحكيم الذي لا يفعل شيا الا لحكمة وما
يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها وكان جهلة قريش
انكروا ان محمدا يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما
علموا ان الامثال والتشبيهات طرق الى المعاني المحتجبة فتبرزها وتصورها
في الفهوم كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد والاشارة بقوله تلك
الامثال الى هذا المثل وما تقدم من الامثال في السور وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض فيه تنبيه على صغر قدر الاوثان التي عبدوها ومعنى بالحق بالواجب
الثابت لا بالعبث واللعب اذ جعلها مساكن عباده وعبرة ودلايل على عظيم قدرته وباهر
حكمته ان الصلاة هي المعهودة والمعنى من شانها اذا اديت على ما يجب من
فروضها وسننها والخشوع فيها والتدبر لما يتلو فيها وتقدير المثول بين يدي الله تعالى
ان تنهى عن الفحشا والمنكر قال ابن عباس والكلبي وابن جريج وحماد بن سليمان

تنهى ما دام المصلي فيها وقال ابن عمر الصلاة هنا القرآن وقال ابن بحر الصلاة الدعاء اي الحمل على الدعاء الى امر الله وامام
نراه من المصلين متعاطي المعاصي فان صلاته تلك ليست بالوصف الذي تقدم وفي الحديث ان فتى من الانصار
كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة الا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ولا
يدل اللفظ على ان كل صلاة تنهى بل المعنى ان يوجد ذلك فيها ولا يكون على العموم كما تقول فلان يامر
بالمعروف اي من شانه ذلك ولا يلزم منه ان كل معروف يامر به والظاهر ان ذكر فعل تفضيل فقال
عبد الله وسلمان وابو الدرداء وابن عباس وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقال
قتادة وابن زيد اكبر من كل شيء وقيل ولذكر الله في الصلاة اكبر منه خارج الصلاة اي اكبر ثوابا
وقيل اكبر من سائر اركان الصلاة فقيل ولذكر الله نهيه اكبر من نهي الصلاة وقيل اكبر من كل
العبادات وقال ابن عطية وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى
عن الفحشاء والمنكر والجزء الذي منه في الصلاة ينهى كما ينهى في غير الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا
من ذاكر لله مراقبه وثواب ذلك الذكران يذكره الله في ملا خير من ملائه والحركات التي في الصلاة
لا تاثير لها والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما ما يتجاوز
اللسان ففي رتبة اخرى وقال الزمخشري يريد والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات فسماها
بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال والصلاة اكبر
لانها ذكر الله والله يعلم ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم وفيه وعيد وحث على المراقبة ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين
اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو
ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون وقالوا
لولا انزل عليه ايات من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والارض والذين امنوا بالباطل
وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا
ما كنتم تعملون واهل الكتاب اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن من الملاطفة في
الدعاء الى الله والتنبيه على اياته الا الذين ظلموا من لم يؤد جزية ونصب الحرب وصرح بان
لله ولدا او شريكا او يده مغلولة فالاية منسوخة في مهادنة من لم يحارب قاله مجاهد وقيل
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبارهم الا الذين ظلموا منهم باقامتهم
منهم على الكفر وعن قريظة والنضير قاله ابن زيد والاية على هذا محكمة وقيل الا الذين اذوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقرأ الجمهور الا
حرف استثناء وابن عباس الا حرف تنبيه واستفتاح وتقديره الا جادلوهم بالتي هي احسن وقولوا لهم
امنا هذا من المجادلة بالاحسن بالذي انزل الينا وهو القرآن وانزل اليكم وهو التوراة والزبور والانجيل
وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل اليكم وكذلك اي مثل ذلك الانزال الذي للكتب السابقة انزلنا اليك الكتاب اي القرآن فالذين اتيناهم الكتاب

هم

هم عبد الله بن سلام ومن امن معه ومن هؤلاء اي من اهل مكة وقيل فالذين اتيناهم الكتاب
الذين تقدموا عهد الرسول يؤمنون به اي بالقرآن اذ هو مذكور في كتبهم انه ينزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء اي ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها
وزوال الشبهة عنها الا الكافرون اي من بني اسرائيل وغيرهم قال مجاهد كان اهل
الكتاب يجدون في كتبهم ان محمدا عليه السلام لا يخط ولا يقرأ كتابا فنزلت وما كنت تتلو
من قبله اي من قبل نزوله عليك من كتاب اي كتابا ومن زائدة لانها في متعلق النفي
ولا تخطه اي لا تقرأ ولا تكتب بيمينك هي الجارحة التي تكتب بها وذكرها زيادة تصوير
لما نفي عنه من الكتابة لما ذكر انزال الكتاب عليه متضمنا من البلاغة والفصاحة
والاخبار عن الامم السابقة والامور المغيبة ما اعجز البشر ان يأتوا بسورة مثله اخذ
يحقق كونه نازلا من الله بانه ظهر عن رجل امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط اهل العلم وظهور
هذا القرآن المنزل عليه اعظم دليل على صدقه واكثر المسلمين على ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يكتب قط ولم يقرأ بالنظر في كتاب وروي عن الشعبي انه قال ما مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب واسند النقاش حديث ابي كبشة السلولي انه صلى
الله عليه وسلم قرأ صحيفة لعيينة بن حصن واخبر بمعناها وفي صحيح مسلم ما ظاهره انه
كتب مباشرة وقد ذهب الى ذلك جماعة منهم ابو ذر عبد بن احمد الهروي والقاضي
ابو الوليد الباجي وغيرهما واشتد نكير كثير من علماء بلادنا على ابي الوليد الباجي حتى
كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على المنبر وتاول اكثر العلماء ما ورد من انه كتب على
ان معناه امر بالكتابة كما تقول كتب السلطان لفلان بكذا اي امر بالكتب اذا لارتاب
المبطلون اي لو كان يقرأ كتبا قبل نزول القرآن عليه او يكتب لحصلت الريبة للمبطلين
اذ لو كانوا يقولون حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه قبل وخطه واستحفظه فكان
يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده
والمبطلون اهل الكتاب قاله قتادة او كفار قريش قاله مجاهد وسموا مبطلين لانهم
كفروا به وهو امي بعيد من الريب ولما لم يكن قارئا ولا كاتبا كان ارتيابهم لا وجه له
بل هو اي القرآن ايات بينات واضحات الاعجاز في صدور الذين اوتوا العلم اي
مستقرة مؤمن بها محفوظة في صدورهم يتلونها اكثر الامة ظاهرا بخلاف غيره من
الكتب فليس بمعجز ولا يقرأ الا من الصحف وجاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم
وكونه للقرآن يؤيده قراءة عبد الله بل هي ايات وقيل بل هو اي النبي وامور
ايات بينات قاله قتادة وقرأ بل هو اية بينة على التوحيد وقيل بل هو اي كونه
لا يقرأ ولا يكتب ويقال جحدته وجحدت به وكفرته وكفرت به قيل والجحود الاول معلق
بالوحدانية والثاني معلق بالنبوة وختمت تلك بالكافرون لانه قسيم المؤمنين في
قوله يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن وهذه بالظالمين لانه جحد بعد اقامة
الدليل على كون الرسول صدر منه القرآن منزلا عليه وهو امي لا يقرأ ولا يكتب فهم الظالمون
بعد ظهور المعجزة وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه اي عن قريش وبعض اليهود كانوا يعلمون
قريشا مثل هذا الاقتراح يقولون له الا يأتيكم باية مثل اية موسى من العصا وغيرها وقرأ
العربيان ونافع وحفص ايات على الجمع والباقون اية على التوحيد قل انما الايات عند الله
ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير بما اعطيت من الايات
وذكر يحيى بن جعدة ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا

فيها بعض ما يقول اليهود فلا نظر اليها القاها وقال الكلبي بجماعة قوم او ضلالة قوم ان يتخيروا
من ما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت اولم يكفهم والذي يظهر انه رد على الذين
قالوا لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات ان كانوا
طالبين الحق غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان
فلا تزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد وجودها وتكون في مكان
دون مكان ان في هذه الاية في كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لا تنكر وتذكرة
وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد
بانك رسول الله فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغت وانذرت وانكم
جحدتم وكذبتم وهو العالم ما في السموات والارض فيعلم امري وامركم والذين امنوا
بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقال مقاتل بعبادة الشيطان وقيل بالصنم ويستعجلونك اي
كفار قريش في قولهم ائتنا بما تعدنا الذي كان يتوعدهم به الرسول والاجل المسمى ما سماه
الله واثبته في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره وقال ابن جبير يوم القيامة وقال ابن
سلام اجل ما بين النفختين وقيل يوم بدر وليأتينهم بغتة اي فجاة وهو ما ظهر يوم بدر
وفي السنين السبع ثم كرر ذلك عليهم وتبعه ان وراءهم جهنم تحيط بهم وانتصب يوم
يغشاهم بمحيطة وقرا الكوفيون ونافع ويقول اي الله وباقي السبعة بالنون نون العظمة
او نون جماعة الملائكة وابو البرهسم بالتاء اي جهنم كما نسب القول اليها في وتقول هل
من مزيد وقرا ابن مسعود وابن ابي عبلة ويقال مبنيا للمفعول يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن
سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله
يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه
اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وان الله لمع المحسنين اكثر المفسرين ذهبوا الى ان قوله يا عبادي
الاية نزلت فيمن كان بمكة امروا بالهجرة عنها الى المدينة اي جانبوا
اهل الشرك واطلبوا اهل الايمان وقال ابو العالية سافروا واطلبوا اوليائه
وقال ابن جبير وعطاء ومجاهد ومالك بن انس الارض التي فيها الظلم
والمنكر يترتب فيها هذه الاية ويلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقال مطرف

ابن

ابن الشخير ان ارضي واسعة عدة بسعة الرزق في جميع الارض وقيل ارض الجنة واسعة
اعطيكم وقال مجاهد فاهاجروا وجاهدوا ابدا فاياي فاعبدون هو من باب الاشتغال
اي فاياي اعبدوا فاعبدون وقال الزمخشري فان قلت
ما معنى الفا في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفا جواب شرط
محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم
المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص انتهى
ويحتاج هذا الجواب الى تامل ولما امر تعالى بسعة ارضه وكان
ذلك اشارة الى الهجرة وامر بعبادته فكان قد يتوهم متوهم
انه اذا خرج من ارضه وكان ذلك من الارض التي نشا فيها لاجل
من حل من اهل الكفر الى دار الاسلام لا يستقيم له فيها ما كان يستقيم
له في ارضه فربما ادى ذلك الى اهلاكه اخبر ان كل نفس لها اجل تبلغه
وتموت في اي مكان حل وان رجوع الجميع الى جزائه يوم القيامة
وقرا علي ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول بتاء
الخطاب وروي عن عاصم بيا الغيبة وقرا ابو حيوة ذائقة بالتنوين
الموت بالنصب وقرا لنثوينهم من الثواء وقرا علي وعبد الله
والربيع بن خثيم وابن وثاب وزيد بن علي وحمزة والكسائي من الثوا
والثوا يتعدى لاثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال
وقد جا متعديا باللام قال تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
والمعنى لنجعلن لهم مكان مباءة اي مرجعا يأوون اليه غرفا اي
علالي واما ثوى فمعناه اقام وهو فعل لازم فدخلت عليه همزة التعدية
فصار يتعدى الى واحد وقد قرئ مشددا عدي بالتضعيف فانتصب
غرفا على اسقاط حرف الجر اي في غرف ثم اتسع بحذفه واما على تضمين
الفعل معنى التبوية فتعدى الى اثنين او شبه الظرف المكاني المختص
بالمبهم فوصل اليه الفعل وروي عن ابن عامر غرفا بضم الراء وقرا
ابن وثاب فنعم بالفا والجمهور بغير فا الذين صبروا اي على
مفارقة اوطانهم والهجرة وجميع المشاق من امتثال الاوامر واجتناب
المناهي وعلى ربهم يتوكلون هذان جماع الخير كله الصبر وتفويض
الامور الى الله تعالى ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم
بمكة بالهجرة خافوا الفقر فقالوا غربة في بلاد لا دار لنا فيها ولا عقار ولا من
يطعمنا فمثل لهم باكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ولا تروي
في رزقها ولا تحمل رزقها من الحمل اي لا تنقل ولا تنظر في ادخاره قاله
مجاهد وابو مجلز وعلي بن الاقمر والادخار جا في الحديث كيف بك اذا
بقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة لضعف اليقين
قيل ويجوز ان يكون من الحمالة التي لا تتكفل لنفسها ولا تروي وقال
الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وقال ابن عباس
لا يدخر الا الادمي والنمل والفار والعقعق وقيل البلبل يحتكر في

خصيصة ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وابتغا حملها الرزق اما لضعفها او عجزها
عن ذلك واما لكونها خلقت لا عقل لها فيتفكر فيما تحتاجه للمستقبل الله يرزقها
اي على ضعفها واياكم اي على قدرتكم على الاكتساب وعلى التحيل في تحصيل
المعيشة ومع ذلك فرازقكم هو الله وهو السميع لقولكم نخشى الفقر
العليم بما انطوت عليه ضمائركم اي اعجب تعالى ذلك باقرارهم بان
مبدا العالم ومسخر النيرين هو الله وانه مع ذلك يبسط الرزق ويضيقه
فقال الله يبسط الرزق لمن يشا ان يبسطه ويقدر لمن يشا ان يقدره
والضمير في له ظاهره العود على ما يشا فيكون ذلك لواحد يبسط له في وقته
ويقدر في وقت ويجوز ان يكون الضمير عايدا عليه في اللفظ والمراد
لمن يشا اخر فصار نظير وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره اي من عمر معمر
اخر وقولهم عندي درهم ونصفه اي نصف درهم اخر فيكون
المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق وقرا علقمة الحمصي
ويقدر بضم اليا وفتح القاف وشد الدال عليم يعلم ما يصلح العباد
وما يفسدهم ولما اخبر بانهم يقرون بان موجد العالم المسخر
النيرين ومحيي الارض بعد موتها هو الله كان ذلك الاقرار ملزما
لهم ان رزق العباد انما الله هو المتكفل به وامر رسوله بالحمد لله
تعالى لان في اقرارهم توحيد الله بالابداع ونفي الشركا عنه في ذلك
وكان ذلك حجة عليهم حيث اسندوا ذلك الى الله وعبدوا الاصنام
بل اكثرهم لا يعقلون حيث يقرون بالصانع الرازق المحيي ويعبدون
غيره وما هذه الحياة الدنيا الاشارة بهذه ازدرا الدنيا وتصغير
لامرها وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة اي ما هي في
سرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم
يتفرقون والحيوان بمعنى والحياة بمعنى واحد وهو عند الخليل
وس مصدر حيي والمعنى لهي دار الحياة اي المستمرة التي لا تنقطع
قال مجاهد لا موت فيها وقيل الحيوان الحي وكانه اطلق على الحي اسم المصدر
وجعلت الدار الاخرة حيا على المبالغة بالوصف بالحياة وظهور الواو في
الحيوان وفي حيوة علم لرجل استدل به من ذهب الى ان لام الكلمة
واو ومذهب س ان لام الكلمة يا وان جهة في حيي لان الواو في مثل
هذا الترتيب تبدل يا لعدم ظهور الواو في حيوان وحيوة بدل من يا
شذوذا وجواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لم يوثروا الدنيا
عليها وجا بنا مصدر حيي على فعلان لانه يدل على الحركة والاضطراب
كالغليان والنزوان واللهبان والجولان والطوفان والحيوان كثير الاضطراب
والحركة فهذا البنا فيه لكثرة الحركة ولما ذكر تعالى انهم معترفون بالله اذا
سيلوا من خلق العالم ومن نزل من السما ما ذكر ايضا حالة اخرى يرجعون
فيها الى الله ويقرون بالله انه هو الفاعل لما يريد وذلك حين ركوب
البحر واضطراب امواجه واختلاف رياحه وقال الزمخشري فان قلت
بم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من
امرهم

امره على ما وصفوا به من الشرك والفساد حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون مع الله اخر
وفي تخلصهم حرب من التهكم انتهى واذا هم يشركون جواب لما اي فاجاوا التجدد
اشراكهم بالله اي لم يتاخر منهم ولا وقتا والظاهر في ليكفروا اي الحامل على الشرك
هو كفرهم بما اعطاهم الله تعالى وتلذذهم بما متعوا به من عرض الدنيا
بخلاف المومنين فانهم اذا نجوا من مثل تلك الشدة كان ذلك جالبا لشكر الله
تعالى وطاعته لمرداة وقيل اللام في ليكفروا وليتمتعوا لام الامر ويويده قراة
من سكن لام وليتمتعوا وهم ابن كثير والاعمش وحمزة والكسائي وهذا الامر
على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شيتم وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان
يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت
هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية انتهى والتخلية
والخذلان من الفاظ المعتزلة وقرا ابن مسعود فتمتعوا فسوف تعلمون وكذا في
مصحف ابي وقرا ابو العالية فيتمتعوا باليا مبنيا للمفعول ومن قرا وليتمتعوا
بسكون اللام وكان عنده اللام في ليكفروا لام كي فالواو عاطفة كلاما على كلام لا عاطفة
فعل وحكى ابن عطية عن ابن مسعود لسوف تعلمون باللام ثم ذكرهم تعالى بنعمه حيث
اسكنهم بلدة امنوا فيها لا يغزوهم احد ولا يستلب منهم مع كونهم قليلي العدد
قادرين في مكان لا زرع فيه وهذه من اعظم النعم التي كفروها وهي نعمة لا يقدر عليها
الا الله تعالى وقرا الجمهور يومنون ويكفرون باليا فيهما وقرا السلمي
والحسن بتا الخطاب فيهما وافتراوهم الكذب بزعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بالحق
كفرهم بالرسول والقران وفي قوله لما جاه اشعار بانهم لم يتوقفوا في تكذيبه وقت
مجي الحق لهم بخلاف العاقل فانه اذا بلغه خبر نظر فيه وفكر حتى يتبين له صدق هو ام
كذب والي تقرير لمقامهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا والكافرين
من وضع الظاهر موضع المضمر اي مثواهم والذين جاهدوا فينا اطلق المجاهدة ولم
يعينها ليتناول المجاهدة في النفس الامارة بالسو والشيطان واعدا الدين وما ورد
من اقوال العلما فالمقصود بها المثال قال ابن عباس جاهدوا اهواهم في طاعة الله وشكر الالا
والصبر على البلايا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير كقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى واتاهم تقواهم وقال السدي جاهدوا وامنوا بالثبات على الايمان لنهدينهم
سبلنا الى الجنة وقال ابو سليمان الداراني جاهدوا فيما علموا لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة
وقال ابن عباس المحسنين الموحدين وقال غيره المجاهدون وقال عبد الله بن المبارك من اعتاصت
عليه مسالة فليسال اهل الثغور عنها لقوله لنهدينهم سبلنا والذين مبتدا خبره القسم المحذوف وجوابه
وهو لنهدينهم وبهذا ونظيره رد على ابن عباس ثعلب في منعه ان
تقع جملة القسم والمقسم عليه خبرا لمبتدا ونظيره والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنبوينهم تم الجزء المبارك بحمد الله
تعالى وعونه وحسن توفيقه ويتلوه في
التفسير من اول سورة الروم والله
الحمد والمنة وعليه التكلان
وهو حسبنا ونعم الوكيل
والحمد لله وحده على
كل حال

الى اخر القصص تلوه سورة الروم

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله تعالى ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب